UNIVERSAL
LIBRARY
OU-234013
UNIVERSAL
LIBRARY

﴿الجزء الثاني﴾

من الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل
في وجوه التأويل للإمام جار الله ناصر الإسلام
أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري
أثابه الله ورضي عنه

ان التفاسير في الدنيا بلا عدد * وليس فيها لكشاف
وان كنت تبغي الهدى فالزم قراءته * فالجهل كالداء والكشاف كالشافي

بهامشه باقي كتاب الانتصاف
لناصر الدين أحمد بن محمد بن منصور الجذامي الاسكندري
المالكي المشهور بابن المنير رحمه الله تعالى

هامش أيضا القرآن العظيم بتمامه

﴿تنبيه﴾

ان الصفحة التي فيها الباب من الانتصاف وباب من القرآن العظيم
قسمتها لقرآن العظيم بجداول لزيادة الايضاح

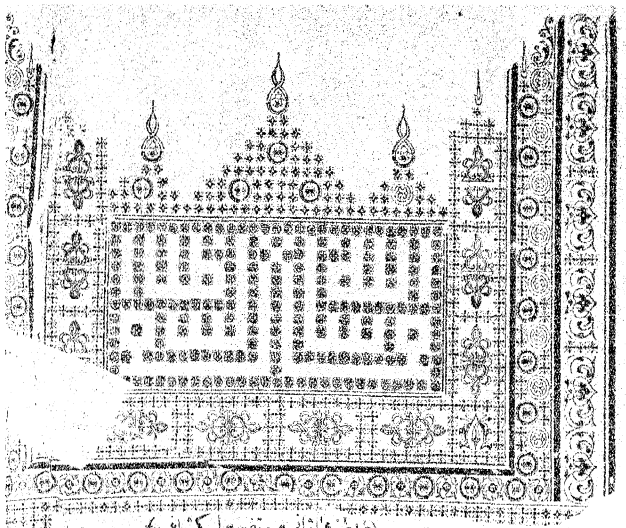

﴿الجزء الثانى من تفسير الكشاف﴾

﴿سورة مريم مكية وهى تسعون وثمان أو تسع آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(كهيعص) قرأ فتح الهاء وكسر الياء حمزة وبكسرهما عاصم وبضمها الحسن أى هذا المتلو من القرآن ذكر رحمة ربك وقرئ ذكر على الامر * (إذ نادى ربه) إذ ظرف لرحمة ربك أو لذكر والنداء والدعاء والرغاء والثغاء والصهيل والحمحمة والنهيق والعواء والنباح والمواء والصياح والزئير والضغاء والعرار والقرقرة والصفير والقعقعة والصرير والخرير والحفيف والدوى والهمس والوجيف والرسيم والخبب والعنق والتقريب والهملجة والسرعة والسلان والتهادى والمشى والسعى والدبيب والحضر والركض والعدو والشد والوثب والطفر والقفز والرمز والغمز والهمز واللمز والكلام والقول والهذر والنزر والبذر والخطل والهجر والمنطق والعى والحصر والبكم والخرس والحكاية والوحى والكتابة والخط والقراءة والتلاوة والترتيل والترسل والتجويد والتحبير والتحسين والتزيين والتقبيح والتشويه والتسويد والتبييض والتحمير والتصفير والتدبيج والتوشيح والتسجيع والترصيع والتقفية والتوزين والتعريض والكناية والرمز والتورية والتصريح والتعريف والتنكير والتذكير والتأنيث والتثنية والجمع والتصغير والتكسير والتمريض والتقويم والتصحيف والتحريف والتعمية والتعجيم والتلجلج والتمتمة والفأفأة والحكمة والموعظة والجدل والمراء والخطابة والشعر والكهانة والسجع والبيان والبلاغة والعلم والمعرفة والفهم والفقه والدراية والرواية والحفظ والذكر والنسيان والسهو والغفلة والفطنة والذكاء والبلادة والغباوة والحدس والظن والحسبان والشك والمرية والوهم والخطرة والاعتقاد والنية والعزم والارادة والهم والتصميم والعزيمة والوفاء والعهد والنذر واليمين والحنث والكفارة والبر والتقوى والطاعة والمعصية والفسوق والكفر والرشد والغى والضلال والهدى والسبيل والسنة والبدعة والشرعة والمنهاج والطريقة والمذهب والحق والباطل والصدق والكذب والمحال والمحاورة والمناظرة والمجادلة والمساءلة والجواب والسؤال والاستخبار والاستعلام والاستفهام والدعوى والبينة والشهادة والحكم والقضاء والفتيا والاستفتاء والتقليد والاجتهاد والاستحسان والقياس والاستدلال والاعتبار والنظر والتفكر والتدبر والاستنباط والاستخراج والتأويل والتفسير والتعليل والتلقين والتفهيم والتعليم والتعلم والدرس والمدارسة والمطالعة والمناولة والاملاء والاستملاء والكتب والخط والقلم والدواة والمداد والمحو والاثبات والتسطير والتجليد والتذهيب والتنقيط والتشكيل والتعشير والتخميس والتسبيع والتنصيف والتربيع والتثليث والتعقيب والتصدير والتسهيم والتوشيح والتطريز والتحجيل والتحذية والتقفية والتوزين والتعريض والكناية والرمز والتورية والتصريح والتعريف والتنكير والتذكير والتأنيث والتثنية والجمع والتصغير والتكسير والتمريض والتقويم والتصحيف والتحريف والتعمية والتعجيم والتلجلج والتمتمة والفأفأة والحكمة والموعظة والجدل والمراء والخطابة والشعر والكهانة والسجع والبيان والبلاغة والعلم والمعرفة والفهم والفقه والدراية والرواية والحفظ والذكر والنسيان والسهو والغفلة والفطنة والذكاء والبلادة والغباوة والحدس والظن والحسبان والشك والمرية والوهم والخطرة والاعتقاد والنية والعزم والارادة والهم والتصميم والعزيمة والوفاء والعهد والنذر واليمين والحنث والكفارة والبر والتقوى والطاعة والمعصية والفسوق والكفر والرشد والغى والضلال والهدى والسبيل والسنة والبدعة والشرعة والمنهاج والطريقة والمذهب والحق والباطل والصدق والكذب والمحال والمحاورة والمناظرة والمجادلة والمساءلة والجواب والسؤال والاستخبار والاستعلام والاستفهام والدعوى والبينة والشهادة والحكم والقضاء والفتيا والاستفتاء والتقليد والاجتهاد والاستحسان والقياس والاستدلال والاعتبار والنظر والتفكر والتدبر والاستنباط والاستخراج والتأويل والتفسير والتعليل والتلقين والتفهيم والتعليم والتعلم والدرس والمدارسة والمطالعة والمناولة والاملاء والاستملاء والكتب والخط والقلم والدواة والمداد والمحو والاثبات والتسطير والتجليد والتذهيب والتنقيط والتشكيل والتعشير والتخميس والتسبيع والتنصيف والتربيع والتثليث والتعقيب والتصدير والتسهيم والتوشيح والتطريز والتحجيل والتحذية

﴿سورة مريم مكية وهى تسعون وثمان أو تسع آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(كهيعص) ذكر رحمت ربك عبده زكريا إذ نادى ربه نداء خفيا قال رب إنى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا وإنى خفت

التوبة في سورة مريم ﴿ (بسم الله الرحمن الرحيم) ﴿ قوله تعالى فهب لي من لدنك وليا الى قوله وقد بلغت من الكبر عتيا لا يخلو اما ان قالت لم طلب أولا وهو وامرأته على صفة التي الخ) قال أحمد وفيما أجاب به نظر لانه التزم ان ذكريا استبعد ما وعده الله عز وجل بوقوعه ولا يجوز لاحد النطق بما لا يسوغ فمثل هذه العائدة التي عينها الزمخشري ويمكن حصولها بدونه فالظاهر في الجواب والله أعلم ان طلبة ذكريا انما كانت ولدا من حيث الجملة ويحسب ذلك أحب وليس في الاجابة ما يدل على انه (٣) يولد له وهو هرم ولا أنه من زوجته

الخلافة تهم من ورائي أو خفت الذين يلون الامر من ورائي وقرأ عثمان ومحمد بن علي وعلي بن الحسين رضي الله عنهم خفت الموالي من ورائي وهذا على معنيين أحدهما أن يكون ورائي بمعنى خلفي وبعدي فيتعلق الظرف بالموالي أي قلوا وعزوا عن اقامة أمر الدين فسأل ربه تقويتهم ومظاهرتهم بولي يرزقه والثاني ان يكون بمعنى قدامي فيتعلق بخفت ويريد أنهم خفوا قدامه ودرجوا وقد بقي منهم من يتقوى واعتضاد (من لدنك) تأكيد لكونه ولي اي صيره كونه من قبلك ايذانا الى الله تعالى وصدارا من عنده والافهو لي وليا يرثني

* * * اختراعا من غير سبب لاني وامرأتي لا نصلح للولادة (يرثني ويرث) لجزم جواب الدعاء والرفع

ابن عباس والجحدري يرثني وارث آل يعقوب نصب على الحال وعن

علي رضي الله عنه وجماعة وارث من آل يعقوب

مواليا لان الانبياء لا تورث المال

وقيل من

للتبعيض لا للتعدية

يعقوب بن اسحق وقيل هو يعقوب بن ماثان

نسل سليمان بن داود (سميا) لم يسم أحد يحيى قبله وهذا شاهد على ان التسمية

كانت العرب تتحاشى في التسمية لكونها أنبه وأنوه وأزعن النبوة قال القائل في مدح قوم

سبع الاسامي مسمياتي أزد * سموعس الارض بالمهند

وقال وقيل سماه بذلك الكوفي وقد سأله عن تسميته أنا ان الجماع فقال قصرت وعرفت وقيل مثلا وشبيها عن

مجاهد كقوله تعالى هل تعلم له سميا والمثل سمي لان كل مثلين كالين يسمي كل واحد منهما باسم المثل والشبيه

والشكل والنظير كل واحد منهما سمي صاحبه ونحو يسمي في أسمائهم بمصر ويعيش ان كانت التسمية

عربية وقد سموه يعيش يعيوت بن الورع قالوا لم يكن له مثل في انه لم يعص ولم يهم بمعصية قط وانه ولد

مختونا وقيل عاقرا وقد كان حصورا * أي كانت على صفة لا تحمل معها ولا تلد وكهلا فصار ذلك الولد

لاحتمال أحد السببين أحق بان يختل الصبيان جميعا أو يختل أحدهما دون الآخر (فان قلت) لم طلب أولا وهو وامرأته على صفة

التي يعقل فعلها أن يهب بطلبته استبعادا واستعجابا (قلت) أجاب عما أجيب به فيزداد المؤمنون ايقانا ويرتدع

المبطلون والاستفهام تعجب كريا أولا وآخرا كان على منهاج واحد في أن الله غني عن الاسباب * أي باغت عتيا

وهو اليبس والجساوة في المفاصل والعظام كالعود اليابس يقال عتا العود وعسا من أجل الكبر والطعن في

السن اليبيسة أو بلغت من مدارج الكبر ومراتبه ما يسمى عتيا وقرأ ابن وثاب وحمزة والكسائي بكسر

العين وكذلك صليا وابن مسعود بفتحهما فيهما وقرأ أبي ومجاهد عسيا (كذلك) الكاف رفع أي الامر كذلك

تصديق له ثم ابتدأ قال ربك أو نصب بقال وذلك اشارة الى مبهم يفسره هو علي هين ونحوه وقضينا اليه ذلك

الامر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وهو علي هين ولا يخرج هذا الا على الوجه الاول أي

الامر كما قلت وهو على ذلك هين ولي ووجه آخر وهو ان يشار بذلك الى ما تقدم من وعد الله لا الى قول

ذكريا وقال محذوف في كلتا القراءتين أي قال هو علي هين قال وهو علي هين وان شئت لم تنوه لان الله هو

الخاطب والمعنى أنه قال ذلك ووعده وقوله الحق (شيئا) لان المعدوم ليس بشيء أو شيأ معتدا به كقولهم عجبت

من لدنك وليا يرثني
ويرث من آل يعقوب
واجعله رب رضيا
كريا انا نبشرك
بغلام اسمه يحيى
لم نجعل

عتيا
عاقرا وقد بلغت
الكبر عتيا قال كذلك
قال ربك هو علي هين
وقد خلقتك من قبل
ولم تك شيأ قال رب
اجعل لي آية قال آيتك
ألا تكلم الناس ثلاث
ليال سويا فخرج على
قومه من المحراب

الولد منهما وعاجلهما
فاستجيرا يكون وعا
كذلك فتيل كذلك
أي يكون الولد وانما
كذلك فقد انصرف
الانباء الى عين الموعود

زال الاشكال والله أعلم * قوله تعالى وقد خلقتك من قبل ولم تك شيأ (قال انما قيل ذلك لان المعدوم ليس بشيء أو شيأ يعتد به الخ)

قال أحمد فسر أولا على ظاهر النفي الصرف وهو الحق لان المعدوم ليس شيأ قطعا خلافا للمعتزلة في قولهم ان المعدوم الممكن شيء ومن

ثم كان الزمخشري عن التعاه على التفسير الاول الى الثاني بوجه من التأويل يلائم معتقد المعتزلة بجعل النفي للشيئية المعتد بها

وتلك الشيئية المطلقة ثابتة عنده للمعدوم والحق ما قدمناه انتهى

من لا شيء * وقوله * اذا رأى غير شيء ظنه رجلا * وقرأ الاعمش والكسائي وابن وثاب خلقناك * أي اعملني علامة أعلم بها وقوع ما بشرت به قال علامتك أن تمنع الكلام فلا تطيقه وأنت سالم الجوارح سوى اللسان ما بك خرس ولا بكم * دل ذكر الليالي هنا والايام في آل عمران على أن المنع من الكلام استمر به ثلاثة أيام وليالهن * أوحى أشار عن مجاهد وتضمنه الارصاد وعن ابن عباس كتب لهم على الارض (سجوا) صلوا أو على الظاهر وأن هي المفسرة * أي خذا التوراة بجد واستظهار بالتوفيق والتأييد (الحكم) الحكمة ومنه واحكم كحكم فتاة الحي يقال حكم حكيم وهو الفهم للتوراة والعمل في الدين عن ابن عباس وقيل دعاه الصبيان الى اللعب وهو صبي فقال ما للعب خلقنا عن الفعالة وعن معمر العقل وقيل النبوة لان الله أحكم عقله في صباه وأوحى اليه (حنانا) رحمة لابويه وغيرهما وتعطفا وشفقة أنشد سيبويه

وقالت حنان ما أتى بك ههنا * أذو نسب أم أنت بالحي عارف

وقيل حنانا من الله عليه وحنا في معنى ارتاح واشتاق ثم استعمل في العطف والرأفة وقيل لله حنان كما قيل رحيم على سبيل الاستعارة * والزكاة الطهارة وقيل الصدقة أي يتعطف على الناس ويتصدق عليهم * سلم الله عليه في هذه الاحوال قال ابن عيينة انها أوحش المواطن (اذ) بدل من مريم بدل الاشتمال لان الاحيان مشتملة على ما فيها ومعنى أن المقصود بذكر مريم ذكر وقتها هذا الوقوع هذه القصة العجيبة فيه * والانتباذ الاعتزال والانفراد تخلت للعبادة في مكان مما يلي شرقي بيت المقدس أو من دارها منزلة عن الناس وقيل قعدت في مشرفة للاغتسال من الحيض تحتجبة بحائط أو شيء يسترها وكان مرصعها المسجد فاذا طهرت تحولت الى بيت خالتها فاذا طهرت عادت الى المسجد فبينما هي في مغتسلها أتاها الملك في صورة آدمي شاب أمرد وضيء الوجه جعد الشعر سوي الخلق لم ينتقص من الصورة الآدمية شيأ وحسن الصورة مستوي الخلق ولم تعامل هل في صورة الانسان لتستأنس بكلامه ولا تنفر عنه ولو بدا لها في الصورة النكيرة لنفرت ولم تقدر على استماع كلامه * ودل على عفافها وورعها أنها تعوذت بالله من تلك الصورة الجميلة الفائقة الحسن وكان غيله على تلك الصفة ابتلاء لها وصبرا لعفتها وقيل كانت في منزل زوج أختها زكريا وكان لها محراب على حدة تسكنه وكان زكريا اذا خرج أغلق عليها الباب فتحت أن تجد خلوة في الجبل لتخلي رأسها فانفجر الشعب لها فخرجت فجلست في المشرفة وراء الجبل فأتاها الملك وقيل قام بين يديها في صورة رجل اسمه يوسف من خدم بيت المقدس وقيل ان النصارى اتخذت المشرق قبلة لانها منها مريم مكانا شرقيا * الروح جبريل لان الدين يحيا به وهو حيه أو سماه الله روحه على المجاز محببة له وتقربا كما تقول لحبيبك أنت روحي وقرأ أبو حيوة روحنا بالفتح لانه سبب لما فيه روح العباد وأضافه الروح عند الله الذي هو عدة للقربين في قوله فاما ان كان من المقربين فروح وريحان أولانه من المقربين وهم الموعودون بالروح أي مقربا وروحنا * أرادت ان كان برجى منك أن تتقي الله وتخشاه وتتحفل بالاستعاذة به فاني عائذة به منك كقوله تعالى تقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين * أي انما أنا رسول من استعذت به (لأهب لك) لا كون سبب هبة الغلام له مع في الدرع وفي بعض المصاحف انما أنا رسول ربك أمرني أن أهب لك أو هي حكاية لقول الله تعالى * جعل المس عبارة عن النكاح الحلال لانه كناية عنه كقوله تعالى من قبل أن تمسوهن أو لمستم النساء والزانيين كذلك انما قال فيه مجريا على ما ألفت به وما أشبه ذلك وليس بعجب أن تراعى فيه الكنايات والآداب * والبغي الفاجرة التي تبغي الرجال وهي فعول عند المبرد بغوي فادغمت الواو في الياء وقال ابن جني في كتاب التمام هي فعيل ولو كانت فعولا لقيل بغو كما قيل فلان نهوض الذكر (ولنجعله) تعليل معلله محذوف أي ولنجعله آية للناس فعلنا ذلك أو هو معطوف على تعليل مضمر أي لنبين به قدرتنا ولنجعله آية ونسوه وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وقوله وكذلك مكنا ليوسف في الارض ولنعلمه (مقضيا) مقدرا مسطورا في اللوح لا بد لك من جريه عليك أو كان أمرا حقيقا بان يكون ويقضى لكونه آية ورحمة والرابط بالآية العبرة والبرهان على قدرة الله وبالرحمة للشرائع والالطاف وما كان سبيلا في قوة الاعتقاد والوحي

فاوحى اليهم أن سبحوا
بكرة وعشيا يا يحيى
خذ الكتاب بقوة
وآتيناه الحكم صبيا
وحنانا من لدنا وزكاة
وكان تقيا وبرا بوالديه
ولم يكن جبارا عصيا
وسلام عليه يوم ولد
ويوم يموت ويوم يبعث
حيا واذكر في الكتاب
مريم اذ انتبذت من
أهلها مكانا شرقيا
فاتخذت من دونهم
حجابا فارسلنا اليها
روحنا فتمثل لها بشرا
سويا قالت اني أعوذ
بالرحمن منك ان كنت
تقيا قال انما أنا رسول
ربك لاهب لك غلاما
زكيا قالت أنى يكون
لي غلام ولم يمسسني
بشر ولم أك بغيا قال
كذلك قال ربك هو
علي هين ولنجعله آية
للناس ورحمة منا
وكان أمرا مقضيا

فحملته فانتبذت به
مكانا قصيا فأجاءها
المخاض الى جذع النخلة
قالت يالينتي مت قبل
هذا وكنت نسيا منسيا
فناداها من تحتها ألا
تحزني قد جعل ربك

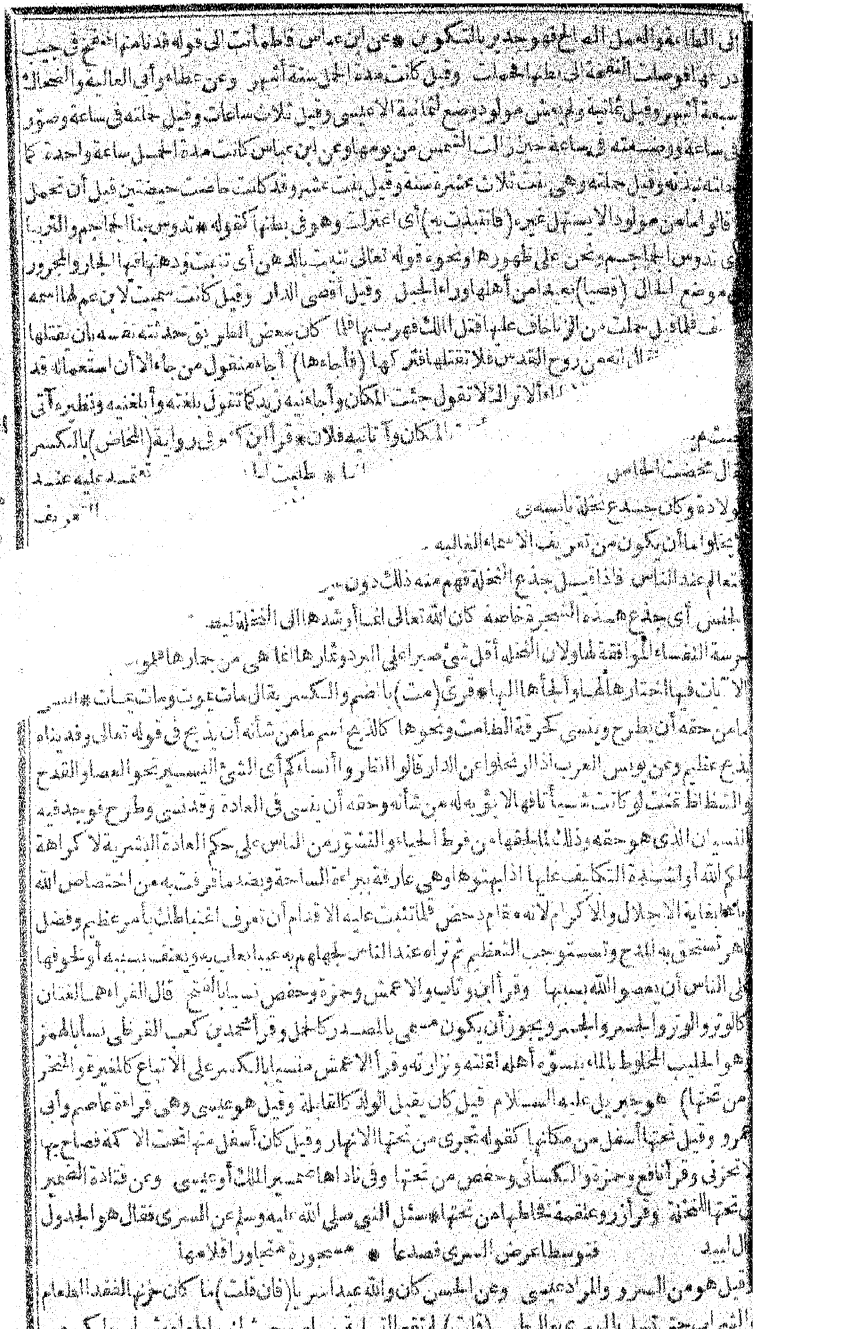

لها أمور الهية خارجة عن العادات خارقة لما ألفوا واعتادوا حتى يتبين لهم أن ولادها من غير فحل ليس بدنع
من شأنها (تساقط) فيه تسع قراءات تساقط بادغام التاء وتتساقط باظهار التاءين وتساقط بطرح الثانية
وبساقط بالياء وادغام التاء وتساقط وتسقط وتسقط وتسقط والتذكير للنخلة والياء للجذع ورطبا
تمييز أو مفعول على حسب القراءة وعن المبرد جواز انتصابه بهزي ليس بذاك والباقي يجذع النخلة
للتأكيد كقوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة أو على معنى افعلي الهز به كقوله تخرج في عراقها تصلي
قالوا التمر للنفساء عادة من ذلك الوقت وكذلك لتحميك وقالوا كان من الهجوة وقيل ما للنفساء خير من
الرطب ولا للمريض خير من العسل وقيل اذا عسر ولادها لم يكن لها خير من الرطب * عن طلحة بن سليمان
(جنيا) بكسر الجيم للاتباع أي جمعا لك في السري والرطب فائدتها احداهما الاكل والشرب والثانية
سلوة الصدر لكونهما معجزتين وهو معنى قوله فكلي واشربي وقري عينا أي وطيبي نفسا ولا تحزني
وارفضي عنك ما أحزنك وأهمك * وقري (وقرّي) بالكسر لغة نجد (فاما ترين) بالهمز ان الرومي عن أبي عمرو
وهذا من لغة من يقول لبأت بالحج وحلأت السويق وذلك لتلاقح بين الهمز وحرف اللين في الابدال (صوما)
صمتا وفي مصحف عبد الله صمتا وعن أنس بن مالك مثله وقيل صياما لانهم كانوا لا يتكلمون في صيامهم
وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم الصمت لانه نسخ في امته أمرها الله أن تنذر الصوم لئلا
تتمرع مع البشر المتمرين فانى الكلام لمعنيين أحدهما أن عيسى صلوات الله عليه يكفيه الكلام بما يبرئ
به ساحتها والثاني كراهة مجادلة السفهاء لهم فانهم قالوا لها وفيه أن السكوت عن السفيه واجب ومن أذل الناس
سفيها لم يجد مساغا قيل أخبرتهم بانها نذرت الصوم بالاشارة وقيل سوغ لها ذلك النطق (انسيا) أي آدميا
الملائكة دون الانس الفري السديع وهو من فري الجلد (يا أخت هرون) كان أخا لهم من أبيهم أمثل بني
اسرائيل وقيل هو أخوه ومن صلوات الله عليهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم انما سموا هرون النبي
وكانت من أعقابه في طبقة الاخوة وبينهما ألف سنة وأكثر وعن السدي كانت من أولاده وانما قيل
يا أخت هرون كما يقال يا أخا هذان أي يا واحدة منهم وقيل رجل صالح أو طالح في زمانها شبهوها به أي كنت
عندنا مثله في الصلاح أو شبهوها به ولم ترد أخوة النسب ذكر أن هرون الصالح تبع جنازته أربعون ألفا
كلهم يسمى هرون تبركا به وباسمه فقالوا كانت شبيهة هرون هذا * وقرأ عمر بن الخطاب التي (ما كان أبوك
امرأ سوء) وقيل احتمل يوسف النجار مريم وابنها الى غار فلبثوا فيه أربعين يوما حتى نعلت من نفاسها ثم
جاءت تحمله فتكلما عيسى في الطريق فقال يا أماه أبشري فاني عبد الله ومسيحه فلما دخلت به على قومها
وهم أهل بيت صالحون بكوا وقالوا ذلك وقيل هو ابرهيا حتى تكلم عيسى عليه السلام فتركوها
(فأشارت اليه) أي هو الذي يجيبكم اذا طلبتموه وقيل كان لمستنطق اعيسى زكريا عليه السلام وغن
السدي لما أشارت اليه غضبوا وقالوا السخر بنا بأشد علينا من زناها وروي أنه كان يرضع فلما سمع ذلك
ترك الرضاع وأقبل عليهم بوجهه واتكأ على يساره وأشار بسبابته وقيل كلمهم بذلك ثم لم يتكلم حتى بلغ
مبلغ الغلمان يتكلم فيه الصبيان (كان) لايقاع مضمون الجملة في زمان ماض مبهم يصلح لقريبه وبعيده وهو ههنا
لقريبه خاصة والدال عليه معنى الكلام هو أنه مسوق للتعجب ووجه آخر أن يكون تكلم حكاية حال ماضية
أي كيف عهد قبل عيسى أن يكلم الناس صبيا في المهد فيما سلف من الزمان حتى نكلم هذا * أنطقه الله أولا
بأنه عبد الله ردا لقول النصارى و (الكتاب) هو الانجيل * واختلفوا في نبوته فقيل أعطاه في طفولته
أكمل الله عقله واستنبأه طفلا نظرا في ظاهر الآية وقيل معناه أن ذلك سيبق في قضائه وجعل الآتي
لاحالة كالذي قد وجد (مباركا أينما كنت) من رسول الله صلى الله عليه وسلم نفاعا حيث كنت وقيل معلما
للخير * قرئ (وبرّا) عن أبي نهيك جعل ذاته برا للغرض به أو نصبه بفعل في معنى أوصاني وهو كلفني لان
أوصاني بالصلاة وكلفنيها واحد (والسلام علي) قيل أدخل لام التعريف لتعريفه بالذكر فيه كقولك جاءني
رجل فكان من فعل الرجل كذا والمعنى ذلك السلام الموجه الى يحيى في المواطن الثلاثة موجه الي
والصحيح أن يكون هذا التعريف تعريضا للامة على متوحى من علم السلام وأعداؤهم من اليهود وتحقيقه

وهزي اليك بجذع
النخلة تساقط عليك
رطبا جنيا فكلي
واشربي وقري عينا
فاما ترين من البشر أحدا
فقولي اني نذرت للرحمن
صوما فلن أكلم اليوم
انسيا فأتت به قومها
تحمله قالوا يا مريم لقد
جئت شيأ فريا يا أخت
هرون ما كان أبوك
امرأ سوء وما كانت
أمك بغيا فأشارت
اليه قالوا كيف نكلم
من كان في المهد صبيا
قال اني عبد الله آتاني
الكتاب وجعلني نبيا
وجعلني مباركا أينما
كنت وأوصاني بالصلاة
والزكوة ما دمت حيا
وبرا بوالدتي ولم يجعلني
جبارا شقيا والسلام
علي يوم ولدت ويوم
أموت ويوم أبعث حيا
ذلك عيسى ابن مريم

أن اللام للجنس فانه قال ويحيى السلام علي خاصة فقد عرض بأن ضده عليكم ونظيره قوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى يعني أن العذاب على من كذب وتولى وكان المقام مقام مذاكرة وعناد فهو مثنة النحو هذا من التعريض * قرأ عاصم وابن عامر (قول الحق) بالنصب وعن ابن مسعود قال الحق وقال الله وعن الحسن قول الحق بضم القاف وكذلك في الانعام قوله الحق والقول والقال والقول بمعنى واحد كالرهب والرهب والرغب والرغب على أنه مصدر بعد خبر أو بدل أو خبر مبتدأ محذوف وأما النصب فعلى المدح أو على مصدر بكلمة الله وعلى انه مصدر مؤكد لمضمون الجملة ان أريد قول الثبات والصدق كقولك هو عبد الله حقا والحق لا الباطل وانما قيل لعيسى كلمة الله وقول الحق لانه لم يولد الا بكلمة الله وحدها وهي قوله كن من غير واسطة أب تسمية للمسبب باسم السبب كاسمي العشب بالسماء والشعر بالدار يحتمل اذا أريد بقول الحق عيسى أن [illegible] الحق اسم الله تعالى وأن يكون بمعنى الثبات والصدق ومضمنه قوله الذي فيه يمترون أي أمر [illegible] شاكون (يمترون) يشكون والمرية الشك ويقارنونه بالحون قالت اليهود ساحر كذ [illegible] ثالثة وقرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه تمترون على الخطاب وعن أبي بن كعب [illegible] الناس فيه يمترون * كذب النصارى ويكفهم بالدلالة على انتفاء الولد عنه وانه عما لا يتأتى ولا يصح [illegible] الحال غير المستقيم ان تكون ذاته كذات من ينشأ منه الولد بين احالة [illegible] ممكن كان منزها من شبه الحيوان الوالد * والقول هنا مجاز ومعناه أن ارادته للشيء [illegible] شبه ذلك بأمر الآمر المطاع اذا ورد على المأمور المتثل * قرأ المدنيون وأبو عمرو فيكون بالنصب عطفا على أن الله بالكسر بغير واو وبأن الله أي بسبب ذلك فاعبدوه (الاحزاب) اليهود والنصارى عن السبب النصارى لتحزبهم ثلاث فرق نسطورية ويعقوبية وملكانية وعن الحسن الذين تحزبوا على الانبياء لما قص عليهم قصة عيسى اختلفوا فيه من بين الناس (من مشهد يوم عظيم) أي من شهودهم هول الحساب والجزاء في يوم القيامة أو من مكان الشهود فيه وهو الموقف أو من وقت الشهود أو من شهادة ذلك اليوم عليهم وأن تشهد عليهم الملائكة والانبياء وألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بالكفر وسوء الاعمال أو من مكان اشهاد أو وقت وقيل هو ما قالوه وشهدوا به في عيسى وأمه * لا يوصف الله تعالى بالتعجب وانما المراد أن أسماعهم وأبصارهم يومئذ حديرة بان يتعجب منها بعدما كانوا صما وعميا في الدنيا وقيل معناه التهديد بما سيبصرون ويسمعون عما يسوءهم ويفضحهم على رؤوس الخلائق * أوقع الظاهر أعني الظالمين موقع الضمير اشعارا بأن لا ظلم أشد من ظلمهم حيث أعرضوا عن الاستماع والنظر حين يجدي عليهم ويسعدهم والمراد بالضلال المبين انهماك النظر والاستماع (قضي الامر) فرغ من الحساب وتصادر الفريقان الى الجنة والنار وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل عنه أي عن قضاء الامر فقال حين يذبح الكبش والفريقان ينظران وانبدل من يوم الحسرة أو منصوب بالحسرة (وهم في غفلة) متعلق بقوله في ضلال مبين عن الحسن وأنذرهم اعتراض أو هو متعلق بانذرهم أي وأنذرهم على هذه الحال غافلين غير مؤمنين * يحتمل أنه يميتهم ويخرب دارهم وأنه يفنى أجسادهم ويبقي الارض ويذهب بها * الصديق من أبنية المبالغة كالتسكير والتطويق والمراد فرط صدقه وكثرة ما صدق به من غيوب الله وآياته وكتبه ورسله وكان الرجحان والغلبة في هذا التصديق للكتب والرسل أي كان مصدقا بجميع الانبياء وكتبهم وكان نبيا في نفسه كقوله تعالى بل جاء بالحق وصدق المرسلين أو كان بليغ الصدق لان ملائك أمر النبوة الصدق وصدق الله آياته ومعجزاته حري أن يكون كذلك وهذه الجملة وقعت اعتراضا بين البدل منه وبدله أعني ابراهيم (اذ قال) نحو قولك رأيت زيدا ونعم الرجل أخاك ويجوز أن يتعلق اذكر بمحذوف أي اذكر كتاب ابراهيم أو كان جامعا لخصائص الصديقين والانبياء حين خاطب أباه تلك المخاطبات والمراد بذكر الرسول اياه وقصته في الكتاب أن يتلو ذلك على الناس ويبلغه اياهم كقولهم واتل عليهم نبأ ابراهيم

قول الحق الذي فيه يمترون ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين

اذ قال
غفلة وهم لا يؤمنون
انا نحن نرث الارض ومن عليها واليه يرجعون
واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا اذ قال لابيه يا أبت لم تعبد

مالا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيأ يا أبت اني قد جاءني من العلم مالم يأتك فاتبعني أهدك صراطا سويا يا أبت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا يا أبت اني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا قال أراغب أنت عن آلهتي يا ابراهيم لئن لم تنته

آمور الا قالله عز وجل هو ذا كره ومورده في تنزيله * الثاني (يا أبت) عوض من ياء الاضافة ولا يقال يا أبي لئلا يجمع بين العوض والمعوض منه وقيل يا أبت لكون الالف بدلا من الياء وشبه ذلك سيبويه بأيش وذهب الفراء عن الواو الساقطة * انظر حين أراد ان يتعهد أباه ويعظه بما كان مشروطا فيه من الخط العظيم والارتكاب الشنيع الذي عصاه فيه أمر العقل عن الاسلاع عن قضية التمييز ومن العناوة التي ليس بعدها عناوة كيف ترتب الكلام معه في أحسن اتساق وسياقه أرشق مساق مع استعمال المجاملة واللطف والرفق واللين والادب الجميل والخلق الحسن مستحقا في ذلك بتحيته ربه عز وعلا حديث أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوحى الله الى ابراهيم عليه السلام انك خليلي حسن خلقك ولو مع الكفار تدخل مداخل الابرار فان كانى سبقت ان حسن خلقه أظله تحت عرشي وأسكنه حظيرة القدس وأدنيه من جواري وذلك أنه طلب منه أولا العلة في خطئه طلب متنبه على تمادية موقوظ لافراطه وتناهيه لان المسود لو كان جميع جميعا يسيرا مقتدرا على الثواب والعقاب ناقما ضارا الا أنه بعض الخلق لاستنفد عقل من أهله للعبادة ووصفه بالربوبية والمجيء عليه بالتي هي ألين والظم العظيم وان كان أشرف الخلق وأعلاهم منزله كالملائكة والنبيين قال الله تعالى ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون وذلك أن العبادة هي غاية التعظيم فلا تحق الا لمن له غاية الانعام وهو الخالق الرازق المحيي المميت المثيب المعاقب الذي منه أصول النعم وفروعها فاذا وجهت الى غيره وتعالى علوا كبيرا أن تكون هذه الصفة لغيره لم يكن الا ظلما وعتوا وعنادا وكفرا وجحودا وخروجا عن الصحيح النير الى الفاسد المظلم فاظلمت بين وجه عبادته الى جماد ليس بمحس ولا يشعر فلا يسمع دعاءه ولا يعلم ما عبد ولا يرى هيأت خضوعك وخشوعك له فضلا أن يغني عنك بأن تستدفعه بلا فيدفعه أو تستمنحه حاجة فيكفيكها * ثم ثنى بدعوته الى الحق مترفقا به متلطفا فلم يسم أباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق ولكنه قال ان معي طائفة من العلم وشيأ منه ليس معك وذلك علم الدلالة على الطريق السوي فلا تستنكف وهب لي وايالك في مسيرو عندي معرفة بالهداية دونك فاتبعني أنجك من أن تضل وتتيه * ثم ثنى بتثبيطه ونهيه عما كان عليه بأن الشيطان الذي استعصى على ربك الرحمن الذي جميع ما عندك من النعم من عنده وهو عدوك الذي لا يريدك الا الى هلاك وخزي ونكال وعدو أبيك آدم وأبي جنسك كلهم هو الذي ورطك في هذه الضلالة وأمرك بها وزينها لك فأنت ان حققت النظر رأيت الشيطان الا ان ابراهيم عليه السلام لم عانه في الاخلاص ولا رتقاه همته في الربانية لم يذكر من جنايتي الشيطان الا التي تخلص منها مارب العزة من معصيته واستكباره ولم يلتفت الى ذكر معاداته لآدم وذريته كان النظر في عظم مارتكب من ذلك عمر فكره وأطمق على ذهنه * ثم ربع بتخويفه سوء العاقبة وعاجره ما هو فيه من التبعة والوبال ولم يخل ذلك من حسن الادب حيث لم يصرح بان العقاب لاحق له وأن العذاب لا محيص به ولكنه قال أخاف أن يمسك عذاب فذكر الخوف والمس ونكر العذاب وجعل ولاية الشيطان ودخوله في جملة أشياعه وأوليائه أكبر من العذاب وذلك أن رضوان الله أكبر من الثواب نفسه وسماه الله تعالى المشهود له بالفوز العظيم حيث قال ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم وكذلك ولاية الشيطان التي هي معارضة رضوان الله أكبر من العذاب نفسه وأعظم وصدر كل نصيحة من النصائح الاربع بقوله يا أبت توسلا اليه واستعطافا * مالي مالا يسمع ومالم يأتك يجوز أن تكون موصولة وموصوفة والمفعول في لا يسمع ولا يبصر منوي غير منوي كقولك ليس به اسقام ولا أبصار (شيأ) يحتمل وجهين أحدهما أن يكون في موضع المصدر أي شيأ من الغناء ويجوز أن يقدر نحو مع الفعلين السابقين والثاني أن يكون مفعولا به من قولهم أغن عني وجهك (اني قد جاءني من العلم مالم يأتك) فيه تجدد العلم عنده لما أطلعه على سماسمة صورة أمره وهدم منهجه بالحجج القاطعة وناصحه المناصحة الصحيحة مع تلك الملاطفات أقبل عليه الشيخ بغلاظة الكفر وغلظة العناد فقداه باسمه ولم يقابل يا أبت بيا بني وقدم الخبر على المبتدا في قوله (أراغب أنت عن آلهتي يا ابراهيم) لانه كان أهم عنده وهو عنده أعني وفيه ضرب من التعجب والانكار

غبته عن آلهته وأن آلهته ما ينبغي أن يرغب عنها أحد وفي هذا سوان ونيج لصدد رسول الله صلى الله عليه
وسلم عما كان يلقى من مثل ذلك من كفار قومه (لأرجمنك) لأرمينك بلساني يريد الشتم والذم رمنه الرجيم
المرمي باللعن أو لأقتلنك من رجم الزاني أو لأطردنك رميا بالحجارة وأصل الرجم الرمي بالرجام (مليا) زمانا
طويلا من الملاوة أو مليا بالذهاب عني والهجران قبل أن أشفي منك بالضرب حتى لا تقدر أن تبرح يقال فلان
مليّ كذا اذا كان مطيقا له مضطلعا به (فان قلت) علام عطف واهجرني (قلت) على معطوف عليه محذوف
تقديره لأرجمنك أي فاحذرني واهجرني لان لأرجمنك تهديد وتقريع (قال سلام عليك) سلام توديع
وتاركة كقوله تعالى لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي اجاهلين وقوله واذا خاطبهم الجاهلون
قالوا سلاما وهذا دليل على جواز متاركة المنصوح والحال هذه ويجوز أن يكون قد دعا له بالسلامة استمالة
له ترى أنه وعده الاستغفار (فان قلت) كيف جاز له أن يستغفر للكافر وأن يعده ذلك (قلت) قالوا أراد
بشرط التوبة عن الكفر كما ترد الاوامر والنواهي الشرعية على الكفار والمراد اشتراط الايمان وكما يؤمر
المحدث والفقير بالصلاة والزكاة ويراد اشتراط الوضوء والنصاب وقالوا انما استغفر له بقوله واغفر لابي انه
كان من الضالين لانه وعده أن يؤمن واستشهد واعليه بقوله تعالى وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن
موعدة وعدها اياه واقالوا أن يقول ان الذي منع من الاستغفار للكافر انما هو السمع فأما القضية العقلية فلا
يأباه فيجوز أن يكون الوعد بالاستغفار والوفاء به قبل ورود السمع بناء على قضية العقل والذي يدل على صحته
قوله تعالى الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك فلو كان شارطا للايمان لم يكن مستثنى ومستثنى عنه وجبت
مغايرته الاسوة وأما عن موعدة وعدها اياه فالوعد هو ابراهيم لا آزر أي ما قال واغفر لابي الا عن قوله
لأستغفرن لك وتشهد له قراءة حماد الراوية وعدها أباه والله أعلم (حفيا) الحفي البليغ في البر والالطاف حتى
يسمى به (وأعتزلكم) أراد بالاعتزال الهجرة الى الشام * المراد بالدعاء العبادة لانه منها ومن وسائطها ومنه
قوله صلى الله عليه وسلم الدعاء هو العبادة ويدل عليه قوله تعالى فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله ويجوز أن
يراد الدعاء الذي حكاه الله في سورة الشعراء * عرض بشقاوتهم بدعاء آلهتهم في قوله (عسى أن لا أكون بدعاء
ربي شقيا) مع التواضع له بكلمة عسى وما فيه من هضم النفس * ما خسر على الله أحد ترك الكفار لفسقة
وجهه فوضعه أولادا مؤمنين أنبياء (من رحمتنا) هي النبوة من الحسن وعن الكلبي المال والولد وتكون
عامة في كل خير ديني ودنيوي أوتوه * لسان الصدق الثناء الحسن وعبر باللسان عما يوجد باللسان كما عبر
بالعين عما يطابق باليد وهي العطية قال * اني أتتني لسان لا أسر بها * يريد الرسالة ولسان العرب لغتهم وكل مهم
كتاب الله دعوته واجعل لي لسان صدق في الآخرين غيره فدعوة حتى ادعاه أهل الاديان كلهم وقال
تعالى وجعل ملة أبيكم ابراهيم وملة ابراهيم حنيفا ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وأعطى ذلك فريته
كلها على ذكرهم وأثنى عليهم كما أعلى ذكره وأثنى عليه * المخلص بالكسر الذي أخلص العبادة عن الشرك
والرياء وأخلص نفسه وأسلم وجهه لله وبالفتح الذي أخلصه الله * الرسول الذي معه كتاب من الانبياء
والنبي الذي ينبئ عن الله عز وجل وان لم يكن معه كتاب كيوشع * الايمن من اليمن أي من ناحيته اليمنى أو
من اليمن صفة للطور أو للجانب * شبهه بمن قربه بعض العظماء لمناجاة حيث كلمه بغير واسطة ملك وعن أبي
عالية قربه حتى سمع صريف القلم الذي كتبت به التوراة (من رحمتنا) من أجل رحمته اياه نزه أن يهبه عليه وهبنا
هارون أو بعض رحمتنا كما في قوله ووهبنا لهم من رحمتنا واخاه على هذا الوجه بدل وهارون عطف بيان
أو لان رأيت رجلا أسلك زيدا وكان هارون أكبر من موسى فوقعت الهبة على معاضدته وموازرته
وعن ابن عباس رضي الله عنه * ذكر اسمعيل عليه السلام بصدق الوعد وان كان ذلك موجودا في غيره
من الانبياء تشريفا له واكراما كالتقليب بنحو الحليم والاواه والصديق ولانه المشهور المتواصف من
بين قومه وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه وعد صاحبا له أن ينتظره في مكان فانتظره سنة ونام هيك أنه وعد
نفسه الصبر على الذبح فوفى حيث قال ستجدني ان شاء الله من الصابرين * كان يبدأ بأهله في الامر

لارجمنك واهجرني مليا قال سلام عليك سأستغفر لك ربي انه كان بي حفيا وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقيا فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا وناديناه من جانب الطور الايمن وقربناه نجيا ووهبنا له من رحمتنا

* قوله تعالى سأستغفر لك ربي انه كان بي حفيا (قال ان قلت لم استغفر لابيه وهو كافر الخ) قال أحمد وهذه لفظ من الاعتزال مستطرفة من شر شر قاعدة التحسين والتقبيح والحق أن العقل لا مدخل له في أن يحكم الله تعالى قبل ورود الشرع به ثم لم يوف الزمخشري بها فانه جعل العقل يسوغ الاستغفار وجعل الشرع ما نعا منه ولا تتصور هذه على قاعدتهم المهدمة كالا تتصور ورود الشرع بما يخالف العقل في الالهيات نعم قد يحكم الشرع بما لا يظهر العقل عندهم خلافه وأما ما يظهر العقل خلافه فلا

قوله تعالى ويقول الانسان أئذا ما مت لسوف أخرج حيا (قال ان قلت كيف اجتمعت اللام وهي للحال مع حرف الاستقبال الخ) قال أحمد ولا عتقاد تناقض الحرفين

وما كان تاركا لك كقوله تعالى ما ودعك ربك وما قلا أي ما كان اصطناع النزول الا لاصطناع الامر به وأما احتباس الوحي فلم يكن عن ترك الله لك وتوديعه اياك ولكن لتوقفه على المصلحة وقيل هي حكاية قول المنتقين حين يدخلون الجنة أي وما ننزل الجنة الا بأن من الله علينا بثواب أعمالنا وأمرنا بدخولها وهو المالك لزمام الامور كلها السالفة والمترقبة والحاضرة اللائق في أعمال الخير والموفق لها والمجازي عليها ثم قال الله تعالى تقرير القولهم وما كان ربك نسيا الاعمال العاملين غافلا عما يجب أن يثابوا به وكيف يجوز النسيان والغفلة على ذي ملكوت السماء والارض وما بينهما * ثم قال لرسوله صلى الله عليه وسلم فعين عرفته على هذه الصفة فأقبل على العمل واعبده يثبك كما أثاب غيرك من المتقين وقرأ الاعرج رضي الله عنه وما يتنزل بالياء على الحكاية عن جبريل عليه السلام والضمير للوحي وعن ابن مسعود رضي الله عنه الا بقول ربك * يجب أن يكون الخلاف في النسي مثله في البنى (رب السموات والارض) بدل من ربك ويجوز أن يكون خبر مبتدا محذوف أي هو رب السموات والارض (فاعبده) كقوله * وقائلة خولان فانكح فتاتهم * وعلى هذا الوجه يجوز أن يكون وما كان ربك نسيا من كلام المتقين وما بعده من كلام رب العزة * (فان قلت) هلا عدي (اصطبر) بعلى التي هي صلته كقوله تعالى واصطبر عليها (قلت) لان العبادة جعلت بمنزلة القرن في قولك للمحارب اصطبر لقرنك أي اثبت له فعليك يورد عليك من شدائد العبادة تورد عليك شدائد ومشاق فاثبت لها ولا تهن ولا يضق صدرك عن القاء عداتك من أهل الكتاب اليك الاغاليط وعن احتباس الوحي عليك مدة وشماتة المشركين بك * أي لم يسم شيئا بالله قط وكانوا يقولون لاصنامهم آلهة والعزى اله واما الذي عوض فيه الالف واللام من الهمزة فمخصوص به المعبود الحق غير مشارك فيه وعن ابن عباس رضي الله عنهما لا يسمى أحد الرحمن غيره ووجه آخر هل تعلم من سمي باسمه على الحق دون الباطل لان التسمية على الباطل في كونها غير معتد بها كلا تسمية وقيل مثلا وشبيها أي اذا صح أن لا معبود يوجه اليه العبادة الا هو وحده لم يكن بد من عبادته والاصطبار على مشاقها وتكاليفها * يحتمل أن يراد بالانسان الجنس باسره وأن يراد بعض الجنس وهم الكفرة (فان قلت) لم جازت ارادة الاناسي كلهم وكلهم غير قائلين ذلك (قلت) لما كانت هذه المقالة موجودة فيمن هو من جنسهم صح اسنادها الى جميعهم كما يقولون بنو فلان قتلوا فلانا وانما القاتل رجل منهم قال الفرزدق

فسيفٌ بني عبسٍ وقد ضربوا به ... نبا بيدي ورقاء عن رأس خالد

فقد أسند الضرب الى بني عبس مع قوله نبا بيدي ورقاء وهو ورقاء بن زهير بن جذيمة العبسي * (فان قلت) لم انتصب اذا وانتصابه بأخرج ممتنع لاجل اللام لا تقول اليوم لزيد قائم (قلت) بفعل مضمر يدل عليه المذكور (فان قلت) لام الابتداء الداخلة على المضارع تعطي معنى الحال فكيف جامعت حرف الاستقبال (قلت) لم تجامعها الا مخلصة للتوكيد كما أخلصت الهمزة في يالله للتعويض وأخصصن عنها معنى التعريف وما في اذا ما للتوكيد أيضا فكأنهم قالوا أحقا أنا سنخرج أحياء حين يتمكن فينا الموت والهلاك على وجه الاستمكار والاستبعاد * والمراد بالخروج من الارض أو من حال الفناء أو هو من قولهم خرج فلان غازيا وخرج شجاعا اذا كان نادرا في ذلك يريد سأخرج حيا نادرا على سبيل الهزؤ * وقرأ الحسن وأبو حيوة لسوف أخرج وعن طلحة بن مصرف رضي الله عنه لسأخرج كقراءة ابن مسعود رضي الله عنه ولسيعطيك وتقديم الظرف وايلاؤه حرف الانكار من قبل ان ما بعد الموت هو وقت كون الحياة منكرة ومنه جاء انكارهم فهو كقولك للمسيء الى المحسن أحين تمت عليك نعمة فلان أسأت اليه * الواو عطفت لا يذكر على يقول ووسطت همزة الانكار بين المعطوف عليه وحرف العطف يعني أيقول ذلك ولا يتذكر حال النشأة الاولى حتى لا ينكر الاخرى فان تلك أعجب وأغرب وأدل على قدرة الخالق حيث أخرج الجواهر والاعراض من العدم الى الوجود ثم

لتلائم اللام لانه لو عكس هذا للفت سوف اذ لا معنى لها سوى الاستقبال واما اللام اذ جردت من الحال بقي لها التوكيد فلم تلغ فتعين والله أعلم

* قوله تعالى أولا يذكر الانسان الخ اختلفتا من قبل ولم يك شيأ (قال ذكر الله الانسان النشأة الاولى ليعترف بالاخرى الخ) قال أحمد مذهب أهل السنة ان اعادة المعدوم جائزة عقلا ثم

رب السموات والارض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا ويقول الانسان أئذا ما مت لسوف أخرج حيا أولا يذكر

واقعة نقلا والمعتزلة وان وافقت على ذلك الا انها تزعم ان المعدوم له ذات ثابتة في العدم يقتضي عليها بانها شيء فليس عندهم عدم صرف وانفي محض قبل الوجود ولا بعده فكانهم لو لا ذلك انقالوا بقول الفلاسفة الذين هم مختصرهم ولا نكروا اعادة المعدوم كما أنكروا اعدام عين قديمة هل السنة هي المطابقة للآية لان النشأة الاولى لم يتقدمها وجود ولان النشأة الثانية لم يكن شيأ قبل ذلك واما النشأة الثانية فقد تقدمها وجود وكان المنشأ قبلها شيأ في زمان وجوده ثم عدم اوقع ويطلت شيئيته فظهر فرق ما بين النشأتين كما نطق به القرآن واما المعتزلة فان قالوا ان الاجسام بعدمها الله ثم يوجدها فقد قالوا الحق لكن لا يتم على أصلهم فرق بين النشأتين لان المعدوم فيهما كان شيأ قبل النشأة فان قالوا لا تتعدم الاجسام وانما تتفرق ثم تجمع

(٢) صرح به الزمخشري لانه تفطن لان القول بان الاجسام تتعدم ثم يوجدها الله تعالى مع القول بان المعدوم شيء يبطل الفرق بين النشأتين ولم يطق ذلك وقد نطق به القرآن فالتزم ان الاجسام لا تتعدم ليتم له الفرق بين النشأة (١٣) الثانية والفاهي على هذا التقرير

أوقع التأليف مشحونا ضروب الحكم التي تحار الفطن فيها من غير حذو على مثال واقتداء بمؤلف ولكن اخترعا وابدعا عن عنده قادر جلت قدرته ودقت حكمته وأما البائسة فقد تقدمت نظيرتها وعادت لها كالمثال المحتذى عليه وليس فيها الا تأليف الاجزاء الموجودة الباقية وتركيبها وردها الى ما كانت عليه مجموعة بعد التفكيك والتفريق وقوله تعالى ولم يك شيأ دليل على هذا المعنى وكذلك قوله تعالى وهو أهون عليه على أن رب العزة سواء عليه النشأتان لا يتفاوت في قدرته الصعب والسهل ولا يحتاج الى احتذاء على مثال ولا استعانة بحكيم ولا نظر في مقياس ولكن يواجه جامد البعث بذلك دفعا في بحر متانته وكشفا عن صفحة جهله * القراء كلهم على لا يذكر التشديد الا نافعا وابن عامر وعاصما رضي الله عنهم فقد خففوا وفي حرف أبي بن ذكر (من قبل) من قبل الحالة التي هو فيها وهي حالة بقائه * في اقسام الله تعالى بنفسه تقدست أسماؤه مضافا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تفخيم لشأن رسول الله ورفع منه كما رفع من شأن السماء والارض في قوله تعالى فورب السماء والارض انه لحق والواو في (والشياطين) يجوز أن تكون للعطف وبمعنى مع وهي بمعنى مع أوقع والمعنى أنهم يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين أغووهم بقرن كل كافر مع شيطان في سلسلة (فان قلت) هذا اذا أريد بالانسان الكفرة خاصة فان أريد الانام على العموم فكيف يستقيم حشرهم مع الشياطين (قلت) اذا حشر جميع الناس حشرا واحدا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا مع الشياطين كما حشروا مع الكفرة (فان قلت) هلا عزل السعداء من الاشقياء في المحشر كما عزلوا عنهم في الجزاء (قلت) لم يفرق بينهم وبينهم في المحشر وأحضروا حيث تجاثوا حول جهنم وأورد وا معهم النار ليشاهد السعداء الاحوال التي نجاهم الله منها وخلاصهم فيزدادوا لذلك غبطة الى غبطة وسرورا الى سرور ويشتموا بأعداء الله وأعدائهم فتزداد مساءتهم وحسرتهم وما يغيظهم من سعادة أولياء الله وشماتتهم بهم * (فان قلت) ما معنى احضارهم جثيا (قلت) أما اذا فسر الانسان بالخصوص فلمعنى أنهم يقاسون من المحشر الى شاطئ جهنم عتلا على حالهم التي كانوا عليها في الموقف جثاة على ركبهم غير مشاة على أقدامهم وذلك أن أهل الموقف وصفوا بالجثو قال الله تعالى وترى كل أمة جاثية على العادة المعهودة في مواقف المقاولات والمناقلات من تجاثي أهلها على الركب لما في ذلك من الاستيفاز والقلق والطلاق الحبا وخلاف الطمأنينة أو لما يدهمهم من شدة الامر التي لا يطيقون معها القيام على أرجلهم فيجثون على ركبهم حبوا وان فسر بالعموم فالمعنى أنهم يجاثون عند هو اقافة شاطئ جهنم على أن جثيا حال مقدرة كما كانوا في الموقف ضحائين لانه من توابع التوقف للحساب قبل التوصل الى الثواب والعقاب * المراد بالشيعة وهي فعلة كفرقة وقتيلة الطائفة التي شاعت أي تبعت غاويا من الغواة قال الله تعالى ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا يريد نتزعن من كل طائفة من طوائف الغي والفساد أعتاهم فأعتاهم فأعتاهم فاذا اجتمعوا طرحناهم في النار على الترتيب تقدم أولاهم بالعذاب فأولاهم * أو أراد بالذين هم أولى بها صليا المنتزعين كلهم كأنه قال ثم لنحن أعلم بتصلية هؤلاء وهم أولى بالصلى من بين سائر الصالين ودركاتهم أسفل وعذابهم أشد ويجوز أن يريد بأشدهم عتيا رؤساء الشيع وأئمتهم لتضاعف جرمهم بكونهم ضلالا ومضلين قال الله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم * واختلف في اعراب (أيهم أشد) فمن الخليل أنه مرتفع على الحكاية تقديره لننزعن الذين يقال فيهم أيهم أشد وسيبويه على أنه مبني على الضم لسقوط صدر الجملة التي هي صلته حتى لو جيء به لاعرب وقيل أيهم هو أشد ويجوز أن يكون النزع واقعا على من كل شيعة كقوله سبحانه ووهبنا لهم من رحمتنا أي لننزعن بعض كل شيعة فكأن قائلا قال من هم فقيل أيهم أشد عتيا وأيهم

جمع وتأليف لموجود وبين النشأة الاولى التي هي ايجاد معدوم فتنبه لبعد غوره ولكن هرب من القطر فوقع تحت المطر فهو رد الحالة هذه كالمستغيث من الرمضاء بالنار والله ولي التوفيق ومعنى تفريق الله تعالى بين النشأتين ان الجاحد متهافت لانه اعترف بالاولى وهي أصعب بالنسبة الى قياس العقل وأنكر الثانية وهي أسهل وأهون لان ذلك راجع الى قدرته تعالى فان الكل لدى قدرة الله تعالى هين على سواء * عاد كلامه

الانسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيأ. فورب لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا

(قال والانسان يحتمل ان يراد به العموم الخ) قال أحمد التنبيه عليه ارادة العموم بتناول العموم وبينهما بون ومن ثم خلت عبارته

أشد بالنصب عن طلحة بن مصرف وعن معاذ بن مسلم الهراء أستاذ الفراء (فان قلت) بم يتعلق على والباء فان تعلقها بالمصدرين لا سبيل اليه (قلت) هما للبيان لا للصلة أو يتعلقان بأفعل أى عتوهم أشد على الرحمن وصليهم أولى بالنار كقولهم هو أشد على خصمه وهو أولى بكذا (وان منكم) التفات الى الانسان بعد ما قرأ ابن عباس وعكرمة رضى الله عنهم وان منهم أو خطاب للناس من غير التفات الى المذكور فان أريد الجنس كله فعنى الورود دخولهم فيها وهى جامدة فيعبرها المؤمنون وتنهار بغيرهم عن ابن عباس رضى الله عنه يردونها كأنها الهالة وروى وعن جابر بن عبد الله انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال اذا دخل أهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض أليس قد وعدنا ربنا أن نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهى جامدة وعنه رضى الله عنه أنه سئل عن هذه الآية فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم حتى ان للنار يومئذ ضجيجا من بردها وأما قوله تعالى أولئك عنها مبعدون فالمراد عن عذابها وعن ابن مسعود والحسن وقتادة هو الجواز على الصراط لان الصراط ممدود عليها وعن ابن عباس قدير الشئ الشئ ولا يدخله كقوله تعالى وما وردماء مدين ووردت القافلة البلد وان لم تدخله ولكن قربت منه وعن مجاهد ورود المؤمن النار هو مس الحمى جسده فى الدنيا لقوله عليه السلام الحمى من فيح جهنم وفى الحديث الحمى حظ كل مؤمن من النار ويجوز أن يراد بالورود حضورهم حولها وان أريد الكفار خاصة فالمعنى بين * الحتم مصدر حتم الامر اذا أوجبه قضى به وعزم على أن لا يكون غيره * قرئ (ننجى) وننجى ويحيى ويحيى على ما لم يسم فاعله ان أريد الجنس باسره فهو ظاهر وان أريد الكفرة وحدهم فمعنى ثم ننجى (الذين اتقوا) أن المتقين يساقون الى الجنة عقيب ورود الكفار لا أنهم يردونهم ثم يخلصون وفى قراءة ابن مسعود وابن عباس والخدرى وابن أبى ليلى ثم نجى بفتح النون أى هنالك وقوله (ونذر الظالمين فيها جثيا) دليل على أن المراد بالورود الجثو حولها وأن المؤمنين يفارقون الكفرة الى الجنة بعد تجانبهم وتبقى الكفرة فى مكانهم جاثين (بينات) من آيات الالفاظ محكمات المعانى مبينات المقاصد اما محكمات أو متشابهات قد تبعها البيان بالمحكمات أو بتبيين الرسول قولا أو فعلا أو ظاهرات الاعجاز تتحدى بها فلم يقدر على معارضتها أو حجاجا براهين والوجه أن تكون حالا مؤكدة كقوله تعالى وهو الحق مصدقا لما بين آيات الله لا تكون الا واضحة وحجتا (للذين آمنوا) يحتمل أنهم يناظرون المؤمنين بذلك ويواجهونهم به أنهم يفوهون به لاجلهم وفى معناهم كقوله تعالى وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه * قرأ ابن كثير (مقاما) بالضم وهو موضع الاقامة والمنزل والباقون بالفتح وهو موضع القيام والمراد المكان والموضع * والندى المجلس ويجتمع القوم وحيث يتندون والمعنى أنهم اذا سمعوا الآيات وهم جهلة لا يعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا وذلك مبلغهم من العلم قالوا أى الفريقين من المؤمنين بالآيات والجاحدين لها أو فريقنا من الدنيا حتى يجعل ذلك عيارا على الفضل والنقص والرفعة والضعة ويروى أنهم كانوا يرجلون شعورهم ويدهنون ويتطيبون ويتزينون بالزين الفاخرة تمدحا معتخرين على فقراء المسلمين أنهم أكرم على الله منهم (كم) مفعول (أهلكنا) و (من) تبيين لابهامها أى كثيرا من القرون أهلكناهم أو فاعل أهلكنا و (من) مفعول (قبلهم) و (هم أحسن) فى محل النصب صفة لكم الا ترى أنك لو تركت هم لم يكن البتة من نصب أحسن على الوصفية * الاثاث متاع البيت وقيل هو ما جد من الفرش والخرثى ما لبس منها وأنشد الحسن بن على الطوسى

تقادم العهد من أم الوليد بنا * دهرا وصار أثاث البيت خرثيا

* قرئ على خمسة أوجه (رئيا) وهو المنظر والهيئة فعل بمعنى مفعول من رأيت ورئيا على القلب كقولهم راء فى رأى وريا على قلب الهمزة ياء والادغام أو من الرى الذى هو النعمة والترفه من قولهم ريان من النعيم وريا على حذف الهمزة رأسا ووجهه أن يخفف المقلوب وهو رئيا بحذف همزته والقاء حركتها على الياء الساكنة

وان منكم الاواردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أى الفريقين خير مقاما وأحسن نديا وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورئيا قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا

والعبارة الصحيحة ان يقال يحتمل ان يكون التعريف جنسيا فيكون عوده ايكون اللفظ من أول وهلة خاصا والله أعلم * قوله تعالى وان منكم الا واردها (قال يحتمل ان يكون استئنافى خطاب للناس ويحتمل ان يكون التفاتا) قال أحمد احتمال الالتفات مفرع على ارادة العموم من الاول فيكون المخاطبون أولا هم المخاطبين ثانيا الان الخطاب الاول بلفظ الغيبة والثانى بلفظ الحضور وأما اذا بنينا على ان الاول انما أريد منه خصوص على التقديرين جميعا فالثانى ليس التفاتا وانما هو عدول الى خطاب العامة عن خطاب خاص لقوم معينين والله أعلم

لوزيا واشتقاقه من الزى وهو الجمع لان الزى محاسن مجموعة والمعنى أحسن من هؤلاء * أى هذه الرحمن أمهلهم وأملى له فى العمر فأخرج على لفظ الامر ايذانا بوجوب ذلك وأنه مفعول لا محالة كالمأمور به ستل لتقطع معاذير الضال ويقال له يوم القيامة أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر أو كقوله تعالى انما نملى لهم ليزدادوا اثما أو من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مد ائى معنى الدعاء بان يمهله الله وينفس فى مدة حياته فى هذه الآية وجهان أحدهما أن تكون متصلة بالآية التى هى رابعتها والآيتان اعتراض بينهما قالوا أى الفريقين خير مقاما وأحسن نديا (حتى اذا رأوا ما يوعدون) أى لا يبرحون يقولون هذا القول ولن يبرحوا به لا يستكفون عنه الى أن يشاهدوا الموعود أى عين (اما العذاب) فى الدنيا وهو غلبة المسلمين وقتلهم وتعذيبهم اياهم قتلا وأسرا واظهار الله دينه على الدين كله على أيديهم واما يوم القيامة وهو ما ينالهم من الخزى والنكال فسيعلمون عند المعاينة أن الامر على عكس ما قدروه وأنهم شر مكانا وأضعف جندا الاخير مكانا وأحسن نديا وأن المؤمنين على خلاف صفتهم والثانى أن تتصل بما قبلها والمعنى أن الذين فى الضلالة منهم فى ضلالتهم والخذلان لا صحق بهم لعلم الله بهم وبأن الالطاف لا تنفع فيهم وليسوا من أهلها والمراد بالضلالة ما دعاهم من جهلهم وغلوهم فى كفرهم الى القول الذى قالوه ولا ينفكون عن ضلالتهم الى أن يشاهدوا نصرة الله المؤمنين أو يشاهدوا الساعة ومقدماتها (فان قلت) حتى هذه ما هى (قلت) هى التى يبتدأ بعدها الجمل الا ترى الجملة الشرطية واقعة بعدها وهى قوله اذا رأوا ما يوعدون (فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا) فى مقابلة خير مقاما وأحسن نديا لان مقامهم هو مسكنهم ومسكنهم والنادى المجلس مع لوجوه قومهم وأعوانهم وأنصارهم والجند هم الانصار والاعوان (ويزيد) معطوف على موضع فليمدد لانه واقع موقع الخبر تقديره من كان فى الضلالة مد أو يمد له الرحمن ويزيد أى يزيد فى ضلال الضال هدى ويزيد المهتدين هداية بتوفيقه (والباقيات الصالحات) أعمال الآخرة كلها وقيل الصلوات وقيل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر أى هى (خير ثوابا) من مفاخرات الكفار (وخير مردا) أى مرجعا عاقبة أو عند منفعة من قولهم ليس لهذا الامر مرد وهل يرد بكاى زيدا (فان قلت) كيف قيل خير ثوابا كان مفاخراتهم ثوابا حتى يجعل ثواب الصالحات خيرا منه (قلت) كأنه قيل ثوابهم النار على طريقة قوله فأعتبوا بالصيلم وقوله

حسامها حجرتها الذميل نولكه * أصلا اذا راح المطى غراثا

قوله * تحية بينهم ضرب وجيع * ثم بنى عليه خير ثوابا وفيه ضرب من التهكم الذى هو أغلظ للمتهدد من أن يقال له عقابك النار (فان قلت) فما وجه التفضيل فى الخيرية كما فى خيرهم شر كانا فيه (قلت) هذا من وجيز كلامهم يقولون الصيف أحر من الشتاء أى أبلغ فى حره من الشتاء فى برده * لما كانت مشاهدة الاشياء وروئيتها طريقا الى الاحاطة بها علما رحمة الخبر عنها الستعمالها الرأى فى معنى الخبر والعلم بها لاقادة معناها الذى هو التعقيب كأنه قال أخبر أيضا قصة هذا الكافر واذكر حديثه عقيب حديث أولئك (أطلع الغيب) من قولهم اطلع الجبل اذا ارتقى الى أعلاه وطلع الثنية قال جرير * لاقيت مطلع الجبال وعورا * يقولون هو مطلع لذلك الامر أى عالم به مالك كله ولاختيار هذه الكلمة شأن يقول أو قد بلغ من عظمة شأنه أن ارتقى الى علم الغيب الذى توحد به الواحد القهار والمعنى أن ما ادعى أن يؤتاه وتأتى عليه لا يتوصل اليه الا أحد هذين الطريقين اما علم الغيب واما عهد من عالم الغيب فبأيهما توصل الى ذلك * قرأ حمزة والكسائى ولدا وهو جمع ولد كاسد فى أسد أو بمعنى الولد كالعرب فى العرب وعن يحيى بن يعمر ولدا بالكسر قيل فى المهد كلمة الشهادة وعن قتادة هل له عمل صالح قدمه فنرجو بذلك ما يقول وعن الكلبى هل عهد الله اليه أنه يؤتيه ذلك عن الحسن رحمه الله نزلت فى الوليد بن المغيرة والمنهور أنها فى العاصى بن وائل قال خباب بن الارت كان لى عليه دين فاقتضيته فقال لا والله حتى تكفر بمحمد قلت لا والله لا أكفر بمحمد حيا ولا ميتا ولا حين تبعث قال فانى اذا مت بعثت فلست ثم قال اذا بعثت جئتنى وسيكون لى ثم مال وولد فأعطيك فنزل صاغ له خباب حليا فاقتضاه الاجر فقال انكم تزعمون أنكم تبعثون وأن فى الجنة ذهبا وفضة وحريرا

حتى اذا رأوا ما يوعدون اما العذاب واما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا

فأنا أقصيك ثم فاني أوتي مالا وولدا حينئذ (كلا) ردع وتنبيه على الخطأ أي هو مخطئ فيما يظنه ويتمناه فلم يدع عنه (فان قلت) كيف قيل (سنكتب) بسين التسويف وهو كما قاله كتب من غير تأخير قال الله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد (قلت) فيه وجهان أحدهما سنظهر له ونعلمه أنا كتبنا قوله على طريقة قوله * اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة * أي تبين وعلم بالانتساب اني لست بابن لئيمة والثاني أن المتوعد يقول للجاني سوف أنتقم منك يعني أنه لا يخلي بالانتصار وان تطاول به الزمان ولست آخر فرد هنا لمعنى الوعيد (ونمده من العذاب مدا) أي نطول له من العذاب ما يستأهله ونعذبه بالنوع الذي يعذب به الكفار المستهزؤن أو نزيده من العذاب ونضاعف له من المد يقال مده وأمده بمعنى وتدل عليه قراءة علي بن أبي طالب ونمده بالضم وأكد ذلك بالمصدر وذلك من فرط غضب الله تعالى عليه والمعنى استوجب به غضبه (ونرثه ما يقول) أي نزوى عنه ما زعم أنه يناله في الآخرة ونعطيه من يستحقه والمعنى سمعي ما يقول ومعنى ما يقول وهو المال والولد يقول الرجل أنا أملك كذا فتقول له ولي فوق ما تقول ويحتمل أنه قد تمنى وطمع أن يؤتيه الله في الدنيا ما لا وولدا لو بلغت به أشعبيته أن تألى على ذلك في قوله لأوتين لانه جواب قسم مضمر ومن يتأل على الله يكذبه فيقول الله عز وجل هب أنا أعطيناه ما اشتهاه ما أمارثه منه في العاقبة (ويأتينا فردا) غدا بلا مال ولا ولد كقوله عز وجل ولقد جئتمونا فرادى الآية فاياك يعدي عليه تمنيه وتأليه ويحتمل أن هذا القول لما يقوله مادام حيا فاذا قبضناه حلنا بينه وبين أن يقوله ويأتينا فرادا فضاله منفردا عنه غير قائل له أولا تنسى قوله هذا ولا نلغيه بل نثبته في صحيفته لنضربه به وجهه في الموقف ونعيره به (ويأتينا) على فقره ومسكنته (فردا) من المال والولد لم نوله سؤله ولم نؤته تمناه فيجتمع عليه الخطبان تبعة قوله ووباله وفقد المطموع فيه فردا على الوجه الاول حال مقدرة فتعوقادخلوها الذين لانه وغيره سواء في اتيانه فردا حين يأتي ثم يتفاوتون بعد ذلك * أي ليتعززوا بآلهتهم حيث يكونون لهم عند الله شفعاء وأنصارا ينقذونهم من العذاب (كلا) ردع لهم وانكار لتعززهم بالآلهة وقرأ ابن نهيك كلا (سيكفرون بعبادتهم) أي سيجحدون كلا سيكفرون بعبادتهم كقولك للشديد الغضب بغلامه وفي محتسب ابن جني كلا بفتح الكاف والتنوين وزعم أن معناه كل هذا الرأي والاعتقاد كلا ولقائل أن يقول ان صحت هذه الرواية فهي كلا التي هي للردع قلب الواقف عليها ألفها تنوينا كما في قوارير او الضمير في سيكفرون للآلهة أي سيجحدون عبادتهم ويتبرؤن منها ويقولون والله ما عبدتمونا وأنتم كاذبون قال الله تعالى واذا رأى الذين أشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك فألقوا اليهم القول انكم لكاذبون أو للمشركين أي يتبرؤن ليسوء العاقبة أن يكونوا قد عبدوها قال الله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين (عليهم ضدا) في مقابلة عزا والمراد ضد العز وهو الذل والهوان أي يكونون عليهم ضد المأمول وأرادوه كأنه قيل ويكونون عليهم ذلا لانهم عزا أو يكونون عليهم عونا والضد العون يقال من أضدادكم أي أعوانكم وكان العون سمي ضدا لانه يضاد عدوك ويناقضه باعانته لك عليه (فان قلت) فوحد (قلت) وحد توحيد قوله عليه السلام وهم يد على من سواهم لاتفاق كلمتهم وانهم كشيء واحد لفرط تضامهم وتوافقهم ومعنى كون الآلهة عونا عليهم أنهم وقود النار وحصب جهنم ولانهم عذبوا بسبب عبادتهم اياهم وجمعت الواو في سيكفرون ويكونون الى المشركين فان المعنى ويكونون عليهم أي أعداء هم ضدا أي كفرة بهم بعد أن كانوا يعبدونها * الأزّ والهز والاستفزاز أخوات ومعناها التهييج وشدة الازعاج أي تغريهم على المعاصي وتهيجهم لها بالوساوس والتسويلات والمعنى خليناهم وبينهم ولم نعصمهم ولو شاء لعصمهم قسرا والمراد تعجيب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الآيات التي ذكر فيها العتاة والمردة من الكفار وأقاويلهم وملاحتهم ومعاندتهم للرسل واستهزاءهم بالدين من غلبتهم في الغي وافراطهم في العناد وتصميمهم على الكفر واجتماعهم على دفع الحق بعد وضوحه ثم وبالتأسف عليهم وبانهما كهم لذلك في اتباع الشياطين وما تسول لهم * عجلت عليه كذا اذا استعانك على العجلة منه أي لا تعجل عليهم بأن يهلكوا ويبيدوا حتى تستريح أنت والمسلمون من شرورهم وتطهر الارض من فسادهم فليس بينك وبين أن تطلع دابرهم

كلا سنكتب ما يقول ونمده من العذاب مدا ونرثه ما يقول ويأتينا فردا واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا فلا تعجل عليهم انا نعد لهم عدا

له تعالى لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا (يحتمل أن يكون الواو في لا يملكون ضمير الخ) قال أحمد وفي هذا
ف من حيث أنه اذا جعله علامة لمن فقد كشف معناها وأفصح بأنها امتازت له جماعة أعاد على لفظها بالافراد ضميرا اتخذ فيه
ة على لفظها بعد الاعادة على معناها عايخالف ذلك وهو مستنكر عندهم لانه اجمال بعد ايضاح وذلك تعكيس في طريق البلاغة
صحتها الواضحة الايضاح بعد الاجمال والواو على اعرابه وان لم تكن عائدة على من الا أنها (ر) كاشفة لمعناها كشف الضمير العائد

لب من هؤلاء كهم الايام محصورة وأنفاس معدودة كناية عن سرعة تقضي الساعة التي تعد فيها الوعدت
وه قوله تعالى ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار وعن ابن عباس
الله عنه أنه كان اذا قرأها بكى وقال آخر العدد خروج نفس آخر العدد فراق أهلك آخر العدد دخول
وعن ابن عمر أنه كان عند المأمون فقرأها فقال اذا كانت الانفاس بالعدد ولكل نفس عدد ف
رع ما تنفد * نصب (يوم) بمضمر أي يوم (نحشر) ونسوق نفعل بالفريقين مالا يحيط به الوصف أو اذكر
حشر ويجوز أن ينتصب بلا يملكون * ذكر المتقون بلفظ التبجيل وهو أنهم يجمعون الى ربهم الذي
سهم برحمته وخصهم برضوانه وكرامته كما يفد الوفاد على الملوك منتظرين للكرامة عندهم وعن علي
الله عنه ما يحشرون والله على أرجلهم ولكنهم على نوقها رحالها ذهب وعلى نجائب سرجها ياقوت
كر الكافرون بأنهم يساقون الى النار باهانة واستخفاف كانهم نعم عطاش تساق الى الماء * والورد
اش لان من يرد الماء لا يرده الا لعطش وحقيقة الورد المسير الى الماء قال

ردى وردي ورد قطاة صما * كدرية أعجبها برد الما

ي به الواردون وقرأ الحسن يحشر المتقون ويساق المجرمون * الواو في (لا يملكون) ان جعل ضميرا فهو
دود عليه ذكر المتقين والمجرمين لانهم على هذه القسمة ويجوز أن تكون علامة للجمع كالتي في أكلوني
يت والفاعل من اتخذ لانه في معنى الجمع ومحل من اتخذ رفع على البدل أو على الفاعلية ويجوز أن
صب على تقدير حذف المضاف أي الا شفاعة من اتخذ والمراد لا يملكون أن يشفع لهم واتخاذ العهد
تظهار بالايمان والعمل وعن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه ذات يوم أيعجز أحدكم
تخذ كل صباح ومساء عند الله عهدا قالوا وكيف ذلك قال يقول كل صباح ومساء اللهم فاطر السموات
الارض عالم الغيب والشهادة اني أعهد اليك بأني أشهد أن لا اله الا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدا
عبدك ورسولك والثقلان تكلني الى نفسي تقربني من الشر وتباعدني من الخير واني لا أثق الا برحمتك فاجعل
عندك عهدا توفنيه يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد فاذا قال ذلك طبع عليه بطابع ووضع تحت العرش
فاذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين لهم عند الرحمن عهد فيدخلون الجنة وقيل كلمة الشهادة أو يكون
على حذف الامير الى قولك بكذا اذا أمرته به أي لا يشفع الا المأمور بالشفاعة المأذون له فيها وتعضده مواضع
ن التنزيل وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيأ الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ولا تنفع
شفاعة عنده الا لمن أذن له ومثله لا تنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن ورضي له قولا * قرئ (اذا) بالكسر
الفتح قال ابن خالويه الادا والادا والجحد وقيل العظيم المنكر والادة الشدة وأدني الامر وأدئ أعياني وعظم
ي * (يكاد) قراءة الكسائي وناقع بالياء * وقرئ (ينفطرن) الانفطار من فطره اذا شقه والتفطر من
فطره اذا شققه وكرر الفعل فيه وقرأ ابن مسعود يتصدعن * أي تهدهدا أو مهدودة أو مفعول له أي لانها
جر (فان قلت) ما معنى انفطار السموات وانشقاق الارض وخرور الجبال ومن أين تؤثر هذه الكلمة في
ادات (قلت) فيه وجهان أحدهما أن الله سبحانه يقول كدت أفعل هذا بالسموات والارض والجبال
وجود هذه الكلمة غضبا مني على من نفتوه بها ولاحلمي ووقاري والي لا أعجل بالعقوبة كما قال ان الله
سك السموات والارض أن تزولا ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده انه كان حليما غفورا والثاني

يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيأ ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا

والله أعلم وذلك ان الله تعالى قد استعار لادلة تعالى وجوده عز وجل موصوفا بصفات الكمال الواجبة له أن جعلها تسبح بحمده قال تعالى تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده وما دلت

 عليه السموات والارض والجبال بل وكل ذرة من ذراتها ان الله تعالى مقدس عن نسبة الولد اليه
ل شيء به آية * تدل على أنه واحد فالمقتدر نسبة الولد الى الله تعالى قدح عظيم دلالة هذه الموجودات على تنزيه الله وتقديسه
تعبير لابطال ما فيها من روح الدلالة التي خلقت لاجلها ابطال صورها بالهد والانفطار والانشقاق فسبحان من قسم عباده بقسم
ادا تسد الفم فسبح تسبيح داود بكاد يهد دلائله من هو عن باب التوفيق مطرود ممدود

أن يكون استعظاما لما لكلمة وتهويلا من فظاعتها وتصوير الأثر هائل الدين وهدمها الاركانه وقواعده وأن مثال ذلك الاثر في المحسوسات أن يصيب هذه الاجرام العظيمة التي هي قوام العالم ما تنفطر منه وتنشق وتخر وفي قوله لقد جئتم وما فيه من المخاطبة بعد الغيبة وهو الذي يسمى الالتفات في علم البلاغة زيادة تسجيل عليهم بالجرأة على الله والتعرض لسخطه وتنبيه على عظم ما قالوا * في (أن دعوا) ثلاثة أوجه يكون مجرورا بدلا من الهاء في منه كقوله

على حالة لو أن في القوم حاتما * على جوده لضن بالماء حاتم

ومنصوبا بتقدير سقوط اللام وافضاء الفعل أي هدا الان دعوا على الخرور بالهد والهد دعاء الولد للمر وصرفوعا بانه فاعل هد أي هد هذا دعاء الولد للرحمن وفي اختصاص الرحمن وتكريره مرات من الفائدة هو الرحمن وحده لا يستحق هذا الاسم غيره من قبل أن أصول النعم وفروعها منه خلق العالمين وخلق لهم جميع ما بهم كما قال بعضهم فابتغ كشف ضر نصرك عطاؤه فأنت وجميع ما عندك عطاؤه في أضاف الى ولدا فقد جعله كبعض خلقه وأخرجه بذلك عن استحقاق اسم الرحمن هو من دعا بمعنى سمى المتعدي مفعولين فاقتصر على أحدهما الذي هو الثاني طلبا للعموم والاحاطة بكل ما دعي له ولدا أو من دعا بمعنى نسب الذي مطاوعه ما في قوله عليه السلام من ادعى الى غير موالية وقول الشاعر * انا بني نهشل لا ندعي أبدا * أي لا ننتسب اليه * انعى مطاوع بمعنى اذا طلب أي ما يتأتى له اتخاذ الولد وما ينطلب لو طلب منه محالا غير داخل تحت الصحة أما الولادة المعروفة فلا مقال في استحالتها وأما التبني فلا يكون الا فيما هو من جنس المتبنى وليس لقديم سبحانه جنس تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا (ان) موصوفة لانها وقعت بمثل نكرة وقوعها بعد رب في قوله * ربما من أضجعت غيظا صدره * وقرأ ابن مسعود وأبو حيوة (آت الرحمن) على أصله قبل الاضافة * الاحصاء الحصر والضبط بمعنى حصرهم بعلمه وأحاط بهم (وعدهم عدا) الذين اعتقدوا في الملائكة وعيسى وعزير أنهم أولاد الله كانوا بين كفرين أحدهما القول بأن الرحمن يصح أن يكون والدا والثاني اشراك الذين زعموهم لله أولادا في عبادته كما يخدم الناس أبناء الملوك خدمتهم لا بانهم هدم الله الكفر الاول فيما تقدم من الآيات ثم عقبه بهدم الكفر الآخر والمعنى ما من معبود لهم في السموات والارض من الملائكة ومن الناس الا وهو يأتي الرحمن أي يأوي اليه ويلتجئ الى ربوبيته عبدا منقادا مطيعا خاشعا خاضعا راجيا كما يفعل العبيد وكما يجب عليهم لا يدعي لنفسه ما يدعيه له هؤلاء الضلال ونحوه قوله تعالى أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه وكلهم منقلبون في ملكوته مقهورون بقهره وهو مهيمن عليهم محيط بهم ويحمل أمورهم وتفاصيل أحوالهم وكمياتهم لا يفوته شئ من أحوالهم وكل واحد منهم يأتيه يوم القيامة منفردا ليس معه من هؤلاء المشركين أحد وهم مر آمنهم * قرأ أنس بن حبيش (وذا) بالكسر والمعنى سيحدث لهم في النار مودة وبرهما لهم فيرا من غير تودد منهم ولا تعرض للاسباب التي توجب الود ويكتسب بها الناس مودات القلوب من قرابة أو صداقة أو اصطناع عبرة أو غير ذلك وانما هو اختراع منه ابتداء اختصاصا منه لاوليائه بكرامة خاصة كما قذف في قلوب أعدائهم الرعب والهيبة اعظاما لهم وتجلالا لمكانهم * والسين في (سيجعل) للدلالة على أن ذلك كائن لا محالة وكان المؤمنون حينئذ ممتوتين بين الكفرة فوعدهم الله تعالى ذلك اذا جاء الاسلام وفشا في السورة مكية وكان المؤمنون حينئذ ممتوتين بين الكفرة فوعدهم الله تعالى ذلك اذا جاء الاسلام وفشا في الناس * واما أن يكون ذلك يوم القيامة يحببهم الى خلقه بما يعرض من حسناتهم وينشر من ديوان أعمالهم ما يكون سببا لمحبتهم وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي رضي الله عنه يا علي قل اللهم اجعل لي عندك عهدا واجعل لي في صدور المؤمنين مودة فأنزل الله هذه الآية وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما من عبد من عباد الله من يحبه الله الا وجد محبته في قلوب المؤمنين ومن أبغضه الله الا وجد بغضه في قلوب المؤمنين وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل يا جبريل قد أحببت فلانا فأحبه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في أهل الارض وعن قتادة ما أقبل العبد الى الله الا أقبل الله بقلوب العباد

أن دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا لقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيامة فردا ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا فانما يسرناه

سورة وسقطها فكأنه قال بلغ هذا المنزل أو بشر به وأنذر فانما أنزلناه (بلسانك) أي بلغتك وهو اللسان العربي المبين وسهلناه وفصلناه (لتبشر به) وتنذر * واللد الشداد الخصومة بالباطل الاحدون في كل لديد أي في كل شق من المراء والجدال لفرط جماحهم يريد أهل مكة وقوله (وكم أهلكنا) تخويف لهم وانذار وقرئ (تحس) من حسه اذا شعر به ومنه الحواس والمحسوسات * وقرأ حفص (تسمع) مضارع أسمعت والركز الصوت الخفي ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه في الارض والركاز المال المدفون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة مريم أعطي عشر حسنات بعدد من كذب زكريا وصدق به ويحيى ومريم وعيسى وابراهيم واسحق ويعقوب وموسى وهرون واسمعيل وادريس وعشر حسنات بعدد من دعا الله في الدنيا وبعدد من لم يدع الله

﴿سورة طه مكية وهي مائة وأربع وثلاثون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(طه) أبو عمرو وحمزة والكسائي وحفص بالامالة لاستطالتها ولامالة هاء ضميرها ابن كثير وابن عامر على الاصل والباقون أمالوها وعن الحسن رضي الله عنه طه وقسم بأنه أمي يا الوطء وأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقوم في تهجده على احدى رجليه فأمر بأن يطأ الارض بقدميه معا وأن الاصل طأ فقلبت همزته هاء أو قلبت ألفا في طأ فمن قال لا هناك المرتع ثم ترى عليه الامر والهاء للسكت ويجوز أن يكون شطري الاسمين وهما الا الان بلفظهما على السمين والله أعلم بصحة مادل ان طاها في لغة عك في معنى يا رجل ولعل عكا تصرفوا في يا هذا كما تصرفوا في المتيم فقالوا تيمي يا طا وا قتصروا هنا فاقتصروا على هاء أثر الصعقة ظاهرا يتفي في البيت المستشهد به * ان السفاهة طاها في شمائلكم * لا قدس الله أخلاق الملاعين

والاقوال الثلاثة في الفواتح أعني التي قدمتها في أول الكشاف من حقائق التنزيل هي التي يعول عليها الالباء المتقنون (ما أنزلنا) ان جعلت طه تعديد الاسماء الحروف على الوجه السابق ذكره فهو ابتداء كلام وان جعلتها اسما للسورة احتملت أن تكون خبرا عنها وهي في موضع المبتدأ و (القرآن) ظاهر أو قع موقع الضمير لانه قرآن وأن يكون جوابا لها وهي قسم وقرئ ما نزل عليك القرآن (لتشقى) لتتعب بمرط نفسك عليهم وعلى كفرهم وتحسرك على أن يؤمنوا كقوله تعالى لعلك باخع نفسك والشقاء يجيء في معنى التعب ومنه المثل أشقى من رائض مهر أي ما عليك الا أن تبلغ وتذكر ولم يكلف عليك أن يؤمنوا لانك قد بذلت جهدك في تفريغ أداء الرسالة والموعظة الحسنة وقيل ان أبا جهل والنضر بن الحرث قالا له انك تشقى لانك تركت دين آبائك فأبى بذلك بأن دين الاسلام وهذا القرآن هو السبب الى نيل كل فوز والسبب في دولة كل سعادة وما فيه الكفرة هو الشقاوة بعينها وروي انه عليه الصلاة والسلام صلى بالليل حتى انتفخت قدماه فقال له جبريل عليه السلام أبقى على نفسك فان لها عليك حقا أي ما أنزلناه لتتعب نفسك بالعبادة وتديمها الشقة الشاقة وما بعثت الا بالحنيفية السمحة وكل واحد من التشقي وتذكرة علة للفعل الآتي الاول وجب مجيئه مع اللام لانه ليس لفاعل الفعل العلي ففائته شرطة الانتصاب على المفعولية والثاني جاز قطع اللام عنه ونصبه لاستجماعه الشرائط (فان قلت) أما يجوز أن تقول ما أنزلنا عليك القرآن أن تشقى كقوله تعالى أن تحبط أعمالكم (قلت) بلى ولكنها نصبة طارئة كالنصبة في واختار موسى قومه وأما النصبة في تذكرة فهي كالتي في ضرب زيد الا نه أحد المفاعيل الخمسة التي هي أصول وقوانين لغيرها (فان قلت) هل يجوز أن يكون تذكرة بدلا من محل لتشقى (قلت) لا لاختلاف الجنسين ولكنها نصب على الاستثناء المنقطع الذي الا فيه بمعنى لكن ويحتمل أن يكون المعنى انا أنزلنا عليك القرآن لتحتمل متاعب التبليغ ومقاولة العتاة من أعداء الاسلام ومقاتلتهم وغير ذلك من أنواع المشاق وتكالف النبوة وما أنزلنا عليك هذا التعب الشاق الا ليكون تذكرة وعلى هذا الوجه يجوز أن يكون تذكرة حالا ومفعولا له (ان يخشى) ان يقبل أمره الى الخشية

لسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا وكم أهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا

﴿سورة طه مكية وهي مائة وأربع وثلاثون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى الا تذكرة لمن يخشى

﴿القول في سورة طه﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى الا تذكرة لمن يخشى (قال وبحتمل أن يكون المعنى انا أنزلنا عليك القرآن لتحتمل الخ) قال أحمد وفي هذا الوجه الثاني بعد فان فيه اثبات كون الشقاء سببا في نزوله عكس الاول وان لم تكن اللام سببية فكانت للصيرورة مثلا ولم يكن فيما جاءت علة الله تعالى بمعنى فيه صلى الله عليه وسلم من نهيه عن الشقاء والحزن عليهم وضيق الصدر بهم وكان مصمون هذه الآية مقتبسا من قوله تعالى فلا يكن في صدرك حرج منه لك باخع نفسك على آثارهم ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر

وأمثاله كثيرة فالظاهر والله أعلم هو التأويل الأول قوله عز وجل فانه يعلم السر وأخفى (قال هو أفعل التفضيل ومنهم

من قال ان أخفى فعل ماض الخ) قال أحمد لا يخفى ان جعله فعلا قاصرا لفظا ومعنى أما لفظا فانه يلزم منه عطف الجملة الفعلية على الاسمية ان كان المعطوف عليه الجملة الكبرى أو عطف الماضي على المضارع ان كان المعطوف عليه الصغرى وكذا هما دون الاحسن وأما معنى فان المقصود المض على ترك الجهر

وان يعلم الله منه أنه يبدل بالكفر ايمانا وبالقسوة خشية * في نصب (تنزيلا) وجوه أن يكون بدلا من تذكرة اذا جعل حالا لا ذا كان مفعولا له لان الشيء لا يعلل بنفسه وأن ينصب بنزل مضمرا وأن ينصب بأنزلنا لان معنى ما أنزلناه الا تذكرة أنزلناه تذكرة وأن ينصب على المدح والاختصاص وأن ينصب بيخشى مفعولا به أي أنزله الله تذكرة لمن يخشى تنزيل الله وهو معنى حسن واعراب بين وقرئ تنزيل بالرفع على خبر مبتدا محذوف * ما بعد تنزيلا الى قوله له الاسماء الحسنى تعظيم وتفخيم لشأن المنزل لنسبته الى من هذه أفعاله وصفاته ولا يخلو من أن يكون متعلقه اما تنزيلا نفسه فيقع صلة له واما محذوفا فيقع صفة له (فان قلت) ما فائدة النقلة من لفظ التكلم الى لفظ الغائب (قلت) غير واحدة منها عادة الافتنان في الكلام ومما يعطيه من الحسن والروعة ومنها أن هذه الصفات لما تسردت مع لفظ الغيبة ومنها أنه قال أولا أنزلناه فعظم بالاسناد الى ضمير لواحد المطاع ثم ثنى بالنسبة الى المختص بصفات العظمة والتمجيد فضوعفت الفخامة من طريقين ويجوز أن يكون أنزلناه حكاية لكلام جبريل والملائكة النازلين معه * وصف السموات بالعلى دلالة على عظم قدرة من يخلق مثلها في علوها وبعد مرتقاها * قرئ (الرحمن) بجرور اصفة لمن خلق والرفع أحسن لانه اما أن يكون رفعا على المدح على تقدير هو الرحمن واما أن يكون مبتدأ مشارا بلامه الى من خلق (فان قلت) الجملة التي هي (على العرش استوى) ما محلها اذا جررت الرحمن أو رفعته على المدح (قلت) اذا جررت فهي خبر مبتدا محذوف لا خبر وان رفعت جاز أن تكون كذلك وأن تكون مع الرحمن خبرين للمبتدا * لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك مما يرفع الملك جعلوه كناية عن الملك فقالوا استوى فلان على العرش يريدون ملك وان لم يقعد على السرير البتة وقالوه أيضا لكل ملك مهيمن ومساوا به الملك في مؤداه وان كان أشرح وأبسط وأدل على صورة الامر ونحوه قولك يد فلان مبسوطة ويد فلان مغلولة تعني أنه جواد أو بخيل لا فرق بين العبارتين الا فيما قلت حتى ان من لم يبسط يده قط بالنوال أو لم تكن له يد وأسا ئيل فيه يده مبسوطة لسانه عندهم قولهم هو جواد ومنه قول الله عز وجل وقالت اليهود يد الله مغلولة أي هو بخيل بل يداه مبسوطتان أي هو جواد من غير تصور يد ولا غل ولا بسط والتعسير بالنعمة والتحمل للتثنية من ضيق العطن والمسافرة عن علم البيان سيرة أعرام (وما تحت الثرى) ما تحت سبع الارضين عن محمد بن كعب وعن السدي هو الصخرة التي تحت الارض السابعة * أي يعلم ما أسررته الى غيرك وأخفى من ذلك وهو ما أخطرته ببالك أو ما أسررته في نفسك (وأخفى) منه وهو ما ستسره مما وعن بعضهم أن أخفى فعل يعني أنه يعلم أسرار العباد وأخفى عنهم ما يعلمه * وكقوله تعالى يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما وليس هذا (فان قلت) كيف طابق الجزاء الشرط (قلت) معناه وان تجهر بذكر الله من دعاء أو غيره فاعلم أنه غني عن جهرك فاما أن يكون نهيا عن الجهر كقوله تعالى واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول واما تعليما للعباد أن الجهر ليس لاسماع الله اياه هو لغرض آخر (الحسنى) تأنيث الاحسن وصفت به الاسماء لان حكمها حكم المؤنث كقولك الجماعة الحسنى ومثلها ما رب أخرى ومن آياتنا الكبرى والذي فضلت به أسماؤه في الحسن سائر الاسماء لانها على معاني التقديس والتمجيد والتعظيم والربوبية والافعال التي هي النهاية في الحسن * فعلم بقصة موسى عليه السلام ليتأسى به في تحمل أعباء النبوة وتكاليف الرسالة والصبر وعلى مقاساة الشدائد حتى ينال عند الله الفوز والمقام المحمود * يجوز ان ينتصب (اذ) ظرفا للحديث لانه حدث أو لمضمر أي حين (رأى نارا) كان كيت وكيت أو مفعولا لاذكر استأذن موسى شعيبا عليهما السلام في الخروج الى أمه وصرح بأهله قوله له في الطريق ان في ليلة ثانية مظلمة مثلجة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته ولا ما عنده وقدح فصلد زنده فرأى النار عند ذلك قبل كانت ليلة جمعة (امكثوا) أقيموا في مكانكم الايناس الابصار العين الذي لا شبهة فيه ومنه انسان العين لانه يتبين به الشيء والانس لظهورهم كما قيل ليحن لاستتارهم وقيل هو ابصار ما يؤنس به * لما وجد منه الايناس فكان قطوعا منقطعا حقه لهم بكلمة ان

باسقاط فائدته من حيث ان الله تعالى يعلم السر وما هو أخفى منه فكيف يبقى للجهر فائدة وكلاهما على هذا التأويل مناسب لترك الجهر وأما اذا جعل فعلا فخرج عن مقصود السياق وان اشتمل على فائدة أخرى وليس هذا كقوله تعالى يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما لان بين السياقين

ليوطن أنفسهم لما كان الاتيان بالقبس ووجود الهدى مترقبين متوقعين لامر قيل لهم على الرجاء والطمع وقال (لعلي) ولم يقطع فيقول اني (آتيكم) لان ما يعد مما ليس بمستيقن الوفاء به * القبس النار المقتبسة في رأس عود أو قتيلة أو غيرهما ومنه قيل المقتبس لما يقتبس فيه من سعفة أو نحوها (هدى) أي قوما يهدوني الطريق أو ينفعوني بهداهم في أبواب الدين عن مجاهد وقتادة وذلك لان أفكار الابرار مصورة بالهمة الدينية في جميع أحوالهم لا يشغلهم عنها شاغل والمعنى ذوي هدى أو اذا وجد الهداة فقد وجد الهدى ومعنى الاستعلاء على النار أنهم أهل النار يستعلون المكان القريب منها كما قال سيبويه في مررت بزيد انه لصوت يقرب من زيد أو لان الصوت بهما والمستمتعين بها اذا تكنفوها قياما وقعودا كانوا مشرفين عليها ومنه قول الاعشى * وبات على النار الندى والمحلق * قرأ أبو عمرو وابن كثير (اني) بالفتح أي نودي بأني (أنا ربك) وكسر الباقون أي نودي فقيل يا موسى أو لان النداء ضرب من القول فعومل معاملته فكرر الضمير في اني أنا ربك لتوكيد الدلالة وتحقيق المعرفة واماطة الشبهة * روي أنه لما نودي يا موسى قال من المتكلم فقال له الله عز وجل اني أنا ربك وأن ابليس وسوس اليه فقال له لعلك تسمع كلام شيطان فقال أنا عرفت أنه كلام الله بأني أسمعه من جميع جهاتي الست واسمعه بجميع أعضائي وروي أنه لما انتهى رأى شجرة حضرا عن أسفلها الى أعلاها كأنها نار بيضاء تتقد وسمع تسبيح الملائكة ورأى نورا عظيما فخاف وهمت فألقيت عليه السكينة ثم نودي وكانت الشجرة عوسجة وروي كلاما أو بعدم يختلف ما كان يسمع من الصوت وعن ابن اسحق لما دنا استأخرت عنه فلما رأى ذلك رجع واويس في نفسه خيفة فلما أراد الرجعة دنت منه ثم كلم * قيل أمر بخلع النعلين لانهما كانتا من جلد حمار ميت غير مدبوغ عن السدي وقتادة وقيل ليباشر الوادي بقدميه مفرغا به وقيل لان الخفوة تواضع لله ومن ثم طاف السلف بالكعبة حافين ومنهم من استعظم دخول المسجد بنعليه وكان اذا أندر منه الدخول منتعلا تصدق والقرآن يدل على ان ذلك استراح البقعة وتعظيم لها وتشريف لقدسها وروي انه خلع نعليه وألقاهما من وراء الوادي (طوى) بالضم والكسر منصرف وغير منصرف بتأويل المكان والبقعة وقيل مرتين ثنوئي أي نودي نداءين أو قدس الوادي كرة بعد كرة (وأنا اخترتك) اصطفيتك للنبوة وقرأ حمزة وأنا اخترناك (لما يوحى) للذي يوحى أو لوحي تعلق اللام بما يستمع أو باخترتك (لذكري) لتذكرني فان ذكري ان اعبدني وصلي لي أو لتذكرني فيه بالاشتمال الصلاة على الاذكار عن مجاهد أو لاني ذكرتها في الكتب وأمرت بها أو لان أذكر لك بالمدح والثناء وأجعل لك لسان صدق أو لذكري خاصة لا تشوبه بذكر غيري أو لاخلاص ذكري وطلب وجهي لا لترائي بها ولا لتقصدها غرضا آخر أو لتكون لي ذاكرا غير ناس فعل الخلص في جعلهم ذكر ربهم على بال منهم وتوكيل هممهم وأفكارهم به كما قال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله أو لاقامة ذكري وهي مواقيت الصلاة كقوله تعالى ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا واللام مثلها في قولك جئتك لوقت كذا وكان ذلك لست ليال خلون وقوله تعالى بالبقيع قدمت لخيلي وقد حمل على ذكر الصلاة بعد نسيانها من قوله عليه السلام من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها اذا ذكرها وكان حق العبارة أن يقال لذكرها كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذكر فيها ومن ثم جعل له يقول اذا ذكر الصلاة فقد ذكر الله أو بتقدير حذف المضاف أي لذكر صلاتي أو لان الذكر والنسيان من الله عز وجل في الحقيقة وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم لذكري أي أكاد أخفيها فلا أقول هي آتية لفرط ارادتي اخفاءها ولولا مافي الاخبار بإتيانها مع تعميتها وعدها من اللطف لما أخبرت به وقيل معناه أكاد أخفيها من نفسي ولا دليل في الكلام على هذا المحذوف ومحذوف لا دليل عليه مطرح والذي غرهم منه أن في مصحف أبي أكاد أخفيها من نفسي وفي بعض المصاحف أكاد أخفيها من نفسي فكيف أظهركم عليها وعن أبي الدرداء وسعيد بن جبير أخفيها بالفتح من خفاه اذا أظهره أي قرب اظهارها كقوله تعالى اقتربت الساعة وفدجاء في بعض اللغات أخفاه بمعنى خفاه وبه فسر بيت امرئ القيس

فان تدفنوا الداء لا نخفه * وان تبعثوا الحرب لا نقعد

لعلي آتيكم منها بقبس
أو أجد على النار هدى
فلما أتاها نودي يا موسى
اني أنا ربك فاخلع نعليك
انك بالوادي المقدس
طوى وأنا اخترتك
فاستمع لما يوحى انني أنا
الله لا اله الا أنا فاعبدني
وأقم الصلاة لذكري ان
الساعة آتية أكاد أخفيها

* قوله تعالى ان الساعة آتية أكاد أخفيها (قال معناه قاربت ان لا أقول هي آتية الخ) قال أحمد ولا يقنع في رد هذا التأويل بالهوينا فانه بين الفساد وذلك ان خفاءها عن الله تعالى محال عقلا فكيف يوصف المحال العقلي بقرب الوقوع وأحسن ما قيل محاصل الآية ما ذكره الاستاذ أبو علي حيث قال المراد أكاد أزيل خفاءها أي أظهرها اذ الخفاء الغطاء وهو أيضا ما تجعله المرأة فوق ثيابها تستر بها ثم تقول للعروس أخفته اذا ازالت خفاءه كما تقول أشكيته وأعتبته اذا ازالت شكايته وعتبه وحينئذ يلتئم القراءتان أعني فتح الهمزة وضمها والله سبحانه وتعالى أعلم

فما كاد أخفيها لكي للسبب (لتجزى) متعلق بآتية (بما تسعى) بسببها * أي لا يصدنك عن تصديقها الضمير للقيامة ويجوز أن يكون للصلاة (فان قلت) العبارة النهي من لا يؤمن عن صد موسى والمقصود نهي موسى عن التكذيب بالبعث وأمره بالتصديق فكيف صحت هذه العبارة لاداء هذا المقصود (قلت) فيه وجهان أحدهما أن صد الكافر عن التصديق بها سبب للتكذيب فذكر السبب ليدل على المسبب والثاني أن صد الكافر مسبب عن رخاوة الرجل في الدين ولين شكيمته فذكر المسبب ليدل على السبب كقولهم لا أرينك ههنا الا ادخل به عن مشاهدته والكون بحضرته وذلك سبب رؤيته اياه فكان ذكر المسبب دليلا على السبب كله قيل فكن شديد الشكيمة صليب المعجم حتى لا يتلوح عندك لين يكفر باليمين أنه يطمع في صدك عما أنت عليه يعني أن من لا يؤمن بالآخرة هم الجم الغفير الا شيء أطم على الكفرة ولا هم أشد له نكيرا من البعث فلا يهولنك وفور دهمائهم ولا عظم سوادهم ولا تحمل الكثرة على قدرك واعلم أنهم وان كثروا وتألبوا الكثرة فقدوهم فيما هم فيه هو الهوى واتباعه لا البرهان وتدبره وفي هذا حث عظيم على العمل بالدليل وزجر بليغ عن التقليد وانذار بأن الهلاك والردى مع التقليد وأهله (وما تلك بيمينك يا موسى) كقوله تعالى وهذا بعلي شيخا فانتصاب الحال عن معنى الاشارة ويجوز أن تكون تلك اسما موصولا صلته بيمينك أفلا سألته لبريه عظم ما يختبره عز وعلا في الخشبة اليابسة من قلبها حية نضاخة وليقرر في نفسه المباينة البعيدة بين القلوب عنه والقلب اليه وينبهه على قدرته الباهرة وتنظيره أن يريك الزاد ورية من جنسه ويقول لك هي فتقول زبرة حديد ثم يريك بعد أيام لوحا صرفا فيقول لك هي تلك الزبرة صيرتها الى ما ترى من عجيب الصنعة وأنيق السبك * قرأ ابن أبي اسحق عصي على لغة هذيل ومثله باشمري آراحوا كسر ما قبل ياء المتكلم فلم يقدروا عليه فقلبوا الالف التي أخت الكسرة وقرأ الحسن (عصاي) بكسر الياء لالتقاء الساكنين وهو مثل قراءة حمزة بمصرخي وعن ابن أبي اسحق بسكون الياء (أتوكأ عليها) أعتمد عليها اذا أعييت أو وقفت على رأس القطيع وعند الطفرة * هش الورق حطه أي اخبطه على رؤس غنمي تأكله وعن الحسن ما عاد أكلت حتى أوان لبون وجنح وهشة نخب وسيلا دفع واحلقه من غير واحد من العرب ونخب واد قريب من الطائف كثير السدر وفي قراءة النخعي أهش وكلاهما من هش الخبز يهش اذا كان يتكسر لهشاشته وعن عكرمة أهش بالسين أي أنحي عليها بالهراوة من سجر التنور * ذكر على التفصيل والاجمال المنافع المتعلقة بالعصا كأنه أحس بما يعقب هذا السؤال من أمر عظيم يحدثه الله تعالى فقال ما هي لأعصا لا تنفع الا في هذه الجهات حتى نفيها وكأنها تنفع العباد ليكون جوابه مطابقا للغرض الذي فهمه من فحوى كلامه ويجوز أن يريد عز وجل أن يعدد المرافق الكثيرة التي علقها بالعصا ويستكثرها ويستطيلها ثم يريه على عقب ذلك الآية العظيمة كأنه يقول له أين أنت عن هذه المنفعة العظمى والمأربة الكبرى المنسية عندها كل منفعة ومأربة كانت تعتنيها وتحتفل بشأنها وقالوا انما سأله ليبسط معه ويقلل هيبته وقالوا انما أجمل موسى ليسأله عن تلك المآرب فيريه في كل واحد منها آية وقالوا انقطع لسانه بالهيبة فأجمل وقالوا لم العصا نية وقيل في المآرب كانت ذات شعبتين وكحن فاذا طال الغصن حناه بالكحن واذا طلب كسره لواه بالشعبتين واذا سار ألقاها على عاتقه فعلق بها الدواته من القوس والكنانة والحلاب وغيرها واذا كان في البرية ركزها وعرش الزبل على شعبتها وألقى عليها الكساء واستظل واذا قصر رشاؤه وصله بها وكان يقاتل بها السباع عن غنمه وقيل كان فيها من المعجزات أنه كان يستقي بها فتطول بطول البئر وتصير شعبتاها دلوا وتكونان محسنين بالليل واذا ظهر عدو حاربت عنه واذا اشتهى ثمرا ركزها فأورقت وأثمرت وكان يحمل عليها زاده وسقاءه فحملت عاشيه وبركزها فينبع الماء فاذا رفعها نضب وكانت تقيه الهوام * السعي المشي بسرعة وخفة حركة (فان قلت) كيف ذكرت بألفاظ مختلفة بالحية والجان والثعبان (قلت) أما الحية فاسم جنس يقع على الذكر والانثى والصغير والكبير وأما الثعبان والجان فبينهما تفاوت لان الثعبان العظيم من الحيات والجان الدقيق وفي ذلك وجهان أحدهما أنها كانت وقت انقلابها حية حملها

لتجزى كل نفس بما تسعى فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى قال ألقها يا موسى فألقاها فاذا هي حية تسعى قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى

تنقلب حية صفراء دقيقة ثم تتورم وتربد حرمها حتى تصير ثعبانا قدر ربع الجان وأول حالها ثعبان ما ثم الثانى أنها كانت فى تخطيص الثعبان وسرعة حركه الجان والدليل عليه قوله تعالى فلما رآها تهتز كأنها جان وقيل كان لها عرف كعرف الفرس وقيل كان بين لحييها أربعون ذراعا * لما رأى ذلك الامر العجيب الهائل ملكه من الفرع والفرار ما يملك البشر عند الاهوال والمخاوف وعن ابن عباس انقلبت ثعبانا ذكرا يبتلع الحجر والشجر فلما رآه يبتلع كل شئ خاف ونفر وعن بعضهم اقتحمها لانه عرف مالك آدم منها وقيل لما قال له ربه لا تخف بلغ من ذهاب خوفه وطمأنينة نفسه أن أدخل يده فى فمها وأخذ بطرفها * السيرة من السير كالركبة من الركوب يقال سار فلان سيرة حسنة ثم توسع فيها فنقلت الى معنى المذهب والطريقة وقيل سيرا الاولى فيجوز أن ينتصب على الظرف أى سنعيدها فى طريقتها الاولى أى فى حال ما كانت عصا وأن يكون أعاد منقولا من عاده يعيد اليه ومنه بيت زهير * وعادك أن تلاقيها عداء * فتتعدى الى مفعولين ووجه ثالث حسن وهو أن يكون سنعيدها مستقلا لا بنفسه غير متعلق بسيرتها يعنى أنها أشئت أول ما أنشئت عصا ثم ذهبت وبطلت بالقلب حية فسنعيدها بعد ذهابها كما أنشأناها أولا ونصب سيرتها بفعل مضمر أى تسير سيرتها الاولى يعنى سنعيدها سائرة سيرتها الاولى حيث كنت تتوكأ عليها ولك فيها المآرب التى عرفتها * قيل لكل ناحيتين جناحان كجناحى العسكر لجنبتيه وجناحا الانسان جنباه والاصل الستر ومنه جناحا الطائر سميا جناحين لانه يجنحهما عند الطيران والمراد الى جنبك تحت العضد دل على ذلك قوله تخرج * السوء الرداءة والقبح فى كل شئ فكنى به عن البرص كما كنى عن العورة بالسوأة وكان جذعة صاحب الرباء أبرص فكنوا عنه بالارش والبرص ابيض شوهى العرب وبهم عنه نفرة عظمة واسماعهم لا سمه مجاجة فكان جديرا بان يكنى عنه ولا ترى أحسن ولا ألطف ولا أحرى لطف من كنايات القرآن وآدابه يروى أنه كان آدم فاخرج يده من مدرعته بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس يغشى البصر * بيضاء آية حالان معاودة من ضمير سوء من صلة البيضاء كما تقول ابيضت من غير سوء فى نصب آية وجهه آخر وهو أن يكون باضمار خذ وهو دونك وما أشبه ذلك حذف لدلالة الكلام عليه أو تعلق بهذا المحذوف (الزبلة) أى خذ هذه الآية أو اضمر قولى المصاحبة لتلك البينات بين الآيتين بعض آياتنا الكبرى أو لتريك بها الكبرى من آياتنا أو لنريك من آياتنا الكبرى فعلنا ذلك * لما أمره بالذهاب الى فرعون الطاغى لعنه الله عرف أنه كان أمرا عظيما وخطبا جسيما يحتاج معه الى احتمال ما لا يحتمله الا ذو مرة فطلب من ربه ما يوجب قوة فى قلبه ويفسح صدره ويسهل عليه ما يستقبل ما عسى يرد عليه من الشدائد التى يذهب معها عامة الصابر بجميل الصبر وحسن الثبات وأن يسهل عليه فى الجملة أمره الذى هو خلاف الله تعالى فى أرضه وما يحصيها من مزاولة معاظم الشؤن ومقاساة جلائل الخطوب (فان قلت) لم قدم قوله (اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى) ما جدواه والكلام بدونه مستقيم (قلت) قدموا الكلام أولا لقبيل اشرح لى ويسر لى فعلم أن ثم مشروحا وميسرا ثم بين ورفع الابهام بذكرهما فكان آكد لطلب الشرح والتيسير لصدره وأمره من أن يقول اشرح صدرى ويسر أمرى على الايضاح السالح لانه تذكير للمبنى الواحد من طريق الاجمال والتفصيل * عن ابن عباس كان فى لسانه رتة لما روى من حديث الجمرة وروى أن يده احترقت وان فرعون اجتهد فى علاجها فلم تبرأ وناداه عاد قال الى أى رب تدعونى قال الى الذى أبرأ يدى وقد عجزت عنها وعن بعضهم لعلم ثبر أيده لئلا يدخلها مع فرعون فى قصعة واحدة فتنتقد بينهما حرمة الوا كلة واختلف فى زوال العقدة بكلها فقيل ذهب بعضها ولو بقى بعضها لقوله تعالى وأخى هرون هو أفصح منى لسانا ولقوله تعالى ولا يكادون يبين وكان فى لسان الحسين بن على رضى الله عنهما رتة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثها من عمه موسى وقيل زالت بكلها لقوله تعالى قد أوتيت سؤلك يا موسى * وفى تنكير العقدة وان لم يقل عقدة لسانى أنه طلب حل بعضها لارادة أن يفهم عنه فهما جيدا ولم يطلب الفصاحة الكاملة و (من لسانى) صفة للعقدة كأنه قيل عقدة من عقد لسانى * الوزير من الوزر لانه يحمل عن الملك أوزاره ومؤنه أو من الوزر لان الملك

اشرح لى صدرى بآياتنا الكبرى اذهب الى فرعون انه طغى قال رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى واجعل لى وزيرا من أهلى هرون

قوله تعالى قال رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى (قال ان قلت ما فائدة قوله والكلام مستقيم بدونها الخ) قال أحمد ويحتمل عندى والله أعلم ان تكون فائدتها الاعتراف بان منفعة شرح الصدر راجعة اليه وعائدة عليه فان الله عز وجل لا ينتفع بأمر ولا بانشراح بشرح صدره تعالى وتقدس على خلاف رسول الله اذ طلب منه أن يرجع عليه فائدا يطلب منفعة ما يعود نفعه على من سأله وذلك لا يسأل له غير عنه من رسالته والله أعلم

*قوله تعالى قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى الذي جعل لكم الارض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى (قال هذا من باب الالتفات الخ) قال أحمد الالتفات انما يكون في كلام المتكلم الواحد يصرف كلامه على وجوه شتى وما نحن فيه ليس من ذلك فان الله تعالى حكى عن موسى عليه السلام قوله لفرعون علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى ثم قوله الذي جعل لكم (٣٦) الارض مهدا الى قوله فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى فاما ان يجعل من قول موسى فيكون من باب قول خواص الملك أمرنا وعمرنا واغا يريدون الملك وليس هذا بالتفات واما أن يكون كلام موسى قد انتهى عند قوله ولا ينسى ثم ابتدأ الله تعالى وصف

قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى انا قد أوحي الينا أن العذاب على من كذب وتولى قال فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذي أعطى كل شئ خلقه ثم هدى قال فما بال القرون الاولى قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى الذي جعل لكم الارض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به

ذاته بصفات انعامه على خلقه فليس الالتفات أيضا وانما هو انتقال من حكاية الى انشاء خطاب وعلى هذا التأويل ينبغي للقارئ ان يقف وقفة عند قوله ولا ينسى ليستقر بانتهاء الحكاية ويحتمل وجها آخر وهو ان موسى وصف الله تعالى بهذه الصفات على لفظ الغيبة فقال الذي جعل لكم الارض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فاخرج به أزواجا من نبات شتى فلما حكاه الله تعالى عنه أسند الضمير الى ذاته لان الحاكي هو الحكي في كلام موسى فرجع الضميران واحد وهذا الوجه وجه حسن دقيق الحاشية وهذا أقرب الوجوه الى الالتفات لكن الاحتمال لم ينه والله أعلم

أقوالكم وأفعالكم وجازاكم لا يقدر شئ وكانه قيل أنا حافظ لكل ناصر سامع مبصر واذا كان الحافظ والناصر كذلك تم الحفظ وصحت النصرة وذهبت المبالاة بالعدو * كانت نبوة موسى اسرائيل في مملكة فرعون والقبط يعذبونهم بتكليف الاعمال الصعبة من الحفر والبناء ونقل الحجارة والسخرة في كل شئ مع قتل الولدان واستخدام النساء (قد جئناك بآية من ربك) جملة جارية من الجملة الاولى وهي انا رسولا ربك مجرى البيان والتفسير لان دعوى الرسالة لا تثبت الا ببينتها التي هي المحي عالا آية واحدة قوله بآية ولم يرد به آيتان لان المراد في هذا الموضع تثبيت الدعوى ببرهانها فكانه قال قد جئناك بمعجزة وبرهان وحجة على ما ادعيناه من الرسالة وكذلك قد جئتكم ببينة من ربكم فات بآية ان كنت من الصادقين أو لو جئتك بشئ مبين * يريد وسلام الملائكة الذين هم خزنة الجنة على المهتدين وتوبيخ خزنة النار والعذاب على المكذبين * خاطب الاثنين ووجه النداء الى أحدهما وهو موسى لانه الاصل في النبوة وهرون وزيره وتابعه ويحتمل أن يحمل خيفته ودعارته على استدعاء كلام موسى دون كلام أخيه لما عرف من فصاحة هرون والرتة في لسان موسى ويدل عليه قوله أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين (خلقه) أول مفعولي أعطى أي أعطى خليقته كل شئ يحتاجون اليه ويرتفقون به أو ثانيهما أي أعطى كل شئ صورته وشكله الذي يطابق المنفعة المنوطة به كما أعطى العين الهيئة التي تطابق الابصار والاذن الشكل الذي يوافق الاستماع وكذلك الانف واليد والرجل واللسان كل واحد منها مطابق لما علق به من المنفعة غير ناب عنه أو أعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة حيث جعل الحصان والحمار وجين والبعير والناقة والرجل والمرأة فلم يزاوج منها شيأ غير جنسه وما هو على خلاف خلقه وقرئ خلقه صفة للضاف أو للضاف اليه أي كل شئ خلقه الله لم يخله من عطائه وانعامه (ثم هدى) أي عرف كيف يرتفق بما أعطي وكيف يتوصل اليه وللمفسرين هذا الجواب بما أحضره وما أجمعه وما أبينه لمن ألقى الذهن ونظر بعين الانصاف وكان طالبا للحق * سأله عن حال من تقدم وخلا من القرون وعن شقاء من شقي منهم وسعادة من سعد فأجابه بأن هذا سؤال عن الغيب وقد استأثر الله به لا يعلمه الا هو وما أنا الا عبد مثلك لا أعلم منه الا ما أخبرني به علام الغيوب وعلم أحوال القرون مكتوب عند الله في اللوح المحفوظ لا يجوز على الله أن يخطئ شيأ أو ينساه * يقال ضللت الشئ اذا أخطأته في مكانه فلم تهتد له كقولك ضللت الطريق والمنزل وقرئ يضل من أضله اذا صيره وعن ابن عباس لا يترك من كفر به حتى ينتقم منه ولا يترك من وحده حتى يجازيه ويجوز أن يكون فرعون قد نازعه في احاطة الله بكل شئ وتبينه لكل معلوم فعجز وقال ما تقول في سوالف القرون وتعادي كثرتهم وتباعد أطرافهم عددهم كيف أحاط بهم وبأجزائهم وجواهرهم فاجابه بان كل كائن محيط به علمه وهو مثبت عنده في كتاب ولا يجوز عليه الخطأ والنسيان كما يجوز ان عليك أيها العبد الذليل والبشر الضئيل أي لا يضل كما تضل أنت ولا ينسى كما تنسى ياعدي الربوبية بالجهل والوقاحة (الذي جعل) مرفوع صفة لربي أو خبر مبتدأ محذوف أو منصوب على المدح وهذا من مظانه وتجازه (مهدا) قراءة أهل الكوفة أي مهدها مهدا أو يتمهدونها تمهيدا لهم كالمهد وهو ما يعد للصبي (وسلك) من قوله تعالى ما سلككم في سقر سلكناه نسلكه في قلوب المجرمين أي حصل لكم فيها سبلا ووسطها بين الجبال والاودية والبرارى (فأخرجنا) انتقل فيه من لفظ الغيبة الى لفظ المتكلم المطاع لما ذكرت من الافتنان والايذان بانه مطاع تنقاد الاشياء المختلفة لامره وتذعن الاجناس المتفاوتة لمشيئته

* قوله تعالى فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا أنت مكانا سوى قال موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى (قال ان جعلت موعدا الاول اسم مكان ليطابق قوله مكانا سوى (زمخ الخ) قال أحمد وفي اعماله وقد وصف بقوله لا نخلفه بعد الا أن تجعل الجملة معترضة فهو مع ذلك لا يخلو من بعد من حيث ان الجملة عقيب النكرة يجيء بها الشأن ان تكون صفة والله أعلم ويحتمل عندي وجها آخر اخصر واسلم وهو ان يحمل موعدا اسم مكان فيطابق مكانا ويكون بدلا منه ويطابق (٢٧) الجواب بالزمان بالتقرير الذي ذكره ويبقى عود الضمير المقول هو والحالة هذه مائدا على المصدر المفهوم من اسم المكان لان حروفه فيه والموعد اذا كان اسم مكان فاصله مكان وعد كما اذا كان اسم زمان فاصله زمان وعد واذا جاز رجوع الضمير الى ما دلت عليه

لنشبثه لا يتتبع شيئ على ارادته ومثله قوله تعالى وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها أمن خلق السموات والارض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة وفيه تخصيص أرضنا نا نخص نقدر على مثل هذا ولا يدخل تحت قدرة أحد

(أزواجا) أصنافا سميت بذلك لانها اخذ دوجة ومقترنة بعضها مع بعض (شتى) صفة للازواج جمع شتيت كمريض ومرضى ويجوز أن يكون صفة للنبات والنبات مصدر سمي به النابت كما سمي بالنبت فاستوى فيه الواحد والجمع يعني أنها شتى مختلفة النفع والطعم واللون والرائحة والشكل بعضها يصلح للناس وبعضها للبهائم قالوا من نعمته عز وعلا أن أرزاق العباد انما تحصل بعمل الانعام وقد جعل الله علفها مما يفضل عن حاجتهم ولا يقدرون على أكله * أي قائلين (كلوا وارعوا) حال من الضمير في فأخرجنا المعنى أخرجنا أصناف النبات آذنين في الانتفاع بها مبيحين أن تأكل بعضها وتعلف بعضها * أراد بخلقهم من الارض خلق أصلهم وهو آدم عليه السلام منها وقيل ان الملك لينطلق فيأخذ من تربة المكان الذي يدفن فيه فيبدها على النطفة فيخلق من التراب والنطفة معا * وأراد باخراجهم منها أنه يؤلف أجزاءهم المتفرقة المختلطة بالتراب ويردهم كما كانوا أحياء ويخرجهم الى المحشر يوم يخرجون من الاجداث سراعا عند دالة عليهم ما عاش بالارض من مر انعامهم حيث جعلها لهم فراشا ومهادا يتقلبون عليها وسوى لهم فيها مسالك يتردون فيها كيف شاؤا وأنبت فيها أصناف النبات التي منها أقواتهم وعلوفات بهائمهم وهي أصلهم الذي منه تفرعوا وأمهم التي منها ولدوا ثم هي كفاتهم اذا ماتوا ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم * صوموا بالارض فانها لكم كرة (أرينا) بصرناه أو عرفناه حتما أو يقناه بها وانما كذب لتظلمه كقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا وقوله تعالى انك علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر * وفي قوله تعالى (آياتنا كلها) وجهان أحدهما أن يعني بهذا التعريف الاضافي حذف والتعريف باللام لو قيل الآيات كلها أعني أنها كانت لا تعطى الا تعريف العهد والاشارة الى الآيات المعلومة التي هي تسع الآيات المختصة بموسى عليه السلام العصا واليد وفلق البحر والحجر والجراد والقمل والضفادع والدم ونتق الجبل والثاني أن يكون موسى قد أراه آياته وعدد عليه ما أوتيه غيره من الانبياء من آياتهم ومعجزاتهم وهو نبي صادق لا فرق بين ما يخبر عنه وبين ما يشاهده فكذبها جميعا (وأبى) أن يقبل شيأ منها وقيل فكذب الآيات وأبى قبول الحق * يلوح من حسب قوله (أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك) ان فرأسه كانت ترعد خوفا مما جاء به موسى عليه السلام لعلمه وايقانه انه على الحق وان الحق لو أراد عود الجبال لانقادت وان مثله لا يخذل ولا يقل ناصره وانه غالبه على ملكه لا محالة وقوله بسحرك تعلل وتعسير والا فكيف يخفى عليه ان ساحر لا يقدر أن يخرج ملكا كالمشل من أرضه ويغلبه على ملكه بالسحر * لا يخلو الموعد في قوله (فاجعل بيننا وبينك موعدا) من ان يحمل زمانا أو مكانا أو مصدرا فان جعلته زمانا فلا يخلو اما أن يكون قوله تعالى موعدكم يوم الزينة مطابقا له زمانا أو مكانا أو مصدرا فان جعلته زمانا فلا يطابق قوله موعدكم يوم الزينة وقراءة الحسن غير مطابقة له مكانا ولا زمانا جميعا لانه قرأ يوم الزينة بالنصب فهي أن يجعل مصدرا بمعنى الوعد ويقدر

منطوقا به للنطق بالفعل الذي هو مشتق منه واذا اتضح ذلك فاسم المكان مشتق من المصدر اشتقاق الفعل منه فالنطق به كالنطق باعادة الضمير على مصدره والله أعلم وعلى هذين التأويلين يكون جواب موسى عليه السلام من جوامع كلم الانبياء لانه لم يسئل ان يواعدهم مكانا فعلم أنهم لا بد أن يسألوه مواعدة على زمان أيضا فاسلف الجواب عنه وضمنه جوابا مفردا * ولقائل أن يقول ان كان المسؤل منه المواعدة على المكان فلم أجاب بالزمان الذي لم يسئل عنه صريحا وجعل جواب ما سئل عنه مضمنا (وجوابه) والله أعلم ان يقول اكتفى بقرينة السؤال عن صريح الجواب وأما ما لم يسئل عنه فلو ضمنه لم يفهم قصده اليه اذ لا قرينة تدل عليه والله أعلم

ازواجا من نبات شتى كلوا وارعوا انعامكم ان في ذلك لآيات لاولي النهى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا

الكلام عليه وان لم يكن منطوقا به بوجه فيرجوعه الى ما هو كالمنطوق به أولى وما يحتمل ذلك انهم قالوا من صدق كان خيرا له يعنون كان الصدق خيرا له فاعادوا الضمير على المصدر وقدروه

مضاف محذوف أى مكان موعدو يجعل الضمير فى نخلفه للموعد ومكانا بدل من المكان المحذوف (فان قلت) فكيف طابقه قوله موعدكم يوم الزينة ولابد من أن نجعله زمانا والسؤال واقع عن المكان لاعن الزمان (قلت) هو مطابق معنى وان لم يطابق لفظا لانه لابد لهم من أن يجتمعوا يوم الزينة فى مكان بعينه مشتهر باجتماعهم فيه فى ذلك اليوم فبذكر الزمان علم المكان وأما قراءة الحسن فالموعد فيها مصدر لاغير والمعنى انجاز وعدكم يوم الزينة وطباق هذا أيضا من طريق المعنى ويجوز أن لايقدر مضاف محذوف ويكون المعنى اجعل بيننا وبينك وعدا لانخلفه (فان قلت) فيم ينتصب مكانا (قلت) بالمصدر أو بفعل يدل عليه المصدر (فان قلت) فكيف يطابقه الجواب (قلت) اما على قراءة الحسن فظاهر وأما على قراءة العامة فعلى تقدير وعدكم وعد يوم الزينة ويجوز على قراءة الحسن أن يكون موعدكم مبتدأ بمعنى الوقت وضحى خبره على نية التعريف فيه لانه ضحى ذلك اليوم بعينه وقيل فى يوم الزينة يوم عاشوراء ويوم النيروز ويوم عيد كان لهم فى كل عام ويوم كانوا يتخذون فيه سوقا ويتزينون ذلك اليوم قرئ (نخلفه) بالرفع على الوصف للموعد وبالجزم على جواب الامر وقرئ (سوى) وسوى بالكسر والضم ومتوانا وغير متون ومعناه منصفا بيننا وبينك عن مجاهد وهو من الاستواء لان المسافة من الوسط الى الطرفين مستوية لاتفاوت فيها ومن لم يقرأ فوجهه أن يجرى الوصل مجرى الوقف * قرئ (وأن تحشر الناس) بالتاء والياء يريد وأن تحشر يافرعون وان يحشر اليوم ويجوز أن يكون فيه ضمير فرعون ذكره بلفظ الغيبة اما على العادة التى يخاطب بها الملوك أو خاطب القوم بقوله موعدكم وجعل يحشر افرعون وعلى أن يحشر الرفع أو الجر عطفا على اليوم أو الزينة وانما واعدهم ذلك اليوم ليكون على تكلة الله وظهور دينه وكبت الكافر وزهوق الباطل على رؤس الاشهاد وفى الجمع الخاص لتقوى رغبة من رغب فى اتباع الحق ويكل حد المبطلين وأشياعهم ويكثر المحدث بذلك الامر العام فى كل بدو وحضر ويشيع فى جميع أهل الوبر والمدر (لاتفتروا على الله كذبا) أى لاتدعوا آياته ومعجزاته سحرا * قرئ (فيسحتكم) والسحت لغة أهل الحجاز والاسحات لغة أهل نجد وبنى تميم ومنه قول الفرزدق الاصحتا أوتحلفا فى بيت لاتزال الركب تصطك فى تسوية اعرابه * عن ابن عباس ان نجواهم ان غلبنا موسى اتبعناه وعن قتادة ان كان ساحرا فسنغلبه وان كان من السماء فله أمر وعن وهب لما قال ويلكم الآية قالوا ماهذا بقول ساحر والظاهر انهم تشاوروا فى السر وتجاذبوا الاهداب القول ثم قالوا ان هذان لساحران فكانت نجواهم فى تلفيق هذا الكلام وترويره وخوفا من غلبته وما وتثبيط الناس عن اتباعهما * قرأ أبو عمرو (ان هذين لساحران) على الجهة الظاهرة المكشوفة وان كثير وحفص ان هذان لساحران على قولك ان زيدا لمنطلق واللام هى الفارقة بين ان النافية والمخففة من الثقيلة وقرأ أبى ان ذان الاساحران وقرأ ابن مسعود أن هذان ساحران بفتح أن وبغير لام بدل من النجوى وقيل فى القراءة المشهورة ان هذان لساحران هى لغة بلحرث بن كعب جعلوا الاسم المثنى نحو الاسماء التى آخرها ألف كعصا وسعدى فلم يقلبوها با فى الجر والنصب وقال بعضهم ان بمعنى نعم وساحران خبر مبتدا محذوف واللام داخلة على الجملة تقديره نعم هما ساحران وقد أنجب به أبو اسحق * حموا مذهبهم الطريقة (المثلى) والسنة الفضلى وكل حزب بما لديهم فرحون وقيل أرادوا أهل طريقتهم المثلى وهم بنو اسرائيل لقول موسى فأرسل معنا بنى اسرائيل وقيل الطريقة اسم لوجوه الناس وأشرافهم الذين هم قدوة لغيرهم يقال هم طريقة قومهم ويقال للواحد أيضا هو طريقة قومه (فأجمعوا كيدكم) بعضه قوله فجمع كيده * وقرئ فأجمعوا كيدكم أى ائتوه واجعلوه مجمعا عليه حتى لاتخلفوا ولايتخلف عنه واحد منكم كالمسئلة الجمع عليها أمروا بان يأتوا صافا لانه أهيب فى صدور الرائين وروى أنهم كانوا سبعين ألفا مع كل واحد منهم حبل وعصا وقد أقبلوا قبيلة واحدة وعن أبى عبيدة أنه فسر الصف بالمصلى لان الناس يجتمعون فيه لعيدهم وصلاتهم مصطفين * ووجهه أن يقع علم المصلى بعينه فأمروا بان يأتوه أو يراد ائتوا مصلى من المصليات (وقد أفلح اليوم من استعلى) اعتراض يعنى وقد فاز من غلب * أن سمع مابعده اما منصوب بفعل

لانخلفه نحن ولا أنت
مكانا سوى قال موعدكم
يوم الزينة وأن يحشر
الناس ضحى فتولى
فرعون فجمع كيده ثم
أتى قال لهم موسى
ويلكم لاتفتروا على الله
كذبا فيسحتكم بعذاب
وقد خاب من افترى
فتنازعوا أمرهم بينهم
وأسروا النجوى قالوا
ان هذان لساحران
يريدان أن يخرجاكم
من أرضكم بسحرهما
ويذهبا بطريقتكم
المثلى فأجمعوا كيدكم ثم
ائتوا صفا وقد أفلح اليوم
من استعلى قالوا
يا موسى اما أن تلقى
واما أن نكون أول من
ألقى قال بل ألقوا فاذا
حبالهم

* قوله تعالى قالوا يا موسى اما أن تلقى واما أن نكون أول من ألقى (قال لقد ألهمهم الله حسن الادب مع موسى عليه السلام في تخييره واعطاء التصفة من أنفسهم) قال أحمد وقيل ذلك تأدبوا معه بقولهم فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه فقوى اضرب الموعد اليه كما ألهم الله عز وجل موسى ههنا أن يجعلهم مبتدئين بما معهم ليكون الفاؤه المصاحب قد غلبا لحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق كذلك ألهمه من الاول أن يجعل موعدهم يوم زينتهم وعيدهم ليكون الحق أبلج على رؤس الاشهاد فيكون أفضح لكيدهم وأهتك لستر حرمهم والله أعلم * قوله عز وجل وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا (قال وقال ما في يمينك ولم يقل عصاك الخ) قال أحمد راغبا المقصود بتحقيرها في جنب القدرة تحقير كيد السحرة بطريق الاولى لانها اذا كانت أعظم (٢٩) منه وهي حقيرة في جانب قدرة الله

معهم أو معي وع بانه خبر مبتدا محذوف معناه اختر أحد الامرين أو الامر القاؤك أو القاؤنا وهذا التخيير منهم استعمال أدب حسن معه وتواضع له وخفض جناح وتنبيه على اعطائهم التصفة من أنفسهم وكان الله عز وعلا ألهمهم ذلك وعلم موسى صلوات الله عليه اختيار القائهم أولا مع ما فيه من مقابلة أدب بأدب حتى يبرز وا مامعهم من مكايد السحر و يستفدوا قصى طوقهم وجهودهم فاذا فعلوا أظهر الله سلطانه وقذف بالحق على الباطل فدمغه وسلط المعجزة على السحر فحقته وكانت آية نيرة للناظرين وعبرة بينة للمعتبرين * يقال في اذا هذه اذا للفاجأة والتحقيق فيها أنها اذا الكائنة بمعنى الوقت المطالبة ناصبا لها وجملة تضاف اليها خصصت في بعض المواضع بأن يكون ناصبها فعلا مخصوصا وهو فعل المفاجأة والجملة ابتدائية لا غير فتقدير قوله تعالى فاذا حبالهم وعصيهم تخيل اليه فاجأ موسى وقت تخييل سعي حبالهم وعصيهم وهذا تمثيل والمعنى على مفاجأته حبالهم وعصيهم متخيلة اليه السعي * وقرئ (عصيهم) بالضم وهو الاصل والكسر اتباع نحوه دلى ودلى وقسى وقسى * وقرئ (تخيل) على اسناده الى ضمير الحبال والعصي وابدال قوله (أنها تسعى) من الضمير بدل الاشتمال كقولك أعجبني زيد كرمه وتخيل على كون الحبال والعصي متخيلة سعيها وتخيل بمعنى تتخيل وطريقه طريق تخيل وتخيل على أن الله تعالى هو المخيل للصنعة والابتلاء يروى أنهم لطخوها بالزئبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت واهتزت فخيلت ذلك * ايجاس الخوف اضمار شئ منه وكذلك توجس الصوت تسمع بأدنى سيرة منه وكان ذلك لطبع الجبلة البشرية وأنه لا يكاد يمكن الخلو من مثله وقيل خاف أن يخالج الناس شك فلا يتبعوه (انك أنت الاعلى) فيه تقرير لغلبته وقهره وتوكيد بالاستئناف وبكلمة التشديد وبتكرير الضمير وبلام التعريف وبلفظ العلو وهو القلة الظاهرة وبالتفضيل وقوله (ما في يمينك) ولم يقل عصاك لاثارة أن يكون تصغيرها أي لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم وألق العويد الفرد الصغير الجرم الذي في يمينك فانه بقدرة الله تبتلعها على وحدته وكثرتها وصغره وعظمها وجاز أن يكون تعظيما لها أي لا تحفل بهذه الاجرام الكبيرة الكثيرة فان في يمينك شيأ أعظم منها كلها وهذه على كثرتها أقل شئ وأحقره عنده فتلقفه تبتلعها بادئ الله وعجلها * وقرئ (تلقف) بالرفع على الاستئناف أو على الحال أي ألقها متلقفة وقرئ تلقف بالتخفيف (صنعوا) ههنا بمعنى زوروا وافتعلوا كقوله تعالى تلقف ما يأفكون * وقرئ كيد ساحر) بالرفع والنصب فمن رفع فعلى أن ما موصولة ومن نصب فعلى أنها كافة وقرئ كيد سحر بمعنى ذي سحر أو ذوي سحر أو هم لتوغلهم في سحرهم كأنهم السحر بعينه وبذاته أو بين الكيد لانه يكون سحرا وغير سحر كما تبين المائدة بدرهم ونحوه علم فقه وعلم نحو (فان قلت) لم وحد ساحرا ولم يجمع (قلت) لان القصد في هذا الكلام الى معنى الجنسية لا الى معنى العدد فلو جمع لخيل أن المقصود هو العدد الآتي الى قوله (ولا يفلح)

وهو انه تلقى من هذا النظم أولا قصد التحقير وثانيا قصد التعظيم فلا بد من تكلف تناسب الامرين وتلك والله أعلم هي ارادة المذكور مهما الان ما في يمينك أيهم من عصاك وللعرب مذهب في التنكير والابهام والاجمال تسلكه مرة لتحقير شأن ما أبهمته وانه عند الناطق به أهون من أن يخصه و يوضحه ومرة لتعظيم شأنه وليؤذن ان من عناية المتكلم والسامع بمكان يغني فيه الرمز والاشارة فهذا هو الوجه في اسناده بهما جميعا وعندي في الآية وجه سوى قصد التعظيم والتحقير والله أعلم وهو ان موسى عليه السلام أول ما علم ان العصا آية من الله تعالى عند ما سأله عنها بتوله تعالى وما تلك بيمينك يا موسى ثم أظهر له تعالى آيتها فلما دخل وقت الحاجة الى ظهور الآية منها قال تعالى وألق ما في يمينك ليتيقظ بهذه الصيغة لما وقت الذي قال الله تعالى له وما تلك بيمينك وقد أظهر له آيتها فيكون ذلك تنبيها له وتأنيسا حيث خوطب بما عهد ان يخاطب به وقت ظهور آيتها وذلك مقام يناسب التأنيس والتثبيت الا ترى الى قوله تعالى فأوجس في نفسه خيفة موسى والله سبحانه وتعالى أعلم

تعالى فاما الظن بكيدهم وقد تلقفته هذه الحقيرة الضئيلة ولاصحاب البلاغة طريق في علو المدح بتعظيم جيش عدو الممدوح ليلزم من ذلك تعظيم جيش الممدوح وقدر قهره واستولى عليه فصغر الله

وعصيهم تخيل اليه من سحرهم أنها تسعى فأوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف انك أنت الاعلى وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح

أمر النصر ليلزم منه كيد السحرة الباطل ثم ان في طرفة عين * عاد كلامه (قال وتجوز ان يكون تعظيما لامرها لانفيه تثبيت لقلب موسى على النصر قال أحمد وههنا لطيفة

الساحر حيث أتى فألقى السحرة سجدا قالوا آمنا برب هرون وموسى قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت (٣٠) قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا إنا آمنا برينا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من

الساحر) أي هذا الجنس (فإن قلت) فلم نكر أولا وعرف ثانيا (قلت) إنما نكر من أجل تنكير المضاف لا من أجل تنكيره في نفسه كقول الحجاج * في سعي دنيا طالما قد مدت * وفي حديث عمر رضي الله عنه لا في أمر دنيا ولا في أمر آخرة المراد تنكير الأمر كأنه قيل إن ما صنعوا كيد سحري وفي سعي دنيوي وأمر دنيوي وآخري (حيث أتى) كقولهم حيث سير وأية سلك وأينما كان * سبحان الله ما أعجب أمرهم قد ألقوا حبالهم وعصيهم للكفر والخدع ثم ألقوا رؤسهم بعد سنة للشكر والسجود فأعظم الفرق بين الإلقاءين وروي أنهم لم يرفعوا رؤسهم حتى رأوا الجنة والنار ورأوا ثواب أهلها وعن عكرمة لما خر وا سجدا أراهم الله في سجودهم منازلهم التي يصيرون إليها في الجنة (الكبيركم) لعظيم يريد أنه أسحرهم وأعلاهم درجة في صنائعهم أو لمعلمكم من قول أهل مكة للعلم أشرف كبيري وقالت كبيري كذا يريدون معلمهم وأستاذهم في القرآن وفي كل شئ قرئ * (فلأقطعن) ولأصلبن بالتخفيف والقطع من خلاف أن تقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى لأن كل واحد من العضوين خالف الآخر بأن هذا يمين وذاك رجل وهذا يمين وذاك شمال ومن لا يتهدأ له الغاية لأن القطع مبتدأ وتأنيثي من مخالفة العضو العضو لا من وقائه إياه ومحل الجار والمجرور النصب على الحال أي لأقطعنها مختلفات لأنها إذا خالف بعضها بعضا فقد اتصفت بالاختلاف * شبه تمكن المصلوب في الجذع بتمكن الشئ الموعى في وعائه فلذلك قيل في جذوع النخل (أينا) يريد نفسه لعنه الله وموسى صلوات الله عليه بدليل قوله آمنتم له واللام مع الإيمان في كتاب الله لغير الله تعالى كقوله تعالى يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين وفيه تنبيه على اقتدار موقوعه وما ألفه وضرى به من تعذيب الناس بأنواع العذاب وتوضيع لموسى عليه السلام واستضعاف له مع أن فرعون لم يكن قط من التعذيب في شئ (والذي فطرنا) عطف على ما جاءنا أو قسم * قرئ (تقضي هذه الحيوة الدنيا) ووجهه أن الحياة في القراءة المشهورة منتصبة على الظرف فاتسع في الظرف بأجرائه مجرى المفعول به كقولك في صمت يوم الجمعة صمت يوم الجمعة وروي أن السحرة بعد رؤسهم كانوا اثنين وسبعين الاثنان من القبط والسائر من بني إسرائيل وكان فرعون أكرههم على تعلم السحر وروي أنهم قالوا لفرعون أرأيت موسى ما فعل فوجده وقد سرحه عصاه فقالوا ما هذا بسحر الساحر لأن الساحر إذا نام بطل سحره فأبى الأن يعارضوه (تركى) تطهر من أدناس الذنوب وعن ابن عباس قال لا إله إلا الله قيل في هذه الآيات الثلاث هي حكاية قولهم وقيل خبر من الله لا على وجه الحكاية (فاضرب لهم طريقا) فاجعل لهم من قولهم ضرب له في ماله سهما وضرب اللبن عمله * اليبس مصدر وصف به يقال يبس يبسا ويبسا ونحوهما العدم والعدم ومن ثم وصف به المؤنث فقيل ناقة يبس وناقتان يبس إذا جف لبنها وقرئ يبسا بإسكان الباء ولا يخلو اليبس من أن يكون مخففا عن اليبس أو صفة على فعل أو جمع يابس كصاحب وصحب وصف به الواحد تأكيدا كقوله وهي حيا حاحد لفرط جوعه كما عد جياع (لا تخاف) حال من الضمير في فاضرب وقرئ لا تخف على الجواب * وقرأ أبو حيوة (دركا) بالسكون والدرك والدرك اسمان من الادراك أي لا يدركك فرعون وجنوده ولا يلحقونك * في (ولا تخشى) إذا قرئ لا تخف ثلاثة أوجه أن تستأنف كأنه قيل وأنت لا تخشى أي ومن شأنك أنك آمن لا تخشى وأن لا تكون الألف المنقلبة عن الياء التي هي لام الفعل ولكن زيدت للإطلاق من أجل الفاصلة كقوله فأضلونا السبيلا وتظنون بالله الظنونا وأن يكون مثل قوله * كان لم ترى قبلي أسيرا يمانيا * (ما غشيهم) من باب الاختصار ومن جوامع

---

* قوله تعالى وألق السحرة سجدا الآية قال سبحان من فرق بين الإلقاءين ألقاهم حبالهم وعصيهم إلخ) قال أحمد وفي تكرير لفظ الإلقاء والعدول عن مثل فسجد السحرة إيقاظ السامع لانطباق الله تعالى في تلقي عباده من غاية الكفر والعناد إلى نهاية الإيمان والسداد وهذا الإيقاظ لا يحصل على الوجه الذي هذا القصد الا بتكرير لفظ واحد على معنيين متناقضين وهو مناسب لما قدمته آنفا في إيجاز الخطاب في قوله وألقى ما في يمينك وما تلك بيمينك فتأمله فإن الحق حسن مناسب والله الموفق * قوله تعالى فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا (قال قرئ بسكون الباء وفتحها إلخ) قال أحمد ووجه آخر وهو أن قدر كل جزء من أجزاء الطريق طريقا وقد كانت بهذه المثابة لأنها كانت اثني عشر طريقا لكل سبط طريق والله أعلم

الكلام

* قوله تعالى وأضل فرعون قومه وما هدى (قال الفاقيل وما هدى تهكما به) قال أحمد فان ثلت انه كيف أن يأتي بعبارة والمقصود عكس مقتضاها كقولهم انك لأنت الحليم الرشيد وغرضهم وصفه بضد هذين الوصفين وأما قوله تعالى وما هدى فضميره هو الواقع فهو حينئذ محمول اخبارا عن عدم هدايته لقومه * قلت هو كذلك ولكن العرف في مثل ما هدى زيد عمرا ثبوت كون زيد عالما بطريق الهداية مهتديا في نفسه وامكنه لم يهد عمرا وفرعون أضل الضالين في نفسه فكيف يتوهم انه يهدي غيره وتحقيق ذلك ان قوله تعالى وأضل فرعون قومه كاف في الاخبار بعدم هدايته لهم مع مزيد اضلاله اياه فان من لا يهدي قد لا يضل فيكون كافا واذا تحقق غناء الاول في الاخبار تعين كون الثاني لمعنى سواه وهو التهكم والله أعلم * قوله تعالى ومن (٣١) يحلل عليه غضبي فقد هوى (قال الغضب عقوبة الله تعالى لهم الخ) قال أحمد لا يسعه أن يحمل الغضب الاعلى العقوبة لانه ينفي صحة الارادة في جملة ما ينفونه من صفات الكمال وأما على قاعدة السنة فيجوز

الكلام التي تستقل مع قلتها بالمعاني الكثيرة أي غشيهم ما لا يعلم كنهه الا الله وقرئ فغشاهم من اليم ما غشاهم والتغشية التغطية وفاعل غشاهم اما الله سبحانه أو ما غشاهم أو فرعون لانه الذي ورط جنوده وتسبب لهلاكهم وقوله (وما هدى) تهكم به في قوله وما أهديكم الا سبيل الرشاد (يا بني اسرائيل) خطاب لهم بعد انجائهم من البحر واهلاك آل فرعون وقيل هو للذين كانوا منهم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الله عليهم بما فعل بآبائهم والوجه هو الاول أي وقلنا يا بني اسرائيل وحذف القول كثير في القرآن * وقرئ (أنجيتكم) الخ وقرئ (ثمرزقتكم وعلى لفظ الوعد والواعدة * وقرئ (الأيمن) بالجر على الجوار نحو جحر ضب خرب ذكرهم النعمة في نجاتهم وهلاك عدوهم وفي مواعدة موسى صلوات الله عليه من المناجاة بجانب الطور وكتب التوراة في الالواح وانما عدى المواعدة اليهم لانها لابسهم وانصلت بهم حيث كانت لنبيهم وتبعاتهم والهم رجعت منافعها التي قام بها نبيهم وشرعهم وفي ما أفاض عليهم من سائر نعمه وأرزاقه * طغيانهم في النعمة أن يتعدوا حدود الله فيها بان يكفروها ويشغلهم اللهو والتنعم عن القيام بشكرها وأن ينفقوها في المعاصي وأن يزووا حقوق الفقراء فيها وأن يسرفوا في انفاقها وأن يبطروا فيها ولا يشكروا ويشكروا * قرئ (فيحل) وعن عبد الله لا يحلن (ومن يحلل) المكسور في معنى الوجوب من حل الدين يحل اذا وجب أداؤه ومنه قوله تعالى حتى يبلغ الهدي محله والمضموم في معنى النزول * وغضب الله عقوباته ولذلك وصف بالنزول (هوى) هلك وأصله ان يسقط من جبل فيهلك

قالت هوى من رأس عيرانة * فمتت تحتها كبده

ويقولون هوت أمه وأسقط سقوطا لا نهوض بعده * الاهتداء هو الاستقامة والثبات على الهدى المذكور وهو التوبة والايمان والعمل الصالح وشروطه قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وكلمة التراخي دلت على تباين المنزلتين دلالتها على تباين الوقتين في جاءني زيد ثم عمرو أعني أن منزلة الاستقامة على الخير مباينة لمنزلة الخير نفسه لانها أعلى منها وأفضل (وما أعجلك) أي شيء حملك على سبيل الانكار وكان قد ضحى مع النقباء الى الطور على الموعد المضروب ثم تقدمهم شوقا الى كلام ربه واحتز ما وعدنيه بناء على اجتهاده وظنه أن ذلك أقرب الى رضا الله تعالى وزل عنه أنه عز وجل ما وقت أنعامه الا نظرا الى دواعي الحكمة وعالما بالصالح المتعلقة بكل وقت فالمراد بالقوم الدنيا وليس لقول من جوز أن يراد جميع قومه وأن يكون قد فارقهم قبل الميعاد وجه صحيح يأباه قوله (هم أولاء على أثري) وعن أبي عمرو ويعقوب أثري بالكسر وعن عيسى بن عمر أثري بالضم وعنه أيضا أوفى بالقصر والاثر أنضج من الاثر وأما الاثر فمسموع في فرند السيف مدون في الاصول يقال أثر السيف وأثره وهو بمعنى الاثر غريب (فان قلت) ما أعجلك سؤال عن سبب

ما هدى يا بني اسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الايمن ونزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى وما أعجلك عن قومك يا موسى قال هم أولاء على أثري

أن يكون المراد من الغضب ارادة العقوبة فيكون من أوصافه الذاتية ويحتمل أن يراد

به معاملتهم معاملة من غضب عليه شاهدا فيكون من صفات الافعال وأما وصف بالحلول فلا يأتي حمله على الارادة ويكون بمنزلة قوله عليه الصلاة والسلام ينزل ربنا الى سماء الدنيا على التأويل المعروف أو عبر عن حلول أثر الارادة بحلولها تعبيرا عن الاثر المؤثر كما يقول الناظر الى عجيب من مخلوقات الله تعالى انظر الى قدرة الله يعني أثر القدرة لا نفسها والله أعلم * قوله تعالى وما أعجلك عن قومك يا موسى قال هم هؤلاء على أثري وعجلت اليك رب لترضى (قال فيه ان قلت سئل عن سبب العجلة الخ) قال أحمد وانما أراد الله تعالى بسؤاله عن سبب العجلة وهو أعلم أن يعلم موسى أدب السفر وهو انه ينبغي تأخير رئيس القوم عنهم في المسير ليكون نظره محيطا بأنفسهم وتافذا فيهم وهم بمرأى منه وانما علم هذا المعنى لا يحصل في تقدمه عليهم ألا ترى الله عز وجل كيف علم هذا الأدب لوط فقال اتبع أدبارهم فامره أن يكون أخيرهم على ان موسى عليه السلام انما أعمل هذا الامر مبادرة الى رضا الله عز وجل ومسارعة الى ميعاده وذلك شأن المحب يسره ويؤلمه أن يركب اليه أحجية الطير ولا أسرع من مواعدة الله تعالى له صلى الله عليه وسلم

العجلة فكان الذي ينطبق عليه من الجواب أن يقال طلب زيادة رضاك أو الشوق الى كلامك وتنجز موعدك وقوله هم أولاء على أثري كاترى غير منطبق عليه (قلت) قد تضمن ما وجهه به رب العزة شيئين أحدهما انكار العجلة في نفسها والثاني السؤال عن سبب المستنكر والحامل عليه فكان أهم الامرين الى موسى بسط العذر وتمهيد العلة في نفس ما أنكر عليه فاعتل بأنه لم يوجد مني الا تقدم يسير مثله لا يعتد به في العادة ولا يحتفل به وليس بيني وبين من سبقته الا مسافة قريبة يتقدم مثلها الوفد أمامهم ومقدمهم ثم لقيه بجواب السؤال عن السبب فقال (وعجلت اليك رب لترضى) ولقائل أن يقول عار المورد عليه من التهيب لعقاب الله فاذا هذا ذلك عن الجواب المنطبق المرتب على حدود الكلام * أراد بالقوم المفتونين الذين خلفهم مع هرون وكانوا ستمائة ألف مقاتل من عبادة العجل منهم الا اثنا عشر ألفا (فان قلت) في القصة أنهم أقاموا بعد مفارقته عشرين ليلة وحسبوها أربعين مع أنها ما قالوا قد أكملنا العدة ثم كان أمر العجل بعد ذلك فكيف التوفيق بين هذا وبين قوله تعالى لموسى عند قدومه انا قد فتنا قومك (قلت) قد أخبر الله تعالى عن الفتنة المترقبة بقسط الموجودة الكائنة على عادته أو افترض السامري غيبته فعزم على اضلالهم غب الطلاقه وأخذ في تدبير ذلك فكان بدء الفتنة موجودا * قرئ (وأضلهم السامري) أي وهو أشدهم ضلالا لانه ضال مضل وهو منسوب الى قبيلة من بني اسرائيل يقال لها السامرة وقيل السامرة قوم من اليهود يخالفونهم في بعض دينهم وقيل كان من أهل باجرما وقيل كان علجا من كرمان واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا قد أظهر الاسلام وكان من قوم يعبدون البقر * الاسف الشديد الغضب ومنه قوله عليه السلام في صوت الغيث أرجة للمؤمن وأخذة أسف للكافر وقيل الحزين (فان قلت) متى رجع الى قومه (قلت) بعد ما استوفى الاربعين ذا القعدة وعشر ذي الحجة * وعدهم الله سبحانه أن يعطيهم التوراة التي فيها هدى ونور ولا وعد أحسن من ذلك وأجمل حتى لنا أنها كانت ألف سورة كل سورة ألف آية تحمل أسفارها سبعون جملا (العهد) الزمان يريد مدة مفارقته لهم يقال طال عهدي بك أي طال زماني بسبب مفارقتك وعدوه أن يقيموا على أمره وما تركهم عليه من الايمان فأخلفوا موعده بعبادتهم العجل (بملكنا) قرئ بالحركات الثلاث أي ما أخلفنا موعدك بأن ملكنا أمرنا أي لو ملكنا أمرنا وخلينا ورأينا ما أخلفناه ولكن غلبنا من جهة السامري وكيده * أي حملنا أحمالا من حلي القبط التي استعرناها منهم أو أراد بالاوزار آثاما وتبعات لانهم كانوا معهم في حكم المستأمنين في دار الحرب وليس للمستأمن أن يأخذ مال الحربي على أن الغنائم لم تكن تحل حينئذ فقذفناها) في نار السامري التي أوقدها لاجل الحفرة وأمرنا أن نطرح فيها الحلي وقرئ حملنا (فكذلك ألقى السامري) أراهم أنه ألقى حليا في يده مثل ما ألقوا وانما ألقى التربة التي أخذها من موطئ حيزوم فرس جبريل أو حي اليه وليه الشيطان أنها اذا لطمت موتانا صار حيوانا (فأخرج لهم) السامري من الحفرة عجلا جسدا له خوار من الحلي التي سبكتها النار بخور كما تخور البقر الجاسيل (فان قلت) كيف أثرت تلك التربة في احياء الموات (قلت) أما يصح أن يؤثر الله سبحانه وروح القدس بهذه الكرامة الخاصة كما أثره بغيرها من الكرامات وهي أن يباشر فرسه بحافره تربة اذا لاقت تلك التربة جمادا أنشأه الله ان شاء عنده مباشرته حيوانا ألا ترى كيف أنشأ المسيح من غير أب عند نفخه في الدرع (فان قلت) فم خلق الله العجل من الحلي حتى صارت فتنة لبني اسرائيل وضلالا (قلت) ليس بأول محنة محن الله بها عباده ليثيب الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ومن عجب من خلق العجل فليكن من خلق ابليس أعجب والمراد بقوله انا قد فتنا قومك هو خلق العجل للامتحان أي امتحناهم بخلق العجل وحملهم السامري على الضلال وأوقعهم فيه حين قال لهم (هذا الهكم وإله موسى فنسي) أي فنسي موسى أن يطلبه هنا وذهب يطلبه عند الطور أو فنسي السامري أي ترك ما كان عليه من الايمان الظاهر (يرجع) من رفعه فعلى أن أن مخففة من الثقيلة ومن نصب فعلى انها الناصبة للافعال (من قبل) من قبل أن يقول لهم السامري ما قال كانهم أول ما وقعت عليه أبصارهم حين طلع من الحفرة اقتتنوا به واستحسنوه فقبل أن ينطق السامري بادروهم

وعجلت اليك رب لترضى
قال فانا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري فرجع موسى الى قومه غضبان أسفا قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدي قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامري فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا الهكم وإله موسى فنسي أفلا يرون أن لا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ولقد قال لهم هرون من قبل يا قوم

* قوله تعالى قال فانا قد فتنا قومك من بعدك (قال ان شئت لم خلق الله العجل فتنة لهم) قال أحمد هذا السؤال وجوابه تقدما له في أول سورة الاعراف وقد أوضحنا ان الله تعالى انما تعبدنا بالبحث عن علل أحكامه لا عن علل أفعاله وجواب هذا السؤال في قوله تعالى لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فهذا الامر جائز وقد أخبر الله تعالى بوقوعه فلا ينبغي وراء ذلك سبيل لاحد لكن الزمخشري تقتضي قاعدته

هرون عليه السلام بقوله (اذا فتنتم به وان ربكم الرحمن) * لا من يدة والمعنى ما منعك أن تتبعني في الغضب لله وشدة الزجر عن الكفر والمعاصي وهلا قاتلت من كفر بين آمن ومالك لم تباشر الامر بنفسك أباشره أنا لو كنت شاهدا أو مالك لم تلحقني * قرئ (بلحيتي) بفتح اللام وهي لغة أهل الحجاز كان موسى صلوات الله عليه رجلا حديدا مجبولا على الحدة والخشونة والتصلب في كل شيء شديد الغضب لله وادينه فلم يتمالك حين رأى قومه يعبدون عجلا من دون الله بعد ما رأوا من الآيات العظام أن ألقى ألواح التوراة لما غلب ذهنه من الدهشة العظيمة غضبا لله واستكفافا وحمية وعنف بأخيه وخليفته على قومه فأقبل عليه اقبال المدل المكاشف قابضا على شعر رأسه وكان أفرع وعلى شعر وجهه يجره اليه * أي لو قاتلت بعضهم ببعض لتفرقوا وتقاتلوا فاستأنيتك أن تكون أنت المتدارك بنفسك المتلافي برأيك وخشيت مقابلتك على الطراح ما وصيتني به من ضم النشر وحفظ الدهماء ولم يكن لي بد من رقبة وصيتك والعمل على موجبها * الخطب مصدر خطب الامر اذا طلبه فاذا قيل لمن يفعل شيأ ما خطبك فمعناه ما طلبك له * قرئ (صرت عالم بصروا به) بالكسر والمعنى علمت ما لم تعلموه ووفطنت ما لم تفطنوا له * قرأ الحسن (قبضة) بضم القاف وهي اسم المقبوض كالغرفة والمضغة وأما القبضة فالمرة من القبض واطلاقها على المقبوض من تسمية المفعول بالمصدر كضرب الامير وقرأ أيضا فقبصت قبصة بالصاد المهملة الخاء بجميع الكف والصاد بأطراف الاصابع ونحوهما الخضم والقضم الخاء بجميع الفم والقاف بمقدمه قرأ ابن مسعود من أثر فرس الرسول (فان قلت) لم سماه الرسول دون جبريل وروح القدس (قلت) حين حل ميعاد الذهاب الى الطور أرسل الله الى موسى جبريل راكب حيزوم فرس الحياة ليذهب به فأبصره السامري فقال ان لهذا شأنا فقبض قبضة من تربة موطئه فلما ألقاه موسى عن قصته قال قبضت من أثر فرس الرسل اليك يوم حلول الميعاد ولعله لم يعرف أنه جبريل * عوقب في الدنيا بعقوبة لا شيء أعظم منها وأوحش وذلك أنه منع من مخالطة الناس منعا كليا وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته ومبايعته ومواجهته وكل ما يعايش به الناس بعضهم بعضا واذا اتفق أن يماس أحدا جلأ وأوضع أحدهم الماس والممسوس فتحامى الناس وتحاموه وكان يصيح لا مساس وعاد في الناس أوحش من الفائل اللاجئ الى الحرم ومن الوحشي النافر في البرية ويقال ان قومه باق فيهم ذلك الى اليوم * وقرئ (لا مساس) بوزن نجار ونحوه قولهم في النباه اذا وردت الماء فلا أباب وان فقدته فلا أباب وهي أعلام للمسة والعبة والابة وهي المرة من الاب وهو الطلب (لن تخلفه) أي لن يخلفك الله موعده الذي وعدك به الشر لك والنار في الاخرة ونحوه لك في الآخرة ما عملت بذلك في الدنيا فأنت معن خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين * وقرئ لن تخلفه وهذا من أخلفت الموعد اذا وجدته خلفا قال الاعشى

أثوى وقصر ليله ليزودا * فمضى وأخلف من قتيلة موعدا

وعن ابن مسعود نخلفه بالنون أي لن يخلفه الله كما حكى قوله عز وجل كما عز في لاهب لك (ظلت) وظلت وظللت والاصل ظللت فحذفوا اللام الاولى ونقلوا حركتها الى الظاء ومنهم من لم ينقل (لنحرقنه) ولنحرقنه ولنحرقنه وفي حرف ابن مسعود لنذبحنه ولنحرقنه ولنحرقنه القراءات من الاحراق وذكر أبو علي الفارسي في لنحرقنه أنه يجوز أن يكون حرق مبالغة في حرق اذا برد وعليه القراءة الثالثة وهي قراءة علي بن أبي طالب رضي الله عنه (لننسفنه) بكسر السين وضمها وهذه تحقيقية الثة وهي ابطال ما افتتن به وقرئ واهدا ر سعيه وهدم مكره ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين * قرأ طلحة الله الذي لا اله الا هو الرحمن رب العرش (وسع كل شيء علما) وعن مجاهد وقتادة وسع وجهه أن وسع متعد الى مفعول واحد وهو كل شيء وأما علما فانتصابه على التمييز وهو في المعنى فاعل فلما نقل نقل الى التعدية الى مفعولين فنصبهما معا على المفعولية لان المميز فاعل في المعنى كما تقول في خاف زيد عمرا خوفت زيدا عمرا فتردد النقل ما كان فاعلا مفعولا * الكاف في (كذلك) منصوب المحل وهذا موعد من الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم أي مثل ذلك الاقتصاص ونحوه اقتصصنا عليك قصة موسى وفرعون نقص عليك من ما نأ أخبار الامم وقصصهم وأحوالهم تكثيرا

افاقتنتم به وان ربكم الرحمن فتبعوني وأطيعوا أمري قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى قال ياهرون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن أفعصيت أمري قال يابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي اني خشيت أن تقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي قال فما خطبك ياسامري قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي قال فاذهب فان لك في الحيوة أن تقول لا مساس وان لك موعدا لن تخلفه وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا انما الهكم الله الذي لا اله الا هو وسع كل شيء علما كذلك

فاعدنه في وجوب رعاية المصالح على الله تعالى وتحتم هداية الخلق عليه أن يقول ذلك ويحرفه فذرهم وما يفترون

ويجوز أن يكون فيه ضمير الله أو الرسول ويدل عليه القراءة بالنون * وقرئ (يعشون) يريدان قريشا يتقلبون في بلاد عاد وثمود ويمشون (في مساكنهم) ويعاينون آثار هلاكهم * الكلمة السابقة هي العدة بتأخير جزائهم إلى الآخرة يقول لولا هذه العدة لكان مثل اهلاكنا عادا وثمودا لازما لهؤلاء الكفرة واللزام اما مصدر لازم وصفه به واما نعال بمعنى مفعل أي ملزم كانه آلة للزوم لفرط لزومه كما قالوا لزاز خصم (وأجل مسمى) لا يخلو من أن يكون معطوفا على كلمة أو على الضمير في كان أي لكان العاجل وأجل مسمى لازمين لهم كما كانا لازمين لعاد وثمود ولم يفرد الاجل المسمى دون العاجل (بحمد ربك) في موضع الحال أي وأنت حامد لربك على أن وفقك للتسبيح وأعانك عليه والمراد بالتسبيح الصلاة أو على ظاهره فقدم الفعل على الاوقات أولا والاوقات على الفعل آخرا فكانه قال صل لله قبل طلوع الشمس يعني الفجر وقبل غروبها يعني الظهر والعصر لانهما واقعتان في النصف الاخير من النهار بين زوال الشمس وغروبها ومن آناء الليل وأطراف النهار مختص بهما لان ذلك أن أفضل الذكر ما كان بالليل لاجتماع القلب وهدوء الرجل والخلو بالرب وقال الله عز وجل ان ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا وقال أعني هو وقامت آناء الليل ساجدا وقائما ولان الليل وقت السكون والراحة فاذا عرض الحادث كانت على النفس أشد وأثقل وقيل أنصب وأنت مكانك أنصب في معنى التكليف وأفضل عند الله وقد تناول التسبيح في آناء الليل صلاة المغرب والعشاء وفي أطراف النهار صلاة المغرب وصلاة الفجر على التكرار لارادة الاختصاص كما اختصت في قوله حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى عند بعض المفسرين (فان قلت) ما وجه قوله وأطراف النهار على الجمع وانما هما طرفان كما قال أقم الصلاة طرفي النهار (قلت) الوجه أعني الالباس وفي التثنية زيادة بيان وتقرير لمعنى الاعنى بحيث هما في قوله ظهرانا مثل ظهور الترسين وقرئ وأطراف النهار عطفا على آناء الليل ولعل الخطاب أي اذكر الله في هذه الاوقات طمعا ورجاء ان تنال عند الله ما به ترضى نفسك من ثواب ذلك وقرئ ترضى أي يرضيك ربك (ولا تمدن عينيك) أي لا تنظر عينيك مد النظر طويله وأن لا تكاد ترده احتقارا لما نظر اليه وتجاوزا بالبصر عنه كما تفعل نظارة غارون حين قالوا لياليت لنا مثل ما أوتي قارون انه لذو حظ عظيم حتى واسوهم أولو العلم والايمان وقالوا ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا وقيل ان النظر غير الممدود هو نظر الفجاءة ثم نظر من يأمره النبي بالنظر ثم غض النظر ولما كان النظر الى الزاهر كالمركوز في الطباع وان من أبصر منهم أحب ان يمد اليه نظره ويملأ منه عينيه قيل له لا تمدن عينيك أي لا تفعل ما أنت معتاده وضاربه واشتد النهي للعلماء من أهل التقوى في وجوب غض البصر من اباء الملوك وعدد الفاسق الباس والمراكب وغير ذلك لانهم لما نظروا هذه الاشياء اليهود الازدراء فالنظار الى الباهر الحسن لمن ليس مثله في الغنى هو في معنى اتخاذها (أزواجا منهم) أصنافا من الكفرة وجوز ان ينتصب بالامر هنا بالتسبيح والصلاة ويرتفع على منهم كانه قال الى الذي هو صنف منهم وهو أصناف بعضهم وأصنافهم (وان قلت) علام انتصب (زهرة) (قلت) على أحد أربعة أوجه وهو النصب على الاختصاص وعلى تضمين متعنا معنى اعطينا وخولنا لتوكيد سمو ما نالناه وعلى ابدالها من محل الجار والمجرور وعلى ابدالها من أزواجا على تقدير ذوي زهرة (فان قلت) ما معنى الزهرة ثم وصفها (قلت) معنى الزهرة تعنيه وهو الزينة والبهجة كما يرى في الزهر الطري وقرئ بضمتين وان تكون جمع زاهر وصفها لهم بأنهم زاهرون هذه الدنيا مستمتعون بما يتلذذون به وهم مع ذلك وجوههم وبهائمهم وشارتهم بخلاف ما عليه المؤمنون من الصفات من شحوب الالوان والتقشف في الثياب (لنفتنهم) لنبتليهم حتى يستوجبوا العذاب لوجود الكفران منهم أو لنعذبهم في الآخرة بسببه (ورزق ربك) هو ما ادخره له من ثواب الآخرة الذي هو خير مما متع به نفسه وأمثاله من زهرة الدنيا (خير وأبقى) لان الله لا ينسب الى نفسه الا ما جل وطاب دون ما حرم وخبث

يمشون في مساكنهم
ارفي ذلك لآيات لاولى
النهى ولولا كلمة سبقت
من ربك لكان لزاما
وأجل مسمى فاصبر
على ما يقولون وسبح
بحمد ربك قبل طلوع
الشمس وقبل غروبها
ومن آناء الليل فسبح
وأطراف النهار لعلك
ترضى ولا تمدن عينيك
الى ما متعنا به أزواجا
منهم زهرة الحياة
الدنيا لنفتنهم فيه ورزق
ربك خير وأبقى

* قوله تعالى ورزق ربك خير وأبقى (قال صاحبه ان رزق هؤلاء المتمتعين في الدنيا كثير مكتسب من الحرام الخ) قال أحمد ولا ان غرض الناصر من هذا البحث رد رزق ربه الله تعالى كما أشرنا فالناصر والله تعالى لكان البحث انما هو في الرزق والمسألة أن كل ما تقوم به البنية من رزق من الله تعالى سواء كان حلالا لا شبهة فيه ولا يتم بنية كون الله تعالى رزقه الا كذلك فكل ما أباح لعباده تناوله لا يسأل عما يفعلون وهم يسألون والله الموفق للصواب

والحرام لا يسمى رزقا أصلا وعن عبد الله بن قسيط عن رافع قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يهودي وقال قل له يقول لك رسول الله أترضى الى رجب فقال والله لا أقرضه الا رهن فقال رسول الله ما في لا مين في السماء وانى لا مين في الارض اعمل اليه درعي الحديد وقال لا تدعن عيالك (وأمر أهلك بالصلاة) أي واقبل أنت مع أهلك على عبادة الله والصلاة واستعينوا بها على خصاصتكم ولا تهتم بأمر الرزق والعيشة فان رزقك مكفي من عندنا ونحن رازقوك ولانسألك ان ترزق نفسك ولا أهلك فتفرغ لك لامر الآخرة وفي معناه قول الناس من دان في عمل الله كان الله في عمله وعن عروة بن الزبير انه كان اذا رأى ما عند السلاطين قرأ ولا تمدن عينيك الآية ثم ينادي الصلاة الصلاة رحمكم الله وعن بكر بن عبد الله المزني كان اذا أصابت أهله خصاصة قال قوموا فصلوا بهذا أمر الله رسوله ثم يتلو هذه الآية * (لا تمدن عينيك) النهي عن التمنى آية على النبوة فقيل لهم أولم تأتكم آية هي أم الآيات وأعظمها في باب الاعجاز يعني القرآن من قبل أن القرآن برهان ما في سائر الكتب المنزلة ودليل حجته لانه معجزة والكتب المتقدمة معجزات فهي مفتقرة الى شهادته على حجة ما فيها فالمفتقر اليه على شهادة الحجة وفرق الصحف التصفيف * ذكر الضمير الراجع الى البينة لانها في معنى البرهان والدليل فرق (أنذل وفتزى) على لفظ ما لم يسم فاعله (كل) أي كل واحد منا ومنكم (متربص) للعاقبة وننتظر ما يؤول اليه أمرنا وأمركم * وفرق السراء بعني الوسط والجيد والمستوى والسوء والسوأى والسوى بمعنى الشر وفرق تقتعوا وتمتعوا قال أبو رافع حفظته من رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة طه أعطى يوم القيامة ثواب المهاجرين والانصار وقال لا تقرأ أهل الجنة من القرآن الا طه ويس

﴿سورة الانبياء مكية وهي مائة واثنتا عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

هذه اللام لا تخلو من ان تكون صلة لاقترب أو تأكيد الاضافة الحساب اليهم كقولك ارق للعمى رحيلهم الاصل ارق رحيل الحي ثم ارق للعمى الرحيل ثم أرق للعمى رحيلهم وهو مما أجري مجرى المثل في باب ما يتفق فيه المستغرق توكيدا عليك بدريس عليك وفيك يريد اعجب فيك ومنه قولهم لا بالك لان اللام مؤكدة معنى الاضافة وهذا الوجه أغرب من الاول والمراد اقتراب الساعة واذا اقتربت الساعة فقد اقترب ما يكون فيها من الحساب والثواب والعقاب وغير ذلك وغيره واغترب الوعد الحق (ان قلت) كيف وصف بالاقتراب وقد عدت دون هذا القول اكثر من خمسمائة عام (قلت) هو مقترب عند الله والدليل عليه قوله عز وجل وانهم يرونه بعيدا ونراه قريبا ولي يخالف التوعد وان يراعد بذلك كالف سنة مما تعدون ولان ما مضى من الدنيا قصير وأقل مما لف دها بدليل انعماك خاتم النبيين الموعود مبعثه في آخر الزمان وقال عليه السلام بعثت في نسم الساعة وفي خطبة بعض المتقدمين ولات الدنيا حذاء ما مضى لم يبق الا اصبابة كصبابة الاناء واذا كانت بقية الشيء وان كثرت في نفسها قليلة بالاضافة الى مضيه كانت خليقة بان توصف بالقلة وقصر الذرع وعن ابن عباس رضي الله عنه ان المراد بالناس المشركون وهم امن الملائ اسم الجنس على بعضه للدليل القائم وهو ما يتلوه من صفات المشركين * ووصفهم بالغفلة مع الاعراض على معنى أنهم عالمون من حسابهم ما هو ولا يعملون في حاقتهم ولا يتعظون لما ترجع اليه ناقة أمرهم مع اقتضاء عقولهم انه لا بد من جزاء المحسن والمسيء واذا قرعت هم العصا وهو ان عند الغفلة وفطنوا لذلك عابثا على علم من الآيات والنذر أعرضوا وسدوا أسماعهم ونفروا * وفرق اعراضهم عن تنبيه المنبه وايقاظ الموقظ بان الله بعد ذكرهم الذكر وقتا فوقتا حدث لهم الآية بعد الآية والسورة بعد السورة ليكرر على اسماعهم التنبيه والموعظة لعلهم يتعظون فازيدهم استماع الآي والسور وما فيها من فنون المواعظ والعبائر التي هي أحق الاشياء وأجدها بالاصغاء والتلقي

وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى وقالوا لولا أتينا بآية من ربه أولم تأتهم بينة ما في الصحف الاولى ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوى ومن اهتدى

سورة الانبياء مكية وهي مائة واثنتا عشرة آية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ما يأتيهم من ذكر من

﴿القول فى سورة الانبياء﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) *قوله تعالى قال ربى يعلم القول فى السماء والارض وهو السميع العليم (قال ان قلت لم عدل عن قوله يعلم السر مع ان المتقدم وأسروا النجوى الخ) قال أحمد وهذا من اتباع القرآن للرأى نعوذ بالله من ذلك لاسيما رأى ينفى صفات الكمال عن الله تعالى ٣ وما الذى دل عليه السميع العليم من نفى صفتى السمع والعلم فى تفسيرهما بذلك مع انه لا يفهم فى اللغة سميع الا بسمع ولا عليم (٤٠) الا بعلم فانها صفات مشتقات من مصادر لا بد من فهمها وثبوتها أولا ثم ثبوت ما اشتقت منه ومن أنكر السمع والعلم فقد سارع الى انكار السميع العليم وهو لا يشعر وليس غرضنا فى هذا المضيق سوى الالتفاط لما انطوى عليه الكشاف من غوائل البدع ليتجنبه الناظر وأما الادلة الكلامية

واستبخار او الذكر هو الطائفة النازلة من القرآن وقرأ ابن أبى عبلة (محدث) بالرفع صفة على المحل * قوله (وهم يلعبون لاهية قلوبهم) حالان مترادفتان أو متداخلتان ومن قرأ لاهية بالرفع فالحال واحدة لان لاهية قلوبهم خبر بعد خبر لقوله وهم واللاهية من لها عنه اذا ذهل وغفل يعنى أنهم وان فطنوا فهم فى غفلة جدوى فطنتهم كانهم لم يفطنوا أصلا وثبتوا على رأس غفلتهم وذهولهم عن التأمل والتبصر بقلوبهم (فان قلت) النجوى وهى اسم من التناجى لا تكون الا خفية فما معنى قوله وأسروا (قلت) معناه وبالغوا فى اخفائها أو جعلوها بحيث لا يفطن أحد لتناجيهم ولا يعلم أنهم متناجون أبدل (الذين ظلموا) من واو وأسروا اشعارا بانهم الموسومون بالظلم الفاحش فيما أسروا به أو جاء على لغة من قال أكلونى البراغيث أو هو منصوب المحل على الذم أو هو مبتدأ خبره وأسروا النجوى قدم عليه والمعنى وهؤلاء أسروا النجوى فوضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا على فعلهم بانه ظلم (هل هذا الا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون) هذا الكلام كله فى محل النصب بدلا من النجوى أى وأسروا هذا الحديث ويجوز أن يتعلق بقالوا مضمرا اعتقدوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكون الا ملكا وان كل من ادعى الرسالة من البشر وجاء بالمعجزة هو ساحر ومعجزته سحر فلذلك قالوا على سبيل الانكار أفتحضرون السحر وأنتم تشاهدون وتبايعون انه سحر (فان قلت) لم أسروا هذا الحديث وبالغوا فى اخفائه (قلت) كان ذلك شبه التشاور فيما بينهم والتحاور فى طلب الطريق الى هدم أمره وعمل المتصوبة فى التثبيط عنه وعادة المتشاورين فى خطب أن لا يشركوا أعداءهم فى شورهم ويجاهدوا فى طى سرهم عنهم ما أمكن واستطيع ومنه قول الناس اسمعنى واعلى حواجبكم كما تكفان ويرفع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجوز أن يسروا نجواهم بذلك ثم يقولوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا مزين ان كان ما تدعونه حقا فأخبرونا بما أسررنا (فان قلت) هلا قيل يعلم السر قوله وأسروا النجوى (قلت) القول عام يشمل السر والجهر فكان فى المظنة العلم بالسر وزيادة فكان آكد فى بيان الاطلاع على نجواهم من أن يقول يعلم السر آكد من أن يقول يعلم سرهم ثم بين ذلك بانه السميع العليم انه فكيف تخفى عليه خافية (فان قلت) فلم ترك هذا الآكد فى سورة الفرقان فى قوله قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والارض (قلت) ليس واجب أن يجىء بالآكد فى كل موضع ولكن يجىء بالوكيد تارة وبالآكد أخرى كما يجىء بما هو حسن فى موضع وبالاحسن فى غيره لفنون الكلام افتنانا وتجميع الغاية بما دونها على أن أسلوب تلك الآية خلاف أسلوب هذه من قبل أنه قدم ههنا أنهم أسروا النجوى فكانه أراد أن يقول ان ربى يعلم ما أسروه فوضع القول موضع ذلك لما فيه من الدلالة وثم قصد وصف ذاته بان أنزله الذى يعلم السر فى السموات والارض فهو كقوله علام الغيوب عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة * وقرئ (قال ربى) حكاية لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم * أضربوا عن قولهم هو سحر الى أنه تخاليط أحلام ثم الى أنه كلام مفترى من عنده ثم الى انه قول شاعر وهكذا الباطل الجلج والمبطل متحير يرجع غير ثابت على قول واحد ويجوز أن يكون تغييرا من الله تعالى لاقوالهم فى درج الفساد وأن قولهم الثانى أفسد من الاول والثالث أفسد من الثانى وكذلك الرابع من الثالث * صحة الاتيه فى قوله (كما أرسل الاولون) من حيث انه فى معنى كما أتى الاولون بالآيات لان ارسال الرسل متضمن للاتيان بالآيات ألا ترى

محدث الا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا الا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون قال ربى يعلم القول فى السماء والارض وهو السميع العليم بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الاولون ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها

فمن فهما تتلقى وطابه فيما يورده من أمثال هذه التركيبات مختلف فمرة يوردها عند كلام يتخيل فى ظاهره اشكال يعرضه وظيفتها مع حيث يشرع فى النظر ثم قد تترقى الى بيان ظهوره فى عكس مراده أو نحو صلته حتى لا يحتمل ما يدعيه بوجه ما وقد يختتمها الانصاف الى تسليم الظهور انه له فتذكر وجه التأويل الذى يرشد اليه دليل العقل ومرة يوردها من هذا الرأى عند كلام لا يحتمله ولا يشعر به بوجه وغرضه التعسف حتى لا يخلى شيأ من كلامه من تعصب واصرار على باطل فنبه على ذلك أيضا وذكره عند هذه الآية من قبيل ما يدل النص على عكس مراده فيه وقد أوضحناه

(٣) قوله وما الذى الخ كذا بالاصل ولعل فيه سقطا أو كشفا اه مصححه

انه لا فرق بين أن تقول أرسل محمد صلى الله عليه وسلم وبين قولك أتى محمدا بالمعجزة (أنهم يؤمنون) فيه أنهم أعتى من الذين اقترحوا على أنبيائهم الآيات وعاهدوا أنهم يؤمنون عندها فلما جاءتهم نكثوا وخالفوا فأهلكهم الله فلو أعطينا مم ما يقترحون لكانوا أنكث وأنكث * أمرهم أن يسألوا أهل الذكر وهم أهل الكتاب حتى يعلموهم أن رسل الله الموحى اليهم كانوا بشرا ولم يكونوا ملائكة كما اعتقدوا وإنما أطلعهم على أولئك لأنهم كانوا يشاهدون المشركين في معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الله تعالى ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا فلا يكادون يفهمون فيهما هم فيه رد لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا يأكلون الطعام) صفة لجسدا والمعنى وما جعلنا الأنبياء عليهم السلام قبلك ذوي جسد غير طاعمين ووحد اللفظ لإرادة الجنس كأنه قال ذوي ضرب من الأجساد وهذا رد لقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام (فان قلت) نعم قد رد انكارهم أن يكون الرسول بشرا يأكل ويشرب بما ذكرت فما وجه رد كل قولهم بقوله (وما كانوا خالدين) (قلت) يحتمل أن يقولوا إنه بشر مثلنا يعيش كما نعيش ويموت كما نموت أو يقولوا هلا كان ملكا لا يطعم ويخلد اما معتقدين أن الملائكة لا يموتون أو مسمين حياتهم المتطاولة وبقاءهم المديد خلودا (صدقناهم الوعد) مثل واختار موسى قومه والأصل في الوعد من قومه ومنه صدقهم القتال وصدقني سن بكره (ومن نشاء) هم المؤمنون ومن في بقائه مصلحة (ذكركم) شرفكم وصيتكم كما قال وانه لذكر لك ولقومك أو موعظتكم أو فيه مكارم الأخلاق التي كنتم تطلبون بها الثناء أو حسن الذكر كحسن الجوار والوفاء بالعهد وصدق الحديث وأداء الأمانة والحفاظ وما أشبه ذلك (وكم قصمنا من قرية) واردة عن غضب شديد ومنادية على سخط عظيم لان القصم أفظع الكسر وهو الكسر الذي يبين تلاؤم أجزاء المكسور بخلاف الفصم وأراد بالقرية أهلها ولذلك وصفها بالظلم وقال (قوما آخرين) لان المعنى أهلكنا قوما وأنشأنا قوما آخرين وعن ابن عباس أنها حضور وهي محمولة على أنه بالتين نسب إليهما الثياب وفي الحديث كفى برسول الله صلى الله عليه وسلم في ثوبين محولين وروى حضورين بنت الله إليهم نبيا فقتلوه فسلط الله عليهم بختنصر كما سلطه على أهل بيت المقدس فاستأصلهم وروى أنهم لما أخذهم السيف نادى منادمن السماء بالثارات الأنبياء فندموا واعترفوا بالخطأ وذلك حين لم ينفعهم الندم وظاهر الآية على الكثرة ولعل ابن عباس ذكر حضور بأنها إحدى القرى التي أراد هلاكها بهذه الآية * فلما علموا شدة عذابنا وبطشنا بهم حس ومشاهدة لم يشكوا إذا بهلاكهم وأمن ديارهم والركض ضرب الدابة بالرجل ومنه قوله تعالى اركض برجلك فيصور أن يركبوا دوابهم يركضونها هاربين منهزمين من مرتهم لما أدركتهم مقدمة العذاب ويجوز أن يشبهوا في سرعة عدوهم على أرجلين بالراكضين الراكضين لدوابهم فقيل لهم (لا تركضوا) والقول محذوف (فان قلت) من القائل (قلت) يحتمل أن يكون بعض الملائكة أو من ثم من المؤمنين أو يجعلوا لخلقا بأن يقال لهم ذلك وان لم يقل أو يقوله رب العزة ويسمعه ملائكته ليتفقهم في دينهم أو يلهمهم ذلك فيجدون إليه قلوبهم (وارجعوا إلى ما أترفتم فيه) من العيش الرافه والحال الناعمة والاترفي بطر النعمة وهي الترفة (لعلكم تسئلون) تهكم بهم وتوبيخ أي ارجعوا إلى نعمكم ومساكنكم لعلكم تسئلون غدا عما جرى عليكم ونزل بأموالكم ومساكنكم فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة أو ارجعوا واجلسوا كما كنتم في مجالسكم وترتبوا في مراتبكم حتى يسألكم عبيدكم وحشمكم ومن عاملكم أمره وينفذ فيه أمركم ونهيكم ويقولوا لكم ما تأمرون وعلام تأمرون وكيف نأتي ونذر كعادة المنعمين المخدومين أو يسألكم الناس في أنديتكم المأمول في نوازل الخطوب ويستشيرونكم في المهمات والعوارض ويستفتون بتدابيركم ويستضيئون بآرائكم أو يسألكم الوافدون عليكم والطماع ويستمطرون سحائب أكفكم ويعترون أخلاف معروفكم وأياديكم أما لانهم كانوا أحياء ينفقون أموالهم رئاء الناس وطلب الثناء أو كانوا بخلاء فقيل لهم ذلك تهكما بهم وتوبيخا لهم توبيخ (تلك) إشارة إلى ما يلي لانها دعوى كله قيل فما زالت تلك الدعوى (دعواهم) والدعوى بمعنى الدعوة قال تعالى وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين (فان قلت) لم سميت دعوى (قلت) لان المولول كأنه يدعو الويل فيقول تعالى يا ويل فهذا وقتك وتلك هي فرفوع أو منصوب اسما أو خبرا وكذلك

أفهم يؤمنون وما أرسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين ثم صدقناهم الوعد فأنجيناهم ومن نشاء وأهلكنا المسرفين لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين فلما أحسوا بأسنا اذا هم منها يركضون لا تركضوا وارجعوا الى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسئلون قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين لو أردنا أن نتخذ لهوا

*قوله تعالى لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا (قال معناه سبحانا أن نتخذ لهوا ولعبا الخ) قال أحمد وله تحت قوله واستغنينا عن القبيح دفين من البدعة والضلالة ولكنه من الكنوز التي يحمى عليها في نار جهنم وذلك ان القدرية يوجبون على الله تعالى رعاية المصالح وفعل مايتوهمونه حسنا بعقولهم ويظنون أن الحكمة تقتضي ذلك فلا يستغني الحكيم على زعمهم عن خلق الحسن على وفق الحكمة بخلاف القبيح فان الحكمة تقتضي الاستغناء عنه فالى ذلك يلوح الزمخشري وماهي الا نزغة سبق اليها ضلال الفلاسفة ومن ثم يقولون ليس في الامكان أكمل من هذا العالم لانه لو كان في القدرة أكمل منه وأحسن ثم لم يخلقه الله تعالى لكان بخلا ينافي الجود أو عجزا ينافي القدرة حتى اتبعهم في ذلك من (٤٢) لانسميه من أهل الملة عفا الله عنه ان كان هذا عما يدخل تحت ذيل العفو فالحق ان الله تعالى منزه عن جميع الافعال حسنة كانت أو غيرها صالحة كانت أو مفسدة وان له أن لا يخلق مايتوهم القدرية حسنا وله أن يفعل مايتوهمونه في

دعواهم *الحصيد الزرع المحصود أي جعلناهم مثل الحصيد شبههم به في استئصالهم واصطلامهم كما تقول جعلناهم رمادا أي مثل الرماد والضمير المنصوب هو الذي كان مبتدأ والمنصوبان بعده كانا خبرين له فلما دخل عليها جعل نصبا جميعا على المفعولية (فان قلت) كيف ينصب جعل ثلاثة مفاعيل (قلت) حكم الاثنين الآخرين حكم الواحد لان معنى قولك جعلته حلوا حامضا جعلته جامعا للطعمين وكذلك معنى ذلك جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود أي وماسوينا هذا المستقر المرفوع وهذا المهاد الموضوع ومابينهما من أصناف الخلائق مشحونة بضروب البدائع والعجائب كما تسوى الجبارة سقوفهم وفرشهم وسائر زخارفهم للهو واللعب وانما سويناها للفوائد الدينية والحكم الربانية لتكون مطارح افتكار واعتبار واستدلال ونظر لعباد نا مع مايتعلق لهم بها من المنافع التي لا تعد والمرافق التي لا تحصى *ثم بين أن السبب في ترك اتخاذ اللهو واللعب وانتفائه عن أفعالي هو أن الحكمة صارفة عنه والا فانا قادرين على اتخاذه ان كنت فاعلا لانا على كل شئ قدير *وقوله (لاتخذناه من لدنا) كقوله رزقا من لدنا أي من جهة قدرتنا وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل المرأة وقيل من لدنا أي من الملائكة لا من الانس رد الولادة المسيح وعزير (بل) اضراب عن اتخاذ اللهو واللعب وتنزيه منه لذاته كأنه قال سبحانا أن نتخذ اللهو واللعب بل من عادتنا ومو جب حكمتنا استغنائنا عن القبيح أن نغلب اللعب بالجد ونحض الباطل بالحق واستعار لذلك القذف والدمغ تصويرا لابطاله واهداره وحقه فيه كأنه جرم صلب كالحجر مثلا قذف به على جرم رخو أجوف فدمغه ثم قال (ولكم الويل مما تصفون) له به عما لا يجوز عليه وعلى حكمته وقرئ فيدمغه بالنصب وهو في ضعف قوله

سأترك منزلي لبني تميم * وألحق بالحجاز فأستريحا

وقرئ فيدمغه (ومن عنده) هم الملائكة والمراد أنهم مكرمون منزلون لمكانهم عليه منزلة المقربين عند الملوك على طريق التمثيل والبيان اشرفهم وفضلهم على جميع خلقه *(فان قلت) الاستحسار مبالغة في الحسور فكان الابلغ في وصفهم أن ينفى عنهم أدنى الحسور (قلت) في الاستحسار بيان أن ما هم فيه يوجب غاية الحسور وأقصاه وأنهم أحقاء بتلك العبادات الباهظة فان يستحسروا فانما يعملون *أي تسبيحهم متصل دائم في جميع أوقاتهم لا يتخلله فترة بشغل أو شغل آخر *هذه أم المنقطعة الكائنة بمعنى بل والهمزة قد آذنت بالاضراب عما قبلها والانكار لما بعدها والمنكر هو اتخاذهم (آلهة من الارض هم ينشرون) الموتى ولعمري ان من أعظم المنكرات أن ينشر الموتى بعض المولات (فان قلت) كيف أنكر عليهم اتخاذ آلهة تنشر وما كانوا يدعون ذلك لآلهتهم وكيف وهم أبعد شئ عن هذه الدعوى وذلك أنهم كانوا مع اقرارهم لله عز وجل بأنه خالق السموات والارض ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وبأنه القادر على المقدورات كلها وعلى النشأة الاولى منكرين البعث ويقولون من يحيي العظام وهي رميم وكان عندهم من

لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون وله من في السموات والارض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون أم اتخذوا آلهة

الشاهد فيه واو ان كل موجود من فاعل وفعل على الاطلاق فمقدوره وجنده فليس في الوجود الا الله وصفاته وأفعاله وهو مستغن عن العالم بأسره وحسنه وقبيحه فلو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم على أتقى قلب رجل منكم لم يزد ذلك في ملكه شيأ ولو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم على أفجر قلب رجل منكم لم ينقص ذلك من ملكه شيأ اللهم الهمنا الحق واستعملنا به *عاد كلامه (قال وفي قوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل استعارة حسنة استعار القذف الخ) قال أحمد ومثل هذا التنبيه من حسناته ولولا ان السيئة التي قبلها تتعلق بالعقيدة لتلوت ان الحسنات يذهبن السيئات والله أعلم *قوله تعالى لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون (قال فيه ان قلت لم استعمل الاستحسار ههنا في النفي الخ) قال أحمد ومثله أحسب عن قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد فانظره *قوله تعالى أم اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون (قال ان قلت كيف أنكر عليهم اتخاذ آلهة الخ) قال أحمد فيكون المنكر عليهم صريح الدعوى ولازمها وهو البغي في الانكار والله سبحانه وتعالى أعلم

قيل

* عاد كلامه (قال ان قلت لا بد لقوله هم من فائدة والا فالكلام مستقل بدونها الخ) قال أحمد وفي هذه النكتة نظر لان آلات الحصر معقودة وليس ذلك من قبيل صديقي زيد فان المبتدأ في الآية أخص في لانه ضمير وأيضا فلا ينبغي على ذلك الزامهم حصر الالوهية فيهم وتخصيص الانشار بهم ونفيه عن الله تعالى اذ هذا الانياسب السياق فانه قال عقبها لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ومعناه لو كان فيهما الله غير الله شر لكانا لفسدتا وكان مقتضى ما قال الزمخشري أن يقال لو لم يكن فيهما آلهة الا الاصنام افسدتا وأما التلويح على خلاف ذلك فلا وجه له لما قال الزمخشري وعندي انه يحتمل والله أعلم أن تكون فائدة قوله هم الايذان بانهم لم يدعوا لها الانشار وان قوله هم ينشرون استئناف الزامهم وكأنه قال اتخذوا آلهة مع الله عز وجل ثم اذن يحيون الموتى ضرورة كونهم آلهة ثم لما تنظم من دعواهم الالوهية للاصنام والزامهم على ذلك أن يدعوهم بالقدرة التامة على احياء الموتى نظم في ابطال هذه الدعوى وما ألزمهم عليها دليل قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا * وأزيد هذا التقرير وضوحا قول ان (٤٣) دليل التمانع المعترف من بعترهذه

قبيل المحال الخارج عن قدرة القادر كما في القديم فكيف يدعونه للجماد الذي لا يوصف بالقدرة راسا (قلت) الامر كما ذكرت ولكنهم بما دعائهم لها الالهية يلزمهم أن يدعوا لها الانشار لانه لا يستحق هذا الاسم الا القادر على كل مقدور والانشار من جملة المقدورات وفيه باب من التهكم بهم والتوبيخ والتجهيل واشعار بأن ما استبعده من الله لا صح استبعاده لان الالهية لما صحت صح معها الاقتدار على الايداء والاعادة ونحو قوله (من الارض) فقولك فلان من مكة أو من المدينة تريد مكن أو مدني ومعنى نسبتها الى الارض الايذان بانها الاصنام التي تعبد في الارض لان الآلهة على ضربين أرضية وسماوية ومن ذلك حديث الامة التي قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أين ربك فاشارت الى السماء فقال انها مؤمنة لانه فهم منها أن مرادها نفي الآلهة الارضية التي هي الاصنام لا اثبات السماء مكانا لله عز وجل ويجوز أن يراد آلهة من جنس الارض لانها المأخوذ تحت من بعض الجواهر أو تعمل من بعض جواهر الارض (فان قلت) لا بد من نكتة في قوله هم (قلت) النكتة فيه افادة معنى الخصوصية كأنه قيل أم اتخذوا آلهة لا يقدر على الانشار الا هم وحدهم وقرأ الحسن ينشرون وهما لغتان أنشر الله الموتى ونشرها * وصفت آلهة بالا كما توصف بغير لو قيل آلهة غير الله (فان قلت) ما منعك من الرفع على البدل (قلت) لان لو عزلة ان في ان الكلام معها موجب والبدل لا يسوغ الا في الكلام غير الموجب كقوله تعالى ولا يلتفت منكم أحد الا امرأتك وذلك لان أعم العام هو نفيه ولا يصح اجابيا لمعنى لو كان يتولاها ويدبر أمرها آلهة شتى غير الواحد الذي هو فاطرها لفسدتا وفيه دلالة على أمرين أحدهما وجوب أن لا يكون مدبر هما الا واحد اراد الثاني أن لا يكون ذلك الواحد الا اياه وحده لقوله الا الله (فان قلت) لم وجب الامران (قلت) لعلمك أن الرعية تفسد بتدبير الملكين لما يحدث بينهما من التغالب والتناكر والاختلاف وعن عبد الملك بن مروان حين قتل عمرو بن سعيد الاشدق كان والله أعز علي من دم ناظري ولكن لا يجتمع خليفتان في شول وهذا ظاهر وأما طريقة التمانع فلان متكلمين منهم تحاولوا وطرادولان هذه الافعال محتاجة الى تلك الذات المخصوصة بتلك الصفات حتى تثبت وتستقر * اذا كانت عادة الملوك والجبابرة أن لا يسألهم من في مملكتهم عن أفعالهم وهم يأمرون وينهون ويصدرون من تدبير ملكهم فيما واجد لا لامع جواز الخطأ والزلل وأنواع الفساد عليهم كان ملك الملوك ورب الارباب خالقهم ورازقهم أولى بان لا يسئل عن أفعاله مع علمه واستقرق العقول من أن ما يفعله كله مفعول بدواعي الحكمة ولا يجوز عليه الخطأ ولا فعل القبائح (وهم يسئلون) اي هم عاجزون مستحقون خطاؤن في

صفات الكمال وما عداه فبادي الرأي يبطل فانظر كيف اختار له تعالى ابطال هذا القسم الحق البطلان فوضع فساده في أحصر أسلوب وأوجزه وأبلغ بديع الحكم ومعجزه وانما ينتظم هذا على أن يكون المقصد من قوله هم ينشرون الزامهم ادعاء صفات الالوهية لآلهتهم حتى يجري انهم اختاروا القسم الذي أبطله الله تعالى ووكل ابطال ما عداه من الاقسام الى ما ركبه في عباده من العقول وكل خطب بعد بطلان هذا القسم جلل والله الموفق فتأمل هذا الفصل يبين الانصاف تجده أنفس الانصاف والله المستعان * قوله تعالى لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون (قال) لما بين تعالى انه رب الارباب وخالقهم ومالكهم ناسب هذا التنبيه على ما يجب له تعالى على خلقه من الاجلال والاعظام فان آحاد الملوك تمنع مهابته أن يسئل عن فعل فعله فكيف بخالق الملوك وربهم ثم ان آحاد الملوك يجوز عليهم الخطأ والزلل وقد استقر في العقول ان أفعال الله تعالى كلها مفعولة بدواعي الحكمة ولا يجوز عليه الخطأ ولا فعل القبائح (قال أحمد) حجتها لهامن لفظة ما سوأ أدبها مع الله تعالى أعني قوله دواعي الحكمة فان الدواعي والصوارف انما تستعمل في حق المحدثين

الآية المقدس من نورها يورده المتكلمون على صورة التقسيم فيقولون لو وجد مع الله آخر ورعما قالوا لو فرضا وجود الحسين فاما أن يكونا جميعا موصوفين بصفات الكمال التي يتفرد فيها القدرة على احياء الموتى وانشارهم وغير ذلك من الارض هم ينشرون لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون من الممكنات أو لا يتصف بها واحد منهما أو أحدهما دون الآخر فيحيلون جميع الاقسام وهو المسمى برهان التطارد وأحد الاقسام ابطالا قسم اتصافهما جميعا

كقوله ومما نوفرد واحي الناس اليه او صوارتهم عنه وقوله لا يجوز عليه فعل القبائح وقد مر هذا الطراز الاول ولونه في الذيل
* تقدمت رسالة مهد من قدم * وبعدما اقتضى دليل التوحيد وابطال الشرك من سمك أيها الرمخشري وقلت رطب بتقريره فلم
نكفت وانكست أتقول ان أحد الشريك الذي ملكه يفعل ما يشاء من الافعال التي تسمى اقناع فتنفيها عن قدرة الله تعالى وارادته
وما الفرق بين من يشرك بالله ملكا (٤٤) من الملائكة وبين من يشرك نفسه به حتى يقول انه يفعل ويخلق لنفسه شاء الله
أولم يشأ تعالى الله عما
يقول الظالمون علوا
كبيرا ولقد ذرأنا لجهنم

أم اتخذوا من دونه آلهة
قل هاتوا برهانكم هذا
ذكر من معي وذكر من
قبلي بل أكثرهم لا يعلمون
الحق فهم معرضون وما
أرسلنا من قبلك من
رسول الا نوحي اليه أنه
لا اله الا انا فاعبدون
وقالوا اتخذ الرحمن ولدا
سبحانه بل عباد مكرمون
لا يسبقونه بالقول وهم
بأمره يعملون يعلم ما بين
أيديهم وما خلفهم ولا
يشفعون الا لمن ارتضى
وهم من خشيته
مشفقون ومن يقل
منهم اني اله من دونه
فذلك نجزيه جهنم
كذلك نجزي الظالمين
أولم ير الذين كفروا
أن السموات والارض
كانتا رتقا ففتقناهما
وجعلنا من الماء كل شيء
حي أفلا يؤمنون

لا تعلم شيئا من شركه لان
غيرهم أشرك بالملائكة
وهم أشركوا بشوهم
وبالشياطين والجن
وجميع الحيوانات نعوذ
بالملك الملك من مسالك الهلك * قوله تعالى سبحانه بل عباد مكرمون (قال معناه مكرمون على سائر عباد الله) قيل
قال أحمد وهذا التفسير من جعل القرآن تبعا للرأي فانه لما كان يعتقد تفضيل الملائكة على الرسل نزل الآية على معتقده وليس
غرضنا الآن أن نجعل الآية مالا تحتمله وتناول منها ما لا تعطيه لانا ندعي انهم مكرمون على سائر الخلق لا على بعضهم فدعواه

سبب السبب * قوله تعالى وجعلنا في الارض رواسي أن تميد بكم (قال معناه كراهة أن تميد بهم أو تكون لا تحذير لئلا من الالباس) قال أحمد وأولى من هذين الوجهين ان يكون من قولهم أعددت هذه الخشبة ان تميل الحائط فادعمه قال سيبويه ومعناه ان ادعم الحائط اذا مال وانما قدم ذكر الميل اهتماما بشأنه ولانه أيضا هو السبب في الادعام والادعام سبب في اعداد الخشبة فما ل سبب السبب معاملة السبب وعليه حمل قوله تعالى ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى ٤٥ كذلك ما نحن فيه يكون

قيل كانتا دون كن لان المراد جماعة السموات وجماعة الارض ونحوه قولهم لقامان سودا وان أي جماعتان فعل في الضمير نحو ما فعل في الظهر (فان قلت) متى رأوهما رتقا حتى جاء تقريرهم بذلك (قلت) فيه وجهان أحدهما أنه وارد في القرآن الذي هو معجزة في نفسه فقام مقام المرئي المشاهد والثاني أن تلاصق الارض والسماء وتباينهما كلاهما جائز في العقل فلا بد للتباين دون التلاصق من مخصص وهو القديم سبحانه (وجعلنا) لا يخلو أن يتعدى الى واحد أو اثنين فان تعدى الى واحد فالمعنى خلقنا من الماء كل حيوان كقوله والله خلق كل دابة من ماء أو كأنما خلقنا من الماء لفرط احتياجه اليه وحبه له وقلة صبره عنه كقوله تعالى خلق الانسان من عجل وان تعدى الى اثنين فالمعنى صيرنا كل شيء حي بسبب من الماء لا بد له منه ومن هذا نحو من في قوله عليه السلام ما أنعم دد ولا الدد مني وفرق حيلو هو المفعول الثاني والظرف لغو * أي كراهة (أن تميد بهم) وتضطرب أولئلا تميد بهم فحذف لا واللام وانما جاز حذف لا لعدم الالباس كما تزاد لذلك في نحو قوله لئلا يعلم وهذا مذهب الكوفيين * الفج الطريق الواسع (فان قلت) في الفجاج معنى الوصف فلما قدمت على السبل ولم تؤخر كان في قوله تعالى لتسلكوا من لبس الحق بالباطل (قلت) لم تقدم وهي صفة ولكن جعلت حالا كقوله * لمية موحشا طلل قديم * (فان قلت) ما الفرق بينهما من جهة المعنى (قلت) أحدهما الاعلام بانه جعل فيها طرقا واسعة والثاني بانه حين خلقها خلقها على تلك الصفة فهو بيان لما أبهم مما محفوظا حفظه بالامساك بقدرته من أن يقع على الارض ويترك أو بالشهب من مسترقي الشياطين على سكانه من الملائكة (عن آياتها) أي عما وضع الله فيها من الادلة والعبر بالشمس والقمر وسائر النيرات وسايرها وطلوعها وغروبها وعلى الحساب القويم والترتيب العجيب الدال على الحكمة البالغة والقدرة الباهرة وأي جهل أعظم ممن جعل من أعرض عنها ولم يهتد بهديها ولم يعتبر بها والاعتبار بها والاستدلال على عظمة شأن من أوجدها من عدم ودبرها ونصبها هذه النصبة وأودعها ما أودعها لا يعرف كنهه الا هو عزت قدرته ولطف علمه وفرق عن آياتها على التوحيد اكتفاء بالواحدة في الدلالة على الجنس أي هم مقطوعون لبارد عليهم من الماء عن المنافع الدينية كالاستضاءة بنورها والاهتداء بكوكبها وحياة الارض والحيوان بامطارها * وهم عن كونها آية بينة على الخالق (معرضون) * كل التنوين فيه عوض من المضاف اليه أي كلهم (في فلك يسبحون) والضمير للشمس والقمر والمراد بهما جنس الطوالع كل يوم وليلة جعلوها هنا مذكرا وفي قوله والشمس تجري جعلوها مؤنثا على ارادة الشموس والاقمار والا فالشمس واحد والقمر واحد وانما جعل الضمير والفعل الواقعين بعلمهم وهو السباحة (فان قلت) الجملة ما محلها (قلت) محل النصب على الحال من الشمس والقمر (فان قلت) كيف استبدهما دون الليل والنهار بنصب الحال عنهما (قلت) كما تقول رأيت زيدا وهندا متبرجة ونحو ذلك اذا جئت بصفة تخص بها بعض ما تعلق به العامل ومنه قوله تعالى في هذه السورة وهو بيناك احق ويعقوب نافلة أولا محل لها لاستئنافها (فان قلت) لكل واحد من القمرين فلك على حدة فكيف قيل جميعهم يسبحون في فلك (قلت) هذا كقولهم كساهم الامير حلة وقلدهم سيفا أي كل واحد منهم أو كساهم وقلدهم هذين الجنسين فاكتفى بدليل على الجنس اختصارا ولان الغرض الدلالة على الجنس * كانوا يقدرون أنهم يموتون فيشمتون بموته

الاصل وجعلنا في الارض رواسي لاجل ان تميد بهم اذا مادت بهم فجعل الميد هو السبب كما جعل الميل في المثل المذكور سببا وصار الكلام وجعلنا في الارض رواسي ان

وجعلنا في الارض رواسي ان تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفائن مت فهم الخالدون كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير

تميد فتتبترا حذف قوله فتتبترا لان في الالباس ايجازا واختصارا وهذا التقرير أقرب الى الواقع مما أول الزمخشري الآية عليه فان مقتضى تأويله أن لا تميد الارض بأهلها لان الله كره

ذلك ومكروه الله تعالى محال ان يقع لان مراده واجب ان يقع والمشاهد خلاف ذلك فكم من زلزلة مادت بها الارض وكادت تنقلب عليها فاهلها وأما على تقرير ما قلناه من ان الله تعالى انما ثبت الارض بالجبال اذا مادت وهذا لا يأبى وقوع الميد كما ان قوله ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى لا يأبى وقوع الضلال والنسيان من احداهما لكنه مديسة عنه بالتثبيت وكذلك الواقع من الزلازل انما هو كالجمعة ثم يثبتها الله تعالى

*قوله تعالى آلهتكم الذي يذكر آلهتكم (قال في الذكر يكون بخير وبخلافه فاذا أطلق فيه الذكر ينصرف فان كان الذاكر يحقد عليهم منه الخير وان كان يحقد عليهم منه الذم) قال أحمد وكذلك القول ومنه قول موسى عليه السلام أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا ولا يفلح الساحر أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا (٤٦) هذا وانما جعله معمولا للقول ومحكيا به لانهم قصدوا القول بانه سحر فقالوا ان هذا لسحر

فنفى الله تعالى عنه الشماتة بهذا أي قضى الله أن لا يخلد في الدنيا بشرا فلا أنت ولا هم الا عرضة للموت فاذا كان الامر كذلك فان مت أنت أبقى هؤلاء وقى معناه قول القائل

فقل للشامتين بنا أفيقوا * سيلقى الشامتون كما لقينا

*أي تختبركم بما يجب فيه الصبر من البلايا وبما يجب فيه الشكر من النعم والينا مرجعكم فنجازيكم على حسب ما يوجد منكم من الصبر أو الشكر وانما سمي ذلك ابتلاء وهو عالم بما سيكون من أعمال العاملين قبل وجودهم لانه في صورة الاختبار * (وفتنة) مصدر مؤكد لنبلوكم من غير لفظه * الذكر يكون بخير وبخلافه فاذا دلت الحال على أحدهما أطلق وان لم يقيد كقولك للرجل سمعت فلانا يذكرك فان كان الذاكر صديقا فهو ثناء وان كان عدوا فهو منه قوله تعالى سمعناه يقول يذكرهم وقوله (أهذا الذي يذكر آلهتكم) والمعنى انهم ما كانوا يكتفون على ذكر آلهتهم بسوء بل ما يجب أن لا تذكر به من كونهم شفعاء وشهداء ويسوءهم أن يذكرها ذاكر بخلاف ذلك وأما ذكر الله وما يجب أن يذكر به من الوحدانية فهم به كافرون لا يستحقون بها صلاة فهم أحق بأن يحتقروا هزؤا منك فانك محق وهم مبطلون وقيل معنى يذكر الرحمن قولهم ما نعرف الرحمن الا مسيلمة وقولهم وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وقيل يذكر الرحمن عما أنزل عليك من القرآن والجملة في موضع الحال أي يتخذونك هزؤا وهم على حال هي أصل الهزء والسخرية وهي الكفر بالله * كانوا يستعجلون عذاب الله وآياته المخوفة على الهزء والاقتراح (ويقولون متى هذا الوعد) فأراد نهيهم عن الاستعجال وزجرهم فقدم ما يدل الانسان على افراط الجهل وأنه مطبوع عليه أي فلا تستعجلوني فانكم لجهلكم تطلبون ما فيه هلاككم وهو طبعكم وسجيتكم وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه أراد بالانسان آدم عليه السلام أي سأريكم آياتي فلا تستعجلون بها وقيل أراد أن يتوعدهم وروي أنه لما دخل الروح في عينه نظر الى ثمار الجنة ولما دخل جوفه اشتهى الطعام وقيل خلقه الله تعالى في آخر النهار يوم الجمعة قبل غروب الشمس فلما بلغ الى عنقه قبل مغيبها وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه النضر بن الحرث والظاهر أن المراد الجنس وقيل العجل لطيش خلقه جعل وكأن شأنهم هو العجل من بين سائر الحيوانات والعجل * والله أعلم بحقيقة (كان ذلك) لهم أهون من الاستعجال مع قوله خلق الانسان من عجل وقوله وكان الانسان عجولا أليس هذا من تكاليف الاطاقات (قلت) هذا لا ركب فيه الشهوة وأمر بأن يقلبها لانه أعطاه القدرة التي يستطيع بها قمع الشهوة وترك العجلة وفي خلق الانسان * جواب لو يحذوف ومعنى مشغولين بأنفسهم أي لو يعلمون الوقت الذي يستعجلون عنه لعلموا أنهم هم هذا الوعد وهو وقت حسي شديد يحيط بهم فيه النار من وراء وقدام فلا يقدرون على دفعها ولا هم ينصرون ثم أضرب عن تنصيرهم فقال بل تأتيهم الصفة من الكفر والاستهزاء والاستعجال ولكن جهلهم هو الذي هوّن عندهم وهو يسوءهم أن يكون (بغتة) مفاجأة لا تعلمونه بمعنى لو كان معلوما لهم كما كان معلوما لنا لما استعجلوا ومن منعوه معرفة حين (لا يكفون عن وجوههم النار) معلوم لهم كما كان معلوما لنا ولكنهم في غمرة من هذا الجهل العظيم أي لا يكفونها بل * وجوههم فتطلبهم * بقال لفلان فاجأه وبغته وبغت منه هيبة الذي كفر أن طلب ابراهيم عليه السلام الكافر وقرأ الاعمش بالتاء لتأنيث البغتة (فتبهتهم) فتحيرهم بالبناء للمفعول من بهته اذا حيره والضمير للوعد أو للبغتة (فلا يستطيعون ردها) لا يقدرون على دفعها (ولا هم ينظرون) يمهلون ليتوبوا أو يعتذروا (ولقد استهزئ برسل من قبلك) تسلية له وتهديد لقومه (فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون) أي نزل بهم وأحاط وعاد وبال استهزائهم عليهم (قل من يكلؤكم بالليل والنهار)

وهم يعرفون أهذا الذي يذكر آلهتكم بكل سوء لا يهم استفهموا حكاية ما يقولون لبني من التسفيه في آلهتهم ورميهم الاسماع عن التصور لا تسمع ولا تبصر ولا تعقل ما هو المراد بالاشارة الذكورة كما يحاشى المؤمن من حكاية كلام الكفر فيروي للبالغة بهم المقصود بطريق التعريض فسبحان من أخلاهم حتى تأدبوا مع الاوثان وأساؤا الادب مع الرحمن

* سلى

*سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزائهم به بأن له فى الانبياء عليهم السلام اسوة وأن سابغة لونه به يحيق بهم كما حاق بالمستهزئين بالانبياء عليهم السلام ما فعلوا (من الرحمن) أى عن بأسه وعذابه (بل هم) معرضون عن ذكره لا يخطر ونه ببالهم فضلا أن يخافوا بأسه حتى انذروا منه عز وأن من الكلاءة وصلة السؤال عنه والمراد أنه أمر رسوله عليه الصلاة والسلام بسؤالهم عن الكلاءة ثم بين أنهم لا يصلون لذلك لاعراضهم عن ذكره من يكلؤهم ثم أضرب عن ذلك وقال أم من معنى بل وقال (أم لهم آلهة تمنعهم) من العذاب تحاوز منعا وحفظا نا * ثم استأنف فقال ليس شئ قادرا على نصر نفسه ومنعها ولا يحمون من الله بالنصر والتأييد كيف يمنع غيره وينصره * ثم قال بل ساهم فيه من الحفظ والكلاءة الذى هو منا لامن مانع يمنعهم من اهلاكنا وما كلأناهم وآباءهم الماضين الا متعناهم بالحياة الدنيا وامهلناهم الا كما متعنا غيرهم من الكفار وأمهلناهم (حتى طال عليهم) الامد واستدت بهم أيام الروح والطمأنينة فحسبوا أن لا يزال الوا على ذلك لا يغلبون ولا ينزع عنهم ثوب أمنهم واستمتاعهم وذلك طمع فارغ وأمل كاذب (أفلا يرون انا) نفتح أرض الكفر ودار الحرب ونحدث أطرافها بتسليط المسلمين عليها واظهارهم على أهلها وردها دار اسلام (فان قلت) أى فائدة فى قوله (نأتى الارض) (قلت) الفائدة فيه تصوير ما كان الله يجريه على أيدى المسلمين وأن عساكرهم وسراياهم كانت تغزو أرض المشركين وتأتيها غالبة عليها قاهرة لمن أطرافها * قرئ (ولا يسمع الصم) ولا تسمع الصم بالتاء والياء أى لا تسمع أنت الصم ولا يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يجمع الصم من أسمع (فان قلت) الصم لا يسمعون دعاء المشرك كالا يسمعون دعاء المسلم فكيف قيل (اذا ما ينذرون) (قلت) اللام فى الصم اشارة الى هؤلاء المنذرين كأنه قيل ولا تسمع هؤلاء الصم النداء ولا يسمعون اذا ما ينذرون فوضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على تصامهم وسدهم أحماعهم اذا انذروا أى هم على هذه الصفة من الجراءة والجسارة على التصام من آيات الانذار (ولئن مستهم) من هذا الذى يمتد ون به أدنى نفح لا عترفوا وذلوا ولأقروا بأنهم ظلموا أنفسهم حين تصاموا وأعرضوا وفى المس والنفحة دلالة على القلة لان النفحة معنى القلة والمس الدنو منه والذوق تعتمد الذائقة وهو نوع يسير وشئ يعطى قدر ضعف ابتلاء المرة * ونصب (الموازين) بالقسط وهو العدل مبالغة كأنها فى أنفسها قسط أو على حذف المضاف أى ذوات القسط واللام فى (ليوم القيامة) مثلها فى قولك جئته لخمس ليال خلون من الشهر ومنه بيت النابغة

ترمت آيات لها غيرتها * استة أعوام وذا العام سابع

وقيل لأهل يوم القيامة أى لاجلهم (فان قلت) ما المراد بوضع الموازين (قلت) فيه قولان أحدهما ما دل الحساب السوى والجزاء على حسب الاعمال بالعدل والصفة من غير أن يظلم أحد مثقال ذرة فقل ذلك وضع الموازين التى توزن بها الاوزان والثانى أنه يضع الموازين الحقيقية فيؤزن بها الاعمال عن الحسن هو ميزان له كفتان ولسان * وروى أن داود عليه السلام سأل ربه أن يريه الميزان فلما أتى عليه ذهل فأتاه ملك بالهى من الذى يقدر أن يملأ كفته حسنات فقال يا داود انى اذا رضيت عن عبدى ملأتها تمرة (فان قلت) كيف توزن الاعمال وأعراض (قلت) فيه قولان أحدهما أن توزن صحائف الاعمال والثانى تجعل فى كفة الحسنات جواهر بيض مشرقة وفى كفة السيآت جواهر سود مظلمة * وقرئ (مثقال حبة) على كان التامة كقوله تمانين وان كان ذو عسرة * وقرأ ابن عباس وحبة خردل (آتينا بها) وهى من كلام الاتيان بمعنى المجازاة والمكافاة لانهم أتوه بالاعمال وأتاهم بالجزاء * وقرأ حميد أتينا بها على لفظ الاتيان فى حرف أبى حيثما وأثبت ضمير المثقال لاضافته الى الحبة كقولهم ذهبت بعض أصابعه * أى أتينا بها (الفرقان) وهو التوراة (و) أتينا به (ضياء وذكرا للمتقين) والمعنى أنه فى نفسه ضياء وذكر وأو أتينا هما بما فيه من الشرائع والمواعظ ضياء وذكرا * وعن ابن عباس رضى الله عنهما الفرقان الفتح كقوله يوم الفرقان وعن الضحاك فلق البحر وعن محمد بن كعب المخرج من الشبهات * وقرأ ابن عباس ضياء بغير واو وهو حال من الفرقان والذكر الموعظة أو ذكرا يحتاجون اليه فى دينهم ومعاشهم أو الشرف * محل (الذين) مرفع

من الرحمن بل هم عن ذكره معرضون أم لهم آلهة تمنعهم دوننا لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يصحبون بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر أفلا يرون أنا نأتى الارض ننقصها من أطرافها أفهم الغالبون قل انما أنذركم بالوحى ولا يسمع الصم الدعاء اذا ما ينذرون ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون

الوصفية أو نصب على المدح أو رفع عليه (وهذا ذكر مبارك) هو القرآن وبركته كثرة منافعه وغزارة خيره * الرشد الاهتداء لوجوه الصلاح قال الله تعالى فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم * وقرئ رشده والرشد والرشد كالعدم والعدم ومعنى اضافته اليه أنه رشد مثله وأنه رشد له شأن (من قبل) أي من قبل موسى وهرون عليهما السلام * ومعنى علمه به أنه علم منه أحواله الابدية وأسراره الخفية وصفات قدسها وأحمدها حتى أهله لخلافته وخاصته وهذا كقولك في خبر من الناس أنا عالم بفلان فتكلمك هذا من الاحتواء على محاسن الاوصاف بمنزل (اذ) اما أن يتعلق بآتينا أو برشده أو بمحذوف أي اذكر من أوقات رشده هذا الوقت * قوله (ما هذه التماثيل) تجاهل لهم ترتغاب لصغر آلهتهم وتصغير شأنها مع علمه بتعظيمهم واجلالهم لها * لم ينو لها كائنين معمولا وأجراه مجرى مالا يتعدى كقولك فاعلون العكوف لها أو واقفون لها (فان قلت) هلا قيل عليها كائنون كقولك تعالى يعكفون على أصنام لهم (قلت) لو قصد التعدية لعداه بصلته التي هي على * ما أقبح التقليد والقول المتقبل بغير برهان وما أعظم كيد الشيطان للمقلدين حين استدرجهم الى أن قلدوا آباءهم في عبادة التماثيل وعفروا لها جباههم وهم معتقدون أنهم على شئ وجادون في نصرة مذهبهم ومجادلون لاهل الحق عن باطلهم وكفى أهل التقليد سبة أن عبدة الاصنام منهم (أنتم) من التأكيد الذي لا يصح الكلام مع الاخلال به لان العطف على ضمير هو في حكم بعض الفعل كضرب وقتل ونحوه اسكن أنت وزوجك الجنة أراد أن المقلدين والمقلدين جميعا مفرطون في سلك ضلال لا يجفى على من به أدنى مسكة لاستناد الفريقين الى غير دليل بل الى هوى متبع وشيطان مطاع * لاستبعادهم أن يكون ما هم عليه ضلالا بقوا مستجمعين من تضليلهم اياهم وحسبوا أن ما قاله انما قاله على وجه المزاح والمداعبة لا على طريق الجد فقالوا له هذا الذي جئتنا به أهو جد وحق أم لعب وهزل * الضمير في (فطرهن) للسموات والارض أو للتماثيل وكونه للتماثيل أدخل في تضليلهم وأثبت للاحتجاج عليهم * وشهادته على ذلك ادلاؤه بالحجة عليه وتحصيلها كما تصحح الدعوى بالشهادة كأنه قال وأنا أبين ذلك وأبرهن عليه كما تبين الدعاوى بالبينات لاني لست مثلكم فأقول مالا أقدر على اثباته بالحجة كالمقلد واعلى الاحتجاج لمذهبكم فلم تزيدوا على انكم وجدتم عليه آباءكم * قرأ معاذ بن جبل بالله * وقرئ تولوا بمعنى تتولوا ويقويها قوله فتولوا عنه مدبرين (فان قلت) ما الفرق بين الباء والتاء (قلت) ان الباء هي الاصل والتاء بدل من الواو المبدلة من الباء فهما زيادة معنى وهو التعجب كأنه تعجب من تسهل الكيد على يده وتأتيه لان ذلك كان أمرا معتوطا منه لصعوبته وتعذره ولسري ان مثله صعب متعذر في كل زمان خصوصا في زمن نمرود مع عتوه واستكباره وقوة سلطانه وتهالكه على نصرة دينه ولكن اذا اللهتسخى عقد شئ يسيرا روى أنه لما خرج به في يوم عيدهم فبدؤا بين الاصنام فدخلوه وسجدوا لها ووضعوا بينها الطعام وخرجوا به معهم وقالوا الى ان نرجع ركعت الآلهة على طعامنا فذهبوا وبقي ابراهيم فنظر الى الاصنام وكانت سبعين صنما مصطفة وثم صنم عظيم مستطيل الباب وكان من ذهب وفي عنقه جوهر ثمان تضيأ ان بالليل فكسرها كلها بفأس في يده حتى اذا لم يبق الا الكبير علق الفأس في عنقه عن قتادة قال ذلك سرا من قومه وروى سمعه رجل واحد (جذاذا) قطاما من الجذ وهو القطع وقرئ بالكسر والفتح وقرئ جذاذا جمع جذيذ وجذاذ جمع جذة * وانما استبقى الكبير لانه غلب في ظنه أنهم لا يرجعون الا اليه فلا تسامحوه من انكاره عليهم وسببه لانهم فيكتهم عما أجاب به من قوله بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم وعن الكلبي (اليه) الى كبيرهم ومعنى هذا لعلهم يرجعون اليه كما يرجع الى العالم في حل المشكلات فيقولون له ما هؤلاء معكسورة وما لك صحيحا والفأس على عاتقك قال هذا بناء على ظنهم الخرب وذاك من مكابرتهم لعقولهم واعتقادهم في آلهتهم وتعظيمهم لها أو قاله مع علمه أنهم لا يرجعون اليه استهزاء بهم واستجهالا لاوان قياس حال من يعجله ويؤهله للعبادة أن يرجع اليه في حل كل مشكل (فان قلت) فاذا رجعوا الى الصنم بكابرتهم لعقولهم ورسوخ الاشراك في أعماقهم فأي فائدة دينية في رجوعهم اليه حتى يجعله ابراهيم صلوات الله عليه غرضا

وهذا ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين اذ قال لابيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين قال بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين وتالله لاكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين

(قلت)

(قلت) اذا وجهوا اليه تبين أنه عاجز لا ينفع ولا يضر وظهر أنهم فى عبادته على جهل عظيم * أى ان من فعل هذا الكسر والحطم لشديد الظلم معدود فى الظلمة اما لجرأته على الآلهة الحقيقة عندهم بالتوقير والاعظام واما لانهم رأوا فى افراطه فى حطمها وتمادياه فى الاستهانة بها (فان قلت) ما حكم السلبين بعد (سمعنا فتى) وأى فرق بينهما (قلت) هما صفتان لفتى الا أن الاول وهو (يذكرهم) لا بد منه لسمع لانك لا تقول سمعت زيدا وتسكت حتى تذكر شيأ مما سمع وأما الثانى فليس كذلك (فان قلت) (ابراهيم) ما هو (قلت) قيل هو خبر مبتدا محذوف أو منادى والصحيح أنه فاعل يقال لان المراد الاسم لا المسمى (على أعين الناس) فى محل الحال يعنى معاينا مشاهدا أى عبر أى منهم ومنظر (فان قلت) فما معنى الاستعلاء فى (قلت) هو وارد على طريق المثل أى يثبت اتيانه فى الاعين ويتمكن فيها ثبات الراكب على المركوب وتمكنه منه (لعلهم يشهدون) عليه بما سمعوا منه وبما فعله أو يحضرون عقوبته الله * روى أن الخبر بلغ نمروذ وأشراف قومه فأسفوا باحضاره

*هذا من معاريض الكلام ولطائف هذا النوع لا يتغلغل فيها الا أذهان الراضة من علماء المعانى والقول فيه أن قصد ابراهيم صلوات الله عليه لم يكن الى أن ينسب الفعل الصادر عنه الى الصنم وانما قصد تقريره لنفسه واثباته لها على أسلوب تعريضى يبلغ فيه غرضه من الزامهم الحجة وتبكيتهم وهذا كما لو قال لك صاحبك وقد كتبت كتابا بخط رشيق وأنت شهير بحسن الخط أأنت كتبت هذا وصاحبك أعمى لا يحسن الخط ولا يقدر الا على خربشة فاسدة فقلت له بل كتبته أنت كان قصدك بهذا الجواب تقرير ذلك مع الاستهزاء به لا نفيه عنك واثباته للاعمى أو الخربش لان اثباته والامر دائر بينكما لما جاز منكما استهزاء به واثبات القادر والعاقل أن يقول غاظنه تلك الاصنام حين أبصرها معطلة عن آلته وكان غيظ كبيرها أكبر وأشد فلما رأى من زيادة تعظيمهم له فاسند الفعل اليه لانه هو الذى سبب لاستهانتهم بها وحطمه فاما الفعل كما يسند الى مباشره يسند الى الفاعل عليه ويجوز أن يكون حكاية قالها قوم الى تحويز منهم كأنه قال لعلهم يشاهدون أن يفعله كبيرهم فان من حق من يعبد ويدعى الغيب أن يقدر على هذا وأشد منه ويحكى أنه قال فعله كبيرهم هذا غضب أن تعبد معه هذه الصغار وهو أكبرها * وترأشد من السمع فعله كبيرهم يعنى فعله أى فاعل الفاعل كبيرهم * فلما التئم الخبر وأخذ بعضهم يرجع الى بعض قالوا أنتم الظالمون على الحقيقة لا من ظلمتموه حين تلتم من فعل هذا الا لهتنا انه لمن الظالمين * نكسته فانتكست فجعلت أسفله أعلاه وانتكس انقلب أى استقاموا حين رجعوا الى أنفسهم وجاءوا بالفكرة الصالحة ثم انتكسوا وانقلبوا من تلك الحالة فأسندوا فى الجادلة الباطل والمكابرة وان هؤلاء مع تقاصر حالهم عن حال الحيوان الناطق لهم معبودة مضارة نهم أو انتكسوا عن كونهم مجادلين لابراهيم عليه السلام مجادلين عنه حين نفوا عنها القدرة على النطق أو قلبوا على رؤسهم حقيقة لفرط اطراقهم تحسرا وانتكسوا راجعين الاصنامهم به ابراهيم عليه السلام فيما أخبروا به الاصنام وجعلوه حجة عليهم وقرئ نكسوا بالتشديد ونكسوا على لفظ ما سمى فاعله أى نكسوا أنفسهم على رؤسهم ثم أبعد رضوان بن عبد المعبود (أف) صوت اذا صوت به على أن صاحبه متضجر أضجره ما رأى من ثباتهم على عبادتها بعد انقطاع عذرهم وبعد وضوح الحق وزهوق الباطل فتأفف بهم وباللام لبيان المتأفف به أى لكم ولآلهتكم هذا التأفف * أجمعوا أمرهم فاغلبوا بها كاده وهكذا المبطل اذا قرعت شبهته بالحجة وافتضح لم يكن أحد أبغض اليه من الحق ولم يبق له مفزع الا استصفته كما فعلت قريش برسول الله صلى الله عليه وسلم حين عجزوا عن المعارضة والذى أشار بالحراقة فيروذ وعن ابن عمر رضى الله عنهما رجل من أعراب العجم يريد الاكراد وروى أنهم حين هموا بالحراقة حبسوه ثم خوابتا كالخابية بكوثا وجمعوا شهرا أصناف الحشب الصلاب حتى ان كانت المرأة لتمرض فتقول ان عافانى الله لاجمعن حطبا لابراهيم عليه السلام ثم أشعلوا نارا عظيمة كادت الطير تحترق فى الجو من وهجها ثم وضعوه فى المنجنيق مقيدا مغلولا فرموا به فيها فتلقاها جبريل عليه السلام (يا نار كونى بردا وسلاما) وحكى ما أحرقت منه الا وثاقه وقال له جبريل عليه السلام حين رمى به هل لك حاجة فقال أما اليك فلا قال فسل ربك قال

قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم ان كانوا ينطقون فرجعوا الى أنفسهم فقالوا انكم أنتم الظالمون ثم نكسوا على رؤسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيأ ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم

حسبي من سؤالي عليه بحالي وعن ابن عباس رضي الله عنه انما نجا بقوله حسبي الله ونعم الوكيل وأطل عليه نمروذ من الصرح فاذا هو في روضة ومعه جليس له من الملائكة فقال اني مقرب الى الهك فذبح أربعة آلاف بقرة وكف عن ابراهيم وكان ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه اذذاك ابن ست عشرة سنة واختار والمعاقبة بالنار لانها أهول ما يعاقب به وأفظعه ولذلك جاء لا يعذب بالنار الا خالقها ومن ثم قالوا (ان كنتم فاعلين) أي ان كنتم ناصرين آلهتكم نصرا مؤزرا فاختاروا له أهول المعاقبات وهي الاحراق بالنار والافرطتم في نصرتها ولهذا عظموا النار وتكلفوا في تشهير أمرها وتفخيم شأنها ولم يألوا جهدا في ذلك جعلت النار لطاعتها فعل الله واراده كأمور أمر شيئا فامتثله والمعنى ذات برد وسلام فبولغ في ذلك كان ذاتها برد وسلام والمراد بردي فيه مثل ابراهيم أو اربدي بردا غير ضار * وعن ابن عباس رضي الله عنه لولم يقل ذلك لاهلكته برودها (فان قلت) كيف بردت النار وهي نار (قلت) نزع الله عنها طبعها الذي طبعها عليه من الحر والاحراق وأبقاها على الاضاءة والاشراق والاشتعال كما كانت والله على كل شيء قدير ويجوز أن يدفع بقدرته عن جسم ابراهيم عليه السلام أذى حرها ويديقه فيها عكس ذلك كما يفعل بحرقتهم ويدل عليه قوله (على ابراهيم) * وأرادوا أن يكيدوه ويمكروا به فما كانوا الا مغلوبين مقهورين غالبوه بالحجة فغلبه الله ولقنه بالبكت وفزعوا الى القوة والجبروت فنصره وقواه * نجيناه من العراق الى الشام وبركاته الواصلة الى العالمين أن أكثر الانبياء عليهم السلام بعثوا فيه فانتشرت في العالمين شرائعهم وآثارهم الدينية وهي البركات الحقيقية وقيل بارك الله فيه بكثرة الماء والشجر والثمر والخصب وطيب عيش المتنعم والفقير وعن سفيان أنه خرج الى الشام فقيل له الى أين فقال الى بلد علا فيه الجراب بدرهم وقيل ما من ماء عذب الا ينبع أصله من تحت الصخرة التي ببيت المقدس وروي أنه نزل بفلسطين ولوط بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة * لما قاله ولد الولد وقيل سأل اسحق فأعطيه وأعطي يعقوب نافلة أي زيادة وفضلا من غير سؤال (يهدون بأمرنا) فيه أن من صلح ليكون قدوة في دين الله فالهداية محتومة عليه مأمورة هو بها من جهة الله ليس له أن يخل بها ويتناقل عنها وأول ذلك أن يهتدي بنفسه لان الانتفاع بهداه أعم والنفوس الى الاقتداء بالمهدي أميل (فعل الخيرات) أصله أن تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات ثم فعل الخيرات * وكذلك اقام الصلاة وايتاء الزكاة (حكما) حكمة وهو ما يجب فعله أو فصلا بين الخصوم وقيل هو النبوة * والقرية سدوم أي في أهل رحمتنا أو في الجنة ومنه الحديث هذه رحمتي أرحم بها من أشاء (من قبل) من قبل هؤلاء المذكورين * هو نصر الذي عطاوعه انتصر ومعنى هذا يدعو على سارق الليل نصرهم منه أي اجعلهم منتصرين منه * والكرب الطوفان وما كان فيه من تكذيب قومه * أي واذكرها واذكر منها * والنفش الانتشار بالليل * وجمع الضميرلانه أراد هما والمتحاكمين اليهما وقرئ لحكمهما * والضمير في (ففهمناها) للحكومة أو الفتوى وقرئ فأفهمناها حكم داود بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمان عليه السلام وهو ابن احدى عشرة سنة غير هذا أرفق بالفريقين فمر عليه ليحكم فقال أرى أن تدفع الغنم الى أهل الحرث ينتفعون بألبانها وأولادها وأصوافها والحرث الى أرباب الشاء يقومون عليه حتى يعود كهيئته يوم أفسدتم يترادان فقال القضاء ما قضيت وأمضى الحكم بذلك (فان قلت) أحكما بوحي أم باجتهاد (قلت) حكما جميعا بالوحي الا أن حكومة داود نسخت بحكومة سليمان عليهما السلام وقيل استهد اجميعا فاء اجتهاد سليمان عليه السلام أشبه بالصواب (فان قلت) ما وجه كل واحدة من الحكومتين (قلت) أما وجه حكومة داود عليه السلام فلان الضرر لما وقع بالغنم سلمت بجنايتها الى المجني عليه كما قال أبو حنيفة رضي الله عنه في العبد اذا جنى على النفس يدفعه المولى بذلك أو يفديه وعند الشافعي رضي الله عنه يبيعه في ذلك أو يفديه ولعل قيمة الغنم كانت على قدر النقصان في الحرث ووجه حكومة سليمان عليه السلام أنه جعل الانتفاع بالغنم بازاء ما فات من الانتفاع بالحرث من غير أن يزول ملك المالك عن الغنم وأوجب على صاحب الغنم أن يعمل في الحرث حتى يزول الضرر والنقصان مثاله ما قال أصحاب الشافعي فيمن غصب عبدا فأبق من يده انه يضمن

ان كنتم فاعلين قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم وأرادوا به سوءا فجعلناهم الاخسرين ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلوة وايتاء الزكوة وكانوا لنا عابدين ولوطا آتيناه حكما وعلما ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث انهم كانوا قوم سوء فاسقين وأدخلناه في رحمتنا انه من الصالحين ونوحا اذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه وأهله من الكرب العظيم ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان

* قوله تعالى ولسليمان الريح عاصفة (قال ان قلت قد وصفت هذه الريح بانها رخاء وبانها عاصف فما وجه ذلك قلت ما هي الا جمعت ما وكانت في نفسها رخاء طيبة وفي سرعة حركتها كالعاصف) قال أحمد وهذا كما ورد وصف عصا موسى

القيمة فينتفع بها المغصوب منه بازاء ما فوته الغاصب من منافع العبد فاذا ظهر تراد (فان قلت) فلو وقعت هذه الواقعة في شريعتنا ما حكمها (قلت) أبو حنيفة وأصحابه رضي الله عنهم لا يرون فيه ضمانا بالليل أو بالنهار الا أن يكون مع البهيمة سائق أو قائد والشافعي رضي الله عنه يوجب الضمان بالليل وفي قوله ففهمناها سليمان دليل على أن الاصوب كان مع سليمان عليه السلام وفي قوله (وكلا آتينا حكما وعلما) دليل على أنهما جميعا كانا على الصواب (يسبحن) حال بمعنى مسبحات أو استئناف كان قائلا قال كيف صنعهن فقال يسبحن (والطير) اما معطوف على الجبال أو مفعول معه (فان قلت) لم قدمت الجبال على الطير (قلت) لان تسخيرها أعجب وأدل على القدرة وأدخل في الاعجاز لانها جماد والطير حيوان الا أنه غير ناطق روي أنه كان يمر بالجبال مسبحا وهي تجاوبه وقيل كانت تسير معه حيث سار (فان قلت) كيف تنطق الجبال وتسبح (قلت) بان يخلق الله فيها الكلام كما خلقه في الشجرة حين كلم موسى وجواب آخر وهو أن يسبح من رآها تسير بتسيير الله فلما حملت على التسبيح وصفت به (وكنا فاعلين) أي قادرين على أن نفعل هذا وان كان عجبا عندكم وقيل وكنا نفعل بالانبياء مثل ذلك * اللبوس اللباس قال * ألبس لكل حالة لبوسها * والمراد الدرع قال قتادة كانت صفائح وأول من سردها وحلقها داود فجمعت الخفة والتحصين (لتحصنكم) قرئ بالنون والياء والتاء وتخفيف الصاد وتشديدها فالنون لله عز وجل والتاء للصنعة واللبوس على تأويل الدرع والياء لداود وأولللبوس * قرئ الريح والرياح بالرفع والنصب فهما فالرفع على الابتداء والنصب على العطف على الجبال (فان قلت) وصفت هذه الرياح بالعصف تارة وبالرخاء أخرى فما التوفيق بينهما (قلت) كانت في نفسها رخية طيبة كالنسيم فاذا أمرت بكرسيه أدمجت به في مدة يسيرة على ما قال غدوها شهر ورواحها شهر فكان جمعها بين الامرين أن تكون رخاء في نفسها عاصفة في عملها مع طاعة سليمان وهبوبها على حسب ما يريد ويحتكم آية الى آية ومعجزة الى معجزة وقيل كانت في وقت رخاء وفي وقت عاصفا فهبوبها على حكم ارادته * وقد أحاط علمنا بكل شيء فجرى الاشياء كلها على ما يقتضيه علمنا وحكمتنا * أي يغوصون له في البحار فيستخرجون الجواهر ويتجاوزون ذلك الى الاعمال المهمة وبناء الدائر والقصور واختراع الصنائع العجيبة كما قال يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل * والله حافظهم أن يزيغوا عن أمره أو يستلوا أو يفتروا أو يوجد منهم فساد في الجملة فيعاقبهم مسخرون فيه * أي نادى بأني مسني الضر وقرئ اني بالكسر على اضمار القول أو لتضمن النداء معناه * والضر بالفتح الضر في كل شيء وبالضم الضر في النفس من مرض وهزال فرق بين البناءين لافتراق الجنسين ألطف في السؤال حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة وذكر ربه بغاية الرحمة ولم يصرح بالمطلوب ويحكى أن عبور ا نصحت لسليمان بن عبد الملك فقالت يا أمير المؤمنين مسشت حوذان يعني على العصى فقال لها ألطفت في السؤال لا رحمنك ثم أمر بوثب الفهود ولا يبقيها حتى كان أيوب عليه السلام رمى امن ولد اسحق بن يعقوب عليهم السلام وقد استبطأه الله وبسط عليه الدنيا وكثر أهله وماله كان له سبعة بنين وسبع بنات وله أصناف البهائم وخمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد وتخيل فابتلاه الله بذهاب ولده انهدم عليهم البيت وتكلموا وبذهاب ماله وبالمرض في بدنه ثماني عشرة سنة وعن قتادة ثلاث عشرة سنة وعن مقاتل سبع سنين وسبعة أشهر وسبع ساعات وقالت له امرأته يوما لو دعوت الله فقال لها كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال أنا أستحيي من الله أن أدعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي فلما كشف الله عنه أحيا ولده ورزقه مثلهم وتوفي معهم وروى أن امرأته ولدت بعد ستة وعشرين ابنا * أي لرحمتنا العابدين وأنذكرهم الاحسان لانفسهم أو رحمة منا لايوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر حتى يثابوا كما أثيب في الدنيا والآخرة * قيل في ذي الكفل هو الياس وقيل زكريا وقيل يوشع بن نون وكأنه سمي بذلك لانه نذر الخطر من الله والمحدود على الحقيقة وقيل كان له ضعف عمل الانبياء في زمانه وضعف ثوابهم وقيل خمسة من الانبياء ذوو اسمين

وكلا آتينا حكما وعلما وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره الى الارض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك وكنا لهم حافظين وأيوب اذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين واسمعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين وأدخلناهم في رحمتنا انهم من الصالحين

نارة بانها جان وتارة بانها ثعبان والجان الرقيق من الحيات والثعبان العظيم الجاف

منها ووجه ذلك أنها جمعت الوصفين فكانت في خفتها وسرعة حركتها كالجان وكانت في عظم خلقها كالثعبان فوفى كل واحد من الريح والعصا على هذا التقرير معجزتان والله سبحانه وتعالى أعلم

* قوله تعالى فنفخنا فيه من روحنا (قال ان قلت نفخ الروح في الجسد عبارة عن احيائه وحينئذ يكون معناه فأحييناه مريم ويشكل اذ الف قلت معناه فنفخنا الروح في (٥٢) عيسى في مريم أي أحييناه في جوفها انتهى كلامه) قال أحمد وقد اختار الزمخشري في

اسرائيل ويعقوب الياس واليسع الكمل عيسى والمسيح يونس وذو النون محمد وآله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين (النون) الحوت فأضيف اليه بم بقومه لطول ماذكرهم فلما يذكروا وأقاموا على كفرهم فرأعهم وظن أن ذلك يسوغ حيث لم يفعله الاعضاء الله وثقة لدينه وبغضا للكفر وأهله وكان عليه أن يصابر ويتنظر الاذن من الله في المهاجرة عنهم فابتلى ببطن الحوت * ومعنى مغاضبته لقومه أنه أغضبهم بمفارقته لخوفهم حلول العقاب عليهم عند هاوقرأ أبو شرف مغضبا * قرئ نقدر ونقدر مخففا ومثقلا ويقدر بالياء للتخفيف ويقدر ويقدر على البناء للفعول مخففا ومثقلا وفسرت بالتضييق عليه وبتقدير الله عليه عقوبة وعن ابن عباس أنه دخل على معاوية فقال لقد ضربتني أمواج القرآن البارحة فغرقت فيها فلم أجد لنفسي خلاصا الا بك قال وماهي ياامعاوية فقرأ هذه الآية وقال أو يظن نبي الله أن لا يقدر عليه قال هذا من القدر لا من القدرة والتخفيف يصح ان يفسر بالقدرة على معنى ان لن نعمل فيه قدرتنا وأن يكون من باب التمثيل بمعنى فكانت حاله تمثل بحال من ظن ان لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لاذن الله ويجوز أن نسبق ذلك الى وهمه بوسوسة الشيطان ثم يرده ويرده بالبرهان كما يفعل المؤمن الحقيق بنزغات الشيطان وما يوسوس اليه في كل وقت ومنه قوله تعالى وتظنون بالله الظنون والخطاب للمؤمنين (في الظلمات) أي في الظلمة الشديدة المتكاثفة في بطن الحوت كقوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات وقوله يخرجونهم من النور الى الظلمات وقيل ظلمات بطن الحوت والبحر والليل وقيل ابتلع حوته حوت أكبر منه فجعل في ظلمتي بطني الحوتين وظلمة البحر * أي بأنه (لا اله الا أنت) أو بمعنى أي عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له وعن الحسن ماظنك والله الا اقرار على نفسه بالظلم (ننجي) وننجي ونجي والنون لا ندغم في الجيم ومن نحمل لصحته نخفه فعل وقال نجي الجاء المؤمنين فأرسل الياء وأسنده الى مصدره ونصب المؤمنين بالجاء فتصدف بارد التصدف * سأل ربه ان يرزقه ولدا يرثه ولا يدعه وحيدا بلا وارث ثم رد أمره الى الله صنعا فقال (وأنت خير الوارثين) أي ان لم ترزقني من يرثني فلا أبالي فانك خير وارث * اصلاح زوجه ان جعلها صالحة للولادة بعد عقرها وقيل تحسين خلقها وكانت سيئة الخلق * الضمير للذكورين من الانبياء عليهم السلام يريد أنهم ما استحقوا الاجابة الى طلباتهم الا لمبادرتهم أبواب الخير ومسارعتهم في تحصيلها كما يفعل الراغبون في الامور الجادون * وقرئ (ترغبا ورهبا) بالاسكان وهو كقوله تعالى يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه (خاشعين) قال الحسن ذلا لا لص الله وعن مجاهد الخشوع الخوف الدائم في القلب وقيل متواضعين وسئل الاعمش فقال أما اني سألت ابراهيم فقال الا تدري قلت أفدني قال بينه وبين الله اذا أراني ستره وأغلق بابه فلم ير الله منه خيرا قلت ترى أنه أن يأكل خشنا ويلبس خشنا ويطأطئ رأسه (أحصنت فرجها) احصانا كليا من الحلال والحرام جميعا كما قالت ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا * (فان قلت) نفخ الروح في الجسد عبارة عن احيائه قال الله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي أي أحييته واذا ثبت ذلك كان قوله (فنفخنا فيها من روحنا) ظاهر الاشكال لانه يدل على احياء عيسى * (قلت) معناه نفخنا الروح في عيسى فيها أي أحييناه في جوفها ونحو ذلك أن يقول الزمار نفخت في بيت فلان أي نفخت في المزمار في بيته ويجوز أن يراد وفعلنا النفخ في مريم من جيبها روحنا وهو جبريل عليه السلام لانه نفخ في جيب درعها فوصل النفخ الى جوفها (فان قلت) هلا قيل آيتين كما قال وجعلنا الليل والنهار آيتين (قلت) لان حالهما مجموعة هما آية واحدة وهي ولادتها اياه من غير فحل * الامة الملة وهذه اشارة الى ملة الاسلام أي ان ملة الاسلام هي ملتكم التي يجب أن تكونوا عليها لا تعرفون غيرها شبه اشارة الى ملة واحدة غير مختلفة (وأنا) الحكم الله واحدا (فاعبدون) ونصب الحسن أمتكم على البدل من هذه ورفع أمة

قوله عز وجل اذ أوحينا الى أمك ما يوحى أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم فليلقه اليم بالساحل أن تكون

وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون وتقطعوا أمرهم بينهم كل الينا راجعون فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران

الضمائر ظاهر اراجعة الى موسى أما الاول فلا اشكال فيه وأما التابوت اذا قذف في اليم وموسى

فيه فقد قذف موسى في اليم وكذلك الثالث واختار غيره عود الضميرين الاخيرين الى التابوت لانه فهم من قوله فاقذفيه خبرا في اليم أن المراد التابوت وأما موسى فلم يقذف في اليم والزمخشري نزل قذف التابوت في اليم وموسى فيه منزلة قذفه في اليم وفي هذه الآية مصداق لما اختاره فان الله تعالى نزل نفخ الروح في عيسى لكونه في جوف مريم منزلة نفخ الروح في مريم فعبر عما يفهم ظاهر هذا

خبرا عنه وقعهما جميعا خبرين لهذه أو نوى للشافي مبتدأ والخطاب للناس كافة * والاصل وتقطعتم الى أن الكلام حرف الى الغيبة على طريقة الالتفات كانه ينعى عليهم ما أفسدوه الى آخرين ويقبح عندهم فعلهم ويقول لهم الآخرون الى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله والمعنى جعلوا أمر دينهم فيما بينهم قطعا كما يتوزع الجماعة الشيء ويقتسمونه فيطير لهذا نصيب ولذا نصيب تمثيلا لاختلافهم فيه وصيرورتهم فرقا واحزابا شتى * ثم توعدهم بأن هؤلاء الفرق المختلفة اليه يرجعون فهو يحاسبهم ويجازيهم * الكفران مثل في حرمان الثواب كما أن الشكر مثل في اعطائه اذا قيل للشكور وقد بقي في الجلس ليكون أبلغ من أن يقول فلا تكفروا سعيه (وانا له كاتبون) أي نحن كاتبون ذلك السعي ومثبتوه في صحيفة عمله وما نحن مثبتوه فهو غير ضائع ومثاب عليه صاحبه * استعير الحرام للممتنع وجوده ومنه قوله عز وجل ان الله حرمهما على الكافرين أي منعهما منهم وأبى ان يكونا لهم * وقرئ حرم وحرم بالفتح والكسر وحرم وحرم * ومعنى (أهلكناها) عزمنا على اهلاكها أو قدرنا اهلاكها * ومعنى الرجوع الرجوع عن الكفر الى الاسلام والاناية وجاز الآيتان فوضع عزم الله على اهلاكهم غير متوقع أن يرجعوا أو ينيبوا الى أن تقوم القيامة فحينئذ يرجعون ويقولون يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين يعني أنهم مطبوع على قلوبهم فلا يزالون على كفرهم ويتولون عليه حتى يروا العذاب وقرئ انهم لا يكفرون وحق هذا أن يتم الكلام قبله فلا بد من تقدير محذوف كأنه قيل وحرام على قرية أهلكناها ذلك وهو المذكور في الآية المتقدمة من العمل الصالح والسعي المشكور غير الكفور ثم علل فقيل انهم لا يرجعون عن الكفر فكيف لا يعتنم ذلك والقراءة بالفتح يصح حملها على هذا أي لانهم لا يرجعون ولا صلة على الوجه الاول (فان قلت) بم تعلقت (حتى) وافعة غايته له وآية الثلاث هي (قلت) هي متعلقة بحرام وهي غاية له لان امتناع رجوعهم لا يزول حتى تقوم القيامة وهي حتى التي تحكى بعدها الكلام والكلام المحكي الجملة من الشرط والجزاء أعني اذا وما في حيزها * حذف المضاف الى (يأجوج ومأجوج) وهو سدهما أو حذف المضاف الى القرية وهو أهلها وقيل فتحت كما قيل أهلكناها وقرئ آجوج وهما قبيلتان من جنس الانس يقال الناس عشرة أجزاء تسعة منها يأجوج ومأجوج (وهم) راجع الى الناس المسوقين الى المحشر وقيل هم يأجوج ومأجوج يخرجون حين يفتح السد * الحدب الشرف من الارض وقرأ ابن عباس رضي الله عنه من كل جدث وهو القبر الذي يجاوز به الفاء تعمية * وقرئ (ينسلون) بضم السين وفتحها وينسل أسرع و (اذا) هي اذا المفاجأة وهي تقع في الجزاء لفساد مسند الفاء كقوله تعالى اذا هم يقنطون فاذا جاءت الفاء معها تعلق تعلق وصل الجزاء بالشرط فيتأكد كقولك ان أهنتني فانا حصة أو فهي شاخصة كان سديدا (هي) ضمير مبهم توضحه الابصار وتفسره كما فسر الذين ظلموا أسروا (يا ويلنا) متعلق بمحذوف تقديره يقولون يا ويلنا ويقولون في موضع الحال من الذين كفروا (ما تعبدون من دون الله) يحتمل الاصنام وابليس وأعوانه لانهم بطاعتهم لهم واتباعهم خطواتهم في حكمهم عبثهم وبصدقه ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد وصناديد قريش في الحطيم وحول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فجلس اليهم وعرض له النضر بن الحرث فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أفحمه ثم تلا عليهم انكم وما تعبدون من دون الله الآية فأقبل عبد الله بن الزبعرى فمر بهم يتهامسون فقال فيم خوضكم فأخبره الوليد بن المغيرة بقول رسول الله فقال عبد الله أما والله لو وجدته لخصمته فدعوه فقال ابن الزبعرى أأنت قلت ذلك قال نعم قال قد خصمتك ورب الكعبة ألست اليهود عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح عبدوا الملائكة فقال صلى الله عليه وسلم بل هم عبدوا الشياطين التي أمرتهم بذلك فأنزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية يعني عزيرا والمسيح والملائكة عليهم السلام (فان قلت) لم قرنوا آلهتهم (قلت) لانهم لا يزالون اقرانهم في زيادة غمهم وحسرهم حيث أصابهم ما أصابهم بسببهم والنظر الى وجه العذاب ولانهم قد روا أنهم يستشفعون بهم في الآخرة ويستنقعون بشفاعتهم فاذا صادفوا الامر على عكس ما قدروا لم يكن شيء أنغص اليهم منهم

أسعيه وانا له كاتبون
وحرام على قرية أهلكناها
أنهم لا يرجعون حتى
اذا فتحت يأجوج
ومأجوج وهم من كل
حدب ينسلون واقترب
الوعد الحق فاذا هي
شاخصة أبصار الذين
كفروا يا ويلنا قد كنا
في غفلة من هذا بل كنا
ظالمين انكم وما تعبدون
من دون الله حصب
جهنم أنتم لها واردون
لو كان هؤلاء آلهة
ما وردوها وكل

* قوله تعالى كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين (قال فيه ان قلت ما أول الخلق حتى يعيده كما بدأه * قلت أول الخلق ايجاد من العدم وما أوجده أولا عن عدم يعيده ثانيا عن عدم) قلت أول الخلق ايجاد من هذا الذى ذكره ههنا فى ايعاد قد عاد به الى الحق ورجع عما قاله فى سورة مريم حيث (٥٤) فسر الاعادة بجمع المفرقة خاصة لا انه كدر صفوا تراقصا الحق بتفسيره قوله انا كنا فاعلين

فان قلت) اذا عبدت عبد تعبدون الاصنام فما معنى (ليهم ثم يقبر) (قلت) اذا كانوا هم واصنامهم فى قرن واحد جاز أن يقال لهم ذلك وان لم يكن الزائرون انفسهم دون الاصنام للتغليب ولعدم الالباس * والحصب الحصوب أى يحصب بهم فى النار والحصب الرمى وقرئ بسكون الصاد وصفا بالمصدر وقرئ حطب بضمتين بالتخفيف كرسل * وعن ابن مسعود يجعلون فى توابيت من نار ثم يرمون فى نار جهنم ويجوز أن يعمهم الله كلهم بالعذاب (الحسنى) الخصلة الفضلة فى الحسن تأنيث الاحسن أما السعادة وما أشبهها وأما التوفيق للطاعة وروى أن عليا رضى الله عنه قرأ هذه الآية ثم قال أنا منهم وأبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف ثم أتيت الصلاة فقام يجر رداءه وهو يقول (لا يسمعون حسيسها) والحسيس الصوت يحس * والشهوة طلب النفس اللذة * وقرئ (لا يحزنهم) من أحزن و (الفزع الاكبر) قيل النفخة الاخيرة بقوله تعالى يوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الارض وعن الحسن الانصراف الى النار وعن الضحاك حين يطبق على النار وقيل حين يذبح الموت على صورة كبش املح * أى استقبلهم (الملائكة) مهنئين على أبواب الجنة ويقولون هذا يوم ثوابكم الذى وعدكم فادخل * العامل فى (يوم نطوى) لا يحزنهم أو الفزع أو تتلقاهم هو وقرئ تطوى السماء على البناء للمفعول * (والسجل) وزن المثل والسجل لغط الدواة وروى فيه الكسر وهو الصحيفة أى كما يطوى الطومار للكتابة أى ليكتب فيه أو ليكتب فيه لان الكتاب أصله المصدر كالسلام ثم يوقع على المكتوب ومن جمع فمثاله الكتوبات أى ما يكتب فيه من المعانى الكثيرة وقيل السجل ملك يطوى كتب بنى آدم اذا رفعت اليه وقيل كاتب كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم والكتب على هذا بمعنى الصحيفة المكتوب فيها (أول خلق) مفعول نعيده الذى يفسره (نعيده) لا الكاف منصوبة بالمعنى نعيد أول الخلق كما بدأنا أى نفنيه الاعادة كالابداء فى تناول القدرة إياهما على السواء (فان قلت) وما أول الخلق حتى يعيده كبدأه (قلت) أوله ايجاده عن العدم فكما أوجده أولا عن عدم يعيده ثانيا عن عدم (فان قلت) ما بال خلق منكرا (قلت) هو كقولك هو أول رجل جاءنى تريد أول رجال ولكنك وحدته ونكرته ارادة تفصيلهم رجلا رجلا فكذلك معنى أول خلق أول الخلق بعنى أول الخلق لان الخلق مصدر لا يجمع ووجه آخر وهو أن يناسب الكاف فعل محذوف يفسره نعيده وما صوله أى نعيده مثل الذى بدأناه نعيده * وأول خلق ظرف لبدأناه أى أول ما خلق أو حال من ضمير المبدول الساغط من اللفظ الثابت فى المعنى (وعدا) مصدر مؤكد لان قوله نعيده عدة للاعادة (انا كنا فاعلين) أى قادرين على أن نفعل ذلك عن الشعبى رحمة الله عليه * زبورا داود عليه السلام * والذكر التوراة وقيل اسم لكتب ما أنزل على الانبياء من الكتب والذكر أم الكتاب بنى اللوح * أى يرثها المؤمنون بعد اهلاك الكفار كقوله تعالى وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وعن ابن عباس رضى الله عنهما أرض الجنة وقيل الارض المقدسة ترثها أمة محمد صلى الله عليه وسلم * الاشارة الى المذكور فى هذه السورة من الاخبار والوعد والوعيد والمواعظ البالغة * والبلاغ الكفاية وما تبلغ به البغية * أرسل صلى الله عليه وسلم (رحمة للعالمين) لانه ما عبد الله حق عبادته ولا عومل من الخلق حق معاملته ولم يتبع قط نبى أتى من عند نفسه بحيث ضبح بسببه ومماته أن نصر الله تعالى اياه بقدر ما يليق بأمثاله من رسله ومواليهم عباده فيظفرهم ويعليهم على أعدائهم من الناس ومن الشياطين ولكن الله سبحانه جعل نبوته فى أنفسها نعمة من الله ورحمة للعالمين ولكل الكملاء من أمته حظ

ولكن اعادة الاحياء على صورها الجسمية مؤقتة على ما تقتضيه الحكمة فى سورة يس والاكمون الراجعة لعلى

تفسير الفعل بأمر ان الله يوجد ما وعد به * مستقبل من عمد من عمل العمل على القدرة على فقد تقارب وهو ذلك فاعل بناء الفعل على ظاهر الامر لان الافعال المستقبلة التى علم الله وقوعها كالماضية فى أنها حقق فمن ثم عبر عن المستقبل بالماضى فى مواضع كثيرة من الكتاب العزيز والغرض الايذان بتحقيق وقوعه والله أعلم

على نفسه حيث حرمها ما ينفعها وقيل كونه رحمة للعباد من حيث ان عقوبتهم أخرت بسببه وأمنوا به عذاب الاستئصال * انما القصر لحكم على شئ أو لقصر الشئ على حكم كقولك انما زيد قائم وانما يقوم زيد وقد اجتمع المثالان في هذه الآية لان (انما يوحى الي) مع فاعله بمنزلة انما يقوم زيد و(أنما إلهكم إله واحد) بمنزلة انما زيد قائم وفائدة اجتماعهما الدلالة على أن الوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقصور على استئثار الله بالوحدانية وفي قوله فهل أنتم مسلمون أن الوحي الوارد على هذا النمط يوجب أن تخلصوا التوحيد لله وان تجعلوا الانذار وعيدا أن صفة الوحدانية يجب أن تكون طريقها السمع ويجوز أن يكون المعنى ان الذي يوحى الي فتكون ما موصولة * آذن استمع يقال من أذن لاعلم ولكنه كثر استعماله في الامر خبري الانذار ومنه قوله تعالى فأذنوا بحرب من الله ورسوله * وقول ابن حلزة

* آذنتنا ببينها أسماء * والذي أني بعدتوليكم واعراضكم عن قبول ما عرض عليكم من وجوب توحيد الله وتنزيهه عن الاشتراك والشركاء كما كرر جل بينه وبين أعدائه هدنة فأحس منهم بغدرة فنبذ اليهم أعهدتهم على السنة وأشاعه وآذنهم حتى يعلم ذلك (على سواء) أي مستوين في الاعلام بطرحكم عن أحد منهم وكاشف كلهم وقشر العصا عن حالها (ما توعدون) من غلبة المسلمين عليكم كائن لامحالة ولا بد من أن يحل بكم ذلك الله والصغار وان كنت لا أدري متى يكون ذلك لان الله لم يعلمني علمه ولم يطلعني عليه والله عالم لا يخفى عليه ما تجاهرون به من كلام الطاعنين في الاسلام (وما تكتمون) في صدوركم من الحسد والاغتياظ من المسلمين وهو مجازيكم عليه * وما أدري لعل تأخير عذابكم اختبار لكم كما يختبر المرء ولده بالشيء يأمره به ثم ينظر كيف تعملون ليتمتع لكم (الى حين) ليكون ذلك حجة عليكم وليتمتع الوعدي وقت هو فيه مكمة * قرئ (رب) وقال على حكايته قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و(رب احكم) على الالتفات بالكسر وربي أحكم بالضم وربي أحكم على أفعل التفضيل وربي أحكم من الاحكام أمر بالحكم بعد حكاية استعجال العذاب لقومه فمعنى (بالحق) الانتقام وشدد عليهم كما هو حقهم كما قال اشدد وطأتك على مضر * قرئ (تصفون) بالتاء والياء كانوا يصفون الحال على خلاف ما جرت عليه وكانوا يعلمون أن تكون لهم لشركهم والغلبة تكذب التطويم وتخيب آمالهم ونصر رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ونسائهم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ قترب للناس حسابهم حاسبه الله حسابا يسيرا وصافحه صلى الله عليه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القرآن

﴿سورة الحج مكية غير ست آيات وهي هذان خصمان الى قوله الى صراط الحميد وهي ثمان وسبعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* الزلزلة شدة التحريك والازعاج وأن يضاعف زلزلة الاشياء عن مقاديرها ومراكزها * ولا تخلو (الساعة) من أن تكون على تقدير الفاعلة لها كأنها هي التي تزلزل الاشياء على الجاز المشهور فتكون الزلزلة مصدرا مضافا الى فاعله أو على تقدير المفعول فيها على طريقة الاتساع في الظرف واجرائه مجرى المفعول به كقوله تعالى بل مكر الليل والنهار وهي الزلزلة المذكورة في قوله اذا زلزلت الارض زلزالها واختلف في وقتها فقيل الحسن أنها تكون يوم القيامة وعن علقمة والشعبي عند طلوع الشمس من مغربها * أخبرني آدم بالقوي ثم حال وجوههم اعلم بذكر الساعة ووصفها بأهول صفة لينظروا الى تلك الصفة بصائرهم وينصرفوا وهما بعقولهم حتى يتقوا على أنفسهم ويرحموها من شدائد ذلك اليوم بامتثال ما أمرهم به ونهاهم عن اتخاذ لباس التقوى الذي لا يؤمنهم من تلك الافزاع الا الآن ترددوا به وروى ان هاتين الآيتين نزلتا ليلا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فقرأهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى كثيرا كما هن تلك الليلة فلما أصبحوا لم يطوا السروج عن الدواب ولم يضربوا الخيام وقت النزول ولم يطبخوا قدرا وكانوا من حزين وباك ومفكر (يوم ترونها) منصوب بتذهل والضمير للزلزلة * وقرئ تذهل كل مرضعة على البناء للمفعول وتذهل كل مرضعة أي

على اعلامي يوحى الي اذا الهكم اله واحد فهل أنتم مسلمون فان قولا قل آذنتكم على سواء وان أدري أقريب أم بعيد ما توعدون انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون وان أدري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين قال رب احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون

﴿سورة الحج مكية وهي عشر وسبعون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شئ عظيم يوم ترونها تذهل كل

﴿القول فى سورة الحج﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شئ عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى (قال يقال مرضع على النسب ومرضعة على ان أصل اسم الفاعل) قال أحمد والفرق بينهما ان ورود ه على النسب لا يلاحظ فيه حدوث الصفة المشتق منها ولكن مقتضاه انه موصوف بها وعلى غير النسب يلاحظ حدوث الفعل (٥٦) وخروج الصفة عليه وكذلك هو فى الآية لقوله عما أرضعت فاخرج الصفة على الفعل

والحقه التاء (قال وقوله وترى الناس سكارى وماهم بسكارى أثبت لهم أولا السكر المجازى ثم نفى عنهم السكر الحقيقى) قال أحمد والعلماء يقولون ان من أدلة المجاز صدق

تذهلها الزلزلة والذهول الذهاب عن الامر مع دهشة * (فان قلت) لم قيل (مرضعة) دون مرضع (قلت) المرضعة التى هى فى حال الارضاع ملقمة ثديها الصبى والمرضع التى شانها أن ترضع وان لم تباشر الارضاع فى حال وصفها بذلك فقيل مرضعة ليدل على أن ذلك الهول اذا وجئت به هذه وقد ألقمت الرضيع ثديها انزعته عن فيه لما يلحقها من الدهشة (عما أرضعت) عن ارضاعها أو عن الذى أرضعته وهو الطفل وعن الحبلى تذهل المرضعة عن ولدها الغير فطام وتضع الحامل ما فى بطنها لغير تمام * قرئ (وترى) بالضم من أريتك قائما أورؤيتك قائما و (الناس) منصوب ومرفوع والنصب ظاهر ومن رفع جعل الناس اسم ترى وأنشد على تأويل الجماعة * وقرئ سكرى وبسكرى وهو نظير جوعى وعطشى فى جوعان وعطشان وسكارى وبسكارى نحو كسالى وبخالى وعن الاعمش سكرى وبسكرى بالضم وهو غريب والمعنى وتراهم سكارى على التشبيه وماهم بسكارى على التحقيق ولكن مارهقهم من خوف عذاب الله هو الذى أذهب عقولهم فهم لغيره أغير وردهم فى نحو حال من يذهب السكر بعقله وغيره وقيل وتراهم سكارى من الخوف وماهم بسكارى من الشراب (فان قلت) لم قيل أولا ترون ثم قيل ترى على الافراد (قلت) لان الرؤية أولا علقت بالزلزلة فجعل الناس جميعا رائين لها وهى معلقة أخيرا بكون الناس على حال السكر فلا بد أن يجعل كل واحد منهم رائيا لسائرهم * قيل نزلت فى النضر بن الحرث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقرآن أساطير الاولين والله غير قادر على احياء من بلى وصار ترابا وهى عامة فى كل من تعاطى الجدال فيما يتعلق بالله وما لا يجوز من الصفات والافعال ولا يرجع الى علم ولا يعين فيه بضرس قاطع وليس فيه اتباع للبرهان ولا نزول على النصفة فهو يخبط خبط عشواء غير فارق بين الحق والباطل (ويتبع) فى ذلك خطوات (كل شيطان) عات * علم من حاله وظهر وتبين أنه من جعله وليا له لم تمرله ولا تته الا الاضلال عن طريق الجنة والهداية الى النار وما أرى رؤساء أهل الاهواء والبدع والحشوية المتقمشين الامامة فى دين الله الا داخلين تحت كل هذا دخولا أوليا بل هم أشد الشياطين اضلالا وأقطعهم لطريق الحق حيث دونوا الضلال بتبويبه ولفقوه أشياء هم تلقيها وكانهم ساطوه بلحومهم ودمائهم واياهم عنى من قال

ويأبى مقيلو اللحاء الا فسوقه * طريق نجاة عندهم مستقيم
ولو قومواقى اللوح ما خط فيهمن * بيان أعوج فى طريق لقوموا

اللهم تبتنا على المنهج الصحيح الذى رضيته للائكتك فى سمواتك وأنبيائك فى أرضك وأدخلنا رحمتك فى عبادك الصالحين * والكنية عليه مثل أى كائنا كتب اضلال من تولاه عليه ورقم به ظهور ذلك فى حاله * وقرئ أنه فانه بالفتح والكسر على فتح فلان الاول فاعل كتب والثانى عطف عليه ومن كسر فعلى حكاية المكتوب كما هو كائنا كتب عليه هذا الكلام كما تقول كتبت ان الله هو الغنى الحميد أو على تقدير قيل أو على أن كتب فيه معنى القول * قرأ الحسن من البعث بالتحريك ونظيره الجلب والطرد فى الجلب والطرد كانه قيل ان ارتبتم فى البعث فمزيل ريبكم أن تنظروا فى بدء خلقكم * والعلقة قطعة الدم الجامدة * والمضغة اللحمة الصغيرة قدر ما يمضغ * والمخلقة المسواة الملساء من النقصان والعيب يقال خلق السواك والعود اذا سواه وملسه من قولهم صخرة خلقاء اذا كانت ملساء كان الله تعالى يخلق المضغ متفاوتة منها ما هو كامل

الحاقة

أمرهم ليعهدوا قبله مثله والاستدراك بقوله ولكن عذاب الله شديد راجع الى قوله وماهم بسكارى وكانه تعليل لاثبات السكر المجازى كانه قيل اذا لم يكونوا سكارى من الخمر وهو السكر المعهود فما هذا السكر الغريب وما سببه فقال سببه شدة عذاب الله تعالى ونقل عن جعفر بن محمد الصادق رضى الله عنه انه قال هو الوقت الذى يقول كل من الانبياء عليهم الصلاة والسلام فيه نفسى نفسى

الخلقة أنقص من العيوب ومنها ما هو على عكس ذلك فيتبع ذلك التفاوت تفاوت الناس في خلقهم وصورهم وأحوالهم وقصرهم وتمامهم ونقصانهم * وانما انقلناكم من حال الى حال ومن خلقة الى خلقة (لنبين لكم) بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا وأن من قدر على خلق البشر من تراب أولا ثم من نطفة ثانيا ولا تناسب بين الماء والتراب وقدر على أن يجعل النطفة علقة وبينهما تباين ظاهر ثم يجعل العلقة مضغة والمضغة عظاما قدر على اعادة ما أبداه بل هذا أدخل في القدرة من ذاك وأهون في القياس وورود النقل غير معدى الى الدين اعلام بأن أفعاله هذه يتبين بها من قدرته وعلمه ما لا يكتنهه الذكر ولا يحيط به الوصف وقرأ ابن أبي عبلة لنبين لكم ويقر بالياء وقرئ ونقركم ونخرجكم بالنون والنصب ويقروكم ويخرجكم بالنصب والرفع وعن يعقوب نقرّ بالنون وضم القاف من قرّ الماء اذا صبه فالقراءة بالرفع اخبار بأنه يقر (في الارحام ما نشاء) أن يقره من ذلك (الى أجل مسمى) وهو وقت الوضع آخر ستة أشهر أو تسعة أو سنتين أو أربع * أو كما شاء وقدر ومالم نشأ اقراره بحجته الارحام أو أسقطته والقراءة بالنصب تعليل معطوف على تعليل ومعناه خلقناكم مدرجين هذا التدريج لغرضين أحدهما أن تبين قدرتنا والثاني أن نقرّ في الارحام من نقر حتى بولدوا وينشؤا ويبلغوا احد التكليف فأكلفهم وبعضد هذه القراءة قوله (ثم لتبلغوا أشدكم) * وحده لان الغرض الدلالة على الجنس ويحتمل تخريج كل واحد منكم طفلا * الاشد كمال القوة والعقل والتمييز وهو من الالتاط الجموع التي لم يستعمل لها واحد كالامنة والقصود والاباطيل وغير ذلك وكأنها شدة في غير شيء واحد فبنيت لذلك على لفظ الجمع * وقرئ ومنكم من يتوفى أي يتوفاه الله (أرذل العمر) الهرم والخرف حتى يعود كهيئته الاولى في أوان طفولته ضعيف البنية سخيف العقل قليل الفهم من أنه كان على أن يرقيه في درجات الزيادة حتى يبلغه حد التمام وهو قادر على أن يحطه حتى ينتهي به الى الحالة التي (لكيلا يعلم من بعد علم شيأ) أي ليصير نسيا بعيث اذا كسب علما في مئ لم يثبت أن ينساه ويزل عنه علمه حتى يسأل عنه من ساعته يقول لك من هذا فتقول فلان فما بالت لحظة الا سألك عنه وقرأ أبو حيوة والاعمش لكيو الم * الهامدة الميتة اليابسة وهذه دلالة ثانية على البعث وانما وردها وكونها مشاهدة معاينة كررها الله في كتابه (اهتزت وربت) تحركت بالنبات وانتفخت وقرئ ربأت أي ارتفعت * (بهيج) الحسن السار للناظر اليه * أي ذلك الذي ذكر بأن خلق بني آدم واحياء الارض مع مافي تضاعيف ذلك من أصناف الحكم واللطائف حاصل بهذا وهو السبب في حصوله ولولا لم يتصور كونه وهو (أن الله هو الحق) أي الثابت الوجود وأنه قادر على احياء الموتى وعلى كل مقدور وأنه حكيم لا يخلف ميعاده وقد وعد الساعة والبعث فلا بد أن يوفي بوعده * عن ابن عباس أنه أبو جهل بن هشام وقيل كررت كما كررت سائر الاقاصيص وقيل الاول في المقلدين وهذا في المقلدين * والمراد بالعلم العلم الضروري * وبالهدى الاستدلال والنظر لانه يهدي الى المعرفة * وبالكتاب المنير الوحي * أي يجادل بغير حجة ولا بحجة هذه الثلاثة * وثني المعطف مبالغة في الكبر والخيلاء كقصعير خده ولي الجيد وقيل من الاعراض عن الذكر وعن الحسن ثاني عطفه بفتح العين أي مانع نطفته (ليضل) تعليل للمجادلة وقرئ بضم الياء وفتحها (فان قلت) ما كان غرضه من جدله الضلال (عن سبيل الله) وكيف علل به وما كان أيضا يقدر على أن يجادل خرج بالجدال من الهدى الى الضلال (قلت) لما أدى جدله الى الضلال جعل كأنه غرضه ولما كان الهدى معرضا له فتركه وأعرض عنه وأقبل على الجدال بالباطل جعل كالخارج من الهدى الى الضلال * وخزيه ما أصابه يوم بدر من الصغار والقتل * والسبب فيما عني به من خزي الدنيا وعذاب الآخرة هو ما قدمت يداه وعدل الله في معاقبته الكفار وآتاه الصالحين (على حرف) على طرف من الدين لا في وسطه وقلبه وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب في دينهم لا على سكون وطمأنينة كالذي يكون على طرف من العسكر فان أحس بظفر وغنيمة قر واطمأن والا فر وطار على وجهه * قالوا نزلت في أعراب قدموا المدينة وكان أحدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت امرأته غلاما سويا وكثر ماله وماشيته قال ما أصبت منذ دخلت في ديني هذا الا خيرا واطمأن وان كان الامر بخلافه قال ما أصبت

لنبين لكم ونقرّ في الارحام ما نشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيأ وترى الارض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك هو

الاشمر او الثعلب وعن أبي سعيد الخدري أن رجلا من اليهود أسلم فأصابته مصائب فتشاءم بالاسلام فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أقلني فقال ان الاسلام لا يقال فنزلت * المصاب بالمحنة بترك التسليم لقضاء الله والخروج الى ما يسخط الله جامع على نفسه محنتين احداهما ذهاب ما أصيب به والثانية ذهاب ثواب الصابرين فهو خسران الدارين وقرئ خاسر الدنيا والآخرة بالنصب والرفع فالنصب على الحال والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع الضمير وهو وجه حسن أو على أنه خبر مبتدا محذوف * استعير (الضلال البعيد) من ضلال من أبعد في التيه ضلالا فطالت وبعدت مسافة ضلالته * (فان قلت) الضرر والنفع منتفيان عن الاصنام مثبتان لها في الآيتين وهذا تناقض (قلت) اذا حصل المعنى ذهب هذا الوهم وذلك أن الله تعالى سفه الكافر بانه يعبد جمادا لا يملك ضرا ولا نفعا وهو يعتقد فيه جهله وضلاله أنه يستنفع به حين يستشفع به ثم قال يوم القيامة يقول هذا الكافر بدعاء وصراخ حين يرى استضراره بالاصنام ودخوله النار بعبادتها ولا يرى أثر الشفاعة التي ادعاها لها (لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير) أو كرر ليدعو كانه قال يدعو ويدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ثم قال لمن ضره بكونه معبودا أقرب من نفعه بكونه شفيعا لبئس المولى وفي حرف عبد الله من ضره بغير لام * المولى الناصر والعشير الصاحب كقوله فبئس القرين * هذا كلام قد دخله اختصار والمعنى أن الله ناصر رسوله في الدنيا والآخرة فمن كان يظن من حاسديه وأعاديه أن الله يفعل خلاف ذلك ويطمع فيه ويغيظه أن يظفر بمطلوبه فليستقص وسعه وليستفرغ مجهوده في ازالة ما يغيظه بأن يفعل ما يفعل من بلغ منه الغيظ كل مبلغ حتى مد حبلا الى سماء بيته فاختنق فلينظر وليصور في نفسه أنه ان فعل ذلك هل يذهب نصر الله الذي يغيظه * وسمي الاختناق قطعا لان المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه ومنه قيل للبهر القطع * ومعنى فعل كيد الانه وضعه موضع الكيد حيث لم يقدر على غيره أو على سبيل الاستهزاء لانه لم يكد به حسوده انما كاد به نفسه والمراد ليس في يده الا ما ليس عذهب لما يغيظه وقيل فليمدد بحبل الى السماء اظلة وليصعد عليه فيقطع الوحي أن ينزل عليه وقيل كان قوم من المسلمين لشدة غيظهم وحنقهم على المشركين يستبطؤن ما وعد الله رسوله من النصر وآخرون من المشركين يريدون اتباعه ويخشون أن لا يثبت أمره فنزلت * وقد فسر النصر بالرزق وقيل معناه أن الارزاق في يد الله لا تنال الا بمشيئته ولا بد للعبد من الرضا بقسمته فمن ظن أن الله غير رازقه وليس بصابر واستسلام فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق فان ذلك لا يقلب القسمة ولا يردها * أي ومثل ذلك الانزال أنزلنا القرآن كله (آيات بينات) لان (الله يهدي) به الذين يعلم أنهم يؤمنون أو يثبت الذين آمنوا ويزيدهم هدى أنزله كذلك مبينا * الفصل مطلق يحتمل الفصل بينهم في الاحوال والاماكن جميعا فلا يجازيهم جزاء واحدا بغير تفاوت ولا يجمعهم في موطن واحد وقيل الاديان خمسة أربعة للشيطان وواحد للرحمن * جعل الصابئون مع النصارى لانهم نوع منهم وقيل يفصل بينهم يقضي بينهم أي بين المؤمنين والكافرين وأدخلت ان على كل واحد من جزأي الجملة لزيادة التوكيد ونحوه قول جرير

ان الخليفة ان الله سربله * سربال ملك به ترجى الخواتيم

* سميت مطلوعاتها فيما يحدث في أمامن أفعاله ويجريها على يديه من تدبيره وتسخيره لها سجود الله تشبيها لطاوعتها بادخال أفعال المكلف في باب الطاعة والانقياد وهو السجود الذي كل خضوع دونه (فان قلت) فما نصنع بقوله (وكثير من الناس) وما فيه من الاعتراضين أحدهما أن السجود على المعنى الذي فسرته به لا يجحده بعض الناس دون بعض والثاني أن السجود قد أسند على سبيل العموم الى من في الارض من الانس والجن أولا وباسناده الى كثير منهم آخرا مناقضة (قلت) لا أنام كثير في المفردات الملاسقة الداخلة تحت حكم الفعل وانما أفرد فعل مضمر يدل عليه قوله يسجد أي ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة وعبادة ثم أقول أفسر يسجد الذي هو ظاهر بمعنى الطاعة والعبادة في حق هؤلاء لان اللفظ الواحد لا يصح استعماله في حالة واحدة على معنيين مختلفين وأرفعه على الابتداء والخبر محذوف وهو مثاب لان خبر مقابله يدل عليه وهو قوله حق عليه العذاب ويجوز أن يجعل من الناس خبرا له أي من الناس الذين هم الناس

الضلال البعيد يدعو لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ وكذلك أنزلناه آيات بينات وأن الله يهدي من يريد ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة ان الله على كل شيء شهيد ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من مكرم

على الحقيقة وهم الصالحون والمتقون ويجوز أن يبالغ في تكثير المحقورين بالعذاب فيعطف كثير على كثير ثم يخبر عنهم بحق عليهم العذاب كأنه قيل وكثير وكثير من الناس حق عليهم العذاب * وقرئ حق بالضم وقرئ حقا أي حق عليهم العذاب حقا * ومن أهانه الله بأن كتب عليه الشقاوة لما سبق في علمه من كفره أو فسقه فقد بقي مهانا لن تجد له مكرما * وقرئ مكرم بفتح الراء يعني الإكرام انه (يفعل ما يشاء) من الاكرام والاهانة ولا يشاء من ذلك الا ما يقتضيه عدل العالمين واعتقاد المعتقدين * الخصم صفة وصف بها النوع أو الفريق فكأنه قيل هذان فوجان أو فريقان مختصمان وقوله هذان لفظ واختصموا اللفي كقوله ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا ولو قيل هؤلاء خصمان أو اختصما جاز يراد المؤمنون والكافرون قال ابن عباس رجع الى أهل الاديان الستة (في ربهم) أي في دينه وصفاته وروى ان أهل الكتاب قالوا للمؤمنين نحن أحق بالله وأقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المؤمنون نحن أحق بالله آمنا بمحمد وآمنا بنبيكم وبما أنزل الله من كتاب وأنتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم تركتموه وكفرتم به حسدا فهذه خصومتهم في ربهم (فالذين كفروا) هو فصل الخصومة يعني بقوله تعالى ان الله يفصل بينهم يوم القيامة وفي رواية عن الكسائي خصمان بالكسر * وقرئ قطعت بالتخفيف كان الله تعالى يقدر لهم نيرانا على مقادير جثثهم ثم تقل عليهم كما تقطع الثياب الملبوسة ويجوز أن تتلاهر على كل واحد منهم ثلاث نيران كالثياب الظاهرة على اللابس بعضها فوق بعض ونحو سرابيلهم من قطران (الحميم) الماء الحار عن ابن عباس رضي الله عنه لو سقطت منه نقطة على جبال الدنيا لاذابها (يصهر) يذاب وعن الحسن بشدد الهاء للمبالغة أي اذا صب الحميم على رؤسهم كان تأثيره في الباطن كثيرا تأثيره في الظاهر فيذيب أحشاءهم وأمعاءهم كما يذيب جلودهم وهو أبلغ من قوله وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم * والمقامع السياط في الحديث لو وضعت مقمعة منها في الارض فاجتمع عليها الثقلان ما أقلوها * وقرأ الاعمش ردوا فيها والاعادة والرد لا يكون الا بعد الخروج فالمعنى كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم خرجوا أعيدوا فيها ومعنى الخروج ما يروى عن الحسن أن النار تضربهم بلهبها فترفعهم حتى اذا كانوا في أعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفا (و) قيل لهم (ذوقوا عذاب الحريق) والحريق الملتهب من النار المنتشر العظيم الاهلاك (يحلون) عن ابن عباس من حليت المرأة فهي حال (ولؤلؤا) بالنصب على ويؤتون لؤلؤا كقوله وحورا عينا ولؤلؤ بقلب الهمزة الثانية واوا ولؤليا بقلبهما واوين ثم قلب الثانية ياء كدلول كادل فيمن جر ولؤلؤ ولليا بقلبهما ياءين عن ابن عباس * وهداهم الله وألهمهم أن يقولوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وهداهم الى طريق الجنة * يقال فلان يحسن الى الفقراء وينعش المضطهدين لارادة حال ولاستقبال وانما يراد استمرار وجود الاحسان منه وانعشه في جميع أزمنته وأوقاته ومنه قوله تعالى (ويصدون عن سبيل الله) أي السدود منهم مستمر دائم (للناس) أي الذين يقع عليهم اسم الناس من غير فرق بين حاضر وباد وثابت وطارئ وسكي وآفاقي وقد استشهد أصحاب أبي حنيفة قائلين ان المراد بالمسجد الحرام مكة على امتناع جواز بيع دور مكة واجارتها وعند الشافعي لا امتناع في ذلك وقد طوا رأسحق بن راهويه في حجه قوله الذين أخرجوا من ديارهم وقالوا أنسب الديار الى ملاكها الأول وغيرها لكنها اشترى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه دار السجن من مالكيه أو غيرها لكيه (سواء) بالنصب قراءة حفص والباقون على الرفع ووجه النصب أنه ثاني مفعولي جعلناه أي جعلناه مستويا (العاكف فيه والباد) وفي القراءة بالرفع الجملة مفعول ثان * الالحاد العدول عن القصد وأصله الحاد الحافر وقوله (بالحاد بظلم) حالان متر ادفتان ومفعول يرد متروك ليتناول كل متناول كأنه قال ومن يرد فيه مرادا ما عادلا عن القصد ظالما (نذقه من عذاب أليم) يعني أن الواجب على من كان فيه أن يضبط نفسه ويسلك طريق السداد والعدل في جميع ما يهم به ويقصده وقيل الالحاد في الحرم منع الناس عن عمارته وعن سعيد بن جبير الاحتكار وعن عطاء قول الرجل في المبايعة لا والله وبلى والله وعن عبد الله ابن عمر أنه كان له فسطاطان أحدهما في الحل والآخر في الحرم فاذا أراد أن يعاتب أهله عاتبهم في الحل

ان الله يفعل ما يشاء
هذان خصمان اختصموا
في ربهم فالذين كفروا
قطعت لهم ثياب من
نار يصب من فوق
رؤسهم الحميم يصهر به
ما في بطونهم والجلود
ولهم مقامع من حديد
كلما أرادوا أن يخرجوا
منها من غم أعيدوا
فيها وذوقوا عذاب
الحريق ان الله يدخل
الذين آمنوا وعملوا
الصالحات جنات تجري
من تحتها الانهار يحلون
فيها من أساور من
ذهب ولؤلؤا ولباسهم
فيها حرير وهدوا الى
الطيب من القول
وهدوا الى صراط الحميد
ان الذين كفروا
ويصدون عن سبيل
الله والمسجد الحرام
الذي جعلناه للناس
سواء العاكف فيه
والباد ومن يرد فيه
بالحاد بظلم نذقه من
عذاب أليم واذ بوأنا

وقيل له فقال كنا نتحدث أن من الالحاد فيه أن يقول الرجل لا والله وبلى والله وقرئ يرد بفتح الياء من الورود ومعناه من أتى فيه بالحاد ظالما * وعن الحسن ومن يرد الحاد بظلم أراد الحاد فيه فاضافه على الاتساع في الظرف كمكر الليل ومعناه عن يرد أن يلحد فيه ظالما وخبر ان محذوف لدلالة جواب الشرط عليه تقديره ان الذين كفروا ويصدون عن المسجد الحرام نذيقهم من عذاب أليم وكل من ارتكب فيه ذنبا فهو كذلك عن ابن مسعود والهمة في الحرم تكتب ذنبا * واذ كر حين جعلنا (لابراهيم مكان البيت) مبوأه أي مرجعا يرجع اليه للعمارة والعبادة وقيل البيت الى السماء أيام الطوفان وكان من ياقوتة حمراء فأمر الله ابراهيم مكانه بريحا رسلها يقال لها الخوج كنست ماحوله فبناه على أسسه القديم * وأن هي المنسرة (فان قلت) كيف يكون النهي عن الشرك والامر بتطهير البيت تفسيرا للتبوئة (قلت) كانت التبوئة مقصودة من أجل العبادة فكأنه قيل تعبدنا ابراهيم فقلنا له (لا تشرك بي شيأ وطهر بيتي) من الاصنام والاوثان والاقذار أن تطرح حوله وقرئ يشرك بالياء على الغيبة (وأذن في الناس) ناد فيهم وقرأ ابن محيصن وآذن والمعنى ايجاب أن يقول جوا أو عليكم الحج وروى أنه صعد أبا قبيس فقال يا أيها الناس ان ربكم ابتنى بيتا وعن الحسن أنه خطب الرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن يفعل ذلك في حجة الوداع (رجالا) مشاة جمع راجل كقائم وقيام وقرئ رجالا بضم الراء مخففة الجيم ومثقلة ورجالى كجهالى عن ابن عباس (وعلى كل ضامر) حال معطوفة على حال كانه قال رجالا وركبانا (يأتين) صفة لكل ضامر لانه في معنى الجمع وقرئ يأتون صفة للرجال والركبان والمعنى البعيد وقرأ ابن مسعود معق بقال بعير معيد اذا هزل وبعير معيد اذا أرادته مانع مختصة بهذه العبادة دينية ودنيوية لا توجد في غيرها من العبادات وعن أبي حنيفة رحمه الله أنه كان يفاضل بين العبادات قبل أن يحج فلما حج فضل الحج على العبادات كلها لما شاهد من تلك الخصائص * وكني عن النحر والذبح بذكر اسم الله لان أهل الاسلام لا يمتنعون عن ذكر اسمه اذا نحروا أو ذبحوا وفيه تنبيه على أن الغرض الاصلي فيما يتقرب به الى الله أن يذكر اسمه وقد حسن الكلام بمجيئه أن جمع بين قوله ليذكروا اسم الله وقوله على ما رزقهم ولو قيل ليحضروا في أيام معلومات جهة الانعام فترشيأ من ذلك الحسن والروعة * الايام المعلومات أيام العشر عند أبي حنيفة وهو قول الحسن وقتادة وعند صاحبيه أيام النحر * البهيمة مبهمة في كل ذات أربع في البر والبحر فسميت بالانعام وهي الابل والبقر والضأن والمعز * الامر بالاكل منها أمر اباحة لان أهل الجاهلية كانوا لا يأكلون من نسائكهم ويجوز أن يكون ندبا لما فيه من مساواة الفقراء وهو واساتهم ومن استحب مثال التواضع ومن ثمة استحب الفقهاء أن يأكل الموسع من أضحيته مقدار الثلث وعن ابن مسعود أنه بعث بهدي وقال فيه اذا نحرته فكل وتصدق وأبت منه الى عنيدتي ابنه وفي الحديث كلوا وادخروا وتصدقوا والبائس (الذي أصابه بؤس أي شدة و (الفقير) الذي أضعفه الاعسار * قضاء التفث قص الشارب والاظفار ونتف الابط والاستحداد والتفث لوسخ فالمراد قضاء ازالة التفث * وقرئ وليوفوا بتشديد الفاء (نذورهم) مواجب حجهم أو ما عسى ينذرونه من أعمال البر في حجهم (وليطوفوا) طواف الافاضة وهو طواف الزيارة الذي هو من أركان الحج ويقع به تمام التحلل وقيل طواف الصدر وهو طواف الوداع (العتيق) القديم لانه أول بيت وضع للناس عن الحسن وعن قتادة أعتق من الجبابرة كم من جبار سار اليه ليهدمه قصمه الله ومن جبابرة هلكوا عنه أعتق من الغرق وقيل بيت كريم من قولهم عتاق الخيل والطير (فان قلت) قد تسلط عليه الحجاج وغيره (قلت) ما قصد التسلط على البيت وانما تحصن به ابن الزبير فاحتال لاخراجه ثم بناه وانما قصد التسلط عليه أبرهة فعل به ما فعل (ذلك) خبر مبتدا محذوف أي الامر والشأن ذلك كما يقدم الكاتب جملة من كتابه في معنى الشأن ثم اذا أراد الخوض في معنى آخر قال هذا وقد كان كذا * والحرمة ما لا يحل هتكه وجميع ما كلفه الله تعالى في هذه الصنعة من مناسك الحج وغيره يحتمل أن يكون عاما في جميع تكاليفه ويحتمل أن يكون خاصا فيما يتعلق بالحج وعن زيد ابن أسلم الحرمات خمس الكعبة الحرام والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والحرم حتى يحل (فهو خير له) أي فالتعظيم خير له ومعنى التعظيم العلم بانها واجبة المراعاة والحفظ والقيام بمراعاتها * المتلو

لابراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيأ وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأحلت لكم الانعام

* قوله تعالى ومن يشرك بالله ـ كأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق (قال) يجوز في هذا التشبيه أن يكون مركبا ومفرقا فان كان مركبا فكأنه قال من أشرك بالله فقد أهلك نفسه إهلاكا ليس بعده منها بأن صور حاله بصورة من خر من السماء فاختطفته الطير فصيرته في حواصلها أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطارح البعيدة وان كان مفرقا فقد شبه الايمان في علوه بالسماء والذي تركه الايمان وأشرك بالله الساقط من السماء وشبه الاهواء التي تتوزع أفكاره بالطير المختطفة والشيطان الذي يطرح به في وادي الضلالة بالريح التي تهوي به في بعض المطارح المتلفة (قال أحمد) أما على تقدير أن يكون مفرقا فيحتاج تأويل تشبيه المشرك بالهاوي من السماء الى التشبيه على أحد أمرين اما أن يكون الاشراك المراد به قد حبطت كل أعماله الى السماء بايمانه ثم هبط بارتداده واما أن يكون الاشراك أسلمه الى أن يكون قد عصف بكل المشرك من الايمان وهو العلو به ثم عدوله عنه اختيارا بمنزلة من علا الى السماء ثم هبط كما قال تعالى والذين كفروا وأولياؤهم (٦١) الطاغوت يخرجونهم من

الا ما يتلى عليكم (الا ما يتلى عليكم) آية تحريمه وذلك قوله في سورة المائدة حرمت عليكم الميتة والدم الآية أن الله قد أحل لكم الانعام كلها الا ما استثنى في كتابه فحظر على حدوده ونهاكم أن تحرموا أحل شيأ كتحريم عبدة الاوثان البحيرة والسائبة وغير ذلك وأن تحلوا ما حرم الله كاستحلالهم أكل الموقوذة والميتة وغير ذلك مما حث على تعظيم حرماته وأخبر من عظمها أنه خير له عند ربه ثم قول الزور ولان توحيد الله وترك الشرك عنده وصدق القول أعظم الحرمات وأشرفها فحظروا جميع الشرك وقول الزور في قرن واحد وذلك أن الشرك من باب الزور لان المشرك زاعم أن الوثن يحق له العبادة فكأنه قال فاجتنبوا عبادة الاوثان التي هي رأس الزور واجتنبوا قول الزور وكله لا تقربوا شيأ منه لقادة في الشيع والسماعة وما ظنك بشيء من قبيله عبادة الاوثان وهي الاثم برمته وكذلك الخمر والميسر والازلام على طريق التشبيه يعني أنكم كما تنفرون ربنا كم عن الرجس واجتنبوه فعليكم أن تنفروا عن هذه الاشياء مثل تلك النفرة وسمى هذا المعنى بقوله رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه يحمل العامة في اجتنابه أنه رجس والرجس يجتنب (من الاوثان) بيان للرجس وتنزيله كقولك عندي عشرون من الدراهم لان الرجس يهم بتناول غير شيء كأنه قيل فاجتنبوا الرجس الذي هو الاوثان * والزور من الزور وأزور وهو الانحراف كما أن الافك من أفكه اذا صرفه وقيل قول الزور قولهم هذا حلال وهذا حرام وما أشبه ذلك من افترائهم وقيل شهادة الزور عن النبي صلى الله عليه وسلم أن صلى الصبح فلما سلم قام قائما فاستقبل الناس بوجهه وقال عدلت شهادة الزور الاشراك بالله عدلت شهادة الزور الاشراك بالله عدلت شهادة الزور الاشراك بالله وتلا هذه الآية وقيل الكذب والبهتان وقيل قول أهل الجاهلية في التلبية لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك * ويجوز في هذا التشبيه أن يكون من المركب والمفرق فان حملت تشبيها مركبا فكأنه قال من أشرك بالله فقد أهلك نفسه إهلاكا ليس بعده منها بأن صور حاله بصورة من خر من السماء فاختطفته الطير فتفرق في حواصلها أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطارح البعيدة وان حملت مفرقا فقد شبه الايمان في علوه بالسماء والذي ترك الايمان وأشرك بالله الساقط من السماء والاهواء التي تتوزع أفكاره بالطير المختطفة والشيطان الذي يطرح به في وادي الضلالة بالريح التي تهوي به في بعض المهاوي المتلفة * وقرئ فتخطفه وبكسر الخاء والطاء وبكسر التاء

الظلمات الى النور وما دخلوه قط ولكن كانوا مع الكافرين منه وقد مضى تقرير هذا المعنى بأبسط من هذا فيما مر فتذكره

الا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق ذلك ومن يعظم شعائر الله

تشبيه الاوكار المتوزعة الكافر بالطير المختلفة وتشبيه تطويح الشيطان بالهوي مع الريح في مكان سحيق تظران لاحد من ذكر في سياق

تقسيم حال الكافر الى قسمين فان جعل الاول مثلا لاختلاف الاهواء والافكار والثاني مثلا لتزع الشيطان فقد جعلهما شيأ واحدا لان توزع الافكار واختلاف الاهواء مسافات ان نزع الشيطان فلا يحقق التقسيم المقصود والذي يظهر في تفسير التشبيهين غير ذلك فنقول لما انقسمت حال الكافر الى قسمين لا سبيل عليهما ولا يدخل بينهما التذبذب والتقادي على الشك وعدم التصميم على ضلالة واحدة فهذا القسم من المشركين مشبه بمن اختطفته الطير وتوزعته فلا يستقر على طائر على عزمة منه الا انتزعها منه آخر وذلك حال المذبذب لا يطرح له خيال الا سعد ونزل عما كان عليه والثاني مشرك صممهم على معتقد باطل لو نشر لهم المناشير لم يكفوا ولم يرجعوا لا سيما الى تشكيك ولا مطمع في نقله عما هو عليه فهو قريب من تشبيه في هذا الشبه في اقراره على كفره باستقرار من هوت به الريح الى واد سافل فاستقر فيه ونظير تشبيهه بالاستقرار في الوادي السحيق الذي هو أبعد الاخبار عن السماء وصف ضلاله بالبعد في قوله تعالى أولئك في ضلال بعيد وان ضلالا لا بعيد أي صمموا على ضلالهم فبعد رجوعهم الى الحق فهذا تحقيق القسمين والله أعلم

مع كسرهما وهي قراءة الحسن وأصلها الخطفه * وقرئ لرياح * تعظم الشعائر وهي الهدايا لانها من معالم الحج أن يختارها عظام الاجرام حسانا سمانا غالية الاثمان ويترك المكاس في شرائها فقد كانوا يغالون في ثلاث ويكرهون المكاس فيهن الهدي والاضحية والرقبة وروى ابن عمر عن أبيه رضي الله عنهما أنه أهدى نجيبة طلبت منه بثلثمائة دينار فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيعها ويشتري بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل أهدها فأهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة بدنة ذهب إحداهن وكان ابن عمر يسوق البدن فجاله الناطي فيتصدق بلحومها وجلالها ويعتقد أن طاعة الله في التقرب بها أهدأ لها الى بيته المعظم أمر عظيم لابد أن يقام به ويسارع فيه (فانها من تقوى القلوب) أي فان تعظيمها من أفعال ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات ولا يستقيم المعنى الا بتقديرها الا ترى الى رجوع من الجزاء الى من ليرتبط به واذا ذكرت التقوى التي اذا ثبتت فيها وتمكنت ظهر أثرها في سائر الاعضاء (الى أجل مسمى) الى أن تضروا بتصدق بلحومها ويؤكل منها و(ثم) التراخي في الوقت فاستعيرت للتراخي في الاحوال والمعنى أن لكم في الهدايا منافع كثيرة في دنياكم وبتركبها واغا تمتد اليها بالمنافع الدينية قال سبحانه تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة وأعظم هذه المنافع وأبعدها شروطا في النفع (محلها الى البيت) أي وجوب نحرها أو وقت وجوب نحرها الى الحرم منتهية الى البيت كقوله هديا بالغ الكعبة والمراد نحرها في الحرم الذي هو في حكم البيت لان الحرم هو حريم البيت ومثل هذا في الاتساع وولك بلغنا البلد واغا شارفه ثم وانصل مسيرك بحدوده وقيل المراد بالشعائر المناسك كلها واصلها الى البيت العتيق يأباه * شرع لكل أمة أن ينسكوا له أي يذبحوا لوجهه على وجه التقرب وجعل الملة في ذلك أن يذكر اسمه تقدست أسماؤه على الذبائح * وقرئ (منسكا) بفتح السين وكسرها وهو مصدر بمعنى النسك والمكسور يكون بمعنى الموضع (فله أسلموا) أي أخلصوا له الذكر خاصة واجعلوه لوجهه سالما أي خالصا لا تشوبوه بشائر الشرك * المخبتون المتواضعون الخاشعون من الخبت وهو المطمئن من الارض وقيل هم الذين لا يظلمون واذا ظلموا لم ينتصروا * وقرأ الحسن (والمقيمي الصلاة) بالنصب على تقدير المدح وقرأ ابن مسعود والمقيمين الصلاة على الاصل (والبدن) جمع بدنة سميت لعظم بدنها وهي الابل خاصة والان رسول الله صلى الله عليه وسلم ألحق البقر بالابل حين قال البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة فجعل البقر في حكم الابل صارت البدنة في الشريعة مستولية على الجنس عند أبي حنيفة وأصحابه والافالبدن هي الابل وعليه تدل الآية وقرأ الحسن والبدن بضمتين كثمر في جمع ثمرة وابن أبي اسحق بالضمتين وتشديد الدال على لفظ الوقف وقرئ بالنصب والرفع كقوله والقمر قدرناه (من شعائر الله) أي من أعلام الشريعة التي شرعها الله واضافتها الى اسمه تخلص لها (لكم فيها خير) كتربح لكم فيها منافع ومن شأن الحاج أن يتعرض على شيء فيه خير ومنافع بإراءة الثمن بعتني السلف أنه لم يملك الا تسعة دنانير فاشترى بها بدنة فقيل له في ذلك فقال سمعت ربي يقول لكم فيها خير وعن ابن عباس منافع دنيوية وأخروية وعن ابراهيم من احتاج الى ظهرها ركب ومن احتاج الى لبنها شرب * وذكر اسم الله أن يقول عند النحر الله أكبر لا اله الا الله والله أكبر اللهم منك ولك (صوافن) قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن وقرئ صوافن من صفن الفرس وهو أن يقوم على ثلاث وينصب الرابعة على طرف سنكه لان البدنة تعقل احدى يديها فتقوم على ثلاث وقرئ سوافي أي خوالص لوجه الله وعن عمرو بن عبيد صوافا للتنوين عوضا من حرف الاطلاق عند الوقف وعن بعضهم صوافن نحو مثل العرب أعط القوس باريها بسكون الياء * وجوب الجنوب وقوعها على الارض من وجب الحائط وجبة اذا سقط ووجبت الشمس جبة غربت والمعنى فاذا وجبت جنوبها وسكنت نفوسها حل لكم الاكل منها والاطعام (القانع) السائل من قنعت اليه وكنعت اذا خضعت له وسألته قنوعا (والمعتر) المتعرض بغير سؤال أو القانع الراضي بما عنده وما يعطى من غير سؤال من قنعت قنعا وقناعة والمعتر المتعرض بسؤال وقرأ الحسن والمعتري وعن عمر وعكرمة واعتره واعتراه بمعنى وقرأ أبو رجاء القنع وهو الراضي لا غير يقال قنع فهو قنع وقانع * من الله لي عباده واستحمد اليهم بأن سخرلهم البدن مثل التسخير الذي رأوا وعلموا بأخذ زمامها منقاده

فانها من تقوى القلوب
انتفاعها منافع الى أجل
مسمى ثم محلها الى البيت
العتيق ولكل أمة
جعلنا منسكا ليذكروا
اسم الله على ما رزقهم
من بهيمة الانعام فالهكم
اله واحد فله أسلموا
وبشر المخبتين الذين اذا
ذكر الله وجلت قلوبهم
والصابرين على
ما أصابهم والمقيمي
الصلوة ومما رزقناهم
ينفقون والبدن
جعلناها لكم من شعائر
الله لكم فيها خير
فاذكروا اسم الله عليها
صوافن فاذا وجبت
جنوبها فكلوا منها
وأطعموا القانع والمعتر
كذلك سخرناها لكم
لعلكم تشكرون لن
ينال الله لحومها ولا
دماؤها ولكن يناله
التقوى منكم كذلك
سخرها لكم لتكبروا
الله على ما هداكم وبشر
المحسنين ان الله يدافع
عن الذين آمنوا ان الله
لا يحب كل خوان كفور
أذن للذين يقاتلون

*قوله تعالى فقد كذبت قبلهم الى قوله وكذب موسى فاملیت للكافرين ثم أخذتهم (قال) فان قلت لم قيل وكذب موسى ولم يقل وقوم موسى بدون تكرير التكذيب قلت لان قوم موسى هم بنو اسرائيل ولم يكذبوه وانما كذبه القبط أولو آيات

موسى كانت باهرة للقاهرة فكأنه قال وكذب موسى أيضا على

الذين خدعة فيه قلوبهم او يحبسونها اضافة قواها ثم يطمئنون في ابانهم اولا تتغير الله لم تطق ولم تكن بأحجر من بعض الوحوش التي هي أصغر منها جرما وأقل قوة وكفى بما تأثر من الابل شاهدا وعبرة *أي لن يصيب رضا الله اللحوم المتصدق بها ولا الدماء المهراقة بها بل التقرب والمراد أصحاب اللحوم والدماء والمعنى لن يرضى المتحنون والمقربون ربهم الا بمراعاة النية والاخلاص والاحتفاظ بشروط التقوى في حل ما قرب به وغير ذلك من الحافظات الشرعية وأوامر الورع فاذا لم يراعوا ذلك لم تغن عنهم التضحية والتقريب وان كثر ذلك منهم * وقرئ لن تنال الله ولكن تناله بالتاء والياء وقيل كان أهل الجاهلية اذا نحروا البدن نضحوا الدماء حول البيت ولطخوه بالدم فلما جاء المسلمون أرادوا مثل ذلك فنزلت *كرر تكبير التسمية بالتسخير ثم قال لتشكروا الله على هدايته اياكم لاعلام دينه ومناسك حجه بأن تكبروا وتوحدوا فاختصر الكلام بان ضمن التكبير معنى الشكر وعدى تعديته *خص المؤمنين بدفعه عنهم ونصرته لهم كما قال انا لننصر رسلنا والذين آمنوا وقال انهم لهم المنصورون وقال وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وجعل العلة ذلك لأنه لا يحب أضدادهم وهم الخونة الكفرة الذين يخونون الله والرسول ويخونون أماناتهم ويكفرون نعم الله ويغمطونها ومن قرأ يدافع فمناسبه ابلغ في الدفع عنهم كما يبالغ من يغالب فيه لان فعل الغالب مجى أقوى وأبلغ *أذن ويقاتلون قرئا على لفظ المبني للفاعل والمفعول جميعا والمعنى أذن لهم في القتال فحذف المأذون فيه لدلالة يقاتلون عليه (أنهم ظلموا) أي بسبب كونهم مظلومين وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مشركو مكة يؤذونهم أذى شديدا وكانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين مضروب ومشجوج يتظلمون اليه فيقول لهم اصبروا فاني لم أومر بقتال حتى هاجر فأنزلت هذه الآية وهي أول آية أذن فيها بالقتال بعد ما نهي عنه في نيف وسبعين آية وقيل نزلت في قوم مخرجوا مهاجرين فاعترضهم مشركو مكة فأذن لهم في مقاتلتهم *والاخبار بكونه قادرا على نصرهم عدة منه بالنصر وارد على سنن كلام الجبار وما من دافعه عن الذين آمنوا مؤذن بمثل هذه العدة أيضا (أن يقولوا) في محل الجر على الابدال من حق أي بغير موجب سوى التوحيد الذي ينبغي أن يكون موجب الاقرار والتمكين لا موجب الاخراج والتسيير ومثله هل تنقمون منا الا أن آمنا بالله *دفع الله بعض الناس ببعض اظهارا وتسليطا للمسلمين منهم على الكافرين بالمجاهدة ولولا ذلك لاستولى المشركون على أهل القبل المختلفة في أرضهم وفي معابدهم فهدموها ولم يتركوا للنصارى بيعا ولا لرهبانهم صوامع ولا لليهود صلوات ولا للمسلمين مساجد ولملك المشركون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم على المسلمين وعلى أهل الكتاب الذين في ذمتهم وعهدهم معابد الفريقين وقرئ دفاع وهدمت بالتخفيف وسميت الكنيسة صلاة لانه يصلى فيها وقيل هي كلمة عبرية أصلها بالعبرانية صلوثا (من ينصره) أي بنصرة دينه وأوليائه * هو اخبار من الله عز وجل بظهور الغيب عما ستكون عليه سيرة المهاجرين رضي الله عنهم ان مكنهم في الارض وبسط لهم في الدنيا وكيف يتوسمون أهل الدين ومن عثمان رضي الله عنه هذا والله ثناء قبل الاجر يداني الله فداني علمهم قبل أن يحمدوا من الناس أسدوا وإلا فالى ذلك دليل على صحة أمر الخلفاء الراشدين لان الله لم يعط التمكين ونفاذ الامر مع السيرة العادلة غير هؤلاء المهاجرين لا خلف في ذلك للانصار والطلقاء وعن الحسن هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الذين منصوب بدل من قوله من ينصره والظاهر أنه مجرور تابع الذين أخرجوا (ولله عاقبة الامور) أي مرجعها الى حكمه وتقديره وفيه تأكيد لما وعده من اظهار أوليائه واعلاء كلمتهم *يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم تسلية له لست بأول حدي في التكذيب فقد كذب الرسل قبلك أقوامهم وكفاهم أسوة (فان قلت) لم قيل (وكذب موسى) ولم يقل وقوم موسى (قلت) لان موسى ما كذبه قومه بنو اسرائيل وانما كذبه غيرهم وهم القبط وفيه شيء آخر كأنه قيل بعد ما ذكر تكذيب كل قوم رسولهم وكذب موسى أيضا مع وضوح آياته

بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين وكذب موسى فأمليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية

ظهور آياته) قال أحمد وجعل عنادي والله أعلم انه اصدر الكلام بحكاية تكذيبهم ثم عدد أصناف المكذبين

وطوائفهم ولم ينته الى موسى الا بعد طول الكلام حسن تكرير لعلى قوله فأمليت للكافرين فتتصل السبب بالسبب كما قال في آية في تعديد نعمه على كفر النعم بعد ان عدد كفره والله أعلم

وعظم مخزنه فما ظنك بغيره * التكبير عني الانكار والتغيير حيث أبدلهم النعمة نحنة وبالحياة هلاكا وبالعمارة خرابا * كل مرتفع أطلال من سقف بيت أو خيمة أو ظلة أو كرم فهو عرش * والخاوي الساقط من الخوي الجوع اذا سقط أو الخالي من خوى المنزل اذا خلا من أهله وخوى بطن الحامل وقوله (على عروشها) لا يخلو من أن يتعلق بخاوية فيكون المعنى أنها ساقطة على سقوفها أي خرت سقوفها على الارض ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف أو أنها ساقطة وخالية مع بقاء عروشها وسلامتها وأما أن يكون خبرا بعد خبر كأنه قيل هي خالية وهي على عروشها أي قائمة مطلة على عروشها على معنى أن السقوف سقطت الى الارض فصارت في قرار الحيطان ونبقت الحيطان سالمة فهي مشرفة على السقوف الساقطة (فان قلت) ما محل الجملتين من الاعراب أعني وهي ظالمة فهي خاوية (قلت) الاولى في محل النصب على الحال والثانية لا محل لها لانها معطوفة على أهلكناها وهذا المثل ليس له محل * قرأ الحسن معطلة من أعطله بمعنى عطله ومعنى المعطلة التي عمرة فيها الناس وعمها آلات الاستقاء الا أنهم عطلت أي تركت لا يستقى منها لهلاك أهلها * والمشيد المجصص أو المرفوع البناء والمعنى كم قرية أهلكناها من سقاتها وقصر مشيد أخليناه عن ساكنه فترك ذلك دلالة على أنه معطلة عليه وفي هذا دليل على أن على عروشها معنى مع أوجه * روي أن هذه بئر نزل عليها صالح عليه السلام مع أربعة آلاف نفر ممن آمن به وحاهم الله من العذاب وهي بحضرموت وانما سميت بذلك لان صالحا حين حضرها مات وقبله بلدة عند البئر اسمها حاضوراً بناها قوم صالح وأسماء اهم جلهس بن جلاس وأقاموا بها زمانا ثم كفروا وعبدوا صنما وأرسل الله اليهم حنظلة بن صفوان نبيا فقتلوه فأهلكهم الله وعطل بئرهم وخرب قصورهم * يعتقل أنهم لم يسافروا وحثوا على السفر ليتعرفوا مصارع من أهلكهم الله بكفرهم ويشاهدوا آثارهم فيستبصروا وأن يكونوا قد سافروا ورأوا ذلك ولكن لم يعتبروا بما رأوا كأن لم يسافروا ولم يروا * وقرئ (فيكون لهم قلوب) بالياء * أي يعقلون ما يجب أن يعقل من التوحيد ويسمعون ما يجب سماعه من الوحي (فانها) الضمير ضمير الشان والقصة يحتمل عند كر أو مؤنثا وفي قراءة ابن مسعود ذلك ويجوز أن يكون ضمير المصدر أي فان الابصار (الابصار) وفي تعمى ضمير راجع اليه والمعنى أن أبصارهم صحيحة سالمة لا عمى بها وانما العمى بقلوبهم أو لا يعتد بعمى الابصار وكأنه ليس بعمى بالاضافة الى عمى القلوب (فان قلت) أي فائدة في ذكر الصدور (قلت) الذي قد تعورف واستفاض ان العمى في الحقيقة مكانه البصر وهو ان تصاب الحدقة بما يطمس نورها واسم العمى في القلب استعارة وتمثيل فلما أريد اثبات ما هو خلاف المعتاد من نسبة العمى الى القلوب حقيقة ونفيه عن الابصار احتاج هذا المعنى الى زيادة تبيين وفصل تعريف ليتقرر أن مكان العمى هو القلوب لا الابصار كما تقول ليس المضاء للسيف ولكنه للسالك الذي بين فكيك فقولك الذي بين فكيك تقرير لاضافة المضاء للسان وتثبيت لان محل المضاء هو ولا غير وكأنك قلت ما نفيت المضاء عن السيف وأثبته للسالك فلا تقولن لا بل هو اضي ولكن تعمدت بذاك بعينه تعمدا * أنكر أن يستعجلوا بالموعد من العذاب العاجل أو الآجل كأنه قال ولم يستعجلون به كأنهم يجوزون الدوت وانما يجوز ذلك على من يعاد من يجوز عليه الخلف والله عز وعلا لا يخلف الميعاد وما وعده ليصيبنهم ولو بعد حين وهو سبحانه حليم لا يعجل ومن حلمه وقاره واستقصار المدد الطوال أن يوما واحدا عنده كألف سنة عندكم وقيل معناه كيف يستعجلون بعذاب من يوم واحد من أيام عذابه في طول الف سنة من سنيكم لان أيام الشدائد مستطالة أو كان ذلك اليوم الواحد لشدة عذابه كألف سنة من سني العذاب وقيل ولن يخالف الله وعده في النظرة والامهال * وقرئ تعدون بالتاء والياء * ثم قال وكم من أهل قرية كانوا مثلكم ظالمين قد أنظرتهم حيناً ثم أخذتهم بالعذاب والمرجع الى والي حكمي (فان قلت) لم كانت الاولى معطوفة بالفاء وهذه بالواو (قلت) الاولى وقعت بدلا من قوله فكيف كان نكير وأما هذه فحكمها حكم ما تقدمها من الجملتين المعطوفتين بالواو لا غير قوله ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كألف سنة * يقال سعيت في أمر فلان اذا أصلحته أو أفسدته بسعيه * وعاجزين سابقة لان كل واحد منهما في طلب انجاز الآخر

على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد أفلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ويستعجلونك بالعذاب وان يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة ثم أخذتها وإلي المصير قل يا أيها الناس انما أنا لكم نذير مبين فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة

* قوله تعالى وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون (قال فيه الدارمي حكم الله تعالى ووقاره واستقصاره الامد الطويل حتى ان يوما واحدا عنده كألف سنة) قال أحمد الوقار المقرون بالحكم يفهم لغة السكون وطمأنينة الاعضاء عند المرجحات والاناة والتؤدة ونحو ذلك مما لا يطلق على الله تعالى الا بتوقيف وأما الوقار في قوله تعالى مالكم لا ترجون لله وقارا فقد فسر بالعظمة فليس من هذا وعلى الجملة فهو موقوف على ثبت في النقل

عن اللحاق به فاذا سبقه قيل أعجزه وعجزه والمعنى سعوا فى معناها بالفساد من الطعن فيها حيث سموها سحرا وشعرا وأساطير ومن تثبيط الناس عنها سابقين أو مسابقين فى زعمهم وتقديرهم طمعا فى أن يكيدهم للاسلام بتركهم (فان قلت) كان القياس أن يقال انما أنا لكم بشير ونذير لذكر الفريقين بعده (قلت) الحديث مسوق الى المشركين وياأيها الناس نداء لهم وهم الذين قيل فيهم أقلم يسيروا فى الارض ووصفوا الاستحياء لانهم أقسم المؤمنون وثوابهم ليغاظوا (من رسول ولانبى) دليل بين على تغاير الرسول والنبى وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن الانبياء فقال مائة الف وأربعة وعشرون الفا قيل فكم الرسل منهم قال ثلثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا والفرق بينهما أن الرسول من الانبياء من جمع الى المعجزة الكتاب المنزل عليه والنبى غير الرسول من لم ينزل عليه كتاب وانما أمر أن يدعو الناس الى شريعة من قبله والسبب فى نزول هذه الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أعرض عنه قومه وشاق عليه موقعه عشرته ولم يشاهدوه على ما يحبه يتمنى لفرط ضجره من اعراضهم وطمعه وتهالكه على اسلامهم أن لا ينزل عليه ما ينفرهم لعله يتخذ ذلك طريقا الى استمالتهم واستنزالهم عن عتوهم وعنادهم فاسمع ما جاءه حتى نزلت عليه سورة النجم وهو فى نادى قومه وذلك التمنى فى نفسه فأخذ يقرؤها فلما بلغ قوله ومناة الثالثة الاخرى (ألقى الشيطان فى أمنيته) التى عناها أى وسوس اليه بعد شيء سبق لسانه على سبيل السهو والغلط الى أن قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى وروى الغرانقة ولم يفطن له حتى أدركته العصمة فتنبه عليه وقيل نبهه جبريل عليه السلام أو تكلم الشيطان بذلك فأسمعه الناس فلما سجد فى آخرها سجد معه جميع من فى النادى وطابت نفوسهم وكان تمكين الشيطان من ذلك محنة من الله وابتلاء للمتقوين بشكوكهم المؤمنون نورا وأيقانا والمعنى أن الرسول والانبياء من قبلك كانت هذه سبيلهم كذلك اذا تمنوا امثل ما تمنيت مكن الله الشيطان ليلقى فى أمانيهم مثل ما ألقى فى أمنيتك ارادة امتحان من حولهم والله سبحانه له أن يمتحن عباده بما شاء من صنوف المحن وأنواع الفتن ايضاعف ثواب الثابتين ويريد فى عقاب المذبذبين وقيل

تمنى قرأ وأنشد تمنى كتاب الله أول ليلة * تمنى داود الزبور على رسل

وأمنيته قراءته وقيل تلك الغرانيق اشارة الى الملائكة أى هم الشفعاء لا الاصنام (فينسخ الله ما يلقى الشيطان) أى يذهب به ويبطله (ثم يحكم الله آياته) أى يثبتها * والذين (فى قلوبهم مرض) المنافقون والشاكون (والقاسية قلوبهم) المشركون المكذبون (وان الظالمين) بريدون هؤلاء المنافقين والمشركين وأعاد ذكرهم فوضع الظاهر موضع الضمير قضاء عليهم بالظلم (أنه الحق من ربك) أى ليعلموا أن تمكين الشيطان من الالقاء هو الحق من ربك والحكمة (وان الله لهادى الذين آمنوا الى) أن يتأولوا ما يشابه فى الدين بالتأويلات الصحيحة ويطلبوا المتأتى منه الحمل الذى تقتضيه الاصول المحكمة والقوانين المهدة حتى لا تلحقهم حيرة ولا تعتريهم شبهة ولا تزل أقدامهم وقرئ لهاد الذين آمنوا بالتنوين * الضمير فى (مرية منه) للقرآن أو للرسول صلى الله عليه وسلم * ليوم العقيم يوم بدر وانما وصف يوم الحرب بالعقيم لان أولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كأنهن عقم لم يلدن أولان المقاتلين يقال لهم أبناء الحرب فاذا قتلوا وصف يوم الحرب بالعقم على سبيل المجاز وقيل هو الذى لا خير فيه يقال ريح عقيم اذا لم تنشئ مطرا ولم تلقح شجرا وقيل لا مثل له فى عظم أمره لقتال الملائكة عليهم السلام فيه وعن العصمائ أنه يوم القيامة وأن المراد باساعة مقدماته وعجوزان يراد باساعة وبيوم عقيم يوم القيامة وكانه قيل حتى تأتيهم الساعة أو يأتيهم عذابها فوضع يوم عقيم موضع الضمير * (فان قلت) التنوين فى (يومئذ) عن أى جملة ينوب (قلت) تقديره الملك يومئذ أو يوم تزول مريتهم لقوله ولا يزال الذين كفروا فى مرية منه حتى تأتيهم الساعة * لما جمعتهم المهاجرة فى سبيل الله سوى بينهم فى الموعود أن يعطى من مات منهم مثل ما يعطى من قتل تفضلا منه واحسانا * والله عليم بدرجات العاملين ومراتب استحقاقهم (حليم) عن تفريط المفرط منهم بفضله وكرمه روى أن طوائف من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم قالوا يانبى الله هؤلاء الذين قتلوا

ورزق كريم والذين سعوا فى آياتنا معاجزين أولئك أصحاب الجحيم وما أرسلنا من قبلك من رسول ولانبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفى شقاق بعيد وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وان الله لهادى الذين آمنوا الى صراط مستقيم ولا يزال الذين كفروا فى مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم الملك يومئذ لله يحكم بينهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات فى جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين والذين هاجروا فى سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وان الله لهو خير الرازقين ليدخلنهم مدخلا يرضونه وان الله لعليم حليم

﴿القول فى سورة المؤمنون﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ * قوله تعالى قد أفلح المؤمنون الآية (قال اختلف فى الايمان على قولين أحدهما ان كل من نطق بالشهادتين مواطئا قلبه واسانه فقد اتصف بالايمان والآخر انه صفة مدح لا يستحقها الا البار التقى دون الفاسق الشقى) قال أحمد والاول مذهب الاشعرية والثانى مذهب المعتزلة والموحد الفاسق عندهم لا مؤمن ولا كافر ولهم بين المعتزلة هذا المعتقد تحريم الجنة على الموحد الفاسق بناء على انه لا يخرج وعند المؤمنين امكان البعث

الاخلاق (لعلكم تفلحون) أى افعلوا هذا كله وأنتم راجون الفلاح طامعون فيه غير متيقنين ولا متكلين على أعمالكم وعن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله فى سورة الحج سجدتان قال نعم ان لم تسجدهما فلا تقرأهما وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فضلت سورة الحج بسجدتين وبذلك احتج الشافعى رضى الله عنه فرأى سجدتين فى سورة الحج وأبو حنيفة وأصحابه رضى الله عنهم لا يرون فيها الا سجدة واحدة لانهم يقولون قرن السجود بالركوع يدل ذلك على انها سجدة صلاة لا سجدة تلاوة (وجاهدوا) أمر بالغزو وبمجاهدة النفس والهوى وهو الجهاد الاكبر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه رجع من بعض غزواته فقال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر (فى الله) أى فى ذات الله ومن أجله * يقال هو حق عالم وحق عالم أى عالم حقا وجد وامنه (حق جهاده) (فان قلت) ما وجه هذه الاضافة وكان القياس حق الجهاد فيه أو حق جهادكم فيه كما قال وجاهدوا فى الله (قلت) الاضافة تكون بأدنى ملابسة واختصاص فلما كان الجهاد مختصا بالله من حيث انه مفعول لوجهه ومن أجله صحت اضافته اليه ويجوز أن يتسع فى الظرف كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا (اجتباكم) اختاركم لدينه ولنصرته (وما جعل عليكم فى الدين من حرج) فتح باب التوبة للعصر من وفتح بأنواع الرخص والكفارات والديات والارش ونحوه قوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وأمة محمد صلى الله عليه وسلم هى الامة المرحومة الموسومة بذلك فى الكتب المتقدمة * نصب الملة بمضمون ما تقدمها كأنه قيل وسع دينكم توسعة ملة أبيكم ثم حذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه أو على الاختصاص أى أعنى بالدين ملة أبيكم كقولك الحمد لله الحميد (فان قلت) لم يكن (ابراهيم) أبا للامة كلها (قلت) هو أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان أبا لامته لان أمة الرسول فى حكم أولاده (هو) يرجع الى الله تعالى ويميل الى ابراهيم ويشهد للقول الاول قراءة أبى بن كعب الله سماكم (من قبل وفى هذا) أى من قبل القرآن فى سائر الكتب وفى القرآن أى فضلكم على الامم وسماكم بهذا الاسم الاكرم (ليكون الرسول شهيدا عليكم) أنه قد بلغكم (وتكونوا شهداء على الناس) بأن الرسل قد بلغتهم * واذ خصكم بهذه الكرامة والاثرة فاعبدوه وتقربوا ولا تطلبوا النصرة والولاية الا منه فهو خير مولى وناصر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحج أعطى من الاجر حسنة بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقى

﴿سورة المؤمنون مكية وهى مائة وتسع عشرة آية وثمانى عشرة عند الكوفيين﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(قد) نفيصة لما هى تثبت المتوقع ولما تنفيه ولا شك أن المؤمنين كانوا متوقعين لنيل هذه البشارة وهى الاخبار بثبات الفلاح لهم فخوطبوا بما دل على ثبات ما توقعوه * والفلاح الظفر بالمراد وقيل البقاء فى الخير و(أفلح) دخل فى الفلاح كأبرم دخل فى البشارة ويقال أفلحه أصاره الى الصلاح وعليه قراءة طلحة بن مصرف افلح على البناء للمفعول وعنه أفلحوا على أكلونى البراغيث أو على الابهام والتفسير وعنه أفلح ضبة بغير واو أجروا لهم أعينا كقوله فلو أن الاطبا كان حولى * (فان قلت) ما المؤمن (قلت) هو فى اللغة المصدق وأما فى الشريعة فقد اختلف فيه على قولين أحدهما ان كل من نطق بالشهادتين مواطئا قلبه لسانه فهو مؤمن والآخر

منهم لفظيا ولكن رتبوا على ذلك أمرا عظيما من أصول الدين وقواعده وقد نقل

لعلكم تفلحون وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير

﴿سورة المؤمنون مكية وهى مائة وتسع عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكوة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون

القاضى عنهم فى رسالة الايمان خلطوا ولا

فنقل عن قدمائهم كعمرو بن عبيد وطبقته ان الايمان هو التصديق بالقلب وجميع فرائض الدين فعلا وتركا والآخر

ونقل عن أبى الهذيل العلاف ان الايمان هو جميع فرائض الدين ونوافله ومختصر دليل القاضى لاهل السنة ان الايمان لغة هو مجرد التصديق اتفاقا فوجب أن يكون كذلك شرعا عملا بقوله تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه مع سلامته عن معارضة النقل فانه لو كان لبينه عليه الصلاة والسلام ولو بينه لنقل لانه مما يبتنى عليه قاعدة الوعد والوعيد ولم ينقل لان النقل اما آحاد أو تواتر الى

والآخر أنه صفة مدح لا يستحقها الا البر التقي دون الفاسق الشقي * الخشوع في الصلاة خشية القلب والجماد البصر عن قتادة وهو الزامه موضع السجود وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يصلي رافعا بصره الى السماء فلما نزلت هذه الآية رمى ببصره نحو مسجده وكان الرجل من العلماء اذا قام الى الصلاة هاب الرحمن أن يشد بصره الى شيء أو يحدث نفسه بشأن من شأن الدنيا وقيل هو جمع الهمة لها والاعراض عما سواها ومن الخشوع أن يستعمل الآداب فيتوقى كف الثوب والعبث بجسده وثيابه والالتفات والتخطي والتثاؤب والتمطي ونقطة الفم والسدل والغرقعة والتشبيك والاختصار وتقليب الحصا روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أبصر رجلا يعبث بلحيته في الصلاة فقال لو خشع قلبه خشعت جوارحه ونظر الحسن الى رجل يعبث بالحصا وهو يقول للهم زوجني الحور العين فقال بئس الخاطب أنت فخطب وأنت تعبث (فان قلت) لم أضيفت الصلاة اليهم (قلت) لان الصلاة دائرة بين المصلي والمصلى له فالمصلي هو المنتفع بها وحده وهي عنده وذخيرته فهي صلاته وأما المصلى له فغني متعال عن الحاجة اليها والانتفاع بها * اللغو ما لا ينبغي من قول أو فعل كالعبث والهزل وما توجب المروءة اتقاءه واطراحه يعني أن بهم من الجد ما يشغلهم عن الهزل لما وصفهم بالخشوع في الصلاة أتبعه الوصف بالاعراض عن اللغو ليجمع لهم الفعل والترك الشاقين على الانفس اللذين هما قاعدتا بناء التكليف * الزكاة اسم مشترك بين عين ومعنى فالعين المقدر الذي يخرجه المزكي من النصاب الى الفقير والمعنى فعل المزكي الذي هو التزكية وهو الذي أراده الله بجعل المزكين فاعلين له ولا يسوغ فيه غيره لانه مامن مصدر الا ويعبر عن معناه بالفعل ويقال لمحدثه فاعل تقول للضارب فاعل الضرب وللقاتل فاعل القتل وللمزكي فاعل التزكية وعلى هذا الكلام كله والتحقيق فيه أنك تقول في جميع الحوادث من فاعل هذا فيقال لك فاعله الله أو بعض الخلق ولم يتتبع الزكاة الدالة على العين أن يتعلق بها فاعلون بظروجهها من جهة أن يقتاوها الفاعل ولكن لان الخلق ايسوا فاعليها وقد أنشد

لا ميتين أبي الصلات ... المطعمون الطعام في السنة الاز * مقو الفاعلون للزكوات

ويجوز أن يراد بالزكاة العين ويقدر مضاف محذوف وهو الاداء ويحمل البيت على هذا أي لا غرو فيه مجموعة (على أزواجهم) في موضع الحال أي الا والين على أزواجهم أو قوامين عليهن من قولك كان فلان على فلانة فسأت عنها اذا تكلف عليها فلان وتظيره كان زياد على البصرة أي واليا عليها ومنه قولهم فلانة تحت فلان ومن ثمة سميت المرأة فراشا والمعنى أنهم لفروجهم حافظون في كافة الاحوال الا في حال تزوجهم أو تسريهم أو تعلق على بعض وقوف يتبل عليه غير ملومين كأنه قيل الا ملومين على كل مباشر الا على ما أطلق لهم فانهم غير ملومين عليه أو جعله صلة لحافظين من قولك احفظ علي عنان فرسي على تضمينه معنى الثني كأنه قيل حافظون لفروجهم على كل شيء الا على أزواجهم أو ما ملكت (فان قلت) هلا قيل من ملكت (قلت) لانه أريد به من جنس العقلاء ما يجري مجرى غير العقلاء وهم الاناث * جعل المسترثين حدا أو جب الوقوف عنده ثم قال فمن أحدث ابتغاء وراء هذا المجموع فحسبته واتساعه وهو اباحة أربع من الحرائر ومن الاماء ما شئت (فاولئك هم) الكاملون في العدوان المتناهون فيه (فان قلت) هل فيه دليل على تحريم المتعة (قلت) لا لان المنكوحة نكاح المتعة من جملة الازواج اذا صح النكاح * وقرئ (لاماناتهم) على الشيء المؤتمن عليه والمعاهد عليه أمانة وعهدا ومنه قوله تعالى ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها وقال وتخونوا أماناتكم وانما تؤدى العين لا المعاني ويخان المؤتمن عليه لا الامانة في نفسها * والراعي القائم على الشيء يحفظ واصلاح كراعي الغنم وراعي الرعية ويقال من راعى هذا الشيء أي متولية وصاحبه ويحتمل العموم في كل ما ائتمنوا عليه وعوهدوا من جهة الله تعالى ومن جهة الخلق والخصوص فيما حملوه من أمانات الناس وعهودهم * وقرئ (على صلاتهم) (فان قلت) كيف كرر ذكر الصلاة أولا وآخرا (قلت) هما ذكران مختلفان فليس بتكرير وصفوا أولا بالخشوع في صلاتهم وآخرا بالمحافظة عليها وذلك أن لا يسهوا عنها ويؤدوها في أوقاتها ويقيموا أركانها ويوكلوا نفوسهم بالاهتمام بها وبما ينبغي أن تتم به أو صافها وأيضا فقد وحدت

الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون والذين لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون

آخر ما دته * قوله تعالى والذين هم للزكاة فاعلون (قال) الزكاة تطلق ويراد بها العين المخرجة وتطلق ويراد بها فعل المزكي فهي التزكية وينبغي ههنا أن يكون المراد التزكية لقوله فاعلون اذ العين المخرجة لم يفعلها المزكي ثم ضبط المصدر على الاطلاق بانه الذي يصدق عليه انه فعل الفاعل فعلى هذا تكون العين المخرجة مصدرا بالنسبة الى الله تعالى وكذلك السموات والارض وكل مخلوق من جوهر وعرض قال فجميع الحوادث اذا قيل من فاعلها فيقال الله أو بعض الخلق (قال أحمد) ويقول السني فاعل جميعها هو الله وحده لا شريك له ولكن اذا سئل بصيغة مشتقة من الفعل على طريقة اسم الفاعل مثل ان يقال له من القائم من القاعد أجاب بين خلق الله القعود على يديه وجعله محلا لكريهة وهو

أولا ليعتاد الخشوع فى جنس الصلاة أى صلاة كانت وجمعت آخر التنفاد المحافظة على أعدادها وهى الصلوات الخمس والوتر والسنن المرتبة مع كل صلاة وصلاة الجمعة والعيدين والجنازة والاستسقاء والكسوف والخسوف وصلاة الضحى والتهجد وصلاة التسبيح وصلاة الحاجة وغيرها من النوافل * أى (أولئك) الجامعون لهذه الاوصاف (هم الوارثون) الاحقاء بأن يسموا وارثا دون من عداهم ثم ترجم الوارثين بقوله (الذين يرثون الفردوس) بخلاء بضامة وحرالة لارثهم لاتخفى على الناظر ومعنى الارث ما مر فى سورة مريم * أنث الفردوس على تأويل الجنة وهو البستان الواسع الجامع لاصناف الثمر روى أن الله عز وجل بنى جنة الفردوس لبنة من ذهب ولبنة من فضة وجعل خلالها المسك الاذفر وفى رواية ولبنة من مسك مذرى وغرس فيها من جيد الفاكهة وجيد الريحان * السلالة الخلاصة لانها تسل من بين الكدر وفعالة بناء للقلة كالقلامة والقمامة وعن الحسن ما بين ظهرانى الطين (فان قلت) ما الفرق بين من ومن (قلت) الاول للابتداء والثانى للبيان كقوله من الاوثان (فان قلت) ما معنى (جعلنا) الانسان (نطفة) (قلت) معناه أنه خلق جوهر الانسان أولا طينا ثم جعل جوهره بعد ذلك نطفة * القرار المستقر والمراد الرحم وصفت بالمكانة التى هى صفة المستقر فيها كقولك طريق سائر أو بمكانة فى نفسها لانها ممكنت بحيث هى وأحرزت * قرئ عظما فكسونا العظم وعظاما فكسونا العظام وعظاما فكسونا العظام وعظاما فكسونا العظم وضع الواحد مكان الجمع لزوال اللبس لان الانسان ذو عظام كثيرة (خلقا آخر) أى خلقا مباينا للخلق الاول مباينة ما أبعدها حيث جعله حيوانا وكان جمادا ونطفة وكان أبكم وسميعا وكان أصم وبصيرا وكان له كمه وأودع باطنه وظاهره وكل عضو من أعضائه وكل جزء من أجزائه عجائب فطرة وغرائب حكمة لا تدرك بوصف الواصف ولا تبلغ بشرح الشارح وقد اخترع أبو حنيفة فى غصب بيضة فأفرخت عنده قال بضمن البيضة ولا يرد الفرخ لانه خلق آخر سوى البيضة (فتبارك الله) فتعالى أمره فى قدرته وعلمه (أحسن الخالقين) أى أحسن المقدرين تقديرا فترك ذكر المميز لدلالة الخالقين عليه ونحوه طرح المأذون فيه فى قوله أذن للذين يقاتلون لدلالة الصلة وروى عن عمر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغ قوله خلقا آخر قال فتبارك الله أحسن الخالقين وروى أن عبد الله بن سعد بن أبى سرح كان يكتب للنبى صلى الله عليه وسلم فنطق بذلك قبل إملائه فقال له النبى صلى الله عليه وسلم اكتب هكذا نزلت فقال عبد الله ان كان محمد نبيا يوحى اليه فأنا نبى يوحى الى فلحق بمكة كافرا ثم أسلم يوم الفتح * قرأ ابن أبى عبلة وابن محيصن الماتون والعرق بين الميت والمائت أن الميت كالحى صفة ثابتة وأما المائت فيدل على الحدوث تقول زيد مائت الآن ومائت غدا كقولك عوت ونحوها ضيق وضائق فى قوله تعالى وضائق به صدرك جعل الاماتة التى هى اعدام الحياة والبعث الذى هو اعادة ما فنيه وبعده دليلين أيضا على اقتدار عظيم بعد الانشاء والاختراع (فان قلت) فاذا الاحياة الاحياة الانشاء وحياة البعث (قلت) ليس فى ذكر الحياتين نفى الثالثة وهى حياة القبر كالو ذكرت ثانى ما عندك وطويت ذكر ثلثه لم يكن دليلا على أن الثلث ليس عندك وأيضا فالغرض ذكر هذه الاجناس الثلاثة الانشاء والاماتة والاعادة والمطوى ذكرها من جنس الاعادة الطرائق السموات لانه طورق بعضها فوق بعض كمطارقة النعل وكل شئ فوقه مثله فهو طريقة أولانها طرق الملائكة ومتقلباتهم وقيل الافلاك لانها طرائق الكواكب فيها سيرها * أراد بالخلق السموات كانه قال خلقنا هافوقهم (وما كنا) عنها (غافلين) وعن حفظها وامساكها أن تقع فوقهم بقدرتنا أو أراد به الناس وأنه انما خلقها فوقهم لينتفع عليهم الارزاق والبركات منها وبنفعهم بأنواع منافعها وما كان غافلا عنهم وما يصلحهم (بقدر) بتقدير يسلمون معه من المضرة ويصلون الى المنفعة أو بمقدار ما علمناه من حاجاتهم ومصالحهم (فاسكناه فى الارض) كقوله فسلكه ينابيع فى الارض وقيل جعلناه ثابتا فى الارض وقيل انها احدى عشرة أنهارا سيحون نهر الهند وجيحون نهر بلخ ودجلة والفرات نهرا العراق والنيل نهر مصر أنزلها الله من عين واحدة من عيون الجنة فاستودعها الجبال وأجراها فى الارض وجعل فيها منافع للناس فى أصناف

أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين وأنزلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه فى الارض

معائشهم

معايشهم * وكما قدر على انزاله فهو قادر على رفعه وازالته وقوله (على ذهاب به) من أوقع النكرات وأعمها للفضل والمعنى على وجه من وجوه الذهاب به وطريق من طرقه وفيه ايذان بافتقار الذهب وأنه لا يتعايا عليه شيء اذا أراده وهو أبلغ في الايعاد من قوله قل أرأيتم ان أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين فعلى العباد أن يستعظموا النعمة في الماء ويقيدوها بالشكر الدائم ويخافوا اغارها اذا لم تشكر * خص هذه الانواع الثلاثة لانها أكرم الشجر وأفضلها وأجمعها للمنافع ووصف النخيل والعنب بان ثمرهما جامع بين أمرين بأنه فاكهة يتفكه بها وطعام يؤكل رطبا ويابسا رطبا وعنبا وتمرا وزبيبا والزيتون بأن دهنه صالح للاستصباح والاصطباغ جميعا ويجوز أن يكون قوله ومنها تأكلون من قولهم يأكل فلان من حرفة يحترفها ومن ضيعة يغتلها ومن تجارة يتربح بها يعنون أنها طعمته ووجهته التي منها تحصل رزقه كله قال وهذه الجنات وجوه أرزاقكم ومعايشكم منها ترزقون وتتعيشون (وشجرة) عطف على جنات وقرئت مرفوعة على الابتداء أي ومما أنشئ لكم شجرة (طور سيناء) وطور سينين لا يخلو اما أن يضاف فيه الطور الى بقعة اسمها سيناء وسينون واما أن يكون اسما للجبل مركبا من مضاف ومضاف اليه كامرئ القيس وكبعلبك فيمن أضاف فمن كسر سين سيناء فقد منع الصرف للتعريف والعجمة أو التأنيث لانها بقعة وفعلا لا يكون ألفه للتأنيث تعلما وعجمة ومن فتح فلم يصرف لان الالف للتأنيث كحمراء وقيل هو جبل فلسطين وقيل بين مصر وأيلة ومنه نودي موسى عليه السلام وقرأ الاعمش سيناء على القصر (بالدهن) في موضع الحال أي تنبت وفيها الدهن وقرئ تنبت وفيه وجهان أحدهما أن أنبت بمعنى نبت وأنشد لزهير

رأيت ذوي الحاجات حول بيوتهم * قطينا لهم حتى اذا أنبت البقل

والثاني أن مفعوله محذوف أي تنبت زيتونها وفيه الزيت وقرئ تنبت بضم التاء وفتح الباء وحكمه حكم تنبت وقرأ ابن مسعود تخرج الدهن وصبغ الآكلين وغيره تخرج بالدهن وفي حرف أبي تفيء بالدهن وعن بعضهم تنبت بالدهان وقرأ الاعمش وصباغ وقرئ وصباغ ونحوها مادبغ ودباغ والصبغ الغمس للابتدام وقيل هي أول شجرة نبتت بعد الطوفان ووصفها الله تعالى بالبركة في قوله توقد من شجرة مباركة * قرئ تسقيكم بتاء منتوحة أي تسقيكم الانعام (ومنها تأكلون) أي تتعلق بها منافع من الركوب والحمل وغير ذلك كما تتعلق بما لا يؤكل لحمه من الخيل والبغال والحمير وفيها منفعة زائدة وهي الاكل الذي هو انتفاع بذواتها والتنصيص بالانعام الى الابل لانها هي المحمول عليها في العادة وغرضا لله تلك التي هي السفائن لانها سفائن البر قال ذو الرمة * سفينة بر تحت خدي زمامها * يريد صيدحه (غيره) بالرفع على المحل وبالجر على اللفظ والجملة استئناف تجري مجرى التعليل للامر بالعبادة (أفلا تتقون) أفلا تخافون أن ترفضوا عبادة الله الذي هو ربكم وخالقكم ورازقكم وشكر نعمته التي لا تحصونها واجب عليكم تمردتم فيه وعبدتم غيره مما ليس من استحقاق العبادة في شيء (أن يتفضل عليكم) أن يطلب الفضل عليكم ويراسكم كقوله تعالى وتكون لكما الكبرياء في الارض (بهذا) اشارة الى نوح عليه السلام أو الى ما كلمهم به من الحث على عبادة الله أي ما سمعنا مثل هذا الكلام أو مثل هذا الذي يدعي وهو بشر انه رسول الله وما أعجب شأن الضلال لم يرضوا للنبوة ببشر وقدروا للالهية بحجر وقولهم ما سمعنا بهذا يدل على أنهم وآباءهم كانوا في فترة متطاولة أو تكذبوا ذلك لانهما كوهم في الغي وتشمرهم لان يدفعوا الحق عما أمكنهم ودعاءتهم لهم من غير تمييز منهم بين صدق وكذب ألا ترى كيف جننوه وقد علموا أنه أرجح الناس عقلا وأوزنهم قولا * والجنة الجنون أو الجن أي بمن يخبلونه (حتى حين) أي احتملوه واصبروا عليه الى زمان حتى يخلي أمره عن عاقبة فان أفاق من جنونه والا قتلتموه * في نصرته اهلاكهم فكأنه قال أهلكهم بسبب تكذيبهم اياي أو انصرني بدل ما كذبوني كما تقول هذا بدال أي بدل ذلك ومكانه والمعنى أبدلني من غم تكذيبهم سلوة النصرة عليهم أو انصرني بانجاز ما وعدتهم من العذاب وهو ما كذبوه فيه حين قال لهم اني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم (بأعيننا) بحفظنا وكلاءتنا كأن معه من الله حفاظا يحفظونه بعيونهم لئلا يتعرض له ولا يفسد عليه مفسد عمله ومنه

وانا على ذهاب به لقادرون
فأنشأنا لكم به جنات
من نخيل وأعناب لكم
فيها فواكه كثيرة ومنها
تأكلون وشجرة تخرج
من طور سيناء تنبت
بالدهن وصبغ للآكلين
وان لكم في الانعام
لعبرة نسقيكم مما في
بطونها ولكم فيها منافع
كثيرة ومنها تأكلون
وعليها وعلى الفلك
تحملون ولقد أرسلنا
نوحا الى قومه فقال يا قوم
اعبدوا الله مالكم من
اله غيره أفلا تتقون
فقال الملأ الذين كفروا
من قومه ما هذا الا
بشر مثلكم يريد أن
يتفضل عليكم ولو شاء الله
لأنزل ملائكة ما سمعنا
بهذا في آبائنا الاولين
ان هو الا رجل به جنة
فتربصوا به حتى حين
قال رب انصرني بما
كذبون فأوحينا اليه أن
اصنع الفلك بأعيننا

قولهم عليه من الله عين كاثة (ووحينا) أي بأمرنا كيف تصنع وتعمل روى أنه أوحى اليه أن يصنعها على مثال جؤجؤ الطائر * روى أنه قيل لنوح عليه السلام اذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب أنت ومن معك في السفينة فلما نبع الماء من التنور أخبرته امرأته فركب وقيل كان تنور آدم عليه السلام وكان من حجارة فصار الى نوح واختلف في مكانه فعن الشعبي في مسجد الكوفة عن يمين الداخل عما يلي باب كندة وكان نوح عمل السفينة وسط المسجد وقيل بالشأم موضع يقال له عين وردة وقيل بالهند وعن ابن عباس رضي الله عنه التنور وجه الارض وعن قتادة أشرف موضع في الارض أي أعلاه وعن علي رضي الله عنه فار التنور طلع الفجر وقيل معناه أن فوران التنور كان عند تنوير الفجر وقيل هو مثل كقولهم حمي الوطيس والقول هو الاول * يقال سلك فيه دخله وسلك غيره وأسلكه قال * حتى اذا أسلكوهم في قتائدة (من كل زوجين) من كل أمتي زوجين وهما أمة الذكر وأمة الانثى كالجمل والناقة والحصان والرمالة (اثنين) واحدين مزدوجين كالجمل والناقة والحصان والرمكة روى أنه لم يحمل الا ما يلد ويبيض وقرئ من كل بالتنوين أي من كل أمة زوجين واثنين تأكيد وزيادة بيان * جئ بعلى مع سبق الضار كجئ بالام مع سبق النافع قال الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ونحوه قوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وقول عمر رضي الله عنه ليتها كانت كفافا لا علي ولا لي * (فان قلت) لم نهاه عن الدعاء لهم بالنجاة (قلت) لما تضمنته الآية من كونهم ظالمين وايجاب الحكمة أن يغرقوا والاخلال بما عرف من المصلحة في اغراقهم والمفسدة في استبقائهم وبعد أن أعلمه الله الامر على التفاصيل فلم يريدوا الا ضلالا ولو رحمهم لحجة البالغة لهم بقي الآن جملوا عبرة للمعتبرين * ولقد بالغ في ذلك حيث أتبع النهي عنه الامر بالحمد على هلاكهم وانجاته منهم كقوله فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين * ثم أمره أن يدعوه بدعاء هو أهم وأنفع له وهو طلب أن ينزله في السفينة أو في الارض عند خروجه منها منزلا يبارك له فيه ويعطيه الزيادة في خير الدارين وأن يشفع الدعاء الثناء عليه المطابق لمسئلته وهو قوله (وأنت خير المنزلين) (فان قلت) هلا قيل بعد قوله فاذا استويت أنت ومن معك الآية في معنى فاذا استويتم (قلت) لانه نبههم وامامهم فكان قوله قولهم مع ما فيه من الاشعار بفضل النبوة واظهار كبرياء الربوبية وأن رتبة تلك المخاطبة لا يترقى اليها الا ملك أو نبي * وقرئ منزلا بمعنى انزالا أو موضع انزال كقوله ليدخلنهم مدخلا يرضونه (ان) هي المخففة من الثقيلة والام هي الفارقة بينها وبين النافية ومعنى وان الشأن والقصة (كنا لمبتلين) أي مصيبين قوما في ورطة بلاء عظيم وعقاب شديد أو مختبرين بهذه الآيات عباد الناظر من يعتبر ويتدبر كرر قوله تعالى ولقد تركناها آية قيل من متذكر (قرنا آخرين) هم عاد قوم هود من ابن عباس رضي الله عنهما وتشهد له حكاية الله تعالى قول هود واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وسمى عقصة هود على أثر قصة نوح في سورة الاعراف وسورة هود والشعراء * (فان قلت) حق أرسل أن يعدى بالى كالخوانه التي هي وجه وأنذر وبعث فما باله عدي في القرآن بالى تارة وفي أخرى كقوله كذلك أرسلناك في أمة وما أرسلناك في قرية من نذير (فارسلنا فيهم رسولا) أي في عاد وفي موضع آخر والى عاد أخاهم هودا (علت) لم يعدني بالى كما عدي بالى ولم يجعل صلة مثله ولكن الامة والقرية جعلت موضعا للارسال كما قال رؤبة * أرسلت فيها مسعدا والقحما * وقد جاء بعث على ذلك في قوله ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا (أن) مفسرة لارسلنا أي قلنا لهم على لسان الرسول (اعبدوا الله) * (فان قلت) ذكر مقال قوم هود في جوابه في سورة الاعراف وسورة هود بغير واو وقال الملأ الذين كفروا من قومه انا لنراك في سفاهة قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وههنا مع الواو فأي فرق بينهما (قلت) الذي بغير واو على تقدير سؤال سائل عال فماذا قال قومه فقيل له قالوا كيت وكيت وأما الذي مع الواو فعطف ما قالوه على ما قاله ومعناه أنه اجتمع في الحصول هذا القول الباطل وشئ آخر ما هو أعظم منه وهو انكارهم البعث والحساب والثواب والعقاب كقولك بايعنا بيعا وكذا والله في مكة * حذف الضمير والمعنى من مشهورتكم أو حذف منه

لدلالة

وحينا فاذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين وأهلك الا من سبق عليه القول منهم ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين وقل رب أنزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين ان في ذلك لآيات وان كنا لمبتلين ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين فأرسلنا فيهم رسولا منهم أن اعبدوا الله ما لكم من اله غيره أفلا تتقون وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم في الحياة الدنيا ما هذا الا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ولئن أطعتم بشرا مثلكم

للدلالة ما قبله عليه (اذا) واقع في جزاء الشرط وجواب الذين قالوا لهم من قومهم أي تخسرون عقولكم وتغبنون في آرائكم * ثني (أنكم) للتوكيد وحسن ذلك للفصل ما بين الاول والثاني بالظرف ومخرجون خبر عن الاول أو جعل أنكم مخرجون مبتدأ وإذا أنتم خبر على معنى اخراجكم إذا أنتم ثم أخبر بالجملة عن أنكم أو رفع أنكم مخرجون بفعل هو جزاء للشرط كأنه قيل إذا أنتم وقع اخراجكم ثم أوقعت الجملة الشرطية خبرا عن أنكم وفي قراءة ابن مسعود أبعدكم إذا أنتم * قرئ (هيهات) بالفتح والكسر والضم كلها بتنوين وبلا تنوين وبالسكون على لفظ الوقف * (فان قلت) ما توعدون هو المستبعد ومن حقه أن يرتفع بهيهات كما ارتفع في قوله * فهيهات هيهات العقيق وأهله * فما هذه اللام (قلت) قال الزجاج في تفسيره البعد لما توعدون أو بعد لما توعدون ثم بين ثون فنزله منزلة المصدر وفيه وجه آخر وهو أن يكون اللام لبيان المستبعد ما هو بعد التصويت بكلمة الاستبعاد كما جاءت اللام في هيت لك لبيان المهيت به * هذا ضمير لا يعلم ما يعني به الا بما يتلوه من بيانه وأصله ان الحياة (الاحياتنا الدنيا) ثم وضع هي موضع الحياة لان الخبر يدل عليها وبينها ومنه هي النفس تحمل ما حملت وهي العرب تقول ما شاءت والمعنى لا حياة الا هذه الحياة لان ان النافية دخلت على هي التي في معنى الحياة الدالة على الجنس فنفتها فوازنت لا التي نفت ما بعدها في الجنس (نموت ونحيى) أي يموت بعض ويولد بعض يتقرض قرن ويأتي قرن آخر * ثم قالوا ما هو الا مفتر على الله فيما يدعيه من استنباءه له وفيما يعدنا من البعث وما نحن بمصدقين (قليل) صفة للزمان كقتيم وحديث في قولك ما رأيته قديما ولا حديثا وفي معناه عن قريب وما توكيد لمعنى القلة وقصرها (الصيحة) صيحة جبريل عليه السلام صاح عليهم فدمرهم (بالحق) بالوجوب لانهم قد استوجبوا الهلاك أو بالعدل من الله من قولك دان يقضي بالحق اذا كان عادلا في قضاياه * شبههم في تمارهم بالغثاء وهو حمل السيل عالي واسود من العيدان والورق ومنه قوله تعالى فجعله غثاء أحوى وقد جاء مضيفا في قول امرئ القيس

* من السيل والغثاء فلكة مغزل * بعدا وسحقا وقد يقولون هما مصادر موضوعة موضع أبعدهما وهي من جملة المصادر التي قال سيبويه نصبت بافعل لا يستعمل اظهار هذا وهو معنى بعدا بعدوا أي هلكوا يقال بعد بعدا وبعدا نحو رشد رشدا ورشدا (للقوم الظالمين) بيان لمن دعي عليه بالبعد نحو هيت لك والموعدون (قرونا) قوم صالح ونوح وشعيب وغيرهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما بنو اسرائيل (أجلها) الوقت الذي حد هلاكها وكتب (تترى) فعلى الالف للتأنيث لان الرسل جماعة وقرئ تترى بالتنوين والتاء بدل من الواو كتالي تولج وتيقور وأرى متواترين واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد أضاف الرسل اليه تعالى والى أممهم والقياس جاءتهم رسلنا بالاضافة فكان جاءتهم رسلهم بالبينات لان الاضافة تكون بالملابسة والرسول ملابس المرسل والمرسل اليهم جميعا (فأتبعنا) الامم أو القرون (بعضهم بعضا) في الاهلاك (وجعلناهم) أحاديث سمر او نتحدث منها * الاحاديث تكون اسم جمع للحديث ومنه أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وتكون جمعا للاحدوثة التي هي مثل الاضحوكة والاعجوبة وهي مما يحدث به الناس تلهيا وتعجبا وهو المراد ههنا * (فان قلت) ما المراد بالسلطان المبين (قلت) يجوز أن تراد العصا لانها كانت أم آيات موسى وأولاها وقد تعلقت بها معجزات شتى من انقلابها حية وتلقفها ما أفكته السحرة وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربه بها وكونها حارسا وسمسة وشجرة خضراء مثمرة وغير ذلك مما جعلت كأنها ليست بعضها لما استبدت به من الفضل فلذلك عطفت عليها كقوله تعالى وجبريل وميكال ويجوز أن تراد الآيات أنفسها التي هي آيات وحجة بينة (عالين) متكبرين ان فرعون علا في الارض لا يريدون علوا في الارض أو مترفعين على الناس قاهرين بالبغي والظلم * البشر يكون واحدا وجمعا شبراسوا بالبشرين فلما تريين من البشر * ومثل وغير يوصف بهما الاثنان والجمع والمذكر والمؤنث انكم اذا مثلتهم ومن الارض مثلتين ويقال أيضا هما مثلاهم أمثاله ان الذين تدعون هي دون الله عباد أمثالكم (فدمرناهما) يعني بني اسرائيل كانهم بعبدونا خضوعا وتذللا أولانه كان يدعى الالهية فادعى الناس العباد وأن طاعتهم

انكم اذا لخاسرون
أيعدكم أنكم اذا متم
وكنتم ترابا وعظاما أنكم
مخرجون هيهات
هيهات لما توعدون ان
هي الا حياتنا الدنيا
نموت ونحيى وما نحن
بمبعوثين ان هو الا رجل
افترى على الله كذبا
وما نحن له بمؤمنين قال
رب انصرني بما كذبون
قال عما قليل ليصبحن
نادمين فأخذتهم
الصيحة بالحق فجعلناهم
غثاء فبعدا للقوم
الظالمين ثم أنشأنا من
بعدهم قرونا آخرين
ما تسبق من أمة
أجلها وما يستأخرون
ثم أرسلنا رسلنا تترى
كلما جاء أمة رسولها
كذبوه فأتبعنا بعضهم
بعضا وجعلناهم
أحاديث فبعدا لقوم
لا يؤمنون ثم أرسلنا
موسى وأخاه هرون
بآياتنا وسلطان مبين
الى فرعون وملئه
فاستكبروا وكانوا قوما
عالين فقالوا أنؤمن
لبشرين مثلنا وقومهما
لنا عابدون فكذبوهما
فكانوا من المهلكين
ولقد آتينا

*وقوله عز وجل يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا (قال هذا النداء والخطاب ليسا على ظاهرهما وكيف والرسل انما أرسلوا متفرقين في أزمنة مختلفة وانما المعنى الاعلام بان كل رسول في زمانه نودي بذلك) قال أحمد هذه نفحة اعتزالية فان مذهب أهل السنة ان الله تعالى متكلم آمرناه أزلا ولا يشترط في تحقق الامر وجود المخاطب فعلى هذا قوله كلوا من الطيبات واعملوا صالحا

موسى الكتاب لعلهم يهتدون وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا انى بما تعملون عليم وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون فذرهم في غمرتهم حتى حين أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم بآيات ربهم يؤمنون والذين هم بربهم لا يشركون والذين

على ظاهره وحقيقته عند أهل الحق وهو ثابت ازلا على تقدير وجود المخاطبين فيما لا يزال متفرقين كان هذا الخطاب أو مجتمعين كما في زعمه والمعتزلة لما ثبت اعتقاد قدم الكلام لزمت لهم القدم حتى حملوا هذه الآية

وقوله

عز وجل شاهدا على المجاز وخلاف الظاهر وهيهات الزمخشري يخص هذه الآية بانها على خلاف الظاهر ومعتقده يوجب حمل مثل قوله

وهو الصلاة وآتوا الزكاة وجميع الاوامر العامة الآمرة بخلاف الناهية

له عبادة على الحقيقة (موسى الكتاب) أي قوم موسى التوراة (لعلهم) يعملون بشرائعها ومواعظها مما قال على خوف من فرعون وملئهم يريد آل فرعون وكانوا يقولون هاتم وثقيف وتميم وبراد قومهم ولا يجوز أن يرجع الضمير في لعلهم الى فرعون وملئه لان التوراة انما أوتيها بنو اسرائيل بعد اغراق فرعون وملئه ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الاولى *(فان قلت) لو قيل آتينا هل كان يكون له وجه (قلت) نعم لان مريم ولدت من غير مسيس وعيسى روح من الله ألقى اليها وقد تكلم في المهد وكان يحيى الموتى مع معجزات أخر فكان آية من غير وجه والالتفات مستحسن للتنشيط على تقدير (وجعلنا ابن مريم) آية (وأمه آية) ثم حذفت الاولى لدلالة الثانية عليها *الربوة والرباوة في رائعهما الحركات وقرئ بهن وربوة وربوة بالضم ورباوة بالكسر وهي الارض المرتفعة قيل هي ايليا أرض بيت المقدس وانها أكبد الارض وأقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا عن كعب وقيل دمشق وغوطتها وعن الحسن فلسطين والرملة وعن أبي هريرة الزموا هذه الرملة رملة فلسطين فانها الربوة التي ذكرها الله وقيل مصر *والقرار المستقر من أرض مستوية منبسطة وعن قتادة ذات ثمار وماء يعني انه لاجل الثمار يستقر فيها ما كنوها *والمعين الماء الظاهر الجاري على وجه الارض وقد اختلف في زيادة ميمه وأصالته فوجه من جعله مفعولا أنه مدرك بالعين لظهوره ومن عانه اذا أدركه بعينه نحو رآه اذا صرح به ركبته ووجه من جعله فعيلا انه نفاع بظهوره وجريه من الماعون وهو المنفعة *هذا النداء والخطاب ليسا على ظاهرهما وكيف والرسل انما أرسلوا متفرقين في أزمنة مختلفة وانما المعنى الاعلام بان كل رسول في زمانه نودي بذلك ووصي به ليعتقد السامع أن أمر نودي له جميع الرسل ووصوا به بتحقيق أن يؤخذ به ويعمل عليه *والمراد بالطيبات ما حل وطاب وقيل طيبات الرزق حلال وصاف وقوام فالحلال الذي لا يعصى الله فيه والصافي الذي لا ينسى الله فيه والقوام ما يمسك النفس ويحفظ العقل أو أريد ما يستطاب ويستلذ من المآكل والفواكه وينهى عن تحيفه على عقب قوله وآويناها الى ربوة ذات قرار ومعين ويجوز أن يقع هذا الاعلام عند ايواء عيسى ومريم الى الربوة فذكر على سبيل الحكاية أي آويناهما وقلنا لهما هذا أي أعلمنا أن الرسل كلهم خوطبوا بهذا فكذلك أنا رزقناكما واعملا صالحا اقتداء بالرسل *قرئ وان بالكسر على الاستئناف وان بمعنى ولان بأن مخففة من الثقيلة و(أمتكم) مرفوعة معها *وقرئ (زبرا) جمع زبور أي كتبا مختلفة بمعنى جعلوا دينهم أديانا وزبرا قطعا استعيرت من زبر الفضة والحديد وزبرا مخففة الباء كرسل في رسل *أي كل فرقة من فرق هؤلاء المختلفين المتقطعين دينهم فرح بباطله مطمئن النفس معتقد أنه على الحق *الغمرة الماء الذي يغمر القامة فضربت مثلا لما هم مغمورون فيه من جهلهم وعمايتهم أو شبهوا بالداعين في غمرة الماء لما هم عليه من الباطل قال *كأني حنارب في غمرة لعب *وعن علي رضي الله عنه في غمراتهم (حتى حين) الى أن يقتلوا أو يموتوا على ضلالهم *وعن ابن عباس رضي الله عنهما وسلم بذلك ونهى عن الاستعجال بعذابهم والخروج من تأخيره *وقرئ يمدهم ويسارع ويسرع بالياء والفاعل الله سبحانه وتعالى ويجوز في يسارع ويسرع أن يتضمن ضمير المدبه ويسارع سنيا لهم قول والمعنى أن هذا الامداد ليس الا استدراجا لهم الى المعاصي واستمرارا الى زيادة الاثم وهم يحسبونه مسارعة لهم في الخيرات وتعجيلا لهم فيه نفع واكرام ومعاجلة بالثواب قبل وقته ويجوز أن يراد في جزاء الخيرات كما يفعل بأهل الخير من المسلمين (وبل) استدراك لقوله أيحسبون يعني بل هم أشباه البهائم لا فطنة بهم ولا شعور حتى يتأملوا ويتفكروا في ذلك أهو استدراج أم مسارعة في الخير (فان قلت) أين الراجع من خبر أن الى اسمها اذا لم يستكن فيه ضميره (قلت) هو محذوف تقديره نسارع به ونسارع به ويسارع الله به كقوله ان ذلك لمن عزم الامور أي ان ذلك منه وذلك لاستطالة الكلام مع أمن الالباس

(يؤتون ما آتوا) يعطون ما أعطوا وفى قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة يأتون ما أتوا أى يفعلون ما فعلوا وعنها أنها قالت قلت يا رسول الله هو الذى يزنى ويسرق ويشرب الخمر وهو على ذلك يخاف الله قال لا يا بنة الصديق ولكن هو الذى يصلى ويصوم ويتصدق وهو على ذلك يخاف الله أن لا يقبل منه (يسارعون فى الخيرات) يحتمل معنيين أحدهما أن يراد يرغبون فى الطاعات أشد الرغبة فيبادرونها والثانى أنهم يتجلون فى الدنيا للمنافع ووجوه الاكرام كما قال فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة وآتيناه أجره فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين لانهم اذا سورع بهم اذا سورع بهم فقد سارعوا فى نيلها واتجلوها وهذا الوجه أحسن طبقا للآية المتقدمة لان فيه اثبات مانع عن الكفار للمؤمنين وقرئ يسرعون فى الخيرات (وهم لها سابقون) أى فاعلون السبق لاجلها أو سابقون الناس لاجلها أو لها سابقون أى بنالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم فى الدنيا ويجوز أن يكون لها سابقون خبرا بعد خبر ومعنى وهم لها كمعنى قوله

* أنت لها أحمد من بين البشر * يعنى أن هذا الذى وصف به الصالحين غير خارج من حد الوسع والطاقة وكذلك كل ما كلفه عباده وما عملوه من الاعمال فغير ضائع عنده بل هو مثبت لديه فى كتاب يريد اللوح أو صحيفة الاعمال ناطق بالحق لا يقرؤن منه يوم القيامة الا ما هو صدق وعدل لا زيادة فيه ولا نقصان ولا يظلم منهم أحد أو أراد أن الله لا يكلف الا الوسع فلم يبلغ المكلف أن يكون على صفة هؤلاء السابقين بعد أن يستفرغ وسعه ويبذل طاقته فلا عليه ولدينا كتاب فيه عمل السابق والمقتصد ولا نظلم أحدا من حقه ولا نحطه دون درجته * بل قلوب الكفرة فى غفلة غامرة لها (من هذا) أى مما عليه هؤلاء الموصوفون من المؤمنين (وهم أعمال) متجاوزة محطية لذلك أى لما وصف به المؤمنون (هم لها) معتادون وبها صابرون لا يطيقون عنها حتى يأخذهم الله العذاب * وحتى هذه هى التى يبتدأ بعدها الكلام والكلام الجملة الشرطية والعذاب قتلهم يوم بدر أو الجوع حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فنال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف فاسنة الله القحط حتى أكلوا الجيف والكلاب والعظام المحترقة والقدد والاولاد * الجؤار الصراخ باستغاثة قال * جأر ساعات النهار الى ربه * أى يقال لهم حينئذ (لا تجأروا) فان الجؤار غير نافع لكم (منا لا تنصرون) لا تغاثون ولا تغنون منا أو من جهتنا لا يلحقكم نصر ومعونة * قالوا الضمير فى (به) للبيت العتيق أو للحرم كانوا يقولون لا يظهر علينا أحد لانا أهل الحرم والذى سوغ هذا الاضمار شهرتهم بالاستكبار بالبيت وأنه لم تكن لهم مفخرة الا أنهم ولاته والقائمون به ويجوز أن يرجع الى آياتى الا أنه ذكر لانها فى معنى كتابى ومعنى استكباركم بالقرآن تكذيبهم به استكبارا ضمن مستكبرين معنى مكذبين فعدى تعديته أو حدثت لكم استماعه استكبارا وعتوا فأنتم مستكبرون بسببه أو تتعلق الباء بسامرا أى تهجرون بذكر القرآن وبالطعن فيه وكانوا يجتمعون حول البيت بالليل يسمرون وكانت عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته سحرا وشعرا وسب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يهجرون والسامر نحو الحاضر فى الاطلاق على الجمع وقرئ سمرا وسمارا وتهجرون وتهجرون من أهجر فى منطقه اذا أفحش والهجر بالضم الفحش ومن هجر الذى هو مبالغة فى هجر اذا هذى والهجر بالفتح الهذيان (القول) القرآن بقول أفلم يتدبروه ليعلموا أنه الحق المبين فيصدقوه ويعملوا بما فيه بل (أجاءهم ما لم يأت آباءهم) فلذلك أنكروه واستبعدوه كقوله لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون أو ليتدبروا عند تدبر آبائه وأقاصيصه مثل ما نزل بمن قبلهم من المكذبين أم جاءهم من الامن ما لم يأت آباءهم حين خافوا الله فآمنوا به وبكتبه ورسله وأطاعوه وآباؤهم اسمعيل وأعقابه من عدنان وقحطان وعن النبى صلى الله عليه وسلم لا تسبوا مضر ولا ربيعة فانهما كانا مسلمين ولا تسبوا فسافانه كان مسلما ولا تسبوا الحرث بن كعب ولا أسد ابن خزيمة ولا تميما من هم فانهم كانوا على الاسلام وما شككتم فيه من شئ فلا تشكوا فى أن تبعا كان مسلما وروى فى أن ضبة كان مسلما وكان على شرطة سليمان بن داود (أم لم يعرفوا) محمدا وصحة نسبه وحاله فى سطة هاشم وأمانته وصدقه ونهاضته وعقد واتساعه بأنه خير فتيان قريش والخطبة التى خطبها أبوطالب

يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم الى ربهم راجعون أولئك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون ولا نكلف نفسا الا وسعها ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون بل قلوبهم فى غمرة من هذا ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون حتى اذا أخذنا مترفيهم بالعذاب اذا هم يجأرون لا تجأروا اليوم انكم منا لا تنصرون قد كانت آياتى تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون مستكبرين به سامرا تهجرون أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون أم يقولون به جنة بل جاءهم بالحق

* قوله تعالى بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون (قال فان قلت أكثرهم يعطى ان أقلهم لا يكره الحق وكيف ذلك والكل كفرة قلت فيهم من أبى الاسلام حذرا من مخالفة آبائه ومن أن يقال صبأ كأبى طالب لا كراهة للحق) قال أحمد وأحسن من هذا أن يكون الضمير فى قوله وأكثرهم على الجنس للناس كافة ولما ذكر هذه الطائفة من الجنس بنى الكلام فى قوله وأكثرهم على الجنس بجملته كقوله ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وكقوله وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ويدل على ذلك قوله تعالى بل جاءهم بالحق والنبى صلى الله عليه وسلم بعث الى الكافة ويحتمل أن يحمل الاكثر على الكل كما حمل القليل على النفى

والله أعلم وأما قول الزمخشرى ان من تمادى على الكفر وآثر البقاء عليه تقليدا لآبائه ليس كارها للحق فمردود فان من أحب شيأ كره ضده

فى نكاح خديجة بنت خويلد كفى برغبتها اسنادا * الجنة الجنون وكانوا يعلمون انه برى عنها وأنه أرجحهم عقلا وأثقبهم ذهنا ولكنه جاءهم بما خالف شهواتهم وأهواءهم ولم يوافق ما نشؤا عليه وسيط بلحومهم ودمائهم من اتباع الباطل ولم يجدوا له مردا ولا مدفعا لانه الحق الابلج والصراط المستقيم فاخلدوا الى البهت وعولوا على الكذب من النسبة الى الجنون والسحر والشعر (فان قلت) قوله (وأكثرهم) فيه أن أقلهم كانوا لا يكرهون الحق (قلت) كان فيهم من يترك الايمان به أنفة واستكبارا فمن توبيخ قومه وأن يقولوا صبأ وترك دين آبائه لا كراهة للحق كما يحكى عن أبى طالب (فان قلت) يزعم بعض الناس أن أبا طالب صح اسلامه (قلت) يا سبحان الله كان أبا طالب كان أجل أعمام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يشتهر اسلام حمزة والعباس رضى الله عنهما وخفى اسلام أبى طالب * دل بهذا على عظم شأن الحق وأن السموات والارض ما قامت ولا من فيهن الا به فلو اتبع أهواءهم لانقلب باطلا ولذهب ما يقوم به العالم فلا يبقى له بعده قوام أو أراد أن الحق الذى جاءه محمد صلى الله عليه وسلم وهو الاسلام لو اتبع أهواءهم وانقلب شرا لجاء الله بالقيامة ولاهلك العالم ولم يؤخر وعن قتادة أن الحق هو الله ومعناه ولو كان الله الها يتبع أهواءهم ويأمر بالشرك والمعاصى لما كان الها ولكان شيطانا ولما قدر أن يمسك السموات والارض (بذكرهم) أى بالكتاب الذى هو ذكرهم أى عظتهم أو وصيتهم وشرفهم أو بالذكر الذى كانوا يتمنونه ويقولون لو أن عندنا ذكرا من الاولين لكنا عباد الله المخلصين وقرئ بذكراهم * قرئ خراجا فخراج وخرجا فخرج وخرجا فخراج وهو ما تخرجه الى الامام من زكاة أو صلة والى كل عامل من أجرته وجعله وقيل الخرج ما تبرعت به والخراج ما لزمك أداؤه والوجه ان الخرج أخص من الخراج كقولك خراج القرية وخرج الكرد فزيادة للفظ لزيادة المعنى ولذلك حسنت قراءة من قرأ أم تسألهم خراجا فخراج ربك يعنى أم تسألهم على هدايتك لهم قليلا من عطاء الخلق فالكثير من عطاء الخالق خير فحذف أزهم الجملة فى هذه الآيات وقطع معاذيرهم وعللهم بأن الذى أرسل اليهم رجل معروف أمره وحاله مخبور مسه وعلمه خليق بأن يجتبى مثله للرسالة من بين ظهرانيهم وأنه لم يعرض له حتى يدعى مثل هذه الدعوى العظيمة باطل ولم يجعل ذلك سلما الى التسنم من دنياهم واستعطاف أموالهم ولم يدعهم الا الى دين الاسلام الذى هو الصراط المستقيم مع ابراز المكنون من أدوائهم وهو اخلالهم بالتدبر والتأمل واستهتارهم بين الآباء الضلال من غير برهان وتعللهم بانه مجنون يسطهر ويرى الحق ونبات التصديق من الله المعجزات والآيات المبهرة وكراهتهم للحق واعراضهم عما فيه حظهم من الذكر * يحتمل ان هؤلاء موصوفتهم أم لا يؤمنون بالآخرة (لناكبون) أى عادلون عن هذا الصراط المذكور وهو قوله الى صراط مستقيم وأن كل من لا يؤمن بالآخرة فهو عن القصد ناكب * لما أسلم ثمامة بن أثال الحنفى وحج بالعمامة ومنع الميرة من أهل مكة وأجهدهم الله بالسنين حتى أكلوا العلهز جاء أبو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أنشدك الله والرحم ألست تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع والمعنى

فاذا أحبوا البقاء على الكفر فقد كرهوا الانتقال عنه الى الايمان ضرورة والله أعلم ثم أخذ الكلام الى استرجاع

ايمان أبى طالب وتحقيق القول فيه أنعمت على الكفر ووجه ذلك بأنه اشهر عومة النبى صلى الله عليه وسلم فلو كان لم يعد أسلم لاشتهر اسلامه كما اشتهر اسلام العباس وحمزة وأجدر لانه أشهر وللقائل باسلامه أن يعتذر عن عدم شهرته بانه انما أسلم قبيل الاحتضار فلم يظهره مواقف الاسلام يشتهر بها كما ظهر لغيره من عومته عليه الصلاة والسلام هذا ان الظاهر انه لم يسلم وحسبك دليلا على ذلك قوله عليه الصلاة والسلام سألت الله تعالى فيه وأنه بعد ذلك لفى ضحضاح من نار يغلى رأسه من قدميه * فان قيل لا يلزم من ذلك موته على الكفر لان كثيرا من عصاة الموحدين يعذبون كما ورد فى ذلك * قلنا من أثبت اسلامه ادعى ان ذلك كان قبيل الاحتضار فالاسلام يجب ما قبله وتلك الدقيقة التى صار فيها من المسلمين لا تحتمل من المعاصى ما يوجب ذلك والله أعلم

* قوله تعالى فما استكانوا لربهم وما يتضرعون (قال استكان استفعل من الكون أي انتقل من كون الى كون كما قيل استحال اذا انتقل من حال الى حال) قال أحمد هذا التأويل أسلم وأحق من تأويل من اشتقه من السكون وجعله افتعل ثم أشبعت الفتحة فتولدت الالف كتولدها في قوله * ينباع من ذفرى غضوب جسرة * فان هذا الاشباع ليس بفصيح وهو من ضرورات الشعر فينبغي أن ترفع منزلة القرآن عن وروده مثله فيه لكن تنظير الزمخشري له باستحال وهم فان استكان على تأويله أحد أقسام استفعل الذي معناه التحول كقولهم استحجر الطين واستنوق الجمل وأما استحال فلأن ثلاثيه حال حول اذا انتقل من حال الى حال واذا كان الثلاثي يفيد معنى التحول لم يبق لصيغة استفعل فيها أثر فليس استحال من استفعل التحول ولكنه من استفعل بمعنى فعل وهو أحد أقسامه اذا لم يزد السداسي فيه على الثلاثي معنى والله أعلم ثم نعود الى تأويله فنقول المعنى عليه فما انتقلوا من كون التكبر والتجبر والاعتياص الى كون الخضوع والضراعة الى الله تعالى * ولقائل أن يقول استكان يفيد على التأويل المذكور الانتقال من كون الى كون فليس حمله على انه انتقال عن التكبر الى الخضوع بأولى من العكس وترى هذه الصيغة لا تفهم الا أحد الانتقالين فلو كانت مشتقة من مطلق الكون لكانت محتملة للانتقالين جميعا * والجواب أن أصلها كذلك على الاطلاق ولكن غلب العرف (٧٧) على استعمالها في الانتقال الخاص كما غلب في غيرها والله أعلم وكان

لو كشف الله عنهم هذا الضر وهو الهزال والقحط الذي أصابهم برحمته عليهم ووجدوا الخصب لارتدوا الى ما كانوا عليه من الاستكبار وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وافراطهم فيها ولذهب عنهم هذا الابلاس وهذا التملق بين يديه يسترحمونه * واستشهد على ذلك بانا أخذناهم أولا بالسيوف وبما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم وأسرهم فما وجدت منهم بعد ذلك استكانة ولا تضرع حتى فتحنا عليهم باب الجوع الذي هو أشد من الاسر والقتل وهو أطم العذاب فأبلسوا الساعة وخضعت رقابهم وجاء أعتاهم وأشدهم شكيمة في العناد يستعطفك أو محناهم بكل محنة من القتل والجوع فما رؤي فيهم لين مقادة وهم كذلك حتى اذا عذبوا بنار جهنم فحينئذ يبلسون كقوله ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون والابلاس اليأس من كل خير وقيل السكوت مع التحير (فان قلت) ما وزن استكان (قلت) استفعل من الكون أي انتقل من كون الى كون كما قيل استحال اذا انتقل من حال الى حال ويجوز أن يكون افتعل من السكون أشبعت فتحة عينه كما جاء بمنتزاح (فان قلت) هلا قيل وما تضرعوا أو فما يستكينون (قلت) لان المعنى محناهم فما وجدت منهم عقيب المحنة استكانة وما من عادة هؤلاء أن يستكينوا ويتضرعوا حتى يفتح عليهم باب العذاب الشديد وقرئ فتحنا * انما خص السمع والابصار والافئدة لانه يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية ما لا يتعلق بغيرها ومقدمة منافعها أن يعملوا أسماعهم وأبصارهم في آيات الله وأفعاله ثم ينظروا ويستدلوا بقلوبهم ومن لم يعملها فيما خلقت له فهو بمنزلة عادمها كما قال تعالى فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شئ اذ كانوا يجحدون بآيات الله ومقدمة شكر النعمة فيها الاقرار بالمنعم بها وأن لا يجعل له ند ولا شريك * أي تشكرون شكرا قليلا (وما) مزيدة للتأكيد بمعنى حقا (ذرأكم) خلقكم وبثكم بالتناسل (واليه) تجمعون يوم القيامة بعد تفرقكم (وله اختلاف الليل والنهار) أي هو مختص به وهو متوليه ولا يقدر على تصريفهما غيره * وقرئ يعقلون بالياء عن أبي عمرو أي قال أهل مكة كما قال الكفار قبلهم * الاساطير جمع أسطار جمع سطر قال رؤبة * اني وأسطار سطرن سطرا *

وما يتضرعون حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد اذا هم فيه مبلسون وهو الذي أنشأ لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون وهو الذي ذرأكم في الارض واليه تحشرون وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون بل قالوا مثل ما قال الاولون قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ان هذا الا أساطير الاولين قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل

جدي أبو العباس أحمد بن فارس الفقيه الوزير رحمه الله يذكر أنه لما دخل بغداد زمن الامام الناصر رضي الله عنه أظهر من جملة كراماته له أن جمع له الوزير جميع علماء بغداد وتقدم بهم محفلا للمناظرة وكان يذكر أن مما انجر الكلام اليه حينئذ هذه الآية وان أحدهم وكان يعرف بالاجل اللغوي خصه الوزير بالسؤال عنها فقال هو مشتق من قول العرب كنت لك اذا انخضعت وهي لغة هذلية فاستحسن منه ذلك * قال أحمد وقد وقفت عليها بعد ذلك في غريب أبي عبيد الهروي وهو أحسن محامل الآية وأسلمها والله أعلم وعلى هذا يكون من استفعل بمعنى فعل كقولهم استقر واستعلى وحال واستحال على ما مر وقد قال لي بعضهم يوما لم لا تحمله على هذا التأويل من استفعل المبني للمبالغة مثل استحسر واستعصم من حسر وعصم فقلت لا يسوغ ذلك لان المعنى يأباه وذلك انها جاءت في النفي والمقصود منها ذم هؤلاء بالجفوة والقسوة وعدم الخضوع مع ما يوجب نهاية الضراعة من أخذهم بالعذاب فلو ذهبت الى جعلها للمبالغة أفادت نفي المبالغة لان نفي الابلغ أدنى من نفي الادنى وكأنهم على ذلك ذموا بنفي الخضوع الكثير وانهم ما بلغوا في الضراعة نهايتها وليس الواقع فانهم ما استكانوا بالضراعة ولا بالطة منها فكيف تنفي عنهم النهاية الموهمة لحصول البداية والله أعلم

* قوله تعالى ادفع بالتي هي أحسن السيئة (قال) فيه هذا أبلغ من أن يقال ادفع بالحسنة السيئة لما فيه من التفضيل كأنه قال ادفع بالحسنى السيئة والمعنى الصفح عن اساءتهم ومقابلتها بما أمكن من الاحسان حتى اذا اجتمع الصفح والاحسان وبذل الاستطاعة فيه كانت حسنة مضاعفة بازاء سيئة وهذه قضية قوله بالتي هي أحسن (قال أحمد) ما ذكره تقريرا للمناصفة عبارة عن الاشتراك في أمر والتغاير بغيره ولا اشتراك بين الحسنة والسيئة فانهما ضدان متقابلان فكيف تحقق المفاضلة * قلت المراد أن الحسنة من باب الحسنات أزيد من السيئة من (٧٨) باب السيآت فتجيء المفاضلة بما هو أعم من كون هذه حسنة وهذه سيئة وذلك شأن كل مفاضلة بين ضدين

* قولهم العسل أحلى من الخل يعنون أنه في الاصناف الحلوة أمير من الخل في الاصناف الحامضة وليس لان

وهي ما كتبته الاولون مما لا حقيقة له وسمع أساطورة أوفق * أي أحيوني عما استعملتكم منه ان كان عندكم فيه علم وفيه استهزاؤهم وتعجيز لمن حيجوا لنبيهم بالبينات أن يجيبوا لمثل هذا الظاهر البين * وقرئ تذكرون بحذف التاء الثانية ومعناه أفلا تتذكرون فتعلموا أن من فطر الارض ومن فيها اختراعا كان قادرا على اعادة الخلق وكان حقيقا بان لا يشرك به بعض خلقه في الربوبية * قرئ الاول باللام لا غير والاخيران باللام وهو هكذا في مصاحف أهل الحرمين والكوفة والشأم وبغير اللام وهو هكذا في مصاحف أهل البصرة فمن اللام على المعنى لان قولك من ربه ولمن هو في معنى واحد أو بغير اللام على اللفظ * ويجوز قراءة الاول بغير لام ولكنها لم تثبت في الرواية (أفلا تخافون) أفلا تخافونه فلا تشركوا به وتعصوا رسوله * أجرت فلانا على فلان اذا أغثته منه ومنعته يعني وهو يمنعت من يشاء ممن يشاء ولا يغيث أحد منه أحدا (تسحرون) تخدعون عن توحيده وطاعته والخادع هو الشيطان والهوى * وقرئ أتيناهم وأتيتهم بالفتح والضم (بالحق) بان نسبة الولد اليه محال والشرك باطل (وانهم لكاذبون) حيث يدعون له ولدا ومعه شريكا لذهب كل اله بما خلق) لانفرد كل واحد من الآلهة بخلقه الذي خلقه واستبد بملكه ولرأيتم ملك كل واحد منهم متميزا من ملك الآخرين ولغلب بعضهم بعضا كما تكون حال ملوك الدنيا مع أنكم مقرون بان الكل مملوكة لله وهم متفاوتون حتى تروا آثار التمانع والتغالب فاعلموا أنه لا اله الا الله واحد يده ملكوت كل شئ * (قال رب) اذا لابد من الاعلى كلام هو سؤال وجواب فكيف وقع قوله لذهب جزاء وجوابا وليس بمتقدم شرط ولا سؤال سائل (قلت) الشرط محذوف تقديره ولو كان معه آلهة واعلم أن دليل الدلالة قوله وما كان معه من اله ليسد وهو جواب لو لان معه الحاجة من المتمانعين (عما يصفون) من الاندادوالاولاد (عالم الغيب) بالجر صفة لله وبالرفع خبر مبتدا محذوف * ما الذي مؤكدتان أي ان كان لابد من أن تريني ما توعدهم من العذاب في الدنيا وأوقع الآخرة (ولا تجعلني) قرينا لهم ولا تعذبني بعذابهم عن الحسن أخبره الله أن له في أمته نقمة ولم يخبره اني في حياته أم بعد موته فامره أن يدعو بهذا الدعاء (فان قلت) كيف يجوز أن يجعل الله نبيه المعصوم مع الظالمين حتى يطلب أن لا يجعله معهم (قلت) يجوز أن يسأل النبي ربه ما علم أنه يفعله وان يستعيذه مما علم أنه لا يفعله اظهارا للعبودية وتواضعا لربه واجتنابا له واستعفاره صلى الله عليه وسلم اذا قام من مجلسه سبعين مرة أو مائة مع ذلك وما أحسن قول الحسن في قول أبي بكر الصديق رضي الله عنهما والله لست بخيركم كان يعلم أنه خيرهم ولكن المؤمن يهضم نفسه * ٣ * وقرئ أماترينهم بالهمز مكان ترينني كافرئ فاما ترئن وترئن الجميع وهي ضعيفة * وقوله رب مرتين قبل الشرط وقبل الجزاء حث على فضل تضرع وجؤار * كانوا ينكرون الوعد بالعذاب ويستعجلون منه واستجهالهم له لذلك فقيل لهم ان الله قادر على انجاز ما وعد ان تأملتم فاوجه هذا الانكار * هو أبلغ من أن يقال ادفع بالحسنة السيئة لما فيه من التفضيل * كأنه قال ادفع بالحسنى السيئة والمعنى الصفح عن اساءتهم

ثم فلان شار الى بعلو وأعلى حتى استووا في بلوغ علمهما الغاية أشعب بلغ الغاية على السفلة وهذا لها والاعمش بلغ الغاية على العلمية هذا تفسير كلامه من نفسه ونحوه الى الآخر مقول هي تحتمل وجها آخر من التفضيل أقرب متناولا وهو أن تكون المفاضلة بين الحسنات التي يدفع بها السيئة فانها تدفع بالصفح والاعضاء وتجمع في دفعها بذلك وقد يزاد على الصفح الاكرام وقد تبلغ غايته بدل الاستطاعة بهذه الانواع من الدفع كلها دفع حسنة ولكن أحسن هذه الحسنات في الدفع هي الاحجام لاشتمالها على عدد من الحسنات فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بأحسن الحسنات في دفع السيئة فعلى هذا تجري المفاضلة على حقيقتها من غير مجاز قال نأويل والله أعلم فانه من سدا ٣ (أماترينهم) هذه نسخة وفي أخرى وأماترئني بالهمز كما قرئ الخ هامش صحيح

*قوله تعالى فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون (قال ان قلت قد ناقض هذا قوله فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون) قال أحمد يجب أن لا يسلك هذا المسلك في ايراد الاسئلة عن فوائد الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل (٧٩) من بين يديه ولا من خلفه

تنزيل من حكيم حميد وسؤال الادب أن يقال عصرتهمي عن الجمع بين هاتين الآيتين فما وجهه ولو سأل سائل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن شيء من كتاب الله تعالى بهذه الصيغة

وسعها بتاعا ما أمكن من الاحسان حتى اذا اجتمع الصفح والاحسان وبذل الاستطاعة فيه كانت حسنة مضاعفة بازاء سيئة وهذه قضية قوله بالتي هي أحسن وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي شهادة أن لا اله الا الله والسيئة الشرك وعن مجاهد السلام يسلم عليه اذا لقيه وعن الحسن الاغضاء والصفح وقيل هي منسوخة بآية السيف وقيل محكمة لان المدارأة تحثوث عليها ما لم تؤد الى ثلم دين وازراء بمروءة (وإما ينزغنك) يعاندك ويغالبك من أحوالك بخلاف صفتها أو يوصفهم لك وسوء ذكرهم والله أعلم بذلك منك وأقدر على حزائهم * الهمز النخس والهمزات جمع المرة منه ومنه مهماز الرائض والمعنى أن الشياطين يحثون الناس على المعاصي ويغرونهم عليها كما تهمز الراصة الدواب حثا لها على المشي ونحو الهمز الازف في قوله تعالى نؤزهم أزا أمر بالتعوذ من تخاسستهم لفلة المبالي الى ربه الكريم الذي له التسخير وقد أمكن أن يحضروه أصلا ونحو ما حولوه وعن ابن عباس رضي الله عنه عند تلاوة القرآن وعن عكرمة عند النزع (حتى) يتعلق بيصفون أي لا يزالون على سوء الذكر الى حين هذا الوقت والآية فاصلة بينهما على وجه الاعتراض والتأكيد للانعاء عليهم مسمعة بذلك على الشيطان أن يستزله عن الحلم ويغريه على الانتصار منهم أو على قوله وانهم لكاذبون * خطاب الله بلفظ الجمع للتعظيم كقوله * فان شئت حرمت النساء سواكم * وقوله * ألا فارحموني يا الله محمد * اذا أيقن بالموت واطلع على حقيقة الامر أدركته الحسرة على ما فرط فيه من الايمان والعمل الصالح فيه فسأل ربه الرجعة وقال (لعلي أعمل صالحا) في الايمان الذي تركته ولعلي آتي بما تركته من الايمان وأعمل فيه صالحا كما تقول لعلي أبني علي أمر تريد أن أسس أساسا بنى عليه وقيل فيما تركت من المال وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا عاين المؤمن الملائكة قالوا نرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدوما الى الله وأما الكافر فيقول رب ارجعون (كلا) ردع عن طلب الرجعة والتكرار واستبعاد * والمراد بالكلمة الطائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض وهي قوله لعلي أعمل صالحا فيما تركت (هو قائلها) لا محالة لا يخليها ولا يسكت عنها لاستيلاء الحسرة عليه وتساط الندم أو هو قائلها وحده لا يجاب لها ولا تسمع منه (ومن ورائهم برزخ) والضمير للجماعة أي أمامهم حائل بينهم وبين الرجعة الى يوم البعث وليس المعنى أنهم يرجعون يوم البعث وإنما هو اقناط كلي بأنهم لا رجعة يوم البعث الا الى الآخرة * الصور نفخ لولو عن الحسن والصور الكسر والنفخ عن أبي رزين وهذا دليل لمن فسر الصور بجمع الصورة * وفي الانساب تحمل أن التقاطع يقع بينهم حيث يتفرقون معاقبين ومثابين ولا يكون التواصل بينهم والتآلف الا بالاعمال فتلغو الانساب وتبطل وأنه لا عبرة بالانساب لزوال التعاطف والتراحم بين الاقارب اذ فر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه وعن ابن مسعود ولا يتساءلون بادغام التاء في السين (فمن ثقلت) فمن رجحت حسناته ناقض هذا ونحوه قوله ولا يسئل حميم حميما ونحوه وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون وقوله يتعارفون بينهم وكيف التوفيق بينهما (قلت) فيه جوابان أحدهما أن يوم القيامة مقداره خمسون ألف سنة ففيه أزمنة وأحوال مختلفة يتساءلون ويتعارفون في بعضها وفي بعضها لا يتعارفون لذلك لشدة الهول والفزع والثاني أن التعارف يكون عند النفخة الاولى فاذا كانت الثانية قاموا فتعارفوا ونساءلوا عن ابن عباس * الموزين جمع موزون وهي الموزونات من الاعمال أي الصالحات التي لها وزن وقدر عند الله تعالى من قولهم لفلان يقيم لهم يوم القيامة وزنا (في جهنم خالدون) بدل من خسروا أنفسهم ولا محل للبدل والمبدل منه لان الصلة لا محل لها أو خبر بعد خبر لاولئك أو خبر مبتدا محذوف (تلفح) تسفع وقال الزجاج اللفح والنفح واحد الا أن اللفح أشد تأثيرا * والكلوح أن تتقلص الشفتان وتشمر عن الاسنان كما ترى الرؤس المشوية وعن مالك ابن دينار كان سبب توبة تميم الداري أنه مر في السوق برأس أخرج من التنور وهي عليه ثلاثة أيام ولي العين

عما يصفون وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا

لا يرجع طهره بالذره *عاد كلامه الى جواب السؤال (فالوجه

الجمع بينهما أن يحمل ذلك على اختلاف موقف القيامة) قال أحمد وكثيرا ما يتهتر الزمخشري الفرصة في انكار الشفاعة ويتعرض له للرد على الذاتيين بها الى هنا انتهى الى مسئل قوله ولا تنفعها شفاعة لا يسع فيه ولا خلة ولا شفاعة ويتقاول حينئذ من طرفي الجبرين ما ظاهره نفي الشفاعة وبين ما ظاهره ثبوتها بحمل الامر على اختلاف الاحوال في القيامة والله الموفق

*قوله عز وجل ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به (قال فيه لا برهان له به اما صفة لازمة أو كلام مستأنف لان فى الصفة افهاما لان الهة سوى الله يمكن أن يكون به برهان) (٨٠) قال احمد ان كان صفة فالمقصود بها التهكم بمدعى اله مع الله كقوله بلى أشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا فنفى انزال السلطان به وان لم يكن فى نفس الامر سلطان

وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال تسويه النار فتلتقى شفتاه العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخى شفته السفلى حتى تبلغ سرته وقرئ كلحون (غلبت علينا) ملكتنا من قولك ثلبنى فلان على كذا اذا أخذه سلك واملكه * والشقاوة سوء العاقبة التى علم الله أنهم يستحقونها بسوء أعمالهم قرئ (شقوتنا) وشقاوتنا بفتح الشين وكسرها فيهما (اخسؤا فيها) ذلوا فيها واتزجروا تاتزجر الكلاب اذا زجرت يقال خسأ الكلب وخسأ بنفسه (ولا تكلمون) فى رفع العذاب فانه لا يرفع ولا يخفف قيل هو آخر كلام يتكلمون به ثم لا كلام بعد ذلك الا الشهيق والزفير والعواء كعواء الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون وعن ابن عباس ان لهم ست دعوات اذا دخلوا النار قالوا ألف سنة ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون ألفا ربنا أمتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل ألفا ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل فيجابون ألم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال ألفا ربنا أخرنا الى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل فيجابون أولم تكونوا حلفتم من قبل انكم لا تبعثون ألفا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال اخسؤا فيها ولا تكلمون انه كان فريق من عبادى يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكرى وكنتم منهم تضحكون انى جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون قال كم لبثتم فى الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسئل العادين قال ان لبثتم الا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به

ويروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخى شفته السفلى حتى تبلغ سرته وقرئ كلحون (غلبت علينا) ملكتنا من قولك ثلبنى فلان على كذا اذا أخذه سلك واملكه * والشقاوة سوء العاقبة التى علم الله أنهم يستحقونها بسوء أعمالهم قرئ (شقوتنا) وشقاوتنا بفتح الشين وكسرها فيهما (اخسؤا فيها) ذلوا فيها واتزجروا تاتزجر الكلاب اذا زجرت يقال خسأ الكلب وخسأ بنفسه (ولا تكلمون) فى رفع العذاب فانه لا يرفع ولا يخفف قيل هو آخر كلام يتكلمون به ثم لا كلام بعد ذلك الا الشهيق والزفير والعواء كعواء الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون وعن ابن عباس ان لهم ست دعوات اذا دخلوا النار قالوا ألف سنة ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون ألفا ربنا أمتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل ألفا ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل فيجابون ألم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال ألفا ربنا أخرنا الى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل فيجابون أولم تكونوا حلفتم من قبل انكم لا تبعثون ألفا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال اخسؤا فيها ولا تكلمون انه كان فريق من عبادى يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكرى وكنتم منهم تضحكون انى جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون قال كم لبثتم فى الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسئل العادين قال ان لبثتم الا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به

غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال اخسؤا فيها ولا تكلمون انه كان فريق من عبادى يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكرى وكنتم منهم تضحكون انى جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون قال كم لبثتم فى الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسئل العادين قال ان لبثتم الا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به

لا منزل ولا غير منزل ومن جنس تحتى ما الجلة بعد النكرة وصرفها عن ان تكون صفة لها ما قدمه عند قوله تعالى فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا أنت حيث اعرب الزمخشرى موعدا مصدرا ناصبا لملكا ناسوى واعترضه بان والاصل المصدر الموصوف لا عمل الاعلى كره واعتذرت عنه بصرف الجملة عن أن تكون صفة وجعلها معترضة مؤكدة لمعنى الكلام والله أعلم

﴿القول فى سورة النور﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ *قوله تعالى الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة (ذكر) فى الرفع وجهين أحدهما الابتداء والخبر محذوف وهو اعراب الخليل وسيبويه والتقدير وفيما فرض عليكم الزانية والزانى أى جلدها الثانى ان يكون الخبر فاجلدوا ودخلت الفاء لكون الالف واللام بمعنى الذى وقد ضمن معنى الشرط (قال أحمد) وانما عدل سيبويه الى هذا الذى نقله عنه لوجهين لفظى ومعنوى أما اللفظى فلان الكلام أمر وهو يحيل اختيار النصب ومع ذلك فراءة العامة فاجلدوا فعل الامر خبرا وبنى المبتدأ عليه لكان خلاف المختار عند الفصحاء فالتجأ الى تقدير الخبر (٨١) حتى لا يكون المبتدأ مبنيا على الامر بخلاص من مخالفة الاختيار وقد مثلهما سيبويه فى كتابه بقوله تعالى مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار الآية ووجه التمثيل انه صدر الكلام بقوله مثل الجنة ولا يستقيم جزما أن يكون قوله فيها أنهار خبره

والاصل حسابه أنه لا يفلح هو فوضع الكافرون موضع الضمير لان من يدع فى معنى الجمع وكذلك حسابه انه لا يفلح فى معنى حسابهم أنهم لا يفلحون جعل فاتحة السورة قد أفلح المؤمنون وأورد فى خاتمتها انه لا يفلح الكافرون فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمنون استبرته الملائكة بالروح والريحان وما تقربه عيته عند نزول ملك الموت وروى أن أول سورة قد أفلح وآخرها من كنوز العرش من عمل بثلاث آيات من أولها واتعظ بأربع آيات من آخرها فقد نجا وأفلح وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أنزل عليه الوحى يسمع عنده دوى كدوى النحل فمكثنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع يده وقال اللهم زدنا ولا تنقصنا وأكرمنا ولا تهنا وأعطنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا وارض عنا وأرضنا ثم قال لقد أنزلت على عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد أفلح المؤمنون حتى ختم العشر

﴿سورة النور مدنية وهى ثنتان وستون آية وقيل أربع وستون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(سورة) خبر مبتدأ محذوف و (أنزلناها) صفة أو هى مبتدأ موصوف والخبر محذوف أى فيما أوحينا اليك سورة أنزلناها وقرئ بالنصب على زيد اضربنه ولا يحسن لانزلناها لانها مفسرة للمضمر فكانت فى حكمه أو على دونك سورة أو اتل سورة وأنزلناها صفة ومعنى (فرضناها) فرضنا أحكامها التى فيها وأصل الفرض القطع أى جعلناها واجبة مقطوعا بها والتشديد للمبالغة فى الايجاب وتوكيده أو لان فيها فرائض شتى وأنك تقول فرضت الفريضة وفرضت الفرائض أو لكثرة المفروض عليهم من السلف ومن بعدهم (تذكرون) بتشديد الذال وتخفيفها * رفعهما على الابتداء والخبر محذوف عند الخليل وسيبويه على معنى فيما فرض عليكم (الزانية والزانى) أى جلدهما أو يجوز أن يكون الخبر فاجلدوا لما دخلت الفاء لكون الالف واللام بمعنى الذى وتضمنه معنى الشرط تقديره التى زنت والذى زنى فاجلدوهما كقوله وكقوله والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم وقرئ بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر وهو أحسن من سورة أنزلناها لاجل الامر وقرئ والزان بلا ياء * والجلد ضرب الجلد يقال جلده كضربه وجلده ظهره وبطنه ورأسه (فان قلت) أهذا حكم جميع الزناة والزوانى أم حكم بعضهم (قلت) بل هو حكم من ليس بعضهم منهم فان المحصن حكمه الرجم وشرائط الاحصان عند أبى حنيفة ستة الاسلام والحرية والعقل والبلوغ والتزوج بنكاح صحيح والدخول اذا اقتدرت واحدة منها فلا احصان وعند الشافعى الاسلام ليس بشرط لما روى أن النبى صلى الله عليه وسلم رجم يهوديين زنيا وحجة أبى حنيفة قوله صلى الله عليه وسلم من أشرك بالله فليس بمحصن (فان قلت) اللفظ يقتضى تعليق الحكم بجميع الزناة والزوانى لان قوله الزانية والزانى عام فى الجميع يتناول المحصن وغير المحصن (قلت) الزانية والزانى يدلان على الجنسين المتباينين بجنسى العفيف والعفيفة دلالة مطلقة والجنسية قائمة فى الكل والبعض جميعا فأيهما قصد المتكلم فلا عليه كما

فلما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين

﴿سورة النور مدنية وهى ثنتان وستون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله

فتعين تقدير خبره محذوفا وأصله وفيما نقص عليكم مثل الجنة

١١ كشاف ثانى ثم لما كان هذا الجمل الاذكر المثل فصل المجمل بقوله فيها أنهار الى آخرها فكذلك ههنا كأنه قال وفيما فرض عليكم شأن الزانية والزانى ثم فصل هذا المجمل بما ذكره من أحكام الجلد ويناسب هذا ترجمة الفقهاء فى كتبهم حيث يقولون مثلا الصلاة الزكاة السرقة ثم يذكرون فى كل باب أحكامه يريدون مما صنف فيه ويبوب عليه الصلاة وكذلك غيرها فهذا بيان المقتضى عند سيبويه لاختيار حذف الخبر من حيث الصناعة اللفظية وأما من حيث المعنى فهو ان المعنى أتم وأكمل على حذف الخبر

يفعل بالاسم المشترك * وقرئ ولا يأخذكم بالياء ورأفة بفتح الهمزة وبرأفة على فعالة والمعنى أن الواجب على المؤمنين أن يتصلبوا في دين الله ويستعملوا الجد والمتانة فيه ولا يأخذهم اللين والهوادة في استيفاء حدوده وكفى برسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة في ذلك حيث قال لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها وقوله (ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) من باب التهييج والهاب الغضب لله ولدينه وقيل لا تتركوا عليهما حتى لا تعطلوا الحدود أو حتى لا توجعوهما ضربا وفي الحديث يؤتى بوال نقص من الحد سوطا فيقول لم فعلت ذلك فيقول رحمة لعبادك فيقال له أأنت أرحم بهم مني فيؤمر به الى النار ويؤتى بمن زاد سوطا فيقول لينتهوا عن معاصيك فيؤمر به الى النار وعن أبي هريرة اقامة حد بارض خير لاهلها من مطر أربعين ليلة وعلى الامام أن ينصب للحدود رجلا عالما بما يراعى في القتل كيف يضرب والرجل يجلد قائما على مجرد ليس عليه الا ازاره ضربا وسطا لا مبرحا ولا هينا مفرقا على الاعضاء كلها الا يستثنى منها الا ثلاثة الوجه والرأس والفرج وفي لفظ الجلد اشارة الى أنه لا ينبغي أن يتجاوز الالم الى اللحم والمرأة تجلد قاعدة ولا ينزع عن ثيابها الا الحشو والفرو وبهذه الآية استشهد أبو حنيفة على أن الجلد حد غير المحصن بلا تغريب وما احتج به الشافعي على وجوب التغريب من قوله صلى الله عليه وسلم البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام وما يروى عن الصحابة أنهم جلدوا ونفوا ليس بنسوخ عنده وعند أصحابه بالآية أو يحمل على وجه التعزير والتأديب من غير وجوب وقول الشافعي في تغريب الحر واحد وله في العبد ثلاثة أقاويل يغرب سنة كالحر ويغرب نصف سنة كما يجلد خمسين جلدة ولا يغرب كما قال أبو حنيفة وبهذه الآية نسخ الحبس والاذى في قوله تعالى فأمسكوهن في البيوت وقوله تعالى فآذوهما * قيل سميته عذابا دليل على انه عقوبة ويجوز أن يسمى عذابا لانه يمنع من المعاودة كما سمي نكالا * الطائفة الفرقة التي يمكن أن تكون حلقة وأقلها ثلاثة أو أربعة وهي صفة غالبة كالجماعة الجماعة حول الشئ وعن ابن عباس في تفسيرها أربعة الى أربعين رجلا من المصدقين بالله ومن الحسن عشرة وعن قتادة ثلاثة فصاعدا وعن عكرمة رجلان فصاعدا وعن مجاهد الواحد فما فوقه وفضل قول ابن عباس لان الاربعة هي الجماعة التي يثبت بها هذا الحد والصحيح أن هذه الكبيرة من أمهات الكبائر ولهذا قرنها الله بالشرك وقتل النفس في قوله ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما وقال ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا وعن النبي صلى الله عليه وسلم يا معشر الناس اتقوا الزنا فان فيه ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة فاما التي في الدنيا فانه يذهب البهاء ويورث الفقر وينقص العمر وأما التي في الآخرة فيوجب السخطة وسوء الحساب والخلود في النار ولذلك وفى الله فيه عقد المائة بكمالها بجلد حد القذف وتضرب الخمر وشرع فيه القلة المحولة وهي الرجم ونهى المؤمنين عن الرأفة على المحدود فيه وأمر بشهادة الطائفة للتشهير فوجب أن تكون طائفة يحصل بها التشهير والواحد والاثنان ليسوا بمظنة لذلك واختصاصه بالمؤمنين لان ذلك أفضح والفاسق بين صلحاء قومه أخجل ويشهد له قول ابن عباس رضي الله عنهما الى أربعة من رجالات المصدقين بالله * الفاسق الخبيث الذي من شأنه الزنا والتعفف لا يرغب في نكاح الصوالح من النساء واللاتي على خلاف صفته والغاية رغب في فاسقة خبيثة من شكله أو في مشركة والفاسقة الخبيثة المماثلة كذلك لا يرغب في نكاحها الصلحاء من الرجال ويتغيرون عنها والغاية رغب فيها من هو من شكلها من الفسقة أو المشركين ونكاح المؤمن الممدوح عند الله الزانية وعقبته فيها واخراطه بذلك في سلك الفسقة المنسمين بالزنا محرم عليه محظور لما فيه من التشبه بالفساق وحضور مواقع التهمة والتسبب لسوء المقالة فيه والغيبة وأنواع المفاسد ومجالسة الخاطئين كم فيها من التعرض لافتراق الآثام فكيف بمزاوجة الزواني والتحاب وقد نبه على ذلك بقوله وأنكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم وقيل كان بالمدينة * وسرات من بغايا المشركين فرغب فقراء المهاجرين في نكاحهن فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وعن عائشة رضي الله عنها ان الرجل اذا زنى بامرأة ليس له أن ينزوجها هذه الآية واذا باشرها كان زانيا وقد أجازه ابن عباس رضي الله عنهما وشبهه عن سرق غزلا فجعل نسجه ثم اشتراه وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن ذلك فقال أوله سفاح وآخره نكاح والحرام

ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا

لانه يكون فيه ذكر حكم الزانية والزاني جملا حيث قال الزانية والزاني وأراد وفيما فرض عليكم حكم الزانية والزاني فلما تشوف السامع الى تفصيل هذا المجمل ذكر حكمه مفصلا فهو أوقع في النفس من ذكره أول وهلة والله أعلم

*قوله تعالى الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك (قال ان قلت أى فرق بين الجملتين فى المعنى قلت معنى الاولى صفة الزانى بكونه غير راغب فى العفائف ولكن فى الفواجر ومعنى الثانية صفة الزانية بكونها غير مرغوب فيها للاعفاء ولكن للزناة وهما معنيان مختلفان) قال أحمد وليس فيما ذكره ايضاح لطرفى الجملتين ونحن نوضحه فنقول الاقسام الزانى لا يرغب الا فى زانية الزانية لا ترغب الا فى زان المفيف لا يرغب الا فى عفيفة العفيفة لا ترغب الا فى عفيف وهذه الاقسام الاربعة مختلفة المعانى وحاصرة للقسمة فنقول اختصرت الآية من هذه الاربعة قسمين (٨٣) واقتصرت على قسمين أحرى من المسكوت عنهما بخلاف مختصرة جامعة فالقسم الاول صريح فى القسم الاول ويفهم الثالث والقسم الثانى صريح فى القسم الثانى ويفهم الرابع والقسم الثالث والرابع متلازمان من حيث ان المقتضى لاضمار رغبة المفيف فى العفيفة هو اجتماعهما فى الصفة وذلك بعينه مقتض لاضمار رغبة العفيفة فيه ثم فصل التعبير عن وصف الزناة والاعفاء بما لا ينقل عن ذكر الزناة وجودا وسببا فان معنى الاول الزانية لا ينكحها عفيف ومعنى الثانى العفيفة لا ينكحها زان والسر فى ذلك ان الكلام فى أحكامهم فذكر الاعفاء بسبب نقائصهم حتى لا يخرج بالكلام عما هو المقصود عنه ثم بينه فى اسناد النكاح فى هذين التسمين للذكور دون الاناث بخلاف قوله الزانية والزانى فانه جعل لكل واحد منهما تمام استقلال وقدم الزانية على الزانى والسبب فيه ان الكلام الاول فى حكم الزنا والاصل فيه المرأة لما يبدو منها من الاعراض والاطماع والكلام الثانى فى نكاح الزناة اذا وقع ذلك على الصحة والاصل فى النكاح الذكور وهم المبتدؤن بالخطبة فلهم هذا وان كان الغرض من الآية تنفير الاعفاء عن الذكور والاناث من مناكحة الزناة ذكورا واناثا زجرا لهم عن الفاحشة ولذلك قرن الزنا بالشرك ومن ثم كره مالك رحمه الله مناكحة المشهورين بالفاحشة وقد نقل بعض أصحابه الاجماع فى المذهب على أن المرأة أولى قام من أوليائها فى نكاح الفاسق ومالك أبعد الناس من اعتبار الكفاءة

والحرام لا يحرم الحلال وقيل المراد بالنكاح الوطء وليس بقول لامرين أحدهما أن هذه الكلمة أيضا وردت فى القرآن لم ترد الا فى معنى العقد والثانى فساد المعنى وأداؤه الى قولك الزانى لا يزنى الا بزانية والزانية لا يزنى بها الا زان وقيل كان نكاح الزانية محرما فى أول الاسلام ثم نسخ والناسخ قوله وانكحوا الايامى منكم وقيل الاجماع وروى ذلك عن سعيد بن المسيب رضى الله عنه (فان قلت) أى فرق بين معنى الجملة الاولى ومعنى الثانية (قلت) معنى الاولى صفة الزانى بكونه غير راغب فى العفائف ولكن فى الفواجر ومعنى الثانية صفة الزانية بكونها غير مرغوب فيها للاعفاء ولكن للزناة وهما معنيان مختلفان (فان قلت) كيف قدمت الزانية على الزانى أولا ثم قدم عليها ثانيا (قلت) سيقت تلك الآية لتقبيحهما على ما جنيا والمرأة هى المادة التى منها نشأت الجناية لانها لو لم تطمع الرجل ولم تومض له ولم تمكنه لم يطمع ولم يتمكن فلما كانت أصلا وأولا فى ذلك بدئ بذكرها وأما الثانية فسوقها لذكر النكاح والرجل أصل فيه لانه هو الراغب والخاطب وهو منه يبدأ الطلب وعن عمرو بن عبيد رضى الله عنه لا يتكرع الجزم على النهى والمرفوع فيه أضعف النهى ولكن أبلغ وآكد كأنه أريد بحملك الله ورحمك أبلغ من ليرحمك ويجوز أن يكون خبرا محضا على معنى أن عادتهم جارية على ذلك وعلى المؤمن أن لا يدخل نفسه تحت هذه المادة ويتصون عنها *وقرئ وحرم بفتح الحاء* القذف يكون بالزنا وبغيره والذى دل على أن المراد قذفهن بالزنا شيآن أحدهما ذكر المحصنات عقيب الزانى والثانى اشتراط أربعة شهداء لان القذف بغير الزنا يكفى فيه شاهدان والقذف بالزنا أن يقول لطفل لم يبلغ الحلم لمحصنة يا زانية أو لمحصن يا زانى يا ابن الزانى يا ابن الزانية يا ولد الزنا أنت لا أبيك لست لرشدة والقذف بغير الزنا أن يقول يا آكل الربا يا شارب الخمر يا يهودى يا نصرانى يا مجوسى يا فاسق يا خبيث يا ماص بظر أمه فعليه التعزير ولا يبلغ به أدنى حد العبيد وهو أربعون بل ينقص منه وقال أبو يوسف يجوز أن يبلغ به تسعة وسبعون وقال للامام أن يعزر الى المائة وشروط احصان القذف خمسة الحرية والبلوغ والعقل والاسلام والعفة *وقرئ بأربعة شهداء بالتنوين وشهداء صفة (فان قلت) كيف يشهدون مجتمعين أو متفرقين (قلت) الواجب عند أبى حنيفة وأصحابه رضى الله عنهم أن يحضروا فى مجلس واحد وان جاؤا متفرقين كانوا قذفة وعند الشافعى رضى الله عنه يجوز أن يحضروا متفرقين (فان قلت) هل يجوز أن يكون زوج المقذوفة واحدا منهم (قلت) يجوز عند أبى حنيفة خلافا للشافعى (فان قلت) كيف يجلد القاذف (قلت) كما يجلد الزانى الا أنه لا ينزع عنه من ثيابه الا ما ينزع عن المرأة من الحشو والفرو والقائمة أيضا كالزانية وأشد الضرب ضرب التعزير ثم ضرب الزنا ثم ضرب شرب الخمر ثم ضرب القاذف قالوا الان سبب عقوبته محتمل للصدق والكذب الا أنه عوقب صيانة للاعراض وردعا عن هتكها (فان قلت) فاذا لم يكن المقذوف محصنا (قلت) يعزر القاذف ولا يحد الا أن يكون المقذوف معروفا بالفجور *ولا تقبلوا لهم شهادة القاذف معلق عند أبى حنيفة رضى الله عنه باستيفاء الحد فاذا شهد قبل الحد او قبل علم استيفائه قبلت شهادته فاذا استوفى لم تقبل شهادته أبدا وان تاب وكان من الابرار الاتقياء وعند الشافعى رضى الله عنه يتعلق رد

شهادته بنفس القذف فاذا تاب عن القذف بان رجع عنه عاد مقبول الشهادة وكلاهما تمسك بالآية فأبو حنيفة رضي الله عنه جعل جزاء الشرط الذي هو الرمي الجلد ورد الشهادة عقيب الجلد على التأبيد فكانوا عند ردودي الشهادة عنده في أبدهم وهو مدة حياتهم وجعل قوله (وأولئك هم الفاسقون) كلاما مستأنفا غير داخل في حيز جزاء الشرط كانه حكاية حال الرامين عند الله بعد انقضاء الجملة الشرطية و (الا الذين تابوا) استثناء من الفاسقين ويدل عليه قوله (فان الله غفور رحيم) والشافعي رضي الله عنه جعل جزاء الشرط الجملتين أيضا غير أنه صرف الابد الى مدة كونه قاذفا وهي تنتهي بالتوبة والرجوع عن القذف وجعل الاستثناء متعلقا بالجملة الثانية وحق المستثنى عنده أن يكون مجرورا بدلا من هم في لهم وحقه عند أبي حنيفة رضي الله عنه أن يكون منصوبا لانه عن موجب والذي يقتضيه ظاهر الآية ونظمها أن تكون الجمل الثلاث بجموعها عن جزاء الشرط كانه قيل ومن قذف المحصنات فاجلدوهم وردوا شهاداتهم وفسقوهم أي فاجمعوا لهم الجلد والرد والتفسيق الا الذين تابوا عن القذف وأصلحوا فان الله يغفر لهم فينقلبون غير مجلودين ولا مردودين ولا مفسقين (فان قلت) الكافر يقذف فيتوب عن الكفر فتقبل شهادته بالاجماع والقاذف من المسلمين يتوب عن القذف فلا تقبل شهادته عند أبي حنيفة رضي الله عنه كان القذف مع الكفر أهون من القذف مع الاسلام (قلت) المسلمون لا يعيّرون بسبب الكفار لانهم شهروا بعداوتهم والطعن فيهم بالباطل فلا يلحق المقذوف بقذف الكافر من الشين والشنار ما يلحقه بقذف مسلم مثله فاشتد على القاذف من المسلمين ردعا وكفا عن الحاق الشنار (فان قلت) هل للمقذوف أو للامام أن يعفو عن حد القاذف (قلت) لهما ذلك قبل أن يشهد الشهود ويثبت الحد والمقذوف مندوب الى أن لا يرافع القاذف ولا يطالبه بالحد ويحسن من الامام أن يحمل المقذوف على كظم الغيظ و يقول له اعرض عن هذا ودعه لوجه الله قبل ثبات الحد فاذا ثبت لم يكن لواحد منهما أن يعفو لانه خالص حق الله ولهذا لم يصح أن يصالح عنه بمال (فان قلت) هل يورث الحد (قلت) عند أبي حنيفة رضي الله عنه لا يورث لقوله صلى الله عليه وسلم الحد لا يورث وعند الشافعي رضي الله عنه يورث واذا تاب القاذف قبل أن يثبت الحد سقط وقيل نزلت هذه الآية في حسان بن ثابت رضي الله عنه حين تاب مما قال في عائشة رضي الله عنها * قاذف امرأته اذا كان مسلما حرا لاعانا فلا غير محدود في القذف والمرأة بهذه الصفة جميع العفة صحيح اللعان يلتعن اذا قذفها بصريح الزنا وهو أن يقول لها يا زانية أو زنيت أو رأيتك تزنين واذا كان الزوج عبدا أو محدودا في قذف والمرأة محصنة حد كالاجنبيات وما لم ترافعه الى الامام لم يجب اللعان واللعان أن يبدأ الرجل فيشهد أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين فيما رماها به من الزنا ويقول في الخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين فيما رماها به من الزنا وتقول المرأة أربع مرات أشهد بالله انه لمن الكاذبين فيما رماني به من الزنا ثم تقول في الخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين فيما رماني به من الزنا وعند الشافعي رضي الله عنه يقام الرجل قائما حتى يشهد والمرأة قاعدة وتقام المرأة والرجل قاعد حتى تشهد و يأمر الامام من يضع يده على فيه و يقول له اني آمنك ان لم تكن صادقا أن تبوء بلعنة الله وقال اللعان بمكة بين المقام والبيت و بالمدينة على المنبر و بيت المقدس في مسجده ولعان المشرك في الكنيسة وحيث يعظم واذا لم يكن له دين ففي مساجدنا الا في المسجد الحرام لقوله تعالى انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام ثم يفرق القاضي بينهما ولا تقع الفرقة بينهما الا بتفريقه عند أبي حنيفة وأصحابه رضي الله عنهم الا عند زفر فان الفرقة تقع باللعان ومن عثمان البتي لا فرقة أصلا وعند الشافعي رضي الله عنه تقع باعان الزوج وتكون هذه الفرقة في حكم الطلقة البائنة عند أبي حنيفة ومحمد رضي الله عنهما ولا يتأبد حكمها فاذا أكذب الرجل نفسه بعد ذلك لحقها نسبا أن يتزوجها وعند أبي يوسف وزفر والحسن بن زياد والشافعي رضي الله عنهم هي فرقة بغير طلاق توجب تحريما مؤبدا ليس لهما أن يجمعا بعد ذلك بوجه وروي أن آية القذف لما نزلت قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فقام عاصم بن عدي الانصاري رضي الله عنه فقال جعلني الله فداك ان وجد رجل

وأولئك هم الفاسقون الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين والخامسة أن لعنت الله عليه ان كان من الكاذبين ويدرؤا عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة أن غضب الله عليها ان كان من الصادقين ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل

الا في الدين وأمان النسب فقد بلغنا انهم فرقوا بين عربية ومولى فاستعظموه ولانا بها الناس الخلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله تقاكم

*قوله تعالى لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا (قال معناه ظنوا بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات كقوله تعالى ولا تلمزوا أنفسكم (قال أحمد والسر في هذا التعبير تعطيف المؤمن على أخيه وتوبيخه على أن (٨٥) يذكره بسوء وتصوير ذلك بصورة من أخذ يقذف نفسه ويرميها بما ليس فيها من الفاحشة ولا شئ أشنع من ذلك والله أعلم * عاد كلامه (قال ونقل ان أبا أيوب الانصاري قال لام أيوب الا ترين مقالة الناس قالت له لو كنت بدل صفوان أكنت تخون في حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم سوأ قال لا قالت ولو كنت هو خيرا لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا آنا بل عائشة ما خنته وصفوان خير منك وعائشة خير مني) قال أحمد وانما ألهمت نور الايمان الى هذا المرء الذي انطوى عليه الضمير عن الغيرة من المؤمنين بالنفس فانها تزاحم وجها منزلة صفوان ونفسها منزلة عائشة ثم أثبتت لنفسها ولوجهها البراءة والامانة حتى أثبتها لصفوان وعائشة بطريق الاولى

مع امرأته رجلا فأخبر جلدثمانين وردت شهادته أبدا وفسق وان ضربه بالسيف قتل وان سكت سكت على غيظ والى أن يجئ بأربعة شهداء فقد قضى الرجل حاجته ومضى اللهم افتح وخرج فاستقبله هلال بن أمية أو عويمر فقال ماوراءك قال شر وجدت على بطن امرأتي خولة وهي بنت عاصم شريك بن سحماء فقال هذا والله سؤالي ما أسرع ما ابتليت به فرجعا فأخبر عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلم خولة فقالت لا أدري أالغيرة أدركته أم تخيلا على الطعام وكان شريك نزيلهم وقال هلال لقد رأيته على بطنها فنزلت ولاعن بينهما وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند قوله وينهما ان لعنة الله عليه ان غضب الله عليها آمين وقال القوم آمين وقال لهما ان كنت ألممت بذنب فاعترفي به فالرجم أهون عليك من غضب الله ان غضبه هو النار وقال تحيني بها الولادة فان جاءت به أصيهب أثيبج يضرب الى السواد فهو لشريك وان جاءت به أورق جعدا جماليا خدلج الساقين فهو للذي رميت به قال ابن عباس رضي الله عنهما فجاءت باشبه خلق الله لشريك فقال صلى الله عليه وسلم لولا الايمان لكان لي ولها شأن * وقرئ ولم تكن بالتاء لان الشهداء جماعة أو لانهم في معنى الانفس التي هي بدل ووجه من قرأ أربع أن ينتصب لانه في حكم المصدر والعامل فيه المصدر الذي هو شهادة أحدهم وهي مبتدأ فحذوف الخبر تقديره فواجب شهادة أحدهم أربع شهادات بالله وقرئ أن لعنة الله وأن غضب الله على تخفيف أن ورفع ما بعدها وقرئ أن غضب الله على فعل الغضب وقرئ غضب الله مسندين على معنى وتشهد الخامسة (فان قلت) لم خصت اللاعنة بان تخمس بغضب الله (قلت) تغلظا على الانها هي أصل التعبير ومنه بخلائها واطماعها ولذلك كانت مقدمة في آية الجلد وشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم لولاها لرجم أهون عليك من غضب الله * الفضل المتفضل وجواب لولا محذوف وتركه دال على أمر عظيم لا يكتنه ووبب محكوم عنه أبلغ من منطوق به * الافك أبلغ ما يكون من الكذب والافتراء وقيل هو المحال لانه يشمر به حتى يقال أفك وأصله الافك وهو القلب لانه قول مأفوك عن وجهه والمراد ما أفك به على عائشة رضي الله عنها * والعصبة الجماعة من العشرة الى الاربعين وكذلك العائبة وعصبوا الجمعوا وهم عبد الله بن أبي رأس النفاق وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة ومنة بنت جحش ومن ساعدهم * وقرئ كبره بالضم والكبر وهو عظمه والذي تولاه عبد الله لانه كان معظم الشر كان منه يحكى أن صفوان رضي الله عنه سمع رجلا يشتمه وهو في ملأ من قومه فقال من هذه فقالوا عائشة رضي الله عنها فقال والله ما نجت منه ولا نجا منها وقال امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت ثم جاءت تقودها * والخطاب في قوله (هو خيرا لكم) لمن ساءه ذلك من المؤمنين وخاصة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعائشة وصفوان بن المعطل رضي الله عنهم ومعنى كونه خيرا لهم أنهم اكتسبوا فيه الثواب العظيم لانه كان بلاء مبينا ومحنة ظاهرة وأنه نزلت فيه ثماني عشرة آية كل واحدة منها مستقلة بعلو تعظيم لشأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسلية له وتنزيه لامر المؤمنين رضوان الله عليهم وتطهير لاهل البيت وتهويل لمن تكلم في ذلك أو سمع به فلم يجمه أذناه وعدة ألطاف لقاسم بن والثالث الى يوم القيامة وفوائد نفيسة وأحكام وآداب لا تخفى على متأملها (بأنفسهم) أي بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات كقوله ولا تلمزوا أنفسكم وذلك نحو ما يروى أن أبا أيوب الانصاري قال لام أيوب ألا ترين ما يقال فقالت لو كنت بدل صفوان أكنت تظن بحرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم سوأ قال لا قالت ولو كنت أنا بدل عائشة رضي الله عنها ما خنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعائشة خير مني وصفوان خير منك (فان قلت) هلا قيل لولا اذ سمعتموه ظننتم بأنفسكم خيرا وقلتم ولم عدل عن الخطاب الى الغيبة وعن الضمير

رضي الله عنها وجهان والله أعلم خلاف ما قاله الزمخشري وهو أن يكون التعبير بالانفس حقيقة والمقصود الزام سيئ الظن بنفسه لانه لم يعتد بنوازع الايمان في حق غيره وألغاه واعتبره في حق نفسه وادعى فيها البراءة قبل معرفته بحكم الهوى لا بحكم الهدى والله أعلم

*قوله تعالى وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم (قال ان قلت القول لا يكون الا بالافواه فما فائدة ذكرها قلت المراد ان هذا القول لم يكن عبارة عن علم قام بالقلب (٨٦) وانما هو مجرد قول اللسان) قال أحمد ويحتمل أن يكون المراد المبالغة أو تعريضا بانه ربما يتشدق ويقضي تشدقه حاتم علمه وهذا أشد أقطع وهو الذي أتى أجله قوله تعالى فلبثت البقعتان من أفواههم ولله أعلم *قوله تعالى سبحانك هذا بهتان عظيم (قال) معناه التعجب

هذا افك مبين لولا جاؤا عليه بأربعة شهداء فاذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم اذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم يعظكم الله

من عظيم الامر وأصله ان الانسان اذا رأى عجبا من بديع صنع الله تعالى بهم تكلم بما يحسن عندك ويجب عنه أن أورد هاهنا سؤالا على توجههم على نزول التعجب فقال ان قلت فهل كان يمكن أن تكون زوجة النبي كافرة كامرأة نوح ولوط ولم يكن كفرها معجبا امته وجمهور هاهنا معجب منه قلت لان الانبياء النبي صلى الله عليه وسلم يعرفون الى الكفر اليهم وكفر الزوجة غير مانع ولا منفر بخلاف الكشخنة (قال أحمد) وما أورد عليه أبرد من هذا السؤال كأن أحدا يشكل عليه أن ينسب العاهرة الى مثل عائشة مما ينكره كل عاقل ويتعجب منه كل لبيب والله الموفق

الى الظاهر (قلت) ليبالغ في التوبيخ بطريقة الالتفات وليصرح بلفظ الايمان دلالة على أن الاشتراك فيه مقتض أن لا يصدق مؤمن على أخيه ولا مؤمنة على أختها قول غائب ولا طاعن وفيه تنبيه على أن حق المؤمن اذا سمع قالة في أخيه أن يبني الامر فيها على الظن لا على الشك وأن يقول على سبيل بناء على ظنه بالمؤمن الخير (هذا افك مبين) هكذا بلفظ المصرح ببراءة ساحته كما يقول المستيقن المطلع على حقيقة الحال وهذا من الادب الحسن الذي قل القائم به والحافظ له وليتك تجده من يسمع فيسكت ولا يشيع ما سمعه باخبارات *جعل الله التفصلة بين الرمي الصادق والكاذب ثبوت شهادة الشهود الاربعة وانتفاءها والذين رموا عائشة رضي الله عنها لم تكن هم بينة على قولهم فقامت عليهم الحجة وكانوا (عند الله) أي في حكمه وشريعته كاذبين وهذا توبيخ وتعنيف للذين سمعوا الافك فلم يحتجوا في دفعه وانكاره واحتج عليهم بما هو ظاهر مكشوف في الشرع من وجوب تكذيب القاذف بغير بينة والتنكيل به اذا قذف امرأة محصنة من عرض نساء المسلمين فكيف بأم المؤمنين الصديقة بنت الصديق حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحبيبة حبيب الله *لولا الاولى للتحضيض وهذا لامتناع الشيء لوجود غيره والمعنى ولولا أني قضيت أن أتفضل عليكم في الدنيا بضروب النعم التي من جملتها الامهال للتوبة وأن أرحم عليكم في الآخرة بالعفو والمغفرة لعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم فيه من حديث الافك *يقال أفاض في الحديث وأندفع وهتب وخاض (اذ) ظرف لمسكم أو لأفضتم (تلقونه) بأحد بعضكم من بعض يقال تلق القول وتلقنه وتلقفه ومنه قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات *وقرئ على الاصل تتلقونه واذ تقونه بادغام الذال في التاء وتلقونه من لقيه يعني لسنته وتلقونه من القائه بعضهم على بعض وتلقونه وتالقونه من الوالق وهو الكذب وتلقونه حكية عن عائشة رضي الله عنها وعن سفيان سمعت أي تقرأ اذ تقفونه وكان أبو هريرة يقرأ تحوف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (فان قلت) ما معنى قوله (بافواهكم) والقول لا يكون الا بالفم (قلت) معناه أن الشيء المعلوم يكون علمه في القلب فيترجمه عنه اللسان وهذا الافك ليس الا قولا يجري على ألسنتكم ويدور في أفواهكم من غير حقيقة من علم في القلب كقوله تعالى يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم *أي تحسبونه صغيرة وهو عند الله كبيرة موجبة وعن بعضهم أنه سمع عند الموت فقيل له فقال أتأثم ذنبا لم يكن سني على بال وهو عند الله عظيم وفي كلام بعضهم لا تقولن لشيء من سيآتك حقير فلعله عند الله نخلة وهو عندك تبن وصغيرها ركب ثلاثة آثام وعلق مس العذاب العظيم بها أحدها تلقي الافك بألسنتهم وذلك أن الرجل كان يلقى الرجل فيقول له ما ورأك فيجد له حديث الافك حتى شاع وانتشر فلم يبق بيت ولا نادي الا طار فيه والثاني التكلم بما لا علم لهم به والثالث استصغارهم لذلك وهو عظيمة من العظائم * (فان قلت) كيف جاز الفصل بين لولا ولم (قلت) للظروف شأن وهو تنزلها من الاشياء منزلة أنفسها لوقوعها فيها وأنها لا تنفك عنها فلذلك يتسع فيها ما لا يتسع في غيرها (فان قلت) فأي فائدة في تقديم الظرف حتى أوقع فاصلا (قلت) الفائدة فيه بيان أنه كان الواجب عليهم أن يتفادوا أول ما سمعوا بالافك عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت أهم وجب التقديم (فان قلت) ما معنى يكون والكلام بدونه متلئب لو قيل ما لنا أن نتكلم بهذا (قلت) معناه معنى ينبغي ويصح أي ما ينبغي لنا أن نتكلم بهذا وما يصح لنا ونحو ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق و (سبحانك) للتعجب من عظم الامر (فان قلت) ما معنى التعجب في كلمة التسبيح (قلت) الاصل في ذلك أن يسبح الله عند رؤية العجيب من صنائعه ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه أو لتنزيه الله تعالى من أن تكون حرمة نبيه عليه السلام فاجرة (فان قلت) كيف جاز أن تكون امرأة

النبي كافرة كامرأة نوح ولوط ولم يجز أن تكون فاجرة (قلت) لان الانبياء مبعوثون الى الكفار ليدعوهم ويستعطفوهم فيجب أن لا يكون معهم ما ينفرهم عنهم ولم يكن الكفر عندهم مما ينفر وأما الكبائر فتنفر أعظم المنفرات * أي كراهة (أن تعودوا) أوفى أن تعودوا من قولك وعظت فلانا لئن كلمته كذا * وأيدهم ما داموا أحياء مكلفين و (ان كنتم مؤمنين) فيه تهييج لهم ليتعظوا وتذكير بما يوجب ترك العود وهو اتصافهم بالايمان الصادق كل متعج * يبين الله لكم الدلالات على علمه وحكمته بما ينزل عليكم من الشرائع ويعلمكم من الآداب الجميلة ويعظكم به من المواعظ الشافية والله عالم بكل شئ فاعمل لما يعلمه يدو عي الحكمة * المعنى يشيعون الفاحشة عن قصد الى الاشاعة وارادة وبحبة لها وعذاب الدنيا الحد وقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبي وحسانا ومسطحا وحمنة حد القاذف ضربة ضربة بالسيف وكف بصره وقيل هو المراد بقوله والذي تولى كبره منهم (والله يعلم) ما في القلوب من الاسرار والضمائر (وأنتم لا تعلمون) يعني أنه قد علم محبة من أحب الاشاعة وهو معاقبه عليها * وكرر الله تعالى ترك العجلة بالعقاب حاد فاجواب لولا كما حذفته ثمة وفي هذا التكرير مع حذف الجواب مبالغة عظيمة وكذلك في التواب والرؤف والرحيم * الفحشاء والفاحشة ما أفرط قبحه قال أبو ذؤيب * ضراتر مي فاحش غادرها * أي أفرطت غيرها والمنكر ما تنكره النفوس فتنفر عنه ولا ترتضيه * وقرئ خطوات بفتح الطاء وسكونها وزكى بالتشديد والضمير لله تعالى ولولا أن الله تفضل عليكم بالتوبة المعصمة لطاهر منكم أحد آخر الدهر من دنس أم الافك ولكن الله يطهر التائبين بقبول توبتهم إذا اخلصوها * وهو (سميع) لقولهم (عليم) بضمائرهم واخلاصهم * وهو من التلي اذا حلف افتعال من الالية وقيل من قولهم ما ألوت جهد الذالم أقصر منه شيأ ويشهد للاول قراءة الحسن ولا يتأل والمعنى لا يحلفوا على أن لا يحسنوا الى المستحقين للاحسان أولا يقصروا في أن يحسنوا اليهم وان كانت بينهم وبينهم مضاء لجناية اقترفوها عليهم وتعاطوا بها منهم والصفح والعفو لهم مثل ما يرجون أن يفعل بهم ربهم مع كثرة خطاياهم وذنوبهم نزلت في شأن مسطح وكان ابن خالة أبي بكر الصديق رضي الله عنهما وكان فقيرا من فقراء المهاجرين وكان أبو بكر ينفق عليه فلما فرط منه ما فرط آلى أن لا ينفق عليه وكره بداعيا الى المجاملة وترك الاستقالة بالكافأة الى * وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأها على أبي بكر فقال بلى أحب أن يغفر الله لي ورجع الى مسطح نفقته وقال والله لا أنزعها أبدا وقرأ أن يعفوا وان فطيب أن تؤثروا الدعاء على الانتقام ويعضده قوله ألا تحبون أن يغفر الله لكم (الغافلات) السليمات الصدور النقيات القلوب اللاتي ليس فيهن دهاء ولا مكر لانهن لم يجربن الامور ولم يرزن الاحوال فلا يفطن لما تفطن له المجربات العرافات قال

واعذب هجوت بطفلة ميالة * بلهاء تطلعني على أسرارها

وكذلك البله من الرجال في قوله عليه الصلاة والسلام أكثر أهل الجنة البله * وقرئ يشهد الياء والحق بالنصب صفة للدين وهو الجزاء وبالرفع صفة لله ولو قيل القرآن كله وقتئذ عما أوعد به العصاة لم تر الله تعالى قد غلظ في شئ تغليظه في افك عائشة رضوان الله عليها ولا أنزل من الآيات التوارع المتحونة بالوعيد الشديد والعتاب البليغ والزجر العنيف واستعظام ما ركب من ذلك واستفاض مما أقدم عليه ما أنزل فيه على طرق مختلفة وأساليب متغلة كل واحد منها كاف في بابه ولو لم ينزل الا هذه الثلاث لكفى بها حيث جعل القذفة ملعونين في الدارين جميعا وتوعدهم بالعذاب العظيم في الآخرة بان ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم تشهد عليهم عما أفكوا وهتوا وأنه يوفيهم جزاءهم الحق الواجب الذي هم أهله حتى يعلموا عند ذلك (أن الله هو الحق المبين) فاوجز في ذلك وأشبع وفصل وأجمل وأكد وكرر وجاء بما لم يقع في وعيد المشركين عبدة الاوثان الا ما هو دونه في الفظاعة وما ذاك الا لامر وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان بالبصرة فجاء عرفة وكان يسأل عن تفسير القرآن حتى سئل عن هذه الآيات فقال من أذنب ذنبا ثم تاب منه قبلت توبته الا من خاض في أمر عائشة وهذه منه مبالغة وتعظيم لامر الافك والله تعالى أعلم تمت بعون الله تعالى وحسن توفيقه يوم الاربعاء

أن تعودوا لمثله أبدا ان كنتم مؤمنين ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤف رحيم يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا الا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين

قوله تعالى ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات الآية (قال ان كانت عائشة هي المراد فلم جمع قلت المراد اما أزواج النبي صلى الله عليه وسلم حتى يكون هذا الوعيد لاحقا بقاذفهن واما عائشة وجمعت ارادة لها ولبناتها كما قال * قدني من نصر الخبيثين قدى * يعني عبد الله بن الزبير وأباه وكان يكنى أبا خبيب) قال أحمد والاظهر أن المراد عموم المحصنات والمقصود بذكرهن على العموم وعيد من وقع في عائشة على أبلغ الوجوه لانه اذا كان هذا وعيد قاذف آحاد المؤمنات فالظن بوعيده من قذف سيدتهن وزوج سيد البشر صلى الله عليه وسلم على أن تعميم الوعيد أبلغ وأقطع من تخصيصه وهذا معنى قول زيد اما جزاء من أراد اهلك سوأ الا ان يحبن أو عذاب اليم فعمت وأرادت يوسف بها بلاعليه وارجافا (٨٨) والمعصوم من عصمه الله تعالى * قوله تعالى الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات الآية

(قال) تحتمل الآية أمرين أحدهما أن يكون المراد الكلمات الخبيثة بخبيثين والمراد الافك ومن أفاض عليه وعكسه في الطيبات والطيبين الثاني أن يكون المراد بالخبيثات النساء وبالخبيثين

الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرؤن مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها

الرجال (قال أحمد) ان كان الاهم على التأويل الثاني فهذه الآية تفصيل لما أجمله قوله تعالى الزانية لا ينكحها الا زان وقد بينا انها مشتملة على هذه

الشاهد وشهد شاهد من أهلها وبرأ موسى من قول اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه وبرأ مريم بانطاق ولدها حين نادى من حجرها اني عبد الله وبرأ عائشة بهذه الآيات العظام في كتابه المعجز المتلو على وجه الدهر مثل هذه البراءة بهذه المبالغات فانظركم بينها وبين قبرأة أولئك وماذا الا الاظهار لعلو منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتنبيه على انافة محل سيد ولد آدم وخيرة الاولين والآخرين وحجة الله على العالمين ومن أراد أن يحقق عظمة شأنه صلى الله عليه وسلم وتقدم قدمه واحرازه لقصب السبق دون كل سابق فليتأمل ذلك من آيات الافك وليتأمل كيف غضب الله له في حرمته وكيف بالغ في نفي التهمة عن جنابه (فان قلت) ان كانت عائشة هي المرادة فكيف قيل المحصنات (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يراد بالمحصنات أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن يخصص بان من قذفهن فهذا الوعيد لاحق به واذا أردن وعائشة كبراهن منزلة وقربة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت المرادة أولا والثاني أنها أم المؤمنين فجمعت ارادة اهانة لبناتها من نساء الامة الموصوفات بالاحصان والغفلة والايمان كما قال * قدني من نصر الخبيثين قدى * أراد عبد الله بن الزبير وأشياعه وكان أعداؤه يكنونه بخبيب ابنه وكان مضمونا كنيته المشهورة أبو بكر الا أن هذا في الاسم وذاك في الصفة (فان قلت) ما معنى قوله هو الحق المبين (قلت) معناه ذو الحق المبين أي العادل الظاهر العدل الذي لا ظلم في حكمه والحق الذي لا يوصف بباطل ومن هذه صفته لم تسقط عنده أساءة مسيء ولا احسان محسن حق مثله أن يتقى ويجتنب مخارمه * أي (الخبيثات) من القول (لقائل أو تعد (للخبيثين) من الرجال والنساء (والخبيثون) منهم يتعرضون (للخبيثات) من القول وكذلك الطيبات والطيبون (أولئك) اشارة الى الطيبين وانهم مبرؤن مما يقول الخبيثون من خبيثات الكلام وهو كلام جار مجرى المثل لعائشة ومما رميت به من قول لا يطابق حالها في النزاهة والطيب ويجوز ان يكون أولئك اشارة الى أهل البيت وأنهم مبرؤن مما يقول أهل الافك وأن يراد بالخبيثات والطيبات النساء أي الخبائث يتزوجن الخبائث والخبات الخبائث وكذلك أهل الطيب * وذكر الزمخشري الكريم ههنا مثله في قوله وأعتدنا لها رزقا كريما وعن عائشة لقد أعطيت تسعا ما أعطيتهن امرأة لقد نزل جبريل عليه السلام بصورتي في راحته حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتزوجني ولقد تزوجني بكرا وما تزوج بكرا غيري ولقد ثوفي وان رأسه لفي حجري ولقد مكث في بيتي ولقد حفته الملائكة في بيتي وان الوحي لينزل عليه في أهله فيغفرون عنه وان كان لينزل عليه وانا معه في لحافه وانا لابنة خليفته وصديقه ولقد نزل عذري من السماء ولقد خلقت طيبة عند طيب ولقد وعدت مغفرة ورزقا كريما (تستأنسوا) فيه وجهان أحدهما أنه من الاستئناس الظاهر الذي هو خلاف الاستيحاش لان الذي يطرق باب غيره لا يدري أيؤذن له أم لا فهو كالمستوحش

الاقسام الاربعة تصريحا وتضمينا فجاءت هذه الآية صريحة بالجميع وقد اشتملت على فائدة أخرى وهي الاستشهاد من على براءة أم المؤمنين بانها زوجة أطيب الطيبين فلا بد وأن تكون طاهرة طيبة مبرأة مما أفكت به وهذا التأويل الثاني هو الظاهر فان بعد الآية هم مغفرة ورزق كريم وبهذا وعد أزواجه عليه السلام في قوله تعالى نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقا كريما والله أعلم * عاد كلامه (قال ونقل عن عائشة أنها قالت لقد أعطيت تسعا ما أعطيتهن امرأة فذكرت منهن انها خلقت طيبة عند طيب (قال أحمد وهذا أصح لحق ما ذكرته من أن المراد بالطيبات والطيبين النساء والرجال وان المراد بذلك اظهار براءة عائشة بانها زوج أطيب الطيبين فيلزم أن تكون طيبة وفاقا بقوله والطيبون للطيبات والله أعلم * قوله تعالى لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها (قال فيه وجهان أحدهما انه من الاستئناس الذي هو ضد الاستيحاش أي حتى يؤذن لكم فتستأنسوا

من خفاء الحال عليه فاذا أذن له استأنس فالمعنى حتى يؤذن لكم كقوله لا تدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم وهذا من باب الكناية والارداف لان هذا النوع من الاستئناس يردف الاذن فوضع موضع الاذن والثاني أن يكون من الاستئناس الذي هو الاستعلام والاستكشاف استفعال من أنس الشيء اذا أبصره ظاهرا امكثوا فالمعنى حتى تستعلموا وتستكشفوا الحال هل يراد دخولكم أم لا ومنه قولهم استأنس هل ترى أحدا واستأنست فلم أر أحدا أي تعرفت واستعملت ومنه بيت النابغة على مستأنس وحد ويجوز أن يكون من الانس وهو أن يتعرف هل في الدار انسان وعن أبي أيوب الانصاري رضي الله عنه فلنا يا رسول الله ما الاستئناس قال يتكلم الرجل بالتسبيحة والتكبيرة والتحميدة وينحنح يؤذن أهل البيت * والتسليم أن يقول السلام عليكم أأدخل ثلاث مرات فان أذن له والا رجع وعن أبي موسى الاشعري أنه أتى باب عمر رضي الله عنهما فقال السلام عليكم أأدخل فلما لا ثم رجع وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الاستئذان ثلاثة فاستأذن الرجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ألج فقال صلى الله عليه وسلم لا حتى يقال لها روحة فهو الى هذا فقيه فانه لا يحسن أن يستأذن قولي له يقول السلام عليكم أأدخل فسمعها الرجل فقالها فقال ادخل وكان أهل الجاهلية يقول الرجل منهم اذا دخل بيتا غير بيته حييت صباحا وحييتم مساءا ثم يدخل فربما أصاب الرجل مع امرأته في لحاف واحد فمد الله عن ذلك وعلم الاحسن والاجمل وكم من باب من أبواب الدين هو عند الناس كالشريعة المنسوخة قد تركوا العمل به وباب الاستئذان من ذلك بينا أنت في بيتك أذا رعف عليك الباب بواحد من غير استئذان ولا تحية من تحايا الاسلام ولا تحايا أهل الجاهلية وهو من سمع ما أنزل الله فيه وما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن الاذن الواعية وفي قراءة عبد الله حتى تسلموا على أهلها وتستأذنوا وعن ابن عباس وسعيد بن جبير اراها هو حتى تستأذنوا فاخطأ الكاتب ولا يقول على هذه الرواية وفي قراءة أبي حتى تستأنوا (ذلكم) الاستئذان والتسليم (خير لكم) من تحية الجاهلية والدصور وهو الدخول بغير اذن واشتقاقه من الدار وهو الملا لان صاحبه دامر أعظم ما يركب وفي الحديث من سبقت عينه استئذانه فقد دصر وروي أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم أأستأذن على أمي قال نعم قال انه ليس لها خادم غيري أأستأذن عليها كلما دخلت قال أتحب أن تراها عريانة قال الرجل لا قال فاستأذن (لعلكم تذكرون) أي انزل عليكم أو قيل لكم هذا ارادة أن تذكروا وتتعظوا وتعملوا بما أمرتم به في باب الاستئذان * ويحتمل (فان لم تجدوا فيها أحدا من أهلها ولكم فيها حاجة فلا تدخلوها الا باذن أهلها وذلك أن الاستئذان لم يشرع لئلا يطلع الداخل على عورة ولا تسبق عينه الى ما لا يحل النظر اليه فقط وانما شرع لئلا يوقف على الاحوال التي يطويها الناس في العادة عن غيرهم ويتحفظون من اطلاع أحد عليها ولانه تصرف في ملك غيرك فلا بد من أن يكون برضاه والا أشبه الغصب والتغلب (فارجعوا) أي لا تلحوا في اطلاق الاذن ولا تلجوا في تسهيل الحجاب ولا تقفوا على الابواب منتظرين لان هذا مما يجلب الكراهة ويقدح في قلوب الناس خصوصا اذا كانوا ذوي مروآت ومن ناصين بالآداب الحسنة وانما نهى عن ذلك لادائه الى الكراهة وجب الانتهاء عن كل ما يؤدي اليها من قرع الباب بعنف والتصيح بصاحب الدار وغير ذلك مما يدخل في عادات من لم يهذب من أكثر الناس وعن أبي سعيد ما قرعت بابا على عالم قط وكفى بقصة بني أسد زاجرة ومازل فيها من قوله ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون (فان قلت) هل يصح أن يكون المعنى وان لم يؤذن لكم وأمرتم بالرجوع فاستطلوا ولا تدخلوا مع ثم أنهاهم (قلت) بعد ان جزم النهي عن الدخول مع فقد الاذن وحده من أهل الدار حاضرين وغائبين لم يبق شبهة في كونه نهيا عنه مع انضمام الامر بالرجوع الى فقد الاذن (فان قلت) فاذا عرض أمر في دار من حريق أو هجوم سارق أو نظهور منكر يجب انكاره (قلت) ذلك مستثنى بالدليل * أي الرجوع أطيب لكم وأطهر لما فيه من سلامة الصدور والبعد من الريبة أو أنفع وأنمى خيرا * ثم أوعد المخاطبين بذلك بانه عالم بما يأتون وما يذرون مما خوطبوا به فوفى جزاء

ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون فان لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم

بالشيء عما هو رادف له الثاني أن يكون من الاستعلام من أنس اذا أبصر والمعنى حتى تستكشفوا الحال هل يراد دخولكم أم لا وذكر أيضا وجها بعيدا وهو أن المراد حتى تعلموا هل فيها انسان أم لا (قال أحمد) فيكون على هذا الاخير بنى من الانس استفعل والوجه الاول هو البين وسر التجوز فيه والعدول اليه من الحقيقة ترتيب المخاطبين في الانسان بالاستئذان بواسطة ذكر فان له فائدة وهو ترتيب تميل النفوس اليها وتتمرن ضدها وهو الاستيحاش الحاصل بتقدير عدم الاستئذان ففيه تهييج للدواعي على سلوك هذا الادب والله سبحانه وتعالى أعلم

عليه * استثنى من البيوت التي يجب الاستئذان على داخلها ما ليس بمسكون منها وذلك نحو الفنادق وهي الخانات والربط ونحوانيت الباعين * والمتاع المنفعة كالاستكنان من الحر والبرد وانواء الرحال والسلع والشراء والبيع وروى أن أبا بكر رضي الله عنه قال يارسول الله ان الله تعالى قد أنزل عليك آية في الاستئذان وانا نختلف في تجارتنا فننزل هذه الخانات أفلا نستأذن فنزلت وقيل الخربات بتعريف الراء والمتاع التبرز (والله يعلم ما تبدون وما تكتمون) وعيد للذين يدخلون الخربات والدور الخالية من أهل الريبة * من للتبعيض والمراد غض البصر عما يحرم والاقتصار به على ما يحل وجوز الاخفش أن تكون مزيدة وأباه سيبويه (فان قلت) كيف دخلت في غض البصر دون حفظ الفروج (قلت) دلالة على أن أمر النظر أوسع لانرى أن المحارم لا بأس بالنظر الى شعورهن وصدورهن ونديهن وأعضادهن وأسوقهن وأقدامهن وكذلك الجواري المستعرضات والاجنبية ينظر الى وجهها وكفيها وقدميها في احدى الروايتين وأما أمر الفرج فضيق وكذلك فرقا أن أتبع النظر الا ما استثنى منه وسنظر الجماع الا ما استثنى منه ويجوز أن يراد مع حفظها عن الابصار الى ما لا يحل حفظها عن الابداء وعن ابن زيد كل ما في القرآن من حفظ الفرج فهو عن الزنا الا هذا فانه أراد به الاستتار * ثم أخبر أنه (خبير) بأفعالهم وأحوالهم وكيف يحيلون أبصارهم وكيف يصنعون بها ثم أخبر أنه بصير بجوارحهم فعليهم اذا عرفوا ذلك أن يكونوا منه على تقوى وحذر في كل حركة وسكون * النساء أمور ثلاث أيضا بغض الابصار ولا يحل للمرأة أن تنظر من الاجنبي الى ما تحت سرته الى ركبته وان اشتهت غضت بصرها رأسا ولا تنظر من المرأة الا الى مثل ذلك وغضهما بصرهما من الاجانب أصلا أو في بعض دون بعض أحسن ومنه حديث ابن أم مكتوم عن أم سلمة رضي الله عنها قالت كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وعنده ميمونة فاقبل ابن أم مكتوم وذلك بعد أن أمرنا بالحجاب فدخل علينا فقال احتجبا فقلنا يارسول الله ألبس أعمى لا يبصرنا فقال أفعمياوان أنتما ألستما تبصرانه (فان قلت) لم قدم غض الابصار على حفظ الفروج (قلت) لان النظر بريد الزنا ورائد الفجور والباوي فيه أشد وأكثر ولانكاد يقدر على الاحتراس منه * الزينة ما تزينت به المرأة من حلي أو كحل أو خضاب يدا كان ظاهرها كالكفاح والقفازين والكحل والخضاب فلا بأس ابداؤها للاجانب وما خفي منها كالسوار والخلخال والدملج والقلادة والاكليل والوشاح والقرط فلا يبديه الا لهؤلاء المذكورين وذكر الزينة دون مواقعها للمبالغة في الامر بالتصون والتستر لان هذه الزينة واقعة على مواضع من الجسد لا يحل النظر اليها لغير هؤلاء وهي الذراع والساق والعضد والعنق والرأس والصدر والاذن فنهى عن ابداء الزينة نفسها يعلم أن النظر اليها وغيرها لاستتباعها الاعمال التي حله كان النظر الى المواقع أشد بابا وتمكنا في الحظر وأبلغ في الحرمة شاهدا على أن النساء محقون أن يحتطن في ستر هاويتقين الله في الكشف عنها (فان قلت) ما تقول في القراميل هل يحل نظر هؤلاء اليها (قلت) هم (فان قلت) أليس موقعها الظهر ولا يحل لهم النظر الى ظهر هاو بطنها وربما ورد الشعر فوقعت القراميل على ما يبدو الى ما تحت السرة (قلت) الامر كما قلت ولكن أمر القراميل خلاف أمر سائر الحلي لانه لا يقع الا فوق اللباس ويجوز النظر الى الثوب الواقع على الظهر والبطن للجلباب فضلا عن هؤلاء الا اذا كان يصف ما تحته فلا يحل النظر اليه فلا يحل النظر الى القراميل واقعة عليه (فان قلت) ما المراد بموقع الزينة ذلك العضو كله أم المقدار الذي تلابسه الزينة منه (قلت) الصحيح أنه العضو كله كما قيدت مواقع الزينة الخفية وكذلك مواقع الزينة الظاهرة لوجه موقع الكحل في عينه والخضاب بالوسمة في حاجبه وشاربه والغمرة في خديه والكف والقدم موقعا الخاتم والخضبة والخضاب بالحناء (فان قلت) لم وسع مما تلقى الزينة الظاهرة (قلت) لان ستر هافيه حرج فان المرأة لا تجد بدا من مزاولة الاشياء بيديها ومن الحاجة الى كشف وجهها خصوصا في الشهادة والمحاكمة والنكاح وتضطر الى المشي في الطرقات وظهور قدميها وخاصة القفيرات منهن وهذا معنى قوله (الا ما ظهر منها) يعني الا ما جرت العادة والجبلة على ظهوره والاصل فيه الظهور والباقي سوغ في الزينة الخفية أولئك الذين ذكروهن لما كانوا المختصين بهن من الحاشية المضطرة الى مداخلتهم ومخالطتهم ولقلة

والله يعلم ما تبدون وما تكتمون قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ان الله خبير بما يصنعون وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بني اخوانهن

* قوله تعالى ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها (قال المراد النهي عن ابداء مواضع الزينة فليس النهي عن اظهار الزينة هو المقصود لعينه ولكن جعل نفسها كناية عن النهي عن ابداء مواقعها بطريق الاولى) قال أحمد وقوله تعالى عقيب ذلك ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن محقق ان ابداء الزينة لعينه مقصود بالنهي لانه قد نهى عما هو دونه اليه حاجة اذ المضرب بالارجل لم يعال النهي عنه الا بعلم ان المرأة ذات زينة وان لم تظهر فضلا عن مواضعها

والله أعلم

توقع الفتنة من جهاتهم ولما في الطباع من النفوة عن مماسة القرائب وتخيل المرأة الى محبتهم في الاسفار للتنزل والركوب وغير ذلك * كانت جيوبهن واسعة تبدو منها نحورهن وصدورهن وما حواليها وكن يسدلن الخمر من ورائهن فتبقى مكشوفة فأمرن بان يسدلنها من قدامهن حتى يغطينها ويجوز أن يراد بالجيوب الصدور تسمية بما يليها ويلابسها ومنه قولهم ناصح الجيب وقولك ضربت بخمارها على جيبها كقولك ضربت بيدي على الحائط اذا وضعتها عليه وعن عائشة رضي الله عنها ما رأيت نساء خيرا من نساء الانصار لما نزلت هذه الآية قامت كل واحدة منهن الى مرطها المرحل فصدعت منه صدعة فاختمرن فأصبحن كان على رؤسهن الغربان وقرئ جيوبهن بكسر الجيم لاجل الياء وكذلك بيوتا غير بيوتكم * قيل في نسائهن هن المؤمنات لانه ليس للؤمنة أن تتجرد بين يدي مشركة أو كتابية عن ابن عباس رضي الله عنهما والظاهر أنه عنى بنسائهن وما ملكت أيمانهن من في حجبتهن وخدمتهن من الحرائر والاماء والنساء كلهن سواء في حل نظر بعضهن الى بعض وقيل ما ملكت أيمانهن هم الذكور والاناث جميعا وعن عائشة رضي الله عنها أنها أبصرت النظر اليه فأومأت للذكور أن انكلوا اذا وضعتني في القبر وخرجت فأنت حر وعن سعيد ابن المسيب مثله غير رجع وقال لا تغركم آية النور فان المراد بهم الاماء وهذا هو الصحيح لان عبد المرأة بمنزله الاجنبي منها خصيا كان أو فحلا وعن ميسون بنت بحدل الكلابية أن معاوية دخل عليها ومعه خصي فتقنعت منه فقال هو خصي فقالت يا معاوية أترى أن المثلة تحل ما حرم الله وعند أبي حنيفة لا يحل استخدام الخصيان واماؤكم وبيعهم وشراؤهم وليتنزل عن أحد من السلف امساكهم (فان قلت) روى أنا أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم خصي فقبله (قلت) لا يقبل فعل آحاد الرواة الاحاديث مكشوف فان صح فلعله قبله ليعتقه أو ليسيب (الاربة) الحاجة قيل هم الذين يتبعونكم ليصيبوا من فضل طعامكم ولا حاجة لهم الى النساء لانهم بله لا يعرفون شيأ من أمرهن أو شيوخ ضلمى اذا كانوا معنين عضو الابصار لهم أو بهم بلاهة وقرئ غير بالنصب على الاستثناء أو الحال والجر على الوصفية * وضع الواحد موضع الجمع لانه يفيد الجنس ويبين ما بعده أن المراد به الجمع وقرئ بخروجكم طفلا (لم يظهروا) لم من ظهر على الشيء اذا اطلع عليه أي لا يعرفون ما العورة ولا يميزون بينها وبين غيرها وأما من ظهر على فلان اذا قوى عليه وظهر على القرآن أحفظه وأطاقه أي لم يبلغوا أوان القدرة على الوطء وقرئ عورات وهي لغة هذيل (فان قلت) لم ذكر الله الاعمام والاخوال (قلت) سئل الشعبي عن ذلك فقال لئلا يصفها العم عند ابنه والخال كذلك ومعناه أن سائر القرابات يشتركن الاب والابن في المحرمية الا العم والخال وأبناءهما وذلك لان العم قرين الاب وصنوه والابن يعرم فيدأب في تدوره لهما والوصف ينظره اليهما وهذا أيضا من الدلالات البليغة على وجوب الاحتياط عليهن في الستر * كانت المرأة تضرب الارض برجلها لتقعقع خلخالها فيعلم أنها ذات خلخال وقيل كانت تضرب باحدى رجليها الاخرى ليعلم أنها ذات خلخالين وادانهين عن اظهار صوت الحلي بعد ما نهين عن اظهار الحلي علم بذلك أن النهي عن اظهار مواضع الحلي ألغى وأبلغ * أو من الله ونواهيه في كل باب لا يكاد العبد الضعيف يقدر على مراعاتها وان ضبط نفسه واجتهد ولا يخلو من تقصير يقع منه فلذلك وصى المؤمنين جميعا بالتوبة والاستغفار وبتأميل الفلاح اذا تابوا واستغفروا وعن ابن عباس رضي الله عنهما توبوا عما كنتم تعملونه في الجاهلية لعلكم تسعدون في الدنيا والآخرة (فان قلت) قد حصحت التوبة بالاسلام والاسلام يجب ما قبله فما معنى هذه التوبة (قلت) أراد بها ما يقوله العلماء ان من أذنب ذنبا ثم تاب عنه يلزمه كلما تذكره أن يجدد منه التوبة لانه يلزمه أن يستمر على ندمه وعزمه الى أن يلقى ربه وقرئ أيه المؤمنون بضم الهاء ووجهه أنها كانت مفتوحة لوقوعها قبل الالف فلما سقطت الالف لالتقاء الساكنين أتبعت حركتها حركة ما قبلها (الايامى) واليتامى أصلهما أيائم ويتائم فقلبا والاسم للرجل والمرأة وقد آم وآمت وتأيما الا أنهم يقولون رجل أيم بكرين كانا أو ثيبين قال

فان تنكحي أنكح وان تتأيمي * وان كنت أفتى منكم أتأيم

أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الاربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعا أيه المؤمنون لعلكم تفلحون وأنكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله

* قوله تعالى ولا تكرهوا الاكراه لا يكون الا اذا أردن تحصنا ولا تتصور الاكراه ذلك اذا لو لا ذلك لكن معاوضات ولم يحصنا بشئ القليل) وعند العبد الفقير الى الله تعالى ان قائله ذلك

معاوضة فلا يجبر على الخياطة كالبيع وقيل معنى وآتوهم أسلافهم وقيل أنفقوا عليهم بعد أن يؤدوا ويعتقوا وهذا كله مستحب وروى أنه كان لحويطب بن عبد العزى مملوك يقال له الصبيح سأل مولاه أن يكاتبه فأبى فنزلت * كانت اماء أهل الجاهلية يساعين على مواليهن وكان لعبد الله بن أبي رأس النفاق ست جوار معاذة ومسيكة وأميمة وعمرة وأروى وقتيلة يكرههن على البغاء وضرب عليهن ضرائب فشكت ثنتان منهن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت * ويكنى بالفتى والفتاة عن العبد والامة وفي الحديث ليقل أحدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وأمتي * والبغاء مصدر البغي (فان قلت) لم أفعم قوله (ان أردن تحصنا) (قلت) لان الاكراه لا يتأتى الا مع ارادة التحصن وآس الطيعة المواتية للبغاء لا يسمى مكرها ولا أمرها اكراها وكلفان وأبتارها على اذا ايدان بان المساءيات كن يفعلن ذلك برئيسة وطواعية منهن وأن مأتوه من معاذة ومسيكة من خبر الشاذ النادر (غفور رحيم) لهم أو لهن أو لهم ولهن ان تابوا وأصلحوا وفي قراءة ابن عباس لهن غفور رحيم (فان قلت) لا حاجة الى تعليق المغفرة بهن لان المكره غير مؤاخذ (قلت) المكره عليه في أم غير آثمة (قلت) لعل الاكراه كان دون ما اعتبرته الشريعة من اكراه يقتل أو عبا يخاف منه التلف أو ذهاب العضو من ضرب عنيف أو غيره حتى تسلم من الاثم ورخص عن الحد الذي تعفر فيه فتكون آثمة (مبينات) هي الآيات التي بينت في هذه السورة وأوضحت في معاني الاحكام والحدود وجور أن تكون الأصل مبينا فيها فاتسع في الظرف وقرئ بالكسر أي بينت هي الاحكام والحدود وجعل الاصل فاعلا على المجاز أو من بينه بمعنى تبين ومنه المثل قد بين الصبح لذي عينين (ومثلا من) أمثال من (قبلكم) أي قصة عجيبة من قصصهم كقصة يوسف ومريم يعني قصة عائشة رضي الله تعالى عنها (وموعظة) ما وعظ به في الآيات والمثل من نحو قوله ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ولا تنسوا معروفا ولا انسمعوه ويعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا * نظير قوله (الله نور السموات والارض) مع قوله مثل نوره وهدى الله لنوره فوالذي كرم وحرم أتقول يعني الناس كرم وجوده والسني نور السموات وصاحب نور السموات ونور السموات والارض لمن شبهه بالنور في ظهوره وبيانه كقوله تعالى الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور أي من الباطل الى الحق وأضاف النور الى السموات والارض لاحدهما دون الاخر لدلالة على سعة اشراقه وفشو اضاءته حتى ملأ السموات والارض واما أن يراد أهل السموات والارض وأنهم يستضيئون به (مثل نوره) أي صفة نوره العجيبة الشأن في الاضاءة (كمشكاة) كصفة مشكاة وهي الكوة في الجدار غير النافذة (فيها مصباح) سراج ضخم ثاقب (في زجاجة) أراد قنديلا من زجاج شامي أزهر * شبهه في زهرته باحد الكواكب الدراري من الكواكب وهي المشاهير كالمشتري والزهرة والمريخ وسهيل ونحوها (يوقد) هذا المصباح (من شجرة) أي ابتدأ تقوبه من شجرة الزيتون يعني زيوت تلك الشجرة بزيتها (مباركة) كثيرة المنافع أو لانها نبتت في الارض التي بارك فيها للعالمين وقيل بارك فيها سبعون نبيا منهم ابراهيم عليه السلام ومن النبي صلى الله عليه وسلم عليكم بهذه الشجرة فانها زيت الزيتون فتدلوا به فانه مصحة من البواسير (لا شرقية ولا غربية) أي منبتها الشام وأجود الزيتون زيتون الشام وقيل لا في مضحى ولا مقنأة ولكن الشمس والظل يعاقبان عليها وذلك أجود لحملها وأصفى لدهنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا خير في شجرة في مقنأة ولا بارز في فضاة ولا خير في رمال مضحى وقيل ليست مما تطلع عليه الشمس في وقت شروقها أو غروبها فقط بل تصيبها للغداة والعشي جميعا فهي شرقية وغربية ثم وصف الزيت بالصفاء والرقة بحيث يكاد يضيء من غير نار (ولو لم تمسسه نار) أي هذا الذي شبهت به الحق نور متضاعف متناصر فيه المشكاة والزجاجة والمصباح والزيت حتى لم تبق مما يقوي النور وزيده اشراقا وعلوه باضاءة بقية وذلك أن المصباح اذا كان في مكان متضايق كالمشكاة كان أضوأ له وأجمع لنوره بخلاف المكان

* قوله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصنا (قال ان قلت لم أفعم قوله ان أردن تحصنا مع العلم

ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصنا الآية ان أمته خير منه لانها آثرت التحصن عن الفاحشة وهو بأبي الا اكراهها عليها ولو ارتز يكون هذا الذي لم يقع الزاجر من النفس ويحمد وعسى هذه الآية تأخذ بالنفوس الدنية فكيف بالنفوس العربية والله الموفق

المكان الواسع فان الضوء ينبث فيه ويتشر والقنديل أعون شئ على زيادة الانارة وكذلك الزيت وصفاؤه (يهدى الله) لهذا النور الثاقب (من يشاء) من عباده أى يوفق لاصابته الذين من نظر وتبر بعين عقله والانصاف من نفسه ولم يذهب عن الجادة الموصلة اليه عيناً وعملاً ومن لم يتدبر هو كالاعمى الذى سواء عليه جنح الليل الدامس وضحوة النهار الشامس وعن على رضى الله عنه الله نور السموات والارض أى ينشر فيها الحق ويثبه فأضاءت بنوره أنوار قلوب أهل ايمانه وعن أبى بن كعب رضى الله عنه مثل نوره من آمن به وقرئ زجاجة الزجاجة بالفتح والكسر وذرى منسوب الى الدر أى أبيض مثل اللؤلؤ وذرى يوزن سكيت يدرأ الظلام بضوئه وذرى كمرّى وذرى كلكبة من أبى يذر يوقد بمعنى توقد والاصل للزجاجة ويوقد ويوقد بالتشديد ويوقد بحذف التاء وفتح الياء لاجتماع حرفين زائدين وهو غريب ويمسسه بالياء لان التأنيث ليس بحقيقى والضمير فصل (فى بيوت) يتعلق بما قبله أى كمشكاة فى بعض بيوت الله وهى المساجد كانه قيل مثل نوره كالمرئى فى المصحف نور المشكاة التى من صفتها كذا وكيت أو بما بعده وهو يسبح أى يسبح له رجال فى بيوت وبها تكرير كقولك زيد فى الدار جالس فيها أو بمحذوف كأنه قيل فى تسع آيات أى سبحوا فى بيوت وهو المراد بالاذن الامر ورفعها اماؤها كقوله بناها رفع سمكها فسوّاها وادرفع ابراهيم القواعد وعن ابن عباس رضى الله عنهما هى المساجد أمر الله أن تبنى أو تعظيمها والرفع من قدرها وعن الحسن رضى الله عنه ما أمر الله أن ترفع بالبناء ولكن بالتعظيم (ويذكر فيها اسمه) أو فى كل موضع هو علم فى كل ذكر وعن ابن عباس رضى الله عنهما وأن يتلى فيها كتابه * وقرئ يسبح على البناء للمفعول وبسبح على أحد القولين الثلاثة أعنى له فيها الغدو ورجال مرفوع بما دل عليه يسبح وهو يسبح له ونسبح بالنون وكسر الباء وعن أبى جعفر رضى الله عنه بالتاء وفتح الباء وجمعه لأن يسند الى أوقات الغدو والآصال على زيادة الباء وتجعل الاوقات مسبحة والمراد بها كمسجد عليه يومان والمراد وجودهما * والآصال جمع أصل وهو العشى والعشى بأوقات الغدو أى بالغدوات وقرئ والاصال وهو الدخول فى الاصيل يقال أصل كاظمة وأعز * التجارة صناعة التاجر وهو الذى يبيع ويشترى للربح قلما تراد بريد لا يشملهم نوع من هذه الصناعة ثم خص البيع لانه فى الاغلب أدخل من قبل أن التاجر اذا ضجر له بسلعة رابحة وهى طلبة الكثير من صناعته ألفته مما لا يعيبه ثم اتبع ما يوقع فيه الربح فى الوقت الثانى لان هذا بتين وذا لا يظنون وانما أن يسمى الشراء تجارة للاسم ليقابل البوع كما يقول رزق فلان تجارة رابحة اذا اتجر فربح فى بيعه صالح أو شراء وقيل التجارة لاهل الجلب التجر فلان فى كذا اذا جلبه * التلهى القامة عوض من العين الساقطة للادغال والاصل اقوام فلما أضيفت أقيمت الاضافة مقام حرف التعويض فأسقطت وتحوه * وانحذفوا عند الامر الذى وعدوا * وتتقلب القلوب والابصار اما أن تتقلب أعيانها وهو أن تضطرب من الهول والفزع وتشخص كقوله واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر واما أن تتقلب أحوالها فتغير فتصير القلوب بعد أن كانت مطبوعا على الاشفاق وتصير الابصار بعد أن كانت عمياً لا تبصر (أحسن ما عملوا) أى أحسن جزاء أعمالهم كقوله للذين أحسنوا الحسنى والمعنى يجزونهم ويحاسبون ليجزيهم أوليهم مضاعفا ويزيدهم على الثواب تفضلا وكذلك معنى قوله الحسنى وزيادة المثوبة الحسنى وزيادة عليها من التفضل وعطاء الله تعالى اما تفضل واما ثواب واما عوض (والله يرزق) ما يتفضل به (بغير حساب) فاما الثواب فله حساب لكونه على حسب الاستحقاق * السراب ما يرى فى الفلاة من ضوء الشمس وقت الظهيرة يسرب على وجه الارض كأنه ماء يجرى * والقيعة بمعنى القاع أو جمع قاع وهو المنبسط المستوى من الارض الكبيرة فى جار وقرئ بقيعات بناء نمط وطرفة كديمات وقيعات فى سعة وقلة وقد جعل بعضهم بقيعة بناء مفردة كرجل عزهاة شبه ما يعمل من لا يعتقد الايمان ولا يتبع الحق من الاعمال الصالحة التى يدسبها انتفعه عند الله وتجيئه من عذابه ثم خيب فى العاقبة أمله وبلغ خلاف ما قدر بسراب يراه الكافر بالساهرة

يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شئ عليم فى بيوت اذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلوة وإيتاء الزكوة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب أو كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض

وقد عليه عطش يوم القيامة فيحسبه ماء فيأتيه فلا يجده ما رجاه ويجد زبانية الله عنده فيأخذونه فيعتلونه الى جهنم فيسقونه الحميم والغساق وهم الذين قال الله فيهم عاملة ناصبة وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وقد مثال ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وقيل نزلت في عتبة بن ربيعة بن أمية قد كان تعبد وابس المسوح والتمس الدين في الجاهلية ثم كفر في الاسلام * اللجي العميق الكثير الماء منسوب الى اللج وهو معظم ماء البحر * وفي (أخرج) ضمير الواقع فيه (لم يكد يراها) مبالغة في لم يرها أي لم يقرب أن يراها فضلا عن أن يراها ومثله قول ذي الرمة

اذا غير النأي المحبين لم يكد * رسيس الهوى من حب مية يبرح

أي لم يقرب من البراح فضلا له يبرح شبه أعمالهم أولا في فوات نفعها وحضور ضررها بسراب لم يجد من خدعه من بعيد شيئا ولم يكفه شيئا وكذا أن لم يجد شيأ كغيره من السراب حتى وجد عنده الزبانية تعتله الى النار ولا يقتل ظمأ بالماء وشبهها ثانيا في ظلمتها وسوادها بكونها باطلة وفي حلوها عن نور الحق بظلمات مترا كمة من لج البحر والامواج والسحاب * ثم قال ومن لم يرله نور توفيقه وعصمته ولطفه فهو في ظلمة الباطل لا نور له وهذا الكلام مجرى الكنايات لان الالطاف انما ترد في الايمان والعمل أو كونهما مترتبين ألا ترى الى قوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقوله ويضل الله الظالمين وقرئ سحاب ظلمات على الاضافة وسحاب ظلمات برفع سحاب وتنوينه وجر ظلمات بدلا من ظلمات الاولى (صافات) صفين أو جمعتهن في الهواء * والضمير في (علم) لكل أو لله وكذلك في (صلاته وتسبيحه) والصلاة الدعاء ولا بعد أن يلهم الله الطير دعاءه وتسبيحه كما ألهمها سائر العلوم الدقيقة التي لا يكاد العقلاء يهتدون اليها (يزجي) يسوق ومنه البضاعة المزجاة التي يزجيها كل أحد لا يرضاها * والسحاب يكون واحدا كالماء وجمعا كالرباب وسمي تأليف الواحد أنه يكون قزعا فيضم بعضه الى بعض ويجاز بثه وهو واحد لان المعنى ذو أجزائه كما قيل في قوله * بين الدخول فحومل * والركام المتراكم بعضه فوق بعض * والودق المطر (من خلاله) من فتوقه ومخارجه جمع خلل كجبال في جبل وقرئ من خلاله (وينزل) بالتشديد * ويكاد سنا على الادغام * وبرقه جمع برقة وهي المقدار من البرق كالقربة واللقمة وبرقه بضمتين للاتباع كما قيل في جمع فعلة كظلمات وسناء برقه على المذاهب في صور عين الضعو والمدود يعني العلو والارتفاع من قولك سنى المرتفع * و (يذهب بالابصار) على زيادة الباء كقوله ولا تلقوا بايديكم عن أبي جعفر المدني وهذا من تعديد الدلائل على ربوبيته وظهور أمره حيث ذكر تسبيح من في السموات والارض وكل ما يطير بين السماء والارض ودعاءهم وأبتهالهم اليه وأنه منزل السحاب التسخير الذي وصفه وما يحدث فيه من أفعاله حتى ينزل المطر منه وأنه يقسم رحمته بين خلقه ويخصها بمن يشاء على ما تقتضيه حكمته ويريهم البرق في السحاب الذي كاد يخطف أبصارهم ليعتبروا ويحذروا ويراقب بين الليل والنهار وتعاقب بينهما بالطول والقصر وما هذه الاءايات في غاية الوضوح على وجوده وثبانه ودلائل مادية على صفاته لمن نظر وفكر وتبصر وتدبر (فان قلت) متى رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسبيح من في السموات ودعاءهم وتسبيح الطير ودعاءه وتنزيل المطر من جبال برد في السماء حتى قيل له ألم تر (قلت) علمه من جهة اخبار الله اياه بذلك على طريق الوحي (فان قلت) ما الفرق بين من الاولى والثانية والثالثة في قوله من السماء من جبال من برد (قلت) الاولى لابتداء الغاية والثانية للتبعيض والثالثة للبيان أو الاوليان للابتداء والآخرة للتبعيض ومعناه أنه ينزل البرد من السماء من جبال فيها وعلى الاول مفعول ينزل من جبال (فان قلت) ما معنى من جبال فيها من برد (قلت) فيه معنيان أحدهما أن يخلق الله في السماء جبال برد كما خلق في الارض جبال حجر والثاني أن يريد الكثرة يذكر الجبال كما يقال فلان يملك جبالا من ذهب * وقرئ خالق كل دابة ولما كان اسم الدابة موقعا على المميز وغير المميز غلب المميز فأعطى ما وراءه حكمه كأن الدواب كلهم مميزون من ثمة قيل فمنهم وقيل من يمشي في المائي على بطن والمشي

اذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والارض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون ولله ملك السموات والأرض والى الله المصير ألم تر أن الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالابصار يقلب الله الليل والنهار ان في ذلك لعبرة لأولى الابصار والله خلق كل دابة

* قوله تعالى والله خلق كل دابة من ماء (قال فيه ان قلت لم نكر الماء ههنا وعرفه في قوله وجعلنا من الماء كل شيء حي قلت الغرض فيما نحن فيه انه تعالى خلق كل دابة من نوع من الماء مخصوص وهو النطفة ثم خالف بين المخلوقات بحسب اختلاف نطفها فيها كذا ومنها كذا ونحوه قوله يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل واما آية

على أربع قوائم * (فان قلت) لم نكر الماء في قوله (من ماء) (قلت) لان المعنى أنه خلق كل دابة من نوع من الماء مختص بتلك الدابة أو خلقها من ماء مخصوص وهو النطفة ثم خالف بين المخلوقات من النطفة فيها هو امام ومنها بهائم ومنها ناس ونحوه قوله تعالى يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل (فان قلت) فما بالله معرفا في قوله وجعلنا من الماء كل شيء حي (قلت) قصد فيه معنى آخر وهو أن أجناس الحيوان كلها مخلوقة من هذا الجنس الذي هو جنس الماء وذلك أنه هو الاصل وان تثالث بينه وبينها وسائط فالوا خلق الملائكة من ريح خلقها من الماء والجن من نار خلقها منه وآدم من تراب خلقه منه * (فان قلت) لم جاءت الاجناس الثلاثة على هذا الترتيب (قلت) قدم ما هو أعرق في القدرة وهو الماشي بغير آلة ثني من أرجل أو قوائم ثم الماشي على رجلين ثم الماشي على أربع (فان قلت) لم سمي الزحف على البطن مشيا (قلت) على سبيل الاستعارة كما قالوا في الامر المستمر قد مشى هذا الامر ويقال فلان لا يقشي له أمر ونحوه استعارة الشفة فكان الجفاة والسفر مكان الشفة ونحو ذلك أو على طريق المشاكلة لذكر الزاحف مع الماشين (وما أولئك بالمؤمنين) اشارة الى القائلين آمنا رأطعنا أولى الفريق المتولي فنعاه على الاول اعلاما من الله بأن جميعهم منتف عنهم الايمان لا الفريق المتولي وحده وبنى الثاني اعلاما بأن الفريق المتولي لم يكن مايسق لهم من الايمان ايمانا كان ادعاء باللسان من غير مواطأة القلب لانه لو كان صادرا عن حجة معتقد وطمأنينة نفس لم يتعقبه التولي والاعراض والتعريف في قوله بالمؤمنين دلالة على أنهم ليسوا بالمؤمنين الذين عرفت وهم الثابتون المستقيمون على الايمان الموصوفون في قوله تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا * معنى (الى الله ورسوله) الى رسول الله كقولك أعجبني زيد وكرمه تريد كرم زيد ومنه قوله * علفته تبن الغطا وفرطه * أراد قبل فرط الغطا وروى أنها نزلت في بشر المنافق وخصمه اليهودي حين احتصما في أرض فجعل اليهودي يجره الى رسول الله والمنافق يجره الى كعب بن الاشرف ويقول ان محمدا يحيف علينا وروى أن الغيرة من والى كان بينه وبين علي بن أبي طالب رضي الله عنه خصومة في ماء وأرض فقال الغيرة أما محمد فلست آتيه ولا أحاكم اليه فانه يقضي وأنا أخاف أن يحيف علي (اليه) صلة يأتوا الان أتى وجاء قد يتعديان بالى أو ينصف جذعين لانه في معنى مسرعين في الطاعة وهذا أحسن لتقدم صلته ودلالته على الاختصاص والمعنى أنهم لعرفتهم أنه ليس محك الا الحق المر والعدل البحت يزورون عن المحاكمة اليك اذا كرههم الحق لئلا تنتزعه من أحداقهم قصدا لتعليمهم خصومهم وان ثبت لهم حق على خصم أسرعوا اليك ولم يرضوا الا بحكمك لتأخذه لهم ماذا في هم في ذمة الخصم * ثم قسم الاعراض صدودهم عن حكومته اذا كان الحق عليهم بين أن يكونوا مرضى القلوب منافقين أو مرتابين في أمر نبوته أو خائفين الحيف في قضائه ثم أبطل خوفهم حيفه بقوله (بل أولئك هم الظالمون) أي لا يخافون أن يحيف عليهم لعرفتهم بحاله وانما هم ظالمون يريدون أن يظلموا من له الحق عليهم ويتم لهم جحوده وذلك شيء لا يستطيعونه في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن ثمة يأتون الحاكمة اليه * ومن الحسن قول المؤمنين بالرفع والنصب أقوى لان أولى الامرين بكونه اسما الكلام أو غلبه ما في التعريف وأن يقولوا أو غل لانه لا سبيل عليه للتنكير بخلاف قول المؤمنين وكان هذا من قبيل كان في قوله ما كان لله أن يتخذ من ولد ما يكون لنا أن نتكلم بهذا وقرئ ليحكم على البناء للمفعول (فان قلت) الام أسند ليحكم ولا بد له من فاعل (قلت) هو مسند الى مصدره لان معناه ليفعل الحكم بينهم ومثله جمع بينهما وألف بينهما ومثله لقد تقطع بينكم فمن قرأ بينكم منصوبا أي وقع التقطع بينكم وهذه القراءة محكية لقوله دعوا * قرى وينقه بكسر القاف والهاء مع الوصل وغير وصل وبسكون الهاء وبسكون القاف وكسر الهاء شبه نقه بكتف تخفيف كقوله * قالت سليمى اشتر لنا سويقا * ولقد جمع الله في هذه الآية أسباب الفوز

من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء ان الله على كل شيء قدير لقد أنزلنا آيات مبينات والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله

فالغرض فيها أن أجناس الحيوانات كلها مخلوقة من هذا الجنس) قال أحمد وتحرير الفرق ان المقصد في الاولى اظهار الآية بأن شيأ واحدا

١٣ كشاف ني) تكونت منه بالقدرة أشياء مختلفة ذكر تفصيلها في آية النور والمقصد في آية الفرقان أنه خلق الاشياء المتفقة في جنس الحيوان من جنس الماء المختلف الانواع فذكر ممر في الشمل أنواعه المختلفة فالآية في الاول لاخراج المختلف من المتفق والله أعلم

*وعن ابن عباس في تفسيرها (ومن يطع الله) في فرائضه (ورسوله) في سننه (ويخش الله) على ما مضى من ذنوبه (ويتقه) فيما يستقبل وعن يعض الملوك أنه سأل عن آية كافية فتليت له هذه الآية * جهد يمينه مستعار من جهد نفسه اذا بلغ أقصى وسعها وذلك اذا بالغ في اليمين وبلغ غاية شدتها وكادتها وعن ابن عباس رضي الله عنه من قال بالله فقد جهد يمينه وأصل أقسم جهد اليمين أقسم جهد اليمين فحذف الفعل وقدم المصدر فوضع موضعه مضافا الى المفعول كقوله فضرب الرقاب وحكم هذا المنصوب حكم الحال كأنه قال جاهدين أيمانهم و(طاعة معروفة) خبر مبتدا محذوف أو مبتدا محذوف الخبر أي أمركم والذي يطلب منكم طاعة معروفة معلومة لا شك فيها ولا ريب كطاعة الخلص من المؤمنين الذين طابق باطن أمرهم ظاهره لا أيمان تقسمون بها أفواهكم وقلوبكم على خلافها أو طاعتكم طاعة معروفة بأنها بالقول دون الفعل أو طاعة معروفة أمثل وأولى بكم من هذه الايمان الكاذبة وقرأ اليزيدي طاعة معروفة بالنصب على معنى أطيعوا طاعة (ان الله خبير) يعلم ما في ضمائركم ولا يخفى عليه شئ من سرائركم وانه فاضحكم لا محالة ومجازيكم على نفاقكم * صرف الكلام عن الغيبة الى الخطاب على طريقة الالتفات وهو أبلغ في تبكيتهم * يريد فان تتولوا فاضرر تم وانما ضررتم أنفسكم فان الرسول ليس عليه الا ما حمله الله وكلفه من أداء الرسالة فاذا أدى فقد خرج من عهدة تكليفه وأما أنتم فعليكم ما كلفتم من التلقي بالقبول والاذعان فان لم تفعلوا وتوليتم فقد عرضتم نفوسكم لسخط الله وعذابه وان أطعتموه فقد أحرزتم نصيبكم من الخروج عن الضلالة الى الهدى فالنفع والضرر عائدان اليكم وما الرسول الا ناصح وهاد وما عليه الا أن يبلغ ماله نفع في قبولكم ولا عليه ضرر في توليكم * والبلاغ بمعنى التبليغ كالاداء بمعنى التأدية * ومعنى المبين كونه مقرونا بالآيات والمعجزات * الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن معه ومنكم للبيان كالتي في آخر سورة الفتح وعدهم الله أن ينصر الاسلام على الكفر ويورثهم الارض ويجعلهم فيها خلفاء كما فعل بني اسرائيل حين أورثهم مصر والشام بعد اهلاك الجبابرة وأن يمكن الدين المرتضى وهو دين الاسلام وتمكينه تثبيته وتوطيده وأن يؤمن سربهم ويزيل عنهم الخوف الذي كانوا عليه وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ولما هاجروا كانوا بالمدينة يصبحون في السلاح ويمسون فيه حتى قال رجل ما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فقال صلى الله عليه وسلم لا تغبرون الا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملأ العظيم محتبيا ليس معه حديدة فتخبر الله وعده وأظهرهم على جزيرة العرب وافتتحوا بعد ذلك المشرق والمغرب وهزموا قوارم تلك الاكاسرة وملكوا خزائنهم واستولوا على الدنيا ثم خرج الذين على خلاف سيرتهم فكفروا بتلك الانعم وغيروا ذلك قوله صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم يملك الله من يشاء فقصر ملكا تم تصير برى قطيع سفيل وسفك دماء وأخذ أموال بغير حقها * وقرئ ليستخلفنهم على البناء للمفعول وليبدلنهم بالتشديد (فان قلت) أين القسم المتلقى باللام والنون في (ليستخلفنهم) (قلت) هو محذوف تقديره وعدهم الله وأقسم ليستخلفنهم أو نزل وعد الله في تحققه منزلة القسم فتلقي بما يتلقى به القسم كأنه قيل أقسم الله ليستخلفنهم (فان قلت) ما محل (يعبدونني) (قلت) ان جملته استئنافا فلم يكن له محل كان قائلا قال ما لهم يستخلفون ويؤمنون فقال يعبدونني وان جملته حالا عن وعدهم أي وعدهم الله ذلك في حال عبادتهم واخلاصهم فعلى النصب (ومن كفر) يريد كفران النعمة كقوله فكفرت بانعم الله (فاولئك هم الفاسقون) اي هم الكاملون في فسقهم حيث كفروا تلك النعمة العظيمة وجسروا على سخطها (فان قلت) هل في هذه الآية دليل على أمر الخلفاء الراشدين (قلت) أوضح دليل وأبينه لان المستخلفين الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم هم (وأقيموا الصلاة) معطوف على أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وليس بعيد أن يقع بين المعطوف والمعطوف عليه فاصل وان طال لان حق المعطوف أن يكون غير المعطوف عليه وكررت طاعة الرسول تأكيدا لوجوبها وقرئ لا يحسبن بالياء وفيه أوجه أن يكون مجبرين في الارض هما المفعولان والمعنى لا يحسبن الذين كفروا أحدا يعجز الله في الارض حتى يطمعوا هم في مثل ذلك وهذا معنى قوي

علمهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن قل لا تقسموا طاعة معروفة ان الله خبير بما تعملون قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وان تطيعوه تهتدوا وما على الرسول الا البلاغ المبين وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون وأقيموا الصلاة وآتوا الزكوة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض

جيد وأن يكون فيه ضمير الرسول لتقدم ذكره في قوله وأطيعوا الرسول وان يكون الاصل لا يحسبنهم الذين كفروا معجزين ثم حذف الضمير الذي هو المفعول الاول وكان الذي سوغ ذلك أن الفاعل والمفعولين لما كانت لشيء واحد اقتنع بذكرا ثنين عن ذكر الثالث وعطف قوله (ومأواهم النار) على لا يحسبن الذين كفروا معجزين كأنه قيل الذين كفروا لا يفوتون الله ومأواهم النار والمراد بهم المقسمون جهد أيمانهم * أمر بأن يستأذن العبيد وقبل العبيد والاماء والاطفال الذين لم يحتلموا من الاحرار (ثلاث مرات) في اليوم والليلة قبل صلاة الفجر لانه وقت القيام من المضاجع وطرح ما ينام فيه من الثياب وليس ثياب اليقظة و بالظهيرة لانها وقت وضع الثياب للقائلة وبعد صلاة العشاء لانه وقت التجرد من ثياب اليقظة والالتحاف بثياب النوم وهي كل واحدة من هذه الاحوال عورة لان الناس يختل تستترهم وتحفظهم فيها والعورة الخلل ومنه أعور الفارس وأعور المكان والاعور المختل العين * ثم عذرهم في ترك الاستئذان وراء هذه المرات وبين وجه العذر في قوله (طوافون عليكم) يعني أن بكم وبهم حاجة الى المخالطة والمداخلة يطوفون عليكم للخدمة وتطوفون عليهم للاستخدام فلو جزم الامر بالاستئذان في كل وقت لأدى الى الحرج وروي أن مدلج بن عمرو وكان غلاما أتى أباه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت الظهيرة الى عمر ليدعوه فدخل عليه وهو نائم وقد انكشف منه شيء فقال عمر لوددت أن الله عز وجل نهى آباءنا وأبناءنا وخدمنا أن لا يدخلوا علينا هذه الساعات الا باذن ثم انطلق معه الى النبي صلى الله عليه وسلم فوجده وقد أنزلت عليه هذه الآية وهي احدى الآيات المنزلة بسبب عمر رضي الله تعالى عنه وقيل نزلت في أسماء بنت أبي مرثد قالت انا لندخل على الرجل والمرأة ولعلها ما يكونان في لحاف واحد وقيل دخل على غلام لها كبير في وقت كرهت دخوله فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان خدمنا وغلماننا ليدخلون علينا في حال نكرهها * وعن أبي عمرو والحسن بالسكون وقرئ ثلاث عورات بالنصب بدلا عن ثلاث مرات اي أوقات ثلاث عورات وعن الاعمش عورات على انه تفسير * (فان قلت) ما محل ليس عليكم (قلت) اذا رفعت ثلاث عورات كان ذلك في محل الرفع على الوصف والمعنى هن ثلاث عورات مخصوصة بالاستئذان واذا نصبت لم يكن له محل وكان كلاما مقررا للامر بالاستئذان في تلك الاحوال خاصة (فان قلت) ثم ارتفع (بعضكم) (قلت) بالابتداء وخبره (على بعض) على صفتي طائفتين على بعض وحذف لان طوافون يدل عليه ويجوز أن يرتفع بمطوف مضمر الدلالة (الاطفال منكم) اي من الاحرار دون المماليك (الذين من قبلهم) يريد الذين بلغوا الحلم من قبلهم وهم الرجال أو الذين ذكرناهم في قوله يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا الآية والمعنى أن الاطفال مأذون لهم في الدخول بغير اذن الا في العورات الثلاث فاذا اعتاد الاطفال ذلك ثم خرجوا عن حد الطفولة بان يحتلموا أو يبلغوا السن التي يحكم فيها عليهم بالبلوغ وجب أن يغلظوا عن تلك العادة ويحملوا على أن يستأذنوا في جميع الاوقات كالرجال الكبار الذين لم يعتادوا الدخول عليكم الا باذن وهذا مما تساهل الناس فيه وغفلة وهو عندهم كالشريعة المنسوخة وعن ابن عباس آية لا يؤمن بها أكثر الناس آية الاذن واني لآمر جاريتي أن تستأذن علي وسأله عطاء أأستأذن على أختي قال نعم وان كانت في حجري عوني وتلا هذه الآية وعنه ثلاث آيات جحدهن الناس الاذن كله وقوله ان أكرمكم عند الله أتقاكم فقال ناس أعظمكم بيتا وقوله واذا حضر القسمة وعن ابن مسعود عليكم أن تستأذنوا على آبائكم وأمهاتكم وأخواتكم وعن الشعبي ليست منسوخة فقيل له ان الناس لا يعملون بها فقال الله المستعان وعن سعيد بن جبير يقولون هي منسوخة ولا والله ما هي منسوخة ولكن الناس تهاونوا بها (فان قلت) ما السن التي يحكم فيها بالبلوغ (قلت) قال أبو حنيفة ثماني عشرة سنة في الغلام وسبع عشرة في الجارية وعامة العلماء على خمس عشرة فيهما وعن علي رضي الله عنه أنه كان يعتبر القامة و يقدره بخمسة أشبار و به أخذ الفرزدق في قوله

ما زال مذ عقدت يداه ازاره * فسما فأدرك خمسة الاشبار

واعتبر غيره الانبات وعن عثمان رضي الله عنه أنه سأل عن غلام فقال هل احتضر ازاره * اذا قاعد التي قعدت عن الحيض والولد لكبرها (لا يرجون نكاحا) لا يطمعن فيه * والمراد بالثياب الظاهرة كالملحفة

وأواهم النار وبئس المصير يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن

به أبواه ولا تقولوا يا محمد ولكن يا نبي الله ويا رسول الله مع التوقير والتعظيم والصوت المخفوض والتواضع ويحتمل لا تجعلوا دعاء الرسول ربه مثل ما يدعو صغيركم كبيركم وفقيركم غنيكم يسأله حاجة فربما أجابه وربما رده فان دعوات رسول الله صلى الله عليه وسلم مسموعة مستجابة (يتسللون) ينسلون قليلا قليلا وناظر تسللي تدرج وتدخل * واللواذ الملاوذة وهو أن يلوذ هذا بذاك وذاك بهذا يعني ينسلون عن الجماعة في الخفية على سبيل الملاوذة واستتار بعضهم ببعض و (لواذا) حال أي ملاوذين وقيل كان بعضهم يلوذ بالرجل اذا استأذن فيأذن له فينطلق الذي لم يؤذن له معه وقرئ لواذا بالفتح * يقال خالفه الى الامر اذا ذهب اليه دونه ومنه قوله تعالى وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه وخالفه عن الامر اذا صد عنه دونه ومعنى (الذين يخالفون عن أمره) الذين يصدون عن أمره دون المؤمنين وهم المنافقون فحذف المفعول لان الغرض ذكر المخالف والمخالف عنه * الضمير في أمر الله سبحانه أو للرسول صلى الله عليه وسلم والمعنى عن طاعته ودينه (فتنة) محنة في الدنيا أو يصيبهم عذاب أليم) في الآخرة وعن ابن عباس رضي الله عنهما فتنة قتل وعن عطاء زلازل وأهوال وعن جعفر بن محمد يسلط عليهم سلطان جائر * أدخل قد ليؤكد علمه بما هم عليه من المخالفة عن الدين والنفاق ومن مع تؤكيد العلم الى تؤكيد الوعيد وذلك أن قد اذا دخلت على المضارع كانت بمعنى ربما فوافقت ربما في خروجها الى معنى التكثير في نحو قوله

فان تمس مهجور الثناء فربما * أقام به بعد الوفود وفود

ونحو قول زهير

أحيانا ثقة لاتهامك الحمر ماله * ولكنه قد يهلك المال نائله

والمعنى أن جميع ما في السموات والارض مختصة به خلقا وملكا وعالما تكيف يخفى عليه أحوال المنافقين وان كانوا يجتهدون في سترها عن العيون واخفائها * وسينبئهم يوم القيامة بما أبطنوا من سوء أعمالهم وسيجازيهم حق جزائهم والخطاب والغيبة في قوله (قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون اليه) يجوز أن يكونا جميعا للمنافقين على طريق الالتفات ويجوز أن يكون ما أنتم عليه عاما ويرجعون للمنافقين والله أعلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النور أعطى من الاجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقي

﴿سورة الفرقان مكية وهي سبع وسبعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* البركة كثرة الخير وزيادته ومنها تبارك الله وفيه معنيان تزايد خيره وتكاثر أو تزايد عن كل شيء وتعالى عنه في صفاته وأفعاله * والفرقان مصدر فرق بين الشيئين اذا فصل بينهما وسمي به القرآن لفصله بين الحق والباطل أو لانه لم ينزل جملة واحدة ونجوما مفرقا مفصولا بين بعضه وبعض في الانزال ألا ترى الى قوله وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا وقد جاء الفرق بمعناه قال

* ومشركي كفروا بالفرق * وعن ابن الزبير رضي الله عنه على عباده وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمته كما قال لقد أنزل اليكم قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا * والضمير في (ليكون) لعبده أو للفرقان ويعضد رجوعه الى الفرقان قراءة ابن الزبير (للعالمين) للجن والانس (نذيرا) منذرا أي مخوفا أو انذارا كالنكير بمعنى الانكار ومنه قوله تعالى فكيف كان عذابي ونذر (الذي له) رفع على الابدال من الذي نزل أو رفع على المدح أو نصب عليه (فان قلت) كيف جاز الفصل بين البدل والمبدل منه (قلت) ما فصل بينهما شيء لان المبدل منه صلته نزل وليكون تعليل له فكان البدل منه لم يتم الا به * (فان قلت) في الخلق معنى التقدير فما معنى قوله (وخلق كل شيء فقدره تقديرا) كأنه قال وقدر كل شيء فقدره (قلت) المعنى أنه أحدث كل شيء احداثا مراعى فيه التقدير والتسوية فقدره وهيأ لما يصلح له مثاله أنه خلق الانسان على هذا الشكل المقدر المسوى الذي يراه تقديره للتكاليف والمصالح المنوطة في بابي الدين والدنيا وكذلك كل حيوان وجماد جاء به على الحيلة المسوية المقدرة بأمثلة الحكمة والتدبير فقدره لا مرما وصلحة مطابقا لما قدر له غير متفاوت

عنه

الذين يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ألا ان لله ما في السموات والارض قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون اليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شيء عليم

(سورة الفرقان مكية وهي سبع وسبعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا الذي له ملك السموات والارض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرا

القول في سورة الفرقان

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى تبارك الذي نزل الفرقان على عبده (قال يجوز أن يراد بوصفه بالفرقان تفريقه بين الحق والباطل ويجوز أن يراد نزوله مفرقا شيئا فشيئا كما قال وقرآنا فرقناه) قال أحمد والاظهر ههنا هو المعنى الثاني لان في أثناء السورة بعد آيات وقالوا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة قال الله تعالى كذلك أي أنزلناه مفرقا كذلك لنثبت به فؤادك فيكون وصفه بالفرقان في أول السورة والله أعلم كالتقدمة والتوطئة لما يأتي بعد

عنه أو سمى احداث الله خلقا لانه لا يحدث شيأ لحكمته الا على وجه التقدير من غير تفاوت فاذا قيل خلق الله كذا فهو بمنزلة قولك أحدث وأوجد من غير نظر الى وجه الاشتقاق فكأنه قيل وأوجد كل شئ فقدره في ايجاده لم يوجده متفاوتا وقيل فجعل له غاية ومنتهى ومعناه فقدره للبقاء الى أمد معلوم * الخلق بمعنى الاختلاق كما في قوله تعالى انما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون افكا والمعنى أنهم آثروا على عبادة الله سبحانه عبادة آلهة لا يجزأ بين من يعجزهم لا يقدرون على شئ من أفعال الله ولا من أفعال العباد حيث لا يقتعلون شيأ وهم يفتعلون لان عبدتهم يصنعونهم بالنحت والتصوير (ولا يملكون) أى لا يستطيعون لانفسهم دفع ضر عنها وجلب نفع اليها وهم يستطيعون واذا عجزوا عن الافتعال ودفع الضرر وجلب النفع التي يقدر عليها العباد كانوا عن الموت والحياة والنشور التي لا يقدر عليها الا الله أعجز (قوم آخرون) قيل هم اليهود وقيل عداس مولى حويطب بن عبد العزى ويسار مولى العلاء بن الحضرمي وأبو فكيهة الرومي قال ذلك النضر بن الحرث بن عبد الدار * جاء وأتى يستعملان في معنى فعل فيعديان تعديته ويكونان على معنى ورد واظلما كما تقول جئت المكان ويجوز أن يحذف الجار ويوصل الفعل * وظلمهم أن جعلوا العربي يتلقن من العجمي لرومي كلاما عربيا أعجز بفصاحته جميع فصحاء العرب * والزور أن يجعلوه بنسبة ما هو بريء منه اليه (أساطير الاولين) ما سطره المتقدمون من نحو أحاديث رستم واسفنديار جمع أسطار أو أسطورة كاحدوثة (اكتتبها) كتبها لنفسه وأخذها كما تقول استكتب الماء واصطبه اذا استكبه وصبه لنفسه وأخذه وقرئ اكتتبها على البناء للمفعول والمعنى اكتتبها كاتب له لانه كان أميا لا يكتب بيده وذلك من علام الاخبار ثم حذفت اللام فأفضى الفعل الى الضمير فصار اكتتبها اياه كاتب كقوله واختار موسى قومه ثم بنى الفعل للضمير الذي هو اياه فانقلب مرفوعا مستترا بعد ان كان بارزا منصوبا وبقي ضمير الاساطير على حاله فصار اكتتبها كاتري (فان قلت) كيف قيل اكتتبها (تملى عليه) وانما يقال أملى عليه فهو يكتبها (قلت) فيه وجهان أحدهما أراد اكتتبها أو طلب منه تملى عليه أو كتبت له وهو أملى تملى عليه أى تلقى عليه من كتابه يحفظها لان صورة الالقاء على الحافظ كصورة الاملاء على الكاتب وعن الحسن انه قول الله سبحانه يكذبهم وانما يستقيم أن لو فتحت الهمزة فللاستفهام الذي في معنى الانكار ووجهه ان يكون نحو قوله

أفرح أن أرزأ الكرام وأن * أورث ذودا شصائصا نبلا

وحق الحسن أن يقف على الاولين (بكرة واصيلا) أى دائما أو في الخفية قبل أن ينتشر الناس وحين يأوون الى مساكنهم * أى يعلم كل سر خفي في السموات والارض ومن جملته ما تسرونه أنتم من الكيد لرسوله صلى الله عليه وسلم مع علمكم أن ما تقولونه باطل وزور وكذلك باطن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وبراءته مما تنبهتونه به وهو يجازيكم ويجازيه على ما علم منكم وعلم منه (فان قلت) كيف طابق قوله (انه كان غفورا رحيما) هذا المعنى (قلت) لما كان ما تقدمه في معنى الوعيد عقبه بما يدل على المغفرة عليه لانه لا يوصف بالمغفرة والرحمة الا القادر على العقوبة أو هو تنبيه على أنهم استوجبوا بكفرهم هذه أن ينصب عليهم العذاب صبا ولكن صرف ذلك عنهم أنه غفور رحيم يمهل ولا يعاجل * وقعت اللام في المصحف منفصولة عن هذا خارجة عن أوضاع الخط العربي وخط المصحف سنة لا تغير وفي هذا الستر نكتة غير لمثله وتسميته بالرسول سخريتهم وطنزكانهم قالوا ما لهذا الزاعم أنه رسول ونحوه قول فرعون ان رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون أى ان صح أنه رسول الله فما باله مثل حالنا (يأكل الطعام) كما نأكل ويتردد في الاسواق لطلب المعاش كما نتردد يعنون أنه كان يجب أن يكون ملكا مستغنيا عن الاكل والتعيش * ثم نزلوا عن اقتراحهم أن يكون ملكا الى اقتراح أن يكون انسانا معه ملك حتى يساعده في الانذار والتخويف * ثم نزلوا أيضا فقالوا وان لم يكن مرفودا بملك فليكن مرفودا بكنز يلقى اليه من السماء يستظهر به ولا يحتاج الى تحصيل المعاش * ثم نزلوا فاقتنعوا بأن يكون رجلا له بستان يأكل منه ويرتزق كالدهاقين والمياسير أو يأكلون هم من ذلك البستان فينتفعون به في دنياهم ومعاشهم * وأرادوا بالظالمين اياهم بأعيانهم وضع

وأخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيأ وهم يخلقون ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حيوة ولا نشورا وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاؤا ظلما وزورا وقالوا أساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والارض انه كان غفورا رحيما وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى اليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون ان تتبعون

*قوله تعالى اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا (قال فيه هو من قولهم دورني فلان تترأى على المجاز) قال أحمد

الظاهر موضع المضمر ليستحيل عليهم بالتلم فيما قالوا وقرئ فيكون بالرفع أو يكون له جنة بالياء وتأكل بالنون (فان قلت) ما وجها الرفع والنصب في فيكون (قلت) النصب لانه جواب لو لا يعني هلا وحكمه حكم الاستفهام والرفع على انه معطوف على أنزل ومحله الرفع الا ترى تقول لو لا ينزل بالرفع وقد عطف عليه يلقى ويكون مرفوعين ولا يجوز النصب فيهما لانهما في حكم الواقع بعد لو لا ولا يكون الا مرفوعا والنائلون هم كفار قريش النضر بن الحرث وعبد الله بن أبي أمية ونوفل بن خويلد ومن ضامهم (مسحورا) سحر فغلب على عقله أو ذا سحر وهو الرئة يعنون أنه بشر لا ملك (ضربوا لك الامثال) أي قالوا فيك تلك الاقوال واختروا لك تلك الصفات والاحوال النادرة من نبوة مشتركة بين انسان وملك والقاء كنز عليك من السماء وغير ذلك فبقوا متحيرين ضلالا لا يجدون قولا يستقرون عليه أو فضلوا عن الحق فلا يجدون طريقا اليه * تبارك خير (الذي ان شاء) وهب لك في الدنيا (خيرا) مما قالوا وهو أن يجعل لك مثل ما وعدك في الآخرة من الجنات والقصور * وقرئ ويجعل بالرفع عطفا على جعل لان الشرط اذا وقع ماضيا جاز في جزائه الجزم والرفع كقوله

وان أتاه خليل يوم مسئلة * يقول لا غائب مالي ولا حرم

ويجوز في ويجعل لك اذا أدغمت أن تكون اللام في تقدير الجزم والرفع جميعا وقرئ بالنصب على انه جواب الشرط بالواو (بل كذبوا) عطف على ما حكي عنهم يقول بل أتوا بأعجب من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة ويجوز أن يتصل بما يليه كأنه قال بل كذبوا بالساعة فكيف يلتفتون الى هذا الجواب وكيف يعتدون بتحميل مثل ما وعدك في الآخرة وهم لا يؤمنون بالآخرة * السعير النار الشديدة الاستعار ومن الحسن رضي الله عنه انه اسم من أسماء جهنم (رأتهم) من قولهم دورهم تترأى وتتناظر ومن قوله صلى الله عليه وسلم لا ترائى ناراهما كأن بعضها يرى بعضا على سبيل المجاز والمعنى اذا كانت منهم بمرأى الناظر في البعد سمعوا صوت غليانها وسمعه ذلك بصوت المتغيظ والزافر ويجوز أن يراد اذا رأتهم زبانيتها تغيظوا وزفروا غضبا على الكفار وشهوة للانتقام منهم * الكرب مع الضيق كأن الروح مع السعة ولذلك وصف الله الجنة بأن عرضها السموات والارض وجاء في الاحاديث ان لكل مؤمن من القصور والجنان كذا وكذا وقد جمع الله على أهل النار أنواع التضييق والارهاق حيث ألقاهم في مكان ضيق بتراصون فيه تراصا كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيره أنه يضيق عليهم كما يضيق الزج في الرمح وهم مع ذلك الضيق مسلسلون مقرنون في السلاسل قرنت أيديهم الى أعناقهم في الجوامع وقيل يقرنون مع كل كافر شيطانه في سلسلة وفي أرجلهم الاصفاد والثبور الهلاك ودعاؤه ان يقال واثبوراه أي تعال يا ثبور فهذا حينك وزمانك (لا تدعوا) أي يقال لهم ذلك أو هم أحقاء بأن يقال لهم وان لم يكن ثمة قول * ومعنى (وادعوا ثبورا كثيرا) انكم وقعتم فيما ليس ثبوركم فيه واحدا فما هو ثبور كثير اما لان العذاب أنواع وألوان كل نوع منها ثبور لشدته وفظاعته أو لانهم كلما نضجت جلودهم بدلوا غيرها فلا غاية لهلاكهم * الراجع الى الموصولين محذوف يعني وعدها المتقون وما يشاؤنه وافيا قيل كانت لان ما وعده الله وحده فهو في تحققه كانه قد كان أو كان مكتوبا في اللوح قيل ان يراهم بأزمنة متطاولة لان الجنة جزاؤهم ومصيرهم (فان قلت) ما معنى قوله (كانت لهم جزاء ومصيرا) (قلت) هو كقوله نعم الثواب وحسنت مرتفقا فمدح الثواب ومكانه كما قال يتنافسون الشراب وساءت مرتفقا فذم العقاب ومكانه لان النعيم لا يتم للمتنعم الا بطيب المكان وسعته وموافقته للمراد والشهوة وأن لا تنغص وكذلك العقاب يتضاعف بضائقة الموضع وعفنه وظلمته وجمعه لاسباب الاحتواء والكراهة فلذلك ذكر المصير مع ذكر الجزاء * والضمير في (كان) لما يشاؤن * والوعد الموعود أي كان ذلك موعودا واجبا على ربك انجازه حقيقا أن يسئل وتطلب لانه جزاء وأجر مستحق وقيل وعدا سألته الناس والملائكة في دعواتهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ربنا وأدخلهم جنات

لا حاجة الى حمله على المجاز فان رؤية جهنم جائز وقدرة الله تعالى صالحة وقد تظافرت الظواهر على وقوع هذا الجائز وعلى ان الله تعالى يخلق لها ادراكا حيا وعقلا

الا ترى الى قوله سمعوا لها تغيظا والى محاجتها مع الجنة والى قولها هل من مزيد والى اشتكائها الى ربها فأذن لها في تنفيس الى غير ذلك من الظواهر التي لا سبيل الى تأويلها اذ لا محوج اليه ولو فتح باب التأويل والمجاز في أحوال المعاد لتطرق الذي يسلك ذلك الى وادي الضلالة والضير الى فرق الفلاسفة فالحق انا متعبدون بالظاهر ما لم يمنع مانع والله أعلم

*قوله تعالى ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله الى قوله قوما بورا (قال) في هذه الآية كسر بين لمن يزعم ان الله تعالى يضل عباده حقيقة حيث يقول للمعبودين من دونه أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا بأنفسهم فيتبرؤن منهم ويستعيذون مما نسب اليهم ويقولون بل تفضلت على هؤلاء وأوجبت ان يجعلوا عوض الشكر كفرا فاذا برأت الملائكة والرسل أنفسهم من ذلك فهم لله أشد تبرئة وتنزيها منه ولقد نزهوه حيث أضافوا التفضل بالنعمة الى الله تعالى وأسندوا الضلال الذي نشأ عنه الى الضالين فهو شرح للاسناد المجازي في قوله يضل من يشاء ولو كان مضلا حقيقة لكان الجواب العتيد أن يقولوا بل أنت أضللتهم (قال أحمد) قد تقدم شرح عقيدة أهل الحق في هذا المعنى وان الباعث لهم على اعتقاد كون الضلال من خلق الله تعالى التزامهم التوحيد المحض والايمان الصرف الذي دل على صحته بعد الادلة العقلية قوله تعالى الله خالق كل شيء والضلال شيء فوجب كونه خالقه هذا من حيث العموم واما من حيث الخصوص فامثال قوله تعالى تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء والاصل الحقيقة (١٠٥) وقول موسى عليه السلام ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء فلو كان الاضلال مستحيلا على الله تعالى لما جاز أن يخاطبه الكليم بما لا يجوز فاذا أوضح ذلك فالملائكة لم يسئلوا في هذه الآية عن المضل لعبادهم حقيقة فيقال لهم من

عبدن الى وكلتهم * يحشرهم فيقول كلاهما بالنون والياء وقرئ يحشرهم بكسر الشين (وما يعبدون) يريد المعبودين من الملائكة والمسيح وعزير وعن الكلبي الاصنام ينطقها الله ويجوز أن يكون عاما لهم جميعا (فان قلت) كيف صح استعمال ما في العقلاء (قلت) هو موضوع على العموم للعقلاء وغيرهم بدليل قولك اذا رأيت شبحا من بعيد ما هو فاذا قيل لك انسان قلت حينئذ من هو ويدلك قولهم من لما يعقل أو أريد به الوصف كأنه قيل ومعبوديهم ألا تراك تقول اذا أردت السؤال عن صفة زيد ما زيد تعني أطويل أم قصير أفقيه أم طبيب * (فان قلت) ما فائدة أنتم وهم وهلا قيل أضللتم عبادي هؤلاء أم ضلوا السبيل (قلت) ليس السؤال عن الفعل ووجوده لانه لولا وجوده لما توجه هذا العتاب وانما هو عن متوليه فلا بد من ذكره وايلائه حرف الاستفهام حتى يعلم أنه المسؤل عنه (فان قلت) فالله سبحانه قد سبق علمه بالمسؤل عنه فما فائدة هذا السؤال (قلت) فائدته أن يجيبوا بما أجابوا به حتى يبكت عبدتهم بتكذيبهم اياهم فيبهتوا ويخذلوا وتزيد حسرتهم ويكون ذلك نوعا مما يلحقهم من غضب الله وعذابه ويغتبط المؤمنون ويفرحوا بحالهم ونجاتهم من فضيحة أولئك وليكون حكاية ذلك في القرآن لطفا للمكلفين وفيه كسر بين لقول من يزعم أن الله يضل عباده على الحقيقة حيث يقول للمعبودين من دونه أأنتم أضللتموهم أم هم ضلوا بأنفسهم فيتبرؤن من اضلالهم ويستعيذون به أن يكونوا مضلين ويقولون بل أنت تفضلت من غير سابقة على هؤلاء وآبائهم تفضل جواد كريم فجعلوا النعمة التي حقها أن تكون سبب الشكر سبب الكفر ونسيان الذكر وكان ذلك سبب هلاكهم فاذا برأت الملائكة والرسل أنفسهم من نسبة الاضلال الذي هو عمل الشياطين اليهم واستعاذوا منه فهم لربهم الغني العدل أشد تبرئة وتنزيها منه ولقد نزهوه حين أضافوا اليه التفضل بالنعمة والتمتيع بها وأسندوا نسيان الذكر والتسبب به للبوار الى الكفرة فشرحوا الاضلال المجازي الذي أسنده الله الى ذاته في قوله يضل من يشاء ولو كان هو المضل على الحقيقة لكان الجواب العتيد أن يقولوا بل أنت أضللتهم والمعنى أأنتم أوقعتموهم في الضلال عن طريق الحق أم هم ضلوا عنه بأنفسهم * وضل مطاوع أضله وكان القياس ضل عن السبيل الا انهم تركوا الجار كما تركوه في هداه الطريق والاصل الى الطريق وللطريق وقولهم أضل البعير في معنى جعله ضالا أي ضائعا لما كان أكثر ذلك بتفريط من

ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل

أضل هؤلاء وانما قيل لهم أأنتم أضللتموهم أم هم ضلوا فليس الجواب المطابق العتيد أن يقولون أنت أضللتهم ولو كان معتقدهم ان الله تعالى هو المضل حقيقة لكان قولهم في جواب هذا السؤال بل أنت أضللتهم مجاوزة لحد السؤال ومحله وانما كان هذا الجواب مطابقا لو قيل لهم من أضل عبادي هؤلاء فقد وضح ان هذا السؤال لا يجاب عنه بما تخيله الزمخشري بتقدير أن يكون معتقدهم أن الله تعالى هو الذي أضلهم وان عدولهم عنه ليس لانهم لا يعتقدونه ولكن لانه لا يطابق ويبقى وراء ذلك نظر في أن جوابهم هذا يدل على معتقدهم الموافق لاهل الحق لان أهل الحق يعتقدون أن الله تعالى وان خلق لهم الضلالة الا أن لهم اختيارا فيها وتمييزا لها ولم يكونوا عليها مقسورين كما هم مقسورون على أفعال كثيرة يخلقها الله فيهم كالحركات الرعشية ونحوها وقد قدمنا في مواضع أن كل فعل اختياري له نسبتان ان نظر الى كونه مخلوقا فهو منسوب الى الله تعالى وان نظر الى كونه اختياريا للعبد فهو منسوب الى العبد وبذلك نطقت الملائكة في قولهم بل متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر فنسبوا نسيان الذكر اليهم أي الانهماك في الشهوات الذي نشأ عنه النسيان لانهم اختاروه لانفسهم فصدقت نسبته اليهم ونسبوا السبب الذي اقتضى نسيانهم وانهماكهم في الشهوات الى الله تعالى وهو ادراجهم ببسط النعم عليهم فبها ضلوا فلا تنافي بين معتقد أهل الحق وبين مضمون قول الملائكة حينئذ بل هما متواطئان على أمر واحد والله أعلم

صاحبه وقلة احتياط في حفظه قيل أضله سواء كان منه فعل أو لم يكن (سبحانك) تعجب منهم قد تعجبوا مما قيل لهم لانهم ملائكة وأنبياء معصومون فأبعدهم عن الاضلال الذي هو مختص بابليس وحزبه أو نطقوا بسبحانك ليدلوا على أنهم المسبحون المتقدسون الموسومون بذلك فكيف يليق بحالهم أن يضلوا عباده أو قصدوا به تنزيهه عن الانداد وأن يكون له نبي أو ولي أو غيرهما ثم قالوا ما كان ينبغي لنا ولا يستقيم ونحن معصومون أن نتولى أحدا دونك فكيف يصح لنا أن نحمل غيرنا على أن يتولونا دونك أو ما كان ينبغي لنا أن نكون أمثال الشياطين في تولهم الكفار كما تولاهم الكفار قال الله تعالى فقالوا أولياء الشيطان يريد الكفرة وقال والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت وقرأ أبو جعفر المدني نتخذ على البناء للمفعول وهذا الفعل أعني اتخذ يتعدى الى مفعول واحد كقولك اتخذ وليا والى مفعولين كقولك اتخذ فلانا وليا قال الله تعالى أم اتخذوا آلهة من الارض وقال واتخذ الله ابراهيم خليلا فالقراءة الاولى من المتعدي الى واحد وهو من أولياء والاصل أن نتخذ أولياء فزيدت من لتأكيد معنى النفي والثانية من المتعدي الى مفعولين فالاول ما بني له الفعل والثاني من أولياء ومن للتبعيض أي لا نتخذ بعض أولياء وتتكبر أولياء من حيث انهم أولياء مخصوصون وهم الجن والاصنام * والذكر كر الله والايمان به أو القرآن والشرائع * والبور الهلكى يوصف به الواحد والجمع ويجوز أن يكون جمع بائر كما تدعو عذ * هذه المفاجأة بالاحتجاج والالزام حسنة رائعة وخاصة اذا انضم اليها الالتفات وحذف القول ونحوها قوله تعالى يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير وقول القائل

قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا * ثم القفول فقد جئنا خراسانا

*وقرئ يقولون بالتاء واليا فمن قرأ بالتاء فقد كذبوكم بقولكم انهم آلهة ومعنى من قرأ بالياء فقد كذبوكم بقولهم سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء (فان قلت) هل يختلف حكم الباء مع التاء واليا (قلت) اي والله هي مع التاء كقوله بل كذبوا بالحق والجار والمجرور يبدل من الضمير كأنه قيل فقد كذبوكم بما تقولون وهي مع الياء كقولك كتبت بالقلم وقرئ يستطيعون بالتاء واليا وأيضا معنى فما تستطيعون أنتم يا كفار صرف العذاب عنكم وقيل الصرف التوبة وقيل الحيلة من قولهم انه ليتصرف أي يحتال أو فما يستطيع آلهتكم أن يصرفوا عنكم العذاب أو أن يحتالوا لكم * الخطاب على العموم للمكلفين * والعذاب الكبير لا حق بكل من ظلم والكافر ظالم لقوله ان الشرك لظلم عظيم والفاسق ظالم لقوله ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون * وقرئ يذقه بالياء وفيه ضمير مصدر يظلم * الجملة بعد الاضافة لموصوف محذوف والمعنى وما أرسلنا قبلك أحدا من المرسلين الا آكلين وماشين والحاء حذف اكتفاء بالجار والمجرور أعني من المرسلين ونحوه قوله عز من قائل وما منا الا له مقام معلوم على معنى وما منا أحد * وقرئ ويمشون على البناء للمفعول أي يمشيهم حوائجهم أو الناس ولو قرئ يمشون لكان أوجه لولا الرواية وقيل هو احتجاج على من قال مالهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق (فتنة) أي محنة وابتلاء وهذا تصبير لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما قالوه واستبدعوه من أكله الطعام ومشيه في الاسواق بعد ما احتج عليهم بسائر الرسل بقول وجرت عادتي وموجب حكمتي على ابتلاء بعضكم أيها الناس بعض والمعنى انا ابتلينا المرسلين بالمرسل اليهم وبما صبروا فيهم العداوة وأفانين ايلامهم الخارجة عن حد الانصاف وأنواع أذاهم وطلب منهم الصبر الجميل ونحوه والتسمح من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور وهو وعد (أتصبرون) بعد ذكر الفتنة موضع أيكم بعد لابتلاء في قوله ليبلوكم أيكم أحسن عملا (بصيرا) عالما بالصواب فيما تبتلى به وغيره فلا يضيعن صبرك ولا يستخفنك أقاويلهم فان في صبرك عليها سعادتك وفوزك في الدارين وقيل هو تسلية له عما عيروه به من الفقر حين قالوا أو يلقى اليه كنز أو تكون له جنة وانه جعل الاغنياء فتنة للفقراء لينظروا هل يصبرون وانها بحكمته ومشيئته دفي من يشاء ويفقر من يشاء وقيل جعلناك فتنة لهم لانك لو كنت غنيا صاحب كنوز وجنان لكان ميلهم اليك وطاعتهم لك للدنيا وممزوجة بالدنيا فاذا بعثناك فقيرا لا يكون طاعة من يطيعك خالصة لوجه الله من غير طمع دنيوي وقيل كان أبو جهل والوليد بن المغيرة

قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا فقد كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون صرفا ولا نصرا ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا

والعاصي بن وائل ومن في طبقتهم يقولون ان أسلمنا وقد أسلم قبلنا هما وصهيب وبلال وفلان وفلان ترفعوا علينا الا لان السابقة فهو افتئات بعضهم * أي لا يأملون لقاءنا بالخير لانهم كفرة أولا يخافون لقاءنا بالشر والرجاء في اغة تهامة الخوف وبه فسر قوله تعالى لا ترجون لله وقارا جعلت الصيرورة الى دار جزائه بمنزلة لقائه لو كان ملقيا * اقترحوا من الآيات أن ينزل الله عليهم الملائكة فتخبرهم أن محمدا صادق حتى يصدقوه أو يروا الله جهرة فيأمرهم بتصديقه واتباعه ولا يخيروا أن يكونوا عالمين بأن الله لا يرسل الملائكة الى غير الانبياء وأن الله لا يصح أن يرى وانما علقوا ايمانهم بما لا يكون واما أن لا يكونوا عالمين بذلك وانما أرادوا التعنت باقتراح آيات سوى الآيات التي نزلت وقامت بها الحجة عليهم كما فعل قوم موسى حين قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة (فان قلت) ما معنى (في أنفسهم) (قلت) معناه أنهم أضمروا الاستكبار عن الحق وهو الكفر والعناد في قلوبهم واعتقدوه كما قال ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه (وعتوا) وتجاوزوا الحد في الظلم يقال عتا يعتو عتا وعلا * وقد وصف العتو بالكبير فبالغ في افراطه يعني أنهم لم يجسروا على هذا القول العظيم الا لانهم بلغوا غاية الاستكبار وأقصى العتو واللام جواب قسم محذوف وهذه الجملة في حسن استئنافها غاية وفي أسلوبها قول القائل

وجارة جساس أبا بلبائها * كليبا غلت ناب كليب بوائها

وفي نحو هذا الفعل دليل على التعجب من غير لفظ التعجب ألا ترى أن المعنى ما أشد استكبارهم وما أكبر عتوهم وما أغلى نابا بوائها كليب (يوم يرون) منصوب بأحد شيئين اما بما دل عليه لا بشرى أي يوم يرون الملائكة يمنعون البشرى أو يعدمونها او يوم ذلك المنكر بن واما باضمار اذكر أي اذكر يوم يرون الملائكة ثم قال (لا بشرى يومئذ للمجرمين) وقوله للمجرمين أمنا ظهر في موضع ضمير وانما لانه عام فقد تناولهم بعمومه (حجرا محجورا) ذكره سيبويه في باب المصادر غير المتصرفة المنصوبة بافعال متروك اظهارها نحو معاذ الله وقعدك الله وعمرك الله وهذه كلمة كانوا يتكلمون بها عند لقاء عدو موتور أو هجوم نازلة أو نحو ذلك يضعونها موضع الاستعاذة قال سيبويه ويقول الرجل للرجل أتفعل كذا وكذا فيقول حجرا وهي من حجره اذا منعه لان المستعيذ طالب من الله أن يمنع المكروه ولا يلحقه فكان المعنى أسأل الله أن يمنع ذلك منعا ويحجره حجرا وتجيئه على فعل أو فعل في قراءة الحسن تصرف فيه لاختصاصه بموضع واحد كما كان قعدك وعمرك كذلك وأنشد لبعض الرجاز

قالت وفيها حيدة وذعر * عوذ بربي منكم وحجر

(فان قلت) فاذا قدرت أنه من باب المصادر فما معنى وصفه بمحجور (قلت) جاءت هذه الصفة لتأكيد معنى الحجر كما قالوا ذيل ذائل والذيل الهوان وموت مائت والمعنى في الآية أنهم يطلبون نزول الملائكة ويقترحونه وهم اذا رأوهم عند الموت أو يوم القيامة كرهوا لقاءهم وتفزعوا منهم لانهم لا يبشرونهم الا بما يكرهون وقالوا عند رؤيتهم ما كانوا يقولونه عند لقاء العدو الموتور وشدة انتزاله وقيل هو من قول الملائكة ومعناه حراما محرما عليكم الغفران والجنة والبشرى أي جعل الله ذلك حراما عليكم * ليس هنا قدوم ولا ما يشبهه القدوم ولكن مثلت حال هؤلاء وأعمالهم التي عملوها في كثرتها وانتفاء حسنها وغائلة ملهوف وقرى ضيف ومن لي أسير وغير ذلك من مكارمهم وتحاسنهم بحال قوم خالفوا سلطانهم واستصفوا عليه فقدم الى أشيائهم وقصد الى ما تحت أيديهم فأفسدها ومزقها كل ممزق ولم يترك لها أثرا ولا عينا * والهباء ما يخرج من الكوة مع ضوء الشمس شبيه بالغبار وفي أمثالهم أقل من الهباء (منثورا) صفة للهباء شبه بالهباء في قلته وحقارته عنده وأنه لا ينتفع به ثم بالمنثور منه لانك تراه منتظما مع الضوء فاذا احرنكسه الى حيز أيسه قد تناثر وذهب كل مذهب ونحوه قوله كعصف ما كول لم يكف أن شبههم بالعصف حتى جعله مؤوفا بالاكال ولا ان شبه عملهم بالهباء حتى جعله منثورا أو مفعول ثالث لجعلناه أي فجعلناه جامعا لخفارة الهباء والتناثر كقوله كونوا قردة خاسئين أي جامعين للمسخ والخس * ولام الهباء واو بدليل الهبوة * المستقر المكان الذي يكونون فيه في أكثر أوقاتهم مستقرين يتحادثون * والمقيل المكان الذي يأوون

في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا ويوم يعض

اليه للاستراحة الى أزواجهم والتمتع بغازلاتهن وملاعبتهن كما أن المترفين في الدنيا يميلون على ذلك الترتيب وروى أنه يفرغ من الحساب في نصف ذلك اليوم فيقيل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار وفي معناه قوله تعالى ان أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون هم وأزواجهم في ظلال على الارائك متكئون قيل في تفسير الشغل افتضاض الابكار ولا نوم في الجنة وانما سمي مكان دعتهم واستراحتهم الى الحور مقيلا على طريق التشبيه وفي لفظ الاحسن رمز الى ما يتزين به مقيلهم من حسن الوجوه وملاحة الصور الى غير ذلك من التحاسين والزين * وقرئ (تشقق) والاصل تتشقق فحذف بعضهم التاء وغيره أدغمها وما كان انشقاق السماء بسبب طلوع الغمام منها حمل الغمام كانه الذي تشقق به السماء كما تقول شق السنام بالشفرة وانشق بها ونظيره قوله تعالى السماء منفطر به (فان قلت) أي فرق بين قولك انشقت الارض بالنبات وانشقت عن النبات (قلت) معنى انشقت به أن الله شقها بطلوعه فانشقت به ومعنى انشقت عنه أن اتربة ارتفعت عنه عند طلوعه والمعنى أن السماء تتفتح بغمام يخرج منها وفي الغمام الملائكة ينزلون وفي أيديهم صحائف أعمال العباد وروى تشقق سماء سماء وتنزل الملائكة الى الارض وقيل هو غمام أبيض رقيق مثل الضباب ولم يكن الا لبني اسرائيل في تيههم وفي معناه قوله تعالى هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة * وقرئ ونزل الملائكة ونزل الملائكة ونزل الملائكة ونزلت الملائكة وأنزل الملائكة ونزل الملائكة على حذف النون الذي هو فاء الفعل من نزل قراءة أهل مكة * الحق الثابت لان كل ملك يزول يوم ينشق ويبطل ولا يبقى الا الملك * عض اليدين والانامل والسقوط في اليد وأكل البنان وحرق الاسنان والارم وقرعها كنايات عن الغيظ والحسرة لانها من روادفها فيذكر الرادفة ويدل بها على المردوف فيرتفع الكلام به في طبقة الفصاحة ويجد السامع عنده في نفسه من الروعة والاستحسان ما لا يجده عند لفظ الكناية عنه وقيل نزلت في عقبة بن أبي معيط بن أمية بن عبد شمس وكان يكثر مجالسة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل اتخذ ضيافة فدعا اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبى أن يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان أبي بن خلف صديقه فعاتبه وقال صبأت يا عقبة قال لا ولكن أتى أن لا يأكل من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه فشهدت له والشهادة ليست في نفسي فقال وجهي من وجهك حرام ان لقيت محمدا فلم تطأ قفاه وتبزق في وجهه وتلطم عينه فوجده ساجدا في دار الندوة ففعل ذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا ألقاك خارجا من مكة الا علوت رأسك بالسيف فقتل يوم بدر أمر علي رضي الله عنه بقتله وقيل قتله عاصم بن ثابت بن أقلح الانصاري وقال باخبدا لي من الصبية قال الى النار وطعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيا أحد فرجع الى مكة فمات * واللام في (للظالم) يجوز أن تكون للعهد يراد به عقبة خاصة ويجوز أن تكون للجنس فيتناول عقبة وغيره * يعني أن أولئك الرسول وسلك معه طريقا واحدا وهو طريق الحق ولم يتشعب به طرق الضلالة والهوى أو أراد اني كنت مثالهم يكن لي سبيل قط فليتني سلكت لنفسي في صحبة الرسول سبيلا * وقرئ يا ويلتا بالياء وهو الاصل لان الرجل ينادي ويلته وهي هلكته يقول يا ويلتي تعالى فهذا أوانك وانما قلبت الياء ألفا كما في حباري ومداري * فلان كناية عن الاعلام كأن اللون كناية عن الاجناس فان أريد بالظالم عقبة فالمعنى ليتني لم أتخذ أبيا خليلا فكني عن اسمه وان أريد به الجنس فكل من اتخذ من المضلين خليلا كان داخلا اسم علم لاتحاده فجعله كناية عنه (عن الذكر) عن ذكر الله أو القرآن أو موعظة الرسول ويجوز أن يريد نظمه بشهادة الحق وعزمه على الاسلام * والشيطان اشارة الى خليله سماه شيطانا لانه أضله كما يضل الشيطان ثم خذله ولم ينفعه في العاقبة أو أراد ابليس وأنه هو الذي حمله على مخالة المضل ومخالفة الرسول ثم خذله أو أراد الجنس وكل من تشيطن من الجن والانس ويحتمل أن يكون وكان الشيطان حكاية كلام الظالم وأن يكون كلام الله * اتخذت بمعنا على الادغام والاظهار والادغام أكثر * الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وقومه قريش حكى الله عنه شكواه قومه اليه وفي هذه الحكاية تعظيم للشكاية وتخويف لقومه لان الانبياء كانوا اذا اتحق اليه وشكوا اليه قومهم حل بهم العذاب ولم ينظروا * ثم أقبل عليه مسليا وموسيا واعدا النصرة عليهم فقال (وكذلك)

الظالم على يديه يقول
ياليتني اتخذت مع
الرسول سبيلا ياويلتى
ليتني لم أتخذ فلانا خليلا
لقد أضلني عن الذكر
بعد اذ جاءني وكان
الشيطان للانسان
خذولا وقال الرسول
يارب ان قومي اتخذوا
هذا القرآن مهجورا
وكذلك جعلنا لكل
نبي عدوا من المجرمين
وكفى بربك هاديا ونصيرا
وقال الذين كفروا لولا

كان كل نبي قبلك مبتلى بعداوة قومه وكفالك بي هاديا الى طريق قهرهم وانتصارهم وناصرا لك عليهم * مهجورا تركوه وصدوا عنه وعن الايمان به وعن النبي صلى الله عليه وسلم من تعلم القرآن وعلمه وعلق مصحفا لم يتعاهده ولم ينظر فيه حتى مات ويوم القيامة متعلقا به يقول يارب العالمين عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض بيني وبينه وقيل هو من هجر اذا هذى أي جعلوه مهجورا فيه فحذف الجار وهو على وجهين أحدهما زعموا أنه هذيان وباطل وأساطير الاولين والثاني أنهم كانوا اذا سمعوه هجروا فيه كقوله تعالى لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه ويجوز أن يكون المهجور بمعنى الهجر كالجلود والمعقول والمعنى اتخذوه هجرا * والعدو يجوز أن يكون واحدا وجمعا كقوله فانهم عدو لي وقيل المعنى وقال الرسول يوم القيامة (نزل) ههنا بمعنى أنزل لا غير تكبر بمعنى أخبر والا كان مناقضا وهذا أيضا من اعتراضاتهم واقتراحاتهم الدالة على تمردهم عن الحق وتجافيهم عن اتباعه قالوا هلا أنزل عليه دفعة واحدة في وقت واحد كما أنزلت الكتب الثلاثة ومالها أنزل على التفاريق والمتأولون قريش وقيل اليهود وهذا فضول من القول وسماع في الاباطيل تحته لان أمر الاعجاز والاحتجاج به لا يختلف بنزوله جملة واحدة أو مفرقا وقوله (كذلك) جواب لهم أي كذلك أنزل مفرقا * والحكمة فيه أن نقوي بتفريقه فؤادك حتى تعيه وتحفظه لان المتلقن انما يقوى قلبه على حفظ العلم شيأ بعد شيء وجزأ عقيب جزء وتؤاتي عليه جملة واحدة ليعمل به وتعيا بحفظه والرسول صلى الله عليه وسلم عارفت حاله حال موسى وداود وعيسى عليهم السلام حيث كان أميا لا يقرأ ولا يكتب وهم كانوا قارئين كاتبين فلم يكن له بد من التلقن والتحفظ فأنزل عليه منجما في عشرين سنة وقيل في ثلاث وعشرين وأيضا فكان ينزل على حسب الحوادث وجوابات السائلين ولان بعضه منسوخ وبعضه ناسخ ولا تأتي ذلك الا فيما أنزل مفرقا (فان قلت) ذلك في كذلك يجب أن يكون اشارة الى شيء تقدمه والذي تقدم هو انزاله جملة واحدة فكيف فسرته بكذلك أنزلناه مفرقا (قلت) لان قولهم لولا أنزل عليه جملة معناه لم أنزل مفرقا والدليل على صحة هذا الاعتراض أنهم عجزوا عن أن يأتوا بنصهم وأحدهم بوجوهه وتحدوا بسورة واحدة من أصغر السور فأنزلوا صفحة تجزهم وصلوا به على أنفسهم حين لاذوا بالمناسبة وقرعوا الى الخاتمة ثم قالوا هلا نزل جملة واحدة كانهم قدروا على تمام ما تحداهم به حتى يقدروا على جملته (ورتلناه) معطوف على الفعل الذي تعلق به كذلك كانه قال كذلك فرقناه ورتلناه ومعنى ترتيله أن قدرناه آية بعد آية ورقعة عقيب رقعة ويجوز أن يكون المعنى وأمرنا بترتيل قراءته وذلك قوله ورتل القرآن ترتيلا أي اقرأه على تؤدة وتثبت ومنه حديث عائشة رضي الله عنها في صفة قراءته صلى الله عليه وسلم لا كسردكم هذا أراد السامع أن يعد حروفه يعدها وأصله الترتيل في الاسنان وهو تفليجها بقال ثغر رتل ومرتل وبشبهه نور الاقحوان في تفلجه وقيل هو أن نزله مع كونه مفرقا على تمكث وتمهل في مدة متباعدة وهي عشرون سنة ولم يفرقه في مدة متقاربة (ولا يأتونك) سؤال عجيب من سؤالاتهم الباطلة كانه مثل في البطلان الا أتيناك نحن بالجواب الحق الذي لا تجد عنه وعاها وأحسن معنى ومؤدى من سؤالهم * ولما كان التفسير هو التكشيف عما دل عليه الكلام وضع موضع معناه فقالوا تفسير هذا الكلام كيت وكيت كما قيل معناه كذا وكذا أولا يأتونك بحال وصفة عجيبة يقولون هلا كانت هذه صفتك وحالك نحو أن يقترن بك ملك ينذر معك أو يلقى اليك كنز أو تكون لك جنة أو ينزل عليك القرآن جملة الا أعطيناك نحن من الاحوال ما يحق لك في حكمتنا ومشيئتنا أن نعطاه وما هو أحسن تكشيفا لما بعثت عليه ودلالة على حجته يعني أن تنزيله مفرقا وتحديهم بأن يأتوا ببعض تلك التفاريق كلما نزل شيء منها أدخل في الاعجاز وأنور للحجة من أن ينزل كله جملة ويقال لهم حيث اعتل هذا الكتاب في فصاحته مع بسطة بيان طريقه كانه قيل لهم ان حاصلكم على هذه السؤالات أنكم تضللون سبيله وتحقرون مكانه ومنزلته * ولو نظرتم بعين الانصاف وأنتم من المحسوبين على وجوههم الى جهنم لعلمتم أن مكانكم شر من مكان وسبيلكم أضل من سبيله وفي طريقته قوله قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه الآية ويجوز أن يراد بالمكان الشرف والمنزلة وان يراد الدار والمسكن كقوله أي الفريقين

نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم أولئك شر مكانا وأضل سبيلا ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هرون وزيرا فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم

خير مقاما وأحسن ندبا ووصف السبيل بالضلال من الاسناد المجازى وعن النبى صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أثلاث ثلث على الدواب وثلث على وجوههم وثلث على أقدامهم يمشون نسلا * الوزارة لا تنافى النبوة فقد كان يبعث فى الزمن الواحد أنبياء ويؤمرون بأن يوازر بعضهم بعضا * والمعنى فذهبا اليهم فكذبوهما فدمرناهم كقوله اضرب بعصاك البحر فانفلق أى فضرب فانفلق أراد اختصار القصة فذكر حاشيتيها أولها وآخرها لانهما المقصود من القصة بطولها أعنى الزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم وعن على رضى الله عنه فدمرناهم وعنه فدمراهم وقرئ فدمرانهم على التأكيد بالنون الثقيلة * كأنهم كذبوا نوحا ومن قبله من الرسل صريحا أو كأن تكذيبهم لواحد منهم تكذيب للجميع أولم يرد بعثة الرسل أصلا كالبراهمة (وجعلناهم) وجعلنا اغراقهم أو قصتهم (للظالمين) اما أن يعنى بهم قوم نوح وأصله وأعتدنا لهم الا أنه قصد تظلمهم فأظهر واما أن يتناولهم بعمومه * عطف عاد على هم فى جعلناهم أو على الظالمين لان المعنى وعدنا الظالمين * وقرئ وثمود على تأويل القبيلة وأما المنصرف فعلى تأويل الحى أو لانه اسم الاب الاكبر * قيل فى أصحاب الرس كانوا قوما من عبدة الاصنام أصحاب آبار ومواش فبعث الله اليهم شعيبا فدعاهم الى الاسلام فقاد وا فى طغيانهم وفى ايذائه فبينما هم حول الرس وهو البئر غير المطوية عن أبى عبيدة انهارت بهم فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة قتلوا نبيهم فهلكوا وهم بقية ثمود وقوم صالح وقيل هم أصحاب النبى حنظلة بن صفوان كانوا ممتلين بالعتاء وهى أعظم ما يكون من الطير سميت لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذى يقال له فتخ وهى تنقض على صبيانهم فتخطفهم ان أعوزها الصيد فدعا عليها بالحنظلة فأصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوا حنظلة فأهلكوا وقيل هم أصحاب الاخدود والرس هو الاخدود وقيل الرس بأنطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار وقيل كذبوا نبيهم ورسوه فى بئر أى دسوه فيها (بين ذلك) أى بين ذلك المذكور وقد ذكر الاكثر أشياء مختلفة ثم يشير اليها بذلك ويحسب الحاسب أعدادا مختلفة ثم يقول فذلك كيت وكيت على معنى فذلك المحسوب أو المعدود (ضربنا له الامثال) يتلوه القصص العجيبة من قصص الاولين ووصفتاهم بما أجروا اليه من تكذيب الانبياء وجرى عليهم من عذاب الاستئصال * والتبر التفتيت والتكسير ومنه التبر وهو كسار الذهب والفضة والزجاج * وكلا الاول منصوب بما دل عليه ضربنا له الامثال وهو أنذرنا أو حذرنا والثانى بتبرنا لانه فارغ له * أراد بالقرية سدوم من قرى قوم لوط وكانت خمسا أهلك الله تعالى أربعا بأهلها وبقيت واحدة * ومطر السوء الحجارة يعنى أمطر عليهم أمطارا كثيرة فى متاجرهم الى الشام على تلك القرية التى أهلكت بالحجارة من السماء (أفلم يكونوا) فى مرارهم ومرورهم ينظرون الى آثار عذاب الله ونكاله وينكرون (بل كانوا) قوما كفرة بالبعث لا يتوقعون (نشورا) وعابثة فوضع الرجاء موضع التوقع لانه انما يتوقع العاقبة من يؤمن فمن ثم لم ينظروا ولم يدبروا وأما كافرو النعم فلا يأملون نشورا كما لا يأمله المؤمنون لطمعهم فى الوصول الى ثواب أعمالهم أولا يخافون على اللغة الشامية * ان الاولى نافية والثانية مخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة بينهما * واتخذه هزوا فى معنى استهزأ به والاصل اتخذه موضع هزؤ أو مهزوا به (أهذا) محكى بعد القول المضمر وهذا استصغار (وإن كاد ليضلنا) واخراجه فى معرض التسليم والاقرار وهم على غاية الجحود والانكار مخرجة واستهزاء ولو لم يستهزؤا لقالوا أهذا الذى زعم أرادنى انه مبعوث من عند الله رسولا وقولهم (ان كاد ليضلنا) دليل على فرط تجاهده رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دعوتهم وبذله قصارى الوسع والطاقة فى استعطافهم مع عرض الآيات والمعجزات عليهم حتى شارفوا بزعمهم أن يتركوا دينهم الى دين الاسلام لولا فرط لجاجهم واستمساكهم بعبادة آلهتهم و(لولا) فى مثل هذا الكلام جار من حيث المعنى لا من حيث الصنعة مجرى التقييد للحكم المطلق (وسوف يعلمون) وعيد ودلالة على أنهم لا يفوتونه وان طالت مدة الامهال ولا يدل لوعيد أن يلحقهم فلا يغرنهم التأخير وقوله (من أضل سبيلا) كالجواب عن قولهم ان كاد ليضلنا لانه نسبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى الضلال من حيث لا أضل غيره الا من هو ضال فى نفسه ويروى أنه من قول أبى جهل لعنه الله * من كان فى طاعة

وجعلناهم للناس آية وأعتدنا للظالمين عذابا أليما وعادا وثمود وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا وكلا ضربنا له الامثال وكلا تبرنا تتبيرا ولقد أتوا على القرية التى أمطرت مطر السوء أفلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشورا واذا رأوك ان يتخذونك الا هزوا أهذا الذى بعث الله رسولا ان كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا

الهوى فى دينه يتبعه فى كل ما يأتى ويذر لا يتبصر دليلا ولا يصغى الى برهان فهو عابد هواه وجاعله الهه فيقول لرسوله هذا الذى لا يرى معبودا الا هواه كيف تستطيع أن تدعوه الى الهدى أفتتوكل عليه وتجبره على الاسلام وتقول لا بد أن تسلم شئت أو أبيت ولا اكراه فى الدين وهذا كقوله وما أنت عليهم بجبار لست عليهم بمصيطر وروى أن الرجل منهم كان يعبد الحجر فاذا رأى أحسن منه رمى به وأخذ آخر ومنهم الحرث بن قيس السهمى * أم هذه منقطعة معناه بل أتحسب كان هذه الهمزة أشد من التى تقدمتها حتى حققت بالاضراب عنها الهواهى كونهم مسلوبى الاسماع العقول لانهم لا يصغون الى استماع الحق اذا ولا الى تدبر عقلا ومشبهين بالانعام التى هى مثل فى الغفلة والضلال ثم أرجح ضلالة منها (فان قلت) لم أخر هواه والاصل ذلك اتخذ الهوى الهه (قلت) ما هو الا تقديم المفعول الثانى على الاول للعناية كما تقول علمت منطلقا زيدا الفضل عنايتك بالمنطلق (فان قلت) ما معنى ذكر الاكثر (قلت) كان فيهم من لم يصده عن الاسلام الا داء واحد وهو حب الرياسة وكفى به داعيا الا (فان قلت) كيف جعلوا أضل من الانعام (قلت) لان الانعام تنقاد لاربابها التى تعلفها وتتعهدها وتعرف من يحسن اليها ممن يسىء اليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وتهتدى لمراعيها ومشاربها وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه اليهم من اساءة الشيطان الذى هو عدوهم ولا يطلبون الثواب الذى هو أعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذى هو أشد المضار والمهالك ولا يهتدون للحق الذى هو المشرع الهنى والمنهب الروى (ألم تر الى ربك) ألم تنظر الى صنع ربك وقدرته * ومعنى مد الظل أن جعله ممتدا وبسط تمتنعه الناس (ولو شاء لجعله ساكنا) أى لاصقا بأصل كل مظل من جبل وبناء وشجر غير منبسط فلا ينتفع به أحد سمى انبساط الظل وامتداده لتحركه وعدم ذلك سكونا * ومعنى كون الشمس دليلا أن الناس يستدلون بالشمس وبأحوالها على سمتها على أحوال الظل من كونه ثابتا فى مكان زائلا وهو متقلصا فيئون حاجتهم الى الظل واستغناءهم عنه على حسب ذلك * وقبضه اليه أن يشعه بضوء الشمس (يسيرا) أى على مهل وفى هذا القبض اليسير شيأ بعد شئ من المنافع ما لا يعد ولا يحصر ولو قبض دفعة واحدة لتعطلت أكثر مرافق الناس بالظل والشمس جميعا (فان قلت) ما فى هذين الوصفين كيف وقوعهما (قلت) موقعهما البيان تفاضل الامور الثلاثة كان الثانى أعظم من الاول والثالث أعظم منهما شبه التباعد ما بينهما فى الفضل بتباعد ما بين الحوادث فى الوقت بوجه آخر وهو أنه مد الظل حين بنى السماء كالقبة المضروبة وتعود الارض تحتها أفنق الفسكة ظلها على الارض فتناهى أديم جوب لعدم النير ولو شاء لجعله ساكنا مستقرا على تلك الحالة ثم خلق الشمس وجعلها على ذلك الظل أى سلطها عليه ودلها عليه دلالا مستبوعا له كما يبسع الدليل فى الطريق فهو يزيدها رويدا رويدا ويقبضه اليه ويتلبس به شيأ فشيأ قبضه فصالحا يسيرا غير عسير وتحمل أن يريد قبضه عند قيام الساعة بقبض أسبابه وهى الاجرام التى تلقى الظل فيكون قد ذكر اعدامه باعدام أسبابه كما ذكر انشاءه بانشاء أسبابه وقوله قبضناه الينا يدل عليه وكذلك قوله يسيرا كما قال ذلك حشر علينا يسير * شبه ما يسترسل من ظلام الليل بالباس الساتر * والسبات الموت والسبوت الميت لانه مقطوع الحياة وهذا كقوله وهو الذى يتوفاكم بالليل (فان قلت) هلا فسرته بالراحة (قلت) التشور فى مقابلته بأياه أباه العيوف الوردوهو مرتفق وهذه الآية مع دلالتها على عبرة الخلق فيها الطهارة لفيضه على خلقه لان الاحتجاب تستر الليل كم فيه لكثير من الناس من مواقيد بية وذريعة والنوم واليقظة وشبههما بالموت والحياة أى عبرة فيها لمن اعتبر وعن ابن عباس أنه قال لابنه بنى كانت النوم فتوفنا كذلك تموت فتنشر * قرئ الرياح والرياح نشرا جمع نشور وهى الجيفة ونشرا تخفيف نشر وبشرا تخفيف بشر جمع بشور وبشرى و(بين يدى رحمته) استعارة ملجئة أى قدام المطر (طهورا) لبغاية طهارته وعن أبى حنيفة هو ما كان طاهرا فى نفسه مطهرا لغيره فان كان ما قاله شرعا لبغاية فى الطهارة كان سديدا وبعضده قوله تعالى ويترل عليكم من السماء ماء ليطهركم به والا فليس بمعول من التفعيل فى شئ والطهور على وجوه فى العربية صفة وأسم غير صفة فالصفة قولك ماء طهور كقولك طاهر

أرأيت من اتخذ الهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا ألم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا وهو الذى جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا وهو الذى أرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته وأنزلنا من السماء ماء طهورا

* قوله تعالى أرأيت من اتخذ الهه هواه (قال ابن قلت لما قدم الهه وهو المفعول الثانى وأخر هواه عالمة كقولك ظننت منطلقا زيدا اذا كانت عنايتك بالمنطلق) قال أحمد وفيه نكتة حسنة وهى افادة الحصر فان الكلام قبل دخول أرأيت مبتدأ وخبر المبتدأ هواه والخبر الهه وتقديم الخبر كما علمت يفيد الحصر فمكانه قال أرأيت من لم يتخذ معبودا الا هواه فهو أبلغ فى ذمه وتوبيخه والله أعلم

والاسم قولك ما يتطهر به طهور كالوضوء والوقود لما يتوضأ به وتوقد به النار وقولهم تطهرت تطهرا حسنا كقولك وضوء حسنا ذكره سيبويه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا صلاة لا بطهور أى طهارة (فان قلت) ما الذى يزيل عن الماء اسم الطهور (قلت) تيقن مخالطة النجاسة أو غلبتها على الظن تغير أحد أوصافه الثلاثة أو لم يتغير أو استعماله فى البدن لاداء عبادة عند أبى حنيفة وعند مالك بن أنس رضى الله عنهما ما لم يتغير أحد أوصافه فهو طهور (فان قلت) فما تقول فى قوله صلى الله عليه وسلم حين سئل عن بئر بضاعة فقال الماء طهور لا ينجسه شئ الا ما غير لونه أو طعمه أو ريحه (قلت) قال الواقدى كان بئر بضاعة طريقا للماء الى البساتين وانما قال (ميتا) لان البلدة فى معنى البلد فى قوله فسقناه الى بلد ميت وأنه غير جار على الفعل كمقول ومفعال ومفعيل * وقرئ نسقيه بالفتح وسقى وأسقى لغتان وقيل أسقاه جعل له سقيا * الاناسى جمع انسى أو انسان ونحوه ظراب فى ظربان على قلب النون ياء والاصل أناسين وظرابين وقرئ بالتخفيف بحذف ياء أفاعيل كقولك أناعم فى أناعيم (فان قلت) انزال الماء مصوغا بالطهارة وتعليله بالاحياء والسقى يؤذن بأن الطهارة تشترط فى صحة ذلك كما تقول حملنى الامير على فرس جواد لاصيد عليه الوحش (قلت) لما كان سقى الاناسى من جملة ما أنزل له الماء وصفه بالطهورا كراما لهم وتتميما للنعمة عليهم وبيانا أن من حقهم حين أراد الله لهم الطهارة أرادهم عليها أن يؤثروها فى بواطنهم ثم فى ظواهرهم وأن يربؤا بأنفسهم عن مخالطة القاذورات كلها كما ارتأبهم ربهم (فان قلت) الحس الانعام من بين ما خلق من الحيوان الشارب (قلت) لان الطير والوحش تبعد فى طلب الماء فلا يعوزها الشرب بخلاف الانعام ولانها قنية الاناسى وعامة منافعهم متعلقة بها فكان الانعام عليهم بسقى أنعامهم كالانعام بسقيهم (فان قلت) فما معنى تذكير الانعام والاناسى ووصفها بالكثرة (قلت) معنى ذلك أن عامة الناس وجلهم مفيضون بالقرب من الاودية والانهار ومنابع الماء بهم غنية عن سقى السماء وأنعامهم وهم كثير منهم لا يعيشهم الا ما ينزل الله من رحمته وسقيا سمائه وكذلك قوله لنحيى به بلدة ميتا يريد بعض بلاده هؤلاء المتبعدين من مظان الماء (فان قلت) لما قدم احياء الارض وسقى الانعام على سقى الاناسى (قلت) لان حياة الاناسى بحياة أرضهم وحياة أنعامهم فقدم ما هو سبب حياتهم وتعيشهم على سقيهم ولانهم اذا ظفروا بما يكون سقيا أرضهم وماشيتهم ثم بعده واسقيا هم بريد ولقد صرفنا هذا القول بين الناس فى القرآن وفى سائر الكتب والصحف التى أنزلت على الرسل عليهم السلام وهو ذكر انشاء السحاب وانزال القطر ليفكروا ويعتبروا ويعرفوا حق النعمة فيه ويشكروا (فأبى) أكثرهم الا كفران النعمة وجحودها وقلة الاكتراث لها وقيل صرفنا المطر بينهم فى البلدان المختلفة والاوقات المتغايرة وعلى الصفات المتفاوتة من وابل وطل وجود ورذاذ ودعمة ورهام فأبوا الا الكفور وأن يقولوا مطرنا بنوء كذا ولا يذكروا صنع الله ورحمته وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما من عام أقل مطرا من عام ولكن الله قسم ذلك بين عباده على ما شاء وتلا هذه الآية وروى أن الملائكة يعرفون عدد المطر ومقداره فى كل عام لانه لا يختلف ولكن تختلف فيه البلاد وينتزع من ههنا جواب فى تنكير البلدة والانعام والاناسى كأنه قال لنحيى به بعض البلاد الميتة ونسقيه بعض الانعام والاناسى وذلك البعض كثير (فان قلت) هل يكفر من ينسب الامطار الى الانواء (قلت) ان كان لا يراها الا من الانواء وجحد أن تكون هى والانواء من خلق الله فهو كافر وان كان يرى أن الله خالقها وقد نصب الانواء دلائل وأمارات عليها لم يكفر * يقول رسوله صلى الله عليه وسلم (ولو شئنا) لخففنا عنك أعباء نذارة جميع القرى و (لبعثنا فى كل قرية) نبيا ينذرها وانما خصصنا الامر عليك وعظمنا لك به وأجللناك وفضلناك على سائر الرسل فقابل ذلك بالتشدد والتصبر (فلا تطع الكافرين) فيما يريدونك عليه وانما أراد بهذا تهييجه وتهييج المؤمنين وتحريكهم * والضمير للقرآن أو لترك الطاعة الذى يدل عليه فلا تطع والمراد أن الكفار يجدون ويجتهدون فى توهين أمرك فقابلهم من جدك واجتهادك وعضك على نواجذك بما تغلبهم به وتعلوهم وجمله جهادا كبيرا لما يحتمل فيه من الشاق العظام ويجوز أن يرجع الضمير فى به الى ما دل عليه ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا من جنسها ونذير كائنة القرى لانه لو بعث فى كل قرية نذيرا لوجبت على كل نذير مجاهدة قريته فاجتمعت على

لنحيى به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسى كثيرا ولقد صرفناه بينهم ليذكروا فأبى أكثر الناس الا كفورا ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا فلا تطع الكافرين

رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المجاهدات كلها فكبر جهاده من أجل ذلك وعظم فقال له (وجاهدهم) بسبب كونك نذيرا كافة القرى (جهادا كبيرا) جامعا لكل مجاهدة * سمى الماءين الكثيرين الواسعين بحرين والفرات البليغ العذوبة حتى يضرب الى الحلاوة والاجاج نقيضه * ومن جهة اخلاطهما متجاورين متلاصقين وهو بقدرته يفصل بينهما وينعهما التمازج وهذا من عظيم اقتداره وفي كلام بعضهم بحران أحدهما مع الاستخر عذب وماء العذب منهما بالاجاج ممزوج (برزخا) حائلا من قدرته كقوله تعالى بغير عمد ترونها أو بيد غير مدركة وهو قدرته * وقرئ ملح على فعل وقيل كلاهما حذف من مالح تخفيفا كما قال وعلمنا برد اليرد (فان قلت) (وحجرا محجورا) ما معناه (قلت) هي الكلمة التي يقولها المتعوذ وقد فسرناها وهي ههنا واقعة على سبيل المجاز كان كل واحد من البحرين يتعوذ من صاحبه ويقول له حجرا محجورا كما قال لا يبغيان أي لا يبغي أحدهما على صاحبه بالممازجة فانتفاء البغي ثمة كالتعوذ ههنا جعل كل واحد منهما في صورة الباغي على صاحبه فهو يتعوذ منه وهي من أحسن الاستعارات وأشهدها على البلاغة * أراد فنسم البشر قسمين ذوي نسب أي ذكورا ينسب الهم فيقال فلان بن فلان وفلانة بنت فلان وذوات صهر أي اناثا يصاهر بهن ونحوه قوله تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى (وكان ربك قديرا) حيث خلق من النطفة الواحدة بشرا ذوي ذكر وأنثى * الظهير والمظاهر كالمعين والمعاون وتعبد بمعنى متعبد عزيز والمعنى ان الكافر يظاهر الشيطان على ربه بالعداوة والشرك روي أنها نزلت في أبي جهل ويجوز أن يريد بالظهير الجماعة كقوله والملائكة بعد ذلك ظهير كما جاء الصديق والخليط ويريد بالكافر الجنس وأن بعضهم مظاهر بعض على اطفاء نور الله وقيل معناه وكان الذي يفعل هذا الفعل وهو عبادة ما لا ينفع ولا يضر على ربه هينا مهينا من قولهم ظهرت به اذا خلفته خلف ظهرك لا التفت اليه وهذا نحو قوله أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم * مثال (الا من شاء) والمراد الافعل من شاء واستثناؤه عن الاجر قول ذي شفقة عليك تدسي لك في تحصيل مال ما أطلب منك شيئا طلبا على ما سميت الا أن تحفظ هذا المال ولا تضيعه فليس حفظك المال لنفسك من جنس الثواب ولكن صورته صورة الثواب وسماه باسمه فاذا فائدتي احداهما قلع شهة الطمع في الثواب من أصله كأنه يقول لك ان كان حفظك لمالك ثوابا فاني أطلب الثواب والثانية اظهار الشفقة البالغة أنك ان حفظت مالك اعتد بحفظك ثوابا ورضي به كما يرضى المثاب بالثواب ولعمري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مع المتبوع الهم بهذا الصدد وفوقه * ومعنى اتخاذهم الى الله سبيلا تقربهم اليه وطلبهم عنده الزلفى بالايمان والطاعة وقيل المراد التقرب بالصدقة والنفقة في سبيل الله * أمره بان يثق به ويسند أمره اليه في استكفاء شرورهم مع التمسك بقاعدة التوكل وأساس الامر كله هو طاعته وعبادته وتنزيهه وتحميده وعرفه أن الحي الذي لا يموت حقيق بان يتوكل عليه وحده ولا يتكل على غيره من الاحياء الذين عوتون وعن بعض السلف أنه قرأها فقال لا يصح لذي عقل أن يثق بعدها بمخلوق ثم أراه أن ليس اليه من أمر عباده شيء أتعنو أم كفروا وأنه خبير بأحوالهم كاف في جزاء أعمالهم (في ستة أيام) يعني في هذه مقدارها هذه المدة لانه لم يكن حينئذ نهار ولا ليل وقيل ستة أيام من أيام الآخرة وكل يوم ألف سنة والظاهر انها من أيام الدنيا وعن مجاهد أولها يوم الاحد وآخرها يوم الجمعة ووجهه أن يسمى الله الملائكة تلك الايام المقدرة بهذه الاسماء فلما خلق الشمس وأدارها وترتب أمر العالم على ما هو عليه جرت التسمية على هذه الايام وأما الداعي الى هذه العدد أعني الستة دون سائر الاعداد فلا نشك ان داعي حكمة لعلمنا أنه لا يقدر تقدير الا لداعي حكمة وان كنا لا نطلع عليه ولا نهتدي الى معرفته ومن ذلك تقدير الملائكة الذين هم أصحاب النار بتسعة عشر وحملة العرش ثمانية والشهور اثني عشر والسموات سبعا والارض كذلك والصلوات خمسا وأعداد النصب والحدود والكفارات وغير ذلك والاقرار بدواعي الحكمة في جميع أفعاله وبان ما قدره حق وصواب هو الايمان وقد نص عليه في قوله وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد

وجاهدهم به جهادا كبيرا وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيرا وما أرسلناك الا مبشرا ونذيرا قل ما أسئلكم عليه من أجر الا من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرا الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش

الذين آمنوا لما ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين فى قلوبهم مرض والكافرون
ماذا أراد الله بهذا مثلا ثم قال وما يعلم جنود ربك الا هو وهو الجواب أيضا فى أن لم يخلقها فى لحظة وهو قادر
على ذلك وعن سعيد بن جبير رضى الله عنه ما خلقها فى ستة أيام وهو يقدر على أن يخلقها فى لحظة تعليما
لخلقه الرفق والتثبت وقيل اجتمع خلقها يوم الجمعة فجعله الله عيدا للمسلمين * الذى خلق مبتدأ و (الرحمن)
خبره أو صفة للحى والرحمن خبرا مبتدأ محذوف أو بدل عن المستوى فى استوى * وقرئ الرحمن بالجر صفة
للحى * وقرئ فسئل والباء فى به صلة سل كقوله تعالى سأل سائل بعذاب واقع كما تكون عن صلته فى نحو قوله
ثم لتسألن يومئذ عن النعيم فسأل به كقوله اهتم به واعتنى به واشتغل به وسأل عنه كقولك بحث عنه وفتش
عنه وقرئ عنه أو صلة خبيرا وتجعل خبيرا مفعول سل يريد فسل عنه رجلا عارفا يخبرك برحمته أو فسل رجلا
خبيرا به وبرحمته أو فسل بسؤاله خبيرا كقولك لقيت به أسدا أى برؤيته والمعنى ان سألته وجدته خبيرا
أو نجعله حالا عن الهاء فى يريد فسل عنه عالما بكل شئ وقيل الرحمن اسم من أسماء الله مذكور فى الكتب
المتقدمة لم يكونوا يعرفونه فقيل فسل بهذا الاسم من يخبرك من أهل الكتاب حتى يعرف من ينكره ومن
ثمة كانوا يقولون ما نعرف الرحمن الا الذى باليمامة يعنون مسيلمة وكان يقال له رحمن اليمامة (وما الرحمن)
يجوز أن تكون سؤالا عن المسمى به لانهم ما كانوا يعرفونه بهذا الاسم والسؤال عن المجهول عما يجوز أن
يكون سؤالا عن معناه لانه لم يكن مستعملا فى كلامهم كما استعمل الرحيم والراحم ولانهم أنكروا
الطلاقه على الله تعالى (لما تأمرنا) أى للذى تأمرنا بعينى تأمرنا بسجوده على قوله أ نسجد لما تأمرنا غيرا ولا نسجد
لنا وقرئ بالياء كأن بعضهم قال لبعض أ نسجد لما يأمرنا محمد صلى الله عليه وسلم أو أمرنا نحن بالرحمن
ولا نعرف ما هو وفى (زادهم) نفورا سجودا للرحمن لانه هو المقصود * البروج منازل الكواكب السبعة
السيارة الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو
والحوت سميت بالبروج التى هى القصور العالية لانها لهذه الكواكب كالمنازل لسكانها واشتقاق البرج
من التبرج لظهوره * والسراج الشمس كقوله تعالى وجعل الشمس سراجا وقرئ سرجا وهى الشمس
والكواكب الكبار معها * وقرأ الحسن والاعمش وقمرا منيرا وهى جمع ليلة فى قراءة من قال وذا القمر منيرا
لان الليالى تكون قمرا بالقمر فاضافه اليها وتنويره فى بعض الحكم المضاف بعد سقوطه وقيام المضاف اليه مقامه
قول حسان * يرمى بصفق بارحى السلسل * يريد مائة رمى ولا يبعد أن يكون القمر بمعنى القمر كالرشد
والرشد والعرب والعرب * الخلفة من خلف كالركبة من ركب وهى الحالة التى يخلف عليها الليل والنهار كل
واحد منهما الآخر والمعنى جعلهما ذوى خلفة أى ذوى عقبة أى يعقب هذا ذاك وذاك هذا وقيل الليل
والنهار يختلفان كما قال يمتقبان ومنه قوله واختلاف الليل والنهار ويقال فلان خلفة واختلاف اذا
اختلف كثيرا الى منزله * وقرئ يذكر ويذكروا من كمب رضى الله عنه يتذكر والمعنى لينظر فى
اختلافهما الناظر فيعلم أن لا بد لاختلافهما من حال الى حال وتغيرهما من ناقل ومغير ويستدل بذلك على
عظم قدرته ويشكر الشاكر على النعمة فيهما من السكون بالليل والتصرف بالنهار كما قال عز وعلا من رحمته
جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيها ولتبتغوا من فضله أو ليكونا وقتين للذكرين والشاكرين من فاته فى
أحدهما ورده من العبادة قام به فى الآخر وعن الحسن رضى الله عنه من فاته عمله من الذكر والشكر
بالنهار كان له فى الليل مستعتب ومن فاته بالليل كان له فى النهار مستعتب (وعباد الرحمن) مبتدأ خبره فى آخر
السورة كأنه قيل وعباد الرحمن الذين هذه صفاتهم أولئك يجزون الغرفة ويجوز أن يكون خبره الذين
يمشون واحتمل أن يكون الرحمن خصه وفضله * وقرئ وعباد الرحمن * وقرئ يمشون (هونا) حال أو صفة
للمشى بمعنى يمشون مشيا هينا الا أن فى وضع المصدر موضع الصفة مبالغة والهون الرفق واللين ومنه
الحديث أحب حبيبك هونا ما وقوله المؤمنون هينون لينون والمثل اذا عز أخوك فهن ومعناه اذا عاسرك
فياسر والمعنى أنهم يمشون بسكينة ووقار وتواضع لا يضربون بأقدامهم ولا يخفقون بنعالهم أشرا وبطرا

الرحمن فاسئل به خبيرا
يا ذا فيل لهم اسجدوا
للرحمن قالوا وما الرحمن
أنسجد لما تأمرنا لما تزيدهم
نفورا تبارك الذى جعل
فى السماء بروجا وجعل
فيها سراجا وقمرا منيرا
وهو الذى جعل الليل
والنهار خلفة لمن أراد
أن يذكر أو أراد شكورا
وعباد الرحمن الذين
يمشون على الارض هونا

ولذلك كره بعض العلماء الركوب في الاسواق ولقوله يمشون في الاسواق (سلاما) تسلما منكم لا نجاهلكم ومتاركة لا خير بيننا ولا شر أي نتسلم منكم تسلما فأقيم السلام مقام التسلم وقيل قالوا سدادا من القول يسلمون فيه من الايذاء والاثم والمراد بالجهل السفه وقلة الادب وسوء العشرة من قوله

ألا لا يجهلن أحد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وعن أبي العالية نسختها آية القتال ولا حاجة الى ذلك لان الاغضاء عن السفهاء وترك المقابلة مستحسن في الادب والمروءة والشريعة وأسلم للعرض والدين * البيتوتة خلاف الظلول وهو أن يدركك الليل نمت أولم تنم وقالوا لمن قرأ شيأ من القرآن في صلاته يقوم قل فقمت ساجدا وقائما وقيل هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء والظاهر أنه وصفهم باحياء الليل أو أكثره يقال فلان يظل صائما ويبيت قائما (غراما) هلاكا وخسرانا ملحا لازما قال

يوم النسار ويوم الجفا * وكانا عذابا وكانا غراما

وقال

ان يعاقب يكن غراما وان يعـ ـط جزيلا فانه لا يبالي

ومنه الغريم لالحاحه ولزامه * ووصفهم باحياء الليل ساجدين وقائمين ثم عقبه بذكر دعوتهم هذه ايذانا بأنهم مع اجتهادهم خائفون مبتهلون الى الله في صرف العذاب عنهم كقوله تعالى والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة (ساءت) في حكم بئست وفيها ضمير مبهم يفسره مستقرا والمخصوص بالذم محذوف معناه ساءت مستقرا ومقاما هي وهذا الضمير هو الذي يربط الجملة باسم وسمها خبرا لها ويجوز أن يكون ساءت بمعنى أحزنت وفيها ضمير اسم ان يعود مستقرا مال أو تمييز والتعليلان يصح أن يكونا مدا خلين ومترادفين وأن يكونا من كلام الله وحكاية لقولهم قرئ يقتروا بكسر التاء وضمها ويقتروا بتخفيف التاء وتشديدها والقتر والاقتار والتقتير التضييق الذي هو نقيض الاسراف والاسراف مجاوزة الحد في النفقة * ووصفهم بالقصد الذي هو بين الفلو والتقصير وعنه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقيل الاسراف انفاق في المعاصي فأما في القرب فلا اسراف وسمع رجل رجلا يقول لا خير في الاسراف فقال لا اسراف في الخير وعن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أنه شكر عبد الملك بن مروان حتى وجه اليه وأحسن اليه فقال وصلت الرحم وفعلت وصنعت وجاء بكلام حسن فقال ان عبد الملك لم يعد هذا كلام أعده هذا المقام فسكت عبد الملك فلما كان بعد أيام دخل عليه والابن حاضر فسأله عن نفقته وأحواله فقال السنة بين السيئتين فعرف عبد الملك أنه أراد ما في هذه الآية فقال لابنه يا بني أهذا أيضا مما أعده وقيل أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا لا يأكلون طعاما للتنعم واللذة ولا يلبسون ثوبا للجمال والزينة ولكن كانوا يأكلون ما يسد جوعتهم ويعينهم على عبادة ربهم ويلبسون ما يستر عوراتهم ويكنهم من الحر والقر وقال عمر رضي الله عنه كفى سرفا أن لا يشتهي رجل شيأ الا اشتراه فأكله * والقوام العدل بين الشيئين لاستقامة الطريق بينهما وتطير العوام من الاستقامة السواعن الاستواء وعرفوا بالكسر وهو ما يقام به الشيء يقال أنت قوامنا بمعنى ما نقيم به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص والمعنى أن بين ذلك قواما ما لا بد أن تكون خيرا معه وأن يجعل بين ذلك لغوا وقواما مستقرا وان يكون الظرف خبرا وقواما للامر كذه وأجاز الفراء أن يكون بين ذلك اسم كان على أنه مبني لاضافته الى غير متمكن كقوله

* لم يمنع الشرب منها غير أن نطقت * وهو من جهة الاعراب لا بأس به ولكن المعنى ليس بقوي لان ما بين الاسراف والتقتير قوام لا محالة فليس في الخبر الذي هو معتمد الفائدة فائدة (حرم الله) أي حرمها والمعنى حرم قتلها و (الا بالحق) متعلق بهذا القتل المحذوف أو بلا يقتلون ونفي هذه المقبحات المطام عن الموصوفين بتلك الخلال العظيمة في الدين المتعرض بما كان عليه أعداء المؤمنين من قريش وغيرهم كأنه قيل والذين برأهم الله وطهرهم مما أنتم عليه والقتل يعترض يدخل فيه الوأد وغيره وعن ابن مسعود رضي الله عنه قلت يا رسول الله أي الذنب أعظم قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم أي قال أن تقتل ولدك خشية أن يأكل

واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما انها ساءت مستقرا ومقاما والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق آثاما

معلق قلت ثم أى قال أن نزانى حليلة جارك فأنزل الله تصديقه * وقرئ يلق فيه أثاما وقرئ يلق باثبات الالف وقد مر مثله والاثام جزاء الاثم يوزن الوبال والنكال ومعناهما قال

جزى الله ابن عروة حين أمسى * عقوقا والعقوق له أثام

وقيل هو الاثم ومعناها يلق جزاء أثام وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه أياما أى شدائد يقال يوم ذو أيام لليوم العصيب (يضاعف) بدل من يلق لانهما فى معنى واحد كقوله

متى تأتنا تلمم بنا فى ديارنا * تجد حطبا جزلا ونارا تأججا

وقرئ يضعف ونضعف له العذاب بالنون ونصب العذاب وقرئ بالرفع على الاستئناف أو على الحال وكذلك يخلد وقرئ ويخلده على البناء للمفعول مخففا ومثقلا من الاخلاد والتخليد وقرئ وتخلد بالتاء على الالتفات (يبدل) مخفف ومثقل وكذلك سيآتهم (فان قلت) ما معنى مضاعفة العذاب وابدال السيآت حسنات (قلت) اذا ارتكب المشرك معاصى مع الشرك عذب على الشرك وعلى المعاصى جميعا فتضاعف العقوبة لمضاعفة المعاقب عليه وابدال السيآت حسنات أنه محوها بالتوبة ويثبت مكانها الحسنات الايمان والطاعة والتقوى وقيل يبدلهم بالشرك ايمانا ويقتل المسلمين قتل المشركين وبالزناعفة واحصانا * يريد ومن يترك المعاصى ويندم عليها ويدخل فى العمل الصالح فانه بذلك تائب الى الله (متابا) مرضيا عنده مكفر الخطايا خصلا للثواب أو فانه تائب متابا الى الله الذى يعرف حق التائبين ويفعل بهم ما يستوجبون والذى يحب التوابين ويحب المتطهرين وفى كلام بعض العرب لله أفرح بتوبة العبد من الضل الواجد والظمآن الوارد والعقيم الوالد أو فانه يرجع الى الله والى ثوابه مرجعا حسنا وأى مرجع * يحتمل أنهم يمرون عن محاضر الكذابين ومجالس الخطائين فلا يحضرونهم ولا يقربونها تنزها عن مخالطة الشر وأهله وصيانة لدينهم عما يشينه لان مشاهدة الباطل شركة فيه ولذلك قيل فى النظارة الى كل ما لم تسوغه الشريعة هم شركاء فاعليه فى الاثم لان حضورهم ونظرهم دليل الرضا به وسبب وجوده والزيادة فيه لان الذى سلط على فعله هو استحسان النظارة وترغيبهم فى النظر اليه وفى مواعظ عيسى ابن مريم عليه السلام اياكم ومجالسة الخطائين ويحتمل أنهم لا يشهدون شهادة الزور بحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه وعن قتادة مجالس الباطل وعن ابن الحنفية اللهو والغناء وعن مجاهد أعياد المشركين * اللغو كل ما ينبغى أن يلغى ويطرح واللغى واذا مر وا بأهل اللغو والمشتغلين به مروا معرضين عنهم مكرمين أنفسهم عن التوقف عليهم والخوض معهم كقوله تعالى واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين وعن الحسن رضى الله عنه لم تسفههم المعاصى وقيل اذا سمعوا من الكفار الشتم والاذى أعرضوا وصفحوا وقيل اذا ذكروا النكاح كنوا عنه (لم يخروا عليها) ليس بنفى للخرور وراءها واثبات له ونفى للصمم والعمى كما تقول لا يلقانى زيد مسلما هو نفى للسلام لا للقاء والمعنى أنهم اذا ذكروا بها أكبوا عليها حرصا على استماعها وأقبلوا على الذكر بها وهم فى اكبابهم عليها سامعون بآذان واعية مبصرون بعيون راعية لا كالذين يذكرون بها فتراهم مكبين عليها مقبلين على من يذكرهم بها مظهرين الحرص الشديد على استماعها وهم كالصم العميان حيث لا يعونها ولا يتبصرون ما فيها كالمنافقين وأشباههم * قرئ ذرياتنا ذرياتنا وقرة أعين وقرات أعين سألوا ربهم أن يرزقهم أزواجا وأعقابا تمم الله بسرور بمكانهم وتقر عيونهم وعن محمد بن كعب ليس شئ أقر لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو الولد اذا رآه يكتب الفقه وقيل سألوا أن يلحق الله بهم أزواجهم وذرياتهم فى الجنة ليتم لهم سرورهم * أرادا ئمة فاكتفى بالواحد لدلالته على الجنس ولعدم اللبس كقوله تعالى ثم يخرجكم طفلا أو أراد واجعل كل واحد منا اماما أو أراد جمع أم كصائم وصيام أو أرادوا جعلنا اماما واحدا لاتحادنا واتفاق كلمتنا وعن بعضهم فى الآية ما يدل على أن الرياسة فى الدين يجب أن تطلب ويرغب فيها وقيل نزلت هذه الآيات فى العشرة المبشرين بالجنة (فان قلت) من فى قوله من أزواجنا ما هى (قلت) يحتمل أن تكون بيانية كأنه قيل هب لنا قرة

يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين اماما أولئك يجزون الغرفة

أعين ثم بينت القرة وفسرت بقوله من أزواجنا وذرياتنا ومعناه أن يجعلهم الله لهم قرة أعين وهو من قولهم رأيت منك أسدا أي أنت أسد وأن تكون ابتدائية على معنى هب لنا من جهتهم ما تقر به عيوننا من طاعة وصلاح (فان قلت) لم قال قرة أعين فنكر وقال (قلت) أما التنكير فلاجل تنكير القرة لان المضاف لا سبيل الى تنكيره الا بتنكير المضاف اليه كأنه قيل هب لنا منهم سرورا وفرحا وانما قيل أعين دون عيون لانه أراد أعين المتقين وهي قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم قال الله تعالى وقليل من عبادي الشكور ويجوز أن يقال في تنكير أعين انهم أعين خاصة وهي أعين المتقين * المراد بجزون الغرفات وهي العلالي في الجنة فوحد اقتصارا على الواحد الدال على الجنس والدليل على ذلك قوله وهم في الغرفات آمنون وقرأ ابن كثير الغرفة (بما صبروا) بصبرهم على الطاعات وعن الشهوات وعلى أذى الكفار وجاهدتهم وعلى الفقر وغير ذلك واطلاقه لاجل الشياع في كل مصبور عليه * وقرئ يلقون كقوله تعالى ولقاهم نضرة وسرورا ويلقون كقوله تعالى يلق أثاما * والتحية دعاء بالتعمير والسلام دعاء بالسلامة يعني أن الملائكة يحيونهم ويسلمون عليهم أو يحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه أو يعطون التحية والتسليم مع السلامة عن كل آفة اللهم وفقنا لطاعتك واجعلنا مع أهل رحمتك وارزقنا مأنرزقهم في دار رضوانك * لما وصف عبادة العباد وعدد صالحاتهم وحسناتهم وأثنى عليهم من أجلها ووعدهم الرفع من درجاتهم في الجنة أتبع ذلك بيان أنه لما كثرت لائل وعلمهم وأعلى ذكرهم ووعدهم ما وعدهم لاجل عبادتهم فما من رسوله أن يصرح للناس ويجزم لهم القول بأن الاكثرين لهم عند ربهم انما هو للعبادة ووعدها لا لغير آخر ولولا عبادتهم لم يكثروهم البتة ولم يعتدبهم ولم يكونوا عنده شيأ بالية * والدعاء العبادة وما منصفة لمعنى الاستغراق وهي في محل النصب وهي مجاز عن المصدر كأنه قيل وأي عبء يعبأ بكم لولا دعاؤكم يعني أنكم لا تستأهلون شيأ من العبء عليكم لولا عبادتكم وحقيقة قولهم ما عبأت به ما اعتددت به من فوادح هوى وهما يكون عبأ على كاهل قول ما اكترثت له أي ما اعتددت به من كوارث وهمام هني وقال الزجاج في تأويل ما يعبأ بكم ربي أي وزن يكون لكم عنده ويجوز أن تكون ما نافية (فقد كذبتم) بقول اذا أعلمتكم أن حكمي آتي لا أعتد بعبادي الا لعبادتهم فقد أخلتم بتكذيبكم حكمي فسوف يلزمكم أثر تكذيبكم حتى يكبكبكم في النار وتظيره في الكلام أن يقول للائل استحصي عليه ان من عادتي أن أحسن الى من يطيعني وينبع أمري وقد عصيت فسوف ترى ما أحل بك من سبب عصيانك وقيل معناه ما يصنع بكم ربي لولا دعاؤه اياكم الى الاسلام وقيل ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة (فان قلت) الى من يتوجه هذا الخطاب (قلت) الى الناس على الاطلاق ومنهم مؤمنون عابدون ومكذبون عاصون فخوطبوا جميعا وعد في جنسهم من العبادة والتكذيب * وقرئ فقد كذب الكافرون وقيل يكون العذاب لزاما وعن مجاهد رضي الله عنه هو القتل يوم بدر وأنه لو زم بين القتلى لزاما * وقرئ لزاما بالفتح يعني اللزوم كالثبات والثبوت والوجه أن تراد اسم كان غير منطوق به بعد ما علم أنه عاد عليه لاجل الابهام وتناول ما لا يحيط به الوصف والله أعلم بالصواب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفرقان اتى الله يوم القيامة وهو مؤمن بأن الساعة آتية لا ريب فيها أدخل الجنة بغير حساب

﴿سورة الشعراء مكية الا قوله والشعراء الى آخر السورة وهي مائتان وسبع وعشرون آية وفي رواية ست وعشرون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(طسم) بتفخيم الالف وامالتها واظهار النون وادغامها (الكتاب المبين) الظاهر اعجازه وصحة آياته من عند الله والمراد به السورة أو القرآن والمعنى آيات هذا المؤلف من الحروف المبسوطة تلك آيات الكتاب المبين * الجمع أن يبلغ بالذبح الجناح بالباء وهو عرف مستبطن الفقار وذلك أقصى حد الذابح ولعل للاشفاق يعني

عاصفيروا ويلقون فيها تحية وسلاما خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما قل ما يعبؤ بكم ربي لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما

﴿سورة الشعراء مكية وهي مائتان وسبع وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

طسم تلك آيات الكتاب المبين لعلك باخع نفسك

* قوله تعالى هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين (قال ابن قلت لم قال الاعين اذا الاعين صفة جمع قلة قلت لان أعين المتقين قليل بالاضافة الى غيرهم يدل على ذلك قوله وقليل من عبادي الشكور) قال أحمد والظاهر أن المحكي كلام كل أحد من المتقين فكأنه قال يقول كل واحد منهم اجعل لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين وهذا أسلم من تأويله فان المتقين وان كانوا بالاضافة الى غيرهم قليلا الا أنهم في أنفسهم على كثرة من العدد والمعتبر في اطلاق جمع القلة أن يكون المجموع قليلا في نفسه لا بالنسبة والاضافة والله أعلم

أشفق على نفسك أن تقتلها حسرة على ما فاتك من اسلام قومك (ألا يكونوا مؤمنين) لئلا يؤمنوا ولاستماع ايمانهم أو خيفة أن لا يؤمنوا وعن قتادة ترضى الله عنه باخع نفسك على الاضافة * أراد آية ملجئة الى الايمان قاصرة عليه (فظلت) معطوف على الجزاء الذي هو نزل لانه لو قيل أن نشأ لكان صحيحا ونظيره فأصدق وأكن كانه قيل أصدق وقد قرئ لو شئنا لانزلنا وقرئ فتظل أعناقهم (فان قلت) كيف صح مجيء خاضعين خبرا عن الاعناق (قلت) أصل الكلام فظلوا لها خاضعين فأقحمت الاعناق لسان موضع الخضوع وتوسع الكلام على أصله كقوله ذهبت أهل اليمامة كأن الاهل غير مذكور أو لما وصفت بالخضوع الذي هو للعقلاء قيل خاضعين كقوله تعالى لي ساجدين وقيل أعناق الناس رؤساؤهم ومقدموهم شبهوا بالاعناق كما قيل لهم هم الرؤس والنواصي والصدور قال * في محفل من نواصي الناس مشهود * وقيل جماعات الناس يقال جاءنا عنق من الناس للفوج منهم وقرئ فظلت أعناقهم لها خاضعة وعن ابن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الآية فينا وفي بني أمية فالمستكبرون لنا عليهم الدولة فتذل لنا أعناقهم * مصعبة وبلحتهم هوان بعد عزة * أي وما يجدد لهم الله بوحيه موعظة جديدة الا اعرضوا عنه وكفروا به (فان قلت) كيف خولف بين الالفاظ الثلاثة الفرض والمحدوي والاعراض والتكذيب والاستهزاء (قلت) انما خولف بينها لاختلاف الاعراض كانه قيل ممن أعرضوا عن الذكر فقد كذبوا به وحين كذبوا به فقد خف عندهم قدره وصار عرضة للاستهزاء به والسخرية لان من كان جارا للسوق مقبلا عليه كان مصدقا به لا محالة ولم يظن به التكذيب ومن كان مصدقا به كان موقرا له (فسيأتيهم) وعيد لهم وانذار بأنهم سيعلمون اذا صبهم عذاب الله يوم بدر أو يوم القيامة (ما) الشيء الذي كانوا به يستهزئون به وهو القرآن وسيأتيهم أنباؤ ما كانوا به يستهزئون * وصف الزوج وهو الصنف من النبات بالكرم والكريم صفة لكل ما يرضى ويحمد في بابه يقال وجه كريم لمن يرضى في حسنه وحاله وكتاب كريم يرضى في معانيه وقوله وقال * حتى يشق الصفوف من كرمه * أي من كونه مرضيا في شجاعته وباسمه والنبات الكريم المرضي عما يتعلق به من المنافع (ان في) اخبار تلك الاصناف (لآية) على أن منتها قادر على احياء الموتى وهذا مما لا تكاد تجد أكثرهم مطبوعا على قلوبهم غير مجراة عليها (وان ربك لهو العزيز) في انتقامه من الكفرة (الرحيم) لمن تاب وآمن وعمل صالحا (فان قلت) ما معنى الجمع بين كم وكل وقولك كم أعتقت من زوج كريم (قلت) فعدل كل على الاحاطة بأزواج النبات على سبيل التفصيل وكم على أن هذا محيط متكاثر فرط الكثرة فهذا معنى الجمع بينهما وبنحو على كل قدرته (فان قلت) فما معنى وصف الزوج بالكريم (قلت) تخيل معنيين أحدهما أن النبات على نوعين نافع وضار فذكر كثيرا مما أنبت في الارض من جميع أصناف ذلك النافع وخص ذكر الصالح والثاني أن يعم جميع النبات نافعه وضاره ويصفها جميعا بالكرم وينبه على أنه ما أنبت شيأ الا وفيه فائدة لان الحكيم لا يفعل فعلا الا لغرض صحيح ولحكمة بالغة وان غفل عنها الغافلون ولم يتوصل الى معرفتها العالمون (فان قلت) هذه نكرة والارواح دل عليها بكم التي للكثرة والاحاطة وكانت بحيث لا يحصيها الا العالم الغيب كيف قال ان في ذلك لآية وهلا قال آيات (قلت) فيه وجهان أن يكون ذلك مشارا به الى معدود أي لعبرة في ذلك لآية كقوله تعالى ان في الايات لآية أي آية وأن يراد ان في كل واحد من تلك الازواج لآية وقد سبقت هذا الوجه نظائر * سجل عليهم بالظلم بأن قدم القوم الظالمين ثم عطفهم عليهم عطف البيان كان معنى القوم الظالمين وتر جنسه قوم فرعون وكأنهم اعتبروا ان تعتقبان على مؤدى واحد ان شاء ذاكرهم عبر عنهم بالقوم الظالمين وان شاء عبر بقوم فرعون وقد استحقوا هذا الاسم من جهتين من جهة ظلمهم أنفسهم بالكفر وشرارتهم ومن جهة ظلمهم لبني اسرائيل باستعبادهم اياهم * قرئ ألا يتقون بكسر النون معنى الا يتقوني فحذفت النون لاجتماع النونين والياء للاكتفاء بالكسرة (فان قلت) بم تعلق قوله الا يتقون (قلت) هو كلام مستأنف أتبعه عز وجل ارساله اليهم للانذار والتسجيل عليهم بالظلم تعجيبا لموسى من عاقبتهم التي شنعت في الظلم والعسف وعن أنهم العواقب وقد خوفهم وحذرهم من أيام

الله

الا يكونوا مؤمنين ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت اعناقهم لها خاضعين وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون أولم يروا الى الارض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم واذ نادى

القول في سورة الشعراء

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم (قال ان قلت ما فائدة الجمع بين كل وكم وأجاب بأن كلا دخلت للاحاطة بأزواج النبات وكم دلت على أن هذا أشاء متكاثر مفرط الكثرة) قال أحمد فعلى متقضى ذلك يكون المعنى وكل الكثير الازواج والظاهر أن المعنى وكم أنبتنا الازواج والاصناف ويدل عليه أنه لو أسقطت كل وقلت انظروا الى الارض كم أنبت الله فيها من الصنف الفلاني لكنت كمن أراد أن يشير الى صنف من الاصناف فقال انظروا الى كم أنبت كل فقد أدخلت كل ما يشير اليه كم من غير أن تحتاج الى ذكر الصنف المشار اليه فلما أسقطت كل لم تف كم بما يفيده من الاحاطة

الله ويحتمل أن يكون لا يتقون حالا من الضمير في الظالمين أي يظلمون غير متقين الله وعقابه فادخلت همزة الانكار على الحال وأما من قرأ الا تتقون على الخطاب فعلى طريقة الالتفات اليهم وجههم وضرب وجوههم بالانكار والغضب عليهم كما ترى من يشكو من ركب جنايته الى بعض أخصائه والجاني حاضر فاذا اندفع في الشكاية وحمي غضبه قطع مبالغة عما سمعه وأقبل على الجاني يوبخه ويعنفه ويقول له ألم تتق الله ألم تستحي من الناس (فان قلت) فما فائدة هذا الالتفات والخطاب مع موسى عليه الصلاة والسلام في وقت المناجاة والملتفت اليهم غير لائعين (قلت) اجراء ذلك في تكليم الرسل اليهم في معنى اجرائه بحضرتهم والقائه الى مسامعهم لانه مبلغ عنهم وناشر بين الناس له فيما لطف وحسن في زيادة التقوى وكم من آية انزلت في شأن الكافرين وفيها أو هو نسب الى سوء تدبرها واعتبارها وردها وترى الا يتقون بالياء وكسر النون وجده آخر وهو أن يكون النفي الا بأناس اتقون كقوله الا بأصحدوا * وبضين ويتطلق بالرفع لانهما معطوفان على خبران وبالنصب لعطفهما على صلة أن والفرق بينهما في النفي أن الرفع يفيد أن فيه ثلاث علل خوف التكذيب وضيق الصدر وامتناع انطلاق اللسان والنصب على أن خوفه متعلق بهذه الثلاثة (فان قلت) في النصب تعليق الخوف بالامور الثلاثة فوق جملتا في انطلاق اللسان وحقيقة الخوف انما هي عند تعليق الانسان لامر سيقع وذلك كان واقعا فكيف جاز تعليق الخوف به (قلت) قد علق الخوف بتكذيبهم وبما يحصل له بسببهم من ضيق الصدر وانحبسة في اللسان زائدة على ما كان به على أن تلك الحبسة التي كانت به قد زالت بدعوته وقيل بقيت منها بقية يسيرة (فان قلت) فعند ارادة هذا وجه الرفع لان النفي انما تعلق بضيق الصدر غير منطلق اللسان (قلت) يجوز أن يكون هذا قبل الدعوة واستجابتها ويجوز أن يريد الضرر اليسير الذي بقي به ويجوز أن لا يكون مع حل العقدة من لسانه من الفصاحة المدفع الدين أو تواسلاطة لا لسنة وبسطة المال وهرون كان بتلك الحبسة فاراد أن يقرن به ويدل عليه قوله تعالى واخي هرون هو أفصح مني لسانا ومعنى (فارسل الى هرون) أرسل اليه جبريل واعلمه نبأ وأنزل به واشد به عضدي وهذا كلام مختصر وقد بسطه في غير هذا الموضع وقد أحسن في الاختصار حيث قال فارسل الى هرون فجاءه ليتضمن معنى الاستجابة ومعنى قوله تعالى فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا حيث اقتصر على ذكر طرفي القصة أو لهما وآخرهما لان الاشارة والتدمير دل بذكرهما على ما هو الغرض من القصة الطويلة كلها وهو أنهم قوم كذبوا بآيات الله فاستحقوا الالزام الحجة عليهم فعجلت اليهم عقوبة فكذبوهما فاهلكهم (فان قلت) كيف ساغ لموسى عليه السلام أن يأمره الله أمرا ولا يتقبله سمعا وطاعة من غير توقف ونشبث بعلل وتعلل أن الامر وراثه (قلت) قد استثقل وتثبل ولكنه انفس من ربه أن يعقد بأخيه حتى يعاونه على تنفيذ أمره ويسير رسالته فهذا قبل التماسه عذره فما الذي يمنعك من ذلك وهو يعلم المدى في التماس العون على تنفيذ الامر ليس بتوقف في استثقال الامر ولا تثبل فيه وكفى بطلب العون دليلا على التثبل لا على التثبل * أراد بالذنب قتله القبطي وقيل كان خبأ فرعون وامته فاتين بني وهم على تبعة ذنب وهي قوده ذلك القتل فاخاف أن يقتلوني به فحذف المضاف أو سمي تبعة الذنب ذنبا كما سمي جزاء السيئة سيئة (فان قلت) فما أبيت أن تكون تلك الثلاث علا موجبة لهيد الامر فيما التمسه فما قولك في هذه الرابعة (قلت) هذه استدفاع لعلة التبعة وقد رأى من أن يقتل قبل أداء الرسالة فكيف تكون تعللا والدليل عليه ما جاء بعده من كلمة الرد والوعد بالكلاءة والدفع * جمع الله الاخوين بين معاني قوله (كلا فاذهبا) لانه استدفعه بقوله هارون وعده بالدفع بردعه عن الخوف والخمس منه الموازرة لاجله فاتى بقوله اذهبا أي اذهب أنت والذي طلبته وهو هرون (فان قلت) علام عطف قوله فاذهبا (قلت) على الفعل الذي يدل عليه كلا كانه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب أنت وهرون وقوله (معكم مستمعون) من مجاز الكلام يريد أنا لكما ولعدوكما كالناصر الظهير لكما عليه اذا حضره واسمع ما جرى بينكما وبينه فاظهركما وغلبكما وكسر شوكته عنكما ونكسه وجوز أن تكونا حين

ربك لموسى ان ائت القوم الظالمين قوم فرعون الا تتقون قال رب اني أخاف أن يكذبون ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فارسل الى هرون ولهم علي ذنب فاخاف أن يقتلون قال كلا فاذهبا بآياتنا انا معكم مستمعون فاتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين

لان أو يكون مستمعون مستفرا ومعكم لغوا (فان قلت) لم جعلت مستمعون قرينة معكم فى كونه من باب المجاز والله تعالى يوصف على الحقيقة بانه سميع بسامع (قلت) ولكن لا يوصف بالمستمع على الحقيقة لان الاستماع جار مجرى الاصغاء والاستماع من السمع بمنزلة النظر من الرؤية ومنه قوله تعالى قل أوحى الى أنه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا ويقال استمع الى حديثه وسمع حديثه أى أصغى اليه وأدركه بحاسة السمع ومنه قوله صلى الله عليه وسلم من استمع الى حديث قوم وهم له كارهون صب فى أذنيه الآنك * (فان قلت) هلا ثنى الرسول كما ثنى فى قوله انا رسولا ربك (قلت) الرسول يكون بمعنى المرسل وبمعنى الرسالة فجعل ثم بمعنى المرسل فلم يكن بد من تثنيته وجعل هو بمعنى الرسالة فجازت التثنية فيه اذا وصف به بين الواحد والتثنية والجمع كما يفعل فى الصفة المصادر نحو صوم وزور وقال

ألكنى اليها وخير الرسو * ل أعلمهم بنواحى الخبر

فجعله للجماعة والشاهد فى الرسول بمعنى الرسالة قوله

لقد كذب الواشون ما فهت عندهم * بسر ولا أرسلتهم برسول

ويجوز أن يوحد لان حكمهم الشاهد هما واتفاقهما على شريعة واحدة واتحادهما لذلك والاخوة كان حكما واحدا فكأنهما رسول واحد أو أريد ان كل واحد منا (أن أرسل) بمعنى أى أرسل فتضمن الرسول معنى الارسال وتقول أرسلت اليك أن افعل كذا الا فى الارسال من معنى القول كالى المناداة والمكاتبة ونحو ذلك ومعنى هذا الارسال التخلية والاطلاق كقولك أرسل البازى يريد خلهم يذهبوا معنا الى فلسطين وكانت مسكنهما * ويروى أنهما انطلقا الى باب فرعون فلبثوا ذن لهما سنة حتى قال البواب ان ههنا انسانا يزعم أنه رسول رب العالمين فقال ائذن له لعلنا نضحك منه فأتيا اليه الرسالة فعرف موسى فقال له (ألم نربك) حذف فأتيا فرعون فقالا له ذلك لانه معلوم لا يشتبه وهذا النوع من الاختصار كثير فى التنزيل * الوليد الصبى القريب عهده من الولادة * وفى رواية عن أبى عمرو من عمرك بسكون الميم (سنين) قيل مكث عندهم ثلاثين سنة وقيل وكز القبطى وهو ابن ثنتى عشرة سنة وفرّ منهم على أثر هذا والله أعلم بصحة ذلك * وعن الشعبى فعلتك بالكسر وهى فعلة القبطى لانه قتله بالوكزة وهو ضرب من القتل وأما الفعلة فلانها كانت وكزة واحدة عد عليه نعمته من تربيته وتبليغه مبلغ الرجال ووبخه بما جرى على يده من قتل خباز وعلم ذلك وقطعه بقوله وفعلت فعلتك التى فعلت (وأنت من الكافرين) يجوز أن يكون حالا أى قتلته وأنت لدالك من الكافرين بنعمتى أو وأنت اذ ذاك من تكفرهم الساعة وقد اعتزى عليه أو جهل أمره لانه كان يعاشرهم بالتقية فان الله تعالى عاصم من يريد أن يستنبئه من كل كبيرة ومن بعض الصغائر فيما بال الكفر ويجوز أن يكون قوله وأنت من الكافرين حكما عليه بانه من الكافرين بالنعم ومن كانت عادته كفران النعم لم يكن قتل خواص النعم عليه بدعامة أو بأنه من الكافرين لفرعون والهيئة أو من الذين كانوا يكفرون فى دينهم فقد كانت لهم آلهة يعبدونهم يشهد لذلك قوله تعالى ويذرك وآلهتك وقرئ الهتك * فأجابه موسى بأن تلك الفعلة انما فرطت منه وهو (من الضالين) أى الجاهلين وقراءة ابن مسعود من الجاهلين مفسرة والمعنى من الفاعلين فعل أولى الجهل والسفه كما قال يوسف لاخوته هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه اذ أنتم جاهلون أو المخطئين كمن يقتل خطأ من غير تعمد للقتل أو الذاهبين عن الصواب أو الناسين من قوله أن تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى وكذب فرعون ودفع الوصف بالكفر عن نفسه وبرأ ساحته بأن وضع الضالين موضع الكافرين ربما يحمل من رشح للنبوة عن تلك الصفة * ثم كر على امتنانه عليه بالتربية فأبطله من أصله وأساسه من سخفه وأبى أن يسمى نعمته الا نقمة حيث بين أن حقيقة انعامه عليه تعبيد بنى اسرائيل لان تعبيدهم وقصدهم بذبح أبنائهم هو السبب فى حصوله عنده وتربيته فكأنه امتن عليه بتعبيد قومه اذا حقنت وتعبيدهم تذليلهم واتخاذهم عبيدا يقال عبدت الرجل وأعبدته اذا اتخذته عبدا قال

علام يعبدنى قومى وقد كثرت * فيهم أباعر ماشاؤا وعبدان

أن أرسل معنا بنى اسرائيل قال ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التى فعلت وأنت من الكافرين قال فعلتها اذا وأنا من الضالين ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكما وجعلنى من المرسلين وتلك نعمة تمنها على أن عبدت بنى اسرائيل قال فرعون

* قوله تعالى حكاية عن فرعون وفعلت فعلتك التى فعلت الآية (قال عدد نعمته عليه ووبخه بما جرى على يديه من قتل خبازه وقطعه عليه بقوله وفعلت فعلتك) قال أحمد ووجه التطبيع عليه من ذلك أن فى اتيانه بتلك الامور بها ايذانا بأنه لفظاعته مما لا ينطق به الامكنيا عنه ونظيره فى التفخيم المستفاد من الابهام قوله تعالى فغشيهم من اليم ما غشيهم أى شئ السدة ما يغشى فأوحى الى عبده ما أوحى وعظمه كثيرا والله أعلم

(فان قلت) اذا جواب وجزاء معا والكلام وقع جوابا للفرعون فكيف وقع جزاء (قلت) قول فرعون وفعلت فعلتك فيه معنى انك جازيت نعمتي عليك فعلت فقال له موسى نعم فعلتها جازيتك تسليما لقوله لان نعمته كانت عنده جديرة بان تجازى بنحو ذلك الجزاء (فان قلت) لم جمع الضمير في منكم وخفتكم مع افراده في قتلها وعبدت (قلت) الخوف والفرار لم يكونا منه وحده ولكن منه ومن ملئه المؤمنين بقتله بدليل قوله ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك وأما الامتنان فقصد وحده وكذلك التعبيد (فان قلت) تلك اشارة الى ماذا وان عبدت ما محلها من الاعراب (قلت) تلك اشارة الى خصلة شنعاء سيئة لا يدرى ما هي الا بتفسيرها وتحل أن عبدت الرفع عطف بيان لتلك ونظيره قوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر أن دابر هؤلاء مقطوع والمعنى تعييدك بني اسرائيل نعمة تمنها علي وقال الزجاج ويجوز أن يكون أن في موضع نصب المعنى اغا صارت نعمة علي لان عبدت بني اسرائيل أي لو لم تفعل ذلك لكفلني أهلي ولم يلقوني في اليم * لما قال له بوابه ان ههنا من يزعم أنه رسول رب العالمين قال له عند دخوله (ومارب العالمين) يريد أي شيء رب العالمين وهذا السؤال لا يجاب اما أن يريد به أي شيء هو من الاشياء التي شوهدت وعرفت أجناسها فأجاب بما يستدل به عليه من أفعاله الخاصة ليعرفه أنه ليس بشيء مما شوهد وعرف من الاجرام والاعراض وأنه شيء مخالف لجميع الاشياء ليس كمثله شيء وأما أن يريد به أي شيء هو على الاطلاق فتفتيش عن حقيقته الخاصة ما هي فاجابه بان الذي اليه سبيل وهو الكاشف عن معرفته معرفة تباينه بصفاته استدلالا بافعاله الخاصة على ذلك وأما التفتيش عن حقيقته الخاصة التي هي فوق طور العقول فتفتيش عما لا سبيل اليه والسائل عنه متعنت غير طالب الحق والذي يليق بحال فرعون ويدل عليه الكلام أن يكون سؤاله هذا انكارا لان يكون للعالمين رب سواه لادعائه الالهية فلما أجاب موسى عما أجاب عنه قومه من جواب حيث نسب الربوبية الى غيره فلما تبين بتقريره جنحه الى قومه وطنز به حيث سماه رسولهم فلما ثلث بتقرير آخر احتد واحتدم وقال لئن اتخذت الها غيري وهذا دليل على صحة هذا الوجه الاخير * (فان قلت) كيف قيل (وما بينهما) على التثنية والمرجوع اليه مجموع (قلت) أريد وما بين الجنسين فعل بالمضمر ما فعل بالظاهر من قال في الهيجا جمالين (فان قلت) ما معنى قوله (ان كنتم موقنين) وأين عن فرعون وملئه الايقان (قلت) معناه ان كان يرجى منكم الايقان الذي يؤدي اليه النظر الصحيح نفعكم هذا الجواب والا لم ينفع أو ان كنتم موقنين بشيء فظ فهذا أولى ما توقنون به لظهوره وانارة دليله (فان قلت) ومن كان حوله (قلت) اشراف قومه قيل كان خمسمائة رجل عليهم الاساور وكانت لهم لباسا خاصة (فان قلت) ذكر السموات والارض وما بينهما قد استوعب به المخلوقات كلها فما معنى ذكرهم بعد ذلك وذكر المشرق والمغرب (قلت) عمم أولا ثم خصص من العام لبيان أنفسهم وآبائهم لان أغرب المنظور فيه من العاقل نفسه ومن ولد منه وما شاهد وعاين من الدلائل على الصانع والناقل من هيئة الى هيئة وحال الى حال من وقت ميلاده الى وقت وفاته ثم خصص المشرق والمغرب لان طلوع الشمس من أحد الخافقين وغروبها في الآخر على تقدير مستقيم في فصول السنة وحساب مستو من أظهر ما استدل به ولظهوره انتقل الى الاحتجاج به خليل الله من الاحتجاج بالاحياء والاماتة على نمروذ بن كنعان فبهت الذي كفر * وقرئ رب المشارق والمغارب الذي أرسل اليكم بفتح الهمزة * (فان قلت) كيف قال أولا ان كنتم موقنين وآخرا ان كنتم تعقلون (قلت) لان أولا فلما رأى منهم شدة التكميه في العناد وقلة الاصغاء الى عرض الحجج خاشن وعارض ان رسولكم لمجنون بقوله ان كنتم تعقلون (فان قلت) ألم يكن لا جعلنك أخصر من لاجعلنك من المسجونين ومؤداهما واحد (قلت) أما أخصرفهو أما ما ومؤداه فلان معناه لاجعلنك واحدا من عرفت حالهم في سجوني وكان من عادته أن يأخذ من يريد سجنه فيطرحه في هوة ذاهبة في الارض بعيدة العمق فرد لا يبصر فيها ولا يسمع فكان ذلك أشد من القتل وأشد * الواو في قوله (أولو جئتك) واو الحال دخلت عليها همزة الاستفهام معناه أتفعل بي ذلك ولو جئتك بشيء مبين أي جئتك بالمعجزة وفي قوله (ان كنت من الصادقين) أي أما يأتي بالمعجزة

ومارب العالمين قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين قال لمن حوله ألا تستمعون قال ربكم ورب آبائكم الاولين قال ان رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون قال لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين قال أولو جئتك بشيء مبين قال فات به ان كنت من الصادقين فالقى عصاه

* قوله تعالى حكاية عن فرعون قال فأت به ان كنت من الصادقين (قال فيه علم فرعون أنه لا يأتي بالمعجزة الا صادق في دعواه لان المعجزة تصديق من الله تعالى لمدعي النبوة والحكيم لا يصدق الكاذب ومن العجب ان فرعون لم يخف عليه هذا وخفي على طائفة من أهل القبلة حيث جوزوا التلبيس على الله تعالى حتى لزمهم تصديق الكاذبين بالمعجزات انتهى كلامه) قال أحمد ليته سلم وجه تضييقه من تأويل هذه الاباطيل وكلف هذا الكشاف في كيده لاهل السنة وان كيده لفي تضليل بل هو يعرض بتفضيل فرعون عليهم اذا هو قد حتم على اخوانه القدرية أنهم فراعنة وان كلا منهم اذا فتش نفسه وجد فيها نصيبا من فرعنته حيث يقول أنا ربكم الاعلى لانهم يعتقدون أن افعالهم خلقتهم وانهم لها مبدعون خالقون كذلك انهم هم المبتدعون المخترعون لانهم جروا على الله تعالى ان يفعل الاماتوا طأت أوهامهم على انه حسن بالنسبة الى الخلق في الشاهد ففر ثم أشركوا بوهم لا يشعرون ولما هدى الله تعالى أهل السنة الى التوحيد الحق اعتقدوا ان كل شيء هو مخلوق لله تعالى لا شريك له في ملكه وان كل ممكن يجوز ان ينتظمه سلطان القدرة الازلية في سلكه فكان من الممكنات ان يبتلي الله عباده بخرق العادات على أيدي الكاذبين ومراده اظهار الضلالات وقد اندرج ذلك الكون ممكنا تحت سطوة القدرة حقا بينا ثم لم يلزم من ذلك لله الحمد محذور في الدين (١٢٣) فان توهم ناظر بعين الهوى والغرض معنون عما في قلبه من مرض ان ذلك يجر الى عدم الوثوق بمعجزات الانبياء حيث كان على يد غيرهم من الكذابين الاشقياء قيل معاذ الله أن نأخذ ذلك بنفس مطمئنة بصدق الانبياء آمنة

فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين قال لملئه حوله ان هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون قالوا أرجه وأخاه وابعث في المدائن

بحصول العلم لهما من وقوع ما جوزه العقل ولو قدح الامكان العقل في علم حاصل يعتبر للزم الآن الشك في أن جبال الارض عشية عرفات صيرها الله تعالى غدا غير وانقلبت الجبال دما عبيطا لان ذلك ممكن في العقل بلا خلاف ولا اشكال نفسه في هذا الامكان الا نوخيل وعمته وعمي وعمه وأين الزمخشري من الحديث الصحيح في الشاب الذي يكذب الدجال فيقتله بالسيف جزلتين فيمشي بينهما ثم يقول له عد فيعود حيا فيقول له ما ازددت فيك الا بصيرة أنت الدجال الذي وصفه لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم به فلا يسلط عليه قال النبي صلى الله عليه وسلم وهو حينئذ خير أهل الارض أو من خير أهل الارض أفرأيت هذا المؤمن لما نظر اخراق العادة على يد أكذب الكاذبين حتى شاهد ذلك في نفسه لم يشك له ذلك في معلوم فلم يتلكأ في معاودة تكذيبه ولكن يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء * قوله تعالى قالوا أرجه وأخاه (قال معناه أخره ومنه المرجئة الذين لا يقطعون بوعيد الفساق ويقولون هم مرجون لامر الله) قال أحمد ضاقت عليه المسالك في تفسير الارجاء حتى استدل عليه بالمرجئة وصرف هذا اللقب لاهل السنة فانهم هم الذين لا يقطعون بوعيد فساق المؤمنين ويقولون أمرهم الى الله ان شاء عفا عنهم وان شاء عفر لهم وان صحت ان المرجئة هم المؤمنون بقوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء اللهم فاشهد أنا من حيث

احسبه

الخمسة (عاشرين) شرطا يحشرون السحرة وعارضوا قوله ان هذا لساحر بقولهم بكل سحار فجاؤا بالكلمة الاحاطة وصيغة المبالغة ليطابقوا من نفسه ويكذبوا بعض قلقه * وقرأ الاعمش بكل ساحر * اليوم المعلوم يوم الزينة وميقاته وقت الضحى لانه الوقت الذى وقته لهم موسى صلوات الله عليه من يوم الزينة فى قوله موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى والميقات ما وقت به أى حدد من زمان أو مكان ومنه مواقيت الاحرام (هل أنتم مجتمعون) استبطاء لهم فى الاجتماع والمراد منه استبطاؤهم واستحثاثهم كما يقول الرجل لغلامه هل أنت منطلق اذا أراد أن يحرك منه وبحثه على الانطلاق كالمتخيل له أن الناس قد انطلقوا وهو واقف ومنه قول تأبط شرا

هل أنت باعث دينار لحاجتنا * أو عبد رب أخاعون بن مخراق

يريد ابعثه الينا سريعا ولا تبطئ به (لعلنا نتبع السحرة) أى فى دينهم ان غلبوا موسى ولا نتبع موسى فى دينه وليس غرضهم باتباع السحرة وانما الغرض الكلى أن لا يتبعوا موسى فساقوا الكلام مساق الكناية لانهم اذا اتبعوهم لم يكونوا متبعين لموسى عليه السلام * وقرئ نهم بالكسر وهما لغتان ولما كان قوله (ان لنا لاجرا) فى معنى جواب الشرط لذلك لانه عليه وكان قوله (وانكم اذا لمن المقربين) معطوفا عليه ومدخلا فى حكمه دخلت اذا فارقة فى مكانها الذى تقتضيه من الجواب والجزاء وعدهم أن يجمع لهم الى الثواب على سحرهم الذى قدروا أنهم يغلبون به موسى القربة عنده والزلفى * أتصموا بغرة فرعون وهى من أيمان الجاهلية وهكذا كل حلف بغير الله ولا يصح فى الاسلام الا الحلف بالله معلما بعض أسمائه أو صفاته كقولك لا والله والرحمن وربى ورب العرش وعزة الله وقدرة الله وجلال الله وعظمة الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحلفوا بآبائكم ولا بأمهاتكم ولا بالطواغيت ولا تحلفوا الا بالله ولا تحلفوا بالله الا وأنتم صادقون ولقد استحدث الناس فى هذا الباب فى اسلامهم جاهلية نسيت لها الجاهلية الاولى وذلك أن الواحد منهم لو أقسم باسماء الله كلها وصفاته على شئ لم يقبل منه ولم يعتد بها حتى يقسم برأس سلطانه فاذا أقسم به قالت عنه هم جهد اليمين التى ليس وراءها حلف لحالف (مايا ما تكونن) ما تقلبونه عن وجهه وحقيقته بسحرهم وكيدهم وتزورونه فيخيل الى حبالهم وعصيهم أنها حيات تسعى بالقوة على الناظرين أو افكهم سمى ثلاث الاشياء افكا مبالغة * روى أنهم قالوا ان يك ما جاء به موسى سحرا فلن يغلب وان كان من عند الله فلن يخفى علينا فلما قذف عصاه فتلقفت ما تأتى به علموا أنه من الله فآمنوا وعن عكرمة رضى الله عنه أصبحوا سحرة وأمسوا شهداء * وانما عبر عن المرور بالالقاء لانه ذكر مع الالقاآت فسلك به طريق المشاكلة وفيه أيضا سر مراعاة المشاكلة أنهم حين رأوا ما رأوا لم يتمالكوا أن رموا بأنفسهم الى الارض ساجدين كأنهم أخذوا طرحوا طرحا (قال قال) فاعل الالقاء ما هو لو صرح به (قال) هو الله عز وجل عاجلهم من التوفيق أو اليأس منهم أو ما عاينوا من المعجزة الباهرة ولذلك أن لا تقدر قالا لان ألقوا بمعنى خروا وسقطوا (رب موسى وهرون) عطف بيان لرب العالمين لان فرعون لعنه الله كان يدعى الربوبية فأرادوا أن يعزلوه ومعنى اضافته اليهما فى ذلك المقام أنه الذى يدعوا اليه هذان والذى أجرى على أيديهما أجرى (فلسوف تعلمون) أى وبال ما تعلمتم * الضمير والصغير واحد أرادوا الاضرر علينا فى ذلك بل لنافيه أعظم النفع لما يحصل لنا فى الصبر عليه لوجه الله من تكفير الخطايا والثواب المعظم مع الاعواض الكثيرة أو لاضير علينا فيما تتوعدنا به من انقلبنا أنه لا بد لنا من الانقلاب الى ربنا بسبب من أسباب الموت والقتل أهون أسبابه وأرجاها أو لاضير علينا فى قتلك انك ان قتلتنا انقلبنا الى ربنا انقلاب من يطمع فى مغفرته ويرجو رحمته لما رأى فى اسبق الى الايمان وخبر لا محذوف والمعنى لاضير فى ذلك أو علينا (أن كنا) معناه لان كنا كانوا أول جماعة مؤمنين من أهل زمانهم أو من رعية فرعون أو من أهل المشهد وقرئ ان كنا بالكسر وهو من الشرط الذى يجئ به المدل بأمره المحقق لصحته وهم كانوا محققين أنهم أول المؤمنين وتطيره قول العامل لمن يؤخر جعله ان كنت عملت لك فوفنى حقى ومنه قوله تعالى ان كنتم خرجتم جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى مع علمهم أنهم لم يخرجوا الا لذلك * قرئ أسر بقطع الهمزة ووصلها وسر (أنكم متبعون) علل الامر بالاسراء باتباع فرعون وجنوده

حاشرين يأتوك بكل سحار عليم فجمع السحرة لميقات يوم معلوم وقيل للناس هل أنتم مجتمعون لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم اذا لمن المقربين قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون فألقى موسى عصاه فاذا هى تلقف ما يأفكون فألقى السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون قال آمنتم له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم الذى علمكم السحر فلسوف تعلمون لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين قالوا لا ضير انا الى ربنا منقلبون انا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا أول المؤمنين وأوحينا الى موسى أن أسر بعبادى انكم متبعون فأرسل فرعون فى المدائن حاشرين

* قوله تعالى ان هؤلاء لشرذمة قليلون (١٢٤) (قال قلهم من أربعة أوجه عبر عنهم بالشرذمة وهي تفيد القلة ثم وصفهم بالقلة

آثارهم والمعنى أني بنيت تدبير أمركم وأمرهم على أن تتقدموا وتتبعوكم حتى يدخلوا مدخلكم ويسلكوا مسلككم من طريق البحر فأطبقه عليهم فأهلكهم وروى أنه مات في تلك الليلة في كل بيت من بيوتهم ولد فاشتغلوا بموتاهم حتى خرج موسى بقومه وروى أن الله أوحى الى موسى أن اجمع بني اسرائيل كل أربعة أبيات في بيت ثم اذبحوا الجداء واضربوا بدمائها على أبوابكم فاني سآمر الملائكة أن لا يدخلوا بيتا على بابه دم وسآمرهم بقتل أبكار القبط وأخبرهم أخبرا فاطيرا فانه أسرع لكم ثم اسر بعبادي حتى تنتهي الى البحر فيأتيك أمري فأرسل فرعون في أثره ألف ألف وخمسمائة ألف ملك مسور مع كل ملك ألف وخرج فرعون في جمع عظيم وكانت مقدمته سبعمائة ألف كل رجل على حصان وعلى رأسه بيضة وعن ابن عباس رضي الله عنهما خرج فرعون في ألف ألف حصان سوى الاناث فلذلك استقل قوم موسى عليه السلام وكانوا ستمائة ألف وسبعين ألفا وسماهم شرذمة قليلين (ان هؤلاء) يحتج بهذا قول مضمر * والشرذمة الطائفة القليلة ومنها قولهم ثوب شراذم للذي بلي وتقطع قطعا ذكرهم بالاسم الدال على القلة ثم جمعهم قليلا بالوصف ثم جمع القليل بجعل كل حزب منهم قليلا واختير جمع السلامة الذي هو للقلة وقد يجمع القليل على أقلة وقال ويجوز أن يريد بالقلة الدلالة والقماءة ولا يريد قلة العدد والمعنى أنهم لقلتهم لا يبالى بهم ولا يتوقع غلبتهم وعلوهم ولكنهم يفعلون أفعالا تغيظنا وتصيبنا بصدورنا ونحن قوم من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم في الامور فاذا خرج علينا خارج سارعنا الى حسم فساده وهذه مفاذرا تشذرهم الى أهل المدائن ليتأهبوا لما يكسبهم من ظهوره وسلطانه * وقرئ حذرون وحاذرون وحادرون بالدال غير المعجمة فالحذر التيقظ والحاذر الذي يجدد حذره وقيل المؤدي في السلاح والفاعل ذلك حذر لاحتياط النفس والحادر السمين القوي

قال أحب الصبي السوء من أجل أمه * وأبغضه من بغضها وهو حادر

أراد أنهم أقوياء أشداء وقيل مدجمون في السلاح قد كسبهم ذلك حذارة في أجسامهم * وعن مجاهد سماها كثيرة لانهم لم ينقطعوا منها في طاعة الشهوات المقام الملكان يريد المنازل الحسنة والحالات البهية وعن الفضل الثاني وقيل الصرف المجال (كذلك) يحتمل ثلاثة أوجه النصب على أخرجناهم مثل ذلك الاخراج الذي وصفناه والجر على أنه وصف لمقام أي مقام كريم مثل ذلك المقام الذي كان لهم والرفع على أنه خبر لمبتدا محذوف أي الامر كذلك (فأتبعوهم) فلحقوهم وقرئ فاتبعوهم (مشرقين) داخلين في وقت الشروق من شرقت الشمس شروقا اذا طلعت (مبهدين) طريق النجاة من ادراكهم واشرافهم * وقرئ فلما تراءت الفئتان اذا المدركون بتشديد الدال وكسر الراء من ادرك اذا تتابع فقق ومنه قوله تعالى بل ادارك علمهم في الآخرة قال الحسن جهلوا علم الآخرة وقرئ مسناه بيت الحماسة

أبعد بني أمي الذين تتابعوا * أرجي الحياة أم من الموت أجزع

والمعنى المتتابعون في الهلاك على أيديهم حتى لا يبقى منا أحد * الفرق الجزء المتفرق منه وقرئ كل فلق والمعنى واحد * والطود الجبل العظيم المنطاد في السماء (وأزلفنا ثم) حبسنا ثم اطلق البحر (الآخرين) قوم فرعون أي قربناهم من بني اسرائيل أو أدنينا بعضهم من بعض وجمعناهم حتى لا يفوتهم أحد أو قدمناهم الى البحر وقرئ وأزلفنا بالقاف أي أزلفنا أقدامهم والمعنى أذهبنا عزهم كقوله

تذكرت مما بعدا وقتل عرشها * وذبيان اذ زلت بأقدامها النعل

ويحتمل أن يجعل الله طريقهم في البحر على خلاف ما جعله لبني اسرائيل يسافر لهم فيه * عن عطاء عن السائب أن جبريل عليه السلام كان بين بني اسرائيل وبين آل فرعون فكان يقول لبني اسرائيل ليلحق آخركم بأولكم ويستقبل القبط يقول رويدكم يلحق آخركم فلما انتهى موسى الى البحر قال له مؤمن آل فرعون وكان بين يدي موسى أين أمرت فهذا البحر امامك وقد غشيك آل فرعون قال أمرت بالبحر ولا يدري موسى

وجمع وصفهم ليعلم أن كل ضرب منهم قليل واختير جمع السلامة ليفيد القلة) قال أحمد ووجه آخر في تقليلهم يكون خامسا وهوان جمع الصفة والموصوف مفرد قد يكون مبالغة في الصوق ذلك الوصف

ان هؤلاء لشرذمة قليلون وانهم لنا لغائظون وانا لجميع حاذرون فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك وأورثناها بني اسرائيل فأتبعوهم مشرقين فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى انا لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين فأوحينا الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وأزلفنا ثم الآخرين وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ثم أغرقنا الآخرين

بالموصوف وتناهيه فيه بالنسبة الى غيره من الموصوفين به فقولهم معا يدجاع مبالغة في وصفه بالجوع فكذلك ههنا جمع قليلا وكان الاصل أن يراد به فصاعدا لشرذمة قليلة لا فرد في قوله كلهم من فئة قليلة ليدل بجمعه على تناهيهم في القلة ولكن ينبغي النظر في أن هذا السر يجري الوجوه المذكورة على ما هي عليه أو يسقط منها شيأ ويخلفه فتأمله والله الموفق

ما يصنع فأوحى الله تعالى اليه أن اضرب بعصاك البحر فضربه فصار فيه اثنا عشر طريقا لكل سبط طريق وروى أن يوشع قال يا كليم الله أين أمرت فقد غشينا فرعون والبحر أمامنا قال موسى ههنا فخاض يوشع الماء وضرب موسى بعصاه البحر فدخلوا وروى أن موسى قال عند ذلك يا من كان قبل كل شئ والمكون لكل شئ والكائن بعد كل شئ يقال هذا البحر هو بحر القلزم وقيل هو بحر من وراء مصر يقال له اساف (ان فى ذلك لآية) أية آية لا توصف وقد عاينها الناس وشاع أمرها فهم * وما تنبه عليها أكثرهم ولا آمن بالله وبنو اسرائيل الذين كانوا أصحاب موسى المخصوصين بالاتباع قد سألوا بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وطلبوا رؤية الله جهرة (وان ربك هو العزيز) المنتقم من أعدائه (الرحيم) بأوليائه * كان ابراهيم عليه السلام يعلم أنهم عبدة أصنام ولكنه سألهم ليريهم أن ما يعبدونه ليس من استحقاق العبادة فى شئ كما تقول للتاجر ما مالك وأنت تعلم أن ماله الرقيق ثم تقول له الرقيق حمال وليس بمال * (فان قلت) (ما تعبدون) سؤال عن المعبود بحسب فكان القياس أن يقولوا أصناما كقوله تعالى ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو ماذا قال ربكم قالوا الحق ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا (قلت) هؤلاء جاءوا بقصة أمرهم كاملة كالمبهوتين واوا المفحمين فاشتملت على جواب ابراهيم وعلى ما قصدوه من اظهار مبلغ نفوسهم من الابتهاج والافتخار الا ترى كيف عطفوا على قولهم نعبد (فنظل لها عاكفين) ولم يقتصروا على زيادة نعبد وحده وشأنه أن تقول بعض الشطار ما تلبس فى بلدك فيقول ألبس البرد الاصفهانى فأجر ذيله بين جوارى الحى وانما قالوا نظل لانهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل * لابد فى (يسمعونكم) من تقدير حذف المضاف معناه هل يسمعون دعاءكم * وقرأ قتادة بسمعونكم أى هل يسمعونكم الجواب عن دعائكم وهل يقدرون على ذلك وجاءت عبارة واحدة فى اضافى حكاية الحال الماضية ومعناه استحضروا الاحوال الماضية التى كنتم تدعونها وقولوا هل سمعوا أو اسمعوا فقط وهذا أبلغ فى التبكيت * لما أجابوه بجواب المقلدين لآبائهم قال لهم هبوا أن تقليدكم هذا الى أقصى غاياته وهى عبادة الاقدمين الاولين من آبائكم فان التقدم والاولية لا يكون برهانا على الصحة والباطل لا ينقلب حقا بالقدم وما عبادة من عبد هذه الاصنام الا عبادة أعداء لهم ومعنى العداوة قوله تعالى كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا ولان الضرر على عبادتها أعدى أعداء الانسان وهو الشيطان وانما قال (عدو لى) تصويرا للمسئلة فى نفسه على معنى أنى فكرت فى أمرى فرأيت عبادتى لها عبادة للعدو فاجتنبتها وآثرت عبادة من الخير كله منه وأراهم بذلك أنها نصيحة صحيح بها نفسه أولا وفى ضمن هذا أمر لهم بالنظر والتفكر ليقفوا على ما انتحله ابراهيم لا بعنف به نفسه وما أراد الا الامر أو لغرض وجه لكيون أدعى لهم الى القبول وأبعث على الاستماع منه ولو قال فانه عدو لكم لكن بتلك الشبابة ولانه دخل فى باب من التعريض وقد بلغ التعريض للنصوح ما لا يبلغه التصريح لانه يتأتى فيه فرط عناده التأمل الى التنصل ومنه ما يحكى عن الشافعى رضى الله تعالى عنه أن رجلا واجهه بشئ فقال له ان كنت صبيت أنت لاحسنت الى أدب وسمع رجل ناسا يجحدون فى الخبز فقال ما هو بينى ولا بينكم والعدو والصديق يجتمعان فى معنى الوحدة وانما يختلفان فى قوله

وقوم على ذوى مرة * أراهم عدوا وكانوا صديقا

ومنه قوله تعالى وهم لكم عدو شم الصادر للموازنة كالقبول والولوع والطلب والصهيل (الا رب العالمين) استثناء منقطع كأنه قال ولكن رب العالمين (فهو يهدين) بربوبيته حين أتم خلقه ونفخ فيه الروح عقب ذلك هدايته المتصلة التى لا تنقطع الى كل ما يصلحه ومنه والذى هداه الى أن يقتدى بالدم فى البطن استدلا صوا من هداه الى معرفة الثدى عند الولادة والى معرفة مكانه ومن هداه لكيفية الارتضاع الى غير ذلك من هدايات المعاش والمعاد * وانما قال (مرضت) دون أمرضنى لان كثيرا من أسباب المرض يحدث بتفريط من الانسان فى مطاعمه ومشاربه وغير ذلك ومن ثم قالت الحكماء الموقى لاكثر الموتى ما سبب

ما تنفرط الانسان فى مطاعمه ومشاربه) قال أحمد والذى ذكره غير الزمخشرى أن

ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم واتل عليهم نبأ ابراهيم اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين قال هل يسمعونكم اذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الاقدمون فانهم عدو لى الا رب العالمين الذى خلقنى فهو يهدين والذى هو يطعمنى ويسقين واذا مرضت فهو يشفين والذى يميتنى ثم يحيين والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين رب هب لى حكما وألحقنى بالصالحين واجعل لى لسان صدق فى الآخرين واجعلنى من ورثة جنة النعيم واغفر لابى انه كان من الضالين ولا تخزنى يوم

السر فى اضافة المرض الى نفسه التأدب مع الله تعالى بتخصيصه

بنسبة الشفاء الذى هو نعمة ظاهرة اليه تعالى ولعل الزمخشرى انما عدل عن هذا الان ابراهيم عليه السلام قد أضاف الاماتة الى الله تعالى وهى أشد من المرض فلم يثبت عنده المعنى المذكور ولكن المعنى الذى أبداه الزمخشرى أيضا فى المرض ينكسر بالموت فان المرض

آبائكم لقالوا اللهم * وقرئ خطاياي والمراد ما يندر منه من بعض الصغائر لان الانبياء معصومون مختارون على العالمين وقيل هي قوله انى سقيم وقوله بل فعله كبيرهم وقوله انه اسارة هي أختي وما هي الا ممارضات كلام وتخييلات للكفرة وليست بخطايا يطلب لها الاستغفار (فان قلت) اذا لم يندر منهم الا الصغائر وهي تقع مكفرة بما له أثبت لنفسه خطيئة أو خطايا وطمع أن تغفر له (قلت) الجواب ما سبق لي أن استغفار الانبياء تواضع منهم لربهم وهضم لانفسهم ويدل عليه قوله أطمع ولم يجزم القول بالمغفرة وفيه تعليم لامتهم وليكون لطفا لهم في اجتناب المعاصي والحذر منها وطلب المغفرة مما يفرط منهم (فان قلت) لم علق مغفرة الخطيئة يوم الدين وانما تغفر في الدنيا (قلت) لان أثرها يتبين يومئذ وهو الاثم خفي لا يعلم * الحكم الحكمة أو الحكم بين الناس بالحق وقيل النبوة لان النبي ذو حكمة رد وحكم من عباد الله * والالحاق بالصالحين أن يوفقه لعمل يستظهر به في جلتهم أو يجمع بينه وبينهم في الجنة ولقد أجابه حيث قال وانه في الآخرة لمن الصالحين * والاخزاء من الخزي وهو الهوان ومن الخزاية وهي الحياء وهذا أيضا من نحو استغفارهم مما علموا أنه مغفور وفي (يبعثون) ضمير العباد لانه معلوم أو ضمير السائلين أن جعل من جملة الاستغفار لابيه يعني ولا تخزني يوم يبعث الضالون ولبئ فيه (الا من أتى الله) الا حال من أتى الله (بقلب سليم) وهو من قولهم

* تحية بينهم ضرب وجيع * ومآثره الا السيف بينهم أن يقال لك هل لزيد مال وبنون فتقول ماله ونحوه سلامة قلبه تربية المال والبنين عنه واثبات سلامة القلب له بدلا عن ذلك وان شئت حملت الكلام على المعنى وجعلت المال والبنين في معنى الغنى كأنه قيل يوم لا ينفع غنى الا غنى من أتى الله بقلب سليم لان غنى الرجل في دينه بسلامة قلبه كما أن غناه في دنياه بماله وبنيه ولك ان تجعل الاستثناء منقطعا ولا تبالي مع ذلك من تقدير المضاف وهو المال والمراد بسلامة القلب وليست هي من جنس المال والبنين حتى يؤول المعنى الى أن المال والبنين لا ينفعان وانما ينفع سلامة القلب ولو لم يقدر المضاف لم تحصل للاستثناء معنى وقد جعل من معمولا لينفع أي لا ينفع مال ولا بنون الا رجلا سلم قلبه مع ماله حيث أنفقه في طاعة الله ومع بنيه حيث أرشدهم الى الدين وعلمهم الشرائع ويجوز على هذا الامن أتى الله بقلب سليم من فتنة المال والبنين ومعنى سلامة القلب سلامته من آفات الكفر والمعاصي وعما أكرم الله تعالى به خليله ونبه على جلالة محله في الاخلاص أن حكى استثناءه هذا حكاية راض بما سأله فيه فرجح له صفة لما في قوله وان من شيعته لابراهيم اذ أناب ربه بقلب سليم ومن بديع التفاسير تفسير بعضهم السليم بالذبيح من نخشبة لتواخي آخر هو الذي سلم وسلم وأسلم واستسلم وما أحسن ما رتب ابراهيم عليه السلام كل مدعو المشركين حين سألهم أولا عما يعبدون سؤال مقرر لا مستفهم ثم أتبعه على أنهم فاطل أمرها بانها لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع وعلى تقليدهم آباءهم الاقدمين فكسره وأخرجه من أن يكون شبهة فضلا أن يكون حجة ثم صور للمسئلة في نفسه ونهم حتى تخلص منها الى ذكر الله عز وعلا فنبههم شأنه وعدد نعمته من الدين خلقه وانشأه الى حين وفاته مع ما ير جى له في الآخرة من رحمته ثم أتبع ذلك ان دعا مدعوات الخلصين وأهل الجنة الى الاوابين ترغيبا لها في كرمهم الثواب الله وعقابه وما يدفع اليه المشركون يومئذ من الندم والحسرة على ما كانوا فيه من الضلال وفي النكرة الى الدنيا والموت وطلبوا * الجنة تكون في بينة من موقف السعداء ينظرون اليها ويتمنون أنهم المخترون اليها والنار تكون بارزة مكشوفة للاشقياء يرى أنهم يتحسرون على أنهم المسوقون اليها قال الله تعالى وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد وقال فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا * يجمع عليهم الغي وهو كلها والحسرات فتجعل النار يرى منهم فيها كما يتلقى غطة ويرى خون على أسرارهم فيقال لهم أين آلهتكم هل ينفعونكم بنصرتهم لكم أو هل ينتصرون أنفسهم بانتصارهم لانهم وآلهتهم وقود النار وهو قوله (فكبكبوا فيها هم) أي الآلهة (والغاوون) وعبدتهم الذين برزت لهم الجحيم * والتكبكبة تكرير الكب جعل التكرير في اللفظ دليلا على التكرير

*قوله تعالى قل لناس شافعين ولا صديق حميم (قال اجتماع الشافعون ووحد الصديق لكثرة الشفعاء في العادة اذا نزل بانسان خطب من يعرفه ومن لا يعرفه وأما الصديق فقليل) قال أحمد الصديق يقع على الواحد وعلى الجمع فهذا الدليل على ارادة الافراد ثم لو كان المراد الافراد لكان أعم لانه في سياق النفي فيتفي الواحد فما زاد عليه اذ بالانهاية له (١٣٧) والله أعلم *قوله تعالى كذبت

في المعنى كأنه اذا ألقي في جهنم يتكسب مرة بعد مرة حتى يستقر في قعرها اللهم أجرنا منها بالخير مستجار
(وجنود ابليس) شياطينه أو متبعوه من عصاة الجن والانس *ويجوز أن ينطق الله الاصنام حتى يصح التقاول والتخاصم ويجوز أن يجري ذلك بين العصاة والشياطين *والمراد بالمجرمين الذين أضلوهم ورؤساؤهم وكبراؤهم كقوله ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا وعن السدي الاولون الذين اقتدى بهم وعن ابن جريج ابليس وابن آدم القاتل لانه أول من سن القتل وأنواع المعاصي (شافعين) كالذي المؤمنين لهم شفعاء من الملائكة والنبيين (ولا صديق) كالذي لهم أصدقاء لانه لا يتصادق في الآخرة الا المؤمنون وأما أهل النار فبينهم التعادي والتباغض قال الله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين أو فما لنا من شافعين ولا صديق حميم من الذين كانوا عندهم شفعاء وأصدقاء لانهم كانوا يعتقدون في أصنامهم أنهم شفعاؤهم عند الله وكان لهم أصدقاء من شياطين الانس أوأرادوا أنهم وقعوا في مهلكة عدم أن الشفعاء والاصدقاء لا ينفعونهم ولا يدفعون عنهم فنفوا عنهم نفي ما يتعلق بهم من النفع لان مالا ينفع بحكمه حكم المعدوم *والحميم من الاحتمام وهو الاهتمام وهو الذي يهمه ما يهمك أو من الحامة بمعنى الخاصة وهو الصديق الخاص (فان قلت) فجمع الشافع ووحد الصديق (قلت) لكثرة الشفعاء في العادة وقلة الصديق ألا ترى ان الرجل اذا مضى بأرجاء من ظالم نهضت جماعة وافرة من أهل بلده لشفاعته رحمة له وحسبة وان ليس له أكثر هم معرفة وأما الصديق وهو الصادق في ودادك الذي يهمه ما أهمك فأعز من بيض الانوق وعن بعض الحكماء أنه سئل عن الصديق فقال اسم لا معنى له ويجوز أن يريد بالصديق الجمع *الكثرة الوحدة في الذكر *ولو في مثل هذا الموضع في معنى النفي كأنه قيل طلبت لنا كثيرا فذكرنا لنا من معنى لو وليت من التلاق في التقدير ويجوز أن تكون على أصلها ولو يحذف الجواب وهو لتعلقنا كيت وكيت *التوم مؤنثة وتصغيرها تويمة *وتفسير قوله (المرسلين) بالرادوح عليه السلام قولك فلان يركب الدواب ويلبس البرود وماله الا دابة برد *قيل أخوهم لانه كان منهم من قول العرب يا أخا تميم يريدون يا واحدا منهم ومنه بيت الحماسة

لا يسألون أخاهم حين يندبهم * في النائبات على ما قال برهانا

*كان أصنامهم مشهورا بالامانة كمحمد صلى الله عليه وسلم في قريش (وأطيعون) في نصحي لكم وفي ما أدعوكم اليه من الحق (عليه) على هذا الامر وعلى ما آتانيه بمعنى دعائه ونصحه ومعنى فاتقوا الله وأطيعون فاتقوا الله في طاعتي وكرر لفظ كذبه عليهم وبكرره في نفوسهم مع تعليق كل واحد منهما بعلة جعل علة الاول كونه أصلا لما عليهم وفي الثاني حتم طعمه عليهم *وقرئ وأتباعك جمع تابع كشاهد وأشهاد أو جمع تبع كبطل وأبطال والواو للحال وحقها أن تضمر بعدها قدي واتبعك * وقد جمع الارذل على الصحة وعلى التكسير في قوله الذين هم أراذلنا والرذل الدنيء الخسيس والدناءة انما استرذلوهم لاتباع نسبهم وقلة نصيبهم من الدنيا وقيل كانوا من أهل الصناعات الدنية كالحياكة والحجامة والصناعة لا تزري بالديانة وهكذا كانت قريش تقول في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومازالت أتباع الانبياء كذلك حتى صارت من سماتهم وأماراتهم ألا ترى الى هرقل حين سأل أبا سفيان عن اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قال ضعفاء الناس وأراذلهم قال مازالت أتباع الانبياء كذلك وعن ابن عباس رضي الله عنهم اياهم الدناءة وعن عكرمة الحاكة والاساكفة وعن مقاتل السفلة (وما علمي) وأي شيء علمي والمراد انتفاء علمها خلاص أعمالهم لله واطلاعه على سرائرهم وبواطنه وانما قال هذا لانهم قد طعنوا مع استرذالهم في ايمانهم وأنهم

وجنود ابليس أجمعون قالوا وهم فيما يختصمون تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين وما أضلنا الا المجرمون فما لنا من شافعين ولا صديق حميم فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت قوم نوح المرسلين اذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون اني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان أجري الا على رب العالمين فاتقوا الله وأطيعون قالوا أنؤمن لك واتبعك الارذلون قال وما علمي بما كانوا يعملون ان حسابهم الا على ربي

وبرد) قال أحمد لا حاجة الى تأويل الجمع بالواحد ههنا مع القطع بان كل من كذب رسولا واحدا فقد كذب جميع الرسل لانه ما من نبي الا ويشتد حسده على المعجزة الدالة على الصدق فقد كذبوا كل من استشهد في دليل المعجزة وكذلك وقعت الاشارة بقوله تعالى لا نفرق بين أحد من رسله لان التفرقة بينهم توجب تكذيب الكل وتصديق واحد يوجب تصديق الكل والله أعلم

* قوله تعالى أتبنون بكل ريع آية تعبثون (قال كانوا يهتدون في أسفارهم بالنجوم فاتخذوا في طرقهم أعلاما فعبثوا بذلك اذ النجوم فيها غنية عنه وقيل المراد القصور المشيدة وقيل بروج الحمام) قال أحمد وتأويلها على القصور أظهر وقد ورد ذم ذلك على لسان نبينا صلى الله عليه وسلم حيث وصف الكائنين آخر الزمان بانهم يتطاولون في البنيان وما أحسن قول مالك رضي الله عنه ولا يصلى الامام على شئ أرفع مما عليه أصحابه كالدكالة تكون هي قعة في المحراب ارتفاعا كبيرا لانهم يعبثون فيعبر عن ترفعهم الى المحراب على سبيل التكبر ومطاولتهم المؤمنين بالبيت (١٣٨) كتعبيرهو بصلوات الله عليه وسلامه عن ترفع قومه في البنيان بالعبث وأما

تأويل الآية على اضدادهم الاعلام في

لو تشعرون وما أنا بطارد المؤمنين ان أنا الا نذير مبين قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين قال رب ان قومي كذبون فافتح بيني وبينهم فتحا ونجني ومن معي من المؤمنين فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون ثم أغرقنا بعد الباقين ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت عاد المرسلين اذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون ان لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان أجري الا على رب العالمين أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون واذا بطشتم بطشتم جبارين فاتقوا الله وأطيعون واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون اني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم

من

قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين ان هذا الا خلق الاولين وما نحن بمعذبين فكذبوه فأهلكناهم ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون اني لكم رسول أمين

لم يؤمنوا عن نظر وبصيرة وانما آمنوا هوى وشهوة كما حكى الله عنهم في قوله الذين هم أراذلنا بادي الرأي ويجوز أن يتعالى لهم نوح عليه السلام فيفسر قولهم الارذلين بما هو الرذالة عنده من سوء الاعمال وفساد العقائد ولا يلتفت الى ما هو الرذالة عندهم ثم يبني جوابه على ذلك فيقول ما على* الاعتبار الظواهر دون التفتيش عن أسرارهم والشق عن قلوبهم وان كان لهم عمل سيئ فالله تحاسبهم وتجازيهم عليه وما أنا الا منذر لا محاسب ولا مجاز (لو تشعرون) ذلك ولكنكم تجهلون فتنساقون مع الجهل حيث سيركم وقصد بذلك رد اعتقادهم وانكار أن يسمى المؤمن رذلا وان كان أفقر الناس وأوضعهم نسبا فان الغنى غنى الدين والنسب نسب التقوى (وما أنا بطارد المؤمنين) يريد ليس من شأني ان أتبع شهواتكم وأطيب نفوسكم بطرد المؤمنين الذين صح ايمانهم طمعا في ايمانكم وما على الا أن أنذركم انذارا مبينا بالبرهان الصحيح الذي يتميز به الحق من الباطل ثم أنتم أعلم بشأنكم* ليس هذا اخبارا بالتكذيب لعلمه أن عالم الغيب والشهادة أعلم ولكنه أراد أني لا أدعوكم عليهم لما غاظوني وآذوني وانما أدعوكم لاجلك ولاجل دينك ولانهم كذبوني في وحيك ورسالتك* فاحكم (بيني وبينهم) والفتاحة الحكومة والفتاح الحاكم لانه يفتح المستغلق ناهي فيصل لانه يفصل بين الخصومات* الفلك السفينة وجمعه فلك قال الله تعالى وترى الفلك فيه مواخر فلو اسد يوزن فعل والجمع يوزن أسد كسر وأفعل على فعل كسروا فعلا على فعل لانهما الخران في قولك العرب والعرب والرشد والرشد فقالوا أسد وأسد وفلك وفلك ونظير سبع سبعان وابل هجان وذريع دلاص وذروع دلاص فالواحد يوزن كتاب والجمع يوزن كرام* والمشحون المملوء قال شحنها عليهم فتيلا ورجالا* قرئ بكل ريع بالكسر والفتح وهو المكان المرتفع قال السليب بن علس

في الاكل يرفعها وينفضها * ريع يلوح كأنه سعل

ومنه قولهم كم ريع أرضك وهو ارتفاعها* والآية العلم وكانوا ممن يهتدون بالنجوم في أسفارهم فاتخذوا في طرقهم أعلاما فطولوا بذلك لانهم كانوا مستغنين عنها بالنجوم وعن عجاهد بنوا بكل ريع بروج الحمام* والمصانع مآخذ الماء وقيل القصور المشيدة والحصون (لعلكم تخلدون) ترجون الخلود في الدنيا أو تشبه حالكم حال من يخلد وفي حرف أبي كأنكم* وقرئ تخلدون بضم التاء مخففا ومشددا (واذا بطشتم) بسوط أو سيف* كان ذلك ظلما وعلوا وقيل الجبار الذي يقتل ويضرب على الغضب وعن الحسن تبادرون بتهجيل العذاب لا تتبثون متفكرين في العواقب* بالغ في تنبيههم على نعم الله حيث أبهاها ثم فصلها مستشهد بعلمهم وذلك أبلغ لتظهم من مستة تعلمهم عنها حين قال (أمدكم بما تعلمون) ثم عدد ها عليهم وعرفهم المنعم بتعديد ما يعلمون من نعمه وأنه كما قدر أن يتفضل عليكم بهذه النعمة فهو قادر على الثواب والعقاب فاتقوه ونحوه قوله تعالى ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد* (فان قلت) كيف قرن البنين بالانعام (قلت) هم الذين يعنونهم على حفظها والقيام عليها* (فان قلت) لو قيل (أوعظت) أم لم تعظ كان أخصر والمعنى واحد (قلت) ليس المعنى واحد وبينهما فرق لان المراد سواء علينا أفعلت هذا الفعل الذي هو الوعظ أم لم تكن أصلا

الطرقات وقد كانت لهم النجوم كفاية فيه بعد من حيث ان الحاجة تدعو الى ذلك لغير مطيق وما يجري مجراه ولو وضع هذا في زماننا اليوم لهذا المقصد لم يكن عبثا والله أعلم

من أهله وعاشر به فهو أبلغ في قلة اعتدادهم بوعظه من قولك ألم تعظ * من قرأ خلق الأولين بالفتح فمعناه أن ما حدثت به اختلقان الأولين وتخرصهم كما قالوا أساطير الأولين أو ما خلقنا هذا الخلق القرون الخالية نحيا كما حيوا وعوتب كما ماتوا ولا بعث ولا حساب ومن قرأ خلق بضمتين فمعناه ما هذا الذي نحن عليه من الدين الا خلق الأولين وعاداتهم كانوا يدينونه ونعتقدونه ونحن بهم مقتدون أو ما هذا الذي نحن عليه من الحياة والموت الا عادة لم يزل عليها الناس في قديم الدهر أو ما هذا الذي جئت به من الكتب الا عادة الأولين كانوا يلفقون مثله ويسطرونه (أئن لكم) لجوز أن تكون الهمزة للانكار الذي يتركون في نعيمهم لا يزالون عنه وأن يكون تذكيرا بالنعمة في تخلية الله إياهم وما يتعمونه فيه من الجنات وغير ذلك مع الأمن والدعة (فما هنا) في الذي استقر في هذا المكان من النعيم ثم فسره بقوله (في جنات وعيون) وهذا أسماء الجمال ثم تفصيل * (فإن قلت) لم قال (ونخل) بعد قوله في جنات والجنة تتناول النخل أول شيء كما يتناول النعم الإبل كذلك من بين الأزواج حتى أنهم ليسمون الجنة ولا يقصدون الا النخيل كما يسمون النعم ولا يريدون الا الإبل قال (هضيم) وفي وصف جنة محمد (ما) فيه وجهان أن يخص النخل بالإفراد بعد دخوله في جملة سائر الشجر تنبيها على الفرد عنه لفضله عليها وأن يريد بالجنات الشجر لا ان لفظ يعم لذلك خص النخل * الطلع هو الذي يطلع من النخلة كأنصل السيف في جوفه ثمار يخرج القنو والقنو اسم للعذق مع الجمع كالهجان وهو ما يجتنى منه والهضيم اللطيف الداخل من قولهم كشح هضيم وطلع ابنات النخل فيه لطف في طلع الفحل حتى ولد كذلك طلع البرني ألطف من طلع اللون فذكر هضيما للفرق بين وهضيم أحد الفحل وأنثى هضيم لان الانات يولدن التمر والبرني أجود التمر وأطيبه ويجوز ان يريد أن ثمارها أصابت جودة نباتها ونسمة الماء وطيب من الماهات فخيلت الفحل الكثير واذا كثر الفحل هضم واذا قل ما فاخر فوقيل الهضيم اللين النضج كلطلح وقرئ هضيم * فرهين بطرين * (فرهين) بمعنى طلع الطلع وقرئ فرهين وفارهين والمرح هو الكيس والنشاط ومنه فرس فاره لنشيط الأمر وان تستعمله طائعا الا الأشر الطغيان أو جعل الأمر معنا على الخبار الكيس والمراد الأمر بموسى قولهم الشعلى أمر مطاعة وقوله تعالى وأطيعوا أمري (فان قلت) ما فائدة قوله (ولا يصلحون) (قلت) فائدته أن فسادهم فساد محض ليس معه شيء من الصلاح كما تكون حال بعض المفسدين مخلوطة ببعض الصلاح * السحر الذي سحرت به حتى غلب على عقلك وقيل هو من السحر الرئة وهو يشر * الشرب النصيب من الماء نحو السقي والقسم للحظ من السقي والقوت وقرئ بالضم روي أنهم قالوا لها ريدانك عشرا تخرج من هذه الصخرة فتلد عشرة فتدصخ بحملها فكر ذلك له جبريل عليه السلام فسل ركضتين وسل ربك الناقة ففعل فخرجت الناقة وركضت بين أيديهم وتحت بطنها ولدها العظم وعن أبي موسى رأيت مصدرها فاذا هو مثل ذراع من قناة فاذا كان يوم شربها شربت ماءهم كله ولهم شرب يوم لا تشرب فيه الماء (بسوء) بضرب أو عقر أو غير ذلك * عظم اليوم لطول العذاب فيه ووصف اليوم بأليم من وصف العذاب لان الوقت اذا عظم بسببه كان موقعه من العظم أشد * وروي أن مسطدا ألجأها الى مضيق في شعب فرماها بسهم وأصاب حلقها فعقرت ثم خسر إقدار وروي أن عاقر هاقال لأعقرها حتى ترضوا جميعا فكانوا يدخلون على المرأة في خدرها فيقولون أترضين فتقول نعم وكذلك صبيانهم * (فان قلت) لم أخذهم العذاب وقد عقروا (قلت) لرضى كان منهم ثم ندموا تائبين ولكن ندمهم لم يجدهم شيئا ان ندم على العقر عقارا ما حلا كمن يرى في بعض الأمور رأيا فاسدا ويبني عليه ثم يندم ويحسر كندامة الكسعي أو ندموا ندم تائبين ولكن في غير وقت التوبة وذلك عند معاينة العذاب وقال الله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات الآية وقيل كانت ندامتهم على ترك الوثوق به * واللام في العذاب اشارة الى عذاب يوم عظيم * أراد يا ملأ المالين الناس أي أتأتون من بين أولاد آدم عليه السلام على فرط كثيرهم وتفاوت أجناسهم وغلبة اناثهم على ذكورهم في الكثرة ذكرانهم كأن الاناث قد أعوزتكم أو أتأتون أنتم من بين سائر العالمين الذكران دون أن يأتي قوم لوط وسدكم تختصون بهذه الفاحشة والعالمون من هنا

فاتقوا الله وأطيعون
وما أسئلكم عليه من
أجر ان أجري الا على
رب العالمين أتتركون
فيما ههنا آمنين في
جنات وعيون وزروع
ونخل طلعها هضيم
وتنحتون من الجبال
بيوتا فارهين فاتقوا الله
وأطيعون ولا تطيعوا
أمر المسرفين الذين
يفسدون في الأرض
ولا يصلحون قالوا انما
أنت من المسحرين
ما أنت الا بشر مثلنا
فأت بآية ان كنت من
الصادقين قال هذه
ناقة لها شرب ولكم
شرب يوم معلوم ولا
تمسوها بسوء فيأخذكم
عذاب يوم عظيم فعقروها
فأصبحوا نادمين
فأخذهم العذاب
ان في ذلك لآية وما
كان أكثرهم مؤمنين
وان ربك لهو العزيز
الرحيم كذبت قوم لوط
المرسلين اذ قال لهم
أخوهم لوط ألا تتقون
اني لكم رسول أمين
فاتقوا الله وأطيعون
وما أسئلكم عليه من
أجر ان أجري الا على
رب العالمين أتأتون
الذكران من العالمين
وتذرون ما خلق لكم
ربكم من

* قوله تعالى أتأتون الذكران من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون (قال تحتمل أن يكون من أزواجكم بيانا لما خلق وأن يكون للتبعيض ويراد به العضو المباح منهن وفى قراءة ابن مسعود مما أصلح لكم ربكم من أزواجكم فكانهم كانوا يفعلون ذلك بنسائهم) قال أحمد وقد أشار الزمخشري بهذه الاشارة الى الاستدلال بهذه الآية على حظر اتيان المرأة فى غير المأتى وبيانه ان من لو كانت بيانا لكان المعنى حينئذ على ذمهم بترك الازواج ولا شك ان ترك الازواج مضموم الى اتيان الذكران وحينئذ يكون المنكر عليهم الجمع بين ترك الازواج واتيان الذكران لا أن ترك الازواج وحده منكر ولو كان الامر كذلك لكان النصب فى الثانى متوجها على الجمع وكان اما الافصح أو المتعين وقد اجتمعت العامة على القراءة به مرفوعا ولا يتفقون على ترك الافصح الى ما لا مدخل له فى الفصاحة أو الجواز أصلا فالموضع ذلك تبين ان هذا المعنى غير مراد فيتعين حمل من على البعضية فيكون المنكر عليهم أمرين كل واحد منهما مستقل بالانكار أحدهما اتيان الذكران والثانى مجانبة اتيان النساء فى المأتى رغبة فى اتيانهن فى غيره وحينئذ يتوجه الرفع لغوات الجمع اللازم على الوجه الاول واستقلال كل واحد من هاتين العظيمتين بالتكبير والله الموفق * قوله تعالى قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين (قال أى من جملة من أخرجناه (١٣٠) ولعلهم كانوا يخرجون من أخرجوه على أسوأ حال من تعنيف به واحتباس لا ملاكه واشباه ذلك)

قال أحمد وكثيرا ما يورد فى القرآن خصوصا فى هذه السورة العدول عن التعبير بالفعل الى التعبير

أزواجكم بل أنتم قوم عادون قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين قال انى لعملكم من القالين رب نجنى وأهلى مما يعملون فنجيناه وأهله أجمعين الا عجوزا فى الغابرين ثم دمرنا الآخرين وأمطرنا عليهم مطرا فساء

القول كل ما يتكلم من الحيوان (من أزواجكم) يصح أن يكون تبيينا لما خلق وأن يكون للتبعيض ويراد بما خلق العضو المباح منهن وفى قراءة ابن مسعود مما أصلح لكم ربكم من أزواجكم وكانهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم * العادى المتعدى فى ظلمه المتجاوز فيه الحد ومعناه أنتم بكونهذه المعصية على عظمها بل أنتم قوم عادون فى جميع المعاصى فهذا من جملة ذلك أو بل أنتم قوم أخصاء بأن توصفوا بالعدوان حيث ارتكبتم مثل هذه الفظيعة (لئن لم تنته) عن نهينا وتقبيح أمرنا (لتكونن) من جملة من أخرجناه من بين أظهرنا وطردناه من بلادنا واعلم انهم كانوا يخرجون من أخرجوه على أسوأ حال من تعنيف به واحتباس لا ملاكه وكان يكون حال الظلمة اذا أجلوا بعض من يعضون عليه وكان بفعل أهل مكة حين يريد المهاجرة * و(من القالين) أبلغ من أن يقول انى لعملكم قال كما تقول فلان من العلماء فيكون أبلغ من قولك فلان عالم الا ترى شهادة الله بكونه معدودا فى زمرتهم ومعرفته مساهتهم فى العلم وتحوا أن يريد من الكاملين فى قلاكم والقلى البغض الشديد كانه يغض بقلى الفؤاد الكبد وفى هذا دليل على عظم المعصية والمراد القلى من حيث الدين والتقوى وقد تقوى هذا الدين فى دين الله حتى تترب كراهتها للعاصى من الكبائر هذا الجبلية (مما يعملون) من عقوبة عملهم وهو الظاهر ويحتمل أن يريد التعيبة العصمة * (فان قلت) فما معنى قوله (فنجيناه وأهله أجمعين الا عجوزا) (قلت) معناه أنه عصمه وأهله من ذلك الا العجوز فانها كانت غير معصومة منه لكونها راضية به وعصمة عليه وسخطة والراضى بالمعصية فى حكم العاصى (فان قلت) كان أهله مؤمنين ولا ذلك للطالب لهم النجاة فكيف استثنيت الكافرة منهم (قلت) الاستثناء اخراج من الاهل وفى هذا الاسم ايهام انهم شركة بحق الزوجية وان لم تشاركهم فى الايمان (فان قلت) (فى الغابرين) صفتها كانه قيل الا عجوزا غابرة ولم يكن الغبور صفة لها وقت تجيئهم (قلت) معناه الا عجوزا مقدرا غبورها ومعنى الغابرين فى العذاب والهلاك غبر الناجين فيقال انها هلكت مع من خرج من القرية مما أمطر عليهم من الحجارة والمراد بتدميرهم الاستئصال بهم * وأما الامطار فمن قادة أمطر الله على

بالصفة المشتقة ثم جعل الموصوف بها واحدا من جمع كقولهم فرعون لاحقانك من الموصوفين

وقولهم سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين وقولهم لتكونن من المرجومين وقوله انى لعملكم من القالين هذا

وقوله تعالى فى غير هذا رضوا بان يكونوا مع الخوالف وكذلك ذرنا نكن مع القاعدين واعماله كثيرة والسر فى ذلك والله أعلم ان التعبير بالفعل انما يفهم وقوعه حاصلة وأما التعبير بالصفة ثم جعل الموصوف بها واحدا من جمع فانه يفهم أمرا زائدا على وقوعه وهو أن الصفة المذكورة كالصفة الموصوف بها حتى كانه من طائفة صارت كالنوع لتلك الموصوف وبهذا الشعور بعض السمات الرديئة واعتبر ذلك لو قلت رضوا بأن يخلفوا للكان فى ذلك مزيد على الاخبار بوقوع التخلف منهم لا غير وانظر الى المساق وهو قوله رضوا بأن يكونوا مع الخوالف كيف أفهم امرا زائدا وسيرهم من نوع رذل مشهور بسمة الخلف حتى صار ذلك له كالاسم له وهذا الجواب عام فى جميع ما يرد عليك من أمثال ذلك فتأمله وبالله الموفق للصواب * قوله تعالى الا عجوزا فى الغابرين (قال المبرد وصفة لها كانه قيل الا عجوزا غابرة ولم يكن الغبور صفة لها وقت تجيئهم قال ومعنى هذا الا عجوزا مقدرا غبورها أى فى الهلاك والعذاب) قال أحمد وان تجعلت مرفع القاعدة المهيدة آنفا فاعلم ان السر الذى اقتضى العدول عن أن يقول مثلا الا عجوزا غابرة الى ما ذكر فى الملفوظ هو ان المذكور فى التلاوة يقتضى الاحمال عليها انها من أمة موسومين بهذه السمة من الهلاك كما قدمته الآن فهو أبلغ من مجرد وصفها بالغبور والله أعلم

شذاذ القوم حجارة من السماء فأهلكهم وعن ابن زيد لم يرض بالاثنتان حتى أتبعه مطرا من حجارة وفاعل ساء (مطر المنذرين) ولم يرد بالمنذرين قوما بأعيانهم انما هو للجنس والخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم * قرئ أصحاب الايكة بالهمزة وبحذفها وبالجر على الاضافة وهو الوجه ومن قرأ بالنصب وزعم ان ايكة بوزن لبلة اسم بلد فقد وهم قاد اليه خط المصحف حيث وجدت مكتوبة في هذه السورة وفي سورة ص بغير ألف وفي المصحف أشياء كتبت على خلاف قياس الخط المصطلح عليه وانما كتبت في هاتين السورتين على حكم لفظ اللافظ كما يكتب أصحاب النحو لان ولولا على هذه الصورة لبيان لفظ المخفف وقد كتبت في سائر القرآن على الاصل والقصة واحدة على أن ايكة اسم لا يصرف * وروى أن أصحاب الايكة كانوا أصحاب شجر ملتف وكان شجرهم الدوم * (فان قلت) هلا قيل أخوهم شعيب كما في سائر المواضع (قلت) قالوا ان شعيبا لم يكن من أصحاب الايكة وفي الحديث ان شعيبا أنا مدين أرسل اليهم والى أصحاب الايكة * الكيل على ثلاثة أضرب واف وطفيف وزائد فأمر بالواجب الذي هو الايفاء ونهى عن المحرم الذي هو التطفيف ولم يذكر الزائد وكان تركه عن الامر والنهي دليل على أنه ان فعله فقد أحسن وان لم يفعله فلا علبه قرئ بالقسطاس مضموما ومكسورا وهو الميزان وقيل القرسطون فان كان من القسط وهو العدل وجعلت العين مكررة فوزنه سلاس والا فهو رباعي وقيل هو بالرومية العدل * يقال بخسته حقه اذا نقصته اياه ومنه قيل للكس البخس وهو عام في كل حق ثبت لاحد فلا يحل لاحد أن لا يوفيه وفي كل مال أن لا يغصب عليه مالكه ولا يتصف منه ولا يتصرف فيه الا بالذي تطيب به نفسا * يقال عثا في الارض وعثى وعاث وذلك نحو قطع الطريق والغارة واهلاك الزروع وكانوا يفعلون ذلك مع تولهم أنواع الفساد فقرن أعن ذلك * وقرئ الجبلة بوزن الابلة والجبلة بوزن الظلمة ومعناهن واحد أي ذوي الجبلة هو كذلك والخلق الاولين * (فان قلت) هل اختلف المعنى بادخال الواو هنا وتركها في سبحة هود (قلت) اذا أدخلت الواو فقد قصد معنيان كلاهما مخالف للرسالة عندهم التسحير والبشرية وان الرسول لا يجوز أن يكون مسحرا ولا يجوز أن يكون بشرا واذا تركت الواو فلم يقصد الا معنى واحد وهو كونه مسحرا ثم فرر بكونه بشر امثلهم * (فان قلت) ان الخفة من الثقيلة ولا بد لها كيف تقرن على فعل الظن وثاني مفعوليه (قلت) أصلها أن تقرن على المبتدا والخبر كقولك ان زيدا لمنطلق فلما كان الباب أعني باب ظننت من جنس باب المبتدا والخبر عمل ذلك في الباب فعمل ان كان يسلطانها ان ظننت منطلقا * قرئ كسفا بالسكون والحركة وكلاهما جمع كسفة نحو قطع وسدر وقيل الكسف والكسفة كالبسر والبسرة وهي القطعة وكسفه قطعه * والسماء السحاب أو المظلة وما كان ظلهم ذلك الا لتصميمهم على الجحود والتكذيب ولو كان فيهم أدنى ميل الى التصديق لأخطروه ببالهم فضلا ان يطلبوه والمعنى ان كنت صادقا أنك نبي قادع الله أن يسقط علينا كسفا من السماء (ربي أعلم بما تعملون) يريد ان الله أعلم بأعمالكم وعما ستجزون عليها من العقاب فان أرادان يعاقبكم بالاسقاط كسفا من السماء فعل وان أراد عقابا آخر فالله الحاكم والمثبتة (فاخذهم) للتسبب مما اقترحوا من عذاب الظلة ان أرادوا بالسماء السحاب وان أرادوا الظلة فقد خالفهم عن مقترحهم يروى أنه حبس عنهم الريح سبعا وسلط عليهم الوهد فأخذ بأنفاسهم لا ينفعهم ظل ولا ماء ولا شراب فاضطروا الى أن خرجوا الى البرية فأظلتهم سحابة وجدوا لها بردا وريحا طيبة فاجتمعوا تحتها فأمطرت عليهم نارا فاحترقوا * وروى أن شعيبا بعث الى أمتين أصحاب مدين وأصحاب الايكة فأهلكت مدين بصيحة جبريل وأصحاب الايكة بعذاب يوم الظلة * (فان قلت) كيف تررق هذه السورة في أول كل قصة آخرها مكررا (قلت) كل قصة منها كتنزيل برأسه وفيها من الاعتبار مثل ما في غيرها ان كان كل واحدة منها تدلي بحق في أن تفتتح بما افتتحت به صاحبتها وأن تختم بما ختمت به ولان في التكرير تقرير المعاني في النفس وتثبيتها في الصدور ألا ترى انه لا طريق الى ضبط العلوم الا ترديدها وضبط منها وكلما ازددت ترديده كان أمكن له في القلب وأرسخ في أفهامهم وأثبت للذكر وأبعد من النسيان ولان هذه القصص طرقت بها آذان وقرع الانصات للحق وقلوب غلف عن تدبره فكورت بالوعظ والتذكير ووجعت بالترديد والتكرير لعل ذلك يفتح أذنا أو يشق

مطر المنذرين ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذب أصحاب الايكة المرسلين اذ قال لهم شعيب ألا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان أجري الا على رب العالمين أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين وزنوا بالقسطاس المستقيم ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين قالوا انما أنت من المسحرين وما أنت الا بشر مثلنا وان نظنك لمن الكاذبين فأسقط علينا كسفا من السماء ان كنت من الصادقين قال ربي أعلم بما تعملون فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم

ذكرا ذكره (قال) واعلم أن الآيات الأول كالمقدمات لهذه الآيات فان الله تعالى أبان أنه تنزل به الذين لا يعرفون غير هذا وعلى لسان عربي لو أشكل عليهم فهم شيء منه لكان البيان عنده عتيدا ناجزا وما نزله على لسان عجمي فديعتذرون بأنه لا يفهمهم ما يتعلق

ذهنا او يحمل عملا طال بهذه الصفة أو يحاولوا فهما قد عطى عليه تراكم الصدأ (وانه) وان هذا التنزيل يعني ما نزل من هذه القصص والآيات والمراد بالتنزيل المنزل * والباء في نزل به الروح ونزل به الروح على القراءتين للتعدية ومعنى نزل به الروح جبريل الروح نازلا (به على قلبك) أي حفظك وفهمك اياه وأثبته في قلبك آيات مالا ينبغي كقوله تعالى ستقرئك فلا تنسى (بلسان عربي) الباء أن يتعلق بالمنذرين فيكون المعنى لتكون من الذين أنذروا بهذا اللسان وهم خمسة هود وصالح وشعيب واسمعيل ومحمد عليهم الصلاة والسلام وإما أن يتعلق بنزل فيكون المعنى نزله باللسان العربي لتنذر به لانه لو نزله باللسان الاعجمي لتحاجوا عنه أصلا ولقالوا ما نصنع بما لا نفهمه فتعذر الانذار به وفي هذا الوجه أن تنزيله بالعربية التي هي لسانك ولسان قومك تنزيل له على قلبك لانك تفهمه وتفهمه قومك ولو كان أعجميا لكان نازلا على سمعك دون قلبك لانك تسمع أجراس حروف لا تفهم معانيها ولا تدبرها وقد يكون الرجل عارفا بعدة لغات فاذا كلم بلغته التي اقتدر أولا وتيسر عليها وطبع عليها لم يكد قلبه الا الى معاني الكلام تتلقاها تلقيه ولا يكاد يفطن للالفاظ كيف جرت وان كلم بغير تلك اللغة وان كان ماهرا بصيرا بها كان نظره أولا في الفاظها ثم في معانيها فهذا تقرير لأن تنزيله على قلبه لتنزيله بلسان عربي مبين (وانه) وان القرآن يعني ذكره مثبت في سائر الكتب السماوية وعيل ان معانيه فيها وانه يحتج لابي حنيفة في جواز القراءة بالفارسية في الصلاة على أن القرآن قرآن اذا ترجم بغير العربية حيث قال وانه لفي زبر الاولين لتكون معانيه فيها وقيل التصديق لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك في أن جعله وليس بواضح وقرئ بكسر الهمزة على أنها خبر وأن يعلمه هو الاسم وقرئ لتكن بالتأنيث بحملت آية اسم وأن يعلمه خبرا وليست كالاولى لوقوع النكرة اسما والمعرفة خبرا وقد خرج على الوجه الآخر ليجلس من ذلك قبيل في تكن ضمير القصة وآية أن يعلمه جملة واقعة موقع الخبر ويجوز على هذا أن تكون لهم آية هي هذه الشأن وان يعلمه بدلا عن آية ويجوز مع نصب الآية بتكن تكن كقوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين * فقضى وخفضها وكانت عادة * منه اذا هي عردت أقدامها

وقرئ تعلمه بالتاء وعلمني اسرائيل عبد الله بن سلام وغيره قال الله تعالى واذا تتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين (فان قلت) كيف خط في المصحف علماء وابن الالف (قلت) خط على لغة من يميل الالف الى الواو وعلى هذه اللغة كتبت الصلاة والزكاة وأربا * الاعجم الذي لا يفصح وقرئ لسان هذا وهجمي والاعجمي مثل الاأن فيه زيادة ياء للمبالغة كأحمري وقرئ اللسن الاعجمي ولما كان من يتكلم بلسان غير لسانهم لا يفقهون كلامه قالوا له أأعجمي شيء ومن لا يفصح ولا يبين وقالوا لكل ذي صوت من البهائم والطيور وغيرها أعجم قال حميد * ولا عربيا فانه صوت أعجما * سلكناه أدخلناه وسكناه والمعنى أنا أنزلنا هذا القرآن على رجل عربي بلسان عربي مبين فسمعوا به وفهموه وعرفوا معانيه وأنه معجز لا يعارض بكلام مثله وانضم الى ذلك اتفاق علماء أهل الكتب المنزلة قبله على أن البشارة بانزاله وتحلية المنزل عليه وصفته في كتبهم وقد نعتت معانيه ونعته وصح بذلك أنهم ممن عند الله وليست بأساطير كما قالوا فلم يؤمنوا به وخذوه وهو مشمر اثارة وحجرا أخرى وقالوا لهوس تلقى محمد واقترائه (ولو نزلناه على بعض) الاعاجم الذي لا يحسن العربية فتلاه أن يقرئ على نظم هذه (فقرأه عليهم) هكذا فصيحا معجزا مستحقا به الكفر وله كما كفروا لتصلبهم في عنادهم ولعتوهم مصرا ثم قال (كذلك سلكناه) أي مثل هذا السلك سلكناه في قلوبهم وهكذا سكناه وقريناه فيها على مثل هذه الحال وهذه الصفة من الكفر به والتكذيب له وصعناه فيها كيف نفعل بهم وصنع وعلى أي وجه ندبر أمرهم ملاسبيل الى أن يتغيروا عما هم عليه من جحوده وانكاره كما قال ولو رددنا فعليك كذا في قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين (فان قلت) كيف أسند السلك وصفة التكذيب الى ذاته (قلت) أراد به الدلالة على تمكنه مكذبا في قلوبهم أشد التمكن وأثبته

على أفهامهم من معانيه فقد أزاح أعذارهم ومحص حجتهم وسلكه في قلوبهم ومكنهم من فهمه أشد التمكين ولكن لم يوفقهم بل قدر عليهم أنهم لا يؤمنون (قال أحمد) يعني بقوله فسدر عليهم أنهم لا يؤمنون عملا أنهم لا يؤمنون لان التقدير عنده العلم والخلق

وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين وانه لفي زبر الاولين أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني اسرائيل ولو نزلناه على بعض الاعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين كذلك سلكناه في قلوب المجرمين

ان الله تعالى أراد منهم أنهم لا يؤمنون وهذا تقرير لجواب عن سؤال مقدر وهو أن يقال فلو بينه لهم فآمنوا به فقال لا يلطفها وجه ولا سبب فكذلك سلكناه في قلوب المجرمين أي مثل ذلك السلك سلكناه في قلوبهم أشد التمكن فجعله بمنزلة أمر تحسبوا عليه بدليل أنه أسند اليهم ترك الايمان به على عقيه في قوله لا يؤمنون به) قال أحمد

لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن منظرون أفبعذابنا يستعجلون أفرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون وما أهلكنا من قرية الا لها منذرون ذكرى وما كنا ظالمين وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون انهم عن السمع لمعزولون فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين وأنذر عشيرتك الاقربين واخفض جناحك

وما تهوى بهم من بناء على ظاهره الا أنه التوحيد المحض والايمان الصرف وان الله تعالى نجاه قلوبهم تابية عن قبول الحق والقشرية لم يبالغوا في التوحيد الى هذا الحد والله سبحانه وتعالى أعلم

جعلته بمنزلة أمر مدحوا عليه وقطعوا ألا ترى ان قولهم هو تحويل على الشيء يريدون تمكن الشيء فيه لان الامور الخلقية أثبت من العارضة والدليل عليه أنك تسند ترك الايمان به الى عتيه وهو قوله لا يؤمنون به (فان قلت) ما موقع (لا يؤمنون به) من قوله سلكناه في قلوب المجرمين (قلت) هو موقع التوضيح والتخصيص لانه مسوق لاثباته مسند اليهم جحودهم اذ في قلوبهم فانتج ما يقرر هذا المعنى من أنهم لا يزالون على التكذيب به وجحوده حتى يعاينوا الوعيد ويجوز أن يكون حالا أي سلكناه فاعيا مؤمن به * وقرأ الحسن فتأتيهم بالتاء على معنى الساعة وبغتة بالتحريك وقرئ بسكون حرف أبو بروبغتة (فان قلت) ما معنى التعقيب في قوله فيأتيهم بغتة فيقولوا (قلت) ليس المعنى تراخي رؤية العذاب ومعاينته وسؤال النظرة فيه في الوجود وانما المعنى ترتبها في السدة كأنه قيل لا يؤمنون بالقرآن حتى تكون رؤيتهم للعذاب فجاءهم وأشدهما وأفظعه بهم مفاجأة فجاءهم أشد منه وهو سؤالهم النظرة ومثال ذلك أن تقول لمن عظه فان أسأت معتك الصالحون فقتك الله قاتلا لا يصيبه هذا الترتيب أن مقت الله يوجد عقب مقت الصالحين ولكن قصدك الى ترتيب شدة الامر على المرء وأنه يحصل له بسبب الاساءة مقت الصالحين فأدناه وأشده من مقتهم وهو مقت الله وترى ترتيع في هذا الاسلوب أجمل موقعه (أفبعذابنا يستعجلون) تبكيت لهم بأنكار وتعجب معناه كيف يستعجل العذاب من هو معرض لعذاب يسأل فيه من جنس ما هو فيه اليوم من النظرة والامهال طرفة عين فلا يجاب الى ما سأل وحمل أن يكون هذا حكاية توبيخ يوبخون به عند تمتعهم بمرئي منهم يستعجلون على هذا الوجه حكاية حال ماضية ووجه اتصاله بما قبله وذلك ان استعجالهم بالعذاب انما كان لاعتقادهم أنه غير كائن ولا لاحق بهم وأنهم يتمتعون بأعمارهم طول أيام سلامة وأمن فقال تعالى أفبعذابنا يستعجلون أفرأيت ان متعناهم سنين واعطيناهم ما تمنوا في الامل الطويل * ثم قال هب أن الامر كما يقدرون من تمتيعهم وتمييهم فاذا لحقتهم الوعيد بعد ذلك أليس ينفعهم ما متعناهم به من طول أعمارهم وطيب معايشهم وعن عيسى بن عمر أنه تلى الحسن في الطواف وكان يتلو لنا فيقف عليه ثم يرتله على ثلاثة هذا الآية فقال عيسى أفسد علينا قراءتنا * وقرئ يمتعون بالتشديد (منذرون) يسمى بنذرهم (ذكرى) منصوب بمعنى تذكرة لان انذارهم تذكرة فكأنه قيل مذكرون تذكرة وأما الانتصاب على المصدر في منذرون أي ينذرونهم ذوي تذكرة والاقامة المفعول له على معنى أنهم ينذرون لاجل الموعظة والتذكرة أو موضوعة على أنها خبر مبتدأ محذوف بمعنى هذا ذكرى والجملة اعتراضية أو صفة بمعنى منذرون ذوو ذكرى أو مصدرا ذكرى لان معناهم في التذكرة فأما هم فيأتونه وجها آخر وهو أن يكون ذكرى متعلقة أهلكنا محذوفا لان والمعنى وما أهلكنا من أهل قرية ظالمين الا بعد ما أزاحت عللهم الجائية بارسال المنذرين اليهم ليكون اهلاكهم بعد ذكرى وعبرة لغيرهم فلا يعصوا مثل عصيانهم (وما كنا ظالمين) فنهلك قوما غير ظالمين وهذا الوجه عليه المعول (فان قلت) كيف عزلت نون وما بعد الا ولم تعزل عراقي في قوله وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم (قلت) الاصل عزل الواو لان الجملة صفة لقرية والذي يدل على ذلك أنه وصل الصفة بالموصوف كما في قوله سبعة وثامنهم كلبهم * كانوا يقولون ان غدا كاهن وما ينزل عليه من جنس ما ينزل به الشياطين على الكهنة فكذبوا بان ذلك مما لا يتسهل للشياطين ولا يقدرون عليه لانهم مرجومون بالشهب معزولون من استماع كلام أهل السماء وقرأ الحسن الشياطون ووجهه أن آخره كآخر يرين وفلسطين فخير بين أن يجري الاعراب على النون وبين أن يجريه على ما قبلها فيقول الشياطين والشياطون كما خيرت العرب بين أن يقولوا هذه يرون وبرين وفلسطون وفلسطين ومنه أن تشتقه من الشيطوطة وهي الهلاك كما قيل له الباطل وعن الفراء غلط الشيخ في قراءته الشياطون ظن أنها نون الني على هجائين فقال النضر بن شميل ان جاز أن يحتج بقول الحجاج ورؤبة نهيا لا جاز أن يحتج بقول الحسن وصاحبه يريد محمد بن السميقع وما أنكر أنهم لم يقرأوه الا وقد سمعا فيه * وعلم أن ذلك لا يكون ولكنه أراد أن يحرك منه ما لا زيادة الاخلاص والتقوى وفيه لطف لسائر المكلفين كما قال ولو تقول علينا بعض الاقاويل فان كنت في شك مما

أنزلنا اليك * فيه وجهان أحدهما أن يؤمر بانذار الاقرب فالاقرب من قومه ويبدأ في ذلك عن هو أولى بالبداءة ثم عن يليه وأن يعدم انذارهم على انذار غيرهم كما روى عنه عليه السلام أنه أمر خيل عكة قال كل ربا في الجاهلية موضوع تحت قدمي هاتين وأول ما أضعه ربا العباس والثاني أن يؤمر بان لا يأخذه ما يأخذ القريب للقريب من العطف والرأفة ولاحبابهم في الانذار والتخويف وروى أنه صعد الصفا لما نزلت فناداهم الاقرب فالاقرب فخذ الخذا وقال يا بني عبد المطلب يا بني هاشم يا بني عبد مناف يا عباس عم النبي يا صفية عمة رسول الله اني لا أملك لكم من الله شيأ سلوني من مالي ما شئتم وروى أنه جمع بني عبد المطلب وهم يومئذ أربعون رجلا الرجل منهم يأكل الجزعة ويشرب العس على رجل شاة ويقعب من لبن فأكلوا وشربوا حتى صدروا ثم أنذرهم فقال يا بني عبد المطلب لو أخبرتكم أن بسفح هذا الجبل خيلا أكنتم مصدقي قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد وروى أنه قال يا بني عبد المطلب يا بني هاشم يا بني عبد مناف انقذوا أنفسكم من النار فاني لا أغني عنكم شيأ ثم قال يا عائشة بنت أبي بكر ويا حفصة بنت عمر ويا فاطمة بنت محمد ويا صفية عمة محمد اشترين أنفسكن من النار فاني لا أغني عنكن شيأ * الطائر اذا أراد أن يحط للوقوع كسر جناحه وخفضه واذا أراد أن ينهض للطيران رفع جناحه فجعل نهضه جناحه عند الانحطاط مثلا لتواضع ولين الجانب ومنه قول بعضهم

وأنت الشهير بخفض الجناح * فلا تك في رفعه أجدلا

نهاه عن التكبر بعد التواضع (فان قلت) المتبعون للرسول هم المؤمنون والمؤمنون هم المتبعون للرسول فما قوله (لمن اتبعك من المؤمنين) (قلت) فيه وجهان أن يسمهم قبل الدخول في الايمان مؤمنين لمشارفتهم ذلك وأن يريد بالمؤمنين المصدقين بألسنتهم وهم صنفان صنف صدق واتبع رسول الله فيما جاءه وصنف ما وجد منه الا التصديق فحسب ثم اما أن يكونوا منافقين أو فاسقين والمنافق والفاسق لا يخفض لهما الجناح والمعنى من المؤمنين من عشيرتك ونحيرهم يعني أنذر قومك فان اتبعوك وأطاعوك فاخفض لهم جناحك وان عصوك ولم يتبعوك فتبرأ منهم ومن أعمالهم من الشرك بالله وغيره (وتوكل) على الله يكفيك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم والتوكل تفويض الرجل أمره الى من يملك أمره ويقدر على نصره وضره وقالوا التوكل من ان دهمه أمر لم يحاول دفعه عن نفسه بما هو معصية لله ففي هذا دليل على أن رفع الانسان في محنة ثم سأل غيره فلا حمله لم يخرج من حد التوكل لانه لم يحاول دفع ما نزل به من نفسه بمعصية الله وفي مصاحف أهل المدينة والشام فتوكل وبه قرأ نافع وابن عامر وله محملان في العطف أن يعطف على فصل أو فلا تدع (على العزيز الرحيم) على الذي يقهر أعداءك بعزته ويصرك عليهم برحمته * ثم أتبع كونه رحيما على رسوله ما هو من أسباب الرحمة وهو ذكر ما كان يفعله في جوف الليل من قيامه للتهجد وتقلبه في تصفح أحوال المتهجدين من أصحابه ليطلع عليهم من حيث لا يشعرون ويستبطن سرائرهم وكيف يعبدون الله وكيف يعاملون لآخرتهم كما يعلن أنه حين أمر فرض قيام الليل طاف ثلث الليلة يبيوت أصحابه لينظر ما يصنعون لحرصه عليهم وعلى ما وجد منهم من فعل الطاعات وتكثير الحسنات فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع منها من دندنتهم بذكر الله والتلاوة * والمراد بالساجدين المصلون وقيل معناه يراك حين تقوم للصلاة بالناس جماعة وتقلبك في الساجدين تصرفك فيما بينهم بقيامك وركوعك وسجودك وقعودك اذا أممتهم وعن مقاتل أنه سأل الباحثة رحمه الله هل تجد الصلاة في الجماعة في القرآن فقال لا يحضرني في تلك الا هذه الآية وتحمل الا يخفى عليه حالك كما لا يخفى وتقلبك مع الساجدين في كفاية أمور الدين (انه هو السميع) لما تقوله (العليم) بما تنويه وتعمله وقيل هو تقلب بصره فيمن يصلي خلفه من قوله صلى الله عليه وسلم أتموا الركوع والسجود فوالله اني لأراكم من خلف ظهري اذا ركعتم وسجدتم * وقرئ ويقلبك (كل أفاك أثيم) هم الكهنة والمتنبئة كشق وسطيح ومسيلمة وطليحة (يلقون السمع) هم الشياطين كانوا قبل أن حجبوا بالرجم يسمعون الى الملأ الأعلى فيختطفون بعض ما يتكلمون به مما اطلعوا عليه من الغيوب ثم يوحون به الى أوليائهم من أولئك (وأكثرهم كاذبون) فيما يوحون به اليهم لانهم يسمعونهم ما لم يسمعوا وقيل يلقون الى أوليائهم السمع

ان اتبعك من المؤمنين فان عصوك فقل اني بريء مما تعملون وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين انه هو السميع العليم هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم يلقون السمع وأكثرهم كاذبون

أى المسموع عن الملائكة وقيل الافاكون يلقون السمع الى الشياطين فيتلقون وحيهم اليهم أو يلقون المسموع من الشياطين الى الناس وأكثر الافاكين كاذبون يفترون على الشياطين مالم يوحوا اليهم وترى أكثر ما يتكلمون به باطلا وزورا وفى الحديث الكلمة يخطفها الجنى فيقرها فى أذن وليه فيزيد فيها أكثر من مائة كذبة والقرصب (فان قلت) كيف دخل حرف الجر على من المتضمنة لمعنى الاستفهام والاستفهام له صدر الكلام ألا ترى الى قولك أعلى زيد مررت ولا تقول على أزيد مررت (قلت) ليس معنى التضمن أن الاسم دل على معنيين معا معنى الاسم ومعنى الحرف وانما معناه أن الاصل أم على فحذف حرف الاستفهام واستمر الاستعمال على حذفه كما حذف من هل والاصل أهل قال * أهل رأونا بسفح القاع ذى الاكم * فاذا أدخلت حرف الجر على من فقد رأهل همزة قبل حرف الجر فى ضميرك كأنك تقول أعنى من تنزل الشياطين كقولك أعلى زيد مررت (فان قلت) يلقون ما محله (قلت) يجوز أن يكون فى محل النصب على الحال أى تنزل ملقين السمع وفى محل الجر صفة لكل أفاك لانه فى معنى الجمع وأن لا يكون له محل بأن يستأنف كأنه قائلا قال لم تنزل على الافاكين فقيل يلقون كيت وكيت (فان قلت) كيف قيل وأكثرهم كاذبون بعد ما قضى عليهم أن كل واحد منهم أفاك (قلت) الافاكون هم الذين يكثرون الافك ولا يبعد ذلك فى أنهم لا يتطهرون الا الافك فاذا رأد أن هؤلاء الافاكين كل من يصدق منهم فيما يحكى عن الجنى وأكثرهم مفترون عليه (فان قلت) وانه لتنزيل رب العالمين وما تنزلت به الشياطين هل أنبئكم على من تنزل الشياطين ثم فرق بينهن وهن أخوات (قلت) أريد التفريق بينهن بآيات ليست فى معناهن ليرجع الى المحى عنهن وتطريقة ذكر ما يهن كرة بعد كرة فيدل بذلك على أن المعنى الذى نزلن فيه من المعانى التى اشتدت كراهة الله لها ومثاله أن يحدث الرجل بحديث وفى صدره اهتمام بشئ منه وفضل عناية فتراه يعيد ذكره ولا ينفك عن الرجوع اليه (والشعراء) مبتدأ و (يتبعهم الغاوون) خبره ومعناه أنه لا يتبعهم على باطلهم وكذبهم وفضول قولهم وما هم عليه من الهجاء وتعزير الاعراض والقدح فى الانساب والتسبيب بالحرم والنزل والابتهار ومدح من لا يستحق المدح ولا يستحسن ذلك منهم ولا يطرب على قولهم الا الغاوون والسفهاء والشطار وقيل الغاوون الرواون وقيل الشياطين وقيل هم شعراء قريش عبد الله بن الزبعرى وهبيرة بن أبى وهب المخزومى ومسافع ابن عبد مناف وأبو عزة الجمحى ومن ثقيف أمية بن أبى الصلت قالوا نحن نقول مثل قول محمد فأتونا بما يعجبنا ويجتمع اليهم الاعراب من قومهم يستمعون أشعارهم وأهاجيهم وقرأ عيسى بن عمر والشعراء بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر قال أبو عبيد كان العالم عليه حب النصب قرأ حمالة الحطب والسارق والسارقة وسورة أنزلناها وقرئ يتبعهم على التخفيف ويتبعهم بسكون العين تشبيها بمد بمعضد * ذكر الوادى والهيوم فيه تمثيل لذهابهم فى كل شعب من القول واعتسافهم وولههم بالاهيم التائه فى المتلفى وتجاوزه مقصد القصد فيه حتى يفضلوا أحمق الناس على عنترة وأشجعهم على حاتم وأن يهتوا البرئ ويفسقوا التقى وعن الفرزدق قال سليمان بن عبد الملك سمع قوله

فبتن بجانبى مصرعات * وبت أفض أغلاق الختام

فقال قد وجب عليك الحد فقال يا أمير المؤمنين قد درأ الله عنى الحد بقوله وانهم يقولون مالا يفعلون * استثنى الشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله وتلاوة القرآن وكان ذلك أغلب عليهم من الشعر وانما قالوا شعرا قالوه فى توحيد الله والثناء عليه والحكمة والموعظة والزهد والآداب الحسنة ومدح رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة وصلحاء الامة ومالا بأس به من المعانى التى لا يتلطخون فيها بالذنب ولا يتلبسون بشائنة ولا منقصة وكان هجاؤهم على سبيل الانتصار ممن هجاهم قال الله تعالى لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم وذلك من غير اعتداء ولا زيادة على ما هو جواب لقوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وعن عمرو بن عبيد أن رجلا من العلوية قال له ان صدرى ليضيق بالشعر فقال فما يمنعك منه فيما لا بأس به والقول فيه أن الشعر بأس من الكلام فحسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح

والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون وأنهم يقولون مالا يفعلون الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا

﴿القول في سورة النمل﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ * قوله تعالى وهم بالآخرة هم يوقنون (قال فيه كرر الضمير حتى صار معنى الكلام هم لا يوقنون بالآخرة حقا (١٣٦) الايقان الاهؤلاء الجامعون بين الايمان والعمل الصالح لان خوف الآخرة يحملهم على فعل الشاق) قال أحمد قد تقدم في غير موضع اعتقادان ايقاع الضمير مبتدأ بعد الحصر كما مر له في قوله تعالى هم يشعرون أن معناه لا يشعر الا هم وعد الضمير من الآلات الحصر كما مر ليس بين وتفسيرنا الحصر بالضمير في سورة ما قبلها وجها سوى الحصر بما وجه

وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون

﴿سورة النمل مكية وهي ثلاث وتسعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(طس) قرئ بالتفخيم والامالة و(تلك) اشارة الى آيات السورة والكتاب البين اما اللوح والمعنى انه مثبت فيه كل ما هو كائن فهو يبينه للناظرين فيدلهم ولما السورة واما القرآن والمعنى انها من حروف المعجم والمنكر والسر الجامع لظاهر مكشوف وباطن لا يدرك الا بالتفكر والكتاب المبين على سبيل الحصر لغاية التعظيم لان الصافي الى الغاية يظهر الاشياء له (فان قلت) لم نكر الكتاب المبين (قلت) ليوهم بالتنكير انه يكون أعم له كقوله تعالى وما من غائبة الا في كتاب مبين فلعله كتاب من الكتب (فان قلت) ما وجه عطفه على القرآن اذا أريد به القرآن (قلت) كما عطف احدى الصفتين على الاخرى في قولك هذا فعل السخي والجواد الكريم لان القرآن هو المنزل المبارك المستقل بايجاب ما يوجبه فكان حكمه حكم السببين المستقلين اذا جمع بينهما في تعليل واحد وآيات القرآن آياته التي هي كتاب مبين وقرأ ابن أبي عبلة وكتاب مبين بالرفع على تقدير وآيات كتاب مبين فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه (فان قلت) ما الفرق بين هذا وبين قوله الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين (قلت) لا فرق بينهما الا ما بين المعطوف والمعطوف عليه من التقدم والتأخر وذلك لا يخرج في باب ضربني وضربت زيدا وضربني وضربت زيدا عن باب واحد وضرب فيه تربع فالاول نحو قوله تعالى وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا وسنزيد نعمتنا سنعطي والثاني نحو قوله تعالى شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم (هدى وبشرى) في محل النصب أو الرفع فالنصب على الحال أي هاديا ومبشرا والعامل فيها ما في ذلك من معنى الاشارة والرفع على ثلاثة أوجه على هي هدى وبشرى وعلى المدلول من الآيات وعلى أن يكون خبرا بعد خبر أي جمعت أنها آيات وأنها هادية ومبشرة والذي في كونها هادية للمؤمنين أنها لما دلت على هداهم قال الله تعالى فأما الذين آمنوا فزادهم ايمانا (فان قلت) (وهم بالآخرة هم يوقنون) مستأنف بمنزل عما قبله (قلت) يحتمل أن يكون من جملة صلة الموصول ويحتمل أن تتم الصلة عنده ويكون جملة اعتراضية كأنه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات من اقامة الصلاة وايتاء الزكاة هم الموقنون بالآخرة وهو الوجه ويدل عليه أنه عقد جملة ابتدائية وكرر فيها المبتدأ الذي هو هم حتى صار معناها وهم يوقنون بالآخرة حق الايقان لا هؤلاء الجامعون بين الايمان والعمل الصالح لان خوف العاقبة يحملهم على فعل الشاق

﴿ذكر ما فيها مما ولد أعلم فيه أنها كان أصل الكلام وهم يوقنون بالآخرة ثم ما الجرور على عامله عدا فيه فوقع فاصلا بين المبتدأ والخبر فاريد أن يلي المبتدأ خبره وفصل الجرور بينهما مما نظيري ذكره لبيان النظم وليس معصوبا على ما قدم وما يستفاد من اعتماد الكلام منصوبا له وحده﴾

(٣) سل وعجل ذا وأخفقا بذال * الضم اثناه وصل اثناه فصل

والاصل والحقنابذ الشحم فوقع منتصف الرجز أومنتهاه على القول بان مستطور الرجز بيت كامل عند الازم وبنى الشاعر على انه لا بد عند المنتصف أو المنتهى من وقيفة مافقدر تلك الوقفة بعدا بين المعرب وآلة التعريف فطراها ثانية فهذه النظرية لم تتوقف على أن يحول بين الاول وبين المكرر ولا كلمة واحدة سوى تقديره وتتمة لطيفة لاغير متأمل هذا الفصل فانه جدير بالتأمل والله أعلم * قوله تعالى ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون (قال ان قلت كيف أسند التزيين الى ذاته وقد أسنده الى الشيطان في قوله وزين لهم الشيطان أعمالهم قلت ان بين الاسنادين فرقا فالاسناد الله مجاز والى (١٣٧) الشيطان حقيقة وقد روى عن الحسن ان المراد زينا لهم أعمال البرفعمهوا عنها ولم يهتدوا الى العمل بها) قال أحمد وهذا الجواب مبني على القاعدة الفاسدة في ايجاب رعاية الصلاح والاصلح واستناع ان يخلق الله تعالى للعبد الايمان وهو صفحة فمن

*(فان قلت) كيف أسند تزيين أعمالهم الى ذاته وقد أسنده الى الشيطان في قوله وزين لهم الشيطان أعمالهم (قلت) بين الاسنادين فرق وذلك أن اسناده الى الشيطان حقيقة واسناده الى الله عز وجل مجاز وله طريقان في علم البيان أحدهما أن يكون من المجاز الذي يسمى الاستعارة والثاني أن يكون من المجاز الحكمي فالطريق الاول انه لما منعهم بطول العمر وسعة الرزق وجعلوا النعام الله بذلك عليهم واحسانه اليهم ذريعة الى اتباع شهواتهم وبطرهم وايثارهم الروح والترفه وغفلتهم عما يلزمهم فيه التكاليف الصعبة والشاق المتعبة فكأنه زين لهم بذلك أعمالهم التي أشارت الآلهة صلوات الله عليهم في قولهم ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر والطريق الثاني أن امهاله الشيطان وتخليته حتى يزين لهم ملابسته الشر فالتزيين فاسند اليه لان المجاز الحكمي يصحبه بعض الملابسات وقيل هي أعمال الخير التي وجب عليهم أن يعملوها فزينها لهم الله فعموا عنها وضلوا ويعزى الى الحسن *والعمه التحير والتردد كما يكون حال الضال عن الطريق وعن بعض الاعراب أنه دخل السوق وما أبصر هاهنا فقال رأيت الناس عميا أي ترادمترددين في أعمالهم وأشغالهم (سوء العذاب) القتل والاسر يوم بدر *و(الاخسرون) أشد الناس خسرانا لانهم لو آمنوا لكانوا من الشهداء على جميع الامم شهر واد الشمع حسبان النجاة وثواب الله (لتلقى القرآن) لتلقاه وتأخذه (من) عند أي (حكيم) أي (علم) وهذا ممن يجيء انكرين وهذه الآية بساط وتمهيد لما يريد أن يسوقه بعدها من الاقاصيص ومالى ذلك من لطائف حكمته ودقائق علمه (اذ) منصوب بمضمر وهو اذكر كأنه قال على اثر ذلك اذكر من آثار حكمته وعلمه قصة موسى وعجوز ان ينتصب بعليم * وروى أنه لم يكن مع موسى عليه السلام غير امرأته ومدة مكثي الله عنها الا هل فسمع ذلك وروداحطبا على لفظ الجمع وهو قوله امكثوا *الشهاب الشعلة *والقبس النار المقبوسة وأضاف الشهاب الى القبس لانه يكون قبسا وغير قبس ومن قرأ بالتنوين جعل القبس بدلا أو صفة فانه بمعنى القبس * والخبر ما يخبر به عن حال الطريق لانه كان قد ضلها (فان قلت) سآتيكم منها بخبر وامى آتيكم منها بخبر كالذاهبين لان أحدهما راجع والآخر يأتي (قلت) قد يقول الراعي اذا قوي ربايا سأعمل كذا وسيكون كذا مع تجويزه الخيبة (فان قلت) كيف جاء بسين التسويف (قلت) عدة لاهله أنه يأتيهم بها ان أبطأ أو كانت المسافة بعيدة (فان قلت) فهلا جاء بواو دون الواو (قلت) بني الرجاء على أنهم لم يظفروا بحاجتيهما جميعا لهما معا بواحدة منهما اما هداية الطريق واما اقتباس النار فقد اللهما لا يكاد يجمع بين حرمانين على عبده وما أدراك حين قال ذلك أنه ظفر على النار بحاجتيه الكليتين جميعا وهما العرفان من الدنيا والاجرة الآخرة (ان) هي المفسرة لان النداء فيه معنى القول والمعنى قيل له بورك (فان قلت) هل يجوز أن تكون المخففة من الثقيلة وتقديره نودي بانه بورك والضمير ضمير الشان (قلت) لا لانه لا يدخل قد (فان قلت) على اضمارها (قلت) لا يصح لانها علامة لا تحذف *ومعنى (وبورك من في النار ومن حولها) بورك من في مكان النار ومن حول مكانها ومكانها البقعة التي حصلت فيها وهي البقعة المباركة المذكورة في قوله تعالى نودي من شاطئ الوادي الايمن

سوء العذاب وهم في الآخرة هم الاخسرون وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم اذ قال موسى لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها

ثم جعل اسناد التزيين الى الله تعالى مجازا والى الشيطان حقيقة ولو عكس الجواب لجاز بالصواب وتأمل سيله الى التأويل الآخر من ان المراد أعمال البر على بعده لانه لا يعرض

١٨ كشاف ني لقاعدته بالمقرض والى لهم ذلك وقد أتى الله ببيانهم من القواعد على ان التزيين مصور في الخير في قوله تعالى ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم على ان غالب ورود في غير المركتوله زين للناس حب الشهوات زين الذين كفروا الحياة الدنيا وكذلك زين لكثير من المشركين وعليه حمله على اعمال البر اضافة الاعمال اليهم في قوله اعمالهم واعمال البر ليست مضافة اليهم لانهم لم يعملوها قط فظاهر الاضافة يعطي ذلك ألا ترى الى قوله تعالى والله خلق الايمان في قلوبكم وقوله قل لا تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان فالخلق الايمان في الكافرين من اضافته اليهم لانه لم يصدر منهم وأضاف الاسلام الظاهر اليهم لانه صدر منهم والله اعلم

في البقعة المباركة وتدل عليه قراءة أبي تباركت الارض ومن حولها وعنه بوركت النار والذي بوركت له البقعة وبورك من فيها وحولها الملائكة وموسى واستنباؤه له واظهار المعجزات عليه وروي خبر يتجدد في بعض البقاع فيشر الله بركة ذلك الخبر في أقاصيها ويبث آثاره عنه في أبعادها فكيف بمثل ذلك الامر العظيم الذي جرى في تلك البقعة وقيل المراد المبارك فيهم موسى والملائكة الحاضرون والظاهر أنه عام في كل من كان في تلك الارض وفي ذلك الوادي وحواليهما من أرض الشام ولقد جعل الله أرض الشام بالبركات موسومة في قوله ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين وحقت أن تكون كذلك فهي مهبط الانبياء صلوات الله عليهم ومهبط الوحي اليهم وكفاتهم أحياء وأمواتا (فان قلت) ما معنى ابتداء خطاب الله موسى بذلك عند مجيئه (قلت) هي بشارة له بأنه قد قضى أمر عظيم تنشر منه في أرض الشام كلها البركة (وسبحان الله رب العالمين) تعجيب لموسى عليه السلام من ذلك وتيان بأن ذلك الامر مريده ومكونه رب العالمين تنبيها على أن المكان من جلائل الامور وعظائم الشؤن * الهاء في (انه) يجوز أن تكون ضمير الشان والشان (أنا الله) مبتدأ وخبر و(العزيز الحكيم) صفتان للخبر وأن يكون راجعا الى ما دل عليه ما قبله يعني أن مكالمتك أنا والله بيان لانا والعزيز الحكيم صفتان لليس وهذا يهدي لمن أراد أن يظهره على يده من المعجزة يريد أنا القوي القادر على ما يبهر من الاوهام كقلب العصا حية الفاعل كل ما أفعله بحكمة وتدبير * (فان قلت) علام عطف قوله (وألق عصاك) (قلت) على بورك لان المعنى نودي أن بورك من في النار وأن ألق عصاك كذا هما تفسير لنودي والمعنى قيل له بورك من في النار وقيل له ألق عصاك والدليل على ذلك قوله تعالى وأن ألق عصاك بعد قوله أن يا موسى اني أنا الله على تكرير حرف التفسير كما تقول كتبت اليك أن جد وأن اعمر وان شئت أن جج واعتمر * وقرأ الحسن جأن على لغة من جعل في الضرب من التقاء الساكنين فيقول شأبة ودابة ومنه قراءة عمرو بن عبيد ولا الضالين (ولم يعقب) لم يرجع يقال عقب القائل اذا كر بعد الفرار قال

فما عقبوا الذعل هل من معقب * ولا نزلوا يوم الكريهة منزلا

والمعنى لتنفسه أن ذلك لامر أريد به وقيل علمه (الى لا يخاف لدي المرسلون) و (الا) بمعنى لكن لانه لما أطلق في الخوف عن الرسل كان ذلك مظنة نظر وشبهة فاستدرك ذلك المعنى ولكن من ظلم منهم أي فرطت منه صغيرة فما يجوز على الانبياء كالذي فرط من آدم ويونس وداود وسليمان واخوة يوسف ومن موسى بوكزة القبطي ويوشك أن يتصدى هنا التعريض بما وجد من موسى وهو من التعريضات التي يلطف مأخذها وسماه ظلما كما قال موسى رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي * والحسن والسوء حسن التوبة وقبح الذنب وقرئ ألا من ظلم بحرف التنبيه وعن أبي عمرو في رواية عصمة حسنا (في تسع آيات) كلام مستأنف وحرف الجر فيه يتعلق بمحذوف والمعنى اذهب في تسع آيات (الى فرعون) ونحوه

فقلت الى الطعام فقال منهم * فريق يحسد الانس الطعاما

ويجوز أن يكون المعنى وألق عصاك وأدخل يدك في تسع آيات أي في جملة تسع آيات وعدادهن ولقائل أن يقول كانت الآيات احدى عشرة ثنتان منها اليد والعصا والتسع الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة والجدب في بوادي مصر والنقصان في مزارعهم * المبصرة الظاهرة البينة جعل الابصار لها وهو في الحقيقة لمتأملها لانهم لا يبصرها وكانوا يسبب منها بنظرهم وتفكرهم فيها ويجوز أن يراد بحقيقة الابصار كل ناظر فيها من كافة أولي العقل وأن يراد بصار فرعون وملئه لقوله واستيقنتها أنفسهم أو جعلت كأنها تبصر فتهدي لان العمى لا تقدر على الاهتداء فضلا أن تهدي غيرها ومنه قولهم كلمة عمياء وكلمة عوراء لان الكلمة الحسنة ترشد والسيئة تغوي ونحوه قوله تعالى لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر فوصفها بالبصارة كما وصفها بالابصار وقرأ علي بن الحسين رضي الله عنهما وقتادة مبصرة وهي تحو جمعة وجمعة وميمنة أي مكانا يكثر فيه التبصر * الواو في (واستيقنتها) واو الحال وقد بعدها مضمرة * والعلو الكبر والترفع عن الايمان بما جاء به موسى كقوله تعالى فاستكبروا وكانوا قوما عالين فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا

وسبحان الله رب العالمين يا موسى انه أنا الله العزيز الحكيم وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى لا تخف اني لا يخاف لدي المرسلون الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء في تسع آيات الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين ولقد آتينا داود وسليمان

وقومهما الغايدون وقرئ علما وعليما بالضم والكسر كقرئ عتيا وعتيا * وقد ذكر لانه ليس أنهم جحدوها بألسنتهم واستيقنوها في قلوبهم وضمائرهم والاستيقان أبلغ من الايقان وقد فرق بين المصدرين والبين وأي ظلم أشنع من ظلم من اعتقد واستيقن أنها آيات بينة واضحات من عند الله ثم كابر تسعيرا سحرا بينا ممكنا وفالانسبة فيه (علما) طائفة من العلم أو علما سنيا غزيرا * (فان قلت) أليس هذا موضع القاعدون الواو وكتولك أعطيته فشكر ومنعته فصبر (قلت) بلى ولكن عطفه بالواو اشعارا بان ما قالاه بعض ما أحدث فيهما ايتاء العلم وشيء من مواجبه فأضمر ذلك ثم عطف عليه التحميد كله قال ولقد آتيناهما علما نفعملا به وعلما ومعرفا لحق النعمة فيه والفضيلة (وقالا الحمد لله الذي فضلنا) * والكثير المفضل عليه من لم يؤت علما أو من لم يؤت مثل علمهما ونبه أنهما فضلا على كثير وفضل عليهما كثير وفي الآية دليل على شرف العلم وانه محل وتقدم جلته وأهله وأن نعمة العلم من أجل النعم وأجل القسم وأن من أوتيه فقد أوتي فضلا على كثير من عباد الله كما قال والذين أوتوا العلم درجات وما حباهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثة الانبياء الا لمكانهم لهم في الشرف والمنزلة لانهم القوام على شرائعهم من أجله وفيها أنبه بالمرتبة لهذه النعمة الفاضلة لوازم منها أن يحمدوا الله على ما أوتوه من فضلهم على غيرهم وفيها التذكير بالتواضع وأن يعتقد العالم أنه وان فضل على كثير فقد فضل عليه مثلهم وما أحسن قول عمر لابن أخته من عمر * وورث هذه النبوة والملك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر وكان داود أكثر تعبدا وسليمان أقصى وأشكر لنعمة الله (وقال يا أيها الناس) تشهيرا للنعمة لتؤتى حقها واعترافا بمكانها ودعاء للناس الى التصديق بذكر المعجزة التي هي علم منطق الطير وغير ذلك مما أوتيه من علائم الامور * والمنطق كل ما يعبر به عن المراد ولهذا قيل للسيف ولغير الحيوان منطق وفرق بعضهم بين النسكت كتابة باصلاح المنطق وما أصلح به الاصوات كالكلام وقالت العرب نطقت الحمامة وكل صنف من الطير بتفاهم أصواته والذي علمه سليمان من منطق الطير هو ما يفهم بعضه من بعض من معانيه وأغراضه وحكي أنه مر على بلبل في شجرة يحرك رأسه ويميل ذنبه فقال لاصحابه أتدرون ما يقول قالوا الله ورسوله أعلم قال يقول أكلت نصف تمرة فعلي الدنيا العفاء وصاحت فاختة فاخبر أنها تقول ليت هذا الخلق لم يخلقوا وصاح طاووس فقال يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال يقول استغفروا الله يا مذنبين وصاح طيطوى فقال يقول كل حي ميت وكل جديد بال وصاح خطاف فقال يقول قدموا خيرا تجدوه وصاحت رخمة فقال تقول سبحان ربي الاعلى مل سمائه وأرضه وصاح قمري فاخبر أنه يقول سبحان ربي الاعلى وقال الهدهد أقول كل شيء هالك الا الله والخطاف تقول من سكت سلم والببغاء تقول ويل لمن الدنيا همه والديك يقول اذكروا الله يا غافلين والنسر يقول يا ابن آدم عش ما شئت آخرك الموت والصئاب يقول في السدس الناس أنس والضفدع يقول سبحان ربي القدوس * وأراد بقوله (من كل شيء) كثرة ما أوتي كما تقول فلان يقصد كل أحد ويعلم كل شيء يريد كثرة قصاده ورجوعه الى غزارة في العلم واستكثارا منه ومثله قوله وأوتيت من كل شيء (ان هذا لهو الفضل المبين) قول وارد على سبيل الشكر والتحدث كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر أي أقول هذا القول شكرا ولا أقوله فخرا (فان قلت) كيف قال علمنا وأوتينا وهو من كلام الملكين (قلت) فيه وجهان أحدهما أنهما تكلما عن نفسه وأباه والثاني أن هذه النون يقال لها نون الواحد المطاع وكان ملكا مطاعا فتكلم أهل طاعته على صفته وحاله التي كان عليها وليس التكلم من لوازم ذلك وقد يتعلق بتجسم الملك وتجسمه وانظهار آيته وسياسته مصالح شيء تكلف ذلك واجبا وعد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل نحوا من ذلك اذا وفد عليه وفد أو احتاج أن يرجع في عين عدو ألا ترى كيف أعمى العباس رضي الله عنه بان حبس أبا سفيان حتى عرض عليه الكتائب * روي أن معسكره كان مائة فرسخ في مائة خمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للانس وخمسة وعشرون للطير وخمسة وعشرون للوحش وكان له الف بيت من قوارير على

وكاريد للتقليل من شأن المنكر فكذلك يرد للتعظيم من شأنه كما مر آنفا في قوله تعالى وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم وقد يقبل الحكيم العليم والغرض من التنكير التفخيم كأنه قال من لدن حكيم علام فظاهر قوله ولقد آتينا داود وسليمان علما في سياق الامتنان تعظيم

علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء ان هذا لهو الفضل المبين وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم

العلم الذي أوتياه كأنه قال علما أي علم وهو كذلك فان علمهما كان علما يستحق وصف العلم ومن ذلك علم منطق الطير وسائر الحيوانات الذي خصهما الله تعالى به وكل علم الاضافة الى علم الله تعالى قليل حقير والله أعلم * قوله تعالى وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده اعترافا بان خصهما

* قوله تعالى قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم (قال لما دخل قتادة الكوفة التفت عليه الناس فقال سلوا عما شئتم فقال أبو حنيفة وكان شابا سلوه عن النملة التي كلمت سليمان أذكرا كانت أم أنثى فسألوه فأفحم فقال أبو حنيفة كانت أنثى فقيل كيف

الخشب فيها ثلثمائة منكوحة وسبعمائة سرية وقد نصبت له الجن بساطا من ذهب وأرسيم فرسخا في فرسخ وكان يوضع منبره في وسطه وهو من ذهب فيقعد عليه وحوله ستمائة ألف كرسي من ذهب وفضة فيقعد الانبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير باجنحتها حتى لا يقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر ويروى أنه كان يأمر الريح العاصف فتحمله ويأمر الرخاء تسيره فأوحى الله اليه وهو يسير بين السماء والارض إني قد زدت في ملكك لا يتكلم أحد بشيء الا ألقته الريح في سمعك فيعلمني أيهم بحراث فتقول لقد أوتي آل داود ملكا عظيما فألقته الريح في أذنه فقرل ومشى الى الحراث وقال انما مشيت البك لتلك التي ما اقتدر عليه ثم قال للتسبيحة واحدة يقبلها الله خيرا مما أوتي آل داود (يوزعون) يحبس أولهم على آخرهم أي ترقف سلاف العسكر حتى يلحقهم التوالي فيكونوا مجتمعين لا يختلف منهم أحد وذلك للكثرة العظيمة *قيل هو وادبالشام كثير النمل (فان قلت) لم عدى أبو البقاء (قلت) يتوجه على معنيين أحدهما أن اتيانهم كان من فوق فأتى بحرف الاستعلاء كما قال أبو الطيب *ولثمت ما قربت عليك الاتجم *لما كان قربا من فوق والثاني أن يراد قطع الوادي وبلوغ آخره من قولهم أتى على النبي اذا أنفده وبلغ آخره كأنهم أرادوا أن ينزلوا عند منقطع الوادي لانهم ما داموا في الريح فحملهم في الهواء لا يخاف حطمهم *وقرئ نملة يا أيها النمل بضم الميم وضم النون والميم وكأن الاصل النمل بوزن الرجل والنمل الذي عليه الاستعمال خفف عنه كقولهم السبع في السبع قيل كانت عشي وهي عوباء تتكلم وسبعين قبيلة من الجن فلما سمع سليمان كلامها من ثلاثة أميال وقيل كان اسمها طاخية وعن قتادة أنه دخل الكوفة فالتف عليه الناس فقال سلوا عما شئتم وكان أبو حنيفة رحمه الله حاضرا وهو غلام حدث فقال سلوه عن نملة سليمان أكانت ذكرا أم أنثى فسألوه فأفحم فقال أبو حنيفة كانت أنثى فقيل له من أين عرفت قال من كتاب الله وهو قوله قالت نملة ولو كانت ذكرا لقال قال نملة وذلك أن النملة مثل الحمامة والشاة تقع على الذكر والانثى فيميز بينهما بعلامة تصوغ لهم حمامة ذكر وحمامة أنثى وهو وهي *وقرئ مسكنكم ولا يحطمنكم بتخفيف النون وقرئ لا يحطمنكم بفتح الحاء وكسرها وأصله يحتطمنكم *ولا جعلها قالت للنمل مقولا لهم لما كانوا في أولي العقل أجرى خطابهم مجرى خطابهم (فان قلت) لا يحطمنكم ما هو (قلت) يحتمل أن يكون حالا بالامر وأن يكون نهيا بعد الامر والذي حوز أن يكون بدلا منه أنه في معنى لا تكونوا حيث أنتم فتحطمكم على طريقة لا أرينك ههنا أراد لا يحطمنكم جنود سليمان فجاء بما هو أبلغ وخوه عجيب من نفسي ومن أشباهها *ومعنى تبسم ضاحكا تبسم شارعا في الضحك وآخذا فيه يعني أنه قد شارف وحد التبسم الى الضحك ركذلك ضحك الانبياء عليهم السلام وأما ما روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه فالفرض المبالغة في وصف ما وجد منه من الضحك النبوي ولا فبد والنواجذ على الحقيقة انما يكون عند الاستغراب وقرأ ابن السميفع ضحكا (فان قلت) ما أضحكه من قولها (قلت) شبه أن الحامل بادل من قولها على ظهور رحمته وحنوه وشفقته عليهم وعلى شهوة حاله وحالهم في باب التقوى وذلك قولها وهم لا يشعرون يعني أنهم لو شعروا لم يحملوا وسرورا بما آتاه الله مما لم يؤت أحدا من ادراكه بسببه ما همس به بعض الحكل الذي هو مثل في الصغير والقليل رمن احاطته بعلمه ولذلك اشتمل دعاؤه على استيزاع الشكر مما أنعم به عليه من ذلك وعلى استيفائه زيادة العمل الصالح والتقوى *وحقيقة أوزعني اجعلني أزع شكرنعمتك عندي وأكفه وأرتبطه لا يفلت مني حتى لا أخل بشكر ذلك * وانما أثر ذكر والديه لان النعمة على الوالدين خصوصا

قال ذلك قال لان الله عز وجل قال قالت نملة ولو كانت ذكرا لقال قال نملة) قال أحمد لا أدري العجب منه أم من أبي حنيفة ان يثبت ذلك عنه وذلك ان النملة كالحمامة والشاة تقع على الذكر وعلى الانثى لانه اسم جنس يقال نملة ذكر ونملة

يوزعون حتى اذا أتوا على وادي النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه

أنثى كما يقولون حمامة ذكر وحمامة أنثى وشاة ذكر وشاة أنثى فلفظها مؤنث ومعناه محتمل فيمكن ان تؤنث لاجل لفظها وان كانت واقعة على ذكر بل هذا هو الصحيح المستعمل الاتري الى قوله عليه الصلاة والسلام

لا تقضي بعد رأسها ولا يجهلها ولا عيبها كيف أخرج هذه الصفات على اللفظ مؤنثة ولا يعني الاناث من الانعام خاصة فحينئذ النعمة

قوله تعالى قالت نملة روي فيه تأنيث اللفظ وأما المعنى فيحتمل على حد سواء وانما أطلت في هذا وان كان لا يقتضي عليه حكما لانه نسبه الى الامام أبي حنيفة على بصيرة بالغة ثم جعل هذا الجواب مجيبا النعمان على غزارة علمه وتبصره بالمنقولات ثم غرر الكلام على ما هو

النعمة الراجعة الى الدين فانه اذا كان تمامها بدعائه وشفاعته وبدعاء المؤمنين لها كما دعوا له وقالوا رضي الله عنك وعن والديك وروي أن النملة أحست بصوت الجنود ولا تعلم انهم في الهواء فأمر سليمان الريح فوقفت لتلاثين عينا حتى دخلن مساكنهن ثم دعا بالعود * ومعنى (وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين) واجعلني من أهل الجنة * أم هي المقطعة نظر الى مكان الهدهد فلم يصره فقال (مالي لا أرى) على معنى أنه لا يراه وهو حاضر لسائر ستره أو غير ذلك ثم لاح له أنه غائب فأضرب عن ذلك وأخذ يقول أهو غائب كأنه يسأل عن علة ما لاح له وضعوا قولهم اتم الابل أم ساء وذكر من قصة الهدهد أن سليمان حين تم له بناء بيت المقدس تحول الى حضرته فوافى الحرم وأقام به ثلاثا وكان يقرب كل يوم طول مقامه بخمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف بقرة وعشرين الف شاة ثم عزم على السير الى اليمن فخرج من مكة صباحا يؤم سهيلا فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى أرضا حسناء أعجبته خضرتها فنزل ليتغدى ويصلي فلم يجدوا الماء وكان الهدهد قناء فوكان يرى الماء من تحت الارض كما يرى الماء في الزجاجة فيحتي * الشياطين يستخرجونها كما يستخرج الاهاب ويستخرجون الماء فتشقد لذلك وحين نزل سليمان حلق الهدهد فرأى هدهدا واقعا فاخط الهدهد فوصف له ملك سليمان وما مخوله من كل شيء وذكر له صاحبه ملكة بلقيس وأن تحت يدها اثني عشر الف قائد تحت كل قائد مائة الف وذهب معه ليدلها فلم يجد الا بعد العصر وذكر أنه وقعت نفحة من الشمس على رأس سليمان فنظر فاذا موضع الهدهد خال فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عنه فلم يجد عنده علما ثم قال لسيد الطير وهو العقاب علي به فارتفعت منظرته فاذا هو مقبل نحوه فلما شد هما الله وقال بحق الله الذي قواك وقدرك على الارض حتى فتركته وقالت ذكرتك أملك ان نبي الله قسم عليك ليعذبنك قال وما استثنى قالت بلى قال أو ليأتيني بعذر مبين فلما قرب من سليمان أرخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الارض تواضعا له فلما دانا منه أخذ رأسه فنفه اليه فقال يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله فارتعد سليمان وعفا عنه ثم سأله * تعذيبه أن يؤدب بما يحتمله مثله ليعتبر به أبناء جنسه وقيل كان عذاب سليمان للطير أن ينشر ريشه ويشمسه وقيل أن يطل بالقطران ويشمس وقيل أن يلقى للنمل تأكله وقيل ابداعه النفس وقيل التفريق بينه وبين الله وقيل لا رضه محبة الاضداد وعن بعضهم أضيق السجون معاشرة الاضداد وقيل لا رضه خدمة أقرانه (فان قلت) من أين حمل له تعذيب الهدهد (قلت) جوز أن يوحي الله ذلك لسليمان أو في نسخه من الصحف والسنة جارية كالباز مع الطير والدليل وغيره من المنافع وانما حضر له الطير ولم يتخلف منها حضر من أهله الا بالتأديب والسياسة جاز أن يباح له ما يستطيبه * وقرئ ليأتيني وليأتين * والسلطان الحجة والعذر (فان قلت) قد حلف على أحد ثلاثة أشياء فعلى فعلها لا على فعلها فهلا كان كيف صح حلفه على فعل الهدهد ومن أين درى أنه يأتي بسلطان حتى يقول لأتيني بسلطان (قلت) لما تكلم الثلاثة أو في الحكم الذي هو الحلف آل كلامه الى قولك ليكونن أحد الامرين اما أن كان الاتيان بالسلطان لم يكن تعذيب ولا ذبح وان لم يكن كان أحدهما وليس في هذا ادعاء درايه على أنه يجوز أن يتعلق حلفه بالمعنى ومعنى من الله بأنه سيأتيه بسلطان مبين فقلت بقوله أو ليأتيني بسلطان مبين عن درايه وايقان (شككت) قرئ بفتح الكاف وضمها (غير بعيد) غير زمان بعيد كقوله عن قريب ووصف مكثه بقصر المدة للدلالة على اسراعه خوفا من سليمان ولعلم كيف كان الطير مسخرا له وليبان ما أعطى من المعجزة الدالة على نبوته وعلى قدرة الله تعالى (أحطت) بادغام الطاء في التاء اطباقيا وبغير اطباق (لم يحط الهدهد) كأنهم الهدهد هذا الكلام على ما أوتي من فضل النبوة والحكمة والعلوم الجمة والاحاطة بالمعلومات الكثيرة أتبعه في علمه وتنبيها على أن من أدنى خلقه وأصغرهم من أباط علما لم يحط به لم تخف عليه نفسه ويتصاغر اليه علمه ويكون لطفا له في ترك الاعجاب الذي هو فتنة العلماء وأعظمهم افتتانه والاحاطة الشيء علما أن يعلم من جميع جهاته لا يخفى منه معلوم قالوا وفيه دليل على بطلان قول الرافضة ان الامام لا يخفى عليه شيء ولا يكون في زمانه أحد أعلم منه * سبأ قرئ بالصرف ومنعه وقرئ بسكون الباء وعن ابن كثير في رواية سبايا لا لف كتبوهم فذهبوا أبدي سباوهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان فمن جعله اسما للقبيلة لم يصرفه ومن جعله اسما للحي أو

وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين ونفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين لاعذبنه عذابا شديدا أو لاذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به

علمه معه وتاله فالله الثقيب الوهاب والله الموفق للصواب

الاب الاكبر صرف قال من سبأ الحاضرين مأرب اذ * يبنون من دون سيله العرما
وقال الوارد ون وتيم فى ذرى سبا * قد مزقوا أعناقهم جلدا لجوانبس

ثم سميت مدينة مأرب بسبأ وبنى بها وبين صنعاء ستين ثلاث كما سميت سمأ بن زعافر بن أدد بحمل أن يراد المدينة والقوم * والنبأ الخبر الذى له شأن * وقوله (من سبائها) من جنس الكلام الذى سماه المحدثون البديع وهو من محاسن الكلام الذى يتعلق باللفظ بشرط أن يجئ مطبوعا أو يصنعه عالم بجوهر الكلام يحفظ معه صحة المعنى وسداده ولقد ساء عمى ازدادا على الصحة فحسن وبدع الفظ ومعنى الا ترى أنه لو وضع مكان بنبا خبرا لكان المعنى صحيحا وهو كما ترى أصح لفظا فى المعنى لزيادة التى يطبقها وصف الحال * المرأة بلقيس بنت شرحبيل وكان أبوها ملك أرض اليمن كلها وقد ولده أربعون ملكا ولم يكن له ولد غيرها فملكت على الملك وكانت هى وقومها مجوسا يعبدون الشمس والصغير فى (تملكهم) راجع الى سبأ فان أريد به القوم فالامر ظاهر وان أريد المدينة فعناه تملك أهلها * وقيل فى وصف عرشها كان ثمانين ذراعا فى ثمانين وسمكه ثمانين وقيل ثلاثين مكان ثمانين وكان من ذهب وفضة مكللا بأنواع الجواهر وكانت قوائمه من ياقوت أحمر وأخضر ودر وزمرد وعليه سبعة أبيات على كل بيت باب مغلق (فان قلت) كيف استعظم عرشها مع ما كان يرى من ملك سليمان (قلت) يجوز أن يستعظم بالاضافة الى حال سليمان فاستعظم لها ذلك العرش ويجوز أن لا يكون لسليمان مثله وان عظمت ملكته فى كل شئ فلا يكون له من أمراء الاطراف شئ لا يكون مثله للملك الذى يملك عليهم أمرهم ويستخدمهم ومن ثم كان القصاص من يقف على قوله وأيها عرش ثم يبتدئ عظيم وجدتها يريد أمر عظيم ان وجدتها وقومها يسجدون للشمس فزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السموات والارض ويعلم ما تخفون وما تعلنون الله لا اله الا هو رب العرش العظيم قال

وجئتك من سبأ بنبإ يقين انى وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شئ ولها عرش عظيم وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السموات والارض ويعلم ما تخفون وما تعلنون الله لا اله الا هو رب العرش العظيم قال

وقيل كان ثلاثمائة ذراع فى ثلاثمائة وسمكه ثلاثون ذراعا وكان من ذهب وفضة مكللا بالجواهر وكانت قوائمه من ياقوت أحمر وزبرجد وعليه سبعة أبيات على كل بيت باب مغلق (فان قلت) كيف استعظم عرشها مع ما كان يرى من ملك سليمان (قلت) يجوز أن يستعظم بالاضافة الى حال سليمان فاستعظم لها ذلك العرش ويجوز أن لا يكون لسليمان مثله وان عظمت مملكته فى كل شئ فلا يكون له من أمراء الاطراف شئ لا يكون مثله للملك الذى يملك عليهم أمرهم ويستخدمهم ومن ثم كان القصاص من يقف على قوله وأيها عرش ثم يبتدئ عظيم وجدتها يريد أمر عظيم ان وجدتها وقومها يسجدون للشمس فزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السموات والارض ويعلم ما تخفون وما تعلنون الله لا اله الا هو رب العرش العظيم قال الهدهد عرشها وقع فى عظيم وهى سمع كتاب الله (فان قلت) كيف قال (وأوتيت من كل شئ) مع قول سليمان وأوتينا من كل شئ كما تسوى بينهما (قلت) ينبغى أن يفرق بين لان سليمان عليه السلام عطف قوله على ما هو معجزة من الله وهو تعليم منطق الطير فرجع أولا الى ما أوتى من النبوة والحكمة وأسباب الدين ثم الى الملك وأسباب الدنيا وعطفه الهدهد على الملك فلم يرد الا ما أوتيت من أسباب الدنيا للدلالة بحالها فى هذين الكلامين بون بعيد (فان قلت) كيف خفى على سليمان مكانها وكانت المسافة بين محطه وبين بلدها قريبة وهى مسيرة ثلاث بين صنعاء ومأرب (قلت) لعل الله عز وجل أخفى عنه ذلك لمصلحة رآها كما أخفى مكان يوسف على يعقوب * (فان قلت) من أين للهدهد الهندى الى معرفة الله ووجوب السجود له وانكار مصيرهم للشمس واضافته الى الشيطان وتزيينه (قلت) لا يبعد أن يلهمه الله ذلك كما ألهمه وغيره من الطير وسائر الحيوان المعارف اللطيفة التى لا يكاد العقلاء الراجح العقول يهتدون لها ومن أراد استقراء ذلك فعليه بكتاب الحيوان خصوصا فى زمن نبى سخرت له الطير وزرع منطقه وجعل ذلك معجزة له * من قرأ بالتشديد أراد فصدهم عن السبيل للا يسجدوا فحذف الجار مع أن ويجوز أن تكون لا مزيدة وتكون المعنى فهم لا يهتدون الى أن يسجدوا ومن قرأ بالتخفيف فهو الا يا اسجدوا الا للتنبيه وبا حرف النداء ومنادا محذوف كما حذفه من قال * ألا يا اسلمى يا دارمى على البلى * وفى حرف عبد الله وهى قراءة الاعمش هلا وهلا بقلب الهمزة بين هاء وعن عبد الله هلا تسجدون بمعنى ألا تسجدون على الخطاب وفى قراءة أبى ألا تسجدون لله الذى يخرج الخبء من السماء والارض ويعلم سركم وما تعلنون * وسمى المخبوء بالمصدر وهو النبات والمطر وغيرهما مما خبأ عز وعلا من غيوبه * وقرئ الخبء على تخفيف الهمزة بالحذف والقاء على تخفيفها بالقلب وهى قراءة ابن مسعود ومالك بن دينار ووجهها أن تخرج على لغة من يقول فى الوقف هذا الخبو ورأيت الخبا ومررت بالخبى ثم أجرى الوصل مجرى الوقف لا على لغة من يقول الكاة والحاة لانها ضعيفة مستزلة * وقرئ يخفون ويعلنون بالياء والتاء وقيل من أحطت الى العظيم هو كلام الهدهد وقيل كلام رب العزة وفى اخراج الخبء أمارة على أنه من كلام الهدهد لهندسته ومعرفته الماء تحت الارض وذلك بالهام من يخرج الخبء فى السموات والارض

جلت قدرته ولطف علمه ولا يكاد تخفى على ذي الفراسة النظار بنور الله تخائل كل شخص بصناعة أو فن من العلم في ورائه ومنطقه وشمائله وهذا ورد ما عمل عبد عملا الا ألقى الله عليه رداءه عمله (فان قلت) أسجدة التلاوة واجبة في القراءتين جميعا أم في احداهما (قلت) هي واجبة في جميعا لأن مواضع السجدة انما أمر بها أو مدح لمن أتى بها أو ذم لمن تركها والحدى القراءتين آخر بالسجود والأخرى ذم التارك وقد قرأ أبو حنيفة والشافعي رحمهما الله على أن سجدات القرآن أربع عشرة وانما اختلفا في سجدة ص فهي عند أبي حنيفة سجدة تلاوة وعند الشافعي سجدة شكر وفي سجدتي سورة الحج وما ذكره الرياح من وجوب السجدة مع التخفيف دون التشديد غير مرجوع اليه (فان قلت) هل يفرق الواقف بين القراءتين (قلت) نعم اذا تخفف وقف على فهم لا يتهدون ثم ابتدأ الا بأيها اسجدوا وان شاء وقف على الأيام ثم ابتدأ اسجدوا واذا شدد لم يقف الا على العرش العظيم (فان قلت) كيف سوّى الهدهد بين عرش بلقيس وعرش الله في الوصف بالعظم (قلت) بين الوصفين بون عظيم لان وصف عرشها بالعظم تعظيم له بالاضافة الى عروش أبناء جنسها من الملوك ووصف عرش الله بالعظم تعظيم له بالنسبة الى سائر ما خلق من السموات والأرض * وقرئ العظيم بالرفع (سننظر) من النظر الذي هو التأمل والتصفح * وأراد أصدقت أم كذبت الا أن كنت من الكاذبين أبلغ لانه اذا كان صموعا فالاعتراف في سلك الكاذبين كان كاذبا لا محالة واذا كان كاذبا تهيأ له الكذب فيما أخبر به فلم يوثق به (تولّ عنهم) تنح عنهم الى مكان قريب تتوارى فيه ليكون ما يقولونه بمسمع منك و(يرجعون) من قوله تعالى يرجع بعضهم الى بعض القول فيقال فلان دخل عليهم من كوة فألقى الكتاب اليهم أو توارى في الكوة (فان قلت) لم قال فألقه اليهم على لفظ الجمع (قلت) لانه قال وجدتها وقومها يسجدون للشمس فقال فألقه الى الذين هذا دينهم أهينا مانته بأس الدين واشتغالا به عن غيره وفي الخطاب في الكتاب على لفظ الجمع لذلك (كريم) حسن مضمونه وما فيه أو وصفته بالكرم لانه من عنده تعالى كريم أو لختمه بقال صلى الله عليه وسلم كرم الكتاب ختمه وكان صلى الله عليه وسلم يكتب الى العجم فقيل له انهم لا يقبلون الا كتابا عليه خاتم فاصطنع خاتما وعن ابن المقفع من كتب الى أخيه كتابا ولم يختمه فقد استخفّ به وقيل مصدر بسم الله الرحمن الرحيم * هو استئناف وتبين لما ألقى اليها كأنها قالت لما ألقى الى كتاب كريم قيل لها ممن هو وما هو فقالت انه من سليمان وانه كيت وكيت وقرأ عبد الله وانه من سليمان وانه عطف على أني وقرئ أنه من سليمان وأنه بالفتح على أنه بدل من كتاب كأنه قيل ألقي الي أنه من سليمان وبجوز أن تريد بالاسم من سليمان ولأنه كلام عالت كريم مكتوب من سليمان وتصديره ببسم الله وقرأ أبي أن من سليمان وان بسم الله على أن القصة وأن في (الا تعلوا) مفسرة أو صلة الا تعلوا والا تستكبروا كما يعمل اللوذ وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما ألا تعن محجة من التلو وهو مجاوزة الحد يروى أن نسخة الكتاب من عبد الله سليمان بن داود الى بلقيس ملكة سبأ السلام على من اتبع الهدى أما بعد فلا تعلوا علي * وأتوني مسلمين وكانت كتب الأنبياء عليهم السلام جملا لا يطيلون ولا يكثرون وطبع الكتاب بالمسك وختمه فحانه فوجد الهدهد قد أفاد في قصرها بأرب وكانت اذا رقدت غلقت الأبواب ووضعت المفاتيح تحت رأسها فدخل من كوة وطرح الكتاب على نحرها وهي مستلقية وقيل نقرها فانتبهت فزعة وقيل أتاها والجنود حولها فرفرف ساعة والناس ينظرون حتى رفعت رأسها فألقى الكتاب في حجرها وكانت قارئة كاتبة عربية من نسل تبع من ذرية ابراهيم الخيري فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت وقالت لقومها ما قالت (مسلمين) منقادين أو مؤمنين * فتوى في الجواب في الحادثة اشتقت على طريق الاستعارة من الفتاء في السن والمراد بالفتوى ههنا الاشارة عليها بما عندهم فيما حدث لها من الرأي والتدبير وقصدت بالانقطاع اليهم والرجوع الى استشارتهم واستطلاع آرائهم استمالتهم وتطييب نفوسهم لما تلوها وهو سوء عاقبتها (قاطعة أمرا) فاصلة وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه قاضية * أي لا أبت أمرا الا بحضرتكم وقيل كان أهل مشورتها ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا كل واحد على عشرة آلاف * أراد وا بالقوة قوة الاجساد وقوة الآلات والعدد * وبالبأس الشدة والملاقاة للحرب (والامر اليك)

ستنظر أصدقت أم كنت من الكاذبين اذهب بكتابي هذا فألقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون قالت يا أيها الملأ اني ألقي الي كتاب كريم انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم الا تعلوا علي وأتوني مسلمين قالت يا أيها الملأ أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون قالوا نحن أولو قوة وأولوا بأس شديد والامر اليك فانظري ماذا تأمرين

* قوله تعالى قال ستنظر أصدقت أم كنت من الكاذبين (قال معناه أصدقت أم كذبت الان عبارة الآية أبلغ لانه اذا كان معروفا بالكذب انهم في جملة اخباره فلم يوثق به) قال أحمد وهذا شيء نبهت عليه في سورة الشعراء من العدول عن الفعل الذي هو أم كذبت وعن مجرد صفته في قوله أم كنت كاذبا الى جعله واحدا من الغائبة الموسومة بالكذب فهو أبلغ في مقصود سياق الآية من التهديد والله أعلم

أي هو موكول اليك ونحن مطيعون لك فرينا بامرك نطيعك ولا نخالفك * كأنهم أشاروا عليها بالقتال أو أرادوا نحن من أبناء الحرب لامن أبناء الرأي والمشورة وأنت ذات الرأي والتدبير فانظري ماذا ترين نتبع رأيك * فلما أحست منهم الميل الى المحاربة قرأت من الرأي الميل الى الصلح والابتداء بما هو أحسن وربت الجواب فريقت أولا ماذكروه وأرتهم الخطأ فيه (أن الملوك اذا دخلوا قرية) عنوة وقهرا (أفسدوها) أي خربوها ومن ثمة قالوا للفساد التخريب * وأذلوا أعزتها وأهانوا أشرافها وقتلوا وأسروا فاذا كرت لهم عاقبة الحرب وسوء مغبتها ثم قالت (وكذلك يفعلون) أرادت وهذه عادتهم المستمرة الثابتة التي لا تتغير لانها كانت في دين الملك القديم فسمعت نحو ذلك فورأت ثم ذكرت بعد ذلك حديث الهدية ومارأت من الرأي السديد وقيل هو تصديق من الله لقولها وقد يتعلق الساعون في الارض بالفساد بهذه الآية ويجعلونها حجة لانفسهم ومن استباح حراما فقد كفر فاذا احتج له بالقرآن على وجه التحريف فتضم بين كفرين (مرسلة اليهم بهدية) أي مرسلة رسلا بهدية أسامتهم بها عن ملكي (فناظرة) ماركون منه حتى أعمل على حسب ذلك فروي أنها بعثت خمسمائة غلام عليهم ثياب الجواري وحليهن الاساور والاطواق والقرطة راكبي خيل مغشاة بالديباج محلاة اللجم والسروج بالذهب المرصع بالجواهر وخمسمائة جارية على رمال في زي الغلمان وألف لبنة من ذهب وقصبة وتاجا مكللا بالدر والياقوت المرتصع والمسك والعنبر وحقاقيه درة عذراء لم يرثقبه مثقوبة الثقب وبعثت رجلين من أشراف قومها المسندين عمرو آخر ذا رأي وعقل وقالت ان كان نبيا فمن الغلمان والجواري وثقب الدرة فتقدم مستعينا بالملائكة في الطريق شيئا ثم قالت للمندوبين نظر الملك نظر تصديق فهو ملك فلا يهولنكم رأيته بشاشة وجهه وبني فانبئوني بهديته وخبره سليمان فاهم الذي فجر بركات الذهب والفضة وفرشوني ميدان من لبن طوله سبعة فراسخ وجعلوا حول الميدان حائطا ارتفاعه من الذهب والفضة وأمر باحسن الدواب في البر والبحر فربطوها عن يمين الميدان ويساره على اللبن وأمر بأولاد الجن وهم خلق كثير فأقيموا عن اليمين واليسار ثم قعد على سريره والكراسي من جانبيه واصطفت الشياطين صفوفا فراسخ والانس صفوفا فراسخ والوحش والسباع والهوام والطيور كذلك فلما دنا القوم ونظروا إليه تحيروا ورأوا الدواب تروث على اللبن فاستصغرت اليهم نفوسهم ورجعوا إلى صاحبتهم ولما دخلوا بين يديه نظر اليهم موجدا لهم وقال ماوراءكم وقال أبو الخير وآخر جبريل عليه السلام ما هيه فقال لهم ان فيه كذا وكذا ألف أمة الا واحدة أعظمت سمرتها وقلت غيرتها فجعل يرتع فيها كالبعير وأخذت درة بيضاء الخط ثقبوا وسلكت فيها كالخيط ثم رجعوا الى القوم كما رجعوا اليه فاخذ الدرة بيده اليمنى في الاخرى ثم ضرب به وجهها والغلام كما يأخذ بضرب بوجهه ثم رد الهدية وقال للانذار ارجع اليهم فقالت هو نبي وما لنا به طاقة فتخصنا البعث ثني عشر ألف قيل ألوف * وفي قراءة ابن مسعود بضع عشر الفا فلما جاؤا (أتمدونني) وقرئ بحذف الياء والاكتفاء بالكسرة والادغام كتروني وبنون واحدة أتمدونني * الهدية اسم المهدى كأن العطية اسم المعطى فتضاف الى المهدى والمهدى اليه تقول هذه هدية فلان تريد هي التي أهداها وأهديت اليه والمضاف اليه هنا هو المهدى اليه * والمعنى أن ما عندي خير مما عندكم وذلك أن الله آتاني الدين الذي فيه لطف الاوفر والغنى الاوسع وآتاني من النبوة والملك استقرأ عليه فكيف يرضى مثلي بان يمد بمال ويصانع به (بل أنتم) قوم لا تعلمون الا ظواهر من الحياة الدنيا فذلك (تفرحون) بما رأيتم ويهدى اليكم لان ذلك مبلغ همتكم ومحال خلاف حالكم وما أرضى منكم بذلك ولا أقر به الا بالايمان وترك المجوسية (فان قلت) ما الفرق بين قولك أتمدونني بمال وأنا آتي منك وبين أن تقول الباء (قلت) اذا قلت به بالواو فقد جعلت خطابي عليا يأتي عليه في الغنى واليسار وهو مع ذلك يمدني بالمال واذا قلته بالباء فقد جعلته من شغبت عليه حالي فأنا أخبره الساعة بما لا أستاح معه الى امداده كأني أقول له أنكر علي ما فعلت فاني غني عنه وعليه ورد قوله فما آتاني الله (فان قلت) فما وجه الاضراب (قلت) لما أنكر عليهم الامداد وعلل انكاره أضرب عن ذلك الى بيان السبب الذي حملهم عليه وهو أنهم لا يعرفون سببا وصارلا فرح الا أن يهدى اليهم خطر من الدنيا التي لا يعلمون غيرها

قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون واني مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون فلما جاء سليمان قال أتمدونني بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون

ويجوز أن تجعل الهدية مضافة الى المهدى ويكون المعنى بل أنتم بهديتكم هذه التى أهديتموها تفرحون فرح افتخار على الملوك بأنكم قدرتم على اهداء مثلها ويحتمل أن يكون عبارة عن الردكأنه قال بل أنتم من حقكم أن تأخذوا هديتكم وتفرحوا بها (ارجع) خطاب للرسول وقيل للهدهد ملا كتابا آخر (لا قبل) لا طاقة وحقيقة القبل المقاومة والمقابلة أى لا يقدرون أن يقابلوهم وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه لا قبل لهم بهم * الضمير فى منها للسبأ * والذل أن يذهب عنهم ما كانوا فيه من العز والملك * والصغار أن يقعوا فى أسر واسترقاد ولا يقتصر بهم على أن يرجعوا سوقة بعدان كانوا ملوكا * يروى أنها أقامت عنده شهرا وجها الى سليمان عليه السلام بجمل عرشها فى آخر سبعة أبيات بعضها فى بعض فى آخر قصر من قصوره سبعة قلما وغلقت الابواب ووكلت به حرسا يحفظونه وأمرته أن يحتال سليمان عليه السلام بأستيفائها من عرشها فاراد أن يعرف عليها ويريها بذلك بعض ما خصه الله به من ابراء الاعيان على يده مع اطلاعها على عظم قدرة الله وعلى ما يشهد لنبوة سليمان عليه السلام ويصدقها وعن قتادة أراد أن يأخذه قبل أن تسلم لعلمه أنها اذا أسلمت لم يحل له أخذ شىء منها وقيل أراد أن يؤتى به فيتكرونه فينكرونه فيختبر بذلك عقلها * وقرئ عفريت والعفر والعفرية والعفرى والعفراء والعفار يقمن الرجال الخبيث المنكر الذى يعفر أقرانه ومن الشياطين الخبيث المارد وقالوا كان اسمه ذكوان (القوى) على حمله (أمين) آتى به كما هو لا أختزل منه شيأ ولا أبدل له (الذى عنده علم من الكتاب) وحل كان عنده اسم الله الاعظم وهو يا حى يا قيوم وقيل يا الهنا وإله كل شىء الها واحدا لا اله الا أنت وقيل يا ذا الجلال والاكرام وعن الحسن رضى الله عنه الله والرحمن وقيل هو آصف بن برخيا كاتب سليمان عليه السلام وكان صديقا عالما وقيل اسمه اسطوم وقيل هو جبريل وقيل ملك أيد الله سليمان وقيل هو سليمان نفسه كان استبطأ العفريت فقال له أنا أريك ما هو أسرع مما تقول وعن ابن عيينة بلغنى أنه الخضر عليه السلام * علم من الكتاب من الكتب المنزلة وهو علم الوحى والشرائع وقيل هو اللوح والذى عنده علم منه جبريل عليه السلام * وآتيك به فى الوقت يجوز أن يكون فعلا واسم فاعل الطرف نحو يأتيك اذا تقلبت فوضع موضع المنظور وأنا كان الناظر موضوعا ظاهرا مكان الطارف فى نحو قوله

ولكننى أغدو اذا الخيل طرفا * لتقبل وما أحتث النظر

وصف بالطرف ووصف الطرف بالارتداد ومعنى قوله (قبل أن يرتد اليك طرفك) أنك ترسل طرفك الى أقصى ما تقدر عليه فقبل أن يرجع أصبت العرش بين يديك وروى أنه آصف قال لسليمان عليه السلام مد عينيك حتى تنتهى طرفك فمد عينيه فنظر نحو اليمن ودعا آصف فغار العرش فى مكانه وأتى به فنبع عند مجلس سليمان عليه السلام فالله أعلم بقدر الله قبل أن يرتد طرفه ويجوز أن كوشف بذلك فى لحظة وقرئ طرفك وأنت ترى وما أسبه ذلك بقوله تريد السرعة (ليبلونى أأشكر أم أكفر) لانتفع بعبادتى فوائدها وأعود نفعها على فلا أخل بشىء منها وأكون شاكرا لنعمته (ومن شكر فانما يشكر لنفسه) لان منفعة الشكر عائدة اليه (ومن كفر فان ربى غنى عن شكره كريم بالاحسان الى من كفر نعمته والذى قاله سليمان عليه السلام عند رؤية العرش شاكرا لربه يجرى على ما كلفنا به جنسه من أنبياء الله والمخلصين من عباده يتلقون النعمة القادمة بتحسين الشكر كما يتلقون النعمة الواقعة بجميل الصبر (نكروا) اجعلوه متنكرا متغيرا عن هيئته وشكله التى تنكر الرجل للناس اذا بعرفوه قالوا وسموه وجعلوا مسنده مؤخره وأعلاه أسفله * وقرئ تنظر بالجزم على الجواب بالرفع على الاستئناف (أتهتدى) لمعرفته أو للجواب الصواب اذا سئلت عنه أو للدين والايمان بنبوة سليمان عليه السلام اذا رأت تلك المعجزة البينة من تقدم عرشها وغلق خلفه وأغلقت عليه الابواب ونصبت عليه الحراس * هكذا الا كلمات حرف التنبيه وكاف التشبيه واسم الاشارة لم يقل أهكذا عرشك ولكن أمثل هذا عرشك لانه لا يكون ناقيا

ارجع اليهم فلنأتينهم
بجنود لا قبل لهم بها
ولنخرجنهم منها أذلة
وهم صاغرون قال يأيها
الملأ أيكم يأتينى بعرشها
قبل أن يأتونى مسلمين
قال عفريت من الجن
أنا آتيك به قبل أن
تقوم من مقامك وإنى
عليه لقوى أمين قال
الذى عنده علم من
الكتاب أنا آتيك به
قبل أن يرتد اليك
طرفك فلما رآه مستقرا
عنده قال هذا من فضل
ربى ليبلونى أأشكر أم
أكفر ومن شكر فانما
يشكر لنفسه ومن كفر
فان ربى غنى كريم قال
نكروا لها عرشها ننظر
أتهتدى أم تكون من
الذين لا يهتدون فلما
جاءت قيل أهكذا
عرشك قالت كأنه هو

* قوله تعالى أهكذا عرشك (قال فيه لم يقل أهذا عرشك لئلا يكون تلقينا قالت كأنه هو ولم تقل هو هو ولا ليس به وذلك من رجاحة عقلها حيث لم تقطع في المحتمل) (١٤٦) قال أحمد وفي قولها كأنه هو عدولها عن مطابقة الجواب للسؤال بان تقول هكذا هو

فيقالت كأنه هو) ولم تقل هو هو ولا ليس به وذلك من رجاحة عقلها حيث لم تقطع في المحتمل (وأوتينا العلم) من كلام سليمان وملئه (فان قلت) علام عطف هذا الكلام وبم اتصل (قلت) لما كان المقام الذي سئلت فيه عن عرشها وأجابت بما أجابت به مقاما أجرى فيه سليمان وملؤه ما يناسب قولهم وأوتينا العلم نحو أن يقولوا عند قولها كأنه هو قد أصبنا في جوابها وطبقت المفصل وهي عادة لبيبة وقد رزقت الاسلام وعلمت قدرة الله وصحة النبوة بالآيات التي تقدمت عند وفدة المنذرين وبهذه الآية العجيبة من أمر عرشها عطفوا على ذلك قولهم وأوتينا العلم بالله وبقدرته وبصحة نبوة سليمان عليه السلام قبل هذه الحجج وأوقبل هذه الحالة التي ما تبينت من الآيات عند وفدة المنذرين ودخلتا في الاسلام ثم قال الله تعالى وصدها قبل ذلك عما كانت تعبد من دون الله أنها كانت من قوم كافرين قبل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال انه صرح ممرد من قوارير قالت رب اني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين وانقاد أو سلسال فؤادها مع صالحات أضاءت عبدوا الله فاذا هم فريقان يختصمون قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون قالوا اطيرنا بك وبمن معك

الاشارة والضمير رفع على الذات المشبهة وحينئذ تستوي العبارتان في المعنى ويفضل قولنا هكذا هو عطابقة للسؤال فلا يبقى اختيار كونه هو من سكمة فتقول حكمته والله أعلم ان كانه هي عبارة من قرب عنده الشبه حتى شكك نفسه في التغاير بين الامرين فكان يقول الذي هو هو والذي هو ليس به هو فعبارة جازمة بتغاير الامرين حاكمة بوقوع الشبهة بينهما والاغير فلهذا عدلت الى العبارة المذكورة في التلاوة فطابقت قولها والله أعلم وقول الزمخشري ولا ليس به هو ان كان من قوله فوهم والصواب ولا ليس به والله سبحانه وتعالى أعلم

وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين وصدها ما كانت تعبد من دون الله انها كانت من قوم كافرين قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال انه صرح ممرد من قوارير قالت رب اني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين وانقاد أرسلنا الى ثمود أخاهم صالحا ان اعبدوا الله فاذا هم فريقان يختصمون قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون قالوا اطيرنا بك وبمن معك

* قوله تعالى لنبيته وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وانا لصادقون (قال فيه ان قلت كيف يكونون صادقين وقد حلفوا باطلا فقد أتوا بالخبر على خلاف الخبر عنه قلت كانهم اعتقدوا انهم اذا بيتوا صالحا ولبيتوا أهله وجمعوا بين البيانين جميعا لأسندها كانوا صادقين وفي هذا دليل قاطع على ان الكذب قبيح عند الكفرة الذين لا يعرفون الشرع ونواهيه ولا يحظر بالهم الا تراهم قصدوا قتل نبي الله ولم يرضوا لانفسهم بان يكونوا كاذبين حتى سووا الصدق حيلة يتصفون بها عن (كذب) قال أحمد وحيلة الزمخشري لتصحيح قاعدة التحسين والتقبيح بالعقل أقرب من حيلتهم التي سماها الله تعالى مكرا لان غرضه من تمهيد (١٢٧) حيلتهم ان يستشهد على صحة القاعدة المذكورة في مواقعة قوم لوط عليها اذا استقبحوا الكذب بقولهم لا بالشرع وأني يتم له ذلك أولهم وهم كاذبون صريح الكذب في قولهم قال طائركم عند الله بل أنتم قوم تفتنون وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الارض ولا يصلحون قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وانا لصادقون ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم وقومهم أجمعين فقال يوسعهم طاويه بما طووا ان في ذلك لآية لقوم يعلمون وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون

ما شهدنا مهلك أهله (ذلك انهم علموا الامرين ومن فعل الامرين فعل أحدهما لم يكن في قريته صريحا وانما كانت الحيلة تتم لو علموا أمرا خفيا هو فعل أحد الامرين لا بعينه والجمع بينهما ثم لم تختلف العلماء في ان من حلف لا أضرب زيدا فضربه بالسوط حنث خلافا لطائفة أضربه بالسوط أو بغيره فضربه بغيره لم يحنث خلافا لمالك هذا محل خلاف العلماء في الحنث وعدمه فاذا تقرر هذا فقد أخبر الله تعالى عن هؤلاء الكاذبين صراحا في قولهم ما شهدنا مهلك أهله وانه لا حيلة لهم في الخلاص من الكذب فلا يحلو أمرهم أن يكونوا اعتقدوا انهم لا يتواطؤون على اعتقاد الصدق في هذه الصورة التي ليست حيلة ولا شبهة لتقرب عتقدهم من الصدق فيبطل ما قال الزمخشري لاثبات قاعدة دينه على زعمه اذ قاعدة التحسين والتقبيح بالعقل من قواعد عقائد المعتزلة وهم فرقة ضالة لا يعول على شيء مما يرضى به المدينة والسلام

حال عمل فيها مادل عليه تلك وقرأ عيسى بن عمر شاذة بالرفع على خبر المبتدا المحذوف (و) اذكر (لوطا) أو أرسلنا لوطا الدلالة ولقد أرسلنا اليه * واذ بدل على الاول ظرف على الثانى (وأنتم تبصرون) من بصر القلب أى تعلمون أم فاحشة لم تسبقوا اليها وان الله خالق الانثى الذكر ولم يخلق الذكر لاالانثى الذى فهى معاندة لله فى حكمته وحكمه وعلمكم بذلك أعظم اذ نوكم وأدخل فى القبح والسماجة وفيه دليل على أن القبيح من الله أقبح منه من عباده لانه أعلم العالمين وأحكم الحاكمين أو تبصرونها بعضكم من بعض لانهم كانوا فى نادیهم يرتكبونها معالنين بها لايتستر بعضهم من بعض خلاعة ومجانة وانهماكا فى المعصية وكان أبو انوس بنى على مذهبهم قوله * وبح باسم ماتأتى وذرنى من الكنى * فلا خير فى اللذات من دونها ستر

أو تبصرون آثار العماية قبلكم ومنزل بهم (فان قلت) فسرت تبصرون بالعلم وبعده (بل أنتم قوم تجهلون) فكيف يكونون عالمين جاهلين (قلت) أراد تعلمون فعل الجاهلين بأنها فاحشة مع علمكم بذلك أو تجهلون العاقبة أو أراد بالجهل السفاهة والجهالة التى كانوا عليها (فان قلت) تجهلون صفة لقوم والموصوف فقط لفظ الغائب فهلا طابقت الصفة الموصوف فقرئ بالياء دون التاء وكذلك بل أنتم قوم تفتنون (قلت) اجتمعت الغيبة والمخاطبة فغلبت المخاطبة لانها أقوى وأرسخ أصلا من الغيبة * وقرأ الاعمش جواب قومه الا قالوا اخرجوا آل لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون فانجيناه وأهله الا امرأته قدرناها من الغابرين وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير أما يشركون أمن خلق السموات والارض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق

* قوله تعالى آلله خير أما يشركون (قال فيه معلوم أن لا خير فيما أشركوه حتى يوازن بينه وبين من هو خالق كل خير ومالكه وانما هو الزام لهم وتبكيت) قال أحمد كلام مرضى بعد ان تضع خالق كل شئ مكان قوله خالق كل خير فانه تخصيص قدرى أو اعتزالى خفى والتوحيد الابلج ماقلناه والله سبحانه وتعالى أعلم

ولوطا اذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون فما كان جواب قومه الا أن قالوا اخرجوا آل لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون فانجيناه وأهله الا امرأته قدرناها من الغابرين وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير أما يشركون أمن خلق السموات والارض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق

معنى الاختصاص بقوله (ما كان لكم أن تنبتوا شجرها) ومعنى الكينونة الانتفاء أراد أن تأتى ذلك محال من غيره وكذلك قوله بل هم بعد الخطاب أبلغ في تخطئة رأيهم *والحدبقة البستان عليه حائط من الاحداق وهو الاحاطة وقيل ذات لان المعنى حماعة محدقة ذات بهجة كما يقال النساء ذهبت والبهجة الحسن لان الناظر يبتهج به (أإله مع الله) أغيره يقرن به ويجعل شريكا له وقرئ أإله مع الله على أنكم تشركون ولك أن تحقق الهمزتين وتوسط بينهما مدة وتخرج الثانية بين بين (يعدلون) به غيره أو يعدلون عن الحق الذى هو التوحيد (أمن جعل) ومما سده بدل من أمن خلق فمكن حكمها حكمه (قرارا) دحاها ليستقروا لها للاستقرار عليها (حاجزا) كقوله بزخاخ *الضرورة الحالة المحوجة الى الشيء والاضطرار افتعال منها يقال اضطره الى كذا والفاعل والمفعول مضطر والمضطر الذى أصابه مرض أو فقر أو نازلة من نوازل الدهر الى الله والتضرع الى الله وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو المجهود ومن السعى الذى لا حول له ولا قوة وقيل الذى اذا استقفر (فان قلت) قد عم المضطرين بقوله يجيب المضطر اذا دعاه وكم من مضطر يدعوه فلا يجاب (قلت) الاجابة موقوفة على أن يكون المدعو به مصلحة ولهذا الاحسن دعاء العبد الا بشرط فيه المصلحة وأما المضطر فتناول الجنس مطلقا يصلح لتكلمه ولم يعمد بلا طريق الى الجزم على أحدهما الا بدليل وقد قام الدليل على البعض وهو الذى اجابته مصلحة فيتناول التناول على العموم (خلفاء الارض) خلفا فيها وذلك تواترهم سكناها والتصرف فيها قرنا بعد قرن أو أراد بالخلافة الملك والتسلط *وقرئ يذكرون بالياء مع الادغام والتاء مع الادغام والحذف وباعتبار أى يتذكرون تذكرا قليلا والمعنى فى التذكير والقلة تستعمل فى معنى النفى (يهديكم) بالنجوم فى السماء والاعلام فى الارض ذا جن الليل عليكم مسافرين فى البر والبحر *(فان قلت) كيف قيل لهم (أمن يبدأ الخلق ثم يعيده) وهم منكرون للابتداء (قلت) قد أزيحت علتهم الفكين من المعرفة والاقرار بما هم عنه فى الانكار (من السماء) المطر (و) من (الارض) النبات (ان كنتم صادقين) أن مع الله آلها فأين دليلكم عليه *(فان قلت) لم رفع اسم الله وما قبله نصب قلت لان الاسم الذى يليه الفعل يكون مرفوعا والذى قبله منصوبا كقولك أزيدا ضربته أم عمرا ومثله

عشية ما فى الرماح مكلما * ولا النبل الا المشرفى المصمم

وقوطم أما أنا فزيدا لاضربن وأما أخوتك فانى لا أخونه (فان قلت) ما الداعى الى اختيار المذهب النحوى على الخبرى (قلت) دعت اليه نكتة سرية حيث أخرج المستثنى مخرج قوله الا اليعافير بعد قوله ليس بها أنيس ليؤذن النفى فى قولك ان الله من فى السموات والارض عهم يعلمون الغيب يعنى ان علوم الغيب فى استحالة كونها لله أن يكون الله عز وجل كائن معنى ما فى البيت الا كانت اليعافير أنيسا فيها أنيس بخلاف القول بخلوها من الانيس (فان قلت) هلا زعمت ان الله عز وجل فى السموات والارض كما تقول المتكلمون الله فى كل مكان على معنى ان علمه فى الاماكن كلها على حد واحد لا تحصله على مذهب بنى تميم (قلت) يأبى ذلك أن كونه فى السموات والارض مجاز وكونهم فى حقيقة وارادة المتكلم بعبارة واحدة حقيقة ومجازا غير صحيحة على أن قولك من فى السموات والارض وجعل بينه وبينهم فى اطلاق اسم واحد عليهم ايهام تسوية والايهام من الله فى صفاته تعالى ألا ترى كيف قال صلى الله عليه وسلم ان قال ومن يعصهما فقد غوى بئس خطيب القوم أنت وعن عائشة رضى الله عنها من زعم أنه يعلم ما فى غد فقد أعظم على الله الفرية والله تعالى يقول قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله ومن بعضهم أخفى غيبه عن الخلق لم يطلع عليه أحدا الثلاثا بأمر أحد من عبيده مكرمه وقيل نزلت فى المشركين حين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت الساعة (أيان) معنى متى وبنى لتكلمه فيها لانه أى آن يئن ولا تصرف وقرئ ايان بكسر الهمزة *وقرئ

مصلحة ولهذا الاحسن دعاء العبد الا بشرط فيه المصلحة) قال أحمد الصواب ان الاجابة

ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها الله مع الله بل هم قوم يعدلون أمن جعل الارض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزا الله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض الله مع الله قليلا ما تذكرون أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته الله مع الله تعالى الله عما يشركون أمن يبدؤا الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والارض الله مع الله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله وما يشعرون أيان يبعثون بل ادارك علمهم

مقصورة بالمشيئة لانها مصلحة وانما تقف الاجابة على المصلحة

عند الاقدرية لايجابهم على الله تعالى رعاية الاصلح وقول الزمخشرى لا يحسن الدعاء من العبد الا بشرط فيه المصلحة فاسد فان المشيئة شرط فى اباحة الدعاء اتفاقا ومع ذلك نهى النبى صلى الله عليه وسلم أن يقول الداعى اللهم اغفر لى ان شئت

بل أدرك بل ادرك بل ادارك بل تدارك بل أدرك بهمزتين بل آ أدرك بألف بينهما بل ادرك بالتخفيف والعمل بل ادّرك بفتح اللام وتشديد الدال وأصله بل ادرك على الاستفهام بل أدرك بلى أأدرك أم تدارك أم أدرك فيها ثمانية عشر قراءة وادارك أصله تدارك فادغمت التاء في الدال وادرك افتعل ومعنى أدرك علمهم انتهى وتكامل وادّرك تتابع واستحكم وهو على وجهين أحدهما أن أسباب استحكام العلم تكاملت بان اتضحت كل الاتضاح فحصلت لهم وكملوا من معرفته وهم شاكون جاهلون وهو قوله بل هم في شك منها بل هم منها عمون * يريد المشركين من في السموات والارض لانهم لما كانوا في جملتهم نسب فعلهم الى الجميع كما يقال سود القوم كلهم وانما فعله بعضهم (فان قلت) ان الآية نعت لاختصاص التقابل الغيب وأن التباس الامر لا على هؤلاء الذين وقت بهم ونشورهم من جملة الغيب وهم لا يشعرون بوقت كيف لا وهذا النعي وصف المشركين بانكارهم البعث مع استحكام أسباب العلم والتمكن من المعرفة (قلت) لما ذكر أن العباد لا يعلمون الغيب ولا يشعرون بالبعث الكائن وقته الذي يكون فيه وكان هذا ايذانا بالجزم بوقوعه اتبعه ما هم عليه من الشك والعمى بان عندهم بحيث أنهم مع ذلك يعلمون أنهم يبعثون للكائن الذي لا بد أن يكون وهو وقت زائد أعمالهم لا يكون من أن عندهم أسباب معرفة كونه واستحكام العلم به والوجه الذي أن وصفهم باستحكام العلوم كلامهم كما تقول لاجهل الذي سألت عني سبيل الهزؤ وذلك حيث شكوا وعموا عن البينة الذي الطريق الى العلم بذلك فضلا ان يعرفوا كونه الذي يطريق الى معرفته وقوله بل ادرك علمهم وادارك علمهم بمعنى آخر وهو أن يكون أدرك بمعنى انتهى وفي من قولك أدركت الثمرة لان ثلاثي الذي عند هؤلاء قدم وقد فسره الحسن رضي الله عنه بما معناه بل تدارك علمهم وتدارك من تدارك هو فلان اذا تتابع وراء فلان (فان قلت) فما وجه قراءة من قرأ بل أأدرك على الاستفهام (قلت) هو استفهام على وجه الانكار لادراك علمهم وكمالهم من قرأ أم أدرك وأم تدارك لانها أم التي بمعنى بل والهمزة (فان قلت) فمن قرأ بلى أأدرك وبلى أأدرك (قلت) لما جاء بلى بعد قوله وما يشعرون كان معناه بلى يشعرون ثم فسر الشعور بقوله أدرك علمهم في الآخرة على سبيل التهكم الذي سماه ابن الحنفي في ذوي العلم فكأنه قال ثم شعورهم وقت الآخرة أنهم لا يعلمون كونهم الخ مع ذي الشعور على أبلغ ما يكون وأما من قرأ بلى أأدرك على الاستفهام فمعناه بلى يشعرون متى يبعثون ثم أنكر عليهم كونهم هذا الانكار عليهم كونهم لم يحصل لهم شعور وقت كونهم الان العلم وقت الكائن تابع للعلم بكون الكائن (في الآخرة في شان الآخرة وسماها (فان قلت) هذه الاضرابات الثلاثة ما معناها (قلت) ماهي الا تنزيل لاحوالهم بحسبهم أولا بانهم لا يشعرون وقت البعث فهم لا يعلمون أن القيامة كائنة فهم يخبطون في شك ومرية فلا يزيلون والازالة مستطاعة الا ترى أن من لم يسمع اختلاف المذاهب وتضليل أربابها بعضهم بعضا كان أمره أهون ممن سمع بها وهو جاهل لا يختص به طلب أحد الخبرين الحق والباطل ثم عماهو أسوأ حالا وهو العمى وأن يكون مثل البهيمة قد عكف همه على بطنه وفرجه لا يعطي عالمه حقا ولا باطلا ولا عاقبة في عاقبة وقد جعل الآخرة عمى أمرهم ومنشأ ذلك عداد من دون عن لان الكفر الماضي وجزاءه هو الذي عماهم كلهم أم لا يتدبرون ولا يتبصرون * العامل في اذا مأمل عليه أئنا لمخرجون وهو مخرج لان بين يدي عمل اسم الفاعل فيه عما بأو هي همزة الاستفهام وان ولام الابتداء وواحدة منها صلحت أفيه فكيف اذا اجتمعن والمراد الاخراج من الارض أو من حال الفناء الى الحياة وتكرير حرف الاستفهام بإدخاله على اذا وان جميعا الانكار على انكار وتحود تعقيب تحود ليدل على تكرر ذكر البعث في القرآن وتمرنهم في انكاره ولانهم لان كونهم ترابا قد تناولهم آباءهم * (فان قلت) قدم في هذه الآية هذا نحن وآباؤنا وفي آية أخرى قدم نحن وآباؤنا على هذا (قلت) التقديم دليل على أن المقدم هو الغرض للتعمد لذكره وأن الكلام لم يسق لاجله ففي احدى الآيتين دل على أن أحد العاملين هو الذي تعمد بالكلام دون الاخرى على أن احد المعنيين بذلك الصدد * لم تلحق علامة التأنيث بفعل الماضية لان تأنيثها غير حقيقي ولان المعنى كيف كان آخر أمرهم * وأريد بالمجرمين الكافرون وانما عبر عن الكفر بلفظ

في الآخرة بل هم في شك منها بل هم منها عمون وقال الذين كفروا أئذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل ان هذا الا أساطير الاولين قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين

الإجرام ليكون لطفا للمسلمين في ترك الجرائم وتخوف عاقبتها ألا ترى إلى قوله فدمدم عليهم ربهم بذنبهم وقوله مما خطيئاتهم أغرقوا (ولا تحزن عليهم) لأنهم لم يتبعوك ولم يسلموا فيسلموا وهم قومه قريش كقوله تعالى فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا (في ضيق) في حرج صدر من مكرهم وكيدهم لك ولا تبال بذلك فإن الله يعصمك من الناس يقال ضاق الشيء ضيقا وضيقا بالفتح والكسر وقد قرئ بهما والضيق أيضا تخفيف الضيق قال الله تعالى ضيقا حرجا قرئ مخففا ومثقلا ويجوز أن يراد في أمر ضيق من مكرهم * استعجلوا العذاب الموعود فقيل لهم (عسى أن يكون) ردف لكم بعضه وهو عذاب يوم بدر فزيدت اللام للتأكيد كالباء في ولا تلقوا بأيديكم أو ضمن معنى فعل يتعدى باللام نحو دنا لكم وأزف لكم ومعناه تبعكم ولحقكم وقد عدي بمن قال

فلما ردفنا من عمير وصحبه * تولوا سراعا والمنية تعنق

يعني دنونا من عمير وقرأ الأعرج ردف لكم بوزن ذهب وهما لغتان والكسر أفصح وعسى ولعل وسوف في وعد الملوك ووعيدهم يدل على صدق الأمر وجده وما لا مجال للشك بعده وإنما يعنون بذلك إظهار وقارهم وأنهم لا يعجلون بالانتقام لإدلالهم بقهرهم وغلبتهم ووثوقهم أن عدوهم لا يفوتهم وأن الرمزة إلى الأغراض كافية من جهتهم فعلى ذلك جرى وعد الله ووعيده * الفضل والفاضلة الإفضال ولفلان فواضل في قومه وفضول ومعناه أنه مفضل عليهم بتأخير العقوبة وأنه لا يعاجلهم بها وأكثرهم لا يعرفون حق النعمة فيه ولا يشكرونه ولكنهم بجهلهم يستعجلون وقوع العقاب وهم قريش * قرئ تكن يقال كننت الشيء وأكننته إذا سترته وأخفيته يعني أنه يعلم ما يخفون وما يعلنون من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكايدهم وهو معاقبهم على ذلك بما يستوجبونه * سمي الشيء الذي يغيب ويخفى غائبة وخافية فكانت التاء فيهما بمنزلتها في العافية والعاقبة ونظائرهما النطيحة والرمية والذبيحة في أنها أسماء غير صفات ويجوز أن يكونا صفتين وتاؤهما للمبالغة كالراوية في قولهم ويل للشاعر من راوية السوء كأنه قال وما من شيء شديد الغيبوبة والخفاء إلا وقد علمه الله وأحاط به وأثبته في اللوح المبين الظاهر البين لمن ينظر فيه من الملائكة * قد اختلفوا في المسيح فتحزبوا فيه أحزابا ووقع بينهم التناكر في أشياء كثيرة حتى لعن بعضهم بعضا وقد نزل القرآن ببيان ما اختلفوا فيه لو أنصفوا وأخذوا به وأسلموا يريد اليهود والنصارى (للمؤمنين) لمن أنصف منهم وآمن أي من بني إسرائيل أو منهم ومن غيرهم (بينهم) بين من آمن بالقرآن ومن كفر به (فإن قلت) ما معنى يقضي بحكمه ولا يقال زيد يضرب بضربه ويمنع بمنعه (قلت) معناه بما يحكم به وهو عدله لأنه لا يقضي إلا بالعدل فسمى المحكوم به حكما أو أراد بحكمته ويدل عليه قراءة من قرأ بحكمه جمع حكمة (وهو العزيز) فلا يرد قضاؤه (العليم) بمن يقضي له وبمن يقضي عليه أو العزيز في انتقامه من المبطلين العليم بالفصل بينهم وبين المحقين * أمره بالتوكل على الله وقلة المبالاة بأعداء الدين وعلل التوكل بأنه على الحق الأبلج الذي لا يتعلق به الشك والظن وفيه بيان أن صاحب الحق حقيق بالوثوق بصنع الله وبنصرته وأن مثله لا يخذل (فإن قلت) (إنك لا تسمع الموتى) يشبه أن يكون تعليلا آخر للتوكل فما وجه ذلك (قلت) وجهه أن الأمر بالتوكل جعل مسببا عما كان يغيظ رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة المشركين وأهل الكتاب من ترك اتباعه وتشييع ذلك بالأذى والعداوة فلاءم ذلك أن يعلل توكل متوكل مثله بأن اتباعهم أمر قد يئس منه فلم يبق إلا الاستنصار عليهم لعداوتهم والاستكفاء لشرورهم وأذاهم وشبهوا بالموتى وهم أحياء صحاح الحواس لأنهم إذا سمعوا ما يتلى عليهم من آيات الله فكانوا أقماع القول لا تعيه آذانهم وكان سماعهم كلا سماع كانت حالهم لانتفاء جدوى السماع كحال الموتى الذين فقدوا مصحح السماع وكذلك تشبيههم بالصم الذين ينعق بهم فلا يسمعون وشبهوا بالعمي حيث يضلون الطريق ولا يقدر أحد أن ينزع ذلك عنهم وأن يجعلهم هداة بصراء إلا الله عز وجل (فإن قلت) ما معنى قوله (إذا ولوا مدبرين) (قلت) هو تأكيد لحال الأصم لأنه إذا تباعد عن الداعي بأن يولي عنه مدبرا كان أبعد عن إدراك صوته * وقرئ ولا يسمع الصم وما أنت بهادي العمي على الأصل وتهدي العمي وعن ابن مسعود وما أن تهدي العمي وهداه عن الضلال كقولك

ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون وإن ربك لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون وإن ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون وإنه لهدى ورحمة للمؤمنين إن ربك يقضي بينهم بحكمه وهو العزيز العليم فتوكل على الله إنك على الحق المبين إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم

سقاه عن العمة أى أبعده عنها بالسقى وأبعده عن الضلال بالهدى (ان تسمع) أى ما يجدى اسماعك الا على الذين علم الله أنهم يؤمنون بآياتنا أى يصدقون بها (فهم مسلمون) أى مخلصون من قوله بلى من أسلم وجهه لله يعنى جعله سالما لله خالصا له * حتى معنى القول وموقوا به القول وهو ما وعدوا من قيام الساعة والعذاب ووقوعه حوله والمراد مشارفة الساعة وظهور أشراطها وحين لا تنفع التوبة * ودابة الارض الجاسة بالفتح الحديث أن طولها ستون ذراعا لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب وروى لها أربع قوائم وزغب وريش وجناحان وعن ابن جريج فى وصفها رأس ثور وعين خنزير وأذن فيل وقرن أيل وعنق نعامة وصدر أسد ولون نمر وخاصرة هر وذنب كبش وخف بعير وبين كل مفصلين اثنا عشر ذراعا يدراع آدم عليه السلام وروى لا تخرج الا رأسها ورأسها يبلغ عنان السماء أو يبلغ السحاب وعن أبى هريرة فيها من كل لون وما بين قرنها فرسخ للراكب وعن الحسن رضى الله عنه لا يتم خروجها الا بعد ثلاثة أيام وعن على رضى الله عنه أنها تخرج ثلاثة أيام والناس ينظرون فلا يخرج الا ثلثها وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه سئل من أين تخرج الدابة فقال من أعظم المساجد حرمة على الله تعالى يعنى المسجد الحرام وروى أنها تخرج ثلاث خرجات تخرج بأقصى اليمن ثم تسكمن ثم تخرج بالبادية ثم تسكمن دهرا طويلا فبينما الناس فى أعظم المساجد حرمة وأكرمها على الله فلم يرعهم الا وهى بباحة المسجد عند الركن حذاء الركن الذى تخرج من عند الحجر من الصفا فتكلمهم بالمرية باسان ذلق فتقول (ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) يعنى أن الناس كانوا لا يوقنون بخروجها لان خروجها من الآيات تقول الا لعنة الله على الظالمين وعن السدى تكلمهم بطلان الاديان كلها سوى دين الاسلام وعن ابن عمر رضى الله عنه تستقبل المغرب فتصرخ صرخة تنفذه ثم تستقبل الشرق ثم الشام ثم اليمن فتفعل مثل ذلك وروى تخرج من أجياد وروى يا عيسى عليه السلام يطوف البيت وهم المسلمون اذ تضطرب الارض تحتهم تحرك القديد وينشق الصفا هابلى المسعى فتخرج الدابة من الصفا وهى معها عصا موسى وخاتم سليمان فتضرب المؤمن فى مسجده أو فيما بين عينيه بعصا موسى عليه السلام فتسكت نكتة بيضاء فتفشو تلك النكتة فى وجهه حتى يضىء منها وجهه أو فتترك وجهه كأنه كوكب درى وتكتب بين عينيه مؤمن وتسكت الكافر بالخاتم فى أنفه فتفشو النكتة حتى يسود منها وجهه وتكتب بين عينيه كافر وروى فتجلو وجه المؤمن بالعصا وتخطم أنف الكافر بالخاتم ثم تقول لهم يا فلان أنت من أهل الجنة ويا فلان أنت من أهل النار وقرئ تكلمهم من الكلم وهو الجرح والمراد به الوسم بالعصا والخاتم ويجوز أن يكون تكلمهم عن الكلم أى عاملى معنى الكثير عال ولا مكلما أى تجرح ويجوز أن يستدل بالضعيف على أن المراد بالتكليم الجرح بالسمر لقراءة على رضى الله عنه تكلمهم وأن يستدل بقراءة أبى بنهم وبقراءة ابن مسعود تنبئهم أن الناس على أمس الكلام والقراءتان مكسورة حكاية لقول الدابة اما لان الكلام بمعنى القول أو اضمار القول أى تقول الدابة ذلك أو هى حكاية لقوله تعالى عند ذلك (فان قلت) اذا كانت حكاية لقول الدابة فكيف تقول يا آياتنا (قلت) قولها حكاية لقول الله تعالى أو على معنى يا آيات ربنا ولا اختصاصها بالله وأثرها عنده وأنها من خواص حظه أضافت آيات الله الى نفسها كما يقول بعض خاصة الملك خيلنا وبلادنا وانما هى خيل مولاه وبلاده ومن قرأ بالفتح فعلى حذف الجار أى بكلامهم بأن الناس (كانوا بآياتنا لا يوقنون) يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا فيكبكبون فى النار وهذه عبارة عن كثرة العدد وتأهد أطرافه كما وصفت جنود سليمان بذلك وكذلك قوله فوجا فان الفوج الجماعة الكثيرة ومنه قوله تعالى يدخلون فى دين الله أفواجا وعن ابن عباس رضى الله عنهما أبو جهل والوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة يساقون بين يدى أهل مكة وكذلك يحشر قادة سائر الامم بين أيديهم الى النار (فان قلت) أى فرق بين من الاولى والثانية (قلت) الاولى للتبعيض والثانية للتبيين كقوله من الاوثان * الواو للحال كأنه قال أكذبتم بها بادى الرأى من غير فكر ولا نظر يؤدى الى احاطة العلم بكنهها وأنها حقة بالتصديق

ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون واذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون ويوم نحشر من كل أمة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون حتى اذا جاؤا قال أكذبتم بآياتى ولم تحيطوا بها علما

أو بالتكذيب أو للعطف أي أجحدتموها وضعتموها في جحودكم لم تلقوا أذهانكم لتحقيقها وتبصرها فان المكتوب اليه قد تجحد أن يكون الكتاب من عنده من كتبه ولا يدع مع ذلك أن يقرأه ويتفهم مضامينه ويحيط بمعانيه (أم ماذا كنتم تعملون) بالتاء والتحتية لاغير وذلك انهم لم يعملوا الا التكذيب فلا يقدرون أن يكذبوا ويقولوا قد صدقنا بها وليس الا التصديق بها أو التكذيب ومثاله أن تقول لرجل قد عرفته وربي سوء أتأكل تمرى أم ماذا تعمل بها فتجعل ما بعد ذي بوجه لأن كلا منهما أساسه هو الذي صح عندك من أكله وفساده وترى بقولك أم ماذا تعمل بها مع علمك أنه لا يعمل بها الا الاكل لتبته وتعلمه علما بأنه لا يجيء منه الا أكلها وأنه لا يقدر أن يدعي الحفظ والاصلاح للتمر من خلاف ذلك أو أراد أما كان لكم عمل في الدنيا الا التكفير والتكذيب بآيات الله أم ماذا كنتم تعملون من غير ذلك يعني أنه لم يكن لهم عمل غيره كأنهم لم يخلقوا الا للكفر والمعصية وانما خلقوا للايمان والطاعة يخاطبون بهذا قبل كونهم في النار ثم يكونون فيها وذلك قوله (ووقع القول عليهم) يريد أن العذاب الموعود ينشاهم بسبب ظلمهم وهو التكذيب بآيات الله فيشغلهم عن النطق والاعتذار كقوله تعالى هذا يوم لا ينطقون * جعل الابصار للبهار وهو لاهلها (فان قلت) ما المتقابل لهم في قوله ليسكنوا ومبصرا حيث كان أحدهما علة والآخر حالا (قلت) هو من حيث المعنى وهكذا النظم الطبوع غير المتكلف لان معنى مبصرا البصير وفيه طرق التقلب في المكاسب * (فان قلت) لم قيل (لقوم يؤمنون) دون فيتزع (قلت) لنكتة وهي الاشعار بتحقق الفزع وثبوته وأنه كان لا محالة واقع على أهل السموات والارض لان الفعل الماضي يدل على وجود الفعل وكونه مقطوعا به والمراد فزعهم عند النفخة الاولى حين يصعقون (الا من شاء الله) الا من ثبت الله قلبه من الملائكة قالوا هم جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت عليهم السلام وقيل الشهداء وعن الضحاك الحور وخزنة النار وحملة العرش وعن جابر هم موسى عليه السلام لانه صعق مرة ومثله قوله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله * وقرئ (اتوه) وآتاه وداخرين فالجمع على المعنى والتوحيد على اللفظ والداخرون الصاغرون وقيل صغى الاثنان حضورهم الموقف بعد النفخة الثانية ويجوز أن يراد رجوعهم الى أمره وانقيادهم له (جامدة) من جمد في مكانه اذا لم يبرح * تجمع الجبال فتسير كما تسير الرياح السحاب فلا تظن أنها لساكن حسبما رأته ثابتة في مكان واحد (وهي تمر) مر السحاب ثاير السحاب وهكذا الاجرام العظام المتكاثفة المقدار اذا تحركت لانكاد تتبين حركتها كما قال النابغة في صفة جيش

بأوس من مثل الطود تحسب أنهم * وقوف لحاج والركاب تهملج

(صنع الله) من المصادر التي أكدة كقوله وعد الله صبغة الله الاان مؤكده محذوف وهو الناصب ليوم ينفخ والمعنى ويوم ينفخ في الصور وكان كيت وكيت أتاب الله المحسنين وعاقب المجرمين ثم قال صنع الله يريد به الاتابة والمعاقبة وجعل هذا الصنع من جملة الاشياء التي أتقنها وأتى بها على الحكمة والصواب حيث قال صنع الله (الذي أتقن كل شيء) يعني انه قابل الحسنة بالثواب والسيئة بالعقاب من جملة احكامه للاشياء واتقانه لها واجرائها على مقتضيات الحكمة فانه عالم بما يفعل العباد وبما يستوجبون عليه فيكافئهم على حسب ذلك ثم لخص ذلك بقوله (من جاء بالحسنة) الى آخر الآيتين فانظر الى بلاغة هذا الكلام وحسن نظمه وترتيبه ومكانة اعماده ورصانة تفسيره وأخذ بعضه بحجزة بعض كأنما أفرغ افراغا واحدا ولا مر ما أعجز القوى وأخرس الشقاشق وتعوهذا المصدر اذا جاء عقيب كلام جاء كأنما هو بحمته والمنادي على سداده وأنه ما كان ينبغي أن يكون الا كذلك كان ألا ترى الى قوله صنع الله وصبغة الله ووعد الله وفطرة الله بعد ما وسمها بما ضافها اليه بسمة التعظيم كيف تلاها بقوله الذي أتقن كل شيء ومن أحسن من الله صبغة لا يخلف الله الميعاد لا تبديل لخلق الله * وقرئ تفعلون على الخطاب (فله خير منها) يريد الاضعاف وأن العمل يقتضي والثواب يدوم وشتان ما بين فعل العبد وفعل السيد وقيل فله خير مرجع أي له خير حاصل من جهتها وهو الجنة وعن ابن عباس الحسنة كلمة الشهادة * وقرئ يومئذ ففتح وهو جامع الاضافة لانه أضيف الى غير متمكن ومنصوب بما تنوين

أم ماذا كنتم تعملون ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله وكل أتوه داخرين وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء انه خبير بما تفعلون من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار

*قوله تعالى انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذى حرمها وله كل شئ (قال شيخنا المراد بالبلدة مكة واضافة اسم الله تعالى اليها للتشريف بها وذكر تحريمها لانه أخص أوصافها وأسندها الى ذاته تأكيدا للشرف فيها ثم قال وله كل شئ بجعل دخول كل شئ تحت ربوبيته وملكوته كالتابع لدخول هذه البلدة المعظمة وفى ذلك اشارة الى أن ملكاقدره لك هذه البلدة المكرمة وملك اليها كل شئ انه

لعظيم الشان) قال أحمد وتحت قوله وله كل شئ فائدة أخرى سوى ذلك وهى انه لما أضاف اسم البلدة المخصوصة تشريفا لها أتبع ذلك اضافة كل شئ سواها الى ملكه قطعا لتوهم اختصاص ملكه

هل تجزون الا ما كنتم تعملون انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذى حرمها وله كل شئ وأمرت أن أكون من المسلمين وأن أتلو القرآن فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فقل انما أنا من المنذرين وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون

﴿سورة القصص مكية وهى ثمان وثمانون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك من نبا موسى وفرعون بالحق

بالبلدة الشارة اليها وتنبيها على ان الاضافة الاولى انما قصد بها التشريف لا لانها مملوكة لله تعالى خاصة والله أعلم

* قوله تعالى وما ربك بغافل عما تعملون (قال فيه لان العالم بالذات لا يجوز عليه الغفلة) قال أحمد قد سبق له غير مرة ان العلم (لقوم وليهام ان سلبها داخل فى تنزيه الله تعالى لانه يجعل استحالة الغفلة عليه مستلزما انه عالم بالذات لا بعلم والحق ان استحالة الغفلة عليه تعالى لان علمه لا يغرب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض بل هو علم قديم أزلى عالم المتعلق بجميع الواجبات والممكنات والمستحيلات

فرع (فان قلت) ما الفرق بين الفرعين (قلت) الفرع الاول هو ما لا يخلو منه أحد عند الاحساس بشدة تقع وهول يفجأ من رعد وعيد وان كان المحسن يأمن لحلول الضرر به كما يدخل الرجل على الملك فيصفر هيبة وقلب وجاب وان كانت ساعة اعزاز وتكرمة واحسان وتوليه وأما الثانى فانما يخوف من العذاب (فان قلت) فى قرأس فرع الثوب ما معناه (قلت) يحمل معنيين من فرع واحد وهو خوف العقاب وأما ما يلحق الانسان من التهيب والرعب لما يرى من الاهوال والعظائم فلا يخلون منه لان البشرية تقتضى ذلك وفى الاخبار والآثار ما يدل عليه ومن فرع شديد مفرط الشدة لا يكتنهه الوصف وهو خوف النار * أمن يعدى بالجار ونفسه كقوله تعالى أفأمنوا مكر الله * وقيل السيئة الاشراك * يبعثون على الوجوه والرأس والرقبة فكأنه قيل فيكبوهن النار كقوله تعالى فكبكبوا فيها ويجوز أن يكون ذكر الوجوه ابتداء بأنهم يكبون على وجوههم فيها منكوسين (هل تجزون) يجوز فيه الالتفات وحكاية ما يقال لهم عند التكبب باضمار القول * أمرت بأن يقول (أمرت) أن أخص الله وحده بالعبادة ولا أتخذ له شريكا كما فعلت قريش وأن أكون من الحنفاء الثابتين على ملة الاسلام (وأن أتلو القرآن) من التلاوة أو التلو كقوله واتبع ما يوحى اليك * والبلدة مكة شرفها الله تعالى اختصها من بين سائر البلاد باضافة اسمه اليها لانها أحب بلاده اليه وأكرمها عليه وأعظمها عنده وهكذا قال النبى صلى الله عليه وسلم حين نزح فى مهاجره قالت لبلدة استقبلها او سمعه الكفرة فقال انى أعلم أنك أحب بلاد الله ولولا أن أهلك أخرجونى ما خرجت وأختار اليها الشارة بتظهر فلو قرب الاعلى أنهم أوطن نبيه ومهبط وحيه * ووصفه الله بالتحريم الذى هو خاص وصفها فأجرل ذلك اسمها الشرف والعلو ووصفها بانها حرم فلا ينفك حرمة الانظام من اذل به ومن برد فيها ملحدا بظلم نذقه من عذاب أليم لا يحتمل مثلها ولا * عند شعرها ولا يتفرصيده ولا الذبح اليها أمن * وجعل دخول كل شئ تحت ربوبيته وملكوته كالتابع لدخول هذه تحتها وفى ذلك اشارة الى أن ملكا قدر مثل هذه البلدة عظيم الشان قد ملكها وملك اليها كل شئ اللهم بارك لنا فى سكناها وآنسنا فيها بأنس كل ذى أنس ولا تفعلنا من حوالى بتلك الاهالى دار وحشة وفرق الذى حرمها وأنزل عليهم هذا القرآن من أبى * وأن أتلو عن ابن مسعود (فمن اهتدى) بأتباعه اياى فيما أتلوه عن وحيه الله وفى الانقياد عنه والدخول فى الله الحنيفية واتباع ما أنزل على من الوحى فنفعه اهتدائه راجعة اليه لا الى (ومن ضل) ولم يتبعنى فلا على وما أنا الا رسول منذر وما على الرسول الا البلاغ * ثم أمره أن يحمد الله على ما خوله من نعمة النبوة أى لا توازن بها نعمة وأن يهدد أعداءه بما سيريهم الله من آياته التى تلجئهم الى المعرفة والاقرار بأنها آيات الله وذلك حين لا تنفعهم المعرفة يعنى فى الآخرة عن ابن عباس والكلبى الاخلاص والشقاق القمر وما حل بهم من نقمات الله فى الدنيا وقيل هو كقوله سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم الآية * وعن عمر رضى الله عنه فالله عالم به غير غافل عنه لان الغفلة والسهو لا يجوزان على عالم الذات وهو من وراء جزاء العاملين * فرئ تعملون بالتاء والياء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ طس سليمان كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق سليمان وكذب به وهود وصالح وابراهيم وخرج من قبره وهو ينادى لا اله الا الله

﴿سورة القصص مكية وهى ثمان وثمانون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(من نبا موسى وفرعون) مفعول نتلو أى نتلو عليك بعض خبرهما (بالحق) محقين كائنا له تتلت بالدهن

(لقوم يؤمنون) لمن سبق في علمنا أنه يؤمن لان الكلام انما نفع هؤلاء دون غيرهم (ان فرعون) جملة مستأنفة كالتفسير للجمل كأن قائلا قال وكيف كان نبؤهما فقيل ان فرعون (علا في الارض) بغى أرض مملكته وتطغى فيها وجاوز الحد في الظلم والعسف (شيعا) فرقا يتشيع هو على ما يريد يطيعونه لاغراضه أحدهم أن يلوى عنقه قال الاعشى

ولا يذهب الجود الذي هو ديدنها * حتى تراه على ما يتقي الشيعا

أو يشيع بعضهم بعضا في طاعته أو أصنافا في استخدامه يقال شيعت صنفا في بناء وصنفا في حفر ومن لم يستعمل ضرب عليه الجزية أو فرقا مختلفة قد أغرى بينهم العداوة وهم بنو اسرائيل والقبط والطائفة المستضعفة بنو اسرائيل * وسبب ذبح الابناء أن كاهنا قال له ولد هو يولد في بني اسرائيل يذهب ملكك على يده وقيد دليل بين على تخاذله في فرعون فانه ان صدق الكاهن ليدفع القتل الكائن وان كذب فلوجه القتل و (يستضعف) حال من الضمير في وجعل أو صفة لشيعا أو كلام مستأنف و (يذبح) بدل من يستضعف وقوله (انه كان من المفسدين) بيان أن القتل ما كان الا لافسد المفسدين فحسب لانه فعل لا طائل تحته صدق الكاهن أو كذب * (فان قلت) علام عطف قوله (ونريد أن نمن) وعطفه على نجاز ويستضعف غير سديد (قلت) هي جملة معطوفة على قوله ان فرعون علا في الارض لانم اظير ثالث في وقوعها تفسيرا لنبأ موسى وفرعون واقتصاصا له ونريد حكاية حال ماضية ويجوز أن يكون بالامن يستضعف أي يستضعفهم فرعون ونحن نريد أن نمن عليهم (فان قلت) كيف جمع استضعافهم واراده الله تعالى عليهم واذا اراد الله شيأ كان ولم يتوقف الوقت آخر (قلت) لما كانت مشيئة الله تعلقهم من فرعون قريبة الوقوع جعلت ارادة وقوعها كلا ارادة لاستضعافهم (أئمة) مقتدين في الدين والدنيا طالما الناس أعقابهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما قادة يقتدى بهم في الخير وعن مجاهد رضي الله عنه دعاة الى الخير وعن قتادة رضي الله عنه ولاة كقوله تعالى وجعلكم ملوكا (وان كانوا لرائين) يرون فرعون وقومه ملكهم على ما كان في ظنهم * مكن له اذا جعل له مكانا تمكن عليه أو يرى فيما أمر موسى به وتلبس به أرض لهم وهي التمكين لهم في الارض وهي أرض مصر والشام أن جعلها بحيث لا تنبو بهم ولا تضيق عليهم كما كانت في أيام الجبابرة وتستأصلهم هو يطئ أيديهم ويطئهم * وقرئ ويرى فرعون وهامان وجنودهما أي يرون (منهم ما) حذروه من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم * اليم البحر قيل هو نيل مصر * (فان قلت) ما الراد بالخوف حتى أوجب أحدهما ونهى عن الآخر (قلت) أما الاول فالخوف عليه من القتل لانه كان اذا صاح ماشق أن يسمع لجبريل صوته فيوحي اليه وأما الثاني فالخوف عليه من الغرق وسن الضياع ومن الوقوع في يد بعض العيون المبثوثة من قبل فرعون في تطلب أولاد بني اسرائيل وغير ذلك من المخاوف * (فان قلت) ما الفرق بين الخوف والحزن (قلت) الخوف غم يلحق الانسان لتوقع مكروه يلحقه لواقع وهو فراقه والانقطاع عنه فربما جمعهما وأوحينا الى الوحي اليها ووعدت ما بعد الرد وعلما أو علمت أنه لا بد من رده اليها أو جعلته من المرسلين وروي أنه لما ألقى في التابوت وطلب موسى عليه السلام تسعون الفا يلتمسونه فلما وقع في يد بعض العيون المبثوثة من قبل فرعون في طلب أولاد بني اسرائيل وغير ذلك من المخاوف * (فان قلت) ما الفرق بين الخوف والحزن (قلت) الخوف غم يلحق الانسان لتوقع مكروه يلحقه لواقع وهو فراقه والانقطاع عنه فربما جمعهما وأوحينا الى الوحي اليها ووعدت ما بعد الرد وعلما أو علمت أنه لا بد من رده اليها أو جعلته من المرسلين فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين وجاءت امرأة فرعون فقالت قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون وأصبح فؤاد أم موسى فارغا من الهم والحزن على موسى لما سمعت من الثقة بوعد الله وأصبحت تقول لاخته قصيه فبصرت به عن جنب وهي تمشي مستترة بالجدران لا يشعر فرعون وقومه بها وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فرددناه الى أمه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق فلما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له انه هو الغفور الرحيم قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيرا للمجرمين فأصبح في المدينة خائفا يترقب فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه قال له موسى انك لغوي مبين فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالامس ان تريد الا أن تكون جبارا في الارض وما تريد أن تكون من المصلحين وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج اني لك من الناصحين فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير فسقى لهما ثم تولى الى الظل فقال رب اني لما أنزلت الي من خير فقير فجاءته احداهما تمشي على استحياء قالت ان أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين قالت احداهما يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوي الامين قال اني أريد أن أنكحك احدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج فان أتممت عشرا فمن عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدني ان شاء الله من الصالحين قال ذلك بيني وبينك أيما الاجلين قضيت فلا عدوان علي والله على ما نقول وكيل فلما قضى موسى الاجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا قال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون فلما أتاها نودي من شاطئ الوادي الايمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى اني أنا الله رب العالمين وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى لا تخف اني لا يخاف لدي المرسلون الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم اليك جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك الى فرعون وملئه انهم كانوا قوما فاسقين قال رب اني قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون وأخي هارون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي ردءا يصدقني اني أخاف أن يكذبون قال سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا الا سحر مفترى وما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين وقال موسى ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من اله غيري فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي أطلع الى اله موسى وانه لمن الكاذبين واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق وظنوا أنهم الينا لا يرجعون فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وجعلناهم أئمة يدعون الى النار ويوم القيامة لا ينصرون وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الاولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا وقالوا انا بكل كافرون قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا أولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا وكنا نحن الوارثين وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى الا وأهلها ظالمون وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون أفمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون قال الذين حق عليهم القول ربنا هؤلاء الذين أغوينا أغويناهم كما غوينا تبرأنا اليك ما كانوا إيانا يعبدون وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين فعميت عليهم الانباء يومئذ فهم لا يتساءلون فأما من تاب وآمن وعمل صالحا فعسى أن يكون من المفلحين وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون وهو الله لا اله الا هو له الحمد في الاولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون ونزعنا من كل أمة شهيدا فقلنا هاتوا برهانكم فعلموا أن الحق لله وضل عنهم ما كانوا يفترون إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين قال انما أوتيته على علم عندي أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون انه لذو حظ عظيم وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون فخسفنا به وبداره الارض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين وأصبح الذين تمنوا مكانه بالامس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن من الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات الا ما كانوا يعملون إن الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد قل ربي أعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين وما كنت ترجو أن يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا يصدنك عن آيات الله بعد اذ أنزلت اليك وادع الى ربك ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر لا اله الا هو كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ساء ما يحكمون من كان يرجو لقاء الله فان أجل الله لآت وهو السميع العليم ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ان الله لغني عن العالمين والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون ووصينا الانسان بوالديه حسنا وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما الي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم أولم يكن الله بأعلم بما في صدور العالمين وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء انهم لكاذبون وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين وابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون انما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون افكا ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون وان تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم وما على الرسول الا البلاغ المبين أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة ان الله على كل شيء قدير يعذب من يشاء ويرحم من يشاء وإليه تقلبون وما أنتم بمعجزين في الارض ولا في السماء وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير والذين كفروا بآيات الله ولقائه أولئك يئسوا من رحمتي وأولئك لهم عذاب أليم فما كان جواب قومه الا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه فأنجاه الله من النار ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون وقال انما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين فآمن له لوط وقال اني مهاجر الى ربي انه هو العزيز الحكيم ووهبنا له اسحاق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب وآتيناه أجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين ولوطا اذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر فما كان جواب قومه الا أن قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين قال رب انصرني على القوم المفسدين ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا انا مهلكو أهل هذه القرية ان أهلها كانوا ظالمين قال ان فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله الا امرأته كانت من الغابرين ولما أن جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقالوا لا تخف ولا تحزن انا منجوك وأهلك الا امرأتك كانت من الغابرين انا منزلون على أهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون وإلى مدين أخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا في الارض مفسدين فكذبوه فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين وعادا وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون خلق الله السماوات والارض بالحق ان في ذلك لآية للمؤمنين اتل ما أوحي اليك من الكتاب وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل الينا وأنزل اليكم والهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون وكذلك أنزلنا اليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا الا الكافرون وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا الا الظالمون وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل انما الآيات عند الله وانما أنا نذير مبين أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا يعلم ما في السماوات والارض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون يا عبادي الذين آمنوا ان أرضي واسعة فاياي فاعبدون كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نعم أجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم ولئن سألتهم من خلق السماوات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له ان الله بكل شيء عليم ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب وان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه ألي في جهنم مثوى للكافرين والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين الم غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السماوات والارض وما بينهما الا بالحق وأجل مسمى وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون أولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الارض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون الله يبدأ الخلق ثم يعيده ثم إليه ترجعون ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فأولئك في العذاب محضرون فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السماوات والارض وعشيا وحين تظهرون يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الارض بعد موتها وكذلك تخرجون ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر تنتشرون ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ومن آياته خلق السماوات والارض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ان في ذلك لآيات للعالمين ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيي به الارض بعد موتها ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون ومن آياته أن تقوم السماء والارض بأمره ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا أنتم تخرجون وله من في السماوات والارض كل له قانتون وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الاعلى في السماوات والارض وهو العزيز الحكيم ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم فمن يهدي من أضل الله وما لهم من ناصرين فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين إليه ثم اذا أذاقهم منه رحمة اذا فريق منهم بربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم اذا هم يقنطون أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين فأقم وجهك للدين القيم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا فلأنفسهم يمهدون ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله انه لا يحب الكافرين ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجري الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ولقد أرسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاءوهم بالبينات فانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقا علينا نصر المؤمنين الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فاذا أصاب به من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون وان كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحيي الارض بعد موتها ان ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون فانك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين أوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا ان أنتم الا مبطلون كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون

لقوم يؤمنون ان فرعون علا في الارض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم انه كان من المفسدين ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين

ولا يتوقف تنزيهه تعالى على تعليل صفاته وكذا وجعلا له تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا

والتبنى غير ان ذلك لما كان نتيجة التقاطهم له وثمرته شبه بالداعى الذى يفعل الفاعل الفعل لاجله وهو الاكرام الذى هو نتيجة المحبة والتأدب الذى هو ثمرة الضرب فى قوله ضربته ليتأدب وتحريره أن هذه اللام حكمها حكم الاسد حيث استعيرت لما يشبه التعليل كما يستعار الاسد لمن يشبهه الاسد * وقرئ وحزنا وهما لغتان كالعدم والعدم (كانوا خاطئين) فى كل شئ فليس خطؤهم فى تربية عدوهم ببدع منهم أو كانوا مذنبين مجرمين فعاقبهم الله بأن ربى عدوهم ومن هو سبب هلاكهم على أيديهم وقرئ خاطين تخفيف خاطئين أو خاطين الصواب الى الخطا * روى انهم حين التقطوا التابوت عالجوا فتحه فلم يقتدروا عليه فعالجوا كسره فأبصروا هم فدنت آسية فرأت فى جوف التابوت نورا فعلمت انه الجنة ففتحته فاذا بنى يرضع ابهامه لبنا فأحبوه وكانت امرأة فرعون بنت مزاحم وقالت له الاطباء لا تبرأ الا من قبل الصدر يوجد فيه شبه انسان وأهل بقعة فطمت البرصاء برضاعه بقعة فبرأت وقيل لما نظرت الى وجهه برأت فقالت ان هذا لنسمة مباركة نهذا أحدهما عطفهم عليه فقال العواد من قومه هو الصبى الذى نحذر منه فأذن لنا فى قتله فهم بذلك فقالت آسية (قرة عين لى ولك) فقال فرعون لك لا لى وروى فى حديث لوقال هو قرة عين لى كما هو لك لهداه الله كما هداها وهذا على سبيل الفرض والتقدير أى لو كان غير مطبوع على قلبه كآسية لقال مثل قولها ولو اسلم كما أسلمت هذا ان صح الحديث تأويله والله أعلم بحقيقته وروى أنها قالت له اما من قوم آخرين ليس من بنى اسرائيل قرة عين خبر مبتدا محذوف ولا يقوى أن تجعله مبتدأ ولا تقتلوه خبرا ولو نصب لكان أقوى وقراءة ابن مسعود رضى الله عنه دليل على أنه خبر قرأ الا تقتلوه قرة عين لى ولك بتقديم لا تقتلوه (عسى أن ينفعنا) فان فيه مخايل اليمن ودلائل النفع لاهله وذلك لما عاينت من النور وارتضاع الابهام وبرء البرصاء ولعلها توسمت فى سيماء الصبا لما قدر ان يكونه نفاعا * أو نتبناه فانه أهل للتبنى ولان يكون ولد البعض المملوك (فان قلت) (وهم لا يشعرون) حال فما وجهها (قلت) فوجهها آل فرعون وتقدير الكلام فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقالت امرأة فرعون كذلوهم لا يشعرون أنهم على خطا عظيم فى التقاطه ورجا النفع منه وتبنيه وقوله ان فرعون الا آتيتهما اعتراضية واقعة بين المعطوف والمعطوف عليه مؤكدة لمعنى خطئهم وما أحسن نظم هذا الكلام عند المراض يعلم حاسن النظم (فارغا) مفرغا من العقل والمعنى أنها حين سمعت بوقوعه فى يد فرعون طار عقلها لما دهمها من فرط الجزع والدهش ونحوه قوله تعالى وأفئدتهم هواء أى خوف لا عقول فيها ومنه بيت حسان

ألا أبلغ أبا سفيان عنى * فأنت مجوف نخب هواء

وذلك أن القلوب مراكز العقول ألا ترى الى قوله فتكون لهم قلوب يعقلون بها ويدل عليه قراءة من قرأ فرغا وقرئ قرعا أى خاليا من قولهم أعوذ بالله من صفر الاناء وقرع الفناء وفرغا من قولهم ماؤهم يفهم فرغ أى هدر يعنى بطل فلم يطلب ولم يثبت لاقلب لها من شدة ما ورد عليها (لتبدى به) لتخبر به والضمير لموسى والمراد بأمر موسى وأنه ولدها (لولا أن ربطنا على قلبها) بالهام الصبر كما يربط على الشئ المتفلت ليقر ويطمئن (لتكون من المؤمنين) من المصدقين بوعد الله وهو قوله انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين والواثقين بوعد الله لا بنى فرعون وتعطفه * وقرئ مؤسى بالهمز جعلت الضمة فى جارة الواو وهى اللغة التى فيها فمزت كاتهمز واو وجوه (قصيه) اتبعى أثره وتتبعى خبره * وقرئ بصرت بالكسر يقال بصرت به عن جنابة بمعنى عن بعد * وقرئ عن جانب وعن جنب والجنب الجانب يقال قعد الى جنبه والى جانبه أى نظرت اليه من بعيد مستجانبة مخاتلة * وهم لا يحسون بأنها أخته وكان اسمها مريم والتصريح باستعارة المنع لان من حرم عليه الشئ فقد منعه ألا ترى الى قولهم محظور وحجر وذلك لان الله منعه أن يرضع ثديا فكان لا يقبل ثدى مرضع قط حتى أعلمهم ذلك * والمراضع جمع مرضع وهى المرأة التى ترضع

كانوا خاطئين وقالت امرأت فرعون قرة عين لى ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون وأصبح فؤاد أم موسى فارغا ان كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين وقالت لاخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون وحرمنا عليه المراضع

أو جمع مرضع وهو موضع الرضاع يعني الثدي أو الرضاع (من قبل) من قبل قصها أثره روي أنها لما قالت (وهم له ناصحون) قال هامان إنها لتعرفه وتعرف أهله فقالت إنما أردت وهم للملك ناصحون والنصح إخلاص العمل من شائب الفساد فانطلقت إلى أمها بأمرهم فجاءت بها والصبي على يد فرعون يعلله شفقة عليه وهو يبكي يطلب الرضاع فحين وجد ريحها استأنس والتقم ثديها فقال لها فرعون ومن أنت منه فقد أبى كل ثدي إلا ثديك فقالت إني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا أوتى بصبي إلا قبلني فدفعه إليها وأجرى عليها وذهبت به إلى بيتها وأنجز الله وعده في الرد فعندها ثبت واستقر في علمها أن سيكون نبيا وذلك قوله (ولتعلم أن وعد الله حق) يريد وليثبت علمها ويتمكن (فإن قلت) كيف حل لها أن تأخذ الأجر على إرضاع ولدها (قلت) ما كانت تأخذه على أنه أجر على الرضاع ولكنه مال حربي كانت تأخذه على وجه الاستباحة وقوله (ولكن أكثرهم لا يعلمون) داخل تحت علمها والمعنى لتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثر الناس لا يعلمون أنه حق فيرتابون ويشبه التعريض بما فرط منها حين سمعت بخبر موسى فجزعت وأصبح فؤادها فارغا روي أنها حين ألقت التابوت في اليم جاءها الشيطان فقال لها يا أم موسى كرهت أن يقتل فرعون موسى فتؤجري ثم ذهبت فتوليت قتله فلما أتاها الخبر بأن فرعون أصابه قالت وقع في يد العدو فنسيت وعد الله ويجوز أن يتعلق ولكن بقوله ولتعلم ومعناه أن الرد إنما كان لهذا الغرض الديني وهو علمها بصدق وعد الله ولكن الأكثر لا يعلمون بأن هذا هو الغرض الأصلي الذي ما سواه تبع له من قرة العين وذهاب الحزن (واستوى) واعتدل وتم استحكامه وبلغ المبلغ الذي لا يزاد عليه قال لقيط

واستحملوا أمركم لله دركم * شزر المريرة لا قحما ولا ضرعا

وذلك أربعون سنة ويروى أنه لم يبعث نبي إلا على رأس أربعين سنة (العلم) التوراة والحكم السنة وحكمة الأنبياء سنتهم قال الله تعالى واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة وقيل معناه آتيناه سيرة الحكماء العلماء وسمتهم قبل البعث فكان لا يفعل فعلا يستجهل فيه (المدينة) مصر وقيل مدينة منف من أرض مصر (وحين غفلتهم) ما بين العشاءين وقيل وقت القائلة وقيل يوم عيد لهم هم مشتغلون فيه بلهوهم وقيل لما شب وعقل أخذ يتكلم بالحق وينكر عليهم فأخافوه فلا يدخل قرية إلا على تغفل وقرأ سيبويه فاستعانه (من شيعته) ممن شايعه على دينه من بني إسرائيل وقيل هو السامري (من عدوه) من مخالفيه من القبط وهو فاتون وكان يتسخر الإسرائيلي لحمل الحطب إلى مطبخ فرعون والوكز الدفع بأطراف الأصابع وقيل بجمع الكف وقرأ ابن مسعود فلكزه باللام (فقضى عليه) فقتله (فإن قلت) لم جعل قتل الكافر من عمل الشيطان وسماه ظلما لنفسه واستغفر منه (قلت) لأنه قتله قبل أن يؤذن له في القتل فكان ذنبا يستغفر منه وعن ابن جريج ليس لنبي أن يقتل ما لم يؤمر (بما أنعمت علي) يجوز أن يكون قسما جوابه محذوف تقديره أقسم بإنعامك علي بالمغفرة لأتوبن (فلن أكون ظهيرا للمجرمين) وأن يكون استعطافا كأنه قال رب اعصمني بحق ما أنعمت علي من المغفرة فلن أكون إن عصمتني ظهيرا للمجرمين وأراد بمظاهرة المجرمين إما صحبة فرعون وانتظامه في جملته وتكثير سواده حيث كان يركب بركوبه كالولد مع الوالد وكان يسمى ابن فرعون وإما مظاهرة من أدت مظاهرته إلى الجرم والإثم كمظاهرة الإسرائيلي المؤدية إلى القتل الذي لم يحل له وعن ابن عباس لم يستثن فابتلي به مرة أخرى يعني لم يقل فلن أكون إن شاء الله وهذا نحو قوله ولا تركنوا إلى الذين ظلموا وعن عطاء أن رجلا قال له إن أخي يضرب بقلمه ولا يعدو رزقه قال فمن الرأس يعني من يكتب له قال خالد بن عبد الله القسري قال فأين قول موسى وتلا هذه الآية وفي الحديث ينادي مناد يوم القيامة أين الظلمة وأشباه الظلمة وأعوان الظلمة حتى من لاق لهم دواة أو برى لهم قلما فيجمعون في تابوت من حديد فيرمى به في جهنم وقيل معناه بما أنعمت علي من القوة فلن أستعملها إلا في مظاهرة أوليائك

القول في سورة القصص (بسم الله الرحمن الرحيم) قوله تعالى فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون (قال فيه روي أنهم اتهموها لما قالت وهم له ناصحون بمعرفة موسى عليه السلام فقالت إنما أردت وهم للملك ناصحون

من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فرددناه إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيرا للمجرمين فأصبح في المدينة خائفا

فخلصت من التهمة) قال أحمد أوردت هذه التورية استحسانا لفطنتها ولكونها من بيت النبوة وأخت النبي فحقيق لها ذلك * قوله تعالى قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيرا للمجرمين (قال) م فيه لقد تبرأ من مقاتلهم لأنه ظهير المجرمين شركهم فيما هم بصدده ويروى أنه يقال يوم القيامة أين الظلمة وأعوان الظلمة فمن في [illegible]

وأهل طاعتك والايمان بك ولا أدع قبطيا بلعاب أحدا من بني اسرائيل (يترقب) الكبر وهو الاستقامة منه والاخبار وما يقال فيه * ووصف الاسرائيلي بالبغي لانه كان سبب قتل رجل وهو يقاتل آخر * وقرئ يبطش بالضم * والذي هو عدو لهما القبطي لانه ليس على دينهما ولان القبط كانوا أعداء بني اسرائيل * والجبار الذي يفعل ما يريد من الضرب والقتل بظلم لا يتطرق العواقب ولا يدفع بالتي هي أحسن وقيل المتعظم الذي لا يتواضع لامر الله ولما قال هذا أفشى على موسى فانتشر الخبر في المدينة وبلغ الى فرعون وهو ما نقله * قيل الرجل مؤمن من آل فرعون وكان ابن عم فرعون و(يسعى) يجوز ارتفاعه وصفا للرجل وانتصابه على الحال لانه قد تخصص بأن وصف بقوله من أقصى المدينة واذا جعل صفة جاز أن لا يجري في يسعى الا الوصف * والائتمار التشاور يقال الرجلان يتآمران و يأتمران لان كل واحد منهما يأمر صاحبه بشيء أو يشير عليه بأمر والمعنى يتشاورون بسببك (لك) بيان وليس بصلة الناصحين (يترقب) التعرض له في الطريق أوان يلحق (تلقاء مدين) قصدها ونحوها ومدين قرية شعيب عليه السلام سميت بمدين بن ابراهيم ولم يكن في سلطان فرعون وبينها وبين مصر مسيرة ثمان وكان موسى لا يعرف الها الطريق قال ابن عباس خرج وليس له علم بالطريق الا حسن ظنه بربه * و(سواء السبيل) وسطه ومعظمه جمعه وقيل خرج حافيا لا يعتبر الا وبرق الشجر فما وصل حتى سقط خف قدميه وقيل جاء ملك على فرس بيده عنزة فانطلق به الى مدين (ماءهم) ماء لهم الذي يستقون منه وكان بئرا تعمارون * وورود محل هو الوصول اليه ووجد عليه (وجد) وجد وقف غيره ومستقاه (أمة) جماعة كثيفة العدد (من الناس) من أناس مختلفين (من دونهم) في مكان أسفل من مكانهم * والذود الطرد والدفع وانما كانتا تذودان لان على الماء من هو أقوى منهما فلا يتمكنان من السقي وقيل كانتا تكرهان المزاحمة على الماء وقيل لئلا تختلط أغنامهما بأغنامهم وتسيل تذودان من وجوه هو ما نظر الناظر استرعما (ما خطبكما) ما شأنكما وحقيقته ما تختصان به وتكافان معلوما من الذياد فسمي الخطب خطبا لما في الشؤن شائق قولك ما شأنك وقال ما شأنت شيئا اي صنعت قصده * وقرئ لا نسقي ويصدر والرعاء بضم الراء والياء الرعاء مثل الرخال والشاء والرعاء بالكسر مثل ناس كسار وفارس (كبير) كبير السن (فسقى لهما) فسقى لاجلهما لما روي ان الرجال كانوا يضعون على رأس البئر حجرا لا يقله الا سبعة رجال وقيل أربعون وقيل مائة فاقله وحده وروي انه سألهم دلوا من ماء فعلموا دلوهم وقالوا المستقى واحد وكانت لا تروى الا الاربعون فاستقى بهم واحدا في الحوض ودعا بالبركة وروي أنهم ملأوا أصدرهما وروي أنه دفع حجرا عن البئر عجز عنه عشرة رعاة فأقله وحده فرأى عليه الاخر وقيل انما فعل هذا رغبة في المعروف وانما قالتا للعروف والمعنى انهما وصلتا الى ذلك الماء وقد ازدحمت عليه أمة من الناس مختلفة متكاثفة العدد ورأى الفئتين من وراء هم مع كثرتهم ما تتقاعد الفرائض عنهم فما أخطأت هذه فرق الا لقلل الفرصة منهم ما كان يمنعهم التصب وستر وخفف القدم والخروج ولكن سرعة ما فاتهم وابطاء أمر السقي في مثل تلك الزحمة تقوية قلبه وقطع أطماعه وربما آتاه الله من التفضل في مثل هذه النظرة ورسخ له الحب وقيل ان الله تعالى أمر موسى أن يسقي لهما فلما أوفى من العطش والتعب ما لم يعتد عليه ما كان يمنع انتهاز فرصة الاستراحة ترغيبا في الخير وانتهاز فرصه وحث على الاقتداء في ذلك الناس والاحتساب بهم ومقاسمتهم (فان قلت) لم ترك المفعول في سرعة كورق قوله يستقون ويذودان ولا تسقي (قلت) لان الغرض هو الفعل لا المفعول الا ترى انهما غارجوهما لانهما كانا على الذياد وهم على السقي ولم يرجعا الا ان مذودهما منهم ومستقيهم اهل مملا وحكذلك قولهما لا نسقي حتى يصدر الرعاء المقصود فيه السقي لا السقي (فان قلت) كيف طابق جوابهما سؤاله (قلت) سألها عن سبب الذود فقالتا السبب في ذلك انا امرأتان ضعيفتان مستوران لا نقدر على مساجلة الرجال ومزاحمتهم ولا بد لنا من تأخير السقي الى أن يفرغوا وما الذي حمل يوم ذلك وأبونا شيخ قد أضعفه الكبر فلا يصلح للقيام بأمثاله فعذرهما في تولية ما السقي بأنفسهما (فان قلت) كيف ساغ لأبي الذي هو شعيب عليه السلام ان يرضى لابنته بسقي الماشية (قلت) الامر في نفسه ليس بمحظور فالدين

ليقتلوك بري أنهم قتلوا قبطيا فيطلبون في قتله موسى فيقتلونه بالقبطي فعم بقتلي عم في النار

٢٠ يترقب فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه قال له موسى انك لغوي مبين فلما ان أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالامس ان تريد الا أن تكون جبارا في الارض وما تريد أن تكون من المصلحين وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى ان الملا يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج اني لك من الناصحين فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير فسقى لهما ثم تولى الى الظل فقال رب

*قوله تعالى قالت احداهما يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوى الامين (قال فيه هذا الكلام حكيم جامع لا يزاد عليه لانه اذا اجتمعت القوة والامانة في القائم بامرك فقد فرغ بالك وقد استغنت بارسال هذا الكلام الذي ساقه سياق المثل والحكيم أن تقول فانه قوى أمين) قال أحمد وهو أيضا أجمل في مدح النساء الرجال من المدح المخاص وأبقى للصنعة (١٠٩) وخصوصا ان كانت فهمت

ان غرض أبي اليسع عليه السلام أن يزوجها منه وما أحسن ما أخذ العارف رضي الله تعالى عنه هذا المعنى فقال أشكر الله تضعف الامين وخيانة القوى ففي مضمون هذه الشكاية سؤال الله تعالى

الاباء وأما الرواة فقال الناس مختلفون في ذلك والعادات متباينة فيه وأسوال العرب فيه خلاف أحوال العجم ومذهب أهل البدو فيه غير مذهب أهل الحضر وحسن ما كانت الحالة الضرورة (الى) لاى شئ (أرزت الى) قليل أو كثير ثبت أو سمين (ثغير) واغا عدى فير باللام لانه ضمن معنى سائل وطالب فيقل ذكر ذلك وان حضرة البقل تثير الأى في بطنه من الغرل ياسأل الله الا كلفوا يحسن ان يريان وغير من الدنيا لاجل ما أثرات الى من خير الدين وهو والنجاء من الظالمين لان كان مدفوعون في ذلك وثروة قال ذلك وحما بالبدل السني وفرجايه وشكر له * وكان الظل ظل سمرة (عن اصبغ) في موضع الحال أى مستخفية مختفرة وقيل قد استترت بكم درعها روى انها لما رجعتا الى أبيهما قبل الناس وأغنامهما حفل بطان قال لهما ما أعجلكما قالتا وجد نا رجلا صالحا رق لنا فقال لاحداهما اذهبي فادعي لي أجر ما سقى لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين قالت احداهما يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوى الامين قال له أبوها وما علمك بقوته وأمانته (قالت) أما قوته فانه رفع الصخرة التي كان لا يرفعها الا نفر من الرجال وانطلق بها وحده وأما أمانته فانه لما رآني مشيت بين يديه فقال لي كوني من ورائي فان خفت عن شئ من الطريق فحصبيني حتى أعلم صاحبتي فلما قص عليه القصة قال له لا تخف فلا سلطان لفرعون بأرضنا (فان قلت) كيف ساغ لموسى أن يعمل بقول امرأة وان يمشي معها وهي أجنبية (قلت) أما العمل بقول امرأة فكما يعمل بقول الواحد حرا كان أو عبدا ذكرا كان أو أنثى في الاخبار وما كانت الاخبار عن أبيها بانه يدعوه ليجزيه وأما مشاته امامها أجنبية فلا بأس بها اذا تفاوتت الحال من ذلك الاحتياط والتورع (فان قلت) كيف صح له أخذ الاجر على البر والمعروف (قلت) يجوز أن يكون قد فعل ذلك لوجه الله وعلى سبيل البر والمعروف وقبل اطعام شعيب واحسانه الا على سبيل أخذ الاجر ولكن على سبيل التفضل لمعروف مبتدأ كيف وقد قص عليه قصصه وعرفه انه من بيت البلوى من أولاد يعقوب ومثله حقيق بأن يضيف ويكرم خصوصا وقد رأى من أمياء الله ليس عنكر أن يفعل ذلك لاضطرار الفقر والحاقة طلبا للاجر وقد روى ما يعضد ذلك القول روى انهم الما قالت كرد ذلك ولما قدم الطعام استمع وقال انا أهل بيت لا نسبع بطنا بطلع الارض ذهبا ولا نأخذ على المعروف شيئا حتى قال شعيب هذه عادتي مع كل من ينزل بنا وعن عطاء بن السائب رفعه قال لما سمع موسى ذلك قال له أجزه بما سقيت لنا أرعى غنمك * والقصص مصدر كالقص من باب القصص * كبرها كانت تمشي مستترة وهو أصوب من قول من قال كانت مشية مضطربة من الاستعجال والاول أشبه بالحياء الذي وصفت به وطلبت الى أبيها أن يستأجره وهي التي زوجها * وعن ابن عباس ان شعيبا أعطاه العصا التي كانت عنده وقيل ما علمك بقوته فقد ذكرت له الاثنين الجزع من الدلو وانه صوب برأسه حين طلقته برسالته وأمره بالذي خلفه وقولها (ان خير من استأجرت القوى الامين) كلام حكيم جامع لا يزاد عليه لانه اذا اجتمعت هاتان الخصلتان أعني الكفاية والامانة في المستأجر فقد فرغ المستأجر من أدلته وقد استغنت بارسال هذا الكلام الذي ساقه سياق المثل والحكيم ان تقول استأجره لقوته وأمانته (فان قلت) كيف جعل خبرين استأجرت اصلان والقوى الامين خبرا (قلت) هو مثل قوله

الان خير الناس حاوهلكا * أسير ثقيف عندهم في السلاسل

في ان الصفة هي سبب التقديم وقد مضى حتى جعل لها هو أشق ان يكون خبرا لما وورود الفعل بلفظ الماضي للدلالة على انه أمر قد وجب وعرف ومنه قولهم أهون ما أعلت أسان تمر وعن ابن مسعود رضي الله عنه أفرس الناس ثلاثة بنت شعيب وصاحب يوسف في قوله عسى أن ينفعنا وأبو بكر في عمر * روى انه أتى كسرى صغراء وقوله (هاتين) فيه دليل على انه كانت له غيرهما (تأجرني) من أجره اذا كانت له أجيرا كقولك آجرته اذا كنت له أبا و(على ثماني حجج) ظرفه أو من أجرته كقولك أنا أنتظرك من غد الى الليل ومنه قوله تعالى يقولون لست مرسولا والمستعمل * ليس التكميل في العين كالكحل * حيث قالت اسيدها ما جزاء من أراد بأهلك سوءا الا ان يسجن أو عذاب أليم تعني منحرا يوسف عما أرادني من السوء لان تحبسه أو تمنعه عنا فانما أعيار لكنها أهمست وجهها الطباع الخفية التي تحت الهياكل الذي تلك الطباع منها الذي عنها أن تنطق بهذا الامر عنها من مراودة يوسف لها على زنى الاخرى وهمه بفعلها

ان خير من استأجرت القوى الامين أريد ان أكحلك اسندي ابقي هاتين على ان تأجرني ثماني حجج

ان تتمه من جنح اليوصين فكان قويا أمينا استعين به على ما كان بعده رضي الله عنه وهذا الايهام من إخفاء صلوات الله وسلامه عليه ما كنه وإخفاء يوسف عليه السلام ولكن شان مابين أحباء المجبول

افلما أرزلت الى من خير فقير بشفاعة اسداها تثني على اصطناعه قالت ان أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص

صلى الله عليه وسلم أحكم الله وحكم وثاني حيج منصوب به ومعناه رعية ثاني حيج (فان قلت) كيف صح أن ينكحه احدى ابنتيه من غير تعيين (قلت) لم يكن ذلك عقد النكاح ولكن مواعدة ومواصفة أمر قد عزم عليه ولو كان عقدا لقال قد أنكحتك ولم يقل اني أريد أن أنكحك (فان قلت) فكيف صح أن يجعل ها اجارة نفسه شرعية القمم ولا بد من تسليم ما هو مال ألا ترى الى أبي حنيفة كيف منع أن يتزوج امرأة بان يخدمها سنة وجوز أن يتزوجها بان يخدمها عبده سنة أو يسكن بها داره سنة لانه في الاول سلم نفسه وليس بمال وفي الثاني هو سلم مالا وهو العبد أو الدار (قلت) الامر على مذهب أبي حنيفة على ما ذكرت وأما الشافعي فقد جوز التزوج على الاجارة لبعض الاعمال والخدمة اذا كان المستأجر له أو المخدوم فيه أمرا معلوما ولعل ذلك كان جائزا في تلك الشريعة ويجوز أن يكون المرشيا آخر وانما أراد أن يكون راعيا نفسه هذه المدة وأراد أن ينكحه ابنته فذكر له المراد من وعلق الانكاح بالرعية على معنى اني أعمل هذا الذي فعلت ذلك على وجه المعاهدة لا على وجه المعاوضة ويجوز أن يستأجره لرعية ثماني سنين بمبلغ معلوم ويوفيه اياه ثم ينكحه ابنته ويجعل مهرها على أن تأجرني ثماني حيج عبارة عما جرى بينهما (فان أتممت) عملا عشر حيج (فمن عندك) فاتمامه من عندك ومعناه فهو من عندك لا من عندي يعني لا ألزمك ولا أستحقه عليك ولكنك ان فعلته فهو مني على سبيل التفضل وتبرع والافلا علي (وما أريد أن أشق عليك) بالزام أتم الاجلين وايجابه (فان قلت) ما حقيقة هو لاء لهم شققت عليه وشق عليه الامر (قلت) حقيقته أن الامر اذا تعاطى فكأنه سعى عليك طالبا باثنين تقول تارة أطيقه وتارة لا أطيقه أو وعده المساهلة والمسامحة من نفسه وانه لا يشق عليه فيما يستأجره له من رعي غنمه ولا يفعل نحو ما يفعل المعاصرون من المستخدمين من المناقشة في مراعاة الاوقات والدقائق في استيفاء الاعمال وتكليف الزيادة شيئا فشيئا خارجة من حد الشرط وهكذا كان الانبياء عليهم السلام آخذين بالاسمح في معاملات الناس ومنه الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شريكي فكان خير شريك لا يداري ولا يماري ولا يلاوي وقوله ستجدني ان شاء الله من الصالحين) يدل على ذلك يريد بالصلاح حسن المعاملة وسلامة الخلق وان الجانب يحمد ان شاء الله في الصوم والصلاة حسن المعاملة والمراد باشتراط مشيئة الله فيهما وعدم الصلاح الاتكال على توفيقه فيه وعصمته لانه يستحيل الصلاح ان شاء الله وان لم يشأ لم يحصل خلافه (قال) مبتدأ خبره (بيني وبينك) خبره هو الذي ما عاهدت عليه مشيرا به الى ذلك الذي ظنه وعاهدتني فيه وشاورطني عليه فانه يتناوله ما تخير وكلا يتناوله لا أنا عما شرطت عليّ ولا أنت عما شرطت على نفسك وترقال أي أجل من الاجلين قضيت أطولهما الذي هو العشر أو أقصرهما الذي هو الثمان (فلا عدوان علي) أي لا مدى علي في طلب الزيادة عليه (فان قلت) تصور العدوان انما هو في أحد الاجلين الذي هو الاقصر وهو الثمانية فكيف لعشر فما معنى تعليق العدوان بهما جميعا (قلت) معناه كما ان ان طولت بالزيادة على العشر كما عدوان لا شك فيه فكذلك ان طولت بالزيادة على الثمان أراد بذلك تقرير أمر الخيار وانه ثابت مستقر وأن الاجلين على السواء ما هذا وما هذا من غير تفاوت بينهما في القضاء وانما اتفق قوله لك في رأي ان شئت أتيت بهما والا لم أجر عليها وقيل معناه فلا أكون متعديا وهو في نفي العدوان عن نفسه كقولك لا اثم علي ولا تبعة علي وفي قراءة ابن مسعود أي الاجلين ما قضيت وقرئ أعلا بسكون الياء كقوله

تنظرت نصرا والسماكين أيهما * علي من الغيث استهلت مواطره

وعن ابن قطيب عدوان بالكسر (فان قلت) ما الفرق بين صرفي ما تريد في القراءتين (قلت) وقعت في المستفيضة مؤكدة لابهام أي زائدة في سياءاو في الشاذة تأكيد للقضاء كأنه قال أي الاجلين صممت على قضائه وجردت عريتي له * الوكيل الذي وكل اليه الامر والمستعمل في موضع الشاهد والمعين والمقيت عند بعلي لذلك روي أن مقيتا كان عنده عصى الانبياء فقال لموسى بالليل ادخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصي فاخذ عصا فاعطاها آدم من الجنة فوثب بها يرتل الانبياء توارثوها حتى وقعت الى شعيب فسلمها وكان

فان أتممت عشرا فمن عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدني ان شاء الله من الصالحين قال ذلك بيني وبينك أيما الاجلين قضيت فلا عدوان علي والله على ما نقول وكيل فلما قضى موسى الاجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا قال لاهله امكثوا اني آنست

* قوله تعالى على أن تأجرني ثماني حيج (نقل من مذهب أبي حنيفة منع النكاح على مثل خدمته بعينه وجوازه على مثل خدمة عبده سنة وغير فيه ان في الاولى سلم نفسه وليس بمال وفي الثانية سلم عبده وهو مال وتعقل عن الشافعي جواز النكاح على المنافع للعبارة مطلقا) قال أحمد ومذهب مالك على ثلاثة أقوال المنع والكراهة والجواز والوجه من اجازة أبي حنيفة النكاح على منافع الزوج ولم تعرض لغيره وما ذاك الا لترجيح المعنى الذي أشار اليه الزمخشري آنفا بناء على أن

نارا لعلي آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون فلما أتاها نودي من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم إليك جناحك من الرهب

سكنوا فافضن بها فقال غيرها فما وقع في يده إلا هي سبع مرات فعلم أن له شأنا وقيل أخذها جبريل بعد موت آدم فكانت معه حتى لقي بها موسى ليلا وقيل أودعها شعيبا ملك في صورة رجل فأمر بنته أن تأتيه بعصا فأتته بها فردها سبع مرات فلم يقع في يدها غيرها فدفعها إليه ثم ندم لأنها وديعة فتبعه فاختصما فيها ورضيا أن يحكم بينهما أول طالع فأتاهما الملك فقال ألقياها فمن رفعها فهي له فعالجها الشيخ فلم يطقها ورفعها موسى وعن الحسن ما كانت إلا عصا من الشجر اعترضها اعتراضا وعن الكلبي الشجرة التي منها نودي شجرة العوسج ومنها كانت عصاه ولما أصبح قال له شعيب إذا بلغت مفرق الطريق فلا تأخذ على يمينك فإن الكلأ وإن كان بها أكثر إلا أن فيها تنينا أخشاه عليك وعلى الغنم فأخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر على كفها فمشى على أثرها فإذا عشب وريف لم ير مثله فنام فإذا بالتنين قد أقبل فحاربته العصا حتى قتلته وعادت إلى جنب موسى دامية فلما أبصرها دامية والتنين مقتولا ارتاح لذلك ولما رجع إلى شعيب مس الغنم فوجدها ملأى البطون غزيرة اللبن فأخبره موسى ففرح وعلم أن لموسى والعصا شأنا وقال له إني وهبت لك من نتاج غنمي هذا العام كل أدرع ودرعاء فأوحي إليه في المنام أن اضرب بعصاك مستقى الغنم ففعل ثم سقى فما أخطأت واحدة إلا وضعت أدرع ودرعاء فوفى له بشرطه سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الأجلين قضى موسى فقال أبعدهما وأبطأهما وروي أنه قال قضى أوفاهما وتزوج صغراهما وهذا خلاف الرواية التي سبقت * الجذوة باللغات الثلاث وقرئ بهن جميعا العود الغليظ كانت في رأسه نار أو لم تكن قال كثير

باتت حواطب ليلى يلتمسن لها * جزل الجذى غير خوار ولا دعر

وقال

وألقى على قبس من النار جذوة * شديدا عليها حرها والتهابها

* من الأولى والثانية لابتداء الغاية أي أتاه النداء من شاطئ الوادي من قبل الشجرة * و(من الشجرة) بدل من قوله من شاطئ الوادي بدل الاشتمال لأن الشجرة كانت نابتة على الشاطئ كقوله تعالى لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم * وقرئ البقعة بالضم والفتح * والرهب بفتحتين وضمتين وفتح وسكون وضم وسكون وهو الخوف (فإن قلت) ما معنى قوله (واضمم إليك جناحك من الرهب) (قلت) فيه معنيان أحدهما أن موسى عليه السلام لما قلب الله العصا حية فزع واضطرب فاتقاها بيده كما يفعل الخائف من الشيء فقيل له إن اتقاءك بيدك فيه غضاضة عند الأعداء فإذا ألقيتها فكما تنقلب حية فأدخل يدك تحت عضدك مكان اتقائك بها ثم أخرجها بيضاء ليحصل الأمران اجتناب ما هو غضاضة عليك وإظهار معجزة أخرى والمراد بالجناح اليد لأن يدي الإنسان بمنزلة جناحي الطائر وإذا أدخل يده اليمنى تحت عضد يده اليسرى فقد ضم جناحه إليه والثاني أن يراد بضم جناحه إليه تجلده وضبطه نفسه وتشدده عند انقلاب العصا حية حتى لا يضطرب ولا يرهب استعارة من فعل الطائر لأنه إذا خاف نشر جناحيه وأرخاهما وإلا فجناحاه مضمومان إليه مشمران ومنه ما يحكى عن عمر بن عبد العزيز أن كاتبا له كان يكتب بين يديه فانفلتت منه فلتة ريح فخجل وانكسر فقام وضرب بقلمه الأرض فقال له عمر خذ قلمك واضمم إليك جناحك وليفرخ روعك فإني ما سمعتها من أحد أكثر مما سمعتها من نفسي ومعنى قوله من الرهب من أجل الرهب أي إذا أصابك الرهب عند رؤية الحية فاضمم إليك جناحك جعل الرهب الذي كان يصيبه سببا وعلة فيما أمر به من ضم جناحه إليه ومعنى واضمم إليك جناحك وقوله اسلك يدك في جيبك على أحد التفسيرين واحد ولكن خولف بين العبارتين وإنما كرر المعنى الواحد لاختلاف الغرضين وذلك أن الغرض في أحدهما خروج اليد بيضاء وفي الثاني إخفاء الرهب (فإن قلت) قد جعل الجناح وهو اليد في أحد الموضعين مضموما وفي الآخر مضموما إليه وذلك قوله واضمم إليك جناحك وقوله واضمم يدك إلى جناحك فما التوفيق بينهما (قلت) المراد بالجناح المضموم هو اليد اليمنى وبالمضموم إليه اليد اليسرى وكل واحدة من يمنى اليدين ويسراهما جناح ومن بدع التفاسير أن الرهب الكم بلغة حمير وأنهم يقولون أعطني مما في رهبك وليت شعري كيف صحته في اللغة وهل سمع من الأثبات الثقات الذين ترتضى عربيتهم ثم ليت شعري كيف موقعه في الآية

وكيف تطبيقه المفصل كسائر كلمات التنزيل على أن موسى عليه السلام ما كان عليه ليلة المناجاة الا رداء قطنية من صوف لا كسى لها (فذانك) قرئ مخففا ومشددا فالمخفف مثنى ذاك والمشدد مثنى ذلك (برهانان) جنتان بيضاوان نيرتان (فان قلت) لم سميت الحجة برهانا (قلت) لبياضها وانارتها من قولهم للمرأة البيضاء برهرهة بتكرير العين واللام معا والدليل على زيادة التاء قولهم أبره الرجل اذا جاء بالبرهان ونظيره تسميتهم إياها سلطانا من السليط وهو الزيت لانارتها * يقال ردأته أعنته والردء اسم ما يعان به فعل بمعنى مفعول به كالأن الذي هو اسم لما يشد به قال الاعشى بن جندل

وردن كل أبيض مشرق * شجيراً لخدمه ذي فلول

وقرئ ردا على التخفيف كقرئ الحب (ردأ يصدقني) بالرفع والجزم صفته وجواب نحو ولياريني سواء (فان قلت) تصديق أخيه ما الفائدة فيه (قلت) ليس الغرض بتصديقه أن يقول له صدقت أو يقول للناس صدق موسى وانما هو أن يخلص لمسألة الحق ويبسط القول فيه ويجادل به الكفار كما يفعل الرجل المنطبق زوالمارضه فذلك جار مجرى التصديق المفسد كما صدق القول بالبرهان ألا ترى الى قوله وأخي هرون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي وفضل الفصاحة انما يحتاج اليه لذلك لا لقوله صدقت فان سحبان وباقل يستويان فيه أو يصل جناح الكلام حتى يصدقه الذي يخالف تكذيبه وأسند التصديق الى هرون لانه السبب فيه اسناد المجاز بالرمعنى الاسناد المجازي أن التصديق حقيقة في الصدق فاسناده اليه حقيقة وليس في السبب تصديق ولكن استعير له الاسناد لانه ملابس التصديق بالتسبب كالابسه الفاعل بالمباشرة والدليل على هذا الوجه قوله اني أخاف أن يكذبون وقراءة من قرأ يصدقني وفيها تقوية للقراءة بحزم يصدقني * العضد قوام اليد وشدتها تشتد قال طرفة

أبى لبني لسمو بعد * الا اليد لها عضد

ويقال في دعاء الخير عضدك الله وقوى عضدك ومعنى (سنشد عضدك بأخيك) سنقوي بشده ونمنعك فما أن يكون ذلك الا بشدة العضد والجارحة تقوى بشدة اليد على مزاولة الامور وانما كان الرجل شد ما يقوى لاستعدادها باشتداد العضد فجعل كأنه يشد بعضد شديدة (سلطانا) غلبة واسلطانا أحجة واضحة (بآياتنا) متعلق بنجعل بمعنى نسلط عليهما بآياتنا أي اذهبا بآياتنا أو بنصل لكما سلطانا أي سلطانكما بآياتنا أو لا تصلون أي تمتنعون منهم بآياتنا أو هو بيان للغالبون لامحالة امتناع عدم الصلة على الموصول ولو أخر لكان الاصل لهما فيجوز أن يكون ضميرا لا يصلون عائدا على موسى وقومه لتقدم ذكرهم (سحر مفترى) سحر تعمل أنت تفتريه على الله أو سحر ظاهر افتراؤه أو موصوف بالافتراء كسائر أنواع السحر وليس بمعجز من عند الله (في آبائنا) حال منصوبة بمعنى هذا أي كائنا في جملتهم وأليقهم بنا حادثا كونه فيهم ولا يخلو من أن يكونوا كاذبين في ذلك وقد سمعوا علماء بني اسرائيل أو يريدوا أنهم لم يسمعوا بذلك في فطاعته أو ما كان الكهان يخبرون بظهور موسى وبجيئه بعلاماته وهذا دليل على أنهم تجلوا وتحروا وما وجدوا ما يدعون به ما باءهم من الآيات الا فوهم هذا سحر وبعد علم سحريتها يقول (ربي أعلم) منكم بحال من أهله الله للفلاح الاعظم حيث جعله نبيا وبمنهاجه الهدى وبوعده حسن العقبى يعني نفسه ولو كان كما تزعمون كاذبا ساحرا مستريبا لما أهله لذلك لانه حكيم لا يرسل الكاذبين ولا يبني الساحرين ولا يفلح شيئه الظالمون و (عاقبة الدار) هي العاقبة المحمودة والدليل عليه قوله تعالى أولئك لهم عقبى الدار جنات عدن وقول موسى اكفلان عقبى الدار والمراد دار الدنيا وعاقبتها وعقباها أن يختم للعبد بالرحمة والرضوان وتتلقاه الملائكة بالبشرى عند الموت (فان قلت) العاقبة المحمودة والمذمومة كلتاهما يصح أن تعني عاقبة الدارين الدنيا ما أن تكون عاقبتها خيرا أو بشرا فما اختصت عاقبتها بالخير هذه الاضافة دون عاقبتها بالشر (قلت) قد وضح الله سبحانه الذي انجاز الى الآخرة وأراد بعباده أن لا يعملوا الا للخير ومن همتهم الا لاجله ليتقوا عاقبة الشر وعاقبة الصدق ومن عمل فيها خلاف ما وضعها

فذانك برهانان من ربك الى فرعون وملئه انهم كانوا قوما فاسقين قال رب اني قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون وأخي هرون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي ردأ يصدقني اني أخاف أن يكذبون قال سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا الا سحر مفترى وما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين وقال موسى ربي أعلم من جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من اله غيري

* قوله وقال ربي أعلم من جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار (قال) العاقبة هي العاقبة المحمودة والدليل عليه قوله عز وجل أولئك لهم عقبى الدار جنات عدن وقوله وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار والمراد دار الدنيا وعاقبتها وعقباها أن يختم للانسان فيها بالرحمة والرضوان وتتلقاه الملائكة بالبشرى عند الموت قال فان قلت العاقبة المحمودة والمذمومة كلتاهما

أن تسمى عاقبة لان الدنيا ما دامت تكون خاتمتها خيرا أو شرا لم تنقض فلا تكون خاتمتها بالشر قبل ذلك لان الله سبحانه وتعالى وضع الدنيا لجزاء الآخرة وأراد لعباده فيها أن يعبدوه ولا يعملوا الا الخير وما خلقهم الا لذلك كما قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فمن عمل في الدنيا على خلاف ذلك فقد صرف لان وجهتها الاصلية هي عاقبة الخير وأما عاقبة الشر فلاعتداد بها لانها امر تحريف الغيار) قال أحمد وقد تقدم من قواعدنا هي الحق ما يستصاب به في هذا المقام والقدر الذي يحتاج الى تحريره ههنا ان استدلاله على أن عاقبة الخير وعبادة الله تعالى هي المراد له لا سواها بقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون معارض بامثال في أدلة أهل السنة على مقابلهم مثل قوله ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس الآية والمراد والله أعلم ولقد جعلنا العذاب جهنم خلقا كثيرا من الثقلين ومن ذلك ما روى عن الفاروق رضي الله عنه انه قال وانكم آل الخبرة ذرأ للنار أي خلقتم لها فدلت آية الذاريات ظاهرا على أن الله تعالى انما خلق الثقلين لتكون عاقبتهم الجنة ثم أمروا بأعمال على عبادتهم به فدلت آيات الاعراف على أنه خلق كثيرا من الثقلين لتكون عاقبتهم جهنم جزاء على كفرهم وحينئذ تتعين الجمع بين الآيتين وحمل عموم آية الذاريات على خصوص الآية الاخرى وان المراد بما خلقت السعداء من الثقلين الا لعبادتي جمعا بين الادلة فقد ثبت أن العاقبتين كلتيهما مما اراده الله تعالى هذا بعد تظافر البراهين العقلية على ذلك فوجه جعل العاقبة المطلقة كثيرا وارادة الخير لهم ان الله تعالى هدى الناس اليها ١٦٣ وعدهم ما وردني سلوك طريقها

من النجاة والنعيم المقيم ونهاهم عن ضدها ووعدهم على سلوكها بأنواع العذاب الاليم وركب فيهم عقولا ترشدهم الى عاقبة الخير وعلمهم مواضع الخير عليها وفرد دعاويهم فكان من مفهوم أن لا يعد لواحد عاقبة الخير وليست كل خير طريقها وأن يتخذ ما ليس أعم من ما خلقت العاقبة والمراد بها الخير فتبصر ما عسى ذلك والله أعلم والحاصل انها لما كانت

الله فقد حرف فان عاقبتها الاصلية هي عاقبة الخير وأما عاقبة الشر فلاعتدادهم الانها من نتائج تحريف الغيار وقرأ ابن كثير قال موسى بغير واو على ما في مصاحف أهل مكة وهي قراءة مستقلة لان الوضع موضع سؤال وبحث عما أجابه به موسى عليه السلام عند تعييرهم من تلك الآيات الباهرة حين اقتضى وجه الاخرى أنهم قالوا ذلك وقال موسى عليه السلام هذا الذي وازن الناظرين القول والقبول وبه تصر فساد أحد هما وصحة الآخر وبه تتفاوت الاشياء ٭ وقرئ تكون بالتاء والياء ري أنا أمر بنا الصبح جمع هامان السمان حتى اجتمع خمسون ألف عامل سوى الاتباع والاجراء ممن يطبخ الآجر ويقص وينجر الخشب ويضرب اللبن فشمر حتى بلغ الرجل فيها ثلثي أحد من الخلق فكان الماء لا يغمر ان قدم على رأسه بنى فيما ذكر الله تعالى جبريل عليه السلام عند غروب الشمس فضربه بجناحه فقطعه ثلاث قطع وقفت قطعة على عسكر فرعون فقتلت ألف الف رجل ووقعت قطعة في البحر وقطعة في المغرب ولم ينج أحد من هذا الاقليم كما روى في هذه القصة أن فرعون الذي فرق فرعون مثله من السماء فأراد الله أن يعتبر فرد الله وهي ملطية بحضة الدم فقال قد قتلت الله موسى فعند ما سمعت الملائكة جبريل عليه السلام قد سمعه والله أعلم بحقيقة ٭ وسيشفي عليه ما غيره تق وجوده معناه لكم من الله غيري كما قال الله تعالى قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض معناه عالمين قوين وذلك لان العلم انما يتعلق بالاعلى ما هو عليه فاذا كان الشيء معدوما لم يتعلق به موجودا فيه كان انتفاء العلم بوجوده لانتفاء وجوده عبر عن انتفاء وجوده بانتفاء العلم بوجوده ويجوز ان يكون على ظاهره وأن الله غير عالم بوجوده لعدمه ولكنه مضاف

هي المأمور بها والخصوص عليها وملت صامت ما هو مراد وان لم يكن مرادا من كثير من الخلق وقال لي بعضهم ما يمنعك أن تقول لهم يكون العاقبة المطلقة هي عاقبة الخير من اطلاقها ولكن عن اطلاق الخبر بها اللازم في الآي المذكورة كما لو لم يكن له عاقبة الدار وسمع الكافر ان عقبى الدار والعاقبة للمتقين فأفهمت اللام انها عاقبة الخير ان هي لهم وعاقبة السوء عليهم لانهم كانوا يقولون الدائرة لفلان يعنون دائرة الظفر والنصر والدائرة على فلان يعنون دائرة الخذلان والسوء فقلت انه كان في ذلك مثل الولاء ورد أو لم تكن لهم المنة وهم سوء الدار فلم يقل عليهم فاستعمال اللام مكان على دليل على ابقاء الاستحقاق باللام على ارادة عاقبة الخير والله أعلم ٭ قوله تعالى وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من اله غيري الآية (قال عبر عن نفي المعلوم بنفي العلم وانما كان كذلك لان العلم لا يتعلق المعلوم الا على ما هو عليه ان موجودا فموجود وان معدوما فمعدوم ثم عبر عن نفي كون موجودا بنفي كونه معلوما) قال أحمد لقد استدللت بما بلغ منه الوهم ليتأمل كيف سقوط الوهم وانما أتى من حيث ان الله تعالى عبر كثيرا عن نفي المعلوم بنفي العلم في مثل قوله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض أم تنبئونه بما لا يعلم في الارض فلما اطرد ذلك عنده توهم أن هذا التعبير عن نفي المعلوم بنفي العلم شامل كل علم ولو لم يتعلق بالمعلوم على ما هو وليس هو كذلك بل هذا التعبير لا يسوغ الا في علم الله تعالى لانه يختص العلم القديم وهو عموم تعلقه حتى لا يغرب عنه أمر فما لم يتعلق علمه بوجوده يلزم أن لا يكون موجودا لان كل موجود التعلق به بخلاف علم الخلق فلا يلزم من نفي الشيء وفق العلم الحادث بوجوده ولا كذلك العلم القديم فان بين نفي معلومه ونفي تعلقه بوجوده تلازما مسوغا للتعبير بالنفي كثيرا ولكن

العالم ان فرعون كان ينفي الالهية عن نفسه ويعامل عليه السلام على انه لا يعرف له معنى سوى فرعون وغيره وغيره ينفي علمه عن نفي العلم وليس هذا دليلا على عقولهم السخيفة والله أعلم ويناسب تعاظمه هذا قوله فأوقد لي يا هامان على الطين ولم يقل فاطبخ لي آجرا وذلك من التعاظم كما قال تعالى وله العظمة والكبرياء ومن ارتدى برداتهما قصمه وعما يفترون عليه في النار بتقاعسه فذكر هذه العبارة البليغة لانواع الكفر على وجه الكبرياء عتيا وتأبيا وذلك من تجبر الملوك جعل الله وعز ومن تعاظم فرعون أيضا ذاؤه لو نزه باسمه ويعرف المدعو بتوسيط ندائه خلال الاسم وبناؤه الصرح ورجاؤه الاطلاع دليل على أنه لم يكن مصمما على الجحود قال الزمخشري وذلك مناقض لما أظهر من ١٢٤ الجد البالغ في قوله ما علمت لكم من اله غيري فاما أن يحقق هذا التناقض على قومه لغباوتهم وكآبة

أذهانهم واما أن يغطي الهامان وخاصوا تقسمة فيصر واقال أحمد ولتأتي والله أعلم أن يحمل قوله ما علمت لكم من اله غيري على الشك وفي علمه عامة واجزائه جرى سائر علوم الخلق

بدليل قوله واني لاظنه من الكاذبين واذا ظن موسى عليه السلام كاذبا في انباته الها غيره ولم يعلمه كاذبا فقد ظن ان في الوجود الها غيره ولو لم يكن الحمول ظانا ظنا كاذبا بل عالما بصحة قول موسى عليه السلام لقول موسى له لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر لما تكلف ذلك البنيان العظيم وما تعب في بنائه ما تعب لعله يطلع بزعمه الى اله موسى عليه السلام وان كان جاهلا حرفط الجهل به وبصفاته حيث حسب أنه في مكان كما كان هو في مكان وأنه يطلع اليه كما كان يطلع اليه اذا قعد في عليته وأنه لا ملك السماء كما أنه ملك الارض ولا ترى بينة أثبت شهادة على افراط جهله وغباوته وجهل ملئه وغباوتهم من أنهم سمعوا من فيل أسباب السموات يصرح بهذه ولست شعري أكان يلبس على أهل بلاده ويخيل من عقولهم حتى صادفهم أعمى الناس وأخلاهم من الفطن وأشبههم بالبهائم بذلك أم كان في نفسه مثال الصحة وان صح ما حكي من رجوع النشابة اليه ملطوخة بالدم فتهكم به الفعل كما جاء التهكم بالقول في غير موضع من كتاب الله ستطرائه من الكفرة ويحوز أن يفسر الظن على القول الاول باليقين كقوله ﴿ظننت أن مدخلي ﴾ ويكون ساء الصرح منا قضا لما ادعاه من العلم واليقين وقد نقضت على قومه اباؤهم وبلاهم أولم تخف عليهم ولكن كلا كان خافي على نفسه سوطه وسيفه وانما قال (أوقد لي يا هامان على الطين) ولم يقل اطبخ لي الآجر واتخذه لانه أول من عمل الآجر فهو بعمله الصنعة ولان هذه العبارة أحسن طباقا لفصاحة القرآن وعادته وطبقته وأشبه بكلام الجبابرة وأمر هامان وهو وزيره به بالاقتداء على الطين مناد باسمه بناء على وسط الكلام ذليل التعظم والتجبر وعن عمر رضي الله عنه أنه حين سافر الى الشام رأى القصور المشيدة بالآجر فقال ما علمت أن أحدا بنى بالآجر غير فرعون ﴿والطاء والاطلاع الصعود يقال طلع الجبل واطلع معنى ﴿الاستكبار بالحق انما هو لله تعالى وهو المتكبر على الحقيقة أي المتبالغ في كبريائه الشان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حكي عن ربه الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا منهما ألقيته في النار ثم استكبر سواه فاستكباره بغير الحق (يرجعون) بالضم والفتح (فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم) من الكلام الفخم الذي دل به على عظمة شأن وكبرياء سلطانه ثم بهم احتقارا لهم وأنهم لا لاعتدادهم وان كانوا الكثير الكثير والجم الغفير بحصيات أخذهن آخذ في كفه فطرحن في البحر وشبه ذلك قوله وجعلنا هوادي وأرسى شامخات وجبال الارض واطوادها فكتأكده واحدة وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه وما هي الا صور وبرات وتمثيلات لاقتداره وان كل معتمد وان عظم وجل فهو مستصغر الى جنب قدرته (فان قلت) ما معنى قوله (وجعلناهم أئمة يدعون الى النار) (قلت) معناه وجعلناهم أئمة دعاة الى النار وقلنا انهم أئمة دعاة في النار كما يدعى خلفاء الحق أئمة دعاة الى الجنة وهو

أوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا أعلى أطلع الى اله موسى واني لاظنه من الكاذبين واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق وظنوا أنهم الينا لا يرجعون فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وجعلناهم أئمة يدعون الى النار

في انه لا يلتزم من نفي الشيء وجود أمر ما في ذلك الامر بل قد يوجد أمر ما في ذلك الامر بحيث لا يكون موجودا لغيره

من عمله وحينئذ لا يكون تناقضا ولو كان كما هو الاصل لما سوغنا ان يرفع التناقض عن كلامه لانه أحسن من ذلك ﴿ عاد كلامه قال وقوله تعالى فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم مقابلة لاستكباره بفعل عبر عنه بعاصورته أخذ حصيات نبذها أي طرحها في اليم وان ذلك تحقير لاستهانته به واهلاكه بهذا النوع من الهلاك والله أعلم ﴿ وقوله تعالى وجعلناهم أئمة يدعون الى النار (قال فيه معناه دعوناهم أئمة دعاة الى النار كما تقول جعلته جبلا اذا وصفته بذلك) قال أحمد لا فرق عند أهل السنة بين قوله تعالى وجعل الظلمات والنور وجعلنا الليل والنهار آيتين وبين هذه الآية فمن حمل الجعل على التسمية فيما نحن فيه فر اما من اعتقاد ان دعاءهم الى النار مخلوق لله تعالى فهو عنايته من حمله على التسمية في قوله تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين فر اما من جعل الليل والنهار مخلوقين لله تعالى فلا فرق بين نفي مخلوق واحد عن قدرته تعالى ونفي كل مخلوق نعوذ بالله من ذلك

* قوله تعالى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون (قال معناه ارادة تذكرهم لان الارادة تشبه الترجي فاستعيرلها أو يراد به ترجي موسى عليه السلام) قال أحد الوجه الثاني هو الصواب واستغفر الاول عانه تحري * قوله تعالى ولولا ان تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين (قال لولا الاولى ١٦٥ امتناعية والثانية تحضيضية والفاء الاولى عاطفة والثانية جواب جواب والمعنى لولا انهم قالوا

من قولك جعله يخيلا وفاسقا اذا دعاه وقال انه يخيل وفاسق ويقول أهل اللغة في تفسير فاسقه وبخه جعله يخيلا وفاسقا ومنه قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا ومعنى دعوتهم ان النار دعوتهم في وجباتها من الكفر والمعاصي (ويوم القيامة لا ينصرون) تامة لان الاعة الدعاة الى الجنة وبجوز حسنا ان اهم هم حتى كانوا أئمة الكفر ومعنى الخذلان منع الالطاف والعاصمة من علم أنه لا ينتفع به وهو المصمم على الكفر الذي لا تغني عنه الآيات والنذر وتجراه مجرى الكافر فلان منع الالطاف يرفق التصميم والغرض بذكره التصميم نفسه فكأنه قيل هم على الكفر حتى كانوا أئمة فيه دعاة اليه والى سوء عاقبته (فان قلت) فأي فائدة في ترك الوقوف الى الارادة (قلت) ذكر الارادة يدل على وجود المراد فيتم بوجود المراد وقف مع الدليل الشاهد وجوده ويكون أقوى لانه اذا ذكر مراده الاخرى أنك تقول لولا انه مصمم على الكفر وتقطع وأمر بثبوت حكمه لمنع منه الالطاف بذكر منع الالطاف يحصل العلم بوجود التصميم على الكفر وقد يأتي هو وعلام الجر في وجوه منها ما ذكرته في هذه الآية (ويوم القيامة لا ينصرون كائنة ما كانت ناصريهم في الدنيا وهم يوم القيامة مخذولون كقوله (واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة) أي طردا وابعادا من الرحمة (ويوم القيامة هم من المقبوحين) أي من المطرودين المبعدين (بصائر) نصب على المثال والبصيرة نور القلب الذي يستبصر به كما أن البصر نور العين الذي تبصر به ويدل عليه قوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الاولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون ولولا ان تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين

اذا عرفت هذا فالاولى أن يراد ولولا ان يقولوا اذا عوقبوا على كفرهم ومعاصيهم لولا أرسلت الينا رسولا لاحتجوا بذلك لما أرسلت

اليهم احدا فان قلت كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت المعوق سبق الارسال لا القول لدخول حرف الامتناع عليه دون القول (قلت المعوق سبب القول وهو سبب سببه جعلت سببا وعطف السبب الاصلي عليه بالفاء السببية) قال أحمد وذلك مثل قولك ان تعط احدا عاقة كراحدها الاخرى والمعنى جعل سبب السبب سببا وعطف السبب الاصلي عليه أعني أحد هما ان من يد العناية

يوجب التدبير وهذا هو الذي أبداه سيبويه الثاني ان في هذا الكلام تنبيها على سببية كل واحد منهما أما الأول فلاقترانه بحرف التعليل وهو ان وأما الثاني فلاقترانه بفاء السبب ولا يتماطى هذا اللغي الأمين قولك ان تفضل أحدا هاهنا فأكرمك من قول القائل ان تذكر أحدا هاهنا الآن أخلصك وكان بعض الحذاق يرد هذه الآية تمسكا على الخفاء على أهل السنة من المتكلمين فيقول لولا عند أهل الحق دليل على امتناع وجودها لوجود ما بعدها ﴿٦٩﴾ ومتى كان الواقع بعد هاتين الآيتين موجودا وهو عقوبة هؤلاء المذكورين تقدير

عدم بعثة الرسل وجوابها الخوف من تركه وهو عدم الارسال لا عدم الارسال الاول ومتى لم يقع عدم الارسال كان الارسال واجبا ضرورة فيمتنع الواقع بعدها على أهل السنة لانهم يقولون لا طاقة لاحد قبل الرسل فلا تعذيب ولا تقبيح بعقل ولا شرع على مخالفته

قال ابن الخطيب ومن حملنا قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا وقالوا انا بكل كافرون قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون أهواءهم

أحكام الشرع فانهم كذبوا بجميع ذلك ولا عقوبة ولا شك الجواب على الحالة الاولى لان لا يكون واقعا وهو عدم بعثة الرسل لكن الواقع بعدها

مقتضى وقوعه ثم ان هذا الاشكال يجيء مع تقدير تعلق لو بالاصل ولو كرر الهمزة ان قدم على الفاء نحو أفلو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون أو أخر عنها نحو فلو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا أفلا يهتدون وقد تقدم تحقيق هذا في قوله تعالى أفلا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ويجاب عن الاشكال بأن الطاعن والمحقق عندي في الجواب خلاف ذلك وانما جاء الاشكال من حيث عدم تجويز الحقيقة في لو لان ظهور انها تدل على ان ما بعدها ما نع من وجود ما يليها كما في لو كان معنا رجل لغلبنا وهو موجود وان وجود ما يليها كثير بدليل الحس في صورة ما ذكر ولكن قد يكون وجود ما بعدها لمانع فيكون موجودا وقد يكون لمعدوم آخر والآية من قبيل فرض وجود المانع وكذلك اللزوم في لو فقد

المضاف (فان قلت) فالاستجابة تقتضي دعاء ولا دعاء ههنا (قلت) قوله فأتوا بكتاب أمر بالاتيان والامر يحث على الفعل ودعاء اليه فكأنه قال فان لم يستجيبوا دعاءك الى الاتيان بالكتاب الاهدى فاعلم أنهم انما يتبعون لم تتبع فلم تجد اتباع الهوى عنهم قال (ومن أضل ممن) لا يتبع دينه الا هواه بغير هدى من الله) أي صادرا على قلبه ممنوع الالطاف (ان الله لا يهدي) أي لا يلطف بالقوم الظالمين على الظلم الذين الظلم سجاياهم وقوله بغير هدى في موضع الحال يعني مخذولا خلي بينه وبين هواه * مرئي (وصلنا) بالتشديد والتخفيف والمعنى ان القرآن أتاهم متتابعا متواصلا وعدا ووعيدا ومواعظ وأمثالا وغير ذلك مما ذكرنا فيما تقدم أو نزل (لعلهم يتذكرون) لعلهم يتعظون أو يعملون بما فيه من ذكر من الزمن حدث الا كانوا عند سماعه غير متذكرين في عهد أهل الكتاب من رفاعة بن قرظة ثلاثة في عشرة أنا أحدهم وقيل في أربعين من مسلمي أهل الكتاب اثنان وثلاثون جاؤا مع جعفر من أرض الحبشة وثمانية من الشام والبصرة من قبله القرآن * (قل فلم) أي فلم تؤمنون به والدليل على أنه لا بد من هذا الاضمار قوله (من يؤمن به) (قل) الاول تعليل الانسان بالاتيان بالكتاب الذي هو معلوم ان الله يأتي به والثاني بيان لقوله فأتوا بكتاب لانه يحتمل أن يكون ايماء الى قرب العهد بنبيه فأخبروا أن ايمانهم به متقادم لان آباءهم القدماء قرؤا في الكتب الاولى ذكره وأبانوهم من بعدهم (من قبله) من قبل وجوده ونزوله (مسلمين) كائنين على دين الاسلام لان الاسلام صفة كل موحد صدق الرسل (يصبرون) بصبرهم على الايمان بالتوراة والانجيل وبالقرآن أو بصبرهم على الايمان بالقرآن قبل نزوله وبعد نزوله أو بصبرهم على أذى المشركين وأهل الكتاب وهو دليل على صحة (بما صبروا) السيئة بالحسنة والعصبية بالتقوى أو بالعلم الالهي (سلام عليكم) توديع ومتاركة ومن الحسن رضي الله عنه كلمة حلم من المؤمنين (لا نبتغي الجاهلين) لا نريد مخالطتهم ومصاحبتهم (فان قلت) من خاطبوا بقولهم لكم أعمالكم (قلت) اللاغين الذين دل عليهم قوله واذا سمعوا اللغو (لا تهدي من أحببت) لا تقدر أن تدخل في الاسلام كل من أحببت أن يدخل فيه من غير ملك وغيرهم لان ذلك ممتنع الا بالطبع على قلبه من غيره (ولكن الله يهدي) يدخل في الاسلام (من يشاء) وهو الذي علم أنه ممن طبع على قلبه وان الالطاف تنفع فيه ويقدر به الطاف يحق دعوته الى القبول (وهو أعلم بالمهتدين) بالقابلين من الذين لا يقبلون قال الزجاج أجمع المسلمون أنها نزلت في أبي طالب وذلك أن أبا طالب قال عند موته يا معشر بني هاشم أطيعوا محمدا وصدقوه فلعمري ما تسود الا بمتابعته قال النبي صلى الله عليه وسلم يا عم أما ترى ما أصابني من قومك من التكذيب لي وقولهم انك ساحر وكاهن وكذاب فقال أبو طالب يا ابن أخي ما أعلم أحدا من بني عبد المطلب جاء بأفضل مما جئت به لكنهم قومك وعشيرتك وقد علمت أنهم يحبونك فلا تكذبهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا عم ما أصابني من قومي أشد مما أصابني من قومك لانهم كذبوني وطعنوا علي وأخرجوني وقاتلوني فقال أبو طالب يا ابن أخي اذهب فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك لشيء أبدا ولكن كيف طيب نفسك بقول لا إله إلا الله فقال يا عم ما طيب نفسي بها ولكني أكره أن يقال جزع عند الموت ولولا أن تكون علي وعلى بني أبيك غضاضة ومسبة بعدي لقلتها ولأقررت بها عينك عند الفراق فانزل الله تعالى من شدة وجده ونصيحته ولكن سوف أحميك على ملة الاشياخ عبد المطلب وهلم وعيدهم بقالت فريش وقيل ان القائل الحرث بن عثمان بن نوفل من عبد مناف نخش نتخطف من أرضنا على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا العرب بذلك واجتمعت كلمتهم علينا أي فليكون ان نتخطفوا من أرضنا فأنتهم الله الحرم الذي أمنه بحرمته اليف وأمن ساكنه بحرمته وكانت العرب في الجاهلية حولهم يتغاورون ويتناحرون وهم آمنون في حرمهم لا يخافون ويحرمة البيت هم قارون بواد غير ذي زرع والثمرات والارزاق تجبى اليهم من كل أوب فلما تحولهم الله عما حولهم من الامن والرزق بحرمة البيت وحده فاهم كفرة نعمته فأصابهم بكيف بستم أن بحرمتهم الحقوق والتعطف وبسلامهم الامن اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة الاسلام واشتداد الامن الى أهل الحرم وحقنه دماء من لجأ الحرم عز (تجبى اليه) تجلب وتجمع قرئ بالتاء والياء وقرئ تجبى بالرفع من الجبي وتستبانك كقوله يجبى اليه ثمرات كل شيء * وقرأت أعين وحمزة وسكون هو معنى الكلمة الكثرة كقوله وأوتيت من كل شيء (ولكن أكثرهم لا يعلمون) متعلق بقوله من لدنا أي قليل منهم يقرون أن ذلك رزق من عند الله وأكثرهم جهلة لا يعلمون ذلك ولا يفطنون له ولو علموا ان الجمع عند الله لعلموا ان الخوف والامن من عنده ولما نفوا التخطف اذا آمنوا به

ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا أولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون

النبي أو أحمد لانها لشيء لا يلزم منه من نوع أحمد سلم ومنه وعلى هذا الحجر يزيل الاشكال الوارد على أولي في قوله ثم العبد صحيح فلم قالوا ثم هنا بعد فاسلم بعد فاتقوا هنا الفصل فتدبر فانه مزلة الاقدام والله الموفق

وخلعوا الاداة * (فان قلت) لم انتصب رزقا (قلت) ان جعلته مصدرا جاز ان ينتصب بمعنى ما فعله لان معنى يجبى اليه الثمرات يرزق الثمرات كل شئ وان جعلته بمعنى مرزوق كان حالا من الثمرات لتخصصها بالاضافة كما تنتصب عن النكرة المتخصصة بالصفة * هذا تخويف لاهل مكة من سوء عاقبة قوم كانوا في مثل حالهم من انعام الله عليهم بالرغود في ظلال الامن وخفض العيش فغمطوا النعمة وقابلوها بالاشر والبطر فدمر هم الله وخرب ديارهم * والتصبت (صعيبتها) اما بحذف الجار وايصال الفعل كقوله تعالى واختار موسى قومه واما على الظرف بتسعها كقولك زيد ظني مقيم أو بتقدير حذف الزمان المضاف أهلها بطرت أيام معيشتها كخفوق النجم وتقدم الحاج وأما بتضمين بطرت معنى كفرت وغمطت وقيل البطر سوء احتمال الغنى وهو ان لا يحفظ حق الله فيه (الا قليلا) من السكنى قال ابن عباس رضي الله عنهما لم يسكنها الا المسافر ومار الطريق يوما أو ساعة وتحمل أن شؤم معاصي الهالكين بقي أثره في ديارهم فكل من سكنها من أعقابهم لم يبق فيها الا قليلا (وكنا نحن الوارثين) لتلك المساكن من ساكنيها أي تركناها على حال لا يسكنها أحد أو خربناها وسويناها بالارض

تخلف الآثار عن أعمالها * حينا ويدركها الفناء فتتبع

وما كانت عادتنا بذلك أن نهلك القرى في كل وقت (حتى يبعث في) لقرية التي هي امها أي أصلها لوفور حرمتها التي هي أعلاها وأوسطها (رسولا) لازالة الحجة وقطع المعذرة مع علمنا بأنهم لا يؤمنون أو وما كان في حكم الله وسابق قضائه أن يهلك القرى في الارض حتى يبعث في أم القرى يعني مكة رسولا وهو محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء * وقرئ أمها بضم الهمزة وكسرها آياتنا الجلية * هذا بيان لعدله وتقدسه عن الظلم لان تأخير البينة عنهم الا اذا استحقوا الاهلاك بظلمهم ولا يهلكهم حتى يكونوا هم ظالمين لانهم اذا كذبوا الحجج والازاجر بعثة الرسل ولا يعجل على أحوالهم حجة عليهم ومرجعة الى أن يهلكهم وهم غير ظالمين * (قال الله تعالى وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون فمن في قوله بظلم أي أهلكهم وهم مصلحون لكن ذلك ظلم لانه وان الله في غاية حكمته صانع للظلم فدل على ذلك بحرف النفي مع لامه كما قال الله تعالى وما كان الله ليضيع إيمانكم * وأي شئ أعظم وأجل من أسباب الدنيا والآخرة وزينة أيامها قال الزجاج وهي متعة الحياة المتعة (وما عند الله وهو ثواب (خير) في نفسه من ذلك وأبقى) لان بعضه لا آخر له * وقرئ يعقلون بالياء وهو أبلغ في الموعظة وعن ابن عامر رضي الله عنهما أن الله خلق الدنيا وجعل أهلها ثلاثة أصناف المؤمن والكافر والمنافق ثم بين تعالى حال المؤمن والكافر بقوله * هذه الآية تقرير وايضاح لما في قوله والعاقبة للتقوى * والاستفهام دال على وجه التسطير والاستظهار وأي شئ أحسن منبرا لذلك من الله الجليل فعلا حسنى * والآية كقوله تعالى ولقاهم نضرة وسرورا وكمثله فسوف يقولون غيارا من المحضرين أمن الذين أسفروا النار ونحوه أكثر من المحضرين فكذبوه فأولئك هم المحضرون فنزل في رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي جهل وفي علي وحمزة وأبي جهل وقيل في عمار بن ياسر والوليد بن المغيرة (فان قلت) فمن الفاسق وكم أخبرت عن هوائها (قلت) قد ذكرني الآية التي قبلها متاع الحياة الدنيا وما عند الله وتلوتهما ثم قسمته بقوله أفمن وعدناه على معنى أبعد هذا التفاوت الظاهر يسوي بين أبناء الآخرة وأبناء الدنيا فوضع الفاء في الفاء وفي ويوم نحشرهم وأما الثانية فللتسبيب لان اتاء الموعود مسبب عن الوعد الذي هو الضمان في الخبر وأما ثم فلتراخي حال الاحضار عن حال التمتيع لا لتراخي وقته عن وقته * وقرئ ثم هو يكون الهاء كاميل عضه في عضه ثم النفصل المتصل ويكون الهاء في هو وهو أحسن لان الحرف الواحد لا ينطق به وحده وهو للفصل (من الذين) مبني على أين هم يوم يناديهم كم * (فان قلت) زعم مبتدأ معمولين كقوله

* ومن زعمانف من ذا لا مرعلا * يناني هما (قلت) محذوفان تقديره الذين كنتم تزعمونهم شركائي ويجوز حذف المفعولين في باب ظننت ولا يصح الاقتصار على أحدهما (الذين حق عليهم القول) الشياطين أو أئمة الكفر ورؤسه ومعنى حق عليهم القول وجب عليهم مقتضاه وتمت به وقوله لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين

لهم عنه بحث السؤال
في هذه الآية فقال
لو كانت العقول تحكم
على الله تعالى بأحكام
التكليف لما جاز أن
يعذب الناس وان لم
يكن بعث رسول اذ
العقل حاكم ولا يدرون
الى آخر من هذا السؤال سدا

و(هؤلاء) مبتدأ و(الذين أغويتنا) صفته والراجع الى الموصول محذوف و(أغويناهم) الخبر * والكاف صفة مصدر محذوف تقديره أغويناهم فغووا غيا مثل ما غوينا منتبرئين آتالم نقو الا باختيار نالا أن فوقنا مغوين أغووا بالقسر منهم والجاء أو دعونا الى الغي وسولنا لنا فهؤلاء كذلك غووا باختيارهم لان اغواءنا لهم لم يكن الا وسوسة وتسويلا لا قسرا والجاء فلا فرق اذا بين غينا وغيهم وان كان تسويلنا داعيا لهم الى الكفر فقد كان في مقابلته دعاء الله لهم الى الايمان بما وضع فيهم من أدلة العقل وبما بعث اليهم من الرسل وأنزل عليهم من الكتب المشحونة بالوعد والوعيد والمواعظ والزواجر ناهيك بذلك صارفا عن الكفر وداعيا الى الايمان وهذا معنى ما حكاه الله عن الشيطان ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم والله تعالى قدم هذا المعنى أول شيء حيث قال لا ليس ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين (تبرأنا اليك) منهم وعما اختاروه من الكفر بأنفسهم هوى منهم للباطل ومقتا للحق لا بقوة فينا على استكبارهم ولا سلطان (ما كانوا ايانا يعبدون) انما كانوا يعبدون أهواءهم ويطيعون نفوسهم واتى بهذه الجملتين من العاطف لكونهما مغايرتين لمعنى الجملة الاولى (لو أنهم كانوا مهتدون) لوجه من وجوه الحيل يدفعون به العذاب أولو أنهم كانوا مهتدين مؤمنين لما رأوه وقيل لو كانوا مهتدين أو تحيروا عند رؤيته وسدروا فلا يهتدون طريقا حتى أولا ما يوجهون به من تلك الوجوه لشركائهم ما يقوله الشياطين أو أنهم عند تبرئ بعضهم لا بعض واذا بعض العبادة الا آلهة اعتذروا بان الشياطين هم الذين استتبعوهم وزينوا لهم عبادتهم ثم ما شبه التمانع بهم من استغاثتهم آلهتهم وخذلانهم لهم وعجزهم عن نصرتهم ثم ما يكون بعد من الاحتجاج عليهم بارسال الرسل وازاحة العلل (فعميت عليهم الانباء) فصارت الانباء كالعمي عليهم جميعا الا تهتدي اليهم (فهم لا يتساءلون) لا يسأل بعضهم بعضا كما يتساءل الناس في المشكلات لانهم يتساوون جميعا في الانباء عليهم والعجز عن الجواب وقرئ فعميت والمراد بالانباء الخبر عما أجاب به المرسل اليه ورسوله واذا كانت الانباء لهول ذلك اليوم يلتبس عليهم الجواب عن مثل هذا السؤال ويفوضون الامر الى علام الغيوب فما ظنك بالضلال من أعمى (فأما من تاب) من المشركين من الشرك (وآمن) وجمع بين الايمان والعمل الصالح (فعسى أن) يفلح عند الله فعسى من الكرام تحقيق ويجوز أن يراد ترجى التائب وطمعه كأنه قال فليطمع أن يفلح * الخيرة من التخير كالطيرة من التطير فتستعمل بمعنى المصدر وهو التخير وبمعنى المتخير كقولهم محمد خيرة الله من خلقه (ما كان لهم الخيرة) بيان لقوله ويختار لان معناه ويختار ما يشاء ولهم يدخل لما طلب والمعنى أن الخيرة لله تعالى في أفعاله وهو أعلم بوجوه الحكمة فيها ليس لاحد من خلقه أن يختار عليه قيل السبب فيه قول الوليد بن المغيرة لو لا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم يعني لا يبعث الله الرسل باختيار الرسل اليهم وقيل معناه ويختار الذي لهم فيه الخيرة أي يختار للعباد ما هو خير لهم وأصلح وهو أعلم بما لهم من أنفسهم من قولهم في الامر بن ليس لك فيهما خيرة لتختار (فان قلت) فان الراجع من الصلة الى الموصول اذا جعلت ما موصولة (قلت) أصل الكلام ما كان لهم فيه الخيرة فحذف فيه كما حذف منه في قوله ان ذلك لمن عزم الامور لانه معلوم (سبحان الله) أي الله بري من شركهم وما يحملهم عليه من الجراءة على الله واختيارهم عليه ما لا يختار (ما تكن صدورهم) من عداوة رسول الله وحسده (وما يعلنون) من مطاعنهم فيه وقولهم هلا اختير غيره في النبوة (وهو الله) هو المستأثر بالالهية المختص بها و(لا اله الا هو) تقرير لذلك كقولك لكعبة القبلة لا قبلة الا هي (فان قلت) الحمد في الدنيا ظاهر فما الحمد في الآخرة (قلت) هو قولهم الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا وعده وقيل الحمد لله رب العالمين والتحميد هذا الله على وجه اللذة لا الكافة وفي الحديث يلهمون التسبيح والتقديس (وله الحكم) القضاء بين عباده (أرأيتم) وقرئ أريتم بحذف الهمزة وليس بحذف قياسي ومعناه أخبروني من يقدر على هذا * والسرمد الدائم المتصل من السرد وهو المتابعة ومنه قوله في الاشهر الحرم ثلاثة سرد وواحد فرد واللام مزيدة ووزنه فعل ونظيره دلامص من الدلاص * (فان قلت)

هؤلاء الذين أغوينا
أغويناهم كما غوينا
تبرأنا اليك ما كانوا اياانا
يعبدون وقيل ادعوا
شركاءكم فدعوهم فلم
يستجيبوا لهم ورأوا
العذاب لو أنهم كانوا
يهتدون ويوم يناديهم
فيقول ماذا أجبتم
المرسلين فعميت عليهم
الانباء يومئذ فهم
لا يتساءلون فاما من
تاب وآمن وعمل صالحا
فعسى أن يكون من
المفلحين وربك يخلق
ما يشاء ويختار ما كان
لهم الخيرة سبحان الله
وتعالى عما يشركون
وربك يعلم ما تكن
صدورهم وما يعلنون
وهو الله لا اله الا هو
له الحمد في الاولى والآخرة
وله الحكم واليه
ترجعون قل أرأيتم
ان جعل الله عليكم الليل
سرمدا الى يوم القيامة
من اله غير الله يأتيكم
بضياء

هلا قيل بنهار تبصرون فيه كما قيل بليل تسكنون فيه (قلت) ذكر الضياء وهو ضوء الشمس لان المنافع التي تتعلق به متكاثرة ليس التصرف في المعاش وحده والظلام ليس بتلك المنزلة ومن ثمة قرن بالضياء (أفلا تسمعون) لان السمع يدرك مالا يدركه البصر من ذكر منافعه ووصف فوائده وقرن بالليل (أفلا تبصرون) لان غيرك يبصر من منفعة الظلام ما تبصره أنت من السكون ونحوه (ومن رحمته) زاوج بين الليل والنهار لاغراض ثلاثة لتسكنوا في أحدهما وهو الليل ولتبتغوا من فضل الله في الآخر وهو النهار ولارادة شكركم وقد سلكت بهذه الآية طريقة اللف في تكرير التوبيخ باتخاذ الشركاء ايذانا بان لا شيء أجلب لغضب الله من الاشراك به كما لا شيء أدخل في مرضاته من توحيده اللهم فكما أدخلتنا في أهل توحيدك فأدخلنا في الناجين من وعيدك (ونزعنا) وأخرجنا (من كل أمة شهيدا) وهو نبيهم لان أنبياء الامم شهداء عليهم يشهدون بما كانوا عليه (فقلنا) الرمة (هاتوا برهانكم) فيما كنتم عليه من الشرك ومخالفة الرسول (فعلموا حينئذ أن الحق لله) ورسله لا لهم ولشياطينهم (وضل عنهم) وغاب عنهم غيبة لشيء الضائع (ما كانوا يفترون) من الكذب والباطل (قارون) اسم أعجمي مثل هرون ولم ينصرف للعجمة والتعريف ولو كان فاعولا من قرن لانصرف * وقيل معنى كونه من قومه انه آمن به وقيل كان اسرائيليا ابن عم موسى هو قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وموسى بن عمران بن قاهث وقيل كان موسى ابن أخيه وكان يسمى المنور لحسن صورته وكان أقرأ بني اسرائيل للتوراة ولكنه نافق كما نافق السامري وقال اذا كانت النبوة لموسى عليه السلام والمذبح والقربان الى هرون قال والله لا أصدقك حتى تأتي بآية فامر رؤساء بني اسرائيل أن يجيء كل واحد بعصاه فجمعوها وألقاها في القبة التي كان الوحي ينزل عليه فيها وكانوا يحرسون عصيهم الليل فاصبحوا واذا بعصا هرون تهتز ولها ورق أخضر وكانت من شجر اللوز فقال قارون ما هو بأعجب مما تصنع من السحر (فبغى عليهم) من البغي وهو الظلم قيل ملكه فرعون على بني اسرائيل فظلمهم وقيل من البغي وهو الكبر والبذخ تبذخ عليهم بكثرة ماله وولده وقيل زاد عليهم في الثياب شبرا * المفاتح جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به وقيل هي الخزائن وقياس واحدها مفتح بالفتح * ويقال ناء بالحمل اذا أثقله حتى أماله * والعصبة الجماعة الكثيرة والعصابة مثلها واعصوصبوا اجتمعوا وقيل كانت تحمل مفاتيح خزائنه ستون بغلا لكل خزانة مفتاح ولا يزيد المفتاح على أصبع وكانت من جلود قال أبو رزين يكفي الكوة مفتاح وقد بالغ في ذكر ذلك بلفظ الكنوز والمفاتح والنوء العصبة وأولي القوة وقرأ ابديل بن ميسرة لتنوء بالواو ووجهه أن يفسر الفاتح بالخزائن ويعطيها حكم ما أضيفت اليه للابسة والاتصال كقولك ذهبت أهل اليمامة * ومحل اذ نصب بقوله (لا تفرح) كقوله ولا تفرحوا بما آتاكم وقول القائل * ولست بمفراح اذا الدهر سرني * وذلك أنه لا يفرح بالدنيا من رضي بها واطمأن وأمامن قلبه الى الآخرة ويعلم أنه مفارق ما فيه عن قريب لم تحدثه نفسه بالفرح وما أحسن ما قال القائل

أشد الغم عندي في سرور * تيقن عنه صاحبه انتقالا

(وابتغ فيما آتاك الله) من الغنى والثروة (الدار الآخرة) بان تفعل فيه أفعال الخير من أصناف الواجب والمندوب اليه وتحمله زادك الى الآخرة (ولا تنس نصيبك) وهو أن تأخذ منه ما يكفيك ويصلحك (وأحسن) الى عباد الله (كما أحسن الله اليك) أو أحسن بشكرك وطاعتك لله كما أحسن اليك * والفساد في الارض ما كان عليه من الظلم والبغي وقيل ان القائل موسى عليه السلام وقوي واتبع (على علم) أي على استغناء واستيجاب لما في من العلم الذي فضلت به الناس وذلك أنه كان أعلم بني اسرائيل بالتوراة وقيل هو علم الكيمياء عن سعيد بن المسيب كان موسى عليه السلام علم علم الكيمياء فافاد يوشع بن نون ثلثه وكالب بن يوفنا ثلثه وقارون ثلثه فحدعهما قارون حتى أضاف علمهما الى علمه فكان يأخذ الرصاص والنحاس فيجعلهما ذهبا

ألا تسمعون قل أرأيتم
ان جعل الله عليكم
النهار سرمدا الى يوم
القيامة من اله غير الله
يأتيكم بليل تسكنون
فيه أفلا تبصرون ومن
رحمته جعل لكم الليل
والنهار لتسكنوا فيه
ولتبتغوا من فضله
ولعلكم تشكرون ويوم
يناديهم فيقول أين
شركائي الذين كنتم
تزعمون ونزعنا من كل
أمة شهيدا فقلنا هاتوا
برهانكم فعلموا أن الحق
لله وضل عنهم ما كانوا
يفترون ان قارون كان
من قوم موسى فبغى
عليهم وآتيناه من
الكنوز ما ان مفاتحه
لتنوء بالعصبة أولي
القوة اذ قال له قومه
لا تفرح ان الله لا يحب
الفرحين وابتغ فيما
آتاك الله الدار الآخرة
ولا تنس نصيبك من
الدنيا وأحسن كما
أحسن الله اليك ولا
تبغ الفساد في الارض
ان الله لا يحب المفسدين
قال انما أوتيته على علم

وقيل علم الله موسى علم الكيمياء فعلمه موسى أخته فعلمته أخته قارون وقيل هو بصر بأنواع التجارة والدهقنة وسائر المكاسب وقيل (عندي) معناه في ظني كما تقول الامر عندي كذا كأنه قال انما أوتيته على علم كقوله تعالى ثم اذا خولناه نعمة منا قال انما أوتيته على علم ثم زاد عندي أي هو في ظني ورأيي هكذا * يجوز أن يكون اتباعا لعلم بأن الله قد أهلك من القرون قبله من هو أقوى منه وأغنى لانه قد قرأ في التوراة وأخبر به موسى وعلمه من حفاظ التواريخ والايام كأنه قيل (أولم يعلم) في جملة ما عنده من العلم هذا حتى لا يغتر بكثرة ماله وقوته ويجوز أن يكون نفيا لعلمه بذلك لانه لما قال أوتيته على علم عندي فتبجح بالعلم وتعظم به قيل أعنده مثل ذلك العلم الذي ادعاه ورأى نفسه مستوجبة لكل نعمة ولم يعلم هذا العلم النافع حتى يرى به نفسه مصارع الهالكين (وأكثر جمعا) للمال أو أكثر جماعة وعددا * (فان قلت) ما وجه اتصال قوله (ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون) بما قبله (قلت) لما ذكر قارون من أهلك من قبله من القرون الذين كانوا أقوى منه وأغنى قال على سبيل التهديد والله مطلع على ذنوب المجرمين لا يحتاج الى سؤالهم عنها واستنطاقهم وهو قادر على أن يعاقبهم عليها كقوله تعالى والله خبير بما تعملون والله بما تعملون عليم وما أشبه ذلك (فى زينته) قال الحسن فى الحمرة والصفرة وقيل خرج على بغلة شهباء عليها الارجوان وعليها سرج من ذهب ومعه أربعة آلاف على زيه وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الاحمر وعن يمينه ثلثمائة غلام وعن يساره ثلثمائة جارية بيض عليهن الحلى والديباج وقيل فى تسعين ألفا عليهم المعصفرات وهو أول يوم رؤى فيه المعصفر * كان القوم قوما مسلمين وانما تمنوه على سبيل الغبطة فى اليسار والاستغناء كما هو عادة البشر وعن قتادة تمنوه ليتقربوا به الى الله وينفقوه فى سبيل الخير وقيل كانوا قوما كفارا فالغابط هو الذى يتمنى مثل نعمة صاحبه من غير أن تزول عنه والحاسد هو الذى يتمنى أن تكون نعمة صاحبه له دونه فرقة قوله تعالى يا ليت لنا مثل ما أوتى قارون ومن الحسد قوله ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل يضر الغبط فقال لا الا كما يضر المضاء الخبط * والحظ الجد وهو اليمن والدولة وصفوه بأنه رجل محدود مجدود يقال فلان ذو حظ وحظيظ ومحظوظ وما الدنيا الا أحاظ وجدود * ويلك أصله الدعاء بالهلاك ثم استعمل فى الزجر والردع والبعث على ترك ما لا يرتضى كما استعمل لا أما لك وأصله الدعاء على الرجل بالافتراش فى الحث على الفعل * والراجع فى (ولا يلقاها) الكلمة التى تكلم بها العلماء أو الثواب لانه فى معنى المثوبة أو الجنة أو السيرة والطريقة وهو الايمان والعمل الصالح (الصابرون) على الطاعات عن الشهوات وعلى ما قسم الله من القليل عن الكثير * كان قارون يؤذى نبى الله موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه للقرابة التى بينهما حتى نزلت الزكاة فحالمه عن كل ألف دينار على دينار وعن كل ألف درهم على درهم فحسبه فاستكثره فصعب به نفسه فجمع بنى اسرائيل وقال ان موسى أراد كم على كل شئ وهو يريد أن يأخذ أموالكم فقالوا أنت كبيرنا وسيدنا فمرنا بما شئت قال نبرطل فلانة البغى حتى ترميه بنفسها فيفتضح بنو اسرائيل بجعل لها ألف دينار وقيل طستا من ذهب مملوءة ذهبا وقيل حكمها الذى كان يوم عيد قام موسى فقال يا بنى اسرائيل من سرق قطعناه ومن افترى جلدناه ومن زنى وهو غير محصن جلدناه وان أحصن رجمناه فقال قارون وان كنت أنت قال وان كنت أنا قال فان بنى اسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة فأحضرت فناشدها موسى بالذى فلق البحر وأنزل التوراة أن تصدق فتدارأ كها الله فقالت كذبوا بل جعل لى قارون جعلا على أن أقذفك بنفسى فخر موسى ساجدا يبكى وقال يا رب ان كنت رسولك فاغضب لى فأوحى اليه أن مر الارض بما شئت فانها مطيعة لك فقال يا بنى اسرائيل ان الله بعثنى الى قارون كما بعثنى الى فرعون فكان معه فليلزم مكانه ومن كان معى فليعتزل فاعتزلوا جميعا غير رجلين ثم قال يا أرض خذيهم فأخذتهم الى الركب ثم قال خذيهم فأخذتهم الى الاوساط ثم قال خذيهم فأخذتهم الى الاعناق وقارون وأصحابه يتضرعون الى موسى عليه السلام ويناشدونه بالله والرحم وموسى لا يلتفت اليهم اشدة غضبه ثم قال خذيهم فانطبقت عليهم وأوحى الله الى موسى ما أفظك استغاثوا بك مرارا فلم ترحمهم أما وعزتى لو اياى دعوا لاجبتهم واحسنة لو جدوني قريبا مجيبا

عندى أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون ليخرج على قومه فى زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتى قارون انه لذو حظ عظيم وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون فخسفنا به وبداره الارض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان

* قوله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها الذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين (قال لم يعلق الوعد بترك العلو والفساد ولكن بترك ارادتهما كما قال تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار فعلق الوعيد بالركون الى الظلمة وعن علي أن الرجل يحب ان يكون شراك نعله خيرا من شراكه (١٧٢) فعل أخيه فيدخل تحتها وعن عمر بن عبد العزيز انه كان يردها حتى قبض وعن الفضيل انه قرأها وقال ذهبت الاماني ههنا وعن الطماع من يجعل المملوك فرعون والفساد

وأصبحت بنو اسرائيل يتناجون بينهم احقاد عامو سى على قارون ليستبيد بداره وكنوزه فدعا الله حتى خسف بداره وأمواله (من المنتصرين) من المنتقمين من موسى عليه السلام أو من الممتنعين من عذاب الله يقال نصره من عدوه فانتصر أى منعه منه فامتنع * قديد كرا مس ولا يراد به اليوم الذى قبل يومك ولكن الوقت المستقرب على طريق الاستعارة (مكانه) منزلته من الدنيا (وى) مفصولة عن كان وهى كلمة تنبه على الخطأ وتندم وسمعناه أن القوم قد تنبهوا على خطئهم فى تمنيهم وقولهم يا ليت لنا مثل ما أوتى قارون وتندموا ثم قالوا (كأنه لا يفلح الكافرون) أى ما أشبه الحال بأن الكافرين لا ينالون الفلاح وهو مذهب الخليل وسيبويه قال

وى كأن من يكن له نشب يحبب ومن يفتقر يعش عيش ضر

وحكى الفراء أن اعرابية قالت لزوجها أين ابنك فقال وى كأنه وراء البيت وعند الكوفيين أن ويلك بمعنى ويلك وأن المعنى ألم تعلم أنه لا يفلح الكافرون ويجوز أن تكون الكاف للخطاب مضمومة الى وى كقوله ويلك عترا قدم وأنه بمعنى لانه واللام لبيان المقول لاجله هذا القول أو لانه لا يفلح الكافرون كان ذلك وهو الخسف بقارون ومن الناس من يقف على وى ويبتدئ كأنه ومنهم من يقف على ويلك * وقرأ الاعمش لولا من الله علينا * وقرئ (لخسف بنا) وفيه ضمير الله ولا تخسف بنا كقولك انقطع بى وانقطعت بنا (تلك) تعظيم لها وتفخيم لشأنها يعنى تلك التى سمعت بذكرها وبلغك وصفها * لم يعلق الموعد بترك العلو والفساد ولكن بترك ارادتهما وميل القلوب اليهما كما قال ولا تركنوا الى الذين ظلموا فعلق الوعيد بالركون وعن على رضى الله عنه ان الرجل ليعجبه أن يكون شراك نعله أجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها وعن الفضيل أنه قرأها ثم قال ذهبت الاماني ههنا وعن عمر بن عبد العزيز أنه كان يردها حتى قبض ومن الطماع من يجعل المملوك فرعون والفساد قارون متعلقا بقوله ان فرعون علا فى الارض ولا تتبع الفساد فى الارض ويقول من لم يكن مثل فرعون وقارون فله تلك الدار الآخرة ولا يتدبر قوله (والعاقبة للمتقين) كتبه على والفضيل وعمر * معناه لا يجزون وضع (الذين عملوا السيئات) موضع المضمرين لان فى اسناد عمل السيئة اليهم مكررا فضل تهجين لحالهم وزيادة تبغيض للسيئة الى قلوب السامعين (الا ما كانوا يعملون) الامثل ما كانوا يعملون وهذا من فضله العظيم وكرمه الواسع أن لا يجزى السيئة الا بمثلها ويجزى الحسنة بعشر أمثالها وبسبعمائة وهو معنى قوله فله خير منها (فرض عليك القرآن) أوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه يعنى ان الذى حملك صعوبة هذا التكليف لتثيبك عليها بالا يحيط به الوصف (لرادك) بعد الموت (الى معاد) أى معاد هو الى معاد أنيس أنيرك من البشر وتذكير المعاد لذلك وقيل المراد بمكة ووجهه أن يراد به اليوم الفتح ووجه تذكيره أنها كانت فى ذلك اليوم معادا له شأن ومن جعاله اعتاد الغلبة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها وقهره لاهلها وانتهاء ظهور عز الاسلام وأهله وذل الشرك وحزبه والسورة مكية فكان الله وعده وهو بمكة فى أذى وغلبة من أهلها انه يعيده اليها ظاهرا قاهرا وقيل نزلت عليه حين بلغ الجحفة فى مهاجره وقد اشتاق الى مولده ومولد آبائه وحرم ابراهيم فنزل جبريل فقال له أتشتاق الى مكة قال نعم فأوحاها اليه (قل ربى أعلم) كيف اتصل قوله تعالى (قل ربى أعلم) بما قبله (قلت) لما وعد رسوله الرد الى معاد قال قل لمشركين ربى أعلم من جاء بالهدى يعنى نفسه وما يستحقه من الثواب فى معاده (ومن هو فى ضلال مبين) يعنيهم وما يستحقونه من العقاب فى معادهم (فان قلت) قوله (الا رحمة من ربك) ما وجه

من المنتصرين وأصبح الذين تمنوا مكانه بالامس يقولون وى كأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن من الله علينا لخسف بنا وى كأنه لا يفلح الكافرون تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات الا ما كانوا يعملون ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد قل ربى أعلم من جاء بالهدى ومن هو فى ضلال مبين وما كنت ترجو أن يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا يصدنك عن آيات الله

تقارنون لقوله ان فرعون علا فى الارض وقوله ولا تبغ الفساد فى الارض ويقول من لم يكن مثل فرعون وقارون فله تلك الدار الآخرة ولا يتدبر قوله والعاقبة للمتقين كتبه على وعمر الاستثناء والفضيل) قال أحمد هو ترض لمن من أهل السنة فى ان كل موحد من أهل الجنة وان طغوا وعتوا حيث أطمعهم الله تعالى بل حقق طمعهم فى رحمته حيث يقول رسوله عليه الصلاة والسلام من قال لا اله الا الله دخل الجنة وان زنا وان سرق ثلاثا وفى الثالثة وان رغم انف أبى ذر اللهم اقسم لنا من رجائك ما تحول به بيننا وبين معاصيك والله الموفق للصواب

الاستثناء فيه (قلت) هذا كلام محمول على المعنى كأنه قيل وما ألقى عليك الكتاب الا رحمة من ربك ويجوز أن يكون الاستثناء منقطعا لكن الاستدراك الذي ولكن رحمة من ربك ألقى اليك * وقرئ بسعد ثلث من أصده بمعنى صده وهي في لغة كلب وقال أناس أصدوا الناس بالسيف عنهم * صدود السواقي عن أنوف الحوائم

(بعد اذ أنزلت اليك) بعد وقت انزاله واذ تضاف اليها أسماء الزمان كقولك حينئذ وليتئذ ويومئذ وما أشبه ذلك * والنهي عن مظاهرة الكافرين ونحو ذلك من باب التهييج الذي سبق ذكره (الا وجهه) الا اياه والوجه يعبر به عن الذات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ طسم القصص كان له من الاجر بعدد من صدق موسى وكذب به ولم يبق ملك في السموات والارض الا شهد له يوم القيامة أنه كان صادقا ان كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون

﴿سورة العنكبوت مكية وهي تسع وستون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* الحسبان لا يصح تعليقه عما في المفردات ولكن بعض الجمل ألا ترى أنك لو قلت حسبت زيدا وظننت الفرس لم يكن شأ حتى تقول حسبت زيدا عالما وظننت الفرس جوادا الآن قولك زيد عالم أو الفرس جواد كلام دال على مضمون فاردت الاخبار عن ذلك المضمون باتباعه ذلك على وجه الثبات لا اليقين فلم تجد بدا من العبارة عن ثباته عندك على ذلك الوجه من ذكر شطري الجملة مخلا بما هو المقصد من الحسبان حتى يتم الغرض (فان قلت) فأين الكلام الدال على المضمون الذي يقتضيه الحسبان في الآية (قلت) هو في قوله (أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) وذلك أن تقديره أحسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا فالترك أول مفعولي حسب والقولهم آمنا هو الخبر وأما غير مفتونين فحقه الترك لا من الترك الذي هو بمعنى التصيير كقوله * فتركنه جزر السباع ينشنه * ألا ترى أنك قبل المجيء بالحسبان تقدر أن تقول تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا على تقدير حاصل ومستقر قبل الاخبار (فان قلت) أي يقولوا هو علة تركهم غير مفتونين لكيف يصح أن يقع خبرا مبتدأ (قلت) كما تقول خروجه مخافة الشر وضربه المؤدب وقد كان التأديب والمخافة في قولك خرجت مخافة الشر وضربته تأديبا مثلين وتقول أيضا حسبت خروجه مخافة الشر وظننت ضربه للتأديب فجعلهما مفعولين كما جعلتهما مبتدأ وخبرا * والفتنة الامتحان بشدائد التكليف من مفارقة الاوطان ومجاهدة الاعداء وسائر الطاعات الشاقة وغير الشهوات والملاذ والفقر والضغط وأنواع المصائب في الانفس والاموال وبعبارة الكافر على اذاهم وكيدهم وضرارهم والمعنى أحسب الذين آمنوا كلمة الشهادة على ألسنتهم وأظهروا القبول بالايمان أنهم يتركون بذلك غير ممتحنين بل يمتحنهم الله بضروب المحن حتى يبلو صبرهم وثباتهم أقدامهم وصحة عقائدهم وتصوع نياتهم ليتميز الخالص من غير الخالص والراسخ في الدين من المضطرب والمتمكن من العابد على حرف كما قال لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور * وروي أنها نزلت في ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جزعوا من أذى المشركين وقيل في عمار بن ياسر وكان يعذب في الله وقيل في ناس أسلموا بمكة فكتب اليهم المهاجرون لا يقبل منكم اسلام حتى تهاجروا فخرجوا اليهم فخرجوا فاتبعهم المشركون فقاتلوهم فمنهم من قتل ومنهم من نجا وقيل في مهجع بن عبد الله مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو أول قتيل من المسلمين يوم بدر رماه عامر بن الحضرمي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء مهجع وهو أول من يدعى الى باب الجنة من هذه الامة فجزع عليه أبواه وأخوه (ولقد فتنا) موصول بأحسب أو بلا يفتنون كقولك لا يمتحن فلان ولقد امتحن من هو خير منه يعني أن اتباع الانبياء عليهم السلام قبلهم قد أصابهم من الفتن والمحن نحو ما أصابهم أو ما هو أشد منه فصبروا كما قال وكأين من

بعد اذ أنزلت اليك وادع الى ربك ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر لا اله الا هو كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون

﴿سورة العنكبوت مكية وهي تسع وستون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم

وجد) قال أحمد فيما ذكر لهم ان هذا يذهب فاسد وهو اعتقاد ان العلم بالكائن غير العلم بان سيكون والحق ان علم الله تعالى واحد يتعلق بالوجود زمان وجوده وقبله وبعده على ما هو عليه وفائدة ذكر العلم ههنا وان كان سابقا على وجود المعلوم التنبيه

فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين أم حسب الذين يعملون السيآت أن يسبقونا ساء ما يحكمون من كان يرجوا لقاء الله فان أجل الله لآت وهو السميع العليم ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ان الله لغني عن العالمين والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيآتهم ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون ووصينا الانسان

بالسين على المشهور وهو الجزاء كأنه قال تعالى ليعلمهم ظاهرا ليجازيهم بحسب علمه فيهم والله أعلم * قوله تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيآتهم ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون (قال المراد بهم قوم مسلمون سيآتهم صغائر مغفورة بالحسنات وأما قوم والديه

آمنوا وعملوا الصالحات بعد أمر فالاسلام يجب ما قبله) قال أحمد حجر واسماعيل رحمة الله تعالى بناء على أصله الفاسد في وجوب الوعيد على من تكلب السيآت الكبائر لا بالتوبة وأطلق تكفير الصغائر وان لم تكن توبة اذا غمرتها الحسنات وكذا الاصليين قدري جتنب والله الموفق

نبي قتل معه ربيون كثير فما وهنوا الآية وعن النبي صلى الله عليه وسلم قد كان من قبلكم يؤخذ فيوضع المنشار على رأسه فيفرق فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه ويمشط بامشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه (فليعلمن الله) بالامتحان (الذين صدقوا) في الايمان (وليعلمن الكاذبين) فيه (فان قلت) كيف وهو عالم بذلك قبل العالم يزل (قلت) لم يزل يعلمه معدوما ولا يعلمه موجودا الا اذا وجد والمعنى وليتبين الصادق منهم من الكاذب ويتبين أن يكون وعيدا ووعيدا كأنه قال وليتبين الذين صدقوا وليعاقبن الكاذبين وقرأ علي رضي الله عنه والزهري وليعلمن من الاعلام أي وليعلمنهم الله الناس من هم أو ليسمنهم بعلامة يعرفون بها من بياض الوجوه وسوادها وكحل العيون وزرقتها (أن يسبقونا) أن يفوتونا يعني أن الجزاء يلحقهم لا محالة وهم لم يطمعوا في الفوت ولم يحدثوا به نفوسهم ولكنهم اعتقادهم وقلة فكرهم في العاقبة واصرارهم على المعاصي في صورة من يقدر ذلك ويطمع فيه ونظيره وما أنتم بمعجزين في الارض ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون (فان قلت) أي فرق بين (ساء ما يحكمون) و (بئس ما يحكمون) (قلت) الفرق أن على مسند ومسند اليه مسند الفعل وليس كقوله تعالى أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ويجوز أن يضمن حسب معنى قدر وأم منقطعة ومعنى الاضراب فيها أن هذا الحسبان أبطل من الحسبان الاول لان ذلك يتعلق به الامكان لاعياله وهذا يطن أنه لا يجازى بعمله وهو (ساء ما يحكمون) بئس الذي حكموه حكمهم هذا أو بئس حكما يحكمونه حكمهم هذا لتذكير المخصوص بالذم * لقاء الله مثل للوصول الى العاقبة من تلقي ملك الموت والبعث والحساب والجزاء مثلث الحال يحل عبد قدم على سيده بعد عهد طويل وقد اطلع مولاه على ما كان يأتي ويذر فاما أن يلقاه بشر وتر حسب فارضى من أعماله أو بضد ذلك لما خطه منها فمعنى قوله (من كان يرجو لقاء الله) من كان يأمل تلك الحال وأن يلقى فيها الكرامة من الله والبشر (فان أجل الله) وهو الموت (لآت) لا محالة فليبادر العمل الصالح الذي يصدق رجاءه ويحقق أمله ويكسبه القربة عند الله والزلفى (وهو السميع العليم) الذي لا يخفى عليه شيء فيعلم نياته وما يضمره فهو حقيق بالتقوى واخشيه وقيل يرجو بمعنى الخوف من قول الهذلي في صفة عسال * اذا لسعته الدبر لم يرج لسعها * (فان قلت) فان أجل الله لآت كيف وقع جوابا للشرط (قلت) اذا علم أن لقاء الله عنيت به تلك الحال المحللة والوقت الذي تنقسم تلك الحال هو الاجل المضروب للموت فكأنه قال من كان يرجو لقاء الله فان لقاء الله لآت لان الاجل واقع فيه اللقاء كما تقول من كان يرجو لقاء الملك فان يوم الجمعة قريب اذا علم أنه يتصدى للناس يوم الجمعة (ومن جاهد) نفسه في منعها أما تأمر بسوء جاهد على ما تأباه (فانما يجاهد) لها لان منفعة ذلك راجعة اليها وانما أمر الله عز وجل بذلك رحمة لعباده وهو الغني عنهم وعن طاعتهم * أما الذين يريدون ما سيئين صالحين قد أسأنا في بعض أعمالهم وسيآتهم مغمورة بحسناتهم فهو يكفرها عنهم أي يسقط عقاب اجتراب الحسنات ويجزيهم أحسن الذي كانوا يعملون أي أحسن جزاء أعمالهم وأما قوم مشركين آمنوا وعملوا الصالحات فالله عز وجل يكفر سيآتهم بان يسقط عقاب ما تقدم لهم من الكفر والمعاصي ويجزيهم أحسن الجزاء أعمالهم في الاسلام * ووصى حكمه حكم أمر في معناه وتصرفه يقال وصيت زيدا بان يفعل خيرا كما تقول أمرته بفعل ومنه ثبت الاصلاح

وذي بيانسة وصت بنيها * بان كذب القراطف والقروف

كأنها قالت أمرتهم بان يتبعوها ومنه قوله تعالى ووصى بها ابراهيم بنيه أي وصاهم بكلمة التوحيد وأمرهم بها وقولك وصيت زيدا بعمرو معناه وصيته بتعهد عمرو ومراعاته ونحو ذلك وكذلك معنى قوله (ووصينا الانسان

* قوله تعالى وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شئ انهم لكاذبون (قال
و بعض المتسمين بالاسلام اذا أراد أن يشجع صاحبه على ذنب قال له افعل هذا واثقا في عنقي (١٧٥) ومنه ما يحكى ان رجلا رفع الى

والديه حسنا) وصيناه بايتاء والديه حسنا أو بايلاء والديه حسنا أي فعلا ذا حسن أو ما هو في ذاته حسن لفرط
حسنه كقوله تعالى وقولوا للناس حسنا وقرئ حسنا واحسانا ويجوز أن تجعل حسنا من باب قولك زيدا
باضمار اضرب اذا رأيته متهيأ للضرب فتنصبه باضمار أوله ما أو افعل بهما لان التوصية بهما دالة عليه وهما
بعده مطابق له كانه قال قلنا أولهما معروفا (لا تطعهما) في الشرك اذا حملاك عليه ولي هذا التفسير وان
وقف على والديه وابتدأ حسنا حسن الوقف وعلى التفسير الاول لا يدمن اضمار القول معناه وقلنا ان
جاهدالك أيها الانسان (ما ليس لك به علم) أي لا علم لك بالهيته والمراد نفي العلم الذي هو كالمدرك قال لتشرك بي
شيأ لا يصح أن يكون الها ولا يستقيم وصاه بالوالدين وأمره بالاحسان اليهما ثم نهاه عن طاعتهما اذا أراداه
على ما ذكر على أن كل حق وان عظم ساقط اذا بناه حق الله وانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق * ثم قال الى
مرجعكم من آمن منكم ومن أشرك فاجازيكم بحق جزائكم وفيه تهديد ان أحدهما أن الباري تعالى فلا تحدث نفسك
محذوف والدليل عليه قوله فاشركهما ولا تطعهما مبارك ومعروف في الدنيا كما أني لا أمنعهما رزقي والثاني
التحذير من متابعتهما في الشرك والحث على التبات والاستقامة في الدين بذكر المرجع والوعيد روى أن
سعد بن أبي وقاص الزهري رضي الله عنه حين أسلم قالت أمه وهي حمنة بنت أبي سفيان بن أمية بن عبد
شمس يا سعد بلغني أنك قد صبأت فوالله لا يظلني سقف بيت من الضح والريح ولا أطعم ولا أشرب على حرام
حتى تكفر بمحمد وكان أحب ولده اليها فأبى سعد وبقيت ثلاثة أيام كذلك فجاء سعد الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وشكا اليه فنزلت هذه الآية والتي في لقمان والتي في الاحقاف فأمره رسول الله صلى الله عليه
وسلم أن يداريها ولا يرضها اهانة لا احسان وروى أنها نزلت في عياش بن أبي ربيعة المخزومي وذلك أنه هاجر مع
عمر بن الخطاب رضي الله عنهما مترافقين حتى نزلا المدينة فخرج أبو جهل بن هشام والحرث بن هشام أخوا
أمه أسماء بنت مخرمة فاما أدركوه بنى عمهم من بني مخزوم فقالا له ان من دين محمد صلة الارحام
وبر الوالدين وقد تركت أمك لا تطعم ولا تشرب ولا تأوي بيتا حتى ترا لذي هي أشد حالا منا فاخرج معنا
وقتلا منه في الذروة والغارب فاستشار عمر رضي الله عنه فقال هما يخدعانك فقال له أبو جهل ان أقسم مالي بين
وبينك فمال لابه حتى أطاعهما وعصى عمر فقال له عمر أما انه صديق فشأنك بنفسك في الدنيا يعني طلحتها
فان رابك منهما ريب فارجع فلما انتهوا الى البيداء قال أبو جهل ان ناقتي هذه كليلة فاحملني عليها فحمل
ليوطئ لنفسه وله فأخذا وشداه وثاقا وجلده كل واحد منهما مائة جلدة وذهبا به الى أمه فلم تزل لا تزال في
عذابه حتى ترجع عن دين محمد فنزلت (في الصالحين) في جملتهم الصلاح من أبلغ صفات المؤمنين وهو متمنى
الانبياء الله تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين وقال في ابراهيم
عليه السلام وانه في الآخرة لمن الصالحين أوفي مدخل الصالحين وهي الجنة وهذا تصوير قوله تعالى ومن يطع
الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم الآية * هم ناس كانوا يؤمنون بألسنتهم فاذا مسهم أذى من
الكفار وهو المراد بفتنة الناس كان ذلك صارفا لهم عن الايمان كما ان عذاب الله صارف للمؤمنين عن الكفر
أو كما يجب أن يكون عذاب الله صارفا * واذا نصر الله المؤمنين وغنموا قالوا (انا كنا معكم) أي
مشاركين لكم في دينكم ثابتين عليه تباشركم ما قدر أحد أن يفتننا فأعطونا نصيبنا من الغنم * ثم أخبر سبحانه
أنه أعلم (بما في صدور العالمين) من الايمان والنفاق وما في صدورهم وصدور هؤلاء من النفاق وهذا
اطلاع منه للمؤمنين على ما أبطنوه * ثم وعد المؤمنين وأوعد المنافقين وقرئ ليقولن بضم اللام * أمرهم
اتباع سبيلهم وهي طريقتهم التي كانوا عليها في دينهم وأمرهم أن يحمل خطاياهم فعطف الامر على الامر
الجميع هذان الامران في الحصول أن تتبعوا سبيلنا وان تحمل خطاياكم والمعنى تعليق الحمل بالاتباع
وهذا قول سماديرئيس كانوا يقولون لمن آمن منهم لا بعث بعد الموت ولا أنتم فان كان كذلك فانا نتحمل

المنصور حوائجه فلما قضاها قال يا أمير المؤمنين بقيت في البيت حاجة هي العظمى قال وما هي قال شفاعتك في الحشر فقال عمر يا أمير

والمؤمنين انك وهؤلاء فهم قطاع الطريق في المأمن) قال أحمد عمرو ابن عبيد أول القدرية المنكرين للشفاعة فاحذره وليست الآية مطابقة للحكاية ولكن الزمخشري بني على انه لا فرق بين اعتقاد الشفاعة واعتقاد ان الكفار يحملون خطايا تابعيهم فلذلك شافه ما شافاها واحد أعني تحمل

انهم لكاذبون في كلمة حسنة يستدل بها على حسن المحبي والامر بمعنى الطبر فان من الناس من أنكره والتحقيق في جميع ما ورد في ذلك

على أصل الامر ولم يتم له ذلك في هذه الآية لان الله تعالى أراد ان قولهم وتحمل خطاياكم على صيغة الامر بقوله انهم لكاذبون والتكذيب اغا يتطرق الى (١٢٦) الاخبار * قوله تعالى فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما (قال عدل عن تسعمائة وخمسين لانه

عسكم الاثم وترى في الثمن بالاسلام من يستن بأولئك فيقول لصاحبه اذا أراد أن يشجعه على ارتكاب بعض العظائم افعل هذا وانا عليه في عنقي وكم من مغرور بمثل هذا الضمان من ضعفة العامة وجهالهم ومنه ما يحكى أن أبا جعفر المنصور رفع اليه بعض أهل الحشو حوائجه فلما قضاها قال يا أمير المؤمنين بقيت الحاجة العظمى قال وما هي قال شفاعتك يوم القيامة فقال له عمرو بن عبيد رحمه الله أبالك وهو لاء قطاع الطريق في الأمن (فان قلت) كيف سماهم كاذبين وانما ضمنوا شيأ علم الله أنهم لا يقدرون على الوفاء به وضامن ما لا يعلم اقتداره على الوفاء به لا يسمى كاذبا لاحين ضمن ولا حين يجز لانه في الحالين لا يدخل تحت حد الكاذب وهو الخبر عن الشيء لا على ما هو عليه (قلت) شبه الله حالهم حيث علم أن ما ضمنوه لا طريق لهم الى أن يوفوا به فكان ضمانهم عنده لا على ما عليه المضمون بالكاذبين الذين خبرهم لا على ما عليه المخبر عنه ويجوز أن يريد أنهم كاذبون لانهم قالوا لاولئك وقالوا لهم على خلافه كالكاذبين الذين يعدون التي وفي قلوبهم نية الخلف (وليحملن أثقالهم) أي أثقال آثامهم (وأثقالا) يعني أثقالا أخر غير الخطايا التي ضمنوا المؤمنين حملها وهي أثقال الذين كانوا اسبابا في ضلالهم (وليسئلن) بسؤال تقريع (عما كانوا يفترون) أي يختلقون من الا كاذيب والاباطيل * وقرئ من خطيآتهم * كان عمر نوح عليه السلام ألفا وخمسين سنة بعث على رأس أربعين وليث في قومه تسعمائة وخمسين وعاش بعد الطوفان ستين وعن وهب أنه عاش ثلثمائة وأربعين سنة (فان قلت) هلا قيل تسعمائة وخمسين سنة (قلت) ما أورده الله أحكم لانه لو قيل كما قلت لجاز أن يتوهم اطلاق هذا العدد على أكثره وهذا لقوهم زائل مع تحيته كذلك وكانه قيل تسعمائة وخمسين سنة كاملة والقصة العدد الا ان ذلك أحصر وأعذب لمنتأ وأملأ للفائدة وفيه نكتة أخرى وهي أن القصة مسوقة لذكر ما ابتلي به نوح عليه السلام من أمته وما كابده من طول المصابرة تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيتا له فكان ذكر رأس العدد الذي لا رأس أكثر منه أوقع وأوصل الى الغرض من لمسة طالة السامع مدة صبره (فان قلت) فلم جاء المميز أولا بالسنة وثانيا بالعام (قلت) لان تكرير اللفظ الواحد في الكلام الواحد حقيق بالاجتناب في البلاغة الا اذا وقع ذلك لاجل غرض يخيب المتكلم من تحسير أو تهويل أو نحو ذلك و (الطوفان) ما آذاف وأحاط بكثرة وغلبة من سيل أو ظلام ليل أو نحوهما قال الهذلي

* ونحم طوفان الظلام الا آبا * (أصحاب السفينة) كانوا ثمانية وبين سبحانه وصفهم ذكورا وصفهم اناثا منهم أولاد نوح عليه السلام وحامهم وبانتهم وعن شهر بن حوشب كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة وعن قتادة كانوا اثنين وسبعين رجلا ونساؤهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم كانوا ثمانية نوح وأهله وبنوه الثلاثة * والضمير (وجعلناها) للسفينة أو للحادثة والقصة نصب (بارهيم) باضمار اذكر بدل عنه (اذ) بدل الاشتمال لان الاحيان تشتمل على ما فيها وهو معطوف على نوحا وانتصب حين بمعنى أرسلنا يعني أرسلنا حين بلغ من السن والعلم ما بلغ فاصلح فيه لان يعظ قومه وينصحهم ويمرضهم على علم الحق ويأمرهم بالسداد والتقوى وقرأ ابراهيم النخعي وأبو حنيفة رحمهما الله وابراهيم بالرفع على معنى ومن المرسلين ابراهيم (ان كنتم تعلمون) يعني ان كان فيكم علم فاهو خير لكم فاهو شر لكم أو ان طرتم بعين البداية المبصرة دون عين الجهل العمياء علمتم أنه خير لكم * وقرئ تخلقون من خلق بمعنى الكذب في خلق وتخلقون من تخلق بمعنى تكذب وتخرص * وقرئ أفكا وفيه وجهان أن يكون مصدرا نحو كذب ولعب والافك مخفف منه كالكذب واللعب من أصلهما وأن يكون صفة على فعل أي خلقا أفكا أي ذا افك وباطل واختلافهم الافك تسميتهم الاوثان آلهة وتسمية الله أو تسميتهم البدأ وهي الاصنام افكا وعلوهم فاوتهم خلقا للافك (فان قلت) لم ذكر الرزق ثم عرفه (قلت) لانه أراد لا يستطيعون أن يرزقوكم شيأ من الرزق فابتغوا عند الله الرزق كله فانه هو الرزاق وحده لا يرزق غيره (اليه ترجعون) وقرئ بفتح التاء فاستعدوه والقائه بعبادته والشكر له على انعمه * وان تكذبوني فلا تضرونني

بكذبكم

عند الله فلا يحتمل لمبالغة لانها لا تجوز معها العدد * عاد كلامه (قال وفيه نكتة أخرى وهي ان القصة مسوقة لذكر ما ابتلي به نوح وكابده من طول المصابرة تسلية له عليه السلام فذكر ذكر رأس العدد الذي لا رأس أكثر منه أوقع في الغرض قال وانما خالف بين اللفظين فذكر في الاول السنة وفي الثاني العام تفنن للتكرار الذي لا يحمد الا لقصد تفخيم أو تعظيم) قال أحمد ولقائل أن يمنع

تكذيبكم فان الرسل قبلى قد كذبتهم أممهم ماضرهم وهم انما ضروا أنفسهم حيث حل بهم ما حل بسبب تكذيب الرسل وأما الرسول فقد تم أمره حين بلغ البلاغ المبين الذى زال عنه الشك وهو واقف انما آيات الله ومعجزاته أو وان كنت مكذبا فيما بينكم فلى فى سائر الانبياء أسوة وسلوة حيث كذبوا وعلى الرسول أن يبلغ وما عليه أن يصدق ولا يكذب وهذا الآية والآيات التى بعدها الى قوله فما كان جواب قومه تحتمل أن تكون من جملة قول ابراهيم صلوات الله عليه لقومه وأن تكون آيات وقعت معترضة فى شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وشأن قريش بين أول قصة ابراهيم وآخرها (فان قلت) اذا كانت من قول ابراهيم فما المراد بالامم قبله (قلت) قوم شيث وادريس ونوح وغيرهم وكفى بقوم نوح أمة فى معنى أمم محكية وقد عاش ادريس الخمسمائة فى قومه الى أن رفع الى السماء وآمن به ألف انسان منهم على عدد سنيه وأعقابهم على التكذيب * (فان قلت) فما تصنع بقوله قل سيروا فى الارض (قلت) هى حكاية كلام الله كحكاية ابراهيم عليه السلام لقومه كما يحكى رسولنا صلى الله عليه وسلم كلام الله على هذا المنهاج فى أكثر القرآن (فان قلت) فاذا كانت خطابا لقريش شاهده توسطها بين طرفى قصة ابراهيم والجملة أو الجمل الاعتراضية لا بد لها من اتصال عاوقعت معترضة فيه الا ترى أنك لا تقول مكة وزيد أو قائم خبر بلا دالله (قلت) ايراد قصة ابراهيم ليس الا ارادة للتنفيس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن تكون مسلاة له ومتضمنا بأن آباه ابراهيم خليل الله كان عتوا نحو ما مضى به من شرك قومه وعبادتهم الاوثان فاعترض بقوله وان تكذبوا على معنى أن تكذيبا بمشركى قريش ان تكذبوا محمدا فقد كذب ابراهيم قومه وكل أمة نبيها لان قوله فقد كذب أمم من قبلكم لا يدل تناوله لامة ابراهيم وهو كثرى اعتراض واقع متصلا بما سيأتى من الآيات الواطئة عقبها من أدلة التوحيد ولكونها ناطقة بالتوحيد دلالة وهدم الشرك وتوهين قواعده وصفة قدرة الله وسلطانه ووضوح حجته وبرهانه * قرئ برو بالياء والتاء ويبدئ ويبدأ قوله (ثم يعيده) ليس معطوفا على يبدئ وليست الرؤية واقعة عليه وانما هو اخبار على حياله بالاعادة بعد البلوت كما وقع النظر فى قوله تعالى فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة على المبدوء دون الانشاء ونحوه قولك مازلت أوثر فلانا وأستخلفه على من أخلفه (فان قلت) هو معطوف فحرف العطف تالبد له من معطوف عليه فما هو (قلت) هو جملة قوله أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق وتلك واستخلفه معطوف على جملة قوله مازلت أوثر فلانا (ذلك) يرجع الحمار جع اليه هو فى قوله وهو أهون عليه من معنى يعيده دل بقوله (النشأة الآخرة) على أنها نشأتان وان كل واحدة منهما النشاء أى ابتداء واختراع واخراج من العدم الى الوجود لا تفاوت بينهما الا أن الآخرة انشاء بعد انشاء مثله والاولى ليست كذلك وقرئ النشاءة والنشاءة كالرأفة والرآفة (فان قلت) ما معنى الافصاح باسمه مع ابقاءه مبتدأ فى قوله ثم الله ينشئ النشأة الآخرة بعد اضماره فى قوله كيف بدأ الخلق وكان القياس أن يقال كيف بدأ الله الخلق ثم ينشئ النشأة الآخرة (قلت) الكلام معهم كان راتما فى الاعادة وفيما كانت تستطيل الركب فلما عرفهم فى الابداء أنه من الله اتجه عليهم أن الاعادة انشاء مثل الابداء فاذا كان الله الذى لا يعجزه شئ هو الذى بدأ هو الذى يعجزه الابداء فهو الذى وجب أن لا تعجزه الاعادة فكأنه قال ثم ذلك الذى أنشأ النشأة الاولى هو الذى ينشئ النشأة الآخرة فالدلالة والتنبيه على هذا المعنى أبرز اسمه وأوقعه مبتدأ (يعذب من يشاء) تعذيبه (ويرحم من يشاء) رحمته ومتعلق المشيئتين مضمر يسبق مواضع من القرآن وهو من يستوجب ما من الكافر والفاسق اذا لم يتب وما من المعصوم والتائب (تقلبون) تردون وترجعون (وما أنتم بمعجزين) ربكم أى لا تفوتونه ان هرب تم من حكمه وقضائه (فى الارض) الفسيحة (ولا فى السماء) التى هى أشمخ منها وأبسط لو كنتم فيها كقوله تعالى ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار

وقد أتى ههنا جمله معطوفا فالفرق والله أعلم أنه ههنا لو عطف الاعادة على البداءة لدخلت فى الرؤية الماضية وهى لم تقع بعد ولا كذلك فى آية النمل ولقائل ان يقول هذا وان لم تقع الا أنها اخبار الله تعالى بوقوعه

٢٣ كشاف فى كلوا قعة المرئية فجعلت معاملة ما يرئى وشوهد الآن جملة خبرا ثانيا أو صح والله أعلم * قوله تعالى قل سيروا فى الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة (قال ان قلت ما وجه الاصاح باسمه تعالى مع النشأة الآخرة بعد اضماره فى البداءة أولا قلت لان النشأة الآخرة هى المقصودة وفيها كانت تعطل الركب فكان خليقا بأن يذكر اسمه تعالى

أعاد ذلك بعض تفخيم المستثنى منه وتكبيره عند السامع والله أعلم * قوله تعالى أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده (قال فيه يعيده ليس معطوفا على يبدئ وانما هو اخبار على حياله كما وقع كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ

السموات والارض فانفذوا وقيل ولا من في السماء كما قال حسان رضي الله عنه

أمن يجو رسول الله منكم * ويمدحه وينصره سواء

ويحتمل أن يراد لا تعجزونه كيفما هبطتم في مهاوي الارض وأعماقها أو علوتم في البروج والقلاع الذاهبة في السماء كقوله تعالى ولو كنتم في بروج مشيدة أو لا تعجزون أمره الجاري في السماء والارض أن يجري عليكم فيميتكم بلا عاصم من الارض أو ينزل من السماء (آياته) بدلا تدل على وحدانيته وكتبه ومعجزاته وقدرته والبعث (يئسوا من رحمتي) وعيد أي ييأسون يوم القيامة كقوله ويوم تقوم الساعة ييأس المجرمون أو هو وصف لحالهم لان المؤمن اما يكون راجيا شيئا أما الكافر فلا يخطر بباله رجاء ولا خوف أو شبه حالهم في انتفاء الرحمة عنهم بحال من يئس من الرحمة وعن قتادة رضي الله عنه أن الله تعالى لما ذكر قوماهلوا عليه فقال ولذلك يئسوا من رحمتي وقال انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون فينبغي للمؤمن أن لا ييأس من روح الله ولا من رحمته وأن لا يأمن عذابه وعقابه صفة المؤمن أن يكون راجيا خائفا * قرئ (جواب قومه) بالنصب والرفع (قالوا) قال بعضهم لبعض أو قاله واحد منهم وكان الباقون راضين فكانوا جميعا في حكم القائلين * وروي أنه لم ينتفع في ذلك اليوم بالنار غير ثلاثة يوم ألقي ابراهيم في النار وذلك لذهاب حرها * قرئ على النصب بغير اضافة وباضافة وعلى الرفع كذلك فالنصب على وجهين على التعليل أي اتخذتم الاوثان لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها واتفاقكم عليها وائتلافكم كما يتفق الناس على مذهب فيكون ذلك سببا لتوادهم وتصادقهم وأن يكون مفعولا ثانيا كقوله اتخذتم هواه أي اتخذتم الاوثان سبب المودة بينكم على تقدير حذف المضاف أو اتخذتموها مودة بينكم بمعنى مودودة بينكم كقوله تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله وفي الرفع وجهان أن يكون خبر الان على أن ما موصولة وأن تكون خبر مبتدا محذوف والمعنى أن الاوثان مودة بينكم أي مودودة أو سبب مودة وعن عاصم مودة بينكم بفتح بينكم مع الاضافة كأنه قرئ لقد تقطع بينكم فجعل بينكم هو فاعل وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه أوثانا لتقوم مودة بينكم في الحياة الدنيا أي انما تتوادون عليها وتتواصلون في الحياة الدنيا (ثم يوم القيامة) يقوم بينكم التلاعن والتباغض والتعادي بتلاعن العبدة وتبلاعن الاصنام كقوله تعالى وكونوا عليهم ضدا * كان لوطا ابن أخت ابراهيم عليهما السلام وهو أول من آمن له حين رأى النار لم تحرقه (وقال) يعني ابراهيم (اني مهاجر) من كوثى وهي من سواد الكوفة الى حران ثم منها الى فلسطين ومن ثمة قالوا للكلداني هجرة ولابراهيم هجرتان وكان معه في هجرته لوط وامرأته سارة وهاجروا بعد خمس وسبعين سنة (الى ربي) الى حيث أمرني بالهجرة اليه (انه هو العزيز) الذي يمنعني من أعدائي (الحكيم) الذي لا يأمرني الا بما هو مصلحتي (ووهبنا له) ابنه اسحق والنافلة ولد الولد وقيل هو يعقوب خاصة لان الله تعالى قال ووهبنا له اسحق ويعقوب فجعله نافلة اسحق وقيل النافلة الزيادة وكان يعقوب زيادة على ما سأل ابراهيم أو على ما عطف عليه و (الناحشة) الفعلة البالغة في القبح و (ما سبقكم بها من أحد من العالمين) جملة مستأنفة مقررة لفحاشة تلك الفعلة كأن قائلا قال لم كانت فاحشة فقيل له لان أحدا قبلهم لم يقدم عليها شهرة ارتكابهم اياها بطباعهم لافراط شهوتهم عليها وقوله لوط ذهبت طينتهم وقذرطباعهم قالوا لم ينزل ذكر على ذكر قبل قوم لوط قط * وقرئ انكم بغير استفهام في الاول دون الثاني قال أبو عبيد وجدته في الامام بحرف واحد بغير ألف ورأيت الثاني بحرفين الياء والنون * وقطع السبيل عمل قطاع الطريق من قتل الانفس وأخذ الاموال وقيل اعتراضهم السابلة بالفاحشة وعن الحسن قطع النسل باتيان ما ليس بحرث و (المنكر) عن ابن عباس رضي الله عنهما الخذف بالحصى والرمي بالبنادق والفرقعة ومضغ العلك والسواك بين الناس وحل الازرار والسباب والشتم في المزاح وعن عائشة رضي الله عنها كانوا

يتحابون

كفروا بآيات الله ولقائه أولئك يئسوا من رحمتي وأولئك لهم عذاب أليم فما كان جواب قومه الا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه فأنجاه الله من النار ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون وقال انما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين فآمن له لوط وقال اني مهاجر الى ربي انه هو العزيز الحكيم ووهبنا له اسحق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب وآتيناه أجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين ولوطا اذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر فما كان جواب قومه الا أن قالوا ائتنا بعذاب الله

تحقيقا لقسمه الاعادة الى من قسمت اليه الاولى) قال أحمد والاصل الاظهار ثم الاضمار وليه لقصد التفخيم الاظهار بعد الاظهار وليه وهو أفخم للدلالة الاظهار بعد الاضمار كما في الآية والله أعلم

ان كنت من الصادقين قال رب انصرني على القوم المفسدين ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا انا مهلكو أهل هذه القرية ان أهلها كانوا ظالمين قال ان فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله الا امرأته كانت من الغابرين (١٧٩) ولما أن جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقالوا لا تخف ولا تحزن انا منجوك وأهلك الا امرأتك كانت من الغابرين انا منزلون على أهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون والى مدين أخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا في الارض مفسدين فكذبوه فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين وعادا وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء

يتجاوبون وقيل الصيحة بين صرخهم وقيل الجاهرة في ناديهم بذلك العمل وكل معصية فاظهارها أقبح من سترها ولذلك جاء من خرق جلباب الحياء فلا غيبة له ولا يقال للمجلس ناد الا اذا دام فيه أهله فاذا قاموا عنه لم يبق نادا (ان كنت من الصادقين) فيما تعدنا من نزول العذاب * كانوا يفسدون الناس بحملهم على ما كانوا عليه من المعاصي والفواحش طوعا وكرها ولانهم ابتدعوا الفاحشة وسنوها فمن بعدهم وقال الله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون فأرادوا لوط عليه السلام أن يشتد غضب الله عليهم فذكر لذلك صفة المفسدين في دعائه (بالبشرى) هي البشارة بالولد والنافلة وهما اسحق ويعقوب * وأضافته مهلكو اضافة تخفيف لا تعريف والمعنى الاستقبال والقرية سدوم التي قيل فيها الجور من قاضي سدوم (كانوا ظالمين) معناه أن الظلم قد استمر منهم اعتياده في الايام السالفة وهم عليه مصرون وظلمهم كفرهم وألوان معاصيهم (ان فيها لوطا) ليس اخبارا لهم بكونه فيها وانما هو جدال في شأنه لانهم لما علموا الهلاك أداها بظلمهم اعترض عليهم بأن فيها من * يرى من الظلم وأراد باجلال الظهر الشفقة عليه وما يجب للمؤمن من الحزن لاخيه والتسمر في نصرته وحياطته والخوف من أن يمسه أذى أو يلحقه ضرر قال قتادة لا يرى المؤمن أن لا يحوط المؤمن الا ترى الى جوابهم بأنهم أعلم منه (عن فيها) يعنون نحن أعلم منك وأخبر بحال لوط وحال قومه وامتيازه منهم لامتياز الدين وأنه لا يستأهل ما يستأهلون يخمض على نفسك وهون عليك الخطب * وقرئ لننجينه بالتشديد والتخفيف وكذلك منجوك (ان) صلة أكدت وجود التعليق مترتبا أحدهما على الآخر في وقتين متغايرين لا فاصل بينهما كأنهما وجدا في جزء واحد من الزمان كقولك قيل كما أحس بمجيئهم فجأته المساءة من غير روية شنيعة عليهم من قومه (وضاق بهم ذرعا) وضاق بشأنهم وتدبير أمرهم ذرعه أي طاقته وقد جعلت العرب ضيق الذراع والذرع عبارة عن قلة الطاقة كما قالوا رحب الذراع بكذا اذا كان مطيقا له والاصل فيه أن الرجل اذا طالت ذراعه نال ما لا يناله القصير الذراع فضرب ذلك مثلا في العجز والقدرة * الرجز والرجس العذاب من قولهم ارتجز وارتجس اذا اضطرب يسلط الله العذب من القلق والاضطراب * وقرئ منزلون مخففا ومشددا (منها) من القرية (آية بينة) هي آثار منازلهم الخربة وقيل بقية الحجارة وقيل الماء الأسود على وجه الارض وقيل الخبر عما صنع بهم (لقوم) منطق بتركنا أو بينة (وارجوا) وافعلوا ما ترجون به العاقبة فأقيم السبب مقام المسبب أو أمروا بالرجاء والمراد اشتراط ما يتوقع من الايمان كما يؤمر الكافر بالشرعيات على ارادة الشرط وقيل هو من الرجاء بمعنى الخوف * والرجفة لزلزلة الشديدة ومن الفعلة صيحة جبريل عليه السلام لان القلوب رجفت فعلا في دارهم في بلدهم وأرضهم أو في دورهم فاكتفى بالواحد لانه لا يلبس (جاثمين) باركين على الركب ميتين (وعادا) منصوب باضمار أهلكنا لان قوله فأخذتهم الرجفة يدل عليه لانه في معنى الاهلاك أو وقد تبين لكم (ذلك) يعني ما وصفه من اهلاكهم (من) جهة (مساكنهم) اذا نظرتم اليها عند مروركم بها وكان أهل مكة يمرون عليها في أسفارهم فيبصرونها (وكانوا مستبصرين) عقلاء متمكنين من النظر والاستبصار ولكنهم لم يعتبروا أو كانوا متبينين أن العذاب نازل بهم لان الله تعالى قد بين لهم على ألسنة الرسل عليهم السلام ولكنهم لجوا حتى هلكوا (سابقين) فائتين أدركهم أمر الله فلم يفوتوه * الحاصب لقوم لوط وهو ريح عاصف فيها حصباء وقيل ملك كان يرميهم والصيحة لثمود والخسف لقارون والغرق لقوم نوح وفرعون * الغرض تشبيه ما اتخذوه متكلا ومعتمدا في دينهم وقولهم من دون الله عاهو مثل عند الناس في الوهن وضعف القوة وهو نسج العنكبوت ألا ترى الى مقطع التشبيه وهو قوله (وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت) (فان قلت) ما معنى قوله (لو كانوا يعلمون) وكل أحد يعلم وهن بيت العنكبوت (قلت)

معناه لو كانوا يعلمون أن هذا مثلهم وأن أمر دينهم بالغ هذه الغاية من الوهن ووجه آخر وهو أنه اذا صح تشبيه ما اعتمدوه في دينهم ببيت العنكبوت وقد صح أن أوهن البيوت بيت العنكبوت فقد تبين أن دينهم أوهن الاديان لو كانوا يعلمون أو أخرج الكلام بعد تصحح التشبيه مخرج المجاز فكأنه قال وان أوهن ما يعتمد عليه في الدين عبادة الاوثان لو كانوا يعلمون والقائل أن يقول مثل المشرك الذي يعبد الوثن بالقياس الى المؤمن الذي يعبد الله مثل عنكبوت يتخذ بيتا بالاضافة الى رجل يبني بيتا آجر وجص أو يتحته من صخر وكما أن أوهن البيوت اذا استقريتها بيتا بيت العنكبوت كذلك أضعف الاديان اذا استقريتها دينا دين عبادة الاوثان لو كانوا يعلمون * قرئ تدعون بالتاء والياء وهذا تأكيد للمثل وزيادة عليه حيث لم يجعل ما يعبدونه شيأ (وهو العزيز الحكيم) فيه تجهيل لهم حيث عبدوا ما ليس بشئ لانه جماد ليس معه صحة العلم والقدرة أصلا وتركوا عبادة القادر القاهر على كل شئ الحكيم الذي لا يفعل شيأ الا بحكمة وتدبير * كان الجهلة والسفهاء من قريش يقولون ان رب محمد يضرب المثل بالذباب والعنكبوت ويتحكمون من ذلك فذلك قال (وما يعقلها الا العالمون) أي لا يستقل صحتها أو حسنها أو فائدتها الا هم لان الامثال والتشبيهات تفاهي الطرق الى المعاني المحتجبة في الاستار حتى تبرزها وتكشف عنها وتصورها للافهام كما صور هذا التشبيه الفرق بين حال المشرك وحال الموحد وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه تلا هذه الآية فقال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب معصيته (بالحق) أي بالغرض الصحيح الذي هو حق لا باطل وهو أن تكونا مساكن عباده وعبرة للمعتبرين منهم ودلائل على عظم قدرته الا ترى الى قوله (ان في ذلك لآية للمؤمنين) ونحوه قوله تعالى وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ثم قال ذلك ظن الذين كفروا * الصلاة تكون لطفا في ترك المناهي فكانها ناهية عنها (فان قلت) كم من مصل يرتكب ولا تنهاه صلاته (قلت) الصلاة التي هي الصلاة عند الله المستحق بها الثواب أن يدخل فيها بقصد التوبة الى الله وحق فيها القبول تعالى الله أن يتقبل الله من المتقين ويصلها ما عاشها بالقلب والجوارح فقد روي عن عائم كان رجلا على الصراط والجنة عن يمينه والنار عن يساره وملك الموت من فوق وأصلي بين الخوف والرجاء ثم يحوطها بعد أن يصليها فكيف يحبطها فهي الصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر وعن ابن عباس رضي الله عنهما من لم تأمره صلاته بالمعروف وتنهه عن المنكر لم يزدد بصلاته من الله الا بعدا وعن الحسن رحمه الله من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فليست صلاته بصلاة وهي وبال عليه وقيل من كان مراعيا للصلاة وجوه ذلك الى أن تنهى عن السيآت يوما ما فقد روي أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانا يصلي بالنهار ويسرق الليل فقال ان صلاته لترده وروي ان فتى من الانصار كان يصلي معه الصلوات ولا يدع شيأ من الفواحش الا ركبه فوصف له فقال ان صلاته ستنهاه فلم يلبث أن تاب وعلى كل حال ان المراعي للصلاة لابد أن يكون أبعد من الفحشاء والمنكر من لا يراعيها وأيضا فكم من مصلين تنهاهم الصلاة عن الفحشاء والمنكر واللفظ لا يقتضي أن لا يخرج واحد من المصلين عن قضيتها كما تقول ان زيدا ينهى عن المنكر فليس غرضك أنه ينهى عن جميع المناكير وانما تريد أن هذه الخصلة موجودة فيه وحاصلة منه من غير اقتضاء للعموم (ولذكر الله أكبر) يريد وللصلاة أكبر من غيرها من الطاعات وسماها بذكر الله كما قال فاسعوا الى ذكر الله وانما قال ولذكر الله فليستقل بالتعليل كأنه قال وللصلاة أكبر لانهم اذا ذكر الله أو ولذكر الله عند الفحشاء والمنكر وذكر نهيه عنهما وعيده عليهما أكبر فكان أولى بأن ينهى من اللطف الذي في الصلاة وعن ابن عباس رضي الله عنهما ولذكر الله اياكم برحمته أكبر من ذكركم اياه بطاعته (والله يعلم ما تصنعون) من الخير والطاعة فيثيبكم أحسن الثواب (بالتي هي أحسن) بالخصلة التي هي أحسن وهي مقابلة الخشونة بالدين والغضب بالكظم والسورة بالاناة كما قال ادفع بالتي هي أحسن (الا الذين ظلموا) فانهم طوافي الاعتداء والعناد ولم يقبلوا النصح ولم ينفع فيهم الرفق فاستعملوا معهم الغلظة وقيل الا الذين أذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل الا الذين أتبعوا الولد والشريك وقالوا يد الله مغلولة وقيل معناه ولا تجادلوا الا الخارجين في الذمة المؤدين

الجزية

وهو العزيز الحكيم وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون خلق الله السموات والارض بالحق ان في ذلك لآية للمؤمنين اتل ما أوحي اليك من الكتاب وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن الا الذين ظلموا منهم

* قوله تعالى خلق الله السموات والارض بالحق (قال فيه أي بالغرض الصحيح) قال أحمد ما لفظة قدرية ومعتقد ردي وقد تقدم النكاره على القدرية ولو كان ما قالوه حقا من حيث المعنى لوجب اجتناب هذه العبارة التي لا تليق بالادب والله سبحانه وتعالى أعلم

للجزية الاتى هى أحسن الا الذين ظلموا فنبذوا الذمة ومنعوا الجزية فان أولئك نجاد لتهم بالسيف وعن قتادة الآية منسوخة بقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحادلة أشد من السيف * وقوله (قولوا آمنا بالذى أنزل الينا) من جنس المجادلة بالتى هى أحسن وعن النبى صلى الله عليه وسلم ما حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله فان كان باطلا لم تصدقوهم وان كان حقا لم تكذبوهم * ومثل ذلك الانزال (أنزلنا اليك الكتاب) أى أنزلناه مصدقا لسائر الكتب السماوية تحقيقا لقوله آمنا بالذى أنزل اليكم وقيل وما أنزلنا الكتب الى من كان قبلك أنزلنا اليك الكتاب (فالذين آتيناهم الكتاب) هم عبد الله بن سلام ومن آمن معه (ومن هؤلاء) من أهل مكة وقيل أراد بالذين أوتوا الكتاب الذين تقدموا عهد رسول الله من أهل الكتاب ومن هؤلاء ممن فى عهده منهم (وما يجحد بآياتنا) مع ظهورها وزوال الشبهة عنها الا المتوغلون فى الكفر المعهودون عليه وقيل هم كعب بن الاشرف وأصحابه * وأنت تى ما عرفك أحد قط بتلاوة كتاب ولا خط (اذا) لو كان شئ من ذلك أى من التلاوة والخط (لارتاب المبطلون) من أهل الكتاب وقالوا الذى نجده فى كتبنا أنى لا يكتب ولا يقرأ وليس به أولا رتاب مشركو مكة وقالوا العله تعلم أو كتبه بيده (فان قلت) لم سماهم مبطلين ولو لم يكن أمى وقالوا ليس بالذى نجده فى كتبنا كانوا صادقين محقين ولكان أهل مكة أيضا على حق فى قولهم لعدم تعلمه أو كتبته بيده (قلت) سماهم مبطلين لانهم كفروا به وهو أمى بعيد من الريب فكانه قال هؤلاء المبطلون فى كفرهم به لو لم يكن أميا وتارة اتصدالريب بحين ليس بقارئ كاتب فلا وجه لارتيابهم وشئ آخر وهو أن سائر الانبياء عليهم السلام لم يكونوا أميين ووجب الايمان بهم وعلماء أهل الكتاب هم مصدقين من جهة الحكم بالمعجزات فهب أنه قارئ كاتب فما لهم لم يؤمنوا به من الوجه الذى آمنوا منه بموسى وعيسى عليهما السلام على أن المنزلين ليسا بمعجزين وهذا المنزل معجز فادون هم مبطلون حيث لم يؤمنوا به وهو أمى ومبطلون لو لم يؤمنوا به وهو غير أمى (فان قلت) ما فائدة قوله بيمينك (قلت) ذكر اليمين وهى الجارحة التى يزاول بها الخط زيادة تصوير لما نفى عنه من كونه كاتبا الا ترى أنك اذا قلت فى الاثبات رأيت الامير يخط هذا الكتاب بيمينه كان أشد لاثباتك أنه تولى كتبته فكذلك النفى (بل) القرآن (آيات بينات فى صدور) العلماء به وحفاظه وهى خصائص القرآن كون آياته بينات الاعجاز وكونه محفوظا فى الصدور يتلوه أكثر الامة ظاهرا بخلاف سائر الكتب فانها لم تكن معجزات وما كانت تقرأ الا من المصاحف ومنه ما هو فى صدور هذه الامة خصوصا وهم أحبارهم (وما يجحد) بآيات الله الواضحة الا المتوغلون فى الظلم المكابرون * قرئ آية وآيات أرادوا هلا أنزل عليه آية مثل ناقة صالح وعصا موسى وعلى عليهما السلام ونحو ذلك (انما الآيات عند الله) ينزل أيها شاء وله شاء أن ينزل ما تقترحونه فافعل (وانما أنا نذير) كلفت الانذار وليس بالمكلف بما أعطيت من الآيات وليس فى أن أخبر عن الله أنه سيقول أنزل على ٣ آية كذا دون آية كذا مع على أن الغرض من الآية ثبوت الدلالة والآيات كلها فى حكم آية واحدة فى ذلك ثم قال (أولم يكفهم) آية مغنية عن سائر الآيات ان كانوا طالبين الحق غير متعنتين هذا القرآن الذى تقوم تلاوته عليهم فى كل مكان وزمان فلا يزال معهم آية ثابتة لا تزول ولا تضمحل كما تزول كل آية بعد كونها وتكون فى مكان دون مكان * ان فى مثل هذه الآية الموجودة فى كل مكان وزمان الى آخر الدهر (لرحمة) لنعمة عظيمة لا تشكر * وتذكرة (لقوم يؤمنون) وقيل أولم يكفهم يعنى اليهود أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم تحقيقا لما فى أيديهم من نعتك ونعت دينك وقيل ان ناسا من المسلمين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتب قد كتبوا فيها بعض ما يقول اليهود فلما أن نظر اليها أتاهم وقال كفى بهم احماقة قوم أو ضلالة قوم أن يرغبوا عما جاءهم به نبيهم الى ما جاء به غيرهم فنزلت والوجه ما ذكرناه (كفى بالله بينى وبينكم شهيدا) أنى قد بلغتكم ما أرسلت به اليكم وأنذرتكم وأنكم قابلتمونى بالجحد والتكذيب (يعلم ما فى السموات والارض) فهو مطلع على أمرى وأمركم وعالم بحقى وباطلكم (والذين آمنوا بالباطل) منكم وهو ما تعبدون من دون الله (وكفروا بالله) وآياته

وقولوا آمنا بالذى أنزل الينا وأنزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون وكذلك أنزلنا اليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا الا الكافرون وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا الا الظالمون وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل انما الآيات عند الله وانما أنا نذير مبين أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون قل كفى بالله بينى وبينكم شهيدا يعلم ما فى السموات والارض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون

(أولئك هم الخاسرون) المغبونون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان الأن الكلام ورد سورد الانصاف كقوله وانا أو اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين وكقول حسان * فشركما لخيركما الفداء * وروى أن كعب بن الاشرف وأصحابه قالوا يا محمد من يشهد لك بانك رسول الله فنزلت * كان استعجال العذاب استهزاء منهم وتكذيبا والنضر بن الحرث هو الذي قال اللهم أمطر علينا حجارة من السماء كما قال أصحاب الايكة فاسقط علينا كسفا من السماء (ولولا أجل) قدره الله وبينه في اللوح لمذابهم وأوجبت الحكمة تأخيره الى ذلك الاجل المسمى (لجاءهم العذاب) عاجلا والمراد بالاجل الآخر قال روى أن الله تعالى وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يعذب قومه ولا يستأصلهم وأن يؤخر عذابهم الى يوم القيامة وقيل يوم بدر وقيل وقت قيامهم بأجلهم (لمحيطة) أي ستحيط بهم (يوم يغشاهم العذاب) أو هي محيطة بهم في الدنيا لان المعاصي التي توجبها محيطة بهم أو لانها لما كانم وموعدهم لا محالة فكانها الساعة محيطة بهم ويوم يغشاهم على هذا منصوب بمضمر أي يوم يغشاهم العذاب كان كيت وكيت و(من فوقهم ومن تحت أرجلهم) كقوله تعالى لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل (ونقول) قرئ بالنون والياء (ما كنتم تعملون) أي جزاء * معنى الآية أنه ليس للمؤمن اذا لم يتمهل له العبادة في بلد هو فيه ولم يتمش له أمر دينه كما يجب فليها جر عنه الى بلد يقدر أنه فيه أسلم قلبا وأصح دينا وأكثر عبادة وأحسن خشوعا ولعمري ان البقاع تتفاوت في ذلك التفاوت الكثير ولقد جرب ذلك أولو نافذة فوجدوا عبادتها وادارا وأعون على قهر النفس وعصيان الشهوة وأجمع للقلب المنافت وأضم لنهوم المتشر وأحث على القناعة وأطرد للشيطان وأبعد من كثير من الفتن وأضبط للامر الديني في الجملة من سكنى حرم الله وحرم رسول الله فحد على ما سهل من ذلك وقرب وزرق من الصبر وأوزع من الشكر وعن النبي صلى الله عليه وسلم غربة دينه من أرض الى أرض وان كان شبرا من الارض اسنوسب الجنة وكان رفيق ابراهيم ومحمد وقيل هي في المستضعفين بمكة الذين نزل فيهم ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها وانما كان ذلك لان أمر دينهم ما كان يستقيم لهم بين ظهراني الكفرة (فاياي فاعبدون) في الشكلم نحو اياه ضربته في الغائب واياك عنيت في الخاطب والتقدير فاياي فاعبدوا فاعبدون (فان قلت) ما معنى الفاء فاعبدون وتقديم المفعول (قلت) الفاء جواب شرط محذوف لان المعنى ان أرضي واسعة فان لم تخلصوا العبادة لي في أرض فاخلصوها لي في غيرها ثم حذف الشرط وعوض من حذفه تقديم المفعول مع افادة تقديمه معنى الاختصاص والاخلاص * لما أمر عباده بالحرص على العبادة وصبرهم على الاهتمام بها حثهم على التوكل والهما وثق البلاد وان حسنت أتبعه قوله (كل نفس ذائقة الموت) أي واحدة منها لا بد لكل نفس ذائقة طعم الموت ومعناه انكم ستموتون فواصلون الى الجزاء وهي كانت عليه عاقبتم لكي لا يثنيكم عن التزود لها الاستعداد بجهده (لنبوئنهم) لننزلنهم (من الجنة) علالي وقرئ لنثوينهم من الثواء وهو النزول للاقامة يقال ثوى في المنزل وأثوى هو وأثوى غيره وهي غير متعد فاذا تعدى بزيادة همزة النقل لم تجاوز مفعولا واحدا فخوذهب وأذهبته والوجه في تعديته الى ضمير المؤمنين والى الغرف اما الجراء مجرى لننزلنهم ونبوئنهم أو حذف الجار وايصال الفعل أو تشبيه الظرف الموقت بالمبهم * وقرأ يحيى بن وثاب فنعم بزيادة الفاء (الذين صبروا) على مفارقة الاوطان والهجرة لاجل الدين وعلى أذى المشركين وعلى المحن والمصائب وعلى الطاعات وعن المعاصي ولم يتوكلوا في جميع ذلك الا على الله * لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أسلم بمكة بالهجرة فتباطأوا لعلم والضيعة وكانوا يقول الرجل منهم كيف أقدم بلدة ليست لي فيها معيشة فنزلت * والدابة كل نفس دبت على وجه الارض عقلت أو لم تعقل (لا تحمل رزقها) لا تطيق أن تحمله لضعفها عن حمله (الله يرزقها واياكم) أي لا يرزق تلك الدواب الضعاف الا الله ولا يرزقكم أيضا أيها الاقوياء الا هو وان كنتم مطيقين لحمل أرزاقكم وكسبها لانه لو لم يقدرلكم أسباب الكسب لكنتم أعجز من الدواب التي لا تحمل ومن الحسن لا تحمل رزقها لانه انما تصيح فيرزقها الله وعن ابن عيينة ليس شيء يخبأ الا الانسان والفأرة

و يستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون يا عبادي الذين آمنوا ان أرضي واسعة فاياي فاعبدون كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نعم أجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون وكاين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم

والنملة والفارة وعن بعضهم رأيت البليل يحتكر في حضنه ويقال للعصفور خاف الا أنه يشاها (وهو السميع) لقولكم تخفي الفئران الضبة (العليم) بما في ضمائركم * الضمير في (سألتهم) لاهل مكة (فانى يؤفكون) فكيف يصرفون عن توحيد الله وأن لا تشركوا به مع اقرارهم بأن خالق السموات والارض * (يقدر الرزق ويقترونه بمعنى اذا ضيقه (فان قلت) الذي رسم اليه الضمير في قوله (ويقدر له) هو من يشاء فكأن بسط الرزق قدره جملة واحدة (قلت) يحمل الوجهين جميعا أن يريد ويقدر لمن يشاء فوضع الضمير موضع من يشاء الا ان من يشاء مبهم غير معين فكان الضمير مبهما مثله وأن يريد تعالب الاسر بن على واحد على حسب الصحة (ان الله بكل شئ عليم) يعلم ما يصلح العباد وما يفسدهم * استحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم على أنهم ان أقروا بخلقه لهم ونفسه ذلك في توحيد الله ونفي الاندادعنه ولم يكن اقرارا عاطلا كاقرار المشركين وعلى أنهم أقروا بما هو حجة عليهم حيث نسبوا النعمة الى الله فنبه على العبادة الصنم ثم قال (بل أكثرهم لا يعقلون) ما يقولون وما فيه من الدلالة على بطلان الشرك وصحة التوحيد أو لا يعقلون ما تريد به قولك الحمد لله ولا يعلمون لم حمدت الله عند ما قالتم (هذه) فيها الزراء للدنيا وتصغير لامرها وكيف لا يصغرها وهي لا تزن عنده جناح بعوضة * يريد ما هي الا مرعة زائلة عن أهلها وموتهم عنها الا كما يلعب الصبيان ساعة ثم يتفرقون (وان الدار الآخرة لهي الحيوان) أي ليس فيها الا حياة مستمرة دائمة خالدة لا موت فيها كأنها في ذاتها حياة والحيوان مصدر حي وقياسه حيان فقلبت الياء الثانية واوا كما قالوا حيوة في اسم رجل وبعضهم ما قلب حياة حيوانا قالوا الشعر من الوبر ولا تشعر من الحيوان وشيء طيوان ذو طيا ة معنى ليس في بنا ء الحياة وهي ما في بنا ء نفسلان من معنى الحركة والاضطراب كالنزوان والغضبان والاوبار وما أشبهه ذلك والحياة حركة كما ان الموت سكون فحيثه على بنا ء دال على معنى الحركة مبالغة في معنى الحياة ولذلك اختيرت على الحياة في هذا الموضع المقتضي للمبالغة (لو كانوا يعلمون) لم يؤثروا الحياة الدنيا عليها * (فان قلت) ما اتصل قوله فاذا ركبوا (قلت) محذوف دل عليه ما وصفهم به وشرح من أمرهم معناه هم على ما وصفوا به من الشرك والمعنى (فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين) كائنين في صورة من يخلص الدين لله من المؤمنين حيث لا يذكرون الا الله ولا يدعون معه الها آخر وفي تسميتهم مخلصين ضرب من التهكم (فلما نجاهم الى البر) وأصلوا عادوا الى حال الشرك * واللام في (ليكفروا) مثلها في (ليكونوا لهم عدوا وحزنا) في قراءة من كسر ولام الامر في قراءة من قرأ وليتمتعوا لتكون تهديدا له ونحوه قوله تعالى اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير (فان قلت) كيف جاز أن يأمر الله تعالى بالكفر وبأن يعمل العباد ما شاؤا وهو ناه عن ذلك ومتوعد عليه (قلت) هو جار على سبيل الذلان والخذلة وأن ذلك الامر منتظم الى نهاية قوله مثاله أن ترى الرجل قد عزم على أمر وعندك أن ذلك الامر خطأ وأنه يؤدي الى ضرر عظيم فتبالغ في نصحه واستنزاله عن رأيه فاذا لم ترنجه الا الايأس التصميم حرضت عليه وقلت أنت وشأنك وافعل ما شئت ولا تريد بهذا حقيقة الامر وكيف والامر بالشيء مع ربه له وأنت شديد الكراهة لهم ولكنك قائل تقول له قد فعلت أبيت قبول النصيحة فأنت أهل لئن قال لك افعل ما شئت وتبعث عليه ليتبين لك اذا فعلت حسنة رأي الناصح وفساد رأيك * كانت العرب حول مكة يتغاورون ويتناهبون وأهل مكة تجارون آمنون فيها لا يغزون ولا يغار عليهم مع قلتهم وكثرة العرب فذكرهم الله هذه النعمة الخاصة عليهم ووبخهم بأنهم يؤمنون بالباطل الذي هم عليه ومثل هذه النعمة المكشوفة الظاهرة وغيرهم امن النعم التي لا يقدر عليها الا الله وحده مكفورة عندهم * ابتراؤهم على الله كذبا زعمهم أن لله شريكا وتكذيبهم بآياته هم من الحق كفرهم بالرسول والكتاب * وفي قوله (لما جاءه) تسفيه لهم يعني ليتهم توانى تكذيبه وقت مجيئه

وهو السميع العليم ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له ان الله بكل شئ عليم ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فاحيى به الارض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب وان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه

* قوله تعالى وان الدار الآخرة لهي الحيوان (قال أحمد عادل عن الحياة الى هذا البناء تنبيها على تعظيم حياة الآخرة ودوامها) قال أحمد والذي يخص هذا البناء افادة ما لا يخلو من الحركة كالنزوان والغضبان والحيوان من ذلك والله أعلم

وليفعلوا كما يفعل المراجع المعقول المثقون في الامور يسمعون الخبر فيستعملون فيه الروية والفكر ويستأنون الى أن يتضح لهم صدقه أو كذبه (أليس) تقرير لثوائهم في جهنم كقوله

* ألستم خير من ركب المطايا * قال بعضهم ولو كان استفهاما لأعطاه الطيبة مائة من الابل وحقيقته أن الهمزة همزة الانكار دخلت على النفي فرجع الى معنى التقرير ثوى وجهان أحدهما الايتوون في جهنم وألا يستوجبون التواءها وقد اعتبر وا مثل هذا الكذب على الله وكذبوا بالحق هذا التكذيب والثاني ألم يصح عندهم أن في جهنم مثوى للكافرين حتى اجترؤا مثل هذه الجرأة * أطلق المجاهدة ولم يقيدها فتتناول كل ما يجب مجاهدته من النفس الامارة بالسوء والشيطان وأعداء الدين (فينا) في حقنا ومن أجلنا ولوجهنا خالصا (لنهدينهم سبلنا) لنزيدنهم هداية الى سبل الخير وتوفيقا كقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وعن أبي سليمان الداراني والذين جاهدوا فينا لنهدينهم الى ما لم يعلموا وعن بعضهم من عمل بما علم وفق لما لا يعلم وقيل ان الذي نرى من جهلنا بما لم نعلم اغلب هو من تقصيرنا فيما نعلم (لمع المحسنين) لناصرهم ومعينهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العنكبوت كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين

﴿سورة الروم ستون آية مكية الا ثلاث فسبحان الله﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* القراءة المشهورة الكثيرة (غلبت) بضم الغين وسيغلبون بفتح الياء والارض أرض العرب بلاد الارض المعهودة عند العرب أرضهم والمعنى غلبوا في أدنى أرض العرب منهم وهي أطراف الشام أو أراد أدنى أرضهم على اضافة الاسم مما يضاف اليه أي في أدنى أرضهم الى عدوهم قال مجاهد هي أرض الجزيرة وهي أدنى أرض الروم الى فارس وعن ابن عباس رضي الله عنهما الاردن وفلسطين * وقرئ في أدنى الارض * والبضع ما بين الثلاث الى العشر عن الاصمعي وقيل احتربت الروم وفارس بين أذرعات وبصرى فغلبت فارس الروم فبلغ الخبر مكة فشق على النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين لان فارس نجوس وما كتاب فهم والروم أهل الكتاب وقريش المشركون وتمنوا وقالوا أنتم والنصارى أهل الكتاب ونحن وفارس أميون وقد ظهر اخواننا على اخوانكم ولنظهرن نحن عليكم فنزلت فقال لهم أبو بكر رضي الله عنه لا يقر الله أعينكم فوالله لظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له أبي بن خلف كذبت يا أبا فصل اجعل بيننا أجلا أناحبك عليه والمناحبة المراهنة فأجعل عشر قلائص من كل واحد منهما وسمى بينهما الاجل ثلاث سنين فأخبر أبو بكر رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ما بضع سنين والبضع ما بين الثلاث الى التسع فزايده في الخطر وماده في الاجل فجعلها مائة قلوص الى تسع سنين ومات أبي من جرح رسول الله وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية وذلك عند رأس سبع سنين وقيل كان النصر يوم بدر للروم فسر بذلك أبو بكر لظهور فريته أي وعامة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تصدق به وهذه الآية من الآيات البينة الشاهدة على صحة النبوة وأن القرآن من عند الله لانها نبأ عن الغيب الذي لا يعلمه الا الله وقرئ غلبهم بمعنى يكون الدم والغلب والغلب مصدران كالجلب والجلب والحلب والحلب وقرئ غلبت الروم بالفتح وسيغلبون بالضم ومعناه أن الروم غلبوا على ريف الشام وسيغلبهم المسلمون في بضع سنين وعند الله سماء هذه المدة أحد المسلمين في جهاد الروم واضافة غلبهم تختلف باختلاف القراءتين فهي في احداهما اضافة المصدر الى المفعول وفي الثانية اضافته الى الفاعل ومعناهما تحزم بأكم احزبهم ولن يخلف الله وعده (فان قلت) كيف صحت المناجبة والمناهي قمار (قلت) من عادته رحمه الله انه كان ذلك قبل تحريم القمار ومن مذهب أبي حنيفة وجمد ان العقود الفاسدة من عقود الربا وغيرها بابزة في دار الحرب بين المسلمين والكفار وقد احتج على صحة ذلك بما عقده أبو بكر بنفسه وبين أبي بن خلف (من قبل ومن بعد) أي في أول الوقتين وفي آخرهما حين غلبوا وحين يغلبون كائنة من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين يعني أن كونهم مغلوبين

الم غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعد

﴿سورة الروم مكية وهي ستون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

أليس في جهنم مثوى للكافرين والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين

أولا وغالبا من آخر اليس الا بامر الله وقضائه وتلك الايام ابتداء لها بين الناس وفرق من قبل ومن بعد على المر من غير تقدير مضاف اليه واقتطاعه كانه قيل فللامر قبل هذا حتى أولا وآخرا (ويومئذ) ويوم تغلب الروم على فارس ويجعل ما عده الله عز وجل من غلبتهم (يفرح المؤمنون بنصر الله) وتعليقه من له كتاب على من لا كتاب له وخبط من شمت بهم من كفار مكة وقيل نصر الله هو اظهار صدق المؤمنين فيما أخبر وابه المشركين من غلبة الروم وقيل نصر الله انه ولى بعض الطائفتين بعضا وغرق بنى كلهم حتى تعاونوا وتناصروا قل هؤلاء شوكة هؤلاء وفى ذلك قوة للاسلام وعن أبى سعيد الخدرى وافق ذلك يوم بدر وفى هذا اليوم نصر المؤمنون (وهو العزيز الرحيم) بنصر عليكم تارة وبنصركم أخرى (وعد الله) مصدر مؤكد كقولك لك على ألف درهم عرفا لان معناه اعترف لك بها اعترافا وعد الله ذلك وعدا لان ما سبق قد فى معنى وعده * (لا يعلمون ظاهرا) يريد أنهم علماء فى أمور الدنيا بارعون فى أمور الدين وذلك أنهم كانوا أصحاب تجارات ومكاسب وعن الحسن بلغ من حدة أحدهم أنه يناقش الدرهم فينقر ما صبه فيعلم أزيف هو أم جيد * وقوله (يعلمون) بدل من قوله لا يعلمون وفى هذا الابدال من الدلالة أنه أبدله منه وجعله بحيث يقوم مقامه ويسد مسده ليعلمك أنه لا فرق بين عدم العلم الذى هو الجهل وبين وجود العلم الذى لا يتجاوز الدنيا * وقوله (ظاهرا من الحياة الدنيا) يفيد أن للدنيا ظاهرا وباطنا فالظاهر هو ما يعرفه الجهال من التمتع بزخارفها والتنعم بملاذها والظرف وحقيقتها تجاوز الى الآخرة بتزودها بالطاعة والاعمال الصالحة وفى تنكير الظاهر أنهم لا يعلمون الا ظاهرا واحدا من جملة الظواهر * وهم الثانية يجوز أن يكون مبتدأ و(غافلون) خبره والجملة خبر هم الاولى وأن يكون تكريرا للاولى وغافلون خبر الاولى وأية كانت فقد كررها مسندة على أنهم مستدون الغفلة عن الآخرة وعن فكر هاعلما بأنهم لتبع والهم يرجع (فى أنفسهم) يحتمل أن يكون ظرفا كانه قيل أولم يحدثوا التفكر فى أنفسهم أى فى قلوبهم الفارغة من التفكر لان التفكر لا يكون الا فى القلوب ولكنه زيادة تصوير لحال المتفكرين كقولك اعتقد فى قلبك واضمره فى نفسك وأن يكون صلة لمحذوف تقديره أولم يتفكروا فى أمر النبى فيتفكروا فى أنفسهم كقولك تفكر فى الامر وأمان فيه فكره و(ما خلق) متعلق بالقول المحذوف معناه أولم يتفكروا فيقولوا لهذا القول وقيل معناه أولم يعملوا الان فى التفكر حتى يعلموا (الا بالحق وأجل مسمى) أى ما خلقها الا ملتبسة بالحق مقدرا بأجل مسمى وهو وقت فنائها وانقضائها وهو يوم القيامة وما بين الخلق والفناء حتى يستوفى كل نفس حظها مما قدر لها من العمر وما يستحقه من الجزاء على عمله وأكثر الناس الذين لا يتفكرون كيف سمى تركهم يوم القيامة مع علمهم بأنه آت لا محالة وهو ملتبس بالحق مقارن له (وان كثيرا من الناس) يعنى المشركين (بلقاء ربهم) بالبعث والجزاء (لكافرون) لجاحدون (أولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الارض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون (ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزءون (الله يبدأ الخلق ثم يعيده ثم اليه ترجعون (ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون (ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين (ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم فى روضة يحبرون (وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فأولئك فى العذاب محضرون (فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون (وله الحمد فى السموات والارض وعشيا وحين تظهرون (يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ويحيى الارض بعد موتها وكذلك تخرجون (ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر تنتشرون (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون (ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ان فى ذلك لآيات للعالمين (ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون (ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيى به الارض بعد موتها ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون (ومن آياته أن تقوم السماء والارض بأمره ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا أنتم تخرجون (وله من فى السموات والارض كل له قانتون (وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الاعلى فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم (ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون (بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم فمن يهدى من أضل الله وما لهم من ناصرين (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون (منيبين اليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين (من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون (وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه ثم اذا أذاقهم منه رحمة اذا فريق منهم بربهم يشركون (ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون (أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون (وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم اذا هم يقنطون (أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون (فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون (وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون (الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شىء سبحانه وتعالى عما يشركون (ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون (قل سيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين (فأقم وجهك للدين القيم من قبل أن يأتى يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون (من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا فلأنفسهم يمهدون (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله انه لا يحب الكافرين (ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجرى الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون (ولقد أرسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاءوهم بالبينات فانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقا علينا نصر المؤمنين (الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه فى السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فاذا أصاب به من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون (وان كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين (فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحيى الارض بعد موتها ان ذلك لمحيى الموتى وهو على كل شىء قدير (ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون (فانك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين (وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون (الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير (ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون (وقال الذين أوتوا العلم والايمان لقد لبثتم فى كتاب الله الى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون (فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون (ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا ان أنتم الا مبطلون (كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون (فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون (

أحدهم فى التكبر تقلبى لعلوهم وتقلبه تقريبه من النفى حتى يطابق البدل منه وروى عن ابن عباس أنه قال فى تلاوته هذه الآية ان من صدق أحدهم فى ظاهر الحياة الدنيا بما يجمعه فيعلم أبيده هو أم يدع

(قال) فيه يعلمون بدل من الاول وفى البدل نكتة وهى الاشعار بانه لا فرق بين عدم العلم الذى هو الجهل وبين العلم بظاهر الدنيا

ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون أولم يتفكروا فى أنفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق وأجل مسمى وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون أولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الارض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون

حتى كانهما شيء واحد فابدل أحدهما من الآخر وظاهرة تنكير الظاهر انهم لا يعلمون الا ظاهرا واحدا من جنس ظواهرها (قال)

ما يستطهر به أهل الدنيا ويتباهون به أمر الدهقنة وهم أيضا ضعاف القوى فقوله كانوا أشد منهم قوة أى عادا وثمود وأضرابهم من هذا القبيل كقوله أولم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة وان كان هذا أبلغ لانه خالق القوى والقدر * فاكان تدبيره ناهم ظالما لهم لان حاله منافية للظلم ولكنهم ظلموا أنفسهم حيث عملوا ما أوجب تدميرهم * قرئ عاقبة بالنصب والرفع و (السوأى) تانيث الاسوا وهو الاقبح كما أن الحسنى تانيث الاحسن والمعنى أنهم عوقبوا فى الدنيا بالدمار ثم كانت عاقبتهم السوأى الا أنه وضع المظهر موضع المضمر أى العقوبة التى هى أسوأ العقوبات فى الآخرة وهى جهنم التى أعدت للكافرين و (ان كذبوا) معنى لان كذبوا ويجوز أن يكون أن بمعنى أى لانه اذا كان تفسير الاساءة التكذيب والاستهزاء كانت فى معنى القول نحو نادى وكتبت وما أشبه ذلك ووجه آخر وهو أن يكون أساؤا السوأى بمعنى اقترفوا الخطيئة التى هى أسوأ الخطايا وأن كذبوا عطف بيان لها وخبر كان محذوف كما حذف جواب لما ولو ارادة الابهام (ثم لم يكن فتنتهم) أى التى تولوها وعملوه وقرئ بالتاء والياء * الا ابلاس أى يبق بائسا كما كنت صخرا يقال ناظره فابلس الظالم يبئس ويئس من أن يحتج ومنه الناقة المبلاس التى لا ترغو * وقرئ يبلس بفتح اللام من أبلسه اذا أسكته (من شركائهم) من الذين عبدوهم من دون الله (وكانوا بشركائهم كافرين) أى يكفرون بالهيتهم ويجحدونها أو كانوا فى الدنيا كافرين بسببهم * وكتب شفعواء فى المصحف بواو قبل الالف كما كتب علماء بنى اسرائيل وكذلك كتبت السوأى بالف قبل الياء انما الهمزة على صورة الحرف الذى منه حركتها * الضمير فى (يتفرقون) للمسلمين والكافرين لدلالة ما هدهد عليه وعن الحسن رضى الله عنه هو تفرق المسلمين والكافرين هؤلاء فى علين وهؤلاء فى أسفل السافلين وعن قتادة رضى الله عنه فرقة لا اجتماع بعدها (فهم فى روضة) فى بستان وهى الجنة والتكبير لابهام أمرها وتفخيمه والروضة عند العرب كل أرض ذات نبات وماء وفى أمثالهم أحسن من بيضة فى روضة يريدون بيضة النعامة (يحبرون) يسرون يقال حبره اذا سره سرورا تهلل له وجهه وظهر فيه أثره ثم اختلف فيه الاقاويل لاحظ له ووجوه جميع السارفى مجاهد رضى الله عنه يكرمون وعن قتادة ينعمون وعن ابن كيسان يحلون وعن أبى بكر بن عياش التحبير على رؤسهم وعن وكيع السماع فى الجنة وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه ذكر الجنة وما فيها من النعيم فى آخر القوم اعرابى فقال يا رسول الله هل فى الجنة من سماع قال نعم يا اعرابى ان فى الجنة لنهرا حافاته الاكارم من كل بضة خوصاء يتثنين باصوات لم تسمع الخلائق بمثلها فذلك أفضل نعيم الجنة قال الراوى فسألت أبا الدرداء هذا بتثنين قال بالتسبيح وروى ان فى الجنة لاصحابا على أطراس من فضة فاذا أرادا هل الجنة السماع بعث الله تعالى عند العرش فتقع فى تلك الاشجار فتحرك تلك الاطراس باصوات لو سمعها أهل الدنيا لماتوا طربا (يحضرون) لا يغيبون عنه ولا يخفف عنهم كقوله وما هم بخارجين منها لا يفتر عنهم * لما ذكر الوعد والوعيد أسمعه كريما يوصل الى الوعد ويحمى من الوعيد * والمراد بالتسبيح ظاهره الذى هو تنزيه الله عن السوء والثناء عليه بالخير فى هذه الاوقات لما يتجدد فيها من نعمة الله الظاهرة وقيل الصلاة قبل لابن عباس رضى الله عنهما هل تجد الصلوات الخمس فى القرآن قال نعم وتلا هذه الآية (تمسون) صلاتا المغرب والعشاء (وتصبحون) صلاة الفجر (وعشيا) صلاة العصر و (تظهرون) صلاة الظهر وقوله وعشيا متصل بقوله حين تمسون وقوله وله الحمد فى السموات والارض اعتراض بينهما ومعناه أن على الخلق كلهم من أهل السموات والارض أن يحمدوه (فان قلت) لم ذهب الحسن رحمه الله الى أن هذه الآية مدنية (قلت) لانه كان يقول فرضت الصلوات الخمس بالمدينة وكان الواجب بمكة ركعتين فى كل وقت فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أقرت صلاة السفر وزيد فى صلاة الحضر ومن رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره أن يكال له بالقفير الاوفى فليقل سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الآية وعنه عليه السلام من قال حين يصبح سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الى قوله وكذلك

ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوأى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون الله يبدؤ الخلق ثم يعيده ثم اليه ترجعون ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون ولم يكن لهم من شركائهم شفعواء وكانوا بشركائهم كافرين ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم فى روضة يحبرون وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فاولئك فى العذاب محضرون فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد فى السموات والارض وعشيا وحين تظهرون

* قوله تعالى ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا (قال قال قلت أنتصب خوفا وطمعا مفعولا لهما ولبس الفعل المعلل فاعل الفعل المعلل فأجاب بذلك قالت المعتزلة هذا فاعلون لانهم يرون أن تقديره يجعلكم رائين البرق خوفا وطمعا أو على حذف مضاف تقديره ارادة خوفكم وطمعكم) قال أحمد الخوف والطمع من جملة مخلوقات الله تعالى وآثاره فيه وحينئذ يلزم (١٨٧) اجتماع شرائط النصب فيهما

تخرجون أدرك ما فاته في يومه ومن قالها حين يمسي أدرك ما فاته في ليلته وفي قراءة عكرمة حيا تكون وحيا تصبحون والمعنى تمسون فيه وتصبحون فيه كقوله يوما لا تجزي نفس عن نفس شيأ يعني فيه (الحي من الميت) الطائر من البيضة و (الميت من الحي) البيضة من الطائر * واحيا الارض اخراج النبات منها (وكذلك تخرجون) ومثل ذلك الاخراج تخرجون من القبور وتبعثون والمعنى أن الابداء والاعادة متساويان في قدرته من هو قادر على الطرد والعكس من اخراج الميت من الحي واخراج الحي من الميت واحياء الميت واماتة الحي وقرئ الميت بالتشديد وتخرجون بفتح التاء (خلقكم من تراب) لانه خلق أصلهم منه و (اذا) للمفاجأة وتقديره ثم فاجأتم وقتكم كونكم بشرا منتشرين في الارض كقوله وبث منهما رجالا كثيرا ونساء (من أنفسكم أزواجا) لان حواء خلقت من ضلع آدم عليه السلام والنساء بعدها خلقن من أصلاب الرجال أو من شكل أنفسكم وجنسها لا من جنس آخر وذلك لمناسبة الانثيين من جنس واحد من الالف والسكون وبين البشر المختلفين من التفاوت (وجعل بينكم) التوادد والتراحم بسبب الزواج بعد ان لم تكن بينكم سابقة معرفة ولا لقاء ولا سبب يوجب التعاطف من قرابة أو رحم وعن الحسن رضي الله عنه المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد كما قال وحنانا منا وقال ذكر رحمت ربك عبده * ويقال سكن اليه اذا مال اليه لكونه مما تقطع اليه واطمأن اليه ومنه السكن وهو الالف المسكون اليه فعل بمعنى مفعول وقيل ان المودة والرحمة من قبل الله والفرك من قبل الشيطان * والالسنة اللغات أو أجناس النطق واشكاله حالف عز وعلا بين هذه الاشياء التي لا تكاد تسمع منطقين متفقين في حرف واحد ولا هجاء واحد ولا لاحنا ولا فصاحة ولا لكنة ولا نظم ولا أسلوب لغير ذلك من صفات المنطق وأحواله وكذلك الصور وتخطيطها والالوان وتنويعها ولاختلاف ذلك وقع التعارف والا لما تعقلت ولتعاكست ولكانت حبرا واحدا ولوقع الضلال والالتباس واختلطت مصالح كثيرة وعبارات شتى من بشريتها في الخلقة مع ولوج الخطأ في التمييز بينها وفي حكمة التفاوت الجلي وفي ذلك آيات بينات حتى ولد آدم أصنافا متباينين في الكثرة التي لا يحيط بها الا الله مختلفين متفاوتين * وقرئ للعالمين بفتح اللام وكسرها وتشهد للكسر قوله تعالى وما يعقلها الا العالمون * هذا من باب اللف وترتيبه ومن آياته منامكم وابتغاؤكم من فضله بالليل والنهار الا أنه فصل بين الاولين بالاخيرين لان بين المنامين مناما وزمانا والواقع فيه كذلك واسند مع اعانة الفعل في الاخيرين وجوز أن يراد منامكم في الزمانين وابتغاؤكم فيهما والظاهر هو الاول وتكريره في القرآن وأسند السماع الى ما دل عليه القرآن * يسمعون سماع آذان الواعية * في (يريكم) وجهان اضمار أن وابراز الفعل منزلة المصدر وهما حسنان مثل تسمع بالمعيدي خير من أن تراه وقول القائل

وقالوا ما تشاء فقلت ألهو * الى الاصباح آثر ذي أثير

(خوفا) من الصاعقة أو من الاخلاف (وطمعا) في الغيث وقيل خوفا للمسافر وطمعا للحاضر وهما منصوبان على المفعول له (فان قلت) من حق المفعول له أن يكون فاعل الفعل المعلل والخوف والطمع ليسا كذلك (قلت) فيه وجهان أحدهما أن المخاطبين فاعلون في المعنى لانهم يرون فكأنه قيل يجعلكم رائين البرق خوفا وطمعا والثاني أن يكون على تقدير حذف المضاف أي ارادة خوف وارادة طمع فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه ويجوز أن يكونا حالين أي ذا تين خوفا وطامعين * وقرئ ينزل بالتشديد

وهي كونهما مصدرين ومقارنين في الوجود والفاعل الخالق واحد

يخرج الحي من الميت يخرج الميت من الحي ويحيي الارض بعد موتها وكذلك تخرجون ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر تنتشرون ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ان في ذلك لآيات للعالمين ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيي به الارض بعد موتها ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون

فلا بد من التشبيه على تخريج النصب على هذا لو جد فتقول معني قول القائل * الا لابد أن يكون فعل الفاعل أي ولا بد أن يكون الفاعل متصفا به مثاله اذا قلت جئتك اكراما لك فقد وصفت نفسك بالاكرام وفعلت في المعنى جئتك مكرما لك والله تعالى وان خلق الخوف والطمع لعباده الا أنه مقدس عن الاتصاف بهما فحينئذ احتيج الى تأويل المصنف على المذهبين جميعا والله أعلم

* قوله تعالى ومن آياته ان تقوم السماء والارض بأمره ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا أنتم تخرجون الآية (قال ان قلت مابال الاعادة استعظمت فى قوله ثم اذا دعاكم حتى كأنها فضلت على قيام السموات والارض قلت الاعادة فى نفسها عظيمة ولكنها هوّنت بالنسبة الى الانشاء) قال أحمد انما يلقى فى السؤال تعظيم الاعادة من عطفها بثم اذا بتغاير مرتبتها وعلوّ شأنها وقوله فى الجواب انها هوّنت بالنسبة الى الانشاء لا يخلص فان الاعادة ذكرت ههنا عقيب قيام السموات والارض بأمره وقيامهما بابتداء وانشاء أعظم من الاعادة فيلزم تعظيم الاعادة بالنسبة الى ماعطف عليه من الانشاء ومعود الاشكال والمخلص والله أعلم جعل ثم على بابها التراخى الزمانى لا التراخى الرتبى وان سلمنا

(١٨٨) التراخى المرتبى فعلى ان تكون مرتبة المعطوف عليه العليا ومرتبة المعطوف هى الدنيا وذلك نادر فى مجيئها لتراخى المرتبى فان المعطوف حينئذ فى أكثر المواضع أرفع درجة من المعطوف عليه والله أعلم * قوله تعالى وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه (قال) ان قلت لم أخرت الصلة ههنا وقدمت فى

ومن آياته أن تقوم السماء والارض بأمره ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا أنتم تخرجون وله من فى السموات والارض كل له قانتون وهو الذى يبدؤ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه

قوله تعالى هو على هين قلت لان التقسيم ماثم فيه فالمقصد هنالك انه الاختصاص بالقدرة على ايلادهم والمغفرة وأما المقصد ههنا فلا معنى للاختصاص فيه كما سوالاهم مبنى على ما معتقدونه فى لشاهم من ان الاعادة أسهل من الابتداء قال الاختصاص غير المعنى (قال أحمد) كلام نفيس يستحق ان يكتب بذوب التبر لا بالحبر وانما يلقى الاختصاص من تقديم ماحقه ان يؤخر وقد عدلت مذهبه فى مثل ذلك * عاد كلامه (قال) فى تقرير معنى قوله وهو أهون عليه الافعال اما مختلفة عقلا لذاته واما مختلفة لتصارف الحكم من فعله واما متفضل بتخيرا لحليم فيه بين ان يفعل وان لا واما واجب على الحكيم ان يفعله فالانشاء الاول من قبيل التفضل وأما الاعادة فواجب على الله تعالى لاجل الجزاء فلما كانت واجبة كانت أبعد الافعال عن المنع فلذلك وصفت بالتسهيل وكانت أهون من الانشاء (قال أحمد) لقد تفضل وصدق عن السبيل فلا نوافقه ولا نرافقه والحق ان لا واجب على الله تعالى وكل ماذكره فى هذا الفصل تزخات قدرية على انها أيضا غير مستقيمة على أصولهم المحتة فان مقتضاها وجوب الانشاء فى الحكمة

يمنع وجود الفعل كالتمنع الاحالة وأما تفضل والتفضل حالة بين بين للفاعل أن يفعله وأن لا يفعله وأما واجب لا بد من فعله ولا سبيل الى الاخلال به فكان الواجب أبعد الافعال من الامتناع واقربها من الحصول فلما كانت الاعادة من قبيل الواجب كانت أبعد الافعال من الامتناع واذا كانت أبعد هاهنا من الامتناع كانت أدخل في التأتي والسهولة فكانت أهون منها واذا كانت أهون منها كانت أهون من الانشاء (وله المثل الاعلى) أي الوصف الاعلى الذي ليس لغيره مثله فتعرف به * وقد تقدم في السموات والارض على ألسنة الخلائق والسنة الدلائل وهو أنه القادر الذي لا يعجز عن شيء من انشاء واعادة وغيرهما من المقدورات ويدل عليه قوله تعالى (وهو العزيز الحكيم) أي القاهر لكل مقدور الحكيم الذي يجري كل فعل على قضايا حكمته وعلمه وعن مجاهد المثل الأعلى قول لا اله الا الله ومعناه وله الوصف الأعلى الذي هو الوصف بالوحدانية ويعضده قوله تعالى ضرب لكم مثلا من أنفسكم وقال الزجاج وله المثل الأعلى في السموات والارض أي قوله تعالى وهو أهون عليه قد ضربه لكم مثلا فاصغوا وعقلوا يريد التفسير الاول (فان قلت) أي فرق بين الاولى والثانية والثالثة في قوله تعالى من أنفسكم هل ملكت أيمانكم من شركاء (قلت) في الاولى ابتداء كان قال أخذت عبدا لا وانتزعته من أقرب شيء منكم وهي أنفسكم ولم يعد والثانية للتبعيض والثالثة عربية لتأكيد الاستفهام الجاري مجرى النفي ومعناه هل ترضون لانفسكم وعبيدكم أمثالكم شركاء كشركة عبيدكم كعبيدكم بشاركونكم بعضهم (فيما رزقناكم) من الاموال وغيرها فانتم ونوابكم هم فيه على السواء من غير تفضيل بين حر وعبد * تهاونوا أن تستبدوا بتصرف دونهم وان تتقاسموا بينكم ميراثكم بعضكم بعضا من الاحرار فالام ترضوا بذلك لانفسكم فكيف ترضون لرب الارباب ومالك الاحرار والعبيد أن تجعلوا بعض عبيده له شركاء (كذلك) أي مثل هذا التفصيل (نفصل الآيات) أي نبين الادلة التمثيل عما يكتنف المعاني ويوعرها لانه بمنزلة التصوير والتشكيل لها الا ترى كيف صور الشرك بالصورة المشوهة (الذين ظلموا) أي أشركوا كقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم (بغير علم) أي اتبعوا أهواءهم جاهلين لان العالم اذا ترك هواه وعارضه علمه تركه وأما الجاهل فيهم على وجهه كالبهيمة لا يكبه الا هواه (من أنصار الله) من خذله ولم يلطف به لعلمه أنه ممن لا لطف له فمن يقدر على هداية عبده وقوله (وما لهم من ناصرين) دليل على أن المراد بالاضلال الخذلان (فأقم وجهك للدين) فقوم وجهك له وعدله غير ملتفت عنه يمينا ولا شمالا هو تمثيل لاقباله على الدين واستقامته عليه وتعالى وأخلص له بأسلمه فان من اهتم بالشيء عقد عليه طرفه ويسدد اليه نظره وقوم له وجهه مقبلا عليه و (حنيفا) حال من الامر أو من الدين (فطرت الله) أي الزموا فطرة الله أو علكم فطرة الله وانما أضمرت على خطاب الجماعة لقوله منيبين اليه ومنيبين حال من الضمير في الزموا في قوله واتقوه وأقيموا لانكم وانما عطف على هذا الضمير والفطرة الخلقة الا ترى الى قوله لا تبديل لخلق الله والمعنى أن خلقهم قابلين للتوحيد ودين الاسلام غير نافرين عنه ولا منكرين له لكونه مجاولا للعقل مساوقا للنظر الصحيح حتى لو تركوا وما اختاروا عليه دينا آخر ومن غوى منهم فباغواء شياطين الانس والجن ومنه قوله صلى الله عليه وسلم كل عبادي خلقت حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وأمرتهم أن يشركوا بي غيري وقوله عليه السلام كل مولود يولد على الفطرة أي على تلك الفطرة أو على فطرة (فان قلت) لم وحد الخطاب أولا ثم جمع (قلت) خوطب رسول الله صلى الله عليه وسلم أولا وخطاب الرسول خطاب لامته مع ما فيه من التعظيم للامام ثم جمع بعد ذلك للبيان والتخليص (من الذين) بدل من المشركين (فارقوا دينهم) تركوا دين الاسلام وقرئ فرقوا دينهم بالتشديد أي جعلوه أديانا لاختلافهم في الاهواء (وكانوا شيعا) مرقا كل واحدة تتابع اماما على الذي أحدثها (كل حزب) منهم فرح بمذهبه مسرور بحسب باطله حقا وجوز أن يكون من الذين منقطعا عما قبله ومعناه من المفارقين دينهم كل حزب فرحون بما عندهم ثم فرحون على الوصف لكل كقوله * وكل خليل غير هاضم نفسه * الضر الشدة من هزال أو مرض أو فقد ذلك * والرحمة

وله المثل الاعلى في السموات والارض وهو العزيز الحكيم ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم من ما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فانتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم فمن يهدي من أضل الله وما لهم من ناصرين فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون منيبين اليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه ثم اذا أذاقهم منه رحمة اذا فريق منهم بربهم يشركون

الاولا مصلحة اقتضت الانشاء ملوتم وتلك المصلحة توجب مثلها فقد وضح ان المصنف لا الى معالى السنة رقى ولا في حضيض الاعتزال بقي حلقة المعصمة

الخلاص من الشدة واللام في (ليكفروا) مجاز مثلها في ليكون لهم عدوا (فتمتعوا) تنظير اعملوا ما شئتم (فسوف تعلمون) وبال تمتعكم وقرأ ابن مسعود وليتمتعوا * السلطان الحجة ونكلمه مجاز كما تقول كتابه ناطق بكذا وهذا ما تنطق به القرآن ومعناه الدلالة والشهادة كأنه قال فهو يشهد بشركهم وبحجته * وما في (بما كانوا) مصدرية أي بكونهم بالله يشركون ويجوز أن تكون موصولة ويرجع الضمير اليها ومعناه فهو يتكلم بالأمر الذي بسببه يشركون ويحتمل أن يكون المعنى أم أنزلنا عليهم ذا سلطان أي ملكا معه برهان فذلك الملك يتكلم بالبرهان الذي بسببه يشركون (وإذا أذقنا الناس رحمة) أي نعمة من مطر أو سعة أو صحة (فرحوا بها وان تصبهم سيئة) أي بلاء من جدب أو ضيق أو مرض والسبب فيها شؤم معاصيهم فقطوا من الرحمة * ثم أنكر عليهم بأنهم قد علموا أنه هو الباسط القابض فما لهم يقنطون من رحمته وما لهم لا يرجعون اليه تائبين من المعاصي التي عوقبوا بالشدة من أجلها حتى يعيد اليهم رحمته * حق ذي القربى صلة الرحم * وحق المسكين وابن السبيل تصييرهما من الصدقة المسماة بهما وقد احتج أبو حنيفة رحمه الله بهذه الآية في وجوب النفقة للمحارم إذا كانوا محتاجين عاجزين عن الكسب وعند الشافعي رحمه الله لا نفقة للقرابة الا على الوالد والولد (ذلك خير للذين يريدون وجه الله) يحتمل أن يراد بوجهه ذاته أو جهته وبأنها أي يقصدون بصدقاتهم إياه تعالى وجهته كقوله تعالى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى أو يقصدون جهة التقرب الى الله لا جهة أخرى والعينان مستقاربان ولكن الطريقتان مختلفتان * هذه الآية تدل على معنى قوله تعالى يمحق الله الربا ويربي الصدقات سواء أريد بما أعطيتم أكلة الربا (من ربا ليربوا) أموالهم ليربو ويزكو أموالهم فلا يزكو عند الله ولا يبارك فيه (وما آتيتم من زكاة) أي صدقة تبتغون بوجوهها الا المضاعفون بها مكانها والزيادة موجعة (فأولئك هم المضعفون) ذوو الاضعاف من الحسنات وتغاير الضعف القوي والموسر لذي القوة واليسار وقرئ بفتح الميم وقيل نزلت في ثقيف وكانوا يربون وقيل المراد أن يهب الرجل الرجل أو يهدي له ليعوضه أكثر منها وهب أو أهدى فليست تلك الزيادة بحرام ولكن المعوض لا يثاب عن تلك الزيادة وقالوا الربا ربوان فالحرام كل قرض شرط فيه أكثر منه أو بمنفعة والذي ليس بحرام أن يسلفه ليجزيه أو يهدي له أكثر منها وفي الحديث المستفيض يتلى من هديته وقرئ وما أتيتم من ربا بمعنى وما أعطيتموه أو عطفتم من عطاء بالوقرئ الربوا أي اكتسبوا في أموالهم كقوله تعالى ويربي الصدقات أي يزيدها وقوله تعالى فأولئك هم المضعفون التفات حسن كأنه قال الا أنكم وخواص خلقه فأولئك الذين يريدون وجه الله يضعف ثوابهم (المضعفون) فهو أمدح لهم من أن يقال أنتم المضعفون والمعنى المضعفون بالاضافة الى غيرهم يرجع اليها وجهان آخر وهو أن يكون تقديره فمؤتوه أولئك هم المضعفون واحتج لمذاق الكلام من الدليل عليه وهذا أسهل ما تحتمله الاولى أسلا بالسابقة (الله) مبتدأ وخبره (الذي خلقكم) أي الله هو فاعل هذه الافعال الخاصة التي لا يقدر على شيء منها أحد غيره ثم قال (هل من شركائكم) الذين اتخذتموهم أندادا لكم من الاصنام وغيرها (من يفعل) شيئا من تلك الافعال حتى يصح ما ذهبتم اليه ثم استبعد حاله من حال شركائهم بعجزهم أن يكون الذي خلقكم صفة للابتداء والخبر هل من شركائكم وقوله (من ذلكم) هو الذي يربط الجملة الثانية بمعناه من أقسامه ومن الاولى والثانية الثالثة كل واحدة منهن مستقلة بتأكيد لتجهيل شركائهم وتهويل عبدتهم (الفساد في البر والبحر) نحو الجدب وقلة الريع في الزراعات والربح في التجارات ووقوع الموتان في الناس والدواب وكثرة الحرق والغرق واختلاف الصيادين والغاصة وشق البركات من كل شيء وقيل الطاعون لغلبة وكثرة المضار وعن ابن عباس أجدبت الارض وانقطعت مادة البحر وقالوا اذا انقطع المطر هيجت دواب البحر وعن الحسن أن المراد بالبحر مدن البحر وقراه التي على شاطئه وعن عكرمة العرب تسمي الامصار البحار وقرئ في البر والبحور (بما كسبت أيدي الناس) بسبب معاصيهم ردئ جزيهم

لكفروا بما آتيناهم
فتمتعوا فسوف تعلمون
أم أنزلنا عليهم سلطانا
فهو يتكلم بما كانوا به
يشركون وإذا أذقنا
الناس رحمة فرحوا بها
وإن تصبهم سيئة بما
قدمت أيديهم إذا هم
يقنطون أولم يروا أن
الله يبسط الرزق لمن
يشاء ويقدر إن في ذلك
لآيات لقوم يؤمنون
فآت ذا القربى حقه
والمسكين وابن السبيل
ذلك خير للذين يريدون
وجه الله وأولئك هم
المفلحون وما آتيتم
من ربا ليربو في أموال
الناس فلا يربو عند
الله وما آتيتم من زكاة
تريدون وجه الله
فأولئك هم المضعفون
الله الذي خلقكم ثم
رزقكم ثم يميتكم ثم
يحييكم هل من شركائكم
من يفعل من ذلكم
من شيء سبحانه وتعالى
عما يشركون ظهر
الفساد في البر والبحر
بما كسبت أيدي الناس

كقوله

كقوله تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم وعن ابن عباس ظهر الفساد في البر بقتل ابن آدم أخاه وفي البحر أن جليدي كان يأخذ كل سفينة فيساورها وعن قتادة كان ذلك قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجع راجعون عن الضلال والظلم ويجوز أن يريد ظهور الشر والمعاصي لكسب الناس ذلك * (فان قلت) ما معنى قوله ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون (قلت) اما على التفسير الاول فظاهر وهو أن الله قد أفسد أسباب دنياهم وحقق ليذيقهم وبال بعض أعمالهم في الدنيا قبل أن يعاقبهم بجميعها في الآخرة لعلهم يرجعون عما هم عليه وأما على الثاني فاللام مجاز على معنى أن ظهور الشر وبسببهم لما استوجبوا به أن يذيقهم الله وبال أعمالهم اراده الرجوع فكأنهم لما أفسدوا وتسبب الفساد المعاصي في الارض لاجل ذلك وقرئ ليذيقهم بالنون * ثم أكد سبب المعاصي فجعلها أغلب الذنوب كلها حيث أمرهم بأن يسيروا في الارض فينظروا كيف أهلك الله الامم وأذاقهم سوء العاقبة لمعاصيهم ودل بقوله (كان أكثرهم مشركين) على أن الشرك وحده لم يكن سبب تدميرهم وأن ما دونه من المعاصي يكون سببا لذلك * القيم البليغ الاستقامة الذي لا يأتي فيه عوج (من الله) اما أن يتعلق بيأتي فيكون النهي عن قبل أن يأتي من الله يوم لا يرده أحد كقوله تعالى فلا يستطيعون ردها أو عرى على معنى لا يرده هو بعد أن يجيء به ولا رد له من جهته * والرد مصدر بمعنى الرد (يصدعون) يتفرقون أي يتفرقون كقوله تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون (فعليه كفره) كلمة جامعة لا غاية بعدها من الضلال لان من كان ضاره كفره فقد أحاطت به كل مضرة (فلأنفسهم يمهدون) أي يسوون لانفسهم مايؤيهم في قبورهم أو في الجنة ويوطئانه للدلالة على تحتم ما نبه عليه وينقض عليه من قدم من نبي أو فضل أو بعض ما يؤذي الى اقتدار يجوز أن يريد فعلى أنفسهم يشقون من أولهم في الشقى أم فرشت فلانا ثبت وتقدم الظرف في الوضعين للدلالة على أن ضرر الكفر لا يعود الا على الكافر لا يتعداه ومنفعة الايمان والعمل الصالح ترجع الى المؤمن لا تتجاوزه (ليجزي) متعلق بيمهدون لتعليله (من فضله) عما يستحقون على عملهم بمقتضى الى يجب من الثواب وهذا يشبه الكلام بالان الفضل تبع للواجب لانه لا يكون الا بعد حصول ما هو تبع له أو أراد من عطائه وهو تواليا لان الفضول والفواضل على الاعطية عند العرب يذكر بعد ذكر (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) ترك الضمير الى الصريح لتقرير أنه لا يظلم عنده الا الراسخ في الصلاح وقوله (انه لا يحب الكافرين) تقرير بعد تقرير على الطرد والعكس (الرياح) هي الجنوب والشمال والصبا وهي رياح الرحمة وأما الدبور فريح العذاب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وقد عدد الآيات في أربعة الهاء وأربعها للاشارة بالخبر ولا فائدة الا مقارنة مرسل الطير وحصول الخصب الذي يتبعه والروح الذي مع هبوب الريح وذكر الارض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كثرت الزلازل دكت الارض وزال النعيم وتغير هواؤها وتشربه الطيور وتموت فلذلك (ولتجري الفلك) في البحر عند هبوبها (بأمره) لان الريح قد تهب ولا تكون موائية فلا يمكن ارسالها السفن والاحتيال فيها ما عسفت فتغرقها (ولتبتغوا من فضله) بركوبها البحر * ولتشكروا النعمة للغرض (فان قلت) هم يتعلق بأرسل فكيف (قلت) فيه وجهان أن تكون معطوفا على مدخرات على المعنى كأنه قيل ليبشركم وأن يتعلق بمحذوف تقديره وليذيقكم وليكون كذا وكذا أو يسلطها ويحصر الطريق الى الغرض بأن أدرج فيه ذكر الانتصار والنصر ذكر الفريقين وقدم أحق الكلام أولا على ذكرهما وقوله (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) تعظيم للمؤمنين ورفع من شأنهم وتأهيل لكرامة سنية واظهار لفضل سابقته ومن ثم حق جعلهم مستحقين على الله أن ينصرهم مستوجبين عليه أن يظهرهم ويظفرهم وقد يوثق على حقاوم ماله وكان الانتقام منهم حقا ثم ابتدأ علينا نصر المؤمنين وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما من امرئ مسلم يرد عن عرض أخيه الا كان حقا على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة ثم تلا قوله تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين (وبسطه) منفصلا لانه (ويجعله كسفا) أي قطعا تارة (فترى الودق يخرج من خلاله) في التارتين حيا وأراد السحاب سمت السماء

ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين فأقم وجهك للدين القيم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله انه لا يحب الكافرين ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجري الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ولقد أرسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات فانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقا علينا نصر المؤمنين الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فاذا أصاب به من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون وان كانوا من قبل أن ينزل عليهم

وشفعها كقوله تعالى وفرعها في السماء * وباصابة العباد اصابة بلادهم وأراضيهم (من قبله) من باب التكرير والتوكيد كقوله تعالى فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها ومعنى التوكيد فيه الدلالة على أن عهدهم بالمطر قد تطاول وبعد فاستشكروا بأسهم عند حادي ابلاسهم فكان الاستبشار على قدر اغتمامهم بذلك * قرئ نرو آثار على الوحدة والجمع وقرأ أبو حيوة وغيره كيف تحيي أي الرحمة (ان ذلك) يعني ان ذلك القادر الذي يحيي الارض بعد موتها هو الذي يحيي الناس بعد موتهم (وهو على كل شئ) من المقدورات قادر وهذا من جملة المقدورات بدليل الانشاء (فرأوه) مرأوا أثر رحمة الله لان رحمة الله هي الغيث وأثرها النبات ومن قرأ بالجمع رجع الضمير الى معناه لان معنى آثار رحمة النبات واسم النبات يقع على القليل والكثير لانه مصدر سمي به ما ينبت * واللام هي الموطئة للقسم دخلت على حرف الشرط و (لظلوا) جواب القسم سد مسد الجوابين أعني جواب القسم وجواب الشرط ومعناه ليظلن ذهم الله تعالى بانه اذا حبس عنهم القطر فظلوا من بعده كفروا أذقانهم على صدورهم مبلسين فاذا أصابهم برحمته ورزقهم المطر استبشروا وابتهجوا فاذا أرسل ريحا فاضرت زروعهم بالصفار صجوا وكفروا نعمة الله فهم في جميع هذه الاحوال على الصفة المذمومة كان عليهم أن يتوكلوا على الله وفضله فقط وأن يشكروا نعمته ويحمدوه عليها فان يزيدوا على الفرح والاستبشار وأن يصبروا على بلائه فكفروا الريح التي اصفر لها النبات يجوز أن تكون حمراء وحريفا وكلتاهما مما يسمح به النبات ويصح هشيما وقال مسترا الان تلك صفرة عادته وقيل فرأوا السحاب مصفرا لانه اذا كان كذلك لم يمطر * قرئ فتح النون وضمها وهما لغتان والضم أقوى في الشر وروي عن عمر رضي الله عنه انه قال قرأتم اعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضعف فاقرأني من ضعف وقوله (خلقكم من ضعف) كقوله خلق الانسان من عجل يعني أن أساس أمركم وما عليه جبلتكم وبنيتكم الضعف وخلق الانسان ضعيفا أي ابتدأ كم في أول الامر ضعفا وذلك حال الطفولة والنشء حتى لقرة وقت الاحتلام والشيبة وتلك حال القوة الى الاكتهال وبلوغ الاشد ثم رد ثم الى أصل خلقكم وهو الضعف بالشيخوخة والهرم وقيل من نطفة من العلقة كقوله تعالى من ماء مهين وهذا التردد في الاحوال المختلفة والتغيير من هيئة الى هيئة وصفة الى صفة أظهر دليل وأعدل شاهد على العالم القادر (الساعة) القيامة سميت بذلك لانها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا أو لانها تقع بغتة وبدهة كما تقول فعلت كذا في ساعة فلم أشعر الا وهي على الحالة التي وصفت * وبرأوا على المكوكب للزهرة * وأرادوا بهم في الدنيا وقيل في القبور وأقسموا فيما بينهم في الدنيا أو في القبور على لبثهم في البعث ما بين فناء الدنيا الى وقت البعث أربعون عاما أو أربعون سنة أو أربعون ألف سنة وذلك وقت يفتون فيه ويتقطع عذابهم وانما يعذبون وقت لبثهم بذلك على وجه استقصارهم له أو ينسون أو يكذبون أو يحلفون (كذلك كانوا يؤفكون) أي مثل ذلك الصرف كانوا يصرفون عن الصدق والتحقيق في الدنيا وهكذا كانوا يفتون أمر هم على خلاف الحق أو مثل ذلك الافك كانوا يؤفكون في الاغترار بحالتين لهم الآن أنهما كانا في الدنيا * العالمون هم الملائكة والانبياء والمؤمنون (في كتاب الله) في اللوح أو في علم الله وقضائه أو فيما كتبه أي أوجبه بحكمته من وما قالوه وحلفوا عليه واطلاعهم على الحقيقة * ثم وصلوا ذلك بتقريعهم على انكار البعث بقولهم (فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون) أنه حق لتغريطكم في طلب الحق واتباعه (فان قلت) ما هذه الفاء وما حقيقتها (قلت) هي التي في قوله فقد جئنا خراسانا وحقيقتها أنها جواب شرط دل عليه الكلام كأنه قال ان صح ما قلت من أن خراسان أقصى ما يراد نيل فقد جئنا خراسان وأن لنا أن نخاصر وكذلك ان كنتم منكرين البعث فهذا يوم البعث أي فقد تبين بطلان قولكم وقرأ الحسن يوم البعث بالتحريك (لا ينفع) قرئ بالياء والتاء (يستعتبون) من قولك استعتبني فلان فأعتبته أي استرضاني فأرضيته وذلك اذا كنت عاتبا عليه وحقيقة أعتبته ازلت عتبه الا ترى الى قوله

عضضت بهم أن تقتل عامر * يوم النسار فأعتبوا بالصيلم

كيف جعلهم عضابا ثم قال فأعتبوا أي أزيل غضبهم والغضب في معنى العتب والمعنى لا ينال لهم أرضوا

من قبله لمبلسين فانظر الى آثار رحمت الله كيف يحيي الارض بعد موتها ان ذلك لمحي الموتى وهو على كل شئ قدير ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون فانك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين أوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون

ربكم بتوبة وطاعة ومثله قوله تعالى لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون (فان قلت) كيف جعلوا غير مستعتبين في بعض الآيات وغير متبعين في بعض وهو قوله وان يستعتبوا فما هم من المعتبين (قلت) أما كونهم غير مستعتبين فهذا معناه وأما كونهم غير متبعين فمعناه أنهم غير راضين عافبة شبهت حالهم بحال قوم حتى عليهم فهم عاتبون على الجاني غير راضين منه فان يستعتبوا التأتي لهم ازالة ما هم فيه فما هم من العاتبين الى ازالته (واقد) وصف الله كل صنف كانهم امثل في غرابتها وقصصنا عليهم كل قصة عجيبة الشان كصفة المبعوثين يوم القيامة وقصتهم وما يقولون وما يقال لهم وما لا ينفع من اعتذارهم ولا يسمع من استعتابهم ولكنهم لقسوة قلوبهم وصم اسماعهم حديث الآخرة اذا جئتهم بآية من آيات القرآن قالوا جئتنا بزور وباطل * ثم قال مثل ذلك الطبع يطبع الله على قلوب الجهلة ومعنى طبع الله منع الالطاف التي يشرح لها الصدور حتى تقبل الحق وانما منعهم لما من علم أنها لا تجدي عليه ولا تنفي عنه كما يمنع الواعظ الموعظة من يتبين له أن الموعظة تلغو ولا تجدي فيه فوقع ذلك كناية عن قسوة قلوبهم وركوب الصدأ والرين اياها فكأنه قال كذلك تقسو وتصدأ قلوب الجهلة حتى يسموا المحقين مبطلين وهم أعرف خلق الله في ذلك لصفة (فاصبر) على عداوتهم (ان وعد الله) بنصرتك واظهار دينك على الدين كله (حق) لا بد من انجازه والوفاء به * ولا يحملنك على الخفة والقلق جزعا مما يقولون ويفعلون فانهم قوم شاكون ضالون لا يستبدع منهم ذلك وقرئ بتخفيف النون وقرأ ابن أبي اسحق ويعقوب ولا يستخفنك أي لا يقتنك فيملكوك ويكونوا أحق بك من المؤمنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الروم كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل ملك سبح الله بين السماء والارض وأدرك ما ضيع في يومه وليلته

﴿سورة لقمان مكية وهي أربع وثلاثون آية وقيل ثلاث وثلاثون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الكتاب الحكيم) ذي الحكمة أو وصف بسمة الله تعالى على الاسناد المجازي ويجوز أن يكون الاصل الحكيم قائله فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فبانقلابه مرفوعا بعد ما كان مجرورا استكن في الصفة الشبهة (هدى ورحمة) بالنصب على الحال من الآيات والعامل فيها معنى تلك من معنى الاشارة وبالرفع على أنه خبر بعد خبر أو خبر مبتدا محذوف (للمحسنين) الذين يعملون الحسنات وهي التي ذكرها من اقامة الصلاة وايتاء الزكاة والايقان بالآخرة وتظيره قول أوس

الا لمي الذي يظن بك الظن كان قد رأى وقد سمعا

حكي عن الاصمعي أنه سئل عن الالمعي فأنشده ولم يرد أولئك الذين يعملون جميع ما يحسن من الاعمال ثم خص منهم المتقين منهم ذه الثلاث لفضل اعتدادها * اللهو كل باطل ألهى عن الخير وعما ينبغي و (لهو الحديث) نحو السمر بالاساطير والاحاديث التي لا أصل لها والتحدث بالخرافات والاضاحيك وفضول الكلام وما لا ينبغي من كان وكان ونحو الغناء وتعلم الموسيقار وما أشبه ذلك وقيل نزلت في النضر بن الحرث وكان يتجر الى فارس فيشتري كتب الاعاجم فيحدث بها قريشا ويقول ان كان محمد يحدثكم بحديث عاد وثمود فانا أحدثكم باحاديث رستم واسفنديار وملوك الحيرة فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن وقيل كان يشتري المغنيات فلا يظفر بأحد يريد الاسلام الا أطلق عليه بالي قينته فيقول أطعميه واسقيه وغنيه ويقول هذا خير مما يدعوك اليه محمد من الصلاة والصيام وان تقاتل بين يديه وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم لا يحل بيع المغنيات ولا شراؤهن ولا التجارة فيهن ولا اثمانهن وعنه صلى الله عليه وسلم ما من رجل يرفع صوته بالغناء الا بعث الله عليه شيطانين أحدهما على هذا المنكب والآخر على هذا المنكب فلا يزالان يضربانه بارجلهما حتى يكون هو الذي يسكت وقيل الغناء ينقد المال ينبطة للرب مفسدة للقلب (فان قلت) ما معنى اضافة اللهو الى الحديث (قلت) معناه التبيين وهي الاضافة بمعنى من وأن يضاف الشيء الى ما هو جنسه كقولك صمة خز وباب ساج والمعنى من يشتري اللهو من الحديث لان اللهو يكون من

واقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا ان أنتم الا مبطلون كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون

﴿سورة لقمان مكية وهي أربع وثلاثون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الم تلك آيات الكتاب الحكيم هدى ورحمة للمحسنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ومن الناس من يشتري لهو الحديث

الحديث ومن غيره فبين بالحديث والمراد بالحديث الحديث الشكر كما جاء في الحديث الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش ويجوز أن تكون الاضافة بمعنى من التبعيضية كما قيل ومن الناس من يشتري بعض الحديث الذي هو اللهو منه * وقوله يشتري اما من الشراء على ما روى عن النضر من شراء كتب الاعاجم أو من شراء القيان واما من قوله اشتروا الكفر بالايمان أي استبدلوه منه واختاروه عليه وعن قتادة اشتراؤه استحبابه بخلاف حديث الباطل على حديث الحق * وقرئ (ليضل) بضم الياء وفتحها و (سبيل الله) دين الاسلام أو القرآن (فان قلت) القراءة بالضم بينة لان النضر كان غرضه باشتراء اللهو أن يصد الناس عن الدخول في الاسلام واستماع القرآن ويضلهم عنه فما معنى القراءة بالفتح (قلت) فيه معنيان أحدهما التثبت على ضلاله الذي كان عليه ولا يصدف عنه ويزيد فيه وعده فان الخذول كان شديد الشكيمة في عداوة الدين وصد الناس عنه والثاني أن يوضع ليضل موضع ليضل من قبل أن من أضل كان ضالا لا محالة فدل بالردف على المردوف (فان قلت) ما معنى قوله (بغير علم) (قلت) لما جعله مشتريا لهو الحديث بالقرآن قال يشتري بغير علم بالتجارة وبغير بصيرة بها حيث يستبدل الضلال بالهدى والباطل بالحق ونحوه قوله تعالى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين أي بما كانوا مهتدين للتجارة بصراء بها * وقرئ (ويتخذها) بالنصب والرفع عطفا على يشتري أو ليضل والضمير للسبيل لانها مؤنثة كقوله تعالى وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا (ولى مستكبرا) زاما لا يعبأ بها ولا يرفع بها رأسا * تشبيها له في ذلك حال من لم يسمعها وهو سامع (كأن في أذنيه وقرا) أي ثقلا ولا وقر فيهما وقرئ بسكون الذال (فان قلت) ما محل الجملتين المستدرتين بكأن (قلت) الاولى حال من مستكبرا والثانية من لم يسمعها ويجوز أن تكونا استئنافين والاصل في كأن الخفة كأنه والضمير ضمير الشان (وعد الله حقا) مصدران مؤكدان الاول مؤكد لنفسه والثاني مؤكد لغيره لان قوله لهم جنات النعيم في معنى وعدهم الله جنات النعيم فأكد معنى الوعد بالوعد وأما حقا فدال على معنى الثبات أكد به معنى الوعد مؤكدها جميعا وقوله لهم جنات النعيم (وهو العزيز) الذي لا يغلبه شيء ولا يعجزه يقدر على الشيء ونقيضه فيعطي النعيم من شاء والبؤس من شاء وهو (الحكيم) لا ينشاء الا ما تقتضيه الحكمة والعدل (خلق) الضمير فيه للسموات وهو استشهاد بر ؤيتهم لما غير مرئي مردودة على قوله بغير عمد كما تقول لصاحبك أنا بلا سبب ولا ترى (فان قلت) ما محلها من الاعراب (قلت) لا محل لها لانها مستأنفة أو هي في محل النصب صفة للعمد أي بغير عمد مرئية يعني أنه عمدها بما لا ترى وهي العمد التي هي قدرته (هذا) اشارة الى ما ذكر من مخلوقاته * والخلق بمعنى المخلوق و (الذين من دونه) آلهتهم يكلمهم بأن هذه الاشياء العظيمة مما خلقه الله وأنشأه فأروني ماذا خلقته آلهتكم حتى استوجبوا عندكم العبادة * ثم أضرب عن تبكيتهم الى التسجيل عليهم بالتورط في ضلال ليس بعده ضلال * هو لقمان بن باعورا ابن أخت أيوب أو ابن خالته وقيل كان من أولاد آزر وعاش الى أن أدرك داود عليه السلام وأخذ عنه العلم وكان يفتي قبل مبعث داود عليه السلام فلما بعث قطع الفتوى فقيل له فقال ألا أكفي اذا كفيت وقيل كان قاضيا في بني اسرائيل وأكثر الاقاويل أنه كان حكيما ولم يكن نبيا وعن ابن عباس رضي الله عنهما لقمان لم يكن نبيا ولا ملكا ولكن كان رجلا أسود فرزقه الله العتق ورضي قوله ووصيته فقص أمره في القرآن لتحكوا به عنه * وقال عكرمة والشعبي كان نبيا وقيل خير بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة وعن ابن المسيب كان أسود من سودان مصر حبشيا وعن مجاهد كان عبدا أسود غليظ الشفتين متشقق القدمين وقيل كان نجارا وقيل كان راعيا وقيل كان يحتطب أولا كل يوم حزمة وعنه أنه قال لرجل ينظر اليه ان كنت تراني غليظ الشفتين فانه يخرج من بينهما كلام رقيق وان كنت تراني أسود فقلبي أبيض وروي أن رجلا وقف عليه في مجلسه فقال ألست الذي ترعى معي في مكان كذا قال بلى قال فما بلغ بك ما أرى قال صدق الحديث وأصمت عما لا يعنيني وروي أنه دخل على داود عليه السلام وهو يسرد الدرع وقد لين الله

لسبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها كأن في اذنيه وقرا فبشره بعذاب اليم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم خالدين فيها وعد الله حقا وهو العزيز الحكيم خلق السموات بغير عمد ترونها وألقى في الارض رواسي أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين

(القول في سورة لقمان)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه الآية (ذكر في ذلك اختلاف العلماء في نبوته وذكر أثناء ذلك أنه ميز بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة) قال أحمد وفي هذا بعد بين وذلك ان الحكمة داخلة في النبوة وقطرة من بحرها وأعلى درجات الحكماء تقطع عن أدنى درجات الانبياء بما لا يقدر قدره وليس من الحكمة اختيار الحكمة الجزوية من النبوة

أي ما ليس بالله فيكون لك علم بالله لعدمه وليس كما ذكره في قول فرعون ما علمت لكم من اله غيري وقد

وأقمت آيتا لقمان الحكمة أن اشكر لله ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان الله غني حميد واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم ووصينا الانسان بوالديه حملته

---

* قوله تعالى حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك الي المصير وان جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب الي ثم الي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الارض

مر معناه مما تقدم

* قوله تعالى حملته أمه وهنا على وهن الآية (قال فيه تخصيص حق الام وهو مطابق لما بينه فقد ذكر هناك وجوب البر في الحديث المأثور) قال أحمد وهذا من قبيل ما يقوله الفقهاء ان اللام من قول الولد قبل العلم جهل وهو هنا فيما يفيد أكيد. انتهى والله أعلم * قوله تعالى انها ان تك مثقال

له الحديث كالطبي فأراد أن يسأله فأدركته الحكمة فسكت فلما أتى البيت أو السماء وقال نعم ليس الطبي أنت فقال لصمت حكمة وقليل فاعله فقال له داود بحق ما سميت حكيما وروي أن مولاة أمر بذبح شاة وأن يخرج منها أطيب مضغتين فأخرج اللسان والقلب ثم أمر بعد ذلك بمثل ذلك بعد أيام وأن يخرج أخبث مضغتين فأخرج اللسان والقلب فسأله عن ذلك فقال هما أطيب ما فيها اذا طابا وأخبث ما فيها اذا خبثا وعن سعيد بن المسيب أنه قال لاسود لا تحزن فانه كان من خير الناس ثلاثة من السودان بلال ومهجع مولى عمر ولقمان (أن) هي المفسرة لان اتيناه الحكمة في معنى القول وقد نبه الله سبحانه على أن الحكمة الاصابة والعلم الحقيقي هو العمل بما وعبادة الله والشكر له حيث فسر ايتاء الحكمة بالبعث على الشكر (غني) غير محتاج الى الشكر (حميد) حقيق بأن يحمد وان لم يحمده أحد * قيل كان اسم ابنه انعم وقال الكلبي اشكم وقيل كان ابنه واعر أنه كافر من قال بهما حتى أسلما (لظلم عظيم) لان التسوية بين من لا نعمة الا هي منه ومن لا نعمة منه البتة ولا يتم وأن تكون منه ظلم لا يكتنه عظمه * أي (حملته) هن (وهنا على وهن) كقوله الآتي رجع عود على بدء بمعنى يعود عودا على بدء وهو في موضع الحال والمعنى أنها تضعف ضعفا فوق ضعف أي يتزايد ضعفها وتضاعف لان الحمل كلما ازداد وعظم ازدادت ثقلا وضعفا وقرئ وهنا على وهن بالتحريك عن أبي عمرو بقال وهن يوهن ووهن يهن * وقرئ وفصله (أن اشكر) تفسير لوصينا (ما ليس لك به علم) أراد بنفي العلم نفيه أي لا تشرك بي ما ليس بشئ يريد الاصنام كقوله تعالى ما يعبدون من دونه من شئ (معروفا) حسنا أو مصاحبا معروفا حسنا بتحلق جميل وخلق واحتمال وبر وصلة لا يرتفع بها الكرم والمروءة (واتبع سبيل من أناب الي) يريد واتبع سبيل المؤمنين في دينك ولا تتبع سبيلهما فيه وان كنت ما مورا بحسن مصاحبتهما في الدنيا ثم الى مرجعكم ومرجعهما فأنبئكم بأعمالكم وأجازيهما على كفرهما علم بذلك حكم الدنيا وما يجب على الانسان في صحبتهما وعاشرهما من مراعاة حق الابوة وتعظيمها وما لهما من الواجب الذي لا يسوغ الاخلال بها ثم بين حكمهما وما جاءهما في الآخرة وروي أنها نزلت في سعد بن أبي وقاص وأمه وقيل العمة انما مكثت ثلاثا لا تطعم ولا تشرب حتى شجرت فاها هو وروي أنه قال لو كانت لها مائة نفس فخرجت انفسا انفسا ما تركت دين الكفر (فان قلت) هذا الكلام كيف وقع في أثناء وصية لقمان (قلت) هو كلام اعترض به على سبيل الاستطراد تأكيدا لما وصى به من النهي عن الشرك (فان قلت) فقوله حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين كيف اعترض به بين الفسر والمفسر (قلت) لما وصى بالوالدين ذكر ما تكابده الام وتعانيه من المشاق والمتاعب في حمله وفصاله هذه المدة المتطاولة اذا لتوصية بالوالدة خصوصا وتوكيدا لحقها العظيم مطردا وعن النبي صلى الله عليه وسلم لمن قال له من أبر أمك ثم أمك ثم أمك ثم قال بعد ذلك ثم أباك وعن بعض العرب أنه حمل أمه الى الحج على ظهره وهو يقول في حدائه

حملته أمي وهي الحامله * ترضعني الدرة والغلاله * ولا يجازي والدا فعاله

(فان قلت) ما معنى توسيط الفصال بالعامين (قلت) المعنى في توقيته بهذه المدة أنها الغاية التي لا تتجاوز والامر فيما دونها موكول الى اجتهاد الام ان علمت أنه يقوى على الفطام قبلها أن تفطمه وبدل عليه قوله تعالى والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وبه استشهد الشافعي رضي الله عنه على أن مدة الرضاع سنتان لا تتبين حرمة الرضاع بعد انقضائهما وهو مذهب أبي يوسف ومحمد وأما عند أبي حنيفة رضي الله عنه فمدة الرضاع ثلاثون شهرا وعن أبي حنيفة ان فطمته قبل التمامين فلا بأس بالطعام ثم أرضعته لم يكن رضاعا وان أكل كثيرا فيما يستقئ بعد الرضاع ثم أرضعته فهو رضاع محرم * قرئ مثقال حبة بالنصب والرفع فمن نصب كان الضمير للهنة من الاساءة أو الاحسان أي ان كانت مثقال حبة في الصغر والقماءة كحبة الخردل فكانت مع صغرها في أخفى موضع وأحرزه كجوف الصخرة أو حيث كانت

في العالم العلوي أو السفلي (يأت بها الله) يوم القيامة فيحاسب بها عاملها (إن الله لطيف) يتوصل علمه الى كل خفي (خبير) عالم بكنهه ومن قتادة لطيف باستخراجها خبير بمستقرها وهو من قرأ بالرفع كان ضمير القصة والعائد الى المثقال لاضافته الى الحبة كما قال * كما شرقت صدر القناة من الدم * وروى أن ابن لقمان قال له أرأيت الحبة تكون في مثل الصخرة أي في مغاصة يعلمها الله فقال ان الله يعلم أصغر الاشياء في أخفى الامكنة لان الحبة في الصخرة أخفى منها في الماء وقيل الصخرة هي التي تحت الارض وهي السجين يكتب فيها أعمال الكفار * وقرئ فتكن بكسر الكاف من وكن الطائر يكن اذا استقر في وكنته وهي مقره ليلا (وأصبر على ما أصابك) يجوز أن يكون عاما في كل ما يصيبه من المحن وأن يكون خاصا بما يصيبه فيما أمره به من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من أذى من يعصيهم على الخير وينكر عليهم الشر (إن ذلك) مما عزمه الله من الامور أي قطعه قطع ايجاب والزام ومنه الحديث لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل أي لم يقطعه بالنية ألا ترى الى قوله عليه السلام لمن لم يبيت الصيام ومنه ان الله يحب أن يؤخذ برخصه كما يحب أن يؤخذ بعزائمه وقولهم عزمة من عزمات ربنا ومنه عزمات الملوك وذلك أن يقول الملك لبعض من تحت يده عزمت عليك لافعلت كذا اذا قال ذلك لم يكن للمعزوم عليه بد من فعله ولا مندوحة في تركه وحقيقته أنه من أمثلة المفعول بالمصدر وأصله من معزومات الامور أي مقطوعاتها ومفروضاتها ويجوز أن يكون مصدرا في معنى الفاعل أصله من عازمات الامور من قوله تعالى فاذا عزم الامر كقولك جد الامر وصدق القتال وناهيك بهذه الآية معوذة بتقدم هذه الطاعات وأنها كانت مأمورا بها في سائر الامم وأن الصلاة لم تزل عظيمة الشان سابقة القدم على ما سواها مأمورا بها في الاديان كلها * تصاعر وتصعر بالتشديد والتخفيف يقال أصعر خده وصعره وصاعره كقولك أعلاه وعلاه وعالاه يعني مرضه والصعر داء يصيب البعير يلوي منه عنقه والمعنى أقبل على الناس بوجهك تواضعا لا لوهم حق وجهك وصفحته كما يفعل المتكبرون * أراد (ولا تمش) تمرح (مرحا) أو أوقع المصدر موقع الحال بمعنى مرحا ويجوز أن يريد لا تمش لاجل المرح والاشر أي لا يكن غرضك في المشي البطالة والاشر كما يمشي كثير من الناس لذلك لا لحاجة مهم دينية أو دنيوية ونحوه قوله تعالى ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس * والمختال مقابل للماشي مرحا * وكذلك الفخور للمصعر خده كبرا (واقصد في مشيك) واعدل فيه حتى يكون مشيا بين مشيين لا تدب دبيب المتماوتين ولا تثب وثب الشطار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن وأما قول عائشة في عمر رضي الله عنهما كان اذا مشى أسرع فلما أرادت السرعة الرقيقة عن دبيب المتماوت * وقرئ واقصد بقطع الهمزة أي سدد في مشيك من أقصد الرامي اذا سدد سهمه نحو الرمية (واغضض من صوتك) وانقص منه واقصر من قولك فلان يغض من فلان اذا قصر به ووضع منه (أنكر الاصوات) أوحشها من قولك شيء نكر اذا أنكرته النفوس واستوحشت منه ونفرت * والحمار مثل في الذم البليغ والشتيمة وكذلك نهاق ومن استفحاشهم لذكره يحمدلونه اذا سمعوا بعضهم يكنون عنه ويرمون عن التصريح به فيقولون الطويل الاذنين كما يكنى عن الاشياء المستقذرة وقد عد في مساوئ الآداب أن يجري ذكر الحمار في مجلس قوم من أولى المروءة من العرب من لا يركب حمارا استنكافا وان بلغت منه الرجلة فتشبيه الرافعين أصواتهم بالحمير وتمثيل أصواتهم بالنهاق ثم اخلاء الكلام من لفظ التشبيه واخراجه مخرج الاستعارة وأن جعلوا حمرا وصوتهم نهاقا مبالغة شديدة في الذم والتهجين وافراط في التثبيط عن رفع الصوت والترغيب عنه وتنبيه على أنه من كراهة الله بمكان (فان قلت) لم وحد صوت الحمير ولم يجمع (قلت) ليس المراد أن يذكر صوت كل واحد من آحاد هذا الجنس حتى يجمع وانما المراد أن كل جنس من الحيوان الناطق له صوت وأنكر أصوات هذه الاجناس صوت هذا الجنس فوجب توحيده (ما في السموات) كالشمس والقمر والنجوم والسحاب وغير ذلك (وما في الارض) كالبحار والانهار والمعادن والدواب وما لا يحصى (وأسبغ) قرئ بالسين والصاد وهكذا كل سين اجتمع معه الغين والخاء والقاف تقول في سلخ صلخ وفي سقر صقر وفي سالغ صالغ * وقرئ نعمه ونعمة

يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الامور ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الارض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور واقصد في مشيك واغضض من صوتك ان أنكر الاصوات لصوت الحمير ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا

حبة من خردل فتكن في صخرة (قال فيه هذا من البديع الذي يسمى التتميم) قال أحمد يعني انه تمم حبتها في نفسها باختفاء مكانها من الصخرة وهو من وادي قولها كأنه علم في رأسه نار

ونعمته (فان قلت) ما النعمة (قلت) كل نفع قصد به الاحسان والله تعالى خلق العالم كله نعمة لانها ما حيوان واما غير حيوان فليس بحيوان نعمة على الحيوان والحيوان نعمة من حيث ان ايجاده حيا نعمة عليه لانه لولا ايجاده حيا لما صح منه الانتفاع وكل ما أدى الى الانتفاع وصحته فهو نعمة (فان قلت) لم كان خلق العالم مقصودا به الاحسان (قلت) لانه لا يخلقه الا لغرض والا كان عبثا والعبث لا يجوز عليه ولا يجوز أن يكون الغرض راجع اليه من نفع لانه غني غير محتاج الى المنافع فلم يبق الا أن يكون الغرض يرجع الى الحيوان وهو نعمه *(فان قلت) فما معنى الظاهرة والباطنة (قلت) الظاهرة كل ما يعلم بالمشاهدة والباطنة ما لا يعلم الا بالدليل أو لا يعلم أصلا فكم في بدن الانسان من نعمة لا يعلمها ولا يهتدي الى العلم بها وقد أكثر والى ذلك فمن جاهد الظاهرة ظهور الاسلام والنصرة على الاعداء والباطنة الامداد من الملائكة ومن الحسن رضي الله عنه الظاهرة الاسلام والباطنة الستر ومن الحسين الظاهر حسن الصورة واعتدال القامة ونسوية الاعضاء والباطنة المعرفة وقيل الظاهرة البصر والسمع واللسان وسائر الجوارح الظاهرة والباطنة القلب والعقل والفهم وما أشبه ذلك ويروى في دعاء موسى عليه السلام الهي دائي على أخوفي نعمتك علي عبادك فقال أخوفي نعمتي عليهم أنفاسي ويروى ان أيسر ما يعذب به أهل النار الاخذ بالانفاس *معناه (أي ينسبونهم (ولو كان الشيطان يدعوهم) أي في حال دعاء الشيطان ياهم الى العذاب *قرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومن سلما بالتشديد يقال أسر أمره وسلمأمره الى الله (فان قلت) ما الله عدي بالى وقد عدي باللام في قوله لي من أسلم وجهه لله (قلت) معناه مع اللام أنه جعل وجهه وهو ذاته ونفسه سالما لله أي خالصا له ومسلما مع الى أنسلم اليه نفسه كما يسلم المتاع الى الرجل اذا دفع اليه والمراد التوكل عليه والتفويض اليه (فقد استمسك بالعروة الوثقى) من باب التمثيل مثلت حال المتوكل عالما من أراد أن يتدلى من شاهق فاحتاط لنفسه بان استمسك بأوثق عروة من حبل متين مأمون انقطاعه (والى الله عاقبة الامور) أي هي صائرة اليه *قرئ يحزنك ويحزنك من حزن وأحزن والذي عليه الاستعمال المستفيض أحزنه ويحزنه والمعنى لا يهمك كفر من كفر وكيده للاسلام فان الله معز دينه دافع كيده في نحره ومنتقم منه ومعاقبه على عمله (ان الله) بكل ما يصدر عباده فيفعل بهم على حسبه (نمتعهم) ما دنا (قليلا) بسنيهم (ثم نضطرهم الى عذاب غليظ) شبه الزامهم التعذيب وارهاقهم اياه باضطرار المضطر الى الشيء الذي لا يتمكن من الانفكاك عنه والغلظ مستعار من الاجرام الغليظة لمزاد الشدة والثقل على المعذب (قل الحمد لله) الزام لهم على اقرارهم بان الذي خلق السموات والارض هو الله وحده وأنه يجب أن يكون له الحمد والشكر وأن لا يعبد معه غيره ثم قال (بل أكثرهم لا يعلمون) أن ذلك لازم لهم واذا نبهوا عليه لم ينتبهوا (ان لله ما في السموات والارض) من حمد لما سوى المستحق للحمد وان لم يحمدوه *قرئ والبحر بالنصب عطفا على اسم أن وبالرفع عطفا على محل أن وما عملت فيه ولو ثبت كون الاشجار أقلاما وثبت البحر يمدونه اسبعة أبحر أو على الابتداء والواو للحال على معنى ولو أن الاشجار أقلام في حال كون البحر ممدودا وفي قراءة ابن مسعود ويجري عدة على التذكير ويجب أن يحمل هذا على الوجه الاول *وقرئ يمده ويمده بالتاء والياء (فان قلت) كان مقتضى الكلام أن يقال ولو أن الشجر اقلام والبحر مداد (قلت) أغنى عن ذكر المداد قوله عدة لانه من قولك مد الدواة وأمدها جعل البحر الاعظم بمنزلة الدواة وجعل الابحر السبعة ملوءة مدادا فهي تمد فمدادها أبدا صالح للانتفاع والمعنى ولو أن أشجار الارض أقلام والبحر الذي هو بسبعة أبحر وكثرت تلك الاقلام وذلك المداد كلت الاقلام ونفدت كلمات الله وما نفدت كقوله تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي (فان قلت) زعمت أن قوله والبحر عدة حال في أحد وجهي الرفع وليس فيه ضمير يرجع الى ذي الحال (قلت) هو كقوله * وفدا عندي والمنية فركتها * وحذفت والبيض مصلتة وما شابه ذلك من الاحوال التي تكثر احكام الظروف ويجوز أن يكون للبحر وجمعها والضمير للارض (فان قلت) لم قيل من شجرة على التوحيد دون اسم الجنس الذي هو شجر (قلت) أريد

أولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى والى الله عاقبة الامور ومن كفر فلا يحزنك كفره الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا ان الله عليم بذات الصدور نمتعهم قليلا ثم نضطرهم الى عذاب غليظ ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون لله ما في السموات والارض ان الله هو الغني الحميد ولو أن ما في الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله

*قوله تعالى ثم نضطرهم الى عذاب غليظ (قال شبه الزامهم التعذيب باضطرار المضطر الى الشيء الذي لا يتمكن من الانفكاك عنه) قال أحمد وتفسير هذا الاضطرار في الحديث في انهم لشدة عماكا يدون من النار يطلبون الرد فيرسل الله عليهم الزمهرير فيكون عليهم كشدة اللهب فيتمنون عود اللهب اضطرارا الى ما هو أخف منه من اضطرار وبأدنى هذه البلاغة

تعلق الكندي حيث يقول ... يرون الموت قد لما وخلفا * فيختارون ما لاقوا اضطرارا

تفصيل الشجر وتقصيبها شجرة شجرة حتى لا يبقى من جنس الشجر ولا واحدة الا قدرت أقلاما (فان قلت) الكلمات جمع قلة والموضع موضع التكثير لا التقليل فهلا قيل كلم الله (قلت) معناه ان كلماته لا تفى بكتبها البحار فكيف بكلامه وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنها نزلت جوابا لليهود لما قالوا قد أوتينا التوراة وفيها كل الحكمة وقيل ان المشركين قالوا ان هذا يعنون الوحى كلام سينفد فاعلم الله أن كلامه لا ينفد وهذه الآية عندهم مدنية وانما نزلت بعد الهجرة وقيل هى مكية وانما أمر اليهود وقد قريش أن يقولوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ألست تتلو فيما أنزل عليك أنا قد أوتينا التوراة وفيها علم كل شئ (ان الله عزيز) لا يعجزه شئ (حكيم) لا يخرج من علمه وحكمته شئ ومثله لا تنفد كلماته وحكمه (الا كنفس واحدة) الا كخلقها وبعثها أى سواء فى قدرته القليل والكثير والواحد والجمع لا يتفاوت وذلك أنه انما كانت تتفاوت النفس الواحدة والنفوس الكثيرة العدد أن يشغله شأن عن شأن وفعل عن فعل وقد تعالى عن ذلك (ان الله سميع بصير) يسمع كل صوت ويبصر كل مبصر فى حالة واحدة لا يشغله ادراك بعضها عن ادراك بعض وكذلك خلقها والبعث * كل واحد من الشمس والقمر يجرى فى فلكه ويتطعه الى وقت معلوم الشمس الى آخر السنة والقمر الى آخر الشهر وعن ابن عمر الاجل المسمى يوم القيامة لانه لا يتقطع جريهما الا حينئذ دل أيضا بالليل والنهار وتعاقبهما وايلاجهما وتقصانهما وجرى النيرين فى فلكهما كل ذلك على تقدير وحساب وباحاطته بجميع أعمال الخلق على عظم قدرته وحكمته (فان قلت) يجرى لاجل مسمى ويجرى الى أجل مسمى أهو من تعاقب الحرفين (قلت) كلا ولا يسلك هذه الطريقة الا البليد الذهن ضيق العطن ولكن المعنيين أعنى الانتهاء والاختصاص كل واحد منهما ملائم لحمة الغرض لان كل ذلك يجرى الى أجل مسمى معناه يبلغه وينتهى اليه وقولك يجرى لاجل مسمى تريد يجرى لانه أجل مسمى فجعل الجرى مختصا لذلك أجل مسمى الا ترى أن جرى الشمس مختص بآخر السنة وجرى القمر مختص بآخر الشهر فكلا المعنيين غير ناب عن صاحبه (ذلك) الذى وصف من عجائب قدرته وحكمته انى بكونها الاحياء القادرون العالمون فكيف بالجماد الذى تعبدونه من دون الله (هو بسبب أنه هو الحق الثابت الهيته وأن من دونه باطل الالهية (وأن الله هو العلى) الشأن (الكبير) السلطان أو ذلك الذى أوحى اليك من هذه الآيات بسبب بيان أن الله هو الحق وأن الاصنام باطل وأن الله هو العلى الكبير عن أن يشرك به * قرئ الملائكة بضم اللام ونقل فعل يجوز فيه فعل كما يجوز فى كل فعل على مذهب النقويض * وينهمات للسكون العارض وعين فعلات يجوز فيها الفتح والكسر والسكون (بنعمة الله) باحسانه ورحمته (صبار) على بلائه (شكور) لنعمائه وهما صفتا المؤمن فكأنه قال ان فى ذلك لآيات لكل مؤمن * ويرفع الموج ويترا كب فيه وهو مثل الظل والظلل كل ما أظلك من جبل أو سحاب أو غيرهما * وقرئ كالظلال جمع ظلة كقلة وقلال (فمنهم مقتصد) متوسط فى الكفر والظلم مخفض من غلوائه وانما يجحد بعض الانجاز أو مقتصد فى الاخلاص الذى حكمان عليه فى البحر بنى أن ذلك الاخلاص انما حدث عند الخوف لا يبقى لاحد قط والمقتصد قليل نادر وقيل مؤمن ثبت على ما عاهد عليه الله فى البحر أو المقتر أمد الغدر ومنه هو لهم لثلاثة لعشر ليمض عشر الاحد ثالث باعاس حتر قال

وانك لو رأيت أبا عمير * ملأت يديك من غدر وختر

(لا يجزى) لا يقضى عنه شيأ ومنه قيل للقاضى الجازى وفى الحديث فى جذعة ابن نيار تجزى عنك ولا تجزى عن أحد بعدك * وقرئ لا يجزئ لا يغنى يقال أجزأت عنك جزأ فلان والمعنى لا يجزى فيه فحذف (الغرور) الشيطان وقيل الدنيا وقيل كتكم فى المعصية للغفرة وعن سعيد بن جبير رضى الله عنه الغرة بالله أن يغادى الرجل فى المعصية * وبنى على الله للغفرة وقيل ذكرك لحسناتك ونسيانك لسيآتك غرة * وقرئ بضم الغين وهو مصدر غره غرورا جعل الغرور غارا كقيل جده جده أو أريد بزينة الدنيا انها غرور

ان الله عزيز حكيم
ما خلقكم ولا بعثكم
الا كنفس واحدة
ان الله سميع بصير ألم تر
أن الله يولج الليل فى
النهار ويولج النهار فى
الليل وسخر الشمس
والقمر كل يجرى الى
أجل مسمى وأن الله
بما تعملون خبير ذلك
بان الله هو الحق وأن
ما يدعون من دونه
الباطل وأن الله هو
العلى الكبير ألم تر أن
الفلك تجرى فى البحر
نعمة الله ليريكم من
آياته ان فى ذلك لآيات
لكل صبار شكور
واذا غشيهم موج
كالظلل دعوا الله
مخلصين له الدين فلما
نجاهم الى البر فمنهم
مقتصد وما يجحد
بآياتنا الا كل ختار
كفور يا أيها الناس
اتقوا ربكم واخشوا
يوما لا يجزى والد عن
ولده ولا مولود هو جاز
عن والده شيأ ان وعد
الله حق فلا تغرنكم
الحيوة الدنيا ولا يغرنكم
بالله الغرور

* قوله تعالى يا أيها الناس اتقوا ربكم الى قوله شيأ (قال ان قلت لم أكد الجملة الثانية دون الاولى قلت لان أكثر المسلمين كان آباؤهم قد ماتوا على الكفر فلما كان اغناء الكافر عن المسلم بعيدا لم يحتج تأكيدا ولما كان اغناء المسلم عن الكافر قد يتسع في الاوهام

(فان قلت) قوله ولا مولود هو جار عن والده شيأ وارد على طريق من التوكيد لم يرد عليه ما هو منطوف عليه (قلت) الامر كذلك لان الجزء الاسمية آكد من الفعلية وقد انضم الى ذلك قوله هو وقوله مولود والسبب في مجيئه على هذا السنن أن الخطاب للوالد متيقن وليس هم آباؤهم على الكفر وعلى الدين الباطل فاريد حسم أطماعهم وأطماع الناس فيهم أن يتقصوا آباءهم في الآخرة وأن يشفعوا لهم وأن ينتفعوا من الله شيأ فلذلك جيء به على الطريق الاكد وهو نفي التوكيد في لفظ المولود أن الواحد منهم لو شفع للابعد الادنى الذي ولده منعلم تقبل شفاعته فضلا أن يشفع ان فوقه من أجداده لان الوالد يقع على الولد وولد الولد بخلاف المولود فانه لن ولد منذ ترى أن رجلا من خراب بر هو اطرت من عمرو بن حارثة الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أخبرني عن الساعة متى قيامها وانى قد ألقيت حبائق في الارض وقد أبطأت عنا السماء فاني قطر وأخبرني عن امرأتي فقد اشتملت على بطنها أذكر أم أنثى وانى علمت ما عملت أمس فما أعمل غدا وهذا مولدي قد عرفته فأين أموت فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله عنده علم الغيب خمس وتلا هذه الآية وعن ابن عباس رضي الله عنهما من اتى عراف فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين صباحا وعن النبي صلى الله عليه وسلم من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من الجاهلية الفخر بالاحساب والطعن في الانساب والاستسقاء بالنجوم وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نقص قوم المكيال والميزان الا ابتلوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان وما منع قوم الزكاة الا حبس عنهم القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا ولا خفر قوم الذمة الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكم قوم بغير الحق الا فشا فيهم القتل ولا ظهر في قوم اللواط والزنا الا أحل الله بهم الموت ولا طفف قوم المكيال الا منعوا النبات وأخذوا بالقحط وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من قوم يظهر فيهم الزنا الا ظهر فيهم الموت وما من قوم يظهر فيهم الربا الا أخذوا بالسنة وما من قوم يظهر فيهم الرشا الا أخذوا بالرعب وما من قوم يظهر فيهم الجور في الحكم الا ظهر فيهم القتل وما من قوم يمنعون الزكاة الا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا وما من قوم يظهر فيهم الخيانة الا سلط الله عليهم الفزع وما من قوم يظهر فيهم الزنا والربا الا أحل بأنفسهم العذاب وما من قوم يظهر فيهم الخمر الا سلبوا العقل ثم لا يعود اليهم أبدا وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من قرية ولا مدر ولا بادية لا يأتي عليها صباح الا وملكان موكلان بها ينظران ما يصنع الله بعباده من خير أو شر فيأمران بما يريد الله من خير أو شر وما كانت عاملة على خير فعملت شرا وعازمة على شر فعملت خيرا (وما تدري نفس) أي نفس كانت (ماذا تكسب غدا) من خير أو شر وما كانت عازمة على خير فعملت شرا وعازمة على شر فعملت خيرا (وما تدري نفس) أي نفس كانت (بأي أرض تموت) ان كان لم يخط بها ملك الموت فان الرجل منهم يهاجر الى القطر حتى يموت في أي أرض كان لم يخط بها ملك الموت وان كان قد خط بها ملك الموت فان الرجل منهم يخرج لحاجته فيقول لأهله لا تغسلوني ولا تكفنوني ولا تدفنوني فانا لست بميت انما أنا نائم وروي أن ملك الموت مر على سليمان فجعل ينظر الى رجل من جلسائه فنظر اليه فقال الرجل من هذا قال ملك الموت فقال كأنه يريدني وسأل سليمان أن يحمله على الريح ويلقيه ببلاد الهند ففعل ثم قال ملك الموت لسليمان كان دوام نظري اليه تعجبا منه لانى أمرت أن أقبض روحه بالهند وهو عندك وجعل العلم والدراية للعبد لباقي الدرجة من معنى الحيل والحيلة والمعنى أنها لا تعرف وان أتعبت حيلها ما بحثت عنها وبحثت ولا يحيط بها ولا شيء أخفى على الانسان من كسبه ومعاقبته فان الرجل يطرق الى معرة فيسمها كان من معرة ساعدها أبعد وقرئ بأية أرض تموت بتأنيث أي بأنيث أرض في قولهم كلتن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لقمان كان له لقمان رفيقا يوم القيامة وأعطى من الحسنات عشر أضعاف من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر

﴿سورة السجدة مكية وهي ثلاثون آية وقيل تسع وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الم) على أنها اسم السورة مبتدأ خبره (تنزيل الكتاب) وان جعلت تعديد الحروف ابتدأ تم تنزيل الكتاب بأنه خبر مبتدأ محذوف أو هو مبتدأ خبره (لا ريب فيه) والوجه أن يتم بالابتداء وخبره (من رب العالمين) ولا ريب فيها اعتراض لا محل له والضمير في فيه راجع الى مضمون الجملة كأنه قيل لا ريب في ذلك أي في كونه منزلا من رب العالمين ويشهد لوجاهته قوله (أم يقولون افتراه) لان قولهم هذا مفترى

كان لبراء الوالد عن الوالد مطلوبا فوقع لان الله عصمه عليه في الدنيا كان عصمه ابتداء كيد النمرود لابراهيم الوهم لا كذلك العكس فهذا ما حولت كاتبه شان العلم ان شاء الله تعالى

(ما تدري نفس) قوله ولا مولود هو جار عن والده شيأ وارد على طريق من التوكيد لم يرد عليه ما هو منطوف عليه (قلت) الامر كذلك لان الجزء الاسمية آكد من الفعلية وقد انضم الى ذلك قوله هو وقوله مولود والسبب في مجيئه على هذا السنن أن الخطاب للوالد متيقن وليس هم آباؤهم على الكفر وعلى الدين الباطل فاريد حسم أطماعهم وأطماع الناس فيهم أن يتقصوا آباءهم في الآخرة وأن يشفعوا لهم وأن ينتفعوا من الله شيأ فلذلك جيء به على الطريق الاكد وهو نفي التوكيد في لفظ المولود أن الواحد منهم لو شفع للابعد الادنى الذي ولده منعلم تقبل شفاعته فضلا أن يشفع ان فوقه من أجداده لان الوالد يقع على الولد وولد الولد بخلاف المولود فانه لن ولد منذ ترى أن رجلا من خراب بر هو اطرت من عمرو بن حارثة الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أخبرني عن الساعة متى قيامها وانى قد ألقيت حبائق في الارض وقد أبطأت عنا السماء فاني قطر وأخبرني عن امرأتي فقد اشتملت على بطنها أذكر أم أنثى وانى علمت ما عملت أمس فما أعمل غدا وهذا مولدي قد عرفته فأين أموت فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله عنده علم الغيب خمس وتلا هذه الآية وعن ابن عباس رضي الله عنهما من اتى عراف فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين صباحا وعن النبي صلى الله عليه وسلم من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من الجاهلية الفخر بالاحساب والطعن في الانساب والاستسقاء بالنجوم وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نقص قوم المكيال والميزان الا ابتلوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان وما منع قوم الزكاة الا حبس عنهم القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا ولا خفر قوم الذمة الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكم قوم بغير الحق الا فشا فيهم القتل ولا ظهر في قوم اللواط والزنا الا أحل الله بهم الموت ولا طفف قوم المكيال الا منعوا النبات وأخذوا بالقحط وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من قوم يظهر فيهم الزنا الا ظهر فيهم الموت وما من قوم يظهر فيهم الربا الا أخذوا بالسنة وما من قوم يظهر فيهم الرشا الا أخذوا بالرعب وما من قوم يظهر فيهم الجور في الحكم الا ظهر فيهم القتل وما من قوم يمنعون الزكاة الا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا وما من قوم يظهر فيهم الخيانة الا سلط الله عليهم الفزع وما من قوم يظهر فيهم الزنا والربا الا أحل بأنفسهم العذاب وما من قوم يظهر فيهم الخمر الا سلبوا العقل ثم لا يعود اليهم أبدا وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لقمان كان له لقمان رفيقا يوم القيامة وأعطى من الحسنات عشر أضعاف من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر

(ما تدري نفس) أي نفس كانت (ماذا تكسب غدا) من خير أو شر وما كانت عازمة على خير فعملت شرا وعازمة على شر فعملت خيرا (وما تدري نفس) أي نفس كانت (بأي أرض تموت) ان كان لم يخط بها ملك الموت فان الرجل منهم يهاجر الى القطر حتى يموت في أي أرض كان لم يخط بها ملك الموت وان كان قد خط بها ملك الموت فان الرجل منهم يخرج لحاجته فيقول لأهله لا تغسلوني ولا تكفنوني ولا تدفنوني فانا لست بميت انما أنا نائم وروي أن ملك الموت مر على سليمان فجعل ينظر الى رجل من جلسائه فنظر اليه فقال الرجل من هذا قال ملك الموت فقال كأنه يريدني وسأل سليمان أن يحمله على الريح ويلقيه ببلاد الهند ففعل ثم قال ملك الموت لسليمان كان دوام نظري اليه تعجبا منه لانى أمرت أن أقبض روحه بالهند وهو عندك وجعل العلم والدراية للعبد لباقي الدرجة من معنى الحيل والحيلة والمعنى أنها لا تعرف وان أتعبت حيلها ما بحثت عنها وبحثت ولا يحيط بها ولا شيء أخفى على الانسان من كسبه ومعاقبته فان الرجل يطرق الى معرة فيسمها كان من معرة ساعدها أبعد وقرئ بأية أرض تموت بتأنيث أي بأنيث أرض في قولهم كلتن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لقمان كان له لقمان رفيقا يوم القيامة وأعطى من الحسنات عشر أضعاف من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر

﴿سورة السجدة مكية وهي ثلاثون آية وقيل تسع وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الم) على أنها اسم السورة مبتدأ خبره (تنزيل الكتاب) وان جعلت تعديد الحروف ابتدأ تم تنزيل الكتاب بأنه خبر مبتدأ محذوف أو هو مبتدأ خبره (لا ريب فيه) والوجه أن يتم بالابتداء وخبره (من رب العالمين) ولا ريب فيها اعتراض لا محل له والضمير في فيه راجع الى مضمون الجملة كأنه قيل لا ريب في ذلك أي في كونه منزلا من رب العالمين ويشهد لوجاهته قوله (أم يقولون افتراه) لان قولهم هذا مفترى

(فان قلت) قوله ولا مولود هو جار عن والده شيأ وارد على طريق من التوكيد لم يرد عليه ما هو منطوف عليه (قلت) الامر كذلك لان الجزء الاسمية آكد من الفعلية وقد انضم الى ذلك قوله هو وقوله مولود والسبب في مجيئه على هذا السنن أن الخطاب للوالد متيقن وليس هم آباؤهم على الكفر وعلى الدين الباطل فاريد حسم أطماعهم وأطماع الناس فيهم أن يتقصوا آباءهم في الآخرة وأن يشفعوا لهم وأن ينتفعوا من الله شيأ فلذلك جيء به على الطريق الاكد وهو نفي التوكيد في لفظ المولود أن الواحد منهم لو شفع للابعد الادنى الذي ولده منعلم تقبل شفاعته فضلا أن يشفع ان فوقه من أجداده لان الوالد يقع على الولد وولد الولد بخلاف المولود فانه لن ولد منذ ترى أن رجلا من خراب بر هو اطرت من عمرو بن حارثة الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أخبرني عن الساعة متى قيامها وانى قد ألقيت حبائق في الارض وقد أبطأت عنا السماء فاني قطر وأخبرني عن امرأتي فقد اشتملت على بطنها أذكر أم أنثى وانى علمت ما عملت أمس فما أعمل غدا وهذا مولدي قد عرفته فأين أموت فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله عنده علم الغيب خمس وتلا هذه الآية وعن ابن عباس رضي الله عنهما من اتى عراف فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين صباحا وعن النبي صلى الله عليه وسلم من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من الجاهلية الفخر بالاحساب والطعن في الانساب والاستسقاء بالنجوم وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نقص قوم المكيال والميزان الا ابتلوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان وما منع قوم الزكاة الا حبس عنهم القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا ولا خفر قوم الذمة الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكم قوم بغير الحق الا فشا فيهم القتل ولا ظهر في قوم اللواط والزنا الا أحل الله بهم الموت ولا طفف قوم المكيال الا منعوا النبات وأخذوا بالقحط وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من قوم يظهر فيهم الزنا الا ظهر فيهم الموت وما من قوم يظهر فيهم الربا الا أخذوا بالسنة وما من قوم يظهر فيهم الرشا الا أخذوا بالرعب وما من قوم يظهر فيهم الجور في الحكم الا ظهر فيهم القتل وما من قوم يمنعون الزكاة الا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا وما من قوم يظهر فيهم الخيانة الا سلط الله عليهم الفزع وما من قوم يظهر فيهم الزنا والربا الا أحل بأنفسهم العذاب وما من قوم يظهر فيهم الخمر الا سلبوا العقل ثم لا يعود اليهم أبدا وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لقمان كان له لقمان رفيقا يوم القيامة وأعطى من الحسنات عشر أضعاف من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر

﴿سورة السجدة مكية وهي ثلاثون آية وقيل تسع وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الم) على أنها اسم السورة مبتدأ خبره (تنزيل الكتاب) وان جعلت تعديد الحروف ابتدأ تم تنزيل الكتاب بأنه خبر مبتدأ محذوف أو هو مبتدأ خبره (لا ريب فيه) والوجه أن يتم بالابتداء وخبره (من رب العالمين) ولا ريب فيها اعتراض لا محل له والضمير في فيه راجع الى مضمون الجملة كأنه قيل لا ريب في ذلك أي في كونه منزلا من رب العالمين ويشهد لوجاهته قوله (أم يقولون افتراه) لان قولهم هذا مفترى

* قوله تعالى يا أيها الناس اتقوا ربكم الى قوله شيأ (قال ان قلت لم أكد الجملة الثانية دون الاولى قلت لان أكثر المسلمين كان آباؤهم قد ماتوا على الكفر فلما كان اغناء الكافر عن المسلم بعيدا لم يحتج تأكيدا ولما كان اغناء المسلم عن الكافر قد يتسع في الاوهام

أ كد نفيه) قال أحمد وهذا الجواب توقف عنده على ان هذا الخطاب كان خاصا بالموجودين حينئذ والصحيح انه عام لهم ولكل من ينطلق عليه اسم الناس فالجواب المعتبر والله أعلم ان الله تعالى لما أكد الوصية على الآباء وقرن شكرهم

ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت ان الله عليم خبير

﴿سورة السجدة مكية وهي ثلاثون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه

وجوب شكرهم عز وجل وأوجب على الوالد أن يكفي والده ما سواه بسبب نهاية امكانه قطع هنا وهم الوالد في ان يكون الولد في القيامة عز يعضه عليه ويكفيه ما يلقاه من أهوال القيامة كما أوجب الله عليه في الدنيا ذلك في بعضه فلا

﴿القول فى سورة السجدة﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ * قوله تعالى لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك (قال يعنى قريشا لانها لم يبعث فى بنى قط فان قلت ان لم (٢٠٠) يتقدم بعث نبى اليهم فهم قامت عليهم الحجة قلت قيام الحجة بالشرائع التى لا يدرك علمها الا بالرسل لا بمعرفة الله تعالى وتوحيده وحكمته فهم لان أدلة العقل معهم فى كل زمان) قال أحمد مذهب أهل السنة انه لا يدرك علم شئ من أحكام الله تعالى بل هو الحق من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون الله الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش مالكم من دونه من ولى ولا شفيع أفلا تتذكرون يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم الذى أحسن كل شئ خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون وقالوا أئذا ضللنا فى الارض أئنا لفى خلق جديد بل هم بلقاء ربهم كافرون قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول منى لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا انا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذبون ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر لعلهم يرجعون ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها انا من المجرمين منتقمون ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن فى مرية من لقائه وجعلناه هدى لبنى اسرائيل وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون أولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم ان فى ذلك لآيات أفلا يسمعون أولم يروا أنا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون فأعرض عنهم وانتظر انهم منتظرون

الانكار لان يكون من رب العالمين وكذلك قوله (بل هو الحق من ربك) ومنه من تقرر أنه من الله وهذا أسلوب صحيح محكم أثبت أولا أن تنزيله من رب العالمين وان ذلك مما لا ريب فيه ثم أضرب عن ذلك الى قوله أم يقولون افتراه لان أم هى المنقطعة التى تقدر ببل والهمزة لانكارهم فبكتهم وتجهلهم فى تخريفاتهم عن مثل تلك آيات منه ثم أضرب عن الانكار الى اثبات أنه الحق من ربك ونظيره أن يعمل العالم فى المسئلة عملة صحيحة جامعة قد احترز فيها أنواع الاحتراز كقول المتكلمين النظر أول الافعال الواجبة على الاطلاق التى لا يجرى عن وجوبها امكان ثم يعترض عليه فيما يجرى مجرى ما وقع احترازا منه فيرده بتلخيص أنه احترز من ذلك ثم يعود الى تقرير كلامه وتشييته (فان قلت) كيف نفى أن يرتاب فى أنه من الله وقد أثبت ما هو أظم من الريب وهو قولهم افتراه (قلت) معنى لا ريب فيه أن لا مدخل للريب فى أنه تنزيل الله لان نافى الريب وميطه مما لا يتفك عنه وهو كونه معجز البشر ومثله أعنى من الريب وأما قولهم افتراه فاما قول متعنت مع علمه أنه من الله ظهور الاعجاز له أو جاهل قوله قبل التأمل والنظر لانه سمع الناس يقولونه (ما أتاهم من نذير من قبلك) كقوله ما أنذر آباؤهم وذلك أن قريشا لم يبعث الله اليهم رسولا قبل محمد صلى الله عليه وسلم (فان قلت) فالم يأتهم نذير ثم تقم بلهم حجة (قلت) أما قيام الحجة بالشرائع التى لا يدرك علمها الا بالرسل فلا وأما علمها بمعرفة الله وتوحيده وحكمته فهم لان أدلة العقل الموصلة الى ذلك معهم فى كل زمان (لعلهم يهتدون) فيه وجهان أن يكون على الترجى من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان لعله يتذكر على الترجى من موسى وهرون عليهما السلام وأن يستمر لفظ الترجى للارادة (فان قلت) ما معنى قوله (مالكم من دونه من ولى ولا شفيع) (قلت) هو على معنيين أحدهما أنكم اذا جاوز تم رضاه لم تجدوا لانفسكم ولياً ينصركم ولا شفيعا يشفع لكم والثانى أن الولى لكم الذى يتولى مصالحكم وشفيعكم أى ناصركم على سبيل المجاز لان الشفيع ينصر المشفوع له فهو كقوله تعالى ومالكم من دون الله من ولى ولا نصير فاذا انتفى لكم ولى ولا نصير (الامر) المأمور به من الطاعات والاعمال الصالحة ينزله مدبرا (من السماء الى الارض) ثم لا يعمل به ولا يصعد اليه ذلك الامر به خالصا كما يريده ويرتضيه الا من عده متقلبا له اقرة عالى الله والتخلص من عباده وقوله (فى يوم) الصاعدة لا لا يوصف الصعود الا الخالص ودل عليه قوله على أنه قليلا ما تتذكرون أو يدبر أمر الدنيا كلها من السماء الى الارض لكل يوم من أيام الله وهو ألف سنة كما قال وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون (ثم يعرج اليه) أى يصير اليه ويثبت عنده ويكتب فى صحف ملائكته كل وقت من أوقات هذه المدة ما يرتفع من ذلك الامر ويدخل تحت الوجود الى أن ينتهى المدة آخرها ثم يدبر أيضا يوما آخر وهلم جرا الى أن تقوم الساعة وقيل ينزل الوحى مع جبريل عليه السلام من السماء الى الارض ثم يرجع اليه ما كان من قبول الوحى أو رده مع جبريل وذلك فى وقت هو فى الحقيقة ألف سنة لان المسافة مسيرة ألف سنة فى الهبوط والصعود لان مابين السماء والارض مسيرة خمسمائة سنة وهو يوم من أيامكم لسرعة جبريل لانه يقطع مسيرة ألف سنة فى يوم واحد وقيل يدبر أمر الدنيا من السماء الى الارض الى أن تقوم الساعة ثم يعرج اليه ذلك الامر كله أى يصير اليه ليحكم فيه (فى يوم كان مقداره ألف سنة) وهو يوم القيامة وقرأ ابن أبى عبلة يعرج على البناء للمفعول * وقرئ يعبدون بالتاء والياء (أحسن كل شئ) حسنه لانه ما من شئ خلقه الا وهو مرتب على ما اقتضته الحكمة وأوجبته المصلحة فجميع المخلوقات حسنة وان تفاوتت الى حسن وأحسن كما قال لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم وقيل علم كيف يخلقه من قوله فيما يحسن وحقيقته يحسن معرفته أى يعرفه معرفة حسنة بحقيقى واتقان وقرئ خلقه على البدل أى أحسن فقد خلق كل شئ وخلقه على الوصف أى كل شئ خلقه فقد أحسنه * سميت الذرية نسلا لانها تنسل منه أى

كانت أشق على العرب من الرسل الهم كانوا هم أسعد وغيرهم والمراد بقوله تعالى ما أتاهم من نذير يعنى تفصيل قرية العرب فى زمانه عليه الصلاة والسلام أى لم يبعث اليهم نذير معاصر فلطف الله تعالى بهم وبعث اليهم رسولا منهم صلى الله عليه وسلم

تنفصل منه وتخرج من صلبه ونحوه قولهم الولد سليل وخذل و (سواء) قومه كقوله تعالى في أحسن تقويم * ودل باضافة الروح الى ذاته على انه خلق عجيب لا يعلم كنهه الا هو كقوله ويسألونك عن الروح الآية كأنه قال ونفخ فيه من الشيء الذي اختص هو به وبعرفته (وقالوا) لعل القائل أبي بن خلف ولرضاهم بقوله أسند اليهم جميعا * وقرئ أئذا وائنا على الاستفهام وتركه (ضللنا) صرنا ترابا وذهبنا مختلطين بتراب الارض لا نتميز منه كما يضل الماء في اللبن أو غبنا (في الارض) بالدفن فيها من قوله * وآب مضلوه بعين جلية * وقرأ علي وابن عباس رضي الله عنهما ضللنا بكسر اللام يقال ضل يضل وضل يضل وقرأ الحسن رضي الله عنه صللنا من صل اللحم وأصل اذا أنتن وقيل صرنا من جنس المسلة وهي الارض (قال قلت) ثم انتصب الظرف في أئذا ضللنا (قلت) عامل عليه انا لمبعوثون خلق جديد وهو بعث أو نعيد خلقنا * لقاءربهم هو الوصول الى العاقبة من تلقي ملك الموت وما وراءه فلما ذكر كفرهم بالانشاء أضرب عنه الى ما هو أبلغ في الكفر وهو أنهم كافرون بجميع ما يكون في العاقبة لا بالانشاء وحده ألا ترى كيف خوطبوا بتوفي ملك الموت وبالرجوع الى ربهم بعد ذلك سمعوا بين الحساب والجزاء وهذا معنى ابتداء الله على ما ذكرنا * والتوفي استيفاء النفس وهي الروح قال الله تعالى الله يتوفى الانفس وقال أنوجوا أنفسكم وهو أن يقبض كلها الا ترك منها شيئا من قولك توفيت حقي من فلان واستوفيته اذا أخذته وافيا كاملا من غير نقصان والفعل والاسم يلتقيان في مواضع منها انتقاله واستحقاقه وعن مجاهد رضي الله عنه حوّل ملك الموت الارض وجعل له مثل الطست يتناول منها حيث شاء وعن قتادة بتوفاهم وحده أعوان من الملائكة وقيل ملك الموت يعم الارواح فتحيى بأمر أعوانه بقبضها (ولو ترى) يجوز أن يكون خطابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وجهان أن يراد به الغني كأنه قال ولو ترى يا محمد لرأيت أمرا فظيعا وأن يكون خطابا لكل من تتأتى منه الرؤية كقوله صلى الله عليه وسلم للعير لو نطرت اليها والنبي رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان الترجي له في علمهم دون الله تعالى ليتحسر عليهم المخلص ومن عداهم سم وشرارهم بخذلان الله له تعالى أن يراهم على تلك الصفة المظلمة من اليأس والحزن والغم ليتمتعهم وأن تكون لو الامتناعية فتحذف جوابها كقولهم لو رأيت أمي اطيب أو رأيت أسوأ حال ترى ويجوز أن يخاطب به كل أحد كما تقول فلان لئيم ان أكرمته أهانك وان أحسنت اليه أساء اليك فلا تريد مخاطبة بعينه وكذلك قلت ان أكرم وان أحسن اليه ولو وإذ كلها هي الماضي وانما جاز ذلك لان الترجي من الله بمنزلة الوجود فتطرح به في تحققه ولا يبعد لترى ما يدهلك كأنه قيل ولو تكون مثل الرؤية واقعة لك * ناكسوا رؤسهم (ربنا أبصرنا وسمعنا) فالآن بينا نبصر صدق وعدك ووعيدك وسمعنا منك تصديق رسلك أو كنا عميا وصما فأبصرنا وسمعنا (فارجعنا) هي الرجعة الى الدنيا (لا نبالي نفعل هذا أم) على طريق الايجاب والقسم بأنا لا نبالي على الاختيار ايهما فعلنا لاستواء الامرين عندنا لاضطرارنا الى الهدى فقدت كلمة المنفي على أهل المعنى دون البصر لانا نرى الى ما عليه بعض من يقوله (ولو شئنا لآتينا) لجعلنا نؤمن اضطرارا (كل نفس هداها) لاختارت الهدى ولكنا لم نشأ الا الاختيار ومن اختار اختير له الهدى فحقت كلمة العذاب على أهل العمى دون البصراء الا ترى الى ما عقبه به من قوله (فذوقوا بما نسيتم) فجعل ذوق العذاب نتيجة تعاميهم من نسيان العاقبة وقلة الفكر فيها وترك الاستعداد لها والمراد بالنسيان خلاف التذكر يعني أن الانهماك في الشهوات أذهلكم وألهاكم عن تذكر العاقبة وسلط عليكم نسيانها ثم قال (انا نسيناكم) على المقابلة أي جازيناكم جزاء نسيانكم وقيل هو بمعنى الترك أي تركتم الفكر في العاقبة فتركناكم من الرحمة وفي استئناف قوله انا نسيناكم وبناء الفعل على ان واسم الله تشديد في الانتقام منهم والمعنى فذوقوا هذا أي ما أنتم فيه من نكس الرؤس والخزي والغم بسبب نسيان اللقاء * وذوقوا العذاب الخلد في جهنم بسبب ما عملتم من المعاصي والكبائر الموبقة (اذا ذكروا بها) أي وعظوا بها سجدوا تواضعا لله وخشوعا وشكرا على ما رزقهم من الاسلام (وسبحوا بحمد ربهم) ونزهوه والله من نسبة ما لا يليق به وأنعوا عليه حامدين له (وهم لا يستكبرون) كما يفعل من يصر مستكبرا كان لم يسمعها ومثله قوله تعالى ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا (تتجافى) ترتفع وتنحى (عن المضاجع) عن الفرش ومواضع النوم * داعين ربهم عابدين له لاجل خوفهم من سخطه وطمعهم في رحمته وهم المتهجدون وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في تفسيرها قيام العبد من الليل وعن الحسن رضي الله عنه أنه التهجد وعن رسول الله

تم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون وقالوا أئذا ضللنا في الارض أئنا لفي خلق جديد بل هم بلقاء ربهم كافرون قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا انا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون تتجافى جنوبهم عن المضاجع

* قوله تعالى وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون (قال معناه بما كنتم تعملون من الكفر والكبائر الموبقة) قال أحمد فتقدم عن مذاهب أهل السنة ان المقتضي لاستحقاق الخلود في العذاب هو الكفر خاصة وأما ما دونه من الكبائر فلا يوجب

تخلدوا والمسئلة سمعية وأدلتها من الكتاب والسنة قطعية خلافا للقدرية * قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون (قال هذا حسم لاطماع المتمنين) قال أحمد يشير الى أهل السنة لاعتقادهم أن المؤمن العاصي موعود بالجنة ولا بد من دخوله اياها وفاء بالوعد الصادق وان أحدا لا يستحق على الله بعمله شيأ فلما وجد قوله تعالى جزاء بما كانوا يعملون اغتنم الفرصة في الاستشهاد على معتقد القدرية في ان الاعمال أسباب موجبة للجزاء ولا دليل في ذلك لمعتقدهم مع قوله صلى الله عليه وسلم لا يدخل أحد منكم الجنة بعمله قيل ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدني الله بفضل منه ورحمة فهذا الحديث يوجب حمل الآية على وجه يجمع بينها وبينه وذلك اما أن (٢٠٣) تحمل الآية على ان المراد منها قسمة المنازل بينهم في الجنة فانها على حسب الاعمال وليس بذلك فان المذكور في الآية مجرد دخول الجنة لا اقتسام

يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر لعلهم يرجعون ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه

صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله الاولين والآخرين يوم القيامة جاء مناد ينادي بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم أهل الجمع اليوم من أولى بالكرم ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانوا يحمدون الله في البأساء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا الى الجنة ثم يحاسب سائر الناس وعن أنس بن مالك رضي الله عنه كان أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون من صلاة المغرب الى صلاة العشاء الآخرة فنزلت فيهم وقيل هم الذين يصلون صلاة العتمة لا ينامون عنها (ما أخفي لهم) على البناء للمفعول ما أخفى لهم على البناء للفاعل وهو الله سبحانه وما أخفي لهم وما نخفي لهم وما أخفيت لهم الثلاثة للمتكلم وهو الله سبحانه وما بمعنى الذي أو بمعنى أي * وقرئ من قرة أعين وقرات أعين والمعنى لا تعلم النفوس كلهن ولا نفس واحدة منهن لا ملك مقرب ولا نبي مرسل أي نوع عظيم من الثواب ادخر الله لاولئك واخفاه من جميع خلائقه لا يعلمه الا هو مما تقر به عيونهم ولا مزيد على هذه العدة ولا مطمح وراءها ثم قال (جزاء بما كانوا يعملون) فحسم أطماع المتمنين وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما أطلعتم عليه اقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وعن الحسن رضي الله عنه أخفى القوم أعمالا في الدنيا فأخفى الله لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت (كان مؤمنا) و (كان فاسقا) محمولان على لفظ من و (لا يستوون) محمول على المعنى بدليل قوله تعالى (أما الذين آمنوا) (وأما الذين فسقوا) ونحوه قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك و (جنات المأوى) نوع من الجنان قال الله تعالى ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى سميت بذلك لما روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال تأوي اليها أرواح الشهداء وقيل هي عن يمين العرش وقرئ جنة المأوى على التوحيد (نزلا) عطاء باعمالهم والنزل عطاء النازل ثم صار عاما (فمأواهم النار) أي ملجؤهم ومنزلهم ويجوز أن يراد فجنة مأواهم النار أي النار لهم مكان جنة المأوى للمؤمنين كقوله فبشرهم بعذاب أليم (العذاب الادنى) عذاب الدنيا من القتل والاسر وما محنوا به من السنة سبع سنين وعن مجاهد رضي الله عنه عذاب القبر (العذاب الاكبر) عذاب الآخرة أي نذيقهم عذاب الدنيا قبل أن يصلوا الى الآخرة (لعلهم يرجعون) أي يتوبون عن الكفر أو لعلهم يريدون الرجوع ويطلبونه كقوله تعالى فارجعنا نعمل صالحا وسميت ارادة الرجوع رجوعا كما سميت ارادة القيام قياما في قوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة ويدل عليه قراءة من قرأ يرجعون على البناء للمفعول (فان قلت) من أين صح تفسير الرجوع بالتوبة ولعل من الله ارادة واذا أراد الله شيأ كان ولم يمتنع وتوبتهم مما لا يكون ألا ترى أنها

درجاتها وأما ان تحمل وهو الظاهر لو والله أعلم على ان الله تعالى لما وعد المؤمن جنته ووعده يجب ان يكون حقا وصدقا تعالى وتقدس صارت الاعمال بالوعد كانها أسباب موجبات فعومل في هذه العبارة معاملتها والمقصود من ذلك تأكيد صدق الوعد في النفوس وتصويره بصورة المستحق بالعمل كالاجرة المستحقة شاهدا على العمل من باب مجاز التشبيه والله أعلم وذكر الزمخشري الحديث المشهور وهو أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر اقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين وكان جدي رحمه الله يستحسن ان تقرأ الآية تلو الحديث المذكور بسكون الياء من أخفي ورده الى المتكلم وهي من القراآت المستفيضة والسبب في اختيار ذلك مطابقة صدر الحديث وهو أعددت ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ليكون الكل راجعا الى الله تعالى مسندا الى [illegible] من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر لعلهم يرجعون (قال) معناه

وصلى اللهم كابيهم اسمعيل [illegible]

لعلهم يتوبون فان قلت من أين صح تفسير الرجوع بالتوبة ولعل من الله اراد وإذا أراد الله شيأ كان وتوبتهم مما لا يكون لانهم لو تابوا لم يكونوا اذا تقين العذاب الاكبر قلت ارادة الله تعالى تتعلق بأفعاله وأفعال عباده فاذا أراد شيأ من أفعاله كان ولم يتنع للاقتدار وخلوص الداعي واما أفعال عباده فاما أن يريدها وهم مختارون لها أو مضطرون اليها بقسره والجائه فان أرادها وقد قسرهم عليها حكم اذا له وان أرادها على أن يختاروها وهم لا يختارونها لم يقدح ذلك في اقتداره تعالى ولا يقدح في اقتدارك ارادتك أن يختار عبدك طاعتك وهو لا يختار ها الان اختياره لا يتعلق بقدرتك واذا لم يتعلق بقدرتك لم يكن فقده دالا على عجزك وروى في نزولها أنه شجر بين علي بن أبي طالب رضي الله عنه والوليد بن عتبة بن أبي معيط يوم بدر كلام فقال له الوليد اسكت فانك صبي أنا أشب منك شبابا وأحد منك سنانا وأذرب منك لسانا وأملأ منك حشوا في الكتيبة فقال له علي رضي الله عنه اسكت فانك فاسق فنزلت عامة للمؤمنين والناسقين فقتلوا يوم بدر كلهم او قل من كان في مثل حالهما وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما أنه قال للوليد كيف تشتم عليا وقد سماه الله مؤمنا في عشر آيات وسماك فاسقا * ثم في قوله (ثم أعرض عنها) للدلالة على استبعاد والمعنى أن الاعراض عن مثل آيات الله في وضوحها وانارتها وارشادها الى سواء السبيل والفوز بالسعادة العظمى بعد التذكير بها مستبعد في العقل والعدل كما تقول لصاحبك وجدت مثل تلك الفرصة ثم لم تنتهزها استبعادا لتركه الانتهاز ومنه ثم في بيت الحماسة لا يكشف الغماء الا ابن حرة * يرى غمرات الموت ثم يزورها استبعد أن يزور غمرات الموت بعد أن رآها واستيقنها واطلع على شدتها * (فان قلت) هلا قيل انا منه منتقمون (قلت) لما جعله أظلم كل ظالم ثم توعد المجرمين عامة بالانتقام منهم تقدد على اصابة الاظلم النصيب الاوفر من الانتقام ولوقاه بالصبر لم يعد هذه المائدة (الكتاب) للجنس والضمير في (لقائه) له ومعنى انا آتينا موسى عليه السلام مثل ما آتيناك من الكتاب وانبناه مثل ما قبلناك من الوحي فلا تكن في شك من أنك اشبهت مثله ولشبت نظيره كقوله تعالى فان كنت في شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك وخوفوه من لقائه قوله والملك لتلقى القرآن من لدن حكيم علم وقوله وتخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا * وجعلنا الكتاب المنزل على موسى عليه السلام (هدى) لقومه (وجعلنا منهم أئمة يهدون) الناس يدعونهم الى ما في التوراة من دين الله وشرائعه لصبرهم وايقانهم بآيات ربهم ولذلك لجعلنا الكتاب المنزل اليك هدى ونورا ولجعلن من أمتك أئمة يهدون مثل تلك الهداية لما صبروا عليه من نصرة الدين وثبتوا عليه من اليقين وقيل من لقائك موسى عليه السلام ليلة الاسراء أو يوم القيامة وقيل من لقائه موسى عليه السلام الكتاب أي من تلقيه له بالرضا والقبول * وقرئ لما صبروا ولما صبروا أي لصبرهم وعن الحسن رضي الله عنه صبروا عن الدنيا وقيل انما جعل الله التوراة هدى لبني اسرائيل خاصة ولم يجعله عاما لهم ولولد اسمعيل عليه السلام (يفصل بينهم) يقضي فيميز المحق في دينه من المبطل * الواو في (أولم يهد) للعطف على معطوف عليه منوي من جنس المعطوف والضمير في (لهم) لاهل مكة وقرئ بالنون والياء والفاعل مادل عليه (كم أهلكنا) لان كم لا تقع فاعلة لانها جاءت لكم رجل تقديره أولم يهد لهم كثرة اهلاكنا القرون أو هذا الكلام تام هو يعصمونه ومعناه كقولك يسلم لا اله الا الله الدماء والاموال ويجوز أن يكون فيه ضمير الله بدلالة القراءة بالنون و (القرون) عاد وثمود وقوم لوط (يمشون في مساكنهم) يعني أهل مكة يمرون في

عبدك الطاعة لذلك وهو لا يختارها لان اختياره لا يتعلق بقدرتك فلا يكون فقده بجبرا منك (قال أحمد) هذا الفصل ردي جدا مفرع على

ثم أعرض عنها انا من المجرمين منتقمون ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه وجعلناه هدى لبني اسرائيل وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون أولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك لآيات أفلا يسمعون أولم يروا أنا نسوق الماء الى الارض

الامر الثاني الجلي لا على الامر الثاني فاقتصم بدليل الوحدانية على رده واجتنابه من أصله والله المستعان وانما حوجني الى تفسير هذا الى الارادة والحق في تفسيرها ما ترجى للخاطبين اتباع الترجي على الله تعالى كما تسمعهم يقولون عسى الله أن يفعل كذا وعسى الله أن لا يفعل كذا * قوله تعالى وأما الذين فسقوا فأواهم النار (قال سبب نزوله أن الحسين بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه والوليد بن عقبة بوم بدر كلام فقال له الوليد اسكت فانك صبي أنا أشب منك شبابا وأحد منك سنانا وأملأ منك حشوا في الكتيبة فقال له علي رضي الله عنه اسكت فانك فاسق قال الزمخشري فنزلت عامة للمؤمنين والكافرين فتنا ولهما معا (قال أحمد) ذكر السبب الحق لان الآية في الفاسق والذين فسقوا

متاجرهم على ديارهم وبلادهم وقرئ يعشون بالتشديد (الجرز) الارض التى جرز نباتها أى قطع اما لعدم الماء واما لانه يرعى وأزيل ولا يقال للتى لا تنبت كالسباخ جرز ويدل عليه قوله (فنخرج به زرعا) وعن ابن عباس رضى الله عنه أنها أرض اليمن وعن مجاهد رضى الله عنه هى أبين * به بالماء (تأكل) من الزرع (أنعامهم) من عصفه (وأنفسهم) من حبه وقرئ يا كل بالياء * الفتح النصر أو الفصل بالحكومة من قوله ربنا افتح بيننا وكان المسلمون يقولون ان الله سيفتح لنا على المشركين أو يفتح بيننا وبينهم فاذا سمع المشركون قالوا (متى هذا الفتح) أى فى أى وقت يكون (ان كنتم صادقين) فى أنه كائن و (يوم الفتح) يوم القيامة وهو يوم الفصل بين المؤمنين وأعدائهم ويوم نصرهم علهم وقيل هو يوم بدر وعن مجاهد والحسن رضى الله عنهما يوم فتح مكة (فان قلت) قد سألوا عن وقت الفتح فكيف ينطبق هذا الكلام جوابا على سؤالهم (قلت) كان غرضهم فى السؤال عن وقت الفتح استهزاءهم على وجه التكذيب والاستهزاء فاجيبوا على حسب ما عرف من غرضهم فى سؤالهم فقيل لهم لا تستعجلوا به ولا تستهزؤا فكأنى بكم وقد حصلتم فى ذلك اليوم وآستم فيه بحكم الايمان واستظرتم فى ادراك العذاب فلم تنظروا (فان قلت) فمن فسره بيوم الفتح أو بيوم بدر كيف يستقيم على تفسيره ان لا ينفعهم الايمان وقد نفع الطلقاء يوم فتح مكة وناسا يوم بدر (قلت) المراد أن المقتولين منهم لا ينفعهم ايمانهم فى حال القتل كما لم ينفع فرعون ايمانه عند ادراك الغرق (وانتظر) النصر عليهم وهلاكهم (انهم منتظرون) الغلبة عليكم وهلاككم كقوله تعالى فتربصوا انا معكم متربصون وقرأ ابن السميفع رحمه الله منتظرون بفتح الظاء ومعناه وانتظر هلاكهم فانهم أحقاء بان ينتظر هلاكهم (عنى انهم هالكون لا محالة أو وانتظر ذلك فان الملائكة فى السماء ينتظرونه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ الم تنزيل وتبارك الذى بيده الملك أعطى من الاجر كأنما أحيا ليلة القدر وقال من قرأ الم تنزيل فى بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة أيام

(سورة الاحزاب مدنية وهى ثلاث وسبعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

عن زر قال قال لى أبى بن كعب رضى الله عنه كم تعدون سورة الاحزاب قلت ثلاثا وسبعين آية قال قط والذى يحلف به أبى بن كعب ان كانت لتعدل سورة البقرة أو أطول ولقد قرأنا منها آية الرجم الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم أراد أبى رضى الله عنه أن ذلك من جملة ما نسخ من القرآن وأما ما يحكى أن تلك الزيادة كانت فى صحيفة فى بيت عائشة رضى الله عنها فأكلتها الداجن فمن تأليفات الملاحدة والروافض * جعل نداءه بالنبى والرسول فى قوله (يا أيها النبى اتق الله) يا أيها النبى لم تحرم يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك ورفع نداءه باسمه كما قال يا آدم اسكن يا موسى انى اصطفيتك يا داود انا جعلناك خليفة وتنويها بفضله (فان قلت) ان لم يرفع اسمه فى النداء فقد أرفعه فى الاخبار فى قوله محمد رسول الله وما محمد الا رسول (قلت) ذلك لتعليم الناس بأنه رسول الله وتلقين لهم أن يسموه بذلك ويدعوه به فلا تفاوت بين النداء والاخبار ألا ترى الى ما لم يقصد به التعليم والتلقين من الاخبار كيف ذكره بنحو ما ذكره فى النداء لقد جاءكم رسول من أنفسكم وقال الرسول يا رب ان قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة والله ورسوله أحق أن يرضوه النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم ان الله وملائكته يصلون على النبى ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى * اتق الله واظب على ما أنت عليه من التقوى واثبت عليه وازدد منه وذلك لان التقوى باب لا يبلغ آخره (ولا تطع الكافرين والمنافقين) لا تساعدهم على شئ ولا تقبل لهم رأيا ولا مشورة وجانبهم واحترس منهم فانهم أعداء الله وأعداء المؤمنين لا يريدون الا المضارة والمضادة وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة وكان يحب اسلام اليهود قربلة والمضير وبنى قينقاع وقد بايعه ناس منهم على النفاق فكان بين اظهرهم جانبه ويكرم صغيرهم وكبيرهم واذا أتى منهم قبيح تجاوز عنه وكان يسمع منهم فنزلت وروى أن أبا سفيان بن حرب وعكرمة ابن أبى جهل وأبا الاعور السلمى قدموا عليه فى الموادعة التى كانت بينه وبينهم وقام معهم عبد الله بن أبى

الحرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولاهم ينظرون فاعرض عنهم وانتظر انهم منتظرون

(سورة الاحزاب مدنية وهى ثلاث وسبعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

يا أيها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين

الذين كفروا والنهاية ليت فى الوليد وهو كافر حيث ثم أدرج فيه المؤمن تغليبا للذهبه فى وجوب خلود فساق المؤمنين كفساق الكافرين فلم يزل يورد هذه المتائل الفوائد ولقد اتسع الخرق على الراقع

ومحمد بن قشير والجد بن قيس فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ارفض ذكر آلهتنا وقل انها تشفع وتنفع وندعك وربك فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين وهموا بقتلهم فنزلت أي اتق الله في نقض العهد ونبذ الدعة ولا تطع الكافرين من أهل مكة والمنافقين من أهل المدينة فيما طلبوا اليك وروى أن أهل مكة دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أن يرجع عن دينه ويعطوه شطر أموالهم وأن يزوجه شيبة ابن ربيعة بنته وخوفوه منافقو المدينة أنهم يقتلونه ان لم يرجع فنزلت (ان الله كان عليما) بالصواب من الخطأ والمصلحة من المفسدة (حكيما) لا يفعل شيئا ولا يأمر به الا بداعي الحكمة (واتبع ما يوحى اليك) في ترك طاعة الكافرين والمنافقين وغير ذلك (ان الله) الذي يوحي اليك خبير (بما تعملون) فوح اليك ما يصلح به أحوالكم ولا حاجة بكم الى الاستماع من الكفرة وقرئ يعملون بالياء أي بما يعمل المنافقون من كيدهم لكم ومكرهم بكم (وتوكل على الله) وأسند أمرك اليه وكله الى تدبيره (وكيلا) حافظا موكولا اليه كل أمر ما سمع الله قبيحا في حوف ولا زوجية وأمومة في أمر أو لا بتوة ودعوة في رجل والمعنى ان الله سبحانه كما لم يرض بحكمته أن يجعل للانسان قلبين لائقين لان يفعل بأحدهما مثل ما يفعل بالآخر من أفعال القلوب فأحدهما فاضل غير محتاج اليها وأما أن يفعل بهذا الغير ما يفعل بذلك فذلك يؤدي الى اتصاف الجملة بكونه صوابا كاراها باطلا تاما موقتا كافي حالة واحدة لم يرض أن تكون المرأة الواحدة أما لرجل وبالة الام مخدومة مخصوصة بأصناف الدلل والزوجة مستخدمة متصرف فيها بالاستفراش وغيره كلها لتوكيد وجه الشبه المنافاة بين وأن يكون الرجل الواحد عم الرجل وابنه لان البنوة أصالة في النسب وعراقة فيه والدعوة الساقطة عارض بالنسبة لا غير ولا يجتمع في الشيء الواحد أن يكون أصيلا غير أصيل وهذا مثل ضربه الله لقبح زيد حارثة وهو رجل من كلب سبي صغيرا وكانت العرب في الجاهلية يتبناون ويتساءون فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة فلما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهبته له وطلبه أبوه وعمه فخير فاختار رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتقه وكانوا يقولون لزيد محمد فأنزل الله عز وجل هذه الآية وقوله ما كان محمد أبا أحد من رجالكم وقيل كان أبو معمر جد لامن أحفظ العرب وأروادهم فتبين له ذو القلبين وقيل هو جميل بن أسد الفهري وكان يقول ان لي قلبين أفهم بأحدهما أكثر مما يفهم محمد فروي انه انهزم يوم بدر فمر برأي سفيان وهو معلق احدى نعليه بيده والاخرى في رجله فقال له ما فعل الناس فقال لهم ما بين مقتول وهارب فقال له ما بال احدى نعليك في رجلك والاخرى في يدك فقال ما ظننت الا أنهما في رجلي فأكذب الله قوله وقولهم وضربه مثلا لفي الظهار والتبني وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان المنافقون يقولون شهد قلبان فاكنيهم الله وقيل سها في صلاته فقالت اليهود قلبان قلب مع أصحابه وقلب معكم وعن الحسن نزلت في أن الواحد يقول نفس تأمرني ونفس تنهاني ﴿والتكبير في رجل وادخال من الاستفراشية على قلبين تأكيدان لما قصد من النفي كأنه قال ما جعل الله لامة الرجال ولا لواحد منهم قلبين البتة في جوفه ﴿(فان قلت) أي فائدة في ذكر الجوف (قلت) الفائدة فيه كالفائدة في قوله القلوب التي في الصدور وذلك ما يحسن للسامع من زيادة التصوير والتخيل للدليل عليه لانه اذا سمع به صور لنفسه جوفا يشتمل على قلبين فكان أسرع الى الانكار * وقرئ اللائي بياءين وهمزة مكسورة بينهما كسرة بينهما همزة ﴿وتظاهرون من ظاهر وتظاهرون من الظاهر يعني تظاهرون من أظهر بمعنى تظهرون وتظهرون من ظهر يعني ظاهر كعقد بمعنى عاقد وتظهرون من ظهر بلفظ فعل من الظهور ومعنى ظاهر من امرأته قال لها أنت علي كظهر أمي ونحوه في العبارة عن اللفظ لي الشعر اذا قال لبيك وأقف الرجل اذا قال أقف وأخوات لهن (فان قلت) فما وجه تعديته وأخواتها بمن (قلت) كان الظهار طلاقا عند أهل الجاهلية فكانوا يجتنبون المرأة المظاهر منها كما يجتنبون المطلقة فكان قولهم تظاهر منها ابتداء منها بجهة الظهار وتظهر منها تجنب منها وظاهر منها حاذر منها وظهر منها وحش منها وظهر منها خلص منها وظهر منها تباعد منها والى من أنه لما ضمن معنى التباعد منها عدي بمن والاصل في أصله الذي هو بمعنى خلف وأصم ليس هذا بحكمه (فان قلت) ما معنى

لاصقه عارضه فيها ما مستويان وذكر الجوف ليصور به صورة اجتماع القلبين فيه حتى يبادره السامع بالانكار

ان الله كان عليما حكيما
واتبع ما يوحى اليك
من ربك ان الله كان
بما تعملون خبيرا
وتوكل على الله وكفى
بالله وكيلا ما جعل الله
لرجل من قلبين في
جوفه وما جعل أزواجكم
اللائي تظاهرون
منهن أمهاتكم

القول في سورة
الاحزاب

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى ما جعل
الله لرجل من قلبين في
جوفه (قال) أشد
ما ذكر فيه من
التأويلات أنهم كانوا
يدعون لان خطل
قلبين فنفى الله صحة ذلك
ونزه عما كانوا يقولونه
من الاقاويل المتناقضة
كجعل الادعياء أبناء
والزوجات أمهات قال
وهذه الامور الثلاثة
متنافية أما الاول
فلانه يلزم من اجتماع
القلبين قيام أحد
المتضادين باحدهما
وضده في الآخر وذلك
كالعلم والجهل والامن
والخوف وغير ذلك وأما
الثاني فلان الزوجة في
مقام الامتهان والام
في محل الاكرام فما في
أن تكون الزوجة أما
وأما الثالث فلان البنوة
اصالة وعراقة والدعوة

قولهم أنت علي كظهر أمي (قلت) أرادوا أن يقولوا أنت علي حرام كبطن أمي فكنوا عن البطن بالظهر لئلا يذكروا البطن الذي ذكره يقارب ذكر الفرج وانما جعلوا الكناية عن البطن بالظهر لانه عمود البطن ومنه حديث عمر رضي الله عنه يعني به أحدهم على عمود بطنه أراد على ظهره ووجه آخر وهو ان اتيان المرأة وظهرها الى السماء كان محرما عندهم محظورا وكان أهل المدينة يقولون اذا أتيت المرأة ووجهها الى الارض جاء الولد أحول فلقصد المطاق منهم الى التغليظ في تحريم امرأته عليه شبهها بالظهر ثم لم يقنع بذلك حتى جعلها ظهرا مه فلم يترك * (فان قلت) لدعي فعيل بمعنى مفعول وهو الذي يدعي ولد الزنا فكيف جمع على أفعلاء وليس مما كان منه بمعنى فاعل كتقي وأتقياء وشقي وأشقياء ولا يكون ذلك في غير رجل وسمي (قلت) ان شذوذه عن القياس كشذوذ قتلاء واسراء والطريق في مثل ذلك التشبيه اللفظي (ذلكم) النسب هو (قولكم بأفواهكم) هذا ابني لا غير من غير أن يواطئه اعتقاد أحقيته وكونه حقا * والله عز وجل لا يقول الا ما هو حق ظاهره وباطنه ولا يهدي الا السبيل الحق * ثم قال ما هو الحق وهدى الى ما هو سبيل الحق وهو قوله (ادعوهم لآبائهم) وبين أن دعاءهم لآبائهم هو أقسط وأدخل الاحرين في القسط والعدل وفي فصل هذه الجمل ووصلها بأس الحسن والفصاحة ما لا يخفى على عالم بطرق النظم * وقرأ قتادة وهو الذي يهدي السبيل وقيل كان الرجل في الجاهلية اذا أعجبه جلد الرجل وظرفه ضمه الى نفسه وجعل له مثل نصيب الاكبر من أولاده من ميراثه وكان ينسب اليه فيقال فلان ابن فلان (فان لم تعلموا) لهم آباء تنسبونهم اليهم (فـ)هم (اخوانكم في الدين) وأولياؤكم في الدين فقولوا لهذا أخي وهذا مولاي و يا أخي و يا مولاي يريد الاخوة في الدين والولاية فيه (ما تعمدت) في محل الجر عطفا على ما أخطأتم به ويجوز أن يكون رفعا على الابتداء والخبر محذوف تقديره ولكن ما تعمدت فاثم فيه الجناح والمعنى لا اثم عليكم فيما معفو عنه من ذلك خطأين جاهلين قبل ورود النهي ولكن الاثم فيما تعمدتموه بعد النهي أو لا اثم عليكم اذا علم أن ولد غيركم يأتي على سبيل الخطأ وسبق اللسان ولكن اذا تقولوه متعمدين و يجوز أن يراد المعنى من الخطأ دون العمد على طريق العموم كقوله عليه الصلاة والسلام ما أخشى عليكم الخطأ ولكن أخشى عليكم العمد وقوله عليه الصلاة والسلام وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما أكرهوا عليه ثم تناول المعنيين معا عمومه خطأ النبي وعمده (فان قلت) اذا وجد النبي فما حكمه (قلت) اذا كان النبي مجهول النسب وأصغر سنا من النبي ثبت نسبه منه وان كان عبدا لله عتق مع ثبوت النسب وان كان لا ولد له منه لم يثبت النسب ولكنه يعتق عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى وعند صاحبيه لا يعتق وأما معروف النسب فلا يثبت نسبه بالنبي وان كان عبدا عتق (وكان الله غفورا رحيما) لمغفرته عن الخطأ وعن العمد اذا تاب العامد (النبي أولى بالمؤمنين) في كل شيء من أمور الدين والدنيا (من أنفسهم) وقد أطلق ولم يقيد فيجب عليهم أن يكون أحب اليهم من أنفسهم وحكمه أنفذ عليهم من حكمها وحقه آثر لديهم من حقوقها وشفقته عليه أقدم من شفقتهم عليها وأن يبذلوها دونه ويجعلوها فداءه اذا دعاهم الى مضمون خطب ووقاها اذا التمست حروب وأن لا يتبعوا ما تدعوهم اليه نفوسهم ولا ما تنصرهم عنه ويتبعوا كل ما دعاهم اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصرفهم عنه لان كل ما دعا اليه فهو ارشاد لهم الى نيل النجاة والظفر بسعادة الدارين وما صرفهم عنه فانما تجنبهم لئلا يهلكوا فما برح بهم الى الشفاء وعذاب النار أو هو أولى بهم على معنى أنه أرأف بهم وأعطف عليهم وأنفع لهم كقوله تعالى بالمؤمنين رؤف رحيم وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مؤمن الا أنا أولى به في الدنيا والآخرة اقرؤا ان شئتم النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم فأيما مؤمن هلك وترك مالا فليرثه عصبته من كانوا وان ترك دينا أو ضياعا فالي وفي قراءة ابن مسعود النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم وقال مجاهد كل نبي هو أبو أمته ولذلك صار المؤمنون اخوة لان النبي صلى الله عليه وسلم أبو هم في الدين (وأزواجه أمهاتهم) تشبيه لهن بالامهات في بعض الاحكام وهو وجوب تعظيمهن واحترامهن وتحريم نكاحهن قال الله تعالى ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا وهن فيما وراء ذلك بمنزلة الاجنبيات ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها لسنا أمهات النساء يعني أنهن انما كن أمهات الرجال لكونهن محرمات عليهم كتحريم أمهاتهم والدليل على ذلك أن هذا

وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيما النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض

*قوله تعالى واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية (قال فيه قدم النبي الله (٢٠٧) عليه وسلم على نوح لانهم ذكروا

التحريم لم يتعد الى بناتهن وكذلك لم يثبت لهن سائر أحكام الامهات كان المسلمون في صدر الاسلام يتوارثون بالولاية في الدين وبالهجرة لا بالقرابة كما كانت تتألف قلوب قوم بإسلامهم في الصدقات ثم نسخ ذلك لما دخل الاسلام وعز أهله وحمل التوارث بحق القرابة (في كتاب الله) ش اللوح أو فيما أوحى الى نبيه وهو هذه الآية أو في آية المواريث أو فيما فرض الله كقوله كتاب الله عليكم (من المؤمنين والمهاجرين) يجوز أن يكون بيانا لاولى الارحام أي الاقربا من هؤلاء بعضهم أولى ببعض من الاجانب ويجوز أن يكون لابتداء الغاية أي أولو الارحام بحق القرابة أولى بالميراث من المؤمنين بحق الولاية بالدين ومن المهاجرين بحق الهجرة *(فان قلت) ثم استثنى (ان تفعلوا) (قلت) من أعم العام في معنى النفع والاحسان كما تقول القريب أولى من الاجنبي الا في الوصية تريد أنه أحق منه في كل نفع من ميراث وهبة وهدية وصدقة وغير ذلك الا في الوصية والمراد بفعل المعروف التوصية لانها وصية لوارث وعدى تفعلوا بإلى لانه في معنى تسندوا وترفوا والمراد بالاولياء المؤمنون والمهاجرون للولاية في الدين (ذلك) اشارة الى ما ذكر في الآيتين جميعا وتفسير الكتاب ما مر آنفا والجملة مستأنفة كالجملة قبلها ذكر من الاحكام *(و) اذكر حين (أخذنا من النبيين) جميعا (ميثاقهم) بتبليغ الرسالة والدعاء الى الدين القيم (ومنك) خصوصا ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى) وانما فعلنا ذلك (ليسأل) الله يوم القيامة عند توقف الشهادة المؤمنين الذين صدقوا عهدهم ووفوا به من جملة من أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى (عن صدقهم) عهدهم وقيامهم بحقه فكيف بالانبياء الذين هم صدقوا عهدهم وتمموه وكانوا هم أولى الصادقين فالاولى ان يسأل الصادقين لان من قال للصادق صدقت كان صادقا فما قوله أو ليسأل الانبياء عما أجابتهم اليه أممهم وتأويل مسئلة الرسل تبكيت الكافرين بهم كقوله أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله (فان قلت) لم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم على نوح في ذكره (قلت) هذا المعلوم لبيان فضل الانبياء الذين هم مشاهير هم وفرارهم فما كان محمد صلى الله عليه وسلم أفضل هؤلاء المفضلين قدم عليهم ليبين أنه أفضلهم ولولا ذلك لقدم من قدمه زمانه (فان قلت) فقد قدم عليه نوح عليه السلام في الآية التي هي أخت هذه الآية وهي قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك ثم قدم على غيره (قلت) مورد هذه الآية على طريقة تخالف طريقة تلك وذلك أن الله تعالى لما أورده ليوصف بدين الاسلام بالاصالة والاستقامة كأنه قال شرع لكم الدين الاصيل الذي بعث عليه نوح في العهد القديم وبعث عليه محمد خاتم الانبياء في العهد الحديث وبعث عليه من توسط بينهما من الانبياء المشاهير *(فان قلت) فما أراد الميثاق الغليظ (قلت) أراد به ذلك الميثاق بعينه سماه وأخذنا منهم ذلك الميثاق ميثاقا غليظا والغلظ استعارة من وصف الاجرام والمراد عظم الميثاق وجلالة شأنه في بابه وقيل الميثاق الغليظ اليمين بالله على الوفاء بما حملوه *(فان قلت) علام عطف قوله (وأعد للكافرين) (قلت) على أخذنا من النبيين لان المعنى أن الله أكد على الانبياء الدعوة الى دينه لاجل أن المؤمنين وأعد للكافرين عذابا أليما وعلى ما دل عليه ليسأل الصادقين كأنه قال فأثاب المؤمنين وأعد للكافرين (اذكروا) ما أنعم الله به عليكم يوم الاحزاب وهو يوم الخندق (اذ جاءتكم جنود) وهم الاحزاب فارسل الله عليهم ريح الصبا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور (وجنودا لم تروها) وهم الملائكة وكانوا ألفا بعث الله عليهم صبا باردة في ليلة شاتية فاصفرت لها وجوههم وأمر الملائكة فطفئت الاوتاد وقطعت الاطناب واطفأت النيران وأكفأت القدور وماجت الخيل بعضها في بعض وقذفت في قلوبهم الرعب وكبرت الملائكة في جوانب عسكرهم فقال طليحة بن خويلد الاسدي أما محمد فقد بدأكم بالسحر فالنجاء النجاء فانهزم وا من غير قتال وحين سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمرهم ضرب الخندق على المدينة أشار عليه بذلك سلمان الفارسي رضي الله عنه ثم خرج في ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب معسكره والخندق

تخصيصا بعد التعميم تفضيلا لهم فقدم أفضل المخصوصين) قال أحمد وليس التقديم في الذكر بمقتض لذلك الا ترى ان قوله

جبريل منهم ميكال وان أمة

على وسلم أحمد المختار

في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين الا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفا كان ذلك في الكتاب مسطورا واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا ليسأل الصادقين عن صدقهم وأعد للكافرين عذابا أليما يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله

فاحرز كل نبي صلى الله عليه وسلم لجهته تشريفا له واذا ثبت ان التفضيل ليس من لوازم التقديم فيظهر والله أعلم في سر تقديمه عليه الصلاة والسلام على نوح ومن بعده في الذكر انه هو المخاطب من بينهم والمنزل عليه هذا الكتاب فكان تقديمه لذلك ثم لما قدم ذكره عليه الصلاة والسلام جرى ذكر الانبياء صلوات الله عليهم بعده على ترتيب أزمنتهم ووجودهم والله أعلم

بينه وبين القوم وأمر بالذراري والنساء فرفعوا في الآطام واشتد الخوف وظن المؤمنون كل ظن وتحزم النفاق من المنافقين حتى قال معتب بن قشير كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر لأنه قد أن ذهب الى الغائط وكانت قريش قد أقبلت في عشرة آلاف من الأحابيش وبني كنانة وأهل تهامة وقائدهم أبو سفيان وخرج غطفان في ألفين ومن تابعهم من أهل نجد وقائدهم عيينة بن حصن وعامر بن الطفيل في هوازن وصامتهم اليهود من قريظة والنضير وسمي على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم الا الترامي بالنبل والحجارة حتى أنزل الله النصر (تعملون) قرئ بالتاء والياء (من فوقكم) من أعلى الوادي من قبل المشرق بنو غطفان (ومن أسفل منكم) من أسفل الوادي من قبل المغرب قريش تحزبوا وقالوا لنستأصلن جمعكم واحدة حتى نسأل أصل محمد (زاغت الابصار) مالت عن سننها ومستوى نظرها حيرة وشخوصا وقيل عدلت عن كل شيء فلم تلتفت الا الى عدوها شدة الروع * الحنجرة رأس الغلصمة وهي منتهى الحلقوم والحلقوم مدخل الطعام والشراب قالوا اذا انتفخت الرئة من شدة الفزع أو الغضب أو الم الشديد بربت وارتفع القلب بارتفاعها الى رأس الحنجرة ومن ثمة قيل للجبان انتفخ سحره وجوز أن يكون ذلك مثلا في اضطراب القلوب ووجيبها وان لم تبلغ الحناجر حقيقة (وتظنون بالله الظنونا) خطاب للذين آمنوا منهم الثبت القلوب والاعلام والضعاف القلوب الذين هم على حرف والمنافقون الذين في قلوبهم مرض الاعيان الا ألسنتهم فظن الاولون بالله أن ينتليهم ويمتحنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال وأما الآخرون فظنوا بالله ما حكى عنهم من الحسن ظنوا ظنونا مختلفة ظن المنافقون ان المسلمين يستأصلون وظن المؤمنون انهم يبتلون وقرئ الظنون بغير ألف في الوصل والوقف وهو القياس وبزيادة ألف في الوقف زادوها في الفاصلة كما زادوها في القافية من قال * أقلي اللوم عاذل والعتابا * وكذلك الرسولا والسبيلا وقرئ بزيادتها في الوصل أيضا اجراء له مجرى الوقف قال أبو عبيدة وهن كلهن في الامام بألف * وعن أبي عمرو انه كان يرى أن زالوا * وقرئ زالوا بالفتح والمعنى أن الخوف أزعجهم أشد الازعاج (الاغرورا) قيل قائله معتب بن قشير حين رأى الاحزاب قال يعدنا محمد فتح فارس والروم وأحدنا لا يقدر أن يتبرز فرقا ما هذا الا وعد غرور (طائفة منهم) هم أوس بن قيظي ومن وافقه على رأيه وعن السدي عبد الله بن أبي وأصحابه * ويثرب اسم المدينة وقيل أرض وقعت المدينة في ناحية منها (لا مقام لكم) قرئ بضم الميم وفتحها أي لا قرار لكم ههنا أو لا مكان تكونون فيه أو تقومون (فارجعوا) الى المدينة أمرهم بالهرب من عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل قالوا لهم ارجعوا كفارا أو أسلموا تحمدوا والا فلست يثرب لكم مكانا * قرئ عورة بسكون الواو وكسرها العورة الخلل والعورة كل ما يخاف منه على الانسان من ضياع أو انتهاك حرمة يعني عورة المكان عورا لتأنيث يعني خلل يخاف منه العدو والسارق ويجوز أن تكون عورة تخفيف عورة كعثر وأثر في عثرة وأثرة ويدل عليه قراءة من قرأ بها * وعن ابن عباس ما كذبهم ربهم ما هربوا من الزحف ولا هتكوا ستر عورة ولا عصوا نبيهم فلما أذنبوا ذلك وأمروا بما لا يجوز أن يؤمروا به عصوه فاستأذنوه ليرجعوا اليها فأكذبهم الله بما أضافوا ذلك والمعنى يريدون الفرار (ولو دخلت عليهم) المدينة وقيل يريدون من قولك دخلت على فلان داره (من أقطارها) من جوانبها يريد ولو دخلت هذه العساكر المتحزبة الى يثرب نحو فامها من جميع جهاتها وبيوتهم من نواحيها كلها واتاتت على أهاليهم وأولادهم ناهبين سابين (ثم سئلوا) عند ذلك الفزع وزال الرجفة (الفتنة) أي الردة والرجعة الى الكفر ومقاتلة المسلمين لأتوها لجاؤها وفعلوها * وقرئ لآتوها الاعطوها (وما تلبثوا بها) وما ألبثوا عطاءها (الا يسيرا) يعني ما يكون السؤال والجواب من غير توقف أو ما لبثوا بالمدينة بعد ارتدادهم الا يسيرا وان الله لهم يتعللون باعوار بيوتهم ويتحصنون لئلا يغزوا عن نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وعن مصافة الاحزاب الذين ملؤهم هولا ورعبا هؤلاء الاحزاب تاهم لو كسروا عليهم أرضهم وديارهم وعرض عليهم الكفر وقيل لهم كونوا على المسلمين ألسنة وعوا اليه وما تعللوا بتلك الا لقلتهم الاسلام وشدة بغضهم لأهله وحبهم الكفر وميلهم اليه على حربه * عن ابن عباس عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة أن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم وقيل هم قوم غابوا عن بدر فقالوا لئن أشهدنا الله قتالا لنقاتلن وعن محمد بن اسحق عاهدوا يوم أحد أن

يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون ان بيوتنا عورة وما هي بعورة ان يريدون الا فرارا ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها وما تلبثوا بها الا يسيرا ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار وكان

لا يضروا عسكر المسلمين شيئا (مسؤلا) مطلوبا يقتضى حتى يوفى به (ان ينفعكم الفرار) عما ابتلاكم من نزوله بكم من حتف أنف أو قتل * وان نفعكم الفرار مثلا فتعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتيع الا زمانا قليلا وعن بعض المروانية أنه مر بحائط مائل فأسرع فقيل له هذه الآية تقول ذلك القليل تطلب * (فان قلت) كيف جعلت الرحمة قرينة السوء في العصمة لا عصمة الامن السوء (قلت) معناه أو يصيبكم بسوء ان أراد بكم رحمة فاختصر الكلام وأجرى مجرى قوله متقلدا سيفا ورمحا أو حمل الثاني على الاول لما في العصمة من معنى المنع (المعوقين) المثبطين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم المنافقون * كانوا يقولون (لاخوانهم) من ساكني المدينة من أنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم ما محمد وأصحابه الا أكلة رأس ولو كانوا عندنا ما قتلهم أبو سفيان وأصحابه فخلوهم * و (هلم الينا) أي قربوا أنفسكم الينا وهي لغة أهل الحجاز يستوون فيه بين الواحد والجماعة وأما تميم فيقولون هلما يا رجل وهلموا يا رجال وهلمي يا امرأة وهو صوت سمي به فعل متعد مثل أحضر وقرب قل لهم (هلم شهداءكم) الا اتيانا قليلا يخرجون مع المؤمنين وهو نهم أنهم معهم ولا تراهم يبارزون ويقاتلون الا نسيا قليلا اذا اضطروا اليه كقوله ما قاتلوا الا قليلا (أشحة عليكم) في وقت الحرب أضنا بكم يطرفون عليكم كما يفعل الرجل بالذاب عنه المتأمل دونه عند الخوف (ينظرون اليك) في تلك الحالة كما ينظر المغشي عليه من معالجة سكرات الموت حذرا وخورا ولو اذا بك فاذا ذهب الخوف وحيزت الغنائم ووقعت القسمة على أولئك الشح وتلك الضنة والمرفرفة عليكم الى الخير وهو المال والغنيمة وسواتلك الحالة الاولى واحترتم أعلمكم وضربوكم بألسنتهم وقالوا وفروا واقسمنا فاقاتلناهاهنا كم وفاذا بامكم وتكاثا عليكم بكلامكم وبالغوا فيه ونصب (أشحة) على الحال أو على الذم وقرئ أشحة بالرفع وصفة لقوم كما الصاد * (فان قلت) هل ثبت للمنافق عمل حتى يرد عليه الاحباط (قلت) لا ولكنه تعليم ان عسى يظن أن الايمان باللسان ايمان وان لم يواطئه القلب وأن ما يعمله المنافق من الاعمال يجدي عليه فبين أن ايمانه ليس بايمان وأن كل عمل يوجد منه باطل وفيه بعث على اتقان المكلف أساس أمره وهو الايمان الصحيح وتنبيه على أن الاعمال الكثيرة من غير تصحيح المعرفة كالبناء على غير أساس وأنها مما يذهب عند الله هباء منثورا (فان قلت) ما معنى قوله (وكان ذلك على الله يسيرا) وكل شئ عليه يسير (قلت) معناه أن أعمالهم حقيقة بالاحباط لا عوائق لها ادواعي ولا يصرف عنه صارف (يحسبون) أن الاحزاب لم ينهزموا وقد انهزموا وانصرفوا عن الخندق الى المدينة وانما جبنا نازل بهم من الخوف الشديد ودخلهم من الجبن المفرط (وان يأت الاحزاب) كرة ثانية تفتر الخوفهم فيما منوا به هذه الكرة انهم يتمنون حينئذ لو انهم حاصلون بين الاعراب (يسألون) كل قادم منهم من جانب المدينة عن أخباركم وعما يجري عليكم (ولو كانوا فيكم) ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال لم يقاتلوا الا قليلا رياء وسمعة * وقرئ يبدي على فعل جمع بادكغاز وغزي وفي رواية صاحب الاقليد بدي بوزن عدى وبساءلون أي يتساءلون ومعناه يقول بعضهم لبعض ماذا سمعت ماذا بلغك أو يتساءلون الاعراب كما تقول رأيت الهلال وتراءيناه * لان عليكم أن تواسوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنفسكم فتوازروه وتثبتوا معه كما أساكم بنفسه في السعي على الجهاد والثبات في مرحى الحرب حتى كسرت رباعيته يوم أحد وشج وجهه (فان قلت) فما حقيقة قوله (لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة) وقرئ اسوة بالضم (قلت) فيه وجهان أحدهما أنه في نفسه أسوة حسنة أي قدوة وهو المؤتسى أي المقتدى به كما تقول في البيضة عشرون مناحديد أي هي في نفسها هذا المبلغ من الحديد والثاني أن فيه خصلة من حقها أن يؤتسى بها وتتبع وهي المواساة بنفسه (لمن كان يرجو الله) بدل من لكم كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم * يرجو الله واليوم الآخر من قولك رجوت زيدا وفضله أي فضل زيد أو يرجو أيام الله واليوم الآخر خصوصا والرجاء بمعنى الامل أو الخوف (وذكر الله كثيرا) وقرن الرجاء بالطاعات الكثيرة والتوقع للاعمال الصالحة والمؤتسي برسول الله صلى الله عليه وسلم من كان كذلك * وعدهم الله أن يزلزلوا حتى يستغيثوه ويستنصروه في قوله أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم فلما جاء الاحزاب وشخصوهم وأطبقوا بوا وعبوا الرعب

عهد الله مسؤلا قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل واذا لا تمتعون الا قليلا قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان أراد بكم سوأ أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا ولا يأتون البأس الا قليلا أشحة عليكم فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فاذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا يحسبون الاحزاب لم يذهبوا وان يأت الاحزاب يودوا لو أنهم بادون في الاعراب يسألون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا الا قليلا لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ولما رأى المؤمنون الاحزاب

الشديد (قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله) وآيقنوا بالجنة والنصر وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه ان الاحزاب سائرون اليكم تسعا أو عشرا أي في آخر تسع ليال أو عشر فلما رأوهم قد أقبلوا اليهم قالوا ذلك * وهذا اشارة الى الخطب أو البلاء (ايمانا) بالله وعواعيده (وتسليما) لقضاياه وأقداره * نذر رجال من الصحابة أنهم اذا لقوا حزبا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وهم عثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وحمزة ومصعب بن عمير وغيرهم رضي الله عنهم (فمنهم من قضى نحبه) يعني حمزة ومصعبا (ومنهم من ينتظر) يعني عثمان وطلحة ورد الحديث من أحب أن ينظر الى شهيد يمشي على وجه الارض فلينظر الى طلحة (فان قلت) ما معنى قضاء النحب (قلت) وقع عبارة عن الموت لان كل حي لا بد له من أن يموت فكأنه نذر لازم في رقبته فاذا مات فقد قضى نحبه أي نذره وقوله فمنهم من قضى نحبه يحتمل موته شهيدا ويحتمل وفاءه بنذره من الثبات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم * (فان قلت) فما حقيقة قوله صدقوا ما عاهدوا الله عليه (قلت) يقال صدقني أخوك وكذبني اذا قال لك الصدق والكذب وأما المثل صدقني سن بكره فمعناه صدقني في سن بكره يطرح الجار ايصال الفعل فلا يخلو ما عاهدوا الله عليه اما أن يكون بمنزلة السن في طرح الجار واما أن يجعل العاهد عليه مصدوقا على المجاز كأنهم قالوا للعاهد عليه صدق بلاؤهم واوفوا به فقد صدقوه ولو كانوا كاذبين لكذبوه ولكان مكذوبا (وما بدلوا) العهد ولا غيروه ولا انتظروا من ينتظر الشهادة وقد ثبت طلحة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد حتى أصيبت يده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوجب طلحة وفيه تعريض بمن بدل من أهل النفاق ومرض القلوب جعل المنافقون كأنهم قصدوا عاهدة السوء وأرادوها فبدلوها كما قصد الصادقون عاقبة الصدق وقيل لان كلا الفريقين مسوق الى عاقبته من الثواب والعقاب فكأنهما استويا في علم الله السابق لتعلقهما به (ليجزي الله الصادقين بصدقهم) في الدنيا بالتوفيق والثبات (ويعذب المنافقين ان شاء) بالاصرار (أو يتوب عليهم) بالتوفيق للتوبة (ان الله كان غفورا رحيما) حيث لم يعاجلهم بالعقوبة (ورد الله الذين كفروا) الاحزاب (بغيظهم) متغيظين كقوله تبت يداه (لم ينالوا خيرا) غير ظافرين وهما حالان بتداخل أو تعاقب ويجوز أن تكون الثانية بيانا للاولى أو استئنافا (وكفى الله المؤمنين القتال) بالريح والملائكة (وأنزل الذين) ظاهروا الاحزاب من أهل الكتاب (من صياصيهم) من حصونهم والصيصية ما تحصن به يقال لقرن الثور والظبي صيصية ولشوكة الديك وهي كلبته التي في ساقه لانه يتحصن بها روي أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة الليلة التي انهزم فيها الاحزاب ورجع المسلمون الى المدينة ووضعوا سلاحهم على فرسه الجريح والغبار على وجه الفرس وعلى السرج فقال ما هذا يا جبريل قال من متابعة قريش فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح الغبار عن وجه الفرس وعن سرجه فقال يا رسول الله ان الملائكة لم تضع السلاح ان الله يأمرك بالمسير الى بني قريظة وأنا عامد اليهم فان الله داقهم دق البيض على الصفا وانهم لكم طعمة فأذن في الناس أن من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر الا في بني قريظة فحاصل كثير من الناس العصر الا بعد العشاء الآخرة لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فحاصرهم خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تنزلون على حكمي فأبوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فقال سعد حكمت فيهم أن تقتل مقاتلهم وتسبى ذراريهم ونساؤهم فكبر النبي صلى الله عليه وسلم وقال لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة ثم استنزلهم وحبسهم في سوق المدينة حفرا وقدهم فضرب أعناقهم وهم من ستمائة الى تسعمائة وقيل كانوا ستمائة مقاتل وسبعمائة أسير * وفرئ الرعب بسكون العين وضمها وتأسرون بضم السين * وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم جعل عقارهم للمهاجرين دون الانصار فقالت الانصار في ذلك فقال لكم منازلكم وقال عمر رضي الله عنه أما تخمس كما خمست يوم بدر قال لا انما جعلت هذه لي طعمة دون الناس قال رضينا ما صنع الله ورسوله (وأرضا لم تطؤها) عن الحسن رضي الله عنه فارس والروم وعن قتادة رضي الله عنه كنا نحدث أنها مكة وعن مقاتل رضي الله عنه هي خيبر وعن عكرمة كل أرض تفتح الى يوم القيامة ومن بدع التفاسير أنه أراد نساءهم * أردن شيأ من الدنيا من ثياب وزيادة نفقة وتغايرن فعظم ذلك

قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا وتسليما من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء أو يتوب عليهم ان الله كان غفورا رحيما ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤها وكان الله على كل شيء قديرا يا أيها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين

رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فبدأ بعائشة رضي الله عنها وكانت أحبهن اليه فخيرها وقرأ عليها القرآن فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة فرؤى الفرح في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اختارت جميعهن اختيارها فشكر لهن الله ذلك فأنزل لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج روى أنه قال لعائشة اني ذاكر لك أمرا ولا عليك أن تعجلي فيه حتى تستأمري أبويك ثم قرأ عليها القرآن فقالت أفي هذا أستأمر أبوي فاني أريد الله ورسوله والدار الآخرة وروى أنها قالت لا تخبر أزواجك أني اخترتك فقال انما بعثني الله مبلغا ولم يبعثني متعنتا (فان قلت) ما حكم التخيير في الطلاق (قلت) اذا قال لها اختاري فقالت اخترت نفسي أو قال اختاري نفسك فقالت اخترت لا يدمن ذكر النفس في قول المخيرة أو الخيرة وقعت طلقة بائنة عند أبي حنيفة وأصحابه واعتبروا أن يكون ذلك في المجلس قبل القيام أو الاشتغال بما يدل على الاعراض واعتبر الشافعي اختيارها على الفور وهي عنده طلقة رجعية وهو مذهب عمر وابن مسعود وعن الحسن وقتادة والزهري رضي الله عنهم أمرها بيدها في ذلك المجلس وفي غيره واذا اختارت زوجها لم يقع شيء باجماع فقهاء الامصار وعن عائشة رضي الله عنها خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترناه ولم يعده طلاقا وروى أفكان طلاقا وعن علي رضي الله عنه اذا اختارت زوجها فواحدة رجعية وان اختارت نفسها فواحدة بائنة وروى عنه أيضا أنها ان اختارت زوجها فليس بشيء * أصل تعالى أن يقوله من في المكان المرتفع لمن في المكان المستوطئ ثم كثر حتى استعمل في استعمال الامكنة ومعنى تعالين أقبلن بارادتكن واختياركن لاحد الامرين ولم يردن وضعن اليها أنفسهن كما تقول أقبل يخاصمني وذهب يكلمني وقام يدفع (أمتعكن) أعطكن متعة الطلاق (فان قلت) المتعة في الطلاق واجبة أم لا (قلت) المطلقة التي لم يدخل بها ولم يفرض لها في العقد متعتها واجبة عند أبي حنيفة وأصحابه وأما سائر المطلقات فمتعتهن مستحبة وعن الزهري رضي الله عنه متعتان احداهما يقضي بها السلطان من طلق قبل أن يفرض ويدخل بها والثانية حق على المتقين من طلق بعدما يفرض ويدخل وخاصم امرأة الى شريح في المتعة فقال متعها ان كنت من المتقين ولم يجبره وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه المتعة حق مفروض وعن الحسن رضي الله عنه لكل مطلقة متعة الا المختلعة والملاعنة والمتعة درع وخمار وملحفة على حسب السعة والاقتار الا أن يكون نصف مهرها أقل من ذلك فيجب لها الاقل منها ولا تنقص من خمسة دراهم لان أقل المهر عشرة دراهم فلا ينقص من نصفها (فان قلت) ما وجه قراءة من قرأ أمتكن وأسرحكن بالرفع (قلت) وجهه الاستئناف (سراحا جميلا) من غير ضرار طلاقا بالسنة (منكن) للبيان لا التبعيض * الفاحشة السيئة البليغة في القبح وهي الكبيرة * والبينة الظاهر فحشها والمراد كل ما اقترن من الكبائر وقيل هي عصيانهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشوزهن وطلبهن منه ما يشق عليه أو ما يضيق بسببه ذرعه ويقل لبثه وقيل الزنا والله عاصم رسوله من ذلك كما في حديث الافك وانما ضعف عذابهن لان ما قبح من سائر النساء كان أقبح منهن وأقبح لان زيادة قبح المعصية تتبع زيادة الفضل وكرامته وزيادة النعمة على العاصي من المعصي وليس لاحد من النساء مثل فضل نساء النبي صلى الله عليه وسلم ولا على أحد منهن مثل ما لله عليهن من النعمة واجراء يتبع الفعل وكون الجزاء عقابا يتبع كون الفعل قبيحا فلما ازداد قبحا ازداد عقابه شدة وذلك كان ذم الله تعالى الماضي العالم أشد منه للماضي الجاهل لان المعصية من العالم أقبح ولذلك فضل حد الاحرار على حد العبيد حتى ان أبا حنيفة وأصحابه لا يرون الرجم على الكافر (وكان ذلك على الله يسيرا) ايذان بأن كون من نساء النبي صلى الله عليه وسلم ليس بمغن عنهن شيئا وكيف يغني عنهن وهو سبب مضاعفة العذاب فكان داعيا الى تشديد الامر عليهن غير صارف عنه * قرئ يأت بالتاء والياء * مبينة بفتح الياء وكسرها من بين بمعنى تبين * يضاعف ويضعف على البناء للمفعول ويضاعف ونضعف بالياء والنون * وقرئ نقنت وتعمل بالتاء والياء ونؤتها بالياء والنون والقنوت الطاعة وانما ضوعف أجرهن لطلبهن رضا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحسن الخلق وطيب المعاشرة والقناعة وتوفيرهن على عبادة الله والتقوى * أحد في الاصل بمعنى واحد وهو الواحد وضع في

أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقا كريما

* قوله تعالى لستن كأحد من النساء (قال فيه معناه لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء أي اذا تقصيت أمة النساء جماعة جماعة لم توجد منهن جماعة واحدة (٢١٥) تساويهن في الفضل والسابقة ومثله ولم يفرقوا بين أحد منهم) قال أحمد انما بنيته على جعل

النفي العام مستوفيا فيه المذكر والمؤنث والواحد وماوراءه * ومعنى قوله (لستن كأحد من النساء) لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء أي اذا تقصيت أمة النساء جماعة جماعة لم توجد منهن جماعة واحدة تساوي كن في الفضل والسابقة ومثله قوله تعالى والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم بريد بين جماعة واحدة منهم تسوية بين جميعهم في أنهم على أحق المبين (ان اتقيتن) ان أردن التقوى وان كن متقيات (فلا تخضعن بالقول) فلا تلين بقولكن خاضعا أي لينا خشنا مثل كلام المريبات والومسات (فيطمع الذي في قلبه مرض) أي ريبة وفجور وقرئ بالجزم عطفا على محل فعل النهي على أنهن نهين عن الخضوع بالقول ونهي المريض القلب عن الطمع كله تعليل لانتفاء الخضوع فلا يطمع وعن ابن محيصن أنه قرأ بكسر الميم وسبيله ضم الياء مع كسر ها واسناد الفعل الى ضمير القول أي فيطمع القول المريب (قولا معروفا) بعيدا من طمع المريب بعيدا وخشونة من غير تخنيث أو قولا حسنا مع كونه خشنا * وقرئ بكسر القاف من وقر يقر وقارا أو من قر يقر حذفت الاولى من راءي اقررن ونقلت كسرتها الى القاف كما قيل ظلن وقرن بفتحها وأصله اقررن فحذفت الراء وألقيت فتحتها على ما قبلها كقولك ظلن وذكر أبو الفتح الهمداني في كتاب التبيان وجها آخر قال فاريقارا اذا اجتمع ومنه القارة لاجتماعها الا ترى الى قول عمر ل والدبش احتموا فتكونوا قارة * (الجاهلية الاولى) هي القديمة التي يقال لها الجاهلية الجهلاء وهي الزمن الذي ولد فيه ابراهيم عليه السلام كانت المرأة تلبس الدرع من اللؤلؤ فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال وقيل ما بين آدم ونوح وقيل بين ادريس ونوح وقيل زمن داود وسليمان والجاهلية الاخرى ما بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ويجوز أن تكون الجاهلية الاولى جاهلية الكفر قبل الاسلام والجاهلية الاخرى جاهلية الفسوق والفجور في الاسلام فكان المعنى ولا تتعدين بالتبرج جاهليتي الاسلام تشبيها بأهل جاهلية الكفر ويعضده ما روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابي الدرداء رضي الله عنه انك فيك جاهلية قال جاهلية كفر أم اسلام فقال بل جاهلية كفر * أمرهن أمرا خاصا بالصلاة والزكاة ثم جاء به عاما في جميع الطاعات لان هاتين الطاعتين البدنية والمالية هما أصل سائر الطاعات من اعتنى بهما حق العناية بعرناه الى ما وراءهما ثم بين أن اغتنامهن وأمرهن وعظمهن لا يقارف أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم الا آثم وليتقوا غيرها بالتقوى * واستعار الذنوب الرجس والتقوى الطهر لان عرض المعصية للعقوبات يتلوث بها ويتدنس كما يتلوث بدنه بالارجاس وأما المحسنات فلا مرض معها تتعرض معصون كالثوب الطاهر وفي هذه الاستعارة ما يقمر أولي الالباب عما كرههالله لعباده ونهاهم عنه ويرغبهم فيما رضيه لهم وأمرهم به و (أهل البيت) نصب على النداء أو على المدح وفي هذا دليل بين على أن نساء النبي صلى الله عليه وسلم من أهل بيته * ثم ذكرهن أن يبوتهن مهابط الوحي وأمرهن أن لا ينسين ما يتلى فيها من الكتاب والحكمة يعني أمرين هما آيتان بينتان تدلان على صدق النبوة لانه معجزة نظمه وهو حكمة وعلوم وشرائع (ان الله كان لطيفا خبيرا) حين علم ما ينفعكم ويصلحكم في دينكم فأنزله عليكم أو علم من يصلح لنبوته ومن يصلح لان يكونوا أهل بيته أو حيث جعل الكلام الواحد جامعا بين الامرين * روي أن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال في القرآن بخير أفما فينا خير نذكر به اناخاف أن لا تقبل مناطاعة وقيل السائلة أم سلمة وروي أنه لما نزل في نساء النبي صلى الله عليه وسلم ما نزل قال نساء المسلمين فنزلت فيهن آيات * والمسلم الداخل في السلم بعد الحرب المنقاد الذي لا يعاند أو المفوض أمره الى الله المتوكل عليه من أسلم وجهه الى الله * والمؤمن المصدق بالله ورسوله وبما يجب أن يصدق به * والقانت القائم بالطاعة الدائم عليها * والصادق

لان الاول جماعة وقد كان مستغنيا عن ذلك بحمل الكلام على واحده ويكون المعنى ابلغ والتقدير ليست واحدة منكن كواحدة من النساء ويلزم من تفضيل كل واحدة منهن على كل واحدة من آحاد النساء تفضيل جماعتهن على كل جماعة ولا يلزم ذلك في العكس فتأمله والله أعلم وجاء التفضيل ههنا كميته في قوله تعالى أفمن يخلق كمن لا يخلق وقوله وليس الذكر كالانثى في تقديم الافضل عند التفضيل وقد مضت في ذلك نكتة حسنة والله الموفق

يا نساء النبي لستن كأحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى وأقمن الصلوة وآتين الزكوة وأطعن الله ورسوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ان الله كان لطيفا خبيرا ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات

الذى يصدق فى نيته وقوله وعمله * والصابر الذى يصبر على الطاعات وعن المعاصى * والخاشع المتواضع لله بقلبه وجوارحه وقيل الذى اذا صلى لم يعرف من عن يمينه وشماله * والمتصدق الذى يزكى ماله ولا يخل بالنوافل وقيل من تصدق فى أسبوع بدرهم * ومن المتصدقين * ومن صام اليوم من كل شهر وهو من الصائمين * والذاكرين الله كثيرا من لا يكاد يخلو من ذكر الله بقلبه أو لسانه أو بهما وقراءة القرآن والاشتغال بالعلم من الذكر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من استيقظ من نومه وأيقظ امرأته فصليا جميعا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات * والمنى والحافظاتها والذاكراته فحذف لان الظاهر يدل عليه (فان قلت) أى فرق بين المعطفين أعنى عطف الاناث على الذكور وعطف الزوجين على الزوجين (قلت) العطف الاول نحو قوله تعالى ثبات وأبكارا لما أنهما جنسان مختلفان اذا اشتركا فى حكم لم يكن بد من توسيط العاطف بينهما وأما العطف الثانى فمن عطف الصفة على الصفة بحرف الجمع فكأن معناه ان الجامعين والجامعات لهذه الطاعات (أعد الله لهم) * خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب على مولاه زيد بن حارثة فأبت وأبى أخوها عبد الله فنزلت فقالا رضينا يا رسول الله فأنكحها اياه وساق عنه الى مهرها مائتين درهما وخمارا وملحفة ودرعا وازارا وخمسين مدا من طعام وثلاثين صاعا من تمر وقيل هى أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط وهى أول من هاجر من النساء وهبت نفسها للنبى صلى الله عليه وسلم فقال قد قبلت وزوجها زيدا فاضطجعت هى وأخوها وقالا انما أردنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فتزوجها عبده والمعنى وما صح لرجل ولا امرأة من المؤمنين (اذا قضى الله ورسوله) أى رسول الله أولان قضاء رسول الله هو قضاء الله (أمرا) من الامور * أن يختاروا من أمرهم شاؤا بل من حقهم أن يجعلوا رأيهم تبعا لرأيه واختيارهم تابعا لاختياره (فان قلت) كان من حق الضمير أن يوحد كما تقول ما جاءنى من رجل ولا امرأة الا كان من شأنه كذا (قلت) هم ولكنه ما وقعت النفى فعم كل مؤمن ومؤمنة فرجع الضمير على المعنى لا على اللفظ * وقرئ يكون بالتاء والياء و (الخيرة) ما يختار (للذى أنعم الله عليه) بالاسلام الذى هو أجل النعم وتوفيقك لعتقه وتبنيه واختياصه وأنعمت عليه) بما وفقك الله فيه فهو منقلب فى نعمة الله ونعمة رسوله صلى الله عليه وسلم وهو زيد بن حارثة (أمسك عليك زوجك) يعنى زينب بنت جحش رضى الله عنها وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أصعر بها بعد ما أنكحها اياه فوقعت فى نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب وذلك أن نفسه كانت تخفو عنها قبل ذلك لانها كانت تعظمه وتطول لسانها عليه وتؤذيه بالتسيعة فذكرها لزيد فطن وألقى فى نفسه كراهة حبتها والرغبة عنها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انى أريد أن أفارق صاحبتى فقال مالك أرابك منها شئ قال لا والله ما رأيت منها الا خيرا ولكنها تتعظم على لشرفها وتؤذينى فقال له أمسك عليك زوجك واتق الله ثم طلقها بعد فلما انقضت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أجد أحدا أوفق فى نفسى منك اخطب على زينب قال زيد فانطلقت فأذا هى تخمر عجينتها فلما رأيتها عظمت فى صدرى حتى ما أستطيع أن أنظر اليها حين علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها وقولتها ظهرى وقلت يا زينب أبشرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبك فقرحت وقالت ما أنا بصانعة شيئا حتى أؤامر ربى فقامت الى مسجدها ونزل القرآن وجاءها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بها ولم يولم على امرأة من نسائه ما أولم عليها ذبح شاة وأطعم الناس الخبز واللحم حتى امتد النهار (فان قلت) ما أراد بقوله (واتق الله) (قلت) أراد واتق الله فلا تطلقها وقصد من تنزيه لا تحريم لان الاولى أن لا يطلق وقيل أراد واتق الله فلا تنمها بالنسبة الى الكبر وأذى الزوج (فان قلت) ما الذى أخفى فى نفسه (قلت) تعلق قلبه بها وقيل سمع وقت مفارقة زيد اياها وقيل علمه بأن زيدا سيطلقها وسينكحها الان الله قد أعلمه بذلك وعن عائشة رضى الله عنها لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ مما أوحى اليه لكتم هذه الآية (فان قلت) فاذا أراد الله منه أن يتولاه حين قال له زيد أريد مفارقتها وكان من الهجنة أن يقول له افعل فانى أريد نكاحها (قلت) كأن الذى أراد منه عز وجل أن يصمت عند

والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا واذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله

ذلك أو تقول له أنت أعلم بشأنك حتى لا يخالف سره في ذلك علانيته لان الله يريد من الانبياء تساوي الظاهر والباطن والتصلب في الامور والتجاوب في الاحوال والاستمرار على طريقة مستقيمة كما جاء في حديث ارادة رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل عبد الله بن أبي سرح واعتراض عثمان بشفاعته له أن عمر قال له لقد كان عيني الى عينك هل تشير الى فاقتله فقال ان الانبياء لا تومض ظاهرهم وباطنهم واحد (فان قلت) كيف عاتبه الله في ستر ما استكن من التصريح ولا يستحق من النبي صلى الله عليه وسلم التصريح بشيء الا والشيء في نفسه مستهجن وقالة الناس لا تتعلق الا بما يستقبح في العقول والعادات وماله لم يعاتبه في نفس الامر ولم يأمره بقمع الشهوة وكف النفس عن أن تنازع الى زينب وتتبعها ولم يعصم نبيه صلى الله عليه وسلم عن تعلق الهجنة به وما يعرضه للقالة (قلت) كم من شيء يحفظ منه الانسان ويستحي من اطلاع الناس عليه وهو في نفسه مباح متسع وحلال مطلق لا متنال فيه ولا عيب عند الله وربما كان الدخول في ذلك المباح سلما الى حصول واجبات يعظم أمرها في الدين ويجل ثوابها ولم يتحفظ منه لاطلاق كثير من الناس فيه ألسنتهم الا من أوتي فضلا وعلما ودينا وانظر في حقائق الامور ولوجوهها دون قشورها ألا ترى أنهم كانوا اذا طعموا في بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتواصفون تكرين في مجالسهم لا يريدون مستأنسين بالحديث وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤذيه قعودهم ويضيق صدره حديثهم والحياء يصده أن يأمرهم بالانتشار حتى نزلت ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق ولو أبرز رسول الله صلى الله عليه وسلم مكنون ضميره وأمرهم أن ينتشروا لشق عليهم ولكان بعض الاقالة فهذا من ذلك القبيل لان طموح قلب الانسان الى بعض مشتهياته من امرأة أو غيرها غير موصوف بالقبح في العقل ولا في الشرع لانه ليس بفعل الانسان ولا بوجوده باختياره وتناول المباح بالطريق الشرعي ليس بقبيح أيضا وهو خطبة زينب ونكاحها من غير استنزال زيد عنها ولا طلب اليه وهو أقرب شيء من زرقيمة أن يواسيه بمفارقتها مع قوة الميل بان نفس زيد لم تكن من التعلق بها في شيء بل كانت شيعة منها نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم متعلقة بها ولم يكن مستنكرا عندهم أن ينزل الرجل من امر أته لصديقه ولا محسنته هذا اذا نزل عنها أن يكحها الآخر فان المهاجرين من حصلوا الله بنات أسنتهم الانصار وكل شيء حتى ان الرجل منهم اذا كانت له امرأتان نزل عن احداهما وانكحها المهاجر واذا كان الامر مباحا من جميع جهاته ولم يكن فيه وجه من وجوه القبح ولا مفسدة ولا مضرة تربو ولا لاحد بل كان مستجرا صالحا ناهيك بواحدة منها أن بنت عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم أمنت الآفة والفتنة ونالت الشرف وعادت أما من أمهات المسلمين الى ما ذكر الله عز وجل من المصلحة العامة في قوله لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا فما لمري أن يعاتب الله رسوله حيث كتمه وبالغ في كتمه بقوله أمسك عليك زوجك واتق الله وأن لا يرضى له الا اتحاد الضمير والظاهر والنبات في مواطن الحق حتى يقتدي به المؤمنون فلا يستحيوا من الكاشفة بالحق وان كان مرا (فان قلت) الراوي وتخفي في نفسك وتخشى الناس والله أحق ما هي (قلت) واو الحال أي تقول له زيد أمسك عليك زوجك مخفيا في نفسك ارادة أن لا يمسكها وتخفي خاشيا قالة الناس وتخشى الناس حقيقا في ذلك بأن تخشى الله أو واو العطف كأنه قيل واذ تجمع بين قولك أمسك واخفاء خلافه وخشية الناس والله أحق أن تخشاه حتى لا تفعل مثل ذلك * اذا بلغ الرائع حاجته من شيء له فيه همة فيسل فضي منه وطره والمعنى فلما لم يبق لزيد فيها حاجة وتقاصرت عنها همته وطابت عنها نفسه وطلقها وانقضت عدتها (زوجناكها) وقراءة أهل البيت زوجتكها وقيل لعمر بن محمد رضي الله عنهما ألبس تقرأ على غير ذلك فقال لا والذي لا إله الا هو ما قرأتها على أبي الا كذلك ولا أقرأها الحسن بن علي على أبيه الا كذلك ولا أقرأها علي بن أبي طالب على النبي صلى الله عليه وسلم الا كذلك (وكان أمر الله مفعولا) جملة اعتراضية يعني وكان أمر الله الذي يريد أن يكونه مفعولا ممكونا لا محالة وهو مثل لما أراد كونه من تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب ومن نفي الحرج عن المؤمنين في اجراء أزواج المتبنين مجرى أزواج البنين

وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا ما كان على النبي من حرج فيما

فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدرا مقدورا الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا الا الله وكفى بالله حسيبا ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا

في صحريهن عليهم بعد انقطاع علائق الزواج بينهم وبينهن ويجوز أن يراد بأمر الله المكون لانه مفعول بكن وهو أمر الله (فرض الله) قسم له وأوجب من قولهم فرض لفلان في الديوان كذا ومنه فروض العسكر (وثقافهم (سنة الله) سم موضوع موضع المصدر كقولهم تربا وجندلا مؤكد لقوله تعالى ما كان على النبي من حرج كأنه قيل سن الله ذلك سنة في الأنبياء الماضين وهو أن لا يحرج عليهم في الاقدام على ما أباح لهم ووسع عليهم في باب النكاح وغيره وقد كانت تحتهم الهاشر والسراري وكانت لداود عليه السلام مائة امرأة وثلثمائة سرية ولسليمان عليه السلام ثلثمائة وسبعمائة (في الذين خلوا) في الأنبياء الذين مضوا (الذين يبلغون) يجعل وجوه الاعراب الجر على الوصف للأنبياء والرفع والنصب على المدح على هم الذين يبلغون أو على أعني الذين يبلغون * وقرئ رسالة الله * فدل على تعدد رسالاته قضايا وحكما ستتلى ووصف الأنبياء بأنهم لا يخشون الا الله تعريض بعد التصريح في قوله تعالى وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه (حسيبا) كافيا للمخاوف أو محاسبا على الصغيرة والكبيرة فيجب أن يكون حق الخشية من مثله (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم) أي لم يكن أبا رجل منكم على الحقيقة حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الأب وولده من حرمة المصاهرة والنكاح (ولكن) كان (رسول الله) وكل رسول أبو أمته فيما يرجع إلى وجوب التوقير والتعظيم له عليهم ووجوب الشفقة والنصيحة لهم عليه لان سائر الاحكام الناشئة بين الآباء والابناء وزيد واحد من رجالكم الذين ليسوا بأولاده حقيقة فكان حكمه حكمكم لا الابناء والذي من باب الاختصاص والتقريب لا التعريم (و) كان (خاتم النبيين) يعني أنه لو كان له ولد بالغ مبلغ الرجال لكان نبيا ولم يكن هو خاتم الانبياء كما روي أنه قال في ابراهيم حين توفي لو عاش لكان نبيا (فان قلت) أما كان أبا الطاهر والطيب والقاسم وابراهيم (قلت) بلى أخبر حوا من حكم النص بقوله من رجالكم ومعنى أحد هما أن هؤلاء لم يبلغوا مبلغ الرجال والثاني أنه قد أضاف الرجال اليهم وهؤلاء لم يرجالا بل أطفالا (فان قلت) أما كان أبا الحسن والحسين (قلت) بلى ولكنهما لم يكونا رجالين حينئذ وهما أيضا من رجالهم وشيء آخر وهو أنه انما قصد ولده خاصة لا ولد ولده لقوله تعالى وخاتم النبيين أترى أن الحسن والحسين فعلا شيئا من أن نيف أحدهما على الاربعين والآخر على الخمسين * فرق ولكن رسول الله بالنصب عطفا على أبا أحد وبالرفع على ولكن هو رسول الله ولكن بالتشديد على خلاف الخبر تقدير ولكن رسول الله من عرفتم أي لم يعش له ولد ذكر وخاتم بفتح التاء بمعنى الطابع وبكسرها بمعنى الطابع وفاعل الختم وتقويه قراءة ابن مسعود ولكن نبي ختم النبيين (فان قلت) كيف كان آخر الأنبياء وعيسى ينزل في آخر الزمان (قلت) معنى كونه آخر الانبياء أنه لا نبي بعده وعيسى من نبي قبله وحين ينزل ينزل عاملا على شريعة محمد مصليا الى قبلته كأنه بعض أمته (اذكروا الله) أنعموا عليه بضروب الثناء من التقديس والتحميد والتهليل والتكبير وما هو أهله وأكثروا ذلك (بكرة وأصيلا) أي في كافة الاوقات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذكروا الله على فم كل مسلم وروي في كل قلب مسلم وعن قتادة قولوا سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وعن مجاهد هذه كلمات يقولها الطاهر والجنب والفضلان أعني اذكروا وسبحوا هو جهاد في الكثرة والاصيل كقولك صم وصل يوم الجمعة والتسبيح من جملة الذكر وانما خصه من بين أنواعه لاختصاص حبريل وميكائيل من بين الملائكة بتفضيل على سائر الاذكار لان معناه تنزيه الله عما لا يجوز عليه من الصفات والافعال وتبرئته من القبائح ومثال فضله على غيره من الاذكار فضل وصف العبد بالنزاهة من أدناس المعاصي والطهر من أرجاس الآثام على سائر أوصافه من كثرة الصلاة والصيام والتوفر على الطاعات كلها والاشتغال على العلوم والاشتهار بالفضائل ويجوز أن يريد بالذكر والتسبيح الطاعات والاقبال على العبادات فان كل طاعة وكل خير من جملة الذكر ثم خص من ذلك التسبيح بكرة وأصيلا وهي الصلاة في جميع أوقاتها لفضل الصلاة على غيرها أو صلاة الفجر والعشاءين لان أداءها أشق وهي اعتامها أشد * لما كان من شأن المصلي أن ينعطف في ركوعه وسجوده استعير لمن ينعطف على غيره محنوا عليه مؤوفا

كعائد المريض في انعطافه عليه والمرأة في حنوها على ولدها ثم كثر حتى استعمل في الرحمة والترؤف ومنه قولهم صلى الله عليك أي ترحم عليك وترأف (فان قلت) قوله (هو الذي يصلي عليكم) ان فسرته بيترحم عليكم ويترأف فما تصنع بقوله (وملائكته) وما معنى صلاتهم (قلت) هي قولهم اللهم صل على المؤمنين جعلوا لكونهم مستجابي الدعوة كأنهم فاعلون الرحمة والرأفة وتلقين قولك حياك الله أي أحياك وأبقاك وحييتك أي دعوت لك بأن يحييك الله لان اكتمالك على اجابة دعوتك كانك تبقيه على الحقيقة وكذلك عمرك الله وعمرتك وسقاك الله وسقيتك وعليه قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه أي ادعوا الله بأن يصلي عليه والمعنى هو الذي يترحم عليكم ويترأف حتى يدعكم الى الخير ويأمركم بأكثار الذكر والتوفر على الصلاة والطاعة (ليخرجكم) من ظلمات المعصية الى نور الطاعة (وكان بالمؤمنين رحيما) دليل على أن المراد بالصلاة الرحمة وبروى أنه لما نزل قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي قال أبو بكر رضي الله عنه ما خصك الله يا رسول الله بشرف الا وقد أشركنا فيه فأنزلت (تحيتهم) من اضافة المصدر الى المفعول أي يحيون يوم لقائه بسلام فيجوز أن يعظمهم الله بسلامه عليهم كما يعظم بهم سائر أنواع التعظيم وأن يكون مثلا كالقاه على ما فسرناه وقيل هو سلام ملك الموت والملائكة معه عليهم وبشارتهم بالجنة وقيل سلام الملائكة عند الخروج من القبور وقيل عند دخول الجنة كما قال والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم * والاجر الكريم الجنة (شاهدا) على من بعثت اليهم وعلى تكذيبهم وقصدهم أي مقبولا ومزكى عند الله لهم وعليهم كما يقبل قول الشاهد العدل في الحكم (فان قلت) وكيف كان شاهدا وقت الارسال وانما يكون شاهدا عند تحمل الشهادة أو عند أدائها (قلت) هي حال مقدرة كمسئلة الكتاب مررت برجل معه صقر صائدا به غدا أي مقدرا به الصيد غدا (فان قلت) فتفهم من قوله انا أرسلناك داعيا انه مأذون له في الدعاء فما فائدة قوله (باذنه) (قلت) لم يرد به حقيقة الاذن وانما جعل الاذن مستعارا للتسهيل والتيسير لان الدخول في حق المالك مستعد فاذا صودف الاذن تسهل وتيسر فلما كان الاذن تسهيلا لما استعد من ذلك وضع موضعه وذلك أن دعاة أهل الشرك والجاهلية الى التوحيد والشرائع أمر في غاية الصعوبة والتعذر يتسهل باذنه للداعين بأن الامر سهل لا يتأتى ولا يستطاع الا باذنه له ويسره ومنه قولهم في الشيء الذي لا يتغير مأذون له في الاتلاف أي غير مسهول له لاتلافه لكونه شاقا عليه داخلا في حكم التعذر * جعلني الله ظلمات الشرك واهتدى به الضالون كما يجلي ظلام الليل بالسراج المنير ويهتدى به أو أهدى الله نوره فتيلته وفي كلام بعضهم الاثرة تضيء رسول بطيء وسراج لا يضيء ومائدة ينتظرها من يجيء وسئل بعضهم عن الموحشين فقال ظلام سائر وسراج فاتر وقيل وذا سراج منير أوونا لبشارة المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا ولا تطع الكافرين والمنافقين لانه اذا أعرض عنهم أقبل جميع اقبالة على المؤمنين وهو مناسب للبشارة والنذير يدع أذاهم لانه اذا ترك أذاهم في الحاضر والاذى لابد له من عقاب عاجل أو آجل كانوا مستحقين به في المستقبل والداعي الى الله بتيسيره بقوله وتوكل على الله لان من توكل على الله يسر عليه كل عسير والسراج

هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان بالمؤمنين رحيما تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات

* قوله تعالى هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور الآية (قال ان جعلت يصلي بمعنى يرحم فما بال عطف الملائكة عليه فأجاب بأنهم لما كانوا يدعون الله بالرحمة ويستجيب دعاءهم بذلك جعلوا كأنهم فاعلون الرحمة كما تقول حياك الله بمعنى أحياك ثم تقول حييته بمعنى دعوت الله له بالحياة والقصد بذلك جعل الحياة محققة له كأنك قلت دعوت له بالحياة فاستجيبت الدعوة) قال أحمد كثيرا ما يغير الزمخشري من اعتقاد

المسير بالاكتفاء به وكيلا لان من آثار الله برهانا على جميع خلقه كان جديرا بان يكتفى به عن جميع خلقه
* النكاح الوطء وتسمية العقد نكاحا للابسة له من حيث الطريق اليه ونظيره تسميتهم الخمر اثما لانها
سبب في اقتراف الاثم ونحوه في علم البيان قول الراجز * أسمة الآبال في محابه * سمى الماء أسمة لان الآبال
لابه سبب سمن المال وارتفاعه أسمته ولم يرد لفظ النكاح في كتاب الله الا في معنى العقد لان في معنى الوطء
من باب التصريح به ومن آداب القرآن الكناية عنه بلفظ الملامسة والمباشرة والقربان والتغشي والاتيان
(فان قلت) لم خص المؤمنات والحكم الذي نطقت به الآية تستوي فيه المؤمنات والكتابيات (قلت)
في تخصيصهن تنبيه على أن أصل أخر المؤمن والاولى به أن يخير لنطفته وأن لا ينكح الا مؤمنة عفيفة
ويتنزه عن مزاوجة الفواسق شابال الكوافر ويستنكف أن يدخل تحت خاف واحد عدو الله ووليه
فاتقي في سورة المائدة تعليم ما هو جائز غير محرم من نكاح المحصنات من الذين اوتوا الكتاب وهذه فيها تعليم
ما هو الاولى بالمؤمن من نكاح المؤمنات (فان قلت) ما فائدة ثم في قوله (ثم طلقتموهن) (قلت) فائدتها نفي
التوهم عن عسى بتوهم تفاوت الحكمين أن يطلقها وهي قريبة العهد من النكاح وبين أن يبعد عهدها
النكاح ويتراخيها المدة في حبالة الزوج ثم يطلقها (فان قلت) ذا خلا بها خلوة يكمله معها الناس هل
يقوم ذلك مقام الناس (قلت) نعم عند أبي حنيفة وأصحابه حكم الخلوة الصحيحة حكم الناس وقوله (فما لكم
عليهن من عدة) دليل على أن العدة حق واجب على النساء للرجال (تعتدونها) تستوفون عددها من قولك
عددت الدراهم فاعتدها كقولك كلته فاكتاله ووزنته فاتزنه وقرئ تعتدونها مخففا أي تعتدون فيها كقوله
ويوم شهدناه والرفع أظهر اعتدادا على قوله تعالى ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا (فان قلت) ما هذا المتتبع
أواجب أم مندوب إليه (قلت) ان كانت غير مفروض لها كانت المتعة واجبة ولا تجب المتعة عند أبي حنيفة
لأنها واحدة من سائر المطلقات وان كانت مفروضا لها فالمتعة مختلف فيها فمن قائل على الندب والاستحباب
ومنهم أبو حنيفة وبعض على الوجوب (سراحا جميلا) من غير ضرار ولا منع واجب (أجورهن)
مهورهن لان المهر أجر على البضع وأيتاؤها اما اعطاؤها اما حلا وامافرضها وتسميتها في العقد (فان قلت)
لم قال اللاتي آتيت أجورهن وما أفاء الله عليك والاتي هاجرن معك وما فائدة هذه الخصوصات (قلت) قد
اختار أفضل سوله الافضل الاول واستحبه بالاطيب الاركى لما اختصه بغير هامن الخصائص مع أنه يباح سواها
من الاز وذلك أن تسمية المهر في الصداق وأفضل من ترك التسمية وان وقع العقد جائزا ولو أن يعطيها
وليسه مهر المثل ان دخل بها والمتعة ان لم يدخل بها وسوق المهر اليها عاجلا أفضل من أن يسميه ويؤجله
وكان التعجيل دين السلف وسنتهم ولا يعرف بينهم غيره وكذلك الهبة اذا كانت سبيتها الكها وخطبة
سيدورحمه وعماته وبنات دار الحرب أحل وأطيب عائشة ترى من شق الجلب والسبي على ضربين سبي
طيبة وسبي خبثة فسبي الطيبة ما سبي من أهل الحرب وأما من كان له عهد فالسبي منهم سبي خبثة ويدل
عليه قوله تعالى (هاجرن معك) لان في الله لا يطلق الا على الطيب دون الخبيث كما أن ورثة الله يجب
اطلاقه على الحلال دون الحرام وكذلك اللاتي هاجرن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرابته غير المحارم
أفضل من غيرهن لهاجرات معه وعن أم هانئ بنت أبي طالب خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت
اليه فعذرني ثم أنزل الله هذه الآية فلم أحل له لاني لم أهاجر معه كنت من الطلقاء * وأحلت الآلى سمع
لها أن تهب الله نفسها ولا تطلب مهرا من النساء المؤمنات ان اتفق ذلك ولذلك نكرها واختلف في اتفاق
ذلك فعن ابن عباس رضي الله عنهما لم يكن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد ممن باطمة وتحل
الموهوبات أربع ميمونة بنت الحرث وزينب بنت خزيمة أم المساكين الانصارية وأم شريك بنت جابر وخولة
بنت حكيم رضي الله عنهن * قرئ (ان وهبت) على الشرط وقرأ الحسن رضي الله عنه أن بالفتح على
التعليل بتقدير حذف اللام ويجوز أن يكون مصدرا محضا وقامعه الزمان كقولك اجلس مادام زيد جالسا
بمعنى وقت دوامه جالسا وقت هبتها نفسها وقرأ ابن مسعود بنصبهن (فان قلت) ما معنى الشرط الثاني

ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا يا أيها النبي انا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك وامرأة مؤمنة ان وهبت

ان اراد الحقيقة فالجواز مما لا قائل به وقد السرعه ههنا ولكن جعل المسلاة من الله حقيقة ومن الملائكة مجازا لانه جمعها على الرحمة وأما غيره فحملها على الدعاء وجعلها من الملائكة حقيقة ومن لله مجازا والله أعلم

مع الاول (قلت) هو تقييد له شرط في الاحلال هبتها نفسها في الهبة ارادة استنكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه قال أحللناها لك ان وهبت لك نفسها وأنت تريد أن تستنكحها الا ان ارادته هي قبول الهبة وما به تتم (فان قلت) لم عدل عن الخطاب الى الغيبة في قوله تعالى (نفسها للنبي ان أراد النبي) ثم رجع الى الخطاب (قلت) للايذان بأنه مما خص به وأوثر تجهيله على لفظ النبي للدلالة على أن الاختصاص تكرمة له لاجل النبوة وتكريره تفخيم له وتقرير لاستحقاقه الكرامة لنبوته * واستنكحها طلب نكاحها والرغبة فيه وقد استشهد به أبو حنيفة على جواز عقد النكاح بلفظ الهبة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمته سواء في الاحكام الا فيما خصه الدليل وقال الشافعي لا يصح وقد خص رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعنى الهبة ولفظها جميعا لان اللفظ تابع للمعنى والمدعى للاشتراك في اللفظ محتاج الى دليل وقال أبو الحسن الكرخي ان عقد النكاح بلفظ الاجارة جائز لقوله تعالى اللاتي آتيت أجورهن وقال أبو بكر الرازي لا يصح لان الاجارة عقد مؤقت وعقد النكاح مؤبد فهما متنافيان (خالصة) مصدر مؤكد كوعد الله وصيغة الله أي خلص لك احلال ما أحللنا لك خالصة بمعنى خلوصا للفاعل والفاعلة في المصادر غير مرتين كالفارح والقاعد والعافية والكاذبة والدليل على أنها وردت في أثر الاحلالات الاربع مخصوصة برسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل التوكيد لها قوله (قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم) بعد قوله من دون المؤمنين وهي جملة اعتراضية وقوله (لكيلا يكون عليك حرج) متصل بخالصة لك من دون المؤمنين ومعنى هذه الجملة الاعتراضية أن الله قد علم ما يجب فرضه على المؤمنين في الازواج والاماء وعلى أي حد وصفة يجب أن يفرض عليهم ففرضه وعلم المصلحة في اختصاص رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اختصه به ففعل ومعنى لكيلا يكون عليك حرج لئلا يكون عليك ضيق في ذلك حيث اختصصناك بالتنزيه والخيار ما هو أرفى وأفضل وفي ذلك حيث أحللنا لك أيضا التكوحات وزدنا لك الواهبة نفسها وقرئ خالصة بالرفع أي ذلك خلوص لك وخصوص من دون المؤمنين ومن جعل خالصة نعتا للمرأة فعلى مذهب هذه المرأة خالصة لك من دونهم (وكان الله غفورا) للواقع في الحرج اذا تاب (رحيما) بالتوسعة على عباده * روي أن أصهلت المؤمنين حين تغايرن وابتغين بزيادة النفقة وعظن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهجرهن شهرا ونزل التخيير فأشفقن أن يطلقهن فقلن يا رسول الله افرض لنا من نفسك ومالك ما شئت وروي ان عائشة رضي الله عنها قالت يا رسول الله اني أرى ربك يسارع في هواك (ترجي) بهمز وغير همز تؤخر (وتؤوي) تضم يعني تترك مضاجعة من تشاء منهن وتضاجع من تشاء أو تطلق من تشاء وتمسك من تشاء أو لا تقسم لأيتهن شئت وتقسم لمن شئت أو تترك تزوج من شئت من نساء أمتك وتتزوج من شئت وعن الحسن رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب امرأة لم يكن لاحد أن يخطبها حتى يدعها وهذه قسمة عامة لما هو الغرض لانه اما أن يطلق واما أن يمسك فاذا أمسك ضاجع أو ترك وقسم أو لم يقسم واذا طلق وعزل فاما أن يخلي المعزولة لا يبتغيها أو يبتغيها روي أنه أرجى منهن سودة وجويرية وصفية وميمونة وأم حبيبة فكان يقسم لهن ما شاء كما شاء وكانت ممن أوى اليه عائشة وحفصة وأم حبيبة وزينب رضي الله عنهن أربع حسان أوى أو بعا وروي أنه كان يسوي مع ما أطلق له وخير فيه الا سودة فانها وهبت ليلتها لعائشة وقالت لا تطلقني حتى أحشر في زمرة نسائك (ذلك) التفويض الى مشيئتك (أدنى) الى قرة عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن جميعا لانه اذا سوى بينهن في الايواء والارجاء والعزل والابتغاء وارتفع التفاضل ولم يكن لاحداهن مما تريد وما لا تريد الا مثل ما للاخرى وعلم أن هذا التفويض من عند الله بوحيه اطمأنت نفوسهن وذهب التنافس والتغاير وحصل الرضا وقرت العيون وسلمت القلوب (والله يعلم ما في قلوبكم) فيه وعيد لمن لم ترض منهن بما دبر الله من ذلك وفوض الى مشيئة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث على مواطأة قلوبهن والتصافي بينهن والتوافق على طلب رضا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما فيه طيب نفسه * وقرئ تقر أعينهن بضم التاء ونصب الاعين وتقر أعينهن على البناء للمفعول (وكان الله عليما) بذات الصدور (حليما)

نفسها للنبي ان أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن والله يعلم ما في قلوبكم وكان الله عليما حليما

لا يعاجل بالعقاب فهو حقيق بأن يتقي ويحذر * كلهن تأكيد للون برضين وقرأ ابن مسعود وبرضين كلهن بما آتيتهن على التقديم وقرئ كلهن تأكيد لها في آتيتهن * (لا يحل) وقرئ بالتاء كيلان تأنيث الجمع غير حقيقي وإذا جاز بغير فصل في قوله تعالى وقال نسوة كان بالفصل أجوز (من بعد) من بعد التسع لان التسع نصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الازواج كما ان الاربع نصاب أمته فمن ثم فلا يحل له أن يتجاوز النصاب (ولا أن تبدل بهن) ولا أن تستبدل بهؤلاء التسع أزواجا أخر بكاهن أو بعضهن أراد الله لهن كرامة وجزاء على ما اخترن ورضي فقصر النبي صلى الله عليه وسلم عليهن وهي التسع اللاتي مات عنهن عائشة بنت أبي بكر حفصة بنت عمر أم حبيبة بنت أبي سفيان سودة بنت زمعة أم سلمة بنت أبي أمية صفية بنت حيي الخيبرية ميمونة بنت الحرث الهلالية زينب بنت جحش الاسدية جويرية بنت الحرث المصطلقية رضي الله عنهن * من في (من أزواج) لتأكيد النفي وفائدته استغراق جنس الازواج بالتحريم وقيل معناه لا تحل لك النساء من بعد النساء اللاتي نص احلالهن لك من الاجناس الاربعة من الاعرابيات والغرائب أو من الكتابيات أو من الاماء بالنكاح وقيل في تحريم التبدل هو من البدل الذي كان في الجاهلية كان يقول الرجل للرجل بادلني باهلك أباد لك باهلي أي انزل عل واحد مني ما عليّ أن أنزل عليك اهلك وحكي أن بينة بن حصن دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده عائشة من غير استئذان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عيينة أين الاستئذان قال يا رسول الله ما استأذنت على رجل قط ممن مضى منذ أدركت ثم قال من هذه الحميراء إلى جنبك فقال صلى الله عليه وسلم هذه عائشة أم المؤمنين قال عيينة أفلا أنزل لك عن أحسن الخلق فقال صلى الله عليه وسلم ان الله قد حرم ذلك فلما خرج قالت عائشة رضي الله عنها من هذا يا رسول الله قال أحمق مطاع وانه على ما ترين لسيد قومه ومن عائشة رضي الله عنها ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل له النساء عني أن الآية قد نسخت ولا يخلو نسخها اما أن يكون بالسنة واما بقوله تعالى انا أحللنا لك أزواجك ثم ترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف (ولو أعجبك) في موضع الحال من الفاعل وهو الضمير في تبدل لا من المفعول الذي هو من أزواج لانه موغل في التنكير وتقديره مفروضا اعجابك بهن وقيل هي أسماء بنت عميس الخثعمية امرأة جعفر بن أبي طالب والزباء منهن أعجبه حسنهن * واستثنى ممن حرم عليه الاماء (رقيبا) حافظا * مهيمنا هو وتحذير عن مجاوزة حدوده وتخطي حلاله الى حرامه (أن يؤذن لكم) في معنى الظرف تقديره وقت أن يؤذن لكم و (غير ناظرين) حال من لا تدخلوا وقع الاستثناء على الوقت والحال معا كأنه قيل لا تدخلوا بيوت النبي صلى الله عليه وسلم الا وقت الاذن ولا تدخلوها الا غير ناظرين وهو لا يقوم كانوا يجيئون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه فمعناه لا تدخلوا باهلا المتحينون طعام الآن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه والا فلو لم يكن لهؤلاء متحين صح المجاز لا حد أن يدخل بيوت النبي صلى الله عليه وسلم الآن يؤذن له اذنا خاصا وهو الاذن الى الطعام خصت وعن ابن أبي عبلة أنه قرأ غير ناظرين بجر ورا صفة لطعام وليس بالوجه لانه يجري على غير ما هو له فان حق غير ما هو له أن يبرز الى اللفظ فيقال غير ناظرين اناه أنتم كقولك هند زيد ضاربته هي * وانى الطعام ادراكه يقال أنى الطعام اني كقولك فلاه قلي ومنه قوله بين حميم آن الناء وقيل اناه وقته أي غير ناظرين وقت الطعام وساعة أكله وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أولم على زينب بشاة وسويق وشاهد أهل أنس أن يدعوا الناس فترادفوا أفواجا أفواجا كل فوج يخرج ثم يدخل فوج الى ان قال يا رسول الله دعوت حتى ما أجد أحدا أدعوه فقال ارفعوا طعامكم وتفرق الناس وبقي ثلاثة نفر يتحدثون فأطالوا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرج فانطلق الى حجرة عائشة رضي الله عنها فقال السلام عليكم أهل البيت فقالوا وعليك السلام يا رسول الله كيف وجدت أهلك وطاف بالحجرات فسلم عليهن ودعون له ورجع فاذا الثلاثة جلوس يتحدثون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد الحياء فتولى خارجا فمتوليا خرجوا فرجع ونزلت (ولا مستأنسين لحديث) نهوا عن أن يطيلوا الجلوس يستأنس بعضهم ببعض لاجل حديثه يحدثهم أو عن

لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيبا يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث ان ذلكم كان يؤذي النبي

أن يستأنسوا لحديث أهل البيت واستئناسه منه ونوحشه وهو مجرور معطوف على ناظرين وقيل هو منصوب على ولا تدخلوها مستأنسين * لا يدفي قوله (فيستحيي منكم) من تقدير المضاف أي من اخراجكم لدليل قوله والله لا يستحيي من الحق بمعنى أن اخراجكم حق ما ينبغي أن يستحيا منه * ولما كان الحياء مما يمنع الحيي من بعض الافعال قيل (لا يستحيي من الحق) بمعنى لا يمتنع منه ولا يتركه ترك الحيي منكم وهذا أدب أدب الله به الثقلاء وعن عائشة رضي الله عنها حسبك في الثقلاء أن الله تعالى لم يحتملهم وقال فاذا طعمتم فانتشروا وقرئ لا يستحي بياء واحدة * الضمير في (سألتموهن) لنساء النبي صلى الله عليه وسلم ولم يذكرن لان الحال ناطقة بذكرهن (متاعا) حاجة (فاسئلوهن) المتاع قيل ان عمر رضي الله عنه كان يحب ضرب الحجاب عليهن محبة شديدة وكان يذكره كثيرا ويود أن ينزل فيه وكان يقول لو أطاع فيكن ما رأتكن عين وقال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وروي أنه مر عليهن وهن مع النساء في المسجد فقال لئن احتجبن فان لكن على النساء فضلا كأن لزوجكن على الرجال الفضل فقالت زينب رضي الله عنها يا ابن الخطاب انك لتغار علينا والوحي ينزل في بيوتنا فلم يلبث الا يسيرا حتى نزلت وقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطعم ومعه بعض أصحابه فأصابت يد رجل منهم يد عائشة فكره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فنزلت آية الحجاب وذكر أن بعضهم قال أنهى أن أكلم بنات عمنا الا من وراء حجاب لئن مات محمد لأتزوجن عائشة فأعلم الله أن ذلك محرم وما كان لكم وما صح لكم أيها الرجال أن تفعلوا شيئا من ذلك في حال من الاحوال ولا أن تؤذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء من الاشياء ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده * أي ان نكاحهن بعده عظيم عند الله وهو من أعلام تعظيم الله لرسوله وايجاب حرمته حيا وميتا وأعلاء لشأنه عليه السلام بتقدمه وسبقه واستقرر شكر فان نحو هذا مما يحدث الرجل به نفسه ولا يخلي منه فكره ومن الناس من تفرط غيرته على حرمته حتى يتمنى لها الموت لئلا تنكح من بعده وعن بعض التابعين أنه كانت له جارية لا يرى الناس منها شيئا فاستبانوا فخطب اليها فأذنت وهي تتهيأ للصعود وانتصب فعلا خسه عما ذهب به فكره هذا المذهب فلم يزل به ذلك حتى قتلها فصعق والماسي يتفق من بقائها بعده وحصولها تحت يد غيره وعن بعض التابعين أنها أن الزوج الثاني في هذه الثلاث عما يجري مجرى العقوبة فقد من رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يلحظ ذلك (ان تبدوا شيئا) من نكاحهن على السنتكم (أو تخفوه) في صدوركم (فان الله) يعلم ذلك فيه اتكم به والمجاجا به على أثر ذلك عاما لكل ما يدور خاطر ليدخل تحته نكاحهن وغيره ولا يحتاج على هذه الطريقة أهول أن نزل روي أنها لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والابناء والاقارب يا رسول الله أو نحن أيضا نكلمهن من وراء الحجاب فنزلت (لا جناح عليهن) أي لا اثم عليهن في أن لا يحتجبن من هؤلاء ولم يذكر العم والخال لانهما يجريان مجرى الوالدين وقد جاءت تسمية العم أبا قال الله تعالى والله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق واسمعيل عم يعقوب وقيل كره ترك الاحتجاب عنهما لانهما يصفانهن الابنائهما وأبنائهن غير محارم * ثم نقل الكلام من الغيبة الى الخطاب في هذا النقل ما يدل على فضل تشديد فتيل (واتقين الله) فيما أمرن به من الاحتجاب وأنزل فيه الوحي من الاستتار واحفظن فيه وفيما استثنى منه ما قدرن * واحفظن حدوده هذا وامكن طريق التقوى في حفظهما ولكن عالمكن في الحجب أحسن مما كان وأنتن غير محجبات ليتفضل سركن علانيتكن (ان الله كان على كل شيء) من السر والعلن وظاهر الحجاب وباطنه (شهيدا) لا يتفاوت في علمه الاحوال * قرئ وملائكته بالرفع عطفا على محل ان واسمها وهو ظاهر على مذهب الكوفيين ووجهه عند البصريين أن يحذف الخبر لدلالة يصلون عليه (صلوا عليه وسلموا) أي قولوا الصلاة على الرسول والسلام ومعناه الدعاء بأن يترحم عليه الله ويسلم (فان قلت) الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم واجبة أم مندوب اليها (قلت) بل واجبة وقد اختلفوا في حال وجوبها من أوجبها كلما جرى ذكره وفي الحديث من ذكرت عنده فلم يصل علي فدخل النار فأبعده الله قيل يا رسول الله أرأيت قول الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي فقال صلى الله عليه وسلم (حقا)

فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق واذا سألتموهن متاعا فاسئلوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده ان ذلكم كان عند الله عظيما ان تبدوا شيئا أو تخفوه فان الله كان بكل شيء عليما لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا اخوانهن ولا أبناء اخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت أيمانهن واتقين الله ان الله كان على كل شيء شهيدا ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما

من العلم المكتوم ولولا أنكم سألتموني عنه ما أخبرتكم به ان القول في ملكين فلا أذكر عند مسلم فصلى على الآل قال ذانك الملكان غير ذلك وقال الله تعالى وملائكته هو والملكين الملكين آمين ولا أذكر عند مسلم فلا يصلى على الآل قال ذانك الملكان غير ذلك وقال الله وملائكته هو الملكين الملكين آمين ومنهم من قال تجب في كل مجلس مرة وان تكرر ذكره كما قيل في آية السجدة وشيعت الماطس وكذلك في كل دعاء في أوله وآخره ومنهم من أوجبها في العمر مرة وكذا قال في اظهار الشهادتين والذي يقتضيه الاحتياط الصلاة عليه عند كل ذكر لما ورد من الاخبار (فان قلت) فالصلاة عليه في الصلاة أهي شرط في جوازها أم لا (قلت) أوجبها أصحابنا لا بروبها شرطا وعن ابراهيم النخعي كانوا يكتفون عن ذلك بمعنى الصحابة بالتشهد وهو السلام عليك أيها النبي وأما الشافعي رحمه الله فقد جعلها شرطا (فان قلت) فما تقول في الصلاة على غيره (قلت) القياس جواز الصلاة على كل مؤمن لقوله تعالى هو الذي يصلي عليكم وقوله تعالى وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم وقوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل أبي أوفى ولكن العلماء تنصيلا في ذلك وهو أنها ان كانت على سبيل التبع كقولك صلى الله على النبي وآله فلا كلام فيها وأما اذا أفرد غيره من أهل البيت بالصلاة كما يفرد هو فكرهوه لان ذلك صار شعارا لذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولئلا يؤدي الى الاخلال بالفرض وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم (يؤمنون بالله ورسوله) فيه وجهان أحدهما أن معناه ما عن فعل ما كرهه الله ولا يرضاه من الكفر والمعاصي وانكار النبوة وهذا قول الشرذمة الذين قالوا يسبون سبوا الله صلى الله عليه وسلم من أنواع المكروه على سبيل الهجاء اذا حققت جعل اقرارهم اجمالا بمنزلة الانكار تحقيقا لقوله صلى الله عليه وسلم لئلا أجعل العبارة الواحدة معطية معنى الهجاء والحقيقة والثاني أن يراد يؤمنون برسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل في أذى الله هو قول اليهود والنصارى والمشركين يد الله مغلولة وثالث ثلاثة والمسيح ابن الله والملائكة بنات الله والاصنام شركاؤه وقيل قول الذين يلحدون في أسمائه وصفاته وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حكى عن ربه تعالى يؤذيني ابن آدم وما ينبغي له أن يسبني وآذاني وما ينبغي له أن يؤذيني ما أسمعه اياي قوله اني اتخذت ولدا وأنا الله هو قوله ان الله سيدي ومولاي بدأني وعن عكرمة أهل الصلوات الخمس والذين يرمون المحصنات الكبائر من حيث عرفت الله وقيل في أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم قولهم ساحر كاهن مجنون وقيل كسر رباعيته وشجه يوم أحد وقيل طعنهم عليه في نكاح صفية بنت حيي وأطلق ايذاء الله ورسوله وقيد ايذاء المؤمنين والمؤمنات لان أذى الله ورسوله لا يكون الا غير حق أبدا وأما أذى المؤمنين والمؤمنات فقد يكون حقا وقد يكون غير حق وهو الذي قيد به (بغير ما اكتسبوا) بغير ما استحقوا للذي وقيل نزلت في ناس من المنافقين يؤذون عليا رضي الله عنه بسعونه وقيل في الذين أفكوا على عائشة رضي الله عنها وقيل في زناة كانوا يتعرون الاماء وهي كارهات وعن الحسن لا يحل للشاب تؤذى كلبا أو خنزيرا فضيحتي تكليف وكان ابن عون لا يكره الا وان الا من أهل الاهواء فانه يخاف عليه من الرعة عند كل قول * الجلباب ثوب واسع أوسع من الخمار ودون الرداء تلويه المرأة على رأسها وتبرزه منه ما ترسله على صدرها وعن ابن عباس رضي الله عنهما الرداء الذي يستر من فوق الى أسفل وقيل الملحفة وكل ما يتستر به من كساء أو غيره قال أبو زيد * جلببت من سواد الليل جلبابا * ومعنى (يدنين عليهن من جلابيبهن) يرخينها عليهن ويعطين بها وجوههن وأعطافهن يقال أدنل الثوب عن وجهه المرأة أدنى فويلك على وجهه لئلا يرى ذلك أن النساء كن في أول الاسلام على هيئاتهن في الجاهلية تبتذل الاماء تخمر الحرائر تقدع على صيانة الاماء بالحرة والامة وكان الفتيان وأهل البطالة يعرضون الخارجين بالليل الى مقاضي الكلم يتحدون في الفتل والغيطان اللاء ما ورد عن عائشة رضي الله عنها نعم النساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين فلا يرى الاماء عليهن الا درعة وملحفة وحسبك بالرأس والوجوه ليتبين بهن ذلك قوله (ذلك أدنى أن يعرفن) أي أولياء أحرارا يعرفن فلا يتعرض لهن ولا يقال ما كن

ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين

(فان قلت) ما معنى من في من حلا بينهم (قلت) هو للتبعيض الا أن معنى التبعيض يحتمل وجهين أحدهما أن يخلين بعض ما لهن من الحلايب والمراد أن لا تكون الخمرة متبذلة في درع وخمار كالامة والماهنة ولها حلبابان فصاعدا في بيتها والثاني أن ترخي المرأة بعض جلبابها وفضله على وجهها تتقنع حتى تغيره من الامة وعن ابن سيرين سألت عبيدة السلماني عن ذلك فقال أن تضع رداءها فوق الحاجب ثم تديره حتى تضعه على أنفها وعن السدي أن تغطي احدى عينيها وجبهتها والشق الآخر الا العين وعن الكسائي يتقنعن بملاحفهن منضمة عليهن أراد بالانضمام معنى الادناء (وكان الله غفورا) لما سلف منهن من التفريط مع التوبة لان هذا مما لا يكن معرفته بالعقل (الذين في قلوبهم مرض) قوم كان فيهم ضعف ايمان وقلة ثبات عليه وقيل هم الزناة وأهل الفجور من قوله تعالى فيطمع الذي في قلبه مرض (والمرجفون) ناس كانوا يرجفون باخبار السوء عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون هزموا وقتلوا وجرى عليهم كيت وكيت فكانوا يرون بذلك قلوب المؤمنين يقال أرجف بكذا اذا أخبر به على غير حقيقة لكونه خبر الا غير ثابت من الرجفة وهي الزلزلة والمعنى لئن لم ينته المنافقون عن عداوتهم وكيدهم والفسقة عن شرورهم والمرجفون عما يؤلفون من أخبار السوء لنأمرنك بان تفعل بهم الافاعيل التي تسوءهم وتشوءهم ثم بان تضطرهم الى طلب الجلاء عن المدينة والى أن لا يساكنوك فيها (الا) زمنا (قليلا) يتقاربونك ويتلقطون أنفسهم وما يلائمها وسمي ذلك اغراء وهو التحريش على سبيل المجاز (ملعونين) نصب على الشتم أو الحال أي لا يجاورونك الا ملعونين دخل حرف الاستثناء على الظرف والحال معا كما مر في قوله الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه ولا يجوز أن ينتصب عن أسفوا لان ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها وقيل في قليلا هو منصوب على الحال ايضا وما مزيدة لا يجاورونك الا آونة اذا ما عملوا ثقفوا (ما) وقع لا يجاورونك (قلت) لا يجاورونك عطف على لنغرينك لانه يجوز أن يجاب به القسم ألا ترى الى صحة قولك لئن لم تنته لا يجاورونك (فان قلت) أما كان من حق لا يجاورونك أن يعطف بالفاء أو أن يقال لنغرينك بهم فلا يجاورونك (قلت) أو جعل الثاني مستأنفا عن الاول لكان الامر كما قلت ولكنه جعل جوابا آخر للقسم معطوفا على الاول والناصب لحال الجلاء عن الاوطان كاد أعظم عليهم وأعظم من جميع ما أصيبوا به فتراخت حاله عن حال المعطوف عليه (سنة الله) في موضع مصدر مؤكد أي سن الله في الذين يناقفون الانبياء أن يقتلوا حيثما ثقفوا ومعنى مقاتلين يعني كما قتل أهل بدر وأسروا وكان المشركون يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت قيام الساعة استهجانا لامر سبيل الهزء واليهود يسألونه امتحانا لان الله تعالى عمى وقتها في التوراة وفي كل كتاب فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يجيبهم بانه علم قد استأثر الله بعلمه ملكا ولا نبيا ثم بين لرسوله أنها قريبة الوقوع تهديدا للمستعجلين واستكانا للمستعجبين (قريبا) شيأ قريبا أو لان الساعة في معنى اليوم أو في زمان قريب * السعير النار المسعورة الشديدة الاتقاد * وقرئ تقلب على البناء للمفعول وتقلب معنى تتقلب وتقلب أي تقلب نحن وتقلب على أن الفعل للسعير ومعنى تقليبها تصريفها في الجهات كما ترى البضعة تنور في القدر اذا غلت فتراها على الغليان من جهة الى جهة أو تغييرها عن أحوالها وتحويلها عن هيئاتها أو طرحهم في النار مقلوبين منكوسين وخصت الوجوه بالذكر لان الوجه أكرم موضع على الانسان من جسده ويجوز أن يكون الوجه عبارة عن الجملة وناصب الظرف يقولون أو محذوف وهو اذكروا واذا نصب بالمحذوف كان يقولون حالا * وقادتنا وساداتنا هم رؤساء الكفر الذين لقنوهم الكفر وقبحوه لهم * يقال ضل السبيل وأضله اياه وزيادة الالف لاطلاق الصوت جعلت فواصل الآي كلها في الشعر وفائدتها الوقف والدلالة على أن الكلام انقطع وأن ما بعده مستأنف * وقرئ كثيرا كثيرا بالعين وكبيرا البدل على أشد اللعن وأفظعه (ضعفين) ضعفا الضلال وضعفا اضلالهم يعترفون ويستغيثون ولا ينفعهم شيء من ذلك

على

وقرئ (لحلما)

فيها الا قليلا (قال فيه الزمخشري قوله تعالى الا قليلا يريد قوله تعالى الا قليلا يقطنون

وكان الله غفورا رحيما لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا يسألك الناس عن الساعة قل انما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا ان الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا ولا نصيرا يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا وقالوا ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا

عيالاتهم وأنفسهم لا غير (قال أحمد وفيها اشارة الى أن من توجه عليه اخلاء منزل عليه أن يخرج منه فيما يتنقل بنفسه ومتاعه وعياله برهة من الزمان حتى يتصل له منزل آخر على حسب الامكان والله أعلم

كالذين آذوا موسى

(كالذين آذوا موسى) قيل نزلت في شأن زينب وما سمع فيه من قاله بعض الناس وقيل في أذى موسى عليه السلام هو حديث الموسجة التي أرادها قارون على قذفه بنفسها وقيل اتهامهم اياه بقتل هرون وكان قد خرج معه الى الجبل شاهت هنالك فحملته الملائكة ومر وابه عليهم ميتا فأبصروه وحتى عرفوا أنه غير مقتول وقيل أحياه الله فأخبرهم ببراءة موسى عليه السلام وقيل برّؤوه بعيب في جسده من برص أو أدرة فأطلعهم الله على انه بريء منه (وجيها) ذا جاه ومنزلة عنده فلذلك كان يعيط عنهم و يدفع الاذى و يحافظ عليه لئلا يخدشه وصم ولا يوصف بنقيصة كما يفعل الملك بمن له عنده قربة وجاهة وقرأ ابن مسعود والاعمش وأبو حيوة وكان عبد الله وجيها قال ابن خالويه يصلت خلف ابن شنبوذ في شهر رمضان ختمة يقرؤها وقراءة العامة أوجه لانها مصححة عن وجاهته عند الله كقوله تعالى عند ذي العرش مكين وهذه ليست كذلك (فان قلت) قوله عما قالوا اعتراض من قولهم أو من قوله لان ما الما مصدرية أو موصولة أي مما كان فكيف تصح البراءة منه (قلت) المراد بالقول أو القول مؤداه ومضمونه وهو الامر المعيب ألا ترى أنهم سموا السبة بالقالة والقالة بمعنى القول (قولا سديدا) قاصدا الى الحق والسداد القصد الى الحق والقول بالعدل يتناول سد الخلة بالمال والمعونة بالبدن بالعدل بما قالوا سهما قاصدا والمراد تعريضهم عما كانوا عليه من حدة بنت جحش من غير قصد وعدل في القول والبعث على أن يسدد طريق كل باب لان حفظ اللسان وسداد القول رأس الخير كله والمعنى راقبوا الله في حفظ ألسنتكم وتسديد قولكم فانكم ان فعلتم ذلك أعطاكم الله ما هو غاية الطلبة من تقبل حسناتكم والاثابة عليها ومن مغفرة سيآتكم وتكفيرها وقيل اصلاح الاعمال التوفيق في المحن بها صالحة مرضية وهذه الآية مقررة لما في قبلها بينت تلك على النهي عما يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه على الامر بتقوى الله تعالى في حفظ اللسان ليستر ادف علم النهي والامر مع اتباع النهي ما يتضمن الوعيد من قصة موسى عليه السلام واتباع الامر الوعد البليغ فيقوى الصارف عن الاذى والداعي الى تركه * (انا عرضنا الامانة) وعلق بالطاعة الفوز العظيم لانه قوله (انا عرضنا الامانة) وهو يريد بالامانة الطاعة فعظم أمرها وفخم شأنها وفيه وجهان أحدهما أن هذه الاجرام العظام من السموات والارض والجبال فداء تادت لامر الله عز وعلا انقيادا مثلها وهو ما يأتي من الجمادات وأطاعت له الطاعة التي تصح منها وتليق بها حيث لم تمتنع على مشيئته وإرادته ايجادا وتكوينا وسوية على هيآت مختلفة وأشكال متنوعة كما قال قالتا أتينا طائعين وأما الانسان فلم تكن له فيما يصح منه من الطاعات بد فيأبى من الانقياد لاوامر الله ونواهيه وهو حيوان عاقل صالح للتكليف مثل تلك الجمادات فيما يصح منها وليس بها من الانقياد وعدم الامتناع والمراد بالامانة الطاعة لانها لازمة الوجود كأن الامانة لازمة الاداء وعرضها على الجمادات وأبوها واشفاقها مجاز * وأما حمل الانسان ففي قولك ثلاث حامل للامانة وتحمل هاتا يريد أنه لا يؤديها الى صاحبها حتى تزول عن نفسه و يخرج عن عهدتها لان الامانة كأنها لابسة للؤمن عليها وهو حاملها الا تراهم يقولون ركبته الديون وليس له ما يقضيها وركبه الدين اذا لزمه وما له الا هو وما ملأها وقعوده قولهم لا يملك مولى لمولى نصرا يريدون أنه يبذل النصرة له وساحبها والاعسكها كما يمسكها الظاهل ومنه قول القائل

أخوك الذي لا تملك الحمر نفسه * وترفض عند الحفظات الكتائف

لا يمسك الرقة والعطف اسبالك الثالث الضمير ما في يده بل يبذل ذلك و يسمح به وبمثله قولهم ابغض حتى حبك لانه اذا أحبه لم يخرجه الى أخيه ولم يؤده واذا أبغضه أخرجه وأداه ففي فأبين أن يحملنها وحملها الانسان فابين الا أن يؤدينها وأبى الانسان الا أن يكون حاملا لها لا يؤديها * ثم وصفه بالظلم لكونه تاركا لما عليه من الامانة وبالجهل لاخطائه ما يسعه مع تمكنه منه وهو أداؤها والثاني أن ما كلفه الانسان بلغ من السمو بحيث لو عرض على أعظم ما خلق الله من الاجرام واقواها وأشده أن يحمله و يستقل به فأبى حمله و يتحمل منه وأشفق منه وحمله الانسان على ضعفه وبراءته (انه كان ظلوما جهولا) حيث حمل الامانة مستأنسا بحاله ثم ناس بضعفه فهاهنا وجهان من الكلام كثيرا في لسان العرب وما جاء القرآن الا على

كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما

﴿سورة سبأ مكية وهي أربع وخمسون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه

﴿القول في سورة سبأ﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* قوله تعالى الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة (قال قتبه الحمد الأول واجب لأنه على نعمة متفضل بها والثاني ليس بواجب لأنه على نعمة واجبة على المنعم) قال أحمد والحق في الفرق بين الحمدين أن الأول عبادة مكلف بها والثاني غير مكلف به ولا متكلف وإنما هو في النشأة الثانية كالملهمات في النشأة الأولى ولذلك قال عليه السلام والسلام يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس والآفة في النعمة الأولى كالآفة في فعل

طرقهم وأساليبهم من ذلك قولهم لو فيل للشحم أين تذهب لقال أسوي العوج وكم لهم من أمثال على ألسنة البهائم والجمادات وتصوير معاونة الشحم محال ولكن الغرض أن الحس في الحيوان مما يحسن تجسيمه كأن الشحم مما يتجسم فيه تصوير أثر الحس فيه تصوير إياه واقعا في نفس السامع وهي به آنس وله أقبل وعلى حقيقته أوقف وكذلك تصوير عظم الآثام وصعوبة أمرها وثقل حملها والرقاعها (فإن قلت) قد علم وجه التمثيل في قولهم للذي لا يثبت على رأي واحد أرأيت الذي تقدم رجلا وتؤخر أخرى لا تدري أيهما تمضي وترجع بين الرأيين وتركه للمضي على أحدهما مما لا يتردد في ذهابه فلا يجمع رجليه للمضي في وجهه وكل واحد من المثل والممثل به شيء مستقر داخل تحت الحس والمعرفة وليس كذلك ما في هذه الآية فإن عرض الأمانة على الجماد والإباء والإشفاق مما لا يتصور في نفسه غير مستقر فكيف صح بناء الفعل على المحال وما مثال هذا الأمر تشبيه شيء والشيء به غير معقول (قلت) المثل يجري في الآية وفي قولهم لو قيل للشحم أين تذهب وفي تلك الأمور فرض وتقدير وضمنت تخييلا في الذهن كما المحققات مثلت حال التكليف في صعوبته وثقل حمله بحال العرض وعرضت على السموات والأرض والجبال لأبين أن يحملنها وأشفقن منها والله لم ليعذب لام التعليل على طريق المجاز لأن التعذيب نتيجة حمل الأمانة كما أن التأديب في صريته للتأديب نحو قوله

الضرب * وقرأ الأعمش ويتوب ليجعل العلة قاصرة على فعل الحامل ويقتضي ويتوب الله ومعنى قراءة العامة ليعذب الله حامل الأمانة ويتوب على غيره ممن لم يحملها لأنه إذا تاب على الوافي كان ذلك زيادة في عذاب الغادر والله أعلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الأحزاب وعلم أهله وما ملكت يمينه أعطي الأمان من عذاب القبر

﴿سورة سبأ مكية وهي أربع وخمسون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

ما في السموات والأرض كلهم عبيده وملكه فهو الحقيق بأن يحمد ويثنى عليه من أجله ولما قال (الحمد لله) ثم وصف ذاته بما لا ينام جميع النعم الدنيوية كان معناه أنه المحمود على نعم الدنيا كما تقول الحمد لمالك الدنيا وحقك أن يحمد على كسوتك وحملانك ولما قال (وله الحمد في الآخرة) علم أنه المحمود على نعم الآخرة وهي الثواب (فإن قلت) ما الفرق بين الحمدين (قلت) أما الحمد في الدنيا فواجب لأنه على نعمة متفضل بها وهو الطريق إلى تحصيل نعمة الآخرة وهي الثواب وأما الحمد في الآخرة فليس بواجب لأنه على نعمة واجبة لا يتصل إلى مستحقها إلا هو فقد سر وا المؤمنين وتكمل اغتباطهم بما تفضل به عليهم من الثناء الجميل (وهو الحكيم) الذي أحكم أمور الدارين وأبرمها بحكمته (الخبير) بكل كائن يكون * ثم ذكر ما يحيط به علما (ما يلج في الأرض) من الغيث كقوله فسلكه ينابيع في الأرض ومن الكنوز والدفائن والأموات وجميع ما هي له كفات (وما يخرج منها) من الشجر والنبات وما العيون والحلة والدواب وغير ذلك (وما ينزل من السماء) من الأمطار والثلوج والبرد والصواعق والأرزاق والملائكة وأنواع البركات والمقادير كما قال تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون (وما يعرج فيها) من الملائكة وأعمال العباد (وهو) مع كثرة نعمه وسبوغ فضله (الرحيم الغفور) للمؤمنين في أداء ما وجب شكرها * وقرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه ينزل بالتخفيف والتشديد * فهو لاء (لا تأتينا الساعة) نفي للبعث وإنكار لمجيء الساعة واستبطاء لما توعدوه من قيامها على سبيل الهزء والسخرية كقولهم متى هذا الوعد * أوجب ما بعثه النفي بلى على معنى أن ليس الأمر الا إتيانها ثم أعيد إيجابه مؤكدا بما هو الغاية في التوكيد والتشديد وهو الموكيدا بعين بالله عز وجل ثم أعيد التوكيد القسمي امدادا لما أتبع القسم به من الوصف عما وصفه به الى قوله ليجزي لأن عظمة حال المقسم به تؤذن بقوة حال المقسم عليه وشدة ثباته واستقامته لأنه بمنزلة الاستشهاد على الامر وكلما كان المستشهد به أعلى كبرياء وأبين فضلا وأرفع منزلة كانت الشهادة أقوى وآكد والمستشهد عليه أثبت وأرسخ (فإن قلت) هل الموصوف الذي وصف به القسم وجه استخلاص بهذا المعنى (قلت) نعم وذلك أن قيام الساعة من

على عباده لا من استحقاق والله الموفق

مشاهير الغيوب وأدخلها في الخفية وأولها مسارعة الى القلب اذا قيل عالم الغيب فحسن أقسم باسمه على اثبات قيام الساعة وأنه كائن لا محالة ثم وصف بما يرجع الى علم الغيب وأنه لا يفوت علمه شئ من الخفيات أثقل من خفته احاطته وقت قيام الساعة فما ظنك به من وجه الاختصاص بجميعها واضحا (فان قلت) الناس قد أنكروا اتيان الساعة وجحدوه فهب أنه حلف لهم بأعظم الايمان وأقسم عليهم بجهد القسم فمن هو في معتقدهم معترف لله كذا كيف تكون محققة لما أنكروه (قلت) هذا لو اقتصر على اليمين ولم يتبعها الحجة القاطعة والبينة الساطعة وهي قوله ليجزي متعلق بمحذوف وضع الله في العقول وركب في الغرائز وجوب الجزاء وأن الحسن لا بد له من ثواب والمسيء لا بد له من عقاب وهو له لتأتينكم تعليلا له * قرئ لتأتينكم بالتاء والياء ووجه من قرأ بالياء أن يكون ضمير الساعة بمعنى اليوم أو يسند الى عالم الغيب أي ليأتينكم أمره كما قال تعالى هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك وقال أو يأتي أمر ربك * وقرئ عالم الغيب وعلام الغيب بالجر صفة لربي وعالم الغيب وعالم الغيوب بالرفع على المدح ولا يعزب بالضم والكسر في الزاي من العزوب وهو البعد يقال روض عزيب بعيد من الناس (مثقال ذرة) مثقال أصغر نملة (ذلك) اشارة الى مثقال ذرة * وقرئ ولا أصغر من ذلك لا أكبر بالرفع على أصل الابتداء وبالفتح على نفي الجنس كقولك لا حول ولا قوة الا بالله بالرفع والنصب وهو كلام منقطع عما قبله (فان قلت) هل يصح عطف المرفوع على مثقال ذرة كأنه قيل لا يعزب عنه مثقال ذرة وأصغر وأكبر وزيادة لا لتأكيد النفي وعطف المفتوح على ذرة بأنه فتح في موضع الجر لامتناع الصرف كأنه قيل لا يعزب عنه مثقال ذرة ولا مثقال أصغر من ذلك ولا أكبر (قلت) يأبى ذلك حرف الاستثناء الا اذا جعلت الضمير في عنه للغيب وجعلت الغيب اسما للمغيبات قبل ان تكتب في اللوح لان اثباتها في اللوح نوع من الحضور عن الحجاب على معنى أنه لا يتفصل عن الغيب شئ ولا يزل عنه الا مسطورا في اللوح * وقرئ معجزين وأليم بالرفع والجر * وعن قتادة الرجز سوء العذاب (ويرى) في موضع الرفع أي ويعلم أولو العلم ومن أحبار رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن بطارقة الروم من آمنوا وعلماء أهل الكتاب الذين أسلموا مثل كعب الاحبار وعبد الله بن سلام رضي الله عنهما (هو) الذي أنزل اليك الحق وهو اما مفعولا ثان ليرى وهو فصل ومن قرأ الحق بالرفع جعله مبتدأ والحق خبرا والجملة في موضع المفعول الثاني وقيل يرى في موضع النصب معطوف على ليجزي أي وليعلم أولو العلم عند مجئ الساعة الحق على الارادة على الايقان ويحتجوا به على الذين كفروا وقرئ ويجوز أن يريد وليعلم من لم يؤمن من الاحبار أنه هو الحق فيزداد واحسرة وغما (الذين كفروا) قريش قال بعضهم لبعض (هل ندلكم على رجل) يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم يحدثكم بأعجوبة من الامر حيث انكم تبعثون وتنشؤن خلقا جديدا بعد ان تكونوا رفاتا وتمزقا أجسادكم البالية كل ممزق أي يفرقكم ويبدد اجزاءكم كل تبديد * أهو مفتر على الله كذبا فما يأتيه به من ذلك أم به جنون وهمه ذلك وباقتصاره على لسانه * ثم قال سبحانه ليس محمد من الافتراء والجنون في شئ وهو مبرأ منهما بل هؤلاء القائلون الكافرون بالبعث واقعون في عذاب النار وما يؤديهم اليه من الضلال عن الحق وهم غافلون من ذلك وذلك أعجب الجنون وأشده اطباقا على عقولهم حيث وقوعهم في العذاب رسيلا لوقوعهم في الضلال كأنهما كانتا في وقت واحد لان الضلال لما كان لعذاب من لوازمه وموجباته جعلا كأنهما في الحقيقة مقترنان * وقرأ زيد بن علي رضي الله عنه يفتيكم (فان قلت) فقد جعلت المفرق مصدرا كيف الكذاب

ألم تعلم مسرحي القوافي * فلا عيا بهن ولا اجتلابا

فهل يجوز أن يكون مكانا (قلت) نعم ومعناه ما يحصل من الاموات في بطون الطير والسباع وما مزقت به السيول فذهبت به كل مذهب وما سفته الرياح فطرحته كل مطرح * (فان قلت) ما العامل في اذا (قلت) ما دل عليه انكم في خلق جديد وقد سبق نظيره * (فان قلت) الجديد فعيل بمعنى فاعل أم مفعول (قلت) هو عند البصريين بمعنى فاعل تقول جد فهو جديد كحدث فهو حديث وقل فهو قليل وعند الكوفيين بمعنى مفعول من جده اذا قطعه وقالوا هو الذي جده الناسج الساعة في الثوب ثم شاع ويقولون وهذا قالوا اطحنة

مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك لهم عذاب من رجز أليم ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل اليك من ربك هو الحق ويهدي الى صراط العزيز الحميد وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد

جديد وهي عند البصريين كقوله تعالى ان رحمة الله قريب ونحو ذلك (فان قلت) لم أسقطت الهمزة في قوله افترى دون قوله آ لسحر وكلتاهما همزة وصل (قلت) التباس الطرح ولكن أمر الضطرهم الى ترك اسقاطها في نحو آ لسحر وهو خوف التباس الاستفهام بالخبر لكون همزة الوصل مفتوحة كهمزة الاستفهام * (فان قلت) ما معنى وصف الضلال بالبعد (قلت) هو من الاسناد المجازي لان البعيد صفة لصاحب الضلالة وكلما ازداد عنها بعدا كان أضل (فان قلت) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهورا عند قريش وكل انباؤه باليمن شائعا عندهم فما معنى قوله هل ندلكم على رجل ينبئكم فتكبروه لهم وعرضوا عليهم الدلالة عليه كما يدل على مجهول في أمر مجهول (قلت) كانوا يتصدون بذلك للطنز والسخرية فاخرجوه مخرج التحلي ببعض الاماجي التي يضاحي بها الضحك والتلهي متجاهلين به وبأمره * أعمر فلم ينظروا الى السماء والارض وانها محيطة بهم حيثما كانوا وأنى سارروا وأمامهم وخلفهم محيطتان بهم لا يقدرون أن ينفذوا من أقطارهما وان يخرجوا عما هم فيه من ملكوت الله عز وجل ولم يخافوا أن يخسف الله بهم أو يسقط عليهم كسفا من السماء كما فعل بالمكذبين من الامم الماضية وكفروهم بالرسول صلى الله عليه وسلم وعاجلوه كما فعل بقارون وأصحاب الايكة (ان في ذلك) لنظر الى السماء والارض والفكر فيهما ومايدلان عليه من قدرة الله (لآية) ودلالة (لكل عبد منيب) وهو الراجع الى ربه المطيع له لان المنيب لا يخلو من النظر في آيات الله على أنه قادر على كل شيء من البعث ومن عقاب من يكفر به * قرئ تشأ نخسف ونسقط بالياء لقوله تعالى أفترى على الله كذبا بالنون لقوله وانا آتينا وكسفا بفتح السين وسكونه * وقرأ الكسائي يخسف بهم بالادغام وليست بقوية (يا جبال) اما أن يكون بدلا من فضلا واما من آتينا بتقدير قولنا يا جبال أوقلنا يا جبال * وقرئ أوبي وأوبي من التأويب والاوب أي رجعي معه التسبيح أو رجعي معه في التسبيح كلما رجع فيه لانه اذا رجعه فقد رجع فيه ومعنى تسبيح الجبال أن الله سبحانه وتعالى يخلق فيها تسبيحا كما خلق الكلام في الشجرة فيسمع منها مايسمع من المسبح معجزة لداود وقيل كان ينوح على ذنبه بترجيع وتحزين وكانت الجبال تسعده على نوحه أصداؤها والطير بأصواتها * وقرئ والطير رفعا ونصبا عطفا على لفظ الجبال وتحلها وجوزوا أن ينتصب معه ولا معه وأن يعطف على فضلا بمعنى ومحرنا له الطير (فان قلت) أي فرق بين هذا النظم وبين أن يقال وآتينا داود منا فضلا وأوبت الجبال معه والطير (قلت) كم بينهما ألا ترى الى ما فيه من الفخامة التي لا تخفى من الدلالة على عزة الربوبية وكبرياء الالهية حيث جعلت الجبال منزلة تسزلة العقلاء الذين اذا أمرهم أطاعوا وأتعنوا واذا دعاهم سمعوا وأجابوا الشعار بأنه مامن حيوان وجماد ناطق وصامت الا وهو منقاد لمشيئته غير ممتنع على ارادته (وألنا له الحديد) وجعلناه لينا كالطين والعجين والشمع بصرفه بيده كيف يشاء من غير نار ولا ضرب بمطرقة وقيل لان الحديد في يده كالاوتى من شدة القوة * وقرئ سابغات وهي الدروع الواسعة الضافية وهو أول من اتخذها وكانت قبل صفائح وقيل كان يبيع الدرع بألفين وبمائة آلاف فينفق منها على نفسه وعياله ويتصدق على الفقراء وقيل كان يخرج حيث مالت بنو اسرائيل فيسأل الناس عن نفسه ويقول لهم ما تقولون في داود فيثنون عليه فتمضي الليلة ملكان في صورة آدمي فسأله على عادته فقال نعم الرجل لولا خصلة فيه قري داود فسأله فقال لولا أنه يطعم عياله من بيت المال فسأل عند ذلك ربه أن يسبب له مايستغني به عن بيت المال فعلمه صنعة الدروع (وقدر) لا تجعل المسامير دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتنصم الحلق * والسرد نسج الدروع (واعملوا) الضمير لداود وأهله * (و) سخرنا (لسليمان الريح) فمن نصب ولسليمان الريح مسخرة فمن رفع وكذلك فمن قرأ الرياح بالرفع (غدوها شهر) بريحها الغداة مسيرة شهر وبريحها العشي كذلك وقرئ غدوتها وروحتها وعن الحسن رضي الله عنه كان يغدو فيقيل باصطخر ثم يروح فيكون رواحه بكابل ويحكى أن بعضهم رأى مكتوبا في منزل بناحية دجلة كتبه بعض أصحاب سليمان نحن نزلناه ومابنيناه ومبنيا وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه وفي راحتون منه فبأتون بالشام ان شاء الله * القطر النحاس الذائب من القطران (فان قلت) ماذا أراد بمعين القطر (قلت)

افترى على الله كذبا أم به جنة بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد ألم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والارض ان نشأ نخسف بهم الارض أو نسقط عليهم كسفا من السماء ان في ذلك لآية لكل عبد منيب ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد أن اعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحا اني بما تعملون بصير ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه

أراد بها معدن النحاس ولكنه أساله له الآن الله عز وجل داود فنبع كما ينبع الماء من العين فذلك معنى عين القطر
باسم ما آل اليه كما قال اني أراني أعصر خمرا وقيل كان يسيل في الشهر ثلاثة أيام (باذن ربه) بأمره (ومن يزغ
منهم) ومن يعدل (عن أمرنا) الذي أمرناه به من طاعة سليمان وقرئ نزغ من أزاغه * وعذاب السعير
عذاب الآخرة من ابن عباس رضي الله عنهما وعن السدي كان معه ملك بيده سوط من نار كلما استعصى
عليه ضربه من حيث لا يراه الجني * المحاريب المساكن والمجالس الشريفة الصونة عن الابتذال سميت
محاريب لانه يحامى عليها ويذب عنها وقيل هي المساجد * والتماثيل صور الملائكة والنبيين والصالحين
كانت تعمل في المساجد من نحاس وصفر وزجاج ورخام ليراها الناس فيعبدوا نحو عبادتهم (فان قلت)
كيف استجاز سليمان عليه السلام عمل التصاوير (قلت) هذا مما يجوز أن تختلف فيه الشرائع لانه ليس
من مقتضيات العقل كالظلم والكذب وعن أبي العالية لم يكن اتخاذ الصور إذ ذاك محرما وجوز أن يكون غير
صور الحيوان كصور الأشجار وغيرها لان التمثال كل ما صور على مثل صورة غيره من حيوان وغير
حيوان أو صور محلوقة الرؤس وروي أنهم عملوا له أسدين في أسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا أراد أن
يصعد بسط الاسدان له ذراعيهما واذا صعد أظلله النسران باجنحتهما * والجوابي الحياض الكبار قال

نروح على آل المحلق جفنة * كجابية الشيخ العراقي تفهق

لان الماء يجبى فيها أي يجمع جسل الفعل لها اختصاصا وهي من الصفات الغالبة كالدابة قيل كان يقعد على
الجفنة الف رجل وقرئ بحذف الياء اكتفاء بالكسرة كقوله تعالى يوم يدع الداع (راسيات) ثابتات على
الاثافي لا تنزل عن القدور لعظمها (اعملوا آل داود) حكاية ما قيل لآل داود والنصب (شكرا) على أنه مفعول له أي
اعملوا لتؤدوا عبادتي وجه الشكر لنعمائه وفيه دليل على ان العبادة يجب أن تؤدي على طريق الشكر
أو على الحال أي شاكرين أو على تقدير اشكروا شكرا لان اعمالهم كلها ضروب من الشكر وامن حيث ان العمل لهم
شكر له وجوز أن ينتصب باضمار فعل لا من لفظه أي اعملوا أشكر شكرا
على طريق المشاكلة (والشكور) المتوفر على أداء الشكر البالغ وسعه فيه قد شغل به قلبه ولسانه وجوارحه
اعتقادا واضطرارا وكدحا وآثارا وقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما من يشكر على أحواله كلها وعن السدي
من يشكر على الشكر وقيل من يرى عجزه عن الشكر وعن داود انه جزأ ساعات الليل والنهار على أهله
فلم تكن تأتي ساعة من الساعات الا وانسان من آل داود قائم يصلي وعن عمر رضي الله عنه أنه سمع رجلا
يقول اللهم اجعلني من القليل فقال عمر ما هذا الدعاء فقال الرجل اني سمعت الله يقول وقليل من عبادي
الشكور فأنا أدعوه أن يجعلني من ذلك القليل فقال عمر كل الناس أعلم من عمر * قرئ قلما قضى عليه الموت
* ودابة الارض الارضة وهي الدويبة التي يقال لها السرفة والارض فعلها فأضيفت اليه يقال أرضت
الخشبة أرضا اذا أكلتها الارضة * وقرئ بفتح الراء من أرضت الخشبة أرضها وهو من باب فعلته ففعل كقولك
أكلت القوادح الاسنان أكلا فأكلت أكلا * والمنسأة العصا لانه ينسأ بها أي يطرد ويؤخر * وقرئ بفتح الميم
وبتخفيف الهمزة قلبا وحذفا كالمعى والمعى بقياس واحسن اخراج الهمزة بين بين هو التخفيف القياسي
ومنساءة على مفعالة كما يقال في المئسأة مسعاة من ساءه اي طرش عصاه سميت بساءة القوس على
الاستعارة وفيها لغات كقولهم مسة ومسة وقرئ أكلت منساءته (تبينت الجن) من تبين الشيء اذا ظهر وجلي
* و (أن) مع صلتها بدل من الجن بدل الاشتمال كقولك تبين زيد جهله والظهور له في المعنى أي ظهران
الجن (لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب) أو علم الجن كلهم علما بينا بهذا الناس الامي على عامتهم
وضعفتهم وتوهمهم أن كبارهم يصدقون في ادعائهم علم الغيب أو علم المتعين علم الغيب منهم بحيث لا يشكون
لا يعلمون الغيب وان كانوا عالمين قبل ذلك ببعض المعلومات وانما أريد الهزء بهم كما تهزىء بمدعي الباطل اذا دحضت
حجته وظهر بطلانه بقولك هل تبينت انك مبطل وأنت تعلم انه لم يزل كذلك متبينا وقرئ تبينت الجن على
البناء للمفعول على أن المتبين في المعنى هو أن مع ما في صلتها لانه بدل وفي قراءة أبي تبينت الانس وعن الضحاك

باذن ربه ومن يزغ منهم
عن أمرنا نذقه من
عذاب السعير يعملون
له ما يشاء من محاريب
وتماثيل وجفان
كالجواب وقدور
راسيات اعملوا آل
داود شكرا وقليل من
عبادي الشكور فلما
قضينا عليه الموت
ما دلهم على موته الا
دابة الارض تأكل
منسأته فلما خر تبينت
الجن أن لو كانوا يعلمون
الغيب ما لبثوا في
العذاب المهين لقد كان

تبايت الانس بمعنى تعارفت وتمالت والضمير فى كانوا للجن فى قوله ومن الجن من يعمل بين يديه أى علمت الانس أن لو كان الجن يصدقون فيما يوهمونهم من علمهم الغيب مالبثوا فى قراءة ابن مسعود رضى الله عنه تبينت الانس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب روى أنه كان من عادة سليمان عليه السلام أن يعتكف فى مسجد بيت المقدس المدد الطوال فلما دنا أجله لم يصح الا رأى فى محرابه شجرة نابتة قد أنطقها الله فسألها لاى شئ أنت فتقول لكذا حتى أصبح ذات يوم فرأى الخروبة فسألها فقالت نبت لخراب هذا المسجد فقال ما كان الله ليخربه وأنا حى أنت التى على وجهك هلاكى وخراب بيت المقدس فتركها وغرسها فى حائط له وقال اللهم عم على الجن موتى حتى يعلم الناس أنهم لا يعلمون الغيب لانهم كانوا يستروّن السمع ويوهمون على الانس أنهم يعلمون الغيب وقال الملك الموت اذا أمرت بى فاعلمنى فقال أمرت بك وقد بقيت من عمرك ساعة فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلى متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها وكانت الشياطين تجتمع حول محرابه أيما صلى فلم يكن شيطان ينظر اليه فى صلاته الا احترق فربما شيطان فلم يسمع صوته ثم رجع فلم يسمع فنظر فاذا سليمان قد خر ميتا فتحوا عنه فاذا العصا قد أكلتها الارضة فاراد الجن يعرفوا وقت موته فوضعوا الارضة على العصا فأكلت منها فى يوم وليلة مقدار ما فحسبوا على ذلك النحو فوجدوه قدمات منذ سنة وكانوا يعملون بين يديه ويحسبونه حيا فأيقن الناس أنهم لو علموا الغيب لما لبثوا فى العذاب سنة وروى أن داود عليه السلام أسس بناء بيت المقدس فى موضع فسطاط موسى عليه السلام فمات قبل أن يتمه فوصى به الى سليمان فامر الشياطين بإتمامه فلما بقى من عمره سنة سأل أن يعمى عليهم موته حتى يفرغوا منه وليبطل دعواهم علم الغيب وروى أن اقريدون جاء ليصعد كرسيه فلما ناضرب الاسدان ساقه فكسراه فلم يجسر أحد بعد أن يدنو منه وكان عمر سليمان ثلاثا وخمسين سنة ملك منها اثنتين وثلاثين عشرة سنة فبقى فى ملكه أربعين سنة وابتدأ فى بناء بيت المقدس لاربع مضين من ملكه * قرئ (لسبا) بالصرف ومنعه وقلب الهمزة ألفا * ومسكنهم بفتح الكاف وكسرها وهو موضع سكناهم وهو بلادهم وأرضهم التى كانوا مقيمين فيها أو مسكن كل واحد منهم وقرئ مساكنهم و(جنتان) بدل من آية أو خبر مبتدا محذوف تقديره الآية جنتان وفى الرفع معنى المدح تدل عليه قراءة من قرأ جنتين بالنصب على المدح (فان قلت) ما معنى كونهما آية (قلت) لم يجعل الجنتين فى أنفسهما آية وانما جعل قصتهما وأن أهلهما أعرضوا عن شكر الله تعالى عليها مع تخريبها وأبدلهم عنها بالخط والاثل آية وعبرة لهم ليعتبروا ويتنبطوا ولا يعودوا الى ما كانوا عليه من الكفر وعظم النعم ويجوز أن تجعلهما آية أى علامة دالة على الله وعلى قدرته وإحسانه ووجوب شكره (فان قلت) كيف عظم الله جنتى أهل سبا وجعلهما آية وربما تمر بقرى من قريات العراق يحتقب بها من الجنان ما شئت (قلت) لم يرد بستانين اثنين فحسب وانما أراد جماعتين من البساتين جماعة عن يمين بلدهم وأخرى عن شمالها وكل واحدة من الجماعتين فى تضاريم واوتضامها كأنها جنة واحدة كانت بلاد الريف العامرة وبساتينها أو أراد بستانى كل رجل منهم عن يمين مسكنه وشماله فقال جعلنا لاحدهما جنتين من أعناب (كلوا من رزق ربكم) لما حكاية ما قال لهم أنبياء الله فيما يوحون اليهم أو ما قال لهم لسان الحال أو هم أحقاب يقال لهم ذلك وما قال كلوا من رزق ربكم (واشكروا له) أتبعه قوله (بلدة طيبة ورب غفور) يعنى هذه البلدة التى هى دار رزقكم بلدة طيبة وربكم الذى رزقكم وطلب شكركم رب غفور لمن شكره وعن ابن عباس رضى الله عنهما كانت أخصب البلاد وأطيبها تخرج المرأة وعلى رأسها المكتل فتملؤه من بساتينها من غير أن تمس بيدها أو تعمل بمسحاة أو تتعب غير أن ذلك التعب يفتلق المكتل بما تساقط فيه من الثمر طيبة لم تكن سبخة وقيل لم يكن فيها بعوض ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حية وقرئ بلدة طيبة ورب غفور بالنصب على المدح وعن ثعلب معناه اسكن واعبد (العرم) الجرذ الذى ثقب عليهم السكر ضربت لهم بلقيس الملكة بمسند مأرب الجبلين بالصخر والقار فحفت به ما العيون والامطار وكانت فيه كوى وقاعلى مقدار ما يحتاجون اليه فى سقيهم فلما طغوا قيل بعث الله اليهم ثلاثة عشر نبيا يدعونهم الى الله ويذكرونهم نعمته عليهم فكذبوهم وقالوا ما نعرف لله نعمة سلط الله

لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور فاعرضوا فارسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم

على سدهم الخلة فنقبه من أسفله ففرقهم وقيل العرم جمع عرمة وهي الحجارة المركومة وقال الكلبي من الطعام عرمة والمراد المسناة التي عقدوها سكروا وقيل العرم اسم الوادي وقيل العرم المطر الشديد * وقرئ العرم بسكون الراء وعن الضحاك كانوا في الفترة التي بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم * وقرئ أكل بالضم والسكون وبالتنوين والاضافة والاكل الثمر * والخمط شجر الاراك وعن أبي عبيدة كل شجر ذي شوك وقال الزجاج كل نبت أخذ طعما من مرارة حتى لا يمكن أكله * والاثل شجر يشبه الطرفاء أعظم منه وأجود عودا ووجه من قال ان أصله ذواتي أكل أكل خط فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه أو وصف الاكل بالخمط كأنه قيل ذواتي أكل بشع ومن أضاف وهو أبو عمرو وحده فلان أكل الخمط في معنى المرير كأنه قيل ذواتي مرير والاثل والسدر معطوفان على أكل لا على خمط لان الاثل لا أكل له وقرئ وأثلا وشيئا بالنصب عطفا على جنتين وتسمية البدل جنتين لاجل المشاكلة وفيه ضرب من التهكم وعن الحسن رحمه الله قلل السدر لانه أكرم ما بدا لوا * وقرئ وهل يجازى وهل نجازي بالنون وهل يجازى والفاعل الله وحده وهل يجزى والمعنى أن مثل هذا الجزاء لا يستحقه الا الكافر وهو العقاب العاجل وقيل المؤمن تكفر سيآته بحسناته والكافر يحبط عمله فيجازى بجميع ما عمله من الشر وروحه آخرون في الجزاء عام لكل مكافأة يستعمل تارة في معنى المعاقبة وأخرى في معنى الاثابة فلما استعمل في معنى المعاقبة في قوله جزيناهم بما كفروا بمعنى عاقبناهم بكفرهم قيل وهل يجازى الا الكفور يعني وهل يعاقب وهو الوجه الصحيح وليس للقائل أن يقول لم قيل وهل نجازي الا الكفور على اختصاص الكفور بالجزاء عام الجزاء عام للكافر والمؤمن لانه لم يرد الجزاء العام وانما أراد الخاص وهو العقاب بل لا يجوز أن يراد العموم وليس بموضعه ألا ترى أنك لو قلت جزيناهم بما كفروا وهل يجازى الا الكافر والمؤمن لم يصح ولم يسد كلاما فتبين أن ما يتخيل من السؤال مضمحل وأن الصحيح الذي لا يجوز غيره ما جاء عليه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه (القرى التي باركنا فيها) هي قرى الشام (قرى ظاهرة) متواصلة ترى بعضها من بعض لتقارب ما بينهما ظاهرة للعيون الناظرين أو آمنة من الطريق يظهر للسائر لا يرتاد عن مسالكهم حتى تخفى عليهم (وقدرنا فيها السير) فيل كان الغادي منهم يقيل في قرية والرائح يبيت في قرية الى أن يبلغ الشام لا يخاف جوعا ولا عطشا ولا عدوا ولا يحتاج الى حمل زاد ولا ماء (سيروا فيها) وقلنا لهم سيروا ولا تقولوا نحو لكم لما هكذا من السير وسوء بيئتهم أسبابا كانهم أمروا بذلك وأنهم فعلوه (فان قلت) ما معنى قوله (ليالي وأياما) (قلت) معناه سيروا فيها ان شئتم بالليل وان شئتم بالنهار فان الامن فيها لا يختلف باختلاف الاوقات أو سيروا فيها آمنين لا تخافون وان تطاولت عدة سفركم فيها واستدت أياما وليالي أو سيروا فيها ليلكم وأياكم عدة أعماركم فانكم في كل حين وزمان لا تلقون فيها الا الامن * وقرئ بعد بين أسفارنا وبعد بين أسفارنا وبعد بنا على الدعاء بطر النعمة وتمنوا من طيب العيش وهو الغالب فطلبوا التكد والتعب كما طلبه بنو اسرائيل بالضجر والسوم مكان المن والسلوى وقالوا لو كان جني جنانا أبعد كان أجدر أن تشبهه وقد رأى عجل الله بينهم وبين الشام مفاوز ليركبوا الرواحل فيها ويتزودوا الارواد فجعل الله لهم الاجابة وقرئ ربنا بعد بين أسفارنا وبعد بين أسفارنا على النداء واسناد الفعل الى بين وهو مما يقول سير فرسخان وبعد بين أسفارنا وقرئ ربنا باعد بين أسفارنا وبين سفرنا وبعد بمعنى باعد والمعنى على الابتداء والمعنى خلاف الاول وهو استبعاد مسايرهم على قصرها ودنوها الشر تمنوه وتركوه كما كانوا يتباشرون على بعدها ويتحازنون عليه (أحاديث) يتحدث الناس بهم ويتعجبون من أحوالهم * وقرئ فاجعل بين أسفارنا تفرقا الناس مثلا لضرب يأخذون فيه كقولهم تفرقوا أيدي سبا وتفرقوا أيادي سبا قال كثير

أيادي سبا ان غربتي كنت بعدكم * فلم تحل بالعيش بعدك مستقر

لحق غسان بالشام وأعمار بتهامة والازد بعمان (صبار) من المعاصي (شكور) للنعم * قرئ صدق بالتشديد والتخفيف ورفع ابليس ونصب الظن فمن شدد فعلى حقق عليهم ظنه أو وجده صادقا ومن خفف فعلى صدق في ظنه أو صدق ظن ظنا نحو فعلته جهدك ونصب ابليس ورفع الظن فمن شدد فعلى

بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشئ من سدر قليل ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي الا الكفور وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياما آمنين فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه

وجده ظنه صادقا ومن خدشه فعلى قال له ظنه الصدق حين خيله اغواءهم بقولون صدقت ظنك وبالتخفيف ورفعهما على صدق عليهم ظن ابليس ولو قرئ بالتشديد مع رفعهما لكان على المبالغة فى صدق كقوله صدقت فيهم ظنونى ومعناه أنه حين وجد آدم ضعيف العزم قد أصغى الى وسوسته قال ان ذريته أضعف عزما منه فظن بهم أتباعه ورجال لاضلتهم لا غوينهم وقيل ظن ذلك عند اخبار الله تعالى الملائكة أنه يجعل فيها من يفسد فيها * والضمير فى عليهم واتبعوه اما لاهل سبأ أو لبنى آدم * وقرئ المؤمنين بقوله (الا فريقا) لانهم قليل بالاضافة الى الكفار كما قال لاحتنكن ذريته الا قليلا ولا تجدأ كثرهم شاكرين (وما كان له عليهم) من تسليط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء الا لغرض صحيح وحكمة بينة وذلك أن يتميز المؤمن بالآخرة من الشاك فيها وعلى التسليط بالعلم والمراد تعلق به العلم * وقرئ ليعلم على البناء للمفعول (حفيظ) محافظ عليه وقيل ومقاول مما آخيان (قل) لمشركى قومك (ادعوا الذين) عبدتموهم من دون الله من الاصنام والملائكة وسميتموهم بأنهم آلهة كما تدعون الله والتعبير الهم فيما بينكم كما تلجئون اليه وانتظروا استجابتهم لدعائكم ورحمتهم كما تنتظرون أن يستجيب لكم ويرحمكم ثم أجاب عنهم بقوله (لا يملكون مثقال ذرة) من خير أو شر أو نفع أو ضر (فى السموات ولا فى الارض وما لهم) فى هذين الجنسين من شركة فى الخلق ولا فى الملك كقوله تعالى ما أشهدتهم خلق السموات والارض (وما له منهم) من عون يعينه على تدبير خلقه يريد انهم على هذه الصفة من العجز والبعد عن أحوال الربوبية فكيف يصح أن يدعوا كما يدعى ويرجوا كما يرجى (فان قلت) أين مفعولا زعم (قلت) أحدهما الضمير المحذوف الراجع منه الى الموصول وأما الثانى فلا يخلو اما أن يكون من دون الله أو لا يكون أو محذوفا فلا يصح الاول لان فرائضهم من دون الله لا تتم كلاما ولا الثانى لانهم ما كانوا يرعمون ذلك فكيف يتكلمون بما هو حجة عليهم ويعالونه قالوا ما هو حق وقد نفى أن يكون محذوفا فتقدير زعمتموهم آلهة من دون الله فحذف الراجع الى الموصول كما حذف فى قوله أهذا الذى بعث الله رسولا استخفافا للطول الموصول بصلته وحذف آلهة لانه موصوف صفته من دون الله والموصوف يجوز حذفه واقامة الصفة مقامه اذا كان مفهوما فان مفهوما فان معمولا زعم مختلفان جميعا بين مختلفين * تقول الشفاعة لزيد على معنى انه الشافع كما تقول الكرم لزيد على معنى انه المشفوع له كما تقول القيام لزيد فاحتمل قوله (ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له) أن يكون على أحد هذين الوجهين أى لا تنفع الشفاعة الا كائنة لمن أذن له من الشافعين وعطفته له أو لا تنفع الشفاعة الا كائنة لمن أذن له أى لمشفيه أو هى اللام الثانية فى قولك أذنت لزيد لعمرو أى لاجله وكأنه قيل الا لمن وقع الاذن للشفيع لاجله وهذا وجه لطيف وهو الوجه وهذا تكذيب لقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله (فان قلت) ما اتصل قوله (حتى اذا فزع عن قلوبهم) بما قبله أى شئ وقعت حتى غاية (قلت) ما فهم من هذا الكلام من أن ثم انتظارا للاذن وتوقعا وتمهلا وفزعا عن الرأسين للشفاعة والشفاعة هل يؤذن لهم أو لا يؤذن وأنه لا بطلاق الاذن الا بعد مدى من الزمان وطول من التربص ومثل هذه الحال دل عليه قوله عز وجل رب السموات والارض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صوابا كأنه قيل يترصدون ويتوقعون كلما قرع سمعهم هل حتى اذا فزع عن قلوبهم أى كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة فى اطلاق الاذن * تباشروا بذلك وسأل بعضهم بعضا (ماذا قال ربكم قالوا) قال (الحق) أى القول الحق وهو الاذن بالشفاعة لمن ارتضى وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم اذا أذن الله أن يشفع فزعت السماء وفزع أذن له أى أذن له الله والاذن له على البناء للمفعول وقرأ الحسن فزع مخففا بمعنى فزع وقرئ فزع على البناء للفاعل وهو الله وحده وفزع أى نفى الوجل عنها وأخذ من قولهم فرغ الزاد اذا ألبق منه شيء ثم ترك ذكر الوجل وأسند الجار والمجرور كما تقول دفع الى زيد الدرهم والدفع وقد تخفف وأصله فزع الوجل عنها أى انتفى عنها ففى ثم حذف الفاعل وأسند الى الجار والمجرور وقرئ افرنقع عن قلوبهم بمعنى انكشف عنها وعن أبى عبيدة أنه هاج بهذا المراد

الا فريقا من المؤمنين وما كان له عليهم من سلطان الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها فى شك وربك على كل شئ حفيظ قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق

* قوله تعالى وانا أو اياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين (قال) لما ألزمهم الحجة في حدوثه قال لهم ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير وهم مع هذا الى الآن لم يذكروه وهذا الالزام لم يزل على اقرارهم بألسنتهم لم يتقاصر عنه أمره أن يقول وانا أو اياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين ومعناه ان أحد الفريقين من الموحدين الرازق من السموات والارض بالعبادة ومن الذين يشركون به الجماد الذي لا يوصف بالقدرة على ذرة لعلى أحسن حالا من من الهدى أو الضلال وهذا من الكلام المنصف الذي كل من سمعه من موافق أو مخالف قال (٣٤١) للمحال بعد أن سئل صاحبك

فالتف عليه الناس فلما أفاق قال ما لكم تكأكأتم علي تكأكأكم على ذي جنة افرنقعوا عني * والكلمة مركبة من حروف المفارقة مع زيادة العين كما ركب اقطوط من حروف القسط مع زيادة الراء وقرئ الحق بالرفع أي هو الحق (وهو العلي الكبير) فالعلو والكبرياء ليس لملك ولا لنبي ان يتكلم ذلك اليوم الا باذنه وأن يشفع الا لمن ارتضى * أمره بان يقرر هم بقوله (من يرزقكم) ثم أمره بان يتولى الاجابة والاقرار عنهم بقوله يرزقكم الله وذلك للاشعار بانهم مقرون بقلوبهم الا أنهم يرجأ أو أن يتكلموا به لان الذي يمكن في صدورهم من العناد وحب الشرك قد ألجمهم أفواههم من النطق بالحق مع علمهم بحجته ولانهم ان تفوهوا بان الله يرزقهم لزمهم أن يقال لهم فما لكم لا تعبدون من يرزقكم وتؤثرون عليه من لا يقدر على الرزق ألا ترى الى قوله قل من يرزقكم من السماء والارض أمن يملك السمع والابصار حتى قال فسيقولون الله ثم قال فما ذا بعد الحق الا الضلال فكأنهم كانوا يقرون بألسنتهم ما وصفه كانوا يلتعثون عنادا وصراوا وحدانا من الرام الحجة ونحوه قوله عز وجل قل من رب السموات والارض قل الله قل أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا * وأمره أن يقول لهم بعد الالزام والالجام الذي ان لم يرجع الى اقرارهم بألسنتهم لم يتقاصر عنه (وانا أو اياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين) ومعناه وان أحد الفريقين من الذين يتوحدون الرازق من السموات والارض بالعبادة ومن الذين يشركون به الجماد الذي لا يوصف بالقدرة لعلى أحد الامرين من الهدى والضلال وهذا من الكلام المنصف الذي كل من سمعه من موال أو مناف قال ان خوطب به فما أنصفت صاحبك وفي درجه بعد تقدمه مقاساة لهم من التقرير البليغ دلالة غير خفية على من هو من الفريقين على الهدى ومن هو في الضلال المبين ولكن التعريض والتورية أنضل بالمجادل الى الغرض وأجمع به على الغلبة مع تلقي الخصم وظن شوكته بالهوينا ونحوه قول الرجل لصاحبه مع الصادق مني ومنك

أتهجوه ولست له بكفء * فشركما لخيركما الفداء

(فان قلت) كيف خولف بين طرق ايراد الاحتجاج على الحق والضلال (قلت) لان صاحب الحق كانه مستعل على فرس جواد يركضه حيث شاء والضال كانه مقتعص في ظلام مرتبك شديد لا يدري أين يتوجه وفي قراءة أبي وانا أو اياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين * هذا أدخل في الانصاف وأبلغ فيه من الاول حيث أسند الاجرام الى المخاطبين والعمل الى المخاطبين وان أريد الاجرام الصغائر والزلات التي لا يخلو منها مؤمن وبالعمل الكفر والمعاصي العظام * وقرئ الله يجمع بيننا وهو حكمه وفصله أنه يدخل هؤلاء الجنة وأولئك النار * (فان قلت) ما معنى قوله (أروني) وكان يراهم بعرضهم (قلت) أراد بذلك أن يريهم الخطأ العظيم في الحاق الشركاء بالله وأن يقايس على أعينهم بينه وبين أصنامهم ليطلعهم على احالة التماثل بين الهوا والاستر الذي و (كلا) ردع لهم عن مذهبهم بعد ما كسره بابطال المقايسة كما قال ابراهيم عليه السلام أيكم لا تعبدون

استعداده الخاطر كأني بك يا مسهم حين تعيد ولا ينبغي أن تنكر بعد ذلك على الطريقة التي أكثر تمثيلها بأمثاله في المحاورات والفقهاء في مجادلاتهم وانهم وذلك فوطم أحد الامرين لازم على الابهام فهذا السبك من هذا الوادي فتبصر بعد تأمل والله الموفق * قوله تعالى قل لا تسئلون عما أجرمنا ولا نسئل عما تعملون (قال وهذا أدخل في الانصاف من الاول حيث أسند الاجرام الى النفس وأراد به الزلات والصغائر التي لا يخلو عنها المؤمن وأسند العمل الى المخاطبين وأراد به الكفر والمعاصي والكبائر) قال أحمد ومعنى عن المضاف جميعا يعبر به عن العلائم وعن العلائم عما يعبر به عن المضاف المحذوف ويزاد على ذلك انه ذكر الاجرام المنسوب الى النفس بصيغة الماضي الذي يعطي تحقيق المضي ومن العمل المنسوب الى المخاطبين بصيغة الاستقبال المشعر بالاستمرار والتجدد والله أعلم

وهو العلي الكبير قل من يرزقكم من السموات والارض قل الله وانا أو اياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين قل لا تسئلون عما أجرمنا ولا نسئل عما تعملون قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم قل أروني الذين ألحقتم به شركاء كلا بل

ان أحسنا لكاذب ومنه قول حسان

أتهجوه ولست له بكفء * فشركما لخيركما الفداء

(قال أحمد) وهذا تعسف مهذب واغتراب مستغرب ورددته على من فزادر ونفا بالتوحيد

هو الله العزيز الحكيم
وما أرسلناك الا كافة
للناس بشيرا ونذيرا
ولكن أكثر الناس
لا يعلمون ويقولون
متى هذا الوعد ان كنتم
صادقين قل لكم ميعاد
يوم لا تستأخرون عنه
ساعة ولا تستقدمون
وقال الذين كفروا لن
نؤمن بهذا القرآن ولا
بالذي بين يديه ولو ترى
اذ الظالمون موقوفون
عند ربهم يرجع
بعضهم الى بعض القول
يقول الذين استضعفوا
للذين استكبروا لولا
أنتم لكنا مؤمنين قال
الذين استكبروا للذين
استضعفوا أنحن
صددناكم عن الهدى
بعد اذ جاءكم بل كنتم
مجرمين وقال الذين
استضعفوا للذين
استكبروا بل مكر الليل
والنهار اذ تأمروننا
أن نكفر بالله ونجعل
له أندادا

من دون الله بعد ما جهلهم وقد نبه على تفاحش غلطهم وأن لم يقدروا الله حق قدره بقوله (هو الله العزيز الحكيم) كأنه قال أين الذين ألحقتم به شركاء من هذه الصفات وهو راجع الى الله وحده أو ضمير الشان كما في قوله تعالى قل هو الله أحد (الا كافة للناس) الا الرسالة عامة لهم محيطة بهم لانها اذا شملتهم فقد كفتهم أن يخرج منها أحد منهم وقال الزجاج المعنى أرسلناك لجامع الناس في الانذار والابلاغ فجعله حالا من الكاف وحق التاء على هذا أن تكون للمبالغة كتاء الراوية والعلامة ومن جعله حالا من المجرور متقدما عليه فقد أخطأ لان تقدم حال المجرور عليه في الاحالة بمنزلة تقدم المجرور على الجار وكم ترى ممن يرتكب هذا الخطأ ثم لا يقنع به حتى يضم اليه أن يجعل اللام بمعنى الى لانه لا يستوي له الخطأ الاول الا بالخطأ الثاني فلا بد له من ارتكاب الخطأين * قرئ ميعاد يوم وميعاد يوم وميعادا ويوما والميعاد ظرف الوعد من مكان أو زمان وهو ههنا الزمان والدليل عليه قراءة من قرأ ميعاد يوم فأبدل منه اليوم (فان قلت) فما تأويل من أضافه الى يوم أو نصب يوما (قلت) أما الاضافة فاضافة تبين كما تقول سحق ثوب ويعي سانية وأما نصب اليوم فعلى التعظيم باضمار فعل تقديره لكم ميعاد أعني يوما أو أريد يوما من صفته كيت وكيت ويجوز أن يكون الرفع على هذا أعني التعظيم (فان قلت) كيف انطبق هذا جوابا على سؤالهم (قلت) ماسألوا عن ذلك وهم منكرون له الا متعللا استرشادا لفحوى الجواب على طريق التهكم بما تقتضيه المسؤل على سبيل الانكار والتعنت وأنهم مرصدون ليوم يفاجؤهم فلا يستطيعون تأخرا عنه ولا تقدما عليه * الذي بين يديه ما نزل قبل القرآن من كتب الله يروي أن كفار مكة سألوا أهل الكتاب فأخبروهم أنهم يجدون صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتبهم فأضمروا ذلك وقرنوا الى القرآن جميع ما تقدمه من كتب الله عز وجل في الكفر فكفروا بها جميعا وقيل الذي بين يديه يوم القيامة والمعنى أنهم جحدوا أن يكون القرآن من الله تعالى وأن يكون لما دل عليه من الاعادة الجزاء حقيقة * ثم أخبر عن عاقبة أمرهم وما لهم في الآخرة فقال لرسوله عليه الصلاة والسلام أو للمخاطب (ولو ترى) في الآخرة موقفهم وهم يتحاورون أطراف المحاورة تتوبخ اسمعوني ايهم رأيت العجب فحذف الجواب * والمستضعفون هم الاتباع * والمستكبرون هم الرؤساء والمقدمون * أولى الاسم أعني تعس حرف الانكار لان القوم انكروا أن يكونوا هم الصادين لهم عن الايمان واثبات أنهم هم الذين صدوا بأنفسهم عنه وأنهم أتوا من قبل اختيارهم كأنهم قالوا لهم الشن أجبرناكم وحلناكم بينكم وبين كونكم مختارين (بعد اذ جاءكم) بعد أن صممتم على الدخول في الايمان وحمت نياتكم في اختياره بل أنتم منعتم أنفسكم حظوظها وآثرتم الضلال على الهدى وأطمعتم آمر الشهوة دون آمر النهي فكنتم مجرمين كافرين لاختياركم لا لقولنا وتسويلنا (فان قلت) اذا دامن الظروف اللازمة للظرفية فلم وقعت أمضافا الى (اذ) (قلت) لما اتسع في الزمان ما لم يتسع في غيره فأضيف اليها الزمان كما أضيف الى الجمل في قولك حينئذ بعد اذ جاء زيد وحينئذ ويومئذ وكان ذلك أوان الحاج أمير وحين خرج بريد * لما أنكر المستكبرون عليهم أنحن صددناكم أن تكونوا هم السبب في كفركم المستضعفين وأثبتوا لهم (بل كنتم مجرمين) أن ذلك بكسبهم واختيارهم كر عليهم المستضعفون بقولهم (بل مكر الليل والنهار) فأبطلوا اضرابهم باضرابهم كأنهم قالوا ما كان الاجرام من جهتنا بل من جهة مكركم لنا دائبا بالليل والنهار وحملكم ايانا على الشرك واتخاذ الانداد ومعنى مكر الليل والنهار مكركم في الليل والنهار فاتسع في الظرف بأجرائه مجرى المفعول به واضافة المكر اليه أو جعل ليلهم ونهارهم ماكرين على الاسناد المجازي وقرئ بل سكر الليل والنهار بالتنوين ونصب الظرفين وبل مكر الليل والنهار بالرفع والنصب أي تمكرون الاغواء مكرا دائبا لا تفترون عنه (فان قلت) ما وجه الرفع والنصب (قلت) هو مبتدأ أخبر على معنى بل سبب ذلك مكركم أو مكركم أو مكركم سبب ذلك والنصب على بل تمكرون الاغواء مكر الليل والنهار (فان قلت) لم قيل قال الذين استكبروا بغير عاطف وقيل وقال الذين استضعفوا (قلت) لان الذين استضعفوا سمعوا كلامهم فجيء بالجواب محذوف العاطف على طريقة الاستئناف كأنه قيل فماذا قالوا لهم آخر للمستضعفين فعطف على كلامهم الاول * (فان قلت) من صاحب

الضمير في (وأسروا) (قلت) الجنس المشتمل على النوعين من المستكبرين والمستضعفين وهم الظالمون في قوله اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يتدم المستكبرون على ضلالهم واضلالهم والمستضعفون على ضلالهم واتباعهم الصلتين (في أعناق الذين كفروا) أي في أعناقهم فجاء بالصريح تعليقا بذمهم والدلالة على ما استحقوه به الاغلال وعن قتادة أسروا الكلام بذلك بينهم وقيل أسروا الندامة أظهروها وهو من الاضداد * هذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما مني به من قومه من التكذيب والكفر بما جاء به والمناعة بكثرة الاموال والاولاد والمفاخرة وتجارفها والتكبر بذلك على المؤمنين والاستهانة بهم من أجل فقرهم أي اعلم يقينا خبرهم هذا وأحسن نديا وأنه لم يرسل قط الى أهل قرية من نذير الا قال له مثل ما قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أهل مكة وكادوه بنحو ما كادوه به وقاسوا أمر الآخرة الموهومة أو المشروطة عندهم على أمر الدنيا واعتقدوا أنهم لو فكروا على الله لما رزقهم ولولا أن المؤمنين هانوا عليه لما خصهم فعلى قياسهم ذلك قالوا (وما نحن بمعذبين) أرادوا أنهم أكرم على الله من أن يعذبهم نظرا الى أحوالهم في الدنيا * وقد أبطل الله تعالى حسبانهم بان الرزق فضل من الله يعمه تارة بما يشاء على حسب ما يراه من المصالح فربما وسع على العاصي وضيق على المطيع وربما عكس وربما وسع عليهم لوضيق عليهم لما نقاس عليه أمر الثواب الذي سماه على الاستحقاق * وقدر الرزق تضييقه قال تعالى ومن قدر عليه رزقه * وقرئ بقدر بالتشديد والتخفيف * أراد وما جماعة أموالكم ولا جماعة أولادكم بالتي تقربكم وذلك أن الجمع الكثير عقلا وعرفا يسمو اعلى حكم المثنى وجمعوا ان يكون التي هي التثنوي وهي القربة عند الله زلفى وحدها أي ليست أموالكم تلك الموضوعة للتقريب * وقرأ الحسن باللاتي تقربكم لانها جماعات وقرئ بالذي يقربكم أي بالشيء الذي يقربكم * والزلفى والزلفة كالقربى والقربة وحلها النصب أي تقربكم قربة كقوله تعالى أنبتكم من الارض نباتا (الا من آمن) استثناء من كم في تقربكم والمعنى أن الاموال لا تقرب أحدا الا المؤمن الصالح الذي ينفقها في سبيل الله والا ولا تقرب أحدا الا من علم الخير وفقههم في الدين ورشحهم للصلاح والطاعة (جزاء الضعف) من اضافة المصدر الى المفعول أصله فاولئك لهم أن يجازوا الضعف ثم جزاء الضعف ثم جزاء الضعف ومعنى جزاء الضعف أن تضاعف لهم حسناتهم الواحدة عشرا وقرئ جزاء الضعف على فاولئك لهم الضعف جزاء وجزاء الضعف على أن يجازوا الضعف وجزاء الضعف نوعان الضعف بدل من جزاء * قرئ في الغرفات بضم الراء وفتحها وسكونها وفي الغرفة (فهو يخلفه) فهو يعوضه لا معوض سواه اما عاجلا بالمال أو بالقناعة التي هي كنز لا ينفد واما آجلا بالثواب الذي لا خلف دونه وعن جماهد من كان عنده من هذا المال ما يتيم به عيشه فان الرزق مقسوم ولعل ما قسم له قليل وهو ينفق نفقة الموسع عليه فينفق جميع ما في يده ثم يبقى طول عمره في فقر ولا يتأول وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه فان هذا في الآخرة ومعنى الآية وما كان من خلف فهو منه (خير الرازقين) وأعلاهم رتبة المزلان كل ما رزق غيره من سلطان يرزق جنده أو سيد يرزق عبده أو رجل يرزق عياله فهو من رزق الله أجراه على أيدي هؤلاء وهو خالق الرزق وخالق الاسباب التي بها ينتفع المرزوق بل الرزق وعن بعضهم الحمد لله الذي أوجدني وجعلني ممن يشتهي فكم من مشته لا يجده وواجد لا يشتهي * هذا الكلام خطاب للملائكة وتقريع للكفار وارد على المثل السائر ايانا كنتم تعبدون وأصله يا جارة وتحوه قوله تعالى أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله وقد علم بحاله كون الملائكة وعيسى منزهين برآء مما وجه عليهم من السؤال الوارد على طريق التقرير والغرض أن يقول ويقولوا ويسألوا ويجيبوا فيكون تقريعهم أشد وتبكيتهم أبلغ وتجاهم أعظم وهو انهم ألزم ويكون اقتصاص ذلك لطفا لمن سمعه وزاجرا ان اقتص عليه * والموالاة خلاف المعاداة وعنها اللهو سم والاعوعادى من عاداه وهي مفاعلة من الولي وهو القرب كالمعاداة من العدوا وهي البعد والوفق يقع على الموالي والموالى جميعا والمعنى أنت الذي تتولاهم من دونهم اذ لا موالاة بينهم فيتبرأ بعضهم من بعض اثبات موالاة الله ومعاداة الكفار براءتهم من الرضا بعبادتهم فهم لان من كان على هذه الصفة كانت عاقبته كذلك (بل كانوا

وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الاغلال في أعناق الذين كفروا هل يجزون الا ما كانوا يعملون وما أرسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما أرسلتم به كافرون وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن أكثر الناس لا يعلمون وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى الا من آمن وعمل صالحا فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون والذين يسعون في آياتنا معاجزين أولئك في العذاب محضرون قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا

يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا الا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا الا افك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلي فكيف كان نكير قل انما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة ان هو الا نذير لكم

يعبدون الجن) يريدون الشياطين حيث أطاعوهم في عبادة غير الله وقيل صورت لهم الشياطين صورة قوم من الجن وقالوا هذه صور الملائكة فاعبدوها وقيل كانوا يدخلون في أجواف الاصنام اذا عبدت فيعبدون بعبادتها * وقرئ نحشرهم ونقول بالنون والياء * الامر في ذلك ليوم لله وحده لا يملك فيه أحد منعة ولا مضرة لأحد لان الدار دار ثواب وعقاب والمثيب والمعاقب هو الله فكانت حالها خلاف حال الدنيا التي هي دار تكليف والناس فيها يملك بعضهم بعضا ويتنافعون ويتضارون والمراد أنه لا ضار ولا نافع يومئذ الا هو وحده * ثم ذكر معاقبته الظالمين بقوله (ونقول للذين ظلموا) معطوفا على لا يملك * الاشارة الاولى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والثانية الى القرآن والثالثة الى الحق والحق أمر النبوة كلمة دين الاسلام كما هو وفي قوله (وقال الذين كفروا) وفي أن لم يقل وقالوا وفي قوله (للحق لما جاءهم) وما في اللامين من الاشارة الى القائلين والقول فيه وفي لما من المبادهة بالكفر دليل على صدور الكلام عن انكار عظيم وغضب شديد وتعجيب من أمرهم بليغ كأنه قال وقال أولئك الكفرة المتمردون بجراءتهم على الله ومكابرتهم لمثل ذلك الحق النير قبل أن يدروه (ان هذا الا سحر مبين) فبتوا القضاء على أنه سحر ثم موه على أنه بين ظاهر كل عاقل تأمله سماه سحرا * وما آتيناهم كتبا يدرسونها فهم بارهان على صحة الشرك ولا أرسلنا اليهم نذيرا ينذرهم بالعقاب ان لم يشركوا كما قال عز وجل أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون أو وصفهم بأنهم قوم أميون أهل جاهلية لا مال لهم وليس لهم عهد بانزال كتاب ولا بمبعث رسول كما قال أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون فليس لتكذيبهم وجه متشبث ولا شبهة متعلق كما يقول أهل الكتاب وان كانوا مبطلين نحن أهل كتب وشرائع ومستندون الى رسل الله ثم توعدهم على تكذيبهم بقوله (وكذب الذين) تقدموهم من الامم والقرون الخالية كما كذبوا * وما بلغ هؤلاء بعض ما آتينا أولئك من طول الاعمار وقوة الاجرام وكثرة الاموال * فحين كذبوا رسلهم جاءهم انكاري بالتدمير والاستئصال ولم يغن عنهم استظهارهم عما هم به مستظهرون فاياك هؤلا * فيرجى برسولها من التدريس وهو تكرير الدرس أو من درس الكتاب ودرسه الكتب ويدرسونها بتشديد الدال يفتعلون من الدرس * والمعشار كالمرباع وهما العشر والربع * (فان قلت) ما معنى (فكذبوا رسلي) وهو مستغنى عنه بقوله وكذب الذين من قبلهم (قلت) لما كان معنى قوله وكذب الذين من قبلهم وفعل الذين من قبلهم التكذيب أفادوا عليه بجعل تكذيب الرسل مسببا عنه ونظيره أن يقول القائل أقدم فلان على الكفر فكفر محمد صلى الله عليه وسلم ويجوز أن ينعطف على قوله وما بلغوا كقولك ما بلغ زيد معشار فضل عمرو فتفضل عليه (فكيف كان نكير) أي للمكذبين الاولين فليحذروا من مثله (بواحدة) بخصلة واحدة وقد فسرها بقوله (أن تقوموا) على أنه عطف بيان لها وأراد بقيامهم اما القيام من مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرقهم عن مجتمعهم عنده واما القيام الذي لا يراد به المثول على القدمين ولكن الانتصاب في الامر والنهوض فيه بالهمة والمعنى انما أعظكم بواحدة ان فعلتموها أصبتم الحق وتخلصتم وهي أن تقوموا لوجه الله خالصا متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا (ثم تتفكروا) في أمر محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به أما الاثنان فيتفكر كل واحد منهما بحصول فكره على صاحبه وينظر ان فيه نظرا متعادين متناصفا لا يميل بهما اتباع هوى ولا يبخس لهما عرق عصبة حتى يحصل بهما التفكر الصالح والنظر الصحيح على جادة الحق وسننه وكذلك الفرد يفكر في نفسه بعدل ونصفة من غير أن يكابر هواه ويعرض فكره على عقله وذهنه وما استقر عنده من عادات العقلاء ومجاري أحوالهم والذي أوجب تفريقهم مثنى وفرادى أن الاجتماع مما يشوش الخواطر ويعمي البصائر ويمنع من الروية ويخلط القول ومع ذلك يقل الانصاف ويكثر الاعتساف ويثور عجاج التعصب ولا يسمع الانصر المذهب * وأراهم بقوله (ما بصاحبكم من جنة) أن هذا الامر العظيم الذي تحته ملك الدنيا والآخرة جميعا لا يتصدى لادعائه مثله الا رجلان اما مجنون لا يبالي بافتضاحه اذا طولب بالبرهان فجعل لا يدري ما الافتضاح وما رقبة العواقب واما عاقل

بين يدى عذاب شديد
قل ماسألتكم من أجر
فهو لكم ان أجرى الا
على الله وهو على كل
شئ شهيد قل ان ربى
يقذف بالحق علام
الغيوب قل جاء الحق
وما يبدئ الباطل وما
يعيد قل ان ضللت فانما
أضل على نفسى وان
اهتديت فبما يوحى
الى ربى انه سميع
قريب ولو ترى اذ فزعوا

راجع العقل مرشح النبوة مختار من أهل الدنيا لا يدعيه الا بعد تحققه عنده بحجته وبرهانه والا فما يجدى على العاقل دعوى شئ لا بينة له عليه وقد علمتم أن محمدا صلى الله عليه وسلم ما بين جنسه قبل علمتموه أرجح قريش عقلا وأرزنهم حلما وأتقنهم ذهنا وأصلهم رأيا وأصدقهم قولا وأكرمهم نفسا وأجمعهم لما يحمد عليه الرجال ويمدحون به فكان مظنة لان تظنوا به الخير وترجحوا فيه جانب الصدق على الكذب واذا فعلتم ذلك كفاكم أن تطالبوه بأن يأتيكم بآية فاذا أتى بها تبين أنه نذير مبين * (قان قلت) ما صاحبكم يتعلق (قلت) يجوز أن يكون كلاما مستأنفا نبههم الله عز وجل على طريقة النظر فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجوز أن يكون النفى ثم تتفكروا فتعلموا ما بصاحبكم من جنة فوقد حوز بعضهم أن تكون ما استفهامية (بين يدى عذاب شديد) كقوله عليه الصلاة والسلام بعثت فى نسم الساعة (فهو لكم) جزاء الشرط الذى هو قوله ماسألتكم من أجر تهضيرة أى شئ سألتكم من أجر فهو لكم كقوله تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة وفيه معنيان أحدهما انى مسئلة الاجر رأسا كما يقول الرجل لصاحبه ان أعطيتنى شيأ فشكرته وهو يعلم أنه لم يعطه شيأ ولكنه يريد البت لتعليقه الاخذ بالمكن والثانى أن يريد بالاجر ما أراد فى قوله تعالى قل ما أسألكم عليه من أجر الا من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا وفى قوله قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى لان اتخاذ السبيل الى الله وصلة ما بينهم وكذلك المودة فى القربى لان القرابة قد تنظمهم وايا هم (على كل شئ شهيد) حفيظ معين يعلم أنى لا أطلب الاجر على نصيحتكم ودعائكم اليه الا سئة ولا أطمع منكم فى شئ * (يقذف بالحق) يرمى به الباطل فيدمغه ويزهقه (علام الغيوب) رفع يحمل على محل ان اسمها أو على المستكن فى يقذف أو هو خبر مبتدا محذوف وقرئ بالنصب صفة لربى أو على المدح وقرئ لغيوب بالجر كلمات الثلاث فالغيوب كالصيوب والغيوب كالصبور وهو الامر الذى عاب وخفى جدا * (ما أن يبدئ الباطل وما يعيد) ما نافية أو بمعنى ليس والضمير للشأن ويجوز أن يكون استفهاما فى معنى النفى أى أى شئ بقى للباطل فيبدئه أو يعيده فاذا هلك فهو فى حكم ما لا يعاد كقولهم لا يبدئ ولا يعيد مثلا فى الهلاك ومنه قول لبيد

أفقر من أهل عبيد * فاليوم لا يبدى ولا يعيد

والمعنى جاء الحق وهلك الباطل كقوله تعالى جاء الحق وزهق الباطل وعن ابن مسعود رضى الله عنه دخل النبى صلى الله عليه وسلم مكة وحول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فجعل يطعنها بعود بيده ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد * والحق القرآن وقيل الاسلام وقيل السيف وقيل الباطل ابليس لعنه الله أى ما يفتئ خلقا ولا يعيده الى شئ والباعث هو الله تعالى وعن الحسن لا يبدئ لاهله خيرا ولا يعيده أى لا ينفعهم فى الدنيا والآخرة وقال (يخ) أى شئ يفتئ ابليس ويعيده فجعله للاستفهام وقيل للشيطان الباطل لانه صاحب الباطل أو لانه هالك كما قيل له الشيطان من شاط اذا هلك * قرئ ضللت أضل بفتح العين مع كسرها وضلت أضل بكسرها مع فتحها وهما لغتان نحو طللت أظل وظللت أظل وقرئ أضل بكسر الهمزة مع فتح العين (فان قلت) أى التقابل بين قوله فانما أضل على نفسى وقوله فبما يوحى الى ربى وانما كان يستقيم أن يقال فانما أضل على نفسى وان اهتديت فانما أهتدى لها كقوله تعالى من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ألفى اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها أو يقال فانما أضل بنفسى (قلت) هما استقبالان من جهة المعنى لان النفس كل ما عليها فهو بها أعنى أن كل ما هو وبال على أو ضار لها فهو بها وبسببها لانها مأمورة السوء وما لها مأمنها فيها يتربص بها وتوفيقه وهذا حكم عام لكل مكلف وانما أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يسنده الى نفسه لان الرسول اذا دخل تحت عموم حلالة تحول وسدا دطريقه كان غيره أولى بدلك (انه سميع قريب) بدل على كل ضال ومهتد وفعله لا يخفى عليه منهما شئ * (ولو ترى) جوابه محذوف يعنى لرأيت أمرا عظيما وحالا هائلة ولو ترى الافعال التى هى فزعوا وأخذوا وحيل بينهم وبين ما يريدون الاستقبال لان ما لله قادر فى المستقبل بمنزلة ما قد كان

ووجد لحقته ووقت الفزع وقت البعث وقيام الساعة وقيل وقت الموت وقيل يوم بدر وعن ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في خسف البيداء وذلك أن ثمانين الفا يغزون الكعبة ليخربوها فاذا دخلوا البيداء خسف بهم (فلا فوت) فلا يفوتون الله ولا يسبقونه وقرئ فلا فوت * والاخذ من مكان قريب من الموقف الى النار اذا بعثوا أو من ظهر الارض الى بطنها اذا ماتوا أو من محشرهم بدر الى القليب أو من تحت أقدامهم اذا انخسف بهم (فان قلت) علام عطف قوله وأخذوا (قلت) فيه وجهان العطف على فزعوا أي فزعوا وأخذوا فلا فوت لهم أو على لا فوت على معنى اذ فزعوا فلم يفوتوا وأخذوا وقرئ وأخذوهم وهو معطوف على محل لا فوت ومعناه فلا فوت هنالك وهلاك أخذ (آمنابه) بمحمد صلى الله عليه وسلم او بوحيه وكرره في قوله وما يحال بينهم وبين ما يشتهون * والتناوش والتناول أخوان الا أن التناوش تناول سهل لشئ قريب يقال ناشه ينوشه وتناوشه القوم وتقال تناوشوا في الحرب ناش بعضهم بعضا وهذا تمثيل لطلبهم ما لا يكون وهو أن ينفعهم ايمانهم في ذلك الوقت كما ينفع المؤمنين ايمانهم في الدنيا مثلت حالهم بحال من يريد أن يتناول الشئ من غاية بعيدة تناوله الآخر من قيس ذراع تناولا سهلا لا تعب فيه وقرئ التناؤش بهمزة الواو لانضمومة كما همزت أجوه وأدؤر وعن أبي عمرو التناؤش بالهمز التناول من بعد من قولهم نأشت اذا أبطأت وتأخرت ومنه البيت * غنى نئيشا أن يكون أطاعني * أي أخيرا (ويقذفون) معطوف على فكفروا على حكاية الحال الماضية بمعنى وكانوا يتكلمون (بالغيب) ويأتون به (من مكان بعيد) وهو قولهم في رسول الله صلى الله عليه وسلم شاعر ساحر كذاب وهذا تكلم الغيب والامر الخفي لانهم لم يشاهدوا منه شعرا ولا سحرا ولا كذبا فما تولاهم الغيب من جهة بعيدة من حاله لان أبعد شئ مما يأتيه الشعر والسحر وأبعد شئ من عادته التي عرفت بينهم وبرئت الكذب والزور وقرئ ويقذفون بالغيب على البناء للمفعول أي يأتيهم به شياطينهم ويلقنونهم اياه وان شئت فعلقه بقوله وقالوا آمنا به على أنه مثلهم في طلبهم تحصيل ما عطلوه من الايمان في الدنيا بقولهم آمنا في الآخرة وذلك مطلب مستبعد من يقذف شيأ من مكان بعيد لاحتمال للظن في طرقه حيث يرد أن يقع فيه لكونه غائبا عنه شاط او القي القاتب ويجوز أن يكون الضمير للعذاب الشديد في قوله بينهم وبين عذاب شديد وكانوا يقولون وما نحن بمعذبين ان كان الامر كما تصفون من قيام الساعة والعقاب والثواب ونحن أكرم على الله من أن يعذبنا فايس أمر الآخرة على أمر الدنيا فهذا كان قذفهم بالغيب وهو غيب ومقذوف به من جهة بعيدة لان دار الجزاء لا تقاس على دار التكليف (ما يشتهون) من نفع الايمان بوعدوا النجاة به من النار والفوز بالجنة أو من الزوال الذي كما حكي عنهم ارجحنا عمل صالحا (بأشياعهم) بأشباههم من كفرة الامم ومن كان قبلهم مدة بهم (مريب) اما من الريبة أو أوقعه في الريبة أو من أراب الرجل اذا صار ذا ريبة ودخل فيها وكلاهما انجاز الان بينهما فرقا وهو أن المريب من الاول منقول ممن يصح أن يكون مريبا من الاعيان الى المعنى والمريب من الثاني منقول من صاحب الشك الى الشك كما قولك شعر شاعر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سبا لم يبق رسول ولا نبي الا كان له يوم القيامة رفيقا وصاحبا

﴿سورة الملائكة مكية وهي خمس وأربعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(فاطر السموات) مبتدعها وموجدها وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما كنت أدري ما فاطر السموات والارض حتى اختصم الي أعرابيان في بئر فقال أحدهما أنا فطرتها أي ابتدأتها وقرئ الذي فطر السموات والارض وجعل الملائكة وقرئ جاعل الملائكة بالرفع على المدح (رسلا) بضم السين وسكونها (أولي أجنحة) أصحاب أجنحة وأولو اسم جمع لذو كأن أولا اسم جمع لذا او نظيرهما في المكسة الخاص والظلمة (مثنى وثلاث ورباع) صفات لاجنحة ولما لم تنصرف لتكرر العدل فيها وذلك أنها عدلت عن ألفاظ

فلا فوت وأخذوا من مكان قريب وقالوا آمنا به وأنى لهم التناوش من مكان بعيد وقد كفروا به من قبل ويقذفون بالغيب من مكان بعيد وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل انهم كانوا في شك مريب

﴿سورة الملائكة مكية وهي خمس وأربعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملائكة رسلا أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع

الاعداد عن جميع الى جميع آخر كما عدل عمر عن عامر وحذام عن حاذمة وعن تكرير الى غير تكرير وأما الوصفية فلا ينتزع الحال فيما بين العدولة والمعدول عنها الا ترى أنك تقول مررت بنسوة أربع وبرجال ثلاثة فلا يصح عليها والمعنى أن الملائكة خلقا أجنحتهم اثنان اثنان أي الكل واحد منهم جناحان وخلقا أجنحتهم ثلاثة ثلاثة وخلقا أجنحتهم أربعة أربعة (يزيد في الخلق ما يشاء) أي يزيد في خلق الاجنحة وفي غيرها ما تقتضيه مشيئته وحكمته والاصل الجناحان لانهما بمنزلة اليدين ثم الثالث والرابع زيادة على الاصل وذلك أقوى للطيران وأعون عليه (فان قلت) فياس الشفع من الاجنحة أن يكون في كل شفع نصفه فما صورة الثلاثة (قلت) لعل الثالث يكون في وسط الظهر بين الجناحين يدها بقوة أولها لغير الطيران فقد مر في بعض الكتب أن صنفا من الملائكة لهم ستة أجنحة جناحان يلفون بهما أجسادهم وجناحان يطيرون بهما في الامر من أمور الله وجناحان مرخيان على وجوههم حياء من الله وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رأى جبريل عليه السلام ليلة المعراج وله ستمائة جناح وروي أنه سأل جبريل عليه السلام أن يتراءى له في صورته فقال انك لن تطيق ذلك قال اني أحب أن تفعل فخرج برسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة مقمرة فأتاه جبريل في صورة دحية على النبي صلى الله عليه وسلم ثم أفاق وجبريل عليه السلام مسنده واحدى يديه على عاتقه والاخرى بين كتفيه فقال سبحان الله ما كنت أرى أن شيأ من الخلق هكذا فقال جبريل فكيف لو رأيت اسرافيل له اثنا عشر جناحا جناح منها بالمشرق وجناح بالمغرب وان العرش على كاهله وانه ليتضاءل الاحايين لعظمة الله حتى يصير مثل الوصع وهو العصفور الصغير وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى يزيد في الخلق ما يشاء هو الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن وقيل انه الخط الحسن وعن قتادة الاخذ في العينين والانف والفم تناول كل زيادة في الخلق من طول قامة واعتدال صورة وتمام في الاعضاء وقوة في البطش وسرعة في المشي وخفة في الرأي ووعي القلب وسماحة في النفس وذلاقة في اللسان ولباقة في التكلم وحسن تأتي من أوله الامور وما أشبه ذلك مما لا يحيط به الوصف (ما يفتح الله للناس) استعير الفتح للاطلاق والارسال الا ترى الى قوله فلا مرسل له من بعده مكان لا فاتح له يعني أي شيء يطلق الله من رحمة أي من نعمة رزقا أو مطرا أو صحة أو أمنا أو غير ذلك من صنوف نعمائه التي لا يحاط بعددها ولم ينكره الرحمة للترغيب والابهام كأنه قال من أي رحمة كانت عاجلة أو آجلة فلا أحد يقدر على امساكها وحسبما رأى شيأ يمسكه فلا أحد يقدر على اطلاقه (فان قلت) لم أنث الضمير أولا ثم ذكر آخرا وعرى جميع ما في الاثنين التي الاسم المتضمن معنى الشرط (قلت) هما الفتان الحمل على المعنى وعلى اللفظ والمتكلم على الخيرة فهما شائت على معنى الرحمة وذكر على أن لفظ المرجوع اليه لا تأنيث فيه ولان الاول غير الرحمة فحسن اتباع الضمير الضمير ولم يصر الثاني فذلك على أصل التذكير وعري فلا مرسل له (فان قلت) لا بد للثاني من تفسير فما تفسيره (قلت) يحتمل أن يكون تفسيره مثل تفسير الاول ولكنه ترك لدلالته عليه وان يكون مطلقا في كل ما يمسكه من غير حصره واعتبار الاول دون الثاني للدلالة على أن رحمته سبقت غضبه (فان قلت) فما تقول فيمن فسر الرحمة بالنبوة وعزاه الى ابن عباس رضي الله عنهما (قلت) ان أراد بالنبوة الهداية فصحيح والتوفيق فيها هو الذي أراده ابن عباس رضي الله عنهما ان خاله فقبول وان أراد أنه ان شاء أن يتوب العاصي تاب وان لم يشأ لم يتب فمردود لان الله تعالى يشاء التوبة أبدا ولا يجوز عليه أن لا يشاءها (من بعده) من بعد امساكه كقوله تعالى فبأي حديث بعد الله أي من بعد هدايته وبعد آياته (وهو العزيز) الغالب القادر على الارسال والامساك (الحكيم) الذي يرسل ويمسك ما تقتضي الحكمة ارساله وامساكه ليس المراد بذكر النعمة ذكرها باللسان فقط وانما بالقلب وحفظها من الكفران والغمط وشكرها بمعرفة حقها والاعتراف بها وطاعة مولاها ومنه قول الرجل ان أنعم عليه ان كرى أيادي عندك يريد حفظها وشكرها والعمل على موجبها والخطاب عام للجميع لان جميعهم مغمورون بنعمة الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما يريد يا أهل مكة اذكروا نعمة الله عليكم حيث أسكنكم حرمه ومنكم

يزيد في الخلق ما يشاء ان الله على كل شيء قدير ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم يا أيها الناس اذكروا نعمت الله عليكم هل من خالق غير الله

﴿القول في سورة الملائكة﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى هل من خالق غير الله يرزقكم الآية (قال فيه ان قلت ما محل يرزقكم قلت يحتمل أن يكون له محل اذا أوقعته صفة للخالق وان لا يكون له محل اذا جعلته تفسيرا وجعلت من خالق مرفوع المحل بفعل يدل عليه هذا كائنه قيل هل يرزقكم خالق غير الله أو جعلت يرزقكم كلاما مبتدأ) قال أحمد والوجه المؤخر أوجهها عندي كلامه (قال) فان قلت هل فيه دليل على ان الخالق لا يطلق على غير الله تعالى قلت نعم ان جعلت يرزقكم كلاما مبتدأ وهو الوجه الثالث من الاوجه الثلاثة وأما على الوجهين الآخرين وهما الوصف والتفسير فقد تقيد فيهما بالرزق من السموات والارض وخرج من الاطلاق فكيف يستشهد به على نفيه مطلقا (قال أحمد) التدريبة اذا قرعت هذه الآية أسماعهم قالوا بجرأة على الله تعالى نعم ثم خالق غير الله لان كل أحد عندهم يخلق فعل نفسه فلهذا (٢٣٨) رأيت الزمخشري وسع الدائرة وجلب الوجوه الشاردة الناثرة وجعل الوجهين بطابقان

معتقده في اثبات خالق غير الله ووجهها هو الحق والظاهر وآخره في الذكر تناسبه والذي يحقق الوجه الثالث وانه هو المراد أن

يرزقكم من السماء والارض لا اله الا هو فأنى تؤفكون وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك وقوله فقد كذبت رسل من قبلك فوضع فكذبوك موضع فكذبوا تأكيدا وصلتا أو وصلتا بما قبله على المعنى لان قولك هل من خالق آخر سوى الله لا الا ذلك الخالق غير مستقيم لان قولك هل من خالق سوى الله اثبات لله فلو ذهبت تقول ذلك كنت مناقضا للنفي بعد الاثبات (فأنى تؤفكون) من أي وجه تصرفون عن التوحيد الى الشرك * نعى به على قريش سوء نظرهم لآيات الله وتكذيبهم بها وسلى رسوله صلى الله عليه وسلم بان له في الانبياء قبله اسوة حسنة ثم جاء معتمل على الوعد والوعيد من رجوع الامور الى حكمه وجزاء المكذب والمكذب بما يستحقان * وقرئ ترجع بضم التاء وفتحها (فان قلت) ما وجه مجيء الشرط من حق الجزاء أن يعقب الشرط وهذا بخلافه (قلت) معناه وان يكذبوك فتأس بتكذيب الرسل من قبلك فوضع فقد كذبت رسل من قبلك موضع فتأس باستغنائه بالسبب عن المسبب أعني بالتكذيب عن التأسي (فان قلت) ما معنى التكثير في رسل (قلت) معناه فقد كذبت رسل أي رسل كانوا عدد كثير وأولو آيات وزبر وأهل أسفار طوال وأصحاب صبر وعزم وما تبعه ذلك وهذا أصلي له وأحث على المصابرة * وعد الله الحق اما الثواب والعقاب (فلا تغرنكم) الدنيا (ولا يغرنكم) الشيطان بتمنيها والتلهف عليها وعلى ما يعرى العمل للآخرة وطلب ما عند الله (ولا يغرنكم بالله الغرور) لا يقولن لكم اعملوا ما شئتم فان الله غفور يعفو كل كبيرة ويمحو كل خطيئة والغرور الشيطان لان ذلك دينه وقرئ بالضم وهو مصدر غره كالقبول والدخول أو جمع غار كقاعد وقعود أخبرنا الله عز وجل ان الشيطان لنا عدو بين وأقسى علينا فحسبه وما على بأيينا أشد عليه السلام وكيف انتدب لعداوة جنسنا من قبل وجود وبعد موجود من على ذلك نتولاه موليه فيطيعه فيما يدعوه اليه هيهات كلا فهو عدو الله عز وجل بالنص كما أخبر عدوكم الذي لا عدو أعرق في العداوة منه وأنتم تعاملونه معاملة من لا علم له بحاله (فاتخذوه عدوا) في عقائدكم وأفعالكم ولا يجدن منكم

من جميع العالم لنا من يخطفون من حولكم وله نعمة الله السابغة * وقرئ غير الله بالحركات الثلاث فالجر والرفع على الوصف لفظا ومحلا والنصب على الاستثناء (فان قلت) ما محل (يرزقكم) (قلت) يحتمل أن يكون له محل اذا أوقعته صفة للخالق وأن لا يكون له محل اذا رفعت محل من خالق بالابتداء يرزقكم وأوقعت يرزقكم تفسيرا له أو جعلته كلاما مبتدأ استدل قوله هل من خالق غير الله (فان قلت) هل فيه دليل على أن الخالق لا يطلق على غير الله تعالى (قلت) نعم ان جعلت يرزقكم كلاما مبتدأ وهو الوجه الثالث من الاوجه الثلاثة وأما على الوجهين الآخرين وهما الوصف والتفسير فقد تقيد فيهما بالرزق من السماء والارض وخرج من الاطلاق فكيف يستشهد به على اختصاصه بالاطلاق والرزق من السماء المطر ومن الارض النبات (لا اله الا هو) جملة معمولة لا محل لها مثل يرزقكم على الوجه الثالث ولو وصلتا بما قبلهما وصلت يرزقكم تفسيرا عطف عليه المعنى لان قولك هل من خالق آخر سوى الله لا الا ذلك الخالق غير مستقيم لان قولك هل من خالق سوى الله اثبات لله فلو ذهبت تقول ذلك كنت مناقضا للنفي بعد الاثبات (فأنى تؤفكون) من أي وجه تصرفون عن التوحيد الى الشرك * نعى به على قريش سوء نظرهم لآيات الله وتكذيبهم بها وسلى رسوله صلى الله عليه وسلم بان له في الانبياء قبله اسوة حسنة ثم جاء معتمل على الوعد والوعيد من رجوع الامور الى حكمه وجزاء المكذب والمكذب بما يستحقان * وقرئ ترجع بضم التاء وفتحها (فان قلت) ما وجه مجيء الشرط من حق الجزاء أن يعقب الشرط وهذا بخلافه (قلت) معناه وان يكذبوك فتأس بتكذيب الرسل من قبلك فوضع فقد كذبت رسل من قبلك موضع فتأس باستغنائه بالسبب عن المسبب أعني بالتكذيب عن التأسي (فان قلت) ما معنى التكثير في رسل (قلت) معناه فقد كذبت رسل أي رسل كانوا عدد كثير وأولو آيات وزبر وأهل أسفار طوال وأصحاب صبر وعزم وما تبعه ذلك وهذا أصلي له وأحث على المصابرة * وعد الله الحق اما الثواب والعقاب (فلا تغرنكم) الدنيا (ولا يغرنكم) الشيطان بتمنيها والتلهف عليها وعلى ما يعرى العمل للآخرة وطلب ما عند الله (ولا يغرنكم بالله الغرور) لا يقولن لكم اعملوا ما شئتم فان الله غفور يعفو كل كبيرة ويمحو كل خطيئة والغرور الشيطان لان ذلك دينه وقرئ بالضم وهو مصدر غره كالقبول والدخول أو جمع غار كقاعد وقعود أخبرنا الله عز وجل ان الشيطان لنا عدو بين وأقسى علينا فحسبه وما على بأيينا أشد عليه السلام وكيف انتدب لعداوة جنسنا من قبل وجود وبعد موجود من على ذلك نتولاه موليه فيطيعه فيما يدعوه اليه هيهات كلا فهو عدو الله عز وجل بالنص كما أخبر عدوكم الذي لا عدو أعرق في العداوة منه وأنتم تعاملونه معاملة من لا علم له بحاله (فاتخذوه عدوا) في عقائدكم وأفعالكم ولا يجدن منكم

الآية تنبيه على أنهم مع كونهم على انهم مشركون لا استطاعون رزقهم من السموات والارض فكيف يعبدون من لا يقدر على ذلك

قالوا الله فصرفوا عن عبادته الى عبادة من لا يقدر على شيء من ذلك ولا على غيره هذا لو سلم فكيف اذا كان عدوا وهو اثبات خالق غير الله لكنه لا يرزق وهو لا الا الكفرة قد نبرأ عن ذلك فلا وجه لتقريعهم بما ذكر فوجب هذا ترجيح الوجه الثالث من حيث المقصود من سياق الآية وأما من حيث النظم اللفظي فلان الجملتين اللتين هما قوله يرزقكم وقوله لا اله الا هو سيقتا سيقا واحدا والثانية منفصلة اتفاقا على ما تقدم فكذلك ويرزقنا * قوله تعالى يا أيها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا الآية (قال أحمد هو يعني باهل السنة ش اعتقادهم جواز مغفرة الكبائر للموحدين لو لم يكن توبة وهذا لا ينافي صدق وعده تعالى لان الله تعالى حيث وعد على الكبائر قرن الوعد بالمشيئة في مثل قوله لهم ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فهم اذا صدقوا وعد الله تعالى هو فيما نوى به على حسب ما ورد

الا مايدل على معاداته ومناصبته فى سركم وجهركم * ثم تلخص سر أمره وخطر أمره انه بان عرفه الذى يؤيه
فى دعوة شيعته ومتبعى خطواته هو أن يردهم مورد الشقوة والهلاك وان يكونوا من أصحاب السعير
* ثم كشف القناع وقشر اللحاء ليقطع الاطماع الفارغة والاماني الكاذبة فى الامر كله على الاجمال والعمل
وتركيبها * لما ذكر الفريقين الذين كفروا والذين آمنوا قال لنبيه (أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا) يعنى
أفمن زين له سوء عمله من هذين الفريقين كمن لم يزين له فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال لا يقال (فان
الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) ومعنى تزيين العمل والاضلال واحد
وهو ان يكون الباعى على صفة لا تبدى عليه الصلاح حتى يستوجب بذلك خذلان الله تعالى وتخليته وشأنه
فعند ذلك يهيم فى الضلال ويطلق أعنة النهى ويعتنق طاعة الهوى حتى يرى القبيح حسنا والحسن قبيحا
كما غلب على عقله وسلب تمييزه وتصدق قول أبى نواس

اسقنى حتى ترانى * حسنا عندى القبيح

واذا خذل الله المسلمين على الكفر وخذلهم وشأنهم فان على الرسول أن لا يهتم بامرهم ولا يبقى بالا الى
ذكرهم ولا يحزن ولا يتحسر عليهم اقتداء بسنة الله تعالى فى خذلانهم وتخليتهم وذكر الزجاج ان المعنى أفمن
زين له سوء عمله ذهبت نفسك عليهم حسرة فحذف الجواب لدلالة ما تقدم عليه أو أفمن زين له سوء
عمله كمن هداه الله فحذف لدلالة قوله ان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء عليه * حسرات مصدر له يعنى
فلا تهلك نفسك للحسرات وعليهم صلة تذهب كما تقول هلك عليه حبا وماتت عليه حزنا أو هو بيان للمتحسر
عليه ولا يجوز أن يتعلق بحسرات لان المصدر لا يتقدم عليه صلته ويجوز أن يكون حالا كأن كلها صارت
حسرات لفرط الغيظ كما قال جرير

مشق الهواجر لحمهن مع السرى * حتى ذهبن كلاكلا وصدورا

يريد جعن كلا كلا وصدورا أى لم يبق الا كلا كلها وصدورها ومثله قوله

نمشى الرهم تساقط نفسى * حسرات وذكرهن لزام

وقرئ فلا تذهب نفسك (ان الله عليم بما يصنعون) وعيد لهم المقابلة على سوء صنيعهم * وقرئ أرسل الرياح
* (فان قلت) لم جاء مضارعا على الضد مما قبله وما بعده (قلت) ليحكى الحال التى تقع فيها اثارة الرياح
السحاب وتصريفها تلك الصور البديعة الدالة على القدرة الباهرة وهكذا يفعلون بفعل فيه نوع تعسير
وتصعوبة يحال تصعيره أو تهم لخاطب أو غير ذلك كما قال تأبط شرا

بأية راقبت العز تروى * بسهب كالصحيفة صحصحان

فأضرب هامة الهيجا عليها * ضرب المعبدين والجران

لانه قصد أن يصور لقومه الحالة التى تتجمع فيها بزعمه على ضرب الغول كأنه يبصرهم اياها ويطلعهم على
كنهها مشاهدة للتعجيب من جرأته على كل هول ونباته عند كل شدة وكذلك سوق السحاب الى البلد الميت
واحياء الارض بالمطر بعد موتها مما كانا من الدلائل على القدرة الباهرة قيل فى قصار أحييناه ولم يهلكه ولا يهلكه
لفظ التنبية الى ما هو أدخل فى الاختصاص وأدل عليه * والكاف فى (كذلك) فى محل الرفع أى مثل احياء
الموات نشور الاموات وروى أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يحيى الله الموتى وما آية ذلك فى
خلقه فقال هل مررت بوادى أهلك محلا ثم مررت به يهز خضرا قال نعم قال فكذلك يحيى الله الموتى وتلك آيته
فى خلقه وقيل يحيى الله خلقا عاد برسله من تحت العرش كما يكون الرجل تنبت منه أجساد الخلق * كان الكافرون
يتعززون بالاصنام كما قال عز وجل واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا فأمروا بالاستنصر من غير
مواطاة فلو هم كانوا يتعززون بالمشركين كما قال تعالى الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين
أيبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا فبين أن لا عزة الا لله ولاوليائه وقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين
والمعنى فليطلبها عند الله فوضع قوله (فلله العزة جميعا) * موضعه استغناء بعند دلالته عليه لان الشئ
لا يطلب الا عند صاحبه ومالكه ونظيره قولك من أراد النصيحة فهى عند الابرار ترشد طلبها عندهم

والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ان الله عليم بما يصنعون والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فأحيينا به الارض بعد موتها كذلك النشور من كان يريد العزة فلله العزة جميعا

الا انك أقمت ما يدل عليه مقامه ومعنى لله العزة جميعا أن العزة كلها مختصة بالله عزة الدنيا وعزة الآخرة * ثم عرف أن ما تطلب به العزة هو الاعمار والعمل الصالح بقوله (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) والكلم الطيب لا اله الا الله عن ابن عباس رضي الله عنهما يعني أن هذه الكلمة لا تقبل ولا تصعد الى السماء ما لم تكتب حيث تكتب الاعمال المقبولة كما قال عز وجل ان كتاب الابرار لفي عليين الا اذا اقترن بها العمل الصالح الذي يحققها ويصدقها فيرفعها وأصعدها وقيل الرافع الكلم والمرفوع العمل لانه لا يقبل عمل الا من موحد وقيل الرافع هو الله تعالى والمرفوع العمل وقيل الكلم الطيب كل ذكر من تكبير وتسبيح وتهليل وقراءة قرآن ودعاء واستغفار وغير ذلك وعن النبي صلى الله عليه وسلم هو قول الرجل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر اذا قالها العبد عرج بها الملك الى السماء فتلقاها وجه الرحمن فاذا لم يكن عمل صالح لم يقبل منه وفي الحديث لا يقبل الله قولا الا بعمل ولا يقبل قولا ولا عملا الا بنية ولا يقبل قولا وعملا ونية الا باصابة السنة وعن ابن المقفع قول بلا عمل كجسد بلا روح وسحاب بلا مطر وقوس بلا وتر وقرئ اليه يصعد الكلم الطيب على البناء للمفعول واليه مصعد الكلم الطيب على تسمية الفاعل من أصعد والمصعد هو الرجل أي يصعد الى الله عز وجل الكلم الطيب واليه يصعد الكلام الطيب وقرئ والعمل الصالح برفعه نصب العمل والرافع الكلام أو الله عز وجل (فان قلت) بم ترتفع غير متعد لا يقال مكر فلان عمله فيرتفع (السيئات) (قلت) هذه مصدرة المصدر أو اسناد حكمه كقوله تعالى ولا يحيق الا كر السيئ الا بأهله أصله والذين مكروا المكرات السيئات أو أصناف المكر السيئات وعني بهن مكرات قريش حين اجتمعوا في دار الندوة وتداولوا الرأي في احدى ثلاث مكرات يمكرونها برسول الله صلى الله عليه وسلم اما اثباته أو قتله أو اخراجه كما حكى الله سبحانه عنهم واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك (ومكر أولئك هو يبور) يعني ومكر أولئك الذين مكروا تلك المكرات الثلاث هو خاصة يبور أي يكسد ويفسد دون مكر الله بهم حين أخرجهم من مكة وقتلهم وأثبتهم في القليب يوم بدر مع جمع عليهم مكراتهم جميعا وحقق فيهم قوله ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين وقوله ولا يحيق المكر السيئ الا بأهله (ان وليا) صنا فاذ كرا ناوتا ناكقوله تعالى أو يزوجهم ذكرانا واناثا وعن قتادة رضي الله عنه زوج بعضهم بعضا (يعلم) في موضع الحال أي الا معلوما له * (فان قلت) ما معنى قوله وما يعمر من معمر (قلت) معناه وما يعمر من أحد ولما سماه معمرا لما هو صائر اليه (فان قلت) لان اما معمرا ي طويل العمر أو منقوص العمر أي قصيره فما معنى تعليقه على التعمير وخلافه بحال فكيف صح قوله (وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره) (قلت) هذا من الكلام المتسع فيه تثقة في تأويله بافهام السامعين واتكالا على تسديدهم معناه بعقولهم وأنه لا يلتبس عليهم لحالة الطول والقصر في عمر واحد وعليه كلام الناس المستفيض يقولون لا يشيب الله عبدا ولا يعاقبه الا يحيى وما تتعمت بالدنيا لا تجتويه الا قليل فيه ثوئي وفيه تأويل آخر وهو أنه لا يطول عمر انسان ولا يقصر الا في كتاب وصورته أن يكتب في اللوح ان عمر فلان أو عمره أربعون سنة وان عمر فلان ستون سنة فاذا جمع بينهما قيل في الستين فقد عمر واد أفرد أحدهما فلم يتجاوز به الاربعون فقد نقص من عمره الذي هو الغاية وهو الستون واليه اشار رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله ان الصدقة والصلة تعمران الديار وتزيدان في الاعمار وعن كعب أنه قال حين طعن عمر رضي الله عنه لو أن عمر دعا الله لاخر في أجله فقيل لكعب أليس قد قال الله اذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون قال فقد قال الله وما يعمر من معمر وقد استفاض على الالسنة أطال الله عمره وصح في مدته وسأله به وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه يكتب في الصحيفة عمر كذا وكذا سنة ثم يكتب في أسفل ذلك ذهب يوم ذهب يومان حتى يأتي على آخره وعن قتادة رضي الله عنه المعمر من بلغ ستين سنة والمنقوص من عمره من مات قبل ستين سنة والكتاب اللوح عن ابن عباس رضي الله عنهما ويجوز أن يراد بكتاب الله علم الله أو صحيفة الانسان وقرئ ولا ينقص على تسمية الفاعل من عمره بالتخفيف * ضرب الجوين المثب

اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب ان ذلك على الله يسير وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج

والمالح مثلين للمؤمن والكافر ثم قال على سبيل الاستطراد فى صفة البحرين وما علق بهما من نعمته وعطائه (ومن كل) أى ومن كل واحد منهما (تأكلون لحما طريا) وهو السمك (وتستخرجون حلية) وهى اللؤلؤ والمرجان (وترى الفلك فيه) فى كل (مواخر) شواق للماء مجريها يقال مخرت السفينة الماء تقال للسحاب بنات مخر لانها تخر الهواء والسفن الذى اشتقت منه السفينة قريب من المخر لانها تشق الماء كما تقشره كما تقدم (من فضله) من فضل الله ولم يجر له ذكر فى الآية ولكن فيما اقتضاه ولم يجر لم يشكل الدلالة المعنى عليه * وحرف الرجاء مستعار لمعنى الارادة لانرى كيف يسلك به مسلك لام التعليل كما فى قيل لتعتوا ولتشكروا * والفرات الذى يكسر العطش * والسائغ المرى، السهل الانحدار لعذوبته وترى يسبع يوزن سيبويه يسبع بالتخفيف وملح على فعل * والاجاج الذى يحرق بملوحته ويحتمل غير طريقة الاستطراد وهو أن يشبه الجنسين بالبحرين ثم يفصل البحر الاجاج على الكافر بأنه قد شارك المؤمن فى منافع من السمك واللؤلؤ وبجرى الفلك فيه والكافر خلو من النفع فهو فى طريقة قوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة ثم قال وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله (ذلكم) مبتدأ و (الله ربكم له الملك) أخبار مترادفة أو الله ربكم خبران وله الملك جملة مبتدأه واقعة فى قران قوله (والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير) ويجوز فى حكم الاعراب اتباع اسم الله صفة لاسم الاشارة أو عطف بيان وربكم خبر الولا أن المعنى يأباه والقطمير افاقة النواة وهى القشرة الرقيقة الملتفة عليها ان تدعوا الاوثان (لا يسمعوا دعاءكم) لانهم جماد (ولو سمعوا) على سبيل الفرض والتمثيل (ما استجابوا لكم) لانهم لا يدعون ما تدعونهم من الالهية ويتبرؤن منها وقيل ما نفعوكم (يكفرون بشرككم) ولا ينبئك مثل خبير) ولا يخبرك الامر مخبر هو مثل خبير عالم يريد ان الخبير بالامر وحده هو الذى يخبرك بالحقيقة دون سائر المخبرين به والمعنى أن هذا الذى أخبرتك به من حال الاوثان هو الحق لانى خبير عالم أخبرت به وقرئ يدعون بالياء والتاء (فان قلت) لم عرف الفقراء (قلت) قصد بذلك أن يريهم أنهم لشدة افتقارهم اليه هم جنس الفقراء وان كانت الخلائق كلهم مفتقرين اليه من الناس وغيرهم لان الفقر لما تبع الضعف وكلما كان الفقير أضعف كان أفقر وقد نبه الله سبحانه على الانسان بالضعف فى قوله وخلق الانسان ضعيفا وقال الله سبحانه وتعالى الله الذى خلقكم من ضعف ولو ذكر لكان المعنى أنتم بعض الفقراء * (فان قلت) قد قوبل الفقراء الغنى * فما فائدة الحميد (قلت) لما أثبت فقرهم اليه وغناه عنهم وليس كل غنى نافعا بغناه الا اذا كان الغنى جوادا فعلا وأنهم عند المنعم عليهم واستحق عليهم الحمد ذكر الحميد ليدل به على انه الغنى النافع بغناه خلقه الجواد المنعم عليهم المستحق بانعامه عليهم أن يحمدوه ويحمد على ألسنة قومهم (بعزيز) يمتنع وهذا غضب عليهم لاعتقادهم له أشباها وكفرهم بآياته ومعاصيهم كما قال وان تتولوا يستبدل قوما غيركم وعن ابن عباس رضى الله عنهما يحلق بعدكم من يعبده لا يشرك به شيئا * الوزر والوقر أخوان ووزر الشئ اثمه * والوازرة صفة للنفس والمعنى أن كل نفس يوم القيامة لا تحمل الا وزر نفسها الذى اقترفته لا تؤخذ نفس بذنب نفس كما تأخذ جبابرة الدنيا الولى بالولى والجار بالجار (فان قلت) هلا قيل ولا تزر نفس وزر أخرى ولم قيل وازرة (قلت) لان المعنى أن النفوس لو زرات لا ترى من واحدة الاحاملة لوزرها لا وزر غيرها (فان قلت) كيف توفق بين هذا وبين قوله وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم (قلت) تلك الآية فى الضالين المضلين وأنهم يحملون أثقال اضلال الناس مع أثقال ضلالهم وذلك كله أوزارهم ما فيها شئ من وزر غيرهم ألا ترى كيف كذبهم الله تعالى فى قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم بقوله تعالى وما هم بحاملين من خطاياهم من شئ (فان قلت) ما الفرق بين معنى قوله (ولا تزر وازرة وزر أخرى) وبين معنى (وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شئ) (قلت) الاول فى الدلالة على عدل الله تعالى فى حكمه وأنه تعالى لا يؤاخذ نفسا بغير ذنبها والثانى فى أن الاعباء يوم القيامة لا تستقل حتى ان نفسا واحدة أثقلتها الاوزار وبهظتها الودعت الى أن يخفف بعض وقرها لم تجب، ان كان المدعو بعض قرابتها من أب أو ولد أو أخ (فان قلت) لم أسند

من كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغنى الحميد ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز ولا تزر وازرة وزر أخرى وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شئ

كان فى (ولو كان ذا قربى) (قلت) الى المدعو المفهوم من قوله وان تدع مثقلة (فان قلت) فلم ترك ذكر المدعو (قلت) لعمومه ويشمل كل مدعو (فان قلت) كيف استقام اضمار العام ولا يصح أن يكون العام ذا قربى للثقلة (قلت) هو من العموم الكائن على طريق البدل (فان قلت) ما تقول فيمن قرأ ولو كان ذو قربى على كان التامة كقوله تعالى وان كان ذو عسرة (قلت) نظم الكلام أحسن ملاءمة للناقصة لان المعنى على أن المثقلة ان دعت أحدا الى حملها لا يحمل منه شئ وان كان مدعوها ذا قربى وهو معنى صحيح ملتئم ولو قلت ولو وجد ذو قربى انعكس وخرج من اتساقه والتئامه على أن ههنا ما ساغ ان يستتر له ضمير فى الفعل بخلاف ما أوردته (بالغيب) حال من الفاعل أو المفعول أى يخشون ربهم غائبين عن عذابه أو يخشون عذابه غائبا عنهم وقيل بالغيب فى السر وهذه صفة الذين كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه فكانت عادتهم المستمرة أن يخشوا الله * وهم الذين أقاموا الصلاة وتركوها شائعا ذائعا منصوبا وعلى ظاهر فوعيد لمن انتفى قدر على انذارهم لا لمن تعذر عليه من قومك وعلى تحصيل منفعة الانذار بهم دون تعريضهم وأهل عنادهم (ومن تزكى) ومن تطهر بفعل الطاعات وترك المعاصى وقرئ ومن زكى وقيل نزلت فى عمار حين عيره اعرابى بسواد لونه (فانما يتزكى لنفسه) لان ثمرة زكاته عائدة اليه (والى الله المصير) فيجازيه عليها وفى تقديم الجار والمجرور دليل على الاختصاص * وكذلك تخصيصهم اقامتهم الصلاة لانهم هم الذين جعلوا الترك (والى المصير) وعد للتاركين بالعقاب (فان قلت) كيف اتصل قوله انما تنذر بما قبله (قلت) لما غضب عليهم فى قوله ان يشأ يذهبكم أتبعه بكم الانذار يوم القيامة وذكر أهوالها ثم قال انما تنذر كأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمهم ذلك فلم ينفع فقيل انما تنذر أو أخبر الله تعالى بعلمه فيهم (الاعمى والبصير) مثل للكافر والمؤمن كما ضرب البحرين مثلا لهما أو للصنم والله عز وجل * والظلمات والنور والظل والحرور مثلان للحق والباطل وما يؤديان اليه من الثواب والعقاب * والاحياء والاموات مثل الذين دخلوا فى الاسلام والذين لم يدخلوا فيه وأصروا على الكفر * والحرور السموم الا أن السموم يكون بالنهار والحرور بالليل والنهار وقيل بالليل خاصة (فان قلت) لا الفرقة ولا العطف ما هى (قلت) اذا وقعت الواو فى النفى هزئت بها التأكيد معنى النفى (فان قلت) هل من فرق بين هذه الواوات (قلت) يعتبر اصحت شفعا الى شفع وبعضها وتر الى وتر (ان الله يسمع من يشاء) يعنى أنه قادر على أن يسمع من يريد أن يسمع المقهورين وينذرهم وذلك مالا سبيل اليه * ثم قال (ان أنت الا نذير) أى ما عليك الا أن تبلغ وتنذر فان كان المنذر ممن يسمع الانذار نفع وان كان من المصرين فلا عليك وتحقيل أن الله يسمع من يشاء أنه قادر على أن يهدى الطبوع على قلوبهم على وجه القسر والالجاء وغيرهم على وجه الهداية والتوفيق وأما أنت فلا حيلة لك فى المطبوع على قلوبهم الذين هم بمنزلة الموتى (بالحق) حال من أحد الضميرين يعنى محقا أو محقين أو صفة للمصدر أى ارسالا ملتبسا بالحق أو صلة لبشيرا ونذيرا على بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد الحق * والامة الجماعة الكثيرة قال الله تعالى وجد عليه أمة من الناس ويقال لكل عصر أمة يعنى حدود المكلفين الامة هم المبعوثون بالرسول صلى الله عليه وسلم دون المبعوث اليهم وهم الذين يعتبر اجماعهم والمراد ههنا أهل العصر (فان قلت) كم من أمة فى الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ولم يخل فيها نذير (قلت) اذا كانت آثار النذارة باقية لم يخل من نذير الى أن تندرس وحين اندرست آثار نذارة عيسى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم (فان قلت) كيف أكتفى بذكر النذير عن البشير فى آخر الآية بعد ذكرهما (قلت) لما كانت النذارة مشفوعة بالبشارة لاحقة لذكرها على ذكرها الاسماء قد اشتملت الآية على ذكرهما (بالبينات) بالشواهد على صحة النبوة وهى المعجزات (وبالزبر) وبالصحف (وبالكتاب المنير) نحو التوراة والانجيل والزبور ولما كانت هذه الاشياء فى جنسهم أسند المجئ بها اليهم اسنادا مطلقا وان كان بعضها فى جميعهم وهى البينات وبعضها فى بعضهم وهى الزبر والكتاب وفيه مسلاة لرسول الله صلى الله عليه وسلم (الرابية) أعلاها من الرمان والتفاح والتين والعنب وغيرها مما لا يعصر أو هى ما ارتفع من

ولو كان ذا قربى انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب واقاموا الصلوة ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه والى الله المصير وما يستوى الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوى الاحياء ولا الاموات ان الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من فى القبور ان أنت الا نذير انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وان من أمة الا خلا فيها نذير وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان نكير ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها

الحمرة والصفرة والخضرة ونحوها * والجدد الخطط والطرائق قال لبيد * أو مذهب جدد على ألواحه * ويقال جدة الحمار للخطة السوداء على ظهره وقد يكون للظبي جدتان متعكستان تنعطفان بين لوني ظهره وبطنه (وغرابيب) معطوف على بيض أو على جدد كأنه قيل ومن الجبال مخطط ذو جدد ومنها ما هو على لون واحد غرابيب وعن عكرمة رضي الله عنه هي الجبال الطوال السود (قاد ت) الغربيب تأكيد للاسود يقال أسود غربيب وأسود حلكوك وهو الذي أبعد في السواد وأغرب فيه ومنه الغراب ومن حق التأكيد أن يتبع المؤكد كقولك أصفر فاقع وأبيض يقق وما أشبه ذلك (قلت) وجهه أن يضمر المؤكد قبله ويكون الذي بعده تفسيرا للاضمير كقول النابغة والمؤمن العائذات الطير وانما فعل ذلك لزيادة التوكيد حيث يدل على المعنى الواحد من طريق الاظهار والاضمار جميعا ولا يدمن تقدير حذف المضاف في قوله تعالى ومن الجبال جدد بمعنى ومن الجبال ذو جدد بيض وحمر وسود حتى يؤول الى قولك ومن الجبال مختلف ألوانه كما قال ثمرات مختلفا ألوانها (ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه) يعني ومنهم بعض مختلف ألوانه وقرئ ألوانها وقرأ الزهري جدبا الضم جمع جدية وهي الجدة يقال جدية وجدد وجدات كسفينة وسفن وسفائن وقد مر بيانها قول أبي ذؤيب بصفة حمار وحش * جون السراة له جدا أربع * وروى عنه جدد بفتحتين وهو الطريق الواضح المسفر وضده موضع الطرائق والخطوط الواضحة المنفصل بعضها من بعض * وقرئ والدواب خففا وتظيره هذا التخفيف قراءة من قرأ ولا الضالين لان كل واحد منهما سكن من التقاء الساكنين شرك ذلك أولهما وحذف هذا آخرهما وقوله (كذلك) أي كاختلاف الثمرات والجبال * المراد العلماء الذين علموه بصفاته وعدله وتوحيده وما يجوز عليه وما لا يجوز لعظمته وقدر وحق قدره وخشوه حق خشيته ومن ازداد منه علما ازداد منه خوفا ومن كان علمه به أقل كان أمن وفي الحديث أعلمكم بالله أشدكم له خشية وعن مسروق كفى بالمرء علما أن يخشى وكفى بالمرء جهلا أن يعجب بعلمه وقال رجل للشعبي أفتى أيها العالم فقال العالم من يخشى الله وقيل نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه وعند ظهرت عليه الخشية حتى عرفت فيه (فان قلت) هل يختلف المعنى اذا قدم المفعول في هذا الكلام وأخر (قلت) لا بد من ذلك فانك اذا قدمت اسم الله وأخرت العلماء كان المعنى ان الذين يخشون الله من بين عباده هم العلماء دون غيرهم واذا عملت على العكس انقلب المعنى الى أنهم لا يخشون الا الله كقولك لا يخشى ولا يخشون أحدا الا الله وهما معنيان مختلفان (فان قلت) ما وجه اتصال هذا الكلام بما قبله (قلت) لما قال ألم تر بعني ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء وعدد آيات الله وأعلام قدرته وآثار صنعته وما خلق من الثمر المختلفة الاجناس وما يستدل به عليه وعلى صفاته أتبع ذلك (انما يخشى الله من عباده العلماء) كأنه قيل انما يخشاه مثلك ومن على صفتك من عرفه حق معرفته وعلمه كنه علمه وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنا أرجو أن أكون أتقاكم لله وأعلمكم به (فان قلت) ما وجه قراءة من قرأ انما يخشى الله من عباده العلماء وعمر ابن عبد العزيز وحكى عن أبي حنيفة (قلت) الخشية في هذه القراءة استعارة والمعنى انما يجلهم ويعظمهم كما يجل المهيب المخشي من الرجال بين الناس من بين جميع عباده (ان الله عزيز غفور) تعليل لوجوب الخشية دلالة على عقوبة العصاة وغفرهم وآثار أهل الطاعة والغفران للتائب حثه أن يخشى (يتلون كتاب الله) يداومون على تلاوته وهي شأنهم ودينهم وعن مطرف رحمه الله هي آية القراء وعن الكلبي رحمه الله يأخذون بما فيه وقيل يعلمون ما فيه ويعملون به وعن السدي رحمه الله هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم وعن عطاء هم المؤمنون (يرجون) خبر ان * والتجارة طلب الثواب بالطاعة و (ليوفيهم) متعلق بلن تبور أي تجارة يتقي عنها الكساد وتتقى عندها الله ليوفيهم ثواعاعنده (أجورهم) وهي ما استحقوه من الثواب (ويزيدهم) من التفضل على المستحق وان شئت جعلت يرجون في موضع الحال على وأنفقوا راجين ليوفيهم أي فعلوا جميع ذلك من التلاوة واقامة الصلاة والانفاق في سبيل الله لهذا الغرض وخبر ان قوله (انه غفور شكور) على معنى غفورلهم شكور لاعمالهم والشكر مجاز عن الاثابة

وغرابيب سود ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء ان الله عزيز غفور ان الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلوة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله انه غفور شكور والذي أوحينا اليك

* قوله تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله (قال يعني بالمصطفين أمة محمد عليه الصلاة والسلام ثم قسمهم الآية الى ظالم لنفسه وهو المرجأ لامر الله والى مقتصد وهو الذي خلط عملا صالحا وآخر سيئا والى سابق ثم قال الزمخشري فان قلت كيف جعل الجنات بدلا من الفضل الكبير وذلك في تمة الآية في قوله ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير ٣٤٤ جنات عدن يدخلونها قلت لان الاشارة بالفضل الى السبق بالخيرات وهو السبب في

الجنات ونيل الثواب فاقام السبب مقام المسبب وفي اختصاص السابقين بذكر الجزاء دون الآخرين ما يوجب الحذر فليحذر المقتصد وليملك الظالم نفسه

من الكتاب هو السابق مصدقا لما بين يديه ان الله بعباده لخبير بصير ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور الذي

حذروا عليها بالتوبة النصوح ولا يغتروا رواه عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له فان شرط ذلك صحة التوبة فلا

(الكتاب) القرآن ومن للتبيين أو الجنس ومن للتبعيض (مصدقا) حال مؤكدة لان الحق لا ينفك عن هذا التصديق (لما بين يديه) لما تقدمه من الكتب (لخبير بصير) يعني انه خبرك وأبصر أحوالك فرآك أهلا لان يوحى اليك مثل هذا الكتاب المعجز الذي هو عيار على سائر الكتب (فان قلت) ما معنى قوله (ثم أورثنا الكتاب) (قلت) فيه وجهان أحدهما انا أوحينا اليك القرآن ثم أورثناه بعدك أي حكمنا بتوريثه أو قال أورثناه وهو يريد توريثه لما علمه أخبار الله (الذين اصطفينا من عبادنا) وهم أمته من الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن بعدهم الى يوم القيامة لان الله اصطفاهم على سائر الامم وجعلهم أمة وسطا ليكونوا شهداء على الناس واختصهم بكرامة الانتماء الى أفضل رسل الله وعلى الكتاب الذي هو أفضل كتب الله * ثم قسمهم الى ظالم لنفسه مجرم وهو المرجأ لامر الله ومقتصد وهو الذي خلط عملا صالحا وآخر سيئا وسابق من السابقين والوجه الثاني أنه قدم ارساله في كل أمة رسولا وأتبعهم كذبوا رسلهم وفجأوهم بالبينات والزبر والكتاب المنير ثم قال ان الذين يتلون كتاب الله فأتى على التالين لكتبه العاملين بشرائعه من بين المكذبين بهما من سائر الامم واعترض بقوله والذي أوحينا اليك من الكتاب هو الحق ثم قال ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا أي من بعد أولئك المذكورين يريد بالمصطفين من عباده أهل الملة الحنيفية (فان قلت) فكيف جنات (جنات عدن) بدلا من الفضل الكبير الذي هو السبق بالخيرات المشار اليه بذلك (قلت) لما كان السبب في نيل الثواب نزل منزلة المسبب كأنه هو الثواب فابدلت عنه جنات عدن وفي اختصاص السابقين بعد التقسيم بذكر ثوابهم والسكوت عن الآخرين ما فيه من وجوب الحذر فليحذر المقتصد وليملك الظالم نفسه حذرا عليها بالتوبة النصوح المخلصة من عذاب الله ولا يغتر بما روا عمر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له فان شرط ذلك صحة التوبة لقوله تعالى عسى الله أن يتوب عليهم وقوله أما يتوب عليهم ولقد نطق القرآن بذلك في مواضع من استقراها اطلع على حقيقة الامر ولم يعل نفسه بالخدع * وقرئ سباق ومعنى باذن الله بتيسيره وتوفيقه (فان قلت) لم قدم الظالم ثم المقتصد ثم السابق (قلت) للايذان بكثرة الفاسقين وقلتهم وأن المقتصدين قليل بالاضافة اليهم والسابقون أقل من القليل * وقرئ جنة عدن على الافراد كأنها جنة مخصصة بالسابقين وجنات عدن بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر أي يدخلون جنات عدن يدخلونها ويدخلونها على البناء للمفعول * ويحلون من حليت المرأة فهي حال (ولؤلؤا) معطوف على محل من أساور * ومن داخلة للتبعيض أي يحلون بعض أساور من ذهب كأنه بعض سابق لسائر الاساور كما سبق للتوركون غيرهم وقيل ان ذلك الذهب في صفاء اللؤلؤ وقرئ ولولؤ بتخفيف الهمزة الاولى * وقرئ الحزن والمراد حزن المتقين وهو ما أهمهم من خوف سوء العاقبة كقوله تعالى انا كنا قبل في أهلنا مشفقين فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم وعن ابن عباس رضي الله عنهما حزن الاعراض والآفات وعنه حزن الموت وعن الضحاك حزن ابليس ووسوسته وقيل هم المعاش وقيل حزن زوال النعم وقد اكتروا حتى قال بعضهم كراء الدار ومعناه أنه يهم كل حزن من أحزان الدين والدنيا حتى هذا وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على أهل لا اله الا الله وحشة في قبورهم

ولا

الى الظالم والمقتصد والسابق ليلزم اندراج الظالم لنفسه من الموحدين في المصطفين وانه لهم وأي نعمة أتم وأعظم من اصطفائه للتوحيد والعقائد السالمة من البدع فسبيل المصنف يطلب في التسوية بين الموحد المصطفى والكافر المجترى وقوله جنات عدن يدخلونها الضمير فيه راجع الى المصطفين هم ساوا بالجنات جزاؤهم على توحيدهم جميعا وأعربها جنات مبتدأ وخبر ويدخلونها الخبر وقوله يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا لباسهم فيها حرير الى آخر الآية خبر بعد خبر وخبر على خبر والله المستعان

ولا في محشرهم ولا في مسيرهم وكأني بأهل لا اله الا الله يخرجون من قبورهم وهم ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن * وذكر الشكور دليل على أن القوم كثير والحسنات * المقامة هي الاقامة يقال أقمت اقامة ومقاما ومقامة (من فضله) من عطائه وافضاله من قولهم لملان فضل على قومه وفوه اصل وليس من التفضل الذي هو التطول لان الثواب بمنزلة الاجر المستحق والتفضل كالتبرع * وقرئ لغوب بالفتح وهو اسم ما يلغب منه أي لا تتكلف عملا يلغبنا أو مصدر كالقبول والولوع أو صفة للمصدر كانه لغوب لغوب كقولك موت مائت (فان قلت) ما الفرق بين النصب واللغوب (قلت) النصب التعب والمشقة التي تصيب المتنصب للامر المزاول له وأما اللغوب فما يلحقه من الفتور بسبب النصب فالنصب نفس المشقة والكائنة واللغوب نتيجته وما يحدث منه من الكلال والفترة (فيموتوا) جواب النفي نصبه باضمار أن وقرئ فيموتون عطفا على يقضى وان دخلا النفي أي لا يقضى عليهم الموت فلا يموتون كقوله تعالى ولا يؤذن لهم فيعتذرون (كذلك) مثل ذلك الجزاء (نجزي) قرئ بالياء والنون (كل كفور) الكفور (يصطرخون) يتصارخون يفتعلون من الصراخ وهو الصياح جعل صوتا قال * كصرخة حبلى أسلمها قبيلها واستعمل في الاستغاثة لجهد المستغيث صوته * (فان قلت) هلا اكتفى بصالحا كما اكتفى به في قوله تعالى فارجعنا نعمل صالحا وما فائدة زيادة (غير الذي كنا نعمل) على انهم يؤذن أنهم يعملون صالحا آخر غير الصالح الذي عملوه (قلت) فائدة زيادته التحسر على ما عملوه من غير الصالح مع الاعتراف بسوء أمالهم فزائل الظهور مالهم في الكفر وركوب المعاصي ولانهم كانوا يحسبون أنهم على سيرة صالحة كما قال الله تعالى وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا فقالوا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نحسبه صالحا فنعمله (أولم نعمركم) توبيخ من الله يعني فنقول لهم * وقرئ ما يذكر فيه من اذكر على الادغام وهو متناول لكل عمر يمكن فيه التكليف من اصلاح شأن وان قصرا لأن التوبيخ على التطاول أعظم وعن النبي صلى الله عليه وسلم العمر الذي أعذر الله فيه الى ابن آدم ستون سنة وعن مجاهد ما بين العشرين الى الستين وقيل ثمانى عشرة وسبع عشرة و(النذير) الرسول صلى الله عليه وسلم وقيل الشيب * وقرئ وجاءكم النذر (فان قلت) هلا عطف وجاءكم النذير (قلت) على معنى أيلم نعمركم لان لفظه لفظ استخبار ومعناه معنى اخبار كأنه قيل قد عمرناكم وجاءكم النذير (انه عليم بذات الصدور) كالتعليل لانا اذا علمنا ما في الصدور وهو أخفى ما يكون فقد علم كل غيب في العالم وذات الصدور مضمراتها وهي تأنيث ذو في نحو قول أبي بكر رضي الله عنه ذو بطن خارجة بريد وقوله تعالى عن ذات الثمائل أجمعا * النفي في بطانة من الحيل وفي أثاث من الشراب لان الحيل والشراب يتعلقان البطن والاثاث الا ترى الى قولهم معها حبل وكذلك المضمرات تقص الصدور وهي معها وهو موضوع لمعنى الصحبة يقال للمستخلف خليفة وخليف فالخليفة جميع خلائف والخليف خلفاء والمعنى أنه جعلكم خلفاء في أرضه فمن كفر منكم فعلى نفسه تصير كفره وبال كفره عليه لا على غيره فما أنتم الا مكلفون بالشكر وبالتوحيد والطاعة (فمن كفر) منكم وغطى سمل هذه النعمة السنية فوبال كفره راجع عليه وهو مقت الله الذي ليس وراءه شيء وصفار * وخسارا لآخرة الذي سابق بعده خسار والمقت أشد البغض ومنه قيل لمن ينكح امرأة أبيه ماقتي (لا يكونه) قرئ على كل قلب وهو خطاب للناس وقيل خطاب لمن بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل كل أمة مختلفة من قبلها وأنت شاهدت فيمن سلف ما ينبغي أن تعتبر به فمن كفر منكم فعليه جزاء كفره من مقت الله وخسار الآخرة كأن ذلك حكم من قبلكم (أروني) بدل من أرأيتم لان معنى أرأيتم أخبروني كأنه قال أخبروني عن هؤلاء الشركاء وعما استحقوا به الالهية والشركة أروني أي جزء من أجزاء الارض استبدوا بخلقه دون الله أم لهم مع الله شركة في خلق السموات أم معهم كتاب من عند الله ينطق بأنهم شركاؤه فهم على حجة وبرهان من ذلك الكتاب أو يكون الضمير في آتيناهم للمشركين كقوله تعالى أم أنزلنا عليهم سلطانا أم آتيناهم كتابا من قبله * بل ان يعد بعضهم بعضا رؤساءهم الاتباع (الا غرورا) وهو قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله * وقرئ بينات (أن تزولا) كراهة أن تزولا أو مخافة أن تزولا لان

أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير ان الله عالم غيب السموات والارض انه عليم بذات الصدور هو الذي جعلكم خلائف في الارض فمن كفر فعليه كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الارض أم لهم شرك في السموات أم آتيناهم كتابا فهم على بينة منه بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده

الاصل الامتناع (انه كان حليما غفورا) غير معاجل بالعقوبة حيث يمسكهما ولا كتاحد يرتين بأن تهدا العظم كلمة الشرك كما قال تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض * وقرئ ونور التا وان امسكهما جواب القسم فى ولئن زالتا مسد مسد الجوابين ومن الاولى مزيدة لتأكيد النفى والثانية للابتداء من بعده من بعد امساكه وعن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال لرجل مقبل من الشام من لقيت به قال كعبا قال وما سمعته يقول قال سمعته يقول ان السموات على منكب ملك قال كذب كعب أنا تركت يهوديته بعد ثم قرأ هذه الآية * بلغ قريشا فيل سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم فقالوا لعن الله اليهود والنصارى أتتهم الرسل فكذبوهم فو الله ان أتانا رسول لنكونن أهدى من احدى الامم فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبوه * وفى (احدى الامم) وجهان أحدهما من بعض الامم ومن واحدة من الامهم من اليهود والنصارى وغيرهم والثانى من الامة التى يقال لها احدى الامم تفضيلا لها على غيرها فى الهدى والاستقامة (ما زادهم) استئناف تجازى لانه هو السبب فى أن زادوا أنفسهم نفورا عن الحق وابتعادا عنه كقوله تعالى فزادهم رجسا الى رجسهم (استكبارا) بدل من نفورا أو مفعول له على معنى فما زادهم الا أن نفروا لاستكبار وعلوا (فى الارض) أو حال بمعنى مستكبرين وماكرين برسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين * ويجوز أن يكون (ومكر السيئ) معطوفا على نفورا (فان قلت) فما وجه قوله ومكر السيئ (قلت) أصله وأن مكروا السيئ أى المكر السيئ ثم ومكروا السيئ ثم ومكر السيئ والدليل عليه قوله تعالى (ولا يحيق المكر السيئ الا بأهله) ومعنى يحيق يحيط وينزل وقرئ ولا يحيق المكر السيئ أى لا يحيق الله المكاسب بهم يوم يبدو وعن النبى صلى الله عليه وسلم لا تمكروا ولا تعينوا ماكرا فان الله تعالى يقول ولا يحيق المكر السيئ الا بأهله ولا تبغوا ولا تعينوا باغيا يقول الله تعالى انما بغيكم على أنفسكم وعن كعب انه قال لابن عباس رضى الله عنهما قرأت فى التوراة من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا وقرأ حمزة ومكر السيئ باسكان الهمزة وذلك لاستثقال الحركات مع الياء والهمزة واصله اختلس فلما سكنوا أو وقف وقفة خفيفة ثم ابتدأ ولا يحيق وقرأ ابن مسعود ومكرا سيأ (سنة الاولين) انوال العذاب على الذين كذبوا من الامم قبلهم وجعل استئصالهم لذلك انتظارا منهم وبين أن عادته التى هى الانتقام من مكذبى الرسل عادة لا يبدلها ولا يحولها أى لا يغيرها أن ذلك مفعول له لا محالة واستشهد عليهم بما كانوا يشاهدونه فى مسايرهم ومتاجرهم فى رحلاتهم الى الشام والعراق واليمن من آثار الماضين وعلامات هلاكهم ودمارهم (ليعجزه) ليسبقه ويفوته (مما كسبوا) بما اقترفوا من معاصيهم (على ظهرها) على ظهر الارض (من دابة) من نسمة تدب عليها يريد بنى آدم وقيل ما ترك نبى آدم وغيرهم من سائر الدواب بشؤم ذنوبهم وعن ابن مسعود كاد الجعل يعذب فى جحره بذنب ابن آدم ثم تلا هذه الآية وعن أنس ان الصبى ليموت هزلا فى جحره بذنب ابن آدم وقيل يحبس المطر فيهلك كل شئ (الى أجل مسمى) الى يوم القيامة (كان بعباده بصيرا) وعيد للجزاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الملائكة دعته ثمانية أبواب الجنة أن ادخل من أى باب شئت

﴿سورة يس مكية وهى ثلاث وثمانون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* قرئ يس بالفتح كأين وكيف وأمالة نصبها على أتل يس والكسر على الاصل كجير وبالرفع على هذه يس أو يا نحو كيت وذيت وفعلت الالف وأميلت وعن ابن عباس رضى الله عنهما معناه يا انسان فى لغة طيئ والله أعلم بجعلته مولى صلى الله عليه وسلم فوجهه أن يكون أصله يا أنيس فكثر النداء به على ألسنتهم حتى اقتصروا على شطره كما قالوا فى القسم لاه الله فى أيمن الله (الحكيم) ذى الحكمة أو لانه دليل ناطق بالحكمة كالنبى أو لانه كلام حكيم نوصف بصفة المتكلم به (على صراط مستقيم) خبر بعد خبر أو صلة للمرسلين (فان قلت)

﴿ القول في سورة يس ﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين على صراط مستقيم (قال فيه ان قلت ما معنى قوله على صراط مستقيم وقد علم بكونه من المرسلين انه كذلك وأجاب بان الغرض وصفه وصفا يعلم به انه على الوصفين في نظام واحد فكأنه قال انك لمن المرسلين على طريق ثابت قال وأيضا ففي تنكير الصراط المخصوص من بين الصرط المستقيمة صراط لا يكتنه وصفه انتهى كلامه) قال أحمد قد تقدم في مواضع ان التنكير قد يفيد التعظيم وتعلم هذا هنا منه * قوله تعالى لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم (قال فيه انه على الوصف كقوله استفتوهم ألهم أشد خلقا أم من خلقنا انا خلقناهم من طين لازب قال وقد فسر ما أنذر آباؤهم على اثبات الانذار على أنها مصدرية أو موصولة قال والفرق بين موقع الفاء على التفسيرين أنها على الاول متعلقة بالنفي معنى جواب انك والمعنى انتفى انذارهم هو السبب في غفلتهم وعلى الثاني بقوله انك لمن المرسلين لتنذر قوما لم ينذر آباؤهم فهم غافلون انتهى) قلت يعني انها على التفسير الثاني تفيد ان غفلتهم سبب في انذارهم قال فان قلت كيف يكونون منذرين على هذا التفسير غير منذرين في قوله ما أتاهم من نذير من قبلك وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير وقد فسر ما أنذر آباؤهم على اثبات الانذار وأجاب بان الآية تختلف في انذارهم لانتفي انذار آبائهم وآبائهم القدماء من بني اسمعيل وقد كانت النذارة فيهم * قال فيما صنع بأحد التفسيرين الذي مقتضاه ان آباءهم لم ينذروا وهو التفسير الاول في هذه الآية تصنع التفسير الثاني ٢٤٧ ومقتضاه أنهم أنذروا * وأيا ما

أي ماسبق اليه خبرا كان أو صلة وقد علم أن المرسلين لا يكونون الا على صراط مستقيم (قلت) ليس الغرض بهذا ذكر ما ذهبت اليه من تميزهم أرسل على صراط مستقيم عن غيره من ليس على صفته وانما الغرض وصفه ووصف ما هو به من الشريعة بجمع بين الوصفين في نظام واحد كأنه قال انك لمن المرسلين الثابتين على طريق ثابت وأيضا فان التنكير يدل على أنه أرسل من بين الصرط المستقيمة على صراط مستقيم لا يكتنه وصفه * وقرئ تنزيل العزيز الرحيم بالرفع على أنه خبر مبتدا محذوف وبالنصب على أعني وبالجر على البدل من القرآن (قوما ما انذر آباؤهم) فما مع صلتها في الوضعين تقوم على الوصفية وقوله تعالى لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير وقد فسر ما أنذر آباؤهم على اثبات الانذار ووجه ذلك أن تجعل ما مصدرية لتنذر قوما انذار آبائهم أو موصولة ومنصوبة على المفعول الثاني لتنذر قوما أنذر آباؤهم من العذاب كقوله تعالى انا أنذرناكم عذابا قريبا (فان قلت) أي فرق بين تعلق قوله (فهم غافلون) على التفسيرين (قلت) هو على الاول متعلق بالنفي أي لم ينذروا فهم غافلون على أن عدم انذارهم هو سبب غفلتهم وعلى الثاني بقوله انك لمن المرسلين لتنذر قوما لم ينذر آباؤهم فهم غافلون أو فهم غافل (فان قلت) كيف يكونون منذرين غير منذرين لمنافاة هذا في الآخر الآخر (قلت) لا منافاة لان الآي في نفي انذارهم لا في نفي انذار آبائهم وآبائهم القدماء من ولد اسمعيل وكانت النذارة فيهم (فان قلت) في أحد التفسيرين أن آباءهم لم ينذروا وهو الظاهر فما صنع به (قلت) أريد آباؤهم الاقربون دون الابعدين (القول) قوله تعالى لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين معنى تحقق هذا القول وثبت عليهم وجب لا يمانهم على حالهم وهم مصرون على الكفر * ثم مثل تصميمهم على الكفر وانهماكهم في الغي وانهم بان جعلوا كالمغلولين المقمحين في أنهم لا يلتفتون الى الحق ولا يعطفون أعناقهم نحوه ولا يطأطئون رؤوسهم له

بان آباءهم الابعدين المنذرون لا آباؤهم الادنون قال ثم مثل تصميمهم على الكفر وانهماكهم لا يرعوون ولا يرجعون بان جعلهم كالمغلولين المقمحين

قوما ما انذر آباؤهم فهم غافلون لتضمن القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون لانهم لم يسبق في أعلامهم أنهم لا

في ملتقى طرفيه تحت الذقن حلقة مهما رأس العصود نادرا من الحلقة الى الذقن لا يخليه يطأطئ رأسه ذلا ان مقمحا انتهى كلامه (قلت) اذا فرق هذا التشبيه كان تصميمهم على الكفر مشبها بالاغلال وكان استكبارهم عن قبول الحق وعن التخضع والتواضع لاستماعه مشبها بالاقماح لان القمح لا يطأطئ رأسه وقوله يعني ان الاذقان تعلق لزوم الاقماح لهم وكان عدم التفكر في القرون الخالية مشبها بسدهن حلقهم وعدم النظر في العواقب المستقبلة مشبها بسدهن قدامهم * قال (فان قلت) فما قولك في جعل الضمير لايديهم وزعم ان الغل لما كان جامعا لليد والعنق وبذلك يعمي جامعة كان ذكر الاعناق داعيا الى ذكر الايدي * وأجاب بان الوجه هو الاول واستدل على هذا التفسير الثاني بقوله فهم مقمحون لانه جعل الاقماح نتيجة قوله وهي الى الاذقان وقد كان الضمير الايديهم لكن معنى التسبب في الاقماح ظاهر اوترك العنق الارتباط الكلام انتهى كلامه (قلت) ويحتمل أن تكون الباء للتعقيب كالباء الاولى بقوله فهي الى الاذقان أو للتسبب ولا شك أن ضغط اليد مع الغل يوجب الاقماح وان اليد وحدها للغل تحت الذقن دافعة لهم وما نعة من وطأتم او يكون التشبيه أتم على هذا التفسير فان اليد متى كانت مرسلة تخلاء كان للغل معنى مرح بالاذقان وله وتحيل بها على فك الغل ولا كذلك اذا كانت مغلولة فيضاف الى ما ذكرناه من التشبيهات الفرقة أن يكون سدا يأباب الطريق عليهم في الهداية والانخلاع عن ربقة الكفر فلقد عليهم مشبها بغل الايدي فان اليد آلة للسالك الطلاس

وكالحاصلين بين سدين لا يبصرون ما قدامهم ولا ما خلفهم في أن لا تأمل لهم ولا تبصر وأنهم متعامون عن
النظر في آيات الله (فان قلت) ما معنى قوله (فهي الى الاذقان) (قلت) معناه فالاغلال واصلة الى الاذقان
ملزوزة اليها وذلك أن طوق الغل الذي في عنق المغلول يكون ملتقى طرفيه تحت الذقن حلقة فيها رأس
العمود نادرا من الحلقة الى الذقن فلا تخليه يطأطئ رأسه ويوطئ قذاله فلا يزال مقمحا والمقمح الذي يرفع
رأسه ويغض بصره يقال قمح البعير فهو قامح اذا روي فرفع رأسه ومنه شهرا قماح لأن الابل ترفع رؤسها عن
الماء لبرده فيهما وهما الكانونان ومنه اقتمحت السويق (فان قلت) فما قولك فيمن جعل الضمير للايدي
وزعم أن الغل لما كان جامعا لليد والعنق وبذلك يسمى جامعة كان ذكر الاعناق دالا على ذكر الايدي
(قلت) الوجه ما ذكرت لك والدليل عليه قوله فهم مقمحون ألا ترى كيف جعل الاقماح نتيجة قوله فهي
الى الاذقان ولو كان الضمير للايدي لم يكن معنى التسبب في الاقماح ظاهرا على أن هذا الاضمار فيه ضرب
من التعسف وترك الظاهر الذي يدعوه المعنى الى نفسه الى الباطن الذي يجفو عنه وترك للحق الابلج الى
الباطل اللجلج (فان قلت) فقد قرأ ابن عباس رضي الله عنهما في أيديهم وابن مسعود في أيمانهم فهل تجوّز
على هاتين القراءتين أن تجعل الضمير للايدي أو للايمان (قلت) يأبى ذلك وان ذهب الاضمار المتعسف ظهور
كون الضمير للاغلال وسداد المعنى عليه كما ذكرت * وقرئ سدا بالفتح والضم وقيل ما كان من عمل الناس
فبالفتح وما كان من خلق الله فبالضم (فأغشيناهم) فأغشينا أبصارهم أي غطيناها وجعلنا عليها غشاوة
عن أن تطمح الى مرئي وعن مجاهد فأغشيناهم فألبسنا أبصارهم غشاوة وقرئ بالعين من العشا وقيل
نزلت في بني مخزوم وذلك أن أبا جهل حلف لئن رأى محمدا يصلي ليرضخن رأسه فأتاه وهو يصلي ومعه حجر
ليدمغه به فلما رفع يده أثبتت الى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع الى قومه فأخبرهم فقال
مخزومي آخر أنا أقتله بهذا الحجر فذهب فأعمى الله عينيه (فان قلت) قد ذكر ما دل على انتفاء ايمانهم مع
ثبوت الانذار ثم قفاه بقوله انما تنذر وانما كانت تصح هذه التقفية لو كان الانذار منفيا (قلت) هو كما قلت
ولكن لما كان ذلك نفيا للايمان مع وجود الانذار وكان معناه أن البغية المرومة بالانذار غير حاصلة وهي
الايمان قفى بقوله انما تنذر على معنى انما تحصل البغية بانذارك من غير هؤلاء المنذرين وهم المتبعون للذكر
وهو القرآن أو الوعظ الخاشون ربهم (نحي الموتى) نبعثهم بعد مماتهم وعن الحسن احياؤهم أن يخرجهم من
الشرك الى الايمان (ونكتب ما) أسلفوا من الاعمال الصالحة وغيرها وما هلكوا عنه من أثر حسن كعلم علموه
أو كتاب صنفوه أو حبيس حبسوه أو بناء بنوه من مسجد أو رباط أو قنطرة أو نحو ذلك أو سيئ كوظيفة وظفها
بعض الظلام على المسلمين وسكة أحدثها فيها تخسيرهم وشيء أحدث فيه صد عن ذكر الله من ألحان وملاه
وكذلك كل سنة حسنة أو سيئة يستن بها ونحوه قوله تعالى ينبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر أي قدم من أعماله
وأخر من آثاره وقيل هي آثار المشائين الى المساجد وعن جابر أردنا النقلة الى المسجد والبقاع حوله خالية
فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتانا في دارنا وقال يا بني سلمة بلغني أنكم تريدون النقلة الى المسجد فقلنا
نعم بعد علينا المسجد والبقاع حوله خالية فقال عليكم دياركم فانما تكتب آثاركم قال فما وددنا حضرة المسجد لما
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عمر بن عبد العزيز لو كان الله مغفلا شيئا لأغفل هذه الآثار التي تعفيها
الرياح * والامام اللوح وقرئ ويكتب ما قدموا وآثارهم على البناء للمفعول وكل شيء بالرفع (واضرب لهم مثلا)
ومثل لهم مثلا من قولهم عندي من هذا الضرب كذا أي من هذا المثال وهذه الاشياء على ضرب واحد أي
على مثال واحد والمعنى واضرب لهم مثلا مثل أصحاب القرية أي اذكر لهم قصة عجيبة قصة أصحاب القرية
والمثل الثاني بيان للاول * وانتصاب اذ بأنه بدل من أصحاب القرية انطاكية و(المرسلون) رسل عيسى
عليه السلام الى أهلها بعثهم دعاة الى الحق وكانوا عبدة أوثان * أرسل اليهم اثنين فلما قربا من المدينة
رأيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يس فسألهما فأخبراه فقال أمعكما آية فقالا نشفي
المريض ونبرئ الاكمه والابرص وكان له ولد مريض من سنتين فمسحاه فقام فآمن حبيب وفشا الخبر فشفي

فهي الى الاذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجر كريم انا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في امام مبين واضرب لهم مثلا أصحاب القرية اذ جاءها المرسلون اذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما

* قوله تعالى انما تنذر من اتبع الذكر الآية (قال ان قلت) قد ذكر ما دل على انتفاء ايمانهم مع ثبوت الانذار ثم قفاه بقوله انما تنذر وانما كانت التقفية تصح لو كان الانذار منفيا وأجاب بأن الامر كذلك ولكن لما بين أن البغية المرومة بالانذار وهي الايمان منتفية عنهم قفاه بقوله انما تنذر أي انما تحصل بغية الانذار ممن اتبع الذكر انتهى كلامه (قلت) في السؤال سوء أدب وينبغي أن يقال وما وجه ذكر الانذار الثاني في معرض المخالفة للاول مع ان الاول اثبات والانذار الثاني كذلك

على

على أيديهم أخلق كثير وفي حديثهم الى الملك وقال لهما أنا لنا اله سوى آلهتنا قالا نعم من أوجدك وآلهتك
فقال حتى أنظر في أمركما فشجوهما الناس وضربوهما وقيل حبسا مع عيسى عليه السلام فمر عليهما فدخل
منكر او عاشر حاشية الملك حتى استأنسوا به ورفعوا خبره الى الملك فأمر به فقال له ذات يوم بلغني أنك
جئت رجلين فهل سمعت ما يقولانه فقال لا حال الغضب بيني وبين ذلك فدعاهما فقال أنتما أرسلتما
قالا الله الذي خلق كل شئ وليس له شريك فقال صفاه وأوجزا قالا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال وما آيتكما
قالا ما تمنى الملك فدعا غلاما مطموس العينين فدعوا الله حتى انشق له بصر وأخذا بندقتين فوضعا في
حدقتيه فكانتا مقلتين ينظر بهما فقال له أتبصر أرأيت لو سألت الله حتى يصنع مثل هذا فيكون لك ولا
الشرف قال ليس لي عندك ضر ان الهنا لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع وكان أعمون يدخل معهم على
الصنم فيصلي ويتضرع ويحسبون أنه منهم ثم قال ان قدر الهكما على احياء ميت آمنا به فدعوا بغلام مات من
سبعة أيام فقاما يرقبان اني أدخلت في سبعة أودية من النار وأنا أحذركم ما أنتم فيه فاستووا وقال فتحت أبواب
السماء فرأيت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة قال الملك ومن هم قال أعمون وهذان فتعجب الملك
فلما رأى أعمون أن قوله قد أثر فيه نصحه فآمن وآمن معه قوم ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل عليه
السلام صيحة فهلكوا وهم زنا) هو ينابقال المطر يمزن الارض اذا البدها وشدها وتمزن لحم الناقة وغيرها
(اذا تضمخ من عزه يعزه اذا غلبه أي فغلبناه وقهرنا (بثالث) وهو شمعون (فان قلت) لم ترك ذكر المفعول به
(قلت) لان الغرض ذكر المعزز به وهو شمعون وما لطف فيه من التدبير حتى عز الحق وذل الباطل واذا كان
الكلام منصبا الى غرض من الاغراض جعل سياقه له ووجه اليه كأن ما سواه من فروض مطرح ونظير
قولك حكم السلطان اليوم بالحق الفرض المسوق اليه قولك ما لقي فلان ما لقي حين ذكر المحكوم له والمحكوم
عليه * اخبار في بشر ونصب في قوله ما هذا بشرا لان الانتقاض النفي فلا يبقى لما الشبهة بليس شبه فلا يبقى
له عمل * (فان قلت) لم قيل انا اليكم مرسلون أولا و (انا اليكم لمرسلون) آخرا (قلت) لان الاول ابتداء اخبار
والثاني جواب عن انكار * وقرئ لما يعلم بما يجري القسم في التوكيد وكذلك قولهم شهد الله يعلم الله والله
حسن منهم هذا الجواب الوارد على طريق التوكيد والتحقيق مع قولهم (وما علينا الا البلاغ المبين) أي
الظاهر المكشوف بالآيات الشاهدة لصحته والا فلا قال المدعي والله الذي لا اله الا هو ان هذا لمدعي ولم يحضر البينة
كان فيما (تطيرنا بكم) تشاءمنا بكم وذلك أنهم كرهوا دينهم وثبرت عنهم فقوبهم وعادة الجهال أن ينسبوا
كل شئ يكرهونه الى المتحملين له وآثروه ومن لم يتشاءم بالمتشائم وأعنفه وكرهوه فان أصابهم بلاء قالوا
بلاء نالوا ببركة هذا وشؤم هذا وقد حكى الله عن القبط وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ومن مشرك
مكة وان تصبهم سيئة يتطيروا بمحمد ومن عنده وقيل حبس عنهم القطر فقالوا ذلك ومن قتادة ان أصابتنا
كان من أجلكم (طائركم معكم) وقرئ ليركم أي سبب شؤمكم معكم وكفركم هو الذي جاء بالشؤم معكم وهي
كفرهم ومعاصيهم وقرأ الحسن أطيركم أي تطيركم * وقرئ أئن ذكرتم بهمزة الاستفهام وحرف الشرط
وأئن بألف بينهما يعني أتطيرون اذ ذكرتم وقرئ أأن ذكرتم بهمزة الاستفهام وان الناصبة يعني أتطيرتم
لان ذكرتم وقرئ أئن ذكرتم بغير استفهام لمعنى الاخبار أي تطيرتم لان ذكرتم أو ان ذكرتم تطيرتم وقرئ
أين ذكرتم على التخفيف أي شؤمكم معكم حيث جرى ذكركم واناسكم المكان بذكرهم كقولهم بيننا أشأم
(بل أنتم قوم مسرفون) في المعصية ان ومن جاءكم الشؤم لا من قبل رسل الله وقد ذكرهم أو بل أنتم قوم
مسرفون في ضلالكم تعاندون في غيكم حيث تنسبون من يجب التبرك به من رسل الله (رجل يسعى) هو
حبيب بن اسرائيل النجار وكان ينحت الاصنام وهو ممن آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهما ستمائة
سنة كما آمن به تبع الاكبر وورقة بن نوفل وغيرهما ولم يؤمن بنبي أحد الا بعد ظهوره وقيل كان في غار يعبد
الله فلما بلغه خبر الرسل أتاهم وآمن به وقاتل الكفرة فقالوا أوأنت تخالف ديننا فوثبوا عليه فقتلوه وقيل
توطؤوا بأرجلهم حتى خرج قصبه من دبره وقيل رجموه وهو يقول اللهم اهد قومي وغيره في سوق انطاكية

فعززنا بثالث فقالوا
انا اليكم مرسلون قالوا
ما أنتم الا بشر مثلنا
وما أنزل الرحمن من شئ
ان أنتم الا تكذبون
قالوا ربنا يعلم انا اليكم
لمرسلون وما علينا الا
البلاغ المبين قالوا انا
تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا
لنرجمنكم وليمسنكم
منا عذاب أليم قالوا
طائركم معكم أئن ذكرتم
بل أنتم قوم مسرفون
وجاء من أقصى المدينة
رجل يسعى قال يا قوم
اتبعوا المرسلين اتبعوا

* قوله تعالى انا اليكم
مرسلون (قال ان قلت
لم أسقط اللام هنا
وأثبتها في الثانية عند
قوله ربنا يعلم انا اليكم
لمرسلون قلت الاول
ابتداء اخبار والثاني
جواب انكار) قال
محمد رأي فلا تقف عليه

فلما قتل غضب الله عليهم فأهلكوا بصيحة جبريل عليه السلام وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ساق الامم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين علي بن أبي طالب وصاحب يس ومؤمن آل فرعون (من لا يسئلكم أجرا وهم مهتدون) كلمة جامعة في الترغيب فيهم أي لا تخسرون معهم شيأ من دنياكم وترجعون بصحة دينكم فينتظم لكم خير الدنيا وخير الآخرة * ثم أبرز الكلام في معرض المناصحة لنفسه وهو يريد مناصحتهم ليستلطف بهم ويداريهم ولانه أدخل في امحاض النصح حيث لا يريد لهم الا ما يريد لوجهه ولقد وضع قوله (ومالي لا أعبد الذي فطرني) مكان قوله ومالكم لا تعبدون الذي فطركم ألا ترى الى قوله (واليه ترجعون) ولو لا أنه قصد ذلك لقال الذي فطرني واليه أرجع * وقد ساقه ذلك المساق الى أن قال آمنت بربكم فاسمعون يريد فاسمعوا قولي وأطيعوني فقد نبهتكم على الصحيح الذي لا معدل عنه أن العبادة لا تصح الا لمن منه مبتدؤكم واليه مرجعكم * وما أدفع للعقول وأنكر هالان تستحوا على عبادته عبادة أشياء ان أرادكم هو بضر وشفع لكم هؤلاء لم تنفع شفاعتهم ولم يكنوا من أن يكونوا شفعاء عنده ولم يقدروا على انقاذكم منه بوجه من الوجوه انكم في هذا الاستحباب لواقعون في ضلال ظاهر بين لا يخفى على ذي عقل وتمييز وقيل لما نصح قومه أخذوا يرجمونه فأسرع نحو الرسل قبل أن يقتل فقال لهم (اني آمنت بربكم فاسمعون) أي اسمعوا اعلموا تشهدوا به * وقرئ ان يردني الرحمن بضر تعني ان يوردني ضرا أي يحملني مواردا للضر * أي الساقط (قيل) له (ادخل الجنة) وعن قتادة أدخله الله الجنة وهو فيها حي يرزق أراد قوله تعالى بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين وقيل معناه البشرى بدخول الجنة وأنه من أهلها (فان قلت) كيف خرج هذا القول في علم البيان (قلت) مخرجه مخرج الاستئناف لان هذا من مظان المسئلة عن حاله عند المقارب كأن قائلا قال كيف كان اقباره بعد ذلك التصلب في نصرة دينه والتصلي لوجه ربه فقيل قيل ادخل الجنة ولم يقل قيل له لانصباب الغرض الى القول وعظمه لا الى المقول له مع كونه معلوما وكذلك (قال يا ليت قومي يعلمون) مرتب على تقدير سؤال سائل عما رجع من قوله عند ذلك الفوز العظيم واعلم على قومه حاله ليكون علمهم بها سببا لاكتسابهم مثلها الا تشهم بالتوبة عن الكفر والدخول في الايمان والعمل الصالح المفضيين بأهلهما الى الجنة وفي حديث مرفوع نصح قومه حيا وميتا وفيه تنبيه عظيم على وجوب كظم الغيظ والحلم عن أهل الجهل والتؤدة على من أدخل نفسه في غمار الاشرار وأهل البغي والتحري لخلصه والتلطف في ابتدائه والاشتغال بذلك عن الشماتة به والدعاء عليه الا ترى كيف تحنن الى قومه لقتله والباغين له الغوائل وهم كفرة عبدة أصنام ويجوز أن يحنن ذلك أعلموا أنهم كانوا على خطأ عظيم في أمره وأنه كان على صواب وصحة وسقتموه عداوتهم لم تكسبه الا فوزا ولم تعقبه الا سعادة لان في ذلك زيادة غبطة له وتضاعف لمسرة وسرور والاول أوجه * وقرئ المكرمين * (فان قلت) ما معنى قوله تعالى (بما غفر لي ربي) أي الماذا هي (قلت) المصدرية أو الموصولة أي بالذي غفره لي من الذنوب وجعل أن تكون استفهامية بمعنى بأي شيء غفر لي ربي بريد بما كان منه معهم من المصابرة لاعزاز الدين حتى قتل الا الأن فوائد جم غفر لي بطرح الالف أجود وان كان اثباتها جائزا ويقال قد علمت بما صنعت هذا أي بأي شيء صنعت وهو حسبت * الهيئ أن الله كفى أمرهم بصيحة ملك ولم ينزل لاهلاكهم جندا من جنود السماء كما فعل يوم بدر والخندق (فان قلت) وما معنى قوله (وما كنا منزلين) (قلت) معناه وما كان يصح في حكمتنا أن ننزل في اهلاك قوم حبيب جندا من السماء وذلك لان الله تعالى أجرى هلاك كل قوم على بعض الوجوه دون البعض وما ذلك الا بناء على ما اقتضته الحكمة وأوجبته المصلحة ألا ترى الى قوله تعالى فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من أغرقنا (فان قلت) فلم أنزل الجنود من السماء يوم بدر والخندق قال تعالى فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها يالف من الملائكة مردفين بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بخمسة آلاف من الملائكة مسومين (قلت) انما كان يكفي ملك واحد فقد أهلكت مدائن قوم لوط بريشة من جناح جبريل وبلاد ثمود وقوم صالح صيحة منه ولكن الله فضل محمدا صلى الله عليه وسلم بكل شيء على كبار الانبياء وأولي العزم من الرسل فضلا عن حبيب

من لا يسئلكم أجرا وهم مهتدون ومالي لا أعبد الذي فطرني واليه ترجعون أأتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيأ ولا ينقذون اني اذا لفي ضلال مبين اني آمنت بربكم فاسمعون قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين وما أنزلنا على قومه من بعده من جنده من السماء وما كنا منزلين

* قوله تعالى وان كل لما جميع لدينا محضرون (قال فيه ان قلت لم أخبر عن كل بجميع ومعناها واحد وأجاب بأن كلا تفيد الاحاطة حتى لا يتفلت عنهم أحد وجميع تفيد الاجتماع وهو قبيل يعني مفعول وبينهما فرق انتهى كلامه) قال أحد ومن ثم وقع أجمع في التوكيد تابعا للكل لانه أخص

الفجار وأولاده من أسباب الكرامة والاعزاز مالم يولد أحد فمن ذلك انه أرسل له جنود من السماء وكانه أشار بقوله وما أرسلنا وما كنا منزلين الى أن نزال الخنود من عظائم الامور التي لا يؤهل لها الا مثالك ما كنا فاعلين لغيرك (ان كانت الا صيحة واحدة) ان كانت الاخذة أو العقوبة الا صيحة واحدة وقرأ أبو جعفر المدني بالرفع على كان التامة أي ما وقعت الا صيحة والقياس والاستعمال على تذكير الفعل لان المعنى ما وقع شيء الا صيحة ولكنه نظر الى ظاهر اللفظ وأن الصيحة في حكم فاعل الفعل ومثله قراءة الحسن فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم وبيت ذي الرمة * وما بقيت الا الضلوع الجراشع * وقرأ ابن مسعود الا زقية واحدة من زقا الطائر يزقو ويزقي اذا صاح ومنه المثل أثقل من الزواقي (خامدون) خمدوا كما تخمد النار فتصير رمادا كما قال لبيد

وما المرء الا كالشهاب وضوئه * يحور رمادا بعد اذ هو ساطع

(يا حسرة على العباد) نداء الحسرة عليهم كناية عن تعلقها بأحد من أجلهم التي حقت أن تحضري فهذا وهي حال استهزائهم بالرسل والمعنى أنهم أحقاء بأن تحسر عليهم الحسرون ويتلهف على حالهم المتلهفون أو هم متحسر عليهم من جهة الملائكة والمؤمنين من الثقلين ويجوز أن يكون من الله تعالى على سبيل الاستعارة ثم معنى تعظيم ما جنوه على أنفسهم ومحتوه بايثار الكفر له وتعميمه منه وقراءة من قرأ يا حسرتاه تضعف هذا الوجه لان المعنى يا حسرتي وقرئ يا حسرة العباد على الاضافة اليهم لاختصاصهم بها من حيث انها موجهة اليهم ويا حسرة على العباد على اجراء الوصل مجرى الوقف (ألم يروا) ألم يعلموا وهو معلق عن العمل في (كم) لان كم لا يعمل فيما قبلها كما لا يعمل فيما بعد الخبر لان أصلها الاستفهام الا ان مسماه تلاشى في الجملة كما تلاشى في قولك ألم تر وأن زيدا منطلق وان لم يعمل في لفظه و (أنهم اليهم لا يرجعون) بدل من كم أهلكنا على المعنى لا على اللفظ تقديره ألم يروا كثرة اهلاكنا القرون من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم وعن الحسن كسر ان على الاستئناف وفي قراءة ابن مسعود ألم يروا من أهلكنا والدليل على هذه القراءة بدل استعمال وهذا تما يرد قول أهل الرجعة ويحتج عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قيل له ان ناسا يزعمون أن عليا سيعود قبل يوم القيامة فقال بئس القوم نحن ان نكذب اسماءه وقسما بربانه * قرئ لما بالتخفيف على ان ما صلة للتأكيد وان مخففة من الثقيلة وهي متلقاة باللام لا محالة ولما بالتشديد بمعنى الا كالتي في مسئلة الكتاب شددت تلك التشديد فعلت وان نافية * والتنوين في كل هو الذي ينبغ عوض ما أضاف اليه كقولك سرت بكل قائما الذي أن كلهم محشورون مجموعون محضرون للحساب يوم القيامة وقيل محضرون معذبون * (فان قلت) كيف أخبر عن كل بجميع ومعناهما واحد (قلت) ليس بواحد لان كلا يفيد معنى الاحاطة وأن لا يتفلت منهم أحد وجميع معناه الاجتماع وأن المخبر عنهم مواجمع فعيل بمعنى مفعول يقال حي جميع وماء جاما * القراءة البينة على اللغة الشيع لسلبها على اللسان (وآية لهم) استئناف بيان لكون الارض الميتة آية وكذلك نسلخ ويجوز أن توصف الارض والليل بالفعل لانه أريد بهما الجنسان مطلقين لا أرض وليل بأعيانهما فهو مثل المذكرات في وصفها بالاهلة وغوه

* ولقد أمر على اللئيم يسبني * وقوله (فمنه يأكلون) بتقديم المفعول للدلالة على أن الحب هو الذي يأتي يتعلق به معظم المنفعة ويقوم بالارتزاق منه صلاح الانس واذا قل جاء القحط ووقع الضر واذا فقد بأه الهلاك ونزل البلاء * قرئ (وفجرنا) بالتخفيف والتثقيل والغير والتغيير كالفتح والتفتيح للطاوعة ومعنى وقرئ ثمره بفتحتين وضمتين وضمة وسكون والضمير لله تعالى والمعنى لما خلقه الله من الثمر (وما عملته أيديهم) من الغرس والسقي والاباره وغير ذلك من الاعمال الى أن نضج الثمر منها ولان أكله يعني أن الثمر في نفسه فعل الله وخلقه وفيما آثار من كتبني آدم وأعماله من غرسها كما قال وجعلنا وفجرنا فنقل الكلام من التكلم الى الغيبة على طريقة الالتفات ويجوز أن يرجع الى النخيل وتترك الاعناب غير مرجوع اليها لانه علم أن اذا في حكم النخيل فيما علق به من أكل ثمره ويجوز أن يراد من ثمر المذكور وهو الجنات

تفسير أبي السعود

ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم خامدون يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم اليهم لا يرجعون وان كل لما جميع لدينا محضرون وآية لهم الارض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون سبحان

* قوله تعالى يا حسرة على العباد * قوله تعالى وآية لهم الارض الميتة أحييناها الآية (قال يجوز أن يكون أحييناها صفة للارض وصح ذلك لان المراد بالارض الجنس ولم يقصد بها أرض معينة وأن يكون بيانا

لوجه الآية فهو) قال أحد وغيره من الصفاة تمنع وقوع الجملة صفة للعرف وان كان جنسيا وليس الغرض منه معينا وراعى هذا المانع المطابقة اللفظية في الوصفية ومنه * ولقد أمر على اللئيم يسبني *

* قوله تعالى لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار (قال) فيه معناه ان كل واحد منهما لا يدخل على الآخر في سلطانه فيطمس نوره دليلها

متعاقبان بمقتضى تدبيره تعالى قال فان قلت لم جعلت الشمس غير مدركة والقمر غير سابق

كما قال رؤبة فيها خطوط من بياض وبلق * كأنه في الجلد توليع البهق

قيل له فقال أردت كان ذلك وذلك أن تجعل ما نافية على أن القمر خالق الله ولم تعمله أيدي الناس ولا يقدرون عليه وقرئ على الوجه الاول وما عملت من غير راجع وهي في مصاحف أهل الكوفة كذلك وفي مصاحف أهل الحرمين والبصرة والشام مع الضمير (الازواج) الاجناس والاصناف (ومما لا يعلمون) ومن أزواج لم يطلعهم الله عليها ولا توصلوا الى معرفتها بطريق من طرق العلم ولا يبعد أن يخلق الله تعالى من الحلائق الحيوان والجماد ما لم يجعل للبشر طريقا الى العلم به لانه لا حاجة بهم في دينهم ودنياهم الى ذلك العلم ولو كانت بهم اليه حاجة لاعلمهم ما لا يعلمون كما أعلمهم بوجود ما لا يعلمون وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سمع رجلا يحدث حديثا ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فقال له ما أطلعهم عليه فأعلمنا وجوده واعدادهم ولم يعلمنا ماهو وهو نحو قولك الصوف كشفه عن مكان الليل وملق ظله (مظلمون) داخلون في الظلام يقال أظلمنا ثم قيل أعشانا وأدجينا (لمستقر لها) لحدها وقت مقدر تنتهي اليه من قولك رأى آخر السنة شهر مستقر السافر اذا قطع مسيره أو لمنتهى لها من المشارق والمغارب لانها تنقصها شهرا شهرا مشرقا ومغربا حتى تنتهي اقصاها ثم ترجع فذلك حدها ومستقرها لانها لا تعدوه أو لمحل لها من مسيرها كل يوم في مرأى عيوننا وهو المغرب وقيل مستقرها أجلها الذي أقر الله عليه أمر هاتي جريها فاستقرت عليه وهو آخر السنة وقيل الوقت الذي تستقر فيه وينقطع جريها وهو يوم القيامة * وقرئ تجري الى مستقر لها وقرأ ابن مسعود لا مستقر لها أي لا تزال تجري لا تستقر وقرئ لا مستقر لها على أن لا بمعنى ليس (ذلك) الجري عن ذلك التقدير والحساب الدقيق الذي تكل الفطن عن استخراجه وتقصر الافهام في استنباطه ما هو الا تقدير العالم بتقدره على كل مقدور المحيط علما بكل معلوم * قرئ والقمر نصبا على الابتداء أو عطفا على الليل بريد من آياته القمر وقدرنا نفعل بتسمية قدرنا ولا بد (في قدرناه منازل) من تقدير مضاف لانا لا نعقل تقدير نفس القمر منازل والمعنى قدرنا مسيره منازل وهي ثمانية وعشرون منزلا ينزل القمر كل ليلة أن واحدة منها لا يتخطاها ولا يقاصر عنه على تقدير مستو لا يتفاوت يسير فيها من ليلة الهلال الى الثامنة والعشرين ثم يستتر ليلتين أو ليلة اذا نقص الشهر وهذه المنازل هي مواقع النجوم التي نسبت اليها العرب الانواء المعتبرة وهي الشرطين البطين الثريا الدبران الهقعة الهنعة الذراع النثرة الطرف الجبهة الزبرة الصرفة العوا السماك الغفر الزبانى الاكليل القلب الشولة النعائم البلدة سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الاخبية فرغ الدلو المقدم فرغ الدلو المؤخر الرشا فاذا كان في آخر منازله دق واستقوس و(عاد كالعرجون القديم) وهو عود العذق ما بين عثكاله الى منبته من النخلة وقال الراجز هو نحانون من الانضاج وهو الانحطاط * وقرئ العرجون وزن الفرحون وهما لغتان كالبزيون والبزيون والتقديم المحول فالوا أن رجلا قال لمملوك له قديم فهو حرا وكتب ذلك في وصيته عنق مفهوم من مقتضى له حول أو أكثر * وقرئ سابق النهار على الاصل والمعنى ان الله تعالى قسم الكل واحدا من الليل والنهار وآتيهما ما قسم لهما من الزمان وضرب له حسابا معلوما يدبر أمرهما على التعاقب * ولا ينبغي للشمس أي لا يتسهل لها ولا يصح ولا يستقيم لوقوع التدبير على المعاقبة وأن جعل كل واحد من الميزين سلطانا على حياله (أن تدرك القمر) فتجتمع معه في وقت واحد وتدخل في سلطانه فتطمس نوره

قلت لان الشمس بطيئة السير تقطع فلكها في سنة والقمر يقطع فلكه في شهر فكانت الشمس لبطئ سيرها جديرة بان توصف بالادراك والقمر لسرعته جديرا بان يوصف بالسبق التي كلامه (قلت) يؤخذ من هذه الآية ان النهار تابع لليل وهو المذهب المعروف

الذي يطبق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن أنفسهم وما لا يعلمون وآيتهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر

للفقهاء وبيانه من الآية انه يتسلسل الشمس التي هي آية النهار تدرك القمر الذي هو آية الليل والذي لا ادراك الآن هو الذي يمكن ان يقع وذلك يستدعي تقدم القمر وتبعية الشمس فانه لا يتسلل أن ادرك اللاحق السابق ولكن ادرك اللاحق السابق ولا

وبحسب الامكان توسيع الليل فالليل دائما متبوع والنهار تابع * فان قيل هل يلزم على هذا أن يكون الليل سابق النهار وقد صرحت الآية بانه ليس سابقا * فالجواب ان هذا مما ترك الالزام وبيانه ان الاقسام المحتملة ثلاثة اما تبعية النهار لليل وهو مذهب الفقهاء

أو عكسه وهو المنقول عن طائفة من الصحابة أو اجتماعهما فهذا القسم الثالث متفق باتفاق فليس لاتصاف النهار بالليل وعكسه وهذا السؤال وارد عليهما جميعا الا ان من قال ان النهار سابق لليل لزمه أن يكون مقتضى البلاغة أن يقال ولا الليل يدرك النهار وان المتأخر اذا فوق ادراكه كان أبلغ من نفي سابقه مع انه يقتضي عن مقتضى قوله لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر تنافي الا يجمع حمل المعنى باللفظ فان الله تعالى نفى أن تكون مدركة فصلا عن أن تكون سابقة فاذا أثبت ذلك فالجواب الحق عنه أن المنفي السببية الموجبة للتراخي النهار عن الليل وتحال زمن آخر بينهما وحينئذ يثبت التعاقب وهو مراد الآية وما سبق أول المتعاقبين للآخر بمنهما فانه غير معتبر الا ترى الى جواب موسى بقوله هم أولاء على أثري فقد قررهم منه عذرا عن قوله تعالى (٢٥٣) وما أعجلك عن قومك فكانه

* ولا يسبق الليل النهار يعني آية الليل آية النهار وهما النيران ولا يزال الامر على هذا الترتيب الى أن يبطل الله ما أدير من ذلك ويقضي ما ألف فيجمع بين الشمس والقمر ويطلع الشمس من مغربها (فان قلت) لم جعلت الشمس غير مدركة والقمر غير سابق (قلت) لان الشمس لا تقطع فلكها الا في سنة والقمر يقطع فلكه في شهر فكانت الشمس جديرة بأن توصف بالادراك لتباطئ سيرها عن سير القمر والقمر خليقا بأن يوصف بالسبق لسرعة سيره (وكل) التنوين فيه عوض من المضاف اليه والمعنى وكلهم والضمير للشموس والاشارة على ما سبق ذكره (ذريتهم) أولادهم ومن يهم منهم وقيل اسم الذرية يقع على النساء لان منهن مزارعها وفي الحديث النهي عن قتل الذرري يعني النساء (من مثله) من مثل الفلك (ما يركبون) من الابل وهي سفن البر وقيل انثال المحمول سفينة نوح ومعنى حمل الله ذرياتهم في الأصل فيها آباءهم الاقدمين وفي أصلابهم هم وذرياتهم واذا كان ذريات هؤلاء في الاصلاب عليها وأدخل في التعجيب من قدرته في حمل أعقابهم الى يوم القيامة في سفينة نوح ومن هذا على مثل ذلك الفلك ما يركبون من السفن والزوارق (الصريخ) المغيث أو الاغاثة يقال اتاهم الصريخ (ولا هم ينقذون) لا يخلصون من الموت الغرق (الا رحمة) الا لرحمة منا وتمتيع بالحياة (الى حين) الى أجل هو ين فيه لا بد لهم منه بعد النجاة من موت الغرق فلا تحسن من قال

ولم أسم لكي أبقى ولكن * سلمت من الحمام الى الحمام

وقرأ الحسن رضي الله عنه تعرضهم (اتقوا ما بين أيديكم) كقوله تعالى أفلم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والارض وعن مجاهد ما تقدم من ذنوبكم وما تأخر وعن قتادة ما بين أيديكم من الوقائع التي خلت يعني من مثل الوقائع التي نابت الامم الكذبة بأنبيائها وما خلفكم كم من أمر الساعة (لعلكم ترحمون) لكي تكونوا على رجاء رحمة الله وجواب اذا محذوف مدلول عليه بقوله (الا كانوا عنها معرضين) فكانه قال واذا قيل لهم اتقوا أمر ربهم أعرضوا عن التقوى وأدبروا عن الاعراض عن كل آية وموعظة * كانت الزنادقة منهم يسمعون المؤمنين يتقون أعمال الله تعالى على عيشة فيقولون لرسول الله لأنتقي ما لا نراه ولو شاء لاعزنا وأغنانا كما أغنى وأعز هؤلاء فنزلت هذه الآية (وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين) ومعناه أنهم للقول فيه هذا القول يبكتهم وذلك أنهم كانوا يدعون أن يكون النفي والتقتير من الله لانهم معطلة لا يؤمنون بالصانع وعن ابن عباس رضي الله عنهما اسكتهم بكلمة واحدة فقال أمروا بالصدقة فقال لهم الذين كفروا قالوا الاولياء يغتر الله ونطعمه نحن وقيل كانوا يقولون أن الله تعالى لما كان قادرا على اطعامه ولا يشاء اطعامه فنحن أحق بذلك نزلت في مشركي قريش حين قال فقراء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطونا مما زعمتم من أموالكم أنها لله يعنون قوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فهم يوهم وقالوا لو شاء الله لاطعمكم (ان أنتم الا في ضلال مبين) قول الله لهم أو حكاية قول المؤمنين لهم أو هو من جملة

* هل أمر هذه الجملة

ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون آية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون وخلقنا لهم من مثله ما يركبون وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون الا رحمة منا ومتاعا الى حين واذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين واذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه ان أنتم الا في ضلال مبين ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون

يكونهم على أنه بكيف

لو كان معناه ما وهم في عقبه لا يخفى بينه وبين سياق الآية توجب أن لا يعد جملة ولا سيما فيشبه أن يكون القول بسبقية النهار لليل مخالفا لصدر الآية على وجه لا يقبل التأويل فان بين عدم الادراك الدال على التأخير والتبعية وبين السبق والمسابقة تخالفا بينا فعلى هذا لو كان الليل تابعا ومتأخرا لكان أحرى أن يوصف بعدم الادراك ولا يبالغ بعدم السبق ويكون القول بتقدم الليل على النهار مطابقا لصدر الآية صريحا والجواب ما وجه من التأويل مناسب لنظم القرآن وثبوت خلده أقرب الى الحق من حبل وريده والله الموفق للصواب من القول وسديده * قوله تعالى وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم الى قوله ومتاعا الى حين

(قلت) من هنا أخذ أبو الطيب

ولم أسم لكي أبقى ولكن * سلمت من الحمام الى الحمام

لانه تعالى أخبر انهم

جوابهم المؤمنين * قرئ يوهم يخصمون بادغام التاء في الصاد مع فتح الخاء وكسرها واتباع الياء الخاء في الكسر ويختصمون على الاصل ويخصمون من خصمه والمعنى أنهم اتبعتهم وهم في أمرهم وعملتهم عما لا يخطر ونها ببالهم مشتغلين بخصوماتهم في متاجرهم ومعاملاتهم وسائر ما يتخاصمون فيه ويتشاجرون ومعنى يختصمون يختصم بعضهم بعضا وقيل تأخذهم وهم عند أنفسهم يختصمون في الجنة في أنهم لا يعذبون (فلا يستطيعون) أن يوصوا في شئ من أمورهم (توصية) ولا يقدرون على الرجوع الى منازلهم وأهاليهم بل يموتون بحيث تفجؤهم الصيحة * قرئ الصور بسكون الواو وهو القرن أو جمع صورة وحركها بعضهم * (الاجداث) القبور وقرئ بالذال (ينسلون) يعدون بكسر السين وضمها وهي النفخة الثانية * قرئ يا ويلنا * وعن ابن مسعود رضي الله عنه من أهبنا من هب من نومه اذا انتبه وأهبه غيره وقرئ من هبنا بمعنى أهبنا وعن بعضهم أراد هب بنا فحذف الجار وأوصل الفعل وقرئ من بعثنا ومن هبنا على من الجارة والمصدر و (هذا) مبتدأ و (ما وعد) خبره وما مصدرية أو موصولة ويجوز أن يكون هذا صفة للمرقد وما وعد خبر مبتدأ محذوف أي هذا وعد الرحمن أو مبتدأ محذوف الخبر أي ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) حق وعن مجاهد الكفار هم يجدون في أطم النوم فاذا صيح بأهل القبور قالوا من بعثنا وأما هذا ما وعد الرحمن فكلام الملائكة عن ابن عباس وعن الحسن كلام المتقين وقيل كلام الكافرين تذكروا ما سمعوه من الرسل فجيبوا به أنفسهم أو بعضهم بعضا (فان قلت) اذا جعلت ما مصدرية كان المعنى هذا وعد الرحمن وصدق المرسلون على تسمية الموعود والمصدوق به بالوعد والصدق فأوجه قوله وصدق المرسلون اذا جعلتها موصولة (قلت) تقديره هذا الذي وعده الرحمن والذي صدقه المرسلون يعني والذي صدق فيه المرسلون من قولهم صدقوهم الحديث والقتال وتنصره قراءة من قرأ (قال هذا) من بعثنا من مرقدنا سؤال عن الباعث فكيف طابقه ذلك جوابا (قلت) معناه بعثتم لان الرحمن الذي وعدكم البعث وأبانكم الرسل الا أنه جيء على طريقة تسميتهم بالقبور وبعث الهم أحوالهم وذكروا كفرهم وتكذيبهم وأخبروا بوقوع ما أنذروا به وكأنه قيل لهم ليس بالبعث الذي مر تقوه وهو بعث النائم من مرقده حتى يسأل السؤال من الباعث ان هذا هو البعث الذي كنتم به تكذبون الا هول الافزاع وهو الذي وعد الله في كتبه المنزلة على ألسنة رسله الصادقين (الا صيحة واحدة) قرئت منصوبة ومرفوعة (فاليوم لا تظلم نفس شيأ) ان أصحاب الجنة اليوم في شغل) حكاية ما يقال لهم في ذلك اليوم في مثل هذه الحكاية تزاد تصوير للموعود وتمكين له في النفوس وتوبيخ للمرحوم على ما فاته في شغل في أي شغل وفي شغل لا يوصف وما ظنك بشغل من سعد يدخول الجنة التي هي دار المتقين ووصل فضايل تلك الغبطة وذلك أن لتلك الدار تكبيرا وتسبيحا وتحميدا وتهليلا وهم في تلك الأذكار أبدا هم الله تعالى من عباده فوق أشهى لهم من أجل المواهب كرامة وتعظيما وذلك بعد الرؤية والمصابنة والتفضي من مشاق التكليف ومضايق التقوى والحسبة وتخطي الأهوال وتجاوز الصراط وجواز المرصاد وسائر ما يتقاسى الصلحاء من العذاب وعن ابن عباس في اقتضاض الابكار وعنه في ضرب الأوتار وعن أن كل واحد في الدار وقيل في ضيافة الله وعن الحسن شغلهم عما فيه أهل النار التنعم بما هم فيه وعن الكلبي هم في شغل عن أهاليهم من أهل النار لا يهمهم أمرهم ولا يذكرونهم لثلاثة يشغل عليهم تنعيمهم في نعيمهم * قرئ في شغل بضمتين وضمة وسكون وفتحتين وفاكهون وفكهون * والفاكه المتنعم والمتلذذ وصفه الفاكهة لانها مما يتلذذ به وكذلك الفكاهة وهي المزاحة * وقرئ فاكهون وفكهون بكسر الكاف وضمها كقولهم رجل حذر وحذر ونطس ونطس وقرئ فاكهين وفكهين على الحال والظرف مستقر (هم) يحتمل أن يكون مبتدأ وأن يكون تأكيدا للضمير في شغل وفي فاكهون على أن أزواجهم يشاركنهم في ذلك الشغل والتفكه والاتكاء على الارائك تحت الظلال * وقرئ في ظلل والارائك السرر في الحجلة وقيل الفراش فيها وقرأ ابن مسعود متكئين (يدعون) يقتعلون من الدعاء أي يدعون به لانفسهم كقولك استوى وأجمل اذا شوى وجمل لنفسه قال البيد * فاستجمل وفاز بالقدح * ويجوز أن يكون بمعنى يتداعونه كقولك ارتموه وتراموه وقيل يتمنون

فلا يستطيعون توصية ولا الى أهليهم يرجعون ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون فاليوم لا تظلم نفس شيأ ولا تجزون الا ما كنتم تعملون ان أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون هم وأزواجهم في ظلال على الارائك متكئون لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون

ان سلاموا من موت الفرق فذاك السلامة سلام الى حين اجالي أجل موقت به ولابد * أو الى قيام الساعة كقوله فاكهون (فان قلت) هلا قيل في شغل أي شغل ولما جاء به نكرة سلام قولا من رب رحيم وسمعوه تقول وان اعتبرتني هنا صراط مستقيم قال وصفا لاصراط أقوم مسموع التذكير بعيد ذلك اذا ذكرت اياه في قول كثير عزة قال وان كان يهدى به أيام اللعى ولولا ذلك لم يستقم معنى البيت قال ويجوز أن يكون وصفا لهذا صراط أقل الاحوال فيه ان

من قولهم ادع على ما شئت بمعنى عنه على وفلان فى خير ما ادعى أى فى خير ما تمنى قال الزجاج وهو من الدعاء أى ما يدعونه أهل الجنة يأتيهم (سلام) بدل مما يدعون كأنه قال لهم سلام مقال لهم (قولا من) جهة (رب رحيم) والمعنى أن الله يسلم عليهم بواسطة الملائكة أو بغير واسطة مبالغة فى تعظيمهم وذلك مقامهم ولهم ذلك الاعتقاد ونه قال ابن عباس قال الملائكة يدخلون عليهم بالتحية من رب العالمين وقيل ما يدعون مبتدأ وخبره سلام بمعنى ولهم ما يدعون سالم خالص لا شوب فيه وقولا مصدر مؤكد لقوله تعالى ولهم ما يدعون سلام أى عدة من رب رحيم والاوجه أن ينتصب على الاختصاص وهو من مجازه وقرئ سلم وهو بمعنى السلام فى المعنيين وعن ابن مسعود سلاما نصب على الحال أى لهم ما دعوا خالصا (وامتازوا) وانفردوا عن المؤمنين وكونوا على حدة وذلك حين يحشر المؤمنون ويساقون الى الجنة ونحوه قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم فى روضة يحبرون وأما الذين كفروا الآية يقال مازه فامتاز وامتاز وعن قتادة اعتزلوا عن كل خير وعن الضحاك لكل كافر بيت من النار يكون فيه لا يرى ولا يرى ومعناه أن بعضهم يمتاز من بعض * العهد الوصية وعهد اليه اذا وصاه وعهد الله اليهم ما ركزه فيهم من أدلة العقل وأنزل عليهم من دلائل السمع * وعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس به اليهم ويزينه لهم * وقرئ اعهد بكسر الهمزة وباب نعق كله يجوز فى حروف معتل عينه الكسر الا الياء واعهد بكسر الهاء وقد جوز الزجاج أن يكون من باب نهر ضرب وأعهد بها وأحدو هى امتثلتم ومنه قولهم حط هذا (هذا) اشارة الى ما عهد اليهم من معصية الشيطان وطاعة الرحمن ادلالا وتوبيخا أقوم منه ونحو التكبير به مالى قول كثير

لئن كان يهدى برد أنيابها العلى * لافترعن أنى لغير

أراد انى لغير يلبغ النفر حقق بأن أوصف به لكمال ثمرائه فى بابه ويجوز أن يكون المعنى انى لغير مستقيم (صراط مستقيم) ريد صراط يليغ فى بابه يليغ فى استقامته جامع لكل شرط يجب أن يكون عليه ويجوز ان يراد هذا بعض الصراط المستقيم توبيخا لهم على العدول عنه والتفادى من سلوكه كما يتفادى الناس عن الطريق المعوج الذى يؤدى الى الضلال والتهلكة كأنه قيل أقل أحوال الطريق الذى هو أقوم الطرق أن يعتقد فيه كما يعتقد فى الطريق الذى لا أضل السالك كما يقول الرجل لولده وقد نصحه النصح البالغ الذى ليس بعده هذا فيما أظن قول ناصح غير مبارتى بضلالك عن نصائحه * قرئ جبلا بضمتين وضمة وسكون وضمتين وتشديد وكسرتين وكسر وسكون وكسر وتشديد وهذه الاثنان فى معنى الخلق وقرئ جبلا مع جبلة كنغر وخلق وفى قراءة على رضى الله عنه جبلا واحد الاجبال * يروى أنهم يجدون وصافهم فى كتبهم فتشهد عليهم جبرائيلهم وأعضائهم وعشائرهم فيحلفون بما كانوا يحلفون عليه فى الدنيا فيختم على أفواههم وتتكلم أيديهم وأرجلهم وفى الحديث يقول العبد يوم القيامة انى لا أجيز على شاهدا الا من نفسى فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقى فتنطق بأعمالها ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فلكن كنت أناضل * وقرئ يختم على أفواههم وتتكلم أيديهم ولتكلمنا أيديهم وتشهد بلام كى والنصب على معنى ولذلك نختم على أفواههم وقرئ ولتكلمنا أيديهم وتشهد بلام الامر والجزم على أن الله أمر الاعضاء بأن تكلم والشهادة * اللمس تعقيب الجس حتى تعود مسوحة (فاستبقوا الصراط) لا يخلو امن أن يكون على حذف الجار وايصال الفعل والاصل فاستبقوا الى الصراط أو ضمن معنى ابتدروا أو يجعل الصراط مسبوقا لا مسبوقا اليه أو ينتصب على الظرف والمعنى أنى لو شاء لمسخ أعينهم فلو رام أن يستبقوا الى الطريق المهيع الذى اعتادوا سلوكه الى مساكنهم والى مقاصدهم المألوفة فتارة يتردد اليها كثيرا مما كانوا يستدرون الرزق ساعين فى متصرفاتهم موضعين فى أمور دنياهم لم يقدروا وتارة يطلبونه أن يبصروا و يعلموا جهة السلوك فضلا عن غيره أو لو شاء لأعماهم فلو أرادوا أن يمشوا مستبقين فى الطريق المألوف كما كان ذلك هجيراهم لم يستطيعوا أو لو شاء لأعماهم فلو طلبوا أن يجاوزوا الصراط الذى اعتادوه الذى فيه الجز والوبر وعرفوا طرقه يعنى أنهم لا يقدرون الا على سلوك الطريق المعتادة دون ما وراءه من سائر الطرق والمسالك كما ترى العميان

سلام قولا من رب رحيم وامتازوا اليوم أيها المجرمون ألم أعهد اليكم يا بنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وأن اعبدونى هذا صراط مستقيم ولقد أضل منكم جبلا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون هذه جهنم التى كنتم توعدون اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون ولو نشاء لمسخناهم على

يعنى انه مستقيم يا يقول الرجل لولده هذا فيما أظن قول ناصح نصائحه ضارب بعضها على الاعراض عن نصائحه

يهتدون فيما ألفوا به وضروا به من المقاصد دون غيرها (على مكانتهم) وقرئ على مكاناتهم والمكانة والمكان واحد كالقامة والمقام أى لمضيهم على مناهجهم مكانهم لا يقدرون أن يبرحوه باقبال ولا ادبار ولا مضى ولا رجوع واختلف فى المسخين ابن عباس لمسخناهم قردة وخنازير وقيل حجارة وعن قتادة لأقعدناهم على أرجلهم وأزمناهم * وقرئ مضيا بالحركات الثلاث فالمضى والمضى كالعتى والعتى والمضى كالصبى (ننكسه فى الخلق) نقلبه فيه فنخلقه على عكس ما خلقناه من قبل وذلك أنا خلقناه على ضعف فى جسمه وخلق من نعفة ثم جعلناه يتزايد ويتنقل من حال الى حال ويرتقى من درجة الى درجة الى أن يبلغ أشده ويستكمل قوته ويعقل ويعلم ماله وما عليه فاذا انتهى نكسناه فى الخلق فجعلناه يتناقص حتى يرجع فى حال نبيهة بحال الصبى فى ضعف جسمه وقلة عقله وخلوه من العلم كما ينكس الرمم فيجعل أعلاه أسفله قال عز وجل ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكى لا يعلم من بعد علم شيأ ثم رددناه أسفل سافلين وهذه دلالة على أن من يتعاطاهم من الشباب الى الهرم ومن القوة الى الضعف ومن رياحة العقل الى الخرف وقلة التمييز ومن العلم الى الجهل بعد ما تعاطاهم خلاف هذا النقل ونكسه قادر على أن يطمس على أعينهم ويمسخهم على مكانتهم ويفعل بهم ما شاء وأراد وقرئ بكسر الكاف وتنكسه وتنكسه من التنكيس والانتكاس (أفلا يعقلون) يا إياه والتاء * كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاعر وروى أن النضر بن أبى صعيد فقيا (وما علمناه الشعر) أى وما علمناه بتعليم القرآن الشعر على معنى أن القرآن ليس بشعر وما هو من الشعر فى شىء وأين هو من الشعر والشعر اما هو كلام موزون مقفى يدل على معنى فأين الوزن وأين التقفية وأين المعانى التى يجيء بها الشعراء عن معانيه وأين نظم كلامهم عن نظمه وأسلوبه فلا مناسبة بينه وبين الشعر اذا حققت الأمر الا أن هذا لفظ عربى كأن ذلك كذلك (وما ينبغى له) وما يصح له ولا يتطلب لو طلب أى جعلناه بحيث لو أراد قرض الشعر لم يأت له ولم يتسهل له جعلناه أميا لا يقرأ ولا يخط ولا يحسنه لتكون الحجة أدخل والشبهة أدحض وعن الخليل كان الشعر أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من كثير من الكلام ولكن كان لا يتأتى له (فان قلت) فقوله

أنا النبى لا كذب * أنا ابن عبد المطلب

وقوله

هل أنت الا اصبع دميت * وفى سبيل الله ما لقيت

(قلت) ما هو الا كلام من جنس كلام مد الذى كان يرى به على السليقة من غير صنعة ولا تكلف الا أنه اتفق ذلك من غير قصد الى ذلك ولا التفات منه الى أنه موزون وما يتفق فى كثير من النثر أن الناس فى خطبهم ورسائلهم وعامة كلامهم أشياء موزونة لا يسمونها أحد شعرا ولا يخطر ببال الناكلم ولا السامع أنها شعر وإذا دققت فى كل كلام من نحو ذلك وجدت لواقع فى أوزان البحور غير عزيز على أن الخليل ما كان بعد المستور من الرجز شعرا وما نفى أن يكون القرآن من جنس الشعر قال (ان هو الا ذكر وقرآن مبين) يعنى ما هو الا ذكر من الله تعالى يعظ به الانس والجن وما قال ان هو الا ذكر للعالمين وما هو الا قرآن كتاب سماوى يقرأ المحاريب ويتلى فى التعبدات وينال بتلاوته والعمل بما فيه فوز الدارين فكيف يتمحون الشعر الذى هو من هوات الشياطين (لينذر) القرآن أو الرسول وقرئ لتنذر بالتاء والياء للقرآن من شدد لأنه علم (من كان حيا) ى عاقلا متأملا لأن الغافل كالميت أو معلوما منه أنه مؤمن فيجيء بالايمان (وحق القول) وتجب كلمة العذاب (على الكافرين) الذين لا يتأملون ولا يتوقع منهم الايمان (مما عملت أيدينا) مما تولينا نحن احداثه ولم يقدر على توليه غيرنا وانما قال ذلك ليدل على القدرة والحكمة فيها التى لا يصح أن يقدر عليها الا هو وعمل الأيدى استعارة لمن عمل من يعمل بالأيدى (فهم لها مالكون) أى خلقناها لأجلهم فملكناها اياهم فهم متصرفون فيها تصرف الملاك مختصون بالانتفاع فيها الا راجحون أو فهم لها ضابطون قاهرون من قولهم

أصبحت لا أحمل السلاح ولا * أملك رأس البعير ان نفرا

أى لا أضبطه وهو من جملة الغنم القاهرة والأفن كان يقدر عليها الولائد يحلبنها ويحبسنها لها فاقال القائل يصرفه الصبى بكل وجه * ويحبسه على الخسف الجرير

وتضربه الوليد فبالهراوى * فلا غير لديه ولا نكير

ولهذا ألزم الله سبحانه الراكب أن يشكر هذه النعمة ويسبح بقوله سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين *وقرئ كوبهم وركوبتهم وهما ما يركب كالحلوب والحلوبة وقيل الركوبة جمع وقرئ ركوبهم أى ذو اركوبهم أو فى منافعها ركوبهم (منافع) من الجلود والاوبار والاصواف وغير ذلك (ومشارب) من اللبن ذكرها مجملا وقد فصلها فى قوله تعالى وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا الآية والمشارب جمع مشرب وهو موضع الشرب أو الشرب *اتخذوا الآلهة طمعا فى أن ينتقوا بها ويتقووا بتكثيرهم والامر على عكس ما قدروا حيث هم جند لآلهتهم معدون (محضرون) يحفدونهم ويذبون عنهم ويغضبون لهم والآلهة لا استطاعة بهم ولا قدرة على النصر أو اتخذوهم لينصروهم عند الله ويشفعوا لهم والامر على خلاف ما توهموا حيث هم يوم القيامة جند معدون لهم محضرون لعذابهم لانهم يجعلون وقود النار *وقرئ فلا يحزنك بفتح الياء وهما من حزنه وأحزنه والمعنى فلا يهمنك تكذيبهم وأذاهم وجفاؤهم فانا عالمون بما يسرون لك من عداوتهم (وما يعلنون) فنأخذهم عليه فحق مثلك أن يتسلى بهذا الوعيد ويستحضر فى نفسه صورة حاله وحالهم فى الآخرة حتى ينقشع عنه الهم ولا يرهقه الحزن (فان قلت) ما تقول فيمن يقول ان قراءتى انا نعلم بالفتح انتفت صلاته وان اعتقد ما يطمئن من المعنى كفر (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يكون على حذف لام التعليل وهو كثير فى القرآن وفى الشعر وفى كل كلام وقياس مطرد وهذا معناه معنى الكسر سواء وعليه تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك أو حتمية وفتح الشافى وكلاهما تعليل والثانى أن يكون بدلا من قولهم كانه قيل فلا يحزنك أنا نعلم ما يسرون وما يعلنون أو من المصدر المكسور اذا جعلتها معمولة للقول فقد تبين أن تعاقب الحزن يكون الله عالما وعدم تعلقه لا يدوران على كسر ان وفتحها وانما يدوران على تقدير لك فتفصل ان فتحت بأن تقدر معنى التعليل ولا تقدر البدل كالك تفصل بتقدير معنى التعليل اذا كسرت ولا تقدر معنى المفعولية ثم ان قرئ بكسر أو فتح فالله تعالى عالم بما عظم فيه الخطب ذلك القائل فما فيه الا تهوين رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحزن على كون الله عالما بسرهم وعلانيتهم وليس النهى عن ذلك مما وجب بعد الا ترى الى قوله تعالى فلا تكون ظهيرا للكافرين ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر *فجع الله عز وجل انكارهم البعث تعجبا الا ترى الى تعجب منه وأبلغ وأدل على عادى كفر الانسان وافراطه فى حدود النعم وغمرة الايادى وتوغله فى الخسة وتغلغله فى الشعة حيث قرر بأن عنصره الذى خلقه منه هو أخس شئ وأمهنه وهو النطفة المذرة القذرة من الاسافل الذى هو فناة الخاسة *ثم عجب من حاله بأن يتصدى لمثله على مهانة أصله ودناءة أوله لخاصمه بليغ وينسى خلقته ويركب متن الباطل وليغ وعجب ربه بقول من يقدر على احياء الميت بعد ما رمت عظامه ثم يكون خصامه فى الزم وصف له وألصقه به وهو كونه خصاما من موات وهو ينكر انشاءه من موات وهى النكارة التى لا مطمع وراءها وروى أن جماعة من كفار قريش منهم أبى بن خلف الجمحى وأبو جهل والعاصى بن وائل والوليد بن المغيرة تكلموا فى ذلك فقال لهم أبى الا ترون الى ما يقول محمد ان الله يبعث الاموات ثم قال واللات والعزى لأصيرن اليه ولأخصمنه وأخذ عظما بالياً فجعل يفته بيده وهو يقول يا محمد أترى الله يحيى هذا بعد ما قد رم فقال صلى الله عليه وسلم نعم ويميتك ويدخلك جهنم وقيل معنى قوله (فاذا هو خصيم مبين) فاذا هو بعد ما كان ناسا مهينا رجل مميز منطيق قادر على الخصام مبين معرب عما فى نفسه فصيح كما قال تعالى أو من ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين *(فان قلت) لم سمى قوله (من يحيى العظام وهى رميم) مثلا (قلت) لما دل عليه من قصة عجيبة شبهت بالمثل وهى انكاره قدرة الله تعالى على احياء الموتى أو لما فيه من التشبيه لان ما أنكر من قبيل ما يوصف الله بالقدرة عليه بدليل النشأة الاولى فاذا قيل من يحيى العظام على طريق الانكار لان يكون ذلك مما يوصف الله تعالى بكونه قادرا عليه كان تعجيزا لله وتشبيها له حيث فى أنهم غيره موصوفين بالقدرة عليه *والرميم اسم لما بلى من العظام غير صفة كالرمة والرفات

منافع ومشارب أفلا يشكرون واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون فلا يحزنك قولهم انا نعلم ما يسرون وما يعلنون أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم قل يحييها الذى أنشأها أول مرة

فلا يقال لم لم يؤنث وقد وقع خبرا المؤنث ولا هو فعيل بمعنى فاعل أو مفعول ولقد استشهد بهذه الآية من يثبت الحياة في العظام وقول ان عظام الميتة نجسة لان الموت يؤثر فيها ان قبل أن الحياة تحلها وأما أصحاب أبي حنيفة فهي عندهم طاهرة وكذلك الشعر والصوف ويزعمون أن الحياة لا تحلها فلا يؤثر فيها الموت ويقولون المراد باحياء العظام في الآية ردها الى ما كانت عليه غضة رطبة في بدن حي حساس (وهو بكل خلق عليم) يعلم كيف يخلق لا يتعاظمه شيء من خلق المشاآت والمعادات ومن أجناسها وأنواعها وجلالها وردائها * ثم ذكر من بدائع خلقه انقداح النار من الشجر الاخضر مع مضادة النار الماء وانطفائها به وهي الزناد التي توري بها الاعراب وأكثرها من المرخ والعفار وفي أمثالهم في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار يقطع الرجل منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهي أنثى فتقدح النار باذن الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما ليس من شجرة الا وفيها نار الا العناب قالوا ولذلك تتخذ منه كذيقات القصارين * قرئ الاخضر على اللفظ وقرئ الخضراء على المعنى ونحوه قوله تعالى من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم * من قدر على خلق السموات والارض مع عظم شأنهما وهو على خلق الاناسي أقدر وفي معناه قوله تعالى لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس * وقرئ يقدر وقوله (أن يخلق مثلهم) يحتمل معنيين أن يخلق مثلهم في الصغر والضعاءة بالاضافة الى السموات والارض أو أن يعيدهم لان الاعادة مثل للبدا وليس به (وهو الخلاق) الكثير المخلوقات (العليم) الكثير المعلومات وقرئ الخالق (انما أمره) انما شأنه (اذا أراد شيئا) اذا دعاه داعي حكمة الى تكوينه ولا صارف (أن يقول له كن) أن يكونه من غير توقف (فيكون) فيحدث أي فهو كائن موجود لا محالة (فان قلت) ما حقيقة قوله أن يقول له كن فيكون (قلت) هو مجاز من الكلام وتمثيل لانه لا يمتنع عليه شيء من المكونات وأنه بمنزلة المأمور المطيع اذا ورد عليه أمر الآمر المطاع (فان قلت) فما وجه القراءتين في فيكون (قلت) أما الرفع فلانها جملة من مبتدا وخبر لان تقديرها فهو يكون معطوفة على مثلها وهي أمره أن يقول له كن وأما النصب فللعطف على يقول وللمعنى أنه لا يجوز عليه شيء مما يجوز على الاجسام اذا فعلت شيئا مما تقدر عليه من المباشرة بعمل لقدرة واستعمال الآلات وما يتبع ذلك من المشقة والتعب واللغوب انما أمره وهو الفاعل لذاته أن يخلص داعيه الى الفعل فتكون مثله كيف يجوز عن معذور حتى يجوز عن الاعادة (فسبحان) تنزيه له مما وصفه به المشركون وتعجيب من أن يقولوا فيه ما قالوا (بيده ملكوت كل شيء) * ومالك كل شيء والمتصرف فيه بما وجب مشيئته وقضايا حكمته وقرئ ملكه كل شيء وملكه كل شيء وملك كل شيء والمعنى واحد (ترجعون) بضم التاء وفتحها وعن ابن عباس رضي الله عنهما كنت لا أعلم ما روي في فضائل يس وقراءتها كيف خصت بذلك فاذا انه هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل شيء قلبا وان قلب القرآن يس من قرأ يس يريد بها وجه الله غفر الله تعالى له وأعطي من الاجر كأنما قرأ القرآن اثنتين وعشرين مرة وأيما مسلم قرئ عنده اذا نزل به ملك الموت سورة يس نزل بكل حرف منها عشرة أملاك يقومون بين يديه صفوفا يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون غسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وأيما مسلم قرأ يس وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يبعث رضوان خازن الجنة بشربة من شراب الجنة يشربها وهو على فراشه فيقبض ملك الموت روحه وهو ريان ويمكث في قبره وهو ريان ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان وقال عليه الصلاة والسلام ان في القرآن سورة يشفع قارئها ويغفر مستمعها ألا وهي سورة يس

وهو بكل خلق عليم الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم انما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون

﴿سورة الصافات مكية وهي مائة واحدى وثمانون آية وقيل واثنتان وثمانون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

*(القول فى سورة والصافات) *﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا الآية (قال) فى تفسيرها المقسم به طوائف الملائكة أو نفوسهم والمراد صفهم فى الصلاة وزجرهم السحاب أى سوقهم وتلاوتهم ذكر الله أو العلماء والمراد تصافهم أقدامهم فى الصلاة وزجرهم بالمواعظ عن المعاصى وتلاوتهم الذكر أو الغزاة يصفون فى الحرب ويزجرون الخيل ولا يشغلهم ذلك عن تلاوة الذكر فان قلت ما حكم الفاء العاطفة للصفات وأجاب بأنها تفع لثلاثة أوجه اما التعاقب وقوع الصفات وجودا كقوله

يالهف زيابة للحرث الصـ ـصاح فالغانم فالآيب

أو على ترتيبها فى تواخيها من بعض الوجوه كقولك أعمل الاحسن فالاجمل واما الترتب موصوفاتها كقوله رحم الله المحلقين فالمقصرين فعلى هذا ان وحدت الموصوف كانت الدلالة (٢٠٩) على ترتب الصفات فى التفاضل

*أقسم الله سبحانه بطوائف الملائكة أو بنفوسهم الصافات أقدامها فى الصلاة من قوله تعالى وانا لنحن الصافون أو أجنحتها فى الهواء واقفة منتظرة لامر الله (فالزاجرات) السحاب سوقا (فالتاليات) لكلام الله من الكتب المنزلة وغيرها وقيل الصافات الطير من قوله تعالى والطير صافات والزاجرات كل ما زجر عن معاصى الله والتاليات كل من تلا كتاب الله ويجوز أن يقسم بنفوس العلماء العمال الصافات أقدامها فى التهجد وسائر الصلوات وصفوف الجماعات فالزاجرات بالمواعظ والنصائح فالتاليات آيات الله والدارسات لها أو بنفوس قواد الغزاة فى سبيل الله التى تصف الصفوف وتزجر الخيل للجهاد وتتلو الذكر مع ذلك تشغل بها عنه تلك الشواغل كما حكى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه (فان قلت) ما حكم الفاء اذا جاءت عاطفة فى الصفات (قلت) لما أن تدل على ترتيب معانيها فى الوجود كقوله

يالهف زيابة للحرث الصـ ـصاح فالغانم فالآيب

أنه قيل الذى صبح تغنم فآب وإما على ترتبها فى التفاوت من بعض الوجوه كقولك خذ الافضل فالاكمل فالاحسن فالاجمل وإما على ترتب موصوفاتها فى ذلك كقوله رحم الله المحلقين فالمقصرين فعلى هذه الوجوه الثلاثة ينساق أمر الفاء العاطفة فى الصفات (فان قلت) فعلى أى هذه القوانين هى فيما أنت بسبيله (قلت) ان وحدت الموصوف كانت الدلالة على ترتب الصفات فى التفاضل وان تلتثه فهى للدلالة على ترتب الموصوفات فيه بيان ذلك انك اذا أجريت هذه الاوصاف على الملائكة وجعلتهم جامعين لها فاطفها بالفاء فقد رتبتها فى الفضل اما أن يكون الفضل للصف ثم الزجر ثم للتلاوة وإما على العكس وكذلك ان أردت العلماء وقواد الغزاة وان أجريت الصفة الاولى على طوائف والثانية والثالثة على أخرى فقد أفادت ترتب الموصوفات فى الفضل أعنى أن الطوائف الصافات ذوات فضل والزاجرات أفضل والتاليات أجمع فضلا أو على العكس وكذلك اذا أردت بالصافات الطير وبالزاجرات كل ما زجر عن معصية وبالتاليات كل ناطق تلا الذكر فان الموصوفات مختلفة *وقرئ بادغام التاء فى الصاد والزاى والدال (رب السموات) خبر مبتدأ محذوف و(المشارق) ثلثمائة وستون مشرقا وكذلك المغارب تشرق الشمس كل يوم فى مشرق منها وتغرب فى مغرب ولا تطلع ولا تغرب فى واحد منهن (فان قلت) فاذا أراد بقوله رب المشرقين ورب المغربين (قلت) أراد مشرقى الصيف والشتاء ومغربيهما (الدنيا) القربى منكم *والزينة مصدر كالنسبة واسم لما يزان به الشئ كالليقة اسم لما تلاق به الدواة ويحتمل اضافة قوله (بزينة الكواكب) فان أردت المصدر فعلى اضافته الى الفاعل أى بأن زانتها الكواكب وأصله بزينة الكواكب أو على اضافته الى المفعول أى بأن زان الله الكواكب وحسنها لابصار الناظرين أنفسها وأصله بزينة الكواكب وهى قراءة أبى بكر والاعمش وان أردت اسم ما يزان به فعلى اضافة الشئ الى بعض ما هو منه كقولك سقيت الماء بدلو من ماء وأكلت الخبز برغيف من خبز وأصله بزينة الكواكب هى وقرئ بالتنوين على البدل من زينة الكواكب بدل البعض من الكل أو على الاختصاص أو بفعل مضمر يدل عليه حفظا من كل شيطان مارد أو حفظا حفظا من كل شيطان مارد أو خلقنا حفظا من كل شيطان مارد *﴿لا يسمعون﴾ لا يتسمعون أو لئلا يسمعوا *﴿دحورا﴾ مفعول له أى لدحورهم أو مصدر لان معنى دحروا طردوا دحورا *﴿واصب﴾ دائم من وصب يصب اذا دام *﴿خطف﴾ اختلس *﴿ثاقب﴾ مضئ *﴿لازب﴾ لاصق من لزب يلزب اذا لصق *﴿بل عجبت﴾ قرئ بضم التاء على اسناد التعجب الى الله تعالى على سبيل المجاز لان العجب لما كان سببه فى حق الله تعالى وهو الاستعظام جاز اسناده اليه كما يسند اليه الرضا والغضب وبفتحها على اسناد العجب الى المخاطب أو الرسول صلى الله عليه وسلم على طريقة قل عجبت من كذا وضحك من كذا *﴿وإذا ذكروا﴾ وإذا وعظوا *﴿يستسخرون﴾ يبالغون فى السخرية مما يرونه مضحكا *﴿وقالوا﴾ وقال المشركون *﴿إن هذا﴾ ما هذا *﴿إلا سحر﴾ تخييل لا حقيقة له *﴿أإذا متنا﴾ أنبعث إذا متنا *﴿وكنا ترابا﴾ وصرنا ترابا *﴿وعظاما﴾ وصرنا عظاما *﴿أئنا﴾ أنبعث نحن *﴿وآباؤنا﴾ عطف على محل إن واسمها *﴿الأولون﴾ الذين ماتوا قبل البعث *﴿داخرون﴾ صاغرون *﴿فإنما هى﴾ فما هى *﴿زجرة﴾ صيحة *﴿واحدة﴾ هى النفخة الثانية *﴿فإذا هم﴾ فاجأوا ما هم فيه *﴿ينظرون﴾ ينظر بعضهم الى بعض ما يفعل به *﴿هذا يوم الدين﴾ يوم الجزاء *﴿هذا يوم الفصل﴾ يوم يفصل فيه بين المحق والمبطل *﴿احشروا﴾ يقال للملائكة *﴿الذين ظلموا﴾ أنفسهم بالكفر *﴿وأزواجهم﴾ وقرناءهم من الشياطين أو نساءهم الكافرات *﴿وما كانوا يعبدون﴾ من الاصنام *﴿من دون الله﴾ من غير الله *﴿فاهدوهم﴾ فدلوهم *﴿إلى صراط الجحيم﴾ طريق النار *﴿وقفوهم﴾ احبسوهم فى الموقف *﴿إنهم مسئولون﴾ عن أعمالهم أو عن العقائد أو عن لا إله إلا الله *﴿ما لكم لا تناصرون﴾ توبيخ على ترك التناصر بعد الاستسلام *﴿بل هم اليوم مستسلمون﴾ منقادون لا يمتنعون *﴿وأقبل بعضهم على بعض﴾ أى الرؤساء والاتباع *﴿يتساءلون﴾ يتخاصمون *﴿عن اليمين﴾ عن الدين أو عن القوة والقهر أو عن الناحية التى كانت تأتينا منها الخير *﴿بل لم تكونوا مؤمنين﴾ لاختياركم الكفر *﴿وما كان لنا عليكم من سلطان﴾ من تسلط وقهر *﴿بل كنتم قوما طاغين﴾ بالكفر والمعاصى *﴿فحق علينا قول ربنا﴾ وجب علينا كلمة العذاب *﴿إنا لذائقون﴾ العذاب *﴿فأغويناكم﴾ دعوناكم الى الغى *﴿فإنهم يومئذ﴾ يوم القيامة *﴿فى العذاب مشتركون﴾ كما كانوا فى الكفر والغواية *﴿إنا كذلك نفعل بالمجرمين﴾ مثل ذلك الفعل نفعل بكل مجرم *﴿إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله﴾ أى قولوها وآمنوا بمعناها *﴿يستكبرون﴾ عن قولها وعن الايمان بمعناها *﴿ويقولون أئنا لتاركو آلهتنا﴾ أنتركها *﴿لشاعر﴾ يعنون النبى صلى الله عليه وسلم *﴿مجنون﴾ يعنون النبى صلى الله عليه وسلم *﴿بل جاء بالحق﴾ بالقرآن *﴿وصدق المرسلين﴾ بما جاءوا به من التوحيد *﴿إنكم لذائقوا العذاب الأليم﴾ العذاب الموجع *﴿وما تجزون إلا ما كنتم تعملون﴾ الا جزاء ما كنتم تعملون *﴿إلا عباد الله المخلصين﴾ الذين أخلصهم الله للجنة *﴿أولئك لهم رزق معلوم﴾ معين بالوصف *﴿فواكه﴾ مرزوقون الفواكه *﴿وهم مكرمون﴾ بالجنة ونعيمها *﴿على سرر﴾ جمع سرير *﴿متقابلين﴾ ينظر بعضهم الى بعض *﴿يطاف عليهم﴾ يدور عليهم الخدام *﴿بكأس﴾ بخمر *﴿من معين﴾ من خمر جارية من العيون *﴿بيضاء﴾ صفة لكأس أو لخمر *﴿لذة للشاربين﴾ تلذ لهم لذة *﴿لا فيها غول﴾ لا يغتالون عقولهم فيذهبونها كخمر الدنيا *﴿ولا هم عنها ينزفون﴾ لا تسكرهم فتذهب عقولهم من نزف الشارب اذا ذهب عقله *﴿وعندهم قاصرات الطرف﴾ نساء قصرن طرفهن على أزواجهن لا يردن غيرهم *﴿عين﴾ حسان العيون *﴿كأنهن بيض مكنون﴾ شبههن فى صفاء اللون بالبيض المكنون فى الريش *﴿فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾ عن أحوالهم وما جرى لهم *﴿قال قائل منهم﴾ فى الدنيا *﴿إنى كان لى قرين﴾ صاحب *﴿يقول أئنك لمن المصدقين﴾ بالبعث *﴿أإذا متنا﴾ أنبعث إذا متنا *﴿وكنا ترابا﴾ وصرنا ترابا *﴿وعظاما﴾ وصرنا عظاما *﴿أئنا لمدينون﴾ لمجزيون *﴿قال هل أنتم مطلعون﴾ الى النار *﴿فاطلع﴾ فاطلع القائل *﴿فرآه﴾ فرأى قرينه *﴿فى سواء الجحيم﴾ فى وسط النار *﴿قال تالله إن كدت لتردين﴾ لتهلكنى *﴿ولولا نعمة ربى﴾ بالهداية *﴿لكنت من المحضرين﴾ معك فى النار *﴿أفما نحن بميتين﴾ أفما نحن بمخلدين *﴿إلا موتتنا الأولى﴾ إلا الموتة التى ذقناها فى الدنيا *﴿وما نحن بمعذبين﴾ بعد الموت *﴿إن هذا﴾ ما هذا *﴿لهو الفوز العظيم﴾ الظفر العظيم *﴿لمثل هذا﴾ لمثل هذا الفوز *﴿فليعمل العاملون﴾ فليعمل لمثله العاملون *﴿أذلك﴾ أذلك النعيم *﴿خير نزلا﴾ ما يعطى النازل عند القرى *﴿أم شجرة الزقوم﴾ ما تنزل به الزبانية يوم القيامة *﴿إنا جعلناها فتنة﴾ محنة *﴿للظالمين﴾ للكافرين *﴿إنها شجرة تخرج فى أصل الجحيم﴾ فى قعر النار *﴿طلعها﴾ ثمرها *﴿كأنه رءوس الشياطين﴾ فى القبح *﴿فإنهم لآكلون منها﴾ من الشجرة *﴿فمالئون منها البطون﴾ لغلبة الجوع عليهم *﴿ثم إن لهم عليها﴾ على الشجرة *﴿لشوبا من حميم﴾ لخلطا من ماء حار يقطع أمعاءهم *﴿ثم إن مرجعهم﴾ بعد شربهم الحميم *﴿لإلى الجحيم﴾ لمصيرهم الى النار *﴿إنهم ألفوا آباءهم ضالين﴾ عن الحق *﴿فهم على آثارهم يهرعون﴾ يسرعون *﴿ولقد ضل قبلهم أكثر الأولين﴾ من الامم الخالية *﴿ولقد أرسلنا فيهم منذرين﴾ رسلا ينذرونهم العذاب *﴿فانظر كيف كان عاقبة المنذرين﴾ فانظر كيف كان عاقبة الذين أنذروا فلم يؤمنوا *﴿إلا عباد الله المخلصين﴾ الذين أخلصهم الله للايمان *﴿ولقد نادانا نوح﴾ دعا علينا *﴿فلنعم المجيبون﴾ نحن *﴿ونجيناه وأهله﴾ من الغرق *﴿من الكرب العظيم﴾ من الغرق أو من أذى قومه *﴿وجعلنا ذريته هم الباقين﴾ فلم يبق إلا نسله *﴿وتركنا عليه فى الآخرين﴾ أبقينا عليه ثناء حسنا فى الآخرين *﴿سلام على نوح فى العالمين﴾ يسلم عليه الملائكة ويدعون له *﴿إنا كذلك نجزى المحسنين﴾ مثل ذلك الجزاء نجزى كل محسن *﴿إنه من عبادنا المؤمنين﴾ الذين آمنوا بالله ووحدوه *﴿ثم أغرقنا الآخرين﴾ الذين كذبوا نوحا *﴿وإن من شيعته﴾ من أهل دينه وعلى منهاجه *﴿لإبراهيم﴾ لمن شايعه على دينه *﴿إذ جاء ربه بقلب سليم﴾ من الشرك والشك *﴿إذ قال لأبيه وقومه﴾ حين دعاهم الى التوحيد *﴿ما تعبدون﴾ أى شئ تعبدون *﴿أئفكا آلهة دون الله﴾ أتريدون آلهة من دون الله إفكا *﴿فما ظنكم برب العالمين﴾ أى شئ ظنكم به حتى أشركتم به غيره *﴿فنظر نظرة فى النجوم﴾ فى علمها *﴿فقال إنى سقيم﴾ مطعون أو مغموم *﴿فتولوا عنه مدبرين﴾ فلما سمعوا منه ذلك خافوا أن يصيبهم بسقمه فتولوا عنه *﴿فراغ إلى آلهتهم﴾ فمال إليها *﴿فقال ألا تأكلون﴾ ما بين أيديكم من الطعام *﴿فما لكم لا تنطقون﴾ فلم لا تنطقون *﴿فراغ عليهم ضربا باليمين﴾ فمال عليهم يضربهم بيده اليمنى *﴿فأقبلوا إليه يزفون﴾ يسرعون *﴿قال أتعبدون ما تنحتون﴾ ما تنحتونه بأيديكم *﴿وما تعملون﴾ وما تعملونه من الاصنام *﴿قالوا ابنوا له بنيانا﴾ حائطا *﴿فألقوه فى الجحيم﴾ فى النار *﴿فأرادوا به كيدا﴾ مكرا *﴿فجعلناهم الأسفلين﴾ فأهلكناهم *﴿وقال إنى ذاهب إلى ربى﴾ إلى حيث أمرنى ربى *﴿سيهدين﴾ سيثبتنى *﴿رب هب لى من الصالحين﴾ ولدا صالحا *﴿فبشرناه بغلام حليم﴾ بإسماعيل *﴿فلما بلغ معه السعى﴾ أى مع أبيه فى أعماله *﴿قال يا بنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك﴾ أمر بذبحه فى المنام *﴿فانظر ماذا ترى﴾ فى أمر الذبح *﴿قال يا أبت افعل ما تؤمر﴾ فى أمر الذبح *﴿ستجدنى إن شاء الله من الصابرين﴾ على الذبح *﴿فلما أسلما﴾ انقادا لامر الله *﴿وتله للجبين﴾ صرعه على جبينه *﴿وناديناه أن يا إبراهيم﴾ أن لا تذبحه *﴿قد صدقت الرؤيا﴾ بالعزم على الذبح *﴿إنا كذلك نجزى المحسنين﴾ مثل ذلك الجزاء نجزى كل محسن *﴿إن هذا﴾ ما هذا *﴿لهو البلاء المبين﴾ الاختبار الظاهر *﴿وفديناه بذبح عظيم﴾ بكبش سمين *﴿وتركنا عليه فى الآخرين﴾ أبقينا عليه ثناء حسنا فى الآخرين *﴿سلام على إبراهيم﴾ يسلم عليه الملائكة ويدعون له *﴿كذلك نجزى المحسنين﴾ مثل ذلك الجزاء نجزى كل محسن *﴿إنه من عبادنا المؤمنين﴾ الذين آمنوا بالله ووحدوه *﴿وبشرناه بإسحاق﴾ بولادته *﴿نبيا من الصالحين﴾ من جملة الانبياء الصالحين *﴿وباركنا عليه وعلى إسحاق﴾ بالنبوة والخير *﴿ومن ذريتهما محسن﴾ مؤمن *﴿وظالم لنفسه﴾ كافر *﴿مبين﴾ ظاهر *﴿ولقد مننا على موسى وهارون﴾ بالنبوة *﴿ونجيناهما وقومهما﴾ من الغرق *﴿من الكرب العظيم﴾ من الغرق أو من أذى فرعون *﴿ونصرناهم﴾ على القبط *﴿فكانوا هم الغالبين﴾ على القبط *﴿وآتيناهما الكتاب المستبين﴾ التوراة *﴿وهديناهما الصراط المستقيم﴾ الدين القويم *﴿وتركنا عليهما فى الآخرين﴾ أبقينا عليهما ثناء حسنا فى الآخرين *﴿سلام على موسى وهارون﴾ يسلم عليهما الملائكة ويدعون لهما *﴿إنا كذلك نجزى المحسنين﴾ مثل ذلك الجزاء نجزى كل محسن *﴿إنهما من عبادنا المؤمنين﴾ الذين آمنوا بالله ووحدوه *﴿وإن إلياس﴾ هو ادريس جد نوح *﴿لمن المرسلين﴾ من جملة الرسل *﴿إذ قال لقومه﴾ حين دعاهم الى التوحيد *﴿ألا تتقون﴾ ألا تخافون الله *﴿أتدعون بعلا﴾ أتعبدون صنما اسمه بعل *﴿وتذرون أحسن الخالقين﴾ وتتركون عبادة أحسن الخالقين *﴿الله ربكم ورب آبائكم الأولين﴾ الله خالقكم وخالق آبائكم الاقدمين *﴿فكذبوه﴾ فى دعوته *﴿فإنهم لمحضرون﴾ فى النار *﴿إلا عباد الله المخلصين﴾ الذين أخلصهم الله للايمان *﴿وتركنا عليه فى الآخرين﴾ أبقينا عليه ثناء حسنا فى الآخرين *﴿سلام على إل ياسين﴾ يسلم عليه الملائكة ويدعون له *﴿إنا كذلك نجزى المحسنين﴾ مثل ذلك الجزاء نجزى كل محسن *﴿إنه من عبادنا المؤمنين﴾ الذين آمنوا بالله ووحدوه *﴿وإن لوطا﴾ هو ابن أخى ابراهيم *﴿لمن المرسلين﴾ من جملة الرسل *﴿إذ نجيناه وأهله أجمعين﴾ من العذاب *﴿إلا عجوزا﴾ هى امرأته *﴿فى الغابرين﴾ فى الباقين فى العذاب *﴿ثم دمرنا الآخرين﴾ أهلكنا الكافرين *﴿وإنكم لتمرون عليهم﴾ على ديارهم *﴿مصبحين﴾ وقت الصباح *﴿وبالليل﴾ وقت الليل *﴿أفلا تعقلون﴾ أفلا تتفكرون *﴿وإن يونس﴾ هو ابن متى *﴿لمن المرسلين﴾ من جملة الرسل *﴿إذ أبق﴾ هرب *﴿إلى الفلك المشحون﴾ السفينة المملوءة *﴿فساهم﴾ فقارع أهل السفينة *﴿فكان من المدحضين﴾ المغلوبين *﴿فالتقمه الحوت﴾ ابتلعه *﴿وهو مليم﴾ مذنب *﴿فلولا أنه كان من المسبحين﴾ من المصلين *﴿للبث فى بطنه﴾ فى بطن الحوت *﴿إلى يوم يبعثون﴾ الى يوم القيامة *﴿فنبذناه بالعراء﴾ فطرحناه بالفضاء *﴿وهو سقيم﴾ ناحل الجسم *﴿وأنبتنا عليه شجرة من يقطين﴾ من جنس ما لا ساق له كالقرع *﴿وأرسلناه إلى مائة ألف﴾ الى أهل نينوى *﴿أو يزيدون﴾ فى تقدير الآدمى *﴿فآمنوا﴾ بما جاء به *﴿فمتعناهم إلى حين﴾ الى انقضاء آجالهم *﴿فاستفتهم﴾ فاسأل أهل مكة *﴿ألربك البنات ولهم البنون﴾ قالوا الملائكة بنات الله *﴿أم خلقنا الملائكة إناثا﴾ فى تقدير الآدمى *﴿وهم شاهدون﴾ حاضرون خلقهم *﴿ألا إنهم من إفكهم﴾ من كذبهم *﴿ليقولون ولد الله﴾ الملائكة بنات الله *﴿وإنهم لكاذبون﴾ فى قولهم *﴿أصطفى البنات على البنين﴾ اختار البنات على البنين *﴿فما لكم كيف تحكمون﴾ فى قسمتكم *﴿أفلا تذكرون﴾ أفلا تتعظون *﴿أم لكم سلطان مبين﴾ حجة بينة *﴿فأتوا بكتابكم﴾ بالكتاب الذى فيه حجتكم *﴿إن كنتم صادقين﴾ فى قولكم *﴿وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا﴾ قالوا الله والجن أخوان *﴿ولقد علمت الجنة﴾ علمت الملائكة *﴿إنهم لمحضرون﴾ فى النار *﴿سبحان الله عما يصفون﴾ من الكذب *﴿إلا عباد الله المخلصين﴾ الذين أخلصهم الله للايمان *﴿فإنكم وما تعبدون﴾ أنتم والاصنام التى تعبدونها *﴿ما أنتم عليه بفاتنين﴾ بمضلين *﴿إلا من هو صال الجحيم﴾ إلا من قدر أنه يصلى الجحيم *﴿وما منا إلا له مقام معلوم﴾ ما منا أحد إلا له مكان معلوم فى السماء يعبد الله فيه *﴿وإنا لنحن الصافون﴾ الملائكة تصف أقدامها فى الصلاة *﴿وإنا لنحن المسبحون﴾ المصلون *﴿وإن كانوا﴾ إن كفار مكة *﴿ليقولون لو أن عندنا ذكرا من الأولين﴾ كتابا من كتب الأولين *﴿لكنا عباد الله المخلصين﴾ لاخلصنا العبادة لله *﴿فكفروا به﴾ بالذكر *﴿فسوف يعلمون﴾ عاقبة كفرهم *﴿ولقد سبقت كلمتنا﴾ وعدنا *﴿لعبادنا المرسلين﴾ بالنصر *﴿إنهم لهم المنصورون﴾ على أعدائهم *﴿وإن جندنا لهم الغالبون﴾ على أعدائهم *﴿فتول عنهم﴾ فأعرض عنهم *﴿حتى حين﴾ الى يوم بدر *﴿وأبصرهم﴾ ما يحل بهم *﴿فسوف يبصرون﴾ ما يحل بهم *﴿أفبعذابنا يستعجلون﴾ يستعجلون العذاب *﴿فإذا نزل بساحتهم﴾ بفنائهم *﴿فساء صباح المنذرين﴾ صباح الذين أنذروا فلم يؤمنوا *﴿وتول عنهم﴾ فأعرض عنهم *﴿حتى حين﴾ الى يوم بدر *﴿وأبصر فسوف يبصرون﴾ ما يحل بهم *﴿سبحان ربك رب العزة﴾ الغلبة *﴿عما يصفون﴾ من الكذب *﴿وسلام على المرسلين﴾ يسلم عليهم الملائكة ويدعون لهم *﴿والحمد لله رب العالمين﴾ على ما أنعم على المرسلين

(سورة والصافات مكية وهى مائة واحدى وثمانون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

والصافات صفها فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا ان الهكم لواحد رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب

وافصلها أو عكسى العكس وعلى تقديرها ان تجعل كل صفة لطائفة صفة ويكون التفاضل بين الطوائف اما على أن الاول هو الافضل أو على العكس انتهى كلامه (قلت) قد جوز أن يكون ترتبها فى التفاضل على أن الاول هو الافضل وعلى العكس ولم يبين وجه كل واحد منهما من حيث صنعة البديع ونحن نبينه فنقول وجه البداءة بالافضل الاعتناء بالاهم فقدم ووجه عكس هذا الترقى من الادنى الى الاعلى ومنه قوله

بالعلى هم جعفر وابن أمه * على ومنهم أحمد المتخير

ولا يقال ان هذا اغراق لان الواو لا تقتضى رتبة فان هذا غاية ليته عذر وما ذكرناه بيان لما فيه من مقتضى البديع والبلاغة وفى هذه الآية دلالة على مذهب سيبويه والخليل فى مثل والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى فانهما يقولان الواو الثانية وما بعدها عاطف وغيرهما يذهب الى أنها حروف قسم فوقوع الفاء فى هذه الآية هو موقع الواو التى واحد الا أن ما تزيده الفاء من ترتيبها دليل واضح على أن الواو الواقعة فى مثل هذا السياق للقسم

وان تلتثه فهى للدلالة على ترتيب الموصوفات فيه ومعنى توحيدها ان تعتقدان صنفا عاد ذكره فى التفاسير المذكورة جامع للصفات الثلاثة ويجوز أولى الصفات

(سورة والصافات مكية وهى مائة واحدى وثمانون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

والصافات صفها فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا ان الهكم لواحد رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب

وافصلها أو عكسى العكس وعلى تقديرها ان تجعل كل صفة لطائفة صفة ويكون التفاضل بين الطوائف اما على أن الاول هو الافضل أو على

* قوله تعالى وحفظا من كل شيطان مارد لا يسمعون (أبطل) أن يكون لا يسمعون صفة لان الحفظ من شيطان لا يسمع لا معنى له وأبطل أن يكون أصله لئلا يسمعوا فحذف اللام وحذفها كثير ثم حذف أن واهدر عملها مثل ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى * وان أشهد اللذات هل أنت مخلدي واستبعد اجتماع هذين الحذفين وان كل واحد منهما بانفراده سائغا ولما أبطل هذين الوجهين تعين عنده أن يكون ابتداء كلام اقتصاصا لما عليه أحوال المسترقة للسمع اه كلامه (قلت) كلا الوجهين مستقيم والجواب (٣٦٠) عن اشكاله الوارد على الوجه الاول أن عدم سماع الشيطان سببه الحفظ منه فحال الشيطان حال

وثاب وان أريدت الاسم فللاضافة وجهان أن تقع الكواكب بيانا للزينة لان الزينة مبهمة في الكواكب وغيرها كما تقول بهوان يراد ما زينت به الكواكب وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما زينة الكواكب بضوء الكواكب ويجوز أن يراد أشكالها المختلفة كشكل الثريا وبنات نعش والجوزاء وغير ذلك وحفظا نصبها وعساير هاوقرئ على هذا المعنى بزينة الكواكب بتنوين زينة وجر الكواكب على الابدال ويجوز في نصب الكواكب أن يكون بدلا من محل بزينة (وحفظا) محمول على المعنى لان المعنى انا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا من الشياطين كما قال تعالى وقدرناها لمن الصابرين وجعلناها رجوما للشياطين ويجوز أن يقدر الفعل المعلل كأنه قيل وحفظ (من كل شيطان) زيناها بالكواكب وقيل وحفظناها حفظا * والمارد الخارج من الطاعة المتملس منها والشيء في (لا يسمعون) لكل شيطان لانه في معنى الشياطين وقرئ بالتخفيف والتشديد وأصله يتسمعون والتسمع تطلب السماع يقال تسمع فسمع أو لم يسمع وعن ابن عباس رضي الله عنهما هم يتسمعون ولا يسمعون وبهذا يتصف التخفيف على التشديد (فان قلت) لا يسمعون كيف اتصل عا قبله (قلت) لا يخلو من أن يتصل عا قبله على أن يكون صفة لكل شيطان أو استئنافا فلا تصح الصفة لان الحفظ من شيطان لا يسمعون ولا يسمعون لا معنى له وكذلك الاستئناف لان حالا أو سؤالا لم تحفظ من الشياطين فأجيب بأنهم لا يسمعون لم يستقم فبقي أن يكون كلاما مقطوعا مبتدأ اقتصاصا لما عليه حال المسترقة للسمع وأنهم لا يقدرون أن يسمعوا الى كلام الملائكة أو يتسمعوا وهم معقودون بالشهب مدحورون عن ذلك * الا من أعمل حتى خطف خطفة واسترق استراقة فمنعت تعاجله الملائكة بأتباع الشهاب الثاقب (فان قلت) هل يصح قول من زعم أن أصله لئلا يسمعوا فحذفت اللام كما حذفت في قولك جئتك أن تكرمني فبقي أن لا يسمعوا فحذفت أن واهدر عملها كما قال قول القائل ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى (قلت) كل واحد من هذين الحذفين غير مردود على انفراده فأما اجتماعهما فمنكر من المنكرات على أن صون القرآن عن مثل هذا التعسف واجب (فان قلت) أي فرق بين سمعت فلانا يتحدث وسمعت اليه يتحدث وما الى حديثه (قلت) المعدى بنفسه يفيد الادراك بغير واسطة والمعدى بالى يفيد الادراك مع الاصغاء * والملأ الأعلى الملائكة لانهم يسكنون السموات والانس والجن هم الملأ الاسفل لانهم سكان الارض وعن ابن عباس رضي الله عنهما هم الكتبة من الملائكة وعنه أشراف الملائكة (من كل جانب) من جميع جوانب السماء من أي جهة صعد واللاستراق (دحورا) مفعول له أي ويقذفون للدحور وهو الطرد أو مدحورين على الحال أو لان القذف والطرد مستقاربان في المعنى فكأنه قيل يدحرون أو قذفا وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي بفتح الدال على قذفا دحورا لطرودا أو على أنه فتح عين المصدر الشمول والوقوع * والواصب الدائم وصب الامر وصوبا يعني أنهم في الدنيا معجوبون بالشهب وقد أعدهم في الآخرة وقوع من العذاب دائم غير منقطع (من) في محل الرفع بدل من الواو في لا يسمعون أي لا يسمع الشياطين الا الشيطان الذي (خطف الخطفة) وقرئ خطف بكسر الخاء والطاء وتشديدها وخطف بفتح الخاء وكسر الطاء

كونه محفوظا منه في حاله حال كونه لا يسمع واحدى الحالين لازمة للاخرى فلا مانع أن يجتمع الحفظ منه وكونه موصوفا بعدم السماع في حالة واحدة لا على ان عدم السماع ثابت قبل الحفظ بل معه وتسمو نظير هذه الآية على هذا التقدير

وحفظا من كل شيطان مارد لا يسمعون الى الملأ الاعلى ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب الا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب

قوله تعالى وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره فقوله تعالى مسخرات حال مما تقدمه العامل فيه الفعل الذي هو سخر ومعناه مستقيم لان تسخيرها يلزم كونها مسخرة فاطلق الذي تضمنت فيها هي الحال التي كانت فيها مسخرة لا على معنى تسخيرها مع كونها مسخرة قبل ذلك وما أشار له الزمخشري وتشديدها في هذه الآية قرينة من هذا التفسير الآتي ذكره مع قولا آخر كالمستشكل لهذا الوجه فقال مسخرات جمع مسخر مصدر سخر فجرى وجعل المعنى وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر أنواعا من التسخير وقد ذكرناه كفاية ومن هذا النمط ثم أرسلنا رسلنا وهم ما كانوا رسلا الا بالارسال وهو لا يسمعون الا بالحفظ وأما الجواب عن اشكاله الثاني فورود حذفين في مثل قوله تعالى بين الله لكم أن تضلوا أصله لئلا تضلوا فحذف اللام ولا جميعا من محلها

وتشديدها وأصلها الخطف * وقرئ فأتبعه وفاتبعه * الهمزة وان دخلت الى معنى التقرير فهى بمعنى الاستفهام فى أصلها فلذلك قيل (فاستفتهم) أى استخبرهم (أهم أشد خلقا) ولم يقل فقررهم والضمير لمشركى مكة قيل نزلت فى أبى الاشدين كلدة وكنى بذلك لشدة بطشه وقوته (أم من خلقنا) يريد ما ذكر من خلائقه من الملائكة والسموات والارض والمشارق والكواكب والشهب الثواقب والشياطين المردة وغلب أولى العقل على غيرهم فقال من خلقنا والدليل عليه قوله بعد عد هذه الاشياء فاستفتهم أهم أشد خلقا أم من خلقنا بالهاء المقيمة وقوله أم من خلقناه طاقات غيرة سد البيان اكتفاء ببيان ما قدمه كأنه قال خلقنا كذا وكذا من عجائب الخلق وبدائعه فاستفتهم أهم أشد خلقا أم الذى خلقناه من ذلك ويقطع به قراءة من قرأ أم من عددنا بالتخفيف والتشديد وأشد خلقا يحتمل أقوى خلقا من هو لهم شديد الخلق وفى خلقه شدة وأصعب خلقا وأشقه على معنى الرد لانكارهم البعث والنشأة الاخرى وأن من هان عليه خلق هذه الخلائق العظيمة ولم يصعب عليه اختراعها كان خلق البشر عليه أهون * وخلقهم (من طين لازب) اسم لما يلزق يعنى الصلصال والطين غير موصوف بالصلابة والقوة أو احتج عليهم بان الطين اللازب الذى خلقوا منه تراب فمن أين تستنكرون أن خلقوا من تراب مثله حيث قالوا أئذا كنا ترابا وهذا المعنى يعضده ما تلوه من ذكر انكارهم البعث ونسل من خلقنا من الامم الماضية وليس هذا القول على * وقرئ لازم ولا تستوالمعنى واحد * والتاء للتأنيث الاضافة (بل عجبت) من قدرة الله على هذه الخلائق العظيمة (و) هم (يسخرون) منك ومن تعجبك وما تريهم من آثار قدرة الله أو من انكارهم البعث وهم يسخرون من أمر البعث وقرئ بضم التاء أى بلغ من عظم آياتى وكثرة خلائقى أنى عجبت منها فكيف بعبادى وهم لا يعجبهم وعادتهم يسخرون من آياتى أو عجبت من أن ينكروا البعث مع هذه أدلته وهم يسخرون من ضعف الله القدرة عليه (فان قلت) كيف يجوز التعجب على الله تعالى وانما هو روعة تعترى الانسان عند استعظام ما لم يتقدمه الشئ والله تعالى لا يجوز عليه الروعة (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يجرد التعجب لمعنى الاستعظام والثانى أن يخيل التعجب ويفرض ويدخل الحديث بحبيبكم من أنكم وقومكم ومرعة اباتكم وكان شريحا يقرأ بالضم ويقول ان الله لا يعجب من شئ وانما يعجب من لا يعلم قال ابراهيم الصبى ان شريحا كان يقيمه على عبد الله أعنى عبد الله بن مسعود وكان يقرأ بالضم وقيل معناه قل بل تعجيل عجبت (واذا ذكروا) وذا بهم أنهم اذا وعظوا شيأ لا يتعظون به (واذا رأوا آية) من آيات الله البينة كانشقاق القمر ونحوه (يستسخرون) يبالغون فى السخرية أو يستدعى بعضهم من بعض أن يسخر منها (وآباؤنا) معطوف على محل ان واسمها أو على الضمير فى مبعوثون والذى جوز العطف عليه الفصل بهمزة الاستفهام والمعنى أيسمت أيضا آباؤنا على زيادة الاستبعاد بمعنون أنهم أقدم فبعثهم أبعد وأبطل وقرئ أو آباؤنا (قل نعم) وقرئ نعم بكسر العين وهما لغتان وقرئ قال نعم أى الله تعالى أو الرسول صلى الله عليه وسلم والمعنى نعم تبعثون (وأنتم داخرون) صاغرون (فانما) جواب شرط مقدر تقديره اذا كان ذلك فانما (هى الا زجرة واحدة) وهى لا ترجع الى شئ انما هى مبهمة موضحها خبرها ويجوز فانما البعثة زجرة واحدة وهى النفخة الثانية والزجرة الصيحة من قولك زجر الراعى الابل أو الغنم اذا صاح عليها فربعت لصوته ومنه قوله

زجر أبى عروة السباع اذا * أشفق أن يختلطن بالغنم

يريد تصويته بها (فاذا هم) أحياء بعد ما كانوا رفاتا (ينظرون) يحتمل أن يكون (هذا يوم الدين) الى قوله احشروا من كلام الكفرة بعضهم مع بعض وان يكون من كلام الملائكة لهم وان يكون بأولئك هذا يوم الدين كلام الكثرة و (هذا يوم الفصل) من كلام الملائكة تحوبا لهم يوم الدين اليوم الذى ندان فيه أى نجازى بأعمالنا يوم الفصل يوم القضاء والفرق بين فرق الهدى والضلال (احشروا) خطاب الله للملائكة أو خطاب بعضهم مع بعض (وأزواجهم) وضرباءهم عن النبى صلى الله عليه وسلم وهم نظراؤهم وأشباههم من العصاة أمثل الزنا مع أهل الزنا وأهل السرقة مع أهل السرقة وقيل قرناؤهم من الشياطين وقيل نساؤهم اللاتى على دينهم (فاهدوهم) عرفوهم طريق النار حتى يسلكوها * هذا مهم .. موقوف يعلم بالحق من التناصر بعدما كانوا

فاستفتهم أهم أشد خلقا أم من خلقنا انا خلقناهم من طين لازب بل عجبت ويسخرون واذا ذكروا لا يذكرون واذا رأوا آية يستسخرون وقالوا ان هذا الا سحر مبين أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أو آباؤنا الاولون قل نعم وأنتم داخرون فانما هى زجرة واحدة فاذا هم ينظرون وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين هذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذبون احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم وقفوهم انهم مسئولون مالكم لا تناصرون

بل هم اليوم مستسلمون و قبل بعضهم على بعض يتساءلون قالوا انكم كنتم تأتوننا عن اليمين قالوا بل لم تكونوا مؤمنين وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين فحق علينا قول ربنا انا لذائقون فاغويناكم انا كنا غاوين فانهم يومئذ في العذاب مشتركون انا كذلك نفعل بالمجرمين انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون و يقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون بل جاء بالحق وصدق المرسلين انكم لذائقوا العذاب الاليم وما تجزون الا ما كنتم تعملون الا عباد الله المخلصين أولئك لهم رزق معلوم فواكه وهم مكرمون في جنات النعيم على سرر متقابلين يطاف عليهم بكأس من معين

الى خلاف ذلك في الدنيا متعاضدين متناصرين (بل هم اليوم مستسلمون) قد أسلم بعضهم بعضا وخذله عن عجز فكأنهم مستسلم غير منتصر * وقرئ لا تتناصرون ولا تناصرون بالادغام * اليمين لما كانت أشرف العضوين وأمتنهما وكانوا يتيمنون بها ويباشرون بها الصالحين وعياسحون ويناولون ويتناولون ويزاولون أكثر الامور ويتشاءمون بالشمال ولذلك سموها الشؤمى كما سموا اختها اليمنى وتيمنوا بالسانح وتطيروا بالبارح وكان الاعسر معيبا عندهم وعضت الشريعة ذلك فأمرت بعبادة أفضل الامور باليمين وأراذلها بالشمال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب التيامن في كل شيء وجعلت اليمين لكاتب الحسنات والشمال لكاتب السيئات ووعد الحسرة أن يؤتى كتابه بشماله ولما سمي أن يؤتاه بشماله استعيرت لجهة الخير وجانبه فقيل أتاه عن اليمين أي من قبل الخير وناحيته فصده عنه وأضله وجاء في بعض التفاسير من أتاه الشيطان من جهة اليمين أتاه من جهة الدين فلبس عليه الحق ومن أتاه من جهة الشمال أتاه من قبل الشهوات ومن أتاه من بين يديه أتاه من قبل التكذيب بالقيامة والثواب والعقاب ومن أتاه من خلفه خوفه الفقر على نفسه وعلى من يخلف بعده فلم يصل رحما ولم يؤد زكاة (فان قلت) فهلم أتاه من جهة الخير وناحيته مجازا في نفسه فكيف جعلت اليمين مجازا عن المجاز (قلت) من المجاز ما غلب في الاستعمال حتى لحق بالحقائق وهذا من ذاك ولذلك أن جعلها استعارة للقوة والقهر لان اليمين موصوفة بالقوة وبها يبطش والمعنى أنكم كنتم تأتوننا من القوة والقهر وتقصدوننا عن السلطان والغلبة حتى تحملونا على الضلال وتقسروننا عليه وهذا من مخاطبة الاتباع لرؤسائهم والقوائل لشياطينهم (بل لم تكونوا مؤمنين) بل أبيتم أنتم الايمان وأعرضتم عنه مع تمكنكم منه بتكنكم مختارين له على الكفر غير ملجئين اليه (وما كان لنا عليكم) من تسلط فنسلبكم تمكنكم واختياركم (بل كنتم قوما) مختارين الطغيان (فحق علينا) نحن (قول ربنا انا لذائقون) معشر الغاوين (فأغويناكم) بما دعوناكم اليه (انا كنا غاوين) لما رأينا الغي فيكم فاخترناه لانفسنا (فانهم) أي الاتباع والمتبوعين جميعا (يومئذ) يوم القيامة (مشتركون في العذاب) كما كانوا مشتركين في الغواية (انا مثل ذلك الفعل (نفعل) بكل مجرم يعني أن سبب الغواية هو الاجرام فمن ارتكبه استوجبها (انهم كانوا اذا سمعوا بكلمة التوحيد نفروا وأبوا واستكبروا عنها وأبوا الا الشرك (لشاعر مجنون) يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم (بل جاء بالحق) رد عليهم في تكذيبهم (وصدق المرسلين) كقوله مصدقا لما بين يديه * وقرئ لذائقوا العذاب بالنصب على تقدير النون كقوله * ولا ذاكر الله الا قليلا * بتقدير النون * وقرئ على الاصل لذائقون العذاب (الا ما كنتم تعملون) الا مثل ما علمتم جزاء سيئ بمثل سيئ (الا عباد الله) ولكن عباد الله على الاستثناء المنقطع * فسر الرزق المعلوم بالفواكه وهي كل ما يتلذذ به ولا تقوت لفظ الصحة يعني أن رزقهم كله فواكه لانهم مستغنون عن حفظ الصحة بالاقوات بأنهم أجسام محكمة مخلوقة للابد فكل ما يأكلونه يأكلونه على سبيل التلذذ ويجوز أن يرادر زق معلوم منعوت بخصائص خلق عليها من طيب طعم ورائحة ولذة وحسن منظر وقيل معلوم الوقت كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وعن قتادة الرزق المعلوم الجنة وقوله في جنات يأباه وقوله (وهم مكرمون) هو الذي يتولاه العلماء في حد الثواب على سبيل المدح والتعظيم وهو من أعظم ما يجب أن تتوق اليه نفوس ذوي الهمم ثم أن من أعظم ما يجب أن تنفر عنه نفوسهم * وان أهل النار وصفارهم * التقابل أتم السرور وآنس وقيل لا ينظر بعضهم الى قفا بعض * يقال للزجاجة فيها الخمر كأس وتسمى الخمر نفسها كأسا قال * وكأس شربت على لذة * وعن الاخفش كل كأس في القرآن فهي الخمر وكذا في تفسير ابن عباس (من معين) من شراب معين أو من نهر معين وهو الجاري على وجه الارض الظاهر

للعيون

للعيون وصف بما يوصف به الماء لانه يجرى فى الجنة فى أنهار كما يجرى الماء قال الله تعالى وأنهار من خمر (بيضاء) صفة للكأس (لذة) اما أن توصف باللذة كأنها نفس اللذة وعينها أو هى تأنيث اللذيذ قال الشيخ فهو لذ لذيذ وزنه فعل كقولك رجل طب قال

ولذ كطعم الصرخدى تركته * بأرض العدا من خشية الحدثان

ويد النوم * الغول من غاله يغوله غولا اذا أهلكه وأفسده ومنه الغول الذى فى تكاذيب العرب وفى أمثالهم الخمر غول الحلوم (ينزفون) على البناء للمفعول من نزف الشارب اذا ذهب عقله ويقال للسكران نزيف ومنزوف ويقال للمطعون نزف فلان اذا نزح دمه كله ونزحت الركية حتى نزفها اذا لم تترك فيها ماء وفى أمثالهم أجبن من المنزوف ضرطا وقرئ ينزفون من أنزف الشارب اذا ذهب عقله أو شرابه قال

لعمرى لئن أنزفتموا أو صحوتم * لبئس الندامى كنتموا آل أبجرا

ومعناه صار ذا نزف ونظيره أقشع السحاب وقشعته الريح وأكب الرجل وكببته وحقيقتهما دخلا فى القشع والكب وفى قراءة طلحة بن مصرف ينزفون بضم الزاى من نزف يترف كقرب يقرب اذا سكر والمعنى لا فيها فساد قط من أنواع الفساد التى تكون فى شرب الخمر من مغص أو صداع أو خمار أو عربدة أو لمو أو تأثيم أو غير ذلك ولا هم يسكرون وهو أعظم مفاسدها فأفرده وأفرد بالذكر (قاصرات الطرف) قصرن أبصارهن على أزواجهن لا يعدون طرفا لى غيرهم كقوله تعالى عربا * والعين النجل العيون شبهن ببيض النعام المكنون فى الاحاجى وبه اشبه العرب النساء وتسمى بيضات الخدور (فان قلت) علام عطف قوله (وأقبل بعضهم على بعض) (قلت) على يطاف عليهم والمعنى يتمرون فيتحادثون على الشراب كعادة الشرب قال

وما بقيت من اللذات الا * أحاديث الكرام على المدام

فيقبل بعضهم على بعض (يتساءلون) عما جرى لهم وعليهم فى الدنيا الا أنه جىء به ماضيا على عادة الله فى أخباره * قرئ من المصدقين من التصديق ومن المصدقين مشدد الصاد من التصدق وقيل نزلت فى رجل تصدق بماله لوجه الله فاحتاج فاجتدى بعض اخوانه فقال وأنى لك قال تصدقت بمالى موضحى الله به فى الآخرة خيرا منه فقال أئنك لمن المصدقين يوم الدين أو من المتصدقين لطلب الثواب والله لا أعطيك شيأ (أئنا لمدينون) لمحزيون من الدين أو الجزاء أو لمسوسون من دانه يدينه ومنه الحديث العاقل من دان نفسه (قال) يعنى ذلك القائل (هل أنتم مطلعون) الى النار لأريكم ذلك القرين قيل ان فى الجنة كوى ينظر أهلها منها الى أهل النار وقيل القائل هو الله عز وجل وقيل بعض الملائكة يقول لأهل الجنة هل تحبون أن تطلعوا فتعلموا أين منزلتكم من منزلة أهل النار وقرئ مطلعون فاطلع وقرئ فاطلع بالتشديد على لفظ الماضى والمضارع المنصوب ومطلعون فاطلعوه وأطلع بالتخفيف على لفظ الماضى والمضارع المنصوب يقال طلع عليه الوالى واطلع وأطلع بمعنى واحد والمعنى هل أنتم مطلعون الى القرين فاطلع أنا فأبصره أو عرض عليهم الاطلاع فاعترضوه فاطلع هو بعد ذلك وان جعلت الاطلاع من أطلعه غيره فالمعنى أنعلمتم شرط فى اطلاعه اطلاعهم وهو من آداب المجالسة أن لا يستبد رئى دون جلسائه فكأنهم مطلعوه وقيل الخطاب على هذا للملائكة وقرئ مطلعون بكسر النون أراد مطلعون أياى فوضع المتصل موضع المنفصل كقوله * عم الفاعلون الخير والآمرونه * أو شبه اسم الفاعل فى ذلك بالمضارع لتأخر بينهما كأنه قال مطلعون وهو ضعيف لا يقع الا فى الشعر (فى سواء الجحيم) فى وسطها يقال تعبت حتى انقطع سوائى وعن أبى عبيدة قال لى عيسى بن عمر كنت أكتب يا أبا عبيدة حتى ينقطع سوائى (ان) مخففة من الثقيلة وهى تدخل على كاد كما تدخل على كان ونحوها ان كاد ليضلنا والازم هى الفارقة بينها وبين النافية * والارداء الاهلاك وفى قراءة عبد الله لتغوين (لنعمة ربى) هى العصمة والتوفيق فى الاستمساك بعروة الاسلام والبراءة من قرين السوء أو انعام الله بالثواب وكونه من أهل الجنة (من المحضرين) من الذين أحضروا العذاب كما أحضرته أنت وأمثالك * الذى عطفت عليه الفاء محذوف معناه أنحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين ولا معذبين وقرئ بمائتين والمعنى أن هذه حال المؤمنين وصفتهم

بمعناه لذة للشاربين لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون وعندهم قاصرات الطرف عين كأنهن بيض مكنون فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال قائل منهم انى كان لى قرين يقول أئنك لمن المصدقين أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون قال هل أنتم مطلعون فاطلع فرآه فى سواء الجحيم قال تالله ان كدت لتردين ولولا نعمة ربى لكنت من المحضرين أفما نحن بميتين الا موتتنا الاولى وما نحن بمعذبين

* قوله تعالى يطاف عليهم بكأس من معين الى قوله فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون (قال) فيه معناه يتساءلون متحادثون على الشراب كعادة الشرب وما بقيت من اللذات الا أحاديث الكرام على الشراب

* قوله تعالى هل أنتم مطلعون (قال) فأطلع على صيغة المضارع المنصوب قال فى موجب هذه القراءة ان معناها انه لا يستبد أحدهم دونهم فشرط فى اطلاعه اطلاعهم وذلك من آداب المجالسة

وما قضى الله به لهم بأعمالهم أن لا يذوقوا الا الموتة الاولى بخلاف الكفار فانهم فيما يتمنون فيه الموت كل
ساعة وقيل لبعض الحكماء ما شر من الموت قال الذى يتمنى فيه الموت يقوله المؤمن تحدثا بنعمة الله واغتباطا
بحاله وجمع من قرينه ليكون توبيخا له بزيه تعذيبا ليحكيه الله فيكون له لطما وزاجرا ويجوز أن يكون
قولهم جميعا وكذلك قوله (ان هذا لهو الفوز العظيم) أى ان هذا الامر الذى نحن فيه وقيل هو من قول الله
عز وجل تقريرا لقولهم وتصديقا له وقرئ انه والرزق العظيم وهو ما رزقوه من السعادة تشتهى فصة المؤمن
وقرينه ثم رجع الى ذكر الرزق المعلوم فقال (أذلك) الرزق (خير نزلا) أى خير حاصلا (أم شجرة الزقوم)
وأصل النزل الفضل والربح فى الطعام يقال طعام كثير النزل فاستعير للحاصل من الشئ وحاصل الرزق المعلوم
اللذة والسرور وحاصل شجرة الزقوم الالم والغم فانتصاب نزلا على التمييز وذلك أن تجعله حالا كما تقول أكرم النقلة
خير بلحا أم رطبا يعنى أن الرزق المعلوم نزل أهل الجنة وأهل النار نزلهم شجرة الزقوم فأيهما خير فى كونه
نزلا والنزل ما يقال للنازل بالمكان من الرزق ومنه انزال الجند لارزاقهم كما يقال لما يقام لساكن الدار السكنى
ومعنى الاول أن للرزق المعلوم نزلا وللشجرة الزقوم نزلا فأيهما خير نزلا ومعلوم انه لا خير فى شجرة الزقوم
ولكن المؤمنين لما اختاروا ما أدى الى الرزق المعلوم واختار الكافرون ما أدى الى شجرة الزقوم قيل لهم
ذلك توبيخا على سوء اختيارهم (فتنة للظالمين) محنة وعذابا لهم فى الآخرة أو ابتلاء لهم فى الدنيا وذلك أنهم
قالوا كيف يكون فى النار شجرة والنار تحرق الشجر فكذبوا وقرئ نابتة (فى أصل الجحيم) قيل منبتها فى قعر
جهنم وأغصانها ترتفع الى دركاتها * والطلع للنخلة فاستعير لما طلع من شجرة الزقوم من حملها المستعارة
لفظة أو معنى يشبه به رؤس الشياطين لدلالة على تناهيه فى الكراهة وقبح المنظر لان الشيطان مكروه
مستقبح فى طباع الناس لاعتقادهم أنه شر محض لا يخلطه خير فيتولون فى التصوير الصورة كأنه وجه شيطان
كأنهم رأس شيطان واذا صوروه للاطفال يجاؤا بصورته على أقبح ما يقدرونه لعلمهم أنهم اعتقدوا فى المثال
أنه خير محض لا شر فيه فشبهوا به الصورة المستقبحة قال الله تعالى ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم وهذا
تشبيه تخييلى وقيل الشياطين حية عرفاء لها صورة قبيحة المنظر هائلة جدا وقيل ان شجرا يقال له الاستن
خشنا منتاهى الى نكر الصورة يسمى ثمره رؤس الشياطين وما حسب العرب هذا الا من رؤس شياطين
الا قصد الى أحد التشبيهين ولكنه بعد التسمية بذلك رجع أصلا كالذى يشبه به (من اجلها) من الشجرة أى من
طلعها (فمالئون) بطونهم لما يغلبهم من الجوع الشديد أو يقسرون على أكلها وان كرهوها ليكون ذلك من
العذاب فاذا شبعوا غلبهم العطش فيشربون شرابا من غساق وحديد * شوبا أى مزاجا (من حميم) مشوى
وجوههم بقطع أمعاءهم كما قال فى صفة شراب أهل الجنة ومزاجه من تسنيم * وقرئ لشوبا لهم
وهو اسم ما يشاب به والاول تسمية بالمصدر (فان قلت) ما معنى حرف التراخى فى قوله ثم ان لهم عليها
لشوبا ثم ان مرجعهم (قلت) فى الاول وجهان أحدهما أنهم يملؤن البطون من شجر الزقوم
وهو مار يحرق بطونهم ويعطشهم فلا يستقون الا بعد مهلة تعذبا بذلك العطش ثم يستقون ماهو أحر وهو
الشراب المشوب بالحميم والثانى أنه ذكر الطعام بتلك الكراهة والبشاعة ثم ذكر الشراب بعدها أكرم وأشبع
لغائلة ثم للدلالة على تراخى حال الشراب عن حال الطعام وصيانة صفته لصفته فى الزيادة عليه ومعنى الثانى
أنهم يذهبون عن مقارهم ومنازلهم فى الجحيم وهى الاركات التى أسكنوها الى شجرة الزقوم فيأكلون الى
أن يملؤا ويستقون بعد ذلك ثم يرجعون الى دركاتهم ومعنى التراخى فى ذلك بين وقرئ ثم ان منقلبهم ثم ان
مصيرهم ثم ان منفذهم الى الجحيم * على استحقاقهم الموقوع فى تلك الشدائد كلها بتقليد الآباء فى الدين
واتباعهم اياهم على الضلال وترك اتباع الدليل * والاهراع الاسراع الشديد كأنهم يحثون حثا وقيل
السراع فيه شبيه بالرعدة (ولقد ضل قبلهم) قبل قومك قريش (منذرين) أنبياء حذروهم العواقب
(المنذرين) الذين أنذروا وحذروا أى أهلكوا جميعا (الا عباد الله) الذين آمنوا منهم وأخلصوا دينهم
أو أخلصهم الله لدينه على القراءتين * لما ذكر ارسال المنذرين فى الامم الخالية وسوء عاقبة المنذر

ان هذا لهو الفوز العظيم
لمثل هذا فليعمل العاملون أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم انا جعلناها فتنة للظالمين انها شجرة تخرج فى أصل الجحيم طلعها كأنه رؤس الشياطين فانهم لآكلون منها فمالئون منها البطون ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم ثم ان مرجعهم لالى الجحيم انهم ألفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون ولقد ضل قبلهم أكثر الاولين ولقد أرسلنا فيهم منذرين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين الا عباد الله المخلصين ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون ونجيناه وأهله من الكرب العظيم وجعلنا ذريته

ذلك ذكر نوح ودعائه اياه حين ايس من قومه * واللام الداخلة على نعم جواب قسم محذوف والخصوص بالمدح محذوف وتقديره فوالله لنعم المجيبون نحن ولجمع دليل العظمة والكبرياء والمعنى انا أجبناه أحسن الاجابة وأوصلها الى مراده وبغيته من نصرته على أعدائه والانتقام منهم بابلغ ما يكون (هم الباقين) هم الذين بقوا وحدهم وقد فنى غيرهم فقد روى أنه مات كل من كان معه في السفينة غير ولده أو هم الذين بقوا متناسلين الى يوم القيامة قال قتادة الناس كلهم من ذرية نوح وكان لنوح عليه السلام ثلاثة أولاد سام وحام ويافث فسام أبو العرب وفارس والروم وحام أبو السودان من المشرق الى المغرب ويافث أبو الترك ويأجوج ومأجوج (وتركنا عليه في الآخرين) من الامم هذه الكلمة وهي (سلام على نوح) يعني يسلمون عليه تسليما ويدعون له وهو من الكلام الحكي كقولك قرأت سورة أنزلناها (فان قلت) فما معنى قوله (في العالمين) (قلت) معناه الدعاء بثبوت هذه التحية فيهم جميعا وأن لا يخلو أحد منهم منها كأنه قيل ثبت الله التسليم على نوح وأدامه في الملائكة والثقلين يسلمون عليه عن آخرهم * علل مجازاة نوح عليه السلام بتلك التكرمة السنية من تعقيبة ذكره وتسليم العالمين عليه الى آخر الدهر بأنه كان محسنا ثم علل كونه محسنا بأنه كان عبدا مؤمنا على الريبك حلالة محل الايمان وأنه القصارى من صفات المدح والتعظيم ورغبا في تحصيله والازدياد منه (من شيعته) من شايعه على أصول الدين وان اختلفت غير أنهما وأشياعه على التصلب في دين الله ومصابرة الكفرة وجوز أن يكون بين شيعتهما اتفاق في أكثر الاشياء وعن ابن عباس رضي الله عنهما من أهل دينه وعلى سنته وما كان بين نوح وابراهيم الا نبيان هود وصالح وكان بين نوح وابراهيم ألفان وستمائة وأربعون سنة (فان قلت) هم يعلق الظرف (قلت) يعلق الشيعة من معنى المشايعة يعني وان من شايعه على دينه وتقواه حين جاء ربه بقلب سليم لابراهيم أو بمحذوف وهو اذكر (بقلب سليم) من جميع آفات القلوب وقيل من الشرك ولا معنى للتخصيص لانه مطلق فليس بعض الآفات أولى من بعض فيتناولها كلها (فان قلت) ما معنى المجيء بقلبه ربه (قلت) معناه أنه أخلص لله قلبه وعرق ذلك منه فضرب المجيء مثلا لذلك (أئفكا) مفعول له تقديره أتريدون آلهة من دون الله افكا والمراد تقديم المفعول على الفعل للعناية وتقدم المفعول له على المفعول به لانه كان الاهم عنده أن يكافحهم بانهم على افك وباطل في شركهم ويجوز أن يكون افكا مفعولا يعني أتريدون بها افكا ثم فسر الافك بقوله آلهة من دون الله على أنها افك في أنفسها ويجوز أن يكون حالا يعني أتريدون آلهة من دون الله آفكين (فما ظنكم) بمن هو الحقيق بالعبادة لانه من كان رب العالمين اسحق عليهم أن يعبدوه حتى تركتم عبادته الى عبادة الاصنام والمعنى انه لا يقترى وهم لا ظن ما يصدعن عبادته أو فما ظنكم به أي شيء هو من الاشياء حتى جعلتم الاصنام له أندادا وفما ظنكم بما هو فاعل بكم وكيف يعاقبكم وقد عبدتم غيره (في النجوم) في علم النجوم أو في كتابها أو في أحكامها وعن بعض الملوك أنه سئل عن منجم فقال حبب اليه النظر اليه وشجاع أنظر له وكتاب أنظر فيه كان النوم نجما من هؤلاء هم أنه استدل بامارة في علم النجوم على أنه يسقم (فقال اني سقيم) اني مشارف للسقم وهو الطاعون وكان أغلب الاسقام عليهم وكانوا يتحاشون العدوى ليتفرغوا عنه فيهربوا عنه الى عيدهم ويتركوه في بيت الاصنام ليس معه أحد فيفعل بالاصنام ما فعل (فان قلت) كيف جاز له أن يكذب (قلت) فقد جوزه بعض الناس في الحرب والقتيلة وارضاء الزوج والصلح بين المتخاصمين والمتهاجرين والصحيح أن الكذب حرام الا اذا عرض وورى والذي قاله ابراهيم عليه السلام معراض من الكلام ولقد قوى به أن من في عقله الموت سقيم وعنه المثل كفى بالسلامة داء وقول لبيد

فدعوت ربي بالسلامة جاهدا * ليحيني فاذا السلامة داء

وقيل مات رجل بخاة فالف عليه الناس وقالوا مات وهو صحيح فقال أعرابي أصحيح من الموت في عنقه وقيل (من سقم النفس الكفر بكم (فراغ الى آلهتهم) فذهب اليها في خفية من روغة الثعلب الى آلهتهم الى معناه أحد التي هي في زعمهم آلهة كقوله تعالى أئن شركائي الآتاكون مالكم لا تنطقون استهزاء بها

هم الباقين وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين ثم أغرقنا الآخرين وان من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون أئفكا آلهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم فتولوا عنه مدبرين فراغ الى آلهتهم فقال ألا تأكلون مالكم لا تنطقون

قوله تعالى والله خلقكم وما تعملون (قال) فيه يعني خلقكم وما تعملون من الاصنام كقوله بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن
فان قلت كيف يكون الشيء الواحد مخلوقا لله تعالى معمولا لهم * وأجاب بان هذا كما يقال عمل النجار الباب فالمراد عمل شكلها
لا جوهره وكذلك الاصنام جواهرها مخلوقة لله تعالى واشكالها وصورها معمولة لهم * فان قلت ما منعك أن تكون ما مصدرية
لا موصولة ويكون المعنى والله خلقكم وعملكم كما يقول الحبرة * وأجاب بان أقرب ما يبطل به هذا السؤال بعد بطلانه بالحجج العقلية أن
معنى الآية يأباه فان الله تعالى (٣٦٦) احتج عليهم بانه خلق العابد والمعبود فكيف يعبد المخلوق المخلوق على أن العابد منهما هو الذي

عمل صورة المعبود
* قال ولو قلت والله
خلقكم وعملكم لم يكن
للكلام طباق وشيء
آخر وهو ان قوله وما
تعملون شرحه في قوله
أتعبدون ما تنحتون
ولا مقال في ان ما هذه
موصولة فالتفرقة
بينهما تعسف وتعصب
* قال فان قلت أجعلها
موصولة ومعناها وما
تعملونه من أعمالكم

فراغ عليهم ضربا باليمين
فاقبلوا اليه يزفون قال
أتعبدون ما تنحتون
والله خلقكم وما تعملون
قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه

وحينئذ توافق الاولى
في أنها موصولة فلا
يلزمني التفرقة بينهما
وأجاب فقال بل الالزامان
في عنقك لا يفكهما الا
الاذعان للحق وذلك انك
ان جعلتها موصولة
فهي واقعة عندك على
المصدر الذي هو
جوهر الصنم وفي
ذلك قلب للنظم وتبتير

وباشطاطها عن حال عبدتها (فراغ عليهم) فاقبل عليهم مستخفيا كانه قال فضربهم (ضربا) لان راغ عليهم
بمعنى ضربهم أو فراغ عليهم بضربهم ضربا أو فراغ عليهم ضرب اليمين ضاربا وقرئ صفقا وسفتا ومعناهما
الضرب ومعنى ضربا (باليمين) ضربا شديدا قويا لان اليمين أقوى الجارحتين وأشدها وقيل بالقوة والمتانة
وقيل بسبب الحلف وهو قوله تالله لاكيدن أصنامكم (يزفون) يسرعون من زفيف النعام وهو يزفون من
أزف اذا دخل في الزفيف أو من أزفه اذا حمله على الزفيف أي يزف بعضهم بعضا ويزفون على البناء للمفعول
اي يحملون على الزفيف ويزفون من وزف يزف اذا أسرع ويزفون من زفاه اذا حمله كان بعضهم يزفوا
بعضا لتسارعهم اليه (فان قلت) بين هذا وبين قوله تعالى قالوا من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين قالوا سمعنا
فتى يذكرهم يقال له ابراهيم كالتناقض حيث ذكر ههنا أنهم أدبروا عنه خيفة المعدوي فلما أيسروه
بكسرهم أقبلوا اليه مبتدرين ليكفهوه ويوثموا به وذكر ثم أنهم سألوا عن الكاسر حتى قيل لهم سمعنا
ابراهيم يذمهم فلعله هو الكاسر في أحد عما أنهم شاهدوه يكسرها وفي الاخر انهم استدلوا بذمه على أنه
الكاسر (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يكون الذين أبصروه وزفوا اليه نفرا منهم دون جمهورهم
وكبرائهم فلما رجع الجمهور والعلية من عيدهم الى بيت الاصنام ليأكلوا الطعام الذي وضعوه عندها للتبرك
عليه ورأوها منكسورة اشمأزوا من ذلك وسألوا عن فعل هذا بها ثم لم يرض عليه أولئك النفر عبية صريحة ولكن
على سبيل التورية والتعريض بنوفهم سمعنا فتى يذكرهم يعني الصوارف والثاني أن يكسرها ويذهب
ولا يشعر بذلك أحد ثم يكون اقبالهم اليه يزفون بمدرجوعهم عن عيدهم وسؤالهم عن الكاسر وغيره
قالوا فاتوا به على أعين الناس (والله خلقكم وما تعملون) يعني خلقكم وخلق ما تعملونه من الاصنام كقوله
بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن أي فطر الاصنام (فان قلت) كيف يكون الشيء الواحد
مخلوقا لله معمولا لهم حيث أوقع خلقه وعملهم عليها جميعا (قلت) هذا كما يقال عمل النجار الباب والكرسي
وعمل الصائغ السوار والخلخال والمراد عمل أشكال هذه الاشياء وصورها دون جواهرها والاصنام
جواهر وأشكال خلق جواهرها الله وعملوا أشكالها الذين يشكلونها بانحتهم وحذقهم بعض
أجزائها حتى يستوي التشكيل الذي يريدونه (فان قلت) فما أنكرت أن تكون ما مصدرية لا موصولة
ويكون المعنى والله خلقكم وعملكم كما تقول الحبرة (قلت) أقرب ما يبطل به هذا السؤال بعد بطلانه بحجج
العقل والكتاب أن معنى الآية يأباه اباء جليا وينبو عنه نبوا ظاهرا وذلك أن الله عز وجل قد أقام
عليهم بيان العابد والمعبود جميعا خلق الله فكيف يعبد المخلوق المخلوق على ان العابد منهما هو الذي
صوره المعبود وشكله ولو لا ما قدمت أن يصور نفسه ويشكلها ولو قلت والله خلقكم وخلق عملكم لكان
محتجا عليهم ولا كان لكلامك طباق وشيء آخر وهو أن قوله ما تعملون ترجمة عن قوله ما تنحتون
في ما تنحتون موصولة لا محالة فيها فلا بد لك بها عن أحد الامرين متعصب لمذهبه من غير نظر في
البيان ولا تبصر لنظم القرآن (فان قلت) أجعلها موصولة حتى لا يلزمني ما ألزمت وأريد ما تعملونه
من أعمالكم (قلت) بل الالزامان في عنقك لا يفكهما الا الاذعان للحق وذلك انك وان جعلتها مصدرية انتهى كلامه (قلت) اذا جاء سيل الله ذهب بسيل معقل فنقول نتعين حملها على المصدرية وذلك موصولة
انهم لم يعبدوا هذه الاصنام من حيث كونها حجارة ليست مصورة فلو كان كذلك لم يتعاونوا في تصويرها ولا اختصوا بعباد تهم حجر
حجر فدل أنهم انما يعبدونها باعتبار أشكالها وصورها التي هي أثر عملهم ففي الحقيقة انهم عبدوا عملهم وسلمت الحجة عليهم بانهم مثل
أن المعبود مسكب العابد وهم * فدعاهم أن الحجة قائمة عليهم على تقدير أن تكون ما مصدرية أو صح قيامها وأيلغه فاذا أثبت

فليتتبع كلامه بالابطال أما قوله انها موصولة وان المراد بما هم فما عمل أشكل فالخلاف للظاهر فانه مستقر الى حذف مضاف في هو ضع اليأس يكون تقديره والله خلقكم وما تعملون شكله وصورته بخلاف توجيه أهل السنة فانه غير مفتقر الى حذف البتة ثم اذا جعل المعبود نفس الجوهر فكيف يطابق توبيخهم ببيان أن المعبود من عمل العابد مع موافقته لليست من عملهم فما هو من عملهم وهو الشكل ليس معبودا لهم على هذا التأويل وما هو معبودهم وهو جوهر الصنم ليس من عملهم فلم يستقم له قرار في أن المعبود على تأويله من عمل العابد وعلى ما قررناه يستقيم

موصولة قائلة في ارادتك بها الهل غير مخرج على المشركين كذلك وقد جئتها مصدرية وأيضا فانك قاطع بذلك الوصلة بين ما تعملون وما تنحتون حيث تخالف بين المرادين بهما فتريد بما تنحتون الاعيان التي هي الاصنام وبما تعملون المعاني التي هي الاعمال وفي ذلك فك النظم وتبتيره كما اذا جعلتها مصدرية (الجحيم) النار الشديدة الوقود وقيل كل نار على نار وجمر فوق جمر ففي جحيم * والمعنى أن الله تعالى غلبه عليهم في المنامين جميعا وأذلهم بين يديه أراد وا أن يفعلوه بالخليل فلقوه أنهم مما ألقوهم به في الجمر وقهروهم قالوا الى المكر فأبطل الله مكرهم وجعلهم الاذلين الاسفلين لم يقدروا عليه * أراد يذهابه الى ربه مهاجرته الى حيث أمره بالمهاجرة اليه من أرض الشام كما قال اني مهاجر الى ربي (سيهدين) سيرشدني الى ما فيه صلاح في ديني ويعصمني ويوفقني كما قال موسى عليه السلام كلا ان معي ربي سيهدين كان الله وعده وقال له سأهديك فأجرى كلامه على سنن موعد ربه أو نواه على عادة الله تعالى معه في هدايته وارشاده أو أظهر بذلك توكله ونفويضه أمره الى الله ولو قصد الرجاء والطمع لقال كما قال موسى عليه السلام عسى ربي أن يهديني سواء السبيل (هب لي من الصالحين) هب لي بعض الصالحين يريد الولد لان لفظ الهبة غلب في الولد وان كان قد جاء في الاخ في قوله تعالى ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيا قال عز وجل ووهبنا له اسحق ويعقوب ووهبنا له يحيى وقال علي بن أبي طالب لابن عباس رضي الله عنهم حين هنأه بولده علي أبى الاملاك تشكرت الواهب وبورك لك في الموهوب ولدلك رقمت التعمية جهة الله وبوهوب ووهب ووهوهب * وقد نطوت البشارة على ثلاث على أن الولد غلام ذكر وأنه يبلغ أوان الحلم وأنه يكون حليما رأى حلما أعظم من حلمه حين عرض عليه أبوه الذبح فقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين ثم استثنى لذلك وقيل ما نالت الانبياء عليهم السلام رتبة عالية تعتوبها بالحلم وذلك لغزارة وجوده ولقد نعت النبي ابراهيم في قوله ان ابراهيم لاواه حليم أواه منيب لان الحليم الذي شهدت بحلمه جاهليا * فلما بلغ أن يسعى مع أبيه في أشغاله وحوائجه (فان قلت) (معه) بم يتعلق (قلت) لا يخلو اما أن يتعلق بلغ أو بالسعي أو بمحذوف فلا يصح تعلقه ببلغ لاقتضائه بلوغهما معا حد السعي ولا بالسعي لان صلة المصدر لا تتقدم عليه فبقي أن يكون بيانا كأنه لما قال فلما بلغ السعي أي الحد الذي يقدر فيه على السعي قيل مع من فقال مع أبيه والسعي في اختصاص الاب أنه أرفق الناس به وأعطفهم عليه وغيره مرما عذب به في لاستعصاما فلا يحمله لانهم تحكم فوته ولم يصلب عوده وكان اذذاك ابن ثلاث عشرة سنة والمراد تعلق بضاعة سنه وتقلبه في حد الطفولة كان فيه من رصانة الحلم وصحة العقل ما جمره على احتمال تلك البلية العظيمة والاجابة بذلك الجواب الحكيم * أتى في المنام فقيل له اذبح ابنك ورؤيا الانبياء وحي كالوحي في اليقظة بهذا قال (اني أرى في المنام أني أذبحك) فذكر تأويل الرؤيا كما يقول المحسن وقد رأى أنه راكب في سفينة رأيت في المنام أني تاج من هذه المحنة وقيل رأى ليلة التروية كان قائلا يقول له ان الله يأمرك بذبح ابنك هذا فلما أصبح روى في ذلك من الصباح الى الرواح أمن الله هذا الحلم أو من الشيطان فمن ثم سمي يوم التروية فلما أمسى رأى مثل ذلك فعرف أنه من الله فمن ثم سمي يوم عرفة ثم رأى مثله في الليلة الثالثة فهم بنحره فمن ثم سمي اليوم يوم النحر وقيل ان الملائكة حين بشرته بغلام حليم قال هو اذن ذبيح الله فلما ولد وبلغ حد السعي معه قيل له أوف بنذرك (فانظر ماذا ترى) من الرأي على وجه المشاورة وقرئ ماذا ترى أي ماذا تبصر من أيلة وتبديه وماذا ترى على البناء للمفعول أي ماذا تريه نفسك من الرأي (افعل ما تؤمر) أي ما تؤمر به حذف الجار ثم حذف من قوله * أمرتك الخير فافعل ما أمرت به * أو أمرك على اضافة المصدر الى المفعول

في الجحيم فاراد وابه كيدا فجعلناهم الاسفلين وقال اني ذاهب الى ربي سيهدين رب هب لي من الصالحين فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعي قال يابني اني أرى في المنام اني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين فلما أسلما

وأما قوله ان المطابقة تتعلق على تأويل أهل السنة بين ما تنحتون وما تعملون فغير صحيح فان لنا أن نجعل الاولى على أنها مصدرية وانهم في الحقيقة انما عبدوا نحتهم لان هذه الاصنام وهي حجارة قبل النحت

لكونوا يعبدونها فلما عملوا فيها النحت عبدوها في الحقيقة ما عبدوا سوى نحتهم الذي هو عملهم فالمطابقة اذا ما صلة والالزام على هذا تام وأمت ولو كان كما قال لقامت لهم الحجة ولقالوا يا يقول الزمخشري مكافحين لقوله والله خلقكم وما تعملون أن يقولوا الا ولا كرامة لا يخلق الله ما نعمل نحن لانا انما عملنا التشكيل والتصوير وهذا لم يخلقه الله وكانوا يجحدون الذريعة الى اقتحام الحجج بأن الله

وتسمية المأمور به أمرا وقرئ ما تؤمر به (فان قلت) لم شاوره في أمر هو حتم من الله (قلت) ليشاوره ليرجع الى رأيه ومشورته ولكن ليعلم ما عنده فيما نزل به من بلاء الله فيثبت قدمه ويصبره ان جزع وأمن عليه الزلل ان صبر وسلم وليعلمه حتى يراجع نفسه فيوطنها ويهون عليها ويلقى البلاء وهو كالمستأنس به ويكتسب المثوبة بالانقياد لامر الله قبل نزوله ولان المفاجئة بالذبح مما يستوحش وليكون سنة في المشاورة فقد قيل لو شاور آدم الملائكة في أكله من الشجرة لما فرط منه ذلك (فان قلت) لم كان ذلك بالمنام دون اليقظة (قلت) كما أرى يوسف عليه السلام سجود أبويه واخوته له في المنام من غير وحي الى أبيه وكما وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم دخول المسجد الحرام في المنام وماسوى ذلك من صنامات الانبياء وذلك لتقوية الدلالة على كونهم صادقين مصدوقين لان الحال اما حال يقظة أو حال منام فاذا تظاهرت أدلة الحالتان على الصدق كان ذلك أقوى للدلالة من انفراد أحدهما ﴿ يقال سلم لامر الله وأسلم واستسلم بمعنى واحد وقد قرئ بهن جميعا اذا انقاد له وخضع وأصله امن قولك سلم هذا الفلان اذا خلص له وصفا سلم من أن ينازع فيه وقولهم سلم لامر الله وأسلم له منقولان منه وحقيقة معناها أخلص نفسه لله وجعلها سالمة له خالصة وكذلك معنى استسلم استخلص نفسه لله وعن قتادة في أسلما أسلم هذا ابنه وهذا نفسه ﴿ وتله للجبين ﴾ صرعه على شقه فوقع أحد جبينيه على الارض تواضعا على مباشرة الامر بصبر وجلد ليرضيا الرحمن ويخزيا الشيطان وروى أن ذلك كان عند الجمرة التي بمنى وعن الحسن في الموضع المشرف على مسجد منى وعن الهالك في المنحر الذي يضرفيه اليوم (فان قلت) أين جواب لما (قلت) هو محذوف تقديره فلما أسلما وتله للجبين (وناديناه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا) كان ما كان مما تنطق به الحال ولا يحيط به الوصف من استبشارهما واغتباطهما وحمد الله وشكرهما على ما انتهى به عليهما من دفع البلاء العظيم بعد حلوله وما اكتسبا في تضاعيفه بتوطين النفس عليه من الثواب والاعواض ورضوان الله الذي ليس وراءه مطلوب وقوله (انا كذلك نجزي المحسنين) تعليل للتحويل ما تحولهما من الفرج بعد الشدة والظفر بالبغية بعد اليأس (البلاء المبين) الاختبار البين الذي يتميز فيه المخلصون من غيرهم أو المحنة البينة الصعوبة التي لا محنة أصعب منها * الذبح اسم ما يذبح وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو الكبش الذي قربه هابيل فقبل منه وكان يرعى في الجنة حتى فدى به اسمعيل وعن الحسن فدى بوعل أهبط عليه من ثبير وعن ابن عباس لو تمت تلك الذبيحة لكانت سنة وذبح الناس أبناءهم (عظيم) صعب أليم بين وهي السنة في الاضاحي وقوله عليه السلام استنوفي اضحاياكم فانها على الصراط مطاياكم وقيل لانه وقع فداء عن ولد ابراهيم وروى أنه هرب من ابراهيم عليه السلام عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى أخذه فبقيت سنة في الرمي وروى أن رمي الشيطان حين تعرض له بالوسوسة عند ذبح ولده وروى أنه لما ذبحه قال جبريل الله أكبر الله أكبر فقال الذبيح لا اله الا الله والله أكبر فقال ابراهيم عليه السلام الله أكبر ولله الحمد فبقي سنة وحكي في قصة الذبح أنه حين أراد ذبحه قال يا بني اخذا لحبل والمدية وانطلق بنا الى الشعب فحطب فلما توسط الشعب شيرا خبره بما أمر فقال له اشدد رباطي لا أضطرب واكفف عني ثيابك لا ينتضح عليها شيء من دمي فتنقص أجري وتراه أمي فتحزن وأحد شفرتك وأسرع امرارها على حلقي حتى تجهز علي ليكون أهون فان الموت شديد واقرأ على أمي سلامي وان رأيت أن ترد قميصي على أمي فافعل فانه عسى أن يكون أسهل لها فقال ابراهيم عليه السلام نعم العون أنت يا بني على أمر الله ثم أقبل عليه يقبله وقد ربط يديه ورجليه ثم وضع السكين على حلقه فلم تعمل لان الله ضرب صفيحة من نحاس على حلقه فقال له كبني على وجهي فانك اذا نظرت وجهي رحمتني وأدركتك رقة تحول بينك وبين أمر الله ففعل ثم وضع السكين على قفاه فانقلب السكين ونودي يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا فنظر فاذا جبريل عليه السلام معه كبش أقرن أملح فكبر جبريل والكبش وابراهيم وابنه وأتى المنحر من منى فذبحه وقيل لما وصل موضع المسجد رمى الى الارض بالفرج وقد استشهد أبو حنيفة رحمه الله بهذه الآية على أن نذر ذبح ولده أنه يلزمه ذبح شاة (فان قلت) من كان الذبيح من ولديه (قلت) قد اختلف فيه فعن ابن عباس وابن عمر ومحمد بن كعب القرظي

وتله للجبين وناديناه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزي المحسنين ان هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم وتركنا عليه في الآخرين سلام على ابراهيم

الا أن تكون لنا الحجة البالغة ولهم الاكاذيب الفارغة فهذه الزام بل الهام ان خالف السنة وعمل بمقتضاه وعمر مكانه وشرب على يده حتى يرجع الى الحق آيبا ويعترف بخطئه تائبا

* قوله تعالى قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزي المحسنين ان هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم (قال) فيه فان قلت قد أوحى الى ابراهيم في المنام أن يذبح ولده ولم يذبح وقيل له قد صدقت الرؤيا وانما كان تصديقها الوضع منه الذبح ولم يصح * فاجاب بأنه قد بذل وسعه وفعل ما يفعله الذابح من بطحه على شقه واحرار الشفرة على حلقه ولكن الله سبحانه منع الشفرة أن تمضي فيه وهذا لا يقدح في فعل ابراهيم ألا ترى انه لا يسمى عاصيا ولا مفرطا بل يسمى مطيعا وجيها كما لو مضت فيه الشفرة وفرت الاوداج وانهرت الدم وليس هذا من ورود النسخ على الأمور قبل الفعل ولا قبل أوان الفعل في شئ كما يسبق الى بعض الاوهام (٣٦٩) حتى يشتغل بالكلام عليه

وجماعة من التابعين أنه اسمعيل والحجة فيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنا ابن الذبيحين وقال له أعرابي يا ابن الذبيحين فتبسم فسئل عن ذلك فقال ان عبد المطلب لما حفر بئر زمزم نذر لله لئن سهل الله له أمرها ليذبحن أحد ولده فخرج السهم على عبد الله فمنعه أخواله وقالوا له افد ابنك عائة من الابل ففداه عائة من الابل والثاني اسمعيل وعن محمد بن كعب القرظي قال كان مجتهد بني اسرائيل يقول اذا دعا اللهم الله ابراهيم واسمعيل واسرائيل فقال موسى عليه السلام يا رب ما لمجتهد بني اسرائيل اذا دعا قال اللهم الله ابراهيم واسمعيل واسرائيل والثابتين أظهرهم فما أسمعتني كلامك واصطفيتني برسالتك قال يا موسى لم يحبني أحد حب ابراهيم قط ولا خير يفني وبين شئ قط الا استثنى وأما اسمعيل فانه جاد بدمه نفسه وأما اسرائيل فانه لم ييأس من روحي في شدة نزلت به قط ويدل عليه أن الله تعالى لما أتم قصة الذبح قال وبشرناه باسحق نبيا وعن محمد بن كعب أنه قال لعمر بن عبد العزيز هو اسمعيل فقال عمر ان هذا شئ ما كنت أنظر فيه وانى لارى كما قلت ثم أرسل الى يهودي قد أسلم فسأله فقال ان اليهود لتعلم أنه اسمعيل ولكنهم يحسدونكم معشر العرب ويدل عليه أن قرني الكبش كانا معلقين في الكعبة في أيدي بني اسمعيل الى أن احترق البيت وعن الاصمعي قال سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح فقال يا أصمعي أين عزب عنك عقلك ومتى كان اسحق بمكة وانما كان اسمعيل بمكة وهو الذي بنى البيت مع أبيه والحجر بمكة وعمايدل عليه أن الله تعالى وصفه بالصبر دون أخيه اسحق في قوله واسمعيل وادريس كل من الصابرين وهو صبره على الذبح ووصفه بصدق الوعد في قوله انه كان صادق الوعد لانه وعد أباه الصبر من نفسه على الذبح فوفى به ولان الله بشره باسحق وولده يعقوب في قوله فضحكت فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فلو كان الذبح اسحق لكان خلف الوعد في يعقوب وعن علي بن أبي طالب وابن مسعود وابن عباس وعطاء وعكرمة وجماعة من التابعين أنه اسحق لحجة فيه أن الله تعالى أخبر عن خليله ابراهيم حين هاجر الى الشام بأنه استوهبه ولدا ثم اتبع ذلك البشارة بغلام حليم ثم ذكر رؤياه بذبح ذلك الغلام للبشير به ويدل عليه كتاب يعقوب الى يوسف من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله (فان قلت) قد أوحى الى ابراهيم صلوات الله عليه في المنام بأن يذبح ولده ولم يذبح وقيل له قد صدقت الرؤيا وانما كان تصديقها الوضع منه الذبح ولم يصح (قلت) قد بذل وسعه وفعل ما يفعل الذابح من بطحه على شقه واحرار الشفرة على حلقه ولكن الله سبحانه منع الشفرة أن تمضي فيه وهذا لا يقدح في فعل ابراهيم عليه السلام ألا ترى أنه لا يسمى عاصيا ولا مفرطا بل يسمى مطيعا وجيها كما لو مضت فيه الشفرة وفرت الاوداج وانهرت الدم وليس هذا من ورود النسخ على الأمور قبل الفعل ولا قبل أوان الفعل في شئ كما يسبق الى بعض الاوهام حتى يشتغل بالكلام عليه (فان قلت) الله تعالى هو المنتدى منه لانه الآمر بالذبح فكيف يكون فاديا معنى قال وفديناه (قلت) الفادي هو ابراهيم عليه الصلاة والسلام والله عز وجل وهب له الكبش ليفدي به وانما قال وفديناه اسناد الفداء الى السبب الذي هو الممكن من الفداء بمنته (فان قلت) فاذا كان ما أتى به ابراهيم من البطح واحرار الشفرة في حكم الذبح فما معنى الفداء وانما هو التخليص من الذبح بدل (قلت) انما يتم لله ان حقيقة

انتهى كلامه (قلت) كل ما ذكر ذلك سؤل امتناع النسخ قبل التمكن من الفعل وتلك قاعدة المعتزلة وأما أهل السنة فيجيزون جوازه لان التكليف ثابت قبل التمكن من الفعل فجاز رفعه كالموت وأيضا فكل نسخ كذلك لان القدرة على الفعل عندنا مقارنة لا متقدمة ثم يثبتون وقوعه بهذه الآية ووجه الدليل منها ان ابراهيم عليه السلام أمر بالذبح بدليل افعل ما تؤمر ونسخ قبل التمكن بدليل العدول الى الفداء ثم تقوم الزمخشري على انه عمل غاية وسعه من بطحه على شقه واحرار الشفرة على حلقه وانما امتنعت بأمر من الله تعالى وعرضه بذلك أحد أمرين اما أن يكون الامر انما توجه عليه بمقدمات الذبح

وقد حصلت الا نفس الذبح أو توجه الامر بنفس الذبح وتماطيه ولكن لم يتمكن وكلا الامرين لا يخلصه أما قوله أمر بمقدمات الذبح فباطل بقوله انى أرى في المنام أني أذبحك وقوله افعل ما تؤمر وأما قوله لم يتمكن لان الشفرة منعت بأمر من الله تعالى بعد تسليم الامر بالذبح فحاصله انه لم يتمكن من الذبح المأمور به فكان النسخ اذا قبل التمكن وهو عين ما أنكره المعتزلة ولما لم يكن في هذين الجوابين لهم الخلاص بل أبعدهم الى تسليم انه أمر بالذبح ودعوى أنه ذبح ولكنه كان يلتئم وهو باطل لانبوت له وسياق الآية يحيل دعواه ويقتل ثناياه

الذبح لم تحصل من فرى الاوداج وانهار الدم فوهب الله له الكبش ليقيم ذبحه مقام تلك الحقيقة حتى لا تحصل تلك الحقيقة فى نفس اسمعيل ولكن فى نفس الكبش بدلا منه (فان قلت) فأى فائدة فى تحصيل تلك الحقيقة وقد استغنى عنها بقيام ما وجد من ابراهيم مقام الذبح من غير نقصان (قلت) الفائدة فى ذلك أن يوجد ما منع منه فى بدله حتى يكمل منه الوفاء بالمنذور وايجاد المأمور به من كل وجه (فان قلت) لم قيل ههنا (كذلك نجزى المحسنين) وفى غيرها من القصص انا كذلك (قلت) قد سبقه فى هذه القصة انا كذلك فكانما استغنى بطرحها اكتفاء بذكره مرة عن ذكره ثانية (نبيا) حال مقدرة كقوله تعالى فادخلوها خالدين (فان قلت) فرق بين هذا وبين قوله فادخلوها خالدين وذلك أن المدخول موجود مع وجود الدخول والخلود غير موجود معهما فقدرت مقدرين لتخلو فكان مستقبلا وليس كذلك المبشر به فانه معدوم وقت وجود البشارة وعدم المبشر به أوجب عدم حاله لاستحالة ان الحال حلية والحلية لا تقوم الا بالمحلى وهذا المبشر به الذى هو اسحق حين وجد لم توجد النبوة أيضا بوجوده بل تراخت عنه مدة متطاولة فكيف يجعل نبيا حالا مقدرة والحال صفة الفاعل أو المفعول عند وجود الفعل منه أو به فالخلود وان لم يكن صفتهم عند دخول الجنة فتقديرها صفتهم لان المعنى مقدرين الخلود وليس كذلك النبوة فانه لا سبيل الى أن تكون موجودة أو مقدرة وقت وجود البشارة باسحق لعدم اسحق (قلت) هذا سؤال دقيق السلك ضيق المسلك والذى يحل الاشكال أنه لا بد من تقدير مضاف محذوف وذلك قولك وبشرناه بوجود اسحق نبيا أى بأن يوجد مقدرة نبوته فالعامل فى انحال الوجود لا فعل البشارة وبذلك يرجع تفسير قوله تعالى فادخلوها خالدين (من الصالحين) حال ثانية وورودها على سبيل الثناء والتقريظ لان كل نبى لا بد أن يكون من الصالحين وعن قتادة فسر الله بنبوة اسحق بعد ما امتحنه بذبحه وهذا جواب من يقول الذبح اسحق لمجيئه عن تعلقه بقوله وبشرناه باسحق قالوا ولا يجوز أن يبشره الله بمولده ونبوته معا الان الامتحان يدحضه لا يصح مع علمه بأنه سيكون نبيا (ويباركنا عليه وعلى اسحق) وقرئ وبرّكنا أى أفضنا عليهما بركات الدين والدنيا كقوله وآتيناه أجره فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين وقيل باركنا على ابراهيم فى أولاده وعلى اسحق بأن أخرجنا أنبياء بنى اسرائيل من صلبه وقوله (وظالم لنفسه) نظيره قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين وقد نبه على أن الخبث والطيب لا يجرى أمرهما على العرق والعنصر فقد يدله النار الفاجر والفاجر البر وهذا عليهم دام أمر الطبائع والعناصر وعلى أن النظام فى أعقابهم لم يبعد على ما يعيب ولا نقيصة وان المرء انما يعاب بسوء فعله ويعاتب على ما استرجحت به الاعلى ما وجد من أصله أو فعله (من الكرب العظيم) من الغرق أو من سلطان فرعون وقومه وغشومهم (ونصرناهم) الضمير لهارون والقوم هم الذين عناهم فى قوله وتجيناهما وقومهما من الكرب المستبين) البليغ فى بيانه وهو التوراة فان قلت انما أنزلت التوراة فيما هدى ونور وقال من جنوبها أن تكون التوراة عربية أن تشتق من وري الزند فوعلة منه على أن التاء مبدلة من واو (الصراط المستقيم) صراط أهل الاسلام وهى صراط الذين أنعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين * قرئ الياس بكسر الهمزة والياس على لفظ الوصل وقيل هو ادريس الذى وقرأ ابن مسعود وان ادريس فى موضع الياس وقرئ ادراسين وقيل هو الياس بن ياسين من ولد هرون أخى موسى (أتدعون بعلا) أتعبدون بعلا وهو علم لصنم كان لهم سمّوه وقيل وقيل كان من ذهب وكان طوله عشرين ذراعا وله أربعة أوجه فتنوا به وعظموه حتى أخدموه أربعمائة سادن وجعلوهم أنبياءه فكان الشيطان يدخل فى جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها ويعلمونها الناس وهم أهل بعلبك من بلاد الشام وبها سميت مدينتهم بعلبك وقيل البعل بلغة اليمن يقال من بعل هذه الدار أى من ربها والمعنى أتعبدون بعض البعول وتتركون عبادة الله (الله ربكم وربّ آبائكم) قرئ بالرفع على الابتداء وبالنصب على البدل وكان حمزة اذا وصل نصب واذا وقف رفع * وقرئ على الياسين وادراسين وادراسين على لغة من لغات فى الياس وادريس ولعل زيادة الياء والنون فى السريانية معنى وقرئ على الياسين بالوصل على أنه جمع يراد به الياس وقومه كقولهم الخيبون والمهلبون (فان قلت) فهلا حملت ع

هذا الياسين على القطع واخوانه (قلت) لو كان جمع العرف بالالف واللام وأما من قرأ على آل ياسين فعلى أن ياسين اسم أبي الياس أضيف اليه الآل (مصبحين) داخلين في الصباح يعني تمرّون على منازلهم في متاجركم الى الشام ليلا ونهارا افلا تعقلون عقول تعتبرون بها * قرئ يونس بضم النون وكسرها * وسمي هربه من قومه بغير اذن ربه اباقا على طريقة المجاز * والمساهمة المقارعة ويقال لسهم القوم اذا اقترعوا * والمدحض المغلوب المقروع وحقيقته المزلق من مقام الظفر والغلبة وروي أنه حين ركب في السفينة وقفت فقالوا ههنا عبد آبق من سيده وفيما يزعم المحاربون أن السفينة اذا كان فيها آبق لم تجر فاقترعوا فخرجت القرعة على يونس فقال أنا الآبق وزج بنفسه في الماء (فالتقمه الحوت وهو مليم) داخل في الملامة يقال رب لائم مليم أي يلوم غيره وهو أحق منه باللوم وقرئ مليم بفتح الميم من ألم فهو مليم كما جاء مشيب في مشوب مبنيا على شيب ونحوه مدعى بناء على دعي (من المسبحين) من الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح والتقديس وقيل هو قوله في بطن الحوت لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين وقيل من المصلين وعن ابن عباس كل تسبيح في القرآن فهو صلاة وعن قتادة كان كثير الصلاة في الرخاء قال وكان يقال ان العمل الصالح يرفع صاحبه اذا عثر واذا صرع وجد متكأ وهذا ترغيب من الله عز وجل في اكثار المؤمن من ذكره بما هو أهله واقباله على عبادته وحمع همه لتقييد نعمته بالشكر في وقت المهلة والفسحة لينفعه ذلك عنده تعالى في المضايق والشدائد (للبث في بطنه) الظاهر لبثه فسحيا الى يوم البعث وعن قتادة لكان بطن الحوت له قبرا الى يوم القيامة وروي أنه حبس ابتلاه أوحى الله الى الحوت اني جعلت بطنك له سجنا ولم أجعله لك طعاما واختلف في مقدار لبثه فمن الكلبي أربعون يوما وعن عطاء سبعة وعن بعضهم ثلاثة وعن الحسن لم يلبث الا قليلا ثم أخرج من بطنه بعد الوقت الذي التقم فيه * وروي أن الحوت سار مع السفينة رافعا رأسه يتنفس فسمع يونس ويسبح ولم يفارقهم حتى انتهوا الى البر فلفظه سالما بتغير منه شيء فاسلموا وروي أن الحوت قذفه بساحل قريبة من الموصل * والعراء المكان الخالي لا شجر فيه ولا شيء يغطيه (وهو سقيم) اعتل عاد حتى سقروي أنه عاد بدنه كبدن الصبي حين يولد * والمنظل كل ما يدسح على وجه الارض ولا يقوم على ساق كشجرة البطيخ والقثاء والمنظل وهو يفعل من قطن بالمكان اذا أقام به وقيل هو الدباء وفائدة الدباء أن الذباب لا يجتمع عنده وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك لتحب القرع قال أجل هي شجرة أخي يونس وقيل هي التين وقيل شجرة الموز تغطي بورقها واستظل بأغصانها وأفطر على ثمارها وقيل كان يستظل بالشجرة وكانت وعلة تختلف اليه فتشرب من لبنها وروي أنه مر زمان على الشجرة فيبست فبكى جزعا فأوحى الله اليه بكيت على شجرة ولا تبكي على مائة ألف في يد الكافر (فان قلت) ما معنى وأنبتنا عليه شجرة (قلت) أنبتها ابتداء وقد مر نظائره كما يطنب البيت على الانسان (وأرسلناه الى مائة ألف) المراد به ما سبق من ارساله الى قومه وهم أهل نينوى وقيل هو ارسال ثان وهو الذي جرى عليه الاولون أو الى غيرهم وقيل أرسلوا فسألوه أن يرجع اليهم فأبى لان النبي اذا هاجر عن قومه لم يرجع اليهم مقيما فيهم وقال لهم ان الله باعث الكم نبيا (أو يزيدون) في مرأى الناظر أي اذا رآها الرائي قال هي مائة ألف أو أكثر والغرض الوصف بالكثرة (الى حين) الى أجل مسمى وقرئ ويزيدون بالواو وحتى حين (فاستفتهم) معطوف على مثله في أول السورة وان تباعدت بينهما المسافة أمر رسوله بأن يستفتيهم عن وجه انكارهم البعث أولا ثم ساق الكلام موصولا بعضه ببعض ثم أمره باستفتائهم عن وجه القسمة الضيزى التي قسموها حيث جعلوا لله الاناث ولانفسهم الذكور في قولهم الملائكة بنات الله مع كراهتهم الشديدة لقوى وأدهم فاستكانتهم من ذكرهم ولقد ارتكبوا في ذلك ثلاثة أنواع من الكفر أحدها التجسيم لان الولادة مختصة بالاجسام والثاني تفضيل أنفسهم على ربهم حين جعلوا أوضع الجنسين له وأرفعهما لهم كما قال واذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين والثالث أنهم استهانوا بأكرم خلق الله عليه وأقربهم اليه حيث أشهدهم ولو شاء لأقامهم وأدناهم فيما أثروا وأشكالك تشكل النساء

مصبحين وبالليل أفلا تعقلون وان يونس لمن المرسلين اذ أبق الى الفلك المشحون فساهم فكان من المدحضين فالتقمه الحوت وهو مليم فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون فنبذناه بالعراء وهو سقيم وأنبتنا عليه شجرة من يقطين وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون فآمنوا فمتعناهم الى حين فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون

أم خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون ألا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون أصطفى البنات على البنين مالكم كيف تحكمون أفلا تذكرون أم لكم سلطان مبين فأتوا بكتابكم ان كنتم صادقين وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون سبحان الله عما يصفون الا عباد الله المخلصين فانكم وما تعبدون ما أنتم عليه

لبس لقائله جلد النمر ولا تقلبت حمالقيه وذلك في أهاجيهم بين مكشوف فكر رالله سبحانه الانواع كلها في كتابه مرات ودل على قطاعتها في آيات وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات ينفطرون منه وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما في السموات والارض بديع السموات والارض أبى يكون له ولد ألا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وجعلوا له من عباده جزأ وجعلوا لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون أم له البنات ولكم البنون وجعلوا لله ما يكرهون أصطفى البنات على البنين أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا (أم خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون) (فان قلت) لم قال وهم شاهدون نحس على المشاهدة (قلت) ما هو الا استزراء بهم وتجهيل وكذلك قوله أشهدوا خلقهم ونحوه قوله ما أشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق أنفسهم وذلك أنهم كانوا يعلمون ذلك بطريق المشاهدة لم يعلموه بخلق الله له في قلوبهم ولا باخبار صادق ولا بطريق استدلال ونظر ويجوز أن يكون المعنى أنهم يقولون ذلك كالقائل قولا عن علم صدر وطمأنينة نفس لا فراط جهلهم كأنهم قد شاهدوا خلقهم * وقرئ ولد الله أي الملائكة ولده والولد فعل بمعنى مفعول يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث تقول هذه ولدي وهؤلاء ولدي * (فان قلت) (أصطفى البنات) بفتح الهمزة استفهام على طريق الانكار والاستبعاد فكيف صحت قراءة أبي جعفر بكسر الهمزة على الاثبات (قلت) جعله من كلام الكفرة بدلا عن قولهم ولد الله وقد قرأ بها حمزة والاعمش رضي الله عنهما وهذه القراءة وان كان هذا محملها فهي ضعيفة والذي أضعفها أن الانكار قد كتف هذه الجملة من جانبيها وذلك قوله ولهم البنون (مالكم كيف تحكمون) فمن جعلها للاثبات فقد أوقعها خيلة بين نسيبين * وقرئ تذكرون من ذكر (أم لكم سلطان) أي حجة نزلت عليكم من السماء وخبر بان الملائكة بنات الله (فأتوا بكتابكم) الذي أنزل عليكم في ذلك كقوله تعالى أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون وهذه الآيات صادرة عن محض عظيم وانكار فظيع واستبعاد لا قاويل به شديد وما الاساليب التي وردت عليها الا ناطقة بتسفيه أسلام قريش وتجهيل هو سهم واستركاكة عقولهم باسم استهزاء وتهكم وتعجيب من أن يخطر خطر مثل ذلك على بال ويحدث به نفسه فضلا أن يجعله معتقدا وينتظم به مذهبا (وجعلوا) بين الله وبين الجنة وأراد الملائكة (نسبا) وهو زعمهم أنهم بنات الله والمعنى وجعلوا بما قالوا النسبة بين الله وبينهم وأثبتوا له بذلك جنسية جامعة له وللملائكة (فان قلت) لم سمى الملائكة جنة (قلت) قالوا الجنس واحد ولكن من حيث من الجن وسموا كذلك شراكة بينه وبين شيطان ومن طبر منهم وسلك وكان خيرا كله فهو سلك نذكرهم في هذا الموضع باسم جنسهم وانما ذكرهم بهذا الاسم وضعا منهم وتقسيرا بهم وان كانوا معظمين في أنفسهم أن يلفوا بمنزلة المناسبة التي أضافوها اليهم وفيه اشارة الى أن من صفته الاجتنان والاستتار وهو من صفات الاجراء لا يصلح أن يناسب من لا يجوز عليه ذلك ومثاله أن تسوي بين الملك وبين بعض خواصه وحشريه فيقول الملك أتسوي بيني وبين عبدي واذا كرمني في غير هذا المقام وقرره وكناه * والضمير في (انهم لمحضرون) للكفرة والمعنى أنهم يقولون ما يقولون في الملائكة وقد علم الملائكة أنهم في ذلك كاذبون مفترون وانهم محضرون النار معذبون بما يقولون والمراد المبالغة في التكذيب حيث أضيف الى علم الذين ادعوا لهم تلك النسبة وقيل قالوا ان الله صاهر الجن فخرجت الملائكة وقيل قالوا ان الله والشيطان اخوان وعن الحسن أشركوا الجن في طاعة الله ويجوز اذا فسر الجنة بالشياطين وأن يكون الضمير في انهم لمحضرون لهم والمعنى ان الشياطين علموا بأن الله يحضرهم النار وينعبهم ولو كانوا مناسبين له أو شركاء في وجوب الطاعة لما عذبهم (الا عباد الله المخلصين) استثناء منقطع من المحضرين معناه ولكن المخلصين ناجون وسبحان الله اعتراض بين الاستثناء وبين ما وقع منه ويجوز أن يقع الاستثناء من الواو في يصفون أي يصفه هؤلاء بذلك ولكن المخلصين برآء عن أن يصفوه به * الضمير في (عليه) لله عز وجل ومعناه فانكم ومعبوديكم ما أنتم وهم جميعا بقادرين على الله الا أصحاب النار الذين سبق في علمه أنهم لسوء أعمالهم يستوجبون أن يسلطها (فان قلت) كيف يفتنونهم على إلا

(قلت)

(قلت) يفسدونهم عليه باغوائهم واستهزائهم من قولك فتن فلان على فلان امرأته كما تقول أفسدها عليه يجمعها عليه ويجوز أن يكون الواو في وما تعبدون بمعنى مع مثلها في قولهم كل رجل وضيعته فكما جاز السكوت على كل رجل وضيعته وان كل رجل وضيعته جاز أن يسكت على قوله فانكم وما تعبدون لان قوله وما تعبدون سادّ مسدّ الخبر لان معناه فانكم مع ما تعبدون والمعنى انكم مع آلهتكم أي فانكم قرناؤهم وأصحابهم لا تبرحون تعبدونهم ثم قال ما أنتم عليه أي على ما تعبدون (بفاتنين) بباغين أو حاملين على طريق الفتنة والاضلال (الا من هو) ضال مثلكم أو يكون في أسلوب قوله

فانك والكتاب الى علي * كدائفة وقد جمع الاديم

وقرأ الحسن صال الجحيم بضم اللام وفيه ثلاثة أوجه أحدها أن يكون جمعا وسقوط واوه لالتقاء الساكنين هي ولام التعريف (فان قلت) كيف استقام الجمع مع قوله من هو (قلت) من موحد اللفظ مجموع المعنى فحمل هو على لفظه والصالون على معناه كما حمل في مواضع من التنزيل على العكس ومعناه في آية واحدة والثاني أن الصالين أصله صائل على القلب ثم يقال صال في صائل كقولهم شاك في شائك والثالث أن تحذف لام صال تخفيفا يجري الاعراب على عينه كما حذف من قولهم ما باليت بالة وأصلها بالية من بالى كعافية من عافى ونظيره رأيت من قرأ وحيّ الجنتين دان وله الجواري المنشآت بإجراء الاعراب على العين (وما منا) أحد (الا له مقام معلوم) فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه كقوله انا ابن جلا وطلاع الثنايا * يكفي كان من أمسى الفقير مقام معلوم مقام في العبادة والانتهاء الى أمر الله مقصور عليه لا يجاوزه كما روي فيهم راكع لا يقيم صلبه وساجد لا يرفع رأسه (لنحن الصافون) نصف أقدامنا في الصلاة أو أجنحتنا في الهواء منتظرين ما نؤمر به قيل نصف أجنحتنا حول العرش داعين للمؤمنين وقيل ان المسلمين انما اصطفوا في الصلاة منذ نزلت هذه الآية وابليس يعطف أحدهم من أهل الملل في صلاتهم غير المسلمين (المسبحون) المنزهون أو المصلون والوجه أن يكون هذا وما قبله من قوله سبحان الله عما يصفون من كلام الملائكة حتى يتصل بذكرهم في قوله ولقد علمت الجنة كأنه قيل ولقد علم الملائكة وشهدوا أن المشركين مفترون عليهم في مناسبة رب العزة وقالوا سبحان الله فنزهوه عن ذلك واستثنوا عباد الله المخلصين وبرؤهم منه وقالوا للكفرة فاذا صح ذلك فانكم وآلهتكم لا تفتنون أن تفتنوا على الله أحدا من خلقه فتضلوه الا من كان مثلكم من علم الله أنه كفر هم لا لتقدير وارادته تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا أنهم من أهل النار وكيف تكون مناسبتهم رب العزة وتجعلونه إياه جنسية واحدة وما نحن الا عبيد أذلاء بين يديه لكل منا مقام من الطاعة لا يستطيع أن يزل عنه فلم أخشع بالعظمته ونواضع لجلاله ونحن الصافون أقدامنا في عبادته أو أجنحتنا عند خاضعين مسبحين محمدين وكالحجب على العباد لهم وقيل هو من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني وما من ملسلين أحد الا له مقام معلوم يوم القيامة على قدر عمله من قوله تعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ثم ذكر أعمالهم وأنهم هم الذين يصطفون في الصلاة ويسبحون الله وينزهونه مما ضيف اليه ممن لا يعرفه بما لا يجوز عليه * هم مشركو قريش كانوا يقولون (لو أن عندنا ذكرا) أي كتابا (من) كتب (الاولين) الذين نزل عليهم التوراة والانجيل لاخلصنا العبادة لله ولما كذبنا كما كذبوا ولما خالفنا كما خالفوا فجاءهم الذكر الذي هو سيد الاذكار والكتاب الذي هو معجز من بين الكتب فكفروا به ونحوه قولهم لئن جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا (فسوف يعلمون) عبرة تكذيبهم وما يحل بهم من الانتقام * وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة وفي ذلك أنهم كانوا يقولون محمد كذبنا في أول أمرهم وآخره * الكلمة قوله انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون) وانما سماها كلمة وهي كلمات عدة لانها لما انتظمت في معنى واحد كانت في حكم كلمة مفردة * وقرئ كلمتنا والمراد الوعد بالنصر لهم على عدوهم في مقاوم الحجاج ومصادم القتال في الدنيا وعلوهم عليهم في الآخرة كما قال والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة ولا يلزم انهزامهم في بعض المشاهد وما جرى عليهم من القتل فان الغلبة كانت لهم ولمن بعدهم في العاقبة وكم شاهد رسول الله صلى الله

فاتنين الا من هو صال الجحيم وما منا الا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون وان كانوا ليقولون لو أن عندنا ذكرا من الاولين لكنا عباد الله المخلصين فكفروا به فسوف يعلمون ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون

عليه وسلم والخلفاء الراشدين مثلا يحتذى عليها وعبرا يعتبر بها وعن الحسن رحمه الله ما غلب نبي في حرب ولا قتل فيها ولان قاعدة أمرهم وأساسه والغالب منه الظفر والنصرة وان وقع في تضاعيف ذلك شوب من الابتلاء والمحنة والحكم للغالب وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان لم ينصروا في الدنيا نصروا في الآخرة وفي قراءة ابن مسعود على عبادنا على تضمين سبقت معنى حقت (فتول عنهم) فأعرض عنهم وأغض على أذاهم (حتى حين) الى مدة يسيرة وهي مدة الكف عن القتال وعن السدي الى يوم بدر وقيل الى الموت وقيل الى يوم القيامة (وأبصرهم) وما يقضى عليهم من الاسر والقتل والعذاب في الآخرة فسوف يبصرون وما يقضى لهم من النصرة والتأييد والثواب في العاقبة والمراد الامر بابصارهم على الحال المنتظرة للوعد الدلالة على أنها كائنة واقعة لا محالة وأن كينونتها قريبة كأنها قدام ناظريك وفي ذلك تسلية له وتنفيس عما يقوله (فسوف يبصرون) للوعيد كما سلف للتبعيد * مثل العذاب النازل بهم بعد ما أنذروه فأنكروه بجيش أنذرهم جموعه وهو بعض نصاحهم فلم يلتفتوا الى انذاره ولا أخذوا أهبتهم ولا بزوا وأعجلهم عن تهيئتهم حتى أناخ بفنائهم بغتة فشن عليهم الغارة وقطع دابرهم وكانت عادة مغاويرهم أن يغيروا صباحا فجعل الغارة صباحا واوقعه في وقت آخر وما فجعت هذه الآية قط الا كانت لها الروعة التي تحس بها ويرى موردها على نفسك وطبعك الا لجمتها على طريقة التمثيل * وقرأ ابن مسعود فبئس صباح * وقرئ بساحتهم على اسناده الى الجار والمجرور كقولك ذهب بزيد ونزل على عمرو العذاب والمعنى فساء صباح المنذرين صباحهم والام في المنذرين مع سبق ذكرهم في جنس من أنذر والآن ساء وبئس يقتضيان ذلك وقيل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح بمكة وعن أنس رضي الله عنه لما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر وكانوا خارجين الى مزارعهم ومعهم المساحي غالوا محمد والخميس ورجعوا الى حصنهم فقال عليه الصلاة والسلام الله أكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين * وأغنى (وقل عنهم) ليكون تسلية على تسلية وتأكيدا على تأكيد وفيه فائدة زائدة وهي امالاف القعلين معاني التفعيل المفعول وأنه يبصرونهم ما لا يحيط به الذكر من صنوف المسرة وأنواع الساءة وقيل أريد بأحد عذاب الدنيا وبالآخر عذاب الآخرة * وأضيف الرب الى العزة لاختصاصه بها كأنه قيل ذو العزة كان صاحب صدق لاختصاصه بالصدق ويجوز أن يراد أنه ما من عزة لاحد من الملوك وغيرهم الا وهو مالكها كقوله تعالى تعز من تشاء اشتملت السورة على ذكر ما قاله المشركون في الله ونسبوا اليه مما هو منزه عنه وما عاناه الرسل من جهتهم وما حاولوه في العاقبة من النصرة عليهم فختمها بما جمع ذلك كله من تنزيه ذاته عما وصفه به المشركون والتسليم على المرسلين (والحمد لله رب العالمين) على ما قيض لهم من حسن العواقب وفي الغرض تعليم المؤمنين أن يقولوا ذلك ولا يخلوا به ولا يغفلوا عنه مضمنات كتابه الكريم وموعدها قرآنه المجيد وعن علي رضي الله عنه من أحب أن يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين عدد رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ الصافات أعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل حي وشيطان وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيامة أنه كان مؤمنا بالمرسلين

﴿سورة ص مكية وهي ست وثمانون آية﴾

قتول عنهم حتى حين وأبصرهم فسوف يبصرون أفبعذابنا يستعجلون فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين وتول عنهم حتى حين وأبصر فسوف يبصرون سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

﴿سورة ص مكية وهي ست وثمانون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

ص

(ص) على الوقف وهي أكثر القراءة وقرئ بالكسر والفتح لالتقاء الساكنين ويجوز أن ينتصب بعذف حرف القسم وايصال فعله كقولهم الله لافعلن كذا بالنصب أو باضمار حرف القسم والفتح في موضع الجر كقولهم الله لافعلن بالجر واستناع الصرف للتعريف والتأنيث لانها بمعنى الصورة وقد صرفها من قرأ بالجر والتنوين على تأويل الكتاب والتنزيل وقيل فيمن كسر هو من المصاداة وهي المعارضة والمعادلة وهو

صدى وهو مايعارض الصوت فى الاماكن الخالية من الاجسام الصلبة ومعناه ماعارض القرآن بعمل بأوامره وانتهى عن نواهيه (فان قلت) قوله ص (والقرآن ذى الذكر بل الذين كفروا فى عزة وشقاق) ظاهره متنافر غير منتظم فما وجه انتظامه (قلت) فيه وجهان أن يكون قد ذكر اسم هذا رف من حروف المعجم على سبيل التحدى والتنبيه على الاعجاز كما مر فى أول الكتاب ثم أتبعه القسم رف الجواب لدلالة التحدى عليه كأنه قال والقرآن ذى الذكر انه لكلام معجز والثانى أن يكون ص رمبتدا محذوف على أنها اسم للسورة كأنه قال هذه ص يعنى هذه السورة التى أعجزت العرب والقرآن الذكر نا تقول هذا حاتم والمعنى هذا هو المشهور بالسخاء والله وكذلك اذا أقسم بها كأنه قال أقسمت والقرآن ذى الذكر انه لمعجز ثم قال بل الذين كفروا فى عزة واستكبار عن الاذعان لذلك والاعتراف بالحق ئاق لله ورسوله واذا جعلتها مقسما بها وعطفت عليها والقرآن ذى الذكر جاز لك أن تريد بالقرآن التنزيل وان تريد السورة بعينها ومعناه أقسم بالسورة الشريفة والقرآن ذى الذكر كما تقول مررت بالرجل رم وبالنسمة المباركة ولا تريد بالنسمة غير الرجل ولذكر الشريف والشهرة من قولك فلان مذكور وانه كر لك ولقومك أو الذكرى أو الموعظة أو كل ما يحتاج اليه فى الدين من الشرائع وغيرها كأنها قصيرة نياء والوعد والوعيد والتذكير فى عزة وشقاق للدلالة على شدتها وتفاقمها وقرئ فى غرة أى فى غفلة يجب عليهم من النظر واتباع الحق (كم أهلكنا) وعيد لذوى العزة والشقاق (فنادوا) فدعوا واستغاثوا لحسن فنادوا بالتوبة (ولات) هى لا المشبهة ليس زيدت عليها تاء التأنيث كما زيدت على رب وثم وكما وتغير بذلك حكمها حيث لم تدخل الا على الاحيان ولم يبرز الا أحد معمولييها اما الاسم واما الخبر تتع بروز هما جميعا وهذا مذهب الخليل وسيبويه وعند الاخفش أنها الا التى للجنس زيدت عليها التاء صت فى الاحيان و (حين مناص) منصوب بها كذلك قلت ولا حين مناص لهم وعنده أن ما ينتصب بعده ل مضمر أى ولا أرى حين مناص ويرتفع بالابتداء أى ولا حين مناص كائن لهم وعندهما أن النصب على يت الحين حين مناص أى وليس الحين حين مناص والرفع على ولات حين مناص حاصلا لهم وقرئ حين ص بالكسر ومثله قول أبى زبيد الطائى

طلبوا صلحنا ولات أوان * فأجبنا أن لات حين بقاء

بان قلت) ما وجه الكسر فى أوان (قلت) شبه باذ فى قوله وأنت اذ صحيح فى أن زمان قطع منه المضاف اليه عوض التنوين لان الاصل ولات أوان صلح (فان قلت) فما تقول فى حين مناص والمضاف اليه قائم (قلت) ل قطع المضاف اليه من مناص لان أصله حين مناصهم منزلة قطعه من حين لاتحاد المضاف والمضاف اليه جعل تنوينه عوضا من الضمير المحذوف ثم نزى الحين لكونه مضافا الى غير متمكن وقرئ ولات كسر التاء لى الساكنين (فان قلت) كيف يوقف على لات (قلت) يوقف عليها بالتاء كالوقف على الفعل الذى يتصل به اء التأنيث وأما الكسائى فيقف عليها بالهاء كما يقف على الاسماء المؤنثة وأما قول أبى عبيد ان التاء داخلة لى حين فلا وجه له واستشهاده بأن التاء ملتزقة بحين فى الامام لا نشبث بفكم وقعت فى المصحف أشياء ارجة عن قياس الخط والمناص المحار الفوت يقال ناصه ينوصه اذا فاته واستناص طلب المناص قال طارئة ن بدر

عمر الجراء اذ أقصرت عنانه * بيدى استناص وراء مرى المسحل

منذرهم) رسول من أنفسهم (وقال الكافرون) ولم يقل وقالوا اظهارا للغضب عليهم ودلالة على أن هذا القول لا يجسر عليه الا الكافرون المتوغلون فى الكفر المتهكمون فى النبى الذين قال فيهم أولئك هم الكافرون حقا وهل ترى كفرا أعظم وجهلا أبلغ من أن يعموا من صدقه الله وحسبه كاذبا ويتعجبوا من التوحيد وهو ق الذى لا يصح غيره ولا يتعجبوا من الشرك وهو الباطل الذى لا وجه لصحته * روى أن اسلام عمر رضى ه تعالى عنه فرح به المؤمنون فرحا شديدا وشق على قريش وبلغ منهم فاجتمع خمسة وعشرون نفسا من تاديدهم ومشوا الى أبى طالب وقالوا أنت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء بريدون الذين

والقرآن ذى الذكر بل الذين كفروا فى عزة وشقاق كم أهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب

﴿القول في سورة ص﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم ان هذا لشيء يراد (قال) فيه معناه اصبروا فلا حيلة لكم في دفع أمر محمد ان هذا الذي يريده الله ويحكم بامضائه وما أراد الله كونه فلا سبيل له ولا ينفع فيه الا الصبر اه كلامه (٢٧٦) * قوله تعالى أأنزل عليه الذكر من بيننا بل هم في شك من ذكري بل لما يذوقوا عذاب (قال معناه

لم يذوقوه بعد فاذا ذاقوه زال عنهم ما بهم الخ) قلت ويؤخذ منه ان الاشفقة بالجواب واقعا ينفي بها فعل يتوقع وجوده كما يقول سيبويه وغيره بنهاون لم يأن لم ينو لفعل يتوقع

أجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم ان هذا لشيء يراد ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة ان هذا الا اختلاق أأنزل عليه الذكر من بيننا بل هم في شك من ذكري بل لما يذوقوا عذاب أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب أم لهم ملك السموات والارض وما بينهما

وجوده لم يقبل منه قد ولما يأتهم توقع وجوده أدخل على منه قد واعلم أن ذكرت ذلك لأني حديث عهد بالبحث في قوله عليه الصلاة والسلام الشفعة لمالم يقسم فاني استدللت به على أن الشفعة خاصة بما يقبل

دخلوا في الاسلام وحينئذ لا تتقضي بينهما وبين ان أخيك فاستحضر أبو طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا ابن أخي هؤلاء قومك يسألونك السؤال فلا تقل كل الميل على قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا يسألونني قالوا ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك والهك فقال عليه السلام أرأيتم ان أعطيتكم ما سألتم أتعطوني كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم فقالوا نعم وعشرا أي نعطيكها وعشر كلمات معها فقال قولوا لا اله الا الله فقاموا وقالوا (أجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب) أي بليغ في العجب وقرئ عجاب بالتشديد تقوله تعالى مكرا كبارا وهو أبلغ من المخفف ونظيره كريم وكرام وكرام وقوله أجعل الآلهة الها واحدا مثل قوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا أن معنى الجعل التصيير في القول على سبيل الدعوى والزعم كأنه قال أجعل الجماعة واحدا في قوله لا ذلك في الفعل بخلاف (الملأ) أشراف قريش يريد وانطلقوا عن مجلس أبي طالب بعدما كلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجواب العتيد قائلين بعضهم لبعض (امشوا واصبروا) فلا حيلة لكم في دفع أمره (ان هذا) الامر (لشيء يراد) أي يريده الله تعالى ويحكم بامضائه وما أراد الله كونه فلا سبيل له ولا ينفع فيه الا الصبر أو ان هذا الامر لشيء من نوائب الدهر يراد بنا فلا انفكاك لنا منه أو ان هذا شيء يراد يطلب ليؤخذ منكم وتغلبوا عليه * وأن معنى أي لان الذي انطلقا من مجلس التناول لا بد لهم من أن يتكلموا بتفاوضوا فيما جرى لهم فكان انطلاقهم متضمنا معنى القول ويجوز أن يراد بالانطلاق الاندفاع في القول وأنهم قالوا امشوا أي اكثروا واجتمعوا من مشت المرأة اذا كثرت ولادتها ومنه الماشية للتفاؤل كما قيل لها الفاشية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اغدوا واشكم * ومعنى واصبروا على آلهتكم واصبروا على عبادتها والتمسك بها حتى لا تزالوا عنها * وقرئ وانطلق الأشراف منهم امشوا بعيرا أن على اضمار القول ومعنى ان مسعود انطلق الملأ منهم يعشون أن اصبروا (في الملة الآخرة) في ملة عيسى التي هي آخر الملل لان النصارى يدعونها وهم مثلثة غيروحدة أو في ملة قريش التي أدركنا عليها آباءنا وأمانا بها كائنا في الملة الآخرة على أن يجعل في الملة الآخرة حالا من هذا ولا تعلق لها بسمعنا لفساد المعنى ولأنا لم نسمع من أهل الكتاب ولا من الكهان أنه يحدث في الملة الآخرة شيء * ما هذا الا اختلاق افتعال وكذب * أأنكروا أن يختص بالشرف من بين أشرافهم ورؤسائهم ويترل عليه الكتاب من بيننا فانا لو لا ترل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وهذا الانكار ترجمة عما كانت تنطوي عليه صدورهم من الحسد على ما أوتي من شرف النبوة ومن بينهم (بل هم في شك) من القرآن يقولون في أنفسهم اماطرة وقولهم ان هذا الا اختلاق كلام مخالف لاعتقادهم فيه يقولونه على سبيل الحسد (بل لما يذوقوا عذاب) بعد فاذا ذاقوه زال عنهم ما بهم من الشك والحسد حينئذ يعني أنهم لا يصدقون به الآن يعني هم السداد مضطرون الى تصديقه (أم عندهم خزائن ربك) يعني ما لهم حتى كان خزائن الرحمة حتى يصيبوا بها من شاؤا ويصرفوها عمن شاؤا وتخيير والنبوة بعض صنائعه فيعطوها من يحمد عليه الصلاة والسلام وأن الذي علق الرحمة وخزائنها العزيز القاهر على خلقه الوهاب الكثير المواهب المصيب بها مواقعها الذي ينسب على ما تقتضيه حكمته وعدله كما قال أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم ثم رشح هذا المعنى فقال (أم لهم ملك السموات والارض) حتى يتكلموا في الامور الربانية والتدابير الالهية التي يختص بها رب العزة والكبرياء ثم هكم بهم غاية التهكم فقال ان كانوا يصلحون لتدبير الخلائق والتصرف في قسمة الرحمة فكانت عندهم المعرفة

القسمة تقبل في ان ثبات الشفعة فيما في عنه القسمة فاما ما لا تقبل قسمة واما ما تقبل ولم تقع القسمة عندهم فابطلت ذلك بأن آلة النفي المذكورة تعم وجوده أي لا تزال تقول الحجر لا يتكلم ولو قلت لهم يتكلم لكان تركيبا من القول لا تمامه قوله للكلام * قوله تعالى أم لهم ملك السموات والارض وما بينهما فليرتقوا في الاسباب فيه تهكم بهم غاية التهكم فقال ان كانوا يصلحون لتدبير الخلائق والتصرف في قسمة الرحمة فكانت عندهم المعرفة

يميزون بها بين من هو حقيق بإيتاء النبوة دون من لا يستحق فليرتقوا في المعارج والطرق الموصلة إلى العرش حتى يستولوا عليه ويديروا أمر العالم وملكوت الله تعالى وينزلوا الوحي على من يختارونه قال ثم خسأهم بقوله جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب معناه ان هؤلاء الاجند متحزبون على النبي صلى الله عليه وسلم عما قليل يهزمون ويولون الادبار اهـ كلامه (قلت) (٢٢٧) الاستواء المنسوب لله ليس

عندهم الحكمة التي يميزون بها بين من هو حقيق بإيتاء النبوة دون من لا يحق له (فليرتقوا في الاسباب) فليصعدوا في المعارج والطرق التي يتوصل بها الى العرش حتى يستولوا عليه ويديروا أمر العالم وملكوت الله وينزلوا الوحي الى من يختارون ويستصوبون ثم خسأهم خساءة عن ذلك بقوله (جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب) يريد ما هم الا جيش من الكفار المتحزبين على رسل الله مهزوم مكسور عما قريب فلا تبال بما يقولون ولا تكترث لما يهذون وما هن بينة وفيه امعنى الاستعظام كما في قول امرئ القيس

لمثلك هيجت ما على قصره ... الا أنه على سبيل الهزء وهنالك اشارة الى حيث وضعه وانيه أنفسهم من الانتداب لمثل ذلك القول العظيم من قوم هم لهن بتنذب لامر ليس من أهله ليست هنالك (شواء وناد) أصله من ثبات البيت الطنب بأوتاد قال

والبيت لا يبتنى الا على عمد ... ولا عماد اذا لم ترس أوتاد

كرر تثبيرلة ثبات العز والملك واستقامة الامر قال الاسود في ظل ملك ثابت الاوتاد وقيل كان يشبح المعذب بأربع سوار كل طرف من أطراف الساريقة مضروب فيه وتد من حديد ينزكه حتى يموت وقيل كان يمده بأربعة أوتاد في الارض ويرسل عليه العقارب والحيات وقيل كانت له أوتاد وحبال يلعب بها بين يديه (أولئك الاحزاب) تصديهذه الاشارة الاعلام بأن الاحزاب الذين جعل الجند الهنالك مهزوم منهم هم هم بأنهم هم الذين وجد منهم التكذيب * ولقد ذكر تكذيبهم أولا في الجملة الخبرية على وجه الابهام ثم جاء بالجملة الاستئنافية المؤكدة فيها بأن كل واحد من الاحزاب كذب جميع الرسل لانهم اذا كذبوا واحدا منهم فقد كذبوهم جميعا وفي تكرير التكذيب وايضاحه بعد ابهامه والتنويع في تكريره بالجملة الخبرية أولا وبالاستئنافية ثانيا وما في الاستئنافية من الرجوع على وجه التوكيد والتفصيل أنواع من المبالغة المستجلبة عليهم باستحقاق أشد العقاب وأبلغه * ثم قال (فحق عقاب) أي فوجب لذلك أن أعاقبهم حق عقابهم (هؤلاء) أهل مكة ويجوز أن يكون اشارة الى جميع الاحزاب لاستحضارهم الذكر أولانهم كالحضور عند الله * والصيحة النفخة (ما لها من فواق) وقرئ بالضم ما لها من فيقة مصدر فواق وهو ما بين حلبتي الحالب وروي الزاجر يعني اذا جاء نهاية تستأنف هذا التدريج من الزمان كقوله تعالى فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ساعة وعن ابن عباس ما لها من رجوع ورد من أفاق المريض اذا رجع الى الصحة وفواق الناقة ساعة ترجع الدر الى ضرعها يريد أنها نفخة واحدة فحسب لا ثنية ولا ترديد * القط القسط من الشيء لانه قطعة منه من قطه اذا قطعه ويقال لصحيفة الجائزة قط لانها قطعة من القرطاس وقد فسروها بقوله تعالى (عجل لنا قطنا) أي نصيبنا من العذاب الذي وعدته كقوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب وقيل ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعد الله المؤمنين الجنة فقالوا على سبيل الهزء عجل لنا نصيبنا منها أو يعجل لنا صحيفة أعمالنا ننظر فيها (فان قلت) كيف تطابق قوله (اصبر على ما يقولون) وقوله (واذكر عبدنا داود) حتى عطف أحدهما على صاحبه (قلت) كأنه قال لنبيه عليه الصلاة والسلام اصبر على ما يقولون وعظم أمر معصية الله في أعينهم بذكر قصة داود وهو أنه نبي من أنبياء الله تعالى قد أولاه ما أولاه من النبوة والملك ذكر امتحانه عليه وزلقته لديه ثم زلة تجرعت اليه الا لأكه ووبخه عليها على طريق التمثيل والتعريض حتى فطن لما وقع فيه فاستغفر وأناب ثم وجد منه ما يحكى من بكائه الدائم ونحته الواصب ونقش جنايته في بطن كفه حتى لا يزال يحدد النظر اليها فتندم عليها فاقنا الذين كم مع كثرتكم ومعاصيكم أو قال له صلى الله عليه وسلم اصبر على ما يقولون وحض

عما يتوصل اليه بالصعود في المعارج والوصول الى العرش والاستقرار عليه والتمكن فوقه لان الاستواء المنسوب الى الله تعالى ليس استواء استقرار يجسم تعالى الله عن ذلك وتعاظم

فليرتقوا في الاسباب جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد وثمود وقوم لوط وأصحاب الايكة أولئك الاحزاب ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة ما لها من فواق وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود

صفة فعل أي فعل فيه فعلا حماه استراءها تأويل القاضي أبي بكر وليست عبارة الزمخشري في هذا الفصل مطابقة للفصل على جاري عاداته في تحرير

مراده عن مراده * قوله تعالى أولئك الاحزاب (قال فيه قصد بهذه الاشارة الاعلام بأن الاحزاب الذين جعل الجند الهنالك مهزوم منهم هم هم الذين وجد التكذيب منهم اهـ كلامه) قلت وفي تكرار تكذيبهم فائدة أخرى وهي أن الكلام الباطل يتعدد آحاد المكذبين يزيد كرما ما على بهم من العذاب بحز التكذيبهم كرر ذلك معصوبا بالزيادة المذكورة ليلي قوله تعالى فحق عقاب على سبيل التطرية أدة عند طول الكلام وهو كما تقدمته في قوله وكذب موسى حيث كرر الفعل ليقترن بقوله فأمليت للكافرين

* قوله عز وعلا يسبحن بالعشي والاشراق (قال) الاشراق حين تشرق الشمس أي يصفو نورها وهو وقت الضحى وأما شروقها فابتداء طلوعها يقال شرقت الشمس ولما تشرق ومنه أخذ ابن عباس صلاة الضحى قال ويحتمل أن يكون من أشرق القوم اذا دخلوا في وقت الشروق ويكون المراد وقت صلاة الفجر لانتهائه بشروق الشمس اه كلامه (قلت) الوجه الثاني يتغير بين العشي والاشراق فان العشي ظرف للاد

انتكال فلو حمل الاشراق على الدخول في وقت الشروق لكان مصدرا مع أن المراد به الظرف لانه فعل الشمس وصفتها التي تستعمل ظرفا مع كاطلوع والغروب ونحوهما * عاد كلامه الى قوله تعالى يسبحن (قال فيه ان قلت لم اختار يسبحن على مسبحات وأيهما أوقع

نفسك وحافظ عليها أن تزل فيما كلفت من معايرتهم وتحمل أذاهم واذكر أخاك داود وما استنه الله به كيف زل تلك الزلة اليسيرة فتاب من توبيخ الله وتظليمه ونسبته الى البغي مالق (ذا الايد) ذا القوة في الدين المضطلع بعباءته وتكاليفه كان على نهوضه باعباء النبوة والملك يصوم يوما ويفطر يوما وهو أشد الصوم ويقوم نصف الليل يقال فلان أيد وذو أيد وذو آد وما بآد كل شئ ما يتقوى به (أواب) توّاب رجاع الى مرضاة الله (فان قلت) ما دلك على أن الايد القوة في الدين (قلت) قوله تعالى انه أواب لانه تعليل لذي الاباب

(والاشراق) ووقت الاشراق وهو حين تشرق الشمس أي تضئ ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى وأما شروقها فابتداء طلوعها يقال شرقت الشمس ولما تشرق وعن أم هانئ دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم

شروقها فابتداء طلوعها يقال شرقت الشمس ولما تشرق وعن أم هانئ دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم

فدعا بوضوء فتوضأ ثم صلى صلاة الضحى وقال يا أم هانئ هذه صلاة الاشراق وعن طاوس عن ابن عباس قال

هل تجدون ذكر صلاة الضحى في القرآن قالوا لا فقرأ انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق وقال

كانت صلاة داود عليه السلام وعنه ما عرفت صلاة الضحى الا بهذه الآية وعنه لم يزل في نفسي من

صلاة الضحى شئ حتى طلبتها فوجدتها بهذه الآية يسبحن بالعشي والاشراق وكان لا يصلي صلاة الضحى

صلاها بعد وعن كعب أنه قال لابن عباس اني لا أجد في كتب الله صلاة بعد طلوع الشمس فقال أنا أوجد

ذلك في كتاب الله تعالى يعني هذه الآية ويحتمل أن يكون من أشرق القوم اذا دخلوا في الشروق ومنه قول

تعالى فاختهم الصيحة مشرقين وقول أهل الجاهلية أشرق ثبير وأراد وقت صلاة الفجر لانتهائه بالشروق

* (والطير يسجن في معنى ومسجمات على الحال (فان قلت) هل من فرق بين يسجن ومسجمات (قلت) نعم وهي

اختير يسجن على مسجمات الالتفات وهو الدلالة على حدوث التسبيح من الجبال شيأ بعد شئ وحالا بعد حال

وكان السامع حاضر تلك الحال يسمعها تسبح ومثله قول الاعشى * الى ضوء نار في يفاع تحرق * ولو قال

تحرقة لم يكن شيأ وقوله (محشورة) في مقابلة يسجن الا أنه لم يكن في الحشر ما كان في التسبيح من ارادة

الدلالة على الحدوث شيأ بعد شئ جيء به اسما لا فعلا وذلك أنه لو قيل وحشرنا الطير بعضها على أثر بعض

ليوجد من حاشر هاتيك شيأ بعد شئ والحاشر هو الله عز وجل لكان خلقا لان حشرهن جاء لواحدة أدل على

القدرة وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان اذا سبح داود تبعته الجبال بالتسبيح واجتمعت اليه الطير فذلك

حشرها وفرق والطير محشورة بالرفع (كل له أواب) كل واحد من الجبال والطير لاجل داود أي لاجل

تسبيحه مسبح لانها كانت تسبح بتسبيحه ووضع الاواب موضع المسبح لما لانها كانت ترجع التسبيح والمعنى

رجاع لانه يرجع الى فعل رجوعا بعد رجوع وما لان الاواب وهو التواب الكثير الرجوع الى الله والطير

حرضانه من عادته أن يكثر ذكر الله ويديم تسبيحه وتقديسه وقيل الضمير لله أي كل من داود والجبال

والطير لله أواب أي مسبح مرجع للتسبيح (وشددنا ملكه) وقيناه قال تعالى سنشد عضدك ونقوي شيأ

على المبالغة قيل كان يبيت حول محرابه أربعون ألف مستلئم يحرسونه وقيل الذي شد الله به ملكه وألقى

في قلوب قومه المهابة أن رجلا دعى عنده على آخر بشرة وعجز عن اقامة البينة فأوحى الله تعالى اليه في

كان حالا وأجاب بان اختيار ما لمعنى دعى الدلالة على حدوث التسبيح شيأ بعد شئ كان السامع حاضر لها فيسمعها تسبح وعند قول الاعشى الى ضوء نار في يفاع تحرق ولو قال تحرقة لم يكن شيأ) قلت وهذه النكتة فرق محسون

ذا الايد انه أواب انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق والطير محشورة كل له أواب وشددنا ملكه وآتيناه

من أصحابنا بين أن الحرم ربما أفعل كذا بصيغة اسم الفاعل وبين أحرم بصيغة المضارع فرأى ان الملحق بصيغة اسم الفاعل يكون محرما ووجود صيغة التعليق ولا كذلك الملحق بصيغة الفعل المضارع فانه لا يكون محرما حتى يحرم ويقال له أحرم فكأنه

رأى ان صيغة الفعل مخصوصة في الدلالة على حدوثه ولا كذلك اسم الفاعل وان كان متأخرا وأجابنا الحنفية ان

في معنى قول حنون في اسم الفاعل يكون محرما يوم ينعل فمنهم من قال أراد الفور فينشئ احراما ومنهم من قال يكون محرما في

بالتعليق الاول ولا يعيد شيأ وهذا هو مالك التسوية بين صيغتي اسم الفاعل والفعل في هذا المقام والله أعلم وحقق الزمخشري هذه

بين اسم الفاعل والفعل في قوله والطير محشورة كل له أواب فقال لما كان الواقع حشر الطير دفعة واحدة وكان ذلك أدل على القد

ترك استعمال الفعل الدال على الحدوث شيأ فشيأ معنى فاستعمل فيه اسم المفعول على خلاف استعمال الفعل في الاول

* قوله تعالى وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب الآية (ذكر) في تفسيرها مفصلا أسرده على الاختصار والايجاز لتدرج معاني فصل الخطاب قال كان أهل زمان داود يسأل بعضهم بعضا النزول له عن امرأته اذا أعجبته فيتزوجها وقد روى مثله عن الانصار كانوا يواسون المهاجرين بمثل ذلك فوقعت عين داود عليه السلام على امرأة أوريا فأعجبته فسأله اياها فتزوجها فاستحيا منه فنزل فيها فتزوجها وأولدها سليمان فقيل له انك مع كثرة نسائك لم يكن ينبغي شأن تسأل رجلا ليس له الا امرأة واحدة النزول عنها وكان هذا الافضل فهو الهوى وعيل خطبها أوريا ثم خطبها داود فرغب اليه أهلها فاندرج في الخاطب على خطبة أخيه وأما ما يذكر أن داود في منزلة آبائه الانبياء فقيل له انهم ابتلوا فصبروا فسألوا الابتلاء ليصبر فقيل له انك تبتلى (٢٧٩) يوم كذا فاحترس ذلك اليوم

أن اقتل المدعى عليه فقال هذا منام فأعيد الوحي في اليقظة فأعلم الرجل فقال ان الله عز وجل لم يأخذني بهذا الذنب ولكن بأني قتلت أبا هذا غيلة فقتله فقال الناس ان أذنب أحد ذنبا أظهره الله عليه فقتله فهو (الحكمة) الزبور وعلم الشرائع وقيل كل كلام وافق الحق فهو * وحكمة * الفصل التمييز بين الشيئين وقيل علم الدين فصل معنى الموصول كضرب الامير لانهم قالوا كلام ملتبس وفي كلامه لبس والملتبس المختلط قيل في تفسيره فصل أي مفصول بعضه من بعض معنى فصل الخطاب البين من الكلام المخلص الذي يتبينه من يخاطب به لا يلتبس عليه ومن فصل الخطاب وملخصه أن لا يخلط صاحبه مظان الفصل والوصل فلا يأتي في كلمة الشهادة على المستثنى منه ولا يتلو قوله قويل للصلين الاموصولا بما بعده ولا والله لهم وأنتم حتى يتلو قوله لا تعلمون ونحو ذلك ومثال العطف وتركه الاضمار والاظهار والحذف والتكرار وان كان الفصل بمعنى الفاصل كالصوم والزور وأريد بفصل الخطاب الفاصل من الخطاب الذي يفصل الصحيح والفاسد والحق والباطل والصواب والخطأ وهو كلامه في القضايا والاحكامات وتدابير الملك وأمور الرعية وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه هو قوله البينة على المدعي واليمين على المدعى عليه وهو الفصل بين الحق والباطل ويدخل فيه قول بعضهم هو قوله أما بعد لانه يفتح اذا تكلم في الامر الذي له أن يذكر الله وتحميده فاذا أراد أن يخرج الى الغرض المسوق اليه فصل بينه وبين ذكر الله بقوله أما بعد ويجوز أن يراد بالخطاب القصد الذي ليس فيه اختصار مخل ولا استرسال ممل وهذا ما جاء في صفة كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فصل لا نذر ولا هذر * كان أهل زمان داود عليه السلام يسأل بعضهم بعضا أن ينزل له عن امرأته فيتزوجها اذا أعجبته وكانت فيهم عادة في الرياسة تلك فداناه ندروها وقدروا بها أن الانصار كانوا يواسون المهاجرين بمثل ذلك فاتفق أن عين داود وقعت على امرأة رجل فقال له أوريا فاخبر فاسأله النزول عنها فاحتمله أن يرده فتنزل فتزوجها وهي أم سليمان فقيل له انك مع عظم منزلتك وارتفاع مرتبتك وكثرة نسائك لم يكن ينبغي لك أن تسأل رجلا ليس له الا امرأة واحدة النزول بل كان الواجب عليك هو الصبر نفسك والصبر على ما امتحنت به وقيل خطبها أوريا ثم خطبها داود فآثره أهلها داود فكان ذنبه أن خطب على خطبة أخيه المؤمن مع كثرة نسائه وأما ما يذكر أن داود عليه السلام في منزلة آبائه الراهيم الذي ويعقوب فقال يارب ان آبائي قد ذهبوا وانما حركاه فأوحى اليه أنهم ابتلوا بما هو أكبر منه فصبروا عليها فابتلي بحب النساء وفوق جميع ولده وأصفى بذبحه وذهاب بصره ويعقوب بالحزن على يوسف فسأل الابتلاء فأوحى الله أنك ستبتلى في يوم كذا وكذا فاحترس فلما كان ذلك اليوم دخل محرابه وأغلق بابه وجعل يصلي ويقرأ الزبور فجاء الشيطان في صورة حمامة من ذهب فذهب لتأخذها فلما طارت قام اليها طارت فوقعت

وأغلق عليه محرابه فتمثل له الشيطان في صورة حمامة ذهب فذهب يده لتأخذها فطارت فتبعها فرأى المرأة فقد تقدمت شعرها فأعجب أوريا صاحب بعث البلقاء أن قدم أوريا الى التابوت وهو من غزاة البلقاء وكان المتقدم اليه محروم عليه الرجوع حتى يفتح الله على يديه أو يستشهد فقدم

الحكمة وفصل الخطاب

فسلم فاصر بتقديمه حتى أتوى وثالثة فقتل فلم يحزن عليه كحزنه على الشهداء وتزوج امرأته المذكورة فهذا ونحوه مما يقبح الحديث به عن مسلم بصلاح من آباء المسلمين فضلا عن بعض أعلام الانبياء وعن سعيد بن المسيب أن عليا بن أبي طالب

في كوة فتبعها فأبصر امرأة جميلة فلما قضت شهرها فعطى بدنها وهي امرأة أوريا وهو من غزاة البلقاء فكتب الى أيوب بن صوريا وهو صاحب بعث البلقاء أن ابعث أوريا وقدمه على التابوت وكان من يتقدم عند التابوت لا يحل له أن يرجع حتى يفتح الله على يديه أو يستشهد ففتح الله على يديه وسلم فأمر به مرة أخرى وثالثة حتى قتل فأتاه خبر قتله فلم يحزن كما كان يحزن على الشهداء وتزوج امرأته فهذا ونحوه مما يقبح أن يحدث به عن بعض المتسمين بالصلاح من افناء المسلمين فضلا عن بعض أعلام الانبياء وعن سعيد بن المسيب والحر بن الاعور أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال من حدثكم بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وهو حد الفرية على الانبياء وروي أنه حدث بذلك عمر بن عبد العزيز وعنده رجل من أهل الحديث فكذب المحدث به وقال ان كانت القصة على ما في كتاب الله فما ينبغي أن يلقس خلافها وأعظم بأن يقال في ذلك وان كانت على ما ذكرت وكف الله عنها ستارا على نبيه فما ينبغي اظهارها عليه فقال عمر لسماعي هذا الكلام أحب الي مما طلعت عليه الشمس والذي يدل عليه المثل الذي ضربه الله لقصته عليه السلام (الا طلبه الى زوج المرأة أن ينزل له عنها فحسب (فان قلت) لم جاءت على طريقة التمثيل والتعريض مع التصريح (قلت) لكونها أبلغ في التوبيخ من قبل أن التأمل اذا أداه الى التصور بالمعرض به كان أوقع في نفسه وأشد تمكنا من قلبه وأعظم أثرا فيه وأجلب لاحتشامه وحيائه وادعى الى التنبه على الخطأ فيه من زيادة بصيرة لسامع مراعاة حسن الادب بترك المجاهرة الا ترى الى الملوك كيف أوصوا في سياسة الرعايا وجدت منه هفوة منكرة بأن يعرض له بانكارها عليه ولا يصرح وأن تحكى له حكاية ملائمة لحاله اذا تأملها استشعر حال صاحب الحكاية فاستشعر حال نفسه وذلك أزجر له لانه ينصب ذلك مثالا لحاله وعلما لشأنه فيتصور قبح ما وجد منه بصورة مكشوفة مع أنه أصون لماء الوالد والولد من جلباب الخصومة (فان قلت) فلم كان ذلك على وجه التحاكم اليه (قلت) ليحكم عاحكم به من قوله لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه ليكون تحبيرا جاحكمه ومعترفا على نفسه بخطله (وهل أتاك نبأ الخصم) ظاهر الاستفهام ومعناه الدلالة على أنه من الانباء العجيبة التي حقها أن تشيع ولا تخفى على أحد والتشويق الى استماعه والخصم اسم يقع على الواحد والجمع كالضيف قال الله تعالى هذان خصمان اختصموا (فان قلت) هذا جمع وقوله خصمان تثنية فكيف استقام ذلك (قلت) معنى خصمان فريقان خصمان والدليل عليه قراءة من قرأ خصمان بغى بعضهم على بعض وضموا ياء بعض هذان خصمان اختصموا في ربهم (فان قلت) فما تصنع بقوله ان هذا أخي وهو دليل على اثنين (قلت) قول البعض المراد بقوله بعضنا على بعض (فان قلت) فقد جاء في الرواية أنه بعث اليه ملكان (قلت) على التحاكم كان بين ملكين ولا يتم ذلك أن يحضرهما آخرون (فان قلت) اذا كان التحاكم بين اثنين كيف صح جميعا خصمان في قوله نبأ الخصم وخصمان (قلت) لما كان حكم كل واحد من المتحاكمين في صورة صحت التسمية (فان قلت) بم انتصب (اذ) (قلت) لا يخلو اما أن ينتصب بأتاك أو بالنبأ أو بمحذوف فلا تنتصبه بأتاك لان اتيان النبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقع الا في عهده لا في عهد داود ولا بالنبأ الواقع في عهد داود ولا يصح اتيان رسول الله صلى الله عليه وسلم وان أردت بالنبأ القصة في نفسها فيتجه أن ينتصب بمحذوف وتقديره وهل أتاك نبأ خصم ويجوز أن ينتصب بالخصم لما في معنى الفعل وأما اذا الثانية فبدل من الاولى (تسوروا المحراب) تصعدوا سوره ونزلوا اليه والسور المرتفع وتظيره في الابنية تسنمه اذا علا سنامه وتذرأه اذا علا ذروته ويروى أن الله تعالى بعث اليه ملكين في صورة انسانين فطلبا أن يدخلا عليه فوجداه في يوم عبادته فمنعهم الحرس فتسوروا عليه المحراب فوقعوا بين يديه جالسين (ففزع منهم) قال ابن عباس ان داود عليه السلام جزأ زمانه أربعة أجزاء أحدها للعبادة ويوما للقضاء ويوما للاشتغال بخواص أموره ويوما يجمع بني اسرائيل فيعظهم ويبكيهم فجاؤه يوم القضاء ففزع منهم ولانهم نزلوا عليه من فوق وفي يوم الاحتجاب والحرس حوله لا يترك

وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب اذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف

الخصم لفظه لفظ الواحد والجمع كالضيف

لقد ظلمك قسم جواب القسم محذوف

الخليط الشريك

* قال وقوله وهل أتاك جاء على وجه الاستفهام تنبيها على أن هذه قصة عجيبة من حقها أن تشيع ولا تخفى على أحد وتشويقا الى سماعها أيضا

قال في قوله هذا أخي ان الاخوة كيف ما كانت انما من الصداقة أو من الدين أو من الشركة والخلطة تدلي بحق مانع من الاعتداء الظلم فلذلك قال ان هذا أخي وقال في الخطاب يحتمل أن يكون من المخاطبة ومعناه أنه ثاني عالم أقدر على رده من الجدال ويحتمل أن يكون من الخطبة ومعناه أي خطبت نخطب على خطبتي فغلبني والمفاعلة لان الخطبة صدرت منهما جميعا وقال في ذكر النعاج انها تمثيل فكان كل واحد منهم عشرا ولكل مهم أيضا تمثيلا لانه أبلغ لما تقدم والتنبيه على ان هذا أمر يستحيا من التصريح به وأنه مما يكنى عنه مما جاءت به الفصاح به والستر على داود عليه السلام ووجه التمثيل فيه ان مثلت قصة أوريا برجل له نجة (٢٨١) واحدة وخليطه تسع وتسعون فاراد أن يتمها مائة بالنجة المذكورة ثم قال فان قلت لم ريقصة التمثيل اذا استعمل على جعل الخطاب من الخطبة فان كان من الخطبة فما وجهه قال الوجه حينئذ ان تجعل النجة استعارة للمرأة كما استعار والدها

حل عليه (خصمان) خبر مبتدا محذوف أي نحن خصمان (ولا تشطط) ولا تجر وقرئ ولا تشطط أي لا تبعد عن الحق وقرئ ولا تشطط ولا تشاطط وكلها من معنى الشطط وهو مجاوزة الحد وتخطي الحق (واهدنا الصراط) وسطه وصحته ضربه مثلا لعين الحق وحضه (أخي) بدل من هذا أو خبر ثان والمراد اخوة الدين أو أخوة الصداقة أو الالفة أو أخوة الشركة والخلطة لقوله تعالى وان كثيرا من الخلطاء ولكل واحدة من هذه الاخوات تدلي بحق مانع من الاعتداء والظلم وقرئ تسع وتسعون بفتح التاء ونجة بكسر النون وهذا من اختلاف اللغات نحو يطمع ويطمع ولقوه ولقوه (أكفلنيها) ملكنيها واجعلني أكفلها كما أكفل ما تحت يدي (وعزني) وغلبني يقال عزه يعزه قال

قطاة عزها شرك فباتت * تجاذبه وقد علق الجناح

حامل بحجاج ثم أمر أن أورد عليه ما أريد به * وأراد بالخطاب مخاطبة الحجاج المحامل أو أراد خطبت وخطبها هو وخاطبني خطابا أي غالبني في الخطبة فغلبني حيث زوجها دوني وقرئ وعازني في المعازة بمعنى المغالبة وقرأ أبو حيوة وعزني بتخفيف الزاي طلبا للخفة وهو تخفيف غريب وكأنه قاسه على نحو ظلت (فان قلت) ما معنى ذكر النعاج (قلت) كان خاكهم في نفسه تمثيلا وكلا مهم تمثيلا لان التمثيل أبلغ نحو يطلق ذكرا ولتنبيه على أنه أمر يستحيا من كشفه فيكنى عنه كما يكنى عما يستقبح الافصاح به والستر على داود عليه السلام والاحتفاظ بمرتبته ووجه التمثيل فيه أن مثلت قصة أوريا بامرأة لرجل له نجة واحدة وخليطه تسع وتسعون فاراد صاحبه تتمة المائة فطمع في نجة خليطه وأراده على الخروج من ملكها وضمها الى نجاته فجاءه في ذلك محاجة حريص على بلوغ مراده والدليل عليه قوله وان كثيرا من الخلطاء وانما خص هذه الصورة لان أنها من الرمز الى الغرض بذكر النجة (فان قلت) انما يستقيم طريقة التمثيل اذا قدرت الخطاب بينهما فما معنى قوله لقد ظلمك بسؤال نعجتك (قلت) الوجه مع هذا التقدير أن تجعل النجة استعارة للمرأة كما استعار والد الشاة في قوله ياشاة ما قنص لمن حلت له * فرميت غفلة عينه عن شاته

فهو يحجه من قال كناية رملا لولا أن الخلطاء أباه الا أن يضرب داود الخلطاء ابتداء ليتوجه الخطاب لقصتهم (فان قلت) الملائكة عليهم السلام كيف صح منهم أن يخبروا عن أنفسهم بما ليست لهم وهي تسع وتسعون نعجة ولا كثير ولا هو من شأنهم (قلت) هو تصوير لقصة وفرض لها تصوروها في أنفسهم وكما يفرض الناس كما قول في تصوير المسائل زيد له أربعون شاة وعمرو له أربعون وأنت تشير اليهما فخلطاها فهي لهما الحول كله فهما والمال زيد وعمرو سيد ولا بد وتقول أيضا في تصويرها المائة وثلثمائة ان خلطاها والكل من الاربعين أربعة ولا ربعها (فان قلت) ما وجه قراءة ابن مسعود وتسع نجة أنثى (قلت) يقال امرأة أنثى للحسناء الجميلة والمعنى وصفها بالعراقة في لين الانوثة وفتورها وذلك أملح لها وأزيد لهم وتشبيها الا ترى الى وصفهم لها بالكسل والاكسال وقوله فتور القيام قطيع الكلام وقوله

وتسعون ٣١ كشاف ني السلام أن التحاكم على ظاهره وهو التخاصم في النعاج التي هي البهائم ثم تنقل بواسطة التنبيه الى تمثيل حاله وعلى الاستعارة يكون فهم منها التحاكم في النساء المعبر عنهن بالنعاج كناية ثم استعمر له هو المراد بذلك قال فان قلت اللائكة الاخبار عن أنفسهم بما ليس لهم وأجاب بان ذلك على سبيل التصوير والفرض كما تقول في تصوير المسئلة زيد له أربعون شاة وعمرو له أربعون خلطاها فاذا يجب عليهما من الزكاة وتقول أيضا في أربعون شاة وثلثمائة وعشرين أربعة ولا ربعها فان قلت فما وجه قراءة ابن مسعود وتسع نجة أنثى وأجاب بانه يقال امرأة أنثى للحسناء الجميلة ومعناه الى آخره

خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط ان هذا أخي له تسع وتسعون نجة ولي نجة واحدة فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب قال

الشاة في قوله ياشاة ما قنص لمن حلت له لان لفظ الخطاء يأباه اللهم الا أن يكون ابتداء من داود عليه السلام (فان قلت) والفرق بين التمثيل والاستعارة انه على التمثيل يكون الذي سبق الى فهم داود عليه

فتور القيام بطبع الكلام اه كلامه (قلت) ولكن قوله ولى نجحة انما أورده على سبيل التقليل لما عنده والتحقير ليسجل على صحبه بالبغي لطلبه هذا القليل الحقير وعنده الجم الغفير فكيف يليق وصف ما عنده والمراد تقليله بصفة الحسن التي توجب اقامة عذر لخصمه ولذلك جاءت القراءة المشهورة على الاقتصار على ذكر النجة وتأكيدها بقوله واحدة فهذا الاشكال على قراءة ابن مسعود يمكن الجواب عنه بان القصة الواقعة لما كانت امرأة أوريا المتزوجة بالنجة فيها مشهورة بالحسن وصفه بانها نعجة الخصمين بالحسن زيادة في التطبيق لتأكيد التشبيه على انه هو المراد بالتمثيل ثم قال فان قلت لم سارع بتصديق أحد الخصمين قبل سماع كلام الآخر وأجاب بان ذلك كان بعد اعتراف خصمه (٣٨٣) ولكنه لم يحك في القرآن لانه معلوم اه كلامه (قلت) ويحتمل ان يكون ذلك من داود على سبيل الفرض والتقدير أي ان صح ذلك فقد ظلمك وتحمل بعضهم ان هذه القصة لم تكن من الملائكة وليست تمثيلا وانما كانت من البشر اما خليطين في الغنم حقيقة واما كان

لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه وان كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا

أحدهما موسرا وله نسوان كثيرة من المهاير والسراري والثاني معتقرا وماله الا امرأة واحدة فاستنزله عنها وفرغ داود وخوفه ان يكونا متعاسرين لانهما خلاعليه في غير وقت الغداء وما كان

تثنى رويدا تكادتنغرف (لقد ظلمك) جواب قسم محذوف وفي ذلك استنكار لفعل خليطه وتهجين لطمعه والسؤال مصدر مضاف الى المفعول كقوله تعالى من دعاء الخير وقد ضمن معنى الاضافة فعدى تعديتها كانه تميل باضافة (نعجتك الى نعاجه) على وجه السؤال والطلب (فان قلت) كيف سارع الى تصديق أحد الخصمين حتى ظلم الآخر قبل استماع كلامه (قلت) ما قال ذلك الا بعد اعتراف صاحبه ولكنه لم يحك في القرآن لانه معلوم وروي أنه قال أنا أريد أن آخذها منه وأكمل نعاجي مائة فقال داود ان رمت ذلك ضربنا منك هذا وهذا وأشار الى طرفي الانف والجبهة فقال يا داود أنت أحق أن يضرب منك هذا وهذا وأنت فعلت كيت وكيت ثم نظر داود فلم ير أحدا فعرف ما وقع فيه و (الخلطاء) الشركاء الذين خلطوا أموالهم الواحد خليط وهي الخلطة وقد قيلت في الماشية والشافعي رحمه الله يعتبرها اذا كان الرجلان خليطين في ماشية بينهما اعتبر مقسومة أو لكل واحد منهما ماشية على حدة الا أن مراحها ومسقاها ومواضع حلبها والراعي والكلب واحد والفحولة مختلطة فهما كالشركة الواحدة فان كان لهما أربعون شاة فعليهما شاة وان كانوا ثلاثة ولهم مائة وعشرون لكل واحد أربعون فعليهم واحدة كما لو كانت لواحد وعند أبي حنيفة لا تعتبر الخلطة والخليط والمنفرد عنده واحد ففي أربعين بين خليطين لا شيء عنده وفي مائة وعشرين بين ثلاثة ثلاث شياه (فان قلت) فهذه الخلطة ما تقول فيها (قلت) عليهما شاة واحدة فيجب على ذي النجة أداء جزء من مائة جزء من الشاة عند الشافعي رحمه الله وعند أبي حنيفة لا شيء عليه (فان قلت) ما أراد بذكر حال الخلطاء في ذلك المقام (قلت) قصد بها الموعظة الحسنة والترغيب في ايثار عادة الخلطاء الصلحاء الذين حكم لهم بالقلة وأن يكره لهم الظلم الاعتداء الذي عليه أكثرهم مع التأسف على حالهم وأن يسلي المظلوم بما جرى عليه من خليطه وأن له في أكثر الخلطاء أسوة وقرئ ليبغي بفتح الياء على تقدير النون الخفيفة وحذفها كما

اضربن عنك الهموم طارقها وهو جواب قسم محذوف وليبغ بحذف الياء اكتفاء بالكسرة

وما في (وقليل ماهم) للابهام وفيه تعجب من قلتهم وان أردت أن تنفي قلتهم وعدمهم فاطرحهم من أعرى القيس وحديث ما على قصره وانظر هل بقي له معنى فطالما كان الظن الغالب يدا في العلم استعير ومعناه وعلم داود وأيقن (أنما فتناه) انا ابتليناه لا محالة بأمر أو بأمور يا هل يثبت أو يزل وقرئ فتناه بالتشديد للمبالغة وافتناه من قوله لئن فتنتني لهي بالامس أفتنت وفتناه وفتناه على أن الالف ضمير الملكين وعن بالراكع عن الساجد لانه يخفي و يخضع كالساجد وبه استشهد أبو حنيفة وأصحابه في سجدة التلاوة على الركوع يقوم مقام المسجود وعن الحسن لانه لا يكون ساجدا حتى يركع ويجوز أن يكون قد استغفر لذنبه وأخر بركعتي الاستغفار والانابة فيكون المعنى وخر للسجود راكعا أي صلى الا ان الركوع يجيء

ذنب داود الا أنه صدق أحدهما على الآخر ونسبه الى الظلم قبل تثبته اه كلامه (قلت) مقصود هذا القائل عن تنزيه داود عن ذنب يعتبر عليه شهوة النساء فاخذ الآية على ظاهرها وصرف الذنب الى العجلة في نسبة الظلم الى المدعى الملحوظ على ذلك في الغالب لما هو الثواب الغضب وكراهيته أخف مما يكون الباعث عليه الشهوة والهوى ولعل هذا يؤكد رأيه في الآية بقوله تعالى عقبها وصية لداود عليه السلام يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فما ورد العناية بتوصيته فيما يتعلق بالاحكام الا والذي صدر منه أولا وبان منه من قبيل ما وقع له في الحكم بين وقد التزم المحققون من أئمتنا ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام داود وغيره منزهون من الوقوع في صغائر الذنوب فضلا عن كبائرها والقصر الحامل الصحيح لامثال هذه القصة وهذا هو الحق الابلج والسبيل الابهج ان شاء الله تعالى

عن الصلاة (وأناب) ورجع الى الله تعالى بالتوبة والتنصل وروى أنه بقى ساجدا أربعين يوما وليلة لا يرفع رأسه الا لصلاة مكتوبة أو ما لا بد منه ولا يرقأ دمعه حتى نبت العشب من دمعه الى رأسه ولم يشرب ماء الا وثلثاه دمع وجهد نفسه راغبا الى الله تعالى فى العفو عنه حتى كاد يهلك واشتغل بذلك عن الملك حتى وثب ابن له يقال له ايشا على ملكه ودعا الى نفسه واجتمع اليه أهل الزيغ من بنى اسرائيل فلما غفر له عاد به فهزمه وروى أنه نقش خطيئته فى كفه حتى لا ينساها وقيل ان الخصمين كانا من الانس وكانت الخصومة على الحقيقة بينهما اما كانا خليطين فى الغنم واما كان أحدهما موسرا وله نسوان كثيرة من المهائر والسرارى والثانى معسرا مالك الا اهرأة واحدة فاستنزله عنها واتفق له ذلك ولهما عليه فى غير وقت الحكومة أن يكونا ممتالين وما كان ذنب داود الا أنه صدق أحدهما على الآخر وظلمه قبل مسئلته (خليفة فى الارض) أى استخلفناك على الملك فى الارض ممن يستخلفه بعض السلاطين على بعض البلاد ويملكه عليها ومنه قولهم خلفاء الله فى أرضه أو جعلناك خليفة ممن كان قبلك من الانبياء القائمين بالحق وفيه دليل على أن عالم بعد التوبة بقيت على ما كانت عليه لم تتغير (فاحكم بين الناس بالحق) أى بحكم الله تعالى اذ كنت خليفته (ولا تتبع) هوى النفس فى قضائك وغيره مما تشرف فيه من أسباب الدين والدنيا (فيضلك) الهوى فيكون سببا لضلالك (عن سبيل الله) من دلائله التى نصبها فى العقول وعن شرائعه التى شرعها وأوحى بها (بما نسوا يوم الحساب) متعلق بنسوا أى بنسيانهم يوم الحساب أو بقوله لهم أى لهم عذاب يوم القيامة بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن سبيل الله وعن بعض خلفاء بنى مروان أنه قال لعمر بن عبد العزيز أو للزهرى هل سمعت ما يلقننا قال وما هو قال لعنا أن الخليفة لا يجرى عليه النار ولا تكتب عليه معصية فقال يا أمير المؤمنين الخلفاء أفضل أم الانبياء ثم تلا هذه الآية (باطلا) خلقا باطلا لا لغرض صحيح وحكمة بالغة أو عابثين كقوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق وتقديره ذوى باطل أو عبثا فوضع باطلا موضعه كما وضعه هاهنا أو موضع المصدر وهو صفة أى ما خلقناهما وما بينهما الا مبطلين ولكن للحق المبين وهو أن خلقناهما قولا وهو ما تقتضيه العقول والتمييز وفحواها التكليف وارتحالها عنها لهم عرضناها للمنافع العظيمة بالتكليف وأعددنا لها عاقبة وجزاء على حسب أعمالها هو (ذلك) اشارة الى خلقنا لا للاعراض عنه (ظن الذين كفروا) أى خلقوا للعبث لا للحكمة هو ظنهم الذين كفروا (فان قلت) اذا كانوا مقرين بأن الله خالق السموات والارض وما بينهما بدليل قوله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فهم جعلوا ظانين أنه خلقها للعبث لا للحكمة (قلت) لما كان انكارهم للبعث والحساب والثواب والعقاب مؤديا الى أن خلقها عبث وباطل جعلوا كأنهم يظنون ذلك ويقولونه لان اجراءهم الذى سمعت اليه الحكمة فى خلق العالم من رأس الى حده فقد جحدوا الحكمة من أصلها ومن جحد الحكمة فى خلق العالم فقد سفه الخالق وظهر بذلك أنه لا يعرفه ولا يقدره حق قدره فكان اقراره بكونه خالقا كلا اقرار (أم) منقطعة ومعنى الاستفهام فيها الانكار والمراد أنه لو بطل الجزاء كما يقول الكافرون لاستوت عند الله أحوال من أصلح وأفسد وفاق وفجر ومن سوى بينهم كان سفيها ولم يكن حكيما وغرضه مبارك ليتدبر واعلى الاصل وليتدبر واعلى الخطاب وتدبر الآيات التذكر فيها والتأمل الذى يؤدى الى معرفة ما يدبر بظاهرها من التأويلات الصحيحة والمعانى الحسنة لان من اتبع بظاهر المتناقض حصل منه بكثير باطل وكان مثله كمثل من له قشة تمر ولا يحلها وصرة نمور لا يستولدها وعن الحسن قد قرأ هذا القرآن عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله حفظوا حروفه وضيعوا حدوده حتى ان أحدهم ليقول والله لقد قرأت القرآن فما أسقطت منه حرفا وقد والله أسقطه كله ما يرى للقرآن عليه أثرا فى خلق ولا عمل والله ما هو بحفظ حروفه واضاعة حدوده والله ما هؤلاء بالعلماء ولا الورعة ولا كثر الله فى الناس مثل هؤلاء اللهم اجعلنا من العلماء المتدبرين وأعذنا من القراء المتكبرين وقرئ نهم العبد على الاصل والخصوص بالمدح محذوف وعلل كونه عبدا وبكونه أوابا رجاعا اليه بالتوبة أو مسبحا مؤولا بالتسبيح مرجعه لان كل مؤوب أواب والصافن الذى فى قوله

وأناب فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن مآب داود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض أم نجعل المتقين كالفجار كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الالباب ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه أواب اذ عرض عليه

ألف الصفون فما زال كأنه * مما يقوم على الثلاث كسيرا

وقيل الذي يقوم على طرف سنبك يد أو رجل هو الخنع وأما الصافن فالذي يجمع بين يديه وعن النبي صلى الله عليه وسلم من سره أن يقوم الناس له صفونا فليتبوأ مقعده من النار أي واقفين كما خدم الجبابرة (فان قلت) ما معنى وصفها بالصفون (قلت) الصفون لا يكاد يكون في الهجن وانما هو في العراب الخلص وقيل وصفها بالصفون والجودة لجمعها بين الوصفين المحمودين واقفة وجارية يعني اذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في مواقفها واذا جرت كانت سراعا خفافا تجري جريها وروى أن سليمان عليه السلام غزا أهل دمشق ونصيبين فاصاب ألف فرس وقيل ورثها من أبيه وأصابها أبوه من العمالقة وقيل خرجت من البحر لها أجنحة فتعدى بها بعد صلاتي الاولى على كرسيه واستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر أو عن وردها الذي كان له وقت العشي وتهيئوه فلم يعلموه فاغتم لفواته فاسترد ها وعقرها متقربا بالتوبة مما وقع فيه فعاقبه الله بأن سلبه ملكه وألقاه على كرسيه جسدا ثم أناب قال رب اغفر لي وهب لي ملكا

قوله تعالى الصافنات الجياد (قال) الصفون أن يقف على ثلاث وعلى طرف الرابع وقيل هذا للخيل والصافن الذي يجمع بين يديه قال ورؤسهما بذلك لانه لا يكون في الهجن غالبا وانما يكون في العراب الخلص أو جمعت للجمع لها الوصفين المحمودين جارية وواقفة فوصفها في جريها بالجودة والسرعة وفي وقوفها بالسكينة والطمأنينة لان ذلك من لوازم الصفون غالبا

(فان قلت) ما معنى (أحببت حب الخير عن ذكر ربي) (قلت) أحببت متضمن معنى فعل يتعدى بعن كأنه قيل أنبت حب الخير عن ذكر ربي أو جعلت حب الخير مجزيا أو مغنيا عن ذكر ربي وذكر أبو الفتح الهمداني في كتاب التبيان أن أحببت بمعنى لزمت من قوله مثل بعير السوء اذا أحبا وليس بذاك والخير المال كقوله ان ترك خيرا وقوله وانه لحب الخير لشديد والمال الجليل التي شغلته أو سمى الخيل خيرا كأنها نفس الخير لتعلق الخير بها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة وقال في زيد الخيل حين وفد عليه وأسلم ما وصف لي رجل فرأيته الا كان دون ما يقال الا زيد الخيل وعساه يريد الخير وسأل رجل بلالا رضي الله عنه عن قوم يستبقون من السابق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له الرجل أردت الخيل فقال وأنا أردت الخير والتواري بالحجاب مجاز في غروب الشمس عن توارى الملك أو الخبأة بحجابها والذي دل على أن الضمير للشمس مرور ذكرها من غير ذكر أو دليل ذكر وقيل الضمير للصافنات أي حتى توارت بحجاب الليل يعني الاغلام ومن بدع التفاسير أن الحجاب جبل دون قاف مسيرة سنة تغرب الشمس من ورائه (فطفق مسحا) فجعل يمسح مسحا أي يمسح بالسيف يمسوقها وأعناقها يعني يظنها بتأمل مسح علاوته اذا ضرب عنقه ومسح المسمر الكتاب اذا قطع أطراف حروفه وعن الحسن كشف عراقيبها وضرب أعناقها أراد بالكشف القطع ومنه الكشف في الثياب الزحاف في العروض ومن قاله بالشين المعجمة فمعناه أيضا ما ظهر انجابها (فان قلت) هم أحمل قوله ردوها علي (قلت) بمعذوف تقديره قال ردوها علي فامتثلوا أمره واضمر ما هو جواب له كأن قائلا قال فما فعل سليمان لانه موضع مقتض للسؤال اقتضاء ظاهرا وهو استغال نبي من أنبياء الله بأمر الدنيا حتى تتوله الصلاة عن وقتها وقرئ بالسوق بهمزة الواو أضفيها كما في أدور ونظيره النور في مصدر نارت الشمس وأما من قرأ بالسوق فقد جعل الضمة في السين كأنها في الواو للتلاصق كما قيل موقن ونظيره سات وسوف أسود وترثى بالساق اكتفاء بالواحد عن الجمع لامن الالباس قيل فتن سليمان بعد ما سلك عشرين سنة وملك بعد الفتنة عشرين سنة وكان من فتنته أنه ولد له ابن فقالت الشياطين ان عاش لم يتخلف من الحفرة فسيلنا أن نقتله أو نخبله فعلم ذلك فكان يقدمه في الصلاة فما راعه الا الولد على كرسيه ميتا فتنبه على خطيئته في أن لم يتوكل فيه على ربه فاستغفر ربه وتاب اليه وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سليمان لاطوفن الليلة على سبعين امرأة كل واحدة تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل والذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا أجمعون فذلك قوله تعالى (ولقد فتنا سليمان) وهذا ونحوه مما لا بأس به وأما ما روي من حديث الخاتم والشيطان وعبادة الوثن في بيت سليمان فالله أعلم بصحته حكوا أن سليمان بلغه بخبر صيدون وهي مدينة في بحر الجزائر وان بها ملكا عظيم الشأن لا يقوى عليه لحصنه بالبحر فخرج اليه تحمله الريح حتى أناخ بها بجنوده

من الجن والانس فقتل ملكها وأصاب بنتا له اسمها جرادة من أحسن الناس وجها فاصطفاها لنفسه وأسلمت وأحبها وكانت لا يرقأ دمعها حزنا على أبيها فأمر الشياطين فتثالوا لها صورة أبيها فكسبتها مثل كسوته وكانت تغدو اليها وتروح مع ولائدها بسجدن له كعادتهن فى ملكه فأخبر آصف سليمان بذلك فكسر الصورة وعاقب المرأة ثم خرج وحده الى فلاة وفرش له الرماد فجلس عليه تائبا الى الله مستضرعا وكانت له أم ولد يقال لها أمينة اذا دخل للطهارة أو لاصابة أهل أو وضع خاتمه عندها وكان ملكه فى خاتمه فوضعه عندها يوما وأتاها الشيطان صاحب البحر وهو الذى دل سليمان على الماس حين أمر ببناء بيت المقدس واسمه صخر على صورة سليمان فقال يا أمينة ناولينى خاتمى فتختم به وجلس على كرسى سليمان وعكفت عليه الطير والجن والانس وغير سليمان عن هيئته فأتى أمينة فطلب الخاتم فأنكرته وطردته فعرف أن الخطيئة قد أدركته فكان يدور على البيوت يتكفف فاذا قال أنا سليمان حثوا عليه التراب وسبوه ثم عمد الى المساكين يتقبل لهم السمك فيعطونه كل يوم سمكتين فشكت على ذلك أربعين صباحا عدد ما عبد الوثن فى بيته فأنكر آصف وعظما بنى اسرائيل حكم الشيطان وسأل آصف نساء سليمان فقلن ما بدع امر أمتنا فى دعها ولا يغتسل من جنابة وقيل بل نفذ حكمه فى كل شئ الا فيهن ثم طار الشيطان وقذف الخاتم فى البحر فابتلعته سمكة ورفعت السمكة فى يد سليمان فبقر بطنها فاذا هو بالخاتم فتختم به وقعد على سريره وجمع اليه ملكه وجاب صخرة لتحتر جسمه فيها وسد عليه بأتوى ثم أوثقه بالحديد والرصاص وقذفه فى البحر وقيل لما افتتن كان يسقط الخاتم من يده لانه سأل فيما قال له آصف الذى افتتنوا بسببك والخاتم لا يقرف بذلك فتب الى الله عز وجل والقائلون العلماء المتقنون قبوله وقالوا هذا من أباطيل اليهود والشياطين لا يتمكنون من مثل هذه الافاعيل وتسليط الله اياهم على عباده حتى يفعلوا فى تغيير الاحكام وعلى نساء الانبياء حتى يفجروا بهن قبح وأما اتخاذ التماثيل فيجوز أن يختلف فيه الشرائع الا ترى الى قوله من محاريب وتماثيل وأما السجود للصورة فلا يظن نبى الله أن يأذن فيه واذا كان بمعزل فلا عليه وقوله (والقينا على كرسيه جسدا) ناب عن افادة معنى اثابة الشيطان منابه تنبيها على ظاهر امره وقدم الاستغفار على استهاب الملك سواء على عادة الانبياء والصالحين فى تقديمهم أمر دينهم على أمور دنياهم (لا ينبغى) لا يتسهل ولا يكون * ومعنى (من بعدى) دونى (فان قلت) أما يشبه الحسد والحرص على الاستبداد بالمعجزة أن يستعطى الله الا يعطيه غيره (قلت) كان سليمان عليه السلام تشاق بيت الملك والنبوة وراثة لهما فأراد أن يطلب من ربه معجزة تغلب على حسب الفة ملكا كان أشد على الملك زاد فى ملكه بالغة حد الاعجاز ليكون ذلك دليلا على نبوته قاهرا للعبوث اليهم أن يكون معجزة حتى يخرق العادات فذلك معنى قوله لا ينبغى لاحد من بعدى وقيل كان ملكا عظيما فخاف أن يعطى مثله أحد فلا حافظ على حسود الله فيه كما قالت الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك وقيل ملكا لا أسلبه ولا يقوم غيرى فيه فعاتبه الله على تلهفه على ما فاته من أمر هو أقل من أن يتهافت عليه مثله وجوز أن يقال علم الله فيما اختصه به من ذلك الملك العظيم مصالح فى الدين وعلم أنه لا يضطلع بها غيره وأوحت الملكة باستتباعه فأمره أن يستوهبه اياه فاستوهبه بأمر من الله على الصفة التى علم الله أنه لا يضبطها على الاهو وحده دون سائر عباده أو أراد أن يقول ملكا عظيما فقال لا ينبغى لاحد من بعدى ولم يقصد بذلك الاعظم الملك وسعته كما تقول لفلان مال ليس لاحد من الفضل والمال ورعما كان الناس أمثال ذلك ولكنك تريد تعظيم ما عنده وعن الحجاج أنه قيل له انك حسود فقال أحسد من قال هب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى وهذا من جرأته على الله وسيطنته كما حكى عنه طاعتنا أوجب من طاعة الله لانه شرط فى طاعته فقال فاتقوا الله ما استطعتم وأطلق طاعتنا فقال وأولى الامر منكم * فرخى الريح والرياح (رخاء) لينة طيبة لا تزعزع وقيل طيعة له لا تمتنع عليه (حيث أصاب) حيث قصد وأراد وحكى الاصمعى عن العرب أصاب الصواب فأخطأ الجواب وعن رؤبة أن رجلين من أهل اللغة قصداه ليسألاه عن هذه الكلمة فخرج اليهما فقال أين تصيبان فقالا هذه طيبة ورخاء فقال أصاب الله بك خيرا (والشياطين) عطف على الريح (كل بناء) بدل من الشياطين (وآخرين) عطف على كل داخل فى حكم البدل وهو بدل الكل من الكل

لا ينبغى لاحد من بعدى انك أنت الوهاب فسخر له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين فى الاصفاد

كانوا يتون له ما شاء من الابنية ويغوصون له فيستخرجون اللؤلؤ وهو أول من استخرج الدر من البحر وكان يقرن مردة الشياطين بعضهم مع بعض في القيود والسلاسل للتأديب والكف عن الفساد وعن السدى كان يجيء أيديهم الى أعناقهم مغلولين في الجوامع * والصفد القيد وسمي به العطاء لانه ارتباط للمنعم عليه ومنه قول علي رضي الله عنه من برئ فقد أصرك ومن جفاك فقد أطلقك ومنه قول القائل على يد اصطنعها وأرق رقبة صنعتها وقال حبيب ان العطاء اسار وتبعه من قال * ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا * وفرقوا بين المعنيين فقالوا صفده قيده وأصفده أعطاه كوعده وأوعده أي (هذا) الذي أعطيناك من الملك والمال والبسطة (عطاؤنا) بغير حساب يعني جما كثيرا لا تكاد تقدر على حسبه وحصره (فامنن) من المنة وهي العطاء أي فأعط منه ما شئت (أو أمسك) مفوضا اليك التصرف فيه وفي قراءة ابن مسعود هذا فامنن أو أمسك عطاؤنا بغير حساب أو هذا التخيير عطاؤنا فامنن على من شئت من الشياطين بالاطلاق وأمسك من شئت منهم في الوثاق بغير حساب أي لا حساب عليك في ذلك (أيوب) عطف بيان و (اذ) بدل اشتمال منه (أني مسني) بأني مسني حكاية لكلامه الذي ناداه به ليميزه ولم يحك قال بأنه مسه لانه غائب * وترك ينصب بضم النون وفتحها مع سكون الصاد وبفتحهما وضمهما فالنصب والنصب كالرشد والرشد والنصب على أصل المصدر والنصب تثقيل نصب والمعنى واحد وهو التعب والمشقة * والعذاب الالم يريد ما كان يقاسي فيه من أنواع الوصب وقيل الضر في البدن والعذاب في ذهاب الاهل والمال (فان قلت) لم نسبه الى الشيطان ولا يجوز أن يسلطه الله على أنبيائه لما يقضي من آلامهم وتنغيصهم وطمعه ولو قدر على ذلك لبلغ مراده الا وقد نكبه وأهلكه وقد تكرر في القرآن انه لا سلطان له الا الوسوسة فحسب (قلت) لما كانت وسوسته اليه وطاعته له فيما وسوس به سببا لما مسه الله به من التعب والعذاب نسبه اليه وتحراجا من الادب في ذلك حيث لم ينسبه الى الله في دعائه مع أنه فاعله ولا يقدر عليه الا هو وقيل أراد ما كان يوسوسه اليه في مرضه من تعليم مايزل به من البلاء ويغريه على الكراهة والجزع فالتجأ الى الله تعالى في أن يكشف ذلك البلاء أو يتوفى في دفعه ورده بالصبر الجميل وروي أنه كان يعوده ثلاثة من المؤمنين فارتد أحدهم فسأل عنه فقيل أتى اليه الشيطان ان الله لا يبتلي الانبياء والصالحين وذكر في سبب بلائه أن رجلا استغاثه على ظالم فلم يغثه وقيل كان مر ماشيه في ناحية ملك كافر فداهنه ولم ينهره وقيل أعجب بكثرة ماله (اركض برجلك) حكاية ما أجيب به أيوب أي اضرب برجلك الارض وعن قتادة هي أرض الجابية فضربها فنبعت عين فقيل (هذا مغتسل بارد وشراب) أي هذا ماء تغتسل به وتشرب منه فبرأ باطنك وظاهرك وتتقلب مالك قبله وقيل نبعت له عينان فاغتسل من احداهما وشرب من الاخرى فذهب الداء من ظاهره وباطنه بأذن الله وقيل ضرب برجله اليمنى فنبعت عين حارة فاغتسل منها فراح اليه ما كان ذهب من لحمه وشعره وقيل ضرب برجله اليمنى فنبعت عين باردة فشرب منها (رحمة منا وذكرى) مفعول لهما والمعنى أن الغيبة كانت للرحمة له ولتذكير أولي الالباب لينهم اذا سمعوا بأنعمنا به عليه لصبره وغيرهم في الصبر على البلاء وعاقبة الصابرين وما يفعل الله بهم (وخذ) معطوف على اركض * والضغث الحزمة الصغيرة من حشيش أو ريحان أو غير ذلك وعن ابن عباس قبضة من الشجر كان حلف في مرضه ليضربن امرأته مائة اذا برأ لقلة تعهيده بأمور مني عليه وعلها لحسن خدمتها اياه ورضاه عنها وهذه الرخصة باقية وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أتي بمخدج قد سقط فقال خذوا عثكالا فيه مائة شمراخ فاضربوه ضربة واحدة * ويجب أن يصيب الضرب كل واحد من المائة اما لطرافها قائمة واما لعراضها مبسوطة مع وجود صورة الضرب وكان السبب في يمينه أنها أبطأت عليه ذاهبة في حاجة فشرح صدره وقيل باعت ذؤابتها برغيفين وكانت تعلق أيوب اذا قام وقيل قال لما الشيطان اسجدي لي سجدة فأرد عليكم مالكم وأولادكم فتومت بذلك فأدركها العصمة فذكرت ذلك له فحلف وقيل أوهمها الشيطان أن أيوب اذا شرب الخمر برأ فعرضت له بذلك وقيل سألته أن يتوب للشيطان بعناق (وجدناه صابرا) علمناه صابرا (فان قلت) كيف وجده صابرا وقد شكا اليه ما به واسترحمه (قلت) الشكوى الى الله عز وعلا لا تسمى جزعا

هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب وان له عندنا لزلفى وحسن مآب واذكر عبدنا أيوب اذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لاولي الالباب وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب

ولقد قال يعقوب عليه السلام انما أشكو بثي وحزني الى الله وكذلك شكوى العليل الى الطبيب وذلك أن أصبر الناس على البلاء لا يخلو من تمنى العافية وطلبها فاذا صح أن يسمى صابرا مع تمنى العافية وطلب الشفاء فليسم صابرا مع اللجأ الى الله تعالى والدعاء بكشف ما به ومع التعالج ومشاورة الاطباء على أن أيوب عليه السلام كان يطلب الشفاء خيفة على قومه من الفتنة حيث كان الشيطان يوسوس اليهم كما كان يوسوس اليه أنه لو كان نبيا لما ابتلى بمثل ما ابتلى به وارادة القوة على الطاعة فقد بلغ أمره الى أن لم يبق منه الا القلب واللسان ويروى أنه قال في مناجاته الهي قد علمت أنه لم يخالف لساني قلبي ولم يتبع قلبي بصري ولم يهجني ما ملكت يميني ولم آكل الا ومعي يتيم ولم أبت شبعان ولا كاسيا ومعي جائع أو عريان فكشف الله عنه (ابراهيم واسحق ويعقوب) عطف بيان لعبادنا ومن قرأ عبدنا جعل ابراهيم وحده عطف بيان له ثم عطف ذريته على عبدنا وهي اسحق ويعقوب كقراءة ابن عباس والد أبيك ابراهيم واسمعيل واسحق * لما كانت أكثر الاعمال تباشر بالايدي غلبت فعيل في كل عمل هذا اما عملت أيديهم وان كان عملا لا يأتي فيه المباشرة بالايدي أو كان الاعمال جنسا الأيدي لهم وعلى ذلك ورد قوله عز وعلا (أولي الايدي والابصار) يريد أولي الاعمال والفكر كان الذين لا يعملون أعمال الآخرة ولا يجاهدون في الله ولا يفكرون أفكار ذوي الديانات ولا يستبصرون في حكم الرشى الذين لا يقدرون على أعمال جوارحهم والسادرين العقول الذين لا استبصار لهم وفيه تعريض لكل من لم يكن من عمال الله ولا من المستبصرين في دين الله وتهييج على تركهم المجاهدة والتأمل مع كونهم ممكنين منهما وقرئ أولي الايادي على جمع الجمع وفي قراءة ابن مسعود أولي الايد على طرح الياء والاكتفاء بالكسرة وتنكيره بالايد المؤيد في غير ممكن (أخلصناهم) جعلناهم خالصين (بخالصة) بخلصة خالصة لا شوب فيها * ثم فسرها بذكرى الدار شهادة لذكرى الدار بالخلوص والصفاء وانتفاء الكدورة عنها وقرئ على الاضافة وللمعنى بما خلص من ذكرى الدار على أنهم لا يشوبون ذكرى الدار بهم آخرا غالبهم ذكرى الدار لا غير ومعنى ذكرى الدار ذكراهم الآخرة فانها توقظ نسيانهم لها ذكر الدنيا وأينها كبرهم الآخرة وترغيبهم فيها وترهيدهم في الدنيا كما هو شأن الانبياء وتذييلهم وقيل ذكرى الدار الثناء الجميل في الدنيا ولسان الصدق الذي ليس لغيرهم (فان قلت) ما معنى أخلصناهم بخالصة (قلت) معناه أخلصناهم بسبب هذه الخصلة وبأنهم من أهلها أو أخلصناهم بتوفيقهم لها والطافهم في اختيارها وتعضد الاول قراءة من قرأ بخالصتهم (المصطفين) المختارين من أبناء جنسهم * (الاخيار) جمع خير أو خير على التخفيف كالاموات في جمع ميت أو ميت (واليسع) كان حرف التعريف دخل على يسع وقرئ واليسع كأن حرف التعريف دخل على ليسع فعل من اليسع * والنون في (وكل) عوض من المضاف اليه معناه وكلهم من الاخيار (هذا ذكر) أي هذا نوع من الذكر وهو القرآن لما أجرى ذكر الانبياء وأتبعه وهو باب من أبواب التنزيل ونوع من أنواعه وأراد أن يذكر على عقبه بابا آخر وهو ذكر الجنة وأهلها قال هذا ذكر ثم قال (وان للمتقين) كما يقول الخياط في كتبه فهذا باب ثم يشرع في باب آخر ويقول الكاتب اذا فرغ من فصل من كتابه وأراد الشروع في آخر هذا وقد كان كيت وكيت والدليل عليه أنه لما أخر ذكر أهل الجنة وأراد أن يعقبه بذكر أهل النار قال هذا وان للطاغين وقيل معناه هذا شرف وذو ذكر جميل يذكرون به أبدا وعن ابن عباس رضي الله عنه هذا ذكر من مضى من الانبياء (جنات عدن) معرفة لقوله جنات عدن التي وعد الرحمن وانتصابها على أنها عطف بيان لحسن مآب و (مفتحة) حال والعامل فيها ما في للمتقين من معنى الفعل وفي مفتحة ضمير الجنات والابواب بدل من الضمير تقديره مفتحة هي الابواب كقولهم ضرب زيد اليد والرجل وهو من بدل الاشتمال وقرئ جنات عدن مفتحة بالرفع على أن جنات عدن مبتدأ و مفتحة خبره أو كلها خبر مبتدأ محذوف أي هو جنات عدن هي * مفتحة لهم * كان اللدات ممن أترابا الان التراب مسن في وقت واحد وانما جعلن على سن واحدة لان التحاب بين الاقران أثبت وقيل هن أتراب لازواجهن أسنانهن كأسنانهم * قرئ يوعدون بالياء والتاء (ليوم الحساب) لاجل يوم الحساب كما تقول هذا مما تدخر لولدك

واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب أولي الايدي والابصار انا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار واذكر اسمعيل واليسع وذا الكفل وكل من الاخيار هذا ذكر وان للمتقين لحسن مآب جنات عدن مفتحة لهم الابواب متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب وعندهم قاصرات الطرف أتراب هذا ما توعدون ليوم الحساب ان هذا لرزقنا ماله من نفاد

* قوله تعالى هذا ذكر وان للمتقين لحسن مآب (قال فيه انما قال هذا ذكر ليذكر عقيبه ذكرا آخر وهو ذكر الجنة وأهلها كما يقول الخياط في كتبه فهذا باب ثم يشرع في باب آخر) قلت وكما يقول الفقيه اذا ذكر أدلة المسئلة عند تمام الدليل الاول هذا دليل ثان كذا وكذا الى آخر ما في نفسه ويدل عليه أنه عند انقضاء ذكر أهل الجنة قال هذا وان للطاغين لشر مآب فذكر أهل النار

اليوم الحساب أي اليوم تجزى كل نفس ما عملت (هذا) أي الامر هذا أو هذا كما ذكر (فليذوقوه حميم وغساق) كقوله لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش شبه ما تحتهم من النار بالمهاد الذي يفترشه النائم أي هذا حميم فليذوقوه أو العذاب هذا فليذوقوه ثم ابتدأ فقال هو (حميم وغساق) أو هذا فليذوقوه عاجلا وإياي فارهبون أي ليذوقوا هذا فليذوقوه والغساق بالتخفيف والتشديد ما يغسق من صديد أهل النار يقال غسقت العين اذا سالت دمعا وقيل الحميم يحرق بحره والغساق يحرق ببرده وقيل لو قطرت منه قطرة في المشرق لنتنت أهل المغرب ولو قطرت منه قطرة في المغرب لنتنت أهل المشرق وعن الحسن رضي الله عنه الغساق عذاب لا يعلمه الا الله تعالى ان الناس أخفوا لله طاعة فأخفى لهم ثوابا فقوله فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وأخفوا معصية فأخفى لهم عقوبة (وآخر) ومذوق آخر من شكله هذا المذوق من مثله في الشدة والفظاعة (أزواج) أجناس وقرئ وآخر أي وعذاب آخر أو مذوق آخر أزواج صفة لآخر لا يجوز أن يكون ضربا بالآ وصفة للثلاثة وهي حميم وغساق وآخر من شكله بالكسر وهي لغة وأما الخفض بالكسر لا غير (هذا فوج مقتحم معكم) هذا جمع كثيف قد اقتحم معكم النار أي دخل النار في حجتكم وفراركم والاقتحام ركوب الشدة والدخول فيها والقحمة الشدة وهذه حكاية كلام الطاغين بعضهم مع بعض أي يقولون هذا لما رأوا الفوج أتباعهم الذين اقتحموا اسوة بهم الضلالة فيقولون سوء بهم العذاب (لا مرحبا بهم) دعاء منهم على أتباعهم تقول ان تدعوه مرحبا أي أتيت رحبا من البلاد لا ضيقة أو رحبت بلادك رحبا ثم تدخل عليه لا في دعاء السوء وبهم بيان للداعي عليهم (انهم صالوا النار) تعليل لاستجابتهم الدعاء عليهم ونحوه قوله تعالى كلما دخلت أمة لعنت أختها وقيل هذا فوج مقتحم معكم كلام الخزنة لرؤسائهم الكفرة في أتباعهم ولا مرحبا بهم انهم صالوا النار كلام الرؤساء وقيل هذا كله كلام الخزنة (قالوا) أي الاتباع (بل أنتم لا مرحبا بكم) بريدون الدعاء الذي دعوتم به علينا أنتم أحق به وعللوا ذلك بقولهم (أنتم قدمتموه لنا) والضمير العذاب أو لسليم (فبئس القرار) ما معكم تقديمكم العذاب لنا (قلت) المقدم هو عمل السوء قال الله تعالى ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم ولكن الرؤساء لما كانوا السبب فيما باشروا فيه وكان العذاب جزاءهم عليه قيل أنتم قدمتموه لنا لحمل الرؤساء هم المقدمين وحمل الخزنة لهم والقدم جمع مع جمازين لان العاملين هم المقدمون في الحقيقة لا رؤساؤهم والمعمل هو المقدم لا جزاؤه (فان قلت) فالذي حمل قوله لا مرحبا بهم من كلام الخزنة ما يصنع بقوله بل أنتم لا مرحبا بكم والخاطبون أعني رؤساءهم لم يشكوا وما كان هذا جوابا لهم (قلت) كأنه قيل هذا الذي دعاء علينا الخزنة أنتم بأن رؤساءهم أحق به منا لانكم سننتموه لنا بإغوائكم فضاعف من العذاب لهذا الحق الذين هم أتوا من قبل رؤساءهم (قالوا) أي الاتباع (ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار) أي عذابا مضاعفا وقال في موضع آخر لكل ضعف ولكن لا تعلمون أي للقادة والاتباع ضعف من العذاب والعدم لهما كبيران القصة واحدة (قلت) وفيه دليل على أن الضعفين اثنان من شيء واحد خلافا لقائل قال عمر ذلك لانه في موضع قال فزده عذابا ضعفا والمراد مثل عذابه فكونا عذابين وقال في موضع ضعفين والمراد اذا عذابان

وقوله تعالى وقالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا وقال في موضع آخر آتهم ضعفين من العذاب واللعن لهما كبيران القصة واحدة (قلت) وفيه دليل على أن الضعفين اثنان من شيء واحد خلافا لقائل قال عمر ذلك لانه في موضع قال فزده عذابا ضعفا والمراد مثل عذابه فكونا عذابين وقال في موضع ضعفين والمراد اذا عذابان

هذا وان للطاغين لشر مآب جهنم يصلونها فبئس المهاد هذا فليذوقوه حميم وغساق وآخر من شكله أزواج هذا فوج مقتحم معكم لا مرحبا بهم انهم صالوا النار قالوا بل أنتم لا مرحبا بكم أنتم قدمتموه لنا فبئس القرار قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار وقالوا مالنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار اتخذناهم سخريا أم زاغت عنهم الابصار

*قوله تعالى ان ذلك لحق تخاصم أهل النار (قال) ان قلت لم سمى ذلك تخاصما قلت شبه تقاولهم وما يجرى بينهم من السؤال والجواب بما يجرى بين المتخاصمين من نحو ذلك ولان قول الرؤساء لامرحبا بهم وقول أتباعهم بل أنتم لا مرحبا بكم من باب الخصومة (قلت) هذا يحقق ان ذلك لحق تخاصم أهل النار قل انما أنا منذر وما من اله الا الله الواحد القهار رب السموات والارض وما بينهم العزيز الغفار قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون ما كان لى من علم بالملا الاعلى اذ يختصمون ان يوحى الى الا أنما أنا نذير مبين اذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس استكبر وكان من الكافرين وقوله تعالى بل أنتم لا مرحبا بكم انتم قدمتموها لنا فبئس القرار وقوله تعالى بل أنتم لا مرحبا بهم انهم صالوا النار فمن قول المتكبرين الكفار وقوله تعالى بل أنتم لا مرحبا بكم من قول الاتباع فالخصومة على هذا التأويل حصلت من الجهتين فتحقق التخاصم حينئذ فان قال

واما أن تكون منقطعة بعد ما نفى اتخاذهم سخريا على الخبر والاستفهام كقولك انها لابل أم شاة وأزيد عندك أم عمرو وذلك أن تقدر هزة الاستفهام محذوفة فمن قرأ بغير همزة لان أم تدل عليها فالاعتراف القراءتان اثبات همزة الاستفهام وحذفها وقيل الضمير فى وقالوا للصناديد قريش كانى سهيل والوليد وأضرابهما والرجال عمار وصهيب وبلال وأشباههم * وقرئ سخريا بالضم والكسر (ان ذلك) اى الذى حكيناعنهم (لحق) لابد أن يتكلموا به ثم بين ما هو فقال هو (تخاصم أهل النار) وقرئ بالصاد على أنه صعة لذلك لان أسماء الاشارة توصف بأسماء الاجناس (فان قلت) لم سمى ذلك تخاصما (قلت) شبه تقاولهم وما يجرى بينهم من السؤال والجواب بما يجرى بين المتخاصمين من نحو ذلك ولان قول الرؤساء لامرحبا بهم وقول أتباعهم بل أنتم لامرحبا بكم من باب الخصومة تسمى التقاول كله تخاصما لاشتماله على ذلك (قل) يا محمد لمشركى مكة ما أنا الا رسول (منذر) أنذركم عذاب الله للمشركين وأقول لكم ان دين الحق هو توحيد الله وأن ينتفى أن لا اله الا الله (الواحد) بلا ند ولا شريك (القهار) لكل شئ وأن الملك والربوبية له فى العالم كله وهو (العزيز) الذى لا يغلب اذا عاقب العصاة وهو مع ذلك (الغفار) للذنوب من التائبين * أوقل لهم ما أنا الا منذر لكم مما أعلم وانا أنذركم عقوبة من هذه صفته فان مثله حقيق بأن يخاف عقابه كما هو حقيق بأن يرجى ثوابه (قل هو نبأ عظيم) أى هذا الذى أنا أنذركم به من كونى رسولا منذرا وأن الله واحد لا شريك له نبأ عظيم لا يعرض عن مثله الا غافل شديد الغفلة * ثم أضرب لهم قصة تبوئه بان ما يأتيه عن الملا الاعلى ولتضامهم أمرا ما كان له به من علم قط ثم علمه ولم يسلك الطريق الذى يسلكه الناس فى علم ما لم يعلموا وهو الا من فى أهل العلم وقراءة الكتب وهو أن ذلك لا يحصل الا بالوحى من الله (ان يوحى الى الا أنما أنا نذير) أى لانما أنا نذير ومعناه ما يوحى الى الا للانذار فحذف اللام وانتصب بافضاء الفعل اليه ويجوز أن يرتفع على معنى ما يوحى الى الا هذا وهو أن أنذر وأبلغ ولا أفرط فى ذلك أى ما أمرى الا هذا الامر وليس الى غير ذلك وقرئ انما بالكسر على الحكاية أى الا هذا القول وهو أن أقول لكم انما أنا نذير مبين ولا أدعى شيأ آخر وهو نبل النبى العظيم قسم آدم عليه السلام والانبياء من غير سماع من أحد وعن ابن عباس القرآن وعن الحسن يوم القيامة * (فان قلت) م يتعلق اذ يختصمون (قلت) بمحذوف لان المعنى ما كان لى من علم بكلام الملا الاعلى وقت اختصامهم وهو (اذ قال) بدل من اذ يختصمون * (فان قلت) ما المراد بالملا الاعلى (قلت) أصحاب القصة الملائكة وآدم وابليس لانهم كانوا فى السماء وكان التقاول بينهم (فان قلت) ما كان التقاول بينهم انما كان بين الله تعالى وبينهم لان الله سبحانه وتعالى هو الذى قال لهم وقالوا له فأنت بين أمرين اما أن تقول الملا الاعلى هو لا وكان التقاول بينهم ولم يكن التقاول بينهم واما أن تقول التقاول كان بين الله وبينهم فقد جعلته من الملا الاعلى (قلت) كانت مقاولة الله سبحانه وتعالى لهم كان التقاول فى الحقيقة هو الملك المتوسط فصح أن التقاول كان بين الملائكة وآدم وابليس وهم الملا الاعلى والمراد بالاختصام التقاول على ما سبق * (فان قلت) كيف صح أن يقول لهم (انى خالق بشرا) وما عرفوا انما البشر وما هو وما بدء (قلت) وجهه أن يكون قد قال لهم انى خالق خلقا من صفته كيت وكيت ولكنه سمى حكاية تلك الصفة على الاسم (فاذا سويته) فاذا أتممت خلقه وعدلته (ونفخت فيه من روحى) وأحييته وجعلته حساسا متنفسا (فقعوا) خروا * (له) لاجله أو عنده (ساجدين) سجود تحية وتكرمة لا سجود عبادة (فسجد الملائكة كلهم أجمعون) أكدوا سجودهم بالاحاطة وأجمعون للاجتماع فأفاد أنهم سجدوا عن آخرهم ما بقى منهم ملك الا سجد (الا ابليس استكبر) عن السجود وأبى أن يكون مع الساجدين (قال يا ابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى) خصهما بالذكر تشريفا لآدم كما شرف بالاضافة الى الروح فى قوله وروح منه وقيل اليد القوة وقيل النعمة وقيل القدرة وقيل هى صفة لا يعلم كنهها الا الله (أستكبرت أم كنت من العالين) المتكبرين الذين لا يليق التكبر الا بهم أو من الذين علوا وفضلوا على غيرهم فلم تدخل نفسك فى جملتهم (قال أنا خير منه) ان قلت كيف استثنى ابليس من الملائكة وهو من الجن (قلت) نداس بالسجود معهم فغلبوا عليه فى قوله فسجد الملائكة ثم استثنى كما يستثنى الواحد منهم استثناء منسلا (وكان من

ان الاول من كلام خزنة جهنم واشاق من كلام الاتباع فانه على هذا التقدير يكون الخصومة من أحد الفريقين فالتقسيم الاول أمكن وأثبت

* قوله تعالى ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي (قال) فيه لما كان ذو اليدين يباشر أكثر أعماله بيديه غلب العمل باليدين على سائر الأعمال التي تباشر بغير اليدين حتى قيل في عمل القلب هذا مما عملت يداك * قال وسمعنا أن الوجه الذي استنكره ابليس السجود لآدم واستنكف بسببه أنه سجود لمخلوق مع انه دون الساجد لان آدم من طين وابليس من نار فرأى النار فضلا على الطين وزل عنه ان الله سبحانه حين أمر عباده عليه وأمرهم منه وهم الملائكة ان يسجدوا لهذا البشر ليعتبروا ولم يذهبوا بانفسهم الى التكبر مع انحطاطه عن مرتبتهم فقيل له ما منعك أن تسجد لهذا الذي هو مخلوق بيدي كما وقع لك مع انه لا شائبة أن في ذلك امتثالا لامري وانحطاطا كما فعلت الملائكة فذكر له العلة التي منعته من السجود وقيل له ما حملك على اعتبار هذه العلة دون اعتبار أمري ومثاله أن يأمر الملك وزيره أن يزور بعض اسقاط الحشم فيمتثل اعتبار السقوطه فيقول له ما منعك أن تتواضع لان لا يخفى على سقوطه بريدها اعتبرت أمري وخطابي وتركت اعتبار سقوطه انتهى ٢٩٠ المقصود من الآية بعد تطويل واطناب واكثار واسهاب (قلت) انما أطال القول هنا لكثير من معتقدين لاهل السنة تشتمل عليها هذه الآية * أحدها ان اليدين من صفات الذات أثبتها السمع هذا مذهب أن اليدين والقاضي بمباطلها

الكافرين قال يا ابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي استكبرت أم كنت

حمل اليدين على القدرة فان قدرة الله تعالى واحدة واليدان مذكورتان بصيغة التثنية وأبطلا حملهما على النعمة بان نعم الله لا تحصى فكيف تضمر بالتثنية وغيرها من أهل السنة كاملم الخوض في تفسيرها بل يقتصرون على التفويض والنعمة وتجب

الكافرين) أو يريد وجود كفره ذلك الوقت وان لم يكن قبله كافرا لان كان مطلق في جنس الاوقات الماضية هو صالح لأي منها شئت ويجوز أن يراد كان من الكافرين في الازمنة الماضية في علم الله (فان قلت) ما وجه قوله (خلقت بيدي) (قلت) قد سبق لنا أن ذا اليدين يباشر أكثر أعماله بيديه فغلب العمل باليدين على سائر الاعمال التي تباشر بغيرهما حتى قيل في عمل القلب هو مما عملت يداك وحتى قيل لمن لا يدي له يداك أو كناية قولك تفرغ وحتى لم يفرق فرق بين قولك هذا مما عملته وهذا مما عملته يداك ومنه قوله تعالى مما عملت أيدينا وما خلقت بيدي (فان قلت) فما معنى قوله ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي (قلت) الوجه الذي استنكره ابليس السجود لآدم واستنكف منه أنه سجود لمخلوق فذهب بنفسه وتكبر أن يكون مسجودا لغير الخالق وانضم الى ذلك أن آدم مخلوق من طين وهو مخلوق من نار ورأى النار فضلا على الطين فاستعظم أن يسجد لمخلوق وسع فضله عليه في النسب وزل عنه أن الله سبحانه حين أمر به أعز عباده عليه وأقربهم منه وهم الملائكة وهم أحق بأن يذهبوا بأنفسهم عن التواضع للبشر المتأخر وبستنكفوا من السجود له من غيرهم ثم لم يفعلوا وتبعوا أمر الله وجعلوه قدام أعينهم ولم يلتفتوا الى التفاوت بين الساجد والمسجود له تعظيما لامر ربهم واجلالا لخطابه كان هو مع انحطاطه عن مراتبهم حريا بأن يقتدي بهم ويقفي أثرهم ويعلم أنهم في السجود له هو دونهم بأمر الله وفي عبادته منهم في السجود له فيه من طرح الكبرياء وخفض الجناح فقيل له ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أي ما منعك من السجود لشيء هو كالمقول مخلوق بعضه بيدي لانك في كونك مخلوقا امتثالا لامري واعظاما لخطابي كالملائكة فذكر له ما ترك من السجود مع ذكر العلة التي تشبث بها في تركه وقيل له لم تركت مع وجود هذه العلة وقد أمرتك به يعني كان عليك أن تعتبر أمر الله ولا تعتبر هذه العلة ومثاله أن يأمر الملك وزيره أن يزور بعض سقاط الحشم فيمتثل اعتبار السقوطه فيقول له ما منعك أن تتواضع لان لا يخفى على سقوطه بريدها اعتبرت أمري وخطابي وتركت اعتبار سقوطه ونبه أني خلقته بيدي فانا أعلم بحاله ومع ذلك أمرت الملائكة بأن يسجدوا له لداعي حكمة دعاني اليه

من

عباد الله بأن المراد نعمة الدنيا والآخرة وهذا انما يتفق تفضيلا على ابليس اذ لم يخلق ابليس لنعمة الآخرة وعلى ان المراد القدرة فالتثنية تعظيم ومثل ذلك يوجد في اللغة كثيرا * المعتقد الثاني أن النبي أفضل من الملك والزمخشري شديد العصبية في هذه المسئلة والانكار على من قال بذلك من أهل السنة لا جرم انه أسرف في بسط كلامه على آدم عليه السلام فمثل قصته في انحطاط مرتبته على زعمه عن مرتبة الملائكة بقول الملك لوزير يرمز به على بعض سقاط الحشم فجعل سقاط الحشم مثالا لآدم الذي هو عنصر الانبياء عليهم السلام وأتم لابليس عذره وصوب اعتقاده انه أفضل من آدم لكونه من نار وآدم من طين وانما غلطه من جهة أخرى وهو أنه لم يقس نفسه على الملائكة الذين هو على علهم أنه بالنسبة اليهم محطوط الرتبة ساقط المنزلة وجعل قوله تعالى لما خلقت بيدي انما ذكر تقرير العلة التي منعت ابليس من السجود وهو كونه دونه وهذا نسأل الله العصمة المراد منه ضدها فهم الزمخشري وانما ذكر ذلك تعظيما لمعصية ابليس اذا عظم من تعظيم من عظمه الله اذ خلقه بيده وذلك تعظيم لآدم لا تعتريه وبدل عليه الحديث الوارد في الشفاعة اذ يقول له الناس عند ما يقصدونه فيها أنت آدم أبو البشر خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته وأسكنك جنته فاغا يذكرون ذلك في سياق تعديد كرامات وتعدادها لا فيما يحط منه سعاد الله وايانا نسأل أن يعصمنا من مهاوي الهوى ومهالك الردى وان يرشدنا الى سبيل الحق ومسالك انه ولي التوفيق وبالاجابة حقيق

من انعام عليه بالتكرمة لسنية وإلا لاستكفى أنت حتى يصرف ذلك عن المحمود له مالم يصرفني عن الامر بالسجود له وقيل معنى لما خلقت بيدي لما خلقت بغير واسطة * وقرئ بلدي كما قرئ بصرخي وقرئ بيدي على التوحيد (من العالين) من علوت وفقت فأجاب بأنه من العالين حيث (قال أنا خير منه) وقيل استكبرت الآن أم لم تزل منذ كنت من المستكبرين وهمزة التقرير وقرئ استكبرت بحذف حرف الاستفهام لان أم تدل عليه أو بمعنى الاخبار * هذا على سبيل الاولى أي لو كان مخلوقا من نار لما سجدت له لانه مخلوق مثلي فكيف أسجد لمن هو دوني لانه من طين والنار تغلب الطين وتأكله وجرت الجملة الثانية من الاولى وهي (خلقتني من نار) مجرى المعطوف عطف البيان من المعطوف عليه في البيان والايضاح (منها) من الجنة وقيل من السموات وقيل من الخلقة التي أنت فيها لانه كان يقطر بخلقته فغير الله خلقته فاسود بعد ما كان أبيض وقبح بعد ما كان حسنا وأظلم بعد ما كان نورانيا * والرجيم الرجوم ومعناه المطرود كما قيل له المدحور والملعون لان من طرد رمى بالحجارة على أثره والرجم الرمي بالحجارة أو لان الشياطين يرجمون بالشهب * (فاخرج منها فانك رجيم وان عليك لعنتي الى يوم الدين) كان لعنة ابليس غايتها يوم الدين ثم تنقطع (فان قلت) كيف تنقطع ولقد قال الله تعالى فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين ولكن المعنى أن عليه اللعنة في الدنيا فاذا كان يوم الدين اقترن له باللعنة ما ينسى عنده اللعنة فكأنها انقطعت * (فان قلت) ما لوقت المعلوم الذي أضيف اليه اليوم (قلت) الوقت الذي تقع فيه النفخة الاولى ويومه اليوم الذي وقت النفخة جزءا من أجزائه وسمي المعلوم أنه معلوم عند الله سبحانه ولا يستأثر (فبعزتك) أقسام بعزة الله تعالى وهي سلطانه وقهره * وقرئ فالحق والحق منصوبين على أن الاول مقسم به كالثاني ان عليك اللعن تابدا وجوابه (لاملأن) * والحق أقول اعتراض بين القسم به والمقسم عليه ومعناه ولا أقول الا الحق والمراد بالحق إما الله عز وعلا الذي في قوله ان الله هو الحق المبين أو الحق الذي هو نقيض الباطل عظمه الله تعالى اسما ومعنى وبني على أن الاول صفته أو محذوف الخبر كقوله لعمرك لاقسمن لاملأن والحق أقول أي أقوله كقوله كلكم لم أصنع وبجوز أن يكون الاول مقسما به فاضمر حرف قسمه كقولك الله لافعلن والحق أقول أي ولا أقول الا الحق على حكاية لفظ المقسم به ومعناه التوكيد والتشديد ومذهب الزجاج نصب المصدر والرفع أيضا وهو وجه دقيق حسن وقرئ برفع الاول وجر مع نصب الثاني وقرئ بجره على ما هو حكم ربا (لملأن) من جنسك وهم الشياطين (وممن تبعك منهم) من ذرية آدم (فان قلت) أجمعين تأكيد اذا (قلت) لا يخلو أن يؤكد ضمير المخاطب في منهم أو الكاف في منك مع من تبعك ومعناه لاملأن جهنم من المتبوعين والتابعين أجمعين لا أترك منهم أحدا أو لاملأنها من الشياطين ومن تبعهم من جميع الناس لا تفاوت في ذلك بين ناس وناس بسبب وجود الاتباع منهم من أولاد الانبياء وغيرهم (عليه من أجر) الضمير للقرآن أو للوحي (وما أنا من المتكلفين) من الذين يتعلون ويتحلون بما ليسوا من أهله وما عرفوني قط متصنعا ولا متعاطيا ما ليس عندي حتى أتقول النبوة وأتقول القرآن (ان هو الا ذكر) من الله (للعالمين) للثقلين أوحي الى فأنا أبلغه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم التكلف ثلاث علامات ينازع من فوقه ويتعاطى ما لا ينال وما لا يعنيه (ولتعلمن نبأه) أي ما يأتيكم عما قليل أو يوم القيامة أو عند ظهور الاسلام وفشوه من صحة خبره وأنه الحق والصدق وفيه تهديد من رسول الله صلى الله عليه وسلم من تراموه من كان منه بوزن كل جبل صغره الله لداود عشر حسنات وعظمه أن يصر على ذنب صغيرا وكبير

﴿سورة الزمر مكية الا قوله قل يا عبادي الذين آمنوا الآية وتسمى سورة الغرف وهي خمس وسبعون آية وقيل ثمان وسبعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(تنزيل الكتاب) قرئ بالرفع على أنه مبتدأ خبره عنه بالظرف أو خبر مبتدأ محذوف والجار صلة التنزيل كما تقول نزل من عند الله أو غير صلة كقولك هذا الكتاب من فلان الى فلان فهو على هذا خبر بعد خبر أو خبر

من العالين قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال فاخرج منها فانك رجيم وان عليك لعنتي الى يوم الدين قال رب فأنظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم قال فبعزتك لاغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين قال فالحق والحق أقول لاملأن جهنم منك ومن تبعك منهم أجمعين قل ما أسئلكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين ان هو الا ذكر للعالمين ولتعلمن نبأه بعد حين

(سورة الزمر مكية وهي خمس وسبعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم انا أنزلنا اليك الكتاب

مبتدأ محذوف تقديره هذا تنزيل الكتاب هذا من الله أو حال من التنزيل عمل فيها معنى الاشارة وبالنصب على اضمار فعل نحو اقرأ أو الزم (فان قلت) ما المراد بالكتاب (قلت) الظاهر على الوجه الاول أنه القرآن وعلى الثاني أنه السورة (مخلصا له الدين) ممحضا له الدين من الشرك والرياء بالتوحيد وتصفية السر وقرئ الدين بالرفع وحق من رفعه أن يقرأ مخلصا بفتح اللام كقوله تعالى وأخلصوا دينهم لله حتى يطابق قوله ألا لله الدين الخالص والخالص والمخلص واحد الا أن يصف الدين بصفة صاحبه على الاسناد المجازي كقولهم شعر شاعر وأما من جعل مخلصا حالا من العابد وله الدين مبتدأ وخبرا فقد جاء باعراب رجع به الكلام الى قولك لله الدين (ألا لله الدين الخالص) أي هو الذي وجب اختصاصه بأن تخلص له الطاعة من كل شائبة كدر لاطلاعه على الغيوب والأسرار ولأنه الحقيق بذلك لخلوص نعمته عن استجرار المنفعة بها وعن قتادة الدين الخالص شهادة أن لا اله الا الله وعن الحسن الاسلام (والذين اتخذوا) يحتمل المتخذين وهم الكفرة والمتخذين وهم الملائكة وعيسى واللات والعزى عن ابن عباس رضي الله عنهما فالضمير في اتخذوا على الاول راجع الى الذين وعلى الثاني الى المشركين ولم يجر ذكرهم لكونه مفهوما والراجع الى الذين محذوف والمعنى والذين اتخذهم المشركون أولياء والذين اتخذوا في موضع الرفع على الابتداء (فان قلت) فالخبر ما هو (قلت) هو على الاول اما (ان الله يحكم بينهم) أو ما أضمر من القول قبل قوله ما نعبدهم وعلى الثاني ان الله يحكم بينهم (فان قلت) فاذا كان ان الله يحكم بينهم الخبر فما موضع القول المضمر (قلت) يجوز أن يكون في موضع الحال أي قائلين ذلك ويجوز أن يكون بدلا من الصلة فلا يكون له محل كما أن المبدل منه كذلك وقرأ ابن مسعود باظهار القول قالوا ما نعبدهم وفي قراءة أبي ما نعبدكم الا لتقربونا على الخطاب حكاية لما خاطبوا به آلهتهم * وقرئ نعبدهم بضم النون اتباعا للعين كما تتبعها الهمزة في الأمر والتنوين في عذاب اركض والضمير في بينهم لهم ولأوليائهم والمعنى ان الله يحكم بينهم بأنه يدخل الملائكة وعيسى الجنة ويدخلهم النار مع الحجارة التي نحتوها وعبدوها من دون الله يعذبهم بها حيث يجعلهم واياها حصب جهنم * واختلافهم أن الذين يعبدون موحدون وهم مشركون وأولئك يعادونهم ويلعنونهم وهم يرجون شفاعتهم وتقريبهم الى الله زلفى وقيل كان المسلمون اذا قالوا لهم من خلق السموات والأرض أقروا وقالوا الله فاذا قالوا لهم فما لكم تعبدون الأصنام قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فالضمير في بينهم عائد اليهم والى المسلمين والمعنى أن الله يحكم يوم القيامة بين المتنازعين من الفريقين والمراد بمنع الهداية منع اللطف تسجيلا عليهم بأن لا لطف لهم وأنهم في علم الله من الهالكين وقرئ كذاب وكذوب وكذبهم قولهم في بعض من اتخذوا من دون الله أولياء بنات الله ولذلك عقبه محتجا عليهم بقوله (لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء) يعني لو أراد اتخاذ الولد لامتنع ولم يصح لكونه محالا ولم يتأت الا أن يصطفي من خلقه بعضه ويختصهم ويقربهم كما يختص الرجل ولده ويقربه وقد فعل ذلك بالملائكة فافتتنتم به وغركم اختصاصه اياهم فزعمتم أنهم أولاده جهلا منكم به وبحقيقته المخالفة لحقائق الأجسام والأعراض كأنه قال لو أراد اتخاذ الولد لم يزد على ما فعل من اصطفاء ما يشاء من خلقه وهم الملائكة الا أنكم لجهلكم به حسبتم اصطفاءهم اتخاذهم أولادا ثم تماديتم في جهلكم وسفهكم فجعلتموهم بنات فكنتم كذابين كفارين متبالغين في الافتراء على الله وملائكته غالين في الكفر ثم قال (سبحانه) فنزه ذاته عن أن يكون له أحد ما نسبوا اليه من الأولاد والأولياء ودل على ذلك بما ينافيه وهو أنه واحد فلا يجوز أن يكون له صاحبة لأنه لو كانت له صاحبة لكانت من جنسه ولا جنس له واذا لم يتأت أن يكون له صاحبة لم يتأت أن يكون له ولد وهو معنى قوله أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة * وقهار غلاب لكل شيء ومن الأشياء آلهتهم فهو يغلبهم فكيف يكونون له أولياء وشركاء * ثم دل بخلق السموات والأرض وتكوير كل واحد من الملوين على الآخر وتسخير النيرين وجريهما لأجل مسمى وبث الناس على كثرة عددهم من نفس واحدة وخلق الأنعام على أنه واحد لا يشارك قهار لا يغالب * والتكوير اللف والليّ يقال كار العمامة على رأسه وكورها وفيه أوجه

منها

بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار خلق السموات والأرض

(القول في سورة الزمر)

بسم الله الرحمن الرحيم

* قوله تعالى ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار (قال المراد بمنع الهداية منع اللطف تسجيلا عليهم بأن لا يلطف بهم وأنهم في علم الله من الهالكين الى آخر كلامه) قلت مذهب أهل السنة حمل هذه الآية وأمثالها على الظاهر فان معتقدهم أن معنى هداية الله تعالى للمؤمن خلق الهدى فيه ومعنى اضلاله الكافر ازاحته عن الهدى وخلق الكفر له ومع ذلك فيجوز عند أهل السنة أن يخلق الله تعالى للكافر الهداية ومن عنده لطفا خلافا للقدرية فقد عرفتنا التنبيه على مذهب أهل الحق لا غيره

* قوله تعالى الاهو العزيز الغفار (قال أي لذنوب التائبين التي كالمه) قلت الحق انه تعالى غفار للتائبين ولمن يشاء من المصرين على ما دون الشرك وشطوطهم من رحمة الله تعالى ولتقييد الزمخشري الآية بما يرى * قوله تعالى خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها (قال فيه فان قلت ما وجه العطف بثم في قوله ثم جعل وأجاب بما مر آيتان الخ) قال أحمد لقائل منعه من جعل ثم على التراخي في الوجود أنها وقعت بين خلق الذرية من آدم وخلق حواء منه وهو متقدم على الذرية لان كونه مترتبا عن خلق الذرية فليست مهلة على تراخي الوجود انما هي في الوجه الآخر متعلقة بمعنى واحدة على تقدير خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وعلى شتى هذا فيكون وجها فكانت هنا على بابها للتراخي الوجودي والله سبحانه وتعالى أعلم * قوله تعالى وأنزل لكم من ٢٩٣ الانعام ثمانية أزواج (قال انما جعلها مستقبلة لان قضاياه تعالى وقسمه هو موصوفة بالنزول الخ)

من أن الليل والنهار خلقة يذهب هذا وتجيء مكانه هذا وإذا عني مكانه فكأنه أنشأه وألف عليه كما يؤلف اللباس على اللابس ومنه قول ذي الرمة في وصف السراب

تلوي التثاؤبا سقباها وتليه * لي الاداء بأيدي النشاوى

ومنها أن كل واحد منهما يتعقب الآخر أو تظن أنه تشبيه في تعقيبه إياه شيء ظاهر أو لف عليه ما غيبه عن مطامح الابصار ومنها أن هذا كر على هذا كرورا متتابعا فشبه ذلك بتتابع أكوار العمامة بعضها على إثر بعض (الآهو العزيز) الغالب القادر على عقاب المصرين (الغفار) لذنوب التائبين أو الغالب الذي يقدر على أن يأخذهم بالتوبة وهو يعلم منهم أنهم لا يتوبون لم هناك أجل مسمى عنده لهم - فقرة (فان قلت ما وجه) قوله (ثم جعل منها زوجها) وما معناه من معنى التراخي (قلت) هذه آيتان من جملة الآيات التي عددها دالة على وحدانيته وقدرته تسعى هذه الخلق الدالات المصرين نفس آدم وخلق حواء من قصيراي الأن احداهما جعلها الله عادة مستمرة والاخرى لم تجر بها العادة ولخلق التي غير حواء من قصيري رجل فكانت أدخل في كونها آية وأجلب لتنبيه السامع فعطفها بثم على الآية الاولى للدلالة على مباينتها لها وفضلها وتراخي رتبتها فيما يرجع الى زيادة كونها آية وهو من التراخي في المنال والمنزلة لا من التراخي في الوجود وقيل ثم متعلق بمحذوف تقديره كائنه قيل خلقكم من نفس واحدة ثم شاء الله أو ثم وقع خلق أشخاص ذرية آدم من ظهوره كالذر ثم خلق بعد ذلك حواء (وأنزل لكم) وقضى لكم وقسم لان قضاياه وقسمه موصوفة بالنزول من السماء حيث كتب اللوح كل كائن يكون وقيل لا تعيش الانعام الا بالنبات والماء لا يقوم الا بالسماء وقد أنزل الله سبحانه أنزالها وقيل خلقها في الجنة ثم أنزلها (ثمانية أزواج) ذكرا وأنثى من الابل والبقر والضأن والمعز والزوج اسم لواحد معه آخر فاذا انفرد فهو فرد ووتر قال الله تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى (يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق) حيوانا سويا من بعد ما كان مضغة فعلقة فما لم يمض عليه أربعة أشهر لا يسمى علقة ولا مضغة من بعد متعلق بمحذوف دل عليه يخلقكم * والظلمات الثلاث البطن والرحم والمشيمة وقيل الصلب والرحم والبطن (ذلكم) الذي هذه أفعاله هو (الله ربكم * فأنى تصرفون) فكيف تعدلون بكم عن عبادته الى عبادة غيره (فان الله غني عنكم) عن ايمانكم وطاعتكم لتعاليه عن الانتفاع والانتفاع بالايمان (ولا يرضى لعباده الكفر) رحمة منه لانه يؤديهم الى الهلكة (وان تشكروا يرضه لكم) أي يرض الشكر لكم لانه سبب فوزكم وفلاحكم فاذن ما كره كفركم ولا رضي شكركم الا لكم لا لان منفعة مرجع اليه لانه الغني الذي لا يجوز عليه الحاجة ولقد فصل بعض العوام الجاهل بالله تعالى ما نطق به القرآن من الرضا لعباده الكفر فقال هذا من العام الذي أريد به الخاص وما أراد الا عباده الذين قال انهم في قوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان يريد

قال أحمد ومن هذا الغط بعينه قول الرافضة

اسعادة بالذي حكم به قوله تعالى ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم (حمل الرضا على الارادة والعباد على العموم الخ) قال أحمد ان المصر على هذا المعتقد على قلب من أوتي عيان عقله عن أن ليس يدري أو يدري له انه الغرور شر مغاور البوار وبيع الزمان في صناعة البديع فكيف بناء على جادة الاجادة فهما وأعز مناوي الحذاقة اذ ناصعا اللهم الا أن يكون الهوى اذا تمكن أرى الباطل حقا وغطى سنى مكشوف المبارة فصاحة أليس مقتضى العربية فضلا عن البراعة المقتضية ان الشرط المشروط مرتب على الشرط لا بتصور وجود المشروط قبل الشرط عقلا ولا حسيه واستقبال الشرط لغة وعقلا واستقراء لغات العرب من أهل السنة وشيعة المدعة أن ارادة الله تعالى لشكر عباده مثلا متقدمة على وجود الشكر منهم حينئذ كيف ساغ حمل الرضا على الارادة وتجعل في الآية شرطا وجزاء وجعل وقوع الشكر شرطا وجزاء يلزم من ذلك عقلا تقدم المراد وهو الشكر على الارادة وهي الرضا وانه تقدم المشروط على الشرط

والزمخشري أنس من قال ان الله تعالى وعد من كان عاصيا بخاتمة الطاعة وقد قال ان شكرتم قبلتُ وقد قرنت الآية من الموضعين المذكورين على انه لا بد من تأويل يصح الشرطية مع ذلك فاذا ثبت بطلان حمل الرضا على الارادة عقلا ونقلا تعين ان المراد المعنى الصحيح وهو الاجازة على الشكر وما عهد أن يجازي به المرضي عنه من الثواب والكرامة فيكون معنى الآية والله أعلم وان تشكروا يجازكم على شكركم ٢٩٤ جزاء المرضي عنه ولا شك ان المجازاة مستقبلة بالنسبة الى الشكر فجرى الشرط والجزاء على

المعنى من كقوله تعالى عيناً يشرب بها عباد الله تعالى الله عما يقول الظالمون وقرئ يرضه بضم الهاء ووصل وبغير وصل وبسكونها (خوله) أعطاه قال أبو النجم

أعطى فلم يحز ولم يجذل * كوم الذرى من خول المخول

وفي حقيقته وجهان أحدهما جعله خائل مال من قولهم هو خائل مال وخال مال اذا كان متعهداً له حسن القيام به ومنه ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يخول أصحابه بالموعظة والثاني جعله يخول من خال يخول اذا اختال وافتخر وفي معناه قول العرب * ان الغنى طويل الذيل مياس * (ما كان يدعو اليه) أي نسي الضر الذي كان يدعو الله الى كشفه وقيل نسي ربه الذي كان يتضرع اليه ويتوسل اليه وما يجمعني من كقوله تعالى وما خلق الذكر والانثى * وقرئ بفتح الياء وضمها يعني أن نتيجة حبه لله أنداداً اضلاله عن سبيل الله وانما اضلاله والنتيجة قد تكون غرضاً في الفعل وقد لا تكون غرض وقوله (قتع بكفرك) من باب الخذلان والتخلية كأنه قيل له اذ قد أبيت قبول ما أمرت به من الايمان والطاعة في حكمك الأبتر فمر به بعد ثلاث وثمر بركته مالغة في خسلانه وخيبته وشأنه لانه لا مبالغة في الخذلان لان أشد من أن يبعث على نكس ما أمر به ونظيره في المعنى قوله متاع قليل ثم مأواهم جهنم * وقرئ أمن هو قانت بالتخفيف على ادخال همزة الاستفهام لمعنى من والتشديد على ادغال أم عليه ومن مبتدأ خبره محذوف تقديره أمن هو قانت كغيره والمحذوف دل عليه ذكر الكافر قبله وقوله بعده قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقيل معناه أمن هو قانت أفضل أمن هو كافر أو أهذا أفضل أمن هو قانت على الاستفهام المتصل والقانت القائم بما يجب عليه من الطاعة ومنه قنوت الصلاة وهو القيام ومنه القنوت في الوتر لانه دعاء المصلي قائماً (ساجداً) حال وقرئ ساجد وقائم على أنه خبر محذوف والواو للجمع بين الصفتين * وقرئ ويحذر عذاب الآخرة * وأراد بالذين يعلمون العاملين من علماء الديانة كأنه جعل من لا يعمل بعلمه وقوفه ازدراء واعتقاداً بالذين يقتنون العلوم ثم لا يقتنون ويقتنون ثم يقتنون بالدنيا فهم عنده الله جهلة حيث جعل القانتين هم العلماء ويجوز أن يريد على سبيل التهكم أي كما لا يستوي العالمون والجاهلون كذلك لا يستوي القانتون والعاصون وقيل نزلت في عمار بن ياسر رضي الله عنه وأبي حذيفة بن المغيرة وروي عن الحسن أنه سئل عن رجل هادئ في العاصي ويرجو فقال هذا فاتق وقد الرجاء قوله ولا هذه الآية وقرئ بالادغام (في هذه الدنيا) متعلق بأحسنوا لا بحسنة لانها صفة الذين أحسنوا في هذه الدنيا فهم حسنة في الآخرة وهي دخول الجنة أي حسنة غير مكتنهة الوصف وقد علقه الذي حسنة غير الحسنة بالصفة والعاقبة (قانت) اذا تلى الطريق بأحسنوا فاعرفه فظهر فساد من تعلق بحسنة ولا يصح أن يقع صفة للنكرة المتقدمة (قنت) هو صفة لها اذا تأخرت فاذا تقدمت كان بياناً كما تقدم فلم يخل التقدم بالتعلق وان لم يكن التعلق وصفاً ومعنى (وأرض الله واسعة) أن لا عذر للمفرط في الاحسان المقيم حيث ان اعتل بأوطانهم وبلادهم وأنهم لا يتمكنون فيها من التوفر على الاحسان وصرف الهم اليه فقيل لهم فان أرض الله واسعة وبلاده كثيرة فلا تخلصوها مع الجهد وتحولوا الى بلاد أخر واقتدوا بالانبياء

الذين يعلمون والذين لا يعلمون (قال سئل الحسن عمن يتمادى على المعاصي ويرجو الخ) قال أحمد كلام الحسن رضي الله عنه صحيح نعم منزل على كلام الزمخشري بعيد كما قاله فان الحسن أراد ان المتمادي على المعصية مصراً عليها غير تائب اذا غلب رجاؤه خوفه كان مثبتاً للامن بهذه الآية ومنبئاً خوفه رجاء ولم يرد الحسن اقناط هذا من رحمة الله تعالى وحاشاه وامامن يئس حال الزمخشري فانهم تهكم على ما أضمره من ابراد هذه المقابلة فان مستقده ان مثل هذا العاصي وان كان موحداً يجب خلوده في نار جهنم ولا معنى لرجائه ولتفيته صحة هذا المعتقد ثم رد هذا المعتقد الفاسد كالتزام أن تقييم هذه الترعة وهما قليل يقرع سمعه مما في أثناء هذه السورة

*قوله تعالى قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وأمرت لأن أكون أول المسلمين الى قوله قل الله أعبد مخلصا له ديني (قال فيه فان قلت كيف عطف أمرت على أمرت وهما واحد وأجاب بأنه ليس بتكرير الخ) قال أحمد الله ٢٩٥ أحسن في توجيه هذا المعنى في هذه الآية قوله فاعبدوا ما شئتم من دونه بأن يقال أمرني الحصر وجب كونه للحصر لله أعلم وما أحسن مابين وجوه المبالغة في وصف الله تعالى لعباده بالاخلاص

والصالحين في مهاجرتهم الى غير بلادهم ليزدادوا احسانا الى احسانهم وطاعة الى طاعتهم وتسهل هو الذين كانوا في بلد المشركين فأمروا بالمهاجرة عقبه كقوله تعالى ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها وقيل هي أرض الجنة و (الصابرون) الذين صبروا على مفارقة أوطانهم وعشائرهم وعلى غيرهما من جميع المحن واحتملوا البلايا في طاعة الله وازديادا الخير (بغير حساب) لا يحاسبون عليه وقيل بغير مكيال وغير ميزان يغترف لهم غرفا وهو تمثيل للتكثير وعن ابن عباس رضي الله عنهما لا يهتدي اليه حساب ولا يعرف وعن النبي صلى الله عليه وسلم ينصب الله الموازين يوم القيامة فيوزن أهل الصلاة فيوفون أجورهم بالموازين ويوزن أهل الصدقة فيوفون أجورهم بالموازين ويوزن أهل الحج فيوفون أجورهم بالموازين ويوزن أهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ويصب عليهم الاجر صبا حتى ان أهل العافية في الدنيا ان أجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به أهل البلاء من الفضل (قل اني أمرت) باخلاص الدين (وأمرت لئلا أحل (أن أكون أول المسلمين) أي مقدمهم وسابقهم في الدنيا والآخرة والمعنى أن الاخلاص له السبب فقوى الدين فأخلص كان سابقا فان قلت) كيف عطف أمرت على أمرت وهما واحد (قلت) ليسا بواحد لاختلاف جهتهما وذلك أن الامر بالاخلاص وتكليفه شيء والامر به ليميز الفائز به قصب السبق في الدين شيء وإذا اختلف وجها الشيئين وصفتاه نزل ذلك منزلة شيئين مختلفين ولك أن تجعل اللام مزيدة مثلها في أردت لأن أعمل ولا زائدة الا مع الجحد أو مع فعل أضمر بعدها كراهة أن تلبس على المخاطب بالجحد الصريح كما لم يجز ذلك في عوضا من ترك الاصل الى ما يقوم مقامه كما عوض السين في استطاع عوضا من ترك الاصل الذي هو أطوع والدليل على هذا الوجه تجنبه غير اللام في قوله وأمرت أن أكون من المسلمين وأمرت أن أكون من المؤمنين وأمرت أن أكون أول من أسلم وفي معنى أول وجهان أحدهما أن أكون أول من أسلم في زماني ومن قومي لانه أول من خالف الدين الذي نشأ فيه وخلع الاصنام وحطمها وأن أكون أول الذين دعوهم الى الاسلام اسلاما وأن أكون أول من دعا نفسه الى عبادة الله غيره لا أكون مقتديا في قوله وفعلي حيا ولا تكون صفتي صفة الملوك الذين يأمرون بالافعال وأن أفعل ما استغنى به الرئاسة من أعمال السابقين دلالة على السابق بالسبب يعني أن الله أمرني أن أخلص له الدين من الشرك والرياء وعلل شوب بدليل العقل والوحي * فان قلت ما معنى التكرير في قوله قل اني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وقوله (قل الله أعبد مخلصا له ديني) (قلت) ليس بتكرير لان الاول اخبار بأنه مأمور من جهة الله بعبادته مخلصا له الدين والثاني اخبار بأنه يختص الله وحده دون غيره بعبادته مخلصا له ديني ولذلك قدم المعبود على فعل العبادة وأخره في الاول فالكلام أولا واقع في الفعل تعبده وايجابه وثانيا في من يفعل الفعل لاجله ولذلك ترتب عليه قوله (فاعبدوا ما شئتم من دونه) والمراد بهذا الامر الوارد على وجه التهديد المبالغة في الخذلان والخلية على ما حققت فيه القول من قبل ان الكافرين في الخسران المبين لوجوههم وأسبابهم (الذين خسروا أنفسهم) لوقوعها في الهلكة كالاهلكة بعدها (و) خسروا (أهليهم) لانهم ان كانوا من أهل النار فقد خسروهم كما خسروا أنفسهم وان كانوا من أهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا رجوع عنده الى هم وفيل وخسروهم لانهم لم يدخلوا مدخل المؤمنين الذين لهم أهل في الجنة يعني وخسروا أهليهم الذين كانوا يكونون لهم لو آمنوا ولقد وصف خسرانهم بغاية الفظاعة في قوله (ألا ذلك هو الخسران المبين) حيث استأنف الجملة وصدرها بحرف التنبيه ووسط الفصل بين المبتدأ والخبر وعرف الخسران ونعته بالبين (ومن تحتهم) أطباق من النار هي (ظل) الآخرين (ذلك) العذاب هو الذي يتوعد الله (به عباده) ويخوفهم ليجتنبوا ما يوقعهم فيه (يا عباد فاتقون) ولا تتعرضوا للسخط حطى وهذه عطفة

من الله تعالى وتصحيحا للغة وقرئ ياعبادى (الطاغوت) فعلوت من الطغيان كالملكوت والرحموت الا أن فيها قلبا بتقديم اللام على العين أطلقت على الشيطان أو الشياطين لكونها مصدرا وفيها مبالغات وهى التسمية بالمصدر كأن عين الشيطان طغيان وأن البناء مبالغة فان لرحموت الرحمة لواسعة والملكوت الملك المبسوط والقلب وهو للاختصاص الا انطلق على غير الشيطان والمراد بها ههنا الجمع وقرئ الطواغيت (أن يعبدوها) بدل من الطاغوت بدل الاشتمال (لهم البشرى) هى البشارة الثواب كقوله تعالى فبشرهم بعذاب أليم وأصل البشرى الحالة التى يظهر السرور فى البشرة وتغيير النظم بالبشارة للايذان بأن البشرى حقيقة بأن يحسد عليها وتنتقاها الملائكة عند حضور الموت ويوم يحشرون قال الله تعالى يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات * وأراد بعباده (الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) الذين اجتنبوا أنانا والاغيرهم وانما أرادهم أن يكونوا مع الاجتناب والاناية على هذه الصفة فوضع الظاهر موضع الضمير وأراد أن يكونوا متادفا فى الدين يتزيون بين المحسن والاحسن والفاضل والافضل فاذا أعترضهم أمران واجب وندب اختاروا الواجب وكذلك المباح والمندوب مراصا على ما هو أقرب عند الله فكونوا ويدخل تحته المذاهب واختيار أيسرها فى السبك وأقواها عند السبر وأبينها دليلا لا أوأمارة وأن لا تكون فى مذهبك كما قال القائل * ولا تكن مثل عير قيد فانقادا * يريد المقلد وقيل (يستمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن وقيل يستمعون أوامر الله فيتبعون أحسنها نحو القصاص والعفو والانتصار والاغضاء والابداء والاخفاء لقوله تعالى وأن تعفوا أقرب للتقوى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو الرجل يجلس مع القوم فيسمع الحديث فيه محاسن ومساوئ فيحدث بأحسن ما سمع ويكف عما سواه وعن الوقيعة من يقتفى فى فيشر عبادى الذين يستمعون يريد به على الابتداء وخبره (أولئك) * أصلى الكلام أم من حق عليه كلمة العذاب فأنت تنقذه جئت بهمزة التسوية دخل على همزة الانكار والواو العاطفة الفاء التى فى أولها العطف على محذوف بل عليه الخطاب تغيير ما أنت مالك أمره فمن حق عليه العذاب فأنت تنقذه والهمزة الثانية هى الاولى كررت لتغاير كما تغاير الانكار والاستقرار فى وضع من فى النار موضع الضمير فلا تحزن على هذا لعلمك بأنه وبمن هو أشر منه كفروا وأن حق عليه العذاب فأنت تخلصه أفأنت تنقذ من فى النار وانما يأتى بحرف فأنت تخلصه لان أفأنت تنقذ يدل عليه نزل استحقاقهم العذاب وهو فى الدنيا منزلة الدنيا منزلة ذكرهم النار حين نزل اجتهاد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكد نفسه فى دعائهم الى الايمان منزلة انقاذهم من النار وقوله أفأنت تنقذ يفيد أن الله تعالى هو الذى يقدر على الانقاذ من النار وحده لا يقدر على ذلك أحد غيره فكما لا تقدر أنت أن تنقذ الداخل فى النار من النار لا تقدر أن تخلصه مما هو فيه من استحقاق العذاب بتحسين الايمان فيه (لكن الذين اتقوا ربهم) علا لما فوق بعضها فوق * (فان قلت) ما معنى قوله (مبنية) (قلت) معناه والله أعلم أنها بنيت بناء المنازل التى على الارض وسويت تسويتها (تجرى من تحتها الانهار) كما تجرى من تحت المنازل من غير تفاوت بين العلو والسفل (وعد الله) مصدر مؤكد لان قوله لهم غرف فى معنى وعدهم الله ذلك (أنزل من السماء ماء) هو المطر وقيل كل ماء فى الارض فهو من السماء ينزل منها الى الصخرة ثم يسمعه الله (فسلكه) فأدخله ونظمه (ينابيع فى الارض) عيونا وسماها الله مجارى كالعروق فى الاجساد (مختلفا ألوانه) هيآته من خضرة وحمرة وصفرة وبياض وغير ذلك أو أصنافه من بر وشعير وسمسم وغيرها (ثم يهيج) يتم جفافه من الاهيم لانه اذا تم جفافه هاج أى ثار من منابته ويذهب (حطاما) فتاتا وترابا (ان فى ذلك لذكرى) لتذكيرا وتنبيها على أنه لا بد من صانع حكيم وأن ذلك كائن من تقدير وتدبير لا عن تعطيل وإهمال ويجوز أن يكون مثلا للدنيا كقوله تعالى انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه الآية وقرئ معتبارا (أفمن) عرف الله أنه من أهل اللطف فلطف به حتى انشرح صدره للاسلام ورغب فيه وقبله كمن لا لطف له فهو كما قال قاسى القلب * ونور الله هو لطفه وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية فقيل يارسول الله كيف انشراح الصدر قال

اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا الى الله لهم البشرى فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الالباب أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من فى النار لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجرى من تحتها الانهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الارض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يجعله حطاما ان فى ذلك لذكرى لاولى الالباب أفمن شرح الله

* وعسى ان قال الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه (قال يدخل تحت هذا المذاهب واختيار أيسرها على السبك وأقواها عند السبر الخ) قال أحمد لقد كنت أطمع أن يرجع عن هذا الكلام من المذاهب الردية والمعتقدات الفاسدة حتى سمعته من كلامه هذا أن ذلك التصميم كان عن كلامى وقوله التصميم فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل يارسول الله فما علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزول الموت وهو تفسير قوله أمن هو قانت في حذف الخبر (من ذكر الله) من أجل ذكر أي اذا ذكر الله عندهم أو آياته اشمأزوا واوازدادت قلوبهم نفاوة كقوله تعالى فزادتهم رجسا الى رجسهم وقرئ عن ذكر الله (فان قلت) ما الفرق بين من وعن في هذا (قلت) اذا قلت قسا قلبه من ذكر الله فالمعنى ما ذكرت من أن القسوة من أجل الذكر وبسببه واذا قلت قسا قلبه عن ذكر الله فالمعنى غلظ عن قبول الذكر وجفاءه وتلبد مستعار من العينة أي من أجل عطشه وستاعن العيذاذ الرواحتى أبعده عن العطش * عن ابن مسعود رضي الله عنه أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملوا ملة فقالوا له حدثنا فانزلت وابتداء اسم الله مبتدأ وبناء نزل عليه فيه تفخيم لاحسن الحديث ورفع منه واستشهاد على حسنه وتأكيد لاستناده الى الله وأنه من عنده وان مثله لا يجوز أن يصدر الا عنه وتنبيه على أن الموحى مجز مباين لسائر الاحاديث و (كتابا) بدل من أحسن الحديث ويحتمل أن يكون حالا منه (ومتشابها) مطلق في مشابهة بعضه بعضا فكان متناولا لتشابههما في الصحة والاحكام والبناء على الصدق والصنف ومنفصلة المطلق وتناسب الفاظه وتناصفها في التخير والاصابة وتجاوب نظمه وتآلفه في الاعجاز والتبكيت ويجوز أن يكون (متشابها) بدلا لا كونه متشابها الا ان التصفير لتكرير لا لتكون الا متشابها والثاني جمع مثنى معنى مردد ومكرر لتثنى من قصصه وأنبائه وأحكامه وأوامره ونواهيه ومواعظه وقيل لانه يثنى في التلاوة فلا يمل غضا ما بقي وعهدا بتقه ولا يتفان ولا يخلق على كثرة الرد ويجوز أن يكون جمع مثنى معدل من التثنية بمعنى التكرير والاعادة كما كان قوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين بمعنى كرة بعد كرة وكذلك ليبك ويسعد بدموعك وحنانيك (فان قلت) كيف وصف الواحد بالجمع (قلت) انما صح ذلك لان الكتاب حدث ذات تفاصيل وتفاصيل الشيء هي حلقه لا غير الا ترى الى قول القرآن أسماء وأجناس وسور وآيات وكذلك تقول أقاصيص وأحكام ومواعظ مكررات ونظيره قولك الانسان وعروق وأعصاب الا ترى كيف الوصوف الى الصفة وأصله كتابا متشابها فصولا ومتاني ويجوز أن يكون كقولك بمة أنعام وثوب أخلاق ويجوز أن لا يكون مثاني صفة ويكون منتصبا على التمييز من متشابها كما تقول رأيت رجلا حسنا شمائل والمعنى متشابها مثانيه (فان قلت) فما فائدة التثنية والتكرير (قلت) النفوس أشرع شيء عن حديث الوعظ والنصيحة فما لم يكرر عليها وداعي بدلم يرسخ فيها ولم يعمل عمله ومن ثم كانت عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكرر عليهم ما كان يعظهم به ويشفع ثلاث مرات وسبعا البرزخ في قلوبهم وبعيره في صدورهم * واقشعر اذا انقبض تقبضا شديدا وتركيبه من حروف القشع وهو الادم اليابس ومنه سموا اليهاعرف رابع وهو الراعي لكون رياعه في علو وأنشد ثعلب أقشعر جلده من الخوف ومنه شعره وهو مستعار في شدة الخوف فجعل ان يريد الله سبحانه التمثيل تصويرا لافراط خشيتهم وأن يريد التحقيق والمعنى أنهم اذا سمعوا القرآن وما آيات وعيده أصابتهم خشية تقشعر منها جلودهم ثم اذا ذكروا الله ورحمته ووجوده بالمغفرة لانت جلودهم وقلوبهم ومال عنها ما كان بها من الخشية والقشعريرة (فان قلت) ما وجه تعديته بالى (قلت) ضمن معنى فعل متعد كأنه قيل سكنت أو اطمأنت الى ذكر الله لتضمنه معنى الاضافة والاخبات غاية (فان قلت) لم اقتصر على ذكر الله من غير ذكر الرحمة (قلت) لان أصل أمره الرحمة والرأفة ورحمته هي سابقة غضبه فلا حاجة الرحمة اذا ذكر لم يخطر بالبال قبل كل شيء من صفاته الا كونه رؤفا رحيما (فان قلت) اذا ذكرت الجلود وحدها أولا ثم قرنتهم بالقلوب ثانيا (قلت) اذا ذكرت الخشية التي محلها القلوب فقد ذكرت القلوب وكأنه قيل تقشعر جلودهم من آيات الوعيد وتخشى قلوبهم في أول وهلة فاذا ذكروا الله ومبنى أمره على الرأفة والرحمة استبدلوا بالخشية رجاء في قلوبهم وبالقشعريرة ليانا في جلودهم (ذلك) اشارة الى الكتاب وهو (هدى الله يهدي به) يوفق به من يشاء من عباده المتقين حتى يعتبروا بآيات الخشية ويرجوا ذلك الرجاء كما قال هدى للمتقين (ومن يضلل الله) ومن يخذله من الضالين بالعجز (فما له من هاد) أو ذلك الكتاب من الخشية والرياء هدى الله أي أثر هداه وهو لطفه فما له هادي لانه حاصل بالهدى يهدي به

صفة الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد

صفة الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هدى الله ينزل على من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد

*قوله تعالى أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة (قال فيه معناه كمن هو آمن فحذف الخبر اسوءة أمثاله الخ) قال أحمد الملقى فى النار والعياذ بالله لم يقصد الاتقاء بوجهه ٢٩٨ ولكنه لم يجد ما يتقى به النار غير وجهه ولو وجد لجعل فلما القيها بوجهه كانت حاله حال المتقى

بوجهه فعبر عن ذلك بالاتقاء من باب المجاز التمثيلى والله أعلم *قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون (قال فيه قرئ انك ميت ومائت الخ) قال أحمد فاستعمال

أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون كذب الذين من قبلهم فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون فأذاقهم الله الخزى فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون قرآنا عربيا غير ذى عوج لعلهم يتقون ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون

هذا الأثر من يشاء من عباده يعنى من حسب أولئك ورآهم ناشئين راجين فكان ذلك من غباوتهم فى الاقتداء بسيرتهم وسلوك طريقتهم ومن يضلل الله ومن لم تؤثر فيه الآيات القسوة قلبه واصراره على فجوره فما له من هاد من مؤثر فيه بشئ قط *وقال الثناء بدر قته استقبله بوجهه فوقى بها نفسه اياه واتقاء يده وتقديره (أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب) كمن أمن العذاب فحذف الخبر كما حذف فى نظائره وسوء العذاب شدته ومعناه أن الانسان اذا التقى خوفا من الشوارق استقبل يده وطلب أن يقى بها وجهه لانه أعز أعضائه عليه والذى يلقى فى النار يراقى مغلولة يداه الى عنقه فلا يهما له الا أن يتقى النار الا بوجهه الذى كان يتقى الخوف بغيره وقايته ومحاماة عليه وقيل المراد بالوجه الجملة وقيل نزلت فى أبى جهل *وقال لهم خزنة النار (ذوقوا) وبال (ما كنتم تكسبون *من حيث لا يشعرون) من الجهة التى لا يحتسبون ولا يخطر ببالهم أن الشر يأتيهم منها يناهم آمنون رافهون ادفوجئوا من مأمنهم * والخزى الذل والصغار كالمسخ والخسف والقتل والجلاء وما أشبه ذلك من نكال الله (قرآنا عربيا) حال مؤكدة كقولك جاءنى زيد ركضا هذا صاحبا وانسانا ما فلا يجوز أن ينتصب على المدح (غير ذى عوج) مستقيما بريئا من التناقض والاختلاف (فان قلت) فهلا قيل مستقيما أو غير معوج (قلت) فيه فائدتان احداهما نفى أن يكون فيه عوج قط كما قال ولم يجعل له عوجا والثانية أن لفظ العوج يخص بالمعانى دون الاعيان وقيل المراد بالعوج الشك واللبس وأنشد

وقد أتانا بقين غير ذى عوج * من الاله وقول غير مكذوب

*واضرب لقومك مثلا وقل لهم ما تقولون فى رجل من المماليك قد اشترك فيه شركاء بينهم اختلاف وتنازع كل واحد منهم يدعى أنه عبده فهم تجاذبونه ويتعاورونه فى كل حين من شتى وشداده واذا اعتلت له ماجة تذلفوه فهو متحير فى أمره ساء ر قد تشعبت الهموم قلبه وتوزعت أفكاره لا يدرى أيهم يرضى بخدمته وعلى أيهم يعتمد فى حاجاته وفى آخر قسم لمالك واحد وخالص له فهو معتمق لما لزمه من خدمته معتمد عليه فيما يصلحه فهمه واحد ورأيه مجتمع أى هذين العبدين أحسن حالا وأجمل شأنا والمراد تمثيل حال من يشرك الله تعالى وما يلزمه على قضية مذهبه من أن يدعى كل واحد منهم عبوديته ويشاكسوا فى ذلك ويتغالبوا كما قال تعالى ولعلا بعضهم على بعض ويبقى هو متحيرا ضائعا لا يدرى أيهم يعبد وعلى ربوبية أيهم يعتمد ومن يطلب رزقه ومن يلتمس رفقه فهمته تتوزع وقلبه أوزاع وحال من لم يثبت الا الواحد حسابها هو قانع بما كفاه عارف بما أرضاه وما أحظه مستفضل عليه فى عاجله مؤمل للثواب فى آجله و(فيه) صلة شركاء كما تقول اشتركوا فيه *والتشاكس والتشاحس الاختلاف تقول تشاكست أحواله وتشاحست أسنانه (سالما لرجل) خالصا له وقرئ سلما بفتح السين والفتح والكسر هما مصدران كالسلم والسلف (ذا سلامة لرجل) أى ذا خلوص له من الشركة من قولهم سلمت له الضيعة *وقرئ بالرفع على الابتداء أى وهناك رجل سالم لرجل وانما جعله رجلا ليكون أقطع للشاغب به أو سعد فان المرأة والصبى قد يشغلان عن ذلك (هل يستويان مثلا) هل يستوى صفة على التمييز والمعنى هل يستوى صفتاهما وحالاهما وانما اقتصر فى التمييز على الواحد لبيان الجنس وقرئ مثلين كقوله تعالى واكثر اموالا وأولادا مع قوله أشد منهم قوة ويجوز فيمن قرأ مثلين أن يكون الضمير فى يستويان للمثلين لان التقدير مثل رجل ومثل رجل والمعنى هل يستويان فيما يرجع الى الوصفية كما تقول كفى بهما رجلين (الحمد لله) الواحد الذى لا شريك له دون كل معبود سواه أى يجب أن يكون الحمد متوجها اليه وحده والعبادة فقد ثبت أنه لا اله الا هو (بل أكثرهم لا يعلمون) فيشركون به غيره *كانوا يتربصون برسول الله صلى الله عليه وسلم موته فأخبر ان الموت يسمهم فلا معنى للتربص وشماتة الباقى بالفانى وعن قتادة نعى الى نبيه نفسه ونعى الكم أنفسكم *وقرئ مائت

ومائتون

يعنى توفى الموت والتى لم تمت فى منامها أى يتوفاها حين النوم بالموت كقوله وهو الذى يتوفاكم بالليل فيمسك الأنفس التى قضى عليها الموت ولم يقبضها فى وقتها حقيقة ويرسل الأخرى أى النائمة الى الأجل الذى سماه

ومائتون والفرق بين الميت والسائت أن الميت صفة لازمة كالسيد وأما السائت فصفة عارضة تقول زيد سائت غدا كما تقول سائد غدا أي سيموت وسيسود واذا قلت زيد ميت فكما تقول هو في نفسه فما يرجع الى الأدوم والثبوت والمعنى في قوله (انك ميت وانهم ميتون) أنك وانياهم وان كنتم أحياء قائم في عداد الموتى لان ماهو كائن فكأن قد كان (ثم انكم) ثم انك وانياهم تغلب ضمير المخاطب على ضمير الغيب (تختصمون) فتحتج أنت عليهم بأنك بلغت فكذبوا فاجتهدت في الدعوة فلجوا في العناد ويعتذرون بالاطائل فحقه تقول الاتباع أطعنا سادتنا وكبراءنا وتقول السادات أغوتنا الشياطين وآثرنا الاقتداء بنا وتقدم الكلام على اختصام الجميع وأن الكفار يخاصم بعضهم بعضا حتى يقال لهم لا تختصموا لدي والمؤمنون الكاملون يكفيهم بالحجج وأهل الفسلة يكون بينهم الخصام قال عبد الله بن عمر لقد عشنا برهة من دهرنا وما نحسب ري أن هذه الآية أنزلت فينا وفي أهل الكتاب قلنا كيف نختصم ونينا واحد ودينا واحد وكتابنا واحد حتى رأيت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف فعرفت أنها نزلت فينا وقال أبو سعيد الخدري كنا نقول ربنا واحد ودينا واحد ونبينا واحد فما هذه الخصومة فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض بالسيوف قلنا هو هذا وعن براهيم النخعي قالت الصحابة ما خصومتنا وعن اخوان فلما قتل عثمان رضي الله عنه قالوا هذه خصومتنا وعن أبي العالية نزلت في أهل القبلة والوجه الذي يدل عليه كلام الله هو ما تقدمت أولا الا ترى الى قوله تعالى فمن أظلم ممن كذب على الله وقوله تعالى والذي جاء بالصدق وصدق به وما هو الا بيان وتفسير للذين يكون بينهم الخصومة (كذب على الله) انتزى عليه باضافة الولد والشريك اليه (وكذب بالصدق) بالامر الذي هو الصدق بعينه وهو ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم (اذ جاءه) فاجأه لتكذيبه اياه من غير وقفة لاعمال روية وتأمل هل هو حق وباطل تأمل أهل النصفة فيما يسمعون (مثوى للكافرين) أي هو لاء الذين كذبوا على الله وكذبوا بالصدق واللام في للكافرين اشارة الى هم (والذي جاء بالصدق وصدق به) هو رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بالصدق وآمن به وأراد بالجاء به ومن تبعه كما أراد بموسى اياه ومن تبعه في قوله ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون فان قال (أولئك هم المتقون) الا أن هذا الصفة والذي الاسم ويجوز أن يريد بالفوج أو الفريق الذي جاء بالصدق وصدق به وهم الرسول الذي جاء بالصدق وصحابته الذين صدقوا به وفي قراءة ابن مسعود والذين جاؤا بالصدق وصدقوا به وقرئ وصدق بها بالتخفيف أي صدق به الناس فلم يكذبوه به بعني أداه اليهم فاقبل عليه من غير تعثر به وقيل صار صادقا بها أي سببا لان القرآن معجزة والمعجزة تصديق من الحكيم الذي لا يفعل القبيح لئن جوز اضلال نبيه ولا يجوز أن يصدق الا الصادق فيصير بذلك صادقا بالمعجزة وقرئ وصدقته (فان قلت) ما معنى اضافة الاسوأ والاحسن الى الذي عملوا وما معنى التفضيل فيهما (قلت) اما الاضافة فاما هي من اضافة أفعل الى الجملة التي يفضل عليها ولكن من اضافة الشيء الى ما هو بعضه من غير تفضيل كقولك الاشج أعدل بني مروان وأما التفضيل فلان بأب السيء الذي يقترفونه من الصغائر والزلات الكفرة هو عندهم الاسوأ لاستعظامهم المعصية والحسن الذي يجازون هو عند الله الاحسن لحسن اخلاصهم فيه فلذلك ذكر سيئهم بلا سوء وحسنهم بالاحسن وقرئ أسوء الذي عملوا مع سوء (أليس الله بكاف عبده) أدخلت همزة الانكار على كلمة النفي فأفسدت معنى اثبات الكفاية وتقريرها قرئ بكاف عبده وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم وبكاف عباده وهم الانبياء وذلك أن قريشا قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا نخاف أن تخبلك آلهتنا لتعيبك عليك فمرض العبد بها وروي أنه نعت خالد بن العزى ليكسرها فقال له سادنها احذر كها يا خالد فان لها شدة لا يقوم لها شيء فمشى اليها بالفأس فهشم أنفها فقال الله عز وجل أليس الله بكاف نبيه أن يعصمه من كل سوء ويدفع عنه كل بلاء من مواطن الخوف وفي هذا تهكم بهم لانهم خوفوه ما لا يقدر على نفع ولا ضر وأليس الله بكاف أنبياءه واتفقت أمتهم نحو ذلك فكفاهم الله وذلك قول قوم هود ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء ويجوز أن يريد العبد والعباد على الاطلاق لانه كافيهم في الشدائد وكافل مصالحهم وقرئ بكاف عباده على الاضافة وبكاف عباده وبكاف يحتمل أن يكون غير مهموز مضاعفا من الكفاية كقولك يكفاني في بحزي وهو أبلغ من كفى

(تلك ميتون وانهم ميتون ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق اذ جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك جزاء المحسنين ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون أليس الله بكاف عبده)

أي هذه ما تيها الحقيق هذا أو ضح ما قيل في تفسير الآية والله أعلم

لبنائه على لفظ المغالبة والمباراة وأن يكون معه موازنا من المكافأة وهي المجازاة لما تقدم من قوله و يخزهم أجرهم (بالذين من دونه) أراد الاوثان التي اتخذوها آلهة من دونه (بعزيز) بغالب ممتنع (ذي انتقام) ينتقم من أعدائه وفيه وعيد لقريش ووعد للمؤمنين بأنه ينتقم لهم منهم وينصرهم عليهم * قرئ كاشفات ضره وممسكات رحمته بالتنوين على الاصل وبالاضافة للتخفيف (فان قلت) لم فرض المسئلة في نفسه دونهم (قلت) لانهم خوفوه سوء الاوثان وتخييلها فأمر بان يقررهم أولا بان خالق العالم هو الله وحده ثم يقول لهم بعد التقرير فاذا أرادني خالق العالم الذي أقررتم به بضر من مرض أو فقر أو غيرذلك من النوازل أو برحمة من صحة أو غنى أو نحوهما هل هؤلاء اللاتي خوفتموني اياهن كاشفات عني ضره أو ممسكات رحمته حتى اذا ألقمهم الحجر وقطعهم حتى لا يحير وا بنت شفة قال (حسبي الله) كافيا لمهمة أو ثاقتي (عليه يتوكل المتوكلون) وفيه تهكم و يروى أن النبي صلى الله عليه وسلم سألهم فسكتوا فنزل قل حسبي الله (فان قلت) لم قيل كاشفات وممسكات على التأنيث بعد قوله تعالى و يخوفونك بالذين من دونه (قلت) أ نعم وكن اناثا وهن اللات والعزى ومناة قال الله تعالى أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ألكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى فهلا وبخهن هذا التوبيخ بزيادة تضعيف وتجهيل عاطل اليهم به من كشف الضر وامساك الرحمة لان الاوثان من باب اللين والرخاوة كأن الذكورة من باب الشدة والصلابة كانه قال الاناث اللاتي هن اللات والعزى ومناة ضعف عباداتهن وأعجز وفيهم تهكم أيضا (على مكانتكم) على حالكم التي أنتم عليها وجهتكم من المعاداة التي تمكنتم منها والمكانة تبنى المكان فاستعيرت عن الهيئة التي يستمر عليها وحيث للزمان وهما للمكان (فان قلت) حق الكلام فاني عامل على مكانتي فلم حذف (قلت) للاختصار ولما فيه من زيادة الوعيد والايذان بأن حاله لا تنفك وتزداد كل يوم قوة وشدة لان الله ناصره ومعينه ومظهره على الدين كله الا ترى الى قوله (فسوف تعلمون من يأتيه) كيف توعدهم بكونه منصورا عليهم غالبا عليهم في الدنيا والآخرة لانهم اذا أتاهم الخزي والعذاب فذاك الغاية وغلبته من حيث ان الطبيعة تترك بزعزع من أوليائه و يذل ذليل من أعدائه (يخزيه) مثل منهم في وقوعه صفة للعذاب أي عذاب يخزيه وهو يوم بدر وعذاب دائم وهو عذاب النار * وقرئ مكاناتكم (للناس) لاجلهم ولاجل حاجتهم اليه لمشورة أو نظر واستفتوى دواعيهم الى اختيار الطاعة على المعصية ولا حاجة الى ذلك لان الغني عن اختيار الهدى تنتفع نفسه ومن اختار الضلالة فقد ضرها * وما وكلت عليهم لتجبرهم على الهدى فان التكليف مبني على الاختيار دون الاجبار (الانفس) النفس كلها هي * وتوفيها الماتها وهو أن يسلب ما هي به حية حساسة دراكة من صحة تميزها وحسلامها لانها عند سلب الصحة كأن ذاتها قد سلبت (والتي لم تمت في منامها) يريد يتوفى الانفس التي لم تمت في منامها أي يتوفاها حين تنام تشبيها للنائمين بالموتى ومنه قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل حيث لا يميزون ولا يتصرفون كأن الموتى كذلك (فيمسك) الانفس (التي قضى عليها الموت) الحقيقي أي لا يردها في وقتها حية (ويرسل الاخرى) الباقية (الى أجل مسمى) الى وقت ضربه لموتها وقيل يتوفى الانفس جميعا و يقبضها وهي الانفس التي تكون معها الحياة والحركة و يتوفى الانفس التي لم تمت في منامها وهي أنفس التمييز كما قدمنا أنه توفى في النوم هي نفس التمييز لا نفس الحياة لان نفس الحياة لا تزال التي معها النفس والنائم يتنفس وروى ابن عباس رضي الله عنهما في ابن آدم نفس وروح بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التي بها العقل والتمييز والروح التي بها النفس والتحرك فاذا نام العبد قبض الله نفسه ولم يقبض روحه والصحيح ما ذكرت أولا لان الله عز وعلا علق التوفي والموت والمنام جميعا بالانفس وما عنوا بنفس الحياة والحركة ونفس العقل والتمييز غير متعلق بالموت والنوم وانما المتعلق هي التي تموت وهي التي تنام (ان في ذلك) ان في توفي الانفس مائتة ونائمة وامساكها وارسالها الى أجل لآيات على قدرة الله وعلم لقوم يعملون فيه أفكارهم و يعتبرون * وقرئ قضى عليها الموت على البناء للمفعول (أم اتخذوا) بل اتخذ قريش والهمزة للانكار (من دون الله) من دون اذنه (شفعاء) حين قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله ولا شفيع عنده أحد

ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضلل الله فما له من هاد ومن يهد الله فما له من مضل أليس الله بعزيز ذي انتقام ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله ان أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم انا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما أنت عليهم بوكيل الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجل مسمى ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيأ ولا يعقلون

*قوله تعالى ثم اذا خولناه نعمة منا قال انما أوتيته على علم بل هي فتنة (قال فيه معناه على علم من الله بي وباستحقاقي الخ) قال أحمد كذلك يقول على قدري عند الله ان يؤتيه في الآخرة ان الفرق بين حمد الدنيا وحمد الآخرة ان حمد الدنيا واجب على العبد لانه على نعمة مستفضل بها وحمد الآخرة ليس واجب عليه لانه على نعمة

الا بإذنه الا ترى الى قوله تعالى (قل لله الشفاعة جميعا) أي هو مالكها فلا يستطيع أحد شفاعة الا بشرطين أن تكون المشفوع له ممن يرضى وأن يكون الشفيع مأذونا له وههنا الشرطان مفقودان جميعا (أولو كانوا) معناه أيشفعون ولو كانوا (لا يملكون شيأ ولا يعقلون) أي ولو كانوا على هذه الصفة لا يملكون شيأ فقط حتى يملكوا الشفاعة ولا عقل لهم (له ملك السموات والارض) تقرير لقوله تعالى لله الشفاعة جميعا لانه اذا كان له الملك كلها والشفاعة من الملك كان مالكا لها (فان قلت) بم يتصل قوله (ثم اليه ترجعون) (قلت) على ما يليه معناه له ملك السموات والارض اليوم ثم اليه ترجعون يوم القيامة فلا يكون الملك في ذلك اليوم الا له فله ملك الدنيا والآخرة * وعندي ان المعنى على قوله وحده أي اذا أفرد الله بالذكر ولم يذكر معه آلهتهم اشمأزوا وان ذكروا بالسوء اذا هم يستبشرون (واذا ذكر الذين من دونه) وهم آلهتهم ذكروا بالسوء أو لم يذكروا بشيء فانهم بها مستبشرون بسبب ما كانوا يعتقدون فيها من أن لها الشفاعة عند الله (قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ولو أن للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وبدا لهم سيئات ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن فاذا مس الانسان ضر دعانا ثم اذا خولناه نعمة منا قال انما أوتيته على علم

واجبة على الله عز وجل ولقد صدق الله يقول وهي فتنة انما سلم منها أهل الاستقامة يعتقدون ان الثواب بفضل الله ورحمته لا باستحقاق ويتمون

في ذلك قول سيد البشر صلى الله عليه وسلم لا يدخل أحد الجنة بعمله قيل ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدني ربي برحمته فالمؤمن من مني نفسه وركب رأسه وهم ان يستحق على الله الجنة (قال فان قلت لم عطفت هذه الآية على التي قبلها بالفاء والآية التي قبلها في أول السورة بلواو وأجاب بان هذه الآية مسببة عن قوله واذا ذكر الله الخ) قال أحمد كلام جليل ما فهمه منه قليل

بالفاء وعطف مثلها في أول السورة بالواو (قلت) السبب في ذلك أن هذه وقعت مسببة عن قوله واذا ذكر الله وحده اشمأزت على سبق أنهم يشمئزون من ذكر الله ويستبشرون بذكر الآلهة فاذا مس أحدهم ضر دعا من اشمأز من ذكر دون من استبشر بذكره وما بينهما من الاعتراض (فان قلت) حق الاعتراض أن يؤكد المعترض بينه وبينه (قلت) ما في الاعتراض من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه بأمره منه وقوله أنت تحكم بينهم ثم ما عقبه من لوعيد العظيم تأكيد لانكار اشمئزازهم واستبشارهم ورجوعهم الى الله في الشدائد دون آلهتهم كأنه قيل قل يارب لا يحكم بيني وبين هؤلاء الذين يجترؤن عليك مثل هذه الجراءة غيرك فتكون مثل هذا الانكار الآت وقوله ولو أن للذين ظلموا متناول لهم ولكل ظالم ان جعل مطلقا أو أياهم خاصة ان عنيتهم به كأنه قيل ولو أن لهؤلاء الظالمين ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به حين أحكم عليهم بسوء العذاب وهذه الاسرار والنكت لا يبرزها الا عسر النظم والا بست تخبيطة في أناكمها وأما الآية الاولى فلم تقع مسببة وما هي الا جملة ثانية اثبت جملة قبلها فعطفت عليها بالواو كقولك قام زيد وقعد عمرو (فان قلت) من أي وجه وقعت مسببة والأشمئزاز عن ذكر الله ليس بمقتض لاتجائهم اليه بل هو مقتض لضد توجههم نحوه (قلت) في هذا التسبيب لطف وبيانه أنك تقول لزيد مؤمن بالله فاذا مسه ضر التجأ اليه فهذا التسبيب ظاهر لا لبس فيه ثم تقول لزيد كافر بالله فاذا مسه ضر التجأ اليه فتجيء بالفاء جيئتك به على كان الكافر حين التجأ الى الله التجأ المؤمن اليه مع تكفير مقامه الايمان وتجريه مجراه في جعله سببا في الالتجاء وأنت تعكس ما عكس فيه الكافر الا ترى أنك تقصد بهذا الكلام الانكار والتعجب من فعله الضمير في (قالها) راجع الى قوله انما أوتيته على علم لها كلمة أو جملة من القول وقرئ قد قالها على معنى تقول والكلام يذلك والذين من قبلهم هم قارون وقومه حيث قال انما أوتيته على علم عندي ورضوه راضون بها اذ كانوا منهم قالوها ويجوز أن يكون في الامم السالفة آخرون قالوا مثلها (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) من متاع الدنيا وجمعون منه (من هؤلاء) من مشركي قومك (سيصيبهم) مثل ما أصاب أولئك فقتل عشاريهم بمدر وحبس عنهم الرزق فقحطوا سبع سنين ثم بسط لهم فنظروا سبع سنين فقيل لهم (أولم يعلموا) أنه لا قابض ولا باسط الا الله عز وجل (أسرفوا على أنفسهم) جنوا على أنفسهم بالاسراف في المعاصي والتفريط فيها (لا تقنطوا) قرئ بفتح النون وكسرها وضمها (ان الله يغفر الذنوب جميعا) بشرط التوبة فوقه نكر ذكر هذا الشرط في القرآن فكان ذكره فيه كذكر ما ذكر فيه فهما في حكم كلام واحد ولا يجوز فيه التناقض وفي قراءة ابن عباس وابن مسعود ينفر الذنوب جميعا لمن يشاء والمراد بمن يشاء من تاب لان مشيئة الله تابعة لحكمته وعدله لا لملكه وجبروته وقيل في قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وغلظه رضي الله عنها يغفر الذنوب جميعا ولا يبالي وتشريف المبالاة في قوله تعالى ولا يخاف عقباها وعن بعض أهل مكة ترتم محمد ان من عبد الاوثان وقتل النفس التي حرم الله لم ينفر له فكيف ولم يهاجر وقد عبد الاوثان وقتل النفس التي حرم الله فنزلت وروى أنه أسلم عياش بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد وشرحبيل بن حسنة وعذبوا فافتتنوا فكانوا يقولون لا تقبل الله لهم صرفا ولا عدلا أبدا فنزلت فكتب بها عمر رضي الله عنه اليهم فأسلموا وهاجروا وقيل نزلت في وحشي قاتل حمزة رضي الله عنه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحب أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية فقال رجل يارسول الله ومن أشرك فسكت ساعة ثم قال ألا ومن أشرك ثلاث مرات (وأنيبوا الى ربكم) وتوبوا اليه (وأسلموا له) وأخلصوا له العمل واتخاذ كرانا نابة على أثر المغفرة لئلا يطمع طامع في حصولها بغير توبة وللدلالة على أنها شرط فيها لازم لا تحصل بدونه (واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم) مثل قوله الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه (وأنتم لا تشعرون) أي يفجؤكم وأنتم غافلون كأنكم لا تخشون شيأ لفرط غفلتكم وسهوكم (أن تقول نفس) كراهة أن تقول (فان قلت) لم نكرت (قلت) لأن المراد بها بعض الانفس وهي نفس الكافر ويجوز أن يراد نفس مميزة من الانفس أما طياح في الكفر شديدا أو بعذاب عظيم ويجوز أن يراد التكثير كما قال الاعشى

*قوله تعالى ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة (قال فيه يعني الذين وصفوه تعالى عما لا يجوز عليه وهو متعال عنه الخ) قال أحمد فتدبر هذا لطور التفسير لمرض في قلبه لا دواء له الا التوفيق الذي حرمه ولا يعافيه منه الا الذي قدر عليه هذا الضلال وحتمه وسنقيم عليه حد الدلالة قد أبدى صفحته ولولا شرط الكتاب لاضربنا صفحا ولو بنا عن الالتفات ٣٠٣ اليه كتصحابالله التوفيق

ورب بقيع لو هتفت بحوه * أتاني كريم ينفض الرأس مغضبا

وهو يريد أقوالا من الكرام يتصورونه لا كرجل واحد وتاريخ رب بقطعت ورب بطل قارعت وقد انطلس البطحاء ولا يقصد الا التكثير * وفرق بأحمر في على الاصل وبأحمر ثاني على الجمع بين العوض والمعوض منه * والجنب الجانب يقال أتاني جنب فلان وجانبه وناحيته وفلان ابن الجنب والجانب ثم قالوا فرط في جنبه وفي جانبه يريدون في حقه قال سابق البربري

أما تتقين الله في جنب وامق * له كبد حرى عليك تقطع

وهذا من باب الكناية لانك اذا أثبت الامر في مكان الرجل وحيزه فقد أثبته فيه الا ترى الى قوله

ان الصداقة والمروءة والندى * في جبة ضربت على ابن المنذر

وسنه قول الناس لك كذا فعلت كذا بيد بدون لاحاجة في الحديث من الشرك الخفي أن يصلي الرجل لمكان الرجل وكذلك فعلت هذا من جهتك فرق حيث لم يبق فرق فيما يرجع الى أداء الفرض بين ذكر المكان وتركه فيقول (فرطت في جنب الله) على معنى فرطت في ذات الله (فان قلت) فرجع كلامك الى أن ذكر الجنب كالذكر كسوى ما يعطي من حسن الكناية وبلاغتها فكانه قيل فرطت في الله فما معنى فرطت في الله (قلت) لابد من تغيير معناه ليخرج عن حد الجنب أو ليذكر الجنب أو لمعنى فرطت في طاعة الله وعبادة الله وما أشبه ذلك وفي حرف عبد الله وحمضة في ذكر الله * ومعنى ما فرطت مصدرية تقديرها في عاريحت (وان كنت لمن الساخرين) قال قتادة لم يكفه أن ضيع طاعة الله حتى سخر من أهلها وحمل وان كنت الضمير على المثال الذي قلت فرطت وأنا ساخر أي فرطت في حال مضربي وروي أنه كان في بني اسرائيل عالم ترك علمه وفسق وأتاه ابليس وقال له تمتع من الدنيا بما شئت فأطاعه وكان له مال فانفسه في الخمور فأتاه ملك الموت في الليل فقال يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله ذهب عمري في طاعة الشيطان وأصحلت ربي فندم حين لم ينفعه الندم فأنزل الله خبره في القرآن (أو أن الله هداني) لاعلموا أن من يريه الهداية بالالجاء أو بالالطاف أو بالوحي فالالجاء خارج من الحكمة ولم يكن من أهل الالطاف فيلطف به وأما الوحي فقد كان ولكنه أعرض عنه لم يتعه حتى يهتدي والغاية قول هذا تحيرا في أمره وتمثلا لما لا يجدي عليه كما حتى عنهم التعلل بأعوانهم الرؤساء والشياطين ونحو ذلك ونحوه لو هدانا الله لهديناكم وقوله (بلى قد جاءتك آياتي) رد من الله عليه معناه بلى قد هديت بالوحي فكذبت به واستكبرت عن قبوله وآثرت الكفر على الايمان والضلالة على الهدى * وقرئ بكسر التاء على مخاطبة النفس (فان قلت) هلا قرن الجواب بما هو جواب له وهو قوله لو أن الله هداني ولم يفصل بينهما بآية (قلت) لانه لا يخلوا اما أن يقدم على أخرى القرآن الكلام فيض فيه بين واما أن يؤخر القريبة الوسطى فلم يحسن الاول لما فيه من تنسير النظم بما بين القرآن وأما الثاني فلما فيه من نقض الترتيب وهو التحسر على التفريط في الطاعة ثم التعلل بعقد البداية ثم تمني الرجعة فكان الجواب ما جاء عليه وهو أنسب أقوال النفس على ترتيبها ونظمها ثم أجاب من بينها (فتقول) (كيف صح أن تقع بين جوابا لغير متى (قلت) لان الله هداني فيه معنى ما هديت (كذبت بلى) وصفوه بما لا يجوز عليه تعالى وهو متعال عنه وأضافوا اليه الولد والشريك وقالوا هؤلاء شفعاؤنا وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم وقالوا والله أمرنا بها ولا يسعنا عن هم قوم (سفهوا بعقل الانباء وتجرأوا بأن يطلق خلقا لا لغرض ويؤلم لا لعوض ويظلمون بتكليف ما لا يطاق ويجيزونه بكونه مريدا لما يعلم أنه لا يكون فاسدا ويثبتون له بداء وقد ما وجدنا متحيرين بالملكة ويجعلون له أندادا بإتيانهم معه قد ما (ووجوههم مسودة)

فتقول أما تعريضه بأن أهل السنة معتقدون أن القبائح من فعل الله تعالى فيرجعه بما اعتقادهم المشار اليه قوله تعالى بعد آيات من هذه السورة الله خالق كل شئ وهو على كل شئ وكيل أما الزمخشري

على ما فرطت في جنب الله وان كنت لمن الساخرين أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس في جهنم مثوى للمتكبرين وينجي الله الذين اتقوا

واعلم انه القدرية يفترون في وجه هذه الآية ويقولون ليس خالق كل شئ الا الله فالقبائح أشياء وليست مخلوقة فاعتقدوا أنهم يزهون واغا أشركوا * وأما تعريضه لهم في أنهم يجوزون ان يخلق

خلقا لا لغرض فذلك لان أفعاله تعالى لا تعلل لانه الفاعل لما يشاء وعند القدرية ليس فعلا لما يشاء لان افعاله منوطة على حكمة ومصلحة فيجب عليه أن يفعله عندهم وأما عندي فيجب عليه أن لا يفعله فان أثر المشيئة اذا * وأما اعتقاده ان في تكليف ما لا يطاق

تقليبا لله تعالى فاعتقادنا باطل لان ذلك انما يثبت لازما لاعتقادهم ان الله تعالى خالق أفعال عبيده فالتكاليف بها تكليف بما ليس مخلوقا لهم وهو القاعدة الاولى حق ولازم الحق حق ولا معنى للظلم الا التصرف فى ملك الغير بغير اذنه والعباد ملك الله تعالى فكيف يتصور حقيقة الظلم منه تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا * وأما تعريضه بانهم يجوزون أن يؤتى لا لعوض فيقال له ما قولك أيها القطين فى ايلام البهائم والاطفال ولا أعواض لهما وليس مرتبا على استحقاق سابق خلافا للمعتزلة أفيقولون لا بد فى الالم من استحقاق سابق أو عوض * وأما اعتقاده أن تجويز رؤية الله تعالى يستلزم اعتقاد الجسمية فانه اغترار فى اعتقاده بادلة العقل المجوزة لذلك مع البراءة من اعتقاد الجسمية وهو يشعر انه يقابل بهداية قول نبى الهدى عليه الصلاة والسلام انكم سترون ربكم كما تقمرون ليلة البدر لا تضامون فى رؤيته فهذا النص الذى يفهم من التأويل * ٣٠٤ * ولا يدع المقابل به شيئا من التأويل وأما قوله انهم يتسترون بالبلكنة فيعنى به قولهم بلا كيف

أجل انها السنة لا تهتك بها الباطل البتة ولا تهدم عن الهدى عن الضلال العوراء وأما تعريضه بانهم يجعلون لله أندادا بأتباعهم معه قد ما فقى لاتباعهم صفات الكمال كلا

عجائزهم لا يعلمون السوء ولا هم يحسنون الله خالق كل شئ وهو على كل شئ وكيل له مقاليد السموات والارض والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك

والله انما جعل الله ازواد القدرية لا جعلوا أنفسهم يخلقون ما يريدون ويشاءون على خلاف ما اراد بهم حتى قالوا ان مشاؤه كان وما شاء الله لا يكون وأما أهل السنة فهم يقولون

جملة فى موضع الحال ان كان ترى من رؤية البصر ومفعول ثان ان كان من رؤية القلب * قرئ يحيى ويحيى (عقارتهم) بلاحوهم يقال فارز كذا اذا قطع به وظفر بمراده منه وتفسير الفارزة قوله (لا يعلمهم السوء ولا هم يحزنون) كانه قيل ما عقارتهم فقيل لا يعلمهم السوء أى يجنبهم متى السوء والحزن عنهم أو يسبب نجاتهم من قوله تعالى فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب أى بنجاة منه لان النجاة من أعظم الفلاح وسبب نجاتهم العمل الصالح ولهذا فسر ابن عباس رضى الله عنهما المفازة الاعمال الحسنة ويجوز بسبب فلاحهم لان العمل الصالح سبب الفلاح وهو دخول الجنة ويجوز أن يسمى العمل الصالح فى نفسه مفازة لانه سبب لها وقرئ بمفازاتهم على أن لكل متقى مفازة (فان قلت) لا يخلو ما تحله من الاعراب على التفسيرين (قلت) أما على التفسير الاول فلا محل له لانه كلام مستأنف وأما على الثانى فمحله النصب على الحال (له مقاليد السموات والارض) أى هو مالك أمرها وحافظها وهو من باب الكناية لان حافظ الخزائن ومدبر أمرها هو الذى يملك مقاليدها ومنه قولهم فلان ألقيت اليه مقاليد الملك وهى المفاتيح ولا واحد لها من لفظها وقيل مقليد وقيل اقليد وأقاليد والكلمة أصلها فارسية (فان قلت) ما للكتاب العربى المبين وللفارسية (قلت) التعريب أحالها عربية كما أنزع الاستعمال المعمل من كونه مهملا (فان قلت) علام انتصل قوله (والذين كفروا) (قلت) بقوله ويحيى الله الذين اتقوا أى ينجى الله المتقين بمفازتهم والذين كفروا بهم الخاسرون واعترض بينهما بانه خالق الاشياء كلها وهو مهيمن عليها فلا يخفى عليه شئ من أعمال المكلفين فيوفيها ما يستحقون عليها من الجزاء وقد جعل متصلا بما يليه على أن كل شئ من السموات والارض فالله خالقه وقابض به والذين كفروا بعقود أن يكون الامر كذلك أولئك هم الخاسرون ونحو سأل عثمان رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله تعالى له مقاليد السموات والارض فقال يا عثمان ما سألنى عنه أحد قبلك تفسيرها لا اله الا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده واستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير وتأويله على هذا ان لله هذه الكلمات وبحملها وتجويهى مفاتيح خير السموات والارض من تكلم بها من المتقين أصابه والذين كفروا بآيات الله وكلماته وبحيده وتمجيده أولئك هم الخاسرون (أفغير الله) منصوب بأعبد و (تأمرونى) اعتراض ومعناه أفغير الله أعبد بأمركم وذلك حين قال له المشركون استلم بعض آلهتنا وندخل فى دينك أو يتصل بما يليه جملة قوله تأمروننى أعبد على ان فى معنى تعبدوننى وتقولون لى أعبد والاصل تأمروننى أن أعبد فحذف أن ورفع الفعل كما فى قوله * ألا أيهذا الزاجرى أحضر الوغى * ألا ترى أنك تقول أغير الله تقولون لى أعبده وأغير الله تقولون لى أعبد فكذلك أفغير الله تأمروننى أن أعبده

على ان اعتقاده أن الله تعالى عالم وقدير وحى وسميع وبصير وكل ما وجب حسبما دل عليه العقل وأقتضر ورد به الشرع وترك تخلص القدرى اذا سمع قوله تعالى وسع ربنا كل شئ علما الا اعتقاد ان الله تعالى علم آلهته آيات الله وانطفاء نوره وبالى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون * وأما قوله انهم يقتنون الله تعالى بداوقد ما ووجها فذلك مرتقما فانهم يقولون بذلك أحد من أهل السنة وانما أثبت القاضى أبو بكر سبعة صفات سميعه ورد فى القرآن اليدان والعينان والوجه وهو يتجاوز فى اثباتها اما ورد عليه فى كتاب الله العزيز على ان غيره من أهل السنة حمل اليدين على القدرة والنعمة والوجه على الذات وقد مر ذلك فى مواضع من الكتاب فقد اتصف فى هذه الجملة تعالى من جنته بقلته عن جنته وتمرد بعضه معتقده الفاسد لهتك ستره وكشفه وانما حملنى على اغلاظ مخاطبته الغضب لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم وأهل سنته فانه قد أساء عليهم الادب ونسبهم بكذبه الى الكذب والله الموعد

*قوله تعالى بل الله فاعبد (قال فيه اصل الكلام ان كنت عابدا فاعبد الله فحذف الشرط وجعل تقديم المفعول عوضا منه اه كلامه) قلت مقتضى كلام سيبويه في أمثال هذه الآية أن الاصل فيه فاعبد الله ثم حذف الفعل الاول اختصارا فلما وقعت الفاء أولا استنكروا الابتداء بها ومن شأنها التوسط بين المعطوف والمعطوف عليه فقدموا المفعول وصارت متوسطة لتطابق الفاء على أن ثم حذوفا اقتضى وجودها ولتعطف عليه ما بعدها وينضاف الى هذه العلة في التقديم فائدة الحصر تقدم (٣٠٥) من أسرار التقديم بالاختصاص

*قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه (قال) فيه العرض من هذا الكلام تصوير عظمته تعالى والتوقيف على ذم جلاله من غير ذهاب بالقبضة ولا

ان أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه

بالهين لي جهة حقيقة أو جهة مجاز وكذلك حكم ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جبريل جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا القاسم ان الله يمسك السموات يوم القيامة على أصبع والارضين على أصبع والجبال على أصبع والشجر على أصبع

وأقسم الله تأمرونني أن أعبد والدليل على صحة هذا الوجه قراءة من قرأ أعبد بالنصب *وقرئ تأمرونني على الاصل وتأمروني على ادغام النون أو حذفها *قرئ ليحبطن عملك وليحبطن على البناء للفعول وليحبطن بالنون والياء أي ليحبطن الله أو الشرك *(فان قلت) الوحي اليهم جماعة فكيف قال (لئن أشركت) على التوحيد (قلت) معناه أوحي اليك لئن أشركت ليحبطن عملك والى الذين من قبلك مثله أو أوحي اليك والى كل واحد منهم لئن أشركت كما تقول كسانا حلة أي كل واحد منا (فان قلت) ما الفرق بين اللامين (قلت) الاولى موطئة للقسم المحذوف والثانية لام الجواب وهذا الجواب سادمسد الجوابين أعني جواب القسم والشرط (فان قلت) كيف صح هذا الكلام مع علم الله تعالى ان رسله لا يشركون ولا يحبط أعمالهم (قلت) هو على سبيل الفرض والمحالات تصح فرضها لاغراض فكيف بما ليس بمحال ألا ترى الى قوله ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا بنى على سبيل الالجاء ولن يحسن ذلك لامتناع الداعي اليه ووجود الصارف عنه *(فان قلت) ما معنى قوله ولتكونن من الخاسرين (قلت) يحتمل ولتكونن من الخاسرين بسبب حبوط العمل ويحتمل ولتكونن في الآخرة من جملة الخاسرين الذين خسروا أنفسهم ان مت على الردة ويجوز أن يكون خطاب الله على الرسول أحد فلا يعلم له بعد الردة الا ترى الى قوله تعالى اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات (بل الله فاعبد) دل أمره به من باب استلزام بعض آلهتهم كانه قال لا تعبد ما أمروك بعبادته بل ان كنت عاقلا فاعبد الله فحذف الشرط وجعل تقديم المفعول عوضا منه (وكن من الشاكرين) على ما أنعم عليك من أن جعلك سيد ولد آدم وجوز ان يكون من عطف الجمل بعضها على بعض هذا معطوف عليه تقديره بل الله فاعبد فاشكر (وما قدروا الله حق قدره) لما كان العظيم من الاشياء اذا عرفه الانسان حق معرفته وقدره في نفسه حق تقديره عظمه حق تعظيمه قيل (وما قدروا الله حق قدره) وقرئ بالتشديد على معنى وما عظموه كنه تعظيمه *ثم نبه على عظمته وجلالة شأنه على طريقة التخييل فقال (والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) والغرض من هذا الكلام اذا حققته هو جلالته وعلوه تصوير عظمته والتوقيف على كنه حاله لا تعريف من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين الى جهة حقيقة أو جهة مجاز وكذلك حكم ما روي ان جبريل جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا القاسم ان الله يمسك السموات يوم القيامة على أصبع والارضين على أصبع والجبال على أصبع والشجر على أصبع وسائر الخلق على أصبع ثم يهزهن فيقول أنا الملك فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبا مما قال ثم قرأ تصديقا له وما قدروا الله حق قدره الآية والغرض اضحك أفصح العرب صلى الله عليه وسلم وتعجب لانه لم يفهم منه الا ما يفهمه عامة البيان من غير تصور استمالة ولا أصبع ولا هز ولا شيء من ذلك ولكن فهمه وقع أولى شيء وآخره على الزيدة والملاحة التي هي الدلالة على القدرة الباهرة التي لا يوصل السامع الى الوقوف على هذه الطريقة من التخييل ولا ترى بابا في علم البيان أدق ولا ألطف من هذا الباب ولا أنفع وأعون على تعاطي تأويل المتشابهات من كلام الله تعالى في القرآن وسائر الكتب السماوية وكلام الانبياء فان أكثره وعامته تخييلات

٣٩ كشاف ن

وسائر الخلق على أصبع ثم يهزهن فيقول أنا الملك فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعجب مما قال الحبر ثم قرأ هذه الآية تصديقا له فاضحك أفصح العرب لانه لم يفهم منه الا ما فهمه عامة البيان من غير تصور لاصابع ولا هز ولا شيء من ذلك ولكن فهمه وقع أولى شيء وآخره على الزيدة والملاحة التي هي الدلالة على القدرة الباهرة التي لا يوصل السامع الى الوقوف على هذه الطريقة من التخييل ثم قال وأكثر كلام الانبياء والكتب السماوية عليها تخييل قد رأيت فيه الاقدام فيما اه

كلامه (قلت) الغاية التي أجراه ههنا من لفظ التخييل التمثيل وانما العبارة موهمة مسكرة في هذا المقام لا تليق به وجه من الوجوه والله أعلم

قدرات فيها الاقدام فيعلم ما أتى الزائون الامن قلة عنايتهم بالبحث والتفتيش حتى يعلموا أن في عداد العلوم الدقيقة علما لو قدروه حق قدره لما خفي عليهم أن العلوم كلها مفتقرة اليه وعيال عليه اذ لا يحل عقدها البورية ولا يفك قيودها الكربة الا هو وكم آية من آيات التنزيل وحديث من أحاديث الرسول قد ضيم وسم الخسف بالتأويلات الغثة والوجوه الزئلة لان من تأول ليس من هذا العلم في عير ولا نفير ولا يعرف قبيلا منه من دبير والمراد بالارض الارضون السبع بشهادة ذلك شاهدان قوله جميعا وقوله والسموات ولان الموضع موضع تفخيم وتعظيم فهو مقتض للاحاطة ومع القصد الى الجمع وتأكيده بالجميع أتبع الجميع مؤكدة قبل مجيء الخبر لعلم أولي الامر أن المسير الذي يرد لا يقع من أرض واحدة ولكن من الاراضي كلاين والقبضة المرة من القبض فقبضت قبضة من آثار الرسول والقبضة بالضم المقدار والمقبوض بالكف وقال أيضا أعطى قبضة من كذا تريد بمعنى القبضة تسمية بالمصدر كما روي أنه نهى عن خطفة السبع وكلا المعنيين محتمل والمعنى والارضون جميعا قبضته أي ذوات قبضته يقبضهن قبضة واحدة يعني أن الارضين مع عظمهن وبسطتهن لا يبلغن الا قبضة واحدة من قبضاته كالله تتبضها قبضة بكف واحدة كما تقول الجزور أكلة الملوك والفلوجة أكلة الرعة أي ذات أكلة وذات رعة تريد أنها لا يكاد يفد من أصحاب الجزور والفلوجة الا أكلة واحدة من رعاته وذات رعة فرد من رعاته واذا أريد معنى القبضة فظاهر لان المعنى ان الارضين جعلتا مقدار ما تقبضه الكف الواحدة (فان قلت) ما وجه قراءة من قرأ قبضته بالنصب (قلت) جعلها ظرفا مثل الدفعت باليوم * مطويات من الطي الذي هو ضد النشر كما قال تعالى يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب وعادة طاوي السجل أن يطويه بيمينه وقيل قبضته ملكه بلا مدافع ولا منازع ويمينه بقدرته وقيل مطويات بيمينه مفنيات بقسمه لانها قسم أن فنيا ومن أشتر راشحة من علم هذا لم يعرض عليه هذا التأويل ليتباعد بالتعجب منه ومن قائله ثم يبكي حسرة لكلام الله العزيز نعته وعظمته وما أعلاه وما أنقل منه على الروح وأصعب على المكبين دون العلماء قوله واستعظامهم له وحكايته على فروع المنابر واستجلاب الاهتزاز به من العامة من قرئ مطويات على نظم السموات في حكم الارض ودخولها تحت القبضة ونصب مطويات على الحال (سبحانه وتعالى) ما أبعد من هذه غيرته وعظمته وما أعلاه عما يضاف اليه من الشركاء * (فان قلت) (أخرى) ما محلها من الاعراب (قلت) محل الرفع والنصب أما الرفع على قوله فاذا هي في الصور نفخة واحدة وأما النصب فعلى قراءة من قرأ نفخة واحدة والمعنى ونفخ في الصور نفخة واحدة ثم نفخ فيه أخرى والتأنيث ذهبت به الى الدلالة أخرى على ما هو موصوف به ذكر هاق غير مكان وقرئ فيما يأتي ينظرون يقلبون أبصارهم في الجهات نظر المبهوت اذا فاجأه خطب وقيل ينظرون ماذا يفعل بهم وجوز أن يكون القيام بمعنى الوقوف والجلوس في مكان لضبرهم * فان استعار الله عز وجل النور لنفسه والقرآن والبرهان في مواضع من التنزيل وهذا من ذاك والمعنى (وأشرقت الارض) ما يقيم فيها من العدل ويبسطه من الاقساط في الحساب ووزن الحسنات والسيئات وينادي عليه بأنه مستعار اضافته الى الله لانه هو الحق العدل واضافة اسم الى الارض لانه يزينها حيث ينشر فيها عدله ويضع فيها موازين قسطه وحكمه لمن يحق أهلها ولا ترى أزين للبقاع من العدل ولا أعمر لها منه وهذه الاضافة أشد بها وأوثق لها والذي يعدل فيها والمحاسب عليها هو الله ثم ما عطف على إن الارض من وضع الكتاب والمجيء بالنبيين والشهداء والقضاء بالحق وهو النور الذي كوروتري الناس ولون لذلك العادل أشرقت الآفاق بعدله وأضاءت الدنيا بسطه كما تقول أظلت البلاد بعدل رسول الله صلى الله عليه وسلم الظلم ظلمات يوم القيامة فوقع الاشراق بمقابلة الظلم أي أشرقت على البناء للمفعول من شرقت بالضوء شرقا اذا امتلأت به واغتصت وأشرقها الله كما تملأ الارض عدلا وطبقها عدلا و (الكتاب) جنس لكتب الاعمال ولكنه اكتفى باسم الجنس وقيل اللوح المحفوظ (والشهداء) الذين ينشهدون للامم وعليهم من الحفظة والاخيار وقيل المستشهدون في قوله * الرمح الافواج المتفرقة بعضها في أثر بعض وقد ترمى واقال حتى أحرأت زمر بعد زمر وقيل في رهائنها وهي الطبقات المختلفة الشهداء والزهاد

سبحانه وتعالى عما يشركون ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون وأشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا جاؤها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا

والعلماء والقراء وغيرهم * وقرئ نذرمنكم * (فان قلت) لم أضيف اليوم (قلت) أراد والله أعلم وقت نذركم هذا وهو وقت دخولهم النار لا يوم القيامة وقد جاء استعمال اليوم والايام مستفيضا في أوقات الشدة (قالوا بلى) أتونا نذر علينا ولكن وجبت علينا كلمة الله لاملأن جهنم لسوء أعمالنا كما قالوا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين فذكروا أعلهم الموجب لكلمة العذاب وهو التكبر والضلال * اللام في المتكبرين للجنس لان (مثوى المتكبرين) فاعل بئس وبئس فاعلها اسم معرف بلام الجنس أو مضاف الى مثله والمخصوص بالذم محذوف تقديره فبئس مثوى المتكبرين جهنم (حتى) هي التي تحكى بعدها الجمل والجملة المحكية بعدها هي الشرطية الآن جزاءها محذوف وانما حذف لانه في صفة ثواب أهل الجنة فدل بحذفه على أنه شيء لا يحيط به الوصف وحق موقعه ما بعد من الدارين وقيل حتى اذا جاؤها بابها وفتحت أبوابها أي مع فتح أبوابها وقيل أبواب جهنم لا تفتح الا عند دخول أهلها فيها وأما أبواب الجنة فقد تقدم فتحها بدليل قوله جنات عدن مفتحة لهم الابواب فلذلك جيء بالواو كأنه قيل حتى اذا جاؤها وقد فتحت أبوابها (فان قلت) كيف عبر عن الذهاب بالتسيير حين جيء بلفظ السوق (قلت) المراد بسوق أهل النار طردهم الى بابها بالهوان والعنف كما يفعل بالاسارى والخارجين على السلطان اذا سيقوا الى الحبس أو القتل والمراد بسوق أهل الجنة سوق مراكبهم لانه لا يذهب بهم الا كذلك حتى يحط الرحال بهم الى دار الكرامة والرضوان كما يفعل بمن يشرف ويكرم من الوافدين على بعض الملوك فشتان ما بين السوقين (طبتم) من دنس المعاصي وطهرتم من خبث الخطايا (فادخلوها) جعل دخول الجنة مسببا عن الطيب والطهارة فاهل الاداء الطيبين ومثوى الطاهرين لانهم ادار طهرهم الله من كل دنس وطيبهم من كل قذر فلا يدخلها الا مناسب لها موصوف بصفتها فما أبعد أحوال الناس من تلك المناسبة وما أضعف سببها في اكتساب تلك الصفة الا أن يسبل الوهاب الكريم توبة تمحو حقائق أنفسنا من درن الذنوب وغمر ظواهرها وبواطنها بماء التقوى (خالدين) مقدرين الخلود (الارض) عبارة عن المكان الذي أقاموا فيه واتخذوه مقرا ومثوى وقد أورثوها أي ملكوها وحلوا فيها ملوكها وأطلق تصرفهم فيها كما يشاؤن شبها بحال الوارث وتصرفه فيما يرثه والتباسه فيه وذهابه في انفاقه طولا وعرضا * (فان قلت) ما معنى قوله (حيث نشاء) وهل يتبوأ أحدهم مكان غيره (قلت) يكون لكل واحد منهم جنة لا توصف سعة وزيادة في الحاجة فيتبوأ من جنته حيث يشاء ولا يحتاج الى جنة غيره (نعم) تخدمهن حور قوله (يسبحون بحمد ربهم) يقولون سبحان الله والحمد لله ملذذين لا متعبدين * (فان قلت) الام يرجع الضمير في قوله (بينهم) (قلت) يجوز أن يرجع الى العباد كلهم وان أدخل بعضهم النار وبعضهم الجنة لا يكون الا اقتضاء بينهم بالحق والعدل وأن يرجع الى الملائكة على أن ثوابهم وان كانوا معصومين جميعا لا يكون على نسق واحد ولكن يفاضل بين مراتبهم على حسب تفاضلهم في أعمالهم فهو القضاء بينهم بالحق * (فان قلت) قوله (وقيل الحمد لله) من القائل ذلك (قلت) المقضي بينهم أما جميع العباد وأما الملائكة كائنه قيل وقضي بينهم بالحق وقالوا الحمد لله على قضائه بيننا بالحق وانزال كل منا منزلته التي هي حقه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله عز وجل عنه يوم القيامة وأعطاه الله ثواب الخائفين الذين خافوا وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ كل ليلة بني اسرائيل والزمر

* سورة المؤمن مكية قال الحسن الا قوله وسير بعض بذلك الان الحواميم نزلت بالمدينة وقيل في الحواميم كلها انها مكيات عن ابن عباس الا حم عسق وهي خمس وثمانون آية وقيل ثمان وثمانون *

بسم الله الرحمن الرحيم

قرئ بامالة ألف حا وتفخيمها وبتسكين الميم وفتحها ووجه التقاء الساكنين وابتدأ أحف الحركات نحو أين وكيف أو النصب باسمعوا أمرا أو منع الصرف للتأنيث والتعريف أو للتعريف وأنها على زنة أعجمي نحو قابيل وهابيل * التوب والثوب والاوب أخوات في معنى الرجوع * والطول الفضل والزيادة

قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين

* سورة المؤمن مكية وهي خمس وثمانون آية *

(بسم الله الرحمن الرحيم)

حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا اله الا هو اليه المصير ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا

﴿القول في سورة غافر﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب الآية (قال) فيه فان قلت لم اختلفت هذه الصفات تعريفا وتنكيرا والموصوف معرفة يقتضي أن يكون مثله معارف وأجاب بان غافر الذنب وقابل التوب معرفتان لازمتان وليستا لحدوث الفعل حتى يكونا حالا أو استقبالا لان اضافتهما حقيقية وأما شديد العقاب فلا شك في أن اضافته غير حقيقية يريد لانه من الصفات المشبهة ولا تكون اضافتها محضة أبدا * عاد كلامه قال وجعله الزجاج بدلا وحده وانفراد البدل من بين الصفات فيه نبو ظاهر والوجه أن يقال ان جميعها ابدال غير أوصاف لوقوع هذه النكرة التي لا يصح أن تكون صفة كما لو جاءت قصيدة تفاعيلها (٣٠٨) كلها على مستفعلن قضي عليها بأنها من بحر الرجز فان وقع فيها جزء واحد على متفاعلن كانت من

يقال لعلان على فلان طول واذا فصال يقال طال عليه وتطول اذا تفضل * (فان قلت) كيف اختلفت هذه الصفات تعريفا وتنكيرا والموصوف معرفة يقتضي أن يكون مثله معارف (قلت) أما غافر الذنب وقابل التوب فمعرفتان لانه لم يرد بهما حدوث الفعلين وأنه يغفر الذنب ويقبل التوب الآن أو غدا حتى يكونا في تقدير الانفصال فتكون اضافتهما غير حقيقية وانما أريد ثبوت ذلك ودوامه فكان حكمه حكم الله الخالق ورب العرش وأما شديد العقاب فامر مشكل لانه في تقدير شديد عقابه لا ينفك من هذا التقدير وقد جعله الزجاج بدلا وفي كونه بدلا وحده بين الصفات نبو ظاهر والوجه أن يقال لما وصف بين هؤلاء المعارف هذه النكرة الواحدة فقد أتت بأن كلها أبدال غير أوصاف ومثال ذلك قصيدة جاءت تفاعيلها كلها على مستفعلن فهي محكوم عليها بأنها من بحر الرجز فان وقع فيها جزء واحد على متفاعلن كانت من الكامل والقائل أن يقول هي صفات وانما حذف الالف واللام من شديد العقاب ليزاوج ما قبله وما بعده فقد فعل ذلك كثيرا من كلامهم من قوانينه لاجل الازدواج حتى قالوا ما يعرف مجداد ليه من عنادليه فتنوا بما هو ونزلا جل ما هو شنع على ان الخليل قال في قولهم ما يحسن بالرجل مثلك أن يفعل ذلك وما يحسن بالرجل خير منك أن يفعل انه على نية الالف واللام كما كان الجاء لغير على نية طرح الالف واللام وعما سهل ذلك الامن من اللبس وجها لله الموصوف ويجوز أن يقال قد تعمد تنكيره وايهامه للدلالة على فرط الشدة وعلى ما لا شيء أدهى منه وأمر لزيادة الانذار ويجوز أن يقال هذه النكتة هي الداعية الى اختيار البدل على الوصف اذا سلكت طريقة الابدال (فان قلت) ما بال الواو في قوله وقابل التوب (قلت) فيها نكتة جليلة وهي افادة الجمع للذنب التائب بين أن يقبل توبته فيكتبها له طاعة من الطاعات وبين أن يجعلها كفارة للذنوب كان لم يذنب كأنه قال جامع المغفرة والقبول وروى أن عمر رضي الله عنه افتقد رجلا ذا بأس شديد من أهل الشام فقيل له تتابع في هذا الشراب فقال عمر اكتبوا انه من عمر الى فلان سلام عليك وأنا أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو بسم الله الرحمن الرحيم سلم الى قوله المصير وختم الكتاب وقال لرسوله لا تدفعه اليه حتى تجده صاحيا ثم أمر من عنده بالدعاء له بالتوبة فلما أتته الصحيفة جعل يقرؤها ويقول قد وعدني الله أن يغفر لي وحذرني عقابه فلم يبرح يرددها حتى بكى ثم نزع فأحسن النزوع وحسنت توبته فلما بلغ عمر أمره قال هكذا فاصنعوا اذا رأيتم أخا كم قد زل زلة فسددوه ووفقوه وادعوا الله أن يتوب عليه ولا تكونوا أعوانا للشيطان عليه * وجعل على المجادلين في آيات الله الكفر والمراد الجدال بالباطل من الطعن فيها والتعسف الى ادحاض الحق واطفاء نور الله وقد دل على ذلك في قوله وما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا فلا يغرك تقلبهم في البلاد وقوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق وأما الجدال في اقامة الحق واظهاره ونصرته فمحمود وحسن مشكاتها وهو قادحة أهل العلم في استنباط معانيها وورد أهل

بالرجل خير منك أن يفعل كذا انه على نية الالف واللام كما جاء الجاء لغير على نية حذف الالف واللام مضافا الى الزيغ ما سهل ذلك وهو عدم اللبس وأمن الجهالة * وأجاز وجها آخر وهو أن يكون صفة قصد تنكيرها لما في الابهام من الدلالة على فرط الشدة * قال ولعل هذه النكتة هي الداعية الى اختيار البدل على الوصف اذا سلكت طريقة الابدال * قال فان قلت فما بال الواو في قوله وقابل التوب وأجاب بأن فيها نكتة جليلة وهي افادة الجمع بين ذنب حتى مغفرة الذنب وقبول التوب * قوله تعالى ما يجادل في آيات الله الآية (قال) الجدال المذموم وهو الجدال بالباطل لادحاض الحق وقصد اطفاء نور الله ويدل على ذلك قوله تعالى وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق وأما الجدال في اقامة الحق واظهاره ونصرته فمحمود وحسن مشكاتها وهو قادحة أهل العلم في استنباط معانيها وورد أهل الزيغ جهادا في سبيل الله تعالى وعلى هذا تتجل قوله عليه الصلاة والسلام ان جدالا في القرآن كفر ولهذا أورده منكرا للتمييز بين جدال وجدال

* قوله تعالى يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا الآية (قال) حيه ان قلت ما فائدة قوله ويؤمنون به ولا يخفى على أحد ان حملة العرش ومن حوله من الملائكة يؤمنون بالله تعالى وأجاب بان فائدته اظهار شرف الايمان كما وصف

الربع ما عظم جهاد في سبيل الله وقوله صلى الله عليه وسلم ان حد الاتقان القرآن كفر وبراده مشكرا وان لم يدخل ان يجادل فيه مسلم بين جدال وجدال (فان قلت) ما وجه تسمية قوله (فلا يغررك) ما قبله (قلت) من حيث انهم لما كانوا مشهودا علمهم من قبل الله بالكفر والكفر لا أحد أشقى منه عند الله وجب على من تحقق ذلك أن لا يرجح أحوالهم في عينه ولا يغرنه اقبالهم في دنياهم وتقلبهم في البلاد بالتجارات النافقة والمكاسب المربحة وكانت قريش كذلك يتقلبون في بلاد الشام واليمن ولهم الاموال يتجرون فيها ويتربحون فان مصير ذلك وعاقبته الى الزوال وورا انقضاء الايد * ثم ضرب لتكذيبهم وعداوتهم للرسل وحد لهم الامثال وما دخرهم من سوء العاقبة مثلا ما كان من نحو ذلك من الامم وما أحل بهم به من عقاب وأحل بساحتهم من انتقامه * وقرئ فلا يغررك (الاحزاب) الذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم وهم عاد وثمود وفرعون وغيرهم (وهمت كل أمة) برسولها هذه الامم التي هي قوم نوح والاحزاب (برسولهم) وقرئ برسولها (ليأخذوه) ليتمكنوا منه ومن الايقاع به واصابته مما أرادوا ومن تعذيب أو قتل وبقال للاسير أخيذ (فأخذتهم) يعني أنهم قصدوا أخذه فحملت جزاءهم على ارادة أخذه فان أخذتهم (فكيف كان عقاب) فانكم تمرون على بلادهم وما كم تشاهدون آثار ذلك وهذا تقرير لمعنى التعجيب (انهم أصحاب النار) في محل الرفع بدل من كلمة بل أي مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة كونهم من أصحاب النار ومعناه كما وجب اهلاكهم في الدنيا بالعذاب المستأصل كذلك وجب اهلاكهم بعذاب النار في الآخرة أو في محل النصب بحذف لام التعليل وايصال الفعل * والذين كفروا قريش ومعناه كما وجب اهلاك الامم كذلك وجب اهلاك هؤلاء لان علة واحدة تجمعهم أنهم من أصحاب النار * وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان حملة العرش أربعة في الارض السفلى ورؤسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تتفكروا في عظم ربكم ولكن تفكروا فيما خلق الله من الملائكة فان خلقا من الملائكة يقال له اسرافيل أربعة من رؤوسهم على الارض السفلى وقدماه في الارض السفلى وقد مرق رأسه من سبع سموات وانعطفت اعلى من عظمة الله سبحانه بصير كالوضع * وفي الحديث ان الله تعالى أمر جميع الملائكة أن يقفوا ويرجعوا السلام على حملة العرش تشد لاهم على سائر الملائكة وقيل خلق الله العرش من جوهرة خضراء وبين الثائمين من قوائمه خفقان الطير السريع ثمانين الف عام وقيل حول العرش سبعون الف صف من الملائكة يطوفون به مهللين مكبرين ومن وراءهم سبعون الف صف قيام قد وضعوا أيديهم على عواتقهم رافعين أصواتهم بالتهليل والتكبير ومن وراءهم مائة ألف صف قد وضعوا الايمان على الشمائل ما منهم أحد الا وهو يسبح بالاسم الاكبر * وقرأ ابن عباس العرش بضم السين (فان قلت) ما فائدة قوله (ويؤمنون به) ولا يخفى على أحد ان حملة العرش ومن حوله من الملائكة الذين يسبحون بحمد ربهم مؤمنون به (قلت) فائدته اظهار شرف الايمان وفضله والترغيب فيه كما وصف الانبياء في غير موضع من كتابه بالصلاح لذلك وكما عقب افعال البر بقوله ثم كان من الذين آمنوا اذا بان بذلك فضل الايمان وفائدة أخرى وهي التنبيه على ان الامر لو كان كما يقول المجسمون لكان حملة العرش ومن حوله مشاهدين ولما وصفوا بالايمان لانه

فلا يغررك تقلبهم في البلاد كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه ويجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب وكذلك حقت كلمت ربك على الذين كفروا انهم أصحاب النار الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا

انما يوصف بالايمان الغائب فلما وصفوا به على سبيل الثناء علم أن ايمانهم وايمان من في الارض وكل من غاب عن ذلك المقام سواء في أن ايمان الجميع بطريق النظر والاستدلال لا غير وانه لا طريق الى معرفته الا هذا * قال وفيه تنبيه على ان الاشتراك الذي وصف الايمان يجب ان يكون أدنى شيء الى المصيحة وأبعد شيء على اشخاص الشفقة وان تفاوت الاشخاص وتباعدت الاماكن فانه لا تجانس بين ملك وبشر ومع ذلك فالاشتراك في صفة الايمان نزل ذلك منزلة الاشتراك الحقيقي والتناسب الجنسي حتى استغفر من حول العرش لمن فوق

الاولى اه كلامه (قلت) كلام حسن الاستدلاله بقوله ويؤمنون به على أنهم ليسوا مشاهدين فهذا يدل لان الايمان هو التصديق غير مشروط فيه غيبة المصدق به بدليل صحة اطلاق الايمان بالآيات مع أنها مشاهدة كانشقاق القمر وقلب العصا حية وانما نسب الزمخشري بهذا التمسك عماني قلبه من مرض لكنه طاح بعيد اذ عن العرش فقط بل ان حملة العرش غير مشاهدين بدليل قوله تعالى ويؤمنون لان معنى الايمان عنده التصديق بالغائب ثم رأيت بعض كونهم غير مشاهدين ان الباري عز وجل لو بحجب رؤيته لرأوه بحيث لم يرد لم أن تكون رؤيته تعالى مما لا يصح عقلا وقد أطبق الناس على أن الايمان مستلزم عدم الرؤية ولو سلمناه ملا نسلم انه يلزم من كون حملة العرش غير مشاهدين له تعالى أن تكون رؤيته غير صحيحة وقوله ولو كانت صحيحة لرأوه شرطية عقيمة النتاج لان الرؤية عبارة عن ادراك يخلق الله تعالى هذا الادراك لحملة العرش الآن يذهب الزمخشري الوهم في ان صحة الرؤية يعتمد بن الجسمية والاستقرار على العرش فيلزم من عدم رؤية حملة العرش له تعالى الله عن ذلك وحاشى أهل السنة وصحة الرؤية من ذلك * قوله تعالى ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم انك أنت العزيز الحكيم وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته الآية (قال) فيه فان قلت قد ذكر أولا الرحمة والعلم ثم ذكر بعدها توجه الرحمة وهو الغفران فأين موجب العلم وأجاب بان معناه فاغفر للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيلك * قال وقوله انك أنت (٢١٠) العزيز الحكيم معناه الملك الذي لا يغلب وأنت مع ملكك وعزتك لا تفعل شيأ الا بداعي

ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم انك أنت العزيز الحكيم وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم ان الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم اذ تدعون الى

الاجناس وتباعدت اماكن فانه لا تجانس بين ملك وانسان ولا بين سماوي وأرضي قط فما جامع بينهم الايمان جامعه التجانس الكلي والتناسب الحقيقي حتى استغفر من حول العرش لمن فوق الارض قال الله تعالى ويستغفرون لمن في الارض * أي يقولون (ربنا) هذا الصنيع يحصل أن يكون بيانا لما يستغفرون به مرفوع المحل مثله وأن يكون حالا (فان قلت) تعالى الله عن المكان فكيف صح أن يقال وسع كل شيء (قلت) الرحمة والعلم هما الذان وسعا كل شيء في المعنى والاصل وسع كل شيء رحمتك وعلمك ولكن أزيل الكلام عن أصله بان أسند الفعل الى صاحب الرحمة والعلم وأجري عليهما منصوبين على التمييز للافراق في وصفه بالرحمة والعلم كان ذاته رحمة وعلم وامعان كل شيء (فان قلت) قد ذكر الرحمة والعلم فوجب أن يكون ما بعد الفاء مشتملا على صفة يناسب معلوما ذكر الا الغفران رحمة (قلت) معناه فاغفر للذين تابوا منهم التوبة واتباع سبيلك وسبيل الله سبيل الحق التي توجبها العباد وعدا لها (انك أنت العزيز الحكيم) أي الملك الذي لا يغلب وأنت مع ملكك وعزتك لا تفعل شيأ الا بداعي الحكمة وموجب حكمتك أن تقي نوعك (وقهم السيئات) أي العقوبات أو جزاء السيئات فحذف المضاف على أن السيئات هي الصغائر أو الكبائر لتتوب عنها أو الوقاية منها الكبائر أو قبول التوبة (فان قلت) ما الفائدة في استغفارهم وهم تائبون صالحون موعودون بالمغفرة والله لا يخلف الميعاد وأجاب بان هذا بعد اعتزالة الشاعة وفائدته زيادة الكرامة والثواب اه كلامه (قلت) كلامه ههنا يحتمل وجوه اوانواع الاعتزال منها اعتقاد وجوب مراعاة المصلحة وتولي الحكم على الله تعالى ومنها اعتقاد ان اجتناب الكبائر يكفر الصغائر وهو باطل وان لم يكن بتوبة ومنها اعتقاد امتناع غفران الله تعالى للكبائر التي لم يتب عنها ومنها اعتقاد وجوب قبول التوبة على الله تعالى ومنها اعتقاد أهل السنة ان الله تعالى لا يجب عليه مراعاة المصلحة وانه يجوز ان يعذب على الصغائر وان يتفضل بالكبائر ويجوز ان يغفر الكبائر منعقد الشرائع وان لم يتب منها وان قبول التوبة بفضله ورحمته لا بالوجوب عليه وانها تنال أهل الكبائر المصرين من الموحدين فيسقط عقوباتهم خلافا لمن قال ان الله تعالى أن قبل عقائل عقابها الى الخاتمة وان لا يحرمنا الطافه ومراحمه آمين وجميع ما يحتاج الى ذكره هنا ذكرته في قواعد الاعتزال في هذا الموضع قد تقدم غير انه جدد ههنا قوله ان فائدة الاستغفار كفائدة الشفاعة وذلك مزيد الكرامة لا غير بيان المغفرة للتائب واجبة على الله فلا تسئل وهذا الذي قاله هنا جعل لنفسه فيه الفضيحة زائدا على بطلانه هذه الآية بالاس الفضيحة كيف يحمل المسؤل مزيد الكرامة لا غير ونص الآية فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم فهي تائفة بانهم يسألون من الله تعالى المغفرة للتائب ووقاية عذاب الجحيم وهو الذي أنكره الزمخشري كونه مسؤلا

الحكمة وهو حكمتك ان تقي نوعك ثم قال وسمي السيئات العقوبات التي هي جزاء السيئات أو على حذف مضاف (قلت) على ان السيئات هي الصغائر أو الكبائر لتتوب عنها أو الوقاية منها الكبائر أو قبول التوبة * ثم قال فان قلت ما الفائدة في استغفارهم وهم تائبون صالحون موعودون بالمغفرة والله لا يخلف الميعاد وأجاب بان هذا بعد اعتزالة الشاعة وفائدته زيادة الكرامة والثواب اه كلامه (قلت) كلامه ههنا يحتمل وجوه اوانواع الاعتزال منها اعتقاد وجوب مراعاة المصلحة وتولي الحكم على الله تعالى ومنها اعتقاد ان اجتناب الكبائر يكفر الصغائر وهو باطل وان لم يكن بتوبة ومنها اعتقاد امتناع غفران الله تعالى للكبائر التي لم يتب عنها ومنها اعتقاد وجوب قبول التوبة على الله تعالى ومنها اعتقاد أهل السنة ان الله تعالى لا يجب عليه مراعاة المصلحة وانه يجوز ان يعذب على الصغائر وان يتفضل بالكبائر ويجوز ان يغفر الكبائر منعقد الشرائع وان لم يتب منها وان قبول التوبة بفضله ورحمته لا بالوجوب عليه وانها تنال أهل الكبائر المصرين من الموحدين فيسقط عقوباتهم خلافا لمن قال ان الله تعالى أن قبل عقائل عقابها الى الخاتمة وان لا يحرمنا الطافه ومراحمه آمين وجميع ما يحتاج الى ذكره هنا ذكرته في قواعد الاعتزال في هذا الموضع قد تقدم غير انه جدد ههنا قوله ان فائدة الاستغفار كفائدة الشفاعة وذلك مزيد الكرامة لا غير بيان المغفرة للتائب واجبة على الله فلا تسئل وهذا الذي قاله هنا جعل لنفسه فيه الفضيحة زائدا على بطلانه هذه الآية بالاس الفضيحة كيف يحمل المسؤل مزيد الكرامة لا غير ونص الآية فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم فهي تائفة بانهم يسألون من الله تعالى المغفرة للتائب ووقاية عذاب الجحيم وهو الذي أنكره الزمخشري كونه مسؤلا

*قوله تعالى أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين (قال) فيه احدى الامانتين خلقهم أمواتا أولا والاخرى اماتتهم عند انقضاء آجالهم ثم قال فان قلت كيف سمى خلقهم أمواتا اماتة وأجاب بأنه كما يقال سحقا من صغر جسم البعوضة وكبر جسم الفيل وكما يقال للصغار ضيق ثم الركيك ووسع أسفلها وليس ثم نقل من صغر الى كبر ولا عكسه ولا من ضيق الى وسع ولا عكسه وانما أريدت الانشاء على تلك الصفات والسبب فى محنته ان الكبر والصغر جائزان معا على المصنوع الواحد وكذلك الضيق والسعة فاذا اختار الصانع احدا الجائزين وهو ممكن منهما على السواء فقد صرف المصنوع عن الجائز الآخر فجعل صرفه عنه كفعل منه وسمى جعل الامانتين الى بعد حياة الدنيا والى بعد حياة القبر زعمه اثبات ثلاث احوال وهو خلاف ما فى القرآن الا أن يتأول فيجعل احداهما غير معتد بها أو يزعم أن الله تعالى يحييهم فى القبور ثم تستمر بهم تلك الحياة فلا يموتون بعدها وبعدهم فى الاستثناء من الصعقة فى قوله تعالى الا من شاء الله (فان قلت) كيف تسبب هذا لقوله تعالى (فاعترفنا بذنوبنا) (قلت) قد أنكروا البعث بالكفر واتبع ذلك من الذنوب ما لا يحصى لان من لم يخش العاقبة تقرى فى المعاصى فلما رأوا الاماتة والاحياء قد تكررا عليهم علموا بأن الله قادر على الاعادة فقدروا على الاعتراف فاعترفوا بذنوبهم التى اقترفوها من انكار البعث وما تبعه من معاصيهم (فهل الى خروج) أى الى وقوع خروج سريع أو بطىء (من سبيل) فقد أيسوا اليأس واقع دون ذلك فلا خروج ولا سبيل اليه وهذا كلام من غلب عليه اليأس والقنوط وانما يقولون ذلك تعللا وتحيرا وطلبا لجواب على حسب ذلك وهو قوله (ذلكم) أى ذلك الذى أنتم فيه وأن لا سبيل لكم الى خروج قط بسبب كفركم بتوحيد الله وايمانكم بالاشراك به (فالحكم لله) حين حكم عليكم بالعذاب السرمد وقوله (العلى الكبير) دلالة على الكبرياء والعظمة وعلى أن حكما مثله لا يكون الا كذلك وهو الذى يطابق كبرياءه ويناسب جبروته وقيل كان المشركون يقرون بأن الله هو الخالق الرازق المحيى المميت فقيل لهم هذا (ربكم) الذى آمنتم به (الذى يريكم آياته) من الرزق والسحاب والرعد والبرق والصواعق وغيرها * والرزق المطر لانه سببه (وما يتذكر الا من ينيب) وما يتعظ وما يعتبر بآيات الله الا من يتوب من الشرك ويرجع الى الله فان المعاند لا سبيل الى تبصيره وانما قال ثم قال للنبى (فادعوا الله) أى اعبدوه (مخلصين له الدين) من الشرك * وان غاظ ذلك أعداءكم فان ليس

بالمثل الاول والذى أنتم يقال لهم يوم القيامة ان اشد عقت أنفسكم الامارة السوء والكفر حين كان الانبياء يدعونكم الى الايمان فتأبون قبوله وتختارون عليه الكفر أشد مقتا فتقولون اليوم وأنتم فى النار انا أوقعتكم فيها باتباعكم هواهن وعن الحسن لمار أوا أعمالهم الخبيثة مقتوا أنفسهم فنودوا لمقت الله وقيل معناه لمقت الله اياكم الآن أكبر من مقت بعضكم لبعض كقوله تعالى يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا واتتبعون تعليل والمقت أشد البغض ووضع فى موضع أبلغ الانكار وأشده (اثنتين) اماتتين واحياءتين أو موتتين وحياتين وأراد بالاماتتين خلقهم أمواتا أولا واماتتهم عند انقضاء آجالهم وبالاحياءتين الاحياءة الاولى واحياءة البعث وناهيك بتفسير الزمخشرى ذلك قوله تعالى وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم وكذا عن ابن عباس رضى الله عنهما (فان قلت) كيف صح أن يسمى خلقهم أمواتا اماتة (قلت) صح أن تقول سحقا من صغر جسم البعوضة وكبر جسم الفيل وقولك للصغار ضيق ثم الركيكة ووسع أسفلها وليس ثم نقل من صغر ولا من صغر الى كبر ولا من ضيق الى سعة ولا من سعة الى ضيق وانما أريدت الانشاء على تلك الصفات والسبب فى محنته ان الصغر والكبر جائزان معا على المصنوع الواحد من غير جعل لاحدهما وكذلك الضيق والسعة فاذا اختار الصانع أحد الجائزين وهو ممكن منهما على السواء فقد صرف المصنوع عن الجائز الآخر فجعل صرفه عنه كفعل منه وسمى جعل الامانتين الى بعد حياة الدنيا والى بعد حياة القبر زعمه اثبات ثلاث احوال وهو خلاف ما فى القرآن الا أن يتأول فيجعل احداهما غير معتد بها أو يزعم أن الله تعالى يحييهم فى القبور ثم تستمر بهم تلك الحياة فلا يموتون بعدها وبعدهم فى الاستثناء من الصعقة فى قوله تعالى الا من شاء الله (فان قلت) كيف تسبب هذا لقوله تعالى (فاعترفنا بذنوبنا) (قلت) قد أنكروا البعث بالكفر واتبع ذلك من الذنوب ما لا يحصى لان من لم يخش العاقبة تقرى فى المعاصى فلما رأوا الاماتة والاحياء قد تكررا عليهم علموا بأن الله قادر على الاعادة فقدروا على الاعتراف فاعترفوا بذنوبهم التى اقترفوها من انكار البعث وما تبعه من معاصيهم (فهل الى خروج) أى الى وقوع خروج سريع أو بطىء (من سبيل) فقد أيسوا اليأس واقع دون ذلك فلا خروج ولا سبيل اليه وهذا كلام من غلب عليه اليأس والقنوط وانما يقولون ذلك تعللا وتحيرا وطلبا لجواب على حسب ذلك وهو قوله (ذلكم) أى ذلك الذى أنتم فيه وأن لا سبيل لكم الى خروج قط بسبب كفركم بتوحيد الله وايمانكم بالاشراك به (فالحكم لله) حين حكم عليكم بالعذاب السرمد وقوله (العلى الكبير) دلالة على الكبرياء والعظمة وعلى أن حكما مثله لا يكون الا كذلك وهو الذى يطابق كبرياءه ويناسب جبروته وقيل كان المشركون يقرون بأن الله هو الخالق الرازق المحيى المميت فقيل لهم هذا (ربكم) الذى آمنتم به (الذى يريكم آياته) من الرزق والسحاب والرعد والبرق والصواعق وغيرها * والرزق المطر لانه سببه (وما يتذكر الا من ينيب) وما يتعظ وما يعتبر بآيات الله الا من يتوب من الشرك ويرجع الى الله فان المعاند لا سبيل الى تبصيره وانما قال ثم قال للنبى (فادعوا الله) أى اعبدوه (مخلصين له الدين) من الشرك * وان غاظ ذلك أعداءكم فان ليس

(٣١١)

فاختار أحدهما عند تقلا وقد سبقت هذه القاعدة لغير هذا الغرض مما تقدم * قوله تعالى فهل الى خروج من سبيل (قال) أى الى نوع من الخروج سريع أو بطىء عن سبيل قط أم اليأس واقع دون ذلك فلا خروج ولا سبيل اليه وهذا كلام من غلب عليه اليأس والقنوط وانما يقولون ذلك تعللا وتحيرا وطلبا لجواب على حسب ذلك وهو قوله ذلكم أنه اذا دعى الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلى الكبير هو الذى يريكم آياته وينزل لكم من السماء رزقا وما يتذكر الا من ينيب فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون

الايمان فتكفرون قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل ذلكم بأنه اذا دعى الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلى الكبير هو الذى يريكم آياته وينزل لكم من السماء رزقا وما يتذكر الا من ينيب فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون

وقد كان معكما منها منزلة اختيارها أولا ثم الانتقال عنها الى هذه فاذا آل بيع احداها بالاخرى غير معارضة الفاسخ وهو الذى لحسه أصحابنا فى قولهم ان من خير بين شيئين

المشترى لما كان معكما من تعيين كل واحدة منهما على سواء فاذا عين واحدة منهما بالاختيار نزل عدوله من الاخرى

على دينكم (رفيع الدرجات ذو العرش يلقى الروح) ثلاثة أخبار لقوله هو مترتبة على قوله الذى يريكم أو أخبار مبتدأ محذوف وهى مختلفة تعريفا وتنكيرا وقرئ رفيع الدرجات بالنصب على المدح ورفيع الدرجات كقوله تعالى ذى المعارج وهى مصاعد الملائكة فى أن تبلغ العرش وهى دليل على عزته وملكوته وعن ابن جبير سماء فوق سماء والعرش فوقهن ويجوز أن يكون عبارة عن رفعة شأنه وعلو سلطانه كما أن ذا العرش عبارة عن ملكه وقيل هى درجات ثوابه التى ينزلها أولياءه فى الجنة (الروح من أمره) الذى هو سبب الحياة من أمره يريد الوحى الذى هو أمر بالخير وبث عليه فاستعاره للروح كما قال تعالى أو من كان ميتا فأحييناه (لينذر) الله أو الملقى عليه وهو الرسول أو الروح وقرئ لتنذر أى لتنذر أى لتنذر الروح لانها تؤنث أو على خطاب الرسول * وقرئ لينذر يوم التلاق على البناء للمفعول (ويوم التلاق) يوم القيامة لان الخلائق تلتقى فيه وقيل يلتقى فيه أهل السماء وأهل الارض وقيل المعبود والعابد (يوم هم بارزون) ظاهرون لا يسترهم شئ من جبل أو أكمة أو بناء لان الارض بارزة قاع صفصف ولا عليهم ثياب الغاهم مراة مكشوفون كما جاء فى الحديث يحشرون عراة حفاة غرلا (لا يخفى على الله منهم شئ) أى من أعمالهم وأحوالهم وعن ابن مسعود رضى الله عنه لا يخفى عليه منهم شئ (فان قلت) قوله لا يخفى على الله منهم شئ بيان وتقرير لبروزهم والله تعالى لا يخفى عليه منهم شئ برزوا أو لم يبرزوا فما معناه (قلت) معناه أنهم كانوا يتوهمون فى الدنيا اذ استتروا بالحيطان والحجب أن الله لا يراهم ويخفى عليه أعمالهم فهم اليوم صائرون من البروز والانكشاف الى حال لا يتوهمون فيها مثل ما كانوا يتوهمونه قال الله تعالى ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون وقال تعالى يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وذلك لعلمهم أن الناس يبصرونهم وظنهم أن الله لا يبصرهم وهو معنى قوله وبرزوا لله الواحد القهار (لمن الملك اليوم لله الواحد القهار) حكاية لما يسئل عنه فى ذلك اليوم والمجاب به ومعناه أنه ينادى مناد فيقول لمن الملك اليوم فيجيبه أهل الحشر لله الواحد القهار وقيل يجمع الله الخلائق يوم القيامة فى صعيد واحد بارز ليس بفضاء كالسبكة فضة لم يمس الله فيها قط فأول ما تكلم به أن ينادى مناد لمن الملك اليوم لله الواحد القهار اليوم تجزى كل نفس الآية فيسمع الخلق أن يكون المنادى هو المجيب * لما قرر أن الملك لله وحده فى ذلك اليوم عقد نتائج ذلك وهى أن كل نفس تجزى ما كسبت وأن الظلم مأمون لان الله ليس بظلام للعبيد وأن الحساب لا يبطئ لان الله لا يشغله حساب عن حساب فيحاسب الخلق كلهم فى وقت واحد وهو أسرع الحاسبين وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه لا أحد فى حسابهم أسرع من أهل الجنة الا فى أول أهل النار الا فى آخر أهل النار الا فى الآخرة القائمة حين يقال للآخر فى النار قم فالآن فصاعدا (وأنذرهم يوم الآزفة) يريد يوم القيامة سميت بذلك لان الآزفة وهى الداهية تنزل فيه بهم من أهوالها فتلصق حناجرهم فلا هى تخرج فيموتوا ولا ترجع الى مواضعها فيتنفسوا ويتروحوا كما كانت معترضة كالضمائم قال تعالى وبلغت القلوب الحناجر وقال (وان قلت) (كاظمين) هم الصفة (قلت) هو حال عن أصحاب القلوب على المعنى لان المعنى اذ قلوبهم لدى حناجرهم كاظمين عليها ويجوز أن يكون حالا عن القلوب وأن القلوب كاظمة على غم وكرب فهى مع نوعها الحناجر والتأنيث الكاظم جمع السلامة لا نه يعقل بالكظم الذى هو من أفعال العقلاء كما قال تعالى رأيتهم لى ساجدين وقال قطفت أعنابهم لها خاضعين وتعضده قراءة من قرأ كاظمون ويجوز أن يكون حالا عن قوله وأنذرهم أى وأنذرهم معذبين أو مأخوذا من الكظم كقوله تعالى فادخلوها خالدين * الحميم الحب الشفوق * والمطاع مجازى المشفع لان حقيقة الطاعة تقتضى حقيقة الامر فى أنهم لا تكون الا لمن هو فوقك (فان قلت) ما معنى قوله تعالى (ولا شفيع يطاع) (قلت) يحتمل أن يتناول النفى الشفاعة والطاعة معا وان يتناول الطاعة دون الشفاعة كما تقول ما عندى كتاب يباع فهو يحتمل نفى البيع وحده وأن عندك كتابا الا أنك لا تبيعه ونفيهما جميعا وان لا كتاب عندك ولا كونه مبيعا وتحوه ولا ترى الضيم يباع ويشترى يريد نفى الضيم والخيارة (فان قلت) فعلى أى الاحتمالين يجب حمله (قلت) على نفى الامرين جميعا من قبل أن الشفعاء هم أولياء الله وأولياء الله

رفيع الدرجات ذو العرش
يلقى الروح من أمره
على من يشاء من عباده
لينذر يوم التلاق يوم هم
بارزون لا يخفى على الله
منهم شئ لمن الملك
اليوم لله الواحد القهار
اليوم تجزى كل نفس
بما كسبت لا ظلم اليوم
ان الله سريع الحساب
وأنذرهم يوم الآزفة
اذ القلوب لدى الحناجر
كاظمين ما للظالمين من
حميم ولا شفيع يطاع

---

* قوله تعالى ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع (قال فيه يحتمل أن يكون النفى الشفيع الذى هو الموصوف وصفته وهى الطاعة ويحتمل أن يكون النفى الصفة وهى الطاعة والشفيع ثابت اه كلامه) قلت لنا وجه الاحتمال من حيث دخول النفى على مجموع الموصوف والصفة ونفى المجموع لا يكون نفيا على كل واحد من جزئيه كذلك يكون نفى أحدهما على أن المراد هنا كما قال فى الامرين جميعا قال وفائدة ذكر الموصوف أنه كالدليل على نفى الصفة لانه اذا انتفى الموصوف انتفت الصفة قطعا (قلت) فكانه نفى الصفة من وجهين تحت اثنين

*قوله تعالى يعلم خائنة الاعين (قال الخائنة اما صفة للنظرة واما مصدر كالعافية قال ولا يحسن ان يراد الخائنة من الاعين لان لا يساعد عليه قوله تعالى وما تخفي الصدور انتهى كلامه) قلت انما لم يساعد عليه لان خائنة الاعين على هذا التقدير معناه الاعين الخائنة وانما يقابل الاعين الصدور لا ما تخفيه الصدور بخلاف التأويل الاول فان المراد به نظرات الاعين فيطابق خفيات الصدور *
قوله تعالى حكاية عن فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه (قال فيه) كانوا اذاهم بقتله (٣١٢) كفوا عنه يقولهم ليس هذا من

لا يحبون ولا يرضون الا من أحبه الله ورضيه وان الله لا يحب الظالمين فلا تحبونهم واذا لم تحبوهم لم تنصروهم ولم تشفعوا لهم قال الله تعالى وما للظالمين من أنصار وقال ولا يشفعون الا لمن ارتضى ولان الشفاعة لا تكون الا في زيادة التفضل وأهل التفضل وزيادته انما هم أهل الثواب بدليل قوله تعالى ويزيدهم من فضله وعن الحسن رضي الله عنه والله ما يكون لهم شفيع البتة (فان قلت) الغرض حاصل بذكر الشفيع ونفيه فما الفائدة في ذكر هذه الصفة ونفيها (قلت) فيذكرها فائدة جليلة وهي أنها صحت اليه ليقام انتفاء الموصوف مقام الشاهد على انتفاء الصفة لان الصفة لا تتأتى بدون موصوفها فيكون ذلك ازالة لتوهم وجود الموصوف بيانه انك اذا عوتبت على القعود عن الغزو فقلت مالي فرس أركبه ولا معي سلاح أحارب به فقد جعلت عدم الفرس وفقد السلاح علة مانعة من الركوب والمحاربة كأنك تقول كيف يتأتى مني الركوب والمحاربة ولا فرس لي ولا سلاح معي فكذلك قوله ولا شفيع يطاع معناه كيف يتأتى الشفيع ولا شفيع فكان ذكر الشفيع والاستشهاد على عدم تأتيه بعدم الشفيع وضع الانتفاء الشفيع موضع الامر المعروف غير المنكر الذي لا ينبغي أن يتوهم خلافه * الخائنة صفة للنظرة أو مصدر بمعنى الخيانة كالعافية بمعنى المعافاة والمراد استراق النظر الى ما لا يحل كما يفعل أهل الريب ولا يحسن ان يراد الخائنة من الاعين لان قوله وما تخفي الصدور لا يساعد عليه (فان قلت) ما اتصال قوله (يعلم خائنة الاعين) (قلت) هو خبر من أخباره في قوله هو الذي يريكم مثل برق الروح ولكن برق الروح قد علل بقوله لينذر يوم التلاق ثم استطرد ذكر أحوال يوم التلاق الى قوله ولا شفيع يطاع فعند ذلك عن أحواله (والله يقضي بالحق) يعني والذي هذه صفاته وأحواله لا يقضي الا بالحق والعدل لاستغنائه عن الظلم * وأنتم كما لا يقضون بشيء وهذا تهكم بهم لان ما لا يوصف بالقدرة لا يقال فيه يقضي أو لا يقضي (ان الله هو السميع البصير) تقرير لقوله يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور ووعيد لهم بانه يسمع ما يقولون ويبصر ما يعملون وانه يجازيهم عليه وتعريض عما يدعون من دون الله وانهم لا يسمعون ولا يبصرون * وقرئ يدعون بالتاء والياء * هم في (كانوا هم أشد منهم) فصل (فان قلت) من حق الفصل أن لا يتوسط الا بين معرفتين فما بالها وانما بين معرفة وغير معرفة وهو أشد منهم (قلت) قد ضارع المعرفة في أنه لا تدخله الالف واللام فاجري مجراها * وقرئ منكم وهي في مصاحف أهل الشأم (وآثارا) يريد حصونهم وقصورهم وعددهم وما وصف بالشدة من آثارهم أو أراد وا كثر آثارا كقوله مقتادا سيقودها (وسلطان مبين) وحجة ظاهرة وهي المعجزات فقالوا هو ساحر كذاب فسمى السلطان المبين سحرا وكذبا (فلما جاءهم بالحق) بالنبوة * (فان قلت) اما كان قتل الابناء واستحياء النساء من قبل حيمئذ وهذا قتل آخر وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم وما كيد الكافرين الا في ضلال وقال فرعون ذروني أقتل موسى

يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور والله يقضي بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء ان الله هو السميع البصير أولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا في الارض فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق ذلك بانهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فاخذهم الله انه قوي شديد العقاب ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم وما كيد الكافرين الا في ضلال وقال فرعون ذروني أقتل موسى

يوقع الشبهة عند الناس

٤٠ كشاف ن انما قتله خوفا وكان فرعون لعنه الله في ظاهر أمره والله أعلم بالسانه نبي خائف من قتله مع رعيته في ذلك لولا الخوف وأراد أن يكتم خوفه من قتله بان يقول لهم ذروني أقتله ليكفوا عنه فينسب الانكفاف عن قتله اليهم لا الى خوفه وخوفه ويدل على خوفه منه لكونه نبيا قوله وليدع ربه وهذا من تهوراته المعروفة (قلت) هو من جنس قوله ان هؤلاء لشرذمة قليلون وانهم لنا لغائظون وانا لجميع حاذرون وقد تقدم أن مراده بذلك أن يظهر لقومه قلة استظهاله بهم ويوهمهم ان قتاله لهم ليس خوفا منهم ولكن

تغيظا عليهم وكان من عادته الحذر والتحصن وحماية الذريعة في المحافظة على حوزة المملكة لان ذلك خوف وهلع ولقد كذب انما كان قوله محاورة بما * قوله تعالى وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه الآية (قال) الظاهر ان الرجل من آل فرعون وقيل انه من بني اسرائيل ومن آل فرعون (٣١٤) متعلق بيكتم تقديره يكتم ايمانه من آل فرعون وهو بعيد لان بني اسرائيل كان ايمانهم ظاهرا

لذا هم بقتله كموسى بقولهم ليس بالذي تخافه وهو أقل من ذلك وأضعف وما هو الا بعض السحرة ومثله لا يقاوم الاساحرا مثله ويقولون اذا قتلته أدخلت الشبهة على الناس واعتقدوا أنك قد عجزت عن معارضته بالحجة والظاهر أن فرعون لعنه الله كان قد استيقن أنه نبي وأن ما جاء به آيات وما هو بسحر ولكن الرجل كان فيه خب وجرأة وكان قتالا سفاكا للدماء في أهون شيء فكيف لا يقتل من أحس منه بأنه هو الذي يثل عرشه ويهدم ملكه ولكنه كان يخاف ان هم بقتله أن يعاجل بالهلاك وقوله (وليدع ربه) شاهد صدق على فرط خوفه منه ومن دعوته ربه وكان قوله ذروني أقتل موسى نعوذ بها على قومه ولما سألوه أنهم هم الذين يكفونه وما كان يكفه الا ما في نفسه من هول الفزع (أن يبدل دينكم) أن يغير ما أنتم عليه وكانوا يعبدونه ويعبدون الاصنام بدليل قوله ويذرك وآلهتك * والفساد في الارض التغاتن والتهارج الذي يذهب معه الامن وتتعطل المزارع والمكاسب والمعايش ويهلك الناس قتلا وضياعا كأنه قال اني أخاف أن يفسد عليكم دينكم بدعوته الى دينه أو يفسد عليكم دنياكم بما يظهر من الفتن بسببه وفي مصاحف أهل الحجاز وأن يظهر بالواو ومعناه اني أخاف فساد دينكم ودنياكم معا * وقرئ يظهر من أظهر والفساد منصوب أي يظهر موسى الفساد وقرئ يظهر بتشديد الظاء والهاء من تظهر يعني تظاهرا أي تتابع وتعاون * لما سمع موسى عليه السلام ما أجراه فرعون من حديث قتله قال لقومه (اني عذت) بالله الذي هو ربي وربكم وقوله وربكم فيه بعث لهم على أن يقتدوا به فيعوذوا بالله عياذه ويعتصموا بالتوكل عليه اعتصامه وقال (من كل متكبر) لتشمل استعاذته فرعون وغيره من الجبابرة وليكون على طريقة التعريض فيعم كون ألبتة وأراد بالتكبر الاستكبار عن الاذعان للحق وهو أقبح استكبار وأدله على ذناءة صاحبه ومهانة نفسه وعلى فرط ظلمه وعسفه وقال (لا يؤمن يوم الحساب) لانه ان اجترأ في الرجس الخبر والتكذيب بالجزاء قلة المبالاة بالعاقبة فقد استكمل أسباب القسوة والجراءة على الله وعباده ولم يترك عظيمة الا ارتكبها وعنت وانت أخوان وقرئ عنت بالادغام (ورجل مؤمن) وقرئ رجل بسكون الجيم كما قال عند في عضد وكان قبطيا ابن عم لفرعون آمن بموسى سرا وقيل كان اسرائيليا و (من آل فرعون) صفة لرجل أو صلة ليكتم أي يكتم ايمانه من آل فرعون واسمه سمعان أو حبيب وقيل خزبيل أو حزقيل والظاهر انه كان من آل فرعون فان المؤمنين من بني اسرائيل لم يظهروا ولم يعزوا والدليل عليه قول فرعون أبناء الذين آمنوا معه وقول المؤمن من بعدهما من بأس الاحزاب ياقوم اني أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب دليل ظاهر على أنه ينصح لقومه (أن يقول) لان يقول وهذا انكار منه عظيم وتبكيت شديد كأنه قال أترتكبون الفعلة الشنعاء التي هي قتل نفس محرمة ومالكم عليه قط في ارتكابها الا كلمة الحق التي نطق بها وهي قوله (ربي الله) مع أنه لم يحضر لتصحيح قوله بينة واحدة ولكن بينات عديدة من عند من نصب اليه الربوبية وهو ربكم لا ربه وحده وهو استدراج منه لهم الى الاعتراف به وليس بذلك حاسبهم ويكسر من سورتهم وذلك أن تقدر مضافا محذوفا أي وقت أن يقول والمعنى أتقتلونه ساعة سمعتم منه هذا القول من غير دربة به ولا تفكر في أمره وقوله (بالبينات) يريد بالبينات المعظمة التي عهدتموها وشهدتموها * ثم أخذ هو بالاحتجاج على طريقة التقسيم فقال لا يخلو من أن يكون كاذبا أو صادقا * (ان يك كاذبا فعليه كذبه) أي يعود عليه كذبه ولا يتخطاه ضرره * (وان يك صادقا يصبكم بعض) ما يعدكم كان تعرضتم له (فان قلت) فما قال بعض (الذي يعدكم) وهو نبي صادق لا يشك بعدهم أن يصيبهم كله لا بعضه (قلت) لانه احتاج في مقاولة خصوم موسى ومناصبته ربه الى أن يلاصقهم ويداريهم ويسالمهم ويرفق

اذا هم سمعوا منه كلمة الحق ولم يقدروا على دفعها ولم يجدوا بدا من الاعتراف بها أخذوا يتعللون بأن هذا المؤمن في الايمان باستشهاده على صدق موسى باحضاره عليه السلام من عند من تنسب اليه الربوبية ببينات عدة لا بينة واحدة وأتى بها معرفة بمعناه البينات العظيمة التي شهدتموها

وليدع ربه اني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الارض الفساد وقال موسى اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم

وعرفوها على ذلك ليلين بذلك حاسبهم ويكسر من سورتهم ثم استدرجهم بالاحتجاج بطريق التقسيم فقال لا يخلو أن يكون صادقا أو كاذبا فان يك كاذبا فضرر كذبه عائد عليه أو صادقا فبعض ما يعدكم له بعض الذي يعدكم والنبي الا نصاف صادق في جميع ما يعده لانه سالك معهم طريق الناصحة لهم والمداراة فجاء بما هو أقرب الى تسلمهم وأدخل في تصديقهم له ليسمعوا منه ولا يردوا عليه حجته وذلك أنهم حين عرفوه صادقا فقد ثبت أنه صادق في جميع ما يعد ولكنه أردفه بعضكم كما يقول الذي يعدكم لبعض حقه في ظاهر الكلام ايريهم انه ليس بكلام من أعطاه حقه وأتى عليه فضلا عن أن يكون متعديا له

* قال وتقديم الكاذب على الصادق من هذا القبيل اه كلامه (قلت) لقد أحسن الفهم والتقاط لاسرار هذا القول وبناسب تقديم الكاذب على الصادق هنا قوله تعالى وشهد شاهد من أهلها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين فقدم الشاهد اما رعاية صدقها على امارة صدق يوسف وان كان الصادق هو يوسف صدونها

الانصاف فى اقوال وبأتيهم من جهة المناصحة بجامع أنها أمر بيان تسيئهم لقوله وأدخل فى تصديقهم له وعرفهم منه فقال وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم وهو كلام المنصف فى مقاله غير الشاطح فيه ليسمعوا منه ولا يردوا عليه وذلك أنه حين فرضه صادقا فقد أثبت أنه صادق فى جميع ما يعد ولكنه أراد فقد يصبكم بعض الذى يعدكم ليهضمه بعض حقه فى ظاهر الكلام فيريهم أنه ليس بكلام من أعطاء حقه وافيا فضلا أن يتعصب له أو يرمى بالحماس ورائه وتقديم الكاذب على الصادق أيضا من هذا القبيل وكذلك قوله ان الله لا يهدى من هو مسرف كذاب (فان قلت) فمن أى عبيده أنه فسر البعض بالكل وأشبهت ليبد

ز ال أمكنه اذ الم أرضها * أو يرتبط بعض النفوس حمامها

(قلت) ان صحت الرواية عنه فقد حق فيه قول المازنى فى مسئلة العاقى كان أحق من أن يفتى ما أقول له ان الله لا يهدى من هو مسرف كذاب) يحتمل أنه ان كان مسرفا كذابا خذله الله وأهلكه ولم يستقم له أمر فيتخلص منه وأنه لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله للنبوة ولما عضده بالبينات وقيل ما قال أبو بكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أشد من ذلك طف صلى الله عليه وسلم بالبيت ظفر به من فرعون فأخذوا بمجامع ردائه فقال له أنت الذى تنهانا عما كان يعبد آباؤنا فقال أنا ذاك فقام أبو بكر الصديق رضى الله عنه فالتزمه من ورائه وقال أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وقعاصوته بذلك وعيناه تسفحان حتى أرسلوه وعن جعفر الصادق ان مؤمن آل فرعون قال ذلك سرا وأبو بكر قاله ظاهرا فظاهرين فى الارض) أى أرض مصر عالين فيها على بنى اسرائيل يعنى أن لكم ملك مصر وقد علوتم الناس وقهروهم فلا تفسدوا أمركم على أنفسكم ولا تتعرضوا لبأس الله وعذابه فانه لا قبل لكم به ان جاءكم منه أحد وقال (يقوم) وياقالانه منهم فى القرابة ولعلمهم بأن الذى نصحهم به وساءهم لهم فيه (ما أريكم الا ما أرى) أى ما أشير عليكم برأى الا بما أرى من قتل يعنى لا أستصوب الا قتله وهذا الذى تقولونه غير صواب (وما أهديكم) بهذا الرأى (الا سبيل الرشاد) يريد سبيل الصواب والصلاح أو ما أعلمكم الا ما أعلم من الصواب ولا أدعو منه شيأ ولا أشير عليكم خلاف ما أظهر يعنى أن لسانه وقلبه متواطئان على ما يقول وقد كذب فقد كان مستسرا للتوقف المتشيع من جهة موسى ولكنه كان يخلد ولو لا استسراره لم يستشر أحدا ولم يقف الامر على الاشارة * وقرئ الرشاد فمان من رشد بالكسر كعلم أو من رشد بالفتح كعاد وقيم هو من أرشد بكذا ومار من أجار وليس بذلك لان فعالا من افعل لم يجئ الا فى حرف شذوذ كالتوسار وتقصار وحمار ولا يصح القياس على القليل ويجوز أن يكون نسبة الى الرشد كتوارج وبتات غير منظور فيه الى فعل (مثل يوم الاحزاب) مثل أيامهم لا تمثيلا أضافه الى الاحزاب وقسمهم قوم نوح وعاد وثمود ولم يلبس أن كل حزب منهم كان له يوم دمار فقصر على الواحد من الجمع لان المضاف اليه أغنى عن ذلك كقوله * كلوا فى بعض بطنكم تعفوا * وقال الزجاج مثل يوم حزب حزب * وداب هؤلاء دأبهم فى علمهم من الكفر والتكذيب وسائر المعاصى وكون ذلك داب آبائهم لا يفترون عنه ولا بد من حذف مضاف يربط به مثل جزاء أيامهم (فان قلت) لم انتصب مثل الثانى (قلت) بأنه عطف بيان لمثل الاول لان آخر ما تناولته الاضافة قوم نوح ولو قلت أهلك الله الاحزاب قوم نوح وعاد وثمود لم يكن الا عطف بيان لا اضافة فهو الى اعلام قصرى ذلك

لرفع التهمة وابعاد الظن وادلالا بان الحق معه ولا بضره التأخير لهذه الفائدة * وقريب من هذا التصرف لابعاد التهمة ما فى قصة يوسف مع أخيه اذ بدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه حتى

ان الله لا يهدى من هو مسرف كذاب ياقوم لكم الملك اليوم ظاهرين فى الارض فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا قال فرعون ما أريكم الا ما أرى وما أهديكم الا سبيل الرشاد وقال الذى آمن يا قوم انى أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم

قبل له لما انتهى اليه قال اللهم ما سرق هذا ولا هو رجعه سارق فاطمأنت أنفسهم وارتاحت النفوس عن يوسف ان يكون قصد ذلك فقيل لو أراد الله لفتشته فاستخرجها من وعائه (قال) وقد قيل ان ما قيه أبو بكر رضى

الله عنه هو النبى صلى الله عليه وسلم أشد ما لقيه مؤمن آل فرعون ولقد طاف عليه الصلاة والسلام بالبيت فظفروا به فأخذوا بمجامع ردائه وقالوا أنت الذى تنهانا عما كان يعبد آباؤنا فقال له عليه السلام أنا ذاك فجاء أبو بكر فالتزمه وقال أتقتلون رجلا ان يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم فاقعاصوته وعيناه تسفحان حتى أرسلوه وعن جعفر قال ان مؤمن آل فرعون قال ذلك سرا وقاله أبو بكر جهرا قال وقال مؤمن آل فرعون فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا يعلمهم انه يساهمهم فيه فيشتد وانحمله هم

* قوله تعالى وما الله يريد ظلما للعباد (قال فيه) يجوز أن يكون معناه معنى وما ربك بظلام للعبيد وهذا أبلغ لانه اذا لم يرد الظلم كان فعله عن الظلم أبعد وحيث نكر الظلم أيضا كانه نفى ان يريد ظلما للعباد قال ويجوز أن يكون معناه كمعنى قوله ولا يرضى لعباده الكفر فيكون المعنى ان الله لا يريد لعباده ان يظلموا لانه ذمهم على كونهم ظالمين (قلت) هذا من الطراز الاول وقد تقدم مذهب أهل السنة فيما يتعلق بارادة الله تعالى خلافا لهذا وأشياعه * قوله تعالى كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين (٣١٦) آمنوا (قال) فى اعرابه الذين يجادلون بدل من من هو مسرف لان المراد كل مسرف وجاز

ابدال الله على معنى من لاعلى لفظها قال فان قلت ما فاعل كبر وأجاب بانه ضمير من هو مسرف

وما الله يريد ظلما للعباد * ويا قوم انى أخاف عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم فى شك مما جاءكم به حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار * وقال فرعون يا هامان ابن لى صرحا لعلى أبلغ الاسباب

تحمل البدل على المعنى والضمير على اللفظ وليس ببديع اهـ كلامه (قلت) قد ذكر معناه لفظا من بعد معاملة معناه وهذا عادتهم أن أهل العربية يستغربونه والاولى ان يجتنب فى اعراب القرآن فان فيه ايهاما بعدا يضاح

القلب

الحكم الى أولى ما تلوناه الاضافة (وما الله يريد ظلما للعباد) يعنى أن تدميرهم كان عدلا وقسطا لانهم استوجبوه بأعمالهم وهو أبلغ من قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد حيث جعل المنفى ارادة الظلم لان من كان عن ارادة الظلم بعيدا كان عن الظلم أبعد وحيث ذكر الظلم كانه نفى أن يريد ظلما لعباده ويجوز أن يكون معناه كمعنى قوله تعالى ولا يرضى لعباده الكفر أى لا يريدهم أن يظلموا يعنى أنه دمرهم لانهم كانوا ظالمين * التنادى ماحكى الله تعالى فى سورة الاعراف من قوله ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة ويجوز أن تكون تصايحهم بالويل والثبور * وقرئ بالتشديد وهو أن ينتدبه هؤلاء من بعض كقوله تعالى يوم يفر المرء من أخيه وعن الضحاك اذا سمعوا زفير النار تدهل أفئدتهم فتطير أفئدتهم الى الحناجر وتبلغ القلوب التراقى فتطير الارواح فى الحلوق فلا ترجع الى أماكنها فهم يومئذ صفوف قيامها هم وهو جوع بعضهم فى بعض اذ سمعوا مناديا يقول الى الحساب (تولون مدبرين) عن قتادة مقصرين عن موقف الحساب الى النار وعن مجاهد فارين عن النار غير معجزين * هو يوسف بن يعقوب عليهما السلام وقيل هو يوسف بن ابراهيم بن يوسف بن يعقوب أقام فيهم نبيا عشرين سنة وقيل ان فرعون موسى هو فرعون يوسف عمر الى زمنه وقيل هو فرعون آخر وعنهم بأن يوسف أتاكم بالمعجزات فشككتم فيما ولم تزالوا شاكين كافرين (حتى اذا) فبض (فلتم لن يبعث الله من بعده رسولا) حكما من عند أنفسكم من غير برهان وتقدمة عزم منكم على تكذيب الرسل فاذا أتاكم رسول جئتم وكذبتم تناعيا على حكمكم الباطل الذى أسستموه وليس قولهم لن يبعث الله من بعده رسولا بتصديق لرسالة يوسف وكيف وقد شكوا فيها وكفروا بها انما هو تكذيب لرسالة من بعده مضموم الى تكذيب رسالته وقرئ ألن يبعث الله على ادخال همزة الاستفهام على حرف النفى كأن بعضهم يقر بعض ويطبق البعث * ثم قال (كذلك يضل الله) أى مثل هذا الضلال المبين يخذل الله كل مسرف فى عصيانه من تاب فى دينه (الذين يجادلون) بدل من من هو مسرف (فان قلت) كيف جاز ابدال الله منه وهو جمع وذاك موحد (قلت) لانه لا يريد مسرفا واحدا فذاك كأنه قال كل مسرف (فان قلت) فما فاعل (كبر) (قلت) ضمير من هو مسرف (فان قلت) أما قلت هو جمع وهذا أبدلت منه الذين يجادلون (قلت) بلى هو جمع فى المعنى وأما اللفظ فهو موحد فحمل البدل على معناه والضمير الراجع اليه على لفظه وليس ببديع أن يحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى أخرى وله نظائر ويجوز أن يرفع الذين يجادلون على الابتداء ولا بد فى هذا الوجه من حذف مضاف يرجع اليه الضمير فى كبر تقديره مجادل الذين يجادلون كبر مقتا ويحتمل أن تكون الذين يجادلون مبتدأ وبغير سلطان أتاهم خبرا وفاعل كبر قوله (كذلك) أى كبر مقتا مثل ذلك الجدال ويطبع الله الكلام مستأنف ومن قال كبر مقتا عند الله جدالهم فقد حذف الفاعل والفاعل لا يصح حذفه وفى كبر مقتا ضرب من التعجب والاستعظام لجدالهم والشهادة على خروجه من حد أشكاله من الكبائر * وقرئ سلطان بضم اللام * وقرئ قلب بالتنوين * ووصف القلب بالتكبر والتجبر لانه صاحبهما ومتبعهما كما تقول رأت العين وسمعت الاذن ونحوه قوله عز وجل فانه آثم قلبه وان كان الاثم هو الجملة ويجوز أن يكون على حذف المضاف أى على كل ذى قلب متكبر فجعل الصفة لصاحب

القلب

الوارم كمن آمن بالله على أحد تأويليه ومثله كثير وفيه سوى ذلك من الوجوه السالفة مما يطرق الى الوجه المتقدم فالوجه المعدول عنه

* *قوله تعالى تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم (قال المراد بنفي العلم نفي المعلوم كقولهم لا أعلم لك حاجة في كذا أي لا حاجة لك فيه فكيف يصح أن يعلم لها) قلت * وهذا من قبيل * على لاحب لا يهتدى بمناره * أي لا منار له فيهتدى به وكلام الزمخشري هنا أشد من كلامه على قوله تعالى حكاية عن فرعون ما علمت لكم من إله غيري * قوله تعالى لا جرم أن (٣١٧) ما تدعونني إليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة (قال فيه) سياق لا جرم عند البصريين أن يكون لا رد الدعاء

أسباب السموات فاطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبا وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد فرعون إلا في تباب وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب ويا قوم مالي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار لا جرم أن ما تدعونني إليه

القلب * ويسل الصرح البناء الظاهر الذي لا يخفى على الناظر وإن بعد واستعوه من صرح الشيء إذا ظهر و (أسباب السموات) طرقها وأبوابها وما يؤدي إليها وكل ما أدى إلى شيء فهو سبب إليه كالرشاء ونحوه (فإن قلت) ما فائدة هذا التكرير ولو قيل لعلي أبلغ أسباب السموات لأجزأ (قلت) إذا أبهم الشيء ثم أوضح كان تفخيما لشأنه فلما أراد تفخيم ما أمل بلوغه من أسباب السموات أبهمها أولا ثم أوضحها ولأنه لما كان بلوغها أمرا عجيبا أراد أن يرده على نفس متشوقة إليه ليطيب السامع حقه من التعجب فأبهمه ليتشوق إليه نفس هامان ثم أوضحه * وقرئ (أطلع) بالنصب على جواب الترجي تشبيها للترجي بالتمني * ومثل ذلك التزيين (وذلك الصد) (زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل) والمزين لما الشيطان بوسوسته كقوله تعالى وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل أو الله تعالى على وجه التسبب لا نه يمكن الشيطان وأعوانه ومثل ذلك التمكين زين لهم أعمالهم فهم يعمهون وقرئ (وزين) لفرعون سوء عمله على البناء للفاعل والفعل لله عز وجل دل عليه قوله إلى إله موسى وصد بفتح الصاد وضمها وكسرها على ثقل مركة العين إلى الفاء كما قيل قيل * والتباب الخسران والهلاك وصده غيره مما وقع على سوء عمله وصدوه هو وقومه * قال (أهديكم سبيل الرشاد) فأجمل لهم ثم فسر فاتضح بتنكير السبيل وتصغير شأنه لأن الاهتداء إليها هو أصل الشرف ومنتهى تشعب جميع ما يؤدي إلى سخط الله وبحسب الشقاوة في الناقة ونبي بتعظيم الآخرة والاطلاع على حقارة الدنيا وأنها هي الوطن والمستقر وذكر الأعمال سيئها وحسنها وعاقبة كل منها ليتباعد عن تعاطي ما يزلف ثم وازن بين الدعوتين دعوته إلى دين الله الذي غرته النجاة ودعوتهم إلى اتخاذ الأنداد التي عاقبتها النار وحذر وأنذر واجتهد في ذلك واجتهد لا جرم أن الله استثناه من آل فرعون وجعله حجة عليهم وعبرة للمعتبرين وهو قوله تعالى فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب وفي هذا أبين دليل بين على أن الرجل كان من آل فرعون والرشد نقيض الغي وفيه تعريض بأن ما عليه فرعون وقومه هو سبيل الغي * (فلا يجزى إلا مثلها) لأن الزيادة على مقدار جزاء السيئة ظلم وأما الزيادة على مقدار جزاء الحسنة فحسنة لأنها فضل * (يرزقون فيها بغير حساب) واقع في مقابلة الا مثلها فمن أن جزاء السيئة له حساب وتقدير إلا ترى إلى الاستثناء عاما جزاء العمل الصالح بغير تقدير وحساب بل ما شئت من الزيادة على الخلق والكثرة والسعة (فإن قلت) لم كرر نداء قومه ولم جاء بالواو في النداء الثالث دون الثاني (قلت) أما تكرير النداء ففيه زيادة تنبيه لهم وإيقاظ عن سنة الغفلة وفيه أنهم قوم عتيرتهم وهم تمادوا بهم على وجه خلاعهم ونصيحتهم عليه واجبة فهو يتحزن لهم ويتلطف بهم ويبتدئ بذلك أن لا يتهموه فإن سرورهم سرورهم وغمهم غمهم ويتلو إلى تصيدهم لهم كما كرر إبراهيم عليه السلام في نصحه أبيه آزر وأما الفرق بالواو العاطفة فلان الثاني داخل على كلام هو بيان للمجمل وتفسير له فأعطي الداخل عليه حكمه في امتناع دخول الواو وأما الثالث فداخل على كلام ليس بتلك المثابة * يقال دعاه إلى كذا ودعاه له كما تقول هداه إلى الطريق وهداه له (ما ليس لي به علم) أي برهنة والمراد نفي العلم في المعلوم كأنه قال وأشرك به ما ليس له في الوجود وهذا له (كيف يصح أن يعلم لها لا جرم) مساعد على مذهب البصريين أن يجعل لا رد الدعاء إليه فوضع وجرم فعل بمعنى حق وأن مع ما في حيزه فاعله أي حق ووجب بطلان دعوته أو بمعنى كسب من قولهم جرمت كسبت كقولهم أجرم فلان أهله قوتا أي كسبهم ذلك الدعاء إليه بطلان دعوته على معنى أنه ما حصل من ذلك الا ظهور بطلان دعوته ويجوز أن يقال ان الا جرم نظير لا بد فعل من الجرم وهو دعاؤهم إليه بطلان دعوته أي ما حصل من ذلك الا ظهور بطلان دعوته ويجوز أن يكون لا جرم نظير لا بد من الجرم وهو القطع فكما أنك تقول لا بد لك أن تفعل والبد من التبديد الذي هو التفريق ومعناه لا مفر فكذلك لا جرم معناه لا انقطاع لبطلان دعوة الأصنام بل هي باطلة أبدا

إليه قوله وجرم بمعنى كسب أي وكسب

وتفظيعا ويحتمل ان جهنم هى أبعد النار قعرا من قولهم بئر جوسام أى بعيدة القعر وكان النابغة

ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة وأن مردنا الى الله وأن المسرفين هم أصحاب النار فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمرى الى الله ان الله بصير بالعباد فوقاه الله سيآت ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب واذ يتحاجون فى النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار قال الذين استكبروا انا كل فيها ان الله قد حكم بين العباد وقال الذين فى النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا

يعنى ليلهنام ليسد عورة فى الشعر انتهى كلامه (قلت) الاول أظهر والتفخيم فيه من وجهين أحدهما وضع الظاهر موضع المضمر وهو الذى أشار اليه والثانى ذكره وهو سمى واحد بظاهر غير ابو الاول أفظع منه لان جهنم أفظع من النار اذ النار مطلقة وجهنم أشدها

القطع كان بداهة حاصل من الفصل وهو التفريق فكأن معنى لابد أنك تفعل كذا يعنى لابد لك من فصله فكذلك لا جرم أن لهم النار أى لا قطع لذلك يعنى أنهم أبدا يستحقون النار لا انقطاع لاستحقاقهم ولا قطع لبطلان دعوة الاصنام أى لا تزال باطلة لا تنقطع ذلك فينقلب حقا وروى عن العرب لا جرم أنه يفعل بهم الخير وسكون الراء تخفيفا بلوفعل وفعل أخوان كرشه ورشد وعدم وعدم (ليس له دعوة) معناه أن ما تدعونى اليه ليس له دعوة الى نفسه قط أى من حق المعبود بالحق ان يدعو العباد الى طاعته ثم يدعو العباد اليها ظهارا لدعوته وبهم وما تدعوننى اليه والى عبادته لا يدعو هو الى ذلك ولا يدعى الربوبية قولوكان حيوانا لطفا لضحى من دعائكم وقوله (فى الدنيا ولا فى الآخرة) يعنى أنه فى الدنيا جماد لا يستطيع شيأ من دعاء غيره وفى الآخرة اذا أشاء الله حيا وانا برآء من الدعاة اليه ومن عبدته وقيل معناه ليس له استجابة دعوة تنفع فى الدنيا ولا فى الآخرة أو دعوة مستجابة جعلت الدعوة التى لا استجابة لها ولا منفعة فيها كلا دعوة أو سميت الاستجابة باسم الدعوة كما سمى الفعل الجارى عليه باسم الجزاء فى قولهم كما تدين تدان قال الله تعالى له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشئ (المسرفين) عن قتادة المشركين وعن مجاهد السفاكين للدماء بغير حلها وقيل الذين ظلموا بشركهم خبرهم هم المسرفون * وقرئ فستذكرون أى فسيذكر بعضكم بعضا (وأفوض أمرى الى الله) لانهم توعدوه (فوقاه الله سيآت ما مكروا) شدائد مكرهم وما هو أبلغ من ألحاق أنواع العذاب بمن نالهم وقيل تجاميع مكرهم حتى (وحاق بآل فرعون) ما هو أبلغ من تعذيب المعذبين ووضع عليهم كيدهم (النار) بدل من سوء العذاب أو خبر مبتدا محذوف كان قائلا قال ما سوء العذاب فقيل هو النار أو مبتدأ خبره (يعرضون عليها) وفى هذا الوجه تعظيم للنار وتهويل من عذابها وعرضهم عليها الحاقهم بها تالى عرض الامام الاسارى على السيف اذا قتلهم * وقرئ النار بالنصب وهى تعضد الوجه الاخير وتقويه يدخلون النار يعرضون عليها ويجوز أن ينتصب على الاختصاص (غدوا وعشيا) فى هذين الوقتين يعذبون بالنار وفيما بين ذلك أعم من أن يعذبوا بعض آخر من العذاب أو بنفس عنهم ويجوز أن يكون غدوا وعشيا عبارة عن الدوام هذا ما دامت الدنيا فاذا قامت الساعة قيل لهم (ادخلوا) يا (آل فرعون أشد) عذاب جهنم وقرئ أدخلوا آل فرعون أى يقال لخزنة جهنم أدخلوهم (فان قلت) قوله وحاق بآل فرعون سوء العذاب معناه أنه رجع عليهم ما هو أبلغ من المكر بالمسيئ تقول المر يسئ حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا فاذا فسر سوء العذاب بنار جهنم لم يكن مكرهم راجعا عليهم لانهم لا يعذبون بجهنم (قلت) يجوز أن يهم الانسان بان يغرق فوما فيحرق بالنار ويسمى ذلك سببا لانه هم سوءا فأصابه ما وقع عليه اسم السوء ولا يشترط فى الحيق ان يكون الحائق ذلك السوء بعينه ويجوز أن يهم فرعون باسمع نار المسلين بالنار وقول المؤمن وأن المسرفين هم أصحاب النار فصل نحو ما فصل عمرو بقوله بنا نحن بنو المصطفى فلنا المجد وأنتم بنو المطعمين مآثر هم ومآثركم * واذكر وقت يتحاجون (تبعا) تابعا كقولهم فى جمع خادم أو ذوى تبع أى اتباع أو وصفا بالمصدر * وقرئ كلا على التأكيد لاسم ان وهو معرفة والتنوين عوض من المضاف اليه يريد انا كلنا أو كلنافيها (فان قلت) هل يجوز أن يكون كلا حالا فما معمل فيها (قلت) لا لان الظرف لا يعمل فى الحال متقدمة كما يعمل فى الظرف متقدما تقول كل يوم لك ثوب ولا تقول قائما فى الدار زيد (قد حكم بين العباد) قضى بينهم وفصل بان أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار (لخزنة جهنم) للتوام بمذيب أهلها (فان قلت) هلا قيل الذين فى النار لخزنتها (قلت) لان فى ذكر جهنم تهويلا وتفظيعا ويحتمل أن جهنم هى أبعد النار قعرا من قولهم بئر جهنام بعيدة القعر وقولهم فى البابغة جهنام تسمية بالرحم أنه يلائق الشعر على لسان المنتسب اليه فهو بعيد الغور فى علم الشعر كما قال

* قوله تعالى قالوا فادعوا (قال في معناه لما ألزمهم الحجة عقبوهم أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات واعترفوا بذلك وكان في ضمن ذلك أنهم خلفوا أوقات الدعاء وأسباب الاجابة وراءهم قالوا لهم فادعوا أنتم معناه أنا نحن لا نجترئ أن ندعوا لكم فادعوا أنتم وليس قولهم فادعوا ترجمة للكفار ولكن قطعا لرجائهم لانه إذا لم يسمع دعاء الملك المقرب فكيف يسمع دعاء الكافر * قوله تعالى يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم (قال فيه يحتمل أنهم يعتذرون بمعذرة لكنها لا تنفعهم لأنها باطلة ويحتمل أنهم لا يعتذرون وليست لهم معذرة لم تكن مقبولة انتهى كلامه) قلت هذا الاحتمال الثاني في قوله تعالى ولا تسمع المرضى ويطلع ولكن بين (٢١٩) المرضين فرقا يسيرا أحدهما

أبو نواس في خلف الأحمر فليتدم من الميل المسدف وفيها أنتى الكفار وأملذهم فاعمل الا لائكة الموكلين بعذاب أولئك أجوبة دعوة (زيادة تقريرهم من الله تعالى عليهم لذا معشر هم أهل النار يطلب الدعوة منهم (أولم تك تأتيكم) الزام للحجة وتوبيخ لهم خلقوا وراءهم أوقات الدعاء والتضرع وعطلوا الاسباب التي يستجيب الله لها الدعوات (قالوا فادعوا) أنتم فانا لا نجترئ على ذلك ولا نتسبب الا بشرطين كون المشفوع له غير ظالم والاذن في الشفاعة مع رضاه وهما وذلك قبل الحكم الفاصل بين الفريقين وليس قولهم فادعوا الرجاء المنقطعة ولكن الدلالة على اليأس فان الملك المقرب اذا لم يسمع دعاءه فكيف يسمع دعاء الكافر (في الحيوة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد) أي في الدنيا والآخرة يعني أنه يظهرهم في الدارين جميعا الحجة والقطع على تحالفهم وان غلبوا في الدنيا في بعض الاحايين اضمحلانا من الله فالعاقبة لهم ونتج الله من يقتص من أعدائهم ولو بعد حين والاشهاد جمع شاهد كصاحب وأصحاب يريد الحفظة من الملائكة والانبياء والمؤمنين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ليشهدوا على الناس يوم القيامة بدل من الاول يحتمل أنهم يعتذرون بمعذرة ولكنها لا تنفع لانها باطلة وأنهم لو جاؤا بمعذرة لم تكن مقبولة لقوله تعالى ولا يؤذن لهم فيعتذرون (ولهم اللعنة) البعد من رحمة الله (ولهم سوء الدار) أي سوء عاقبة الآخرة وهو عذابها وقرئ تقوم ولا تنفع بالتاء والياء يريد بالهدى جميع ما آتاه في باب الدين من المعجزات والتوراة والشرائع (وأورثنا) وتركنا على بني اسرائيل من بعده (الكتاب) أي التوراة (هدى وذكرى) ارشادا وتذكرة لتسلم ما على المتمولة له أو على العمال وألولي الالباب المؤمنون بما فيه (فاصبر ان وعد الله حق) يعني ان نصرة الرسل في صميم الله وضمان الله لا يخلف واستشهد بموسى وما آتاه من أسباب الهدى والنصرة على فرعون وجنوده إرادة أن هذا دأبي في بني اسرائيل وانا ناصرك كما نصرهم ومظهرك على الدين كله وملخ ملك أمتك مشارق الارض ومغاربها فاصبر على ما يجري عليك وملك من المعاصي فان العاقبة لك وما سوف يريك من نصرتك واعلاء كلمتك حق وأقبل على التقوى واستدرك الفرطات بالاستغفار ودم على عبادة ربك والثناء عليه (بالعشي والابكار) وقيل هما صلاتا العصر والفجر (ان في صدورهم الا كبر) الا كبر وتعظم وهو ارادة التقدم والرياسة وان لا يكون أحد فوقهم ولذلك عادوك وددوا لو أنك خفيفة أن تتقدمهم بريكونوا تحت يدك وأمرك ونهيك لان النبوة تقتضيها كل ملك ورياسة أو ارادة أن تكون لهم النبوة دونك حسدا وبغيا ويدل عليه قوله تعالى لو كان خيرا ما سبقونا اليه أو ارادة دفع الآيات بالجدال (ما هم ببالغيه) أي بالغي موجب الكبر ومقتضيه وهو متعلق ارادتهم من الرياسة أو النبوة أو دفع الآيات وقيل الجادلون هم اليهود وكانوا يقولون يخرج صاحبنا المسيح بن داود ويرثون الدجال ويبلغ سلطانه البر والبحر وتسير معه الانهار وهو آية من آيات الله فيرجع الينا الملك فسمى الله تمنيهم ذلك كبرا وتنى أن يبلغوا اعتناءهم (فاستعذ بالله) فالتجئ اليه من كيدهم بحسدك وبغي عليك (انه هو السميع) للقول به يقولون (البصير) بالعمل به يعملون فهو ناصرك عليهم وعاصمك من شرهم (قال فلت) كيف اتصل قوله (خلق السموات والارض) بما قبله

أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا في ضلال ان النصر رسلنا والذين آمنوا في الحيوة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار ولقد آتينا موسى الهدى وأورثنا بني اسرائيل الكتاب هدى وذكرى لاولي الالباب فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار ان الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه فاستعذ بالله انه هو السميع البصير لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس

وذلك انه هنا على تقدير أن يكون المراد انهم لا معذرة لهم البتة يكون قد نفى صفة المعذرة

هي السمعة التي لهم اذا لم يعتذروا البتة كما قيل اذا لم يحصل ثمرة المشي فكيف ينفع الاعتراف به وفي الآية المتقدمة جعل نفي الموصوف بالنفي الصفة وهذا أولى الذي في هذه الآية الفعل وفي المتقدمة أولى النفي الذات المنسوب اليها الفعل وقوله تعالى خلق السموات والارض أكبر من خلق الناس (قال فيه) فان قلت كيف اتصل قوله خلق السموات والارض بما قبله

وأجاب بان مجادلتهم فى آيات الله كانت مستندة على انكار البعث وهو أصل المجادلة ومدارها فجمع لهم بين خلق السموات والارض لانهم كانوا مقرين بأن الله خالقهما وبأنهما خلق عظيم فخلق الناس بالقياس اليه شئ قليل مهين فمن قدر على خلقهما مع عظمهما كان على الانسان الضعيف أقدر وهو أبلغ من الاستشهاد بخلق مثله انتهى كلامه (قلت) الاولوية فى هذا الاستشهاد ثابتة بدرجتين أحدهما ماذكر من ان القادر على العظيم هو على الحقير أقدر الثانية أن مجادلتهم كانت فى البعث وهو الاعادة ولاشك ان الابتداء أعظم وأبهر من الاعادة فاذا كان ابتداء خلق العظيم (٣٢٠) يعنى السموات والارض داخلا تحت القدرة فابتداء خلق الحقير يعنى الناس ادخل تحتها

وأعاده ادخل من ابتدائه فهو أولى بأن يكون مقدورا عليه مما اعترفوا به من خلق السموات والارض

(قلت) ان مجادلتهم فى آيات الله كانت مستندة على انكار البعث وهو أصل المجادلة ومدارها فجمع لهم بين خلق السموات والارض لانهم كانوا مقرين بأن الله خالقهما وبأنهما خلق عظيم لا يقادر قدره وخلق الناس بالقياس اليه شئ قليل مهين فمن قدر على خلقهما مع عظمهما كان على خلق الانسان مع مهانته أقدر وهو أبلغ من الاستشهاد بخلق مثله (لا يعلمون) لانهم لا ينظرون ولا يتأملون لغلبة الغفلة عليهم واتباعهم أهواءهم (وما يستوى الاعمى والبصير مثل للجهل والعلم وقرئ تتذكرون بالتاء والتاء أعم (الاريب فيها) لا ريب فى مجيئها ولا محالة ولكن ترتاب فيها لانه لا يتمن جزاء (لا يؤمنون) لا يصدقون بها (ادعونى) اعبدونى والدعاء بمعنى العبادة كثير فى القرآن ويدل عليه قوله تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتى والاستجابة الاثابة وفى تفسير مجاهد اعبدونى أثبكم وعن الحسن وقتادة عملوا بما أمروا وانتهوا عما نهوا (ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله وعن الشورى انه قيل له ادع الله فقال ان ترك الذنوب هو الدعاء وفى الحديث انا شغل عبدى بذكرى عن الدعاء أعطيته أفضل ما أعطى السائلين وروى النعمان بن بشير رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء هو العبادة وقرأ هذه الآية ويجوز أن يريد الدعاء والاستجابة على ظاهرهما ويريد بعبادتى دعائى لان الدعاء باب من العبادة ومن أفضل أنواعها وعن ابن عباس رضى الله عنه أفضل العبادة الدعاء وعن كعب أعطى الله هذه الامة ثلاث خلال لم يعطهن الا نبى مرسل كان يقول لكل نبى أنت شاهدى على خلقى وقال لهذه الامة لتكونوا شهداء على الناس وكان يقول ما عليك من حرج وقال لهذه الامة ليجعل عليكم من حرج وكان يقول ادعونى أستجب لكم وقال لهذه الامة ادعونى أستجب لكم وعن ابن عباس وحذيفة أعمرك وهذا تفسير للدعاء بالعبادة ثم للعبادة بالتوحيد (داخرين) صاغرين (مبصرا) من الاسناد المجازى لان الابصار فى الحقيقة لاهل النهار (فان قلت) لم قرن الليل بالفعول له والنهار بالحال وهلا كانا حالين أو مفعولا لهما فى رأى حق المقابلة قلت هما متقابلان من حيث المعنى لان كل واحد منهما يؤدى مؤدى الآخر ولانه لو قيل لتبصروا فيه فاتت الفصاحة التى فى الاسناد المجازى ولو قيل ساكنا والليل يجوز أن يوصف بالسكون على الحقيقة ألا ترى الى قولهم ليل ساج وساكن لا مرح فيه فلم تتميز الحقيقة من المجاز (فان قلت) فهلا قيل لتفضل أو لتفضل (قلت) لان الغرض تنكير الفضل وأن يجعل فضلا لا يوازيه فضل وذلك انما يستوى بالاضافة (وان قلت) فلو قيل ولكن أكثرهم فلا يشكرون رد كر الناس (قلت) فى هذا التكرير تخصيص الكفران بهم وأنهم هم الذين يكفرون النعمة بهم الذين يكفرون فضل الله ولا يشكرونه كقولك ان الانسان لكفور ان الانسان لربه لكنود ان الانسان لظلوم كفار (ذلكم) المعلوم المتميز بالافعال الخاصة التى لا يشاركه فيها أحد هو (الله ربكم خالق كل شئ لا اله الا هو) أخبار مترادفة أى هو الجامع لهذه الاوصاف من الالهية

بدرجتين والى هذا الترتيب وقعت الاشارة بقوله تعالى فى الروم ومن آياته أن تقوم السماء والارض بأمره ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا أنتم تخرجون فقرر أن قيام السماء والارض هو بأمره أى خلقهما سر آياته وتكييف بعاد هو أحط من قيامهما بدرجتين وهو اعادة البشر أهون عليه من الابتداء لتحقق الدرجتان اللتان ذكرناهما فقال تعالى وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وانما أملت الذى ذكرته منسوبا للمذكر الزمخشرى علمت أن ماذكره هو لباب المراد فجدد عهدا بها ان لم تعلم ذلك فقوله تعالى ولكن أكثر الناس لا يشكرون (قال فيه) هلا قيل ولكن أكثرهم فيستغنى عن التكرير وأجاب بأن فى التكرير تخصيص الكفران النعمة بهم وأنهم هم الذين يكفرون فضل الله ولا يشكرونه وان الانسان لكفور ان الانسان لظلوم كفار

قوله تعالى قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءتني البينات من ربي (قال فيه) فإن قلت النبي عليه الصلاة والسلام قد تضمنت له أدلة العقل على التوحيد قبل مجيء الوحي فكيف تحمل الآية وأجاب بأن الأمر كذلك ولكن البينات عقوية لأدلة العقل ومؤكدة لها ومتضمنة ذكرها نحو قوله أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون وإشباه ذلك من التنبيه على أدلة العقل والسمع جميعا وإذا ذكر ما يدل على الأمرين جميعا لأن ذكر الأمرين أقوى في إبطال مذهبهم وإن كانت أدلة العقل وحدها كافية انتهى كلامه (قلت) الأولى قواعد السنة أن يقال أما معرفة الله تعالى ومعرفة توحيد إلهيته واستحالة كون الأصنام آلهة فمستفاد من أدلة العقل وأما معرفة صدق الرسول فمستفادة من المعجزات وأما معرفة أن القرآن كلام الله فمستفادة من إعجاز القرآن وأما معرفة أن ما في القرآن حق فمستفادة من أخبار الله تعالى في القرآن بأنه حق وأما معرفة أن ما أخبر به الرسول حق فمستفادة من إخبار الله تعالى بأنه رسوله وأما معرفة أن ما أخبر به الرسول من أحوال القيامة حق فمستفادة من إخبار الله تعالى بأنه رسوله وإخباره بأن ما أخبر به حق وأما معرفة أن ما أخبر به الله تعالى حق فمستفادة من أنه لا يجوز عليه الكذب لأنه نقص وأما معرفة أن ما أخبر به الله تعالى من أحوال القيامة حق فمستفادة من أنه لا يجوز عليه الخلف في الوعد لأنه نقص وأما معرفة أن ما أخبر به الله تعالى من أحوال القيامة حق فمستفادة من أنه لا يجوز عليه الخلف في الوعد لأنه نقص وأما معرفة أن ما أخبر به الله تعالى من أحوال القيامة حق فمستفادة من أنه لا يجوز عليه الخلف في الوعد لأنه نقص

فأنى تؤفكون كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون الله الذي جعل لكم الأرض قرارا

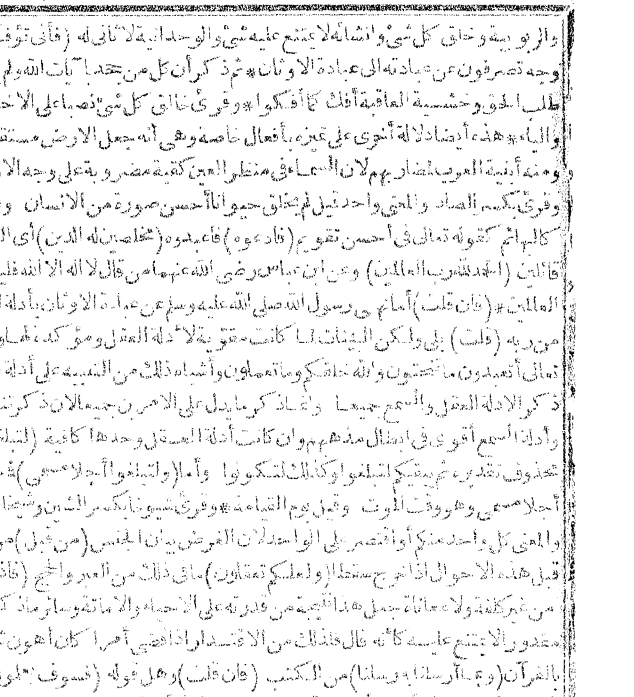

والربوبية وخالق كل شيء وإشباهه لا يمتنع عليه شيء والوحدانية لا تأتي له (فأنى تؤفكون) فكيف وجه تصرفون عن عبادته إلى عبادة الأوثان * ثم ذكر أن كل من جحد آيات الله ولم يتأملها ولم يكن فيه همة لطلب الحق وخشية العاقبة أفك كما أفكوا * وقرئ خالق كل شيء نصبا على الاختصاص وتؤفكون بالتاء والياء وهذه أيضا دلالة أخرى على تعين أن يجعل الأرض مستقرا (والسماء بناء) أي قبة ومنه أبنية العرب لضاربهم لأن السماء في منظر العين كقبة مضروبة على وجه الأرض (فأحسن صوركم) وقرئ بكسر الصاد واللغتان واحد قيل لم يخلق حيوانا أحسن صورة من الإنسان وقيل لم يخلقهم منكوسين كالبهائم كقوله تعالى في أحسن تقويم (فادعوه) فاعبدوه (مخلصين له الدين) أي الطاعة من الشرك والرياء قالت (الحمد لله رب العالمين) وعن ابن عباس رضي الله عنهما من قال لا إله إلا الله فليقل على أثرها الحمد لله رب العالمين * (فإن قلت) أما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبادة الأوثان بأدلة العقل حتى جاءته البينات من ربه (قلت) بلى ولكن البينات لما كانت مقوية لأدلة العقل ومؤكدة لها ومتضمنة ذكرها نحو قوله تعالى أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون وأشباه ذلك من التنبيه على أدلة العقل كان ذكر البينات ذكرا لأدلة العقل والسمع جميعا وإذا ذكر ما يدل على الأمرين جميعا لأن ذكر الأمرين أقوى في إبطال مذهبهم وإن كانت أدلة العقل وحدها كافية (لتبلغوا أشدكم) متعلق بفعل محذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا كذلك لتكونوا وأما (ولتبلغوا أجلا مسمى) فشاهد على تعليل ذلك لتبلغوا أجلا مسمى وهو وقت الموت وقيل يوم القيامة * وقرئ شيوخا بكسر الشين وشيخا على التوحيد كقوله طفلا والمعنى كل واحد منكم أو اقتصر على الواحد لأن الغرض بيان الجنس (من قبل) من قبل الشيخوخة أو من قبل هذه الأحوال إذا خرج سقطا (ولتكملوا) ما في ذلك من العبر والحج (فإذا قضى أمرا فإنما) كونه من غير كلفة ولا معاناة جعل هذا أنجع من قدرته على الأحياء والإماتة وسائر ما ذكر من أنحاء الدلالة على أن معدوما لا يمتنع عليه كأنه قال فذلك من الأقاصيص إذا قضى أمرا كان أهون شيء وأسرعه (بالكتاب) بالقرآن (وبما أرسلنا به رسلنا) من الكتب (فإن قلت) وهل قوله (فسوف يعلمون إذ الأغلال في أعناقهم الآية) قول ثالث سوف أصوم أمس (قلت) لا معنى على إذا الآن الأمور المستقبلة لما كانت في أخبار الله تعالى متيقنة سقط وعلا بها عبر عنها بلفظ ما كان ووجد والمعنى على الاستقبال * وعن ابن عباس والسلاسل يسحبون بالنصب وفتح الياء على عطف أهل السلاسل على الحميم وبنائه والسلاسل يسحبون بغير السلاسل ووجهه أنه لو قيل إذ أعناقهم في الأغلال لكان قوله إذ الأغلال في أعناقهم لكن جيء بهما مستقلا فلما كانتا عبارتين مستقلتين حمل قوله والسلاسل على العبارة الأخرى ونظيره

مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة * ولا ناعب إلا بين غرابها

٤١ كشاف في المعقول وقد ترد الأدلة العقلية في مضامين السمعيات وأما وجوب عبادة الله تعالى وتحريم عبادة الأصنام فحكم شرعي لا يستفاد إلا من السمع فلي هذا يترك الجواب عن هذا السؤال وقوله تعالى إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي وأمرت أن أسلم لرب العالمين هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلا مسمى ولعلكم تعقلون هو الذي يحيي ويميت فإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله أنى يصرفون الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل

*قوله تعالى فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين (قال فيه) فان قلت كان قياس النظم أن يقال فبئس مدخل المتكبرين كما تقول زرتهم فنعم المزار وأجاب بان الدخول الموقت بالخلود في معنى الثواء *قوله تعالى فاما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فالينا يرجعون (قال فيه) المصحح لحاق النون المؤكدة دخول ما المؤكدة للشرط ولولا ما لم يجز دخولها) *قلت وانما كان كذلك لان النون المؤكدة مستقلها ان تدخل في غير الواجب والشرط من قبيل الواجب الا أنه اذا أكد قوى ابهامه فقربته قوة الابهام من غير الواجب فيصلح دخول النون فيه * ثم قال وقوله تعالى أو نتوفينك اما أن يشرك مع الاول في الشرط ويكون قوله فالينا يرجعون جزاء المشرك بهما (٣٢٢) فلا يستقيم المعنى على فاما نرينك بعض الذي نعدهم فالينا يرجعون وان جعل الجزاء مختصا بالثاني بقي الاول

كانه قيل يصلحون وترى وبالسلاسل يسحبون (في النار يسجرون) من سجر التنور اذا ملأه بالوقود ومنه البحر المسجور كانه سجر بالحميم اى ملئ ومعناه أنهم في النار فهي محيطة بهم وهم مسجورون بالنار معلوءة بها أجوافهم ومنه قوله تعالى نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة اللهم أجرنا من نارك فانا عائذون بجوارك (ضلوا عنا) غابوا عن عيوننا فلا نراهم ولا ننتفع بهم (فان قلت) أما ذكرت في تفسير قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنهم مقرونون بآلهتهم فكيف يكونون معهم وقد ضلوا عنهم (قلت) يجوز أن ضلوا عنهم اذا جاوزوا قبيل فيهم أينما كانوا تشركون من دون الله فيغيثونكم ويشفعون لكم أن يكونوا معهم في سائر الاوقات وأن يكونوا معهم في جميع أوقاتهم الا أنهم لما لم ينفعوهم فكأنهم ضالون عنهم (بل لم نكن ندعوا من قبل شيأ) أى تبين لنا أنهم لم يكونوا شيأ وما كنا نعبد بعبادتهم شيأ كما تقول حسبت أن فلانا شئ فاذا هو ليس بشئ اذا اختبرته فلم ترعنده خبرا (كذلك يضل الله الكافرين) مثل ضلال آلهتهم عنهم ضلالهم عن آلهتهم حتى لو طلبوا الآلهة أو طلبتهم الآلهة لم يتصادفوا (ذلكم) الاضلال بسبب ما كان لكم من الفرح والمرح (بغير الحق) وهو الشرك وعبادة الاوثان (ادخلوا أبواب جهنم) السبعة المقسومة لكم قال الله تعالى لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم (خالدين) مقدرين الخلود (فبئس مثوى المتكبرين) عن الحق المستهين بمثواكم أو جهنم (فان قلت) أليس قياس النظم أن يقال فبئس مدخل المتكبرين أتقول زرتهم فنعم المزار وصلى في المسجد الحرام فنعم المصلى (قلت) الدخول الموقت بالخلود في معنى الثواء (فاما نرينك) أصله فان نرك وما مزيدة لتأكيد معنى الشرط ولذلك ألحقت النون بالفعل الا ترى لا تقول ان تكرمني أكرمك ولكن اما تكرمني أكرمك *(فان قلت) لا يخلو اما أن تعطف (أو نتوفينك) على نرينك ونشركهما في جزاء واحد وهو قوله تعالى (فالينا يرجعون) فتقول فاما نرينك بعض الذي نعدهم فالينا يرجعون غير صحيح وان جعلت فالينا يرجعون مختصا بالمعطوف الذي هو نتوفينك بقي المعطوف عليه بغير جزاء (قلت) فالينا يرجعون متعلق بنتوفينك وجزاء نرينك محذوف تقديره فاما نرينك بعض الذي نعدهم من العذاب وهو القتل والاسر يوم بدر فذاك أو نتوفينك قبل يوم بدر فالينا يرجعون يوم القيامة فننتقم منهم أشد الانتقام ونحوه قوله تعالى فاما ذهبن بك فانا منهم منتقمون أو نرينك الذي وعدناهم فانا عليهم مقتدرون (ومنهم من لم نقصص عليك) قيل بعث الله ثمانية آلاف نبي أربعة آلاف من بني اسرائيل وأربعة آلاف من سائر الناس وعن علي رضي الله عنه ان الله تعالى بعث نبيا أسود فوكز فلم يقصص عليه وهذا في اقتراحهم الآيات على رسول الله صلى الله عليه وسلم عنادا مني أنا قد أرسلنا كثيرا من الرسل وما كان لواحد منهم (أن يأتي بآية الا باذن الله) فمن لي بأن آتي بآية مما تقترحونه الآن بشاء الله ويأذن في الاتيان بها (فاذا جاء أمر الله) وعيد ورد عقيب اقتراح الآيات وأمر الله القيامة (أبطلوا) هم المعاندون الذين اقترحوا الآيات وقد أتتهم الآيات فأنكروها وسموها سحرا *الانعام الابل خاصة *(فان قلت

يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون ثم قيل لهم أينما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا بل لم نكن ندعوا من قبل شيأ كذلك يضل الله الكافرين ذلكم بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين فاصبر ان وعد الله حق فاما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فالينا يرجعون ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول أن يأتي بآية الا باذن الله فاذا جاء أمر الله قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون الله الذي جعل لكم الانعام

بغير جزاء وأجاب بأنه مختص بالثاني وجزاء الاول محذوف تقديره فاما نرينك بعض الذي نعدهم وهو ما حل بهم يوم بدر فذاك أو نتوفينك فالينا يرجعون فننتقم منهم اه كلامه (قلت) وانما حذف جواب الاول دون الثاني لان الاول ان وقع فذاك غاية الامل في اسكاتهم فالاثبات على تقدير وقوعه معلوم وهو حصول المراد على التمام وأما ان لم يقع ووقع الثاني وهو توفيه قبل حلول الجزاء اتمهم فهذا هو الذي يحتاج الى ذكره للتسلية وتطمين النفس على أنه وان تأخر جزاؤهم عن الدنيا فهو حتم في الآخرة ولا منه *قال ومثله قوله تعالى فاما ذهبن بك فانا منهم منتقمون أو نرينك الذي وعدناهم فانا عليهم مقتدرون كأنه يستشهد على أن جزاء الاول محذوف بذكر هذه الآية

قوله تعالى لتركبوا منها وأ كلون ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم (قال فيه) فان قلت هلا قيل لتركبوا منها وتأكلوا منها ولتبلغوا ومنها تركبون ومنها تأكلون وعليها تبلغون وأجاب بان في الركوب الركوب في الغزو والحج وفي بلوغ الحاجة الهجرة من بلد الى بلد لاقامة دين أو طلب علم وهذه اغراض دينية اما واجبة أو مندوبة فما يتعلق به ارادة الحكيم وأما الاكل واصابة المنافع فمن جنس المباح الذي لا يتعلق به الارادة اه كلامه (قلت) جواب امتداع المسقوط مؤسس على قاعدة مواهية وهي ان الامر راجع الى الارادة فلو اجب والمندوب هي ادان لانهما متقاربان في الامر والمباح غير مراد لانه غير مأمور به وهذا من هفوات المعتزلة في انكار كلام النفس فلا تطيل فيه النفس

لم قال (لتركبوا منها) ولتبلغوا عليها ولم يقل لتأكلوا منها ولتبلغوا الى منافع أو هلا قال منها تركبون ومنها تأكلون وتبلغون عليها حاجة في صدوركم (قلت) في الركوب الركوب في الحج والغزو وفي بلوغ الحاجة الهجرة من بلد الى بلد لاقامة دين أو طلب علم وهذه اغراض دينية اما واجبة أو مندوب اليها فما يتعلق به ارادة الحكيم وأما الاكل واصابة المنافع فمن جنس المباح الذي لا يتعلق به ارادته ومعنى قوله (وعليها وعلى الفلك تحملون) وعلى الانعام وحدها لا تحملون ولكن عليها وعلى الفلك في البر والبحر (فان قلت) هلا قيل في الفلك كما قال فانا حملنا في الجارية الفلك (قلت) معنى الايماء ومعنى الاستدلال كذا هما مستقيم ان الفلك وعاء لمن يكون فيها حمولة له يستعلم فلما صح المعنيان صحت العبارتان وأيضا فليطابق قوله وعليها ويراوحه (فأي آيات الله) جاءت على اللغة المستفيضة وقولك فأية آيات الله قليل لان التفرقة بين الذكر والمؤنث في الاسماء غير الصفات نحو حمار وحمارة غريب وهي في أي أغرب لابهامه (وآثارا) صورهم وصفاتهم وقيل مشيهم بأرجلهم لعظم أجرامهم (فما أغنى عنهم) ما نافية أو مصدرية ومعنى الاستفهام محلها النصب والثانية موصولة أو مصدرية ومحلها الرفع يعني أي شيء أغنى عنهم مكسوبهم أو كسبهم فرحوا بما عندهم من العلم) فيه وجوه منها انه أراد العلم الوارد على طريق الهكم كقوله تعالى بل ادارك علمهم في الآخرة علمهم في الآخرة أنهم كانوا يقولون لا نبعث ولا نعذب وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي اني لعنده للحسنى وما أظن الساعة قائمة ولئن ردت الى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا وكانوا يسخرون بذلك ويدفعون به البينات وعلم الانبياء فقال عز وجل كل حزب بما لديهم فرحون ومنها ان يريد علم الفلاسفة والدهريين من بني يونان وكانوا اذا سمعوا بوحي الله ونعوت صفوه واهل الانبياء الى علومهم وعن شماطيط أنه سمع موسى صلوات الله عليه وسلامه وقيل له لو هلمت الينا فقال نحن قوم مهذبون فلا حاجة لنا الى من يهذبنا ومنها أن يوضع قوله فرحوا بما عندهم من العلم ولا علم عندهم البتة موضع قوله لم يفرحوا بما جاءهم من العلم بسلامة فؤادهم في نفي فرحهم بالوحي الموجب لا قصى الفرح والمسرة مع تهكم بفرط جهلهم خلقهم من العلماء ومنها أن يراد فرحوا بما عندهم الرسل من العلم فرح ضحك منه واستهزاء به كما قال استهزؤا بالبينات وعاجلوا بها من علم الوحي فرحين هم ويدل عليه قوله تعالى وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ومنها أن يجعل الفرح للرسل ومعناه ان الرسل لما رأوا جهلهم الفادح واستهزاءهم بالحق وعلموا سوء عاقبتهم وما يلقونهم من العقوبة على جهلهم واستهزائهم فرحوا بما أوتوا من العلم وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم ويجوز أن يريد بما عندهم من العلم علمهم بأمور الدنيا ومعرفتهم بتدبيرها كما قال تعالى يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون فذلك معنى فرحهم بما لديهم من العلم فلما جاءتهم الرسل يعلوم الديانات وهي أجل شيء من علومهم لبعدها على رقش الدنيا والطائش من الملاذ الشهوات لم يلتفتوا اليها وصغروها واستهزؤا بها واعتقدوا أنها علم لا نفع وأجاب للفوائد من علومهم فرحوا به * الباس شدة العذاب ومنه قوله تعالى بعذاب بئيس * (فان قلت) أي فرق بين قوله تعالى (فلم يك ينفعهم ايمانهم) وبينه لو قيل فلم ينفعهم ايمانهم وبينه لو قيل فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا (قال) فان قلت أي فرق بين قوله فلم يك ينفعهم ايمانهم وبينه لو قيل فلم ينفعهم وأجاب بان معنى كان

وقاعدة أهل الحق أنه لا ربط بين الامر والارادة فقد يأمر بما لا يريد خلاف ما يأمر به فجواب الصحيح اذا ان المقصود المهم من الانعام المنة المشهورة فيها التناهي الركوب وبلوغ الحوائج عليها بواسطة الاسفار والانتقال في ابتغاء الاوطار فلذلك ذكرها مقرونتين بالادلة على التعليل والغرض وأما الاكل وبقية المنافع كالاصواف والاوبار والالبان وما يجري مجراها فهي وان كانت حاصلة منها فغير خاصة بها خصوص الركوب والحمل وتوابع ذلك بل الاكل بالغنم خصوصا الضأن أشهر فلذلك اختيرت الضحايا منها على الغنم فلذلك جردت هذه المنافع بالاخبار عن وجودها فيها وغيرها مقرونة بما يدل على انها المقصود * قوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا (قال) فان قلت أي فرق بين قوله فلم يك ينفعهم ايمانهم وبينه لو قيل فلم ينفعهم وأجاب بان معنى كان

هناه مناها في قوله ما كان لله أن يتخذ من ولد معنى فلم يستقم ولم يصح ان يفهموا عباراتهم انه كلامه (قلت) كان الذي ثبت التصرف فيه باجراءهم اجرى حروف العلة حتى حذفت للجازم هي كان الكثير استعمالها المكرر دورانها في الكلام وأما كان هذه فليست كثيرة التصرف حتى يتسع فيها بالحذف بل هي مثل صار وزال في القلة فالاولى بقاؤها على بابها المعروف وفائدة دخولها في هذه الآية وأمثالها المبالغة في نفي الفعل الداخلة عليه بتقييده بجميع زمنه عموما باعتبار الكون وخصوصا باعتباره في هذه الآية فكانه نفي مرتين والله أعلم

(٣٢٤) ﴿القول في سورة فصلت﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى وقالوا قلوبنا في أكنة

فلم يسمعوا عباراتهم (قلت) هو من كان في نحو قوله ما كان لله أن يتخذ من ولد والمعنى فلم يصح ولم يستقم أن يفهموا عباراتهم (فان قلت) كيف ترادفت هذه الفاآت (قلت) أما قوله تعالى فما أغنى عنهم فهو نتيجة قوله كانوا أكثر منهم وأما قوله فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فجار مجرى البيان والتفسير لقوله تعالى فما أغنى عنهم كقولك كثر زيد المال فنعم المعروف فلم يحسن الى الفقراء وقوله فلما رأوا بأسنا تابع لقوله فلما جاءتهم كأنه قال فكفروا فلما رأوا بأسنا آمنوا وكذلك قوله فلم يك ينفعهم إيمانهم تابع لايمانهم فلما رأوا بأس الله (سنت الله) منزلة وعد الله وما أشبهه من المصادر المؤكدة و(هنالك) مكان مستعار للزمان أي وخسروا وقت رؤية البأس وكذلك قوله وخسر هنالك المبطلون يسد قوله فاذا لها أمر الله قضى بالحق أي وخسروا وقت مجيء أمر الله أو وقت القضاء بالحق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمن لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن الا صلى عليه واستغفر له

﴿سورة السجدة مكية وهي أربع وخمسون وقيل ثلاث وخمسون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

ان جعلت (حم) اسما للسورة كانت في موضع المبتدا و (تنزيل) خبره وان جعلتها تعديد الحروف كان تنزيل خبر المبتدا المحذوف و (كتاب) بدل من تنزيل أو خبر بعد خبر أو خبر مبتدا محذوف وجوز الزجاج أن يكون تنزيل مبتدأ و كتاب خبره ورجحه أن تنزيلا تخصص بالصفة فساغ وقوعه مبتدا (بصلت آياته) بينت وجعلت تفاصيل في معان مختلفة من أحكام وأمثال ومواعظ وغير ذلك وقرئ فصلت أي فرقت بين الحق والباطل أو فصل بعضها من بعض باختلاف معانيها من قولك فصل من البلد (قرآنا عربيا) نصب على الاختصاص والمدح أي أريد بهذا الكتاب المنزل قرآنا من صفته كيت وكيت وقيل هو نصب على الحال أي فصلت آياته في حال كونه قرآنا عربيا (لقوم يعلمون) أي لقوم عرب يعلمون ما نزل عليهم من الآيات المفصلة البينة بلسانهم العربي البين لا يلتبس عليهم شيء منه (فان قلت) بم يتعلق قوله لقوم يعلمون (قلت) يجوز أن يتعلق بتنزيل أو بفصلت أي تنزيل من الله العلي العلم أو فصلت آياته لهم والأجود أن يكون صفة ثانية لقرآنا أو حالا منه بعد حال أي قرآنا عربيا كائنا لقوم عرب لئلا يفرق بين الصلات والصفات * وبشيرا ونذيرا صفة للكتاب أو خبر مبتدا محذوف (فهم لا يسمعون) لا يقبلون ولا يطيعون من قولك تشفعت الى فلان فلم يسمع قولي ولم تسمعه ولكنه لما رفضه ولم يعمل بمقتضاه فكأنهم لم يسمعوه * ولا كناية جمع كنان وهو الغطاء * والوقر بالفتح الثقل وقرئ بالكسر وهذه تمثيلات لتباعدهم عن قبول الحق واعتقاده كأنها في غلف وأعطية تمنع من نفوذه فيها كقوله تعالى وقالوا قلوبنا غلف وجعل أسماعهم لما كان بها صماء عنه ولتباعد المذهبين والدينين كان بينهم وبين ما هم عليه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ومما هو عليه حجابا ساترا وما جاز استعماله من جعل أو نحوه فلا تلافي ولا ترائي (فاعمل) على دينك (انا عاملون) على ديننا أو فاعمل في ابطال أمرنا انا عاملون في ابطال أمرك وقرئ انا عاملون * (فان قلت) هل لزيادة من في قوله ومن بيننا وبينك حجاب فائدة (قلت) نعم لانه لو قيل وبيننا وبينك حجاب لكان المعنى ان هنا

حاصل

حجابا لا فراغهم ولو لا ذكر من فيها لكان المعنى على أن في المسافة بينهما حجابا فقط اه كلامه

(قلت) لا يتعلق المعنى بدخول من مما كان عليه قبل ولو كان الامر كذلك ذكرت كانت من مقدرة مع بين الثانية لانه جعلها مفيدة للابتداء في الثانية كما هي مفيدة للابتداء في الاولى فيكون التقدير اذا ومن بيننا وبينك حجاب وهذا يخل بمعنى بين اخلالا بينا فانها تأبى تكرار العامل معها حتى لو قال القائل جلست بين زيد وجلست بين عمرو لم يكن مستقيما لان تكرار العامل يصيرهما داخلة على مفرد فقط وبسقوطها عن غير يتم المقسم ومن شأنها الدخول على متعددا لان في ضمن معناها التوسط وزاد الزمخشري على هذا

الفعل بين الثانية غير الاول لانه جعل الاول بجهتهم والثانية بجهته وليس الامر كما ظنه بل بين الاولى هي الثانية بعينها وهي عبارة عن الجهة المتوسطة بين المضافين وتكرارها انما كان لان العطف مضمن محفوظ فوجب تكرار ما قام هو مقامه بين والدليل على هذا انه لا تفاوت باتفاق بين ان تقول جلست بين زيد وعمرو وبين أن تقول جلست بين زيد بين عمرو واعاد ذكرهم الظاهر جوازا ومع الضمر وجوبا بالمابنة. فاذا وضح ذلك فالظاهر والله أعلم ان موقع من ههنا كموقعه في قوله تعالى وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا ذلك للاشعار بأن الجهة المتوسطة مثلا بينهم وبين النبي عليه الصلاة والسلام سبباً لحجاب الغير ووجود من قريب من عدمها ألا ترى الى آخر هذه الآية كيف لم يستعمل فيها من وهي قوله تعالى واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا وجعلنا على قلوبهم أكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا وكلام الزمخشري هذا اذا امتحنته بالتحقيق الذي ذكرناه تبين ضعفه والله الموفق وفي هذه الآية وأختها من الدلالة والبلاغة ما لا يليق ان (٣٢٥) ينتظم الا في درر الكتاب العزيز

حاصل وسط الجهتين وأبلغ زيادة من قائلي أن يجابا ابتدأ منا وانتهاء منك فالواسطة جهتا وجهتك مستوعبتا الجناب لارتفاع فيها (فان قلت) هلا قيل على قلوبنا أكنة كما قيل وفي آذاننا وقرا ليكون الكلام على نمط واحد (قلت) هو على نمط واحد لانه لا فرق في المعنى بين قولك قلوبنا في أكنة وعلى قلوبنا أكنة والدليل عليه قوله تعالى انا جعلنا على قلوبهم أكنة وقوله وقيل اللهم لا نجعل قلوبهم في أكنة لاختلاف المعنى وترى المتابيع منهم لا يراعون الطباق والاحتفاظ الا في المعاني (فان قلت) من أين كان قوله (انما أنا بشر مثلكم يوحى الي) جوابا لقولهم قلوبنا في أكنة (قلت) من حيث انه قال لهم اني لست بملك وانما أنا بشر مثلكم وهذا وحي الي تسوكم صحت الوحي الي وأنا بشر مثلكم وإذا صحت نبوتي وجب عليكم اتباعي وفيما يوحى الي القرآن الذي هو أعظم معجزاتي فاستقيموا اليه (فاستقيموا اليه) فاستووا اليه بالتوحيد واخلاص العبادة غير ذاهبين يمينا وشمالا كما لا تلتفتون الى ما يسول لكم الشيطان من اتخاذ الاولياء والشفعاء (وويل لهم) كما يقول لكم من الشرك (للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة) وقرئ (قال انما أنا بشر (قال رب) لم خص من بين أوصاف المشركين منع الزكاة مقرونا بالكفر بالآخرة (قلت) لان أحب شيء الى الانسان ماله وهو شقيق روحه فاذا بذله في سبيل الله فذلك أقوى دليل على ثباته واستقامته وصدق نيته وتصوع طويته ألا ترى الى قوله عز وجل ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم أي ينفقون أنفسهم ويبذلون على ثباتها بانفاق الاموال وما خدع المؤلفة قلوبهم الا بقلة من الايمان فنزلت عند منعهم ولانت شكيمتهم واهل الردة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ظاهروا الا بمنع الزكاة فنصت لهم الحرب وجوهدوا وقوتلوا حتى أدوا الزكاة وتخويف شديد من منعها حيث جعل المنع من أوصاف المشركين وقرن بالكفر بالآخرة وقيل كانت قريش يطعمون الطاعم ويسقون من آمن منهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لا يضلون ما يكرمون بالزكاة أعوهو الايمان * الممنون المقطوع وقيل لا يمن عليهم لانه انما يمن التفضل فلما لا أجر فيه فلا أداؤه وقيل نزلت في المرضى والزمنى والعمى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر كما كانوا يعملون (أئنكم) بهمزتين الثانية بين بين وأئنكم بالف بين همزتين (ذلك) الذي قدر على خلق الارض في مدة يومين هو (رب العالمين * رواسي) جبالا ثوابت (فان قلت) ما معنى قوله (من فوقها) وهلا اقتصر على قوله وجعل فيها رواسي كقوله تعالى وجعلنا فيها رواسي شامخات وجعلنا في الارض رواسي ان تميد (قلت) أو كانت نحرا كالاساطين

فانها اشتملت على ذكر حجب ثلاثة متوالية كل واحد منها كاف في نفسه فأولها الحجاب

انما أنا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم الله واحد فاستقيموا اليه واستغفروه وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم كافرون ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها

الحائل الحاجز وبابه حجاب الصمم أو أسماها الحجاب الذي أسكن القلب والسادة لما قلم تدع هذه الآية حجابا من تحيا الا أسبلته ولم

تبق لهؤلاء الاشقياء مسطحا ولا صرحيا الا استلبته فسأل الله كشابته * قوله تعالى قل انما أنا بشر مثلكم الآية (قال) فان قلت كيف كان هذا جوابا لما تقدمه (وأجاب) بما تضمنه مقول لنا أو القبول منه عليه السلام والاباء هم على الاباء بدأهم باقامة الحجة على وجوب القبول منه فأبوه بشرمثلهم لا قدرة له على اظهار المعجزات التي ظهرت وانما القادر على اظهارها هو الله تعالى تصديقا له عليه الصلاة والسلام ثم بين لهم بعد قيام الحجة عليهم أهم مأمورون به وهو التوحيد والشرح تحت الاستقامة جميع تفاصيل الشرع وتم ذلك بانذارهم على ترك القبول بالويل الطويل * قوله تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة (قال فيه) فان قلت لم خص الزكاة وأجاب بان أحب الاشياء الى الانسان ماله وهو شقيق روحه فبذله مصداق لاستقامته وتصوع طويته وبما خدع المؤلفة قلوبهم الا بقلة من الديانة وأهل الردة ما ظاهروا والامنع الزكاة فنصبت لهم الحرب وجوهدوا اه كلامه (قلت) كلام حسن بعد تبديل قوله وبما خدع المؤلفة فان استمالة الخداع غير لائق لانهم انما تألفهم عليه الصلاة والسلام على الايمان من قبيل الملاطفة ودفع السيئة بالحسنة وبما ذهب هذا النحو

*قوله تعالى أئنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين (قال فيه) ان قوله فى أربعة أيام فذلكه بعدة خلق الله الارض وما فيها كله قال وقدر فيها أقواتها فى يومين آخرين فذلك أربعة أيام سواء اقال ومعنى سواء كاملة مستوية لا زيادة ولا نقصان ينقل عن الزجاج ان معنى الآية تمة أربعة أيام يريد التمة اليومين * ثم قال فان قلت ثم تعلق قوله للسائلين وأجابا به متعلق بمحذوف كانه قيل هذا الحصر لاجل سائلى كم خلقت الارض وما فيها أو بقدر أى قدر فيها الأقوات لاجل السائلين المحتاجين اليها من القائلين ثم قال وهذا الوجه الاخير لا يستقيم الا على تفسير الزجاج انتهى كلامه (قلت) ليس امتناعه على التفسير الاول وتحن نبينه فنقول مقتضى التفسير الاول ان قدر أربعة أيام فذلكه وقوعها فى طرف الكلام بعدتمامه فلو جعل قوله للسائلين متعلقا بقدر لزم وقوع الفذلكة فى حشا الكلام ولا كذلك على تفسير الزجاج (٣٢٦) فان الاربعة على قوله من تمة الاول وهى متعلقة بقدر على تأويل حذف التمة

تعلق الظرف بالظروف ليسلم ذلك اتمام الكلام وبيان المقصود من خلق الاقوات بعد بيان من خلقها وتفسير الزجاج والله أعلم أرجح فانه يشتمل على ذكر مدة خلق

وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين

الاقوات بالتأويل القريب الذى قدره ومتضمن لما يقوم مقامه الفذلكة اذ كرجملة المدد الذى هو ظرف لخلقها وخلق أقواتها وعلى تفسير الزجشرى تكون الفذلكة

للمستقر عليها أمر كوز فيها كالمسامير لئلا تمور من البدان أرسا واثبتا اختار أرساءها فوق الارض لتكون المنافع فى الجبال معرضة لطلبها حاضرة لمحصلها وليصير أن الارض والجبال أثقال على أثقال كلها مفتقرة الى عمل لا بد لها منه وهو تمسكها عن رعلا بقدرته (وبارك فيها) وأكثر خيرها وأنماءه (وقدر فيها أقواتها) أرزاق أهلها وما يصلحهم وفى قراءة ابن مسعود وقسم فيها أقواتها (فى أربعة أيام سواء) وذلك كله مدة خلق الله الارض وما فيها كله قال كل ذلك فى أربعة أيام كاملة مستوية بلا زيادة ولا نقصان قيل خلق الله الارض فى يوم الاحد ويوم الاثنين وما فيها يوم الثلاثاء ويوم الاربعاء وقال الزجاج فى أربعة أيام فى تمة أربعة أيام يريد التمة اليومين وعنى سواء الجر كات الثلاث الجر على الوصف والنصب على استوت سواء أى استووا والرفع على هى سواء * ثم تعلق قوله (للسائلين) (قلت) محذوف كانه قيل هذا الحصر لاجل من سأل فى كم خلقت الارض وما فيها أو بقدر أى قدر فيها الأقوات لاجل الطالبين لها المحتاجين اليها من القائلين وهذا الوجه الاخير لا يستقيم الا على تفسير الزجاج (قان قلت) هلا قيل فى يومين وأى فائدة فى هذه الفذلكة (قلت) اذا قال فى أربعة أيام وقد ذكر أن الارض خلقت فى يومين علم أن ما فيها خلق فى يومين فبقيت الخواطر متشوفة أن تقول فى يومين وان تقول فى أربعة أيام سواء فكانت فى أربعة أيام سواء فائدة ليست فى يومين وهى الدلالة على أنها كانت أياما كاملة غير زيادة ولا نقصان ولو قال فى يومين وقد يطلق اليومان على أكثرهما لكان يجوز أن يريد باليومين الاولين والآخرين أكثرهما (ثم استوى الى السماء) من قولك استوى الى مكان كذا اذا توجه اليه توجها لا يلوى على شئ وهو من الاستواء الذى هو ضد الاعوجاج ونحوه قولهم استقام اليه واستمد اليه ومنه قوله تعالى فاستقيموا اليه والمعنى ثم دعاه داعى الحكمة الى خلق السماء بعد خلق الارض وما فيها من غير صارف يصرفه عن ذلك قيل كان عرشه قبل خلق السموات والارض على الماء فأخرج من الماء دخانا فارتفع فوق الماء وعلاه فأيبس الماء فجعله أرضا واحدة ثم فتقها فجعلها أرضين ثم خلق السماء من الدخان المرتفع * ومعنى أمر السماء والارض الاتيان والمثول بما أريد تكوينهما فيه ووجدا كما أرادهما وكان ذلك كالمأمور المطيع اذا ورد عليه فعل الآمر المطاع وهو من المجاز الذى يسمى التخييل ويجوز أن يكون تخييلا وبنى الامر فيه على أن الله تعالى كلم السماء والارض وقال لهما ائتيا شئتما ذلك أو أبيتماه فقالتا أتينا طائعين لا على الكره والغرض تصوير أثر قدرته فى المقدورات لا غير من غير أن يحقق شئ من الخطاب والجواب ونحوه قول

ما ذكر وه من غير تقدم تصريح بجملة تشاء لما فائدة لم يذكر هنا لتوى يومين خاصة ومن شأن الفذلكة

العاقل أن يقدم النص على جميع أعدادها متصلة ثم تأتى هى على الجملة كقوله فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة * قوله تعالى ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين (قان قيه) اما أن يكون هذا من مجاز التخييل كأن عدم امتناعها على قدرته استمثل للأمور المطيع اذا ورد عليه الامر المطاع نهذا وجه واما أن يكون تخييلا فيه الامر فيه على ان الله تعالى كلم السموات والارض فأجابته والغرض تصوير أثر القدرة فى المقدور من غير أن يحقق شئ من الخطاب والجواب ومثله قول القائل قال الحائط للوتد لم تشقنى فقال الوتد اسأل من يدقنى لم يتركنى ورأيى الخرلذى ورأى له كلامه (قلت) قد تقدم انكارى عليه اطلاق التخييل على كلام الله تعالى فان معنى هذا الاطلاق لو كان صحيحا والمراد منه التصوير لوجب اجتناء التعبير عنه بهذه العبارة لما فيها من ايهام سوء أدب والله أعلم

قوله تعالى ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين الآية (قال) فان قلت لم ذكر الارض مع السماء وانتظمها فى الامر بالاتيان معها والارض مخلوقة قبل السماء بيومين وأجاب بأنه قد خلق يوم الارض أولا غير مدحوة ثم دحاها بعد خلق السماء كما قال والارض بعد ذلك دحاها فالمعنى ائتيا على ما ينبغى من الشكل التى يأرض مدحوة وقرارا مهادا والتى يا سماء مستقيمة * ثم قال فان قلت ما معنى طوعا أو كرها وأى باب له تحتمل اللزوم أو التخيير فيهما كما يقول الجبار لمن تحت يده افعل هذا شئت أو أبيت * ثم قال فان قلت هلا قيل طائعتين على اللفظ وطائعات على المعنى لانهما سماوات وأرضون وأجاب بانه لما جعلن مخاطبات ومجيبات وموصوفات بالطوع والكره قيل طائعين فى موضع طائعات نحو قوله ساجدين له كلامه (قلت) لم يتحقق الجواب عن السؤال الآخر وذلك أن فى ضمن الآية سؤالين أحدهما لم ذكرها وهى مؤنثة وهذا هو السؤال الذى أورده الثانى أقيم العقلاء وهى لا تعقل وهذا لم يذكره فالجواب الذى ذكره مختص بالسؤال الذى لم يذكره وهذا نظير ما يقوله ساجدين فان تلك الآية ليس فيها سوى السؤال عن كونها جمعت جمع العقلاء (٣٢٧) فاما السؤال الآخر فلان الكلام راجع الى الكواكب وهى مذكرة والشمس وان كانت مؤنثة لان الأغلب فى الكلام التذكير على المؤنث على المنهاج المعروف فاما هذه الآية فقد زيد فيها ما يقتضى سبع سموات فى يومين وأوحى كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح على ذلك بهذا السؤال الآخر وهو أن جميع ما تقدم ذكره من السموات والارض مؤنثة فيقال أولا لم ذكرها وثانيا لم أن جمعها المذكر على نعت جمع العقلاء ليتحقق تمشية السؤال الجواب والطوع اللذين يختصان بالعقلاء لانها ولم يوجد فى جمع المؤنث عدول الى جمع المذكر لوجود المسببة المرشدة الى العقل فيه ت الفائدة بذلك على تأويل السموات والارض بالافلاك مثلا وما فى معناها من المذكر ثم غلب المذكر على المؤنث ولا يعدم مثل هذا التأويل فى الارضين أيضا * قوله تعالى فقضاهن سبع سموات فى يومين (قال فيه) فيل ان الله تعالى خلق السموات وما فيها فى يوم الخميس ويوم الجمعة وفرغ آخر ساعة من يوم الجمعة وخلق آدم فى تلك اليوم وفيه تقوم القيامة ثم استدل بذلك على ما ذكره من أنه لو قال فى يومين فى موضع أربعة أيام سواء لم يعلم أنهما يومان كاملان أو ناقصان اه كلامه (قلت) كأنه يستدل باهمال اليومين عن التأكيد ت لم يكن خلق السموات بما فيها فى جملة اليومين على أنه انما خلق ذلك أيام خلق الارض بما فيها لانه لو فصلها لم يكن فيها دليل على إعجاب الخلق لكل يومين منها بل كان يجوز أن يكون الخلق فى أحد اليومين وبعض الآخر كما كان فى هذه الآية على التفصيل الذى ورد هذا لا يتم له متمسك فرض فان لقائل أن يقول انما كان خلق السموات بما فيها فى يومين كاملين لان آدم لم يكن فى السموات أو بخلقه كملت السموان على مقتضى ما خلق فيهما

* قوله تعالى أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة (قال فيه) القوة الشدة في البنية ونقيضها الضعف والقدرة ما لأجله يصح الفعل من الفاعل وهي نقيضة العجز فإن وصف الله تعالى بالقوة فهذا بمعنى القدرة وليست القوة على حقيقتها فكيف صح (وهو) أشد منهم قوة ولا بد أن يراد بالقوة (٣٢٨) في الموضعين شيء واحد وأجاب عنه بأن القدرة في الإنسان صحة البنية والاعتدال والقوة زيادة في القدرة فكما صح أن يقال الله أقدر منهم صح أن يقال أقوى منهم على معنى أنه يقدر لذاته على ما لا يقدرون عليه بازدياد قدرتهم انتهى كلامه (قلت) فسر القدر على خلاف ما هي في اعتقاد المتكلمين فإن سلم له من حيث اللغة فقد نكص عنها إلى حمل القدرة في الآية على مقتضاها في فن الكلام وجعل التفضيل من حيث إن الله تعالى قادر لذاته أي بلا قدرة والمخلوق قادر بقدرة على القاعدة الفاسدة القدرية ونظير هذا التفسير في الفساد تفسير قول القائل زيد أعلم من عمرو بإثبات صفة العلم للمفضول وسلبها بالكلية عن الأفضل وهل هذا إلا عتو وعمى في اتباع الهوى وتعمه فالحق أن التفضيل إنما جاء من جهة أن القدرة الثابتة للعبد قدرة مقارنة لفعله لا قبله وبعده مفقودة غير مؤثرة في الفعل الراجح في محلها فضلا عن تجاوزها إلى غيره وقدرة الله جلت قدرته مؤثرة في المقدورات موجودة أزلا وأبدا عامة التعلق بجميع الكائنات من الممكنات فهذا هو النور الذي لا يلوح إلا من إثبات عقائد السنة لمن سبقت له من الله

وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألا تعبدوا إلا الله قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة فإنا بما أرسلتم به كافرون فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أولم يروا أن الله الذي خلقهم

أو شأنها وما يصلحها (وحفظا) وحفظناها حفظا يعني من المسترقة بالثواقب ويجوز أن يكون مفعولا له على المعنى كأنه قال وخلقنا المصابيح زينة وحفظا (فإن أعرضوا) بعدما تتلو عليهم من هذه الحجج على وحدانيته وقدرته * فحذرهم أن تصيبهم صاعقة أي عذاب شديد الوقع كأنه صاعقة * وقرئ صعقة مثل صعقة عاد وثمود وهي المرة من الصعق أو الصعق يقال صعقته الصاعقة صعقا فصعق صعقا وهو من باب فعلته ففعل (من بين أيديهم ومن خلفهم) أي أتوهم من كل جانب واجتهدوا بهم وأعملوا فيهم كل حيلة فلم يروا منهم إلا العتو والإعراض كما حكى الله تعالى عن الشيطان لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم يعني لآتينهم من كل جهة ولأعملن فيهم كل حيلة وتقول استدرت بفلان من كل جانب فلم يكن لي فيه حيلة * وعن الحسن أنذروهم من وقائع الله فيمن قبلهم من الأمم وعذاب الآخرة لأنهم إذا حذروهم ذلك فقد جاءوهم بالوعظ من جهة الزمن الماضي وما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل وما سيجري عليهم * وقيل معناه إذ جاءتهم الرسل من قبلهم ومن بعدهم (فإن قلت) الرسل الذين من قبلهم ومن بعدهم كيف يوصفون بأنهم جاءوهم وكيف يخاطبونهم بقولهم إنا بما أرسلتم به كافرون (قلت) قد جاءهم هود وصالح داعيين إلى الإيمان وبجميع الرسل ممن جاء من بين أيديهم أي من قبلهم ومن خلفهم أي من بعدهم فكأن الرسل جميعا قد جاءوهم وقولهم إنا بما أرسلتم به كافرون خطاب منهم لهود وصالح ولسائر الأنبياء الذين دعوا إلى الإيمان بهم * أن في (ألا تعبدوا) بمعنى أي أو مخففة من الثقيلة أصله بأنه لا تعبدوا أي بأن الشأن والحديث قولنا لكم لا تعبدوا * ومفعول شاء محذوف أي (لو شاء ربنا) إرسال الرسل (لأنزل ملائكة فإنا بما أرسلتم به كافرون) معناه فإذا أنتم بشر ولستم بملائكة فإنا لا نؤمن بكم وبما جئتم به وقولهم ليس بإقرار بالإرسال وإنما هو على كلام الرسل وفيه تهكم كما قال فرعون إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون * روي أن أبا جهل قال في ملإ من قريش قد التبس علينا أمر محمد فلو التمستم لنا رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر فكلمه ثم أتانا ببيان عن أمره فقال عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر وعلمت من ذلك علما وما يخفى علي فأتاه فقال أنت يا محمد خير أم هاشم أنت خير أم عبد المطلب أنت خير أم عبد الله فيم تشتم آلهتنا وتضللنا فإن كنت تريد الرياسة عقدنا لك اللواء فكنت رئيسنا وإن تك بك الباءة زوجناك عشر نسوة تختار من أي بنات قريش شئت وإن كان بك المال جمعنا لك من أموالنا ما تستغني به ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت فلما فرغ قال بسم الله الرحمن الرحيم حم إلى قوله صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فأمسك عتبة على فيه وناشده بالرحم ورجع إلى أهله ولم يخرج إلى قريش فلما احتبس عنهم قالوا ما نرى عتبة إلا قد صبأ فانطلقوا إليه وقالوا يا عتبة ما حبسك عنا إلا أنك قد صبأت فغضب وأقسم لا يكلم محمدا أبدا ثم قال والله لقد كلمته فأجابني بشيء والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر ولما بلغ صاعقة عاد وثمود أمسكت بفيه وناشدته الرحم أن يكف وقد علمتم أن محمدا إذا قال شيئا لم يكذب فخفت أن ينزل بكم العذاب (فاستكبروا في الأرض) أي تعظموا فيها على أهلها بما لا يستحقون به التعظيم وهو القوة وعظم الأجرام أو استعلوا في الأرض واستولوا على أهلها بغير استحقاق للولاية (من أشد منا قوة) كانوا ذوي أجسام طوال وخلق عظيم وبلغ من قوتهم أن الرجل كان ينزع الصخرة من الجبل فيقتلعها بيده (فإن قلت) القوة هي الشدة والصلابة في البنية وهي نقيضة الضعف وأما القدرة فما لأجله يصح الفعل من الفاعل من تميز بذات أو بصحة بنية وهي نقيضة العجز والله سبحانه وتعالى لا يوصف

قوله تعالى وأما ثمود فهديناهم (قال فيه) فدللناهم على طريق الضلالة والرشد * ثم قال فان قلت أليس معنى هديته حصلت له الهدى قيل عليه قولك هديته فاهتدى فكيف ساغ استعماله في الدلالة المجردة وأجاب بأنه سمعتهم وأزاح علتهم ولم يبق لهم عذرا ولا علة فأثبت حصول البغية فيهم بتحصيل موجبها * ثم قال ولو لم يكن في القرآن حجة على القدرية الذين هم مجوس هذه الامة بشهادة نبيها عليه الصلاة والسلام وكفى به شهيدا لاهذه الآية لكفى بها حجة انتهى كلامه (قلت) قد أنطقه الله الذي أنطق كل شئ بأن القدرية مجوس هذه الامة بشهادة النبي عليه الصلاة والسلام وقد شهد صحبه الاكرمون ان الطائفة الذين (٣٢٩) قالوا القدرية المتجسة الذين أديانهم أديان النجاسة متجسة

هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا في أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون ويوم يحشر أعداء الله الى النار فهم يوزعون حتى اذا ما جاؤها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شئ وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم

فهم أول منفور طي هذا

القوة الاعلى معنى القدرة فكيف صح قوله (هو أشد منهم قوة) وانما يصح اذا أريد بالقوة في الموضعين شئ واحد (قلت) القدرة في الانسان هي صحة البنية والاعتدال والقوة والشدة والصلابة في البنية حقيقتها زيادة القدرة فكما صح أن يقال الله أقدر منهم جاز أن يقال أقوى منهم على معنى أنه يقدر لذاته على ما يقدرون عليه مزيادة درهم (يجحدون) كانوا يعرفون أنها حق ولكنهم يجحدونها كما يجحد المودع الوديعة وهو معطوف على فاستكبروا أي كانوا كفرة فسقة * الصرصر الباصفة التي تصرصر أي تصوّت في هبوبها وقيل الباردة التي تحرق بشدة بردها تسكر برلبناء المرو وهو البرد الذي يصر أي يجمع ويقبض الماشات) قرئ بكسر الحاء وسكونها ونحس نحسات بتقديم سدسدا وهو نحس وأما نحس فانه مخفف نحس صفة على فعل كالضخم وشبهه أو وصف بمصدر * وقرئ لنذيقهم على أن الاذاقة للريح أو للايام النحسات ما أضاف العذاب الى الخزي وهو الذل والاستكانة على أنه وصف للعذاب كأنه قال عذاب خزي كما تقول فعل السوء تريد الفعل السيئ والدليل عليه قوله تعالى (ولعذاب الآخرة أخزى) وهو من الاسناد المجازي ووصف العذاب بالخزي أبلغ من وصفهم به ألا ترى الى البون بين قولك هو شاعر وله شعر شاعر * وقرئ ثمود بالرفع على الابتداء ومنتا وغير منون والرفع أفصح لوقوعه بعد حرف الابتداء وقرئ بضم الثاء (فهديناهم) فدللناهم على طريق الضلالة والرشد كقوله تعالى وهديناه النجدين (فاستحبوا العمى على الهدى) فاختاروا الدخول في الضلالة على الدخول في الرشد (فان قلت) أليس معنى هديته جعلت فيه الهدى والدليل عليه قولك هديته فاهتدى بمعنى تحصيل البغية وحصولها كما تقول رددته فارتد فكيف ساغ استعماله في الدلالة المجردة (قلت) الدلالة على أنه مكنهم وأزاح علتهم ولم يبق لهم عذرا ولا علة فكأنه تحصيل البغية فيهم بتحصيل موجبها وبمقتضاها (صاعقة العذاب) داهية العذاب وقارعة العذاب و (الهون) الهوان ووصف به العذاب للمبالغة أو لبنائه على فاعل ولو لم يكن في القرآن حجة على القدرية الذين هم مجوس هذه الامة بشهادة نبيها صلى الله عليه وسلم وكفى به شاهدا لاهذه الآية لكفى بها حجة * قرئ يحشر على البناء للمفعول ونحشر بالنون ويحشر بالشين وكسر الشين ويحشر على البناء للفاعل أي يحشر الله عز وجل (أعداء الله) الكفار من الاولين والآخرين (يوزعون) أي يحبس أولهم على آخرهم أي يستوقفون حتى يلحق بهم تواليهم وهي عبارة عن كثرة أهل النار نسأل الله أن يجيرنا منها برحمته * (فان قلت) ما في قوله (حتى اذا ما جاؤها) ما هي (قلت) هي مزيدة للتأكيد ومعنى التأكيد فيها أن وقت مجيئهم النار لا محالة أن يكون وقت الشهادة عليهم لا وجه لان يخلو منها ومثله قوله تعالى أثم اذا ما وقع آمنتم به أي لا بد لوقت وقوعه من أن يكون وقت ايمانهم * شهادة الجلود بالملامسة للمحارم وما أشبه ذلك مما يقضي البواعث المحرمات (فان قلت) كيف تشهد عليهم أعضاؤهم وكيف تنطق (قلت) الله عز وجل ينطقها كما أنطق الشجرة بأن يخلق فيها كلاما وقيل المراد بالجلود الجوارح وقيل هي كناية عن الفروج * أراد بكل شئ كل شئ من الحيوان كما أراد به في قوله تعالى والله على كل شئ قدير كل شئ من المقدورات والمعنى أن ظننتم بجهلكم من قدرة الله الذي قدر على انطاق كل حيوان وعلى خلقكم وانشائكم أول مرة وعلى اعادتكم ورجعكم الى جزائه واذا قالوا لهم (لم شهدتم علينا)

٤٢ كشاف في السلك وهبط في مهواة هذا الهلك * ولنرجع الى أصل الكلام فنقول الهدى من الله تعالى عند أهل السنة خلق هو خلق الهدى في قلوب المؤمنين والاضلال خلق الضلال في قلوب الكافرين ثم ورد الهدى على غير ذلك من الوجوه مجازا واتساعا وهذه الآية فان المراد فيها بالهدى الدلالة على طريقة كما فسره الزمخشري وقد اتفق الفريقان أهل السنة وأهل البدعة على ان استعمال الهدى ههنا مجاز ثم ان أهل السنة يحملونه على المجاز في جميع موارده في الشرع فأي الفريقين أحق بالامن ان كنتم تعلمون وأي دليل

في هذه الآية على أهل السنة لاهل البدعة حتى يرميهم بما ينعكس الى نحرهم ويذيقه وبال أمره * قوله تعالى وقيضنا لهم قرناء الخ فيه كيف جاز أن يقيض لهم قرناء من الشياطين وهو ينهاهم عن اتباع خطواتهم وأجاب بان معناه انه خذلهم ومنعهم ألطافه لتهاونهم على الكفر فلم يبق لهم قرناء سوى الشياطين والدليل عليه قوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن الآية انتهى كلامه (قلت) جواب هذا السؤال على مذهب

لما تعاظمهم من شهادتها وكبر عليهم من الافتضاح على السنة جوارحهم * المعنى أنكم كنتم تستترون بالحيطان والحجب عند ارتكاب الفواحش وما كان استتاركم ذلك خيفة أن تشهد عليكم جوارحكم لانكم غير عالمين بشهادتها عليكم بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء أصلا ولكنكم لما استتر تم لظنكم (أن الله لا يعلم كثيرا مما) كنتم (تعملون) وهو الخفيات من أعمالكم * وذلك الظن هو الذي أهلكم وفي هذا تنبيه جيد على أن من حق المؤمن أن لا يذهب عنه ولا يزول عن ذهنه أن عليه من الله عينا كالئة ورقيبا معنا حتى يكون في أوقات خلواته من ربه أهيب وأحسن احتشاما وأوفر تحفظا وتصونا منه مع الملا ولا يتبسط في سره مما يحتشم من التشبيه بهؤلاء الظانين * وقرئ ولكن زعمتم (وذلكم) رفع بالابتداء و (ظنكم) و (أرداكم) خبراه ويجوز أن يكون ظنكم بدلا من ذلكم وأرداكم الخبر (فان يصبروا) لم ينفعهم الصبر ولم يستعتبوا وهو من قولهم في النار (وان يستعتبوا) وان سألوا العتبى وهي الرجوع لهم الى ما يحبون جزعا مما هم فيه لم يجابوا ولم يعطوا العتبى ولم يجابوا الى ما دعوه عز وعلا أجزعنا أم صبرنا لنا من محيص وقرئ وان يستعتبوا بالبناء للمفعول أي ان سئلوا أن يرضوا ربهم فما هم فاعلون أي لا سبيل لهم الى ذلك (وقيضنا لهم) وقدرنا لهم (قرناء) من شياطين الانس والجن (فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم) من أمر الدنيا واتباع الشهوات (وحق عليهم القول) بمعنى كلمة العذاب (في أمم) في جملة أمم

يعني اشركي مكة يقال هذان توبان قيضان اذا كانا متكافئين والمقايضة المعاوضة (قرناء) أخصاء الشياطين جمع قرين كقوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين (فان قلت) جاز أن يقيض لهم القرناء من الشياطين وهو ينهاهم عن اتباع خطواتهم (قلت) معناه أنه خذلهم ومنعهم التوفيق لتهاونهم على الكفر فلم يبق لهم قرناء سوى الشياطين والدليل عليه ومن يعش نقيض له (ما بين أيديهم وما خلفهم) ما تقدم من أعمالهم وما هم عازمون عليها وما بين أيديهم من أمر الدنيا واتباع الشهوات وما خلفهم من أمر العاقبة وأن لا بعث ولا حساب (وحق عليهم القول) يعني كلمة العذاب (في أمم) في جملة

ومثل في هذه ما في قوله

ان تك أحسن السنيعة منهما * فلقد أتيت بها وأنت حميد

يريد فأنت في جملة آخرين وأنت في عداد آخرين لست في ذلك بأوحد (فان قلت) في أمم ما محله (قلت) النصب على الحال من الضمير في عليهم أي حق عليهم القول كائنين في جملة أمم (انهم كانوا خاسرين) تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير لهم وللام * وقرئ وألغوا فيه بضم الغين وضمها يقال لغى يلغى ولغا يلغو الساطع من الكلام الذي لا طائل تحته قال من اللاغرفث المتكلم والمعنى لا تسمعوا له اذا قرئ وتشاغلوا عند قراءته برفع الاصوات بالخرافات والهذيان والرمل وما أشبه ذلك حتى تخلطوا على القارئ وتشوشوا عليه وتغلبوه على قراءته كانت قريش يوصي بذلك بعضهم بعضا (فلنذيقن الذين كفروا) يجوز أن يريد بالذين كفروا هؤلاء الملاعين والآخرين فهم باللغو خاصة وأن يذكر الذين كفروا عامة ليتناول اللغو وغيره وذكرهم وذكر النار الصفة أسوأ أعم في عن اعادته وعن ابن عباس (عذابا شديدا) يوم بدر و (أسوأ الذي كانوا يعملون) الآخرة (ذلك) اشارة الى الاسوإ ويجب أن يكون التقدير أسوأ جزاء الذي كانوا يعملون حتى تستقيم الاشارة و (النار) عطف بيان للجزاء أو خبر مبتدإ محذوف (فان قلت) ما معنى قوله تعالى لهم فيها دار الخلد (قلت) معناه أن النار في نفسها دار الخلد كقوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة والمعنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة حسنة وتقول لك في هذه الدار دار السرور وأنت تعني الدار بعينها (جزاء

تأولها الزمخشري ليتمها هواه الفاسد في اعتقاده أن الله تعالى لا ينهى عما يريد وان وقع النهي عنه فعلى خلاف الارادة تعالى الله عن ذلك وبه نستعيذ من جعل القرآن تبعا للهوى وحينئذ فنقول لو لم يكن

كانوا

في القرآن حجة على القدرية الذين هم مجوس هذه الامة بشهادة نبيها عليه الصلاة والسلام سوى هذه الآية لكفى بها فهذا من

هذه المقالة التي أنطقه بها الله الذي أنطق كل شيء في الآية التي قبل هذه

كانوا آباءنا يجحدون وقال الذين كفروا ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والانس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الاسفلين ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن أولياؤكم في الحيوة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اني من المسلمين ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم واما ينزغنك من الشيطان نزغ

آباؤنا يجحدون) أي جزاءما كانوا يأفكون فيه فاذكر الجحود الذي هو سبب الغي (اللذين أضلانا) أي الشيطانين اللذين أضلانا (من الجن والانس) لان الشيطان على ضربين جني وانسي قال الله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن وقال تعالى الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس وقيل ابليس وقابيل لانهما سنا الكفر والقتل بغير حق * وقرئ أرنا بسكون الراء لتثقل الكسرة كما قالوا في فخذ فخذ معناه أعطنا اللذين أضلانا وحكوا عن الخليل أنك اذا قلت أرني ثوبك بالكسر فالمعنى بصريه واذا قلته بالتسكين فهو استعطاء معناه اعطني ثوبك ونظيره اشهار الايتاء في معنى الاعطاء وأصله الاحضار (ثم استقاموا) في الاستقامة عن الاقرار في المرتبة وفضلها عليه لان الاستقامة هي الشأن كله ونحوه قوله تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا والمعنى ثم ثبتوا على الاقرار ومقتضياته وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه استقاموا فعلا كما استقاموا قولا وعنه أنه تلا هاتين قال ما استقاموا فيها قالوا لم يذنبوا وقال حملهم على أشد ما قال لا تقول قال لم يرجعوا الى عبادة الاوثان وعن عمر رضي الله عنه استقاموا على الطريقة كراوغان الثعالب وعن عثمان رضي الله عنه أخلصوا العمل وعن علي رضي الله عنه أدوا الفرائض وعن سفيان بن عبد الله الثقفي رضي الله عنه قلت يا رسول الله أخبرني بأمر أعتصم به قال قل ربي الله ثم استقم قلت ما أخوف ما تخاف علي فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسان نفسه وقال هذا (تتنزل عليهم الملائكة) عند الموت بالبشرى وقيل البشرى في ثلاثة مواطن عند الموت وفي القبر واذا قاموا من قبورهم (ألا تخافوا) ألا تعلموا أي أو مخففة من الثقيلة وأصله بأنه لا تخافوا والهاء ضمير الشأن وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه لا تخافوا الآي يقولون لا تخافوا ولا تحزنوا فيما تقدمون عليه مما يلحق لموقع المكروه * والحزن مما يلحق لفوت موعود به (ولا تحزنوا) فيما تخلفون من نافع أو حصول ضار * والمعنى أن الله كتب لكم الامن من كل غم فلن تذوقوه أبدا وقيل لا تخافوا ما تقدمون عليه ولا تحزنوا على ما خلفتم * كان الشياطين قرناء العصاة واخوانهم فكذلك الملائكة أولياء الذين آمنوا منهم في الدنيا (نحن أولياؤكم) نتولاكم * والنزل رزق النزيل وهو الضيف وانتصابه على الحال (في الحيوة الدنيا) عن ابن عباس رضي الله عنهما هو رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الى الاسلام (وعمل صالحا) فيما بينه وبين ربه وقيل الاسلام خلته وعنه أنهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عائشة رضي الله عنها كنا نتحدث أن هذه الآية نزلت في المؤذنين وهي عامة في كل من جمع بين هذه الثلاث أن يكون محسنا معتقدا لدين الاسلام مؤمنا بغيره داعيا اليه وما هم اطيبة العالمين العاملين من أهل العدل والتوحيد الداعين الى دين الله وقوله (وقال اني من المسلمين) ليس الغرض أنه تكلم بهذا الكلام ولكن جعل الاسلام مذهبه ومعتقده كما تقول هذا قول أبي حنيفة تريد مذهبه * يعني أن الحسنة والسيئة كما تتفاوتان في أنفسهما تتفاوتان في التأثير فادفع بالحسنة التي هي أحسن من بعض أعدائك ومثال ذلك رجل أساء اليك اساءة فالحسنة أن تدفعه عنه والتي هي أحسن أن تحسن اليه فان أساءة اليك مثل أن يدلك فتدعوه قتيل ولدك فتندي ولدك فمن يعفو عنه فانك اذا فعلت ذلك انقلب عدوك المشاق مثل الولي الحميم * وما قال (وما يلقاها) ثم قال وما يلقى هذه الخليقة أو السجية التي هي مقابلة الاساءة بالاحسان الا أهل الصبر * والاي رجل خير وفق لحظ عظيم من الخير (فان قلت) فهلا قيل ادفع التي هي أحسن (قلت) هو على تقدير قائل قال فكيف أصنع بقبيح أدفع بالتي هي أحسن * وقيل التي هي حسنة والمعنى ولا تستوي الحسنة والسيئة (فان قلت) فكان القياس على هذا التفسير أن يقال ادفع التي هي حسنة (قلت) أجل ولكن وضع التي هي أحسن موضع الحسنة ليكون أبلغ في الدفع بالحسنة لان من دفع بالحسنى هان عليه الدفع بما هو دونها وعن ابن عباس رضي الله عنهما بالتي هي أحسن الصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو عند الاساءة وفسر الحظ بالثواب وعن الحسن رحمه الله والله لا عظم حظ دون الجنة وقيل نزلت في أبي سفيان بن حرب وكان عدوا مؤذيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فصار وليا مصافيا * النزغ والنسغ بمعنى وهو شبه الحس والشيطان ينزغ الانسان كأنه يحثه بحثه على

مالا ينبغي وجعل النزغ نازغا كما قيل جد جده أو أريد وما ينزغنك نازغ فوصف الشيطان بالمصدر أو لتسر والمعنى وان صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع التي هي أحسن (فاستعذ بالله) من شره وامض لشأنك ولا تطعه * الضمير في (خلقهن) الليل والنهار والشمس والقمر لان حكم جماعة ما لا يعقل حكم الاناث يقال الاقلام بريتها وبريتهن أو لما قال ومن آياته كن في معنى الآيات وقيل خلقهن (فان استكبروا) أين موضع السجدة (قلت) عند الشافعي رحمه الله تعالى (تعبدون) وهي رواية مسروق عن عبد الله وتمم لفظ السجدة فيها وعند أبي حنيفة رحمه الله (يسأمون) لانهم أتموا المعنى وهي عن ابن عباس وابن عمر وعكرمة وابن المسيب لعل ناسا منهم كانوا يسجدون للشمس والقمر كالصابئين في عبادتهم الكواكب ويزعمون لا نعبدها لنتقرب بالسجود لها السجود لله فنهوا عن هذه الواسطة وأمروا أن يقصدوا بسجودهم وجه الله تعالى حيث كانوا اياه يعبدون وكانوا موحدين غير مشركين (فان استكبروا) ولم يمتثلوا أمرك وأبوا وأبوا هذه الواسطة فدعهم وشأنهم فان الله عز سلطانه لا يعدم عابدا ولا ساجدا بالاخلاص وله العباد الذين هم بالليل والنهار لا يفترون عن التسبيح لا يشغلهم عنه شاغل ولا يصدهم عنه صاد وقوله (عند ربك) عبارة عن الزلفى والمكانة والكرامة * وقرئ لا يسأمون بكسر الياء الخشوع التذلل والتقاعس فاستعير لحال الارض اذا كانت قحطة لا نبات فيها كما وصفها بالهمود قوله تعالى وترى الارض هامدة وهو خلاف وصفها بالاهتزاز والربو وهو الانتفاخ اذا أخصبت وتربت بالنبات كأنها بمنزلة الحمال في ربوه وهي قبل ذلك كالدليل الكاسف البال في الاطمار الرثة * وقرئ وربأت بمعنى ارتفعت لان النبت اذا هم أن يظهر ارتفعت له الارض * يقال أخذ الحافر وأخذ الماء عن الاسترخاء فحمز في شق فاستعير للانحراف في تأويل آيات القرآن عن جهة الصحة والاستقامة وقرئ يلحدون وألحد على اللغتين وقوله (لا يخفون علينا) وعيد لهم على التحريف (فان قلت) ما اتصل قوله (ان الذين كفروا بالذكر) (قلت) هو بدل من قوله ان الذين يلحدون في آياتنا والذكر القرآن لانهم لكفرهم به طعنوا فيه وحرفوا تأويله (وانه لكتاب عزيز) أي ممتنع تحمي حماية الله تعالى (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) مثل ما قال للرسل كفارقومهم من الكلمات المزرية والمطاعن في الكتب المنزلة (ان ربك لذو مغفرة) ورد لاقاويلهم (وذو عقاب) لاعدائهم ويجوز أن يكون ما يقول لك الله الا مثل ما قال للرسل من قبلك والمقول قوله تعالى ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم فمن حقه أن يرجوه أهل طاعته ويخافه أهل معصيته والغرض تخويف العصاة * كانوا يعنتونه يقولون هلا نزل القرآن بلغة العجم فقيل لو كان كما تقترحون لم يتركوا الاعتراض والتعنت وقالوا (ولو فصلت آياته) أي بينت ولخصت بلسان نفقهه (أأعجمي وعربي) الهمزة هي الانكار يعني لا نكير ولو قالوا القرآن أعجمي ورسول عربي أو مرسل اليه عربي وقرئ أعجمي والاعجمي الذي لا يفصح ولا يفهم كلامه من أي جنس كان والعجمي منسوب الى أمة العجم وفي قراءة الحسن أعجمي بهمزة الاستفهام على الاخبار بأن القرآن أعجمي والمرسل أو المرسل اليه عربي والمعنى ان آيات الله على أي طريقة جاءتهم وجدوا فيها متعنتا لان القوم غير طالبين الحق وانما يتبعون أهواءهم ويجوز في قراءة الحسن هلا فصلت آياته تفصيلا يجعل بعضها أعجميا وبعضها عربيا تالعرب (فان قلت) كيف يصح أن يراد بالعربي المرسل اليهم وهم أمة العرب (قلت) هو على ما يجب أن يقع في انكار المنكر لو رأى كتابا عجميا كتب الى قوم من العرب يقول كتاب أعجمي ومكتوب اليه عربي وذلك لان مبنى الانكار على تنافر حالتي الكتاب والمكتوب اليه لا على أن المكتوب اليه واحد أو جماعة فوجب أن يجري لما سبق اليه من الغرض ولا يوصف بما يخل غرضنا آخر الاتراك تقول وقد رأيت لباسا طويلا على امرأة قصيرة اللباس طويل والذي

فاستعذ بالله انه هو السميع العليم ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن ان كنتم اياه تعبدون فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون ومن آياته أنك ترى الارض خاشعة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذي أحياها لمحيي الموتى انه على كل شيء قدير ان الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي

يكون والذين مرفوعا

قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم وانهم لفى شك منه مريب من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد اليه يرد علم الساعة وما تخرج من ثمرات من أكمامها وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه ويوم يناديهم أين شركائى قالوا آذناك ما منا من شهيد وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل وظنوا ما لهم من محيص لا يسأم الانسان من دعاء الخير وان مسه الشر فيؤس قنوط ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لى وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ واذا أنعمنا على الانسان أعرض

على تقدير والذين

لا يؤمنون هو فى آذانهم وقر على حذف المبتدا وفى آذانهم منه وقر انتهى (قلت) أى ويقدر الرابط يستغنى عن تقدير المبتدا

سير ولو قلت والذين بسنة قصيرة جئت بما هو لكنة وفصول قول لان المتكلم لم يقع فى دكورة اللابس [illegible] ثبته انما وقع فى غرض وراءها (هو) أى القرآن (هدى يشفاء) ارشاد الى الحق وشفاء (لما فى الصدور) [illegible] الظن والشك * (قلت) (والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر) منقطع عن ذكر القرآن فما وجه [illegible] به (قلت) لا يخلو اما أن يكون الذين لا يؤمنون فى موضع الجر معطوفا على قوله تعالى للذين آمنوا على [illegible] وقل هو للذين آمنوا هدى وشفاء وهو للذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر الا أن فيه عطفا على عاملين [illegible] كان الاخفش يجيزه واما أن يكون مرفوعا على تقدير والذين لا يؤمنون هو فى آذانهم وقر على حذف [illegible] وفى آذانهم منه وقر * وقرئ وهو عليهم عمى كقوله تعالى فعميت عليكم (ينادون من مكان بعيد) [illegible] أنهم لا يقبلونه ولا يرعونه أسماعهم فشبههم فى ذلك مثل من يصيح به من مسافة شاطة لا يسمع من مثلها [illegible] وت فلا يسمع النداء (فاختلف فيه) فقال بعضهم هو حق وقال بعضهم هو باطل * والكلمة السابقة هى [illegible] الة بالقيامة وأن الخصومات تفصل فى ذلك اليوم ولولا ذلك لقضى بينهم فى الدنيا قال الله تعالى بل الساعة [illegible] عدهم ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى (فلنفسه) فنفسه تنفع (فعليها) فنفسه تضر (وما ربك بظلام) [illegible] ذنب غير المسىء (اليه يرد علم الساعة) أى اذا سئل عنها قيل الله يعلم أولا يعلمها الا الله * وقرئ من ثمرات [illegible] أكمامها والكم بكسر الكاف وعاء الثمرة كغلاف الطلعة أى وما يحدث شئ من خروج ثمرة ولا حمل حامل [illegible] وضع واضع الا وهو عالم به يعلم عدد أيام الحمل وساعاته وأحواله من الفداح والقام والذكورة والانوثة [illegible] والحسن والقبح وغير ذلك (أين شركائى) أضافهم اليه تعالى على زعمهم وبينه فى قوله تعالى أين شركائى [illegible] كنتم تزعمون وفيه تهكم وتقريع (آذناك) أعلمناك (ما منا من شهيد) أى ما منا أحد اليوم وقد أبصرنا [illegible] شاهد بأنهم شركاؤك أى ما منا الا من هو موحد لك أو ما منا من أحد يشاهدهم لانهم ضلوا عنهم [illegible] ضلت عنهم آلهتهم لا يبصرونها فى ساعة التوبيخ وقيل هو كلام الشركاء أى ما منا من شهيد يشهد بما أضافوا [illegible] ما من الشركة ومعنى ضلالهم عنهم على هذا التفسير أنهم لا ينفعونهم فكأنهم ضلوا عنهم (وظنوا) وأيقنوا [illegible] الخبيص الهرب (فان قلت) آذناك اخبار بالبيان كان منهم فاذا آذنوا لم يشهدوا (قلت) يجوز أن يعاد عليهم [illegible] شركائى اعادة للتوبيخ واعادته فى القرآن على سبيل الحكاية ليدل على اعادة المحكى ويجوز أن يكون [illegible] ى انك علمت من حالهم وعاينت ما لا آذن أنا لا تشهد ذلك الشهادة الباطلة لانا نعاد عليهم من نفوسهم فكأنهم [illegible] لوه ويجوز أن تكون انشاء للاذان ولا يكون اخبارا بالبيان فكذلك كانوا قول أعلم الملك أنه كان من الامر [illegible] مت وكيت (من دعاء الخير) من طلب السعة فى المال والنعمة وقرأ ابن مسعود من دعاء بالخير (وان [illegible] مسه الشر) أى الضيقة والفقر (فيؤس قنوط) بليغ فيه من طريقين من بنائه فعول ومن طريق [illegible] تكرير والقنوط أن يظهر عليه أثر اليأس فيقتضاءل وينكسر أى يقطع الرجاء من فضل الله وروحه وهذه [illegible] غة الكافر بدليل قوله تعالى انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون * واذا فرجناه بصحة بعد [illegible] مرض أو سعة بعد ضيق قال (هذا لى) أى هذا حقى وصل الى لأنى استوجبته علما عندى من خير وفضل [illegible] واعمال بر أو هذا لى لا يزول عنى ونحوه قوله تعالى فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه * ونحوه قوله تعالى [illegible] وما أظن الساعة قائمة) ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين يريد وما أظنها تكون * فان كانت على طريق [illegible] التوهم (ان لى) عند الله الحالة الحسنى من الكرامة والنعمة فلأجلها أعرض الآخرة على أمر الدنيا وعن بعضهم [illegible] للكافر أمنيتان يقول فى الدنيا ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى ويقول فى الآخرة يا ليتنى كنت ترابا [illegible] وقيل نزلت فى الوليد بن المغيرة * فلنخبرنهم بحقيقة ما عملوا من الاعمال الموجبة للعذاب ولنبصرنهم عكس [illegible] ما اعتقدوا فيها أنهم يستوجبون عليها كرامة وقربة عند الله وقد مثلنا فى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا [illegible] ذلك أنهم كانوا ينفقون أموالهم رئاء الناس وطلبا للافتخار والاستكبار لا غير وكانوا يحسبون أن ما هم

عليه سبب الغنى والصحة وأنهم يحقرون بذلك * هذا أيضا ضرب آخر من طغيان الانسان اذا أصابه النعمة أبطريه النعمة وكأنه لم يلق بؤساقط فنسى المنعم وأعرض عن شكره (ونأى بجانبه) أى ذهب بنفسه وتكبر وتعظم * وان مسه الضر والفقر أقبل على دوام الدعاء وأخذ فى الابتهال والتضرع وقد استعير العرض لكثرة الدعاء ودوامه وهو من صفة الاجرام ويستعار له الطول أيضا كما استعير الغلظ لشدة العذاب وقوله ونأى بجانبه بامالة الالف وكسر النون للاتباع وتاءه على التاب كما قالوا راءه فى رأى (فان قلت) حقق لى موقع قوله تعالى ونأى بجانبه (قلت) فيه وجهان أن يوضع جانبه موضع نفسه كما ذكرناه فى قوله تعالى على ما فرطت فى جنب الله ان مكان الشئ وجهته يمثل منزلة الشئ نفسه ومنه قوله * ونفيت عنه مقام الذئب يريد ونفيت عنه الذئب ومنه وان خالف مقام بنى ومنه قول الكتاب حضرة فلان وعجلسه وكتبت الى جهته والى جهة العزيز يريدون نفسه وذاته فكأنه قال ونأى بنفسه كقولهم فى المتكبر ذهب بنفسه وذهبت به الخيلاء وهو مذهب وعصفت به الخيلاء أو أن يراد بجانبه عطفه ويكون عبارة عن الاعراض والازورار كما قالوا ثنى عطفه وتولى بركنه (أرأيتم) أخبرونى (ان كان) القرآن (من عند الله) يعنى أن ما أتتم عليه من انكار القرآن وتكذيبه ليس بأمر صادر عن حجة قاطعة حصلتم منها على اليقين وقلع الصدور وانما هو قبل النظر والتدبر الدليل أمر محتمل يجوز أن يكون من عند الله وأن لا يكون من عنده وأنتم لم تنظروا ولم تحصلوا شيأ تكنا أن يكون حقا وقد كفرتم به فأخبرونى من أضل منكم وأنتم أبعد تم الشوط فى مشاقته ومناصبته والعداء فأهلكم أنفسكم وقوله تعالى (ممن هو فى شقاق بعيد) موضع موضع منكم يعنى الحاكم وصفتهم (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم) يعنى ما يسر الله تعالى ويجعل لرسوله صلى الله عليه وسلم والخلفاء من بعده وتصديقه فى آفاق الدنيا وبلاد المشرق والمغرب عنوة وفى باحة العرب خصوصا من الفتوح التى تبهر العقول أمر الفلاسمن خلفاء الارض قبلهم ومن الاظهار على الجبابرة والاكاسرة وتغلب قليلهم على كثيرهم وتسلط ضعفائهم على أقويائهم واجرائه على أيديهم أمورا لم يجر من المعهود ذكرها فى العادات وتشرد الاسلام فى أقطار الممورة وبسط دولته فى أناصيها والاستيلاء على الخزائن والكنوز المدونة مشاهد أهل رأيهم على عجائب لا ترى رقعة من رقاعهم الا مطلع من أعلام الله وآية من آياته تقوى سلطان اليقين بزيادتها الايمان وتبين أن دين الاسلام هو دين الحق الذى لا يحيد عنه الا مكابر حسه مغالط نفسه وما الثبات والاستقامة الا صفة الحق والصدق كما أن الاضطراب والتزلزل صفة الفرية والزور والباطل ريحا تحقق ثم تمكن ردونة تظهر ثم تستحصل (ربك) فى موضع الرفع على أنه فاعل كفى وأنه على شئ شهيد) بدل منه تقديره أولم يكفهم أن ربك على كل شئ شهيد ومعناه أن هذا الموعود من اظهار آيات فى الآفاق وفى أنفسهم مما سيرونه ويشاهدونه فيتبين عند ذلك أن القرآن تنزيل عالم الغيب الذى هو على كل شئ شهيد أى مطلع عليهن يستوى عنده غيبه وشهادته فيحكم بهم ذلك دليلا على أنه حق وأنه من عنده ولم يكن كذلك لما قوى هذه القوة ولما نصر حامليه وهذه النصرة * وقرئ فى مرية بالضم وهى الشك (محيط) عالم جعل الاشياء وتفاصيلها وظواهرها وبواطنها فلا تخفى عليه خافية منهم وهو مجازيهم على كفرهم وعلى تهاونهم فى تدبر القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة السجدة أعطاه الله بكل حرف عشر حسنات

ونأى بجانبه واذا مسه الشر فذو دعاء عريض قل أرأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو فى شقاق بعيد سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد ألا انهم فى مرية من لقاء ربهم ألا انه بكل شئ محيط

سورة الشورى وهى ثلاث وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم عسق كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم له ما فى السموات وما فى الارض وهو العلى العظيم تكاد السموات

سورة حم عسق مكية وتسمى سورة الشورى وهى ثلاث وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

* قرأ ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهما حم سق (كذلك يوحى اليك) أى مثل ذلك الوحى أوحى الكتاب يوحى اليك والى الرسل (من قبلك الله) يعنى أن ما تضمنته هذه السورة من المعانى قد أوحى اليك مثله فى غيرها من السور وأوحاه من قبلك الى رسله على معنى أن الله تعالى كرر هذه المعانى فى القرآن وفى جميع الكتب السماوية لما فيها من التنبيه البليغ واللطف العظيم لعباده من الاولين والآخرين ولم

يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض ألا ان الله هو الغفور الرحيم والذين اتخذوا من دونه أولياء الله حفيظ عليهم وما أنت عليهم بوكيل وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربيا

الى اليك ولكن على لفظ المضارع ليدل على أن ايحاءه متجدد عادته * وقرئ يوحى اليك على البناء للمفعول
الت قلت) فما وجه قراءة (قلت) ما دل عليه يوحى كأن قائلا قال من الموحي فقيل الله
براءة السلمي وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم على البناء للمفعول ورفع شركائهم
صفي زينه لهم شركاؤهم (فان قلت) فما وجه من قرأ توحي النون (قلت) يرتفع بالابتداء * والعزيز
بعده أخبارا والعزيز الحكيم صفتان والظرف خبر * قرئ تكاد بالتاء واليا ويتفطرن ويتفطرن
وي يونس عن أبي عمرو وقراءة غريبة تتفطرن بتاءين مع النون ونظيرها حرف نادر روي في قوادران
ران الابل تشمن وسمناء يكدن يتفطرن من علو شأن الله وعظمته يدل عليه مجيئه بعد السلي العظيم
يل من دعائهم له ولدا كقوله تعالى تكاد السموات يتفطرن منه * (فان قلت) لم قال من فوقهن (قلت)
ن أعظم الآيات وأدلها على الجلال والعظمة فوق السموات وهي العرش والكرسي وصفوف الملائكة
تجة بالتسبيح والتقديس حول العرش وما لا يعلم كنهه الا الله تعالى من آثار ملكوته العظمى فلذلك قال
تفطرن من فوقهن) أي يبتدئ الانفطار من جهتهن الفوقانية لان كلمة الكفر جاءت من الذين قمت
موات فكان القياس أن يقال ينفطرن من تحتهن من الجهة التي جاءت منها الكلمة ولكنه وقع في ذلك
الت * وقرئ من جهة الفوق كانه قيل يكدن ينفطرن من الجهة التي فوقهن مع الجهة التي تحتهن ونظيره
لى الفعل قوله عز وعلا يصب من فوق رؤسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم بفعل الحميم * وقرأ في أجزائهم
لمنة وقيل من فوقهن من فوق الارض * (فان قلت) كيف صح أن يستغفر الملائكة في الارض وفيهم
فار أعداء الله وقد قال الله تعالى ان الله عليهم لعنة الله والملائكة كيف يكونون لا عنين مستغفرين لهم
ن) قوله (لمن في الارض) يدل على جنس أهل الارض وهذه الجنسية غائبة في كلهم وفي بعضهم فيجوز
ن يراد به هذا وهذا وقد دل الدليل على أن الملائكة لا يستغفرون الا لاولياء الله وهم المؤمنون فما أراد
الا الله بهم ألا ترى الى قوله تعالى في سورة المؤمن ويستغفرون للذين آمنوا وكقوله عز من قائل فاغفر للذين تابوا
سبيلك وقوله واغفر لهم واستجب دعوته بالاستغفار فاتركوا الذين تابوا وآمنوا من المشركين
لى استغفارهم فكيف لا تكفرهم ويحتمل أن يصدوا الاستغفار على الطلب والغفران في قوله تعالى
الله يسك السموات والارض أن تزولا الى أن قال انه كان حليما غفورا وقوله تعالى ان ربك لذو مغفرة
اس على ظلمهم والمراد الحلم عنهم وأن لا يعاجلهم بالانتقام فيكون عاما (فان قلت) قد فسرت قوله تعالى تكاد
السموات يتفطرن بتفسيرين فما وجه طباق ما بعده هما (قلت) أما على أحدهما فكانه قيل تكاد السموات
يتفطرن هيبة من جلاله واحتشاما من كبريائه والملائكة الذين هم حملة العرش والسمع الطباق ومائون حول
عرش صفوفا بعد صفوف يبدأ ومون تعظيم عظمته على عباده وتصغير شيده ويستغفرون لمن في
الارض خوفا عليهم من سطواته وأما على الثاني فكانه قيل يكدن يتفطرن من اقدام أهل الارض على
ت الكلمة الشنعاء والملائكة يوحدون الله وينزهونه عما لا يجوز عليه من الصفات التي نسبوها اليه
سماء اون به حامدين له على ما ألوا هم من الطافه التي علم أنهم عندها يستعصمون مختارين غير ملجئين
واستغفرون لمن في أهل الارض الذين تبرؤا من تلك الكلمة ومن أهلها أو يطلبون اليهم أن يعلم من
ول الارض ولا يعاجلهم بالعقاب مع وجود ذلك فيهم لما عرفوا في ذلك من المصالح وحرصا على نجاة
التائب وطمعا في توبة الكفار والفساق منهم (والذين اتخذوا من دونه أولياء) جعلوا له شركاء وأندادا (الله
الرقيب عليهم) رقيب على أحوالهم وأعمالهم لا يفوته منها شيء وهو محاسبهم عليها ومعاقبهم لا رقيب عليهم
وهو وحده (وما أنت) باحتشد وكل بهم ولا مفوض اليك أمرهم ولا قسرهم على الايمان انما أنت منذر
ما عليك * ومثل ذلك (أوحينا اليك) وذلك اشارة الى معنى الآية قبلها من أن الله تعالى هو الرقيب عليهم
وذلك أنت رقيب عليهم ولكن تذيرهم لان هذا المعنى كرره الله في كتابه في مواضع جمة والكاف مفعول به
لمحذوف (قرآنا عربيا) حال من المفعول به أي أوحيناه اليك وهو قرآن عربي بين لا لبس فيه علمك

لتفهمهم ما يقال لك ولا تتجاوز حد الانذار ويجوز أن يكون ذلك اشارة الى مصدر أوحينا أي والاشارة الى الايحاء الذي تفهمهم أوحينا اليك قرآنا عربيا بلسانك (لتنذر) بقال أنذرته كذا وأنذرته بكذا (أم القرى) الاول أعني لتنذر أم القرى الى المفعول الاول والثاني وهو قوله وتنذر يوم الجمع الى المفعول الثاني (أم القرى) أهل أم القرى كقوله تعالى واسئل القرية (ومن حولها) من العرب * وقرئ لينذر بالياء والفعل لله (يوم الجمع) يوم القيامة لان الخلائق تجمع فيه قال الله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع وقيل يجمع بين أهل السماء والارض والاجساد وقيل يجمع بين كل عامل وعمله و (لاريب فيه) اعتراض لا محل له * فريق في الجنة وفريق في السعير ولو شاء الله لجمعهم أمة واحدة ولكن يدخل من يشاء في رحمته والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولي وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله ذلكم الله ربي عليه توكلت واليه أنيب فاطر السموات والارض جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الانعام أزواجا يذرؤكم فيه ليس كمثله

القول في سورة حم عسق

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الانعام أزواجا يذرؤكم فيه (قال ان الضمير المتصل يذرؤ عائد على الانفس وعلى الانعام مغلبا فيه المخاطبون العقلاء على الغيب مما لا يعقل وهي من الاحكام ذات العلتين انتهى كلامه) قلت الصحيح انهما حكمان متمايزان غير متداخلين أحدهما تجيئه على نعت ضمير العقلاء أعم من كونه مخاطبا أو غائبا والثاني تجيئه بعد ذلك على نعت الخطاب فالاول لتغليب العقل والثاني لتغليب

لتفهمهم ما يقال لك ولا تتجاوز حد الانذار ويجوز أن يكون ذلك اشارة الى مصدر أوحينا أي والاشارة الى الايحاء الذي تفهمهم أوحينا اليك قرآنا عربيا بلسانك (لتنذر) يقال أنذرته كذا وأنذرته بكذا (أم القرى) الاول أعني لتنذر أم القرى الى المفعول الاول والثاني وهو قوله وتنذر يوم الجمع الى المفعول الثاني (أم القرى) أهل أم القرى كقوله تعالى واسئل القرية (ومن حولها) من العرب * وقرئ لينذر بالياء والفعل لله (يوم الجمع) يوم القيامة لان الخلائق تجمع فيه قال الله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع وقيل يجمع بين أهل السماء والارض والاجساد وقيل يجمع بين كل عامل وعمله و (لاريب فيه) اعتراض لا محل له * فريق في الجنة وفريق في السعير ولو شاء الله لجمعهم أمة واحدة ولكن يدخل من يشاء في رحمته والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولي وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله ذلكم الله ربي عليه توكلت واليه أنيب فاطر السموات والارض جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الانعام أزواجا يذرؤكم فيه ليس كمثله

القول في سورة حم عسق

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الانعام أزواجا يذرؤكم فيه (قال ان الضمير المتصل يذرؤ عائد على الانفس وعلى الانعام مغلبا فيه المخاطبون العقلاء على الغيب مما لا يعقل وهي من الاحكام ذات العلتين انتهى كلامه) قلت الصحيح انهما حكمان متمايزان غير متداخلين أحدهما تجيئه على نعت ضمير العقلاء أعم من كونه مخاطبا أو غائبا والثاني تجيئه بعد ذلك على نعت الخطاب فالاول لتغليب العقل والثاني لتغليب

ان ليس كمثله شيء (قال) فيه تقول العرب مثلك لا يفعل فينفون الفعل عن مثله والمراد نفسه وتطيره قولك للعربي العرب
هو منه قوهم قد أنعمت لذاته وبلغت آرابه وفي حديث رقيقة بنت صيفي في صفة عبد المطلب الا وفيهم الطيب الطاهر لذاته
وطيبه فاذا علم أنه من باب الكناية لم يكن فرق بين قولك ليس كذلك شيء وبين قوله ليس كمثله شيء الا ما تعطيه الكناية من
قوله تعالى بل يداه مبسوطتان فان معناه بل هو جواد من غير تصور ولا بسط لانها وقعت عبارة عن الجود لا يقصدون
الا قفا حتى انهم يستعملونها فيمن لا يده فكذلك استعمل هذا فيمن له مثل وفيمن لا مثل له ثم قال ولك أن تزعم ان كلمة التشبيه
ليست بأكيدة كما كررت في قول من قال وصاليات ككايؤسين * ومن قال * فأصبحت (٣٣٧) مثل كعصف مأكول * انتهى

كلامه (قلت) هذا الوجه الثاني مردود على ما فيه من الاخلال

قوله تعالى للسموات في خلق الازواج ونكثير كما قال تعالى ولكم في القصاص حياة * قالوا مثالك لا يبخل
وكمثل عن مثله وهم يريدون نفيه عن ذاته قصدوا المبالغة في ذلك فسلكوا به طريق الكناية لانهم اذا
نفوا عن يسده ومن هو على أخص أوصافه فقد نفوه عنه ونظيره قولك للعربي العرب لا تفخر الذم
بل مر من قولك أنت لا تفخر ومنه قوهم قد أنعمت لذاته وبلغت آرابه يريدون إنعامه وبلوغه وفي
دعاء قيلة بنت صيفي في صفة عبد المطلب الا وفيهم الطيب الطاهر لذاته والقصد الى طهارته وطيبه فاذا
انتفى باب الكناية لم يقع فرق بين قوله ليس كالله شيء وبين قوله ليس كمثله شيء الا ما تعطيه الكناية من
نفي الكل بنفي الكل وهاتان عبارتان معتقبتان على معنى واحد وهو نفي المماثلة عن ذاته وغرضه قوله عز وجل بل يداه
مبسوطتان فان معناه بل هو جواد من غير تصور يد ولا بسط لها لانها وقعت عبارة عن الجود لا يقصدون
الا قفا حتى انهم استعملوها فيمن لا يده فكذلك استعمل هذا فيمن له مثل وفيمن لا مثل له ولك أن تزعم أن
كلمة التشبيه ليست بأكيدة كما كررت ثانيا كما كررها من قال وصاليات ككايؤسين ومن قال * فأصبحت مثل كعصف
مأكول * وقرئ يقدر (انه بكل شيء عليم) فاذا علم أن الغني خبير العبد غناه والا أفقره (شرع لكم من
الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن
أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) والمراد قاعدة دين الاسلام الذي هو توحيد الله وطاعته والايمان
بكتبه وبيوم الجزاء وسائر ما يكون الرجل باقامته مسلما ولم يرد الشرائع التي هي مصالح الامم على
الاحوال فانها مختلفة متفاوتة قال الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وهل أن أقيموا الدين نصب
بدل من شرع والمعطوف عليه ولما رفع على الاستئناف كأنه قيل وما ذلك المشروع فقيل هو اقامة
الدين وهو قوله تعالى ان هذه أمتكم أمة واحدة (كبر على المشركين) عظم عليهم وشق عليهم (ما تدعوهم
اليه) من التوحيد (يجتبي اليه) يختاب اليه ويجمع والضمير لله الذين بالتوفيق والتسديد
(ويهدي اليه من ينيب) من يقبل بقلبه نحوه ويجري عليهم لطفه (وما تفرقوا) يعني أهل الكتاب بعد أنبيائهم (الا من
بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم) للعلم بأن التفرق ضلال وفساد وأمر متوعد عليه على ألسنة الانبياء (ولولا كلمة سبقت من ربك) وهي
قوله وأخروهم الى يوم القيامة (لقضي بينهم) حين افترقوا لعظم ما افترقوا (وان الذين أورثوا الكتاب من
بعدهم) وهم أهل الكتاب الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (لفي شك) من كتابهم لا يؤمنون
به شك ارتياب وقيل كان الناس أمة واحدة مؤمنين بعد أن أهلك الله أهل الارض أجمعين بالطوفان فلما
تفرقوا بعد اختلاف الالسنة فيما بينهم وذلك حين بعث الله اليهم النبيين مبشرين ومنذرين وجاءهم العلم وافقا
على ما ذكرناه في تفسير قوله (فلذلك فادع) الى التوحيد الذي جاءت به الرسل (واستقم كما أمرت) على الدعاء
(ولا تتبع أهواءهم) فيما يخالف الدين (وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب) يعني القرآن وغيره من الكتب
(وأمرت لأعدل بينكم) في تبليغ الرسالة وفي الحكم بينكم اذا تحاكمتم الي (الله ربنا وربكم) خالقنا ومالكنا
(لنا أعمالنا ولكم أعمالكم) لا نتعدى بأعمالنا الى أعمالكم فنؤاخذ بها (لا حجة بيننا وبينكم) لا خصومة
لظهور الحق وقيل لا حجة لكم علينا لان الحجة لا تكون مع المخاصمة (الله يجمع بيننا) يوم القيامة (واليه المصير)
فيجازي كلا بعمله (والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له) من بعد ما استجاب الناس لدعوته
ودخلوا في الاسلام (حجتهم داحضة عند ربهم) باطلة زائلة (وعليهم غضب) من الله (ولهم عذاب شديد)
(الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان) العدل (وما يدريك لعل الساعة قريب) فاستعد لها قبل أن تفجأك
(يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها) استهزاء (والذين آمنوا مشفقون منها) خائفون من قيامها لعلمهم بأنها
كائنة (ويعلمون أنها الحق) الذي لا مرية فيه (ألا ان الذين يمارون في الساعة) يجادلون في قيامها
(لفي ضلال بعيد) عن الحق (الله لطيف بعباده) بارادة اللطف بهم والتوسعة عليهم (يرزق من يشاء) على
حسب ما تقتضيه الحكمة (وهو القوي) على ايصال الرزق الى من يشاء (العزيز) الذي لا يغلب (من كان يريد
حرث الآخرة) بعمله (نزد له في حرثه) بالتضعيف (ومن كان يريد حرث الدنيا) بعمله (نؤته منها) على
قدر ما قسمنا له (وما له في الآخرة من نصيب) لانه لم يعمل لها (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم
يأذن به الله) أم منقطعة بمعنى بل والهمزة وهي تفيد معنى الانكار والتوبيخ والشركاء الشياطين سنوا لهم
الكفر والمعاصي وقيل هم الاصنام سموها آلهة لرضاهم بعبادتها (ولولا كلمة الفصل) القضاء السابق بتأخير
الجزاء الى يوم القيامة (لقضي بينهم) بالعذاب العاجل (وان الظالمين لهم عذاب أليم) في الآخرة (ترى
الظالمين مشفقين مما كسبوا) من السيئات (وهو واقع بهم) لا محالة (والذين آمنوا وعملوا الصالحات في
روضات الجنات) أطيبها وأنزهها (لهم ما يشاؤون عند ربهم) من النعيم (ذلك هو الفضل الكبير) الذي
لا يقادر قدره (ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات) قرئ بالتخفيف والتشديد
(قل لا أسألكم عليه أجرا) على ما أدعوكم اليه من الايمان والطاعة (الا المودة في القربى) الا أن تودوا
قرابتي وتحفظوني لها وقيل القربى التقرب الى الله بالطاعة والمودة فيهم (ومن يقترف حسنة) طاعة
(نزد له فيها حسنا) بمضاعفة ثوابها (ان الله غفور) لذنوب عباده (شكور) لطاعاتهم (أم يقولون افترى على
الله كذبا) في قوله ان هذه أمتكم أمة واحدة (فان يشأ الله يختم على قلبك) فيه تسلية له صلى الله عليه وسلم
(ويمح الله الباطل) الذي يقولونه (ويحق الحق بكلماته) بما يوحيه الى رسوله (انه عليم بذات الصدور)
بما تخفيه القلوب (وهو الذي يقبل التوبة عن عباده) بالتفضل بقبولها (ويعفو عن السيئات) بالتجاوز عنها
(ويعلم ما تفعلون) من خير وشر (ويستجيب الذين آمنوا) يجيبهم الى ما يسألونه (وعملوا الصالحات)
بالطاعة (ويزيدهم من فضله) على ما يستحقونه (والكافرون لهم عذاب شديد) على كفرهم (ولو بسط الله
الرزق لعباده لبغوا في الارض) لتوسعوا في المعاصي وتجاوزوا الحد في الفساد (ولكن ينزل بقدر ما يشاء)
على حسب ما تقتضيه الحكمة (انه بعباده خبير بصير) بما يصلحهم (وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا)
يئسوا من نزوله (وينشر رحمته) بالمطر (وهو الولي) الذي يتولى عباده بالاحسان (الحميد) المحمود في
جميع أفعاله (ومن آياته خلق السموات والارض وما بث فيهما من دابة) ما يدب على الارض من الحيوان
(وهو على جمعهم اذا يشاء قدير) متى شاء جمعهم (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) من
المعاصي (ويعفو عن كثير) منها فلا يعاقب عليها (وما أنتم بمعجزين في الارض) هاربين منه (وما لكم من
دون الله من ولي ولا نصير) يدفع عنكم عذابه (ومن آياته الجوار في البحر كالاعلام) السفن الجبال
(ان يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره) على ظهر البحر (ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور)
على ما يبتلي به من السراء والضراء (أو يوبقهن بما كسبوا) أو يهلكهن بالعطب بسبب ما كسبوا من الذنوب
(ويعف عن كثير) منها فلا يؤاخذ به (ويعلم الذين يجادلون في آياتنا) في ابطالها (ما لهم من محيص)
مهرب (فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا) تتمتعون به أيام حياتكم (وما عند الله) من الثواب
(خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش) الكبائر ما توعد
عليه بخصوصه والفواحش ما عظم قبحه من الذنوب (وإذا ما غضبوا هم يغفرون والذين استجابوا لربهم)
أجابوا دعوته الى الايمان (وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم) لا يعملون أمرا حتى يتشاوروا فيه ليستظهر
برأي كل واحد منهم (ومما رزقناهم ينفقون والذين اذا أصابهم البغي هم ينتصرون) يمتنعون ممن بغى عليهم
(وجزاء سيئة سيئة مثلها) سميت الثانية سيئة لانها تسوء من تنزل به (فمن عفا وأصلح فأجره على الله)
فيه ترغيب في العفو (انه لا يحب الظالمين) الذين يبدؤون بالسيئة (ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم
من سبيل) بالمعنى وذلك ان الذي يليق هنا أن كيد في

كشاف في المماثلة والكاف على هذا الوجه اما تأكيد كالمماثلة المنفية وبين تأكيد المماثلة المنفية وبين
التصريح بنفي المماثلة المهملة عن التأكيد بليغ وأكد في المعنى من نفي المماثلة المقترنة بالتأكيد اذ يلزم من نفي المماثلة
المؤكدة نفي كل مماثلة ولا يلزم من نفي مماثلة محققة متأكدة نفي مماثلة ما وتوافق التحقيق والتأكيد وحيث وردت
وقف مؤكدة للمماثلة وردت في الاثبات فأكده فليس النظر في الآية بهذين النظرين مستقيما والله أعلم وما يشد الى حسنة
ما لزمه ان للقائل أن يقول ليس زيد شبيها بعمرو ولكن مشبه له ولو عكس هذا لم يكن صحيحا وما ذاك الا انه يلزم من نفي أدنى
شبه نفي أعلاه ولا يلزم من نفي أعلاه نفي أدناه فتأكد التشبيه فصرف عن المبالغة والوجه الاول الذي ذكرته هو الوجه
عنده وأني عطية الضعف في هذا الوجه الثاني بقوله وذلك أن تزعم فانهم

* قوله تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له فى الآخرة من نصيب
عملى العاملين بان من عمل للآخرة وفق فى عمله وضوعفت حسناته ومن كان عمله للدنيا أعطى منها شيأ لا ما يريد
وهو رزقه الذى قسم له

كقوله تعالى وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة وان الذين أورثوا الكتاب
هم المشركون أورثوا القرآن من بعد ما أورث أهل الكتاب التوراة والانجيل وقرئ ورثوا وورثوا
ولاجل التفرق ولما حدث بسببه من تشعب الكفر شعبا (فادع) الى الاتفاق والائتلاف على الملة
القديمة (واستقم) عليها وعلى الدعوة اليها كما أمرك الله (ولا تتبع أهواءهم) المختلفة الباطلة (عما
كتاب) بأى كتاب صح أن الله أنزله يعنى الايمان بجميع الكتب المنزلة لان المتفرقين آمنوا ببعض
ببعض كقوله تعالى ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض الى قوله أولئك هم الكافرون حقا (لا
فى الحكم اذا تحاكموا اليك فحاكم الى (لاحجة بيننا وبينكم) أى لا خصومة لان الحق قد ظهر وصح
به فلا حاجة الى المحاجة ومعناه لا ايراد حجة بيننا لان المحاجين يوردها ذا حجته وهذا حجته (الله يجمع
القيامة فيفصل بيننا وينتقم لنا منكم وهذه محاجزة ومتاركة بعد ظهور الحق وقيام الحجة والالزام
كيف حوجز وا وقد فعل بهم بعد ذلك ما فعل من القتل وتخريب البيوت وقطع النخيل والاحراق
المراد محاجزتهم فى مواقف المقاولة لا المقاتلة (يحاجون فى الله) يخاصمون فى دينه (من بعد) ما
الناس ودخلوا فى الاسلام ليردوهم الى دين الجاهلية كقوله تعالى ودّ كثير من أهل الكتاب لو
بعد اعانكم كفارا كان اليهود والنصارى يقولون للمؤمنين كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن
وأولى بالحق وقيل من بعد ما استجاب الناس لله ولرسوله ونصره يوم بدر وأظهر دين الاسلام (داحضة)
أنزل الكتاب) أى جنس الكتب (والميزان) والعدل والتسوية ومعنى انزال العدل أنه أنزله فى
وقيل الذى يوزن به * بالحق ملتبسا بالحق مقترنا به بعيدا من الباطل أو بالفرض الصحيح كما اقتضته
أو بالواجب من التحليل والتحريم وغير ذلك (الساعة) فى تأويل البعث فلذلك قيل (قريب) أو
الساعة قريب (فان قلت) كيف توفق ذكر اقتراب الساعة مع انزال الكتاب والميزان (قلت) لان الناس
الحساب ووضع الموازين للقسط فكأنه قيل أسكم الله بالعدل والتسوية والعمل بالشرائع قبل أن
اليوم الذى يحاسبكم فيه وزن أعمالكم ويوفى لكل أوفى ويطبق على طغاته * المراء المجادلة لا
فيها يجرى ما عند صاحبه (الى ضلال بعيد) من الحق لان قيام الساعة غير مستبعد من قدرة الله
الكتاب العزيز على انها آتية لا ريب فيها والشهادة العقول على أنه لا بد من دار الجزاء (لطيف ببعباده
البرهم قد توصل بره الى جميعهم موصل من كل واحد منهم الى حيث لا يبلغه وهم أحد من كليلته
(فان قلت) فما معنى قوله (يرزق من يشاء) بعد توصل بره الى جميعهم (قلت) كلهم مبرورون لا
من بره الا أن البر أصناف وله أوصاف والقسمة بين العباد تتفاوت على حسب تفاوت قضايا الحكمة
فيطير لبعض العباد صنف من البر لم يطر شأنه لآخر ويصيب هذا حظا له وصف ليس ذلك الوصف
صاحبه فمن قسم له منهم ما لا يقسم للآخر فقد رزقه وهو الذى أراد بقوله تعالى يرزق من يشاء كما يرزق
الآخرين ولد ادون الآخر على أنه أصابه بنعمة أخرى لم يرزقها صاحب الولد (وهو القوى) الباهر
الغالب على كل شئ (العزيز) المنيع الذى لا يغلب * سمى ما يحصله العامل عما ينتفى به الفائدة والزكاء
المجاز وفرق بين عملى العاملين بان من عمل للآخرة وفق فى عمله وضوعفت حسناته ومن كان عمله للدنيا
شيأ منها لا ما يريد وينتفيه وهو رزقه الذى قسم له وفرغ منه وماله نصيب قط فى الآخرة ولم يذكر
عامل الآخرة وله فى الدنيا نصيب على أن رزقه المقسوم له واصل اليه لا محالة فاستهانة بذلك الى جنب
اعداده من زكاء عمله وفوزه فى المآب * شركاؤهم شياطينهم
زينوا لهم الشرك وانكار البعث والعمل للدنيا لانهم لا يعملون غيرها وهو الذى شرعت لهم الد

وفرغ منه وماله فى الآخرة من نصيب ولم يذكر فى عمل عامل الآخرة وله فى الدنيا نصيب على أن رزقه المقسوم له واصل اليه لا محالة فاستهانة بذلك فى جنب ما هو بعضه من زكاء عمله وفوزه فى المآب

وثمانى

في الاذن فيه والامر به وقيل شركاؤهم أوثانهم وانما أضيفت اليهم لانهم متخذوها شركاء لله
فتارة تضاف اليهم لهذه الملابسة وتارة الى الله ولما كانت سببا لضلالتهم وافتتانهم جعلت شارعة لدين الكفر
كما قال ابراهيم صلوات الله عليه انهن أضللن كثيرا من الناس (ولولا كلمة الفصل) أي القضاء السابق بتأجيل
الجزاء أو ولولا العدة بأن الفصل يكون يوم القيامة (لقضي بينهم) أي بين الكافرين والمؤمنين أو بين
المشركين وشركائهم وقرأ مسلم بن جندب وأن الظالمين بالفتح عطفا له على كلمة الفصل يعني ولولا كلمة الفصل
وتقدير تعذيب الظالمين في الآخرة لقضي بينهم في الدنيا (ترى الظالمين) في الآخرة (مشفقين) خائفين خوفا
شديدا أرق قلوبهم (مما كسبوا) من السيآت (وهو واقع بهم) يريد وباله واقع بهم وواصل اليهم لا بد لهم
منه أشفقوا أو لم يشفقوا كأن روضة جنة المؤمن أطيب بقعة فيها وأنزهها (عند ربهم) منصوب بالظرف
لا بيشاؤن قرئ يبشر من بشره ويبشر من أبشره ويبشر من بشره والاصل ذلك الثواب الذي يبشر الله به
عباده فحذف الجار كقوله تعالى واختار موسى قومه ثم حذف الراجع الى الموصول كقوله تعالى أهذا الذي
بعث الله رسولا أو ذلك التبشير الذي يبشره الله عباده وروي أنه اجتمع المشركون في مجمع لهم فقال بعضهم
لبعض أترون محمدا يسأل على ما يتعاطاه أجرا فنزلت الآية (الا المودة في القربى) يجوز أن يكون استثناء
متصلا أي لا أسألكم أجرا الا هذا وهو أن تودوا أهل قرابتي ولم يكن هذا أجرا في الحقيقة لان قرابته قرابتهم
فكانت صلتهم لازمة لهم في المروءة ويجوز أن يكون منقطعا أي لا أسألكم أجرا قط ولكني أسألكم أن تودوا
قرابتكم الذين هم قرابتكم ولا تؤذوهم (فان قلت) هلا قيل الا مودة القربى أو الا المودة للقربى وما معنى قوله
في القربى (قلت) جعلوا مكانا للمودة ومقرا لها كقولك لي في آل فلان مودة ولي فيهم هوى وحب
شديد تريد أحبهم وهم مكان حبي ومحله وليست في بصلة للمودة كاللام اذا قلت الا المودة للقربى انما هي
متعلقة بمحذوف تعلق الظرف به في قولك المال في الكيس وتقديره الا المودة ثابتة في القربى ومتمكنة فيها
والقربى مصدر كالزلفى والبشرى بمعنى القرابة والمراد في أهل القربى وروي أنها لما نزلت قيل يا رسول الله
من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال علي وفاطمة وابناهما ويدل عليه ما روي عن علي رضي الله
عنه شكوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حسد الناس لي فقال أما ترضى أن تكون رابع أربعة أول من
يدخل الجنة أنا وأنت والحسن والحسين وأزواجنا عن أيماننا وشمائلنا وذريتنا خلف أزواجنا وعن النبي
صلى الله عليه وسلم حرمت الجنة على من ظلم أهل بيتي وآذاني في عترتي ومن اصطنع صنيعة الى أحد من ولد
عبد المطلب ولم يجازه عليها فأنا أجازيه عليها غدا اذا لقيني يوم القيامة وروي أن الانصار قالوا فعلنا وفعلنا
كأنهم افتخروا فقال عباس أو ابن عباس رضي الله عنهما لنا الفضل عليكم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه
وسلم فأتاهم في مجالسهم فقال يا معشر الانصار ألم تكونوا أذلة فأعزكم الله بي قالوا بلى يا رسول الله قال ألم تكونوا
ضلالا فهداكم الله بي قالوا بلى يا رسول الله قال أفلا تجيبونني قالوا ما نقول يا رسول الله قال الا تقولون ألم
يخرجك قومك فآويناك أولم يكذبوك فصدقناك أولم يخذلوك فنصرناك قال فما زال يقول حتى جثوا
على الركب وقالوا أموالنا وما في أيدينا لله ولرسوله فنزلت الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات
على حب آل محمد مات شهيدا ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفورا له ألا ومن مات على حب آل محمد
مات تائبا ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمنا مستكمل الايمان ألا ومن مات على حب آل محمد بشره
ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير ألا ومن مات على حب آل محمد يزف الى الجنة كما تزف العروس الى بيت
زوجها ألا ومن مات على حب آل محمد فتح له في قبره بابان الى الجنة ألا ومن مات على حب آل محمد جعل
الله قبره مزار ملائكة الرحمة ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة ألا ومن مات على بغض
آل محمد جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافرا ألا
ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة وقيل لم يكن بطن من بطون قريش الا وبين رسول الله صلى
الله عليه وسلم وبينهم قربى فلما كذبوه وأبوا أن يبايعوه نزلت والمعنى الا أن تودوني في القربى أي في حق القربى
ومن أجلها كما تقول الحب في الله والبغض في الله بمعنى في حقه ومن أجله يعني أنكم قومي وأحق من أجابني
وأطاعني

ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم وان الظالمين لهم عذاب أليم ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى

قوله تعالى الا المودة في القربى (قال فيه) ان قلت هلا قيل الا مودة القربى أو الا المودة للقربى وأجاب بانهم جعلوا مكانا للمودة ومقرا لها كقولك لي في آل فلان هوى وحب شديد وليس في صلة للمودة كاللام اذا قلت الا المودة للقربى وانما هي متعلقة بمحذوف تقديره الا المودة ثابتة في القربى ومتمكنة فيها انتهى كلامه (قلت) وهذا المعنى هو الذي قصد بقوله في الآية التي تقدمت ان قوله يذرؤكم فيه انما جاء عوضا عن قوله يذرؤكم به فافهمه

عرق ولا حدش عود ولا نكبة حجر إلا بذنب ولما يعفو الله عنه أكثر وعن بعضهم من لم يعلم أن ما وصل إليه من الفتن والمصائب إنما كان بسببه وأن ما عفا عنه ولم يأخذه به أكثر كان قلبه النظر في إحسان ربه إليه وعن آخر العبد ملازم للجنايات في كل أوان وجنايته في طاعاته أكثر من جنايته في معاصيه لأن جناية المعصية من وجه وجناية الطاعة من وجوه والله يطهر عبده من جناياته بأنواع من المصائب ليخفف عنه أثقاله في القيامة ولولا عفوه ورحمته لهلك في أول خطوة ومن علي رضي الله عنه وقدر نفعه من عفي عنه في الدنيا في عنه في الآخرة ومن عوقب في الدنيا لم تثن عليه العقوبة في الآخرة وعنه رضي الله عنه هذه أرجى آية للمؤمنين في القرآن (يعفو عن كثير) بقائمين ما قضى عليكم من المصائب (من ولي) من مقول بالرحمة (الجواري) السفن وقرئ الجوار (كالأعلام) كالجبال قالت الخنساء كأنه علم في رأسه نار * وقرئ الرياح فيظللن بفتح اللام وكسرها من ظل يظل ويظل نحو ضل يضل ويضل (رواكد) ثوابت لا تجري (على ظهره) على ظهر البحر (لكل صبار) على بلاء الله (شكور) لنعمائه وهما صفتا المؤمن الخالص جعلهما كناية عنه وهو الذي ركب متنه بالنظر في آيات الله فهو يستدل منها العبر (ويوبقهن) بإهلاكهن والمعنى أو إن يشأ يبتلي المسافرين في البحر إما بحبس الريح حتى يقفوا جواري على متن البحر ويتمهن من الجري وإما أن يرسل الريح عاصفة فيهلكهن غرقا بما كسبوا من الذنوب (ويعف عن كثير) منها (فإن قلت) علام عطف يوبقهن (قلت) على يسكن لأن المعنى إن يشأ يسكن الريح فيركدن أو يعصفها فيغرقهن يعف عنهن فإن قلت فما معنى إدخال العفو في حكم الإيباق مع جزم جرمه (قلت) معناه أو إن يشأ يهلك ناسا بوبق ناسا على طريق العفو عنهم (فإن قلت) فمن قرأ ويعفو (قلت) فالواو تأسف الكلام (فإن قلت) فما وجه القراءات الثلاث في (ويعلم) (قلت) أما الجزم فعلى ظاهر العطف وأما الرفع فعلى الاستئناف وأما النصب فللعطف على تعليل محذوف تقديره ليعاقبهم ويعلم الذين يجادلون ونحوه في العطف على التعليل المحذوف غير عزيز في القرآن منه قوله تعالى ولنجعله آية للناس وقوله تعالى وخلق الله السموات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وأما قول الزجاج النصب على إضمار أن لأن قبلها جزاء تقول ما تصنع أصنع مثله وأكرمك وإن شئت وأكرمك على وأنا أكرمك إن شئت وأكرمك جزما فيه نظر لما ورده سيبويه في كتابه قال واعلم أن النصب بالفاء والواو في قوله إن تأتني آتك وأعطيك منطلق هو ونحو من قوله ألحق بالحجاز فأستريح فهذا يجوز وليس بعد الكلام ولا وجهه الأرى فيه إضمارا أقوى قبيلا لأنه ليس واجب أن يفعل الآن يكون من الأول فعل فالمضارع الذي لا موجبه كالاستفهام ونحوه أجاز وا فيه هذا على ضعفه اهـ ولا يجوز أن تعمل القراءة المستفيضة على وجه ضعيف ليس بعد الكلام ولا وجهه ولو كانت من هذا الباب لما أحلى سيبويه منها كناية وقد ذكر نظائر هذه الآيات المشكلة (فإن قلت) فكيف يصح المعنى على جزم ويعلم (قلت) كأنه قال أوان شاء يجمع بين ثلاثة أمور هلاك قوم ونجاة قوم وتحذير آخرين (من محيص) من تحيد عن عقابه مما الأولى ضمنت معنى الشرط فجاءت الفاء في جوابها بخلاف الثانية عن علي رضي الله عنه جمع لأبي بكر رضي الله عنه مال فتصدق به كله في سبيل الله والخيرة لأمة المسلمون وخطأ الكافرون فنزلت (والذين يجتنبون) عطف على الذين آمنوا وكذلك ما بعده ومعنى (كبائر الإثم) الكبائر من هذا الجنس وقرئ كبير الإثم وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه كبير الإثم هو الشرك (هم يغفرون) أي هم الأخصاء بالغفران في حال الغضب لا يغول الغضب أحلامهم كما يغول حلوم الناس والمعنى عهم وإيقاعه مبتدأ وإسناد يغفرون إليه هذه الفائدة ومثله هم ينتصرون (والذين استجابوا لربهم) نزلت في الأنصار دعاهم الله عز وجل للإيمان به وطاعته فاستجابوا له بأن آمنوا به وأطاعوه (وأقاموا الصلاة) وأتموا الصلوات الخمس * وكانوا قبل الإسلام وقبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة إذا كان بهم أمر أطاقهم جمعوا وتشاوروا وأتى الله عليهم أي لا يفردون برأي حتى يجتمعوا عليه وعن الحسن ما تشاور قوم إلا هدوا لأرشد أمرهم * والشورى مصدر كالفتيا بمعنى التشاور ومعنى قوله (وأمرهم شورى بينهم)

الريح فيظللن رواكد على ظهره إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور أو يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير ويعلم الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم

* قوله تعالى إن يشأ يسكن الريح إلخ واكد على ظهره (قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه كان معناه كانت لا تجري على ظهر البحر) قال أحمد وهم يقولون إن الريح لم ترد في القرآن إلا جاءت بالعذاب إلا في هذه الآية فإنها جاءت بالرحمة وقد ذكرت هنا مع السفن وهي مذكرة هنا مع أنها في سائر القرآن مؤنثة ورحمة إذا وصفت بها سير الله السفن في البحر حتى لو سكنت لركدت السفن ولا يتحرك أن الغالب من ورودها مفردة مما ذكرت وأما المراد فلا ريب وورد في الحديث اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا فالأمر في الإطلاق والله أعلم

قوله تعالى فمن عفا واصلح فاجره على الله انه لا يحب الظالمين (قال فيه دلالة على أن الانتصار لا يكاد يؤ من فيه الخ) قال أحمد معنى حسن يجاب به عن قول القائل المذكر هذا عاقب المظلوم أن الانتصار ليس بظلم فيشق على السائل ويحصل منه على كل حال ومن هذا الغط والله الموفق قوله تعالى وانا اذا أذقنا الانسان منا رحمة فرح بها وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم (٣٤٣) فان الانسان كفور (قال فيه لم ينل

أى ذو شورى وكذلك فوهم لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما لا فقه شورى * هو أن يقتصر في الانتصار على ما جعله الله لهم ولا يتعدوا وعن الضحى أنه كان اذا قرأها قال كانوا يكرهون أن يذلوا أنفسهم فيجترئ عليهم الفساق (فان قلت) أهم محمودون على الانتصار (قلت) نعم لان من أخذ حقه غير معتد حد الله وما أمر به فلم يسرف في القتل ان كان ولى دم أورده على سفيه عتاما على عرضه ودعائه فهو مطيع وكل مطيع محمود * كانتا الفعلتين الاولى وجزاؤها سيئة لانها تسوء من تنزل به قال الله تعالى وان تصبهم سيئة يتطيروا بهذا من عندك يريد ما يسوءهم من المصائب والبلايا والمعنى أنه يجب اذا قويت الاساءة أن تقابل بمثلها من غير زيادة فاذا قال أخزاك الله قال أخزاك الله (فمن عفا واصلح) بينه وبين خصمه بالعفو والاغضاء كما قال تعالى فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم (فأجره على الله) عدة تبهمه لا يقاس أجرها في العظم وقوله (انه لا يحب الظالمين) دلالة على أن الانتصار لا يكاد يؤمن فيه تجاوز السيئة والاعتداء خصوصا على حال الحرد والغلب الجائز من الظالمين وهو لا يشعر وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة نادى منادمن كان له على الله أجر فليقم قال فيقوم خلق فيقال لهم ما أجركم على الله فيقولون نحن الذين عفونا عن ظلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة بإذن الله (بعد ظلمه) من اضافة المصدر الى المفعول وتفسيره قراءة من قرأ بعد ما ظلم (فأولئك) اشارة الى معنى من دون لفظه (ما عليهم من سبيل) للعاقب ولا للعاتب والعائب (انما السبيل على الذين يظلمون الناس) يبتدئونهم بالظلم (ويبغون في الارض) يتكبرون فيها أو يعملون بالمعاصى (أولئك لهم عذاب أليم) مؤلم (ولمن صبر) على الظلم والاذى (وغفر) ولم ينتصر وفوض أمره الى الله (ان ذلك) منه (لمن عزم الامور) وحقق الراجع لانه مفهوم كما حذف من قولهم السمن منوان بدرهم يحكى أن رجلا سب رجلا فى مجلس الحسن رحمه الله فكان المسبوب يكظم ويعرض فسمع العرق ثم قام فتلا هذه الآية فقال الحسن عقلها وأولى بها من الاصبع الداهلوى، قالوا الصفوف تسوى اليوم الامس فيتكسر في بعض الاحوال فيرجع ترك الغزو منه والله وذلك اذا احتيج الى كثير زيادة لجبن وقلة مادة الاذى وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما يدل عليه وهو أن زينب أسمعت عائشة بحضرته وكان ينهاها فلا تنهى فقال لها أئتشه دونك فانتصرى (ومن يضلل الله) أى من يخذل الله (فما له من ولى من بعده) فليس له من ناصر يتولاه من بعد خذلانه (خاشعين) متذللين متقاصرين عما يلحقهم (من الذل) وتدنق من الذل يتظرون ويوقفون على خاشعين (ينظرون من طرف خفى) أى يبتدئ نظرهم من تحريك لأجفانهم ضعيف خفى عبارة كما ترى الصور ينظر الى السيف وهكذا نظر الناظر الى المكاره لا يقدر أن يفتح أجفانه عليها ولا أعينه منها كما يفعل في نظره الى المحاب وقيل يحشرون عميا فلا ينظرون الا على وجوههم وذلك نظرهم من طرف خفى وقيه نصف (يوم القيامة) اما أن يتعلق بخسروا ويكون قول المؤمنين واتعاق الاشهاد اما أن يتعلق بقال أى يقولون يوم القيامة اذا رأوهم على تلك الصفة (من الله) من صلة لا مرد أى لا يرده الله بعد ما حكم به أو من صلة يأتى أى من قبل أن يأتى من الله يوم لا يقدر أحد على رده * والنكير الانكار أى ما لكم من مخلص من العذاب ولا تقدرون أن تنكروا شيأ مما اقترفتموه دون في محالف أعمالكم * أراد بالانسان الجمع لا الواحد لقوله وان تصبهم سيئة ولم يرد الا المجرمين لان اصابة السيئة بما قدمت أيديهم انما تستقيم فيهم * والرحمة النعمة من الصحة والغنى والامن والسيئة البلاء من المرض والفقر والخوف * والكفور المبالغ الكفران ولم يقل فانه كفور ليحصل على أن هذا الجنس موسوم بكفران النعم كما قال ان الانسان لظلوم كفار ان الانسان لربه لكنود

وعمار زعمائهم يتعفون والذين اذا أصابهم البغى هم ينتصرون وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فاجره على الله انه لا يحب الظالمين وان انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور ومن يضلل الله فما له من ولى من بعده وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل الى مرد من سبيل وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفى وقال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة الا ان الظالمين فى عذاب مقيم وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل استجيبوا لربكم من قبل أن يأتى يوم لا مرد له من الله ما لكم من

العصور الاطفال الى وقال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة الا ان الظالمين فى عذاب مقيم فوضع الظالمين موضع الضمير الذى كان من حقه ان يعود على اسم ان فيقال الا أنهم فى عذاب مقيم فأى هذا الظاهر تسجيلا عليهم بأن ظلمهم سابق فيهم

* قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي جعل لكم الأرض مهدا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون والذي نزل من السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتا الآية (قال فيه فان قلت قوله ليقولن خلقهن العزيز العليم وما سرد من الأوصاف عقيبه ان كان من قولهم الخ) قال أحمد الذي يظهر ان الكلام محرر أفبعضه من قولهم وبعضه من قول الله تعالى فالذي هو من قولهم خلقهن وما بعده من قول الله عز وجل وأصل الكلام انهم قالوا خلقهن الله ويدل عليه قوله في الآية الاخرى ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ثم لما قالوا خلقهن الله وصف الله تعالى ذاته بهذه الصفات ولما ساق الكلام كله سياقة واحدة حذف الموصوف من كلامهم وأتبعت الصفات المذكورة في كلام الله تعالى مقامه كأنه كلام واحد ونظير هذا ان تقول للرجل من أكرمك من القوم فيقول أكرمني زيد فتقول أنت وأصفك للكريم الجواد الذي من صفته كذا وكذا ثم لما وقع الانتقال من كلامهم الى كلام الله عز وجل جرى كلامه عز وجل على ما عرف من الافتنان في البلاغة فجاء أوله على لفظ الغيبة وآخره على الانتقال منها الى التكلم في قوله فأنشرنا كل ذلك افتنانا في افنان البلاغة ومن هذا النمط قوله تعالى حكاية عن موسى قال عليها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى الذي جعل لكم الأرض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى فجاء أول الكلام حكاية (٣٤٦) عن موسى الى قوله ولا ينسى ثم وقع الانتقال من كلام موسى الى كلام الله تعالى فوصف ذاته

وما يأتيهم من نبي الا كانوا به يستهزؤن فاهلكنا أشد منهم بطشا ومضى مثل الأولين ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي جعل لكم الأرض مهدا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون والذي نزل من السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون والذي خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا

كنتم واذ كنتم (فان قلت) كيف استقام معنى ان الشرطية وقد كانوا مستمرين على البت (قلت) هو من الشرط الذي ذكرت أنه يصدر عن المدل بصحة الامر المتحقق لتبوئه كما يقول الآخر ان كنت عملت ذلك فوفى حق وهو عالم بذلك ولكنه يخيل في كلامه أن تفريطك في الخروج عن حق فعل من له شك في الاستحقاق مع وضوحه أمامه بالا له (وما يأتيهم) حكاية حال ماضية مستمرة أي كانوا على ذلك وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزاء قومه الضعيف (أشد منهم) للقوم المسرفين لانه صرف الخطاب عنهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل ضميرهم (ومضى مثل الأولين) أي سلف في القرآن في غير موضع منه ذكر قصتهم وحالهم العجيبة التي حقها أن تسير مسير المثل وهذا وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيد لهم (فان قلت) قوله (ليقولن خلقهن العزيز العليم) وما سرد من الاوصاف عقيبه ان كان من قولهم فما تصنع بقوله فانشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون وان كان من قول الله فما وجهه (قلت) هو من قول الله لا من قولهم ومعنى قوله ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي من صفته كيت وكيت انه سبحانه خلقها الذي هذه أوصافه وليسندنه اليه (بقدر) بمقدار يسلم معه البلاد والعباد ولم يكن ملوفا أو (الأزواج) الاصناف (ما تركبون) أي تركبونه (فان قلت) يقال ركب الانعام وركب في الفلك وقد ذكر الجنسين فكيف قال تركبون (قلت) غلب المتعدي بغير واسطة لقوته على المتعدي بواسطة فقيل تركبونه (على ظهوره) على ظهور ما تركبون وهو الفلك والانعام ومعنى ذكر نعمة الله عليهم أن يذكروها على ظهورهم معترفين بها معظمين فلم يجمدوا عليها

أوصافا فاصلة بكلام موسى حتى كأنه كلام واحد وابتدأ في ذكر صفاته على لفظ الغيبة الى قوله فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى فانظر الى تحقيق المطابقة بين الآيتين تر العجب والله الموفق قوله تعالى وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون الآية (قال فيه يقال ركبت الدابة وركبت في الفلك الى آخره) قال أحمد لم يحرر السائل في هذا الموضع فان قوله غلب المتعدي بغير واسطة على المتعدي بنفسه يوهم ان بين الفعلين تباينا وليس كذلك فان المتعدي الى الانعام هو عين أصل المتعدي الى السفن غاية ما ثم ان العرب حدسته باعتبار بعض صفاعيله بالواسطة وباعتبار بعضها بالمتعدي بنفسه والاختلاف بالتعدي والقصور أو باختلاف آلات التعدي وباختلاف أعداد المفاعيل لا يوجب الاختلاف في المعنى فمن ثم يعدون الفعل الواحد مرة بنفسه ومرة بواسطة مثل سكرت واخوانه ويعدون الافعال المترادفة بآلات مختلفة مثل دعوت وصليت فانك تقول صلى النبي على آل أبي أوفى ولو قلت دعا على آل أبي أوفى لافهم عكس المقصود ولكن دعا آل أبي أوفى ويعدون بعضها الى مفعولين ومرادفه الى مفعول واحد كعلم وعرف فلا يترتب على الاختلاف بالتعدي والقصور الا اختلاف في المعنى فالذي يحرر من هذا ان ركب باعتبار الفعلين معناه واحد وان خص أحدهما باقتران لواسطة والآخر بسقوطها فالصواب أحد أمرين اما تقدير المتعلقين على ما هما عليه لو انفرد فيكون التقدير ما تركبونه وتركبون فيه والاسم الشريف تعلله باعتبار المتعدي بنفسه ويكون هذا من تغليب أحد اعتباري الفعل على الآخر وهو أسهل من التغليب في قوله تعالى وتدرع الا أمركم وشركاءكم على أحد التأويلين فيه فان التباين ثم ثابت بين الفعلين من حيث المعنى أعني أجمع على الامر وجمع الشركاء على يديهم) تقارب باعتبار أحدهما على الآخر ثم جعل الغالب هو المتعدي بنفسه والله أعلم

* قوله تعالى أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين (قال فيه كانه قيل هب أن اضافة الولد اليه جائزة فرضا وتقديرا فلأما تستحيون من الشطط فى القسمة ومن ادعاء أنه آثركم على نفسه الخ) قال أحمد نحن معاشر أهل السنة نقول ان كل شئ بمشيئة الله تعالى حتى الضلالة والهدى اتباعا لدليل العقل وتصديقا بالنص النقل فى أمثال قوله تعالى يضل من يشاء ويهدى من يشاء وآية الزخرف هذه لا تزيد هذا المعتقد الصحيح الا تمهيدا ولا تفيده الا تصويبا وتسديدا فنقول اذا قال الكافر لو شاء الله ما كفرت فهذه كلمة حق أراد بها باطلا أما كونها كلمة حق فلما مهدناه وأما كونه أراد بها باطلا فلمراد الكافر بذلك أن يكون له الحق على (٣٤٧) الله تعالى الذى يلزم من مشيئة

بالمستهم وهو ما يروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان اذا ضع رجله فى الركاب قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذى سخر لنا هذا الى قوله لمنقلبون وكبر ثلاثا ثم هلل ثلاثا وقالوا اذا ركب فى السفينة قال بسم الله مجراها ومرساها ان ربى لغفور رحيم وعن الحسن بن على رضى الله عنهما أنه رأى رجلا يركب دابة فقال سبحان الذى سخر لنا هذا الآية قال أبو الهذيل ورأيت أنا قال أن تذكر وانعمه وتركب كان قد أتى بأفضل الحمد بقضه عليه وهذا من حسن مراعاتهم لآداب الله وتحافظتهم على دقيقها وجليلها جعلنا الله ممن اقتدى بهم وسار بسيرتهم فيا أحسن بالعاقل النظر فى لطائف الصنعات وكيف بالنظر فى لطائف الديانات (مقرنين) مطيقين يقال أقرن البعير اذا أطاقه قال ابن هرمة

وأقرنت ما حملتنى وتحملت * بطلاق احمال الصديق وهاجر

وحقيقة أقرن وجده قرينا مثله ما قرن به لان الصعب لا يكون قرينا للضعيف الا اذا قوهم فى الضعيف لا يقرن به الصعبة وقرئ مقرنين وللعرب واحد (فان قلت) كيف اتصل بذلك قوله * وانا الى ربنا لمنقلبون (قلت) كم من راكب دابة عثرت به أو عمست أو تخمست أو طاح من ظهرها فهلك وكم من راكبين فى سفينة انكسرت بهم فغرقوا فاذا كان الركوب مباشرة أمر خطر واتصالا سبب من أسباب التلف كان من حق الراكب وقد اتصل بسبب من أسباب التلف أن لا ينسى عند اتصاله به يومه وأن هلاك الاحالة فتلب الى الله عز وجل مقابلة من فضائه ولا يدع ذكر ذلك بقلبه ولسانه حتى يكون مستعدا للقاء الله باصلاح نفسه من قبل والحذر من أن يكون ركوبه ذلك من أسباب موته فى علم الله وهو غافل عنه ويستعمد بالله من مقام من يقول لقرنائه تعالوا نغتر على الخيل أوفى بعض الروارى ويركبون ماسلين مع أنفسهم أوانى الخمر والمعازف فلا يرالون يستقون حتى عمى عليهم طلاهم وهم على ظهور الدواب أوفى بطون السفن وهى تجرى بهم لا يذكرون الا الشيطان ولا يعتادون الا أوامره وقد بلغنى ان بعض السلاطين ركب وهو يشرب من الدالى بقدحه ما سيره شهرا فلم يصح الا بعد ما أطمأنت به الدار فليتشعر بيسيره ولا أحس به فكم بين عمل أولئك الراكبين وبين ما أمر الله به فى هذه الآية وقيل يذكرون عند الركوب ركوب الجنازة (وجعلوا له من عباده جزءا) متصل قوله ولئن سألتهم أى ولئن سألتهم عن خالق السموات والارض ليقرن بوحدته وجعلوا له مع ذلك الاعتراف من عباده جزأ أو بعض مصنفات المخلوقين ومعنى من عباده جزأ أن قالوا الملائكة بنات الله فجعلوا بعضهم جزأ له وبعضهم كما يكون الولد بضعة من والده وجزأ له ومن بدع التفاسير تفسير الجزء بالاناث وادعاء أن الجزء فى لغة العرب اسم للاناث وما هو الا كذب على العرب ووضع مسحدث مضول ولم يتنبهم ذلك حتى استقوا منه أن المرأة تسمى صنوا وابنا وبضعة ما لا يعجب * (وجعلوا من بناته الاوس جزءا) وقرئ جزءا بضمتين (لكفور مبين) لجود ذلك نعمة ظاهر جحوده لان نسبة الولد اليه كفر والكفر أصل الكفران كله (أم اتخذ) بل اتخذ والهمزة للانكار شبههم لما لهم وتعييبا من شأنهم حيث لم يرضوا بان جعلوا لله من عباده جزأ حتى جعلوا ذلك الجزء شرا الجزء أى وهو الاناث دون الذكور على انهم أنفر خلق الله من الاناث وأعتقهم لهن والتباغ بهم المقت الى أن وأدوهن كانه قيل هب أن اضافة اتخاذ الولد اليه جائزة فرضا وتقديرا

المشيئة بمعنى فقال مالهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون وان هم الا يظنون وقد فصحت أنت هذه الآية مع هذه الآية عن هذا بتقديرين وذلك قوله تعالى فى سورة الانعام وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شئ كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان أنتم الا تخرصون فبين تعالى أن الحامل لهؤلاء المشركين على التمسك بالرسل والانتهاء بالله انما هو اغترارهم بأن لهم الحجة على الله بقولهم لو شاء الله ما أشركنا فنسبه تعالى الهم فى الاعتماد على ذلك الى تخرصهم وتبين انه معتقد نشأ عن ظن خائب وخيال مكذب فقال ان تتبعون الا الظن وانكم الا تخرصون ثم لما

الله تعالى اصلاح من فضل أن لا يعاقبه على ذلك لانه انما فعل مقتضى مشيئته كما توهم القدرية اخوان الوثنية ذلك فاشركوا بربهم واعتقدوا ان الضلالة وقعت بمشيئة الخلق على خلاف مشيئة الخالق فالذين أشركوا بالملائكة أرفع منهم درجة لان هؤلاء أشركوا أنفسهم الدنيه

سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون وجعلوا له من عباده جزءا ان الانسان لكفور مبين أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين واذا بشر أحدهم

فى ملكه بهم التوحيد بالربانية جل وعلا فاذا وضح ما قلناه فاقرار الله عليهم مقالتهم هذه لانهم يرمونها الحجة على الله فحض الله حجتهم وأكذب أمنيتهم وبين أن هذا النسم صادر عن ظن كاذب

أبطل أن يكون لهم في مقالتهم حجة على الله أثبت تعالى الحجة له عليهم بقوله فلله الحجة البالغة ثم أوضح أن الرد عليهم ليس الا في احتجابهم على الله بذلك لا لان المقالة في نفسها كذب بقال فلو شاء لهدانا كم أجسمهم وهو معنى قولهم لو شاء الله ما أشركنا من حيث ان لو متقضاها امتناع الهداية لامتناع المشيئة فدلت الآية الاخيرة على ان الله تعالى لم يشأ هدايتهم بل شاء ضلالتهم ولو شاء هدايتهم لما ضلوا فهذا هو الدين القويم والصراط المستقيم والنور اللائح والمنهج الواضح والذي يتحصن بحجة ولا مدمع اعتقاد ان الله تعالى شاء وقوع الصلاة منهم هو أنه تعالى جعل (٣٤٨) العبد قادرا وتيسر الهداية وغيرها من الافعال الكسبية حتى صارت الافعال

الصادرة منه مناط التكليف لانها اختيارية يفرق بالضرورة بينها وبين العوارض القسرية فبهذه الآية اقامت الحجة ووضحت لمن اصطفاه الله للمعتقدات الصحيحة ولما كانت تعرقلها دقيقة

أما تشهدون من التسطط في الفسحة ومن ادعائكم انه آثركم على نفسه بخير الخبرين وأعلاهما وترك له شرهما وأدناهما * وتكبير بنات وتصيير البنين وتقديمهن في الذكر عليهم لما ذكرت في قوله تعالى يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور (يضارب للرحمن مثلا) بالجنس الذي جعل له مثلا أي شبها لانه اذا جعل الملائكة جزأ لله وبعضا منه فقد جعله من جنسه وعمانا لان الولد لا يكون الا من جنس الوالد يعني أنهم نسبوا اليه هذا الجنس ومن حالهم أن أحدهم اذا قيل له قد ولدت لك بنت اغتم واربد وجهه غيظا وتأسفا وهو ثاوٍ من الكرب وعن بعض العرب أن امرأته وضعت أنثى فهجر البيت الذي فيه المرأة فقالت

مالابي حمزة لا يأتينا * يظل في البيت الذي يلينا
غضبان ألا نلد البنينا * ليس لنا من أمرنا ما شينا
* وانما نأخذ ما أعطينا *

* والظاول بمعنى الصيرورة كما يستعمل أكثر الافعال الناقصة بمعناها * وقرئ مسودا على أن في ظل ضمير المبشر به وجهه مسود بدل من الضمير المستتر في ظل * ثم قال أو يجعل للرحمن من الولد من هذه الصفة المذمومة صفته وهو أنه (ينشأ في الحلية) أي يتربى في الزينة والنعمة وهو اذا احتاج الى مجاراة الرجال كان غير مبين ليس عنده بيان ولا يأتي ببرهان يحق به من عاجمه وذلك لضعف عقول النساء ونقصانهن عن فطرة الرجال يقال قلما تكلمت امرأة فأرادت أن تتكلم بحجة الا تكلمت بالحجة عليها وفيه أنه جعل النشء في الزينة والنعومة من المعايب والمقابح وأنه من صفات ربات الحجال فعلى الرجل أن يجتنب ذلك ويأنف منه ويربأ بنفسه عنه ويعيش كما قال عمر رضي الله عنه اخشوشنوا واخشوا وتمعددوا وان آراد الرجل أن يزين نفسه زينها بباطن لباس التقوى وقرئ ينشأ وينشأ وينشأ وتقدير المنشأ أو بمعنى الانشاء فالآية بمعنى الالغاء وقد جمعوا في كفرة ثلاث كفرات وذلك أنهم نسبوا الى الله ما لو نسبوا اليه أخس النوعين وجعلوه من الملائكة الذين هم أكرم عباد الله فاستخفوا بهم واحتقروهم وقرئ عباد الرحمن وعبيد الرحمن وعند الرحمن وهو مثل لزلفاهم واختصاصهم وأنا ثانيا لجمع الجمع ومعنى جعلوا سموا وقالوا لهم اناث * وقرئ أشهدوا أشهدوا بهمزتين ممدودة ومقصورة وأشهدوا بألف بينهما وهذه تهكم بهم يعني أنهم يقولون ذلك من غير أن يستندوا فيه الى علم قال الله تعالى سنكتب شهادتهم على علمنا ذلك ولا تطرقوا الى مثله لان ولا أسلموا به عن خبر يوجب العلم فلم يبق الا أن يشاهدوا خلقهم فأخبر عن هذه المشاهدة (ستكتب شهادتهم) التي شهدوا بها على الملائكة من أنوثتهم (ويسئلون) وهذا وعيد وقرئ سيكتب وستكتب بالياء والنون وشهاداتهم وشهادتهم ويسألون على بناء المفعول (وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم) هما كفرتان أيضا ضمنتا الى الكفرات الثلاث وهما عبادتهم الملائكة من دون الله وزعمهم أن عبادتهم بمشيئة الله كما يقول اخوانهم المجبرة (فان قلت) ما أنكرت على من يقول قالوا ذلك على وجه الاستهزاء ولو قالوه جادين لكانوا مؤمنين (قلت) لا دليل على أنهم قالوه مستهزئين وادعاء ما لا دليل عليه باطل على أن الله تعالى قد حكى عنهم ذلك على سبيل الذم والشهادة بالكفر أنهم جعلوا له من عباده جزأ وأنه اتخذ بنات وأصفاهم بالبنين

يضارب للرحمن مثلا
ظل وجهه مسودا
وهو كظيم أومن ينشأ
في الحلية وهو في الخصام
غير مبين وجعلوا
الملائكة الذين هم
عباد الرحمن اناثا أشهدوا
خلقهم ستكتب
شهادتهم ويسئلون
وقالوا لو شاء الرحمن
ما عبدناهم مالهم بذلك
من علم

ثم تنظم في سلك الافهام الاكتفاء فالجزم ان انهماكهم تسلسلت وأفكارهم تسلسلت فقالت طائفة القدرية واعتقدت ان العبد فعال لما يريد على خلاف مشيئة ربه وبارت

الجبرية فاعتقدت أن لا قدرة للعبد البتة ولا اختيار وان جميع الافعال صادرة منه على سبيل الاضطرار بالبين أما أهل الحق فهم الله سبحانه هداية قصدا وأرشدهم الى الطريق الوسطى فانتهجوا سبيل السلام وساروا وراء الثقوة الامام مستضيئين بانوار العقول الراشدة الى ان جميع الكائنات بقدرة الله تعالى ومشيئته ولم يغب عن أفهامهم أن كل فعل للعبد مقدورة له ومن التقرير بين الاختيارية والقسرية بالضرورة فلكنها اقترنت بلا تأثير وتميز بين الاختيارى في التصوير فهذا هو التحقيق والله ولى التوفيق

بالبنين وأنهم جعلوا الملائكة الذكور من اناثا وأنهم عبدوهم وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم فلو كانوا ناطقين بها على طريق الهزء لكان النطق بالحكايات قبل هذا الحكي الذي هو اعتراف عنده لو جنوا في النطق بمثلها لهم من قبل أنها كلمات كفر نطقوا بها على طريق الهزء فنبي أن يكونوا بادين وتشترك كلها في أنها كلمات كفر فان قالوا فاجعل هذا الاخير وحده معقولا على وجه الهزء دون ما قبله فما بهم الا تسمع كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه انسبوه بذلك بهتهم الباطل ولو كانت هذه كلمة حق نطقوا بها هزأ لم يكن لقوله تعالى (ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون) معنى لان من قال لا اله الا الله على طريق الهزء كان الواجب أن ينكر عليه استهزاؤه ولا يكذب لانه لا يجوز تكذيب الناطق بالحق جادا كان أو هازئا (فان قلت) ما قولك فيمن يفسر ما لهم بقولهم ان الملائكة بنات الله من علم ان هم الا يخرصون في ذلك القول لا في تعليق عبادتهم بمشيئة الله (قلت) تجعل مبطلا وخبر بشكير ونحو قوله تعالى سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شئ كذلك كذب الذين من قبلهم * الضمير في (من قبله) للقرآن أو للرسول والمعنى أنهم ألصقوا عبادة غير الله بمشيئة الله ولا قائل غير مستند الى علم ثم قال أم آتيناهم كتابا من قبل هذا الكتاب نستنبئه الكفر والقبائح لينا خصل لهم علم بذلك من جهة الوحي فاستمسكوا بذلك الكتاب واحتجوا به بل لا حجة لهم يستمسكون بها الا قولهم (انا وجدنا آباءنا على أمة) على دين وقرئ على أمة بالكسر وكلتاهما من الامر وهو القصد فالامة الطريقة التي تؤم أي تقصد كالملة للرحل اليه والامة الملة التي يكون عليها الآم وهو القاصد وقيل على نعمة والحسنة (على آثارهم مهتدون) خبران أو الطرف صلة المهتدون (مترفوها) الذين آثروهم النعمة وهي أبلغ من الترف فلا يمنعون اتباع الشهوات للالهي ويعانون مشاق الذين ونكالفه * قرئ قل أو لو قال وجئتكم وجئنا كم بدين أنجع وأصوب مما وجدتم عليه آباءكم أهدى من دين آبائكم * قالوا انا بما أنتم به كافرون على دين آبائنا لا نفارقه ولا نتركه بحال * فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين واذكر قصتهم وما جرى عليهم من العذاب المستأصل لاهل مكة (الذي فطرني) فيه وجهان أن يكون منصوبا على أنه استثناء منقطع كأنه قال لكن الذي فطرني فانه سيهدين وأن يكون مجرورا بدلا من الضمير في براء على أنه استثناء متصل كأنه قال انني براء مما تعبدون الا من الذي فطرني (فان قلت) كيف جعله بدلا وليس من جنس ما يعبدون من وجهين أحدهما أن ذات الله مخالفة لجميع الذوات فكانت مخالفة لذوات ما يعبدون والثاني أن الله تعالى غير معبود دينهم والاوثان معبودة (قلت) قالوا كانوا يعبدون الله مع أوثانهم وأن تكون الاصنامة بعض غير على أن ما في ما تعبدون موصولة تغير براء مني آلهة تعبدونها غير الذي فطرني فهو فطر قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا * فان قلت ما معنى قوله (سيهدين) على التسويف (قلت) قال مرة يهدين ومرة فانه سيهدين فاجمع بينهما وتركه قال فهو يهدين وسيهدين فيدلان على استمرار الهداية في الحال والاستقبال (وجعلها) وجعل ابراهيم صلوات الله عليه كلمة التوحيد التي تكلم بها وهي قوله اني براء مما تعبدون الا الذي فطرني (كلمة باقية في عقبه) في ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله ويدعو الى توحيده * لعل من أشرك منهم يرجع بدعاء من وحد منهم ونحوه ووصى بها ابراهيم بنيه وقيل وجعلها الله * وقرئ كلمة على التخفيف وفي عقبه كذلك وفي عاقبه أي في من عقبه أي خلفه (بل متعت هؤلاء) يعني أهل مكة وهم من عقب ابراهيم بالدفع المهل والنعمة فاغتروا بالمهلة وشغلوا بالتمتع واتبع الشهوات وطاعة الشيطان عن كلمة التوحيد (حتى جاءهم الحق) وهو القرآن (ورسول مبين) وهو محمد صلى الله عليه وسلم أو لما جاءهم ما جاء الانبياء من الآيات البينة وكذبوا به وهموا بقتله صاروا ولم يجعلوه منهم ما جاء وقرئ بل متعنا (فان قلت) فما وجه قراءة من قرأ متعت بفتح التاء (قلت) كأن الله تعالى اعترض الانعم على قوله وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون فقال بل متعتهم بما متعتهم به من طول العمر وتعجيله لهم في الرزق حتى شغلهم ذلك عن كلمة التوحيد وأراد بذلك الاطناب في تسريرهم لانه اذا نعمهم بزيادة على الاولين

ان هم الا يخرصون أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مهتدون وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا انا بما أرسلتم به كافرون فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين واذ قال ابراهيم لابيه وقومه اني براء مما تعبدون الا الذي فطرني فانه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون بل متعت هؤلاء وآباءهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين

* قوله تعالى حتى جاءهم الحق ورسول مبين ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وانا به كافرون (قال فيه فان قلت قد جعل مجيء الحق والرسول غاية التمتيع ثم أردفه الى آخره) قال أحمد كلام نفيس لا مزيد عليه الا ان قوله خيل بهذه الغاية أنهم تنبهوا عندها للاطلاق ينبغي اجتنابه والله أعلم وما أحسن (٣٥٠) مجيء الغاية على هذا لتحويجي الاضراب في بعض التارات فكما جاءت الغاية هنا

الفهم وجب عليهم ان يعملوا ذلك سببا في زيادة الشكر والثبات على التوحيد والايمان لا أن يشركوا به ويجعلوا له أندادا فاغتالهم أن يشكو (لرجل اساء ثم أحسن اليه ثم يقبل على نفسه فيقول أنت السبب في ذلك عمروك واحسانك وغرضه هذا الكلام توبيخ المسيء لا تقبيح فعله (فان قلت) قد جعل مجيء الحق والرسول غاية التمتيع ثم أردفه قوله (ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر) فما طريقة هذا النظم ومؤداه (قلت) المراد بالتمتيع ما هو سبب له وهو اشتغالهم بالاستمتاع عن التوحيد ومقتضياته فقال عز وعلا بل استمتعوا عن التوحيد حتى جاءهم الحق ورسول مبين فحين شغلهم بهذه الغاية أنهم تنبهوا عندها عن غفلتهم لاقتضائها التنبه ثم ابتدأ فصتهم عند مجيء الحق فقال ولما جاءهم الحق جاؤا بما هو شر من غفلتهم التي كانوا عليها وهو ان ضموا الى شركهم معاندة الحق ومكابرة لرسول ومعاداته والاستخفاف بكتاب الله وشراً مه والاصرار على أقبال الكفرة والاستحكام على حكمة الله في تخير محمد من أهل زمانه بقولهم (لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) وهي لغاية في تسمية سورة أعرضهم قوى على رجل يسكون الجيم من القريتين من احدى القريتين كقوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان أي من أحدهما والقريتان مكة والطائف وقيل من رجلي القريتين وهما الوليد بن المغيرة المخزومي وحبيب بن عمرو بن عمير الثقفي عن ابن عباس وعن مجاهد عتبة بن ربيعة وكنانة بن عبد يا ليل وعن قتادة الوليد بن المغيرة وعروة ابن مسعود الثقفي وكان الوليد يقول لو كان حقا ما يقول محمد لنزل هذا القرآن علي أو على أبي مسعود الثقفي وأبو مسعود كنية عروة وقيل مسعود مازاد الوا شكرون أن بعث الله بشرا رسولا فلما علموا بكفر الله الخ) أن الرسل لم يكونوا الا رجالا من أهل القرى جاؤا بالانكار من وجه آخر وهو تحكمهم أن يكون أحد هذين رؤسائهم هذا القرآن ذكره على وجه الاستهانة به وأراد بالعظيم الرجل ورياسته وتقدمه في الدنيا وترب عن قولهم أن العظيم من كان عند الله عظيما (أهم يقسمون رحمت ربك) هذه الهمزة للانكار المستدل بالتعجيل والتعجب من اعتراضهم وتحكمهم وأن يكونوا هم المدبرين لامر النبوة والمتخيرلها من يصلح لها وهو منهم والمتولين لقسمة رحمة الله التي لا تتولاها الا هو بباهر قدرته وبالغ حكمته * ثم ضرب لهم مثلا فاعلم أنهم عاجزون عن تدبير خويصة أمرهم وما يصلحهم في دنياهم وأن الله عز وعلا هو الذي قسم بينهم معيشتهم وقدرها وهو يدبر أحوالهم تدبيرا عالما بها فليس بينهم ولكن تفاوت بينهم في أسباب العيش وغايرين منازلهم جعل منهم أقوياء وضعفاء وأغنياء وفقراء ومولى وخدما ليخدم بعضهم بعضا في حوائجهم ويستخدموهم في مهنهم ويتسخرهم في أشغالهم حتى يتعايشوا ويترافدوا ويصلوا الى منافعهم ويحصلوا على مرافقهم ولو وكلهم الى أنفسهم ولا هلهم تدبيرا أمرهم لضاعوا وهلكوا وإذا كانوا في تدبير المعيشة الدنية في الحياة الدنيا على هذه الصفة فما ظنك بهم في تدبير أمور الدين الذي هو حمى الله الكبرى ورأفته العظمى وهو الطريق الى جنانه المحفوظ الآخرة والمسلم الى حلول دار السلام * ثم قال (ورحمت ربك) يريد بهذه الرحمة وهي دين الله وما يتبعه من الفوز في المآب خير مما يجمع هؤلاء من حطام الدنيا (فان قلت) معيشتهم ما يعيشون به من المنافع ومنهم من يعيش بالحلال ومنهم من يعيش بالحرام فاذن قد قسم الله تعالى الحرام كما قسم الحلال (قلت) الله تعالى قسم لكل عبد معيشته وعين مطاعمه ومشاربه وما يصلحهم من المنافع وأذن له في تناولها ولكن شرط عليه وكلفه أن يسلك في تناولها الطريق التي شرعها فاذا سلكها فقد تناول قسمته من المعيشة حلالا وما هو رزق الله تعالى لم يسلكها تناولها حراما وليس له بصبار رزق الله فالله تعالى قاسم المعايش والمنافع ولكن العباد هم الذين يكسبون المعصية الخرمة بسوء تدبيرهم

ومن المراد بهما ان العمل المذكور فيها مستطيع عند هما على ما هو المفهوم منها بل المراد استمراره وزيادته فكان تلك الحالة الناقصة انتهت بوجود ما هو أكمل منها كما مثلت الاضراب في مثل قوله تعالى بل ادارك علمهم

ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وانا به كافرون وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم أهم يقسمون رحمت ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمت ربك خير مما يجمعون ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن

بل الآخرة بل هم في شك منها بل هم منها عمون وهذه الاضرابات لا يستقيم على معنى أن الثاني منها رد للاول بل ثانيها آكد من أولها وجاء الاضراب مع التوافق والزيادة للاشعار بان الثاني اولى بالاعتبار من الاول

زيادته وتقصان الاول كما هو شأن اضرابي بل في الاضراب الثاني ضرب عن أولها وإثبات آخرها ومثله كثير وبالله التوفيق * قوله تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا (قال فيه فان قلت معيشتهم ما يعيشون به من المنافع الخ) قال أحمد ان الرزق عند أهل السنة يطلق على ما يتقوم به حال العبد حلالا كان أو حراما وهذه الآية معضدة والمعتزلي بنى على أصلها

*قوله تعالى ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا الآية (قال فيه معناه لولا كراهيه أن يجتمعوا على الكفر لجعلنا للكفار بستقوفا من فضة أي لوسعنا عليهم الدنيا طغيانا عاجلا انتهى كلامه) قال أحمد ولولا هذا لأخذت لولا في قوله ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم الآية قلت أن تجمع الكلام تقدير كراهة ذلك بأن لا تقدر تحذوفا كما قدمته فيكون وجه الكلام ههنا ان اجتماعهم على الكفر مانع من بسط الدنيا وهذا هو معنى لولا الممتنع ان مابعدها أبدا مانع من جوابها ولكن قد يكون المانع موجودا فتمتنع لوجود المانع الجواب بلا اشكال كقوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين وهو الاكثر وقد يكون وجوده تقديرا معه وعلى ذلك الآية أي لو وجد بسط الدنيا للكافر مقدرا لوجد امتنع عندها وهو الاجتماع على الكفر مقدرا معه وكل ما أدى وجوده الى وجود ما معه لا يوجد (ثم قال) فحين لم يوسع على الكافرين للفتنة التي كان يؤدي اليها التوسعة من الاطباق على الكفر فهلا وسع على المسلمين ليطبق الناس على الايمان وأجاب بان التوسعة عليهم مفسدة أيضا لما يؤدي اليه من الدخول في الاسلام لاجل الدنيا وذلك من دين المنافقين اهـ كلامه (قال أحمد) سؤال وجواب صنيعان على قاعدتين فاسدتين اسداهما قليل أفعال الله تعالى والاخرى ان الله تعالى أراد الاسلام من الخلق أجمعين أما الاولى فقد أخبر الله السائل عنه بقوله لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وأما الثانية فقد كفى الله المؤمنين الجواب عنه فيما تقوله ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم (٣٥٤) جميعا * قوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون حتى اذا جاءنا الآية (قال فيه

وهو عندنا لهم فيه عما شرعه الله الى ما لم تشرعه (لبيوتهم) بدل اشتمال من قوله لمن يكفر ويجوز ان يكون بدل الاضمين في قوله لجعلنا له ثوبا القيصه وقرئ سقفا بضمتين وسكون القاف وبضمها وبضمتين وسقفا جمع سقف كرهن ورهن وعن الفراء جمع سقيفة وسقفا بفتحتين كأنه لغة في سقف وسقوفا * ومعارج ومعاريج والمعارج جمع معرج أو اسم جمع لمعراج وهي المصاعد الى العلالي (عليها يظهرون) أي على المعارج يظهرون السطوح يعلونها لما سطا هو أن يظهروه * وسررا بضم الراء لاستثقال الضمتين مع حرف التضعيف (لما متاع الحياة) اللام هي الفارقة بين ان المخففة والنافية وقرئ بكسر اللام أي الذي هو متاع الحياة كقوله تعالى متلا ما بموضعه وللاشعار بتسفيه الاوان ناقية وقرئ الاوقى وما مثل ذلك الا هذا قال شيخي يعني يجموني فتلو أعز الدنيا وصغرها الردفه ما يقرونه الدنيا عنده من قوله ولولا أن يكون الناس أمة واحدة أي ولولا كراهة أن يجتمعوا على الكفر ويطبقوا عليه لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا ومعارج عليها يظهرون وسررا عليها يتكئون وزخرفا وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين

لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين

وقال عيسى بضم الكاف وكسر السين اذا أضافته الى الآية (قال أحمد) في هذه الآية نكتتان بديعتان * احداهما الدلالة على ان النكرة الواقعة في سياق الشرط تعم عموم الشمول لما يراد عموم الجمع عليه بخلاف هذه نكتة تجب عند استماعها لمخالفي هذا الرأي سكتة * النكتة الثانية أن في هذه الآية ردا على من زعم ان العود على معنى من يمنع من العود على لفظها لمدلالة واحتج المانع لذلك بأنه احمال بعد تفسير وهو خلاف المعهود من الفصاحة وقد نقض الكندي هذا بقوله تعالى ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا قد أحسن الله له رزقا ونقض غيره بقوله ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين واذا تتلى عليه الآية وكان جدي رحمه الله هذا مخرج من هذه الآية بعض ذلك لانه أعاد على اللفظ في قوله يعش وله من بين ثم على المعنى في قوله ليصدونهم ثم على اللفظ بقوله حتى اذا جاءنا وقد تبين ان الذي منع ذلك

فيكون أقصر عنه على مجيء ذلك في جملة واحدة وأما إذا تعددت الجمل واستقلت كل بنفسها فقد لا يقع ذلك حتى ردت

على الزمخشري في قوله تعالى لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا فان الجملة واحدة

يمش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون حتى اذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون أو نرينك الذي وعدناهم فانا عليهم مقتدرون فاستمسك بالذي أوحي اليك انك على صراط مستقيم وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسئلون واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ولقد أرسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملئه فقال اني رسول رب العالمين

فانظره في موضعه * قوله تعالى واسئل من أرسلنا من قبلك

واذا انار نظر العشى ولا آفة به قيل عشا وظنيره عرج على به الا آفة وعرج لمن مشى مشية العرجان من غير عرج قال الحطيئة * حتى تأنه تسؤالي صوء ناره * أي تنظر اليها نظر العشى لما يضعف بصرك من عظم الوقود واتساع الضوء وهو بين في قول حاتم أعشو اذا ما جارتي برزت * حتى يواري جارتي الخدر

وقرئ بضم الشين على أن من موصولة غير مضمنة معنى الشرط وحق هذا القارئ أن يرفع نقيض ومعنى القراءة بالفتح ومن يعم (عن ذكر الرحمن) وهو القرآن كقوله تعالى صم بكم عمي وأما القراءة بالضم فمعناها ومن يتعام عن ذكره أي يعرض أنه الحق وهو يتجاهل ويتغابى كقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم (نقيض له شيطانا) فنخذله ونخل بينه وبين الشياطين كقوله تعالى وقيضنا لهم قرناء فهم قرناء لهم أو نرسل الشياطين على الكافرين وقرئ نقيض أي يقيض له الرحمن ويقيض له الشيطان * (فان قلت) لم جمع ضمير من وضمير الشيطان في قوله (وانهم ليصدونهم) (قلت) لان من مبهم في جنس العاشي وقد قيض له شيطان مبهم في جنسه فلما جاز أن يتناولا لابهامهما غيرا واحدين جاز أن يرجع الضمير اليهما مجموعا (حتى اذا جاءانا) العاشي وقرئ جاءانا على أن الفعل له وللشيطان (قال) الشيطان (يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين) يريد المشرق والمغرب فغلب كما قيل العمران والقمران (فان قلت) فما بعد المشرقين (قلت) تباعدهما والاصل بعد المشرق من المغرب والغرب من المشرق فلما غلب وجمع المشرقين بالتثنية أضاف بعد اليهما (أنكم) في محل الرفع على الفاعلية بمعنى ولن ينفعكم كونكم مشتركين في العذاب كما ينفع الراقمين في الاجر المتساوين اشتراكهم فيه لتسامحهم في تحمل أعبائه وتقسيمهم لشقته وعنائه وذلك أن كل واحد منكم يعذب بما لا تبلغه طاقته ولك أن تجعل الفعل للتمني في قوله يا ليت بيني وبينك على معنى ولن ينفعكم اليوم ما أتمنيه من بعد مباعدة القرين وقوله انكم في العذاب مشتركون تعليل أي لن ينفعكم تمنيكم لان حظكم أن تشتركوا أنتم وقرناؤكم في العذاب لا أن تتمنوا مشتركين في سببه وهو الكفر وتتمنى بعدهما بين قرنا أنكم بالكسر وقيل اذا رأى المعذب شدة من معه علم أن حظه ذلك فتمنى بعض كربه وهو التأسي الذي ذكرناه فتأمل

* أعزي النفس عنه بالتأسي * فهو لا يؤسهم لنقائهم ولا يرحمهم لعظم ما هم فيه (فان قلت) ما معنى قوله تعالى اذ ظلمتم (قلت) معناه ان ظلمكم وتبين لم ينفعكم كونكم مشتركين في الكفر ولا الاشتراك في ذلك يوم القيامة وانما ينفع في الدنيا * (واما نرينك الذي وعدناهم) * أي نبين أني قادر عليه * كما رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتهد بكل وجه في دعاء قومه وهم لا يزيدون على دعائه الا تصميما على الكفر وعنادا فالخ فأقر كما عليه بقوله (أفأنت تسمع الصم) انكارا لتهيب من أن يكون هو الذي يفسد على هدايتهم وأراد أنه لا يقدر على ذلك منهم الا هو وحده على سبيل الالجاء والقسر كقوله تعالى ان الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور * ما في قوله (فاما نذهبن بك) بمنزلة لام القسم في أنها اذا دخلت دخلت معها النون المؤكدة والمعنى فان قبضناك قبل أن نشفي لك غليلا فالينا يرجعون * وان أريناك تبرد حياتك ما وعدناهم من العذاب النازل بهم وهو يوم بدر فهم تحت ملكتنا وقدرتنا لا يفوتوننا وصفهم بشدة الشكيمة في الكفر والضلال ثم أتبعه حدة الوعيد بعذاب الدنيا والآخرة * وقرئ نرينك بالنون الخفيفة * وقرئ بالذي أوحي اليك على البناء للفاعل وهو الله عز وجل والمعنى وسواء عجلنا لك الظفر والغلبة أو أخرنا لك اليوم الآخر فكن مستمسكا بما أوحينا اليك والعمل به فانه الصراط المستقيم الذي لا يحيد عنه الا ضال شقي وذكر لك يوم صلاحة في المهمات على دين الله ولا تخرج لك الضجر بأسهم من اللين والرخاوة في أمرك ولكن كما يفعل الثابت الذي لا يتنطه تهيل ظفر ولا يثبطه تأخيره (وانه) وان الذي أوحي اليك (لذكر) لشرف لك (ولقومك) لسوف (تسئلون) عنه يوم القيامة وعن قيامكم بحقه وعن تعظيمكم له وشكركم على أن من عليكم بخصه بمن بين العالمين * ليس المراد بسؤال الرسل حقيقة السؤال لاحاجته ولكنه مجاز عن

مر رسلنا (قال سؤال الرسل مجاز عن التحص في شرائعهم والنظر في ملالهم الخ) قال أحمد ويشهد لارادة سؤال الامم فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك والله أعلم

*قوله تعالى فلما جاءتهم آياتنا إذا هم منها يضحكون وما نريهم من آية إلا هي أكبر من أختها (قال جار) إذا جاءت إجازة بإذا التي للمفاجأة فلا بد من معنى وهو العامل فيها النصب الخ) قال أحمد الظاهر في تصوير هذا الاطلاق والله أعلم أن كل واحدة من هذه الآيات إذا أفردت بالفكر استغرقت عظمتها الفكر وحيرته حتى يجزم أنها النهاية وأن كل آية دونها فإذا انتقل الفكر إلى أختها استوعبت أيضا فكره بعظمها وذهل عن الأولى فتجزم بأن هذه النهاية وأن كل آية دونها فالعامل إذا لا يقدر الفكر ٣٥٣ على أن يجمع بين آيتين منها فيتحقق

في أيامهم التعس عن ملهم هل جاءت عبادة الأوثان قط في ملة من ملل الأنبياء وكفاه نظر واحد في كتاب الله العزيز الصادق فيما بين يديه وأخبار الله فيه بأنهم يعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وهذه الآية في نفسها كافية لا حاجة إلى غيرها والسؤال الرائع جدا عن النظر حيث لا يصح السؤال عن الحقيقة كثير منه مسألة الشعراء الديار والرسوم والأطلال وقول من قال سل الأرض من شق أنهارك وغرس أشجارك وجنى ثمارك فإن لم تجبك حوارا أجابتك اعتبارا وقيل إن النبي صلى الله عليه وسلم جمع الأنبياء ليلة الإسراء في بيت المقدس فأمهم وقيل له سلهم فلم يشكك ولم يسأل وقيل معناه سل أهل من أرسلنا وهم أهل الكتابين التوراة والإنجيل وعن الفراء هم أعلم من كتب الرسل فإذا سألهم فكأنه سأل الأنبياء *ما أجابوا به عند قوله إني رسول رب (لعالمين) محذوف دل عليه قوله (فلما جاءهم آياتنا) هو مطابق لقوله إذا هم بها يضحكون وإذا للمفاجأة على ما مر وإذا الآية (إذا هم منها يضحكون) أي يسخرون منها ويهزؤن بها ويسمونها سحرا وإذا للمفاجأة (فإن قلت) كيف جاز أن يجاب بإذا المفاجأة (قلت) لأن فعل المفاجأة مقدر وهو عامل النصب في محلها كأنه قيل فلما جاءهم آياتنا فاجئوا وإذا ضحكهم (فإن قلت) إذا جاءتهم آية واحدة من جملة التسع فما أختها التي فصلت عليها الكبرى بقية الآيات (قلت) أختها التي هي آية مثلها وهذه صفة كل واحدة منها فكان اللفظ الدال على أنها أكبر من بقية الآيات على سبيل التفضيل والاستغراق واحدة بعد واحدة كما تقول هو أفضل رجل رأيته تريد تفضيله على أمة الرجال الذين رأيتهم إذا قرنتهم رجلا رجلا (فإن قلت) هو كلام مستأنف لأن معناه ما من آية من التسع الا هي أكبر من كل واحدة منها فتكون كل واحدة منها فاضلة ومفضولة في حالة واحدة (قلت) الغرض هذا الكلام أن توصف كل آية بالكبر لم تكن متفاوتة فيه وكذلك العادة في الآيات التي تتلاقى في الفضل وتتفاوت مراتبها فيه التفاوت البين إن اختلف آراء الناس في تفضيلها فيفضل بعضهم هذا وبعضهم ذاك فعلى ذلك بنى الناس كلامهم فمنهم من يأتي بالبعض أفضل من بعض وربما اختلفت آراء الرجل الواحد فيها تارة يفضل هذا وتارة يفضل ذاك وهو بيت الحماسة

من كل مفتنم فضل لأثبت سيدهم * مثل النجوم التي يسري بها الساري

وقد فضلت الآيات الكبرى بعضها بعضا ثم قالت فلما أبصرت عرائهم متتابعة قليلة التفاوت فكأنهم ان كنت أنت أيها المتحدي أفضل هم كما قالت العرفاء لا يدري أن طرفاها (لعلهم يرجعون) إرادة أن يرجعوا عن الكفر إلى الإيمان (فإن قلت) إذا أراد رجوعهم لكان (قلت) إرادته فعل غير ملبس الآن يأمر به ويطلب منه ايجاده فإن كان ذلك على سبيل التحسر وعدم الادراء بين أن يوجدوا بين أن لا يوجد على حسب اختيار المكلف والمأمر يكثر الرجوع لان الارادة لم تكن قسرا لهم بخلاف الأمر والطلب فإنهم أبقى لهم أو غير ذلك *وفي قراءة يا أيه الساحر بضم الهاء وقد سبق وجهه (فإن قلت) كيف صح نداء الساحر مع قولهم (إننا لمهتدون) (قلت) قولهم إننا لمهتدون وعد منهم على أنفسهم مع علمهم بأن الله لا يهديهم ولا يكشف عنهم العذاب الا لترى إلى قوله تعالى (فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون) فما كانت تسميتهم إياه أن في ساحر عناية لقولهم إننا لمهتدون وقيل كانوا يقولون للعالم الماهر يا ولا يستعملونه إلا مع المحسن *وعابد

عنده الفاضلة من المفضولة بل معها أفرده بالكبر حتى بانه النهاية وعلى هذا التقدير يجري جميع ما يرد من أمثاله والله أعلم *قوله تعالى وأخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون الآية (قال معناه إرادة أن يرجعوا عن الكفر

العالمين فلما جاءهم آياتنا إذا هم منها يضحكون وما نريهم من آية إلا هي أكبر من أختها وأخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون وقالوا يا أيه الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك إننا لمهتدون فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون

إلى الإيمان الخ) قال أحمد قد تقدم في غير موضع أن أهل حيثما وردت في سياق كلام الله تعالى فالمراد صرف المرجاء إلى المخلوقين أي ليكونوا بحيث يرجى منهم ذلك هذا هو الحق وعليه تأول سيبويه ما ورد أما الزمخشري فيحمل لعل على الإرادة

وهو خلاف ما نعتقده من اعتقاد أن الله يريد شيأ ويريد العبد خلافه فيقع مراد العبد ولا يقع مراد الرب تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا فإنه شنيع جدا وأقبح أساء الأدب في هذا الموضع حتى إنه لولا تعين الرد عليه والإنكار لتقل ويتعذر على اللساني به وما الهندي وغيره على سنن أوائلهم في جعل حقيقة الأمر هو الإرادة وأضاف إلى ذلك اعتقاد أن العبد يوجد فعله ويخلقه ادا العبد يقع مراد الرب لا يقع فهذه ظلمات ثلاث بعضها فوق بعض نعوذ بالله من هذه العقائد ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هدينا

عندك بعهده عندك من أن دعوتك مستجابة أو بعهده عندك وهو النبوة أو بما عهد عندك فوفيت به وهو الايمان والطاعة أو بما عهد عندك من كشف العذاب عمن اهتدى (ونادى فرعون فى قومه) جعلهم محلا لندائه وهو تعالى والمعنى أنه أمر بالنداء فى محاسبهم وأما كنهم من نادى فهو بذلك فاسند النداء اليه كقولك قطع الامير اللص اذا أمر بقطعه ويجوز ان يكون عنده عظماء انقبط فيرفع صوته بذلك ثم يلقيه اليهم ثم ينشر عنه فى جموع القبط فكان فرعون يناديهم بقوله (أليس لى ملك مصر وهذه الانهار) يعنى أنهار النيل ومعظمها أربعة نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس فيقيل كانت تجرى تحت قصره وقيل تحت سريره لارتفاعه وقيل بين يدى فى جنانى وبساتينى ويجوز أن تكون الواو عاطفة الذى يدل على ملك مصر وتجرى نصب على الحال منها وأن تكون الواو للحال واسم الاشارة مبتدأ والانهار صفة لاسم الاشارة وتجرى خبر المبتدأ وليت شعرى كيف ارتفت الى دعوى الربوبية هامة من تعظم ملك مصر وتعجب الناس من عظمته وأمر فنودى بها فى أسواق مصر وأرقها الثلاثة تحقق تلك الالهية والجلالة على صغير ولا كبير وحتى يقرع فى صدور الدهماء صدار عزته وملكوته من الرشيد أما تراها قال لا والله أنا الخس عبيدى فولاها الخصيب وكان على وضوئه ومن عبد الله بن طاهر أنه ولها فخرج اليها فلما شارفها وقع عليها بصره قال أعمى التربة التى افتخر بها فرعون حتى قال أليس لى ملك مصر والله لقلى أقل عندى من أن أتطاول اقتنى عناء (أم أنا خير) أم هذه متصلة لان المعنى أفلا تبصرون أم تبصرون الا أنه وضع قوله أنا خير موضع تبصرون لانهم اذا قالوا له أنت خير فهم عنده بصراء وهذا من انزال السبب منزلة المسبب ويجوز أن تكون منقطعة على بل أأنا خير والهمزة للتقرير وذلك أنه قدم تعديد أسباب الفضل والتقدم عليهم من ملك مصر وجرى الانهار تحته ونادى بذلك وملأ به مسامعهم ثم قال أنا خير كأنه يقول أثبت عندكم واستقر أنى أنا خير وهذه مافى (من هذا الذى هو مهين) أى ضعيف حقير وترى أما أأنا خير (ولا يكاد يبين) الكلام لمابه من الرتة يريد أنه ليس معه من المدد ولا لان الملك والسياسة ما عقد به وهو فى نفسه حقير بما يشهد به الرجال من النفس والصلاحة وكانت الانبياء كلهم أبينا بلغاء * وأراد بالقاء الاسورة عليه القاءها على يديه للملك اليسلمه لانهم كانوا اذا أرادوا تسويد الرجل سوروه بسوار وطوقوه بطوق من ذهب (مقترنين) أما مقترنين به من قولك قرنته فاقترن به وأما من اقترن بمعنى تقارنوا والمراد صحبة نفسه اياه لاكثر العهد وان بينه وبين موسى صلوات الله عليه وهو يصفه بالضعف وقلة الاعضاد اعترض فقال هلا ان كان صادقا ملكه ربه وسوده وسوره وجعل الملائكة أعضاده وأنصاره * وقرئ أساوروا جمع أسورة وأساور جمع اسوار وهو السوار وأساوره على تعويض التاء من ياء أساوير * وقرئ ألقى عليه أسورة وأساور على البناء للفاعل وهو الله عز وجل (فاستخف قومه) فاستفزهم وحملهم على أن يخفوا له ولما أراد منهم وكذلك استفزمن قولهم للضعيف فز (آسفونا) منقول من أسف أسفا اذا اشتد غضبه ومنه الحديث فى موت الفجأة رحمة للمؤمن وأخذة أسف للكافر ومعناه أنهم أفرطوا فى المعاصى وعدوا طورهم فاستوجبوا أن نعجل لهم عذابا وانتقاما وآن لا نعلم عنهم * وقرئ سلفا جمع سالف كخادم وخدم وسلفا بضمتين جمع سليف أى قوم قد سلفوا وسلفا جمع سلفة أى ثلة قد سلفت ومعناه فجعلناهم قدوة للآخرين من الكفار يقتدون بهم فى استحقاق مثل عقابهم وتركوه بهم لا يتلوهم بمثل أفعالهم وحديثا يحدث الشاذ سائر امسيرا المثل يحدثون به ويقال لهم مثلكم مثل قوم فرعون فما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على قريش انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم استعصبوا من ذلك استعصابا شديدا فقال عبد الله بن الزبعرى يا محمد أخاصة لنا ولآلهتنا أم لجميع الامم فقال عليه السلام هو لكم ولآلهتكم ولجميع الامم فقال خصمتك ورب الكعبة ألست تزعم أن عيسى بن مريم نبى وتثنى خيرا على أمه وقد علمت أن النصارى يعبدونهما وعزير يعبده الملائكة يعبدون فان كان هؤلاء فى النار معنا فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معهم نفرحوا وضحكوا وسكت النبى صلى الله عليه وسلم فأنزل الله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ونزلت هذه الآية والمعنى ولما ضرب عبد الله بن الزبعرى عيسى بن

ونادى فرعون فى قومه قال يا قوم أليس فى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون أم أنا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين فاستخف قومه فأطاعوه انهم كانوا قوما فاسقين فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين ولما ضرب ابن مريم مثلا

مثلا وجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبادة النصارى اياه (اذا قومك) قريش من هذا المثل (يصدون) ترتفع لهم جلبة وضجيج فرحا وجذلا وضحكا بما سمعوا منه من اسكات ربه رسول الله صلى الله عليه وسلم بجدله كما يرتفع لغط القوم وجلبتهم اذا تميز الحجة ثم قفيت عليهم وأما من قرأ يصدون بالضم فمن الصدود أى من أجل هذا المثل يصدون عن الحق ويمرضون عنه وقيل من الصديد وهو الجلبة وانها الفتان نحو يكفكفون ويكف وتظاهرلهما (وقالوا أآلهتنا خير أم هو) يعنون أن الهتنا عندك ليست بخير من عيسى واذا كان عيسى من حصب النار كان أمر آلهتنا هينا (ماضربوه) أى ماضربوا هذا المثل (لك الا جدلا) الا لاجل الجدل والغلبة فى القول لا لطلب المزيد الحق والباطل (بل هم قوم خصمون) لتشددا لخصومة فأيهم الجاج كقوله تعالى قوما لدا وذلك ان قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون الا الأصنام وكذلك قوله عليه السلام هو لكم ولآلهتكم وجميع الامم انما قصدوا بالاصنام وخيال أن يقصد بالانبياء والملائكة الا أن ابن الزبعرى جهله وخداعه وشغب دخلته فاسرأى كلام الله ورسوله محتملا لفظه وجه أقوم مع علمه بان المراد به أصنامهم لاغير وجد الجدال مساغا فتصرف فى معناه الى الشمول والاحاطة بكل معبود غير الله على طريقة الجدل وحب المغالبة والمكابرة وتوفر فى ذلك فتوفر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أجاب عنه بما بان الذين سبقت لهم منا الحسنى معدل به على أن الآية مختصة فى الاصنام على أن ظاهر قوله وما تعبدون لغير العقلاء وقيل لما سمعوا قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم قالوا نحن أهدى من النصارى لانهم عبدوا آدميا ونحن نعبد الملائكة فنزلت وقوله أآلهتنا خير أم هو على هذا القول تفصيل لا آلهتهم على عيسى لان المراد بهم الملائكة وما ضربوه لك الا بمعناه وما قالوا هذا القول يعنى أآلهتنا خير أم هو الا لجدال وقرئ أآلهتنا خير بالمد على الاستفهام وبأساقطها لدلالة أم العديلة عليها وقرئ على حرف ان مسهو خير أم هذا ويجوز أن يكون جدلا حالا أى جدلين وقيل لما نزلت ان مثل عيسى عند الله كما ترابه خصمه الا ان نبيه وأنه يستأهل أن يعبد وان كان بشرا كما عبدت النصارى المسيح وهو ثم وسمى يصدون بضم الصاد وكسرها من صد يصد بمعنى ضج أو من صد يصد بمعنى ضج أى قومك من أجل آلهتهم التى هى عندهم بالمنزلة التى عيسى عندنا ومن أجل ما ضربوا لك هذا المثل يضجون ويصيحون فرحا وقالوا الست تزعم أن من عبد من دون الله فهو مع من عبده فى النار فنحن نعبد الملائكة وهم نعبدون الله فنحن معهم فى النار فنحن نرضى بذلك فنزلت (ان هو الا عبد) كسائر العبيد (أنعمنا عليه) بالنبوة وشرفناه بالرسالة (وجعلناه آية لبنى اسرائيل) عجيبا من غير سبب كما خلقنا آدم وشرفناه بالنبوة وصيرناه عبرة عجيبة كالمثل السائر لبنى اسرائيل (ولو نشاء) لقدرتنا على عجائب الامور وبدائع الفطر (لجعلنا منكم) أولد نامنكم بأرجال (ملائكة) يخلفونكم فى الارض كما يخلفكم أولادكم كما ولدنا عيسى من أنثى من غير فحل لتعرفوا قدرتنا القادرة الباهرة ولتعلموا أن الملائكة أجسام لا تتولد الا من أجسام وذات القديم متعالية عن ذلك (وانه) وان عيسى عليه السلام (لعلم الساعة) أى شرط من أشراطها تعلم به فسمى الشرط علما لحصول العلم به وقرأ ابن عباس لعلم وهو العلامة وقرئ للعلم وقرأ أبى لذكر على تسمية ما يذكر به ذكرا كما سمى ما يعلم به علما وفى الحديث ان عيسى عليه السلام ينزل على ثنية الارض المقدسة يقال لها أفيق وعليه ممصرتان وشعر رأسه دهين واضع يديه على أجنحة ملكين اذا طأطأ رأسه قطر وان رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ فيأتى بيت المقدس والناس فى صلاة الصبح والامام يؤمهم فيتأخر الامام فيقدمه عيسى ويصلى خلفه على شريعة محمد عليه السلام ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى الا من آمن به وعن الحسن ان الضمير للقرآن وان القرآن به تعلم الساعة لان الاعلام به (فلا تمترن بها) من المرية وهى الشك (واتبعون) وائتمروا بما دعاكم اليه وأمركم به رسولى وقيل هذا الظاهر لرسول الله أن يقوله (هذا صراط مستقيم) أى هذا الذى أدعوكم اليه وأوحى اليه القرآن ان جعل الضمير فى ماهو للقرآن (عدو مبين) قد أبانت عداوته لكم اذ أخرج أباكم من الجنة ونزع عنه لباس النور (بالبينات) وان هو

اذا قومك منه يصدون وقالوا أآلهتنا خير أم هو ماضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون ان هو الا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبنى اسرائيل ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة فى الارض يخلفون وانه لعلم للساعة فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم ولا يصدنكم الشيطان انه لكم عدو مبين ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم

بالمعجزات أو بآيات الانجيل والشرائع البينات الواضحات (بالحكمة) يعني الانجيل والشرائع (فان قلت) هلا بين لهم كل الذي يختلفون فيه ولكن بعضه (قلت) كانوا يختلفون في الديانات وما يتعلق بالتكاليف وفيما سوى ذلك مما لم يتعبدوا بمعرفته والسؤال عنه والغالب ليبين لهم ما اختلفوا فيه مما يعنيهم من أمر دينهم (الاحزاب) الفرق المتحزبة بعد عيسى وقيل اليهود والنصارى (فويل للذين ظلموا) وعيد للاحزاب (فان قلت) من يعني الى من يرجع الضمير فيه (قلت) الى الذين ناظرهم عيسى في قوله فجئتكم بالحكمة وهم قومه المبعوث اليهم (أن تأتيهم) بدل من الساعة والمعنى هل ينظرون الا اتيان الساعة (فان قلت) أما تأتي قوله (بغتة) مؤتى قوله (وهم لا يشعرون) فيستغنى عنه (قلت) لا لان معنى قوله تعالى وهم لا يشعرون وهم عالمون لاشتغالهم بأمور دنياهم كقوله تعالى تأخذهم وهم مخصومون ويجوز أن تأتيهم بغتة وهم مظنون (يومئذ) منصوب بمضمر أي تنقطع في ذلك اليوم كل خلة بين المتحابين في غير ذات الله وتنقلب عداوة ومعناه الاخلة المتصادقين في الله فانها الخلة الباقية المزيدة قوة ادرار أو ثواب التحاب في الله تعالى والتباغض في الله وقيل (الا المتقين) الا المخلصين أخلاء كسوء قبل نزلت في أبي بن خلف وعقبة بن أبي معيط (ياعبادي) حكاية لما ينادي به المتقون المتحاون في القيامة * (والذين آمنوا) منصوب المحل صفة لعبادي لانه مضاف أي الذين صدقوا (يا ايها الناس) مخلصين وجوههم لله ياعلين أنفسهم مسلمة اطاعتا وقيل اذا بعث الله الناس فزع كل أحد فينادي منادا يا عبادي فيرجوها الناس كلهم ثم ينبعها الذين آمنوا فيأس الناس منها غير المسلمين * وقرئ ياعباد (تحبرون) تسرون سرورا يظهر حباره أي أثره على وجوهكم كقوله تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم وقال الزجاج تكرمون اكراما بالغ فيه والحبرة المبالغة فيما يعجب (بصحاف) * والكوب الكوز لا عروة له (وفيها) الضمير للجنة * وقرئ تشتهيه وهذا حصر لانواع النعم لانها اما مشتهاة في القلوب واما مستلذة في العيون (وتلك) اشارة الى الجنة المذكورة وهي مبتدأ و (الجنة) خبر و (التي أورثتموها) صفة اما لتلك أو للجنة صفة للبيت الذي هو اسم الاشارة وقرئ أورثموها بحذف التاء الثانية أو نقلها الى الواو بعد حذفها صفة و (لكم فيها) خبر الجنة أو الخبر والجملة تتعلق بمعنى كأن الطارف التي تقع أحيانا وقرئ أورثموها (منها تأكلون) من للتبعيض أي لا تأكلون الا بعضها وأعقابها باقية في خبرها فهي من بقية الثمار أبدا وقرئ بها لا ترى شجرة عربانة من ثمرها كما في الدنيا وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا يلتزم رجل في الجنة من ثمرها الا انبت مكانها مثلاها (لا يفتر عنهم) لا يخفف ولا ينقص من قولهم فتر عنه اذا سكن عنه قليلا ونقص سورها * والمبلس اليائس الساكت سكوت يأس من فرج وعن الفحام يجعل المجرم في تابوت من نار ثم يرتم عليه فيبقى فيه خالدا لا يرى ولا يرى (هم) فصل عند البصريين عماد عند الكوفيين * وقرئ وهم فيها أي في النار * وقرأ علي وابن مسعود رضي الله عنهما يا مال بحذف الكاف للترخيم كقول القائل * ونلقى بالمال غير ما تسف * وقيل لابن عباس ان ابن مسعود قرأ ونادوا يا مال فقال ساأشفع أهل النار عن الترخيم وعن بعضهم حسن الترخيم أنهم يقطعون بعض الاسم لصغرهم وعظم ما هم فيه وقرأ أبو السمال العقيلي يامال بالرفع كما يقال يا بار (ليقض علينا ربك) من قضى عليه اذا أماته فوكزه موسى فقضى عليه والمعنى سل ربك أن يقضي علينا (فان قلت) كيف قال ونادوا يا مالك بعد ما وصفهم بالابلاس (قلت) ثلاث أزمنة متطاولة وأحقاب ممتدة فتختلف بهم الاحوال فيسكتون أوقاتا لغلبة اليأس عليهم وعلمهم أنه لا فرج لهم ويتكلمون أوقاتا لشدة ما بهم (ماكثون) لابثون وفيه استهزاء والمراد الدوام عن ابن عباس رضي الله عنهما انهم يجيبهم بعد ألف سنة وعن النبي صلى الله عليه وسلم باق على أهل النار الجبر حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيقولون ادعوا مالكا فيدعون يا مالك ليقض علينا ربك (لقد جئناكم بالحق) كلام الله عز وجل يدل على قراءة من قرأ لقد جئتكم ويجب أن يكون في قال ضمير الله عز وجل لما سألوا ما الكا أن يسأل الله تعالى القضاء عليهم أجابهم الله بذلك (كارهون) لاتباعه ونزلي

بالحكمة ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعون ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم هل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين ياعباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين وأنتم فيها خالدون وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون

*قوله تعالى قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين (قال فيه معناه ان صح وثبت برهان قاطع فأنا أول من يعلم ذلك الولد وأسبقكم الى طاعته والانقياد له الى آخره) قال أحمد لقد استعظموا واقتحموا هيلكة في تعليله ذلك بقول من سماه عدليا ان كان الله تعالى قال الكفر في القلوب ومعذبا عليه فأنا أول القائلين انه الشيطان وليس بالله فليتفه عليه ذلت بقول القائل قد ثبت قطعا عقلا وشرعا انه تعالى خالق الذات في القلوب كخلق الايمان وقد اقتضى دليل العقل الدال على ان لا خالق الا الله وتصديقا بمضمون قوله تعالى هل من خالق غير الله وقوله الله خالق كل شئ واذا ثبتت هذه المقدمة عقلا وتقلا لزمه قولك لانه وعلى عقده اذ يلحد في الله الحاد ١٥٧ لم يسبقه اليه أحد من عباده

منسوب تفترون منه لان مع الباطل الدمغ ومع الحق اللعب (أم) أبرم مشركو مكة (أمرا) من كيدهم وشرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم (فانا مبرمون) كيدنا كما أبرموا كيدهم كقوله تعالى أم يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون * وكانوا يتناجون فيما جرى بين رسول الله صلى الله عليه وسلم (فان قلت) ما المراد بالسر والنجوى (قلت) السر ما حدث به الرجل نفسه أو غيره في مكان خال والنجوى ما تكلموا به فيما بينهم (بلى) نسمع ما نطلع عليهما (ورسلنا) يريد الحفظة عند هم (يكتبون) ذلك وعن يحيى بن معاذ الرازي من ستر من الناس ذنبه وأبداها الذي لا يخفى عليه شئ في السموات فقد جعل أهون الناظرين اليه وهو من علامات النفاق (قل ان كان للرحمن ولد) وضح ذلك وثبت ببرهان تجمع تورده وحجة واضحة تتلوها (فأنا أول) من يعظم ذلك الولد وأسبقكم الى طاعته والانقياد له كما يعظم (رجل ولد الملك لتعظم أبيه وهذا كلام وارد على سبيل الشرط والتمثيل لغرض وهو المبالغة في نفي الولد والانصاف فيه وأن لا يحول الباطل به شبهة الاصحة ونفي صحة الشئ يتضمن نفسه بثبات التقدم في باب التوحيد وذلك أن خلق العبادة يكينونة الولد وهي محال في نفسها فكان المعلق بها محالا مثلها وهو في صورة اثبات الكينونة والعبادة وفي معنى نفيهما على أبلغ وجوهه وأقواها نظيره ان قول العدلي الصغير ان كان الله تعالى خالقا للكفر في القلوب ومعذبا عليه عدلا سرمدا فأنا أول من يقول هو شيطان وليس بالله فمعنى هذا الكلام وما وضع له أسلوبه ونظمه في أن يكون الله تعالى خالقا للكفر وتلزمهم من ذلك وتقدسه ولكن على طريق المبالغة فيه من الوجه الذي ذكرنا مع الدلالة على صلابة المذهب وصلالة الناهب اليه والشهرة القاطعة بالنهوة الافصاح عن نفسه بالبراءة منه وغاية النفار والاستنكار من ان يتكلم به وخوه هذا الطرز قول سعيد بن جبير رحمه الله لمسلم بن نذير حين قال له أما والله لأبدلنك بالدنيا نارا تتلظى ليوقنن أن ذلك البيان ما عصمك الله منه وقد عمل الناس بما أخرجوه من هذا الاسلوب الشرعي المبني بالتكلف والتوثق المستقل بإثبات التوحيد على أبلغ وجوهه فقيل ان كان للرحمن ولد في زعمكم فأنا أول العابدين الموحدين لله لا كما تدين قولكم باضافة الولد اليه وقيل ان كان للرحمن ولد في زعمكم فأنا أول الآنفين من أن يكون له ولد من عبد يذاذ الشد أنفه فهو عبد وعابد * وقرأ ابن هرمز السبدين وقيل هي ان النافية أي ما كان للرحمن ولد فأنا أول من قال ذلك وعبده وحده ويروى أن النضر بن عمه الدار بن قصي قال ان الملائكة بنات الله فغرات فقال النضر الآخر انه قد صدق فقال له الوليد بن المغيرة ما صدقك ولكن قال ما كان للرحمن ولد فأنا أول الموحدين من أهل مكة أن لا ولد له * وقرئ ولد بضم الواو * ثم نزه ذاته عما وصفوه به بربوبية السموات والارض والعرش عن اتخاذ الولد لدليل على أن من صنعة الاجسام ولم يكن جسما لم يتعذر على خلق هذا العالم وتدبير أمره (فذرهم يخوضوا) في باطلهم (ويلعبوا) في دنياهم (حتى يلاقوا يومهم) وهذا دليل على أن ما هم فيه من باب الجهل والخوض واللعب وأعلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم من المطبوع على قلوبهم الذين لا يرعوون البتة وان ركب رءوسهم كل صعب وذلول وخذلان لهم وتخلية بينهم وبين الشيطان كقوله تعالى اعملوا ما شئتم وايعاد بالجاعل العاقبة * ضمن اسم الله تعالى معنى وصف فلذلك علق به الظرف في قوله في السماء وفي الارض كما

الكفرة ولا تجر أعليه ما ردن من مرة الفجرة ومن خالف في كفره القدرية فقد وافق على كفر من شر أقوال هذه

أم أبرموا أمرا فانا مبرمون أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله وهو الحكيم العليم وتبارك الذي له ملك السموات والارض وما بينهما وعنده علم الساعة واليه

القالة واقتحم هذه الضلالة لاحالة فانه قد صرح بكلمة الكفر على أقبح وجوهها وأشنع أنحائها والله المسؤل ان يعصمنا وهو حسبنا ونعم الوكيل

٤٥ تعالى وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله (قال فيه ضمن اسم الله معنى وصف فلذلك علق به الظرف وهو قوله في السماء الخ) الظاهر وهو ما سهل حذف الراجع مضافا الى الطول الذي ذكره وقوع الموصول خبرا عن مضمر نوظهر الراجع لكان كالتكرار ما هذه وان كان أصل الكلام وهو الذي هو في السماء اله ولا ينكر أن الكلام مع المحذوف الراجع أخف وأسهل وان الراجع انما حذف مثله لا مرسما كما فانه لم يرد في الكتاب العزيز الا في قوله تماما على الذي أحسن وصح أي في هو وضعفين على رأي قال وتحتمل الآية أن يكون في السماء صلة الذي على تأويل الالهية الخ

تقول هو حاتم في طي حاتم في تغلب على تضمين معنى الجواد الذي شهر به كأنك قلت هو جواد في طي جواد في تغلب * وقرئ وهو الذي في السماء الله وفي الأرض الله ومثله قوله تعالى وهو الله في السموات وفي الأرض كأنه ضمن معنى المعبود أو المالك أو نحو ذلك والراجع إلى الموصول محذوف لطول الكلام كقولهم ما أنا بالذي قائل لك شيئا وزاد طولا أن المعطوف داخل في حيز الصلة ويحتمل أن يكون في السماء صلة الذي والله خبر مبتدأ محذوف على أن الجملة بيان للصلة وأن كونه في السماء على سبيل الالهية والربوبية لا على معنى الاستقرار وبيد في الآلهة التي كانت تعبد في الأرض (ترجعون) قرئ بضم التاء وفتحها وترجعون بناء مضموم مقروئ تشعرون بالتاء * ولا يملك الذين يدعون من دون الله الشفاعة كما زعموا أنهم شفعاؤهم عند الله ولكن من (شهد بالحق) وهو توحيد الله وهو يعلم ما يشهد به عن بصيرة وإيقان وإخلاص هو الذي يملك الشفاعة وهو استثناء منقطع ويجوز أن يكون متصلا لأن في جملة الذين يدعون من دون الله الملائكة * وقرئ تدعون بالتاء وتدعون بالتاء وتشديد الدال (وقيله) قرئ بالحركات الثلاث وذكر في النصب عن الأخفش أنه محمول على أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم وقيله وعنده وقال قيله والضمير راجع إلى محل الساعة كأنه قيل علمت من ضرب زيد عمرا وحمل الجر على لفظ الساعة والرفع على الابتداء والخبر بما بعده ويجوز عطفه على علم الساعة على تقدير حذف المضاف معناه وعنده علم الساعة وعلم قيله والذي قالوا ليس بشيء في المعنى مع وقوع الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بما لا يحسن اعتراضا ومع تنافر النظم وأقوى من ذلك وأوجه أن يكون الجر والنصب على إضمار حرف القسم وحذفه والرفع على قولهم أيمن الله وأيمانك الله وعيش الله ولعمرك ويكون قوله (إن هؤلاء قوم لا يؤمنون) جواب القسم كأنه قيل وأقسم بقيله يا رب أو وقيله يا رب لتعجبن من قوم لا يؤمنون (فاصفح عنهم) فأعرض عن دعوتهم يائسا عن إيمانهم وود عوهم وتاركهم (وقل) لهم (سلام) أي تسلم مني ومتاركة (فسوف يعلمون) وعيد من الله تعالى لهم وتسلية لرسوله صلى الله عليه وسلم والضمير في وقيله لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأقسام الله بقيله رفع منه وتعظيم للدعائه والحكاية البديعة من النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيامة يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون ادخلوا الجنة بغير حساب

(سورة الدخان مكية الا قوله انا كاشفوا العذاب قليلا الآية وهي سبع وخمسون آية وقيل تسع وخمسون)

بسم الله الرحمن الرحيم

* الواو في (والكتاب) واو القسم إن جعلت حم تعديد الحروف أو اسم السورة هو قوي على خبر الابتداء المحذوف وواو العطف إن كان حم مقسما به قوله (إنا أنزلناه) جواب القسم * والكتاب المبين القرآن * والليلة المباركة ليلة القدر وقيل ليلة النصف من شعبان ولها أربعة أسماء الليلة المباركة وليلة البراءة وليلة الصك وليلة الرحمة وقيل يفرق بين ليلة القدر أربعون ليلة وقيل في تسميتها ليلة البراءة والصك أن الديان إذا استوفى الخراج من أهله كتب لهم البراءة كذلك الله عز وجل يكتب لعباده المؤمنين البراءة في هذه الليلة وقيل هي مختصة بخمس خصال تفرق في كل أمر حكيم وفضيلة العبادة فيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى في هذه الليلة مائة ركعة أرسل الله إليه مائة ملك ثلاثون يبشرونه بالجنة وثلاثون يؤمنونه من عذاب النار وثلاثون يدفعون عنه آفات الدنيا وعشرة يدفعون عنه مكايد الشيطان ونزول الرحمة قال علي عليه السلام قيل يا رسول الله يرحم أمتي في هذه الليلة بعدد شعر أغنام بني كلب وحصول المغفرة قال عليه الصلاة والسلام إن الله تعالى يغفر لجميع المسلمين في تلك الليلة الا الكاهن أو ساحر أو مشاحن أو مدمن خمر أو العاق لوالدين أو مصر على الزنا وما أعطى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم من تمام الشفاعة وذلك أنه سأل الله الثلاثة عشر من شعبان في أمته فأعطى الثلث منها ثم سأل ليلة الرابع عشر فأعطى الثلثين ثم سأل الخامس عشر فأعطى الجميع الا من شرد عن الله شراد البعير ومن عادة الله في هذه الليلة أن يزيح زمن مزيد ظاهرة والقول الأكثر أن المراد بالليلة المباركة ليلة القدر لقوله تعالى إنا أنزلناه في ليلة

ترجعون ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق وهم يعلمون ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون وقيله يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون

سورة الدخان مكية وهي سبع وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم والكتاب المبين انا أنزلناه في ليلة مباركة

ولمطابقة قوله فيها يفرق كل أمر حكيم لقوله تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر وقوله تعالى شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن وليلة القدر في أكثر الاقاويل في شهر رمضان (فان قلت) ما معنى انزال القرآن في هذه الليلة (قلت) قالوا أنزل جملة واحدة من السماء السابعة الى السماء الدنيا وأمر السفرة الكرام بانتساخه في ليلة القدر وكان جبريل عليه السلام ينزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوما نجوما (فان قلت) (انا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم) ما معنى هاتين الجملتين (قلت) هما جملتان مستأنفتان مفسرتان فسر بهما جواب القسم الذي هو قوله تعالى انا أنزلناه في ليلة مباركة كأنه قيل أنزلناه لان من شأننا الانذار والتحذير من العقاب وكان انزالنا اياه في هذه الليلة خصوصا لان انزال القرآن من الامور المحكمة وهذه الليلة مفرق كل أمر حكيم * والمباركة الكثيرة الخير لما يقع الله فيها من الامور التي يتعلق بها منافع العباد في دينهم ودنياهم ولم يرد غير الانزال القرآن وصفه لكونه به بركة * ومعنى يفرق يفصل ويكتب كل أمر حكيم من أرزاق العباد وآجالهم وجميع أمورهم منها الى الاخرى التابلة ويفصل ويبدأ في استنساخ ذلك من اللوح المحفوظ في ليلة البراءة ويقع الفراغ في ليلة القدر فيدفع نسخة الارزاق الى ميكائيل ونسخة الحروب الى جبريل وكذلك الزلازل والصواعق والخسف ونسخة الاعمال الى اسمعيل صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصائب الى ملك آخر ومن بعضهم يعطى كل عامل بركات أعماله فيلقى على السنة الخلق مدحه وعلى قلوبهم هيبته * وقرئ يفرق بالتشديد ويفرق كل على بناء الفاعل ونصب كل والفارق الله عز وجل وعن أبي بن علي رضي الله عنه نفرق فيها اثنين * كل أمر حكيم كل شأن ذي حكمة أي مفعول على ما تقتضيه الحكمة وهو من الاسناد المجازي لان الحكيم صفة صاحب الامر على الحقيقة ووصف الامر به مجاز (أمرا من عندنا) نصب على الاختصاص بجعل كل أمر حكيم لفخامة أن وصفه بالحكيم ثم زاده عزا وكبرياء بأن قال أعني بهذا الامر أمرا صادرا من عندنا كائنا من لدنا كما اقتضاه عظمتنا وكبريائنا وجوز أن يراد بالامر الذي هو ضد النهي ثم ان يوضع موضع فرقانا الذي هو مصدر يفرق لان معنى الامر والفرقان واحد من حيث ان الحكيم يأتي وكتبه غالبا بالامر به أو يكون حالا من أحد الضميرين في أنزلناه اما من ضمير الفاعل أي أنزلناه آمرين أمرا أو من ضمير المفعول أي أنزلناه في حال كونه أمرا من عندنا بما يجب أن يفعل (فان قلت) (انا كنا مرسلين رحمة من ربك) بم تعلق (قلت) يجوز أن يكون بدلا من قوله انا كنا منذرين ورحمة من ربك مفعولا له على معنى انا أنزلنا القرآن لان من شأننا ارسال الرسل بالكتب الى عبادنا لاجل الرحمة عليهم وأن يكون تعليلا لفرق أو لقوله أمرا من عندنا ورحمة مفعولا به وقد وصف الرحمة بالارسال كما وصفها به في قوله تعالى وما أرسلناك الا رحمة لمن يعده أي يفصل في هذه الليلة كل أمر أو تصدر الاوامر من عندنا لان من عادتنا أن نرسل رحمتنا وفصل كل أمر من قسمة الارزاق وغيرها من باب الرحمة وكذلك الاوامر الصادرة من جهته عز وعلا لان الغرض في التكليف العباد تعريضهم للنافع والاصل انا كنا مرسلين رحمة منا فوضع الظاهر موضع الضمير ايذانا بأن الربوبية تقتضي الرحمة على المربوبين * وفي قراءة زيد بن علي أمر من عندنا على هو أمر وهي تنصر انتصابه على الاختصاص * وقرأ الحسن رحمة من ربك على البدل رحمة وهي تنصر انتصابها أنها مفعول له (انه هو السميع العليم) وما بعده تحقيق لربوبيته وأنها الاشفق الارفق هذه أوصافه وقرئ رب السموات ربكم ورب آبائكم بالرفع بدلا من ربك (فان قلت) ما معنى الشرط الذي هو قوله (ان كنتم موقنين) (قلت) كأنهم يقرون بأن رب السموات والارض ربهم فكانوا قائلين لهم ان ارسال الرسل وانزال الكتب رحمة من الرب ثم قيل ان هذا الرب المتصف بهذه الصفات الجليلة هو الذي تسامع الناس بذكره واشتهر واصطاؤه ان بلغك حديثه الطائش بفطنته ثم ردان يكون لامور قامت عنده بثبوته (بل هم في شك يلعبون) وأن اقرارهم غير صادر عن علم وتيقن ما هم به وحقيقة بل قول خلوط بهزؤ ولعب (يوم تأتي السماء) مفعول به من تتقب بتقاربه فيه واوتقبته وان من

انا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم أمرا من عندنا انا كنا مرسلين رحمة من ربك انه هو السميع العليم رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين لا اله الا هو يحيي ويميت ربكم ورب آبائكم الاولين بل هم في شك يلعبون فارتقب يوم تأتي السماء

ضوء نظر به والنظارة * واختلفوا في الدخان فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعبد الله بن حسن أنه دخان يأتي من السماء قبل يوم القيامة يدخل في أسماع الكفرة حتى يكون رأس الواحد منهم كالرأس الحنيذ ويعتري المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الارض كما كانت أو قد نفيه ليس فيه خصاص وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أول الآيات الدخان ونزول عيسى بن مريم ونار تخرج من قعر عدن أبين تسوق الناس الى المحشر قال حذيفة يا رسول الله وما الدخان فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية وقال يملأ ما بين المشرق والمغرب عكث أربعين يوما وليلة أما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكام فهو كالسكران يخرج من منخريه واذنيه ودبره وعن ابن مسعود رضي الله عنه خمس قد مضت الروم والدخان والقمر والبطشة واللزام وروى أنه قيل لابن مسعود ان قاصا عندنا يقول الدخان يأتي يوم القيامة فيأخذ بأنفاس الخلائق فقال من علم علما فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله أعلم فان من علم الرجل أن يقول لما لا يعلم الله أعلم ثم قال ألا وسأحدثكم ان قريشا لما استعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اعني وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فأصابهم الجهد حتى أكلوا الجيف والعلهز وكان الرجل يرى بين السماء والارض الدخان وكان يسمع كلام من هو لا يراه من الدخان فجاء أبو سفيان فقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فناشده الله والرحم واعتذر اليه فدعا الله فكشف عنهم فلما أكشف عنهم رجعوا الى شركهم (بدخان مبين) ظاهر بالا يشك أحد في أنه دخان (يغشى الناس) يشملهم ويغشاهم وقرئ بحذف الجار وصفة الدخان (هذا عذاب) الى قوله (مؤمنون) منصوب بالحال بفعل مضمر وهو ما رأوه ويقولون منصوب على المفعول له أي كشفنا العذاب لاجل الايمان (أنى لهم الذكرى) من أين لهم التذكر والاتعاظ كيف يتذكرون ويتعظون وقد جاءهم من الايمان ما قد كشف العذاب (وقد جاءهم) كيف وقد جاءهم (ما لم يجيء آباءهم) أي ما هو أعظم وأهول في وجوب الاتعاظ كرفع كشف الدخان وهو ما ظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآيات والبينات من الكتاب المعجز وغيره من المعجزات فان ذكر أحوال الامم الماضية وهو برهان تام على صحة بعض شيعهم الذي جاء به رسولهم الى قومهم ثم قال (انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون) أخبر بأنا نكشف عنكم العذاب العود الى شركهم لا لانه يتوهم ذلك لكشف على ما أخبر عليه من التفضل وانما نزل (فان قلت) كيف يستقيم على قول من حمل الدخان على ما يكون يوم القيامة قوله انا كاشفوا العذاب قليلا (قلت) اذا أريد الدخان الذي هو من أشراط الساعة وهو الذي يملأ ما بين المشرق والمغرب وتوقع ان لا يكشف عنا العذاب الا لمؤمنين مذنبين فكشفه الله عنهم بعشرة أنواع من الكشف وهو قوله لا جهلون ثم قال (يوم نبطش البطشة الكبرى) يريد يوم القيامة كقوله تعالى فاذا جاءت الطامة الكبرى (المنتقمون) أي ننتقم منهم في ذلك اليوم (فان قلت) ما النصب يوم نبطش (قلت) يدل عليه المنتقمون وهو ينتقم ولا يصح أن ينتصب بمنتقمون لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها * وقرئ نبطش بضم الطاء وعن الحسن نطش بضم النون كأنه يحمل الملائكة على أن يبطشوا بهم البطشة الكبرى أو يحمل البطشة الكبرى باطشة بهم وقيل البطشة الكبرى يوم بدر وقرئ ولقد فتنا قبلهم بالتشديد للتكثير أو لتوزيع الفتنة على القوم ومعنى الفتنة أنا أمهلناهم ووسع عليهم في الرزق فكان ذلك سببا لارتكابهم المعاصي واقترافهم الآثام وابتلاهم بأرسال موسى اليهم ليؤمنوا فاختاروا الكفر على الايمان أو سلبناهم ملكهم وأغرقناهم (كريم) على الله وعلى عباده المؤمنين أو كريم في نفسه لان الله بعثه نبيا الامر سراة قومه وكبرائهم (أن أدوا الي) هو تفسير لان جيء الرسول من بعثه اليهم متضمن لمعنى القول لانه لا يجيئهم الا مبشرا ونذيرا وداعيا الى الله أو للعطف على الفعلة ومعناه وجاءهم بأن الشأن والحديث أدوا الي (وعباد الله) مفعول به وهم بنو اسرائيل يقول أدوهم الي وأرسلوهم معي كقوله تعالى أرسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم وجوز أن يناديهم على أدوا الي يا عباد الله ما هو واجب لي عليكم من الايمان لي وقبول دعوتي واتباع سبيلي وجوز أن ذلك تأدية (رسول أمين) غير خائن قد ائتمنه الله على وحيه ورسالته (وأن لا تعلوا) أن هذه قوة

بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم ربنا أكشف عنا العذاب انا مؤمنون أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم أن أدوا الي عباد الله اني لكم رسول أمين وأن لا تعلوا

وسببه أي لا تستكبروا (على الله) بالاستهانة برسوله ووحيه أو لا تستكبروا على بني الله (بسلطان مبين) حجة واضحة (أن ترجمون) أن تقتلون * وقرئ عتيت بالادغام وعتيا على عاذ يعوذ ممتكل على أنه يعصمه منهم ومن كيدهم ويقيه شرهم بما كانوا يتوعدونه به من الرجم والقتل (فاعتزلون) برئت فلم تؤمنوا بي فلا سبيل لكم علي بسوء ولا تعرضوا لي بشيء من المكاره أو فخلوني كنتم تخلونني أو فخلوني كنا فلا لي ولا علي ولا تتعرضوا لي بشيء من ذلك (فدعا ربه) أي فاعتزلهم وتبرأ من دعائهم فلم يجبهم (أن هؤلاء) أي دعا ربه بذلك قيل كان دعاؤه عليهم بعد ما يئس من إيمانهم وقيل هو قوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين والفاء لترتيب الدعاء على السبب الذي استوجبوه بالملائ وهو كونهم مجرمين وقرئ ان هؤلاء بالكسر على إضمار القول أي فدعا ربه فقال ان هؤلاء (فأسر) قرئ بقطع الهمزة من أسرى ووصلها من سرى وهما لغتان بمعنى واحد (بعبادي) بني إسرائيل سماهم إلى نفسه تشريفا لهم وتحريضا لموسى على الإجابة إلى ما طلبوا منه (ليلا) في الوقت الذي يليه الليل أو في بعض الليل (إنكم متبعون) يتبعكم فرعون وجنوده فيجازيهم على أعمالهم (واترك البحر) ساكنا على هيئته أو طريقا يابسا كما جاوزتموه (رهوا) ساكنا على حاله من رها الماء إذا سكن أو طريقا يابسا من رها الأرض إذا يبست (إنهم جند مغرقون) قرئ بالفتح على تقدير بأنهم جند مغرقون وقرئ بالكسر على الاستئناف (كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوما آخرين فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين ولقد نجينا بني إسرائيل من العذاب المهين من فرعون إنه كان عاليا من المسرفين ولقد اخترناهم على علم

على الله أن آتيكم بسلطان مبين وإني عذت بربي وربكم أن ترجمون وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون فدعا ربه أن هؤلاء قوم مجرمون فأسر بعبادي ليلا إنكم متبعون واترك البحر رهوا إنهم جند مغرقون كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوما آخرين فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين ولقد نجينا بني إسرائيل من العذاب المهين من فرعون إنه كان عاليا من المسرفين ولقد اخترناهم على علم

(أنهم مرتقبون) ما يحل بك منتظرون بك الدوائر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة حم الدخان فى ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك وعنه عليه السلام من قرأ حم التى يذكر فيها الدخان فى ليلة جمعة أصبح مغفورا له

أنهم مرتقبون

﴿سورة الجاثية مكية وهى سبع وثلاثون آية وقيل ست﴾

سورة الجاثية مكية وهى سبع وثلاثون آية

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

(حم) ان جعلتها اسما مبتدأ فخبرا عنه (تنزيل الكتاب) لم يكن بد من حذف مضاف تقديره تنزيل حم تنزيل الكتاب و (من الله) صلة للتنزيل وان جعلتها تعديد الحروف كان تنزيل الكتاب مبتدأ والظرف خبرا (ان فى السموات والارض) يجوز أن يكون على ظاهره وأن يكون المعنى ان فى خلق السموات لقوله *(وفى خلقكم) (فان قلت) ﴿ لام عطف (ومايبث) أعلى الخلق المضاف أم على الضمير المضاف اليه (قلت) بل على المضاف لان المضاف اليه ضمير متصل مجرور يقبح العطف عليه استقبحوا أن يقال مررت بك وزيد وهذا أبوك وعمرو وكذلك ان أكدوه كرهوا أن يقولوا مررت بك أنت وزيد * قرئ آيات لقوم يوقنون بالنصب والرفع على قولك ان زيدا فى الدار وعمرا فى السوق أو وعمرو فى السوق وأما قوله آيات لقوم يعقلون فمن العطف على عاملين سواء نصبت أو رفعت فالعاملان اذا نصبت هما ان وفى أخواتها ومقتاسها فعلت الجر فى اختلاف الليل والنهار والنصب فى آيات واذا رفعت فالعاملان لا يبتدأ وفى علمت الرفع فى آيات والجر فى واختلاف وقرأ ابن مسعود وفى اختلاف الليل والنهار (فان قلت) العطف على عاملين على مذهب الاخفش سديد لا مقال فيه وقد أباه سيبويه فما وجه تخريج الآية عنده (قلت) فيه وجهان عنده أحدهما أن يكون على اضمار فى والذى حسنه تقدم ذكرها فى الآيتين قبلها ويعضده قراءة ابن مسعود والثانى أن ينتصب آيات على الاختصاص بعد انقضاء المجرور معطوفا على ما قبله أو على التكرير ورفعها اضمار هى * وقرئ واختلاف الليل والنهار بالرفع وقرئ آية وكذلك ومايبث من دابة آية وقرئ وتصريف الريح والمعنى ان المنصفين من العباد اذا نظروا فى السموات والارض النظر الصحيح علموا أنها مصنوعة وأنه لا بد لها من صانع قادر منزه عن سمات الحدث فآمنوا بالله وأقروا واذا نظروا فى خلق أنفسهم وتنقلها من حال الى حال وهيئة الى هيئة وفى خلق ما على ظهر الارض من صنوف الحيوان ازدادوا ايمانا وأيقنوا وانتفى عنهم اللبس فاذا نظروا فى سائر الحوادث التى تتجدد فى كل وقت كاختلاف الليل والنهار ونزول الامطار وحياة الارض بها بعد موتها (وتصريف الرياح) جنوبا وشمالا وقبولا ودبورا عقلوا واستحكم علمهم وخلص يقينهم وسمى المطر رزقا لانه سبب الرزق (تلك) اشارة الى الآيات المتقدمة أى تلك آيات آيات الله و (نتلوها) فى محل الحال أى متلوة (عليك بالحق) والعامل مادل عليه تلك من معنى الاشارة ونحوه هذا بعلى شيخا وقرئ يتلوها بالياء (بعد الله وآياته) أى بعد آيات الله كقولهم أعجبنى زيد وكرمه يريدون أعجبنى كرم زيد ويجوز أن يراد بعد حديث الله وهو كتابه وقرآنه كقوله تعالى الله نزل أحسن الحديث * وقرئ (يؤمنون) بالتاء والياء * الافاك الكذاب * والاثيم المبالغ فى اقتراف الآثام (يصر) يقبل على كفره ويقيم عليه وأصله من اصرار الحمار على العانة وهو أن يحنى عليها صار أذنيه (مستكبرا) عن الايمان بالآيات والاذعان لما ينطق به من الحق من درياها مجابا عنده قيل نزلت فى النضر بن الحرث وما كان يشترى من أحاديث الاعاجم ويشغل الناس بها عن استماع القرآن والآية عامة فى كل ما كان مضارا لدين الله (فان قلت) ما معنى ثم فى قوله ثم يصر مستكبرا (قلت) كعناده فى قول القائل * يرى عمرات الموت ثم يزورها وذلك أن عمرات الموت حقيقة بأن يحتوى أيها يتعسفه ويطلب الفرار عنها وأمارياتها والاقدام على مزاولتها فأما مستكبرا ثم الايمان بأن فعل المقدم عليها بعد ما رآها وعاينها شئ يستبعد فى العادات والطباع وكذلك الفواحش الشاطقة بالحق من تليت عليه وسمعها كان مستبعدا فى العقول اصراره على الضلال

واستكاره عن الاعيان بها (كأن) مخففة والاصل كانه لم يسمعها والضمير ضمير الشأن كما في قوله كان ظبية تعطو الى ناضر السلم * ومحل الجملة النصب على الحال أي يصر مثل غير السامع (واذا) بلغه شيء من آياتنا وعلم أنه منها (اتخذها) أي اتخذ الآيات (هزوا) ولم يقل اتخذه للاشعار بانه اذا أحس بشيء من الكلام أنه من جملة الآيات التي أنزلها الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم خاض في الاستهزاء بجميع الآيات ولم يقتصر على الاستهزاء بما بلغه ويحتمل واذا علم من آياتنا شيأ كأن يتثبت به المعاند ويجعله محلا للاستهزاء به على الطعن والغميزة افتر صه واتخذ آيات الله هزوا وذلك نحو اقتراص ابن الزبعرى قوله عز وجل انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ومغالطته رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله خصمتك ويجوز أن يرجع الضمير الى شيء لانه في معنى الآية كقول أبي العتاهية

نفسي بشيء من الدنيا معلقة * الله والقائم المهدي يكفيها

حيث أراد عتبة * وقرئ علم (أولئك) اشارة الى كل أفاك أثيم لتسهوله الافاكين * والوراء اسم للجهة التي يواريها الشخص من خلف أو قدام قال

أليس ورائي ان راخت منيتي * أديب مع الولدان أزحف كالنسر

ومنه قوله عز وجل (من ورائهم) أي من قدامهم (ما كسبوا) من الاموال في زعمهم ومتاجرهم (ولا ما اتخذوا من دون الله) من الاوثان (هذا) اشارة الى القرآن يدل عليه قوله تعالى والذين كفروا بآيات ربهم لان آيات ربهم هي القرآن أي هذا القرآن كامل في الهداية كما تقول زيد رجل تريد به كامل في الرجولية وأعلا رجل * والرجز أشد العذاب * وقرئ صر أليم ورفعه (واستفزز من استطعت) بالجارة أو بالنصوص على اللؤلؤ والمرجان واستخراج اللحم الطري وغير ذلك من منافع البحر (قان قلت) ما معنى منه في قوله (جميعا منه) وما موقعها من الاعراب (قلت) هي واقعة موقع الحال والمعنى انه سخر هذه الاشياء كائنة منه وحاصلة من عنده يعني أنه سكونها وموجدها قدرتي وحكمته ثم سخرها لخلقه ويجوز أن تكون خبر مبتدا محذوف تقديره هي جميعا منه وأن تكون وسخر لكم تأكيدا لقوله تعالى سخر لكم ثم ابتدئ قوله ما في السموات وما في الارض جميعا منه وأن يكون ما في الارض مبتدا وجميعا منه خبره وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما منة وقرأ سلمة بن محارب منه على أن يكون منه فاعل سخر على الاسناد المجازي أو على أنه خبر مبتدا محذوف أي ذلك أو هو منه * حذف المقول لان الجواب دال عليه والمعنى قل لهم اغفروا (لا يرجون أيام الله) لا يتوقعون وقائع الله بأعدائه من قولهم لوقائع العرب أيام العرب وقيل لا يأملون الاوقات التي وقتها الله للثواب المؤمنين ووعدهم الفوز فيها قيل نزلت قبل آية القتال ثم نسخ حكمها وقيل نزلها في عمر رضي الله عنه وقد شتم رجل من غفار فهم أن يبطش به * وعن سعيد بن المسيب كنا بين يدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقرأ قارئ هذه الآية فقال عمر ليجزى عمر عاصنع (ليجزى) تعليل للامر بالغفرة أي انما أمروا بان يغفروا لما أراده الله من توفيتهم جزاء مغفرتهم يوم القيامة * (فان قلت) قوله (فهما) ما وجه تذكيره وانما أراد الذين آمنوا وهم معارف (قلت) هو مدح لهم وثناء عليهم كانه قيل ليجزى الصابرين والشاكرين خصوصا بسبب صبرهم واغضائهم على أذى أعدائهم من الكفار وعلى ما كانوا يخوضونهم من النصوص (بما كانوا يكسبون) من الثواب العظيم بكظم الغيظ واحتمال المكروه ومعنى قول عمر ليجزى عمر عاصنع ليجزى بصبره واحتماله وقوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند نزول الآية والذي بعثك بالحق لاتري الغضب في وجهي وقرئ ليجزى قوما أي الله عز وجل وليجزى قوم وليجزى على معنى وليجزى الجزاء قوما (الكتاب) التوراة (والحكم) الحكمة والفقه أو فصل الخصومات بين الناس لان ذلك كان فيهم والنبوة (من الطيبات) مما أحل الله لهم وأطاب من الارزاق (وفضلناهم على العالمين) حيث لم نؤت غيرهم مثل ما آتيناهم (بينات) آيات ومعجزات (من الامر) من أمر الدين * فما وقع بينهم الخلاف في الدين (الا من بعد ما جاءهم) ما هو موجب لزوال الخلاف وهو العلم * وانما اختلفوا البغي حدث بينهم أي لعداوة وحسد (على شريعة) على

واذا علم من آياتنا شيأ اتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين من ورائهم جهنم ولا يغني عنهم ما كسبوا شيأ ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء ولهم عذاب عظيم هذا هدى والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون وسخر لكم ما في السموت وما في الارض جميعا منه ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزي قوما بما كانوا يكسبون من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ثم الى ربكم ترجعون ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين وآتيناهم بينات

طريقة ومنهاج (من الامر) من أمر الدين فاتبع شريعتك الثابتة بالدلائل والحجج ولا تتبع ما الاحت عليه من أهوائهم الجهال ودينهم المبنى على هوى وبدعة وهم رؤساء قريش حين قالوا ارجع الى دين آبائك * ولا تواليهم لتصاولهم الظالمين من هو ظالم مثلهم * وأما المتقون فوليهم الله وهم هو الوه وما أبين الفصل بين الولايتين (هذا) القرآن (بصائر للناس) جعل ما فيه من معالم الدين والشرائع بمنزلة البصائر في القلوب كما جعل روحا وحياة وهو هدى من الضلالة ورحمة من العذاب لمن آمن وأيقن وقرئ هذه بصائر أى هذه الآيات (أم) منقطعة ومعنى الهمزة فيها انكار الحسبان * والاجتراح الاكتساب ومنه الجوارح وفلان جارحة أهله أى كاسبهم (أن نجعلهم) أن نصيرهم وهو من جعل المتعدى الى مفعولين فأولهما الضمير والثانى الكاف والجملة التى هى (سواء محياهم ومماتهم) بدل من الكاف لان الجملة تقع مفعولا ثانيا فكانت فى حكم المفرد الا ترى الى قولك أن نجعلهم سواء محياهم ومماتهم كان سديدا كما تقول ظننت زيدا أبوه منطلق ومن قرأ سواء بالنصب أجرى سواء مجرى مستويا وارتفع محياهم ومماتهم على الفاعلية وكان مفردا غير جملة ومن قرأ ومماتهم بالنصب جعل محياهم ومماتهم ظرفين كقدم الحاج وخفوق النجم أى سواء فى محياهم وفى مماتهم والمعنى انكار أن يستوى المسيئون والمحسنون محيا وأن يستووا مماتا فافتراق أحوالهم أحياء حيث يعاش هؤلاء على القيام بالطاعات وأولئك على ركوب المعاصى ومماتا حيث مات هؤلاء على البشرى برحمة والوصول الى ثواب الله ورضوانه وأولئك على اليأس من رحمة الله والوصول الى هول ما أعدلهم وقيل معناه انكار أن يستووا فى الممات كما استووا فى الحياة لان المسيئين والمحسنين مستو محياهم فى الرزق والصحة وانما يفترقون فى الممات وقيل سواء محياهم ومماتهم كلام مستأنف على معنى أن محيا المسيئين ومماتهم سواء وكذلك محيا المحسنين ومماتهم كل يموت على حسب ما عاش عليه * وعن تميم الدارى رضى الله عنه أنه كان يصلى ذات ليلة عند المقام فبلغ هذه الآية فجعل يبكى ويردد الى الصباح ساعة ما يعكس ويعيد الا قوله (وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون) أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم ختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون وقالوا ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم الا أن قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيامة لا ريب

فيه

من الامر فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وان الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولى المتقين هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون وقالوا ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم الا أن قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيامة لا ريب

ولكن أكثر الناس لا يعلمون ولله ملك السموات والارض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى الى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته ذلك هو الفوز المبين وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتي تتلى عليكم فاستكبرتم وكنتم قوما مجرمين واذا قيل ان وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين وبدا لهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم الحياة الدنيا فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين وله الكبرياء في السموات والارض وهو العزيز الحكيم

سورة الاحقاف

مكية وهي أربع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض وما بينهما

ذلك كان قادرا على الاتيان بآبائهم وكان أهون شئ عليه * عامل النصب (يوم تقوم) يخسر و (يومئذ) بدل من يوم تقوم (جاثية) باركة مستوفزة على الركب وقرئ جاذية والجذو أشد استيفازا من الجثو لان الجاذي هو الذي يجلس على أطراف أصابعه وعن ابن عباس رضي الله عنهما جاثية مجتمعة وعن قتادة جماعات من الجثوة وهي الجماعة وجمعها جثى وفي الحديث من جثى جهنم * وقرئ (كل أمة) على الابتداء وكل أمة على الابدال من كل أمة (الى كتابها) الى صحائف أعمالها فالكتاب باسم الجنس كقوله تعالى ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه (اليوم تجزون) محمول على القول (فان قلت) كيف أضيف الكتاب اليهم والى الله عز وجل (قلت) الاضافة تكون للملابسة وقد لابسهم ولابسه أما ملابستها اياهم فلان أعمالهم مثبتة فيه وأما ملابسته اياه فلانه ملكه والآمر ملائكته أن يكتبوا فيه أعمال عباده (ينطق عليكم) يشهد عليكم بما عملتم (بالحق) من غير زيادة ولا نقصان (انا كنا نستنسخ) الملائكة (ما كنتم تعملون) أي نستكتبهم أعمالكم (في رحمته) في جنته وجواب أما محذوف تقديره وأما الذين كفروا فيقال لهم (أفلم تكن آياتي تتلى عليكم) والمعنى ألم تأتكم رسلي فلم تكن آياتي تتلى عليكم فحذف المعطوف عليه * وقرئ والساعة بالنصب عطفا على الوعد وبالرفع عطفا على محل ان واسمها (ما الساعة) أي شئ الساعة (فان قلت) ما معنى ان نظن الا ظنا (قلت) أصله نظن ظنا ومعناه اثبات الظن فسلب فأدخل حرفا النفي والاستثناء ليفاد اثبات الظن مع نفي ما سواه وزيدني ما سوى الظن تأكيد لقوله (وما نحن بمستيقنين * سيئات ما عملوا) أي قبائح أعمالهم أو عقوبات أعمالهم السيئات كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها (ننساكم) نترككم في العذاب كما تركتم عدة (لقاء يومكم هذا) وهي الطاعة أو جعلكم بمنزلة الشئ الذي غير المبالى به كما تبالون أنتم لقاء يومكم وكم تخطر ببالكم الشئ الذي يطرح نسيا منسيا (فان قلت) ما معنى اضافة اللقاء الى اليوم (قلت) معنى اضافة الذكر في قوله تعالى بل مكر الليل والنهار أي نسيتم لقاء الله في يومكم هذا ولقاءه جزاؤه * وقرئ يخرجون بفتح الياء (ولا هم يستعتبون) بالاطلاق عنهم أن يستوهبوا ربهم أي يرضوه (فلله الحمد) فاحمدوا الله الذي هو ربكم ورب كل شئ من السموات والارض والعالمين فان مثل هذه الربوبية العامة يوجب الحمد والثناء على كل مربوب * وكبروه فقد ظهرت آثار كبريائه وعظمته (في السموات والارض) وحق مثله أن يكبر ويعظم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الجاثية ستر الله عورته وسكن روعته يوم الحساب

سورة الاحقاف مكية وهي أربع وعشرون آية وقيل خمس

بسم الله الرحمن الرحيم

(الا بالحق) الا خلقا ملتبسا بالحكمة والغرض الصحيح (و) بتقدير (أجل مسمى) ينتهي اليه وهو يوم القيامة (والذين كفروا عما أنذروا) من هول ذلك اليوم الذي لا بد لكل خلق من انتهائه اليه (معرضون) لا يؤمنون به ولا يهتمون بالاستعداد له ويجوز أن تكون ما مصدرية أي عن انذارهم ذلك اليوم (بكتاب من قبل هذا) أي من قبل هذا الكتاب وهو القرآن يعني أن هذا الكتاب ناطق بالتوحيد وابطال الشرك وما من كتاب أنزل من قبله من كتب الله الا وهو ناطق بمثل ذلك فأتوا بكتاب واحد منزل من قبله شاهد بصحة ما أنتم عليه من عبادة غير الله (أو أثارة من علم) أو بقية من علم تؤثر عليكم من علوم الاولين من قولهم سفت الناقة على ولدها شمأ أي على بقية شحم كان بها من شحم ذاهب وقرئ أثرة أي أي شئ أثرتم به وخصصتم من أحل الله له لغيركم وقرئ أثرة بالحركات الثلاث في الهمزة مع سكون الثاء فالاثرة بالكسر بمعنى الاثرة (بينات) فالمرة من مصدر أثر الحديث اذا رواه وأما الاثرة بالضم فاسم مأثور كالخطبة اسم ما يخطب

ما هو سبيل مسمى والذين كفروا عما أنذروا معرضون قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الارض أم لهم شرك في السموات ائتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم ان كنتم صادقين

(القول فى سورة الاحقاف) ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين (قال فيه استفهام معناه انكار أن يكون فى الضلال كلهم أبلغ ضلالا من عبدة الاصنام الخ) قال أحد وفى قوله الى يوم القيامة نكتة حسنة وذلك انه جعل يوم القيامة غاية لعدم الاستجابة ومن شأن الغاية انتهاء المغيى عندها لكن عدم الاستجابة مستمر بعد هذه الغاية لانهم فى القيامة أيضا لا يستجيبون لهم فلو جعله والله أعلم انهاء من الغايات المشعرة بأن ما بعدها وان وافق ما قبلها الا أنه أزيد منه زيادة بينة تحققه بالثانى حتى كأن الحالتين وان (٣٦٨) كانتا على واحد التفاوت ما بينهما كالشئ وضده وذلك ان الحالة الاولى التى جعلت

غاية القيامة لا تزيد على عدم الاستجابة والحالة الثانية التى فى القيامة زادت على عدم الاستجابة بالعداوة بالكفر بعبادتهم اياهم فهو من وادى ما تقدم آنفا فى سورة الزخرف

ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين أم يقولون افتراه قل ان افتريته فلا تملكون لى من الله شيأ هو أعلم بما تفيضون فيه كفى به شهيدا بينى وبينكم وهو الغفور الرحيم

فى قوله بل متعت هؤلاء وآباءهم حتى جاءهم

به (ومن أضل) معنى الاستفهام فيه انكار أن يكون فى الضلال كلهم أبلغ ضلالا من عبدة الاصنام حيث يتركون دعاء السميع المجيب القادر على تحصيل كل بغية وهم يدعون من دونه جمادا لا يستجيب لهم ولا قدرة به على استجابة أحد منهم مادامت الدنيا والى أن تقوم القيامة * واذا قامت القيامة وحشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا عليهم ضدا فليسوا فى الدارين الا على نكد ومضرة لا تتولاهم فى الدنيا بالاستجابة وفى الآخرة تعاديهم وتجحد عبادتهم واقاتيل من وهم لانه أسند اليهم ما يسند الى أولى العلم من الاستجابة والغفلة ولانهم كانوا يصفونهم بالتمييز حيه لا وغباوة ويجوز أن يريد كل معبود من دون الله من الجن والانس والاوثان فغلب غير الاوثان عليها * فرئى ما لا يستجيب وفرئى يدعو غير الله من لا يستجيب ووصفهم بترك الاستجابة والغفلة طريقه طريق التهكم بهم وبعبدتهم ونحوه قوله تعالى ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم (بينات) جمع بينة وهى الحجة والشاهد أو واضحات مبينات * والام فى (للحق) متعلقة فى قوله وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا أى لاجل الحق ولاجل الذين آمنوا والمراد بالحق الآيات وبالذين كفروا المتلو عليهم فوضع الظاهر ان موضع الضمير للتسجيل عليهم بالكفر وللتوبيخ بالحق (لما جاءهم) أى بادهموا بالجحود بداية أنهم أول ما سمعوا من غير احالة فكر ولا اعادة نظر * ومن عنادهم وظلمهم أنهم سموه سحرا مبينا ظاهرا أمره فى البطلان لاشبهة فيه (أم يقولون افتراه) اضراب عن ذكر تعجبهم الآيات سحرا الى ذكر قولهم ان محمدا افتراه ومعنى الهمزة فى أم الانكار والتعجيب كأنه قيل دع هذا وما هم فيه من الكفر المقضى منه العجب وذلك أن محمدا كما لا يقدر عليه حتى يقوله ويفتريه على الله ولو قدر عليه دون أمة العرب لكانت قدرته عليه معجزة لطرق العادة واذا كانت معجزة كانت تصديقا من الله والحكيم لا يصدق الكاذب فلا يكون مفتريا وضمير الحق والمراد به الآيات (قل ان افتريته) على سبيل الفرض عاجلنى الله تعالى لاستحالة ومقتنى الافتراء عليه فلا تقدرون لى على كيد فضلا عن معاجلتى ولا تقدرون دفع شئ من عقابه عنى فكيف أفتريه وأتعرض لعقابه يقال فلان لا يملك اذا غضب ولا يملك عنانه اذا صمم ومثله فى علك من الله شيأ ان أراد اهلاكه المسيح ابن مريم ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيأ ومنه قوله عليه السلام لا أملك من الله شيأ ثم قال (هو أعلم بما تفيضون فيه) أى تندفعون فيه من القدح فى وحى الله تعالى والطعن فى آياته وتسميته سحرا تارة وفرية أخرى (كفى به شهيدا بينى وبينكم) شهد لى بالصدق والبلاغ ويشهد عليكم بالكذب والجحود ومعنى ذكر العلم والشهادة وعيد بجزاء أفاضتم (وهو الغفور الرحيم) موعدة بالغفران والرحمة ان رجعوا عن الكفر وتابوا وآمنوا واستعار بحار الله عنهم مع عظم ما ارتكبوا (فان قلت) فما معنى اسناد الفعل اليهم فى قوله تعالى فلا تملكون لى (قلت) كان

فيما

بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين أم يقولون افتراه الآية (قال فيه اللام فى قوله تعالى للحق نحو اللام فى قوله وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه أى لاجل الحق ولاجل الذين آمنوا الخ) قال أحد هذا الاضراب فى بابه مثل الغاية التى قدمتها آنفا فى بابها فانه انتقال الى موافق لكنه أزيد من الاول فنزل لزيادته عليه مع ما تقدمه مما ينقص عنه منزلة المنافيين كالنفى والاثبات اللذين يضرب عن أحدهما للآخر وذلك ان نسبتهم الآيات الى أنها مفتريات أشد وأبعد من نسبتها الى أنها سحر فاضرب عن ذلك الاول الى ذكر ما هو أغرب منه * قوله تعالى قل ان افتريته فلا تملكون لى من الله شيأ (قال فان قلت فما معنى اسناد الفعل اليهم الخ) قال أحد فيه نظر من قبيل ان الكلام جرى فرضا وتقديرا وهى قرض الافتراء لا يتصور على تقديره

نصح وقال التصح عبارة عن الدعاء الى ما فيه نفع المكلف فى عمل ظاهر أو باطن الا أن يكون مأمورا به من الله تعالى ولا سبيل الى الاطلاع على ذلك الا من الوحى الحق لا غير فاذا لا يتصور نصح مع الافتراء وانما يتم هذا الذى قرره على قاعدة المعتزلة القائلين بأن العقل طريق يوصل الى معرفة حكم الله تعالى لانه اذا أمر بطاعة من الطاعات كالتوحيد مثلا وقال ان الله حتم عليكم وجوب التوحيد وأنا رسول الله اليكم ولم يكن متعوقا فانه تحق فى الامر بالتوحيد لان العقل دل على وجوبه عندهم وان كان ٣٦٩ مفتريا فى دعوى كونه رسولا من الله عز وجل وهذه قاعدة قد أفسدنا الادلة القاطعة فيحتمل فى آخر الآية على مذهب أهل السنة أن يكون اسناد الفعل لهم على معنى التنبيه بالشئ على مثاله بطريق المفهوم فالمعنى اذا ان كنت مفتريا فالله يعرفه واقعة

فيما أناهيه النصيحة لهم والاشفاق عليهم من سوء العاقبة وارادة الخير بهم فكأنه قال لهم ان افتريته وأنا أريد بذلك النصح لكم وصدكم عن عبادة الآلهة التى تعبدون عنى أيها الناصحون ان أخذنى الله بعقوبة الافتراء عليه * البدع بمعنى البديع كالخلف بمعنى الخليف وقرئ بدعا بفتح الدال أى ذا بدع ويجوز أن يكون صفة على فعل كقولهم دين قيم ولهم رئى كانوا يقترحون عليه الآيات ويسألونه عما لم يوح به اليه من الغيوب فقيل له (قل ما كنت بدعا من الرسل) فآتيكم بكل ما تقترحونه وأخبركم بكل ما تسألون عنه من الغيبيات فان الرسل لم يكونوا يأتون الا بما آتاهم الله من الآيات ولا يخبرون الا بما أوحى اليهم ولقد أتاب موسى صلوات الله عليه عن قول فرعون فما بال القرون الاولى بقوله علمها عند ربى (وما أدرى) لا أعلم الى الغيب ما يفعل الله بى وبكم فيما يستقبل من الزمان من أفعاله بى وبكم من قضاياه (ان أتبع الا ما يوحى الى) وعن الحسن وما أدرى ما يصير اليه أمرى وأمركم فى الدنيا ومن الغالب منا والمغلوب وعن الكلبى قال له أصحابه قد ضجرنا من أذى المشركين متى ينكون على هذا فقال ما أدرى ما يفعل بى ولا بكم أأترك بمكة أم أومر بالخروج الى أرض قد رفعت لى برأى تهامة فى منامه ذات نخيل وشجر وعن ابن عباس ما يفعل بى ولا بكم فى الآخرة وقال هى منسوخة بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويجوز أن يكون نفى الدراية للصلة وقرئ ما يفعل بفتح الياء أى يفعل الله عز وجل (ان أفعل) ان ما أفعل حيثيت غير منفى وكان وجه الكلام ما يفعل بى وبكم (قلت) أجل ولكن النفى فى ما أدرى لما كان منصبا عليه لتناوله ما وما فى حيز صح ذلك وحسن ألا ترى الى قوله أولم يروا أن الله الذى خلق السموات والارض وقدر بهن يحيى الموتى بقادر كيف دخلت الباء فى حيز أن وذلك لتناول النفى الباء لما هو فى حيزها * وما فى ما يفعل يجوز أن تكون موصولة منصوبة وأن تكون استفهامية مرفوعة * وقرئ يوحى أى الله عز وجل * جواب الشرط محذوف تقديره ان كان القرآن من عند الله وكفرتم به ألستم ظالمين ويدل على هذا المحذوف قوله تعالى ان الله لا يهدى القوم الظالمين * وشهد شاهد من بنى اسرائيل عبد الله بن سلام لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة نظر الى وجهه فلم يتلبس بوجه كذاب وتأمله فتحقق أنه هو النبى المنتظر وقال له انى سائلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبى ما أول أشراط الساعة وما أول طعام يأكله أهل الجنة وما بال الولد ينزع الى أبيه أو الى أمه فقال عليه الصلاة والسلام أما أول أشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت وأما الولد فاذا سبق ماء الرجل نزعه وان سبق ماء المرأة نزعته فقال أشهد أنك رسول الله حقا ثم قال يا رسول الله ان اليهود قوم بهت وان علموا باسلامى قبل أن تسألهم عنى بهتونى عندك فجاءت اليهود فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم أى رجل عبد الله فيكم فقالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا قال أرأيتم ان أسلم عبد الله قالوا أعاذه الله من ذلك فخرج اليهم عبد الله فقال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا وانتقصوه قال هذا ما كنت أخاف يا رسول الله وأحذر وقال سعد بن أبى وقاص ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاحد يمشى على وجه الارض انه من أهل الجنة الا لعبد الله بن سلام وفيه نزل (وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله) الضمير للقرآن أى على مثله فى المعنى وهو ما فى التوراة من المعانى المطابقة لما فى القرآن من التوحيد والوعد والوعيد وغير ذلك ويدل عليه قوله

هل ما كنت به عالما من الرسل وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم ان أتبع الا ما يوحى الى وما أنا الا نذير مبين قل أرأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ان الله لا يهدى القوم الظالمين وقال الذين كفروا

بكم لا أعذر على دعوتها عنكم ويتوسل هذا المعنى قوله تعالى قل ان افتريته فعلى اجرامى وأنا برىء مما تجرمون وأمثاله كثيرة والله أعلم * قوله تعالى وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم (قال أحمد ما ذكر فيه حمله على الدراية المعدية

٤٧ كشاف فى بريد ذلك أن تفصيل ما يصير اليه من خير ويصيرون اليه من شر الى آخره) قال أحمد بنى على أن المجرور معطوف على مثله وانهما جميعا فى صلة موصول واحد ولو قيل ان المجرور الثانى من صلة موصول محذوف معطوف على مثله حتى يكون التقدير وما أدرى ما يفعل بى ولا ما يفعل بكم لكان لواقعة غير مفتقرة الى تأويل وحذف الموصول المعطوف وتفاصيل كثيرة ومنه قوله تعالى ويعلم ما تجرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ثم الى مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون * ويعلمه وينصر سواء بريد حسان رضى الله عنه أتهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم وتمدحه سواء

*قوله تعالى قل أرأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم (قال فيه ان قلت أخبرني عن نظم هذا الكلام لاقف عليه من جهة النظم الخ) قال أحد اخوالم يوجد المعطوف الى جملة واحدة لان التفصيل قد يكون عطف مجموع مفردات على مجموع مفردات كل منهما ولا آية من هذا النمط ومثلها قوله تعالى وما يستوى الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور وقوله ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الآية وقد تقدم تقرير ذلك في الآيتين بخلده به عهدا *قوله تعالى واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم (قال فيه لا بد من عامل للظرف وغير مستقيم أن يعمل فيه الخ) قال أحد ان لم يكن ما لم من عمل فسيقولون في الظرف الا تناقى دلالتي الماضي والاستقبال فهذا

غير مانع فان الاستقبال هنا خارج مخرج الاشعار بدوام ما وقع وعصى لان القوم

قد حرموا الهداية وقالوا هذا افك قديم وأساطير الاولين وغير ذلك فعنى الآية اذا وقالوا اذ لم يهتدوا به هذا افك قديم وداموا

للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون أولئك أصحاب الجنة

على ذلك أصروا عليه فعبر عن وقوعهم دوامه بصيغة الاستقبال كما قال ابراهيم الا الذي فطرني فانه سيهدين وقد كانت الهداية واقعة وماضية ولكن أخبر عن وقوعها في دوامها فعبر بصيغة الاستقبال وهذا طريق

تعالى وانه لفي زبر الاولين ان هذا الفي العصف الاولى كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك ويجوز أن يكون المعنى ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد على نحو ذلك يعني كونه من عند الله (فان قلت) أخبرني عن نظم هذا الكلام لاقف على معناه من جهة النظم (قلت) الواو الاولى عاطفة لكفرتم على فعل الشرط كما عطفته ثم في قوله تعالى قل أرأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به وكذلك الواو الاخرة عاطفة لاستكبرتم على شهد شاهد وأما الواو في وشهد شاهد فقد عطفت جملة قوله شهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم على جملة قوله كان من عند الله وكفرتم به ونظيره قولك ان أحسنت اليك وأسأت وأقبلت عليك وأعرضت عني لم تتفق في أنك أحسنت ضمنتين فعطفتهما على مثلهما والمعنى قل أخبروني ان اجتمع كون القرآن من عند الله مع كفركم به واجتمع شهادة أعلم بني اسرائيل على نزول مثله وايمانه به مع استكباركم عنه وعن الايمان به أليس أضل الناس وأظلمهم وقد جعل الايمان في قوله فآمن مسببا عن الشهادة على مثله لانه لا يعلم أن مثله أنزل الى موسى صلوات الله عليه وأنه من جنس الوحي وليس من كلام البشر وأنصف من نفسه فشهد عليه واعترف كان الايمان نتيجة ذلك (للذين آمنوا) لاجلهم وهو كلام كفار مكة قالوا عامة من يتبع محمدا السفلة يعنون الفقراء مثل عمار وصهيب وابن مسعود ولو كان ما جاء به خيرا ما سبقنا اليه هؤلاء وقيل لما أسلمت جهينة ومزينة وأسلم غفار قالت بنو عامر وغطفان وأسد وأشجع لو كان خيرا ما سبقتنا اليه رعاء الهمل وقيل ان أمة لعمر أسلمت فكان عمر يضربها حتى يفتر عنها يقول لولا أني فترت لزدتك ضربا وكان كفار قريش يقولون لو كان ما يدعو اليه محمد حقا ما سبقنا اليه فلانة وقيل كان اليهود يقولونه عند اسلام عبد الله بن سلام وأصحابه (فان قلت) لا بد من عامل في الظرف في قوله (اذ لم يهتدوا به) ومن متعلق لقوله (فسيقولون) وغير مستقيم أن يكون فسيقولون هو العامل في الظرف لتدافع دلالتي الماضي والاستقبال فما وجه هذا الكلام (قلت) العامل في اذ محذوف لدلالة الكلام عليه كما حذف من قوله فلما نجاهم اذا هم يبغون الآن وتقديره واذ لم يهتدوا بالظهر عنادهم فسيقولون هذا افك قديم فيهذا الضمير صح بالكلام حيث انتصب به الظرف وكان قوله فسيقولون مسببا عنه كما صح باضمار أن في قوله تعالى يقول الرسول لما حذفت يحرورها والمضارع تأصبه وقولهم (افك قديم) كقولهم أساطير الاولين (كتاب موسى) مبتدأ ومن قبله ظرف واقع خبرا متدا عليه وهو ناصب (اماما) على الحال كقولك في الدار زيد قائما وقرئ ومن قبله كتاب موسى على وأتبعه الذين قبله التوراة ومعنى اماما مقدوة يؤتم به في دين الله وشرائعه كما يؤتم بالامام (ورحمة) لمن آمن به وعمل بما فيه (وهذا) القرآن (كتاب مصدق) للكتاب موسى أو لما بين يديه وتقدمه من جميع الكتب وقرئ مصدق لما بين يديه و (لسانا عربيا) حال من ضمير الكتاب في مصدق والعامل فيه مصدق ويجوز أن ينتصب عن كتاب لتخصصه بالصفة ويعمل فيه معنى الاشارة ويجوز أن يكون منصوبا على أي يصدق ذا لسان عربي وهو الرسول *وقرئ لينذر بالياء والتاء ولينذر من نذر ينذر اذا حذر (وبشرى) في

محل

الجرين قوله سيهدين قوله في الاخرى فهو يهدين ولولا دخول الفاء على الفعل لكان هذا الذي ذكرته هو الوجه ولكن الفاء المسببة دلت بدخولها على محذوف هو السبب وقطعت الفعل عن الظرف المتقدم فوجب تقدير المحذوف عاملا فيه لينتظم بتقديره عاملا أعني ان معادلة الظرف للعامل والفعل للعامل لعلته فتنبه ماذكره الزمخشري لاجل الفاء لا التفاتي الى الدلالتين والله أعلم

*قوله تعالى وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا (أجاز في نصبه أن يكون حالا من كتاب لتخصصه بالصفة الخ) قال أحد وجهان حسنان أعزهما بالمقام وهو النصب على الاختصاص وهذه الوجوه في قوله تعالى فيما يفرق كل أمر حكيم أمرا من عندنا والله أعلم

* قوله تعالى وأصلح لى فى ذريتى (قال فيه فان قلت ما معنى فى ههنا وأجاب بان المراد جعل ذريته الخ) قال أحمد ومثله قوله تعالى الا المودة فى القربى عدولا عن قوله الا مودة القربى أو المودة للقربى والله أعلم * قوله تعالى والذى قال لوالديه الى قوله أولئك الذين حق عليهم القول الآية (قال زعم بعضهم ان المعنى بالآية عبد الرحمن بن أبى بكر الخ) قال أحمد وفى هذا اختيار ان المراد الجنس لا عبد الرحمن بن أبى بكر ولكن لا اختيار الرد على قائل ذلك بهذا الوجه فان له أن يقول أراد عبد الرحمن وانما سمى ذلك قول الله تعالى حكاية عن العزيز يخاطب زليخا انك من كيدكن ان كيدكن عظيم فخاطبها وخاطب أمثالها والمقصود هى وقد عاد ٣٧١ الى خطابها خصوصا بقوله واستغفرى لذنبك انك كنت من الخاطئين ولكن وجه الرد على من زعم أن المراد جنس

تحمل النصب معطوف على تحمل لينصرف لانه معمول له * قرئ حسنا بضم الحاء وسكون السين وبضمهما وبفتحهما واحسانا وكرها بالفتح والضم وهما لغتان فى معنى المشقة كالفقر والعقر وانتصابه على الحال أى ذات كره أو على أنه صفة للمصدر أى حملا ذا كره (وحمله وفصاله) ومدة حمله وفصاله (ثلاثون شهرا) وهذا دليل على أن أقل الحمل ستة أشهر لان مدة الرضاع اذا كانت حولين لقوله عز وجل حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة بقيت للحمل ستة أشهر * وقرئ وفصله والفصل والفصال كالقطع والقطام بمعنى (فان قلت) المراد بالسنين مدة ارضاع القطام فكيف عبر عنه بالفصال (قلت) لما كان الرضاع يليه الفصال ويلابسه لانه ينتهى به ويتم سمى فصالا كما سمى للة بالامد من قال

على حين عاتبت المشيب على الصبا ... وقلت ألما أصح والشيب وازع

وفيه فائدة وهى الدلالة على الرضاع التام الذى يتصل بالفصال وقته وقرئ حتى اذا استوى وبلغ أشده وبلوغ الاشد أن يكمل وبستوفى السنن التى تحتكم فيها قوته وعقله وغيره وذلك ان الأناة على الثلاثين وناطح الاربعين وعن قتادة ثلاث وثلاثون سنة وسمعته ان يكون ذلك أول الاشد ونهايته الاربعين وقيل لم يبعث نبى قط الا بعد أربعين سنة * والمراد بالنعمة التى استوزع الشكر عليها نعمة التوحيد والاسلام وجمع بين شكرى النعمة عليه وعلى والديه لان النعمة عليهما نعمة عليه * وقيل فى العمل المرضى هو الصلوات الخمس (فان قلت) ما معنى فى فى قوله (وأصلح لى فى ذريتى) (قلت) معناه أن يجعل ذريته موصوفة بالصلاح موظفة له كما قال هب لى الصلاح فى ذريتى وأوقعه فيهم ونحوه حج فى عرفات وصلى فى الحصبين (من المسلمين) من المخلصين * وقرئ يتقبل ويتجاوز بفتح الياء والضمير فيهما لله عز وجل وقرئ بالنون (فان قلت) ما معنى قوله (فى أصحاب الجنة) (قلت) هو نحو قولك أكرمنى الامير فى ناس من أصحابه تريد أكرمنى فى جملة من أكرم منهم وتنظمنى فى عدادهم وتجعله النصب على الحال على معنى كائنين فى أصحاب الجنة ومعدودين فيهم (وعد الصدق) مصدر مؤكد كدلان قوله يتقبل ويتجاوز وعد من الله بهم بالتقبل والتجاوز وقيل نزلت فى أبى بكر رضى الله عنه وقرئ أبيه أى تعاقبوا فى أمه أم الخير وفى أولاده واصحابه عائشة وغيرها وقيل لم يكن أحد من الصحابة من المهاجرين منهم والانصار أسلم هو وولداه وجميع ولده غير أبى بكر (والذى قال لوالديه) مبتدأ خبره أولئك الذين حق عليهم القول والمراد الذى قال الجنس الدال ذلك القول ولذلك وقع الخبر جمعا وعن الحسن هو فى الكافر ثم تاب لوالديه المكذب بالبعث وعن قتادة هو نعت عبد سوء عاق لوالديه فاجر به وقيل نزلت فى عبد الرحمن بن أبى بكر قبل اسلامه وقد دعاه أبوه أبو بكر وأمه أم رومان الى الاسلام فاسلما وقال ايعدانى جدعان بن عمرو وعثمان بن عمرو وهما من أحداده حتى أسألهما عما يقول محمد ويشهد لطلاقة أن المراد بالذى قال جنس القائلين ذلك وان قوله الذين حق عليهم القول هم أصحاب النار وعبد الرحمن كان من أفاضل المسلمين وسراتهم وعن عائشة رضى الله عنها انكار ذلك وقالت فيه وحين كتب معاوية الى مروان بن سابع الناس ليزيد قال عبد الرحمن لقد جئتم بها هرقلية أتبايعون لابنائكم فقال مروان يا أيها الناس هو الذى قال الله فيه والذى قال لوالديه أف لكما أتعدانى أن أخرج وقد خلت القرون من قبلى فسمعت عائشة فغضبت وقالت والله ما هو به ولو شئت أن أسميه سميته ولكن الله لعن أباك وأنت فى صلبه فانت فضض من لعنة الله كله (قلت) وفى هذه الآية تقدير على من زعم ان المراد بالجنس الدرهم لانهم لا يعامل معاملة الجمع لانى الصفة ولانى الخبر ولا يجوز أن تقول الدينار الصفر خير من الدرهم البيض وهذا هو مردود بأن خبر الذى الواقع جمعا جاء على لفظ خبر الجمع كما رأيت والله أعلم

الرحمن ما ذكره الزمخشرى ثانيا قال ان الذين حق عليهم القول هم المخلصون فى النار فى علم الله تعالى وعبد الرحمن كان من أفاضل المسلمين وسراتهم ونقل ان مروان بايع الناس ليزيد فقال عبد الرحمن لقد جئتم بها هرقلية أتبايعون لابنائكم فقال مروان يا أيها الناس هذا هو الذى قال لوالديه الآية فسمعت عائشة فغضبت وقالت والله ما هو به ولو شئت أن أسميه سميته ولكن الله لعن أباك وأنت فى صلبه فانت فضض من لعنة الله كله (قلت) وفى هذه الآية تقدير على من زعم ان المراد بالجنس الدرهم لانهم لا يعامل معاملة الجمع لانى الصفة ولانى الخبر ولا يجوز أن تقول الدينار الصفر خير من الدرهم البيض وهذا هو مردود بأن خبر الذى الواقع جمعا جاء على لفظ خبر الجمع كما رأيت والله أعلم

* قوله تعالى ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا الآية (قال قيئة عرضهم على النار أما من قولهم عرض بنو فلان على السيف الخ) قال أحمد ان كان ٣٧٢ قولهم عرضت الناقة على الحوض مقلوبا فليس قوله يعرض الذين كفروا على النار مقلوبا بل ان المقيس ثم الى اعتقاد القلب

ولكن الله لعن أبالك وأنت في صلبه فأنت قضض من لعنة الله * وقرئ أف بالكسر والفتح بغير تنوين وبالحركات الثلاث مع التنوين وهو صوت اذا صوت به الانسان علم أنه متضجر كما اذا قال حس علم منه أنه متوجع واللام للبيان معناه هذا التأفيف لكما خاصة ولا يحل كما دون غيركما * وقرئ أتعدانني بنونين وأتعداني لاحدهما وأتعدانني بالادغام وقد قرأ بعضهم أتعدانني بفتح النون كانه استثقل اجتماع النونين والكسرتين والياء بفتح الاولى تصريا للتخفيف كما تحراه من أدغم ومن اطرح أحدهما (أن أخرج) ان أبعث وأخرج من الارض وقرئ أخرج (وقد خلت القرون من قبلي) يعني ولم يبعث منهم أحد (يستغيثان الله) يقولان الغيات بالله منك ومن قولك وهو استعظام لقوله (ويلك) دعاء عليه بالثبور ونحوه والمراد به الحث والتحريض على الايمان لا حقيقة الهلاك (ان وعد) نحو قوله في أصحاب الجنة * وقرئ أن بالفتح على معنى آمن بأن وعد الله حق (ولكل) من الفسقة المذكورين (درجات مما عملوا) أي منازل ومراتب من جزاء ما عملوا من الخير والشر ومن أجل ما عملوا ومنها (فان قلت) كيف قيل درجات ودركات والمراد درجات (قلت) يجوز أن يقال ذلك على وجه التغليب لاشتمال كل على الفريقين (وليوفيهم) وقرئ بالنون تعليل معلله محذوف لدلالة الكلام عليه كانه قيل وليوفيهم أعمالهم ولا يظلمهم حقوقهم فدبر جزاءهم على مقادير أعمالهم فجعل الثواب درجات والعقاب دركات * ناصب الظرف هو القول المضمر قبل (أذهبتم) * وعرضهم على النار تعذيبهم بها من قولهم عرض بنو فلان على السيف اذا قتلوا بهو منه قوله تعالى النار يعرضون عليها ويجوز ان يراد عرض النار عليهم من قولهم عرضت الناقة على الحوض يريدون عرضي الحوض عليها فقلبوا ويدل عليه تفسير ابن عباس رضي الله عنه صباحهم اليها يكشف لهم عنها (أذهبتم طيباتكم) أي ما كتب لكم حظ من الطيبات الا وقد أصبتموه في دنياكم وقد ذهبتم بها وأخذتموه فليس لكم بعد استيفاء حظكم شئ منها وعن عمر رضي الله عنه لو شئت لدعوت بصلائق وصناب وكراكر ولكني رأيت الله تعالى نعى على قوم طيباتهم فقال أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا وعنه لو شئت لكنت أطيبكم طعاما وأحسنكم لباسا ولكني أستبقي طيباتي وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه دخل على أهل الصفة وهم يتمرون نياهم بالادم يجعلون فيه ماء فقال أنتم اليوم خير أم يوم يغدو أحدكم في حلة ويروح في أخرى ويغشى عليه جفنة ويراح عليه بأخرى ويستر بيته كما تستر الكعبة قالوا نحن يومئذ خير قال بل أنتم اليوم خير وقرئ أذهبتم بهمزة الاستفهام وآذهبتم بالمدين هزتين * الهون الهوان وقرئ عذاب الهوان * وقرئ يستكبرون بضم السين وكسرها * الاحقاف جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشئ اذا انعوج وكانت عاد أصحاب عمد يسكنون بين رمال مشرفين على البحر بأرض يقال لها الشحر من بلاد اليمن وقيل بين عمان ومهرة و (النذر) جمع نذير بمعنى المنذر أو الانذار (من بين يديه) من قبله (ومن خلفه) ومن بعده * وقرئ من بين يديه ومن بعده والمعنى أن هودا عليه السلام قد أنذرهم فقال لهم لا تعبدوا الا الله اني أخاف عليكم العذاب وأعلمهم أن الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم ينذرون نحو انذاره وعن ابن عباس رضي الله عنه يعني الرسل الذين بعثوا قبله والذين بعثوا في زمانه ومعنى ومن خلفه على هذا التفسير ومن بعد انذاره هذا اذا علقت وقد خلت النذر بقوله أنذر قومه ولك أن تجعل قوله تعالى وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه اعتراضا بين أنذر قومه وبين (ألا تعبدوا) ويكون المعنى واذكر انذار هود قومه عاقبة الشرك والعذاب العظيم وقد أنذر من تقدمه من الرسل ومن تأخر عنه مثل ذلك فاذكرهم * الافك الصرف يقال أفكه عن رأيه (عن آلهتنا) عن عبادتها (عاتدنا) من معاجلة العذاب على الشرك (ان كنت) صادقا في وعدك (فان قلت) من أين طابق قوله تعالى (انما العلم عند الله) جوابا لقولهم فأتنا

ان الحوض يجاء لادراك الناقة هي المدركة فهي التي يعرض عليها الحوض حقيقة وأما النار فقد وردت النصوص بانها جهنم مدركة ادراك السبع الطريدة الا أن الفم الأعلى في الآية على ظاهره كقولك عرضت الاسرى على الامير والله أعلم

*قوله تعالى ولقد مكناهم فيما ان مكنا كم فيه الخ (قال أحمد بن المنير ليس كما أنشده وانما هو يروى لعمرك ان مايان منك لضارب * باقبل عمايان منك لغائب ولا يستقيم الا كذلك لان قبله هو ابن رسول الله وابن صفيه * وشبهه اشهت بعد التجارب من قصيدة يمدح بها اطاهرين الحسين العلوى ولو أتى أبو الطيب عوض مايان بلباء البيت * يرى ان مايان بان عنك لضارب*

عما تعدنا (قلت) من حيث ان قولهم هذا استجهال منهم بالعذاب الا ترى الى قوله تعالى بل هو ما استعجلتم به فقال لهم لا علم عندى بالوقت الذى يكون فيه تعذيبكم حكمة وصوابا انما علم ذلك عند الله فكيف أدعوه بان يأتيكم بعذابه فى وقت عاجل تقترحونه أنتم ومعنى (وأبلغكم ما أرسلت به) وقرئ بالتضعيف أن الذى هو شأنى وشرطى أن أبلغكم ما أرسلت به من الانذار والتحويف والصرف عما هو حتم لسخط الله تجهلون ولكنكم جاهلون لا تعلمون أن الرسل لم يبعثوا الا منذرين لا مقترحين ولا مائلين فيما أذن لهم فيه (فلما رأوه) فى الضمير وجهان أن يرجع الى ما تعدنا وأن يكون مبهما قد وضح أمره بقوله (عارضا) مانعيا لنا ما لا وهذا الوجه أعرب وأفصح والعارض السحاب الذى يعرض فى أفق السماء وهو فاعل الجعلى والعنان من حيث ما عن اذا عرض * واضافة مستقبل وممطرنا اليه غير حقيقية بدليل وقوعهما وهما صفتان الى معرفتين وصف النكرة (بل هو) القول قيل مضمر والقائل هو عليه السلام والدليل عليه قراءة من قرأ قال هو بل هو وقرئ قل بل ما استعجلتم به هى ريح أى قال الله تعالى قل (تدمر كل شئ) تهلك من هود عاد وأموالهم الجم الكثير فعبر عن الكثير بالكل كقوله وقرئ يدمر من دمر دمار اذا هلك (لا ترى) الخطاب للرائى من كل وقرئ لا يرى على البناء للمفعول بالياء والتاء وترى بالرفع على الحسن رضى الله عنه لا ترى الا مساكنهم ولا يرى الا مساكنهم وما ثبت الا الضلوع الجراشع والبيت بالقوية * وقرئ لا ترى الا مساكنهم ولا يرى الا مساكنهم وروى أن الريح كانت تحمل الفسطاط والظعينة فترفعها فى الجو حتى ترى كأنها جراده وقيل أول من أبصر العذاب امرأة منهم قالت رأيت ريحا فيها كشهب النار وروى أول ما عرفوا به أنه عذاب أنهم رأوا ما كان فى المحل امس رحالهم ومواشيهم تطير بها الريح بين السماء والارض فدخلوا بيوتهم وغلقوا أبوابهم فقلعت الريح الابواب وصرعتهم وأمال الله عليهم الاحقاف فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيام لهم أنين ثم كشفت الريح عنهم فاحتملتهم فطرحتهم فى البحر وروى أن هودا لما أحس بالريح خط على نفسه وعلى المؤمنين خطا الى جنب عين تنبع وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما عدل هود ومن معه فى حظيرة ما يصيبهم من الريح الا ما يلين على الجلود وتلذه الانفس وانها لتمر على عاد الظعن بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان اذا رأى الريح قزع وقال اللهم انى أسألك خيرها وخير ما أرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما أرسلت به واذا رأى مخيلة قام وعمد اليها وذهب وتغير لونه فيقال له يا رسول الله ما تخاف فيقول انى أخاف أن يكون مثل قوم عاد حيث قالوا هذا عارض ممطرنا (فان قلت) ما فائدة اضافة الريح الى الرب (قلت) الدلالة على أن الريح وتصريفها أنشاءها وانشاءها على عظم قدرته لانها من أعجب خلقه وأكثر جنوده وذكر الامر وكونها أمورة من جهته مغنى وعمل بعد ذلك ويقويه (ان) نافية أى فعلنا ما مكناكم فيه الا أن أحسن فى اللفظ لما فى مجانسة ما قبلها من التكرير المستقبح ومثله مجتنبا لا ترى أن الاصل فى مهما ما فاشتاعة التكرير قلبوا الالف هاء ولقد أغث أبو الطيب فى قوله * لعمرك ما مايان منك لضارب * وما ضره لو اقتفى بعده بلفظ التنزيل فقال لعمرك ما ان بان منك لضارب وقد سمعت ان من لم تنتهى همته الى أشده الاحتش

يرجى المرء مالا يراه * وتعرض دون أدناه الخطوب

وتؤول بانا مكناهم فى مثل ما مكناكم فيه والوجه هو الاول ولقد جاء عليه غير آية فى القرآن هم أحسن أثاثا ورئيا كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا وهو أبلغ فى التوبيخ وأدخل فى الحث على الاعتبار (من شئ) أى

وهذا التكرار أثقل من تكرار مايان لاما مراه وانما فنده الزمخشرى والزامه استعمال ان عوض ما لا اعتقاده ان البيت كما أنشده

وأبلغكم ما أرسلت به ولكنى أراكم قوما تجهلون فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شئ بأمر ربها فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم كذلك نجزى القوم المجرمين ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شئ

لعمرك ما مايان منك لضارب*
باقبل عمايان منك لغائب
ولا عوض ان عوض ما كلمته الزمخشرى لازم فتحول الباء فى خبرها ولكنه تحول الباء فى خبر ما الحجازية العاملة وان لا تعمل عمل ما على الصحيح فلا يستقيم دخول الباء فى خبرها فاعدل المتفى عن ذلك الا تعذره عليه من كل وجه على انى لا أرى المتنبى من التغزل فانه كان مغرى به مغرما بالغريب من المنظم وتقسل الزمخشرى فى الآية وجها آخر وهو جعله أصلة مثلها فى قوله يرجى المرء مالا يراه * وتعرض دون أدناه الخطوب (قال وتكون معناه على هذا مكناهم فى مثل ما مكناكم الخ) قلت والحشو من هذه الطائفة قوله تعالى وقالوا من أشد منا قوة أولم يروا ان الله الذى خلقهم هو

أسمعهم قوة وقوله معكاهم في الارض ما مكنكم لكم * قوله تعالى فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة (قال فيه أحد مفعولي اتخذ الراجع الى الموصول محذوف الخ) قال أحمد لم يتبين وجه فساد المعنى على هذا الاعراب ونحن نبينه فنقول لو كان قربانا مفعولا ثانيا ومعناه متقربا بهم لصار المعنى الى انهم وبخوا على ترك اتخاذ الله متقربا به لان السيد اذا وبخ عبده وقال اتخذت فلانا سيدا دون فلان فمعناه اللوم على تسمية ٣٧٤ السيادة الى غيره وليس هذا المقصد فان الله تعالى يتقرب اليه ولا يتقرب به لغيره فاما وقع

الوبخ على تسمية الالهية الى غير الله تعالى فكان حق الكلام ان يكون آلهة هو المفعول الثاني لاتخذ * قوله تعالى بافونا أجيبوا داعي الله

اذ كانوا يصدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون والله أهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة بل ضلوا عنهم وذلك افكهم وما كانوا يفترون واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولوا الى قومهم منذرين قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي الى الحق والى طريق مستقيم يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم

وأجاره من عذاب أليم من ذنوبكم الآخر قال انما بعض المغفرة لان من الذنوب ما لا يغفر الا بالايمان كذنوب الظالم ونحو هذا نحو قوله

من شيء من الاعتاد وهو القليل منه (فان قلت) لم انتصب (اذ كانوا يجحدون) (قلت) بقوله تعالى فما أغنى (فان قلت) لم جرى مجرى التعليل (قلت) لاستمرارهم على التعليل والظرف شيء قولك ضربته لاساءته وضربته اذ أساء لانك اذا ضربته في وقت اساءته فقد ضربته لوجود اساءته فيه لا الآن اذ وجب علمنا دون سائر الظروف في ذلك (ما حولكم) يا أهل مكة (من القرى) من نحو حجر ثمود وقرية سدوم وغيرهما والمراد أهل القرى ولذلك قال (لعلهم يرجعون) * القربان ما تقرب به الى الله تعالى أي اتخذوهم شفعاء متقربا بهم الى الله حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله وأحد مفعولي اتخذ الراجع الى الذين المحذوف والثاني آلهة وقربانا حال ولا يصح أن يكون قربانا مفعولا ثانيا وآلهة بدلا منه لفساد المعنى وقرئ قربانا بضم الراء والمعنى فهلا منعهم من الهلاك آلهتهم (بل ضلوا عنهم) أي غابوا عن نصرتهم (وذلك) اشارة الى امتناع نصره آلهتهم اياهم وضلالهم عنهم أي وذلك أثر افكهم الذي هو اتخاذهم اياها آلهة وقرئ شركهم وافترائهم على الله الكذب من كونه ذا شركاء * وقرئ أفكهم والافك والافك كالحذر والحذر وقرئ وذلك أفكهم أي وذلك الاتخاذ الذي هذا أثره وقرئ صرفنا بالتشديد للمبالغة وآفكهم جعلهم آفكين وآفكهم أي قولهم الآفك ذوو الافك كقولهم قول كاذب وذلك فعلنا كانوا يفترون أي بعض ما كانوا يفترون من الافك (صرفنا اليك نفرا) أملناهم اليك وأقبلنا بهم نحوك وقرئ صرفنا بالتشديد لاجل جماعة والنفر دون العشرة وجمع القليل أنفار وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه لو كان ههنا أحد من أنفار نا (فلما حضروه) الضمير (للقرآن) أي فلما كان بمسمع منهم أو لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويعضده قراءة من قرأ فلما قضي أي أتم قراءته وفرغ منها (قالوا) قال بعضهم لبعض (أنصتوا) اسكتوا مستمعين فقال أنصت لكذا واستنصت له روي أن الجن كانت تسترق السمع فلما حرست السماء ورجموا بالشهب قالوا ما هذا الا لنبأ حدث فبعث سبعة نفر أو تسعة من أشراف جن نصيبين أو نينوى منهم زوبعة فضربوا حتى بلغوا تهامة ثم اندفعوا الى وادي نخلة فوافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم في جوف الليل يصلي أو في صلاة الفجر فاستمعوا القراءة وذلك عند مصرفه من الطائف حين خرج اليهم يستنصرهم فلم يجيبوه الى طلبته وأغرروا بسفهائه فتيه وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رآهم وانما كان يتوقع صلاة فجر وايه فوقع استمعوا وهو لا يشعر فأنبأه الله باستماعهم وقيل بل أمر الله رسوله أن ينذر الجن ويقرأ عليهم فصرف اليه نفرا منهم جمعهم له فقال اني أمرت أن أقرأ على الجن الليلة فمن يتبعني فالها ثلاثا فأطرقوا الا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال لم يحضره ليلة الجن أحد غيري فانطلقنا حتى اذا كنا بأعلى مكة في شعب الحجون خط لي خطا وقال لا تخرج منه حتى أعود اليك ثم افتتح القرآن وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت سوداء كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما أسمع صوته ثم انقطعوا كانقطاع السحاب فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت شيئا فقلت نعم رجالا سودا مستفزي الثياب بعض فقال أولئك جن نصيبين وكانوا اثني عشر ألفا وهو السورة التي قرأها عليهم اقرأ باسم ربك (فان قلت) كيف قالوا (من بعد موسى) (قلت) عن عطاء رضي الله عنه أنهم كانوا على اليهودية وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن الجن لم تكن سمعت بأمر عيسى عليه السلام فلذلك قالت من بعد موسى (فان قلت) لم بعض في قوله (من ذنوبكم) (قلت) لان من الذنوب ما لا يغفر بالايمان كذنوب المظالم ونحو هذا نحو قوله

الذنوب ما لا يغفر الا بالايمان كذنوب المظالم اه كلامه قال أحمد ليس ما أطلقه من ان الايمان لا يغفر المظالم صحيحا عن

لان الجبي لو جب الاموال التي وظفوها ذلك الدماء المحقونة ثم حسن اسلامه يجب الاسلام عنه اثم ما تقدم بلا اشكال ويقال انما وعد المغفرة للكافر على تقدير الايمان في كتاب الله تعالى الا بعضه وهذا منه فان لم يكن لاظهاره بذلك سرفا هو الا ان مقام الكافر فيحق لا يسمح فلذلك لم يبسط رجاءه في مغفرة جملة الذنوب وقد ورد في حق المؤمنين مثله كثيرا والله أعلم

﴿القول فى سورة محمد عليه الصلاة والسلام﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم (قال معناه جعلها كالضالة من الابل الخ) قال أحمد هذا المعنى الثانى حسن ممكن على عبارة قوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم قال كفر عنهم سيآتهم وأصلح بالهم وتحرير المقابلة بينهما ان الكفار ضلت أعمالهم الصالحة فى جملة ٣٧٥ أعمالهم السيئة من الكفر والمعاصى حتى صار عملهم مستهلكا

أعز وجل أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم (فان قلت) هو للبين تراب كالناس (قلت) اختلف فيه فقيل لا تراب لهم الا الاحياء من الناس لقوله تعالى (ويحشركم من عذاب أليم) واليه كان يذهب أبو حنيفة رحمه الله والصحيح أنهم فى حكم بنى آدم لانهم مكلفون مثلهم (فليس يعجز فى الارض) أى لا ينجى منه مهرب ولا يسبق قضاءه سابق ونحوه قوله تعالى وانا ظننا أن لن نعجز الله فى الارض ولن نعجزه هربا (بقادر) محله الرفع لانه خبر أن يدل عليه قراءة عبد الله قادر وانما دخلت الباء لاشتمال النفى فى أول الآية على أن وما فى حيزها وقال الزجاج لو قلت ما ظننت أن زيدا قائم جاز كأنه قيل أليس الله بقادر ألا ترى الى وقوع بلى مقررة للقدرة على كل شئ من البعث وغيره لا ترى بهم وقرئ يقدر هو يقال عييت بالامر اذا لم تعرف وجهه ومنه أفعيينا بالخلق الاول (أليس هذا بالحق) تحكى بعد قول مضمر هو ناصب الظرف وهذا اشارة الى العذاب بدليل قوله تعالى فذوقوا العذاب والمعنى المهلكم بهم والتوبيخ لهم على استهزائهم بوعد الله ووعيده وقولهم وما نحن بمعذبين (أولوا العزم) أولوا الجد والثبات والصبر و (من) يحوز أن تكون للتبعيض ويراد بأولى العزم بعض الانبياء فيدخل هم نوح صبر على أذى قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وابراهيم على النار وذبح ولده واسحق على الذبح ويعقوب على فقد ولده وذهاب بصره ويوسف على الجب والسجن وأيوب على الضر وموسى قال له قومه انا لمدركون قال كلا ان معى ربى سيهدين وداود بكى على خطيئته أربعين سنة ونبينا لم يضع لبنة على لبنة وقال انها مسيرة فاصبروا كما تصبر وقال الله تعالى فى آدم ولم نجد له عزما وفى يونس ولا تكن كصاحب الحوت وتحوز أن تكون للبيان فيكون أولو العزم صفة الرسل كلهم (ولا تستعجل) الكفار قرئ بالعذاب أى لا تدع لهم بتعجيله فانا نؤتيهم لا محالة وان تأخر وانهم مستقصرون حين مدة لبثهم فى الدنيا حتى يحسبوها (ساعة من نهار بلاغ) أى هذا الذى وعظتم به كفاية فى الموعظة أو هذا تبليغ من الرسول عليه السلام (فهل يهلك) الا الخارجون عن الائتمار بالعمل بموجبه * ويدل على سعى التبليغ فرئ تفعل بالتاء أى فهل يهلك الا هو وقرئ بلا تاء أى بالهوان فوضع الظاهر موضع الضمير للتهويل وفتح اللام وكسرها من هلك وهلك وقرئ الهالكون الا القوم الفاسقين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رمل فى الدنيا

والمعاصى حتى صار عملهم مستهلكا

﴿سورة محمد صلى الله عليه وسلم مدنية عند مجاهد وقال الضحاك وسعيد بن جبير مكية﴾

﴿وهى سورة القتال وهى تسع وثلاثون آية وفيها ركوعان﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(وصدوا) وأعرضوا وامتنعوا عن الدخول فى الاسلام أو صدوا غيرهم عنه قال ابن عباس رضى الله عنهم هم المطعمون يوم بدر وعن مقاتل كانوا اثنى عشر رجلا صدون الناس عن الاسلام بأعمالهم بالكفر وقيل هم أهل الكتاب الذين كفروا وصدوا من أرادهم ومن غيرهم أن يدخل فى الاسلام وقيل هو عام فى كل من كفر وصد (أضل أعمالهم) أبطلها وأحبطها وحقيقته جعلها أضالة أى ضائعة ليس لها من يثقفها ويثيب عليها كالضالة من الابل التى لا عقيلة لها تحفظها ولا تعتنى بأمرها وجعلها أضالة فى كفرهم ومعاصيهم سواء بتبهما كما فضل الماء فى اللون وأعمالهم ما عملوه فى كفرهم مما كانوا يسمونه مكارم من صلة الارحام وفك الاسارى وقرى الاضياف وحفظ الجوار وقيل أبطل ما عملوه من الكيد لرسول الله

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم

فى عمارتهم ومعتقداته

فى المؤمنين ستر الله لاعمالهم السيئة فى كفر أعمالهم الصالحة من الايمان والطاعة حتى صار سيئهم مكفرا تحت جنب صالح أعمالهم والى هذا التمثيل المحسن فى عدم قبول صالح الكفار والتجاوز عن سيئ أعمال المؤمنين وقعت الاشارة بقوله تعالى كذلك يضرب الله للناس أمثالهم والله أعلم

والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس أمثالهم فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها

صلى الله عليه وسلم والصد عن سبيل الله بأن نصره عليهم وأظهر دينه على الدين كله (والذين آمنوا) قال مقاتل هم ناس من قريش وتميم من الأنصار وقيل هم مؤمنو أهل الكتاب وقيل هو عام * وقوله (وآمنوا بما نزل على محمد) اختصاص الإيمان بالمنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين ما يجب به الإيمان تعظيما لشأنه وتعليما لأنه لا يصح الإيمان ولا يتم إلا به وأكد ذلك بالجملة الاعتراضية التي هي قوله (وهو الحق من ربهم) وقيل معناه أن دين محمد هو الحق الذي لا يرد عليه النسخ وهو ناسخ لغيره * وقرئ نزل وأنزل على البناء للمفعول ونزل على البناء للفاعل ونزل بالتخفيف (كفر عنهم سيئاتهم) ستر بإيمانهم وعملهم الصالح ما كان منهم من الكفر والمعاصي لرجوعهم عنها وتوبتهم (وأصلح بالهم) أي حالهم وشأنهم بالتوفيق في أمور الدين وبالتسليط على الدنيا بما أعطاهم من النصرة والتأييد (ذلك) مبتدأ وما بعده خبره أي ذلك الأمر وهو اضلال أعمال أحد الفريقين وتكفير سيئات الثاني كائن بسبب اتباع هؤلاء الباطل وهؤلاء الحق ويجوز أن يكون ذلك خبر مبتدأ محذوف أي الأمر كذا كر بهذا السبب فيكون محل الجار والمجرور منصوبا على هذا ومرفوعا على الأول و (الباطل) ما لا ينتفع به ومن تجاهد الباطل الشيطان وهذا الكلام يسميه علماء البيان التفسير (كذلك) مثل ذلك الضرب (يضرب الله للناس أمثالهم) والضمير راجع إلى الناس أو إلى المذكورين من الفريقين على معنى أنه يضرب أمثالهم لأجل الناس ليعتبروا بهم (فإن قلت) أن ضرب الأمثال (قلت) في أن يجعل اتباع الباطل مثلا لفعل الكفار وتكفير السيئات مثلا لفوز المؤمنين (القيتم) من اللقاء وهو الحرب (فضرب الرقاب) أصله فاضربوا الرقاب ضرب الرقاب فحذف الفعل وقدم المصدر فأنيب منابه مضافا إلى المفعول وفيه اختصار مع إعطاء معنى التوكيد لأن ذكر المصدر دليل على الفعل بالتضمنة التي فيه وضرب الرقاب عبارة عن القتل لأن الواجب أن تضرب الرقاب خاصة دون غيرها من الأعضاء وذلك أنهم كانوا يقولون ضربت الأمير رقبة فلان وضرب عنقه وعلا وه وضرب ما بين عينيه إذا قتله وذلك أن قتل الإنسان أكثر ما يكون بضرب رقبته فوقع عبارة عن القتل وإن ضرب غير رقبته من القتائل كما ذكرنا في قوله بما كسبت أيديكم على أن في هذه العبارة من الغلظة والشدة ما ليس في لفظ القتل لما فيه من تصوير القتل بأشنع صوره وهو خرق العنق وإطارة العضو الذي هو رأس البدن ونادره وأجل أعضائه ولتنازع في هذه الغلظة في قوله تعالى فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان (أثخنتموهم) أكثرتم قتلهم والإثخان هو الإثبات والغلبة والقهر وأصله من الثخن وهو الغليظ أو أثقلتموهم بالقتل والجراح حتى أذهبتم منهم النهوض (فشدوا الوثاق) فأسروهم والوثاق بالفتح والكسر اسم ما يوثق به * منا وفداء منصوبان بفعلهما مضمرين أي فإما تمنون منا وإما تفدون فداء والمعنى التخيير بعد الأسر بين أن يعتلعهم غيظا قهم وبين أن يفادوهم (فإن قلت) كيف حكم أسارى المشركين (قلت) أما عند أبي حنيفة وأصحابه فأحد أمرين إما قتلهم وإما استرقاقهم أيهما رأى الإمام ويقولون في المن والفداء المذكورين في الآية نزل ذلك في يوم بدر ثم نسخ وعن مجاهد ليس اليوم من المن والفداء وإنما هو الإسلام أو ضرب العنق ويجوز أن يراد بالمن أن يعين عليهم بترك القتل ويسترقوا أو يعين عليهم فيحلوا التبوهم الجزية وكونهم من أهل الذمة وبالفداء أن يعادي بأسارا هم أسارى المشركين فقد روى الطحاوي مذهبا عن أبي حنيفة والمشهور أنه لا يرى فداءهم بالمال ولا بغيره خيفة أن يعودوا حربا للمسلمين وأما الشافعي فيقول للإمام أن يختار أحد أربعة على حسب ما تقتضاه نظره للمسلمين وهو القتل والاسترقاق والفداء بأسارى المسلمين والمن وصح بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم من على أبي عزة الجمحي وعلى بن أثال الحنفي وفادى رجلا برجلين من المشركين وهذا كله منسوخ عند أصحاب الرأي وقرئ عدى بالتصريح مع الفاء * أوزار الحرب آلاتها وأثقالها التي لا تقوم إلا بها كالسلاح والكراع قال الأعشى

وأعددن للحرب أوزارها * رماحا طوالا وخيلا ذكورا

وسميت أوزارها لأنه لما لم يكن لها بد من حرهافكأنها تحملها وتستقل بها فإذا انقضت فكأنها وضعتها وقيل أوزارها آثامها يعني حتى يترك أهل الحرب وهم المشركون شركهم ومعاصيهم بأن يسلموا (فإن قلت)

حتى يثخنهم (قلت) لا تخلو اما أن تتعلق بالضرب والشد أو بالمن والفداء فالمعنى على كلا المتعلقين عند الشافعي رضي الله عنه أنهم لا يزالون على ذلك أبدا الى أن لا يكون حرب مع المشركين وذلك اذا لم يبق لهم شوكة وقيل اذا نزل عيسى بن مريم عليه السلام وعند أبي حنيفة رحمه الله اذا علق بالضرب والشد فالمعنى أنهم يقتلون ويؤسرون حتى تضع جنس الحرب الاوزار وذلك حين لا تبقى شوكة للمشركين واذا علق بالمن والفداء فالمعنى أنهم عين عليهم ويفادون حتى تضع حرب بدر أوزارها الا أن يتأول المن والفداء بما ذكرنا من التأويل (ذلك) أي الامر ذلك أو افعلوا ذلك (لانتصر منهم) لانتقم منهم ببعض أسباب الهلاك من خسف أو رجفة أو صاعقة أو غرق أو موت جارف (ولكن) أمركم بالقتال ليبلوا المؤمنين بالكافرين بأن يجاهدوا ويصبروا حتى يستوجبوا الثواب العظيم والكافرين بالمؤمنين بأن يعاجلوهم على أيديهم ببعض ما وجب لهم من العذاب * وقرئ قتلوا بالتخفيف والتشديد وقتلوا وقاتلوا * وقرئ لن يضل أعمالهم وتضل أعمالهم على البناء للمفعول ويضل أعمالهم من ضل عن فلانة أنها نزلت في يوم أحد (عرفها لهم) أعلمها لهم وبينها لهم يعلم كل أحد منزلته ودرجته من الجنة قال مجاهد يهتدي أهل الجنة الى مساكنهم منها يخطئون كأنهم كانوا سكانها منذ خلقوا لا يستدلون عليها وعن مقاتل أن الملك الذي وكل بحفظ عمله في الدنيا يمشي بين يديه فيعرفه كل شيء أعطاه الله أو طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة وفي كلام بعضهم عرف كنوح القماري وعرف كنوح القماري أو حدها لهم فجنة كل أحد محدودة مقدرة عن غيرها من عرف الدار وارفها والعرف والارف الحدود (ان تنصروا) دين (الله) ورسوله (ينصركم) على عدوكم ويفتح لكم (ويثبت أقدامكم) في مواطن الحرب أو على جحيمة الاسلام (والذين كفروا) يحتمل الرفع على الابتداء والنصب بما يفسره (فتعسا لهم) كأنه قال أتعس الذين كفروا (فان قلت) علام عطف قوله (وأضل أعمالهم) (قلت) على الفعل الذي نصب تعسا لان المعنى فقال تعسا لهم أو فقضى تعسا لهم وتعسا له نقيض لعاله قال الاعشى فالتعس أولى لها من أن أقول لعا يريد الغور والانحطاط اقرب لها من الانتعاش والثبوت وعن ابن عباس رضي الله عنهما يريد في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالتردي في النار (كرهوا) القرآن وما أنزل الله فيه من التكاليف والاحكام لانهم ألفوا الاهمال واطلاق العنان في الشهوات والملاذ فشق عليهم ذلك ونغاظهم * ذمر أهله كذمهم عليه أهالك ليسه ما يختص به والمعنى دمر الله عليهم ما اختص بهم من أنفسهم وأموالهم وأولادهم وكل ما كان لهم (وللكافرين أمثالها) الضمير للعاقبة المذكورة أو للهلكة لان التدمير يدل عليها أو للسنة لقوله عز وعلا سنة الله التي خلت في الذين خلوا (مولى الذين آمنوا) وليهم وناصرهم وفي قراءة ابن مسعود ولى الذين آمنوا وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في الشعب يوم أحد وقد شجت فيه الجراحات وفيه تزات فنادى المشركون أعل هبل فنادى المسلمون الله أعلى وأجل فنادى المشركون يوم بيوم والحرب سجال ان لنا عزى ولا عزى لكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا الله مولانا ولا مولى لكم ان القتلى مختلفة أما قتلانا فأحياء يرزقون وأما قتلاكم ففي النار يعذبون (فان قلت) قوله تعالى ورد الى الله مولاهم الحق مناقض لهذه الآية (قلت) لا تناقض بينهما لان الله مولى عباده جميعا على معنى أنه ربهم ومالك أمرهم وأما على معنى الناصر فهو مولى المؤمنين خاصة (يتمتعون) يتنعمون متاع الحياة الدنيا أيامها قلائل (ويأكلون) غافلين غير مفكرين في العاقبة (كما تأكل الانعام) في مسارحها ومعالفها غافلة عما هي بصدده من الذبح والذبح (مثوى لهم) منزل ومقام وقرئ وكان بوزن كاعن * وأراد بالقرية أهلها ولذلك قال (أهلكناهم) كأنه قال وكم من قوم هم أشد قوة من قومك الذين أخرجوك أهلكناهم * ومعنى أخرجوك كانوا سبب خروجك (فان قلت) كيف قال (فلا ناصر لهم) وقد أهمر قد مضى (قلت) جرى مجرى المحال الحكمية كأنه قال أهلكناهم فوجد لا ينصرون من زين له هم أهل مكة الذين زين لهم الشيطان شركهم وعداوتهم لله ورسوله ومن كان على بينة من ربه أي على حجة من عنده وبرهان وهو القرآن المعجز وسائر المعجزات هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ أمن كان على بينة من ربه وقال تعالى (سوء عمله واتبعوا

ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم والذين كفروا فتعسا لهم وأضل أعمالهم ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم

* قوله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون الآية (قال فيه هو كلام في صورة الاثبات ومعناه النفي الخ) قال أحمد كم ذكر الناس في تأويل هذه الآية فلم أر أطلى ولا أحلى من هذه النكت التي ذكرها الا بعد ها الا التنبيه على ان في الكلام محذوفا لا بد من تقديره لان لا معادلة بين الجنة وبين الخالدين في النار الا على تقدير مثل ساكن فيه يقوم وزن الكلام ويتعادل كقتاه * ومن هذا القبيل قوله تعالى أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله

مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم فهل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة

فانه لا بد من تقدير محذوف مع الاول أو الثاني ليتعادل القسمان وبهذا الذي قدرته في الآية ينطبق آخر الكلام على أوله فيكون المقصود تنظير بعد التسوية بين المتمسك بالسنة والراكب للهوى بعد التسوية بين المنعم في الجنة والمعذب في النار على الصفات المتقابلة المذكورة في الجهتين وهو من وادي تنظير النسبي بنفسه باعتبار حالتين احداهما أوضح في البيان من الاخرى فان المتمسك بالسنة هو المنعم في الجنة الموصوفة والمتبع للهوى هو المعذب في النار المنعوتة ولكن أنكر التسوية بينهما باعتبار الاعمال أولا وأوضح ذلك بانكار التسوية بينهما باعتبار الجزاء ثانيا

التحمل على لفظ من ومعناه (فان قلت) ما معنى قوله تعالى (مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار) كمن هو خالد في النار (قلت) هو كلام في صورة الاثبات ومعنى النفي والانكار لا نطوائه تحت حكم كلام مصدر بحرف الانكار ودخوله في حيزه واخراطه في سلكه وهو قوله تعالى أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله فكأنه قيل أمثل الجنة كمن هو خالد في النار أي كمثل جزاء من هو خالد في النار (فان قلت) فلم عري من حرف الانكار وما فائدة التعرية (قلت) تعريته من حرف الانكار فيه زيادة تصوير لانكاره من يسوي بين المتمسك بالبينة والتابع لهواه وأنه بمنزلة من يثبت التسوية بين الجنة التي تجري فيها تلك الانهار وبين النار التي يسقى أهلها الحميم ونظيره قول القائل

أفرح أن أرزأ الكرام وأن * أورث ذودا شصا أنامله

هو كلام منكر للفرح برزية الكرام ووراثة الذود مع تعريه عن حرف الانكار لانطوائه تحت حكم قول من قال أفرح بموت أحمائك وبوراثة ابلهم والذي طرح لاجله حرف الانكار ارادة أن يصور قبح ما أزن به فكأنه قال له أهم مثلي يفرح بمرزأة الكرام وبأن يستبد منهم ذودا يقتل طالبه وهو من التسليم الذي تحته كل انكار ومثل الجنة صفة الجنة العجيبة الشأن وهو مبتدأ وخبره كمن هو خالد وقوله فيها أنهار داخل في حكم الصلة كالتكرير لها ألا ترى الى صحة قولك التي فيها أنهار ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف هي فيها أنهار وكأن قائلا قال وما مثلها فقيل فيها أنهار وأن يكون في موضع الحال أي مستقرة فيها أنهار وفي قراءة علي رضي الله عنه أمثال الجنة أي ما صفاتها كصفات النار * وقرئ اسن بقلب أسن الماء وآجن اذا تغير طعمه وريحه وأنشد ليزيد بن معاوية

لقد سقتني رضابا غير ذي أسن * كالمسك فت على ماء العناقيد

(من لبن لم يتغير طعمه) كما تتغير ألبان الدنيا فلا يعود فاسدا ولا حاذرا ولا مايكره من الطعوم (لذة) تأنيث اللذ وهو اللذيذ أو وصف بمصدر وقرئ بالحركات الثلاث فالجر على صفة الخمر والرفع على صفة الانهار والنصب على العلة أي لاجل لذة الشاربين والمعنى ماهو الا التلذذ لذة الخمر ليس معه ذهاب عقل ولا خمار ولا صداع ولا آفة من آفات الخمر (مصفى) لم يخرج من بطون النحل فيخالطه الشمع وغيره (ماء حميما) قيل اذا دنا منهم شوى وجوههم وانماعت فروة رؤسهم فاذا شربوه قطع أمعاءهم * هم المنافقون كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسمعون كلامه ولا يعونه ولا يلقون له بالا تهاونا بهم فاذا خرجوا قالوا للذين أوتوا العلم من الصحابة ماذا قال الساعة على جهة الاستهزاء قيل كان يخطب فاذا عاب المنافقين خرجوا قالوا ذلك للعلماء وقيل قالوه لعبد الله بن مسعود وعن ابن عباس أنا منهم وقد سمعت فيمن سئل (آنفا) وقرئ آنما على فعل نصب على الظرف قال الزجاج هو من استأنفت الشئ اذا ابتدأته والمعنى ماذا قال في أول وقت يقرب منا (زادهم) الله (هدى) بالتوفيق (وآتاهم تقواهم) أعانهم عليها أو آتاهم جزاء تقواهم وعن السدي بين لهم ما يتقون وقرئ وأعطاهم وقيل الضمير في زادهم لقول الرسول أولاستهزاء المنافقين (ان تأتيهم) بدل اشتمال من الساعة كأنه قيل فهل ينظرون الا اتيانهم بغتة أو على الساعة واستئناف الشرط وهي في مصاحف أهل مكة كذلك (فان قلت) فاجزاء الشرط (قلت) قوله فأنى لهم ومعناه ان تأتهم الساعة فكيف لهم ذكراهم أي تذكرهم واتعاظهم اذا جاءتهم الساعة يعني لا تنفعهم الذكرى حينئذ كقوله تعالى يومئذ يتذكر الانسان وأنى له الذكرى (فان قلت) بم يتصل

قوله (فقد جاء أشراطها) على القراءتين (قلت) باتيان الساعة اتصال العلل بالمعلول كتولك ان اكرمني زيد فأنا حقيق بالاكرام أكرمه والاشراط العلامات قال أبو الاسود

فان كنت قد أزمعت بالصرم بيننا * فقد جعلت اشراط أوله تبدو

وقيل سميت محمد خاتم الانبياء صلى الله عليه وسلم وعليهم منها وانشقاق القمر والدخان وعن الكلبي كثرة المال والتجارة وشهادة الزور وقطع الارحام وقلة الكرام وكثرة اللئام * وقرئ بغتة بوزن جربة وهي غريبة لم ترد في المصادر أختها وهي مرة بة عن أبي عمرو وما أخوفني أن تكون غلطة من الراوي على أبي عمرو وأن يكون الصواب بغتة بفتح الغين من غير تشديد حسبما تقرأ الحسن فيما تقدم * لما ذكر حال المؤمنين وحال الكافرين قال اذا علمت أن الامر كما ذكر من سعادة هؤلاء وشقاوة هؤلاء فاثبت على ما أنت عليه من العلم بوحدانية الله وعلى التواضع وهضم النفس باستغفار ذنبك وذنوب من على دينك * والله يعلم أحوالكم ومتصرفاتكم ومتقلبكم في معايشكم ومتاجركم ويعلم حيث تستقرون في منازلكم أو متقلبكم في حياتكم ومتواكم في القبور أو متقلبكم في أعمالكم ومثواكم من الجنة والنار ومثله حقيق بأن يخشى ويتقى وأن يستغفر ويسترحم وعن سفيان بن عيينة أنه سئل عن فضل العلم فقال ألم تسمع قوله حين بدأ به فقال فاعلم أنه لا اله الا الله واستغفر لذنبك فأمر بالعمل بعد العلم وقال اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب وهو الى قوله سابقوا الى مغفرة من ربكم وقال واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة ثم قال بعد فاحذروهم وقال واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه ثم أمر بالعمل بعد * كانوا يعوقون الحرص على الجهاد ويقنعونه بألسنتهم ويقولون (لولا أنزلت سورة) في معنى الجهاد (فاذا أنزلت) وأمروا بها كقتلوا وحرصوا عليه كما وشق عليهم وستطوق أي يلزمهم كقوله تعالى فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس (محكمة) مبينة غير متشابهة لا تحتمل وجها الا وجوب القتال وعن قتادة كل سورة فيها ذكر القتال فهي محكمة وهي أشد القرآن على المنافقين وقيل لما حكمة لان النسخ لا يرد عليها من قبل أن القتال قد نسخ ما كان من الصفح والمهادنة وهو غير منسوخ الى يوم القيامة وقيل هي المحدثة لانها حين تحدث تزوها لا تتناولها النسخ ثم تنسخ بعد ذلك أو تبقى غير منسوخة وفي قراءة عبد الله سورة محدثة وقرئ فاذا أنزلت سورة وذكر فيها القتال على البناء للفاعل ونصب القتال (الذين في قلوبهم مرض) هم الذين كانوا على حرف غير ثابتي الاقدام (نظر المغشي عليه من الموت) أي تشخص أبصارهم جبنا وهلعا وغيظا كما ينظر من أصابته الغشية عند الموت (فأولى لهم) وعيد بمعنى قوبل لهم وهو أفعل من الولي وهو القرب ومعناه الدعاء عليهم بأن يليهم المكروه (طاعة وقول معروف) كلام مستأنف أي طاعة وقول معروف خير لهم وقيل هي حكاية قولهم أي قالوا طاعة وقول معروف بعني أمرنا طاعة وقول معروف وتشهد له قراءة أبي تقولون طاعة وقول معروف (فاذا عزم الامر) أي جد والعزم والجد لاصحاب الامر وانما يسند الى الامر اسنادا اشجاريا ومنه قوله تعالى ان ذلك لمن عزم الامور (فلو صدقوا الله) فيما عاهدوا عليه من الحرص على الجهاد أو فلو صدقوا في ايمانهم وواطأت قلوبهم فيه ألسنتهم * عسيتم عسيتم أهل الحجاز وأما بنو تميم فيقولون عسى أن تفعل وعسى أن تفعلوا ولا يلحقون الضمائر وقرأ نافع بكسر السين وهو غريب وعدل الكلام من الغيبة الى الخطاب على طريقة الالتفات ليكون أبلغ في التوكيد (فان قلت) ما معنى فهل عسيتم أن تفسدوا في الارض (قلت) معناه هل يتوقع منكم الافساد (فان قلت) فكيف يصح هذا في كلام الله عز وعلا وهو عالم بما كان وما يكون (قلت) معناه أنكم لما عهد منكم أسلافكم بأن يقول لكم كل من ذاقكم وعرف غريزتكم وخلوقتكم في الايمان بأهؤلاء ما نرون هل يتوقع منكم ان توليتم أمور الناس وتأمرتم عليهم أما تبين منكم من الشواهد ولائح من الخلايل (أن تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم) تناحروا على الملك وتهالكوا على الدنيا وقيل ان أعرضتم وتوليتم عن دين رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته أن ترجعوا الى ما كنتم عليه في الجاهلية من الافساد في الارض بالتغاور والتناهب وقطع الارحام بقتل بعض الاقارب بعضا ووأد البنات وقرئ وليتم وفي قراءة علي بن أبي طالب

فقد جاء أشراطها فأنى لهم اذا جاءتهم ذكراهم فاعلم أنه لا اله الا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فاذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت فأولى لهم طاعة وقول معروف فاذا عزم الامر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم

رضى الله عنه لوليتم أى ان تولاكم ولاة عتمة خرجتم معهم ومشيتم تحت لوائهم وأفسدتم بافسادهم * وقرئ وتقطعوا وتقطعوا من التقطيع والتقطع (أولئك) اشارة الى المذكورين (لعنهم الله) لافسادهم وقطعهم الارحام فنفعهم ألطافه وتخذلهم حتى صموا عن استماع الموعظة وعموا عن ابصار طريق الهدى ويجوز أن يريد بالذين آمنوا المؤمنين الخلص الثابتين وأنهم يتشوفون الى الوحى اذا أبطأ عليهم فاذا أنزلت سورة فى معنى الجهاد رأيت المنافقين فيما بينهم يصجرون منها (أفلا يتدبرون القرآن) ويتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر وعيد العصاة حتى لا يجسروا على المعاصى ثم قال (أم على قلوب أقفالها) وأم بمعنى بل وهمزة التقرير للتسجيل عليهم بأن قلوبهم مقفلة لا يتوصل اليها ذكر وعن قتادة اذن والله يجد وا فى القرآن زاجرا عن معصية الله لو تدبروه ولكنهم أخذوا بالمتشابه فهلكوا (فان قلت) فهلا نكرت القلوب وأضيفت الاقفال اليها (قلت) أما التنكير ففيه وجهان أن يراد على قلوب قاسية مبهم أمرها فى ذلك أو يراد على بعض القلوب وهى قلوب المنافقين وأما اضافة الاقفال فلانه يريد الاقفال المختصة بها وهى أقفال الكفر التى استغلقت فلا تنفتح وقرئ أقفالها على المصدر (الشيطان سول لهم) جملة من مبتدا وخبر وقعت خبر الان كقولك ان زيدا عمرو مر يسول لهم سهل لهم ركوب العظائم من السول وهو الاسترخاء وقد اشتقه من السول من لا علم له بالتصريف والاشتقاق جميعا (وأملى لهم) ومد لهم فى الاعمال والامانى وقرئ وأملى لهم يعنى أن الشيطان يغويهم وأنا أنظرهم كقوله تعالى انما نملى لهم وقرئ وأملى لهم على البناء للمفعول أى أمهلوا ومد فى عمرهم وقرئ سول لهم ومعناه كيد الشيطان زين لهم على تقدير حذف المضاف (فان قلت) من هؤلاء (قلت) اليهود كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم من بعد ما تبين لهم الهدى وهو نعته فى التوراة وقيل هم المنافقون * الذين قالوا القائلون اليهود * والذين كرهوا ما نزل الله المنافقون وقيل عكسه وأنه قول المنافقين لقريظة والنضير ان أخرجتم لنخرجن معكم * وقيل بعض الامر التكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو بلا اله الا الله أو ترك القتال معه وقيل هو قول أحد الفريقين للمشركين سنطيعكم فى التظافر على عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم والقعود عن الجهاد معه ومعنى (فى بعض الامر) فى بعض ما تأمرون به أو فى بعض الامر الذى يهمكم (والله يعلم أسرارهم) وقرئ اسرارهم على المصدر قالوا ذلك سرا فيما بينهم فأفشاه الله عليهم * فكيف يعملون وما حيلتهم حينئذ * وقرئ توفاهم وتحتمل أن يكون ماضيا ومضارعا قد حذفت احدى تاءيه لقوله تعالى ان الذين توفاهم الملائكة وعن ابن عباس رضى الله عنهما لا يتوفى أحد على معصية الله الا يضرب من الملائكة فى وجهه ودبره (ذلك) اشارة الى التوفى الموصوف (ما أسخط الله) من كتمان نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم (ورضوانه) الايمان برسول الله (أضغانهم) أحقادهم واخراجهم برازها الرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين واظهارهم على نفاقهم وعداوتهم لهم وكانت صدورهم تغلى حنقا عليهم (لاريناكهم) لعرفناكهم وحددناك عليهم حتى تعرفهم بأعيانهم لا يخفون عليك (بسيماهم) بعلاماتهم وهو أن يسمهم الله تعالى بعلامة يعلمون بها وعن أنس رضى الله عنه ما خفى على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية شئ من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم ولقد كنا فى بعض الغزوات وفيها نسعة من المنافقين يشكوهم الناس فتاموا ذات ليلة وأصبحوا على جبهة كل واحد منهم مكتوب هذا منافق * (فان قلت) أى فرق بين اللامين فى فلعرفتهم ولتعرفنهم (قلت) الاولى هى الداخلة فى جواب لو كالتى فى لاريناكهم كررت فى المعطوف وأما اللام فى ولتعرفنهم فواقعة مع النون فى جواب قسم محذوف (فى لحن القول) فى نحوه وأسلوبه وعن ابن عباس هو قولهم ما لنا ان أطعمنا من الثواب ولا يقولون ما علينا ان عصينا من العقاب وقيل اللحن أن تلحن بكلامك أى تميله الى نحو من الانحاء ليفطن له صاحبك كالتعريض والتورية قال

ولقد لحنت لكم لكيما تفقهوا * واللحن يعرفه ذوو الالباب

وقيل للمخطئ لاحن لانه يعدل بالكلام عن الصواب (أخباركم) ما يكنى عنكم وما يخبر به عن أعمالكم ليعلم حسنها من قبيحها الا ان اظهر على حسب المخبر عنه ان حسنا فحسن وان قبيحا فقبيح * وقرأ يعقوب ونبلو

أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ان الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم فى بعض الامر والله يعلم أسرارهم فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم أم حسب الذين فى قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم ولو نشاء لاريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم فى لحن القول والله يعلم أعمالكم ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم ان الذين

*قوله تعالى الشيطان سول لهم (قال فيه هو مشتق من السؤال وهو الاسترخاء أى سهل لهم ركوب العظائم قال وقد اشتقه من السول من لا علم له بالتصريف والاشتقاق جميعا) قلت لان السؤال مهموز وسؤل معتل

قوله تعالى ولا تبطلوا أعمالكم (قال فيه معناه لا تحبطوا الطاعات بالكبائر الخ) قال أحمد قاعدة أهل السنة مؤسسة على أن الكبائر ما دون الشرك لا تحبط حسنة مكتوبة لان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما نعم يقولون ان الحسنات يذهبن السيآت كما وعد به الكريم جل وعلا وقاعدة المعتزلة موضوعة على أن كبيرة واحدة تحبط ما قدمها من الحسنات ولو كانت مثل زبد البحر لانهم يقطعون بخلود الفاسق في النار وسلب سمة الايمان عنه وهي خلد في النار (٣٨١) ثم تنفع طاعاته ولا ايمانه فعلى هذا

يسكون الواو على معنى ونحن نبلوا أخباركم * وقرئ وليبلونكم ويعلم ويبلوا بالياء وعن الفضيل أنه كان اذا قرأها بكى وقال اللهم لا تبلنا فانك ان بلوتنا فضحتنا وهتكت أستارنا وعذبتنا (وسحبط أعمالهم) التي عملوها يدينهم يرجون بها الثواب لانهم مع كفرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم باطلة وهم قريظة والنضير أو سحبط أعمالهم التي عملوها لمكايد التي نصبوها في مشاقة الرسول أي سيبطلها فلا يصلون منها الى أغراضهم ل يستنصرون بها ولا يغرهم الا القتل والجلاء عن أوطانهم وقتل هم رؤساء قريش والمطعمون يوم بدر ولا تبطلوا أعمالكم) أي لا تحبطوا الطاعات الكبائر كقوله تعالى لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي لى أن قال أن تحبط أعمالكم وعن أبي العالية كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرون أنه لا يضر مع الايمان ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل حتى نزلت ولا تبطلوا أعمالكم فكانوا يخافون الكبائر على أعمالهم وعن حذيفة خافوا أن تحبط الكبائر أعمالهم وعن ابن عمر كنا نرى أنه ليس شئ من حسناتنا الا مقبولا حتى نزل ولا تبطلوا أعمالكم فقلنا ما هذا الذي يبطل أعمالنا فقلنا الكبائر الموجبات والفواحش حتى نزل ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فكففنا عن القول في ذلك فكنا نخاف على من أصاب الكبائر ونرجو لمن لم يصبها وعن قتادة رحمه الله رحمهم الله عبد الله يحبط عمله الصالح بعمله السيئ قيل لا تبطلوها بعصيتها وعن ابن عباس رضي الله عنه لا تبطلوها بالرياء والسمعة وعنه الشك والنفاق قيل بالجهاد فان البعض يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وقيل ولا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى ثم ماتوا وهم كفار) قيل هم أصحاب القليب والظاهر العموم (فلا تهنوا) ولا تضعفوا ولا تذلوا عدوه (و) لا (تدعوا الى السلم) وقرئ السلم وهما لغتان (وأنتم الاعلون) أي الاظهرون الاقهرون والله معكم) أي ناصركم وعن قتادة لا تكونوا أول الطائفتين ضرعت الى صاحبتها بالموادعة * وقرئ ولا تدعوا من أدعى القوم وتداعوا اذا دعوا نحو قولك ارتموا الصيد وتراموه وتدعوا الجزوم لنحو له في معكم الياء أو منصوب لاضمار أن ونحو قوله تعالى وأنتم الاعلون قوله تعالى انك أنت الاعلى ولن يترك) من وتر الرجل اذا قتل له قتيلا من ولد أو أخ أو حميم وحقيقته أفرده من قريبه أو ترك من الوتر وهو الفرد فشبه اضاعة عمل العامل وتعطيل ثوابه بوتر الواتر وهو من فصيح الكلام ومنه وله عليه السلام من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله أي أفرد عنهما فاقلا ونهبا (يؤتكم أجوركم) باب ايمانكم وتقواكم (ولا يسألكم أموالكم) أي ولا يسألكم جميعها اذ لا يقتصر منكم على ربع العشر ثم ال (ان يسئلكموها فيحفكم) أي يجهدكم ويطلبه كله والاحفاء المبالغة وبلوغ الغاية في كل شئ يقال أحفاه المسئلة اذا لم يترك شيأ من الالحاح وأحفى شاربه اذا استأصله (تبخلوا ويخرج أضغانكم) أي تضطغنون لى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتضيق صدوركم لذلك وأظهر كراهتكم وسقتكم لدين يذهب بأموالكم الضمير في يخرج لله عز وجل أي يضغنكم بطلب أموالكم أو للبخل لانه سبب الاضطغان * وقرئ تخرج النون ويخرج بالياء والتاء مع فتحهما ورفع أضغانكم (هؤلاء) * موصول بمعنى الذين صلته (تدعون) ي أنتم الذين تدعون أو أنتم يا مخاطبون هؤلاء الموصوفون ثم استأنف وصفهم كأنهم قالوا وما وصفتا فقيل عون (لتنفقوا في سبيل الله) قيل هي النفقة في الغزو وقيل الزكاة تأبه قيل الدليل على أنه

بني الزمخشري كلامه وجلب الآثار التي في بعضها موافقة في

كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيأ وسيحبط أعمالهم يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وأنتم الاعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم انما الحياة الدنيا لعب ولهو وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم ان يسئلكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل

الظاهر لم تعتقده ولا كلام عليها جملة من غير تفصيل لان القاعدة

قدمة ثابتة قطعا بادلة اقتضت ذلك يعاشي كل معتبر في الحل والعقد عن مخالفتها وورد من ظاهر يخالفها وجب رده اليها بوجه ن التأويل فان كان نصا لا يقبل التأويل قالطريق في ذلك تحسين الظن بالمنقول عنه والتوريك بالغلط على النقلة على أن الامر ذكور عن ابن عمر وهو أولى بان يدل ظاهره لاهل السنة فتأمله وأما محل الآية عند أهل الحق فعلى النهي عن الاخلال بشرط من روط العمل وتركن يقتضي بطلانه من أصله لانه يبطل بعد اجتماعه شرائط الصحة والقبول

﴿القول فى سورة الفتح﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله الآية (قال فيه جاء الاخبار

لو أحصاكم لبخلتم وكرهتم المطاولة فتح أنكم تدعون الى أداء ربع العشر فكيف بكم ان يجاوز به ثم قال (ومن يبخل) بالصدقة وأداء الفريضة فلا تتعداه ضرر بخله (فانما يبخل عن نفسه) يقال بخلت عليه وعنه وكذلك ضننت عليه وعنه * ثم أخبر أنه لا يأمر بذلك ولا يدعوا اليه لحاجته اليه فهو الغنى الذى تستحيل عليه الحاجات ولكن لحاجتكم وفقركم الى الثواب (وان تتولوا) معطوف على وان تؤمنوا وتتقوا (يستبدل قوما غيركم) يخلق قوما سواكم على خلاف صفتكم راغبين فى الايمان والتقوى غير متولين عنهما كقوله تعالى وياتى بخلق جديد وقيل هم الملائكة وقيل الانصار وعن ابن عباس كندة والنخع وعن الحسن العجم وعن عكرمة فارس والروم وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القوم وكان سلمان الى جنبه فضرب على فخذه وقال هذا وقومه والذى نفسى بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة محمد صلى الله عليه وسلم كان حقا على الله أن يسقيه من أنهار الجنة

﴿سورة الفتح مدنية وهى تسع وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* هو فتح مكة وقد نزلت حين رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مكة عام الحديبية عده له بالفتح وجىء به على لفظ الماضى على عادة رب العزة سبحانه فى أخباره لانها فى تحققها وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة وفى ذلك من الفخامة والدلالة على علو شأن الخبر ما لا يخفى (فان قلت) كيف جعل فتح مكة علة للمغفرة (قلت) لم يجعل علة للمغفرة ولكن لاجتماع ما عدد من الامور الاربعة وهى المغفرة واتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز كأنه قيل يسرنا لك فتح مكة وانصرناك على عدوك لتجمع لك بين عز الدارين وأغراض العاجل والآجل ويجوز أن يكون فتح مكة من حيث انه جهاد للعدو سبب للمغفرة والثواب والفتح لظفر بالبلد عنوة أو صلح بحرب أو بغير حرب لانه متعلق ما لم يظفر به فاذا ظفر به وحصل فى اليد فقد فتح وقيل هو فتح الحديبية و لم يكن فيه قتال شديد ولكن نزام بن القوم بسهام وحجارة وعن ابن عباس رضى الله عنه هو المشركين حتى أدخلوهم ديارهم وعن الكلبى ظهروا عليهم حتى سألوا الصلح (فان قلت) كيف يكون فتحا وقد أحصر فحلقوا وحلقوا بالحديبية (قلت) كان ذلك قبل الهدنة قبل ان ظفروا وقت كان فتحا مبينا وعن موسى بن عقبة أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية راجعا فقال له رجل من أصحابه ما هذا بفتح لقد صددنا عن البيت وصد هدينا فبلغ النبى صلى الله عليه وسلم فقال بئس الكلام هذا بل هو أعظم الفتوح وقد رضى المشركون أن يدفعوكم عن بلادهم بالراح ويسألوكم القضية ويرغبوا اليكم فى الامان وقد رأوا منكم ما كرهوا وعن الشعبى نزلت بالحديبية وأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك الغزو ما لم يصب فى غزوة أصاب أن بويع بيعة الرضوان وغنموا ما تقدم من ذنبه وما تأخر وظهرت الروم على فارس وبلغ الهدى محله وأظهر الله خيبر وكان فى فتح الحديبية آية عظيمة وذلك انه نزح ما وُجد حتى لم يبق فيها عارة فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم دعا بدلو من ماء فتوضأ ثم مضمض ومج فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه وفيل فجاش الماء حتى امتلأت ولم ينفد ما وُجد فيها وقيل هو فتح خيبر وقيل فتح الروم وقيل فتح الله بالاسلام والنبوة والدعوة ناجز والسيف ولا فتح أبين منه وأعظم وهو رأس الفتوح كلها اذ لا فتح من فتوح الاسلام الا وهو تحته ومتشعب منه وقيل معناه قضينا لك قضاء بينا على أهل مكة أن تدخلها أنت وأصحابك من قابل لتطوفوا بالبيت هم الفاتحة وهى الحكومة وكذا عن قتادة (ما تقدم من ذنبك وما تأخر) يريد جميع ما فرط منك وعن مقاتل ما تقدم فى الجاهلية وما بعدها وقيل ما تقدم من حديث مارية وما تأخر من امر زينب (نصرا عزيزا) عزيزة أو وصف بصفة المصدر لاسناد مجازيا وغيره أصاحبه (السكينة) السكون كالبهتة للبهت أى أنزل الله فى قلوبهم السكون والطمأنينة بسبب الصلح والامن ليمر فوا فضل الله عليهم بتيسير الاسباب

بعد

ان ذلك علة لاجتماع ما عدد من الامور الاربعة المغفرة واتمام النعمة وهداية والنصر العزيز كانه قيل يسرنا لك فتح مكة وانصرناك على عدوك لتجمع لك عز الدارين واغراض العاجل والآجل * قال ويجوز أن يكون الفتح من حيث كونه جهادا وعبادة سببا للغفران

* قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم (قال فيه لما قال انما يبايعون الله أكد ذلك تأكيدا

بعد الخوف والهدنة بعد القتال فيزدادوا يقينا الى يقينهم أو أنزل فيها السكون الى ما جاء به محمد عليه السلام من الشرائع (ليزدادوا ايمانا) بالشرائع مقرونا الى ايمانهم وهو التوحيد عن ابن عباس رضي الله عنهما ان أول ما أتاهم به النبي صلى الله عليه وسلم التوحيد فلما آمنوا بالله وحده أنزل الصلاة والزكاة ثم الحج ثم الجهاد فازدادوا ايمانا الى ايمانهم أو أنزل فيها الوقار والعظمة لله عز وجل ولرسوله ليزدادوا اعتقادا ذلك ايمانا الى ايمانهم وقيل أنزل فيها الرحمة فيترادحوا فيزدادا ايمانهم (ولله جنود السموات والارض) يسلط بعضها على بعض كما يقتضيه الله وحكمته ومن قضيته أن سكن قلوب المؤمنين بصلح الحديبية ووعدهم أن يفتح لهم وانما قضى ذلك ليثيب المؤمنين نعمة الله فيه ويشكروها فيستحقوا الثواب فيثيبهم ويعذب الكافرين والمنافقين لما علم منهم من ذلك وكرهوه * وقع السوء عبارة عن رداءة الشيء وفساده والصدق عن جودته وصلاحه فقيل شيء صالح من الافعال نحو صدق فرس السخوط الفاسد منها فعل سوء ومعنى (ظن السوء) ظنهم أن ما أتى لا ينصر الرسول والمؤمنين ولا يرجعهم الى مكة طافرين فاتحها غنوة وقهرا (عليهم دائرة السوء) أي ربطتهم ويترصونه بالمؤمنين فهو واقع بهم ودائر عليهم والسوء الهلاك والدمار وقرئ دائرة السوء بالفتح أي الدائرة التي يذمونها ويستطونها وفي عندهم دائرة سوء وعند المؤمنين دائرة صدق (فان قلت) هل من فرق بين السوء والسوء (قلت) هما كالكره والكره والضعف والضعف من حيث الاداء المفتوح غلب في أن يضاف اليه ما يراد ذمه من كل شيء وأما السوء بالضم فغلب في الشر الذي هو نقيض الخير يقال أراد به السوء وأراد به الخير ولذلك أضيف الظن الى المفتوح ليكون عاما وكانت الدائرة محمودة فكان حقها أن لا تضاف اليه الا على التأويل الذي ذكرناه أما دائرة السوء بالضم فلان الذي أصابهم مكروه وشدة فصح أن يقع عليه اسم السوء كقوله عز وعلا ان أرادكم سوءا أو أرادكم رحمة (شاهدا) تشهد على أمتك كقوله تعالى ليكون الرسول عليكم شهيدا (لتؤمنوا) الضمير للناس (وتعزروه) وتقووه بالنصرة (وتوقروه) وتعظموه (وتسبحوه) من التسبيح أو من التسبيح والصلاة لله عز وجل والمراد بتعزيره تعزير دينه ورسوله صلى الله عليه وسلم ومن فرق الضمائر فقد أبعد * وقرئ لتؤمنوا بالله وتعزروه وتوقروه على تسمية الملك والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم ولامته * وقرئ وتعزروه بضم الزاي وكسرها وتعزروه بضم التاء والتخفيف وتعزروه بتشديد الزاي وتوقروه من أوقر بمعنى وقره وتسبحوه (بكرة وأصيلا) عن ابن عباس رضي الله عنهما صلاة الفجر وصلاة الظهر والعصر * لما قال (انما يبايعون الله) أكد ذلك تأكيدا على طريق التخييل فقال (يد الله فوق أيديهم) يريد أن يد رسول الله التي تعلو أيدي المبايعين هي يد الله والله تعالى منزه عن الجوارح وعن صفات الاجسام وانما المعنى تقرير أن عقد البيعة مع الرسول كعقده مع الله من غير تفاوت بينهما كقوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله والمراد بيعة الرضوان (فانما ينكث على نفسه) فانما يعود ضرر نكثه الا عليه قال الزمخشري رضي الله عنه يا خير رسول الله تحت الشجرة على الموت وعلى أن لا نفر فما نكث أحد منهم بيعته الا الجد بن قيس وكان منافقا اختبأ تحت ابط بعيره ولم يسر مع القوم * وقرئ انما يبايعون الله أي يعاملون الله وفي وجه * وقرئ ينكث بضم الكاف وكسرها * وبما عاهد عهد (فسنؤتيه) بالنون والياء * يقال وفيت بالعهد وأوفيت به وهي لغة عامة ومنها قوله تعالى أوفوا بالعقود والموفون بعهدهم * هم الذين خلفوا عن الحديبية وهم أعراب غفار ومزينة وجهينة وأشجع وأسلم والديل وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر من حول المدينة من الاعراب وأهل وادي ليخرجوا معه حذرا من قريش أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت وأحرم هو صلى الله عليه وسلم وساق معه الهدي ليعلم أنه لا يريد حربا فتثاقل كثير من الاعراب وقالوا نذهب الى قوم قد غزوه في عقر داره بالمدينة وقتلوا أصحابه فيقاتلهم وظنوا أنهم هالك فلا ينقلب الى المدينة واعتلوا بالشغل بأهاليهم وأموالهم وأنه ليس لهم من يقوم بأشغالهم * وقرئ شغلتنا بالتشديد (يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم) تكذيب لهم في اعتذارهم وأن الذي خلفهم ليس ما يقولون وانما هو الشك في الله والنفاق * وطلبهم

ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ولله جنود السموات والارض وكان الله عليما حكيما ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا ولله جنود السموات والارض وكان عزيزا حكيما انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما سيقول لك المخلفون من الاعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم قل

على طريق التخييل

الخ قال أحمد كلام حسن بعد اسقاط لفظ التخييل وايراده بالقبيل وقد تقدمت أمثاله

* قوله تعالى لولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم الى قوله لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما (قال فيه يجوز أن يكون جواب لولا محذوفا الخ) قال أحمد وانما كان مرجعهما ههنا واحدا وان كانت لولا تدل على امتناع لوجود ولو تدل على امتناع لامتناع وبين هذين تناف ظاهر لان لولا ههنا دخلت على وجود

منة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيرا هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى معكوفا أن يبلغ محله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم

ولو دخلت على قوله تزيلوا وهو راجع الى عدم وجودهم وامتناع عدم الوجود وجود فاذا لا فرق في أمر واحد من هذا الوجه وكان

مكة ولم يصالحوا وقيل من حلفاء أهل خيبر لغلبوا وانهزموا (بسنة الله) في موضع المصدر المؤكد أي سن الله عليه السنة وهو قوله تعالى لاغلبن أنا ورسلي (أيديهم) أيدي أهل مكة أي قضى بينهم وبينكم الكافة والحاجزة بعد ما خولكم الظفر عليهم والغلبة وذلك يوم الفتح وبه استشهد أبو حنيفة رحمه الله على أن مكة فتحت عنوة لا صلحا وقيل كان ذلك في غزوة الحديبية لما روى أن عكرمة بن أبي جهل خرج في خمسمائة فهمت رسول الله صلى الله عليه وسلم من هزمه وأن خلد حيطان مكة وعن ابن عباس رضي الله عنه أظهر الله المسلمين عليهم بالحجارة حتى أدخلوهم البيوت * وقرئ تعملون بالتاء والياء * قرئ والهدي والهدى بتخفيف الياء وتشديدها وهو ما يهدى الى الكعبة بالنصب عطفا على الضمير المنصوب في صدوكم أي صدوكم وصدوا الهدى وبالجر عطفا على المسجد الحرام يعني وصدوكم عن نحر الهدى (معكوفا أن يبلغ محله) محبوسا عن أن يبلغ وبالرفع على وصد الهدى ومحله مكانه الذي يحل فيه نحره أي يجب ونحره اذا حل لا بي حنيفة على أن الحصر محل هديه الحرم (فان قلت) فكيف حل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه وانما نحروا هديهم بالحديبية (قلت) بعض الحديبية من الحرم وروى أن مضارب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت في الحل ومصلاه في الحرم (فان قلت) فاذن فنحره في الحرم فما قيل معكوفا أن يبلغ محله (قلت) المراد الحل المعهود وهو منى (لم تعلموهم) صفة للرجال والنساء جميعا و (أن تطؤهم) بدل اشتمال منهم أو من الضمير المنصوب في تعلموهم * والمعرة مفعلة من عره بمعنى عراه اذا دهاه ما يكرهه ويشق عليه و (بغير علم) متعلق بأن تطؤهم يعني أن تطؤهم غير عالمين بهم والوطء والدوس عبارة عن الايقاع والابادة قال

ووطئتنا وطأ على حنق * وطأ المقيد ثابت الهرم

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وان أخوف وطأة وطئها الله نزول الحي أنه كان بمكة قوم من المسلمين مختلطون بالمشركين غير متميزين منهم ولا معروفين الا ما كن متميل ولولا كراهة أن تهلكوا ناسا منهم فتعيروا بهلاكهم لأذن لكم في قتالهم لان المشركين وأنتم غير عارفين بهم فيصيبكم بأعمالكم وهيئة لما كف أيديكم عنهم وحقن دماءهم لولا دلالة الكلام عليه ويجوز أن يكون لو تزيلوا كالشرح للولا رجال مؤمنون لم تعلموهم الا على معنى واحد ويكون لعذبنا هو الجواب (فان قلت) أي معرة تصيبهم اذا قتلوهم وهم لا يعلمون (قلت) يصيبهم وجوب الدية والكفارة وسوء قالة المشركين انهم فعلوا بأهل دينهم مثل ما فعلوا بنا من غير تمييز والمأثم اذا جرى منهم بعض التقصير (فان قلت) قوله تعالى (ليدخل الله في رحمته من يشاء) تعليل لماذا (قلت) لما دلت عليه الآية وسيقت له من كف الأيدي عن أهل مكة والمنع من قتالهم صونا لمن بين أظهرهم من المؤمنين كأنه قال كان الكف ومنع التعذيب ليدخل الله في رحمته أي في توفيقه لزيادة الخير والطاعة مؤمنهم أو ليدخل في الاسلام من رغب فيه من مشركيهم (لو تزيلوا) لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض من زاله يزيله وقرئ لو تزايلوا (ان) يجوز أن يعمل فيه ما قبله أي لعذبناهم أو صددهم عن المسجد الحرام في ذلك الوقت وان ينتصب باضمار اذكر * والمراد بحمية الذين كفروا وسكينة المؤمنين والحمية الانفة والسكينة الوقار ما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل بالحديبية بعث قريش سهيل بن عمرو القرشي وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص من الاخيف على أن يرجع على النبي صلى الله عليه وسلم أن يرجع من عامه ذلك على أن تخلي له قريش مكة من العام القابل ثلاثة أيام فيعمل ذلك ويكتبوا بينهم كتابا فقال عليه الصلاة والسلام لعلي رضي الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل وأصحابه ما نعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل مكة فقالوا لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله أهل مكة فقال عليه الصلاة والسلام

ولو دخلت على قوله لو تزيلوا وهو راجع الى عدم وجودهم وامتناع عدم الوجود وجود فاذا لا فرق الى أمر واحد من هذا الوجه وكان جدي رحمه الله يختار هذا الوجه الثاني ويسميه طريقة أكثر ما تكون اذا تطاول الكلام وبعد عهد أوله

واحتج الى رد الاكثر على الاول فرة بطري بلفظه ومرة بلفظ آخر يؤدي مؤداه وقد تقدمت لهما أمثال والله أعلم وهو الموفق والسلام

والسلام اكتب ما يريدون فانا شهد أني رسول الله وأنا محمد بن عبد الله فهم المسلمون أن يأبوا ذلك ويمتنعوا منه فأنزل الله على رسوله السكينة فثبتوا وحملوا و(كلمة التقوى) بسم الله الرحمن الرحيم ومحمد رسول الله قد اختارها الله لنبيه وللذين معه أهل الخير ومستحقيه ومن هم أولى بها هداية من غيرهم وقيل هي كلمة الشهادة وعن الحسن رضي الله عنه كلمة التقوى هي الوفاء بالعهد ومعنى اضافتها إلى التقوى أنها سبب التقوى وأساسها وقيل كلمة أهل التقوى * وفي صحف الحرث بن سويد صاحب عبد الله وكانوا أهلها وأحق بها وهو الذي دفن صحيفة أيام الحجاج رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج وجوه الى الحديبية كلهم وأصحابه قد خلوا مكة آمنين وقد خطفوا وصروا فقص الرؤيا على أصحابه ففرحوا واستبشروا وحسبوا أنهم داخلوها في عامهم وقالوا الرؤيا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم حق فلما أخر ذلك قال عبد الله بن أبي وعبد الله بن نفيل ورفاعة بن الحرث والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا رأينا المسجد الحرام فنزلت ومعنى (صدق الله ورسوله الرؤيا) صدقه في رؤياه ولم يكذبه تعالى الله عن الكذب ومن كل قبيح علوا كبيرا فحذف الجار وأوصل الفعل كقوله تعالى صدقوا ما عاهدوا الله عليه (فان قلت) بم تعلق (بالحق) (قلت) اما صدق أي صدقه فيما رأى وفي كونه وحصوله صدقا ملتبسا بالحق أي بالغرض الصحيح والحكمة البالغة وذلك ما فيه من الابتلاء والتمييز بين المؤمن المخلص وبين من في قلبه مرض وجوز أن يتعلق بالرؤيا بالحق أي صدقه الرؤيا ملتبسا بالحق على معنى أنها لم تكن من أضغاث الاحلام وجوز أن يكون بالحق قسما اما بالحق الذي هو نقيض الباطل أو بالحق الذي هو من أسمائه و(لتدخلن) جوابه وعلى الاول هو جواب قسم محذوف (فان قلت) ما وجه دخول (ان شاء الله) في اخبار الله عز وجل (قلت) فيه وجوه أن يعلق عدة بالمشيئة تعليما لعباده أن يقولوا في عداتهم مثل ذلك ستأديبا لنبي الله وعدته بن بصفته وأن يريد لتدخلن جميعا ان شاء الله ولم يمت منكم أحد أو كان ذلك على لسان ملك فأدخل الملك ان شاء الله أو هي حكاية ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه وقص عليهم وقيل هو متعلق بآمنين (فعلم مالم تعلموا) من الحكمة والصواب في تأخير فتح مكة الى العام القابل (فجعل من دون ذلك) أي من دون فتح مكة (فتحا قريبا) وهو فتح خيبر لقصر زمانه وسرعة ما آلت اليه قلوب المؤمنين الى أن يتيسر الفتح الموعود (بالهدى ودين الحق) بدين الاسلام (ليظهره) ليعليه (على الدين كله) على جنس الدين كله يريد الاديان المختلفة من أديان المشركين والملحدين من أهل الكتاب ولقد صدق ذلك سبحانه فانك لا ترى دينا قط الا والاسلام مدوه العز والغلبة وقيل هو عند نزول عيسى عليه السلام على وجه الارض كلهم وقيل هو اظهار ما نطق به الآيات وفي هذه الآية تأكيد وعد بالفتح وتوطين لنفوس المؤمنين على أن الله تعالى سيفتح لهم من البلاد ويفيء لهم من الغلبة على الاقاليم ما يستغنون اليه فتح مكة (وكفى بالله شهيدا) على ان ما وعده كائن عن الحسن رضي الله عنه شهد على نفسه أنه سيظهر دينه (محمد) الخبر مبتدأ أي هو محمد لتقدم قوله تعالى هو الذي أرسل رسوله واما مبتدأ وخبر رسول الله عطف بيان وعن ابن عامر أنه قرأ رسول الله بالنصب على المدح (والذين معه) أصحابه (أشداء على الكفار رحماء بينهم) جمع شديد ورحيم ونحوه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين واغلظ عليهم بالمؤمنين رؤف رحيم وعن الحسن رضي الله عنه بلغ من شدتهم على الكفار أنهم كانوا يخبرون من ثيابهم أن تلزق بثيابهم ومن أبدانهم أن تمس أبدانهم وبلغ من رحمتهم فيما بينهم أنه كان لا يرى مؤمن مؤمنا الا صافحه وعانقه والصافحة لم تختلف فيها الفقهاء وأما المعانقة فقد كرهها أبو حنيفة رحمه الله وكذلك التقبيل قال لا أحب أن يقبل الرجل من الرجل وجهه ولا يده ولا شيئا من جسده وقد رخص أبو يوسف في المعانقة ومن حق المسلمين في كل زمان أن يراعوا هذا التشدد وهذا التعطف فيتشددوا على من ليس على ملتهم ودينهم ويخاشنوهم ويباشروا الخونهم في الاسلام متعطفين بالبر والصلة وكف الاذى والمعونة والاحتمال والاخلاق السجيحة وجميع من قرأ أشداء ورحماء بالنصب أن ينصبهما على المدح أو على الحال بالقدر في معه ويجعل تراهم الخبر (سيماهم) علامتهم وقرئ سيماؤهم وفيها ثلاث لغات هاتان والسيما والمراد بها العمة التي تحدث في جبهة الساجد من كثرة السجود وقوله تعالى

كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وكان الله بكل شيء عليما لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين لا تخافون فعلم مالم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم

فاسق بنبأ (ذكر فيه من النكت انه تعالى ابتدأ السورة بايجاب أن يكون الامر الذى ينتهى الى الله ورسوله متقدما على الامور كلها من غير تقييد ولا تخصيص) قال أحمد بريد انه لم يذكر المفعول

(من أثر السجود) يفسرها أى من التأثير الذى يؤثره السجود وكان كل من العابدين على بن الحسين زين العابدين وعلى بن عبد الله بن عباس أبى الاملاك يقال له ذو الثفنات لان كثرة سجودهما أحدثت فى مواقعه منهما أشباه ثفنات البعير وقرئ من أثر السجود ومن آثار السجود وكذا عن سعيد بن جبير هى السمة فى الوجه (فان قلت) فقد جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم لا تعلموا صوركم وعن ابن عمر رضى الله عنه أنه رأى رجلا قد أثر فى وجهه السجود فقال ان صورة وجهك أنفك فلا تعلب وجهك ولا تشن صورتك (قلت) ذلك اذا اعتمد بجبهته على الارض تحدث فيه تلك السمة وذلك رياء ونفاق نستعاذ بالله منه ونحن فيما حدث فى جبهة السجاد الذى لا يسجد الا لله الصالوجه الله تعالى وعن بعض المتقدمين كنا نصلى فلا يرى بين أعيننا شئ ونرى أحدنا الآن يصلى فيرى بين عينيه ركبة البعير فما ندرى أثقلت الارؤس أم خشنت الارض وانما أراد بذلك من تعمد ذلك للنفاق وقيل هو صفرة الوجه من خشية الله وعن الضحاك ليس بالندب فى الوجوه ولكنه صفرة وعن سعيد بن المسيب ندى الطهور وتراب الارض وعن عطاء رحمه الله استقامت وجوههم من طول ما صلوا بالليل كقوله من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار (ذلك) الوصف (مثلهم) أى وصفهم العجيب الشأن فى الكتابين جميعا ثم ابتدأ فقال (كزرع) يريدهم كزرع وقيل تم الكلام عند قوله ذلك مثلهم فى التوراة ثم ابتدئ ومثلهم فى الانجيل كزرع ويجوز أن يكون ذلك اشارة مبهمة أوضحت بقوله كزرع أخرج شطأه كقوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين ﴿وقرئ الانجيل بفتح الهمزة (شطأه) فراخه يقال أشطأ الزرع اذا فرخ وقرئ شطأه بفتح الطاء وشطاه بتخفيف الهمزة وشطاه بالمد وشطه بحذف الهمزة ونقل حركتها الى ما قبلها أو شطوه بقلبها واوا (فآزره) من المؤازرة وهى المعاونة وعن الاخفش أنه أفعل وقرئ فأزره بالتخفيف والتشديد أى فشد أزره وقواه ومن جعل آزر أفعل فهو فى معنى القراءتين (فاستغلظ) فصار من الدقة الى الغلظ (فاستوى على سوقه) فاستقام على قصبه جمع ساق وقيل مكتوب فى الانجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وعن عكرمة أخرج شطأه بأبى بكر فآزره بعمر فاستغلظ بعثمان فاستوى على سوقه بعلى وهذا مثل ضربه الله لبدء أمر الاسلام وترقيه فى الزيادة الى أن قوى واستحكم لان النبى صلى الله عليه وسلم قام وحده ثم قواه الله بمن آمن معه كما يتوى الطاقة الاولى من الزرع ما يعتضد بها ما يولد منها حتى يبلغ الزرع (فان قلت) قوله (ليغيظ بهم الكفار) تعليل لماذا (قلت) لما دل عليه تشبههم بالزرع من علائهم وترقيهم فى الزيادة والقوة ويجوز أن يعلل به (وعد الله الذين آمنوا) لان الكفار اذا سمعوا باعداد الله لهم فى الآخرة مع ما يرون به فى الدنيا غاظهم ذلك ومعنى (منهم) للبيان كقوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان من رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفتح فكأنما كان ممن شهد مع محمد فتح مكة

﴿سورة الحجرات مدنية وهى ثمان عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿ قدمه وأقدمه معتديان بتثقيل العين والهمزة من قدمه اذا تقدمه فى قوله تعالى يقدم قومه ونظيرهما معنى وتقلاسله وأسلفه وفى قوله تعالى (لا تقدموا) من غير ذكر مفعول وجهان أحدهما أن يحذف ليتناول كل ما يتبع فى النفس مما يقدم والثانى أن لا يقصد قصد مفعول ولا حذفه ويتوجه بالنهى الى نفس التقدمة كأنه قيل لا تقدموا فى الملبس بهذا اللون ولا تجيئوا منكم بسبيل كقوله تعالى هو الذى يحيى ويميت ويجوز أن يكون من قدم بمعنى تقدم كوجه وبين ومنه مقدمة الجيش خلاف ساقته وهى الجماعة المتقدمة منه وتعضده قراءة من قرأ لا تقدموا بحذف احدى التاءين أى تتقدموا الا أن الاول أملأ بالحسن وأوجه وأشد

أمثلة الكتاب والسنة وجعل صور ذلك المنهى عنه مثل أن يجلس العبد فى الجهتين المساويتين ليمين سيده وشماله ويوليه ظهره ومعناه ان لا تقدموا على أمر حتى يأذن الله ورسوله فيه فتكونوا مقتدين فيما تأتون وتذرون بكتاب الله وسنة نبيه

ملاءمة

ملاءمة لبلاغة القرآن والعلم به أقبل وغرى لا تتقدموا من التقدوم أى لا تقدموا الى أمر من أمور الدين
قبل قدومه وهما ولا تجهلوا عليهما * وحقيقة قولهم جلست بين يدى فلان أن يجلس بين الجهتين المسامتتين
يمينه وشماله فربما منه فسميت الجهتان بدين لكونهما على سمت اليدين مع القرب منهما توسعا كما يسمى
الشئ باسم غيره اذا جاور ه ودانا فى غير موضع وقد جرت هذه العبارة بجهتها على سنن ضرب من المجاز وهو
الذى يسميه أهل البيان تمثيلا ولجريها هكذا فائدة جليلة ليست فى الكلام المرسل وهى تصوير الهجنة
والشناعة فيما نهوا عنه من الاقدام على أمر من الامور دون الاحتذاء على أمثلة الكتاب والسنة والمعنى
أن لا تقطعوا أمرا الا بعد ما يحكمان به ويأذنان فيه فتكونوا اماما على الوحى المنزل واما مقتدين برسول الله
صلى الله عليه وسلم وعليه يدور تفسير ابن عباس رضى الله عنه وعن مجاهد لا تقتاتوا على الله شيأ حتى يقضه على
لسان رسوله ويحوز أن يجرى مجرى قولك سرنى زيد وحسن حاله وأعجبت بمروءته وفائدة هذا الاسلوب
الدلالة على قوة الاختصاص ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الله بالمكان الذى لا يخفى سلك به ذلك
المسلك وفى هذا تمهيد وتوطئة لما نهم منهم فيما يتلو من رفع أصواتهم فوق صوته لان من أخطأه الله بهذه
الآثرة واختصه بهذا الاختصاص القوى كان أدنى ما يجب له من التهيب والاجلال أن يخفض بين يديه
الصوت ويخافت لديه بالكلام وقيل بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تهامة سرية تسعة وعشرين
رجلا وعليهم المنذر بن عمرو الساعدى فقتلهم بنو عامر وعليهم عامر بن الطفيل الا ثلاثة نفر خرجوا فلقوا
رجلين من بنى سليم قرب المدينة فاعتزيا لهم الى بنى عامر لانهم أعز من بنى سليم فقتلوهما وسلبوهما فجاء أبو
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بئسما صنعتم كانا من سليم والسلب ما كسوهما فوداهما رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولما أراد أن لا تعملوا شيأ من ذات أنفسكم حتى تستأمروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن
مسروق دخلت على عائشة فى اليوم الذى شك فيه فقالت للجارية اسقيه عسلا فقلت انى صائم فقالت قد
نهى الله عن صوم هذا اليوم وفيه نزلت وعن الحسن أن أناسا نحروا يوم الاضحى قبل الصلاة فنزلت وأمرهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعيدوا نحرا آخر وهذا مذهب أبى حنيفة رحمه الله الا أن نزول الشمس
وعند الشافعى يجوز الذبح اذا مضى من الوقت مقدار الصلاة وعن الحسن أيضا استقر رسول الله صلى
الله عليه وسلم بالمدينة أتته اليهود عن الاشياء فكان يرجئ فيها الى أن ينزل فيها أو المسئلة حتى يكون هو
المبتدئ وعن قتادة ذكر لنا أن ناسا كانوا يقولون لو أنزل فى كذا لكان كذا فكره الله ذلك منهم وأنزل وقيل هى
عامة فى كل قول وفعل ويدخل فيه أنه اذا حرت مسئلة فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعجل
بالجواب وأن لا يمشى بين يديه الا لحاجة وأن يسأل فى الاقتباع بالطعام (واتقوا الله) فانكم ان اتقيتموه
عاقتكم التقوى عن التقدمة المنهى عنها وعن جميع ما تقتضى عواقبه الله تجنبه فان التقى حسن لا يتعاقبه
أمرا الا عن ارتفاع الريب واتجلاء الشك فى أن لا تبعة عليه فيه وهذا كما تقول لمن يتعرف بعض الرذائل
لا تفعل هذا وتحفظ عما يلصق بك العار فتنهاه أولا عن عين ما تعرفه ثم تعمم وتشمع وتأمره بالواجب فيه أمرا لم
يرتكب تلك النهلة وكل ما يضرب فى طريقها يتعلق بسببها (ان الله سميع) لما تقولون (عليم) بما تعملون
وحق مثله أن يتقى ويراقب * اعادة النداء عليهم لاستدعاء منهم لتجديد الاستبصار عند كل خطاب وارد
وتنبيه الانصات لكل حكم نازل وتعريك منهم لئلا يفتروا ويتغلوا عن تأملهم وما أحدثوا به عند حضورهم
مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم من الادب الذى المحافظة عليه تعود عليهم بعظيم الجدوى فى دينهم وذلك
لان فى اعظام صاحب الشرع اعظام ما ورد به ومستعظم الشئ لا يتهاون بما يلزم عظامه أن يأتوا عملا مما يجتنبوه
عليه وارتداعا عما نهاهم عنه وانتهاءا الى كل خير والمراد بقوله (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى) أنه اذا
نطق ونطق فعليكم أن لا تبلغوا باصواتكم وراء الحد الذى يبلغه صوته وأن تقصروا منها بحيث يكون كلامه
عاليا كلامكم وجهره باهرا لجهركم حتى تكون مزيته عليكم لائحة وسائغة واختصوا امتيازه عن جهوركم
كشبهه الابلق غير خاف لأن تعمروا صوته بلفظكم وتهجروا منطقه بنحيكم * وقوله ولا تجهروا له بالقول

واتقوا الله ان الله سميع
عليم يا أيها الذين آمنوا
لا ترفعوا أصواتكم
فوق صوت النبى

* قال وقوله واتقوا الله
على أثر ذلك بمنزلة قولك
للعارف بعض الرذائل
لا تفعل هذا وتحفظ عما
يلصق بك العار فتنهاه
أولا عن عين ما عارفه ثم
تعمم وتشمع وتأمره بما
لو امتثل أمرك فيه لم
يرتكب تلك الفاعلة
وكل ما يضرب فى
طريقها ويتعلق بسببها
* وقوله ان الله سميع
عليم أى يختبرق أن
يتقى ويراقب وقوله
لا ترفعوا أصواتكم فوق
صوت النبى جدد
النداء عليهم لاستدعاء
لتجديد الاستبصار
والتيقظ والتنبيه عند
كل خطاب وارد ونظيره
للانصات منهم لكل
حكم نازل * وقوله
لا ترفعوا أصواتكم فوق
صوت النبى أى اذا
نطق ونطقتم فلتكن
أصواتكم قاصرة عن
الحد الذى يبلغه صوته
ليكون عاليا

على كل مكم وجهره بأمر الجهر كلا أن تحبط واصواتكم بلفظكم وتجهر وا منطقته بعضكم * وقوله ولا تجهروا له بالقول تجهر بعضكم
لبعض أى اذا كان صامتا فابتدأتموه (٣٩٠) بالخطاب فايا كم والعدول عما نهيتم عنه من رفع أصواتكم بل عليكم أن لا تبلغوا به الجهر

أنكم اذا كلمتموه وهو صامت فايا كم والعدول عما نهيتم عنه من رفع الصوت بل عليكم أن لا تبلغوا به الجهر
الدائر بينكم وأن تتسمدوا في مخاطبته القول اللين المقرب من الهمس الذي يضاد الجهر كما تكون مخاطبة
المهيب المعظم عاملين بقوله عز اسمه وتعزروه وتوقروه وقيل معنى (ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم
لبعض) لا تقولوا له يا محمد يا أحمد وخاطبوه بالنبوة قال ابن عباس نزلت هذه الآية قال أبو بكر رضي الله
عنه يا رسول الله والله لا أكلمك الا السرار وأتاه السرار حتى ألقى الله * وعن عمر رضي الله عنه أنه كان يكلم
النبي صلى الله عليه وسلم كأخي السرار لا يسمعه حتى يستفهمه * وكان أبو بكر اذا قدم على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وفد أرسل اليهم من يعلمهم كيف يسلمون ويأمرهم بالسكينة والوقار عند رسول الله صلى الله عليه
وسلم وليس الغرض برفع الصوت ولا الجهر مارقصده بالاستخفاف والاستهانة لان ذلك كفر والخاطبون
مؤمنون وانما الغرض صوت هو في نفسه والصوح من جرسه غير مناسب لما يهاب به العظماء ويوقر
الكبراء فيتكاف الغض منه ورده الى حد قريب به الى ما يستبين فيه الأمور به من التمز والتوقير ولم
يتناول النهي أصل رفع الصوت الذي لا يتأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ما كان منهم في حرب أو
جدال عند أو ارهاب عدو أو ما أشبه ذلك في الحديث أنه قال عليه الصلاة والسلام للعباس بن عبد المطلب
لما انهزم الناس يوم حنين اصرخ يا معشر الناس وكان العباس أجهر الناس صوتا يروى أن غارة أتتهم يوما فصاح
العباس بأصباحاه فأسقطت الحوامل لشدة صوته وفيه يقول تابغة بني جعدة

زجر أبي عروة السباع اذا * أشفق أن يختلطن بالغنم

زعمت الرواة أنه كان يزجر السباع عن الغنم فيفتق مرارة السبع في جوفه وفي قراءة ابن مسعود لا ترفعوا
أصواتكم والياء من زيادة تحذف وبها حذة والتشديد في قول الأعلم الهذلي

وغنت عيني بالحجا * زالي أناس الشاقب

وليس المعنى في هذه القراءة أنهم نهوا عن الرفع الشديد بل المعنى ما دون الشديد مستوعا لهم ولكن
المعنى نهيهم عما كانوا عليه من الجلبة واستخفاز بعضهم لبعض فيما كانوا يتعاونون وعن ابن عباس نزلت في ثابت بن
قيس بن شماس وكان في أذنه وقر وكان جهوري الصوت فكان اذا تكلم رفع صوته فوق ما كان يكلم به رسول
الله صلى الله عليه وسلم فتأذى بصوته وعن أنس أن هذه الآية لما نزلت فقدت ثابت فتفقده رسول الله صلى الله
عليه وسلم فأخبر بشأنه فدعاه فسأله فقال يا رسول الله لقد أنزلت اليك هذه الآية وأني لرجل جهوري الصوت
فأخاف أن يكون على قد حبط فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لست هناك انك تعيش بخير وتموت بخير
وذلك من أهل الجنة وأما ما روى عن أنس أنها لما نزلت فمن كان يرفع صوته من المنافقين فوق صوت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فحبطه والخطاب للمؤمنين على أن ينهى المؤمنون لينذر بهم المنافقون تحت النهي
ليكون الاسر أغلظ عليهم وأشق وقيل كان المنافقون يرفعون أصواتهم ليظهروا قلة مبالاتهم فيقتدي بهم
ضعفة المسلمين وكأف التشبيه في محل النصب أي لا تجهروا له جهرا مثل جهر بعضكم لبعض وفي هذا أنهم
لم ينهوا عن الجهر مطلقا حتى لا يسوغ لهم أن يكلموه الا بالهمس والخفاتة وانما نهوا عن جهر مخصوص
مقيد بصفة أعني الجهر المعتاد فيما بينهم وهو الذي ما قد اعتادوه عند نبيهم وهو الذي من مراعاة أبهة النبوة
وجلالة مقدارها وانحطاط سائر الرتب وان جلت عن رتبتها (أن تحبط أعمالكم) منصوب الموضع على أنه
مفعول له وفي متعلقه وجهان أحدهما أن يتعلق بمعنى النهي فيكون المعنى انتهوا عما نهيتم عنه كراهة حبوط

أعمالكم على حذف مضاف كقوله يبين الله لكم أن تضلوا وأما نفس الفعل فهو المنهي عنه على معنى أعمالكم
تتزيل صيرورة الجهر المنهي عنه الى الحبوط منزلة جعل الحبوط علة في الجهر على التمثيل من وادي ليكون لهم عدوا وحزنا (فان قلت) فما الفرق
بين هذا التعليل وبين تعليل النهي عن التقدم بين يدي الله ورسوله بالتقوى (قلت) الفعل الأول الخ) قال أحمد هو يحوم على شرحه وبثه ايا ك ورودها

وذلك انه معتقد أنه مادون الكفر ولو كبيرة واحدة تحبط العمل وتوجب الخلود في العذاب الدائم وتخرج المؤمن من اسم الايمان ورسمه وسماه الله من هذا المعتقد فعليك بعقيدة أهل السنة الموجودة في مواضع من هذا الجمع فيفيد المهتدي هو اعتقاد ان المؤمن لا يخلد في النار وان الجنة له بوعد الله حتم ولو كانت خطاياه مادون الشرك أو ما يؤدي كزيد البصرة انه لا يحبط حسنة بسيئة طارئة كائنة ما كانت سوى الشرك والزمخشري اغتنم الفرصة في ظاهر هذه الآية فترها على معتقده ووجه ظهورها عنده أن رفع الصوت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم معصية لا تبلغ الشرك وقد أخاف الله عباده من احباطه الاعمال بها ولو كان الاحباط مقطوعا به لم تستقم الاخافة به وأنى له أن يبلغ من ذلك آماله وتظم الكلام بأباه عند البصير بمعناه (٣٩١) فنقول المراد في الآية النهي عن رفع الصوت على الاطلاق وسلمنا أن حكم النهي الحذر مما يتوقع في ذلك من ايذاء النبي عليه السلام والقاعدة المختارة ان ايذاءه عليه الصلاة والسلام يبلغ مبلغ الكفر المحبط للعمل بالقرآن فورد النهي عما هو مظنة لاذى النبي عليه الصلاة والسلام وهو عد هذا على تقدير حذف المضاف كقوله تعالى يبين الله لكم أن تضلوا والثاني أن يتعلق بنفس الفعل ويكون المعنى أنهم نهوا عن الفعل الذي فعلوه لاجل المحبوط لانهما كان بصدد الاداء الى المحبوط جعل كأنه فعل لاجله وكان العلة والسبب في ايجاده على سبيل التمثيل كقوله تعالى ليكون لهم عدوا (فان قلت) ما فص الفرق بين الوجهين (قلت) تخصيصه أن يقدر الفعل في الثاني مضموما اليه المفعول له كأنهما شيء واحد ثم حسب النهي عليهما جميعا صابوا في الاول يقدر النهي موجها على الفعل على حياله ثم يعلل له منهيا عنه (فان قلت) فأي الوجهين تعلق المفعول له (قلت) بالثاني عند البصريين بمقدار الضمار عند الاول كقوله تعالى آتوني أفرغ عليه قطرا وبالعكس عند الكوفيين وأيهما كان فمرجع المعنى الى أن الرفع والجهر كلاهما منهي عنهما اذا ادى الى حبوط العمل وقرأ ابن مسعود فتحبط أعمالكم أظهر بما ذكرنا لان ما بعد الفاء لا يكون الا مسببا عما قبله فيتنزل المحبوط من الجهر منزلة المحبوط من الطغيان في قوله تعالى فيحل عليكم غضبي والمحبوط من حبطت الابل اذا أكلت الخضر فتنفخ بطونها وربما هلكت وعنه قوله عليه الصلاة والسلام وان مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا أو يلم وان أحواله جميعت الابل اذا أكلت الخضر فاصابها ذلك وأصل العمل مثل أحبطه وحبط المجروح وبراذا اغتر وهو تكسبه وتراميه الى الفساد جعل العمل السيء في اغتراره بالعمل الصالح كالداء والمرض الذي يصاب به أعاذنا الله من حبط الاعمال وخيبة الآمال وقد دلت الآية على أمرين هائلين أحدهما أن ثمة أمورا تكسب من يؤمن من الآثام ما يحبط عمله والثاني أن في آثامه ما لا يدري أ يحبط أم لا عند الله كذلك ينبغي للمؤمن أن يكون على تقواه كالماشي في طريق شائك لا يزال يحترز ويتوقى ويتحفظ (امتحن الله قلوبهم للتقوى) من قولك امتحن فلان لامر كذا وجرب له ودرب له وهو مضطلع به قوي وان عنه والمعنى أنهم صبروا على التقوى أقوياء على احتمال مشاقها فاووضع الامتحان موضع الصبر لان تحقق الشيء باختباره كما وضع الخبر موضعه في قولك كفى بالمرء خبرا ويجوز أن يكون معرفة الله فلو جعلهم للتقوى ويكون اللام متعلقة بمحذوف واللام هي التي في قولك أنت لهذا الامر أي كائن له ومختص به قال * أنت لها أحمد من بين البشر * أعدا من الميعملات على الربى * وهي مع مرفوعها منصوبة المحل أو ضرب الله قلوبهم بأنواع المحن والتكاليف الصعبة لاجل التقوى أي لتثبت وتظهر وتقوا هاو يعلم أنهم متقون لان حقيقة التقوى لا تعلم الا عند المحن والشدائد والاصطبار عليها وقيل أخلصها للتقوى من قولهم امتحن الذهب وفتنه اذا أذابه فخلص إبريزه من خبثه وغشه وعن عمر رضي الله عنه أذهب الشهوات منها والامتحان افتعال من محنته وهو اختبار بليغ أو بلا سهيد قال أبو عمرو كل شيء جهدته فقد محنته وأنشد

أتت ذا ادا ما كالطا * فمحنت واضطربت آطامها

الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم

عليه الصلاة والسلام وقد سمعه هذا النهي أولا بما يليه الشديد وجسما لشدة شأنه لما كان هذا النهي عنه وهو رفع الصوت منهيا الى ما منتهى ذلك المبلغ أولا ولا دليل يبرأ حد القسمين عن الآخر لزم المكلف أن يكف عن ذلك مطلقا وخوف أن يقع فيما هو حبط للعمل وهو المبالغ فيه الايذاء لا دليل ظاهر غير وان كان فلا يتفق غيره في كثير من الاحيان والى الناس أحد القسمين بالآخر وقعت الاشارة بقوله أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون والا فلو كان الامر على ما يعتقده الزمخشري لم يكن لقوله وأنتم لا تشعرون موقع اذ الامر بين أن يكون رفع الصوت مؤديا فيكون كفرا محبطا قطعا وبين أن يكون غير مؤد فيكون كبيرة محبطة على رأيه قطعا فلي كلا حاليه الاحباط به محقق اذا لا موقع لادغام الكلام بعدم الشعور مع ان الشعور ثابت مطلقا والله أعلم وهذا التقرير الذي ذكرته يبنى على مقدمتين كلتاهما صحيحة احداهما ان رفع الصوت من جنس ما حصل به الايذاء وهذا أمر يشهد به النقل والمشاهدة الا ترى ان السمع ليتأذى برفع التلميذ صوته بين يديه وكيف بحرمة النبوة وما يستحقه من الاجلال والاعظام المقدمة الاخرى ان ايذاء النبي صلى الله عليه وسلم كفر وهذا أمر ثابت مدنص عليه أفتوا وأقتوا فقل من تعرض لذلك كفروا لا تعبؤ به فالله أعظم عند الله وأكبر والله الموفق

ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون

* قوله تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون (قال فيه الوراء الجهة التي يواريها عنك الشخص يظلله من خلف أو قدام الخ) قال أحمد ولقد اختار بعضهم في تبكيت بني تميم بما لا تساعده عليه الآية فانها نزلت في المتولين لنداء النبي عليه الصلاة والسلام أوفي الحاضرين حينئذ الراضين بفعل المنادين له وقد سئل عليه الصلاة والسلام عنهم فقال هم جفاة بني تميم وعلى الجملة ولا تزر وازرة وزر أخرى فكيف يسوغ اطلاق اللسان بالسوء في حق أمة عظيمة لان واحدا منهم أو اثنين ارتكب جهالة وحماقة فقد ورد المنادي له عليه السلام هو الاقرع هذا مع توارد الاحاديث في فضائل تميم وتخليدها وجوه الكتب الصحاح * عاد كلامه (قال وتأمل نظم الآية وتجنيسها على الخط المستحيل على الصحيح الخ)

قيل أنزلت في الشيخين رضي الله عنهما لما كان منهما من غض الصوت والباعوغ به أقصى المرار وهذه الآية بنظمها الذي رتبت عليه من ابتناع الغاضين أصواتهم اسم الان المؤكدة وتصدير خبرها جملة من مبتدا وخبر معرفتين معا والمبتدا اسم الاشارة واستئناف الجملة المستودعة ما هو جزؤهم على عملهم وايراد الجزاء نكرة مبهما أمره ناظرة في الدلالة على غاية الاعتداد والارتضاء لما فعل الذين وقروا رسول الله صلى الله عليه وسلم من خفض أصواتهم وفي الاعلام ببلوغ عز رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدر شرف منزلته وفيها تعريض بعظيم ما ارتكب الراقمون أصواتهم واستجهالهم ضمنا استوجب هؤلاء الوراء الجهة التي يواريها عنك الشخص يظلله من خلف أو قدام ومن لابتداء الغاية وأن للمناداة نشأت من ذلك المكان (فان قلت) أفرق بين الكلامين بين ما ثبت فيه وما تسقط عنه (قلت) الفرق بينهما أن المنادى والمنادى في أحدهما يجوز أن يجعلهما الوراء وفي الثاني لا يجوز لان الوراء تصير بدخول من مبتدا الغاية ولا يجتمع على الجهة الواحدة أن تكون مبتدأ ومنتهى لفعل واحد والذي يقول نادالي فلان من وراء الدار لا يريد وجه الدار ولا أمرها ولكن أي قطر من أقطارها الظاهرة كان مطلقا بغير تعيين واختصاص والانكار لم يتوجه عليهم من قبل أن النداء وقع منهم في ادبار الحجرات أو في وجوهها وانما أنكر عليهم أنهم نادوه من الجهة الخارج منادا في الاحلاف بعضهم لبعض من غير قصد الى جهة دون جهة هو الحجرة الرفيعة من الارض المحجورة بحائط يحوط عليها وحظيرة الابل تسمى الحجرة وهي فعلة بمعنى مفعولة كالغرفة والقبضة وجمعها الحجرات بضمتين والحجرات بفتح الجيم والحجرات بتسكينها وقرئ بهن جميعا والمراد حجرات نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت لكل واحدة منهن حجرة ومناداتهم من وراء ليحتمل انهم قد تفرقوا على الحجرات مطلبين له فناداه بعض من وراء هذه وبعض من وراء تلك وانهم قد أتوها جميعا حجرة حجرة فنادوه من وراءها وأنهم نادوه من وراء الحجرة التي كان فيها ولكنها جمعت لجلال الرسول صلى الله عليه وسلم ولمكان حرمته والفضل وان كان مسندا الى جميعهم فانه يجوز أن يتولاه بعضهم وكان الباقون راضين فكأنهم تولوه جميعا فقد ذكر الاسم أن الذي ناداه عيينة بن حصن والاقرع بن حابس والاخبار عن أكثرهم بأنهم لا يعقلون يحتمل أن يكون فيهم من قصد الخناء ويحتمل أن يكون الحكم بقلة العقلاء فيهم قصدا الى نفي أن يكون فيهم من يعقل فان الله تقع موقع النفي في كلامهم وروي أن وفد بني تميم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت الظهيرة وهو راقد فجعلوا ينادونه يا محمد اخرج الينا فاستيقظ فخرج وزارت وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فقال هم جفاة بني تميم لولا أنهم من أشد الناس قتالا لامرت الدجال لدعوت الله عليهم أن يمسخهم قوردا والآية على النمط الذي وردت عليه فيه مالا يخفى على الناظر من بينات آيات تحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم واجلاله منها تجيئها على النظم المسجل على الماشين بالسفه والجهل لما أقدموا عليه ومنها لفظ الحجرات وايقاعها كناية عن موضع خلوته ومقيله مع بعض نسائه ومنها المرور على اسلوبها بالاقتصار على القدر الذي تبين به ما استنكر عليهم ومنها التعريف باللام دون الاضافة ومنها أن شفع دعاءهم باستحضارهم واستركاك عقولهم وقلة ضبطهم لمواضع التمييز في الخاطبات نهوضا للخطب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسلية له وأما طاطة لما تاخذه من ايحاش تجفوهم وسوء أدبهم وهلم جرا من أول السورة الى آخر هذه الآية فتأمل كيف ابتدئ بايجاب أن تكون الامور التي تنتمي الى الله ورسوله متقدمة على الامور كلها من غير حصر ولا تقييد ثم أردف ذلك النهي عما هو من جنس التقديم من رفع الصوت والجهر كان الاول بساط الثاني ورباطا له ثم ذكر ما هو ثناء على الذين تحاموا ذلك فغض أصواتهم دلالة على عظيم هيبته عند الله ثم جيء على عقب ذلك بما هو أعلم وهجنته أتم من الصياح برسول الله صلى الله عليه وسلم في حال خلوته ببعض حرماته من وراء الجدر كما يصاح بأهون الناس قدرا لينبه على فظاعة ما أجرأ اليه وجسر واعليه لان من رفع الله قدره عن أن يجهر له بالقول حتى خاطبه جلة المهاجرين والانصار باخفى السرار كان صنيع هؤلاء من المنكر الذي بلغ من التفاحش مبلغا ومن هذا وأمثاله يقتطف ثمر الالباب وتقتبس محاسن الآداب كما يحكى عن أبي سعيد وسكانه من العلم والزهد وثقة الرواية ما لا

قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين(قال فيه نكر فاسقا وبنأ لقصد الشياع فكأنه قيل أى فاسق جاء بأى نبأ) قال أحمد تسامح بلفظ الشياع والمراد الشمول لان النكرة اذا وقعت فى سياق الشرط تعم كما اذا وقعت فى سياق النفى والله أعلم عاد كلامه قال وعدل عن اذا الى أن لان مجىء الفاسق (٣٩٢) بالكذب لرسول الله ولاصحابه مما

يخفى أنه قال ما وقفت بإباعلى عالم ط حتى يخرج فى وقت خروجه (أنهم صبروا) فى موضع الرفع على الفاعلية لان المعنى ولو ثبت صبرهم والصبر حبس النفس عن أن تنازع الى هواها قال الله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم وقولهم صبرنى كذا محذوف منه المفعول وهو النفس وهو حبس فيه شدة ومشقة على المحبوس فهذا قيل للحبس على اليمين أو القتل صبر وفى كلا بعضهم الصبر على الشر مع لا يتجرعه الا حر (فان قلت) هل من فرق بين (حتى تخرج) والى أن تخرج (قلت) ان حتى مختصة بالغاية المضروبة تقول أكلت السمكة حتى رأسها ولو قلت حتى نصفها أو صدرها لم يجز والى عامة فى كل غاية فقد تأتى حتى يوضع أن خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم غاية قدضربت لصبرهم فما كان لهم أن يقطعوا أمرا دون الانتهاء اليه (فان قلت) فاى فائدة فى قوله (اليهم) (قلت) فيه أنه لو خرج ولم يكن خروجه اليهم ولا جاءهم لم يلزمهم أن يصبروا الى أن يعلموا أن خروجه اليهم (لكان خيرا لهم) فى كان اما ضمير فاعل الفعل المضمر بعدلو واما ضمير مصدر صبروا كقولهم من كذب كان شرا له (والله غفور رحيم) بليغ الغفران والرحمة واسعهما فان يضيق غفرانه ورحمته عن هؤلاء ان تابوا وأنابوا* بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الوليد بن عقبة أخا عثمان لامه وهو الذى ولاه عثمان الكوفة بعد سعد بن أبى وقاص فصلى بالناس وهو سكران صلاة الصبح أربعا ثم قال هل أزيدكم فعزله عثمان عنهم وصدقاله بنى المصطلق وكانت بينه وبينهم احنة فلما شارف ديارهم ركبوا مستقبلين له بخيلهم فظن انهم جاءوا لحربه فرجع وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد ارتدوا ومنعوا الزكاة فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أن يغزوهم فبلغ القوم فوردوا وقالوا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله فاتاهم فقال لتنتهن أو لابعثن اليكم رجلا هو عدلى كنفسى يقاتل مقاتلتكم ويسبى ذراريكم ثم ضرب بيده على كتف على رضى الله عنه وقيل بعث اليهم خالد بن الوليد فوجدهم مناديا بالصلوات متهجدين فصلوا اليه الصدقات فرجع* وفى تنكير الفاسق والنبأ شياع فى الفساق والانباء كان قال أى فاسق جاءكم بأى نبأ فتوقفوا فيه وتطلبوا بيان الامر وانكشاف الحقيقة ولا تعتمدوا قول الفاسق لان من لا يتحامى جنس الفسوق لا يتحامى الكذب الذى هو نوع منه والفسوق الخروج من الشئ والانسلاخ منه يقال فسقت الرطبة عن قشرها ومن مقلوبه فسقت البيضة اذا كسرتها وأخرجت ما فيها ومن مقلوبه أيضا فقست الشئ اذا أخرجته عن يدك سمى مقتضيه الله عليه ثم استعمل فى الخروج عن القصد والانسلاخ من الحق قال رؤبة

فواسقا عن قصدها جوائرا وقرأ ابن مسعود فتثبتوا والتثبت والتبين متقاربان وهما طلب الثبات والبيان والتعرف ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين معه بالمنزلة التى لا يجسر احد أن يخبرهم بكذب وما كان يقع مثل ما فرط من الوليد الا فى الندرة قيل ان جاءكم بحرف الشك وفيه أن على المؤمنين أن يكونوا على هذه الصفة لئلا يطيع فاسق فى مخاطبتهم بكامة زور (أن تصيبوا) مفعول له أى كراهة اصابتكم (قوما بجهالة) حال كقوله تعالى ورد الله الذين كفروا بغيظهم يعنى جاهلين بحقيقة الامر وكنه القصة* والاصباح يعنى الصيرورة* والندم ضرب من الغم وهو أن تغتم على ما وقع منك تمنى أنه لم يقع وهو غم يصحب الانسان صحبة لها دوام ولزام لانه كلما تذكر المتندم عليه راجعه من الندام وهو لزام الشرب ودوام جبته ومن مقلوبه أدم الامر أدامه ومدن بالمكان أقام به ومنه المدينة وقد تراهم يجعلون الهم صاحبا وخبايا وسميرا وضجيعا وموصوفا بانه لا يفارق صاحبه* الجملة المصدرة بلو لا تكون كلاما مستأنفا لانها الى تنافر النظم

يندر الخ * قوله تعالى واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم كثير من الامر لعنتم ولكن الله حبب اليكم الايمان الآية (قال فيه الجملة المصدرة بلو لا تكون مستأنفة لانها الى تنافر النظم الخ) قال أحمد من جملة هنات المعتزلة تلهيم على عثمان

ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم فى كثير من الامر

رضى الله عنه ووقوفهم عن الحكم بتعريض قتله فضم الى هذا المعتقد غير صحيح عليه ما أورده الزمخشرى فى هذا الموضع من حكايات قولية عثمان لاخيه الوليد الفاعل تلك الفعلة الشنعاء عوضا من سعد بن أبى وقاص أحد الصحابة وما عرض

٥٠ كشاف ف به من أن بعض الصحابة كان يصدر منهم هنات فقها ط البتهم النبى صلى الله عليه وسلم باتباع آرائهم التى من جملتها تصديق الوليد فى الايقاع ببنى المصطلق فاذا ضممت هذه النبذة التى ذكرها الرسالا الى ما علمت من معتقد تبين لك من حاله أعنى الزمخشرى ما لا أطيق التصريح به لانى لم أصرح واعاسلكت معه سبيل الانصاف وصحبة الانتصاف نص بنص وتلويح بتلويح فنسأل الله العظيم بعد الصلاة على نبيه محمد خاتم النبيين أن يرضى عن أصحابه أجمعين وعنا بهم آمين

*عاد كلامه (قال ومعنى تحبيب الله وتكريهه اللطف والامداد بالتوفيق الخ) قال أحمد تلجيج والحق أبلج وزاغ والسبيل نهج وقاس الخلق بالواحد الحق وجعل أفعالهم لهم من ايمان وكفر وخير وشر اغترارا بمحال اعتمد اطراده في الشاهد وهو أن الانسان لا يمدح بفعل غيره وقاس الغائب على الشاهد تحكما وتغافلا باتباع هوى مجمما خوه ذلك بل جرأه على تأويل الآية وابطال ماذكرته من نسبة تحبيب الايمان الى الله تعالى على (٢٩٤) حقيقته وحمله مجاز الانه يعتقد أنهم الوبقيت على ظاهرها لكان خالق الايمان مضافا الى الله تعالى والعبد اذا مدح بما ليس من فعله وهذا عنده محال فاتبع الآية رأيه الفاسد فاذا عرضت عليه الادلة العقلية على الوحدانية والنقلية على أنه لا خالق الا الله خالق كل شئ وطولب بايفاء الآية على ظاهرها التي يدبا العقل والنقل فانه يتمسك في تأويلها بالمحال المذكورة في الحكم بقياس الغائب على الشاهد مما له ادلا الى تصحيح كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من

لكن متصلا باقبله حالا من أحد الضميرين في فيكم المستتر المرفوع أو البارز المجرور وكلاهما مذهب سديد والمعنى ان فيكم رسول الله على حالة يجب عليكم تغييرها أو أنتم على حالة يجب عليه تغييرها وهي أنكم تحاولون منه أن يعمل في الحوادث على مقتضى ما يعن لكم من رأي واستصواب فعل المطواع لغيره التابع له فيما يرتئيه المحتذى على أمثلته ولو فعل ذلك (لعنتم) أي لوقعتم في العنت والهلاك يقال فلان يتعنت فلانا أي يطلب مايؤديه الى الهلاك وقد أعنت العظم اذا هيض بعد الجبر وهذا دليل على أن بعض المؤمنين زينوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الايقاع ببني المصطلق وتصديق قول الوليد وأن تظاهر ذلك من المهنات كانت تفرط منهم وأن بعضهم كانوا يتصونون ويزعهم جدهم في التقوى عن الجسارة على ذلك وهم الذين استثناهم بقوله تعالى (ولكن الله حبب اليكم الايمان) أي الى بعضكم ولكنه أغفت عن ذكر البعض صفتهم المفارقة لصفة غيرهم وهذا من ايجازات القرآن ولحاته اللطيفة التي لا يفطن لها الا الخواص وعن بعض المفسرين هم الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى وقوله (أولئك هم الراشدون) والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي أولئك المستثنون هم الراشدون بصدق ماقلته (فان قلت) ما فائدة تقديم خبر ان على اسمها (قلت) القصد الى توبيخ بعض المؤمنين على ما استهجن الله منهم من استتباع رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم لآرائهم فوجب تقديمه لانصباب الغرض اليه (فان قلت) فلم قيل يطيعكم دون أطاعكم (قلت) للدلالة على أنه كان في ارادتهم اضمار اعمله على ما يستصوبونه وأنه كلما عن لهم رأي في أمر كان معمولا عليه بدليل قوله في كثير من الامر كقولك فلان يقري الضيف ويحمي الحريم تريد أنه عادته ومنه مستمر (فان قلت) كيف موقع لكن وشرطها فقود من مخالفة ما بعدها لما قبلها نفيا واثباتا (قلت) هي مفقودة من حيث اللفظ حاصلة من حيث المعنى لان الذين حبب اليهم الايمان وزينت صفتهم صفة المتقدم ذكرهم فوقعت لكن في حاق موقعها من الاستدراك ومعنى تحبيب الله وتكريهه اللطف والامداد بالتوفيق وسببه الحكاية كما سبق وكل ذي لب وراجع الى بصيرة وذهن لا يخفى عليه أن الرجل لا يمدح بغير فعله وحمل الآية على ظاهرها يؤدي الى أن يثني عليهم بفعل الله وقد نفى الله هذا عن الذين أنزل فيهم ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا (فان قلت) فان العرب تمدح بالجميل وحسن الوجوه وذلك فعل الله وهو ممدوح مقبول عند الناس غير مردود (قات) الذي سوغ ذلك لهم أنهم رأوا حسن الرواء وسامة المنظر في الغالب يسفر عن مخبر مرضي وأخلاق محمودة ومن ثم قالوا الأحسن ماقي الدميم وجهه فلم يجعلوه من صفات المدح اذا تأملت ولكن لدلالته على خيره على أن من خصائص المقلات وعلماء المعاني من دفع خصمه ذلك وخطأ المادح به وقصر المدح على النعت بالميمات الخير وهي الصراحة والشجاعة والعدل والعفة وما يتشعب منها ويرجع اليها وجعل الوصف بالجمال والثروة وكثرة العشيرة والاعضاد وغير ذلك مما ليس للانسان فيه عمل غلطا وخداقة عن المعقول *(والكفر) تغطية نعم الله تعالى وغمطها بالجحود (والفسوق) الخروج عن قصد الايمان وخصته بركوب الكبائر (والعصيان) ترك الانقياد والمضي لما أمر به الشارع والمرق العاصي العائد واعتصمت الناقة اشتدت *والرشد الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه من الرشاد وهي الصخرة قال أبو الوازع كل صخرة رشادة وأنشد وغيره قلد وموتمات * صلبن الضوء من صم الرشاد

تعالى والعبد اذا مدح بما ليس من فعله وهذا عنده محال فاتبع الآية رأيه الفاسد فاذا عرضت عليه الادلة العقلية على الوحدانية والنقلية على أنه لا خالق الا الله خالق كل شئ وطولب بايفاء الآية على ظاهرها التي يدبا العقل والنقل فانه يتمسك في تأويلها بالمحال المذكورة في الحكم بقياس الغائب على الشاهد مما له ادلا الى تصحيح كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من

أمتم ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون

بين يديه ولا من خلفه فالذي نعتقده ثبتنا الله على الحق ان الله تعالى مدح ومدح وأعلى وامتن فلا موجود الا الله وصفاته وأفعاله غير أنه تعالى جعل أفعاله بعضها محلا

لبعض فسمى المحل فاعلا والحال وملا فهذا هو التوحيد الذي لا محيص عنه للمؤمن ولا محيد ولا بد ان أطار حه و (فضلا) القول فأقول أخبرني عن نبأ الله عز وجل أنبيائه ورسله بما حاصله اصطفاؤهم لاختياره اياهم هل يكتسب أم غير مكتسب فلا يسعه أن يقول الا أنه أثنى عليهم بما لم يكتسبوه بل بما وهبه اياهم فانهم وان عرج على القسم الآخر وهو دعوى أنهم أثنى عليهم بمكتسب لها من رسالة أو نبوة فقد خرج عن أهل الملل وانحرف عن أهل الملل وهذه النبذة كفاية ان شاء الله تعالى

* قوله تعالى أولئك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة (أعرب فضلا لأنه مفعول لأجله منتصبا عن قوله الراشدون الخ) قال أحمد أورد الاشكال بعد تقرير أن الرشد ليس من فعل الله تعالى وأنما هو فعلهم حقيقة على ما هو معتقده ونحن بنينا على ما بينا أن الرشد من أفعال الله وخلوقاته فقد وجد شرط انتصاب المفعول له وهو اتحاد فاعل الفعلين على أن الاشكال وارد ذكرنا على تقريرنا على غير الحد الذي أورده عليه الزمخشري بل من جهة أن الله تعالى خاطب خلقه بلغتهم المعهودة عندهم وعاينهم ونعلم أن الفاعل من نسب اليه الفعل وسواء كان ذلك حقيقة أو مجازا حتى يكون زيد فاعلا وانفض الخائط وانشيا هه كذلك وقد نسب الرشد اليهم على طريقة أنهم الفاعلون وان كانت النسبة مجازية باعتبار المعتقد واذا تقرر ورود ذلك على هذا الوجه (٣٩٥) قلت في الجواب عنه طريقان

و (فضلا) مفعول له أو مصدر من غير فعله (فان قلت) من أين جاز وقوعه مفعولا له والرشد فعل القوم والفضل فعل الله تعالى والشرط أن يتحد الفاعل (قلت) لما وقع الرشد عبارة عن التحبيب والتزيين والتكريه مسندة الى اسمه تقدست أسماؤه صار الرشد كأنه فعله فجاز أن ينتصب عنه أولا ينتصب عن الراشدون ولكن عن الفعل المسند الى اسم الله تعالى والجملة التي هي أولئك هم الراشدون اعتراض أو عن فعل مقدر كأنه قيل جرى ذلك أو كان ذلك فضلا من الله وأما كونه مصدرا من غير فعله فأن يوضع موضع رشدا لان رشدهم فضل من الله لكونهم موفقين فيه والفضل والنعمة بمعنى الافضال والانعام (والله عليم) بأحوال المؤمنين وما بينهم من التمايز والتفاضل (حكيم) حين يفضل وينعم بالتوفيق على أفاضلهم * عن ابن عباس رضي الله عنه قال وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على مجلس بعض الانصار وهو على حمار فمال الحمار فأمسك عبد الله بن أبي بأنفه وقال خل سبيل حمارك فقد آذانا نتنه فقال عبد الله بن رواحة والله ان بول حماره لأطيب من مسكك وروي حماره أفضل منك فثار لبول حماره أطيب من مسكك وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وطال الخوض بينهما حتى استبا وتجالدا وجاء قومهما ولا وسو والخزرج فتجالدوا بالعصي وقيل بالايدي والنعال والسعف فرجع اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصلح بينهم ونزلت وعن مقاتل قرأها عليهم فاصطلحوا * والبغي الاستطالة والظلم وأباه الصلح * والفيء الرجوع وقد سمي به الظل والغنيمة لان الظل يرجع بعد نسخ الشمس والغنيمة مما يرجع من أموال الكفار الى المسلمين وعن أبي عمرو حتى تفيء بغير همز وجهه أن أبا عمر وخفف الاولى من المضعفين فالتقت فاء الكلمة على الراوي تلك الخلسة فظنه قد طرحها (فان قلت) ما وجه قوله فقاتلوا والقياس فقتلتا كقوله أو اقتتلا كافرا بن أبي عبلة أو اقتتلا كافر أبيدين حميري على تأويل الرهطين أو النفرين (قلت) هو مما حمل على المعنى دون اللفظ لان الطائفتين في معنى القوم والناس وفي قراءة عبد الله حتى يفيئوا الى أمر الله فان فاؤا فخذوا بينهم بالقسط وحكم الفئة الباغية وجوب قتالها ما قاتلت وعن ابن عمر ما وجدت في نفسي من شئ ما وجدته من أمر هذه الآية ان لم أقاتل هذه الفئة الباغية كما أمرني الله عز وجل قاله بعد أن اعترف فاذا كافت وقبضت عن الحرب أيديها تركت واذا ثبت عمل عمار وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يا ابن أم عبد هل تدري كيف حكم الله فيمن بغى من هذه الامة قال الله ورسوله أعلم قال لا يجهز على جريحها ولا يقتل أسيرها ولا يطلب هاربها ولا يقسم فيئها ولا تحل الفتنان من المسلمين في اقتتالهما الا أن يقتتلا على سبيل البغي منهما جميعا قالوا الواجب في ذلك أن يعني بينهما بما يسع ذات البين ويقمر المكافة والمواد عة فان لم تتجازوا ولم تصطلحوا وأقاما على البغي صيرا الى مقاتلتهما واما أن يلتحم بينهما القتال لشبهة تخيلت عليهما وكلتاهما عند أنفسهما محقة قالوا الواجب ازالة الشبهة بالحجج النيرة والبراهين القاطعة الى الملاءمة على مراشد الحق فان ركبتا من اللجاج ولم تعملا على شئ كل ما هديتا اليه ونحتنا به من اتباع

اما جواب الزمخشري واما أحكم منه وأبين وهو ان الرشد ههنا يستلزم كونه راشدا اذ هو مطاوعه لان الله تعالى أرشدهم فرشدوا وحينئذ يجيء

فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله فان فاءت

الفاعل على طريقة الصناعة المطابقة للحقيقة وهو عكس قوله يريكم البرق خوفا وطمعا فان الاشكال عنه وارد فهم الخائفون والطامع فعليهم أي منسوب الوسم على طريقة أنهم الخائفون الطامعون والفعل الاول لله تعالى لانه

بينهم ذلك والجواب عنه أنهم مفعولون في معنى الحاضرين هو واسطة لاستلزام المطاوعة لانه اذا أرشدهم فتدبروا وقد سلف هذا الجواب بكماله فصحت الكلام ههنا بتقدير المفعول فاعلوه كما آية الحجرات اذ صحيح الكلام فيها بتقدير الفاعل مفعولا وهذا من دقائق مربية فتأمله والله الموفق * قوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا (قال فيه فهلا قال اقتتلوا عدولا الخ) قال أحمد قد تقدم في واضع انكار النحاة الحمل على لفظ من بعد الحمل على معناها وفي هذه الآية حمل على المعنى بقوله اقتتلوا ثم على اللفظ بقوله بينهما فلا يمتد المقول في من مطرد في هذه الآن للمانع لزوم الاجمال والابهام بعد التفسير وههنا لا يلزم ذلك اذ لا ابهام في الطائفة بل يتلوا مفردا أبدا ومعناها جمع أبدا وكانت كذلك لاختلاف أحوالها من حيث المعنى مرة جمعا ومرة مفردا فتأمله والله الموفق

فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ان الله يحب المقسطين انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم

* قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم الآية (قال فيه لم يقل لا يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات الخ) قال أحمد ولو عرف فقال لا يسخر المؤمنون بعضهم من بعض لكانت كل جماعة منهم منهية ضرورة شمول النهي ولكن أورد الزمخشري هذا وانما أراد أن في التنكير فائدة ان كل جماعة منهية على التفصيل في الجماعات والتعرض بالنهي لكل جماعة على الخصوص مع التعريف تحصيل النهي لكن لا على التفصيل بل على الشمول والنهي على التفصيل أبلغ وأوقع * عاد كلامه (قال وانما لم يقل رجل من رجل ولا امرأة من امرأة للاشعار الخ) قال أحمد وهو في غاية الملاحسن لا مزيد عليه

الملق بعد وضوحه لهم افتدطحنا بالفئتين الباغيتين واما أن تكون احداهما الباغية على الاخرى فالواجب أن تقاتل فئة البغي الى أن تكف وتتوب فان فاءت أصلح بينها وبين التي بغي عليها بالقسط والعدل وفي ذلك تفاصيل ان كانت الباغية من قلة العدد بحيث لا منعة لها ضمنت بعد الفيئة ما جنت وان كانت كثيرة ذات منعة وشوكة لم تضمن الا عند محمد بن الحسن رحمه الله فانه كان يفتي بأن الضمان يلزمها اذا فاءت واما قبل الجمع والتحند أو حين تتفرق عند وضع الحرب أوزارها فما جنته ضمنته عنده الجميع فعل الاصلاح بالعدل في قوله تعالى (فاصلحوا بينهما بالعدل) على مذهب محمد واضح منطبق على لفظ التنزيل وعلى قول غيره وجهه أن يحمل على كون الفئة قليلة العدد والذي ذكروا أن الغرض اماتة الضغائن وسل الاحقاد دون ضمان الجنايات ليس بحسن الطباق للمأمور به من أعمال العدل ومراعاة القسط (فان قلت) فلم قرن بالاصلاح الثاني العدل دون الاول (قلت) لان المراد بالاقتتال في أول الآية أن يقتتلا باغيتين معا أو راكبتي شبهة وأيتهما كانت فالذي يجب على المسلمين أن يأخذوا به في شأنهما اصلاح ذات البين وتكين الدهماء اذا رأت الحق والمواعظ الشافية وفي الشبهة الا اذا أصرتا فحينئذ تجب المقاتلة وأما الضمان فلا يتجه وليس كذلك اذا بغت احداهما فان الضمان متجه على الوجهين المذكورين (وأقسطوا) أمر بالاستمالة القسط على طريق العموم بعد ما أمر به في اصلاح ذات البين والقول فيه مثله في الامر بالوفاء الله على عقب النهي عن التقديم بين يديه والقسط بالفتح الجور من القسط وهو اعوجاج في الرجلين وعود قاسط بائس وأقسطه الرياح وأما القسط بمعنى العدل فالفعل منه أقسط وهمزته للسلب أي أزال القسط وهو الجور * هذا تقرير لما ألزمه من تولي الاصلاح بين من وقعت بينهم المشاقة من المؤمنين وبيان أن الايمان قد عقد بين أهله من السبب القريب والنسب اللاصق ما ان لم يفضل الاخوة لم يقصر عليها لم ينقص عنها فلم يتقاصر عن غايتها ثم فسرت عادة الناس على أنها اذا نشب مثل ذلك بين اثنين من اخوة الولاد لزم السائر أن يتناهضوا في رفعه واذا احتدم وتركبوا الصعب والذلول مشيا بالصلح وبثا للسفراء بينهما الى أن يصادفوا ما وهي من الوفاق من يرفعه وما استثنى من الوصال من بيله فالاخوة في الدين أحق بذلك وبأشد منه وعن النبي صلى الله عليه وسلم المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يسبه ولا يتطاول عليه في البنيان فيستر عنه الريح الا باذنه ولا يؤذيه بقتار قدره ثم قال احفظوا ولا يحفظ منكم الا القليل (فان قلت) فلم خص الاثنان بالذكر دون الجمع (قلت) لان أقل من يقع بينهم الشقاق اثنان فاذا لزمت المصالحة بين الاقل كانت بين الاكثر ألزم لان الفساد في شقاق الجمع أكثر منه في شقاق الاثنين وقيل المراد بالاخوين الاوس والخزرج * وقرئ بين اخوتكم واخواتكم والمعنى ليس المؤمنون الا اخوة وأنتم خلص لذلك متعصبون فلا تزالت عنهم شهات الاجنبية وأبى لطف طباعهم في الممازج والاتحاد أن يقدموا على مايولد عنه التقاطع فبادروا واقطع ما يقع من ذلك ان وقع واحسموه (واتقوا الله) فانكم ان فعلتم لم تخلكم التقوى الا على التواصل والائتلاف والمسارعة الى اماطة ما يفرط منه * وكان عند فعلكم ذلك وصول رحمة الله اليكم واشتمال رأفته عليكم حقيقا أن تعتمدوا به ربا كم * القوم الرجال خاصة لانهم القوام بامور النساء قال الله تعالى الرجال قوامون على النساء وقال عليه الصلاة والسلام النساء لحم على وضم الا ما ذب عنه والذابون هم الرجال وهو في الاصل جمع قائم كصوم وزور وفي جمع صائم وتاجر أو تسمية بالمصدر عن بعض العرب اذا أكلت طعاما أحببت نوما وأبغضت قوما أي قياما واختصاص القوم بالرجال صريح في الآية وفي قول زهير * أقوم آل حصن أم نساء * وأما قولهم في فرعون وقومه عادهم الذكور والاناث فليس لفظ القوم متعاطا للفريقين ولكن قصد ذكر الذكور وتبرك ذكر الاناث لانهن توابع لرجالهن * وتكبير القوم والنساء يحتمل معنيين أن يراد لا يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض وأن تقصد افادة الشياع وأن تصير كل جماعة منهم منهية عن السخرية وانما لم يقل رجل من رجل ولا امرأة من امرأة على التوحيد اعلاما بأن قدام غير واحد من رجالهم وغير واحدة من نسائهم على السخرية واستفظاعا للشأن الذي كانوا عليه ولان مشهد الساخر لا يكاد يخلو ممن يتلهى ويستضحك على قوله ولا يأتفه

ما عليه من النهى والانكار فيكون شريك الساخر وتاليه فى تعمل الوزر وكذلك كل من يطرق سمعه فيستطيبه ويتحمل به فيؤدى ذلك وان أوجده واحدا الى تكثير الساخرة وانقلاب الواحد جماعة وقوما وقوله تعالى (عسى أن يكونوا خيرا منهم) كلام مستأنف قد ورد مورد جواب المستخبر عن العلة الموجبة لما جاء النهى عنه والا فقد كان حقه أن يوصل بما قبله بالفاء والمعنى وجوب أن يعتقد كل أحد أن المسخور منه ربما كان عند الله خيرا من الساخر لان الناس لا يطلعون الا على ظواهر الاحوال والله يعلم بواطنها الخفيات وانما الذى يزن عند الله خلوص الضمائر وتقوى القلوب وعلمهم من ذلك بمعزل فينبغى أن لا يجترئ أحد على الاستهزاء بمن تقتحمه عينه اذا رآه رث الحال أو ذا عاهة فى بدنه أو غير لبيب فى محادثته فلعله أخلص ضميرا وأتقى قلبا ممن هو على ضد صفته فيظن نفسه بتحقيرهم وقرم الله والاستهانة بمن عظمه الله وانتدب بالسلف افراط توقيرهم وتصونهم من ذلك أن قال عمر بن شرحبيل لو رأيت رجلا يرضع عنزا فضحكت منه خشيت أن أصنع مثل الذى صنعه وعن عبد الله بن مسعود الملاعيب تنال بالقول لو حضرت من كلب لخشيت ان أحول كلبا * وفى قراءة عبد الله عسوا أن يكونوا وعسين أن يكن فعسى على هذه القراءة هى ذات الخبر كالتى فى قوله تعالى فهل عسيتم وعلى الاولى التى لا خبر لها كقوله تعالى وعسى أن تكرهوا شيأ * والنز الطعن والضرب باللسان وقرئ ولا تنابزوا بالضم والمعنى وخص وا أيها المؤمنون أنفسكم بالانتهاء عن عيبها والطعن فيها ولا علیكم أن تعيبوا غيركم ممن لا يدين بدينكم ولا يسير بسيرتكم فى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذكروا الفاجر بما فيه كى يحذره الناس وعن الحسن رضى الله عنه فى ذكر الحجاج أخرج الى بنا الى قصيره فلما عرفت فيها الاعنق فى سبيل الله ثم جعل يلطبط شعيرات له ويقول يا أبا سعيد يا أبا سعيد وقال لما مات لا هم أنت أمته فاقطع سنته فانا أتانا أشيمش أعمش خطر فى مشيته ويصعد النبر حتى تفوته الصلاة لا من الله يتقى ولا من الناس يستحى فوقه الله وتحته مائة ألف أو يزيدون لا يقول له قائل الصلاة أيها الرجل الصلاة أيها الرجل هيهات دون ذلك السيف والسوط وقيل معناه لا يعب بعضكم بعضا لان المؤمنين كنفس واحدة حتى عاب المؤمن المؤمن فكأنما عاب نفسه وقيل معناه لا تفعلوا ما تلمزون به لان من فعل ما استحق به اللمز فقد لمز نفسه حقيقة * والتنابز بالالقاب التداعى بها تفاعل من نبزه وهو فلان ينابزون وينتبزون ويقال النبز والنبز لقب السوء والتلقيب النهى عنه هو ما يتداخل المدعو به كراهة لكونه تصغيرا به وغمالة منه وشينا فأما ما يحبه مما يزينه ويتزين به فلا بأس به روى عن النبى صلى الله عليه وسلم من حق المؤمن على أخيه أن يسميه بأحب أسمائه اليه ولهذا كانت التكنية من السنة والادب الحسن قال عمر رضى الله عنه أشيعوا الكنى فانها منبهة ولقد لقب أبو بكر بالعتيق والصديق وكنى بالفاروق وحمزة بأسد الله وخالد بسيف الله وقل من المشاهير فى الجاهلية والاسلام من ليس له لقب ولم تزل هذه الالقاب الحسنة فى الامم كلها من العرب والعجم تجرى فى مخاطباتهم ومكاتباتهم من غير نكير * روى عن الضحاك أن قوما من بنى تميم استهزؤا بلال وخباب وعمار وصهيب وأبى ذر وسالم مولى حذيفة فنزلت وعن عائشة رضى الله عنها أنها كانت تحقر من زينب بنت خزيمة الهلالية وكانت قصيرة وعن ابن عباس أن أم سلمة ربطت حقويها بسبيبة ومدلت طرفها خلفها وكانت تجره فقالت عائشة لحفصة انظرى ما تجر خلفها كأنه لسان كلب وعن أنس عيرت نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سلمة بالقصر وعن عكرمة عن ابن عباس أن صفية بنت حيى أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان النساء يعيرنى ويقلن يا يهودية بنت يهوديين فقال فلم رسول الله صلى الله عليه وسلم هلا قلت ان أبى هرون وان عمى موسى وان زوجى محمد وروى أنها نزلت فى ثابت بن قيس وكان به وقر وكانوا يوسعون له فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسمع فأتى يوما وهو يقول تفسحوا حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لرجل تنح فلم يفعل فقال من هذا فقال الرجل أنا فلان فقال بل أنت ابن فلانة يريد أما كان يعيرها فى الجاهلية فخجل الرجل فنزلت فقال ثابت لا أفخر على أحد فى الحسب بعدها

عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالالقاب

(قال وقوله عسى أن يكونوا خيرا منهم جواب للمستخبر عن علة النهى الخ) قال أحمد وهو من الطراز الاول

بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم

* قوله تعالى بئس الاسم الفسوق بعد الايمان (قال فيه الاسم ههنا الذكر من قولهم طار اسمه في الناس بالكرم كأنه قال بئس الذكر المرتفع للمؤمنين الخ) قال أحمد أقرب الوجوه الثلاثة ملاءمة لقاعدة أهل السنة وأولاها هو أولها ولكن بعد صرف الذم الى نفس الفسوق وهو مستقيم لان الاسم هو المسمى ولكن الزمخشري لم يستطع ذلك فحوجه فاضطر الى صرف الذم الى ارتفاع ذكر الفسوق من المؤمن تنويها على ان الاسم التسمية ولا سبيل الى صرف الذم الى نفس الفسوق أولى وأما الوجه الثاني فلا حظ له لتحمل الاسم على التسمية صريحا وأما الثالث فلبعده بأن الفاسق غير مؤمن وكلا القاعدتين خالف للسنة فاحذرهم وبالله التوفيق ولقد كشف الله لي عن

أبدا (الاسم) ههنا بمعنى الذكر من قولهم طار اسمه في الناس بالكرم أو باللؤم كما يقال طار شأوه وصيته وحقيقته ما سما من ذكره وارتفع بين الناس الا ترى الى قولهم أشاد بذكره كأنه قيل بئس الذكر المرتفع للمؤمنين بسبب ارتكاب هذه الجرائر أن يذكروا بالفسق وفي قوله (بعد الايمان) ثلاثة أوجه أحدها استقباح الجمع بين الايمان وبين الفسق الذي يأباه الايمان ويحظره كما تقول بئس الشأن بعد الكبرة الصبوة والثاني أنه كان في سَنَاتهم لمن أسلم من اليهود يا يهودي يا فاسق فنهوا عنه وقيل لهم بئس الذكر أن تذكروا الرجل بالفسق واليهودية بعد ما سماه والجملة على هذا التفسير متعلقة بالنهي عن التنابز والثالث أن يجعل من تسمى بغير مؤمن كما تقول للمحمول على القبارة الى الفلاحة بئست الحرفة الفلاحة بعد التجارة * يقال جنبه الشر اذا أبعده عنه وحقيقته جعله منه في جانب فيعدى الى مفعولين قال الله عز وجل واجنبني وبني أن نعبد الاصنام ثم يقال في مطاوعه اجتنب الشر فتنقص المطاوعة مفعولا والأمور باجتنابه هو بعض الظن وذلك البعض موصوف بالكثرة الا ترى الى قوله (ان بعض الظن اثم) (فان قلت) بين الفصل بين كثير حيث جاء نكرة وبينه لو جاء معرفة (قلت) مجيئه نكرة يفيد معنى البعضية وأن في الظنون ما يجب أن يجتنب من غير تبيين لذلك ولا تعيين لئلا يجترئ أحد على ظن الا بعد نظر وتأمل وتمييز بين حقه وباطله بأمارة بينة مع استشعار التقوى والحذر ولو عرف لكان الامر باجتناب الظن منوطا بما يكثر منه دون ما يقل ووجب أن يكون كل ظن متصفا بالكثرة مجتنبا وما اتصف منه بالقلة مرخصا في تظننه والذي يعين الظنون التي يجب اجتنابها على ما رواها أن كل ما لم تعرف له أمارة صحيحة وسبب ظاهر كان حراما واجب الاجتناب وذلك اذا كان المظنون به ممن شوهدت منه الستر والصلاح وأونست منه الامانة في الظاهر فظن الفساد والخيانة به محرم بخلاف من اشتهر بين الناس بتعاطي الريب والمجاهرة بالخبائث عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى حرم من المسلم دمه وعرضه وأن يظن به ظن السوء وعن الحسن كنا في زمان الظن بالناس حرام وأنت اليوم في زمان اعمل واسكت وظن بالناس ما شئت وعنه لا حرمة لفاجر وعنه ان الفاسق اذا أظهر فسقه وهتك ستره هتكه الله واذا استتر استتر بظهر الله عليه لعله أن يتوب وقد روي من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له * والاثم الذنب الذي يستحق صاحبه العقاب ومنه قيل لعقوبته الاثام فعال منه كالنكال والعذاب والوبال قال

لقد وعلت هذي النوى بي فعلة * أصاب النوى قبلي المنايا أثامها

والهمزة فيه عن الواو كأوّل ثم الاعمال أي بكسرها باطنه * وقرئ ولا تحسسوا بالحاء والمعنيان متقاربان يقال تحسس الامر اذا تطلبه وبحث عنه فعل من الجس كأن المتلمس بمعنى التطلب من اللمس فالحاء في اللمس من الطلب وقد جاء بمعنى الطلب في قوله تعالى واتانا لسنا السماء والتحسس المتعرف من الحس وللتقارب بهما قيل لمشاعر الانسان الحواس بالحاء والجيم والمراد النهي عن تتبع عورات المسلمين ومعايبهم والاستكشاف عما ستروه وعن تجاهد خفيا وما ظهر ودعوا ما ستره الله وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه خطب فرفع صوته حتى أسمع العواتق في خدورهن قال يا معشر من آمن بلسانه ولم يخلص الايمان الى قلبه لا تتبعوا عورات المسلمين فان من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته وعن زيد بن وهب قلنا لابن مسعود هل لك في الوليد بن عقبة بن أبي معيط تقطر لحيته خمرا فقال ان مسعودا انا قد نهينا عن التجسس فان ظهر لنا شيء أخذنا به * غابه واغتابه كماله واغاله والغيبة من الاغتياب كالغيلة من الاغتيال وهي ذكر السوء في الغيبة وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيبة فقال أن تذكر أخاك بما يكره فان كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته وعن ابن عباس رضي الله عنه الغيبة ادام كلاب الناس (أيحب أحدكم) تمثيل رقصوير لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على أقطع وجه وأخشنه وفيه مبالغات شتى منها الاستفهام الذي معناه التقرير ومنها جعل ما هو في الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة ومنها اسناد الفعل الى أحدكم والاشعار بأن أحدا من الاحدين لا يحب ذلك ومنها أن لم يقتصر على تمثيل الاغتياب بأكل لحم الانسان حتى جعل الانسان أخا ومنها أن لم يقتصر على أكل لحم الاخ حتى جعل ميتا وعن قتادة كما تكره ان وجدت جيفة

مندوبة أن تأكل منها كذلك فاكره لحم أخيك ميتا وهو حي * وانتصب (ميتا) على الحال من اللحم ويجوز أن ينتصب عن الاخ وترى ميتا * وللمقررهم بتر وجل بأن أحدا منهم لا يحب أكل جيفة أخيه عقب ذلك بقوله تعالى (فكرهتموه) معناه فقد كرهتموه واستقر ذلك وفيه معنى الشرط أي ان صح هذا فكرهتموه وهي الفاء الفصيحة أي فتحققت وجوب الاقرار عليكم وبأنكم لا تقدرون على دفعه وانكاره لاباء البشرية عليكم أن تجحدوه كراهتكم له وتقذركم منه فليتحقق أيضا أن تكرهوا ما هو نظيره من الغيبة والطعن في أعراض المسلمين * وقرئ فكرهتموه أي جبلتم على كراهته (فان قلت) هلا عدي بالى كما عدي في قوله وكره اليكم الكفر وأخواتها القياس (قلت) القياس تعديه بنفسه لانه ذو مفعول واحد قبل تثقيل حشوه تقول كرهت الشيء فاذا ثقل استدعى زيادة مفعول وأما تعديه بالى فتأول واجراء الكره مجرى البغض لان بعض مكتول من بغض اليه الشيء فهو بغيض اليه كقولك حبب اليه الشيء فهو حبيب اليه * وانما لغفه في الثواب للدلالة على كثرة من يتوب عليه من عباده أو لانه ما من ذنب يقترفه المقترف الا كان معفوا عنه بالتوبة أو لانه بليغ في قبول التوبة منزل صاحبها منزلة من لم يذنب قط لسعة كرمه والمعنى واتقوا الله بترك ما أمرتم باجتنابه والندم على ما وجد منكم منه فان تتقوا تقبل الله توبتكم وأنعم عليكم بثواب المتقين التائبين وعن ابن عباس أن سلمان كان يخدم رجلين من الصحابة ويسوي لهما طعامهما فنام عن شأنهما يوما فبعثاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبغي لهما ادما وكان اسامة على طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما عندي شيء فأخبرهما سلمان بذلك فعمدا الى بئر مسجد فلان فرمياه فلما رآيا الرسول الله صلى الله عليه وسلم قالا لهما مالي أرى خضرة اللحم في أفواهكما فقالا ما تناولنا لحما فقال الا انكما قد اغتبتما فنزلت (من ذكر وانثى) من آدم وحواء وقيل خلقنا كل واحد منكم من أب وأم فما منكم أحد الا وهو يدلي بمثل ما يدلي به الآخر سواء فلا وجه للتفاخر والتفاضل في النسب * والشعب الطبقة الاولى من الطبقات الست التي عليها العرب وهي الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة فالشعب يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن تجمع الافخاذ والفخذ تجمع الفصائل خزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة وسميت الشعوب لان القبائل تتشعب منها * وقرئ لتتعارفوا ولتتعارفوا وأبا الادغام والتعرفوا أي لتعلموا كيف تتناسبون وتتعرفوا والمعنى أن الحكمة التي من أجلها شعبكم شعوبا وقبائل هي أن يعرف بعضكم نسب بعض فلا يعتزى الى غير آبائه لا أن تتفاخروا بالآباء والاجداد وتعدوا التفاوت والتفاضل في الانساب * ثم بين الخصلة التي بها يفضل الانسان غيره ويكتسب الشرف والكرم عند الله تعالى فقال (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) وقرئ أن بالفتح كأنه قيل لم لا نتفاخر بالانساب فقيل لان أكرمكم عند الله أتقاكم لا أنسبكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه طاف يوم فتح مكة فجاء الله أثنى عليه ثم قال الحمد لله الذي أذهب عنكم عبية الجاهلية وتكبرها يا أيها الناس انما الناس رجلان مؤمن تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله ثم قرأ الآية وعنه عليه السلام من سره أن يكون أكرم الناس فليتق الله وعن ابن عباس كرم الدنيا الغنى وكرم الآخرة التقوى وعن يزيد بن شجرة سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سوق المدينة فرأى غلاما أسود يقول من اشتراني فعلي شرط لا يمنعني عن الصلوات الخمس خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشتراه رجل فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يراه عند كل صلاة ففقده يوما فسأل عنه صاحبه فقال شموم فعاده ثم سأل عنه بعد ثلاثة أيام فقال هو في آخر بيت من أبيات أهله وهو في ذمامه فتولى غسله ودفنه فدخل على المهاجرين والانصار أمر عظيم فنزلت * الايمان هو التصديق مع الثقة وطمأنينة النفس والاسلام الدخول في السلم والخروج من أن يكون حربا للأولين باظهار الشهادتين الا ترى الى قوله تعالى ولما يدخل الايمان في قلوبكم فاعلم أن ما يكون من الاقرار باللسان من غير مواطأة القلب فهو اسلام وما واطأ فيه القلب اللسان فهو ايمان (فان قلت) ما وجه قوله تعالى (قل لم

أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله ان الله تواب رحيم يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير قالت الاعراب آمنا قل لم

مقاصده حتى ما تنقلب له كلمة مغيرة الى فئة البدعة الا اذا أدركها الحق فكلمه ارالله الحد

قوله تعالى قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا (قال فيه وجه هذا النظم تكذيب دعواهم أولا الخ) قال أحمد ونظير هذا النظم ومراعاة هذه الأطبقة (٤٠٠) قوله تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله ثم قال والله يشهد ان المنافقين لكاذبون

تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا) والذي يقتضيه نظم الكلام أن يقال قل لا تقولوا آمنا ولكن قولوا أسلمنا أو قل لم تؤمنوا ولكن أسلمتم (قلت) أفاد هذا النظم تكذيب دعواهم أولا ودفع ما انحلوه فقيل قل لم تؤمنوا وروعي في هذا النوع من التكذيب أدب حسن حين لم يصرح بلفظه فلم يقل كذبتم ووضع لم تؤمنوا الذي هو نفي ما ادعوا اثباته موضعه ثم نبه على ما فعل من وضعه موضع كذبتم في قوله في صفة المخلصين أولئك هم الصادقون تعريضا بأن هؤلاء هم الكاذبون وربما تعريض لا يقاومه التصريح واستغنى بالجملة التي هي لم تؤمنوا عن أن يقال لا تقولوا آمنا لاستهجان أن يخاطبوا بلفظ مؤداه النهي عن القول بالايمان ثم وصلت بها الجملة المصدرة بكلمة الاستدراك محمولة على المعنى ولم يقل ولكن أسلمتم ليكون خاليا من توهم الزعم والدعوى كما كان قولهم آمنا كذلك ولو قيل ولكن أسلمتم لكان خروجه في معرض التسليم لهم والاعتداد بقولهم وهو غير معتد به (فان قلت) قوله (ولما يدخل الايمان في قلوبكم) بعد قوله تعالى قل لم تؤمنوا يشبه التكرير من غير استقلال بفائدة متجددة (قلت) ليس كذلك فان فائدة قوله لم تؤمنوا هو تكذيب دعواهم وقوله ولما يدخل الايمان في قلوبكم توقيت لما أمروا به أن يقولوه كأنه قيل لهم ولكن قولوا أسلمنا حين لم تثبت مواطأة قلوبكم لا لسنتكم لأنه كلام واقع موقع الحال من الضمير في قولوا وما في لما من معنى التوقع دال على أن هؤلاء قد آمنوا فيما بعد (لا يلتكم) لا ينقصكم ولا يظلمكم يقال ألته السلطان حقه أشد الالت وهي لغة غطفان ولغة أسد وأهل الحجاز لا تهمزها وحكى الأصمعي عن أم هشام السلولية أنها قالت الحمد لله الذي لا يعات ولا يلات ولا تنصمه الأصوات وقرئ يلتكم لا يلتكم ولا يألتكم ونحوه في المعنى فلا تظلم نفس شيئا * ومعنى طاعة الله ورسوله أن يتوبوا مما كانوا عليه من النفاق ويعتقدوا حقيقة ما هم عليه من الايمان ويعملوا بمقتضياته فان فعلوا ذلك تفضل الله عليهم وهب لهم مغفرته وأنعم عليهم بجزيل ثوابه وعن ابن عباس رضي الله عنه أن نفرا من بني أسد قدموا المدينة في سنة جدبة فأظهروا الشهادة وأسدوا طرق المدينة بالعذرات وأغلوا أسعارها وهم يمنون ويريحون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون أتتك العرب بأنفسها على ظهور رواحلها وجئناك بالأثقال والذراري نريد الصدقة وتعون عليه فنزلت * ارتاب مطاوع رابه اذا أوقعه في الشك مع التهمة والمعنى أنهم آمنوا ثم لم يقع في نفوسهم شك فيما آمنوا به ولا اتهام لمن صدقوه واعترفوا بأن الحق منه (فان قلت) ما معنى ثم ههنا وهي للتراخي وعدم الارتياب يجب أن يكون مقارنا للايمان لأنه وصف فيما بين صفتي الايمان معنى النفسة والطمأنينة التي حقيقتها التيقن وانتفاء الريب (قلت) الجواب على طريقين أحدهما أن من وجد منه الايمان ربما اعترضه الشيطان أو بعض المضلين بعد تمام الصدر فشككه وقذف في قلبه ما يثلم يقينه أو نظر هو نظرا غير سديد يسقط به على الشك ثم يستمر على ذلك راكبا رأسه لا يطلب له مخرجا فوصف المؤمنون حقا بانهم عند هذه الموبقات ونظيره قوله ثم استقاموا والثاني أن الايقان وزوال الريب لما كان ملاك الايمان أفرد بالذكر بعد تقدم الايمان تنبيها على مكانه وعطف على الايمان بكلمة التراخي اشعارا باستقراره في الأزمنة المتراخية المتطاولة فصاحبه جدير لا يجاهدوا (ويجوز أن يكون المجاهد منويا وهو العدو الضارب أو الشيطان أو الهوى وأن يكون جاهد مسايفة في جيد ويجوز أن يراد بالمجاهدة بالنفس الغزو وأن يتناول العبادات بأجمعها والمجاهدة بالمال نحو ما صنع عثمان رضي الله عنه في جيش العسرة وأن يتناول الزكوات وكل ما يتعلق بالمال من أعمال البر التي يحامل فيها الرجل على ماله لوجه الله تعالى (أولئك هم الصادقون) الذين صدقوا في قولهم آمنا ولم يكذبوا كما كذب أعراب بني أسد وأهل الذين ايمانهم ايمان صدق وايمان حق وجد وثبات * يقال ما علمت بتدومك أي ما شعرت به ولا أحطت به ومنه قوله تعالى (أتعلمون الله بدينكم) وفيه تهييج لهم * يقال من عليه يمن أسداها اليه كقولك انعم عليه وأفضل عليه والمنة النعمة التي لا يستتبع

والما كان مؤدى هذا تكذيب الله تعالى لهم في شهادتهم برسالة النبي صلى الله عليه وسلم قدم على ذلك مقدمة تلخص المقصود وتخلصه من حوادث الوهم ونوائبه فقال بين

تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيأ ان الله غفور رحيم انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون قل أتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما في السموات وما في الأرض والله بكل شيء عليم يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان ان كنتم صادقين ان الله يعلم غيب السموات والأرض والله بصير بما تعملون

الكلام من الله تعالى لمك لرسوله ثم قال بعد ذلك والله يشهد ان المنافقين لكاذبون

فتخلص من ذلك أنهم كذبوا فيما ادعوه من شهادة قلوبهم بالحق لان ذلك حقيقة الشهادة لا أنهم كذبوا في أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رسول من الله وكان الخلاص من ذلك قوله جل وعلا والله يعلم انك لرسوله

مسدهم امن يرثها اليهم واشتقاقها من اللن الذى هو القطع لانه اغا يسدها اليه ليقطع بها حاجته لا غير من غير أن يعمد لطلب مثوبة ثم يقال من عليه صنعه اذا عتده عليه منة وانعاما وسياتى هذه الآية فيه لطف ورشاقة وذلك أن الكلام من الاعاريب قد سماه الله اسلاما ونفى أن يكون كما زعموا اعتاقا فيا منوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان منهم قال الله سبحانه وتعالى لرسوله عليه السلام ان هؤلاء يعتدون عليك بما ليس جديرا بالاعتداد به من حدهم الذى حق تسميته أن يقال له اسلام فقل لهم لا تعتدوا على اسلامكم أى حدثكم المسمى اسلاما عندى لا اعيانا * ثم قال بل الله يمن عليكم أن أسلمكم بتوفيقه حيث هداكم للايمان على ما زعمتم وادعيتم أنكم أرشدتم اليه ووفقتم له ان صح زعمكم وصدقت دعواكم الا أنكم تزعمون وتدعون ما لله عليه بخلافه وفى اضافة الاسلام اليهم وايراد الايمان غير مضاف ما لا يخفى على المتأمل وجواب الشرط محذوف دل لالة ما قبله عليه تقديره ان كنتم صادقين فى ادعائكم الايمان فلله المنة عليكم * وقرئ ان هداكم بكسر الهمزة وفى قراءة ابن مسعود رضى الله عنه اذ هداكم * وقرئ تعلون بالتاء والياء وهذا بيان لكونهم غير صادقين فى دعواهم يعنى أنه عز وجل يعلم كل مستتر فى العالم و يبصر كل عمل تعملونه فى سركم وعلانيتكم لا يخفى عليه منه شئ فكيف يخفى عليه ما فى ضمائركم ولا يظهر على صدقكم وكذبكم وذلك أن حاله مع كل معلوم واحدة لا تختلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجرات أعطى من الاجر بعدد من أطاع الله وعصاه

﴿سورة ق مكية وهى خمس وأربعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* الكلام فى (ق والقرآن المجيد بل عجبوا) نحوه فى ص والقرآن ذى الذكر بل الذين كفروا فى عزة وشقاق لا لتقائهما فى أسلوب واحد وهو القسم بالمجيد والشرف على غيره من الكتب ومن أحاط علما بمعانيه وعمل بما فيه مجد عند الله وعند الناس وهو سبب من الله مجيد بجاز اتصافه بصفته * قوله بل عجبوا (أن جاءهم منذر منهم) انكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو أن ينذرهم بالمخوف رجل منهم قد عرفوا سلامته فيهم وعدالته وأمانته ومن كان على صفته لم يكن الا ناصحا لقومه معترفا عليهم بما فيه أن يتالمهم سوء يحل بهم مكروه واذا علم أن حزنا أظلهم لزمه أن ينذرهم و يحذرهم فكيف بما هو نهاية المخاوف ونهاية المحاذير والانكار لتعجبهم مما أنذرهم به من البعث مع علمهم بقدرة الله تعالى على خلق السموات والارض وما بينهما وعلى اختراع كل شئ وابداعه واقرارهم النشأة الاولى ومع شهادة العقل بأنه لا بد من الجزاء * ثم عول على أحد الانكارين بقوله تعالى (فقال الكافرون هذا شئ عجيب أئذا متنا) دلالة على أن تعجبهم من البعث أدخل فى الاستبعاد وأحق بالانكار ووضع الكافرون موضع الضمير للشهادة على أنهم فى قولهم هذا متمادون على الكفر العظيم وهذا اشارة الى الرجع واذا منصوب بمضمر معناه أحين نموت ونبلى نرجع (ذلك رجع بعيد) مستبعد مستنكر كقولك هذا قول بعيد وقد أبعد فلان فى قوله ومعناه بعيد من أوهامهم والعادة ويجوز أن يكون الرجع بمعنى المرجوع وهو الجواب و يكون من كلام الله تعالى استبعاد الانكار هم ما أنذروا به من البعث والوقف قبله على هذا التفسير حسن وقرئ اذا متنا على لفظ الخبر ومعناه اذا متنا بعدنا أن نرجع والدال عليه ذلك رجع بعيد (قد علمنا) ردلاستبعادهم الرجع لان من لطف علمه حتى تغلغل الى ما تنقص الارض من أجساد الموتى وتأكله من لحومهم وعظامهم كان قادرا على رجعهم أحياء كما كانوا من النبى صلى الله عليه وسلم كل ابن آدم يبلى الا عجب الذنب ومن السدى (ما تنقص الارض منهم) ما يموت فيدفن فى الارض منهم (كتاب حفيظ) محفوظ من الشياطين ومن التغير وهو اللوح المحفوظ أو حافظ لما أودعه وكتب فيه (بل كذبوا) اضراب أتبع الاضراب الاول للدلالة على أنهم جاؤا بما هو أقطع من تعجبهم وهو التكذيب

﴿سورة ق مكية وهى خمس وأربعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

ق والقرآن المجيد بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شئ عجيب أئذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد قد علمنا ما تنقص الارض منهم وعندنا كتاب حفيظ بل كذبوا بالحق لما جاءهم

﴿القول فى سورة ق﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) *قوله تعالى أفعيينا بالخلق الاول بل هم فى لبس من خلق جديد (وقع فى النسخة ما أحكمه وصورته فان قلت لم ذكر الخلق الجديد الخ) قال أحمد هذا كلام كما تراه غير منتظم والظاهر انه لفساد فى النسخة والذى يتحرر فى الآية وهو مقتضى تفسير (٤٠٢) الزمخشرى ان فيها أسئلة ثلاثة لم عرف الخلق الاول ونكر اللبس والخلق الجديد فاعلم ان

بالخلق الذى هو النبوة الثابتة بالمعجزات فى أول وهلة من غير تفكر ولا تدبر (فهم فى أمر مريج) مضطرب يقال مرج الخاتم فى أصبعه ومرج فيقولون تارة شاعر وتارة ساحر وتارة كاهن لا يثبتون على شئ واحد * وقرئ لما جاءهم بكسر اللام وما المصدرية واللام هى التى فى قولهم لخمس خلون أى عند مجيئه اياهم وقيل الحق القرآن وقيل الاخبار بالبعث (أفلم ينظروا) حين كفروا بالبعث الى آثار قدرة الله فى خلق العالم (بنيناها) رفعناها بغير عمد (من فروج) من فتوق يعنى أنها ملساء سليمة من العيوب لا فتق فيها ولا صدع ولا خلل كقوله تعالى هل ترى من فطور (مددناها) دحوناها (رواسى) جبالا ثوابت لولاها لتكفأت (من كل زوج) من كل صنف (بهيج) يبتهج به لحسنه (تبصرة وذكرى) لتبصر به وتذكر كل (عبد منيب) راجع الى ربه متفكر فى بدائع خلقه * وقرئ تبصرة وذكرى بالرفع أى خلقها تبصرة (ماء مباركا) كثير المنافع (وحب الحصيد) وحب الزرع الذى من شأنه أن يحصد وهو ما يقتات به من نحو الحنطة والشعير وغيرهما (باسقات) طوالا فى السماء وفى قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم باصقات بابدال السين صادا لاجل القاف (نضيد) منضود بعضه فوق بعض اما أن يراد كثرة الطلع وتراكمه أو كثرة ما فيه من الثمر (رزقا) على أى أنبتناها رزقا لان الانبات فى معنى الرزق أو على أنه مفعول له أى أنبتناها للرزق لهم (كذلك الخروج) كاحيائه هذه البلدة الميتة كذلك تخرجون أحياء بعد موتكم والكاف فى محل الرفع على الابتداء * أراد بمن قبلهم قومه كقوله تعالى من قبلهم قوم نوح والمطوف عليه قوم نوح والمطوفات جماعات (كل) يجوز أن يراد به كل واحد منهم وأن يراد جميعهم الا أن وحد الضمير الراجع اليه على اللفظ دون المعنى (فحق وعيد) فوجب وحل وعيدى وهو كلمة العذاب وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم * عى بالامر اذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة للانكار والمعنى انا لم نعجز كما قالوا عن الخلق الاول حتى نعجز عن الثانى ثم قال هم لا ينكرون قدرتنا على الخلق الاول واعترافهم بذلك فى طيه الاعتراف بالقدرة على الاعادة (بل هم فى لبس) أى فى خلط وشبهة فدا لبس عليهم الشيطان وحيرهم ومنه قول على رضى الله عنه يا حارلبسوا عليك لتعرف الحق تعرف أهله وليس الشيطان عليهم بسبيله اللهم أن أحياء الموتى أمر خارج عن العادة فتركوا بذلك القياس الصحيح أن من قدر على الانشاء كان على الاعادة أقدر (فان قلت) لم نكر الخلق الجديد وهلا عرف كما عرف الخلق الاول (قلت) قصد فى تنكيره الى خلق جديد له شأن عظيم ومال شديد حق من سمع به ان يهتم به ويخاف ويبحث عنه ولا يتعمه على لبس فى مثله * الوسوسة الصوت الخفى ومنه وسواس الحلى ووسوسة النفس ما يخطر ببال الانسان ويتوهس فى ضميره من حديث النفس * والباء متعلقة فى قولك صوت بكذا وهمس به يجوز أن تكون للتعدية والضمير للانسان أى ما تحدثه موسوسا به نفسه لانهم يقولون حدث نفسه بكذا كما يقولون حدثته به نفسه قال وأكذب النفس اذا حدثتها (ونحن أقرب اليه) تجاز والمراد قرب علمه منه وأنه يتعلق بمعلومه منه ومن أحواله تعلقا لا يخفى عليه شئ من حيثياته فكان ذاته قريبة منه كما يقال الله فى كل مكان وقد جل عن الامكنة * وحبل الوريد متصل فى فرط القرب كقولهم هو منى مقعد القابلة ومعقد الازار قال ذو الرمة والموت أدنى لى من الوريد وأما مثل العرق شبه بواحد الحبال ألا ترى الى قوله كأن وريديه رشا آخلب والوريدان عرقان مكتنفان لصفحتى العنق فى مقدمهما متصلان بالوتين يردان من الرأس اليه وقيل سمى وريدا لان الروح ترده (فان قلت) ما وجه اضافة الحبل الى الوريد والشئ لا يضاف الى نفسه (قلت) فيه وجهان أحدهما أن تكون الاضافة للبيان كقولهم بعير سانية والثانى أن يراد حبل العاتق فيضاف الى

التعريف لا غرض منه الا تفهم ما قصد تعريفه وتعظيمه ومنه تعريف

فهم فى أمر مريج أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج والارض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون وإخوان لوط وأصحاب الايكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد أفعيينا بالخلق الاول بل هم فى لبس من خلق جديد ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد

الذكور فى قوله وحبب أن يشاء الذكور ولهذا المقصد عرف الخلق

الاول لان الغرض جعله دليلا على امكان الخلق الثانى بطريق الاولى أى اذا لم يعى تعالى بالخلق الاول على عظمته فالخلق الآخر أولى أن لا يعيا به فهذا سر تعريف الخلق الاول وأما التنكير فأمر منتظم غير ما قصد به تفخيم المنكر من حيث ما فيه من الابهام كأنه أعظم من أن يحاط به معرفة ومرة يقصد به التقليل من المنكر والوضع منه وعلى الاول سلام قولا من رب رحيم وقولهم مغفرة

الوريد

الوريد كما يضاف الى العاتق لاجتماعهما في عضو واحد كما قيل حمل العلباء مثلا (اذ) منصوب باقرب وساغ ذلك لان المعاني تعمل في الظرف متقدمة ومتأخرة والمعنى أنه لطيف يتوسل علمه الى خطرات النفس وما لا شئ أخفى منه وهو أقرب من الانسان من كل قريب حتى يتاتى الحفيظان ما يتلفظ به ايذانا بان استحفاظ الملكين أمر هو غنى عنه وكيف لا يستغنى عنه وهو مطلع على أخفى الخفيات واغا ذلك لحكمة اقتضت ذلك وهي ما في كتبة الملكين وحفظهما وعرض صحائف العمل يوم يقوم الاشهاد وعلم العبد بذلك مع علمه باحاطة الله به وعلمه من زيادة لطفه له في الانتهاء عن السيئات والرغبة في الحسنات وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان متعه ملكيك على شمالك قلمها وريقك مدادهما وأنت تجري فيما لا يعنيك لا تستحي من الله تعالى ولا منهما ويجوز أن يكون تاني الملكين بانا للقرب يعني ونحن قريبون منه مطلعون على أحواله مهتمون عليه اذ حفظتنا وكتبتنا هو كالمرئي به والتلقي التلقن بالحفظ والكتبة * والقعيد المقاعد كالجليس بمعنى المجالس وتقديره عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد من المتلقيين فترك أحدهما للدلالة الثاني عليه كقوله كنت منه ووالدي بريا (رقيب) ملك يرقب عمله (عتيد) حاضر واختلف فيما يكتب الملكان فقيل يكتبان كل شئ حتى أنينه في مرضه وقيل لا يكتبان الا ما يؤجر عليه أو يؤزر به ويدل عليه قوله عليه السلام كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات على يسار الرجل وكاتب الحسنات أمين على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها الملك اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح أو يستغفر وقيل ان الملائكة يجتمعون الاثنين عند غائطه وعند جماعه * وقرئ ما يلفظ على البناء للمفعول لما ذكرنا من انكارهم البعث واحتج عليهم بوصف قدرته وعلمه أعلهم أن ما أنكروه وتعجبوه هم لا قوه عن قريب عند موتهم وعند قيام الساعة ونبه على اقتراب ذلك بأن عبر عنه بلفظ الماضي وهو قوله (وجاءت سكرة الموت بالحق) وتجيء في الصور وسكرة الموت شدته الذاهبة بالعقل والباء في بالحق للتعدية يعني وأحضرت سكرة الموت حقيقة الامر الذي أنطق الله به كتبه وبعث به رسله أو حقيقة أمر وحلية المآل عن سعادة الميت وشقاوته وقيل الحق الذي خلق له الانسان من أن كل نفس ذائقة الموت ويجوز أن تكون الباء صلة لما في قوله تبت بالدهن أي وجاءت ملتبسة بالحق أي بحقيقة الامر أو بالحكمة والغرض الصحيح كقوله تعالى خلق السموات والارض بالحق وقرأ أبو بكر وابن مسعود رضي الله عنهما سكرة الحق بالموت على اضافة السكرة الى الحق والدلالة على أن السكرة التي كتبت على الانسان وأوجبت له وأعم حكمة والباء للتعدية لانها بسبب زهوق الروح لشدتها الولان الموت بعرض فكأنها جاءت به ويجوز أن يكون المعنى جاءت ومعها الموت وقيل سكرة الحق سكرة الله أضيفت اليه تنطيقا للشأم او توبيخا وقرئ سكرات الموت (ذلك) اشارة الى الموت والخطاب للانسان في قوله ولقد خلقنا الانسان على طريق الالتفات أو الى الحق والخطاب للفاجر (تحيد) تنفر وتهرب وعن بعضهم أنه سأل زيدين أسلم عن ذلك فقال الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم لحكاية الصالحين كيسان فقال والله ما سمع عالمة ولا لسان فصيح ولا معرفة بكلام العرب هو الكافر حكاها للمعنيين عن عبد الله بن عباس فقال أخاطبه ما بيا هو للبر والفاجر (ذلك يوم الوعيد) على تقدير حذف المضاف أي وقت ذلك يوم الوعيد والاشارة الى مصدر تحيد (سائق وشهيد) ملكان أحدهما يسوقه الى المحشر والآخر يشهد عليه بعمله أو ملك واحد يجمع بين الامرين كانه قيل معها ملك يسوقها ويشهد عليها ويجعل معها سائق النصب على الحال من كل لتعرفه بالاضافة الى ما عرف في حكم المعرفة * قرئ لقد كنت عن غطائك فبصرك بالكسر على خطاب النفس أي يقال لها لقد كنت * جعلت الغفلة كانها غطاء غطى به حسه كله أو غشاوة غطى بها عينيه فهو لا يبصر شيأ فاذا كان يوم القيامة تيقظ وزالت الغفلة عنه وغط وهو أن يبصر ما لا يبصره من الحق * ورجع بصره الكليل عن الابصار لغفلته حديدا لتيقظه (وقال قرينه) هو الشيطان الذي قيض له في قوله نقيض له شيطانا فهو له قرين يشهد له قوله تعالى قال قرينه ربنا ما أطغيته (هذا ما لدي عتيد) هذا شئ لدي وفي ملكتي عتيد لجهنم والمعنى أن ملكا يسوقه وآخر يشهد عليه وشيطانا قد قرن به يقول قد أعتدته لجهنم وهيأته لها بأغوائي واضلالي (فان قلت) كيف

اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد وقال قرينه هذا ما لدي عتيد

وأجر عظيم وان المتقين في جنات ونعيم وقوله بايمان ألحقنا بهم ذرياتهم وهو أكثر من أن يحصى والثاني هو الاصل في التنكير فلا يحتاج الى تعليله فتنكير اليأس من التعظيم والتفخيم كانه قال في نفس أي يأس وتنكير الخلق الجديد للتهاويل منه والتهوين لامره بالنسبة الى الخلق الاول ويحتمل أن يكون للتفخيم كانه أمر أعظم من أن يرضى الانسان بكونه ملتبسا عليه

مع أنه أول ما تبصر فيه تحته ولعل إشارة الزمخشري إلى هذا والله أعلم فهذا كما تراه كلام مناسب لاستطراف أسئلة وأجوبة فإن يكن هو ما أراده الزمخشري فذاك والا فالعلق العسل ولا تسل * قوله تعالى قال قرينه ربنا ما أطغيته (قال فيه) ان قلت لما طرحت الواو من هذه الجملة وذكرت في الاولى وأجاب بأنها استؤنفت كما استؤنفت الجمل الواقعة في حكاية التقاول كما رأيت في حكاية المقاولة بين موسى وفرعون (قال) فان قلت أين المقاولة قلت لما قال قرينه هذا ما لدي عتيد وتبعه قوله قال قرينه ربنا ما أطغيته وتلاه لا تختصموا علم أن ثم مقاولة من الكافر لكنها طرحت (٤٠٤) للدلالة عليها من السياق كانه لما قال القرين هذا ما لدي عتيد قال الكافر رب هو أطغاني

فلما قال الكافر ذلك قال القرين ما أطغيته فلما حكى قول القرين والكافر كان قائلا يقول فماذا قال الله تعالى فقيل قال لا تختصموا أي لا تختصموا في دار الجزاء وذكر الواوفي

اعراب هذا الكلام (قلت) ان جعلت ما موصوفة فمعتد صفة لها وان جعلتها موصولة فهو بدل أو خبر بعد خبر أو خبر مبتدا محذوف (ألقيا) خطاب من الله تعالى للسائقين السابقين السائق والشهيد ويجوز أن يكون خطابا للواحد على وجهين أحدهما قول البردان تثنية الفاعل نزلت منزلة تثنية الفعل لاتحادهما كانه قيل ألق ألق للتأكيد والثاني أن العرب أكثر ما يراقب الرجل منهم اثنان فكثر على ألسنتهم أن يقولوا خليلي وصاحبي وعمارا سعدا حتى خاطبوا الواحد خطاب الاثنين من الحجاج أنه كان يقول يا حرسي اضربا عنقه وقرا الحسن ألقين بالنون الخفيفة ويجوز أن تكون الالف في القيا بدلا من النون اجراء للوصل مجرى الوقف (عنيد) معاند مجانب للحق معاد لاهله (مناع للخير) كثير المنع للمال عن حقوقه جعل ذلك عادة له لا يبذل منه شيأ قط أو مناع لجنس الخير أن يصل الى أهله يحول بينهم وبينهم قيل نزلت في الوليد بن المغيرة كان ينهى بني أخيه من الاسلام وكان يقول من دخل منكم فيه لم أنفعه بخير ما عشت (معتد) ظالم متخط للحق مريب شاك في الله وفي دينه (الذي جعل) مبتدا متضمن معنى الشرط ولذلك أجيب بالفاء ويجوز أن يكون الذي جعل منصوبا بدلا من كل كفار ويكون (فألقياه) تكريرا للتوكيد (فان قلت) لم أخليت هذه الجملة من الواو وأدخلت على الاولى (قلت) لانها استؤنفت كما استؤنفت الجمل الواقعة في حكاية التقاول كما رأيت في حكاية المقاولة بين موسى وفرعون (فان قلت) فأين التقاول ههنا (قلت) لما قال قرينه هذا ما لدي عتيد وتبعه قوله قال قرينه ربنا ما أطغيته وتلاه لا تختصموا علم أن ثم مقاولة من الكافر لكنها طرحت لما دل عليها كانه قال رب هو أطغاني فقال قرينه ربنا ما أطغيته وأما الجملة الاولى فواجب عطفها للدلالة على الجمع بين معناها ومعنى ما قبلها في الحصول أعني مجيء كل نفس مع الملكين وقول قرينه ما قال له (ما أطغيته) ما حملته طاغيا وما أوقعته في الطغيان * ولكنه طغى واختار الضلالة على الهدى كقوله تعالى وما كان لي عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لي (قال لا تختصموا) استئناف مثل قوله قال قرينه كان قائلا قال فاذا قال الله فقيل قال لا تختصموا والمعنى لا تختصموا في دار الجزاء بعد وقوف الحساب فلا فائدة في اختصامكم ولا طائل تحته وقد أوعدتكم به على الطغيان في كتبي وعلى ألسنة رسلي فما تركت لكم حجة على * ثم قال لا تظنوا أني أبدل قولي ووعيدي فأعفيكم مما أوعدتكم به (وما أنا بظلام للعبيد) فأعذب من ليس بمستوجب للعذاب * والباء في بالوعيد مزيدة مثلها في ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة أو معدية على أن تقدم مطاوع عني تقدم ويجوز أن يقع الفعل على جملة قوله ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد ويكون بالوعيد حالا أي قدمت اليكم هذا ملتبسا بالوعيد مقترنا به أو قدمته اليكم موعدا اليكم به (فان قلت) ان قوله وقد قدمت اليكم واقع موقع الحال من لا تختصموا أو التقديم بالوعيد في الدنيا والخصومة في الآخرة واجتماعهما في زمان واحد واجب (قلت) معناه لا تختصموا أو قد صح عندكم أني قدمت اليكم بالوعيد وصحة ذلك عندهم في الآخرة فاعتبر زمان العلم والعامل في صاحبه * قوله وما أنا بظلام للعبيد (قال فيه ان قلت كيف جاء على لغة من لا يقول ظلام على لفظ المبالغة (قلت) فيه وجهان أ

الجملة الاولى لانها الاولى المقاولة ولا بد من عطفها للدلالة على الجمع بين معناها ومعنى ما قبلها في الحصول أعني مجيء كل نفس مع الملكين وهذه المقاولة الى آخرها (قال) وقوله أحدهما قد قدمت اليكم بالوعيد حال مما اشتمل عليه قوله لا تختصموا مع ذلك مع أن التقديم في الدنيا والخصومة في الآخرة لان المراد وقد صح عندكم أني قدمت وصحة ذلك عندهم في الآخرة فاعتبر زمان العلم والعامل في صاحبه * قوله وما أنا بظلام للعبيد (قال فيه ان قلت كيف جاء على لغة من لا يقول ظلام على لفظ المبالغة (قلت) فيه وجهان أحدهما أن فعالا قد ورد بمعنى فاعل فهذا منه والثاني أن المنسوب في الاستناد الى الملوك من الظلم تحت ظلهم ان عظما فعظيم وان قليلا فقليل فلما كان ملك الله تعالى على كل شيء ملكه قد سمى ذاته عما يتوهم مخذول والعياذ بالله أنه منسوب اليه من ظلم تحت شمول كل موجود ولقد بدل القدرية فتوهموا أن الله تعالى لم يأمر الا بما أراده وعما هو من خلق العبد ينهاه على أنه لو كلف على خلاف ما أراد وعما ليس من خلق العبد لكان تكليفا بما لا يطاق واعتقدوا أن ذلك ظلم في

الشاهد فلو ثبت في الغائب لكان كذلك وفي الشاهد ظلما والله تعالى مبرأ من الظلم ألا ترى هذا المعتقد كيف لزمهم عليه ان يكون الله تعالى ظلاما لعبيده تعالى الله عن ذلك لان الحق الذي قامت بحجته البراهين هو عين ما اعتقدوه ظلما فتفوه فلله درهم ووردت هذه الآية وأشباهها التي للناس ما تؤل اليهم ولئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل والله الموفق للصواب * قوله تعالى يوم تقول جهنم هل امتلأت الآية (قال فيه سؤال جهنم وجوابها من باب التخييل الذي يقصد به تصوير المعنى الخ) قال أحمد قد تقدم انكاري عليه اطلاق التخييل في غير ما موضع والنكير هنا أشد عليه فان اطلاق التخييل قد مضى له في مثل قوله والارض جميعا قبضته يوم القيامة وفي مثل قوله بل يداه مبسوطتان وانما أراد به حمل الايدي على نوع من انواع المعنى كلامه صحيح لانا نعتقد فيهما انجاز وندين الله بتقديسه عن الفهوم الحسية فلا بأس عليه في معنى الطلاقه غير انا نخاطبون باجتناب الالفاظ الموهمة في حق جلال الله تعالى

أحدهما أن يكون من قولك هو ظالم لعبيده وظلام لعبيده والثاني أن يراد لو عذبت من لا يستحق العذاب لكنت ظلاما مفرط الظلم فنفى ذلك * قرئ نقول بالنون والياء وعن سعيد بن جبير يوم يقول الله لهم وعن ابن مسعود والحسن يقال * وانتصاب اليوم بظلام أو بمضمر تقديره اذكر وأنذر ويجوز أن ينتصب بمنتقم كأنه قيل وننتقم في الصور يوم نقول لجهنم وعلى هذا اشارة بذلك الى يوم نقول ولا يقدر حذف المضاف * وسؤال جهنم وجوابها من باب التخييل الذي يقصد به تصوير المعنى في القلب وتثبيته وفيه معنيان أحدهما أنها تمتلئ مع اتساعها وتباعد أطرافها حتى لا يسعها شيء ولا يزاد على امتلائها فقوله تعالى لاملأن جهنم والثاني انها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها موضع للمزيد ويجوز أن يكون هل من مزيد استكثارا للداخلين فيها واستبدادا بالزيادة عليهم لفرط كثرتهم أو طلبا للزيادة غيظا على العصاة والمزيد اما مصدر كالمحيد والميعاد واما اسم مفعول كالنبيع (غير بعيد) نصب على الظرف أي مكانا غير بعيد أو على الحال وتذكير لانه على زنة المصدر كالنذير والصليل والصادر يستوي في الوصف بها المذكر والمؤنث أو على حذف الموصوف أي شيئا غير بعيد ومعناه التوكيد كما تقول هو قريب غير بعيد وعزير غير ذليل * وقرئ توعدون بالتاء والياء وهي جملة اعتراضية و(لكل أواب) بدل من قوله للمتقين بتكرير الجار كقوله تعالى للذين استضعفوا لمن آمن منهم * وهذه اشارة الى الثواب أوالى مصدر أزلفت * والاواب الرجاع الى ذكر الله تعالى والحفيظ الحافظ لحدوده تعالى و(من خشي) بدل ممن تبع لكل ويجوز أن يكون بدلا من موصوف أواب وحفيظ ولا يجوز أن يكون في حكم أواب وحفيظ لان من لا يوصف به ولا يوصف من يعبر الموصولات الا بالذي وحده ويجوز أن يكون مبتدأ خبره يقال لهم ادخلوها بسلام لان من في معنى الجمع ويجوز أن يكون منادى كقولهم من لا يزال محسنا أحسن الي وحذف حرف النداء للتقريب (بالغيب) حال من المفعول أي خشيه وهو غائب لم يرمرفوعا بما قبله بطريق الاستدلال أو صفة لمصدر خشي أي خشيه خشية ملتبسة بالغيب حيث خشي عقابه وهو غائب أو خشيه بسبب الغيب الذي أوعده به من عذابه وقيل في الخلوة حيث لا يراه أحد (فان قلت) كيف قرن بالخشية اسم الدال على سعة الرحمة (قلت) للثناء البليغ على الخائفين وهو خشيته مع علمه أنه الواسع الرحمة كما أثنى عليه بأنه خاش مع أن الخشي منه غائب ونحوه والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة فوصفهم بالوجل مع كثرة الطاعات * ووصف القلب بالانابة وهي الرجوع الى الله تعالى لان الاعتبار عائبة منها في القلب * يقال لهم (ادخلوها بسلام) أي سالمين من العذاب وزوال النعم أو مسلما عليكم يسلم عليكم الله وملائكته (ذلك يوم الخلود) أي يوم تقدير الخلود كقوله تعالى فادخلوها خالدين أي مقدرين الخلود (ولدينا مزيد) هو ما لم يخطر ببالهم ولم تبلغه أمانيهم حتى يشاؤه

ويخلق فيها الادراك بذلك بشرطه وكيفما فرض وقد وردت الاخبار وتظاهرت على ذلك منها هذا ومنها لجاج الجنة والنار ومنها اشتكاؤها الى ربها فان لها في نفسين وهذه وان لم تكن نصوصا فظواهر يجب حملها على حقائقها الا أن تعتمدون باعتقاد انتفاء ظواهرها لمانع منع مانع ولا مانع ههنا فان القدرة صالحة والعقل يجوز والظواهر قاضية بوقوع ما صوره العقل وقد وقع مثل هذا قطعا في الدنيا كتسليم الشجر والحصا على كف النبي صلى الله عليه وسلم وفي يد أصحابه ولو فتحت الجاز والعدول عن الظاهر في تفاصيل المقالة لاتسع الطرف وضل كثير من الخلق عن الحق وليس هذا كالظواهر الواردة في الالهيات مما لم يجوز العقل اعتقاد ظاهرها فان العدول فيها عن ظاهر الكلام بضرورة الانقياد الى أدلة العقل المرشدة الى المعتقد الحق فاشدد يديك بما فصل في هذا الفصل مما أرشدناك اليه الى منهج

وان كانت معانيها صحيحة وأي ايهام أشد من ايهام لفظ التخييل الآتي كيف استعمله الله فيما أخبر به عن باطل في قوله يحمل اليه من سحرهم أنها تسعى فلا يشك في وجوب اجتنابه ثم يعود بنا الكلام الى اطلاقه ههنا فتقول هو منكر لفظا ومعنى

غير بعيد هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشا

أما اللفظ فقد تقدم واما المعنى فلانا نعتقد ان مؤثل جهنم وجوابها حقيقة وان الله تعالى

وقيل ان السحاب تمر باهل الجنة فتطرهم الحور فتقول نحن المزيد الذى قال الله عز وجل ولدينا مزيد (فنقبوا) وقرئ بالتخفيف فخرقوا فى البلاد ودخلوا والتنقيب التنقير عن الامور والبحث والطلب قال الحرث ابن حلزة

نقبوا فى البلاد من حذر المو * ت وجالوا فى الارض كل مجال

ودخلت الفاء للتسبيب عن قوله هم أشد منهم بطشا أى شدة بطشهم أبطرتهم وأقدرتهم على التنقيب وقوتهم عليه ويجوز ان يراد فنقب أهل مكة فى اسفارهم ومسايرهم فى بلاد القرون فهل رأوا لهم محيصا حتى يؤمنوا مثله لانفسهم والدليل على صحته قراءة من قرأ فنقبوا على الامر كقوله تعالى فسيحوا فى الارض وقرئ بكسر القاف مخففة من النقب وهو أن ينتقب خف البعير قال ماسمها من نقب ولا دبر والمعنى فنقبت أخفاف ابلهم أو حفيت أقدامهم ونقبت كما تنقب أخفاف الابل لكثرة طوفهم فى البلاد (هل من محيص) من الله أو من الموت (ان كان له قلب) أى قلب واع لان من لا يعى قلبه فكأنه لا قلب له * والقاء السمع الاصغاء (وهو شهيد) أى حاضر بفطنته لان من لا يحضر ذهنه فكأنه غائب وقد مر الامام عبد القاهر فى قوله لبعض من يأخذ عنه

ماشئت من زهر هوالتقى * بعضك لا باذ لسق الزروع

أو وهو مؤمن شاهد على حقيته وأنه وحى من الله أو وهو بعض الشهداء على قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس وعن قتادة وهو شاهد على صدقه من أهل الكتاب لوجود نعته عنده وقرأ السدى وجماعة ألقى السمع على البناء للمفعول ومعناه لمن ألفى غيره السمع وقع له أذنه فحسب ولم يحضر ذهنه وهو حاضر الذهن متفطن وقيل ألقى سمعه أو اسمع منه * اللغوب الاعياء وقرئ بالفتح بزنة القبول والولوع قيل نزلت فى اليهود لما زعموا ان الله خلق السموات والارض فى ستة أيام أولها الاحد وآخرها الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش وقالوا ان الذى وقع من التشبيه فى هذه الامة اما وقع من اليهود ومنهم أخذ (فاصبر على مايقولون) أى اليهود يأتون بهذين الكفر والتشبيه وقيل فاصبر على مايقول المشركون من انكارهم البعث فان من قدر على خلق العالم قدر على بعثهم والانتقام منهم وقيل هى منسوخة بآية السيف وقيل الصبر مأمور به فى كل حال (بحمد ربك) حامدا ربك والتسبيح تحمل على ظاهره أو على الصلاة فالصلاة (قبل طلوع الشمس) الفجر (وقبل الغروب) الظهر والعصر (ومن الليل) العشآن وقيل التهجد (وأدبار السجود) التسبيح فى آثار الصلوات والسجود الركوع يعبر بهما عن الصلاة وقيل النوافل بعد المكتوبات وعن على رضى الله عنه الركعتان بعد المغرب وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم من صلى بعد المغرب قبل أن يتكلم كتبت صلاته فى عليين وعن ابن عباس رضى الله عنهما الوتر بعد العشاء والادبار جمع دبر وقرئ وإدبار من أدبرت الصلاة اذا انقضت وقت ومعناه ووقت انقضاء السجود كقولهم آتيك خفوق النجم (واستمع) يعنى واستمع لما أخبرك به من حال يوم القيامة وفى ذلك تهويل وتعظيم لشأن المخبر به والحث عنه كما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال سبعة أيام لمعاذ بن جبل يا معاذ اسمع ما أقول لك ثم حدثه بعد ذلك (فان قلت) بم انتصب اليوم (قلت) بما دل عليه ذلك يوم الخروج أى يوم ينادى المنادى يخرجون من القبور * ويوم يسمعون بدل من (يوم ينادى) و (المنادى) اسرافيل ينفخ فى الصور وينادى أيتها العظام البالية والاوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يأمرك ان تجتمعن لفصل القضاء وقيل اسرافيل ينفخ وجبريل ينادى بالحشر (من مكان قريب) من صخرة بيت المقدس وهى أقرب الارض من السماء اثنى عشر ميلا وهى وسط الارض وقيل من تحت أقدامهم وقيل من منابت شعورهم يسمع من كل شعرة أيتها العظام البالية و (الصيحة) النفخة الثانية (بالحق) متعلق بالصيحة والمراد به البعث والحشر للجزاء * قرئ تشقق وتشقق بادغام التاء فى الشين وتشقق على البناء للمفعول وتشقق (سراعا) حال من المجرور (علينا يسير) تقديم الظرف يدل على الاختصاص يعنى لا يتيسر مثل ذلك الامر العظيم الا على القادر الذات الذى لا يشغله شأن عن شأن كما قال تعالى ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة (نحن أعلم بما يقولون) تهديدهم وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم (بجبار) كقوله تعالى

فنقبوا فى البلاد هل من محيص ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا من لغوب فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وأدبار السجود واستمع يوم ينادى المناد من مكان قريب يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج انا نحن نحيى ونميت والينا المصير يوم تشقق الارض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن

القرب والوصل والله الموفق * قوله تعالى من خشى الرحمن بالغيب (قال قيس ان ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد الدال على سعة الرحمة الخ) قال أحمد ومن هذا الوادى بالغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الثناء على صهيب بقوله نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه

عسيط حتى تقسرهم على الايمان اغا أنت داع وباعث وقيل أريد التعلم عنهم وترك الغلظة عليهم ويجوز أن يكون من جبره على الامر بمعنى أجبره عليه أى ما أنت بوال عليهم تجبرهم على الايمان وعلى عترانه فى قولك هو عليهم اذا كان والهم ومالك أمرهم (من يخاف وعيد) كقوله تعالى انما أنت منذر من يخشاها الانه لا ينفع الا فيه دون المصر على الكفر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ق هون الله عليه تارات الموت وسكراته

﴿سورة الذاريات مكية وهى ستون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والذاريات) الرياح لانها تذرو التراب وغيره قال الله تعالى تذروه الرياح وقرئ بادغام التاء فى الذال (فالحاملات وقرا) السحاب لانها تحمل المطر وقرئ وقرا بفتح الواو على تسمية المحمول بالمصدر أو على ايقاعه موقع حملا (فالجاريات يسرا) الفلك ومعنى يسر اجراؤها يسرا أى تسهيله (فالمقسمات أمرا) الملائكة لانها تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرها أو تفعل التقسيم مأمورة بذلك وعن مجاهد تتولى تقسيم أمر العباد جبريل للغلظة وميكائيل للرحمة وملك الموت لقبض الارواح واسرافيل للنفخ وعن على رضى الله عنه أنه قال وهو على المنبر سلونى قبل أن لا تسألونى ولا تسألوا بعدى مثلى فقام ابن الكوا فقال ما الذاريات ذروا قال الرياح قال فالحاملات وقرا قال السحاب يسرا قال الفلك قال فالمقسمات أمرا قال الملائكة وكذا عن ابن عباس وعن الحسن المقسمات السحاب يقسم الله بها أرزاق العباد وقد حملت على الكواكب السبعة ويجوز أن يراد الرياح لانها تنشئ السحاب وتثيره وتصرفه وتجرى فى الجو جريا سهلا وتقسم الامطار بتصريف السحاب (فان قلت) ما معنى الفاء فى التفسيرين (قلت) أما على الاول فمعنى التعقيب فيها أنه تعالى أقسم بالرياح فبالسحاب الذى تسوقه فبالفلك التى تجريها بهبوبها فبالملائكة التى تقسم الارزاق باذن الله من الامطار وتجارات البحر ومنافعه وأما على الثانى فلانها تبتدئ بالهبوب فتثير التراب والحصباء فتحمل السحاب فتجرى فى الجو بأسهل تقسيم المطر (انما توعدون) جواب القسم وما هو صوله أو مصدرية والموعود به البعث ﴿وعد صادق كعيشة راضية﴾ والدين الجزاء هو الواقع الحاصل (الحبك) الطرائق مثل حبك الرمل والماء اذا ضربته الريح وكذلك حبك الشعر آثار تثنيه وتكسره قال زهير

مكلل بأصول النجم تنسجه * ريح خريق لضاحى مائه حبك

والدرع محبوكة لان حلقها مطرائق ويقال ان خلقة السماء كذلك وعن الحسن حبكها اختلاف نجومها والمعنى أنها ترينها كالتى ترين الموشى طرائق الوشى وقيل حبكها اصفاقها واحكامها من قولهم فرس محبوك المعاقم أى محكمها واذا أجاد الحائك الحياكة قالوا ما أحسن حبكه وهو جمع حباك كمثال ومثل أو حبيكة كطريقة وطرق وقرئ الحبك بوزن القفل والحبك بوزن السلك والحبك بوزن الجبل والحبك بوزن كتف والحبك بوزن النهر والحبك بوزن الابل (انكم لفى قول مختلف) قولهم فى الرسول ساحر وشاعر ومجنون وفى القرآن شعر وسحر أساطير الاولين وعن الضحاك قول الكفرة لا يكون مستويا لانهم هو متناقض مختلف وعن قتادة منكم صدق ومكذب ومقر ومنكر (يؤفك عنه) الضمير للقرآن أو للرسول أى يصرف عنه من صرف الصرف الذى لا صرف أشد منه وأعظم كقوله لا يهلك على الله الا هالك وقيل يصرف عنه من صرف فى سابق علم الله أى علم فيما لم يزل أنه مأفوك عن الحق لا يرعوى ويجوز أن يكون الضمير للموعودون أو للدين أقسم بالذاريات على أن وقوع أمر القيامة حق ثم أقسم بالسماء على أنهم فى قول مختلف فى وقوعها منهم شاك ومنهم جاحد ثم قال يؤفك عن الاقرار بأمر القيامة من هو المأفوك ووجه آخر وهو أن يرجع الضمير الى قول مختلف وعن مسئلة فى قوله ينهون عن أكل وعن شرب أى يتناهون فى السمن بسبب الاكل والشرب وحقيقته يصدر تناهيهم فى السمن عنهما وكذلك يصدر افكهم عن القول المختلف وقرأ سعيد بن جبير يؤفك عنه من أفك على البناء

﴿سورة الذاريات مكية وهى ستون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

والذاريات ذروا
فالحاملات وقرا
فالجاريات يسرا
فالمقسمات أمرا
ان ما توعدون لصادق
وان الدين لواقع
والسماء ذات الحبك
انكم لفى قول مختلف
يؤفك عنه من أفك

﴿القول فى سورة الذاريات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى يؤفك عنه من أفك (قال فيه يصرف عنه من صرف الصرف الذى لا صرف أشد منه الخ) قال أحمد انما أفاد هذا النظم المعنى الذى ذكره من قبل انك اذا قلت يصرف عنه من صرف علم السامع ان قولك يصرف عنه يفيق عن قولك من صرف لانه مجرده كالتكرار الاول لو لا ما ستشعر فيه من فائدة أفى جعله تكرارا وتلك الفائدة انك انما خصصت هذا بأنه هو الذى صرف أنهم ان غيره لم يصرف فكأنك قلت لا يثبت الصرف فى الحقيقة الا لهذا وكل صرف دونه فكلا صرف بالنسبة اليه والله تعالى أعلم

للفاعل أي من أفلك الناس عنه وهم قريش وذلك أن الحي كانوا يعتقدون الرجل ذا العقل والرأي ليسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون له احذره فيرجع فيخبرهم وعن زيد بن علي يأفك عنه من أفك أي يصرف الناس عنه من هو سأفلك فيه أي في نفسه وعنه أيضا يأفك عنه من أفك أي يصرف الناس عنه من هو أفاك كذاب وقرئ يؤفن عنه من أفن أي يحرمه من حرم من أفن الضرع اذا نهكه حلبا (قتل الخراصون) دعاء عليهم كقوله تعالى قتل الانسان ما أكفره وأصله الدعاء بالقتل والهلاك ثم جرى مجرى لعن ولعج والخراصون الكذابون المتدرون ما لا يصح وهم أصحاب القول المختلف والادلم اشارة اليهم كانه قيل قتل هؤلاء الخراصون وقرئ قتل الخراصين أي قتل الله (في غمرة) في جهل يغمرهم (ساهون) غافلون عما أمروا به (يسئلون) فيقولون (أيان يوم الدين) أي متى يوم الجزاء وقرئ بكسر الهمزة وهي لغة (فان قلت) كيف وقع أيان ظرفا لليوم وانما تقع الاحيان ظروفا للحدثان (قلت) معناه أيان وقوع يوم الدين (فان قلت) فهم النصب اليوم الواقع في الجواب (قلت) بفعل مضمر دل عليه السؤال أي يقع يوم هم على النار يفتنون ويجوز أن يكون مفتوحا لاضافته الى غير متمكن وهي الجملة (فان قلت) فما تحله مفتوحا (قلت) يجوز أن يكون محله نصبا بالمضمر الذي هو يقع ورفعا على هو يوم هم على النار يفتنون وقرأ ابن أبي عبلة بالرفع (يفتنون) يحرقون ويعذبون ومنه الفتين وهي الحرة لان حجارتها كأنها محرقة (ذوقوا فتنتكم) ذلك نحل المثال أي مقولا لهم هذا القول (هذا) مبتدأ و (الذي) خبره أي هذا العذاب هو الذي (كنتم به تستعجلون) ويجوز أن يكون هذا بدلا من فتنتكم أي ذوقوا هذا العذاب (آخذين ما آتاهم ربهم) قابلين لكل ما أعطاهم راضين به يعني أنه ليس فيما آتاهم الا ما هو متلقى بالقبول مرضي غير مسخوط لان جميعه حسن طيب ومنه قوله تعالى ويأخذ الصدقات أي يتقبلها ويرضاها (محسنين) قد أحسنوا أعمالهم ونفسير احسانهم ما بعده (ما) مزيدة والمعنى كانوا يهجعون في طائفة قليلة من الليل ان جعلت قليلا ظرفا والمعنى أن تجعله صفة للمصدر أي كانوا يهجعون هجوعا قليلا ويجوز أن تكون ما مصدرية أو موصولة على كانوا قليلا من الليل هجوعهم أو ما يهجعون فيه وارتفاعه بقليلا على الفاعلية وفيه مبالغات لفظ الهجوع وهو الغرار من النوم قال

قد حمت البيضة رأسي فما * أطعم نوما غير تهجاع

وقوله قليلا من الليل لان الليل وقت السمات والراحة وزيادة ما المؤكدة لذلك وصفهم بأنهم يحيون الليل متهجدين فاذا أخمر وا تخوفوا ان استغفارهم أسلفوا في ليلهم الجرائم وقوله (هم يستغفرون) فيه أنهم هم المستغفرون الاحقاء بالاستغفار دون المصرين فكأنهم المختصون به لاستدامتهم له واطمئنانهم فيه (فان قلت) هل يجوز أن تكون ما نافية كما قال بعضهم وأن يكون المعنى أنهم لا يهجعون من الليل قليلا ويحيونه كله (قلت) لا لان ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها تقول زيدا لم أضرب ولا تقول زيدا ما ضربت * السائل الذي يستجدي (والمحروم) الذي يحسب غنيا فيحرم الصدقة لتعففه وعن النبي صلى الله عليه وسلم ليس المسكين الذي ترده الاكلة والاكلتان واللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان قالوا فما هو قال الذي لا يجد ولا يتصدق عليه وقيل الذي لا يفطن له فيتصدق عليه وقيل المحارف الذي لا يكاد يكسب (وفي الارض آيات) تدل على المنعم وقدرته وحكمته وتدبيره حيث هي ممدوحة كالبساط لما فوقها كما قال الذي جعل لكم الارض مهادا وفيها السالك والفجاج للمتقلبين فيها والماشين في مناكبها وهي مجزأة فمن سهل وجبل وبر وبحر وقطع متجاورات من مسلبة ورخوة وعذاة وسبخة وهي مكللة بالطرفة تلقح بألوان النبات وأنواع الاشجار بالثمار المختلفة الالوان والطعوم والروائح تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل وكلها موافقة لحواجّ ما كنها ومنافعهم ومصالحهم في حجتهم واعتلالهم وما فيها من العيون المتفجرة والمعادن المفتنة والدواب المبثوثة في بريها وبحرها المختلفة الصور والاشكال والافعال من الوحشي والانسي والهوام وغير ذلك (للموقنين) الموحدين الذين سلكوا الطريق السوي البرهاني الموصل الى المعرفة فهم نظارون

قتل الخراصون الذين هم في غمرة ساهون يسئلون أيان يوم الدين يوم هم على النار يفتنون ذوقوا فتنتكم هذا الذي كنتم به تستعجلون ان المتقين في جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم انهم كانوا قبل ذلك محسنين كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون وفي أموالهم حق للسائل والمحروم وفي الارض آيات للموقنين

*قوله تعالى كانوا قليلا من الليل ما يهجعون (ذكر) فيه وجهين أن تكون ما زائدة وقليلا ظرف منتصب بيهجعون أى كانوا يهجعون فى طائفة قليلة من الليل أو تكون ما مصدرية أو موصولة على كانوا قليلا من الليل هجوعهم أو ما يهجعون فيه وارتفاعه بقليلا على الفاعلية اهـ كلامه (قال أحمد) وجوه مستقيمة حلا جعل ما مصدرية فان قليلا حينئذ رافع على الهجوع لانه فاعله وقوله من الليل لا يستقيم أن يكون صفة للقليل ولا بيانا له ولا يستقيم أن يكون من صلة المصدر لانه متقدم عليه ٤٠٩ ولا كذلك على انها موصولة فان قليلا حينئذ واقع على الليل كله قال قليلا المقدار الذى كانوا يهجعون فيه من الليل فلا مانع أن يكون من الليل بيانا للقليل على هذا الوجه وهذا الذى ذكره انما تبع فيه الزجاج وقد ذكر الزمخشرى أن تكون

يعبدون باصرة وأفهامهم نافذة كلما رأوا آية عرفوا واجبها فازدادوا ايمانا مع ايمانهم ويقينا الى يقينهم (وفى أنفسكم) فى حال ابتدائها وتنقلها من حال الى حال وفى بواطنها وظواهرها من عجائب الفطر وبدائع الخلق ما تتحير فيه الاذهان وحسبك بالقلوب وما ركز فيها من العقول وخصت به من أصناف المعانى وبالالسن والنطق وسخارج الحروف وما فى تركيبها وترتيبها ولطائفها من الآيات الساطعة والبينات القاطعة على حكمة المبدع الصانع والابصار والاطراف وسائر الجوارح وتأتيها لما خلقت له وما سوى فى الاعضاء من الفاصل للانعطاف والتثنى فانه اذا جاء منها العجز واذا الستر حتى أتاح الذى قدرت أن الله أحسن الخالقين (وفى السماء رزقكم) هو المطر لانه سبب الاقوات وعن سعيد بن جبير هو الثلج وكل عين دائمة منه وعن الحسن أنه كان اذا رأى السحاب قال لاصحابه فيه والله ان فيه رزقكم ولكنكم تحرمونه بخطاياكم (وما توعدون) الجنة هى على ظهر السماء السابعة تحت العرش أو أراد أن ما ترزقونه فى الدنيا وما توعدون به فى العقبى كله مقدر مكتوب فى السماء *قرئ مثل ما بالرفع صفة للحق أى حق مثل نطقكم وبالنصب على أنه لحق حقا مثل نطقكم ويجوز أن يكون فتحا لاضافته الى غير ممكن وما مزيدة بين المثلين وهذا كقول الناس ان هذا لحق كما أنك ترى وسمع رجل مثالبه فناه هذا التعبير اشارة الى ما ذكر من أمر الآيات والرزق وأمر النبى صلى الله عليه وسلم أو الى ما توعدون وعن الاصمعى أقبلت من جامع البصرة فطلع أعرابى على بغلة فقال من الرجل قلت من بنى أصمع قال من أين أقبلت قلت من موضع يتلى فيه كلام الرحمن فقال اتل على فتلوت والذاريات فلما بلغت قوله تعالى وفى السماء رزقكم قال حسبك فقام الى ناقته فنحرها ووزعها على من أقبل وأدبر وعمد الى سيفه وكسر جفونه وقال لما خوفت بقطع الطريق فاذا أنا بمن يقطعه بصوت دقيق فالتفت فاذا أنا بالاعرابى قد نحل واصفر فسلم على واستقرأ السورة فلما بلغ الآية صاح وقال قد وجدت ما وعد ربنا حقا فما هو الا أن قلت فقرأت فورب السماء والارض انه لحق فصاح وقال يا سبحان الله من ذا الذى أغضب الجليل حتى حلف لم يصدق بقوله حتى ألحق الى اليمين فأطلقا ثلاثا وخرجت معه انفسه (هل أتاك) تفخيم الحديث وتنبيه على أنه ليس من علم رسول الله صلى الله عليه وسلم واخباره بالوحى *والضيف للواحد والجماعة كالزور والصوم لانه فى الاصل مصدر عناه وكانوا اثنى عشر ملكا وقيل تسعة عشر هم جبريل وقيل ثلاثة جبريل وميكائيل وملك معهما وجعلهم ضيفا لانهم كانوا فى صورة الضيف حيث أضافهم ابراهيم أولانهم كانوا فى حسبانه كذلك واكرامهم أن ابراهيم خدمهم بنفسه وأخدمهم أهله أو لانه جعل لهم القرى أو أنهم فى أنفسهم مكرمون قال الله تعالى بل عباد مكرمون (اذ دخلوا) نصب المكرمين اذا فسر باكرام ابراهيم لهم والا فمضاف ضيف من معنى الفعل أو باضمار اذكر (سلاما) مصدر ماد مسد الفعل مستغنى به عنه وأصله نسلم عليكم سلاما *وأما (سلام) فمعدول به الى الرفع على الابتداء أخبره بحذوف معناه عليكم سلام للدلالة على ثبات السلام كأنه قصد أن تحيتهم بأحسن مما حيوه به أخذا بأدب الله تعالى وهذا أيضا من اكرامه لهم وقرأ حمزة والكسائى وقرئ سلاما قال سلام عليكم السلام الذى هو علم الاسلام وأراد أنهم لبسوا من معارفه أو من جنس الناس الذين عهدهم كانوا أبصر العرب قوما من الخزر وأرى لهم حالا وشكلا خلاف حال الناس وشكلهم

وفى أنفسكم أفلا تبصرون وفى السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والارض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون

ما نافية وقليلا منصوب بيهجعون على تقدير كانوا أناسا يهجعون قليلا من الليل وأسنده الى امتناع تقدم ما فى حيز النفى عليه (قلت) وفيه خلل من حيث المعنى فان طلب مناط جميع الليل غير مستقيم منه الهجوع وان قل غير ثابت فى الشرع ولا معهود ثم قال وصفهم بأنهم كانوا يحيون الليل

* كشاف فى مصحفين فاذا المحراب شرعوا فى الاستغفار كأنهم أشرفوا ليلهم الجرائم *قال وقوله هم مناهم الاحقاء بالاستغفار دون المصرين *قال وفى الآية مبالغات منها لفظ الهجوع وهو الخفيف النوم *قال وقوله قليلا وقوله من الليل لانه وقت سبات قال ومنها زيادة ما فى بعض الوجوه (قلت) وفى عدها من المبالغة نظر فانها تؤكد الهجوع وتحققه الا أن يجعل المعنى القلة فيحتمل

* (قول المصنف قوله تعالى كانوا قليلا الخ) هذه العبارة محل المصحفة التى فيها ما تقدم وايضا لو كان كما ذكر لما احتاج الى ما سيأتى اهـ

*قوله تعالى فراغ الى أهله (قال فيه اشارة لاختفائه من ضيوفه ومن أدب المضيف أن يخفي همه الخ) قال أحمد معنى حسن وقد نقل أبو عبيد انه لا يقال راغ الا اذا ذهب على خفية ونقل أبو عبيد في قوله عليه السلام اذا كفى أحدكم خادمه حر طعامه فليقعده معه

فراغ الى أهله فجاء بعجل سمين فقربه اليهم قال ألا تأكلون فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم قالوا كذلك قال ربك انه هو الحكيم العليم قال فما خطبكم أيها المرسلون قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين لنرسل عليهم حجارة من طين مسومة عند ربك للمسرفين فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الاليم وفي موسى اذ أرسلناه الى فرعون بسلطان مبين فتولى بركنه وقال ساحر أو مجنون فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وهو مليم وفي عاد اذ أرسلنا عليهم الريح العقيم ما تذر من شيء أتت عليه الا جعلته كالرميم وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون فما استطاعوا من قيام وما كانوا

أو كان هذا سؤالا لهم كأنه قال أنتم قوم منكرون فعرفوني من أنتم (فراغ الى أهله) فذهب اليهم في خفية من ضيوفه ومن أدب المضيف أن يخفي أمره وأن يباده بالقرى من غير أن يشعر به الضيف حذرا من أن يكفه ويعذره قال قتادة كان عامة مال نبي الله ابراهيم البقر (بعجل سمين) * والهمزة في (ألا تأكلون) للانكار أنكر عليهم ترك الاكل أو حثهم عليه (فأوجس) فأضمر وانما خافهم لانهم لم يتحرموا بطعامه فظن أنهم يريدون به سوأ وعن ابن عباس وقع في نفسه أنهم ملائكة أرسلوا للعذاب وعن عون بن شداد صنع جبريل العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بأمه (بغلام عليم) أي يبلغ ويعلم وعن الحسن عليم نبي والمبشر به اسحق وهو أكثر الاقاويل وأصحها لان الصفة صفة بشارة لاهاجر وهي امرأة ابراهيم وهو بعلها وعن مجاهد هو اسمعيل (في صرة) في صيحة من صر الجندب وصر القلم والباب ومحله النصب على الحال أي خلت صارة قال الحسن أقبلت الى بيتها وكانت في زاوية تنظر اليهم لانها وجدت حرارة الدم فلطمت وجهها من الحياء وقيل فأخفت في صرة كما تقول أقبل يشتمني وقيل صرتها قولها أوه وقيل ياويلنا وعن عكرمة رنتها (فصكت) فلطمت ببسط يديها وقيل نضربت بأطراف أصابعها بجبهتها فعل المتعجب (عجوز) أنا عجوز فكيف ألد (كذلك) مثل ذلك الذي قلنا وأخبرنا به (قال ربك) أي انما نخبرك عن الله والله قادر على ما تستبعدون وروي أن جبريل قال لها انظري الى سقف بيتك فنظرت فاذا جذوعه مورقة مثمرة * فلما علم أنهم ملائكة وأنهم لا يتزلون الا باذن الله رسلا في بعض الامور (قال فما خطبكم) أي فما شأنكم وما طلبكم (الى قوم مجرمين) الى قوم لوط (حجارة من طين) يريد السجيل وهو طين طبخ كما يطبخ الآجر حتى صار في صلابة الحجارة (مسومة) معلمة من السومة وهي العلامة على كل واحد منها اسم من يهلك به وقيل أعلمت بأنها من حجارة العذاب وقيل بعلامة تدل على أنها ليست من حجارة الدنيا * سماهم مسرفين كما سماهم عادين لاسرافهم وعدوانهم في عملهم حيث لم يقنعوا بما أبيح لهم من الضبير في (فيها) للقرية وهم يجرأ هاذ كر لكونها معلومة وفيه دليل على أن الايمان والاسلام واحد وأنهما صفتا مدح قيل هم لوط وابنتاه وقيل كان لوط وأهل بيته الذين نجوا ثلاثة عشر وعن قتادة لو كان فيها أكثر من ذلك لانجاهم ليعلموا أن الايمان محفوظ لا ضيعة على أهله عند الله (آية) علامة يعتبر بها الخائفون دون القاسية قلوبهم قال ابن جريج هي صخر منضود فيها وقيل ماء أسود منتن (وفي موسى) عطف على وفي الارض آيات أو على قوله وتركنا فيها آية على معنى وجعلنا في موسى آية كقوله علفتها تبنا وماء باردا (فتولى بركنه) فازور وأعرض كقوله تعالى ونأى بجانبه وقيل فتولى بما كان يتقوى به من جنوده وملكه وقرئ بركنه بضم الكاف (وقال ساحر) أي هو ساحر (مليم) آت بما يلام عليه من كفره وعناده والجملة مع الواو حال من الضمير في فأخذناه (فان قلت) كيف وصف نبي الله يونس صلوات الله عليه بما وصف به فرعون في قوله تعالى فالتقمه الحوت وهو مليم (قلت) موجبات اللوم تختلف وعلى حسب اختلافها تختلف مقادير اللوم فراكب الكبيرة ملوم على مقدارها وكذلك مقترف الصغيرة ألا ترى الى قوله تعالى وعصى آدم ربه لان الكبيرة والصغيرة يجمعهما اسم المعصية كما يجمعهما اسم القبيح والسيئة (العقم) التي لا خير فيها من انشاء مطر أو القاح شجر وهي ريح الهلاك واختلف فيها فمن علي رضي الله عنه النكباء وعن ابن عباس الدبور وعن ابن المسيب الجنوب * الرميم مادام أي بلي ونفت من عظم أو نبات أو غير ذلك (حتى حين) تفسيره قوله تمتعوا في داركم ثلاثة أيام (فعتوا عن أمر ربهم) فاستكبروا عن امتثاله * وقرئ الصعقة وهي المرة من مصدر صعقتهم الصاعقة والصاعقة النازلة نفسها (وهم ينظرون) كانت نهارا يمانيون اور وي أن العمالقة كانوا معهم في الوادي ينظرون اليهم وما صرمتهم (فما استطاعوا من قيام) كقوله تعالى فأصبحوا في دارهم جاثمين وقيل هو من قولهم ما يقوم به

والافلبر قع غله قال أبو عبيد يقال رقع اللقمة وسنبلها وسفها وفرغها اذا عممها فر ويت سمنا (قلت) وهو من هذا المعنى لانه اذا ذهب مغموسة في السمن حتى تخفى ومن مقلوبه غور الارض والجرح وسائر مقلوباته قريبة من هذا المعنى والله أعلم

*قوله تعالى ففروا الى الله انى لكم منه نذير مبين (قال فيه معنى ففروا الى الله أى طاعته من معصيته والى ثوابه الخ) قال أحمد حمل الآية مالم تحمله لانه لا يكاد يخلى سورة حتى يدس فى تفسيرها بيده من معتقده فدس ههنا القطع بوعيد الفساق وبخلودهم كالكفار ولا تحتمل فى الآية لما ذكر فان العبارة فى قوله ففروا الى الله الفرار الى عبادة الله فتوعد من لم يعبد الله ثم نهى عابده ان يشرك بعبادة ربه غيره وتوعده على ذلك وفائدة تكرار النذارة الدلالة على انه لا تنفع العبادة مع الاشراك بل حكم الشرك حكم الجاحد المعطل لا كما قال الزمخشرى المأمور به فى الاول الطاعة الموظفة بعد الايمان فتوعد تاركها بالوعيد المعروف له وهو الخلود وعلى هذا لا يكون تكرارا على اختلاف الوعيدين (٣) فهو أولى فكيف يحمل الآية على خلاف ما هو أولى بها ليتم الاستدلال بها على معتقده الفاسد نعوذ بالله من ذلك *قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون (قال فيه الا لاجل العبادة ولم ارد ٤١١ من حيهم الا اياها الخ) قال أحمد

اذا عجزن دفعه (منتصرين) ممتنعين من العذاب (وقوم) قرئ بالجر على معنى وفى قوم نوح وتقويه قراءة عبد الله وفى قوم نوح وبالنصب على معنى وأهلكنا قوم نوح لان ما قبله يدل عليه أو واذكر قوم نوح (بأيد) بقوة والايد والآد القوة وقد آد يئيد وهو أيد (وانا لموسعون) لقادرون من الوسع وهى الطاقة والموسع القوى على الانفاق ومن الحسن لموسعون الرزق بأمطر وقيل جعلنا بينها وبين الارض سعة (فنعم الماهدون) فنعم الماهدون نحن (ومن كل شئ) أى من كل شئ من الحيوان (خلقنا زوجين) ذكرا وأنثى وعن الحسن السماء والارض والليل والنهار والشمس والقمر والبر والبحر والموت والحياة فعدد أشياء وقال كل اثنين منها زوج والله تعالى فرد لا مثل له (لعلكم تذكرون) أى فعلنا ذلك كله من بناء السماء وفرش الارض وخلق الازواج ارادة أن تتذكروا فتعترفوا الخالق وتعبدوه (ففروا الى الله) أى الى طاعته وثوابه من معصيته وعقابه وسخطه ولا تشركوا به شيأ وكرروا قوله (انى لكم منه نذير مبين) عند الامر بالطاعة والنهى عن الشرك ليعلم أن الايمان لا ينفع الا مع العمل كما أن العمل لا ينفع الا مع الايمان وأنه لا يفوز عند الله الا الجامع بينهما ألا ترى الى قوله تعالى لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا والمعنى قل يا محمد ففروا الى الله (كذلك) الامر أى مثل ذلك الذى ذكرنا من تكذيبهم الرسول وأعجبته ساحر ومجنون ثم فسر ما أجمل بقوله (ما أتى) ولا يصح أن تكون الكاف منصوبة بأتى لان ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها ولو قيل لم يأت لكان صحيحا على معنى مثل ذلك الاتيان لم يأت من قبلهم رسول الا قالوا (أتواصوا به) الضمير للقول يعنى أتواصى الاولون والآخرون بهذا القول حتى قالوه جميعا متفقين عليه (بل هم قوم طاغون) أى لم يتواصوا به لانهم لم يتلاقوا فى زمان واحد بل جمعتهم العلة الواحدة وهى الطغيان والطغيان هو الحامل عليه (فتول عنهم) فأعرض عن الذين كررت عليهم الدعوة فلم يجيبوا وعرفت منهم العناد واللجاج فلا لوم عليك فى اعراضك بعد ما بالغت الرسالة وبذلت جهودك فى البلاغ والدعوة ولا تدع التذكير والموعظة بأيام الله (فان الذكرى تنفع المؤمنين) أى تؤثر فى الذين عرف الله منهم أنهم يدخلون فى الايمان أو يزيد الله الخلص فيه ايمانا وروى انه لما نزلت فتول عنهم جزن رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتد ذلك على أصحابه ورأوا أن الوحى قد انقطع وأن العذاب قد حضر فانزل الله وذكر * أى وما خلقت الجن والانس الا لاجل العبادة وهم يريد من جميعهم الا اياها (فان قلت) لو كان مريدا للعبادة منهم لكانوا كلهم عبادا (قلت) لما أراد منهم أن يعبدوه مختارين للعبادة لا مضطرين لها لانه خلقهم مكلفين فاختار بعضهم ترك العبادة مع كونه مريدا لها

منتصرين وقوم نوح من قبل انهم كانوا قوما فاسقين والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون والارض فرشناها فنعم الماهدون ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ففروا الى الله انى لكم منه نذير مبين ولا تجعلوا مع الله الها آخر انى لكم منه نذير مبين كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون أتواصوا به بل هم قوم طاغون فتول عنهم فما أنت بملوم وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة

من عادته انه اذا استشعر ان ظاهر ما وافق لمعتقده نزله على مذهبه بصورة ايراد معتقد أهل السنة سؤالا وايراد معتقده جوابا فكذلك صنع ههنا فقول السؤال الذى أورده مما لا يجاب عنه عباد كره فانه سؤال معتقد انه قطعية عقلية فيجب تنزيل الآية عليه وهى ان ظاهر سياق الآية دليل لاهل السنة فانها انما سيقت لبيان عظمته عز وجل وان شأنه مع عبيده لا يقاس بشأن عبيد الخلق معهم فان عبيدهم مطلوبون بالخدمة والتكسب للسادة وبواسطة مكاسب عبيدهم قد أرزاقهم والله تعالى لا يطلب من عباده رزقا ولا الطعام وانما يطلب منهم عبادته لا غير وزائد على كونه لا يطلب منهم رزقا فهو الذى يرزقهم فهذا المعنى الشريف هو الذى تحت راية هذه الآية وله سيقت وبه نطقت ولكن الهوى يعمى ويصم فحاصله وما خلقت الجن والانس الا لادعوهم الى عبادتى وهذا ما لا يعدل عنه أهل السنة فانه وافق معتقدهم والله الموفق

عذاب النار وهو بهبها ولفحها والسموم الريح الحارة التي تدخل المسام سميت بها لانها بهذه الصفة
(من قبل) من قبل لقاء الله تعالى والمصير اليه يعنون في الدنيا (ندعوه) نعبده ونسأله الوقاية (انه هو البر)
المحسن (الرحيم) العظيم الرحمة الذي اذا اعيد أثاب واذا سئل أجاب وقرئ أنه بالفتح بمعنى لانه (فذكر) فاثبت
على تذكير الناس وموعظتهم ولا يتبطنك قولهم كاهن أو مجنون ولا تبال به فانه قول باطل متناقض لان
الكاهن يحتاج في كهانته الى فطنة ودقة نظر والمجنون مغطى على عقله * وما أنت بحمد الله وانعامه عليك
بصدق النبوة وبجاحة العقل أحد هذين * وقرئ يتربص به ريب المنون على البناء للمفعول وريب المنون
ما يقلق النفوس ويتخص بها من حوادث الدهر قال * أمن المنون وريبه تتوجع * وقيل المنون الموت
وهو في الاصل فعول من منه اذا قطعه لان الموت قطوع ولذلك سميت شعوب قالوا فانتظروا به نوائب الزمان
فهلك كما هلك من قبله من الشعراء زهير والنابغة (من المتربصين) أتربص هلاككم كما تتربصون هلاكي
(أحلامهم) عقولهم والبابهم وسنة قولهم أحلام عاد والمعنى أتأمرهم أحلامهم بهذا التناقض في القول
وهو قولهم كاهن وشاعر مع قولهم مجنون وكانت قريش يدعون أهل الاحلام والنهى (أم هم قوم طاغون)
يجاوزون الحد في العناد مع ظهور الحق لهم (فان قلت) ما معنى كون الاحلام آمرة (قلت) هو مجاز لاداتها
الى ذلك كقوله تعالى أصلواتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا * وقرئ بل هم قوم طاغون (تقوله)
اختلقه من تلقاء نفسه (بل لا يؤمنون) فلكفرهم وعنادهم يرمون بهذه المطاعن مع علمهم بسطلان قولهم
وأنه ليس بمتقول لبعد العرب عنه وساعتهم الاولى من العرب * وقرئ بحديث مثله على الاضافة والضمير
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومعناه أن مثل محمد في فصاحته ليس بعزيز في العرب فان قدر محمد على نظمه
كان مثله قادرا عليه فليأتوا بحديث ذلك المثل (أم خلقوا) أم أحدثوا وقدروا التقدير الذي عليه فطرتهم
(من غير شيء) من غير مقدر (أم هم) الذين خلقوا أنفسهم حيث لا يعبدون الخالق (بل لا يوقنون) أي اذا
سئلوا من خلقكم وخلق السموات والارض قالوا الله وهم هنا كون فيما يقولون لا يوقنون وقيل أخلقوا من
أجل لا شيء من جزاء ولا حساب وقيل أخلقوا من غير أب وأم (أم عندهم خزائن) الرزق حتى يرزقوا النبوة
من شاؤا أو عندهم خزائن علمه حتى يختاروا لها من اختاره حكمته ومصلحته (أم هم المسيطرون) الارباب
الغالبون حتى يدبروا أمر الربوبية ويتولوا الامور على ارادتهم ومشيئتهم وقرئ المصيطرون بالصاد (أم لهم
سلم) منصوب الى السماء يستمعون صاعدين فيه الى كلام الملائكة وما يوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا
ما هو كائن من تقدم هلاكهم على هلاكهم وظفرهم في العاقبة دونه تأمرهم (بسلطان مبين) بحجة واضحة
تصدق استماع مستمعيهم * المغرم أن يلتزم الانسان ما ليس عليه أي لزمهم مغرم ثقيل فصدهم ثقل ذلك
في اتباعك (أم عندهم الغيب) أي اللوح المحفوظ (فهم يكتبون) ما فيه حتى يقولوا لا يبعث وان بعثنا لم نعذب
(أم يريدون كيدا) وهو كيدهم في دار الندوة برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمؤمنين (فالذين كفروا) اشارة
اليهم أو أريد بهم كل من كفر بالله (هم المكيدون) هم الذين يعود عليهم وبال كيدهم ويحيق بهم مكرهم وذلك
أنهم قتلوا يوم بدر أو المغلوبون في الكيد من كايده فكايده * الكسف القطعة وهو جواب قولهم أو تسقط
السماء كما زعمت علينا كسفا يريد أنهم لشدة طغيانهم وعنادهم لو أسقطناه عليهم لقالوا هذا سحاب مركوم
بعضه فوق بعض يمطرنا فلم يصدقوا أنه كسف ساقط للعذاب * وقرئ حتى يلاقوا ويلقوا (يصعقون) يموتون
وقرئ يصعقون بالبناء للمفعول (صعقته فصعق) وذلك عند النفخة الاولى نفخة الصعق (وان للذين ظلموا) وان لهؤلاء
الظلمة (عذابا دون ذلك) دون يوم القيامة وهو القتل ببدر والقحط سبع سنين وعذاب القبر وفي مصحف
عبد الله دون ذلك قريبا (لحكم ربك) بامهالهم وما يحقق فيه من المشقة والكلفة (فانك بأعيننا) مثل
أي بحيث نراك ونكلؤك وجمع العين لان الضمير يلفظ ضمير الجماعة الا ترى الى قوله تعالى ولتصنع على عيني
* وقرئ بأعيننا بالادغام (حين تقوم) من أي مكان شئت وقيل من منامك (وادبار النجوم) واذا أدبرت
النجوم من آخر الليل وقرئ وأدبار بالفتح بمعنى في أعقاب النجوم وآثارها اذا غربت والمراد الامر بقول

من قبل تدعوه أنه هو البر
الرحيم فذكر فما أنت
بنعمت ربك بكاهن
ولا مجنون أم يقولون
شاعر نتربص به ريب
المنون قل تربصوا فاني
معكم من المتربصين أم
تأمرهم أحلامهم بهذا
أم هم قوم طاغون أم
يقولون تقوله بل
لا يؤمنون فليأتوا
بحديث مثله ان كانوا
صادقين أم خلقوا من
غير شيء أم هم الخالقون
أم خلقوا السموات
والارض بل لا يوقنون
أم عندهم خزائن ربك
أم هم المسيطرون أم
لهم سلم يستمعون فيه
فليأت مستمعهم بسلطان
مبين أم له البنات ولكم
البنون أم تسئلهم أجرا
فهم من مغرم مثقلون
أم عندهم الغيب فهم
يكتبون أم يريدون
كيدا فالذين كفروا هم
المكيدون أم لهم اله
غير الله سبحان الله عما
يشركون وان يروا كسفا
من السماء ساقطا يقولوا
سحاب مركوم فذرهم
حتى يلاقوا يومهم الذي
فيه يصعقون يوم لا يغني
عنهم كيدهم شيئا ولا هم
ينصرون وان للذين
ظلموا عذابا دون ذلك
ولكن أكثرهم لا يعلمون
واصبر لحكم ربك فانك
بأعيننا وسبح بحمد ربك
حين تقوم ومن الليل
فسبحه وادبار النجوم

سبحان الله وبحمده في هذه الاوقات وقيل التسبيح الصلاة اذا قام من نومه ومن الليل صلاة العشاءين وادبار النجوم صلاة الفجر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطور كان حقا على الله أن يؤمنه من عذابه وأن ينعمه في جنته

﴿سورة والنجم مكية وهي احدى وستون وقيل ثنتان وستون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* النجم الثريا وهو اسم غالب نها قال

اذا طلع النجم عشاء * ابتغى الراعي كساء

أو جنس النجوم قال * فبانت تمد النجم في مستحيرة * يريد النجوم (اذا هوى) اذا غرب أو انتثر يوم القيامة أو النجم الذي يرجم به اذا هوى اذا انقض أو النجم من نجوم القرآن وقد نزل منجما في عشرين سنة اذا هوى اذا نزل أو النبات اذا هوى اذا انبسط على الارض وعن عروة بن الزبير أن عتبة بن أبي لهب وثبت تحته بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد الخروج الى الشام فقال لآتين محمدا فلأوذينه فأتاه فقال ياحمد هو كافر بالنجم اذا هوى وبالذي دنا فتدلى ثم تفل في وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم ورد عليه ابنته وطلقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وكان أبو طالب حاضرا فوجم لها وقال ما كان أغناك يا ابن أخي عن هذه الدعوة فرجع عتبة الى أبيه فأخبره ثم خرجوا الى الشام فنزلوا منزلا فأشرف عليهم راهب من ديرة فقال لهم ان هذه أرض مسبعة فقال أبو لهب لاصحابه أغيثونا يامعشر قريش هذه الليلة فاني أخاف على ابني دعوة محمد فجمعوا بعضهم الى بعض وأناخوا حولهم وأحدقوا بعتبة فجاء الاسد يتشمم وجوههم حتى ضرب عتبة فقتله وقال حسان

من يرجع العام الى أهله * فما أكيل السبع بالراجع

(ماضل صاحبكم) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والخطاب لقريش وهو جواب القسم والضلال نقيض الهدى * والغي نقيض الرشد أي هو مهتد راشد وليس كما تزعمون من نسبتكم اياه الى الضلال والغي * وما أنا كم به من القرآن ليس بمنطق يصدر عن هواه ورأيه * وانما هو وحي من عند الله يوحى اليه ويتحتم عليه الاتيان به من لا يرى الاجتهاد للانبياء ويجاب بأن الله تعالى اذا سوغ لهم الاجتهاد كان الاجتهاد مما يستند اليه كله وحينئذ فما لنا نعلق الهوى (شديد القوى) ملك شديد قواه والاضافة غير حقيقية لان اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها وهو جبريل عليه السلام ومن قوته أنه اقتلع قرى قوم لوط من السماء الى السواد وحملها على جناحه ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح صيحة ثمود فأصبحوا ماتين وكان هبوطه على الانبياء وصعوده في أوحى من رجعة الطرف ورأى ابليس يكلم عيسى عليه السلام على بعض عقاب الارض المقدسة فنفخه بجناحه نفخة تألقاه في أقصى جبل بالهند (ذو مرة) ذو حصافة في عقله ورأيه ومتانة في دينه (فاستوى) فاستقام على صورة نفسه الحقيقية دون الصورة التي كان يتمثل بها كلما هبط بالوحي وكان ينزل في صورة دحية وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب أن يراه في صورته التي جبل عليها فاستوى له في الافق الاعلى وهو أفق الشمس فملأ الافق وقيل ما رآه أحد من الانبياء في صورته الحقيقية غير محمد صلى الله عليه وسلم مرتين مرة في الارض ومرة في السماء (ثم دنا) من رسول الله صلى الله عليه وسلم (فتدلى) فتعلق عليه في الهواء ومنه تدلت الثمرة ودلى رجليه من السرير والدوالي الثمر المعلق قال * تدلى عليها بين سب وخيطة * وقال هو مثل القرب ان رأى خيرا تدلى وان لم يره تولى (قاب قوسين) مقدار قوسين عربيتين وانقاب والقيب والقاد والقيد والقيس المقدار وقرأ زيد بن علي قاد وقرئ قيد وقدر وقدجاء التقدير بالقوس والرمح والسوط والذراع والباع والخطوة والشبر والفتر والاصبع ومنه لاصلاة الى أن ترتفع الشمس مقدار رمحين وفي الحديث لقاب قوس أحدكم من الجنة وموضع قده خير من الدنيا وما فيها والقد السوط ويقال بينهما

﴿سورة والنجم مكية وهي احدى وستون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

والنجم اذا هوى ماضل صاحبكم وماغوى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى وهو بالافق الاعلى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين

﴿القول فى سورة النجم﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) قوله تعالى فكان قاب قوسين (قال فيه تقديره فكان مقدار مسافة قربه مثل قاب قوسين الى آخره) قال أحمد وقد قال بعضهم انه كناية عن المعاهدة على لزوم الطاعة لان الحليفين فى عرف العرب اذا تحالفا على الوفاء والصفاء ألصق ما وتريّ قوسيهما (قلت) وفيه ميل لقوله أو أدنى * قوله تعالى فأوحى الى عبده ما أوحى (قال فيه هذا تفخيم للموحى الذى أوحى الله اليه) قال أحمد التفخيم لما فيه ٤١٦ من الابهام كأنه أعظم من أن يحيط به بيان وهو كقوله اذ يغشى السدرة ما يغشى وقوله فغشيهم من اليم ما غشيهم * قوله تعالى لقد رأى من آيات ربه الكبرى (قال فيه معناه قد رأى من آيات ربه الآيات التى الخ) قال أحمد يحتمل ان تكون الكبرى صفة آيات ربه لا مفعولا به وتكون المرئى محذوفا للتفخيم

أو أدنى فأوحى الى عبده ما أوحى ما كذب الفؤاد ما رأى أفتمارونه على ما يرى ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى اذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى لقد رأى من آيات ربه الكبرى أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ومناة الثالثة الاخرى ألكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى ان هى الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى أم للانسان ما تمنى فلله الآخرة والاولى وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الانثى وما لهم به من علم ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغنى من الحق شيئا فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى ولله ما فى السموات وما فى الارض ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم ان ربك واسع المغفرة هو أعلم بكم اذ أنشأكم من الارض واذ أنتم أجنة فى بطون أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى أفرأيت الذى تولى وأعطى قليلا وأكدى أعنده علم الغيب فهو يرى أم لم ينبأ بما فى صحف موسى وابراهيم الذى وفى ألا تزر وازرة وزر أخرى وأن ليس للانسان الا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى وأن الى ربك المنتهى وأنه هو أضحك وأبكى وأنه هو أمات وأحيا وأنه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى وأن عليه النشأة الاخرى وأنه هو أغنى وأقنى وأنه هو رب الشعرى وأنه أهلك عادا الاولى وثمود فما أبقى وقوم نوح من قبل انهم كانوا هم أظلم وأطغى والمؤتفكة أهوى فغشاها ما غشى فبأى آلاء ربك تتمارى هذا نذير من النذر الاولى أزفت الآزفة ليس لها من دون الله كاشفة أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون فاسجدوا لله واعبدوا

خطوات يسيرة وقال وقد جعلتنى من حزبه أصمعيا (فان قلت) كيف تقدير قوله فكان قاب قوسين (قلت) تقديره فكان مقدار مسافة قربه مثل قاب قوسين فحذفت هذه المضافات كما قال أبو على فى قوله

وقد جعلتنى من حزبه أصمعيا أى ذا مقدار مسافة أصمع (أو أدنى) أى على تقديركم كقوله تعالى أو يزيدون (الى عبده) الى عبد الله وان لم يجر لاسمه عز وجل ذكر لانه لا يلبس كقوله على ظهرها (ما أوحى) تفخيم للموحى الذى أوحى اليه قيل أوحى اليه أن الجنة محرمة على الانبياء حتى تدخلها وعلى الامم حتى تدخلها أمتك (ما كذب) فؤاد محمد صلى الله عليه وسلم ما رآه ببصره من صورة جبريل عليه السلام أى ما قال فؤاده ما رآه لم أعرفه ولو قال ذلك لكان كاذبا لانه عرفه يعنى أنه رآه بعينه وعرفه بقلبه ولم يشك فى أن ما رآه حق وقرئ ما كذب أى صدقه ولم يشك أنه جبريل عليه السلام بصورته (أفتمارونه) من المراء وهو الملاحاة والجدل واشتقاقه من مرى الناقة كان كل واحد من المتجادلين يمرى ما عند صاحبه وقرئ أفتمرونه أفتغلبونه فى المراء من ماريته فريته وما فيه من معنى الغلبة عدى بعلى كما تقول غلبته على كذا وقيل أفتجحدونه وأنشدوا

لئن هجوت أخا صدق ومكرمة * لقد مريت أخا ما كان يمريكا

وقالوا يقال مريته حقه اذا جحدته وتدبيته بعلى لأنهم الاعلى مذهب التضمين (نزلة أخرى) مرة أخرى من النزول نصبت النزلة نصب الظرف الذى هو مرة لان الفعلة اسم للمرة من الفعل فكانت فى حكمها أى نزل عليه جبريل عليه السلام نزلة أخرى فى صورة نفسه فرآه عليها وذلك ليلة المعراج * قيل فى سدرة المنتهى هى شجرة تنبق فى السماء السابعة عن يمين العرش ثمرها كقلال هجر وورقها كآذان الفيول تنبع من أصلها الانهار التى ذكرها الله فى كتاب يسير الراكب فى ظلها سبعين عاما لا يقطعها * والمنتهى يعنى موضع الانتهاء أو الانتهاء كأنها فى منتهى الجنة وآخرها وقيل لم يجاوزها أحد الا نبينا ينتهى علم الملائكة وغيرهم ولا يعلم أحد ما وراءها وقيل تنتهى اليها أرواح الشهداء (جنة المأوى) الجنة التى يصير اليها المتقون عن الحسن وقيل تأوى اليها أرواح الشهداء وقرأ على وابن الزبير وجماعة جنة المأوى أى ستره ظلاله ودخل فيه وعن عائشة انها أنكرته وقالت من قرأه فأحنقه الله (ما يغشى) تعظيم وتكثير لما غشاها فقد علم بهذه العبارة أن ما غشاها من الخلائق الدالة على عظمة الله وجلاله أشياء لا يكتنهها النعت ولا يحيط بها الوصف وقد قيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله عندها وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت على كل ورقة من ورقها ملكا قائما يسبح الله وعنه عليه السلام يغشاها رفرف من طير خضر وعن ابن مسعود وغيره يغشاها فراش من ذهب (ما زاغ البصر) بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم (وما طغى) أى أثبت ما رآه اثباتا مستقيما صحيحا من غير أن يزيغ بصره عنه أو يتجاوز أو ما عدل عن رؤية العجائب التى أمر برؤيتها وممن منها وما طغى وما جاوز ما أمر برؤيته (لقد رأى) والله لقد رأى (من آيات ربه) الآيات التى هى كبراها وعظماها يعنى حين رقى به الى السماء فأرى عجائب الملكوت (اللات والعزى ومناة) أصنام كانت لهم وهى مؤنثات فاللات كانت لثقيف بالطائف وقيل كانت بنخلة تعبدها قريش وهى فعلة من لوى لانهم كانوا يلوون عليها ويعكفون للعبادة أو يلتوون عليها أى يطوفون وقرئ اللات بالتشديد وزعموا أنه سمى برجل كان يلت عنده السمن للزيت

الله تعالى ما لا يحيط أحد علما بجملتها فان قال عام أريد به خاص فقد رجع الى الوجه الذى ذكرناه والله أعلم * قوله تعالى أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى (قال فيه اشتقاق اللات من لوى على كذا اذا أقام عليه لانهم كانوا الخ) قال أحمد الاخرى ما يثبت آخرا ولا شك انه فى الاصل مشتق من التأخير الوجودى الا أن العرب عدلت به عن الاستعمال فى التأخير الوجودى الى الاستعمال حيث يتقدم ذكر مغاير لا غير حتى سلبته دلالته على المعنى الاصلى بخلاف آخر وآخرة على وزن فاعل وفاعلة فان اشعارهما

بالتأخير الوجودي ثابت لم يغيروا ومن ثم عدلوا عن أن يقولوا بيع الآخر على وزن الأفعل وجادي الأخرى الى ربيع الآخر على وزن فاعل وجادي الآخرة على وزن فاعلة لأنهم أرادوا أن يفهموا التأخير الوجودي لأن الأفعل (٤١٧) والفعلى من هذا الاشتقاق

ويطعمه الحاج وعن مجاهد كان رجل يلت السويق بالطائف وكانوا يكمون على قبره فجاؤوه وتناولوا العزى كانت بنخلة وهي عمرة وأصلها أتيت الأخرى وهبت اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية ويلها واضعة يدها على رأسها فجعل يضربها بالسيف حتى قتلها وهو يقول

يا عز كفرانك لا سبحانك * اني رأيت الله قد أهانك

ورجع فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام تلك العزى ولن تعبد أبدا ومناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة وعن ابن عباس رضي الله عنهما الثقيف وقريش ومناة وكانها سميت مناة لان دماء الذبائح كانت تمنى عندها أي تراق ومناة مفعلة من النوء كانهم كانوا يستمطرون عندها الانواء اعتبارا بها و (الاخرى) ذم وهي المتأخرة الوضيعة المقدار كقوله تعالى وقالت أخراهم لاولاهم أي وضعاؤهم لرؤسائهم وأشرافهم ويجوز أن تكون الاولية والتقدم عندهم للات والعزى * كانوا يقولون ان الملائكة وهذه الاصنام بنات الله وكانوا يعبدونهم ويزعمون أنهم شفعاؤهم عند الله تعالى مع وأدهم البنات فقيل لهم (ألكم الذكر وله الانثى) ويجوز أن يراد أن للات والعزى ومناة اناث وقد جعلتموهن لله شركاء من شأنكم أن تحتقروا الاناث وتستنكفوا من أن تولدن لكم وتنسبن اليكم فكيف تجعلون هؤلاء الاناث اند الله وتسمونهن آلهة (قسمة ضيزى) جائرة من ضازه يضيزه اذا ضامه والاصل ضوزى فعلى بها فاعل بيض انسلم الياء وقرئ ضئزى من ضأزه يضأزه بمعنى ضازه (هي) ضمير الاصنام أي ما هي (الا أسماء) ليس تحتها الحقيقة مسميات لانكم تسمون الاشقاء بأسماء أشد منها وأعظم كقولهم قوله تعالى ما تعبدون من دونه الا أسماء سميتموها أو ضمير الاسماء وهي قولهم اللات والعزى ومناة وهم يقصدون بهذه الاسماء الآلهة يعني ما هذه الاسماء الا أسماء سميتموها بهوى أنفسكم وشهوتكم ليس لكم من الله على صحة تسميتها برهان تتعلقون به ومعنى (سميتموها) سميتم بها يقال سميته زيدا وسميته بزيد (ان يتبعون) وقرئ بالتاء (الا الظن) الا توهم أن ما هم عليه حق وأن آلهتهم شفعاؤهم وما تشتهيه أنفسهم وهو يتركون ما جاءهم من الهدى والدليل على أن دينهم باطل (أم للانسان ما تمنى) هي أم المنقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار أي ليس للانسان ما تمنى والمراد المشركون في شفاعة الآلهة وهو رد عليهم في الحق غاية البعد وقيل هو قولهم ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وقيل هو قول الوليد بن المغيرة لأوتين مالا وولدا وقيل هو تمني بعضهم أن يكون هو النبي صلى الله عليه وسلم (فلله الآخرة والاولى) أي هو المالك لهما فهو يعطي منهما من يشاء وقتما يشاء وليس لاحد أن يشكم عليه في شيء منهما يعني أن أمر الشفاعة ضيق وذلك أن الملائكة مع قربهم ولزلفاهم وكثرتهم واقتناص السموات بجموعهم لو شفعوا لم يشفعوا لاحد الا لمن ارتضى الله شفاعته له ورضي عنه شيئا قط ولم تنفع الا ذا شفعوا من بعد أن يأذن الله لهم في الشفاعة لمن يشاء الشفاعة له ويرضاه ورأيت أهل الان يشفعون له فكيف تشفع الاصنام اليه بسببهم (ليسمون الملائكة) أي كل واحد منهم تسمية الانثى لانهم اذا قالوا الملائكة بنات الله فقد سموا كل واحد منهم بناء وهي تسمية الانثى (بمن علم) أي بذلك وعلى قولهم وفي قولهم أي هم بالملائكة أو التسمية (لا يغني من الحق شيئا) يعني انما يدرك الحق الذي هو حقيقة الشيء وما هو عليه بالعلم والتيقن لا بالظن والتوهم (فأعرض) عن دعوة من رأيته معرضا عن ذكر الله ومن لا غرض له الا الدنيا ولا تتهالك على اسلامه ثم قال (ان ربك هو أعلم) أي انما يعلم الله من يجيب ممن لا يجيب وأنت لا تعلم فخلص على نفسك ولا تتبعها فانك لا تهدي من أحببت وما عليك الا البلاغ * وقوله تعالى ذلك مبلغهم من العلم اعتراض أو فاعرض عنه ولا تقابله ان ربك هو أعلم بالضال والمهتدي وهو مجازيهما على استحقاق من الجزاء * قرئ ليجزي ويجزي بالياء والنون فيهما ومعناه أن الله عز وجل انما خلق العالم وسوى هذه الملكوت هذا

مساوب الدلالة على غرضهم فسدلوا عنها الى الآخر والآخرة

الأخرى ألكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى ان هي الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ان يتبعون الا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى أم للانسان ما تمنى فلله الآخرة والاولى وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الانثى وما لهم به من علم ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ان ربك هو أعلم من ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى ولله ما في السموات وما في الارض ليجزي الذين أساؤا

والترصوا ذلك فيهما) وهذا البحث مما كان

٥٣ كشاف ج ٣ الشيخ أبو عمرو بن الحاجب رحمه الله تعالى فدونه آخر هذه وهو الحق ان شاء الله تعالى وحينئذ يكون المراد الاصنام بتقدم مضاف في الذكر مع ما تعتقده في الوقائع فاعلم ذلك رأس الآية والله أعلم

الغرض وهو أن يجازي المحسن من المكافين والمسيء منهم ويجوز أن يتعلق بقوله هو أعلم عن ضل عن سبيله وهو أعلم عن اهتدى لأن نتيجة العلم بالضال والمهتدي جزاؤهما (بما عملوا) بعقاب ما عملوا من السوء و(بالحسنى) بالمثوبة الحسنى وهي الجنة أو بسبب ما عملوا من السوء وبسبب الأعمال الحسنى (كبائر الاثم) أي الكائر من الاثم لأن الاثم جنس يشتمل على كبائر وصغائر والكبائر الذنوب التي لا يسقط عقابها الا بالتوبة وقيل التي يكبر عقابها بالاضافة الى ثواب صاحبها (والفواحش) ما فحش من الكبائر كله قال والفواحش منها خاصة وقرئ كبير الاثم أي النوع الكبير منه وقيل هو الشرك بالله * واللمم ما قل وصغر ومنه اللمم المس من الجنون واللوثة ومنه ولما للكلب اذا قل فيه لبثه وألم الطعام قل منه أكله ومنه لقاء أخلاء الصفاء لماما والمراد الصغائر من الذنوب ولا يخالفه قوله تعالى (الا اللمم) من أن يكون استثناء منقطعا أو صفة كقوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله كأنه قيل كبائر الاثم غير اللمم وآلهة غيرا * وعن أبي سعيد الخدري اللمم هي النظرة والغمزة والقبلة وعن السدي الخطرة من الذنب وعن الكلبي كل ذنب لم يذكر الله عليه حدا ولا عذابا وعن عطاء عامة النفس الحين بعد الحين (ان ربك واسع المغفرة) حيث يكفر الصغائر باجتناب الكبائر والكبائر بالتوبة (فلا تزكوا أنفسكم) فلا تنسبوها الى زكاء العمل وزيادة الخير وعمل الطاعات أو الى الزكاء والطهارة من المعاصي ولا تثنوا عليها وامدحوها فقد علم الله الزكي منكم والتقي أولا وآخرا قيل أن يخرجكم من صلب آدم وقبل أن تخرجوا من بطون أمهاتكم وقيل كان ناس يعملون أعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا نزلت وهذا اذا كان على سبيل الاعجاب أو الرياء وأما من اعتقد أن ما عمله من العمل الصالح من الله وبتوفيقه وتأييده ولم يقتض التفويض لم يكن من المزكين أنفسهم لان المزكي بالطاعة طاعة وذكرها شكر (لا كدي) قطع عطيته وأمسك وأصله اكداء الحافر وهو أن تقاه كديه وهي صلابة كالصخرة فيمسك عن الحفر ونحوه أجيل الحافر ثم استعير فقيل اجبل الشاعر اذا أفحمه وروي أن عثمان رضي الله عنه كان يعطي ماله في الخير فقال له عبد الله بن سعد بن أبي سرح وهو أخوه من الرضاعة يوشك أن لا يبقى للشيء فقال عثمان ان لي ذنوبا وخطايا وانى أطلب بما أصنع رضا الله تعالى وأرجو عفوه فقال عبد الله أعطني ناقتك برحالها وأنا أتحمل عنك ذنوبك كلها فأعطاه وأشهد عليه وأمسك عن العطاء فنزلت * ومعنى تولى تركك المرتين يوم أحد فعاد عثمان الى أحسن من ذلك وأجمل (فهو يرى) فهو يعلم أن ما قال له أخوه من احتمال أوزاره حق (وفي) قرئ صحفه وشدد والتشديد مبالغة في الوفاء وتعني وفروا أتم كقوله تعالى فأتمهن والطلاقة ليتناول كل وفاء وتوفية من ذلك تبليغه الرسالة واستقلاله بأعباء النبوة والصبر على ذبح ولده وعلى نار نمرود وقيامه بأضيافه وخدمتها اياهم بنفسه وأنه كان يخرج كل يوم فحتى فرحتا رجلا ضيفا فان وافقه أكرمه والا نوى الصوم وعن الحسن ما أعنى الله بني الا وفي به وعن الخليل بن شر جميل كان بين روح وبين ابراهيم يوم خذ الرجل بجريرة غيره ويقتل بأبيه وابنه وعمه وخاله والزوج بأمر أته والعبد بسيده تأويل من خالفهم ابراهيم وعن عطاء بن السائب عهد أن لا يسأل مخلوقا فلما قذف في النار قال له جبريل وميكائيل ألك حاجة فقال أما اليكما فلا وعن النبي صلى الله عليه وسلم وفي عهد كل يوم أربع ركعات في صدر النهار وهي صلاة الضحى وروى ألا أخبركم بمن سمى الله خليله الذي وفى كان يقول اذا أصبح وأمسى فسبحان الله حين تمسون الى حين تظهرون وقيل وفى سهام الاسلام وهي ثلاثون عشرة في التوبة التائبون وعشرة في الاحزاب ان المسلمين وعشرة في المؤمنون قد أفلح المؤمنون وقرئ في صحف بالتخفيف (ألا تزر) أن مخففة من الثقيلة والمعنى أنه لا تزر والضمير ضمير الشأن ومحل أن وما بعدها الجر بدلا من ما في صحف موسى أو الرفع على هو أن لا تزر كان قائلا قال وما في صحف موسى وابراهيم فقيل أن لا تزر (الا ما سعى) الا سعيه (فان قلت) ما معنى ذكر الاخبار الصدقة عن الميت والحج عنه وله الاضعاف (قلت) فيه جوابان أحدهما أن سعي غيره لما لم ينفعه الا مبنيا على سعي نفسه وهو أن يكون مؤمنا صالحا وكذلك الاضعاف كان سعي غيره كأنه سعي نفسه لكون تابعا له وقائما بقيامه والثاني أن سعي غيره لا ينفعه اذا عمله لنفسه ولكن اذا نواه به فهو بحكم الشرع

عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم ان ربك واسع المغفرة هو أعلم بكم اذ أنشأكم من الارض واذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى أفرأيت الذي تولى وأعطى قليلا وأكدى أعنده علم الغيب فهو يرى أم لم ينبأ بما في صحف موسى وابراهيم الذي وفى ألا تزر وازرة وزر أخرى وأن ليس للانسان الا ما سعى وأن سعيه سوف يرى

* قوله تعالى أضحك وأبكى (قال فيه أى خلق فوق الضحك والبكاء) قال أحمد وخلق أيضا على الضحك والبكاء على قواعد السنة وعليه دلت الآية غير مشارة لتصريفه والله الموفق * قوله تعالى وأن عليه النشأة الاخرى (قال فيه (٤١٩) انما قال عليه لانها واجبة عليه

كالنائب عنه والوكيل القائم مقامه (ثم يجزاه) ثم يجزى العبد سعيه قال جزاه الله عمله وجزاه على عمله بمعنى الجزا وايصال الفعل ويجوز أن يكون الضمير للجزاء ثم فسره بقوله (الجزاء الاوفى) أو أبدله عنه كقوله تعالى وأسروا النجوى الذين ظلموا (وأن الى ربك المنتهى) قرئ بالفتح على معنى أن هذا كله فى الصحف وبالكسر على لابتداء وكذلك ما بعده والمنتهى مصدر بمعنى الانتهاء أى ينتهى اليه الخلق ويرجعون اليه كقوله تعالى والى الله المصير (أضحك وأبكى) خلق فوق الضحك والبكاء (اذا شئ) اذا تدفق فى الرحم يقال منى وأمنى ومن الانخفاش تمنى من منى المالى أى قدر المقدر * قرئ النشأة والنشاءة بالمد وقال علمه لانها واجبة عليه فى الحكمة لجازى على الاحسان والاساءة (وأقنى) وأعطى القنية وهى المال الذى تأثله وعزمت أن لاخرجه من يدك (الشعرى) صرم الجوزاء وهى التى تطلع وراءها وتسمى كلب الجبار وهما شعريان لتميضاء والعبور وأراد العبور وكانت خزاعة تعبدهما سن ثم ذلك أبو كبشة رجل من أشرافهم وكانت قريش تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم أبو كبشة تشبيها له لمخالفته اياهم فى دينهم يريد أنه يعبد معبودهم هذا * عاد الاولى قوم هود وعاد الاخرى ارم وقيل الاولى القدماء لانهم أول الامم هلاكا بعد قوم نوح أو المتقدمون فى الدنيا الاشراف وقرئ عاد الولى وعاد لولى بادغام النون فى اللام وطرح همزة أولى ونقل ضمتها الى لام التعريف (وثمود) وقرئ وثمود (أظلم وأطغى) لانهم كانوا يؤذونه ويضربونه حتى لا يكون به حراك ويقولون عنه حتى كان يغشى عليه فيقولون عسى أن يموت فنستريح منه وما أرفع دعاءهم دعاء قريب من ألف سنة (والمؤتفكة) أو القرى التى ائتفكت بأهلها أى انقلبت وهم قوم لوط يقال ائتفكه فانتفك وقرئ والمؤتفكات (أهوى) رفعها الى السماء على جناح جبريل ثم أهواها الى الارض أى أسقطها (ما غشى) تهويل وتعظيم لما صب عليها من العذاب وأسطر عليها من الصخر المنضود (فبأى آلاء ربك تمارى) تتشكك والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل انسان على الاطلاق وقد عدد نعماءه وتنوع معاشها كلها آلاء من قبل ما فى تضاعيفه من المزاجر والمواعظ للمعتبرين (هذا) القرآن (نذير من النذر الاولى) نبى انذر من جنس الانذارات الاولى التى أنذر بها من قبلكم أو هذا الرسول منذر من المنذرين الاولين وقال الاولى على تأويل الجماعة (أزفت الآزفة) قربت الموصوفة بالقرب فى قوله تعالى اقتربت الساعة (ليس لها) نفس (كاشفة) أى مبينة متى تقوم كقوله تعالى لا يجليها لوقتها الا هو أو ليس لها نفس كاشفة أى قادرة على كشفها اذا وقعت الا الله شبه أنه لا يكشفها أو ليس لها الآن نفس كاشفة بالتأخير وقيل الكاشفة مصدر بمعنى الكشف كالعافية وقرأ طلحة ليس لها بمعنى ليس لها ساعة الفاشية (أفمن هذا الحديث) وهو القرآن (تعجبون) انكارا (وتضحكون) استهزاء (ولا تبكون) أو البكاء والخشوع خوف عليكم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم رضا حكما بعد نزولها وقرئ تعجبون تضحكون بغير واو (وأنتم سامدون) شامخون مبرطمون وقيل لاهون لاعبون وقال بعضهم طال بنا هذا عهدى لنا أى غنى لنا (فاسجدوا لله واعبدوا) ولا تعبدوا الا الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النجم أعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وكذب بمكة

﴿سورة القمر مكية وهى خمس وخمسون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* انشق القمر من آيات رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعجزاته النيرة عن أنس بن مالك رضى الله عنه ان الكفار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم آية فانشق القمر مرتين وكذا عن ابن عباس وابن مسعود رضى الله

ثم يجزاه الجزاء الاوفى
وأن الى ربك المنتهى
وأنه هو أضحك وأبكى
وأنه هو أمات وأحيى
وأنه خلق الزوجين
الذكر والانثى من
نطفة اذا تمنى وأن عليه
النشأة الاخرى وأنه هو
أغنى وأقنى وأنه هو رب
الشعرى وأنه أهلك
عادا الاولى وثمود فما
أبقى وقوم نوح من قبل
انهم كانوا هم أظلم وأطغى
والمؤتفكة أهوى
فغشاها ما غشى فبأى
آلاء ربك تمارى
هذا نذير من النذر
الاولى أزفت الآزفة
ليس لها من دون الله
كاشفة أفمن هذا
الحديث تعجبون
وتضحكون ولا تبكون
وأنتم سامدون
فاسجدوا لله واعبدوا

سورة القمر مكية وهى
خمس وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

اقتربت الساعة وانشق
القمر

وأى قساد أعظم مما
يؤدى الى اعتقاد الاجناب على رب الارباب تعالى الله عن ذلك ومثل هذه القاعدة التى عمت البراهين القاطعة رسمها وأبطلت حكمها لا يكفى فيها كلمة تحتملها لو كانت ظاهرة فكيف وهى بين قواطع وظواهر والذى حملت عليه لفظة عليه غير هذا اللغى وهو ان المراد ان أمر النشأة الاخرى بيد ورعلى قدرته عز وجل وارادته كما يقال دارت قضية فلان على يدى وقول المحدثين على يدى دار

الحديث أي هو الاصل فيه والسند والله أعلم ﴿القول في سورة القمر﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) * قوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر (قال فيه ان قلت ما فائدة كذبوا بعد قوله كذبت قبلهم قوم نوح الخ) قال أحمد قد تقدم كلامه على قوله تعالى وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلي وأجاب عنه بجوابين أحدهما متعذر

عنهما قال ابن عباس انفلق فلقتين فلقة ذهبت وفلقة بقيت وقال ابن مسعود رأيت حراء بين فلقتي القمر وعن بعض الناس أن معناه ينشق يوم القيامة وقوله (وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) يرد وكيف يراد وفي قراءة حذيفة وقد انشق القمر أي اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها أن القمر قد انشق كما تقول أتى الامير وقد جاء المشير يقدومه وعن حذيفة أنه خطب بالمدائن ثم قال ألا ان الساعة قد اقتربت وان القمر قد انشق على عهد نبيكم * مستمر دائم مطرد وكل شيء قد انقادت طريقته ودامت حاله قيل فيه قد استمر لسارا وأتابع الجزات وتراد في الآيات قالوا هذا سحر مستمر وقيل مستمر قوي شكيم من قولهم استمر مريره وقيل هو من استمر الشيء اذا اشتدت مرارته أي مستتبع عندنا مرة على لهوات الاقدمان ذنبه كما لا يتباع المرار المقر وقيل مستمر ذاهب يزول ولا يبقى غنية لأنفسهم وتعللا وقرئ وان يروا (وانبعوا أهواءهم) وما زين لهم الشيطان من دفع الحق بعد ظهوره (وكل أمر مستقر) أي كل أمر لا بد أن يصير الى غاية يستقر عليها وان أمر محمد سيرى الى غاية يتبين عندها أنه حق أو باطل وسيظهر لهم عاقبته أو وكل أمر من أمرهم وأمر محمد مستقر أي سيثبت ويستقر على حالة تخصه لان أو نصره في الدنيا وثوابه أو سعادته في الآخرة وقرئ بفتح القاف يعني كل أمر وهو مستقر أي ذو استقرار أو ذو وضع استقرار أو زمان استقرار وعن أبي جعفر مستمر بكسر القاف والجر عطفا على الساعة أي اقتربت الساعة واقترب كل أمر مستمر يستقر وبتين حاله (من الانباء) من القرآن الوضع أنباء القرون الخالية أو أنباء الآخرة وما وصف من عذاب الكفار (مزدجر) ازدجار أو موضع ازدجار والمعنى هو في نفسه موضع الازدجار ومطنة له كقوله تعالى لكم في رسول الله أسوة حسنة أي هو أسوة وقرئ مزجر بقلب تاء الافتعال زايا وادغام الزاي فيها (حكمة بالغة) بدل من ما والمعنى هو حكمة وقرئ بالنصب حالا من ما (فان قلت) ان كانت ما موصولة فما وجه الحال أن تنصب حكمة حالا فكيف تصنع ان كانت موصولة وهو الظاهر (قلت) تنصبها الصفة فيصير نصب الحال عنها (فما تغني النذر) نفي أو انكار وما مصدرية أي فأي غناء تغني النذر (فتول عنهم) الملك أن الانذار لا يغني فيهم * نصب (يوم يدع الداعي) بمحذوف أو باضمار اذكر وقرئ باسقاط الياء اكتفاء بالكسرة عنها والداعي اسرافيل أو جبريل كقوله تعالى يوم ينادي المنادي (الى شيء نكر) منكر فظيع تنكره النفوس لانها لم تعتد مثله وهو هول يوم القيامة وقرئ نكر بالتخفيف ونكر يعني أنكر (خاشعا أبصارهم) حال من الضمير في عنهم لان الابصار وذكر كما تقول يخشع أبصارهم وقرئ خاشعة على تخشع أبصارهم وخشعا على يخشعن أبصارهم وهي لغة من يقول أكلوني البراغيث وهم طيء وجوز أن يكون في خشعا ضمير هم وتقع أبصارهم بدلا منه وقرئ خشع أبصارهم على الابتداء والخبر وجعل الجملة نصبا على الحال كقوله * وجدنا صاحراه الجود والكرم وتخشع الابصار كناية عن الذلة والاختزال لان ذلة الذليل وعزة العزيز تظهران في عيونهما * وقرئ يخرجون من الاجداث (كأنهم جراد منتشر) الجراد مثل في الكثرة والتموج يعال في الجيش الكثير الماج بعضه في بعض جاؤا كالجراد وكالجراد منتشرا في كل مكان لكثرته (مهطعين الى الداع) مسرعين منادي أعناقهم اليه وقيل ناظرين الى الملا يقلبون أبصارهم قال

تعدى فرين سعد وقد أرى * وقرين سعد لي مطيع ومهطع

(قبلهم) قبل أهل مكة (فكذبوا عبدنا) يعني نوحا (فان قلت) ما معنى قوله تعالى فكذبوا بعد قوله كذبت (قلت) معناه كذبوا فكذبوا عبدنا أي كذبوه تكذيبا على عقب تكذيب كلما مضى منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب أو كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا عبدنا أي لما كانوا ممن كذبوا بالرسل جاحدين للنبوة قرأ

هنا والآخر كما كان وهو ان ذلك كقول القائل أقدم فلان على الكفر فكفر بمحمد عليه الصلاة والسلام وقد مضى لي جوابان أحدهما يمكن اجراؤه هنا وما حاصله منع ورود السؤال لان الاول مطلق والثاني مقيد فليس تكرارا وهو كقوله في هذه السورة

وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغن النذر فتول عنهم يوم يدع الداعي الى شيء نكر خشعا أبصارهم يخرجون من الاجداث كأنهم جراد منتشر مهطعين الى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا

فتعاطى تعسفا ان تعاطيه هو نفس تعسف ولكن ذكر من جهة هو منه ثم من ناحية خصوصه اياها وهو

بعابة ذكره من حيث هو ان لم يكذب أولا محذوف دل عليه ذكر نوح فكأنه قال كذبت قوم نوح نوحا ثم كذبوا بما بتكذيبهم ثانيا مضافا الى قوله عبدنا فوصف نوحا بخصوص العبودية وأضافه اليه اضافة تشريف فالتكذيب المخبر عنه ثانيا أبشع عليهم من المذكور أولا لتلك الصفة والله أعلم

كذبوا وقالوا انه من حملة الرسل (مجنون) هو مجنون (وازدجر) وانتهروه بالشتم والضرب والوعيد بالرجم في قولهم لتكونن من المرجومين وقيل هو من جملة قيلهم أي قالوا هو مجنون وقد ازدجر نفسه الجن وتخطفته وذهبت به وطارت بقلبه * قرئ أني بمعنى فدعا بأني مغلوب وأني على ارادة القول فدعا فقال اني مغلوب غلبني قومي فلم يسمعوا مني واستحكم اليأس من ايمانهم فـ (انتصر) فانتقم منهم بعذاب تبعثه عليهم وانما دعا بذلك بعد ما طمع عليه الامر وبلغ السيل الزبا فقد روي أن الواحد من أمته كان يأتيه فيشتكيه حتى يخر مغشيا عليه فيفيق وهو يقول اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون * وقرئ ففتحنا مخففا مشددا * وكذلك وفجرنا (منهمر) منصب في كثرة وتتابع لم ينقطع أربعين يوما (وفجرنا الارض عيونا) وجعلنا الارض كلها كانها عيون تشبيها وهو أبلغ من قولك وفجرنا عيون الارض ونظيره في النظم واشتعل الرأس شيبا (فالتقى الماء) يعني ماء السماء والارض وقرئ الماآن أي النوعان من الماء السماوي والارضي ونحوه قولك عندي تمران تريد ضربان من التمر لا مرفى ومعقلي قال لذا البلان فهما ما علم وقرأ الحسن الماوان بقلب الهمزة واوا كقولهم علباوان (على أمر قد قدر) على حال قدرها الله كيف شاء وقيل على حالة مقدرة مستوية وهي ان قدر ما أنزل من السماء كقدر ما أخرج من الارض سواء سواء وقيل على أمر قد قدر في اللوح أنه يكون وهو هلاك قوم نوح بالطوفان (على ذات ألواح ودسر) أراد السفينة وهي من الصفات التي تقوم مقام الموصوفات فتجري مجرى أسمائها وإن لم يؤخذ حيث لا يفصل بينها وبينها نحو

* ولكن فيش مسرودة قمس حديد أراد ولكن فيش درع وكذلك ولوفي عيون النازبات أكرع أراد ولوفي عيون البراد ألا ترى أنك لو جمعت بين السفينة وبين هذه الصفة لقلت في الدرع والبراد وهاتين السفتين لم يصح وهذا من فصيح الكلام ويريد بالدسر جمع مسار وهو المسمار فعال من دسر اذا دفعه لانه يدسر به مستقره (جزاء) مفعول له أي اغرقهم من فتح أبواب السماء وما بعده أي فعلنا ذلك جزاء (لمن كان كفر) وهو نوح عليه السلام وجعله كفورا لان النبي نعمة من الله ورحمة قال الله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين فكان نوح عليه السلام نعمة مكفورة ومن هنا لعمي ما حكي أن رجلا قال للرشيد الحمد لله عليك فقال ما معنى هذا الكلام قال أنت نعمة حمدت الله عليها ويجوز أن يكون على تقدير حذف الجار وايصال الفعل وقرأ ابن عامر كفر أي يجزاه الكافرين وقرأ الحسن جزاء بالكسر أي جازاه * الضمير في (تركناها) للسفينة أي للفعلة التي جعلناها آية يعتبر بها وعن قتادة أبقاها الله بأرض الجزيرة وقيل على الجودي دهرا طويلا حتى نظر اليها أوائل هذه الامة * والذكر المتسبر وقرئ مذتكر على الاصل ومذكر بقلب التاء الادغام الدال فيها وهذا نحو مزدجر * والنذر جمع نذير وهو الانذار (ولقد يسرنا القرآن للذكر) أي سهلناه للذكر والاتعاظ بأن حفظناه بالمواعظ الشافية وصرفنا فيه من الوعد والوعيد (فهل من) معتظ وقيل ولقد سهلناه للحفظ وأعنا طالبه فهل من أراد حفظه فهل من طالب لحفظه ليعان عليه ويجوز أن يكون المعنى ولقد هيأناه للذكر من يسر ناقته للسفر اذا رحلها وسرى يسرى اذا سار ليلا وادلج مدلجا

وقت الصبا والجام ميسرا * هنالك يجزيني الذي كنت أصنع

ويروى أن كتب أهل الاديان نحو التوراة والانجيل لا يتلوها أهلها الا نظرا ولا يحفظونها ظاهرا كالقرآن (ونذر) وانذار أي فكيف رأيتم عذابي بعد انذاري اياكم بالعذاب قبل نزوله أو انذاري في تعذيبهم من بعدهم (في يوم نحس) في يوم شؤم وقرئ في يوم نحس كقولك في أيام نحسات (مستمر) قد استمر عليهم ودام حتى أهلكهم أو استمر عليهم جميعا كبيرهم وصغيرهم حتى لم يبق منهم نعم وكان في أربعاء في آخر الشهر لانور ويجوز أن يريد باستمرار الشدة المرارة والبشاعة (تنزع الناس) تقلعهم عن أماكنهم وكانوا يطلعون آخذين أيديهم بأيدي بعض ويتدحلون في الشعاب ويحفرون الحفر فيدسون فيها فتنزعهم وتكبهم على رؤسهم فتدق رقابهم (كانهم أعجاز نخل منقعر) يعني أنهم كانوا يتساقطون على الارض أمواتا وهم جثث طوال عظام كانهم أعجاز نخل وهي أصولها بلا فروع منقعر منقلع عن مغارسه وقيل شبهوا بأعجاز النخل لان الريح كانت تقطع رؤسهم فتبقى أجسادا بلا رؤس وذكر

مجنون وازدجر فدعا ربه أني مغلوب فانتصر ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر وحملناه على ذات ألواح ودسر تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر ولقد تركناها آية فهل من مدكر فكيف كان عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر

صيغة تدخل على اللفظ ولو حملها على المعنى لأنث كما قال أبجرتخل خاوية (أبشرا منا واحدا) نصب بفعل مضمر يفسره (نتبعه) وقرئ أبشر منا واحد على الابتداء ونتبعه خبره والاول أوجه للاستفهام * كان يقول ان لم نتبعه نكن في ضلال عن الحق وسعر ونيران جمع سعير فعكسوا عليه وقالوا ان اتباعك كما ان كاذبون كما تقول وقيل الضلال الخطأ والسعر الجنون يقال ناقة مسعورة قال

كأن بها سعرا اذا العيس هزها * ذميل وارخاه من السير متعب

(فان قلت) كيف أنكروا أن يتبعوا بشرا منهم واحدا (قلت) قالوا البشر انكار الان يتبعوا منهم في الجنسية مطلوبا أن يكون من جنس أعلى من جنس البشر وهم الملائكة وقالوا منا لانه اذا كان منهم كانت المماثلة أقوى وقالوا واحدا انكارا لان نتبع الامة برجلا واحدا أو أرادوا واحدا من أفنائهم ليس بأشرفهم وأفضلهم ويدل عليه قولهم (ألقي الذكر عليه من بيننا) أي أنزل عليه الوحي من بيننا وفينا من هو أحق منه بالاختصاص بالنبوة (أشر) بطر متكبر حمله بطره وشطارته وطلبه التعظم علينا على ادعاء ذلك (سيعلمون غدا) عند نزول العذاب بهم أو يوم القيامة (من الكذاب الاشر) أصالح أم من كذبه وقرئ ستعلمون بالتاء على حكاية ما قال لهم صالح عنيا لهم أو هو كلام الله تعالى على سبيل الالتفات وقرئ الاشر بضم الشين كقولهم حدث وحدث وحذر وحذر وأخوات لها وقرئ الاشر وهو البالغ في الشرارة والاخير بالاشر أصل قولهم هو خير منه وشر منه وهو أصل مرفوض وقد حكى ابن الانباري قول العرب هو أخير منه وأشر وما أخيره وما أشره (مرسلوا الناقة) باعثوها وأخرجوها من الهضبة كما سألوا (فتنة لهم) امتحانا لهم وابتلاء (فارتقبهم) فانتظر هلاكهم وتبصر ما يصنعون (واصطبر) على اذاهم ولا تعجل حتى يأتيك أمري (قسمة بينهم) مقسوم بينهم لشاربهم يوم ولهم شرب يوم والغلبة لمن يشرب يوم تغليبا للاناث على الذكور (محتضر) يحضرونها في نوبتهم والناقة تزدحم على الماء فتعقر (فتعاطى) فاجترأ على تعاطي الامر العظيم غير مكترث له * فأحدث الشقر الناقة (فتعاطى) الناقة فعقرها أو تعاطى السيف (صيحة واحدة) صيحة جبريل * والهشيم الشجر اليابس المتهشم المتكسر * والمحتظر الذي يعمل الحظيرة ويتخذها حظيرة يسمي بطول الزمان وتوطد الهاء فيضطم وترشم وقرأ الحسن بفتح الظاء وهو موضع الاحتظار أي الحظيرة (حاصبا) ريحا تحصبهم بالحاصب أي ترميهم (بسحر) يقطع من الليل وهو السدس الاخير منه وقيل هما سحران فالسحر الاعلى قبل انصداع الفجر والاسفر عند انصداعه وانشقه * مرت بأعلى السحرين تآل * وصرف لانه نكره وقال لقمة سحرا لقيته في سحر يوم (نعمة) انعاما مفعول له (من شكر) نعمة الله بايمانه وطاعته (ولقد أنذرهم) لوط عليه السلام (بطشتنا) أخذتنا بالعذاب (فتماروا) فكذبوا (بالنذر) منا كأن (طمسنا أعينهم) أخفيناها وسويناها كسائر الوجه لا يرى لها شق روي أنهم لما عالجوا باب لوط عليه السلام ليدخلوا قالت الملائكة خلهم يدخلوا انا رسل ربك لن يصلوا اليك فصفقهم جبريل عليه السلام بجناحه صفقة فتركهم يترددون لا يهتدون الى الباب حتى أخرجهم لوط (فذوقوا) نقل لهم ذوقوا على السنة الملائكة (بكرة) أول النهار وبا كره كقوله مصرفين ومصبحين وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما بكرة غير مصروفة تقول أتيته بكرة وغدوة بالتنوين اذا أردت التنكير وبغيره اذا عرفت وقصدت بكرة نهارك وغدوته (عذاب مستقر) ثابت قد استقر عليهم أن يفضي بهم الى عذاب الآخرة (فان قلت) ما فائدة تكرير قوله (فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) (قلت) فائدته أن يجدد وا عند اجتماع كل بأس من أبناء الاولين ادكارا وتعاظا وأن يستأنفوا تنبها واستيقاظا اذا سمعوا الحث على ذلك والبعث عليه وأن يقع لهم العبر والمزدجر ويتمتع لهم الشن تارات لئلا يغلبهم السهو ولا تستولي عليهم الغفلة وهكذا حكم كل تكرير كتكريره فبأي آلاء ربكما تكذبان عند كل نعمة عدها في سورة الرحمن وقوله ويل يومئذ للمكذبين عند كل آية أوردها في سورة والمرسلات وكذلك تكرير الانباء والقصص في أنفسها التكون تلك العبر حاضرة للقلوب مصورة للاذهان مذكورة غير منسية في كل أوان (النذر) موسى وهرون وغيرهما من الانبياء لانهما

قالوا أبشرا منا واحدا نتبعه انا اذا لفي ضلال وسعر أألقي الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر سيعلمون غدا من الكذاب الاشر انا مرسلوا الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر ونبئهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر فكيف كان عذابي ونذر انا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر انا أرسلنا عليهم حاصبا الا آل لوط نجيناهم بسحر نعمة من عندنا كذلك نجزي من شكر ولقد أنذرهم بطشتنا فتماروا بالنذر ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم فذوقوا عذابي ونذر ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ولقد جاء آل فرعون النذر

قوله تعالى انا كل شئ خلقناه بقدر (قال فيه منصوب بفعل يفسره الظاهر) قال أحمد كان قياس ما مر هذه النحاة اختيار رفع كل لكن لم يقرأ بها واحد من السبعة وانما كان كذلك لان الكلام مع الرفع جملة واحدة ومع النصب جملتان فالرفع أخصر مع أنه لا مقتضى للنصب ههنا من أحد الاصناف الستة أعني الامر والنهي الى آخرها ولا أحد هنا مما نسب عطف ولا غيره مما يمتنع من محال اختيار هـ للنصب فاذا تبين ذلك فاعلم أنه انما عدل عن الرفع اجماعا لامر لطيف وهو اختيار النصب وهو أنه لو رفع لوقعت الجملة التي هي خلقنا صفة لشئ ورفع قوله بقدر خبرا عن كل شئ اذ القيد الصفة ويحصل الكلام على تقدير انا كل شئ (٤٣٢) مخلوق له بقدر فافهم ذلك ان محاولة اضافة الى غير ما تعالى ليس بقدر وعلى

عرضا عليهم ما أنذرته المرسلون أو جمع نذير وهو الانذار (با آياتنا كلها) بالآيات التسع (أخذ عزيز) لا يغالب (مقتدر) لا يعجزه شئ (أكفاركم) يا أهل مكة (خير من أولئكم) الكفار المعدودين قوم نوح وهود وصالح ولوط وآل فرعون أي أهم خير قوة وآلة ومكانة في الدنيا أو أقل كفرا وعنادا يعني أن كفاركم مثل أولئك بل شر منهم (أم) أنزلت عليكم يا أهل مكة (براءة) في الكتب المتقدمة أن من كفر منكم وكذب الرسل كان آمنا من عذاب الله فأم منزل تلك البراءة (نحن جميع) جماعة أمرنا مجتمع (منتصر) ممتنع لازم والانتصام * وعن أبي جهل أنه ضرب فرسه يوم بدر فتقدم في الصف وقال نحن ننتصر اليوم من محمد وأصحابه فنزلت (سيهزم الجمع) من عكرمة لما نزلت هذه الآية قال عمر أي جمع يهزم فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يثب في الدرع ويقول سيهزم الجمع عرفت تأويلها (ويولون الدبر) أي الادبار كما قال * كلوا في بعض بطنكم تعفوا * وقرئ الادبار (أدهى) أشد وأفظع والداهية الامر المنكر الذي لا يهتدى لدوائه (وأمر) من الهزيمة والتذلل والاسر * وقرئ سنهزم الجمع (في ضلال وسعر) في هلاك ونيران أو في ضلال عن الحق في الدنيا ونيران في الآخرة (مس سقر) كقولك ذق وجسه مس الحمى وذاق طعم الضرب لان النار اذا أصابتهم حموها فاحترقوا بها لا مسها فكأنها تمسهم مسا بذلك كما يمس الحميم وما يماسه عاد وثمود (وذوقوا) على ارادة القول * وسقر علم لجهنم من سقرته النار وصقرته اذا لوحته قال ذو الرمة

اذا دنت الشمس اتقى صقراتها * بأفنان مرموق الصريمة معمل

وعدم صرفها للتعريف والتانيث (كل شئ) منصوب بفعل مضمر يفسره الظاهر وقرئ كل شئ بالرفع على الابتداء والقدر والقدر التقدير وقرئ بهما أي خلقنا كل شئ مقدرا محكما مرتبا على حسب ما اقتضته الحكمة أو مقدرا مكتوبا في اللوح معلوما قبل كونه قد علمنا حاله وزمانه (وما أمرنا الا واحدة) الا لمحة واحدة سريعة التكوين (كلمح بالبصر) أراد قوله كن يعني أنه اذا أراد تكوين شئ لم يلبث كونه (أشياعكم) أشباهكم في الكفر من الامم الخالية (في الزبر) في دواوين الحفظة (وكل صغير وكبير) من الاعمال ومن كل ما هو كائن (مستطر) مسطور في اللوح (ونهر) وأم ارا كتفى باسم الجنس وقيل هو السعة والضياء من النهار وقرئ بسكون الهاء ونهر جمع نهر كاسد وأسد (في مقعد صدق) في مكان مرضي وقرئ في مقاعد صدق (عند مليك مقتدر) مقربين عند مليك يهيم أمره في الملك والاقتدار فلا شئ الا وهو تحت ملكه وقدرته فأي منزلة أكرم من تلك المنزلة وأجمع للغبطة كلها والسعادة بأسرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القمر لم يخف يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر

﴿سورة الرحمن مكية وقيل مدنية وقيل فيها مكي ومدني وهي ست وسبعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

كذبوا با آياتنا كلها فاخذناهم أخذ عزيز مقتدر أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر أم يقولون نحن جميع منتصر سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر ان المجرمين في ضلال وسعر يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر انا كل شئ خلقناه بقدر وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر ولقد أهلكنا أشياعكم فهل من مدكر وكل شئ فعلوه في الزبر وكل صغير وكبير مستطر ان المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر

النصب بصير الكلام انا خلقنا كل شئ بقدر

فمفيد عموم نسبة كل مخلوق الى الله تعالى فلما كانت هذه الفائدة لا توازي بها الفائدة الحقيقية على قراءة الرفع مع ما في الرفع من نقصان المعنى ومع ما في هذه القراءة المستفيضة من مجيء المعنى تاما واضحا كما تقدم الصح لا جرم أجمعوا على العدول عن الرفع الى النصب لكن الزمخشري لما كان من قاعدة أصحابه تقسيم المخلوقات الى مخلوق لله ومخلوق لغير الله يقولون هذا لله زعمهم وهو الذي أفرغت هذه الآية فاه وقام اجماع القراء حجة عليه فاخذ يسترجع الى الشقاوة ويتنقل قراءتها بالرفع فليراجع له ويعرض عليه اعراض القراءة السبعة عن هذه الرواية مع أنها هي الاولى في العربية لولا ما ذكرناه أيجوز في حكمته حينئذ الاجماع على خلاف الاولى لفظا ومعنى من غير معنى اقتضى ذلك أم لا وهو الخبير فيما يحكم به قال الله ترجع الامور

﴿القول في سورة الرحمن﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان (قال فيه عبد الله عز وجل آلاءه فاراد أن يقدم أول شئ ما هو وأسبق قدما في ضروب آلائه الخ) قال أحمد تغير من هذا الكلام قوله (٤٢٤) ان خلق الانسان كان الغرض فيه أي المراد منه أن يحيط علما بالكتب والوحي ويعوض بان المراد بخلقه أن يدعى الى ذلك لا أن يقع ذلك منه فهذا هو المراد العام ثم منهم من أراد الله منه أن يحيط علما بالدين فيمرله ذلك ومنهم من أراد ضلالته وجهالته فيبعد عنه علمه ﴿وبالله التوفيق للصواب﴾ عاد كلامه (قال ثم ذكر ما تميز به

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان والسماء رفعها ووضع الميزان أن لا تطغوا في الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان والارض وضعها للانام فيها فاكهة والنخل ذات الاكمام والحب

عن سائر الحيوان من البيان وهو النطق الفصيح المعرب الخ) قال أحمد واما خص الجمل الاول بذكرها تمكينا للانسان لاجل النعمان عليها به ألا ترى أنه مذكور فيها نطقا واضمارا وحذفا

* عدد الله عز وعلا آلاءه فأراد أن يقدم أول شئ ما هو وأسبق قدما من ضروب آلائه وأصناف نعمائه وهي نعمة الدين فقدم من نعمة الدين ما هو في أعلى مراتبها وأقصى مراقيها وهو انعامه بالقرآن وتنزيله وتعليمه لانه أعظم وحي للغرتبة وأعلاه منزلة وأحسنه في أبواب الدين أثرا وهو سنام الكتب السماوية ومصداقها والعيار عليها وأخذ ذكر خلق الانسان من ذكره ثم أتبعه اياه لما علم أنه انما خلقه للدين وليحيط علما بوحيه وكتبه وما خلق الانسان من أجله وكان الغرض في انشائه كان مقدما عليه وسابقا له ثم ذكر ما تميز به من سائر الحيوان من البيان وهو النطق الفصيح المعرب عما في الضمير و (الرحمن) مبتدأ وهذه الافعال مع فاعلها أخبار مترادفة واحدا وأخبار هما من الحاط لم يجئ على غط التعديد كما تقول زيد أعانك بعد فقر أعزك بعد ذل كثرك بعد قلة فعل بك ما لم يفعل بأحد حذف المكرر من احسانه (بحسبان) بحساب معلوم وتقدير رسوي (يجريان) في بروجهما وسائر لهما وفي ذلك منافع للناس عظيمة منها علم السنين والحساب (والنجم) والنبات الذي ينجم من الارض لا ساق له كالبقول (والشجر) الذي له ساق * وسجودهما انقيادهما لله فيما خلقا له وأنهما لا يمتنعان تشبيها بالساجد من المكلفين في انقياده (فان قلت) كيف اتصفت هاتان الجملتان بالرحمن (قلت) استغنى فيهما عن الوصل اللفظي بالوصل المعنوي لما علم أن الحسبان حسبانه والسجود له لانه قيل الشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له (فان قلت) كيف أدخل بالعاطف في الجمل الاول ثم جئ به بعد (قلت) بكت تلك الجمل الاول وأورده على سنن التعديد ليكون كل واحدة من الجمل مستقلة في تقريع الذين انكروا الرحمن وآلاءه كأنه بكت منكر أيادي المنعم عليه من الناس بتعديدها عليه في المقال الذي قدمته ثم رد الكلام الى منهاجه بعد التبكيت في وصل ما يجب وصله للتناسب والتقارب بالعاطف (فان قلت) أي تناسب بين هاتين الجملتين حتى وسط بينهما العاطف (قلت) ان الشمس والقمر سماويان والنجم والشجر أرضيان فبين القبيلين تناسب من حيث التقابل وان السماء والارض لا تزالان تذكران قرينتين وان جرى الشمس والقمر بحسبان من جنس الانقياد لامر الله فهو مناسب لسجود النجم والشجر وقيل علم القرآن جعله علامة وآية وعن ابن عباس رضي الله عنه الانسان آدم وعنه أيضا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن مجاهد النجم نجوم السماء (والسماء رفعها) خلقها مرفوعة سمكها حيث جعلها منشأ أحكامه ومصدر قضاياه ومنزل أوامره ونواهيه ومسكن ملائكته الذين يهبطون بالوحي على أنبيائه وبسببه بذلك على كبرياء شأنه وملكه وسلطانه (ووضع الميزان) وقرأ عبد الله ونحن نقرأ الميزان وأراد به كل ما توزن به الاشياء وتعرف مقاديرها من ميزان وقرسطون ومكيال ومقياس أي خلقه موضوعا يخفض طورا لي الارض حيث خلق به أحكام عباده وقضاياهم وما تعبدهم به من التسوية والتعديل في أخذهم وأعطائهم (ألا تطغوا) لئلا تطغوا أو هي أن المفسرة وقرأ عبد الله لا تطغوا بغير أن على ارادة القول (وأقيموا الوزن بالقسط) وقوموا وزنكم بالعدل (ولا تخسروا الميزان) ولا تنقصوه أمر بالتسوية ونهى عن الطغيان الذي هو اعتداء الوزن بزيادة وعن الخسران الذي هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية به وتقوية للامر باستعماله والحث عليه * وقرئ والسماء بالرفع ولا تخسروا بفتح التاء وضم السين وكسرها وفتحها بمعنى لا تخسر الميزان بخسره وتخسره وأما الفتح فعلى أن الاصل ولا تخسروا في الميزان فحذف الجار وأوصل الفعل (ووضعها) خفضها مدحوة على الماء (للانام) للخلق وهو كل ما على ظهر الارض من دابة وعن الحسن الانس والجن فهن كالهاد لهم يتصرفون فوقها (فاكهة) ضروب مما ينتفكه به و (الاكمام) كل ما يكم أي يغطى من ليفة وسعفة وكمرة

مدلولا عليه في الكلام وهو منطوق به مظهر في قوله خلق الانسان ومضمر في قوله علمه البيان ومدلولا على حذفه وله في قوله علم القرآن فانه المقصود الثاني أما قوله الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان فليس للانسان فيهما ذكر البتة وجل المقصود من سياقهما التنبيه على عظمة الله تعالى * عاد كلامه قال وانما قرن هاتين الجملتين لتناسبهما من حيث التقابل الخ

* قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان (قال فيه ان قلت لم قال منهما وانما يخرجان من الملح) قال أحمد هذا القول الثاني مردود بالمشاهدة والصواب هو الاول ومنه لو لا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم واغا أريد احدى القريتين هذا هو الصحيح الظاهر وتقول فلان من أهل دار مصر وانما بلده محلة واحدة منها * وقوله تعالى ويبقى وجه ربك

وكله منتفع به كالتفكه من ثمره وحبه وجذوعه وقيل الانام أوعية الثمر الواحد كنام بكسر الكاف و (العصف) ورق الزرع وقيل التبن (والريحان) الرزق وهو اللب أراد فيها ما يتلذذ به من الفواكه والجامع بين التلذذ والتغذى وهو ثمر الفضل وما يتغذى به وهو الحب وقرئ والريحان بالكسر ومعناه والحب ذو العصف الذى هو علف الانام والريحان الذى هو مطعم الناس وبالضم على وذو الريحان فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه وقيل معناه وفيها الريحان الذى يشم وفى مصاحف أهل الشام والحب ذا العصف والريحان أى وخلق الحب والريحان أو وأنعش الحب والريحان ويجوز أن يراد وذا الريحان فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه * والخطاب فى (ربكما تكذبان) للثقلين بدلالة الانام عليهما وقوله سنفرغ لكم أيها الثقلان * الصلصال الطين اليابس لصلصلة * والفخار الطين المطبوخ بالنار وهو الخزف (فان قلت) قد اختلف التنزيل فى هذا وذلك قوله عز وجل من حمأ مسنون من طين لازب من تراب (قلت) هو متفق فى المعنى ومفيد أنه خلقه من تراب جعله طينا ثم حمأ مسنونا ثم صلصالا و (الجان) أبو الجن وقيل هو ابليس * والمارج اللهب الصافى الذى لا دخان فيه وقيل المختلط بسواد النار من مرج الشئ اذا اضطرب واختلط * (فان قلت) فما معنى قوله (من نار) (قلت) هو بيان لمارج كأنه قيل من صاف من نار أو مختلط من نار أو أراد من نار مخصوصة كقوله تعالى وأنذرتكم نارا تلظى * قرئ رب المشرقين ورب المغربين بالجر بدلا من ربكما أو أراد مشرقى الصيف والشتاء ومغربيهما (مرج البحرين) أرسل البحر الملح والبحر العذب متجاورين متلاقيين لا فصل بين الماءين فى مرأى العين (ينهما برزخ) حاجز من قدرة الله تعالى (لا يبغيان) لا يجاوزان حدبهما ولا يبغى أحدهما على الآخر بالممازجة * قرئ يخرج ويخرج من أخرج وخرج ويخرج أى الله عز وجل اللؤلؤ والمرجان بالنصب وتخرج بالنون * واللؤلؤ الدر والمرجان هذا الحمر الاحمر وهو البسذ وقيل اللؤلؤ كبار الدر والمرجان صغاره (فان قلت) لم قال منهما وانما يخرجان من الملح (قلت) لما التقيا صارا كالشئ الواحد جاز أن يقال يخرجان منهما كما قال يخرجان من البحر ولا يخرجان من جميع البحر ولكن من بعضه وتقول خرجت من البلد وانما خرجت من محلة من محله بل من دار واحدة من دوره وقيل لا يخرجان الا من ملتقى الملح والعذب (الجوارى) السفن وقرئ الجوار بحذف الياء ورفع الراء وغيره

هاتا بأربع حسان * وأربع كالهاتان

و (المنشآت) المرفوعات الشرع وقرئ بكسر الشين وهى الرافعات الشرع أو اللاتى ينشئن الامواج بجريهن * والاعلام جمع علم وهو الجبل الطويل (عليها) على الارض (وجه ربك) ذاته والوجه يعبر به عن الجملة والذات ومساكين مكة يقولون أين وجه عربى كريم يبقى من الهوان و (ذو الجلال والاكرام) صفة الوجه وقرأ عبيد الله الذى على صفة ربك ومعناه الذى يحله الموحدون من التشبيه بخلقه وعن أعدائهم أو الذى يقال له ما أجلالك وأكرمك أو من عنده الجلال والاكرام للمخلصين من عباده وهذه الصفة من عظيم صفات الله ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألظوا بياذا الجلال والاكرام وعنه عليه الصلاة والسلام أنه سمع برجل وهو يصلى ويقول ياذا الجلال والاكرام فقال قد استجيب لك (فان قلت) ما النعمة فى ذلك (قلت) أعظم النعمة وهو حين عوقت الجزاء عقيب ذلك * كل من أهل السموات والارض مفتقرون اليه فيسأله أهل السموات ما يتعلق بدينهم وأهل الارض ما يتعلق بدينهم ودنياهم (كل يوم هو فى شأن) أى كل وقت وحين يحدث أمورا يجدد أحوالا كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه تلا هذه فقيل له وما ذلك الشأن فقال من شأنه أن يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين وعن ابن عيينة الدهر عند الله تعالى يومان أحدهما

ربكما تكذبان فبأى آلاء ربكما تكذبان خلق الانسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار فبأى آلاء ربكما تكذبان رب المشرقين ورب المغربين فبأى آلاء ربكما تكذبان مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان فبأى آلاء ربكما تكذبان يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان فبأى آلاء ربكما تكذبان وله الجوار المنشآت فى البحر كالاعلام فبأى آلاء ربكما تكذبان كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام فبأى آلاء ربكما تكذبان يسئله من فى السموات والارض كل يوم هو فى شأن فبأى آلاء ربكما تكذبان

ذو الجلال والاكرام (قال فيه الوجه يعبر به عن الذات ومساكين مكة يقولون) قال أحمد

٥٤ تشاف ى

المعتزلة يسكرون أصفات الالهية التى دل عليها العقل فكيف بالصفات الخبرية من حمل الوجه واليدين والعينين على نحو ما ذكرناه وبينا فيها صفات سمعية * ثم قال فان قلت كيف عد هذا من الآلاء والنعم وحاصله فناء الخلق وأجاب بأن معناه انهم يفنون ثم يعيدون الى دار الجزاء أى دار النعيم المقيم الحقيقى بأن يكون هو النعيم لا غير

اليوم الذى هو مدة عمر الدنيا فشأنه فيه الامر والنهى والاماتة والاحياء والاعطاء والمنع والآخر يوم القيامة فشأنه فيه الجزاء والحساب وقيل نزلت فى اليهود حين قالوا ان الله لا يقضى يوم السبت شيأ وسأل بعض الملوك وزيره عنها فاستمهله الى الغد وذهب كئيبا فمر فيها فقال غلام له أسود يا مولاى أحرق ما أصابك لعل الله يسهل لك على يدى فأخبره فقال له أنا أفسرها للملك فأعلمه فقال أيها الملك شأن الله أن يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل ويخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ويشفى سقيما ويسقم سليما ويبتلى معافا ويعافى مبتلى ويعز ذليلا ويذل عزيزا ويفقر غنيا ويغنى فقيرا فقال الامير أحسنت وأمر الوزير أن يخلع عليه ثياب لوزارة فقال يا مولاى هذا من شأن الله وعن عبد الله بن طاهر أنه دعا الحسين بن الفضل وقال له أشكلت على ثلاث آيات دعوتك لتكشفها لى قوله تعالى فأصبح من النادمين وقد صح أن الندم توبة وقوله تعالى كل يوم هو فى شأن وقد صح أن القلم قد جف بما هو كائن الى يوم القيامة وقوله تعالى وأن ليس للانسان الا ما سعى قال الحسين يجوز أن لا يكون الندم توبة فى تلك الامة ويكون توبة فى هذه الامة لان الله تعالى خص هذه الامة بخصائص لم يشاركهم فيها الامم وقيل ان ندم قابيل لم يكن على قتل هابيل ولكن على حمله وأما قوله وأن ليس للانسان الا ما سعى فمحاه ليس له الا ما سعى عدلا ولكن أن أجزيه بواحدة ألف فضلا وأما قوله كل يوم هو فى شأن فانه شئون يبديها لا شئون يبتدئها فقام عبد الله وقبل رأسه ووسع خراجه (سنفرغ لكم) مستعار من قول الرجل ان بهذا لسأفرغ لك يريد سأتجرد للذى يقلقك من كل ما يشغلنى عنك حتى لا يكون لى شغل سواه والمراد التوفر على الشكاية فيه والانتقام منه ويجوز أن يراد ستنتهى الدنيا وتنتهى آخرها وتنتهى عند ذلك شؤن الخلق التى أرادها بقوله كل يوم هو فى شأن فلا يبقى الا شأن واحد وهو جزاؤكم فجعل ذلك فراغا لهم على طريق المثل وقرئ سيفرغ لكم أى الله تعالى وسأفرغ لكم وسنفرغ بالنون مفتوحا ومكسورا وفتح الراء وسيفرغ بالياء مفتوحا ومضموما مع فتح الراء وفى قراءة أبى سنفرغ اليكم بمعنى سنقصد اليكم * والثقلان الانس والجن سميا بذلك لانهما ثقلا الارض (يا معشر الجن والانس) كالترجمة لقوله أيها الثقلان (ان استطعتم) أن تهربوا من قضائى وتخرجوا من ملكوتى ومن سمائى وأرضى فافعلوا * ثم قال لا تقدرون على النفوذ (الا بسلطان) يعنى بقوة وقهر وغلبة وأنى لكم ذلك ونحوه وما أنتم بمعجزين فى الارض ولا فى السماء وروى أن الملائكة عليهم السلام تنزل فتحيط بجميع الخلائق فاذا رآهم الجن والانس هربوا فلا يأتون وجها الا وجدوا الملائكة أطافت به * قرئ شواظ ونحاس كلاهما بالضم والكسر والشواظ اللهب الخالص والنحاس الدخان وأنشد

تضىء كضوء سراج السليـ ـط لم يجعل الله فيه نحاسا

وقيل الصفر المذاب يصب على رؤسهم وعن ابن عباس رضى الله عنهما اذا نجوا من قبورهم استقبلهم شواظ الى المحشر وقرئ ونحاس مرفوعا عطفا على شواظ ومجرورا عطفا على نار وقرئ ونحس جمع نحاس وهو الدخان نحو لحاف ولحف وقرئ ونحس أى ونقتل بالعذاب وقرئ نرسل عليكما شواظا من نار ونحاسا (فلا تنتصران) فلا تمتنعان (وردة) حمراء (كالدهان) كدهن الزيت كما قال كالمهل وهو دردى الزيت وهو جمع دهن أو اسم ما يدهن به كالخزام والادام قال

كأنهما مزادتا متجهل * فريان لم تدهنا بدهان

قيل الدهان الاديم الاحمر وقرأ عمرو بن عبيد وردة بالرفع بمعنى فصارت سماء وردة وهو من الكلام الذى يسمى التجريد كقوله

فلئن بقيت لأرحلن بغزوة * تحوى الغنائم أو يموت كريم

(انس) بعض من الانس (ولا جان) أريد به ولا جن أى ولا بعض من الجن فوضع الجان الذى هو أبو الجن موضع الجن كما يقال هاشم ويراد ولده وانما وحد ضمير الانس فى قوله عن ذنبه لكونه فى معنى البعض والمعنى لا يسألون لانهم يعرفون بسيما المجرمين وهى سواد الوجوه وزرقة العيون (فان قلت) هذا خلاف قوله تعالى

سنفرغ لكم أيه الثقلان فبأى آلاء ربكما تكذبان يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان فبأى آلاء ربكما تكذبان يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران فبأى آلاء ربكما تكذبان اذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان فبأى آلاء ربكما تكذبان فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان فبأى آلاء ربكما تكذبان يعرف المجرمون بسيماهم

* قوله تعالى لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان (قال فيه لم يطمث الانسى ولا الجنية حتى الخ) قال أحمد بشير الى الرد على من زعم ان الجن المؤمنين لا ثواب لهم وانما جزاؤهم ترك العقوبة وجعلهم ترابا

* وقال فى قوله ومن دونهما جنتان لغا تقاصرت صفة هاتين الجنتين عن صفة الاوليين حتى قال ومن دونهما لانه قال هذه جنتان وذلك دون ذواتا أفنان ونضاختان وذلك دون تجريان وفاكهة وذلك دون

فوربك لنسألنهم أجمعين وقوله وقفوهم انهم مسؤلون (قلت) ذلك يوم طويل وفيه مواطن فيسألون في موطن ولا يسألون في آخر قال قتادة قد كانت مسئلة ثم ختم على أفواههم وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون قيل لا يسأل عن ذنبه فيهم من حقه ولكن يسأل سؤال توبيخ وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد ولا جأن فرارا من التقاء الساكنين وان كان على حده (فيؤخذ بالنواصي والاقدام) عن الضحاك يجمع بين ناصيته وقدمه في سلسلة من وراء ظهره وقيل تجمعهم الملائكة تارة تأخذ بالنواصي وتارة تأخذ بالاقدام (حميم آن) ماء حار قد انتهى حره ونضجه أي يعاقب عليهم بين التصلية بالنار وبين شرب الحميم وقيل اذا استغاثوا من النار جعل غياثهم الحميم وقيل ان واديا من أودية جهنم يجتمع فيه صديد أهل النار فينطلق بهم في الاغلال فيقفون فيه حتى تنضج أوصالهم ثم يخرجون منه وقد أحدث الله لهم خلقا جديدا * وقرئ يطوفون من التطويف ويطوفون أي يتطوفون ويطافون وفي قراءة عبد الله هذه جهنم التي كنتم بها تكذبون تصلبان الا عوتان فيها ولا تحيان يطوفون بينها * ونعمة الله فيما ذكره من هول العذاب نجاة الناجي منه برحمته وفضله وساق الانذار به من اللطف (مقام ربه) موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب يوم القيامة يوم يقوم الناس لرب العالمين ونحوه لمن خاف مقامي وجوز أن يراد مقام ربه ان الله قائم عليه أي حافظ معين من قوله تعالى أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت فهو يراقب ذلك فلا يجسر على معصيته وقيل هو مصدر كما تقول أعاذ جانب فلان وفعلت هذا لمكانك وأنشد

ذعرت به القطا ونفيت عنه * مقام الذئب كالرجل اللعين

يريد ونفيت عنه الذئب * (فان قلت) لم قال (جنتان) (قلت) الخطاب للثقلين فكأنه قيل لكل خائفين منكما جنتان جنة للخائف الانسي وجنة للخائف الجني ويجوز أن يقال جنة لفعل الطاعات وجنة لترك المعاصي لان التكليف دائر عليهما وأن يقال جنة يثاب بها وأخرى تضم اليها على وجه التفضل كقوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة * خص الافنان بالذكر وهي الغصنة التي تتشعب من فروع الشجرة لانها هي التي تورق وتثمر فهي تفصل الظلال ومنها تجتني الثمار وقيل الافنان ألوان النعم ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين قال

ومن كل أفنان اللذاذة والصبا * لهوت به والعيش أخضر ناضر

(عينان تجريان) حيتان تجريان من جبل من مسك وعن الحسن تجريان بالماء الزلال احداهما التسنيم والاخرى السلسبيل (زوجان) صنفان قيل صنف معروف وصنف غريب (متكئين) نصب على المدح للخائفين أو حال منهم لان من خاف مقامي الجنج (بطائنها من استبرق) من ديباج ثخين واذا كانت البطائن من الاستبرق فما ظنك بالظهائر وقيل ظهائرها من سندس وقيل من نور (دان) قريب يناله القائم والقاعد والنائم * وقرئ ودني بكسر الجيم (فيهن) في هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش والجنى أو في الجنتين لاشتمالهما على أماكن وقصور وجمع الانس (قاصرات الطرف) نساء قصرن أبصارهن على أزواجهن لا ينظرن الى غيرهم * لم يطمث الانسيات منهن أحد من الانس ولا الجنيات أحد من الجن وهذا دليل على أن الجن يطمثون كما يطمث الانس * وقرئ لم يطمثن بضم الميم قيل هن في صفاء الياقوت وبياض المرجان وحمرة الورد أصفى ياضا قيل ان الحور الانسيات سبعين حلة فيرى مخ ساقها من ورائها كما يرى الشراب الاحمر في الزجاجة البيضاء (هل جزاء الاحسان) في العمل (الا الاحسان) في الثواب وعن محمد بن الحنفية هي معجلة للبر والفاجر أي من سنة يعني أن كل من أحسن أحسن اليه وكل من أساء أسئ اليه (ومن دونهما) ومن دون تلك الجنتين الموعودتين للمقربين (جنتان) لمن دونهم من أصحاب اليمين (مدهامتان) قد اد هامتا من شدة الخضرة (نضاختان) فوارتان بالماء والنضخ أكثر من النضح لان النضخ غير مجمة مثل الرش (فان قلت) لم عطف الفعل والرمان على الفاكهة وهما منها (قلت) اختصاصا لهما وبيانا لفضلهما كأنهما ليسا من الجنس كقوله تعالى وجبريل وميكائيل أو لان الفعل ثمره فاكهة وطعام والرمان فاكهة ودواء فلم يخلص للتفكه ومنه قال أبو حنيفة

فيؤخذ بالنواصي والاقدام فبأي آلاء ربكما تكذبان هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن فبأي آلاء ربكما تكذبان ولمن خاف مقام ربه جنتان فبأي آلاء ربكما تكذبان ذواتا أفنان فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان فبأي آلاء ربكما تكذبان متكئين على فرش بطائنها من استبرق وجنى الجنتين دان فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فبأي آلاء ربكما تكذبان كأنهن الياقوت والمرجان فبأي آلاء ربكما تكذبان هل جزاء الاحسان الا الاحسان فبأي آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما جنتان فبأي آلاء ربكما تكذبان مدهامتان فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهن

رحمه الله اذا حلف لا يأكل فاكهة فأكل رمانا أو رطبا لم يحنث وخالفه صاحباه (خيرات) خيرات خففت كقوله عليه السلام هينون لينون وأما خير الذى هو بمعنى أخير فلا يقال فيه خيرون ولا خيرات وقرئ خيرات على الاصل والمعنى فاضلات الاخلاق * حسان الخلق (مقصورات) قصرن فى خدورهن يقال امرأة قصيرة وقصورة مقصورة مخدرة وقيل ان الخيمة من خيامهن درة مجوفة (قبلهم) قبل أصحاب الجنتين دل عليهم ذكر الجنتين (متكئين) نصب على الاختصاص والرفرف ضرب من البسط وقيل البسط وقيل الوسائد وقيل كل ثوب عريض رفرف و يقال لاطراف البسط وفضول المساطيط رفارف ورفرف السحاب هيدبه * والعبقرى منسوب الى عبقر تزعم العرب أنه بلد الجن فينسبون اليه كل شئ عجيب وقرئ رفارف خضر بضمتين وعباقرى كمدائنى نسبة الى عباقر اسم البلد وروى أبو حاتم عباقرى بفتح القاف ومنع الصرف وهذا لا وجه لصحته (فان قلت) كيف تقاصرت صفات هاتين الجنتين عن الاوليين حتى قيل ومن دونهما (قلت) هذه مائتان دون ذواتا أفنان ونضاختان دون تجريان وفاكهة دون كل فاكهة وكذلك صفة الحور والمتكأ وقرئ ذو الجلال صفة للاسم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرحمن أدى شكر ما أنعم الله عليه

﴿سورة الواقعة مكية وهى سبع وتسعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(وقعت الواقعة) كقولك كانت الكائنة وحدثت الحادثة والمراد القيامة وصفت بالوقوع لانها تقع لا محالة فكانه قيل اذا وقعت التى لا بد من وقوعها ووقوع الامر نزوله يقال وقع ما كنت أتوقعه أى نزل ما كنت أترقب نزوله (فان قلت) لم انتصب اذا (قلت) بليس كقولك يوم الجمعة ليس لى شغل أو بمحذوف يعنى اذا وقعت كان كيت وكيت أو باضمار اذكر (كاذبة) نفس كاذبة أى لا تكون حين تقع نفس تكذب على الله وتكذب فى تكذيب الغيب لان كل نفس مهما تصور منه صادقة مصدقة وأكثر النفوس اليوم كواذب مكذبات كقوله تعالى فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه أليس فى جهنم مثوى للكافرين وقرئ كاذبة بالنصب على المصدر كالعافية والعاقبة بمعنى ليس لوقعتها نفس تكذب فيها تكذيبا كما تكذب سائر النفوس أو على الحال بمعنى ليس لوقعتها نفس تكذب فيها أحدا بل يصدق كل أحد ويصدق فيها كل أحد أو على أنها مصدر كالعافية بمعنى أنها واقعة لا تطاق شدة وفظاعة وان لا نفس حينئذ تحدث صاحبها بحدثه عند عظائم الامور وترى له احتفالا واطراقها لانها يومئذ أشد من ذلك وأدل الا ترى الى قوله تعالى كالفراش المبثوث والفراش مثل فى الضعف وقيل كاذبة مصدر كالعافية بمعنى التكذيب من قولك حمل على قرنه فما كذب أى فما جبن وما نبط وحقيقته فما كذب نفسه فيما حدثته به من اطاقته له واقدامه عليه قال زهير

اذا ما الليث كذب عن أقرانه صدقا ... أى اذا وقعت لم تكن لها رجعة ولا ارتداد (خافضة رافعة) على هى خافضة رافعة ترفع أقواما وتضع آخرين اما وصفها لها بالشدة لان الواقعات العظام كذلك يرتفع فيها ناس الى حيث يتضع ناس واما لان الاشقياء يحطون الى الدركات والسعداء يرفعون الى الدرجات واما انها تزلزل الاشياء وتزيلها عن مقارها فتخفض بعضا وترفع بعضا حيث تسقط السماء كسفا وتنتثر الكواكب وتسير الجبال فتمر فى الجو مر السحاب وقرئ خافضة رافعة بالنصب على الحال (رجت) حركت تحريكا شديدا حتى ينهدم كل شئ فوقها من جبل وبناء (وبست الجبال) وفتت حتى تعود كالسويق أو سيقت من بس الغنم اذا ساقها كأنها وبست بسا (منبثا) منفرقا وقرئ بالثاء أى منقطعا وقرئ رجت وبست أى ارتجت ودهست وفى كلام بعض الحبس عينها هاج وصلاها راج وهى قشى وتفاج (فان قلت) لم انتصب اذا رجت (قلت) هو بدل من اذا وقعت ويجوز أن ينتصب بخافضة رافعة أى تخفض وترفع وقت رج الارض وبس الجبال لانه عند ذلك يتخفض ما هو مرتفع ويرتفع ما هو منخفض (أزواجا) أصنافا يقال للاصناف التى

يتبعها

خيرات حسان فبأى آلاء ربكما تكذبان حور مقصورات فى الخيام فبأى آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فبأى آلاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف خضر وعبقرى حسان فبأى آلاء ربكما تكذبان تبارك اسم ربك ذى الجلال والاكرام

﴿سورة الواقعة مكية وهى سبع وتسعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

اذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة خافضة رافعة اذا رجت الارض رجا وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا وكنتم أزواجا ثلاثة

﴿القول فى سورة الواقعة﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* قوله تعالى ليس لوقعتها كاذبة (قال فيه) كاذبة مصدر تقدير * وصوفها نفس كاذبة الخ

*قوله تعالى وأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم (قال فيه ما تعجب من حال المقربين الخ) قال أحمد اختار ما هو المختار لانه اقعد بالفصاحة لكن بقي التنبيه على المخالفة بين المذكورين في السابقين وفي أصحاب اليمين مع ان كل واحد منهما انما أريد به التعظيم والتهويل لحال المذكورين فتقول التعظيم المؤدى بقوله السابقون أبلغ من قرينه وذلك ان مؤدى هذا ان أمر السابقين فاصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم تلهمن الاولين وقليل من الآخرين على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين

وعلمه شأنه ما لا يكاد يخفى واما تفسيرهم السابع فيه مشهور وأما المذكور في قوله وأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة فانه تعظيم على السامع بما ليس عنده منه علم سابق الا ترى كيف سيق بسط حال السابقين بقوله أولئك المقربون جمع بين اسم الاشارة المشار به الى معروف وبين الاخبار عنه بقوله المقربون معروفا بالالف واللام المعهدية وليس مثل هذا مذكورا في بسط حال أصحاب اليمين فانه معلوم بقوله في سدر مخضود

بعضها مع بعض أو يذكر بعضها مع بعض أزواج (فأصحاب الميمنة) الذين يؤتون صحائفهم بأيمانهم (وأصحاب المشأمة) الذين يؤتونها بشمائلهم أو أصحاب المنزلة السنية وأصحاب المنزلة الدنية من قولك فلان مني باليمين وفلان مني بالشمال اذا وصفتهما بالرفعة عندك والضعة وذلك لتيمنهم باليامن وتشاؤمهم بالشمائل ولتفاؤلهم باليامن وتطيرهم من البارح ولذلك اشتقوا لليمن الاسم من اليمن وسموا الشمال الشؤمى وقيل أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة أصحاب اليمن والشؤم لان السعداء صاروا مين على أنفسهم بطاعتهم والاشقياء ميامين عليها بمعصيتهم وقيل يؤخذ بأهل الجنة ذات اليمين وبأهل النار ذات الشمال (والسابقون) المخلصون الذين سبقوا الى مادعاهم الله اليه وشقوا الغبار في طلب مرضاة الله عز وجل وقيل الناس ثلاثة فرجل ابتكر الخير في حداثة سنه ثم داوم عليه حتى خرج من الدنيا فهذا السابق المقرب ورجل ابتكر عمره بالذنب وطول الغفلة ثم راجع توبة فهذا اصاحب اليمين ورجل ابتكر الشر في حداثة سنه ثم لم يزل عليه حتى خرج من الدنيا فهذا صاحب الشمال *ما أصحاب الميمنة وما أصحاب المشأمة تعجيب من حال الفريقين في السعادة والشقاوة والمعنى أي شئ هم *والسابقون السابقون يريد والسابقون من عرفت حالهم وبلغك وصفهم كقولهم وعبد الله عبد الله وقول أبي النجم وشعري شعري كأنه قال وشعري ما أنتهى اليك وسمت فصاحته وبراعته وقد جعل السابقون تأكيدا وأولئك المقربون خبرا وليس بذلك ووقف بعضهم على والسابقون وابتدأ السابقون أولئك المقربون والصواب أن يوقف على الثاني لانه تمام الجملة وهو في مقابلة ما أصحاب الميمنة وما أصحاب المشأمة (المقربون في جنات النعيم) الذين قربت درجاتهم في الجنة من العرش وأعليت مراتبهم * وقرئ في جنة النعيم *والثلة الامة من الناس الكثيرة قال

وباءت الهم ثلة حنفية * يجيش كتيار من السيل مزبد

وقوله عز وجل وقليل من الآخرين كفى به دليلا على الكثرة ونفى من الثل وهو الكسر كأن الامة من الامم وهو الشيع كأنها جماعة كسرت من الناس وقطعت منهم والمعنى أن السابقين من الاولين كثير وهم الامم من لدن آدم عليه السلام الى محمد صلى الله عليه وسلم (وقليل من الآخرين) وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل من الاولين من متقدمي هذه الامة ومن الآخرين من متأخريها وعن النبي صلى الله عليه وسلم الثلثان يعني أمتي (فان قلت) كيف قال وقليل من الآخرين ثم قال ثلة من الآخرين (قلت) هذا في السابقين وذلك في أصحاب اليمين وأنهم يتكاثرون من الاولين والآخرين جميعا (فان قلت) فقد روي أنها لما نزلت شق ذلك على المسلمين فأنزل الرسول الله صلى الله عليه وسلم ليرجعه حتى نزلت ثلة من الاولين وثلة من الآخرين (قلت) هذا لا يصح لامرين أحدهما أن هذه الآية واردة في السابقين ورود اظهار او كذلك الثانية في أصحاب اليمين ألا ترى كيف عطف أصحاب اليمين ووعدهم على السابقين ووعدهم والثاني أن النسخ في الاخبار غير جائز وعن الحسن رضي الله عنه سابقو الامم أكثر من سابق أمتنا وتابعوا الامم مثل تابعي هذه الامة وثلة خبر مبتدا محذوف أي هم ثلة (موضونة) مرمولة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت قد وصل بعضها ببعض كما توضن حلق الدرع قال الاعشى *ومن نسج داود موضونة * وقيل متواصلة أدنى بعضها من بعض (متكئين) حال من الضمير في على وهو العامل فيها أي استقر واعليها متكئين (متقابلين) لا ينظر بعضهم في أقفاء بعض صفوا تحسن العشرة وتهذيب الاخلاق والآداب (مخلدون) ممقون أبدا على شكل الولدان وحد الوصافة لا يحولون عنه وقيل مسورون والخلد القرط وقيل هم أولاد أهل الدنيا لم تكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها روي عن علي رضي الله عنه وعن الحسن وفي الحديث أولاد الكفار خدام أهل الجنة *الاكواب أوان لا عرى لها وخراطيم * والاباريق ذوات

الخراطيم (لا يصدعون عنها) أي بسببها وحقيقته لا يصدر صداعهم عنها أو لا يفرقون عنها وقرأ مجاهد لا يصدعون بمعنى لا يتصدعون لا يتفرقون كقوله يومئذ يصدعون ويصدعون أي لا يصدع بعضهم بعضا لا يفرقونهم (يخيرون) يأخذون خيره وأفضله (يشتهون يتمنون * وقرئ ولحوم طير * قرئ وحورعين بالرفع على وفيها حورعين كأمثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما الا قيلا سلاما سلاما وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة وفرش مرفوعة انا أنشأناهن انشاء فجعلناهن أبكارا عربا أترابا لاصحاب اليمين ثلة من الاولين وثلة من الآخرين وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال في سموم وحميم وظل من يحموم لا بارد ولا كريم انهم كانوا قبل ذلك مترفين وكانوا يصرون على الحنث العظيم وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أو آباؤنا الاولون قل ان الاولين والآخرين لمجموعون

بالجر عطفة على جنات النعيم كأنه قال هم في جنات النعيم وفاكهة ولحم وحور أو على أكواب لأن معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب يتعممون بأكواب وبالنصب على ويؤتون حورا (جزاء) مفعول له أي يفعل بهم ذلك كله جزاء بأعمالهم (سلاما سلاما) امابدل من قيلا بدل قوله لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما وأما مفعول به لقيلا بمعنى لا يسمعون فيها الا أن يقولوا سلاما سلاما والمعنى أنهم يفشون السلام بينهم فيسلمون سلاما بعد سلام وقرئ سلام سلام على الحكاية * السدر شجر النبق * والمخضود الذي لا شوك له كأنما خضد شوكه وعن مجاهد النور الذي ينشق أغصانه كثرة حمله من خضد الغصن اذا ثنائه وهو رطب * والطلح شجر الموز وقيل هو شجر أم غيلان وله نوار كثير طيب الرائحة وعن السدي شجر يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمرا حلى من العسل وعن علي رضي الله عنه أنه قرأ وطلع وما شأن الطلع وقرأ قوله لها طلع نضيد فقيل له أوخرها فقال آي القرآن لا تهاج اليوم ولا تحول وعن ابن عباس نحوه * والمنضود الذي نضد بالحمل من أسفله الى أعلاه فليست له ساق بارزة (وظل ممدود) ممتد منبسط لا يتقلص كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس (مسكوب) يسكب لهم أين شاؤا وكيف شاؤا لا يتعذر فيه وقيل دائم الجرية لا ينقطع وقيل مصبوب يجري على الارض في غير أخدود (لا مقطوعة) هي دائمة لا تنقطع في بعض الاوقات كفيا كه الدنيا (ولا ممنوعة) لا تمنع عن متناولها بوجه ولا يحظر عليها كما يحظر على بساتين الدنيا * وقرئ وفاكهة كثيرة بالرفع على وهناك فاكهة كقوله وحور عين (وفرش) جمع فراش وقرئ وفرش بالتخفيف (مرفوعة) نضدت حتى ارتفعت أو مرفوعة على الاسرة وقيل هي النساء لان المرأة تكنى عنها بالفراش مرفوعة على الارائك قال الله تعالى هم وأزواجهم في ظلال على الارائك متكئون ويدل عليه قوله تعالى (انا أنشأناهن انشاء) وعلى التفسير الاول ضمير الفاعل لان ذكر الفرش وهي المضاجع دل على من أنشأناهن انشاء أي ابتدأنا خلقهن ابتداء جديدا من غير ولادة فأما أن يراد الذي ابتدئ انشاؤهن أو الذي أعيد انشاؤهن وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أم سلمة رضي الله عنها سألته عن قول الله تعالى انا أنشأناهن فقال يا أم سلمة هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز رمصا جعلهن الله بعد الكبر (أترابا) على ميلاد واحد في الاستواء كلهن آتراب أزواجهن وجدوهن أبكارا فلما سمعت عائشة رضي الله عنها ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت وا وجعاه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيس هذا وجع وقالت يجوز لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو الله أن يدخلني الجنة فقال ان الجنة لا تدخلها العجائز فولت وهي تبكي فقال عليه الصلاة والسلام أخبروها أنها اليست يومئذ بعجوز وقرأ الآية (عربا) وقرئ عربا بالتخفيف جمع عروب وهي المتحببة الى زوجها الحسنة التبعل (أترابا) مستويات في السن سنات ثلاث وثلاثين وأزواجهن أيضا كذلك وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل أهل الجنة الجنة جردا مردا بيضا جعادا مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين * واللام في لاصحاب اليمين من صلة أنشأنا وجعلنا (في سموم) في حر نار ينفذ في المسام (وحميم) وماء حار متناه في الحرارة (وظل من يحموم) من دخان أسود يحم (لا بارد ولا كريم) نفي لصفتي الظل عنه يريد أنه ظل ولكن لا كسائر الظلال مما هو ظليل نافع عنه يرد الظل ويروح ونعم ما يأوي اليه من أذى الحر وذلك كرمه ليتحقق ما في مدلول الظل من الاستراحة اليه والمعنى أنه ظل حار ضار الآن للتلقي في نحو هذا شأن اليس الا لذئبات وفيه تهكم بأصحاب الشمائة وأنهم لا يستأهلون الظل البارد الكريم الذي هو لاضدادهم في الجنة وقرئ لا بارد ولا كريم بالرفع أي لا هو كذلك * (الحنث العظيم) ومنه قولهم بلغ الغلام الحنث أي الحلم ووقت المؤاخذة بالآثام ومنه حنث في يمينه خلاف برفيها ويقال تحنث اذا تأثم وتحرج (أو آباؤنا) دخلت همزة الاستفهام على حرف العطف (فان قلت) كيف

حسن العطف على المضمر في لمبعوثون من غير تأكيد بنحن (قلت) حسن للفاصل الذي هو الهمزة كما حسن في قوله تعالى ما أشركنا ولا آباؤنا للمؤكدة للنفي وقرئ أو ءابؤنا * وقرئ لمجموعون (إلى ميقات يوم معلوم) لى ما وقتت به الدنيا من يوم معلوم والاضافة بمعنى من كقولك فصة وليتات ما وقت به الشيء أي حد ومنه مواقيت الاحرام وهي الحدود التي لا يجاوزها من يريد دخول مكة الا محرما (أيها الضالون) عن الهدى (المكذبون) بالبعث وهم أهل مكة ومن في مثل حالهم (من شجر من زقوم) من الاولى لابتداء الغاية والثانية لبيان الشجر وتفسيره * وأنث ضمير الشجر على المعنى وذكره على اللفظ في قوله منها وعليه ومن شجر من شجرة من زقوم فقد جعل الضميرين للشجرة وانما ذكر الثاني على تأويل الزقوم لانه تفسيرها وهي في معناه (شرب الهيم) قرئ بالحركات الثلاث فالفتح والضم مصدران وعن جعفر الصادق رضي الله عنه أيام أكل وشرب بفتح الشين وأما المكسور فبمعنى المشروب أي ما يشرب به الهيم وهي الابل التي بها الهيام وهو داء تشرب منه فلا تروى جمع أهيم وهيماء قال ذو الرمة

فأصبحت كالهيماء لا الماء مبرد * صداها ولا يقضى عليها هيامها

وقيل الهيم الرمال وجمعه أن يكون جمع الهيام بفتح الهاء وهو الرمل الذي لا يتماسك جمع على فعل كعطاب وعجب ثم خفف وفعل به ما فعل بجمع أبيض والمعنى أنه يسلط عليهم من الجوع ما يضطرهم الى أكل الزقوم الذي هو كالمهل فاذا ملؤا منه البطون يسلط عليهم من العطش ما يضطرهم الى شرب الحميم الذي يقطع أمعاءهم فيشربون شرب الهيم (فان قلت) كيف صح عطف الشاربين على الشاربين وعلامات متغايرة وصفتان متفاوتة كان عطا الشيء على نفسه (قلت) ليست متغايرتين من حيث ان كونهم شاربين للحميم على ما هو عليه من تناهي الحرارة وقطع الامعاء أمر عجيب وشربهم له على الثلث كشرب الهيم الماء أمر عجيب أيضا فكانتا صفتين متفاوتتين * النزل الرزق الذي يعد للنازل تكرمة له وفيه تهكم كما في قوله تعالى فبشرهم بعذاب أليم وكقول أبي الشمقمق

وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا * جعلنا القنا والمرهفات له نزلا

وقرئ نزلهم بالتخفيف (فلولا تصدقون) تحضيض على التصديق اما بالخلق لانهم وان كانوا مصدقين به الا أنهم لما كان مذهبهم خلاف ما يقتضيه التصديق فكأنهم مكذبون به * وأما البعث لان من خلق أولا لم يمتنع عليه أن يخلق ثانيا (أفرأيتم) ما تقذفونه أي تقذفون في الارحام من النطف وقرأ أبو السمال بفتح التاء يقال أمنى النطفة ومنيتها قال الله تعالى من نطفة اذا تمنى (ءأنتم تخلقونه) تقدرونه وتصورونه (قدرنا بينكم الموت) تقدير أوقعناه عليكم قسمة الرزق على اختلاف وتفاوت كما تقتضيه مشيئتنا فاختلفت أعماركم من قصير وطويل ومتوسط وقرئ قدرنا بالتخفيف * سبقتم على الشيء اذا أجزتموه عنه وغلبتموه عليه ولم تمكنه منه ففي قوله (وما نحن بمسبوقين) على أن نبدل أمثالكم (أنا قادرون على ذلك لا تغلبونا عليه وأمثالكم جمع مثل أي على أن نبدل منكم ومكانكم أشباهكم من الخلق وعلى أن (ننشئكم) في خلق لا تعلمونه وما بعده تمثيلها يعني أنا نقدر على الامرين جميعا على خلق ما عداكم ومالا يحاط بكم فكيف نعجز عن اعادتكم وبجوز أن يكون أمثالكم جمع مثل أي على أن نبدل ونغير صفاتكم التي أنتم عليها في خلقكم وأخلاقكم ونشئكم في صفات لا تعلمونها * قرئ النشأة والنشاءة وفي هذا دليل على صحة القياس حيث جهلهم في ترك قياس النشأة الاخرى على الاولى (أفرأيتم ما تحرثون) من الطعام أي تبذرون حبه وتعملون في أرضه (أأنتم تزرعونه) تنبتونه وتردونه نباتا يرف وينمى الى أن يبلغ الغاية وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقولن أحدكم زرعت وليقل حرثت قال أبو هريرة ألم تر أيتم الى قوله أفرأيتم الآية والمطعام من حطم كالنشأة والجذاذ من فت وجذ وهو ما صار هشيما تحطم (فظلتم) وقرئ بالكسر وفظلتم على الاصل (تفكهون) تعجبون وعن الحسن رضي الله عنه تندمون على تبكيم فيه وانفاقكم عليه أو على ما اقترفتم من المعاصي التي أصبتم بذلك من أجلها * وقرئ تفكنون ومنه الحديث مثل العالم كمثل الحمة اذا نبعها للناس وتركها لقربها فبيناهم

الى ميقات يوم معلوم ثم انكم أيها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم هذا نزلهم يوم الدين نحن خلقناكم فلولا تصدقون أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون

اذ غار ماؤها فانتفع بها قوم وبقى قوم يتفكنون أى يتندمون (أانا لمغرمون) الملزمون غرامة ما أنفقنا أو ما هلكوا من هلاك رزقنا من الغرام وهو الهلاك (بل نحن) قوم (محرومون) ممنوعون محدودون لا حظ لنا ولا بخت لنا ولو كنا مجدودين لما جرى علينا هذا وقرئ أئنا (الماء الذى تشربون) يريد الماء العذب الصالح للشرب و (المزن) السحاب الواحدة مزنة وقيل هو السحاب الابيض خاصة وهو أعذب ماء (أجاجا) ملحا زعاقا لا يقدر على شربه (فان قلت) لم أدخلت اللام على جواب لو دون قوله لجعلناه حطاما وزعمت منه ههنا (قلت) ان لو لما كانت داخلة على جملتين معلقة ثانيتهما بالاولى تعلق الجزاء بالشرط ولم تكن مختصة للشرط كان ولا عاملة مثلها واللام سارية فيهما معنى الشرط اتفاقا من حيث افادتها فى مضمونى جملتها أن الثانى امتنع لامتناع الاول فاقترنت فى جوابها التى ما ينصب عالما على هذا التعلق فزيدت هذه اللام لتكون علما على ذلك فاذا حذفت بعد ما صارت علما مشهورا مكانه فلان الشئ اذا علم وشهر موقعه وصار مألوفا وأوناسه لم يبال باسقاطه عن اللفظ استغناء بمعرفة السامع الا ترى الى ما يحكى عن رؤبة أنه كان يقول حيران قال له كيف أصبحت فحذف الجار لعلم كل أحد بمكانه وتساوى حالى حذفه واثباته لشهرة أمره وناهيك بقول أوس

حتى اذا الكلاب قال لها * كاليوم مطلوبا ولا طلبا

وحذفه لم أر قادن حذفها اختصارا فقط وهى ثابتة فى المعنى فاستوى الوصلان لا فرق بينهما الى أن تقدم ذكرها والمسافة قصيرة بمن عن ذكرها ثانية وناب عنه ويجوز أن يقال ان هذه اللام مفيدة معنى التوكيد لا محالة فأدخلت فى آية المطعوم دون آية المشروب للدلالة على أن أمر المطعوم مقدم على أمر المشروب وأن الوعيد فقده أشد وأصعب من قبل أن المشروب انما يحتاج اليه تبعا للمطعوم ألا ترى أنك انما تسقى ضيفك بعد أن تطعمه ولو عكست قعدت تحت قول أبى النجاء

اذا سقيت ضيوف الناس محضا * سقوا أضيافهم شجرا لالا

وسئل بعض العرب فقال أنا لا أشرب الا على غيلة ولهذا قدمت آية المطعوم على آية المشروب (تورون) تقدحونها وتستخرجونها من الزناد والعرب تقدح بمودين تحك أحدهما على الاسفل وتسمى الاعلى الزند والاسفل الزندة شبهوها بالفحل والطروقة (شجرتها) التى منها الزناد (تذكرة) تذكيرا للنار جهنم حيث علقنا بها أسباب المعايش كلها وعيشنا لحاجة اليها البلوى لتكون عاضرة للناس ينتفعون بها ويتذكرون ما أوعدوا به أو جعلناها تذكرة وأعوذ جاء من جهنم فى حديث روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نارنا هذه التى توقدون جزء من سبعين جزأ من حر جهنم (ومتاعا) ومنفعة (للمقوين) للذين ينزلون القواء وهى القفر أو للذين خلت بطونهم أو هم من الطعام يقال أقويت من أيام أى لم آكل شيأ (فسبح باسم ربك) فأحدث التسبيح بذكر اسم ربك أو أراد بالاسم الذكر أى بذكر ربك و (العظيم) صفة للضاف أو للضاف اليه والمعنى أنه لما ذكر ما دل على قدرته وانعامه على عباده قال فأحدث التسبيح وهو أن يقول سبحان الله امتثالا لقوله عما يقول الظالمون الذين يجحدون وحدانيته ويكفرون نعمته واما تعجبا من أمرهم فى غمط آلائه وأياديه الظاهرة واما شكرا لله على النعم التى عدها ونبه عليها (فلا أقسم) معناه فأقسم ولا مزيدة مؤكدة مثلها فى قوله لئلا يعلم أهل الكتاب وقرأ الحسن فلا اقسم ومعناه فلا نأقسم اللام لام الابتداء دخلت على جملة من مبتدا وخبر وهى أنا أقسم كقولك لزيد منطلق ثم حذف المبتدا ولا يصح أن تكون لام القسم لامرين أحدهما أن حقها أن يقرن بها النون المؤكدة والاخلال بها ضعيف قبيح والثانى أن لا فعل فى جواب القسم المستقبل وعمل القسم يجب أن يكون للحال (بمواقع النجوم) بمساقطها ومغاربها ولعل الله تعالى فى آخر الليل اذا انحطت النجوم الى المغرب أقام لاخمصة عظيمة أو للملائكة عبادات موصوفة أو لانه وقت قيام المتهجدين والمبتهلين اليه من عباده الصالحين ونزول الرحمة والرضوان عليهم فلذلك أقسم بمواقعها أو لاستعظام ذلك بقوله (وانه لقسم لو تعلمون عظيم) أو أراد بمواقعها منازلها ومسايرها وله تعالى

انا لمغرمون بل نحن محرومون أفرأيتم الماء الذى تشربون أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون أفرأيتم النار التى تورون أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين فسبح باسم ربك العظيم فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم

* قوله تعالى فلا أقسم بمواقع النجوم (قال فيه لا زائدة مؤكدة مثلها فى قوله لئلا يعلم أهل الكتاب قال وقرأ الحسن فلا اقسم واللام فى هذه للابتداء اه) قلت تلخيص الرد هنا الوجه الثانى أن سياق الآية يرشد الى ان القسم بمواقع النجوم واقع ويدل عليه القراءة الاخرى على زيادة لا ومقتضى جعلها جوابا للقسم محذوف ان لا يكون القسم بمواقع النجوم واقعا بل مستقبلا فتتنافر القراءة اذا والله الموفق للصواب

ذلك من الدليل على عظيم القدرة والحكمة مما لا يحيط به الوصف وقوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم اعتراض فى اعتراض لانه اعترض به بين القسم والمقسم عليه وهو قوله (انه لقرآن كريم) واعترض بأو تعلمون بين الموصوف وصفته وقيل مواقع النجوم أوقات وقوع نجوم القرآن أى أوقات نزولها كريم حسن مرضى فى جنسه من الكتب أو نفاع جم المنافع أو كريم على الله (فى كتاب مكنون) مصون من غير المقربين من الملائكة لا يطلع عليه من سواهم وهم المطهرون من جميع الأدناس أدناس الذنوب وأدناس الأحداث جملة صفة لكتاب مكنون وهو اللوح وان جعلت احدى صفة القرآن فالمعنى لا ينبغى أن يمسه الا من هو على الطهارة من الناس يعنى مس المكتوب منه ومن الناس من حمله على القراءة أيهما وعن ابن عمر أحب الى أن لا يقرأ الا وهو طاهر وعن ابن عباس فى رواية أنه كان يمنع القراءة للجنب ونحوه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه أى لا ينبغى له أن يظلمه أو يسلمه وقرئ المتطهرون والمطهرون بالادغام والمطهرون من أطهره بمعنى طهره والمطهرون بمعنى يطهرون أنفسهم أو غيرهم بالاستغفار لهم والوحى الذى يتلونه (تنزيل) صفة ثانية للقرآن أى منزل من رب العالمين أو وصف المصدر لانه نزل نجوما من بين سائر كتب الله تعالى فكأنه فى نفسه تنزيل ولذلك جرى مجرى اسمائه فقيل جاء فى التنزيل كذا ونطق به التنزيل أو هو تنزيل على حذف المبتدإ وقرئ تنزيلا على نزل تنزيلا (أفبهذا الحديث) يعنى القرآن (أنتم مدهنون) أى متهاونون بمكان يدهن فى الامر أى يابن جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به (وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون) على حذف المضاف يعنى وتجعلون شكر رزقكم التكذيب أى وضعتم التكذيب موضع الشكر وقرأ على رضى الله عنه وتجعلون شكركم أنكم تكذبون وقيل هى قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى وتجعلون شكركم لنعمة القرآن أنكم تكذبون به وقيل نزلت فى الانواء ونسبتهم السقيا الى الانواء والرزق المطر يعنى وتجعلون شكر ما رزقكم الله من الغيث أنكم تكذبون بكونه من الله حيث تنسبونه الى النجوم وقرئ تكذبون وهو نوعهم فى القرآن شعر ومحمد وافتراء وفى المطر هو من الانواء ولان كل مكذب بالحق كاذب به ترتيب الآية فلولا ترجعونها اذا بلغت الحلقوم ان كنتم غير مدينين وقولا الثانية مكررة للتوكيد والضمير فى ترجعونها للنفس وهى الروح وفى أقرب اليه للمحتضر (غير مدينين) غير مربوبين من دان السلطان الرعية اذا ساسهم ومعنى أقرب اليه منكم بالعلم بقدرته وعليها وعلائكة الموت والمعنى انكم فى تحوكم أفعال الله تعالى وآياته فى كل شئ ان أنزل عليكم كتابا مفترى فلم تحرموا افتراء وان أرسل اليكم رسولا فلم تسلموا كذابا وان رزقكم مطرا جعلتم شكره أن تكذبوا به وكذا على مذهب يؤدى الى الاهمال والتعطيل فما لكم لا ترجعون الروح الى البدن بعد بلوغه الحلقوم ان لم تكن ثم قادرين وكنتم صادقين فى تعطيلكم وكفركم بالحى المميت المبدئ المعيد (فأما ان كان) المتوفى (من المقربين) من السابقين من الارواح الثلاثة المذكورة فى أول السورة (فروح) فله استراحة وروت عائشة رضى الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فروح بالضم وقرأبه الحسن وقال الروح الرحمة لانها كالحياة للمرحوم وقيل البقاء أى فله ذلك له معنا وهو الخلود مع الرزق والنعيم والريحان الرزق (فسلام لك من أصحاب اليمين) أى فسلام لك يا صاحب اليمين من اخوانك أصحاب اليمين أى يسلمون عليك كقوله تعالى الا قيلا سلاما سلاما (فنزل من حميم) كقوله تعالى هذا نزلهم يوم الدين وقرئ بالتخفيف (وتصلية جحيم) قرئت بالرفع والجر عطفا على نزل وجحيم (ان هذا) الذى نزل فى هذه السورة (لهو حق اليقين) أى الحق الثابت من اليقين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا

﴿سورة الحديد مكية وهى تسع وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* جاء فى بعض المواضع سبح على لفظ الماضى وفى بعضها على لفظ المضارع وكل واحد منهما بمعناه أن من شأن

انه لقرآن كريم فى كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون تنزيل من رب العالمين أفبهذا الحديث أنتم مدهنون وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون فلولا اذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون ونحن أقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها ان كنتم صادقين فأما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم وأما ان كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين وأما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم ان هذا لهو حق اليقين فسبح باسم ربك العظيم

﴿سورة الحديد مكية وهى تسع وعشرون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

سبح لله

(ثم قال قوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم اعتراض فيه اعتراض الكبرى اعتراض بين القسم وجوابه الخ) قال أحمد وعلى هذا التفسير يكون جواب القسم مناسب المقسم مثل قوله حم والكتاب المبين انا جعلناه قرآنا عربيا ومن وادبه * وثنايا لك انها الغرديش *

تقدم

﴿القول فى سورة الحديد﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) *قوله تعالى هو الاول والآخر والظاهر والباطن (قال فيه) ان قلت ما معنى الواو وأجاب بان التوسطة بين الاول والآخر للجمع بين معنى الاولية والبقاء الخ *قال ومعنى الظاهر أى بالادلة والباطن أى عن الحواس قال وفيه دليل الرد على من زعم انه تعالى يرى فى الآخرة بالحاسة (قلت) لا دليل فيه على ذلك فان لنا أن نقول ان المراد عدم الادراك بالحاسة فى الدنيا لا فى الآخرة ونحن نقول به أو فى الآخرة والمراد الكفار والجاحدون للرؤية كالمعتزلية الا ترى الى قوله كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فان قيل تقييد وتخصيص على خلاف الظاهر قلنا والمسألة قطعية فيكفى الاحتمال وأيضا فتقييمه لا بد فيه من تخصيص فانه تعالى لم يزل جميع خلقه على الادلة الموصلة الى معرفته بل أخفاها عن كثير منهم وحرمهم الفوز بالايمان به عز وجل

سابق السموات والارض وهو العزيز ٤٢٤ الحكيم له ملك السموات والارض يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير هو الاول والآخر

والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم هو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير له ملك السموات والارض والى الله ترجع الامور يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وهو عليم بذات الصدور آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم ان كنتم مؤمنين هو الذى ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات الى النور وان الله بكم لرؤف رحيم

من أسند اليه التسبيح أن يسبحه وذلك شعير امودينه وقد عدى هذا الفعل باللام تارة وبنفسه أخرى فى قوله تعالى ويسبحوه وأصله التعدى بنفسه لان معنى سبحته بعدته عن السوء منقول من سبح اذا ذهب وبعد فاللام لا تخلو اما أن تكون مثل اللام فى نصحته ونصحت له واما أن يراد بسبح لله أحدث التسبيح لاجل الله ولوجهه خالصا (ما فى السموات والارض) ما يتأتى منه التسبيح ويصح (فان قلت) ما محل (يحيى) (قلت) يجوز أن لا يكون له محل ويكون جملة برأسها كقوله له ملك السموات وأن يكون من فوعا على هو يحيى ويميت ومنصوبا بالام من التجرور فى له والجار وحده لا فيه او معناه يحيى النطف والبيض والموتى يوم القيامة ويميت الاحياء (هو الاول) هو القديم الذى كان قبل كل شئ (والآخر) الذى يبقى بعد هلاك كل شئ (والظاهر) بالادلة الدالة عليه (والباطن) لكونه غير مدرك بالحواس (فان قلت) فما معنى الواو (قلت) لو اوالاولى معناها الدلالة على انه الجامع بين الصفتين الاولية والآخرية والثالثة على أنه الجامع بين الظهور والخفاء وأما الوسطى فعلى انه الجامع بين جميع الصفتين الاولين وجميع الصفتين الاخيرين فهو المستمر الوجود فى جميع الاوقات الماضية والآتية وهو فى جميعها ظاهر وباطن جامع الظهور بالادلة والخفاء فلا يدرك بالحواس وفى هذا حجة على من جوز ادراكه فى الآخرة بالحاسة وقيل الظاهر العالى على كل شئ الغالب له من ظهر عليه اذا علاه وغلبه والباطن الذى بطن كل شئ أى علم باطنه وليس بذلك مع العدول عن الظاهر المفهوم (مستخلفين فيه) يعنى أن الاموال التى فى أيديكم انما هى أموال الله تعالى أنشأها وانما أموالكم اياها وخولكم الانتفاع بها وجعلكم خلفاء فى التصرف فيها وليست هى بأموالكم فى الحقيقة وما أنتم فيها الا بمنزلة الوكلاء والنواب * فانفقوا منها فى حقوق الله ولا يمنعكم الانفاق منها تأثمون على الرجل النفقة من مال غيره اذا أذن له فيه أو جعلكم مستخلفين عن كان قبلكم فمبانى أيديكم يتوريثه اياكم فاعتبروا بحال الهم حين انتقل منهم اليكم وستنتقل منكم الى من بعدكم فلا تبخلوا به وأنفقوا منه لأنفسكم (لا تؤمنون) حال عن معنى الفعل فى مالكم كما تقول مالك قائما يعنى ما تصنع قائما أى ومالكم كافرين بالله * والواو فى (والرسول يدعوكم) واو الحال فهما حالان متداخلتان وقرئ ومالكم لا تؤمنون بالله ورسوله والرسول يدعوكم والمعنى وأى عذر لكم فى ترك الايمان والرسول يدعوكم اليه وينبهكم عليه ويتلو عليكم الكتاب الناطق بالبراهين والحجج * وقيل ذلك فقد أخذ الله ميثاقكم بالايمان حيث ركب فيكم العقول ونصب لكم الادلة وممكنكم من النظر وألزاح عللكم فاذا لم ينبق لكم علة بعد أدلة العقول وتنبيه الرسول فما لكم لا تؤمنون (ان كنتم مؤمنين) ان موجب تاقان هذا الموجب لاجرد عليه * وقرئ أخذ ميثاقكم على البناء للفاعل وهو الله عز وجل (ليخرجكم) للمآيات من ظلمات الكفر الى نور الايمان أو ليخرجكم الرسول بدعوته (لرؤف) وقرئ لرؤوف

(وما

فالظاهر اذا معناه فى التخصيص كالثانى طبقا بينه وبين الاول * قوله تعالى والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم ان كنتم مؤمنين (قال فيه) أخذ الميثاق عبارة عن تركيب العقول فيهم الخ) قال أحمد وما عليه أن تحمل أخذ الميثاق على ما بينه الله فى آية غير هذه الذى يقول تعالى واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى والقدير يبنى منه انكاره لكثير من مثل هذه الظواهر والعدول بها عن حقائقها مع امكانها عقلا ووقوعها بالسمع قطعا الى ما يتوهمه من تمثيل يسميه تخييلا فالقاعدة التى تعتمد عليها كما لا يضرك ما يوسوس الشيطان ما كل ما يجوزه العقل وورد به وقوع السمع وجب حمله على ظاهره والله الموفق

(ومالكم ألا تنفقوا) في أن لا تنفقوا (ولله ميراث السموات والارض) يرث كل شيء فيهما لا يبقى عنه مال لاحد من ملك وغيره يعني وأي غرض لكم في ترك الانفاق في سبيل الله والجهاد مع رسوله والله يهلككم فوارث أموالكم وهو من أبلغ البعث على الانفاق في سبيل الله * ثم بين التفاوت بين المنفقين منهم فقال (لا يستوي منكم من انفق) قبل فتح مكة قبل عز الاسلام وقوة أهله ودخول الناس في دين الله أفواجا وقلة الحاجة الى القتال والنفقة فيه ومن انفق من بعد الفتح فحذف لوضوح الدلالة (أولئك) الذين انفقوا قبل الفتح وهم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم لو انفق أحدكم مثل أحدهم ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه (أعظم درجة) * وقرئ قبل الفتح (وكلا) وكل واحد من الفريقين (وعد الله الحسنى) أي المثوبة الحسنى وهي الجنة مع تفاوت الدرجات وقرئ بالرفع على وكل وعده الله وقيل نزلت في أبي بكر رضي الله عنه لانه أول من أسلم وأول من أنفق في سبيل الله * القرض الحسن الانفاق في سبيله شبه ذلك بالقرض على سبيل المجاز لاتحاد أعطى ماله لوجهه كمن أقرضه اياه (فيضاعفه له) أي يطيبها أو يعطي على انفاقه مضاعفا (أضعافا) من فضله (وله أجر كريم) يعني وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف كريم في نفسه وقرئ فيضعفه وقرئا منصوبين على جواب الاستفهام والرفع عطف على يقرض أو على فهو يضاعفه (يوم ترى) ظرف لقوله وله أجر كريم أو منصوب باضمار اذكر تعظيما لذلك اليوم * ولما قال (بين أيديهم وبأيمانهم) لان السعداء يؤتون صحائف أعمالهم من هاتين الجهتين كما أن الاشقياء يؤتونها من شمائلهم ومن وراء ظهورهم فجعل النور في الجهتين شعارا لهم وآيتا لانهم هم الذين حسناتهم سعدوا وبحسناتهم يبشر الخبر اذا ذهب بهم الى الجنة ومر وا على الصراط يسعون بسعيهم ذلك النور حثيثا لهم ومتقدما * ويقول لهم الذين يتلقونهم من الملائكة (بشراكم اليوم) * وقرئ ذلك الفوز (يوم يقول) بدل من يوم ترى (انظرونا) انتظرونا لان سرعتهم سرعتهم الى الجنة كالبروق الخاطفة فلي ركاب تزف بهم وهؤلاء مشاة أو انظروا الينا لانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم النورين أبديهم فيستضيئون به وقرئ أنظرونا من انظره وهي الامهال بمعنى امتثالهم في المشي الى أن يلحقوا بهم انتظارهم (نقتبس من نوركم) نصب منه وذلك أن يلحقوا بهم فيستضيئوا به (قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا) طردهم وتكذيبهم أي ارجعوا الى الموقف الذي منه أعطيتم هذا النور فالتمسوه هناك فلن تقتبسوا أو ارجعوا الى الدنيا فالتمسوا نورا بتحصيل سببه وهو الايمان أو ارجعوا خائبين وتحوعنا فالتمسوا نورا آخر لا سبيل لكم الى هذا النور وقد علم أن لا نور وراءهم وانما هو تخييب وقنوط لهم (فضرب بينهم بسور) بين المؤمنين والمنافقين حائط حائل بين شق الجنة وشق النار قيل هو الاعراف * ذلك السور (باب) لاهل الجنة يدخلون منه (باطنه) باطن السور أو الباب وهو الشق الذي يلي الجنة (وظاهره) ظاهر لاهل النار (من قبله) من عنده ومن جهته (العذاب) وهو الظلمة والنار وقرأ ابن علي رضي الله عنهما فضرب بينهم على البناء للفاعل (ألم نكن معكم) يريدون موافقتهم في الظاهر (فتنتم أنفسكم) محنتموها بالنفاق وأهلكتموها (وتربصتم) بالمؤمنين الدوائر (وغرتكم الاماني) طول الآمال والطمع في امتداد الاعمار (حتى جاء أمر الله) وهو الموت (وغركم بالله الغرور) وغركم الشيطان بان الله عفو كريم لا يعذبكم وقرئ الغرور بالضم (فاليوم) ما يقتدى به (هي مولاكم) قيل هي أولى بكم وأنشد قول لبيد

فغدت كلا الفرجين تحسب أنه * مولى المخافة خلفها وأمامها

وحقيقة مولاكم محراكم ومقمنكم أي مكانكم الذي يقال فيه هو أولى بكم كما قيل هو مشنة لاكرم أي مكان لقول القائل انه لاكرم ويجوز أن يراد هي ناصركم أي لا ناصر لكم غيرها والمراد نفي الناصر على البتات ونحوه قولهم أصيب فلان بكفه فاستنصر الجرح ومنه قوله تعالى يعاملونها كالمهل وقيل تتولاكم كما تولى كم في الدنيا أعمال أهل النار (ألم يأن) من أفى الامر يأني اذا جاء اناه أي وقته وقرئ ألم يئن من آن يئين بمعنى أني يأني والمأيان قيل كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا أصابوا الرزق والنعمة فتنكروا عما كانوا عليه فنزلت

وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السموات والأرض لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله أجر كريم يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هي مولاكم وبئس المصير ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق

وعن ابن مسعود ما كان بين اسلامنا وبين أن عوتبنا بهذه الآية الا أربع سنين وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة من نزول القرآن وعن الحسن رضي الله عنه أما والله لقد استبطأهم وهم يقرؤن من القرآن أقل مما تقرؤن فانظروا في طول ما قرأتم منه وما ظهر فيكم من النسوق وعن أبي بكر رضي الله عنه ان هذه الآية قرئت بين يديه وعنده قوم من أهل اليمامة فبكوا بكاء شديدا فنظر اليهم فقال هكذا كنا حتى قست القلوب * وقرئ نزل ونزل وأنزل (ولا يكونوا) عطف على تخشع وقرئ بالتاء على الالتفات ويجوز أن يكون نهيا لهم عن معاملة أهل الكتاب في قسوة القلوب بعد أن وبخوا وذلك ان بني اسرائيل كان الحق يحول بينهم وبين شهواتهم واذا سمعوا التوراة والانجيل خشعوا لله ورقت قلوبهم فتساط ل عليهم الزمان فلهاهم الجفاء والقسوة واختلفوا وأحدثوا ما أحدثوا من التحريف وغيره (فان قلت) ما معنى لذكر الله وما نزل من الحق (قلت) يجوز أن يراد بالذكر وبما نزل من الحق القرآن لانه جامع للامرين للذكر والموعظة وأن الحق نازل من السماء وأن يراد خشوعها اذا ذكر الله واذا تلي القرآن كقوله تعالى اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا * أو أراد بالامد الاجل كقوله اذا انتهى امده وقرئ الامدأى الوقت الاطول (وكثير منهم فاسقون) خارجون عن دينهم رافضون لما في الكتابين (اعلموا أن الله يحيي الارض بعد موتها) قيل هذا تمثيل لاثر الذكر في القلوب وأنه يحييها كما يحيي الغيث الارض (المصدقين) المتصدقين وقرئ على الاصل والمصدقين من صدق وهم الذين صدقوا الله ورسوله يعني المؤمنين (فان قلت) علام عطف قوله (وأقرضوا) (قلت) على معنى الفعل في المصدقين لان اللام بمعنى الذين واسم الفاعل بمعنى أصدقوا كأنه قيل ان الذين أصدقوا وأقرضوا * والقرض الحسن أن يتصدق من الطيب عن طيبة النفس وصحة النية على المستحق للصدقة * وقرئ يضعف وبضاعف بكسر العين أي يضاعف الله * يريد أن المؤمنين بالله ورسله هم عند الله بمنزلة الصديقين والشهداء وهم الذين سبقوا الى التصديق واستشهدوا في سبيل الله (لهم أجرهم ونورهم) أي مثل أجر الصديقين والشهداء ومثل نورهم (فان قلت) كيف يستوي بينهم في الاجر ولا بد من التفاوت (قلت) المعنى ان الله يعطي المؤمنين أجرهم ويضاعفه لهم بفضله حتى يساوي أجرهم مع أعمالهم أجر أولئك ويجوز أن يكون الشهداء مبتدأ ولهم أجرهم خبره * أراد أن الدنيا ليست الا حقيرات من الامور وهي اللعب واللهو والزينة والتفاخر والتكاثر وأما الآخرة فاما هي الامور العظام وهي العذاب الشديد والمغفرة ورضوان الله وشديد حال الدنيا وسرعة تقضيها مع قلة جدواها بانبات أنبته الغيث فاستوى واكتمل وأعجب به الكفار الحاسدون لنعمة الله فهيج فرفهم من الغيث والنبات فبعث عليه العاهة فهاج واصفر وصار حطاما عقوبة لهم على جحودهم كمثل بأصحاب الجنة وصاحب الجنتين وقيل الكفار الزراع * وقرئ مصفارا (سابقوا) سارعوا مسارعة السابقين لاقرانهم في المضمار الى جنة (عرضها كعرض السماء والارض) قال السدي كعرض سبع السموات وسبع الارضين وذكر العرض دون الطول لان كل ما له عرض وطول فان عرضه أقل من طوله فاذا وصف عرضه بالبسطة عرف أن طوله أبسط وأمد ويجوز أن يراد بالعرض البسطة كقوله تعالى فذو دعاء عريض لما حقر الدنيا وصغر أمرها وعظم أمر الآخرة بعث عباده على المسارعة الى نيل ما وعد من ذلك وهي المغفرة المنجية من العذاب الشديد والفوز بدخول الجنة (ذلك) الموعود من المغفرة والجنة (فضل الله) عطاؤه (يؤتيه من يشاء) وهم المؤمنون * المصيبة في الارض نحو الجدب وآفات الزروع والثمار وفي الانفس نحو الاذى والمرض (في كتاب) في اللوح (من قبل أن نبرأها) يعني الانفس أو المصائب (ان ذلك) ان تقدير ذلك وانباته في كتاب (على الله يسير) وان كان عسيرا على العباد * ثم علل ذلك وبين الحكمة فيه فقال (لكيلا تأسوا * ولا تفرحوا) يعني أنكم اذا علمتم أن كل شئ مقدر مكتوب عند الله قل أسا كم على الفائت وفرحكم على الآتي لان من علم أن ما عنده مسلوب لامحالة لم يتفاقم جزعه عند فقده لانه وطن نفسه على ذلك وكذلك من علم أن بعض الخير واصل اليه وأن وصوله لا يفوته بحال لم يعظم فرحه عند نيله (والله لا يحب كل

ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون اعلموا أن الله يحيي الارض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون ان المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم ولهم أجر كريم والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والارض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل

*قوله تعالى وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الآية (قال فيه الرهبانية الفعلة المنسوبة للرهبان الخ) قال أحمد وفيه اشكال فان النسب الى الجمع على صيغته غير مقبول عندهم حتى يرد الى مفرده الا أن يقال انه لما صار الرهبان طائفة مخصوصة صار هذا الاسم وان كان جمعا كالعلم لهم فلحق بالنصارى ومذاتى واعرابى *عاد كلامه (قال وهو منصوب بفعل مضمر الخ) قال أحمد فى اعراب هذه الآية تورط أبو على الفارسى وتميز الى فئة الفتنة وطائفة البدعة فاعرب

رهبانية على انها منصوبة بفعل مضمر يفسره الظاهر وعلل امتناع العطف فقال الآتى

مختال فخور الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ومن يتول فان الله هو الغنى الحميد لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزل الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوى عزيز ولقد أرسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا فى ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الانجيل وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها

ان الرهبانية لا يستقيم حملها على جملتها مع وصفها بقوله ابتدعوها لان ما جعله الله تعالى لا يتصور دعوته هم والزمخشرى ورد أيضا

مختال فخور يبخلون بحق الله تعالى فى المال ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله ومن يتول عن الانفاق فان الله غنى عن خلقه وهو حميد فى صنعه أو غنى بالحمد عن عبادته وشكرهم كذلك (لقد أرسلنا رسلنا) يعنى الملائكة الى الانبياء (بالبينات) بالحجج والمعجزات (وأنزلنا معهم الكتاب) أى الوحى (والميزان) روى أن جبريل عليه السلام نزل بالميزان فدفعه الى نوح وقال مر قومك يزنوا به (وأنزلنا الحديد) قيل نزل آدم من الجنة ومعه خمسة أشياء من حديد السندان والكلبتان والمنقعة والمطرقة والابرة وروى ومعه الكير والمحتاة ومن النبى صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى أنزل أربع بركات من السماء الى الارض أنزل الحديد والنار والماء والملح وعن الحسن وأنزلنا الحديد خلقناه كقوله تعالى وأنزل لكم من الانعام وذلك أن أوامره تنزل من السماء فتتلقاها ولاة الحديد (فيه بأس شديد) وهو القتال به (ومنافع للناس) فى معاشهم وما يعايشهم من صناعة الاواني والحديد آلة لكل أولئك يعمل بالحديد (وليعلم الله من ينصره ورسله) باستعمال السيوف والرماح وسائر السلاح فى مجاهدة أعداء الدين (بالغيب) غائبا عنهم قال ابن عباس رضى الله عنهما ينصرونه ولا يبصرونه (ان الله قوى عزيز) غنى بقدرته وعزته عن اعانة العباد لكن يريد هلاك عدوهم وانما كلفهم الجهاد ليبلوهم ويعاملهم بامتثال الامر فيه فى الثواب (والكتاب) الوحى وعن ابن عباس الخط بالقلم يقال كتب كتابا وكتابة (فمنهم) فى الذرية أو من المرسل اليهم وقد دل عليهم ذكر الارسال والمرسل وهذا تفصيل لحالهم أى فمنهم مهتد وهم فاسق والفاء للعطف فى قراءة الحسن الانجيل بفتح الهمزة وأصله أهوين من أمر الطويل والسكينة فيمن رواها فتح الثلاثة الكلمة أجمعية لا يلزم فيها حفظ أبنية العرب *وقرئ رأفة على فعالة أى وفقناهم للتراحم والتعاطف بينهم وصفة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رحماء بينهم *والرهبانية ترهبهم فى الجبال فارين من الفتنة فى الدين مخلصين أنفسهم للعبادة وذلك أن أحبارهم ظهروا على المؤمنين بعد موت عيسى فقاتلوهم ثلاث مرات فغلبوا حتى لم يبق منهم الا القليل فخافوا أن يفتنوا فى دينهم فاختاروا الرهبانية ومعناها الفعلة المنسوبة الى الرهبان وهو الخائف فعلان من رهب كخشيان من خشى وقرئ ورهبانية بالضم كأنها نسبة الى الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان وانتصابها بفعل مضمر يفسره الظاهر تقديره وابتدعوا رهبانية (ابتدعوها) يعنى واخترعوها من عند أنفسهم

ومورده الذم وأسلم شيطانه الرجيم فلما جاز ما سمعته أو على من جعلها مسطورة فاعدى ولذلك يحرف الجعل الى التوفيق فيرار اعاقر منه أو على من اعتقاد ان ذلك مخلوق لله تعالى وجنوحا الى الاشراك واعتقاد أن ما يفعلونه هم لا يفعله الله تعالى ولا يخلقه وكفى عاقى هذه الآية قد ليلا بعد الادلة القطعية والبراهين العقلية على بطلان ما اعتقداه فانه ذكر تحمل الرحمة والرأفة مع العلم بان حالها القلب

*قوله فى قلوب الذين اتبعوه تأكيد لخلقه هذه المعانى وتصوير للمعنى الخلق بذكر محله ولو كان المراد أمرا غير مخلوق فى قلوبهم لله تعالى كان علما يرق لقوله فى قلوب الذين اتبعوه موضع وبالله التوفيق يشتمل كتابه الكريم على ما لا موضع له أهم من الجنة ونعيمها واضح

ونذروها (ما كتبناها عليهم) لم نفرضها نحن عليهم (الا ابتغاء رضوان الله) استثناء منقطع أي ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله (فما رعوها حق رعايتها) كما يجب على الناذر رعاية نذره لانه عهد مع الله لا يحل تركه (فآتينا الذين آمنوا) بربهم (منهم) يعني أهل الرحمة والرأفة الذين اتبعوا عيسى (وكثير منهم فاسقون) الذين لم يحافظوا على نذرهم ويجوز ان تكون الرهبانية مسقوطة على ما ذكرنا او ابتدعوها صفة لها في محل النصب أي وجعلنا في قلوبهم هذه الرأفة ورحمة ورهبانية مبتدعة من عند هم يعني وفقناهم للتراحم بينهم ولابتداع الرهبانية ونسبتهم اياها كتبناها عليهم الا ليبتغوا بها رضوان الله ويستحقوا بها الثواب على أنه كتبها عليهم وألزمها اياهم ليتخلصوا من التقرب بها بتوليد ذلك رضا الله وثوابه فما رعوها جميعا حق رعايتها ولكن بعضهم فآتينا المؤمنين المراعين منهم للرهبانية أجرهم وكثير منهم فاسقون وهم الذين لم يرعوها (يا أيها الذين آمنوا) يجوز أن يكون خطابا للذين آمنوا من أهل الكتاب والذين آمنوا من غيرهم فان كان خطابا للمؤمنين أهل الكتاب فالمعنى يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى آمنوا بمحمد (يؤتكم) الله (كفلين) أي نصيبين (من رحمته لايمانكم بمحمد وايمانكم من قبله (ويجعل لكم) يوم القيامة (نورا تمشون به) وهو النور المذكور في قوله يسعى نورهم (ويغفر لكم) ما أسلفتم من الكفر والمعاصي (لئلا يعلم (أهل الكتاب) الذين لم يسلموا ولا من بعده (الا يقدرون) أن مخففة من الثقيلة أصله أنه لا يقدرون يعني أن الشان لا يقدرون (على شيء من فضل الله) أي لا ينالون شيئا مما ذكر من فضل الله من الكفلين والنور والمغفرة لانهم لم يؤمنوا برسول الله فلم ينفعهم ايمانهم من قبله ولم يكسبهم فضلا قط وان كان خطابا لغيرهم فالمعنى اتقوا الله واثبتوا على ايمانكم برسول الله يؤتكم ما وعد من آمن من أهل الكتاب من الكفلين في قوله أولئك يؤتون اجرهم مرتين ولا يتقصكم من مثل أجرهم لانكم مثلهم في الايمان لا نفرق بين أحد من رسله روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث جعفر رضي الله عنه في سبعين راكبا الى النجاشي يدعو هم فجمع جعفر عليه فدعاه فاجابه فقال ناس ممن آمن من أهل عملكته وهم أربعون رجلا الذين أنزل فيهم الوفادة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فآذن لهم فقدموا مع جعفر وقدتهم ألوفة أحد فلما رأوا ما بالمسلمين من خصاصة انصرفوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجعوا وقدموا بأموالهم فآسوا المسلمين فأنزل الله الذين آتيناهم الكتاب الى قوله وممارزقناهم ينفقون فلما سمع من لم يؤمن من أهل الكتاب قوله يؤتون أجرهم مرتين نكصوا على المسلمين وقالوا ما سلمتم أمن بكتابكم وكتابنا فلكم أجر مرتين ولنا مثل ما لكم فانزل الله يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين منه ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

﴿سورة المجادلة مدنية وهي ثنتان وعشرون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قد سمع الله قول التي تجادلك

الحجة انه ولي التوفيق وواهب التحقيق

(المجادلة في سورة المجادلة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها (قال فيه قالت عائشة رضي الله عنها الحمد لله الذي وسع سمعه الاصوات الخ) قال أحمد لتضمنها استدلال به بعضهم على عدم لزوم ظهار الذمي وليس بقوي لانه غير المقصود

(قد سمع الله) قالت عائشة رضي الله عنها الحمد لله الذي وسع سمعه الاصوات لقد كانت المجادلة تكلم النبي صلى الله عليه وسلم في جانب البيت وأنا عند لا أسمع وقد سمع الله قول عمر أنه كان اذا دخلت عليه أمر تقدير ذلك قد سمع الله قولها وقرئ تحاورلك أي تراجعك الكلام وتحاولك أي تسألك وهي خولة بنت ثعلبة امرأة أوس ابن الصامت أتى عبادة فرآها وهي تصلي وكانت حسنة الجسم فلما سلمت راودها فأبت فغضب وكان بها خفة ولم يظاهر منها فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان أوس تزوجني وأنا شابة مرغوب في فلما خلى سني

هـ عاد كلامه قوله تعالى ثم يعودون لما قالوا (قال فيه يعني والذين كانت عادتهم أن يقولوا هذا القول الخ) قال أحمد وهذا الوجه يلزم الكفارة لمجرد قول الظهار في الاسلام لا غير والقول بوجوبها لمجرد الظهار قول مجاهد من التابعين وسفيان من الفقهاء هـ عاد كلامه (قال ووجه ثان ثم يعودون لما قالوا ثم يتداركون ما قالوا الخ) قال أحمد وهذا التفسير منزل على أن وجوب الكفارة مشروط بالعود بعد الظهار وهو القول المشهور لفقهاء الامصار ولا يخص هذا التفسير وجها من وجوه العود التي ذكرها العلماء هـ عاد كلامه (قال ووجه ثالث وهو أن يكون المراد بما قالوا الخ) قال أحمد وهذا التفسير يقوي القول بان العود الوطء نفسه لان ما بعده ثم يعودون للوطء ظاهر فيلزم عاد للوطء فعله وحمل العود على الوطء من جملة أقوال مالك رحمه الله فقد تلخص ان كلام المختلفين في العود لما آخذ من هذه الآية قائما من لم يقف وجوب الكفارة عنده الا على مجرد الظهار فحمل العود على الظهار وتسميته عودا لما قالوه هذا باعتبار انه كان في الجاهلية وانقطع في الاسلام فإما عاد بعد الاسلام عود اليه وأما من أوقعها على العود وجعل العود ان يعيد ٤٣٩ لفظ الظهار وهو قول داود

وتربت بطني أي كبر ولدي جعلني عليه كأمه وروي أنها قالت له ان لي صبية صغارا ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم اليّ جاعوا فقال ما عندي في أمرك شيء فروي انه قال فما حرمت عليه فقالت بأبي رسول الله ما ذكرتم طلاقا لها ولا أبو ولدي وأحب الناس الي فقال حرمت عليه فقالت أشكو الى الله فاقتي ووحدتي كلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه حنت وشكت الى الله فنزلت (قد نرى تقلب وجهك) في شأنه ومعناه (ان الله سميع بصير) يسمع أن يسمع كل مسموع و يبصر كل مبصر (فان قلت) ما معنى قد في قوله قد سمع (قلت أسمعناه التنويع لان رسول الله صلى الله عليه وسلم والمجادلة كان يتوقعان أن يسمع الله مجادلتها وشكواها فنزل في ذلك ما يفرج عنها (الذين يظاهرون منكم) في منكم تبيين للمرتبوهم حيث لم يعاملوهم في الظهار لانه كان من أعيان أهل جاهليتهم خاصة دون سائر الامم (ما هن أمهاتهم) وقرئ الرفع على اللغتين الحجازية والتميمية وفي قراءة ابن مسعود بأمهاتهم وزيادة الباء لتوكيد النفي والمعنى أن من يقول لامرأته أنت علي كظهر أمي مطروق في كل معهشة للزوج الا موجبا عليها امتناعا وهذا تشبيه باطل لان بين الحالين (ان أمهاتهم الا اللائي ولدنهم) يريد أن الامهات على الحقيقة هن اللاتي ولدن وغيرهن ملحقات بهن لدخولهن في حكمهن فالمرضعات أمهات لانهن لما أرضعن دخلن بالرضاع في حكم الامهات وكذلك أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين لان الله سبحانه وتعالى جعلهن على الامة فدخلن بذلك في حكم الامهات وأما الزوجات فابعد شيء من الامومة لانهن ليس بأمهات على الحقيقة قولا بالاتفاق في حكم الامهات هـ كان قول المظاهر منكرا من القول تنكره الحقيقة وتنكره الاحكام الشرعية فهو زور وكذبا باطلا مخترقا بين الحق (وان الله لعفو غفور) لما سلف منه اذا تاب عنه ولم يعد اليه ثم قال (والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا) يعني والذين كانت عادتهم أن يقولوا هذا القول المنكر فتطوه بالاسلام ثم يعودون لذلك فكفارة من عاد أن يحرر رقبة ثم يمسك المظاهر عما هو له حلال له مما استمتع الابعد تقديم الكفارة قبل الوجه آخر ثم يعودون لما قالوا ثم يتداركون ما قالوا الان المتدارك الذي عاد عليه وحنه المثل عاد عليّ ما أفسد أي تداركه بالاصلاح والمعنى أن تداركه هذا القول ونلافيه بأن يكفر حتى يرجع حالهما كما كانت قبل الظهار ووجه ثالث وهو

فاعتبر ظاهر اللفظ وأما من حمل العود على العزم على الوطء فرأى أن العود الى القول الاول عود بالتدارك لا بالتكرار وتدارك بعضه بعضه

في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن أمهاتهم ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا وان الله لعفو غفور والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا

وهل فيه العزم على الوطء الاول امتناع منه أو العزم على

الامساك لان العصمة تقتضي الحل وعدم الامتناع فيكفي محل خلاف وأما من حمله على الوطء نفسه فرأى أن المراد بالقول المقول فيه ويحمل قوله من قبل أن يتماسا أي مرة ثانية وقد اختلف العلماء أيهما تقدم الوطء على الكفارة فالمذهب المشهور للعلماء أن ذلك لا يسقط الكفارة ولا يوجب أخرى وذهب مجاهد الى ايجاب أخرى به وذهبت طائفة الى اسقاط الكفارة به أصلا ورأسا وكأن منشأ خلافهم النظر الى قوله من قبل أن يتماسا فرأى أكثر العلماء منه ما من الوطء قبل التكفير حتى كانه قال لا تماسا حتى تكفروا نه الطائفة المسقطة الكفارة بالوطء شرط في الوجوب فلا يرجع ناقصا فقد فقد الشرط الذي هو عدم التماس فسقط الوجوب ورآه مجاهد في ايجاب الكفارة فإذا تماسا قبل الكفارة تعددت ثم فيه نظر آخر وهو انه ذكر عدم التماس في كفارتي العتق والصوم وأسقطه في كفارة الاطعام فنلق أو حنيفة بذلك الفرق بين الاطعام وبين الاخريين حتى انه لو وطئ في حال الاطعام لم يجب عليه استئناف كفارة فخلاف الاخريين فان الوطء في خلال كل واحدة منهما يجب ابطالها واستئناف أخرى على أن أبا حنيفة سوى بين الثلاث في تحريم المساس قبل حصولها كاملة كذا نقل الزمخشري عنه ولقائل أن يقول على أبي حنيفة اذا سلمت الفائدة في ذكر عدم التماس في بعضها واسقاطه من بعضها الفرق بين أنواعها فلم صرفت الفرق الى أحد النوعين وهو باب الاستئناف بالوطء في خلال الكفارة في بعضها دون البعض

دون الحكم الآخر وهو تحريم التماس قبل التشروع في الكفارة فما خصص أحد الحكمين دون الآخر الا نوع من التحكم وله أن يقول انقطاع النسوية فيه تعيين صرفه الى الآخر هذا منتهى النظر مع أبي حنيفة ورأى القائلون بان الطعام يسقط بتطاول الوطء في أثنائه كالصيام ان فائدة ذكره عدم المماسة ثم اسقاطه التنبيه على التسوية بين التكفير قبل وبعد وتقريره ان ذكره مع الاثنين كذكره مع الثالث والمانع الثالث كاطلاق الاثنين فكأنه قال في الجميع من قبل أن يتماسا ومن بعد والطوى ايراد الآية على هذا الوجه على ابطال قول من قال ان الامر يختلف بين ما قبل التماس وما بعده فيجب قبل و يسقط بعد وعلى قول من قال يجب قبل كفارة وبعد كفارتان وههنا نظر آخر في أنهم ذكر عدم التماس مع نوعين منها وقد كان تذكره مع واحد منها فبعد الهذه الفائدة على التقرير المذكور والجواب عنه ان ذكره مع العتق مقتصر على افادة تحريم الوطء قبل العتق ولا يتصور في العتق الوطء في اثنائه اذ لا

يتبعض ولا يتفرق فاحتيج الى ذكره مع الصيام الواقع على التوالي ليفيد تحريم الوطء قبل الشروع فيه وبعد الشروع الى التمام اذ لو لم يكرهنا لتوهم ان الوطء انما

ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا

يحرم قبل الشروع خاصة لا بعد لانها هي الحالة التي يدل عليها التقييد في العتق فلما ذكره مع الصيام الواقع متواليا استغنى عن ذكره مع الطعام لانه متدرج في التعدد والتوالي وامكان الوطء في خلاله وهذا التقرير مرتبط على ان العتق لا يتجزأ اولا يتبعض وهذا هو المرضي وقد نقل العيني عن ابن القاسم ان من أعتق شقصا من عبد يملك جميعه ثم أعتق بقيته عن الظهار أن ذلك يجزيه وهو خلاف أصله في المدونة وعابه عليه أصبغ ومحمون وابنه (تنبيه) ان قال قائل ارتفاع التحريم بالكفارة لا يخلو اما أن يكون مشروطا فليلزم ان لا يرتفع التحريم بالكفارة التي تقدم على الشروع فيها مماسا وان لم يكن مشروطا لزم ارتفاع التحريم بالكفارة التي تخللها المماس وكلاهما غير مقبول عندكم * فالجواب ان المماس منافي لصحة الكفارة واعتبارها في رفع التحريم فان وقع قبل الشروع في الكفارة تعذر الحكم بسقوط الكفارة لان المحل لم يوجد وتعذر ذلك لا يسقط الحكم لكونه منافيا ألا ان وقع في أثنائها فالحل المحكوم فيه بعدم الصحة قائم فوجب اعمال المنافي وهذا كالحدث منافي لصحة الصلاة فان وقع في أثنائها أثر في ابطالها والله تعالى الموفق للصواب

أن يراد بما قالوا ما رجعوه على أنفسهم بلفظ الظهار تنزيلا للقول منزلة الفعل فيه نحو ما ذكرنا في قوله تعالى ونرثه ما يقول و يكون المعنى ثم يريدون العود للتماس والمماسة الاستمتاع بها من جماع أو لمس بشهوة أو نظر الى فرجها بشهوة (ذلكم) الحكم (توعظون به) لان الحكم بالكفارة دليل على ارتكاب الجناية فيجب أن تتعظوا بهذا الحكم حتى لا تعودوا الى الظهار وتخافوا عقاب الله عليه (فان قلت) هل يصح الظهار بغير هذا اللفظ (قلت) نعم اذا وضع مكان أنت عضو منها يعبر به عن الجملة كالرأس والوجه والرقبة والفرج أو مكان الظهر عضو آخر يحرم النظر اليه من الام كالبطن والفخذ أو مكان الام ذات رحم محرم منه من نسب أو رضاع أو مصاهرة نحو أن يقول أنت علي كظهر أختي من الرضاع أو عمتي من النسب أو امرأة ابني أو أبي أو أم امرأتي أو بنتها فهو مظاهر وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه وعن الحسن والنخعي والزهري والاوزاعي والثوري وغيرهم نحوه وقال الشافعي لا يكون الظهار الا بالام وحدها وهو قول قتادة والشعبي وعن الشعبي لم يذكر الله أن يذكر البنات والاخوات والعمات والخالات اذا أخبر ان الظهار انما يكون بالامهات الوالدات دون المرضعات وعن بعضهم لا بد من ذكر الظهر حتى يكون ظهارا (فان قلت) اذا المنع المظاهر من الكفارة هل للمرأة أن تراوده (قلت) لها ذلك وعلى القاضي أن يجبره على أن يكفر وأن يحبسه ولو تبع من الكفارات يجبر عليه و يحبس الا كفارة الظهار وحدها لانه يضر بها في ترك التكفير والامتناع من الاستمتاع فيلزم ايفاء حقها (فان قلت) فان مس قبل أن يكفر (قلت) عليه أن يستغفر ولا يعود حتى يكفر لما روي أن سلمة بن صخر البياضي قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهرت من امرأتي ثم أبصرت خلخالها في ليلة قمراء واقعتها فقال عليه الصلاة والسلام استغفر ربك ولا تعد حتى تكفر (فان قلت) أي رقبة تجزئ في كفارة الظهار (قلت) المسلمة الكافرة حيا لانها في الآية مطلقة وعند الشافعي لا تجزئ الا المؤمنة لقوله تعالى في كفارة القتل فتحرير رقبة مؤمنة ولا تجزئ أم الولد والمدبر والمكاتب الذي أدى شيئا فان لم يؤد شيأ جاز وعند الشافعي لا يجوز (فان قلت) فان اعتق بعض الرقبة أو صام بعض الصيام ثم مس (قلت) عليه أن يستأنف نهارا مس أو ليلا ناسيا أو عامدا عند أبي حنيفة وعند أبي يوسف ومحمد عتق بعض الرقبة كعتق كلها فيجزيه وان كان المس بعد الصوم استقبل والا بنى (فان قلت) كم يطعم المسكين في الاطعام (قلت) نصف صاع من بر أو صاعا من غيره عند أبي حنيفة وعند الشافعي مد من طعام بلده الذي يقتات فيه (فان قلت) ما بال التماس لم يذكر عند الكفارة بالاطعام كما ذكر عند الكفارتين (قلت) اختلف في ذلك فعند أبي حنيفة انه لا فرق بين الكفارات الثلاث في وجوب تقديمها على المماس وانما لم يذكر عند الاطعام دلالة على أنه اذا وجد في خلال الاطعام لم يستأنف كما يستأنف الصوم اذا وقع في خلاله وعند غيره لم يذكر للدلالة على أن التكفير قبله وبعده سواء (فان قلت)

الضمير

الضمير ان يقاسا الامر يرجع (قلت) الى ما دل عليه الكلام من المظاهر والمظاهر منه (ذلك) البيان والتعليم للاحكام والتنبيه عليها المتضمنة قوله (بالله ورسوله) في العمل بشرائعه التي شرعها من الظهار وغيره وفرض ما كتم عليه في جاهليتكم (وتلك حدود الله) التي لا يجوز تعديها (وللكافرين) الذين لا يثبتونها ولا يعملون بها (عذاب اليم * يحادون) يعادون ويشاقون (كبتوا) أخزوا وأهلكوا (كما كبت) من قبلهم من أعداء الرسل قبل أريد كبتهم يوم الخندق (وقد أنزلنا آيات بينات) تدل على صدق الرسول وصحة ما جاء به (وللكافرين) بهذه الآيات (عذاب مهين) يذهب بعزهم وكبرهم (يوم يبعثهم) منصوب بلهم أو بمهين أو باضمار اذكر (فينبئهم) يخبرهم (بما عملوا) كلهم لا يترك منهم أحد غير معبوث أو يخصهم في حال واحدة كالقتل حتى جميع (فينبئهم بما عملوا) تفصيلا لهم وتوبيخا لتشهير حالهم يعنون عند المسار عقبهم الى النار لما يلحقهم من الخزي على رؤس الاشهاد (أحصاه الله) أحاط به عددا لم يفته منه شئ (ونسوه) لانهم هانوا عليه حين ارتكبوه لم يبالوا به لصغره في جنب ما ارتكبوا من المعاصي وانما تحفظ معظمات الامور (ما يكون) من كان التامة وقرئ بالياء والتاء والياء على أن النجوى تأنيثها غير حقيقي ومن فاصلة أو على أن الذي ما يكون شئ من النجوى * والنجوى التناجي قلا تخلو اما أن تكون مسافة أي ثلاثة أي من نجوى ثلاثة نفر أو موصوفة بها أي من أهل نجوى ثلاثة فحذف الاهل أو جعلوا نجوى في أنفسهم مبالغة كقوله تعالى خلصوا نجيا وقرأ ابن أبي عبلة ثلاثة وخمسة بالنصب على الحال باضمار يتناجون لان نجوى يدل عليه أو في تأويل نجوى يتناجون ونصبا من المستكن فيه (فان قلت) ما الذي الى تخصيص الثلاثة والخمسة (قلت) فيه وجهان أحدهما أن قوما من المنافقين تحاقروا للتناجي مغايظة للمؤمنين على هذين العددين ثلاثة وخمسة قيل ما يتناجى منهم ثلاثة ولا خمسة كما يرونهم يتناجون كذلك (ولا أدنى من) عددهم (ولا أكثر الا) والله سميع ما يقولون فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنها نزلت في ربيعة وحبيب ابني عمرو وصفوان بن أمية كانوا يما جدون فقال أحدهم أترى أن الله يعلم ما نقول فقال الآخر يعلم بعضا ولا يعلم بعضا وقال الثالث ان كان يعلم بعضا فهو يعلم كله وصدق الان من علم بعض الاشياء بغير سبب فقد علم كلها لان كونه عالما بمعلوم سبب ثابت له مع كل معلوم والنافي أنه قصد أن يذكر ما حرت عليه العادة من أحداث أهل النجوى والمتناجين للشورى والمسرين ذلك ليدل بالكل أحد وإفاهم للاقلة مختلفا من أول النهي والاحلام ورهط من أهل الرأي والتجارب وأول عدد هم الاثنان فصاعدا الى خمسة الى ستة الى ما اقتضته الحال وحكم الاستصواب الا ترى الى عمر رضي الله عنه كيف نزل الامر شوري بين ستة فلم يتجاوزهم الى سابع فذكر عمرو علا الثلاثة والخمسة وقال ولا أدنى من ذلك فدل على الاثنين والاربعة وقال ولا أكثر فدل على ما بين هذا العدد وما فوقه وفي مصحف عبد الله الا الله رابعهم ولا أربعة الا الله خامسهم ولا خمسة الا الله سادسهم ولا أقل من ذلك ولا أكثر الا الله معهم اذا نجوا وقرئ بالرفع من ذلك ولا أكثر بالنصب على أن لا التي لنفي الجنس ويجوز أن يكون ولا أكثر بالرفع معطوفا على محل من نجوى أي ما يكون من نجوى ثلاثة ولا من أدنى من ذلك كقولك لا حول ولا قوة الا بالله بفتح الحول ورفع القوة ويجوز أن يكونا مرفوعين على الابتداء كقولك لا حول ولا قوة الا بالله وان يكون ارتفاعهما عطفا على محل من نجوى كأنه قيل ما يكون أدنى ولا أكثر الا هو معهم ويجوز أن يكونا مجرورين عطفا على نجوى كأنه قيل ما يكون من أدنى ولا أكثر الا هو معهم وقرئ ولا أكبر بالباء ومعنى كونه معهم أنه يسمع ما يتناجون به ولا يخفى عليه ما هم فيه فكأنه مشاهدهم ومحاضرهم وقد تعالى عن المكان والمشاهدة * وقرئ ثم ينبئهم على التخفيف * كانت اليهود والمنافقون يتناجون فيما بينهم ويتغامزون بأعينهم اذا رأوا المؤمنين يريدون أن يغيظوهم فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعادوا لمثل فعلهم وكان تناجيهم بما هو اثم وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول وخلافه * وقرئ ينتجون بالاثم والعدوان بكسر العين ومعصيات الرسول (حيوك بما لم يحيك به الله) يعني أنهم يقولون في تحيتك السام عليك يا محمد والسام الموت والله تعالى يقول وسلام على عباده الذين اصطفى وبأيها الرسول وبأي النبي (لولا يعذبنا الله بما نقول) كانوا يقولون ما لله ان كان نبيا لا يدعو علينا حتى يعذبنا

ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب أليم ان الذين يحادون الله ورسوله كبتوا كما كبت الذين من قبلهم وقد أنزلنا آيات بينات وللكافرين عذاب مهين يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه والله على كل شئ شهيد ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شئ عليم ألم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول

* قوله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات (قال فيه تعميم ثم تخصيص العلماء الخ) قال أحمد في الجزاء يرفع الدرجات ههنا مناسبة للعمل لان المأمور به تفسيح المجلس كيلا يتأفسوا في القرب من المكان الرفيع حوله عليه الصلاة والسلام فيتضايقوا فلما كان الممتثل لذلك يخفض نفسه عما تنافس فيه من الرفعة استحق الاتواضع جوزي على تواضعه برفع الدرجات كقوله من تواضع لله رفعه الله ثم اعلم أن أهل العلم بحيث يستوجبون عند أنفسهم وعند الناس ارتفاع محالهم تخصهم بالذكر عند الجزاء ليسهل عليهم ترك مالهم من الرفعة في المجلس تواضعا لله (٤٤٢) تعالى * عاد كلامه ثم ذكر في فضل العلم ما لا أتقنه نقلته) قال روى عن ابن مسعود رضي

حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير يا أيها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذي اليه تحشرون انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا وليس بضارهم شيأ الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم واذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ذلك خير لكم وأطهر فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم

الله عنه أنه كان اذا تلا هذه الآية قال يا أيها الناس افهموا هذه الآية وتفهموا بها واعملوا بها فان العلم الذي ينفع صاحبه الاذكورة الرجال والله أعلم

الصدقة

الله تعالى يقول فقال الله تعالى (حسبهم جهنم) عذابا (يا أيها الذين آمنوا) خطاب للمنافقين الذين آمنوا بالسنتهم ويجوز أن يكون للمؤمنين أي اذا تناجيتم فلا تتشبهوا بأولئك في تناجيهم بالشر (وتناجوا بالبر والتقوى) وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا كنتم ثلاثة فلا يتناج اثنان دون صاحبهما فان ذلك يحزنه وروى دون الثالث * وقرئ فلا تناجوا وعن ابن مسعود اذا تناجيتم فلا تنتجوا (انما النجوى) اللام اشارة الى النجوى بالاثم والعدوان بدليل قوله تعالى (ليحزن الذين آمنوا) والمعنى أن الشيطان يزينها لهم فكانها منه ليغيظ الذين آمنوا ويحزنهم (وليس) الشيطان أو الحزن (بضارهم شيأ الا باذن الله) (فان قلت) كيف لا يضرهم الشيطان أو الحزن الا باذن الله (قلت) كانوا يتوهمون المؤمنين في نجواهم وتناميهم أن غزاتهم غلبوا وأن أقاربهم قتلوا فقال لا يضرهم الشيطان أو الحزن بذلك الموهم الا باذن الله أي بمشيئته وهو أن يقضي الموت على أقاربهم أو الغلبة على الغزاة * وقرئ ليحزن وليحزن (تفسحوا في المجلس) توسعوا فيه وليفسح بعضكم عن بعض من قولهم افسح عني أي تنح ولا تضاموا وقرئ تفاسحوا والمراد مجلس رسول الله وكانوا يتضامون فيه تنافسا في القرب منه وحرصا على استماع كلامه وقيل هو المجلس من مجالس القتال وهي مراكز الغزاة كقوله تعالى مقاعد للقتال وقرئ في المجالس قيل كان الرجل يأتي الصف فيقول تفسحوا فيأبون فنهوهم على الشهادة وقرئ في المجلس بفتح اللام وهو الجلوس أي توسعوا في جلوسكم ولا تتضايقوا فيه (يفسح الله لكم) مطلق في كل ما يتفسح الناس فيه فسحه فيه من المكان والرزق والصدر والقبر وغير ذلك (انشزوا) انهضوا للتوسعة على المقبلين أو انهضوا عن مجلس رسول الله اذا أمرتم بالنهوض عنه ولا تقاولوا رسول الله بالارتكار فيه أو انهضوا الى الصلاة والجهاد أو أعمال الخير اذا استنهضتم ولا تثبطوا ولا تفرطوا (يرفع الله المؤمنين بامتثال أوامره أو أوامر رسوله والعالمين منهم خاصة (درجات * بما تعملون) قرئ بالتاء والياء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه كان اذا قرأها قال يا أيها الناس افهموا هذه الآية ولترغبكم في العلم وعن النبي صلى الله عليه وسلم بين العالم والعابد مائة درجة بين كل درجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة وعنه عليه السلام فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وعنه عليه السلام يشفع يوم القيامة ثلاثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء فاعظم مرتبة هي واسطة بين النبوة والشهادة بشهادة رسول الله وعن ابن عباس خير سليمان بين العلم والمال والملك فاختار العلم فأعطي المال والملك معه وقال عليه السلام أوحى الله الى ابراهيم يا ابراهيم اني عليم أحب كل عليم وعن بعض الحكماء ليت شعري أي شيء أدرك من فاته العلم وأي شيء فات من أدرك العلم وعن الاحنف كاد العلماء يكونون أربابا وكل عزلم يوطد بعلم قال ذل ما يصير وعن الزبيري العلم ذكر فلا يحبه الا ذكور الرجال (بين يدي نجواكم) استعارة كما في اليدين والمعنى قبل نجواكم كقول عمر من أفضل ما أوتيت العرب الشعر يقدمه الرجل أمام حاجته فيستعطر به الكريم ويسترذل به اللئيم يريد قبل حاجته (ذلكم) التقديم (خير لكم) في دينكم (وأطهر) لان

الصدقة طهرة روى أن الناس أكثروا مناجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يريدون حتى أملوه وأبرموه فأمروا أن يكفوا عن ذلك فأمروا أن من أراد أن يناجيه قدم قبل مناجاته صدقة فقال علي رضي الله عنه لما نزلت دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تقول في دينار قلت لا يطيقونه قال كم قلت حبة أو شعيرة قال انك لزهيد فلما رأوا ذلك اشتد عليهم فارتدعوا وكفوا أما الفقير فلعسرته وأما الغني فلشحه وقيل كان ذلك عشر ليال ثم نسخ وقيل ما كان لأحد من نهار وعن علي رضي الله عنه أن في كتاب الله الآية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي كان لي دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته تصدقت بدرهم قال الكلبي تصدق به في عشر كلمات سألهن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عمر كان لعلي ثلاث لو كانت لي واحدة منهن كانت أحب الي من حمر النعم تزوجه فاطمة واعطاؤه الراية يوم خيبر وآية النجوى قال ابن عباس هي منسوخة بالآية التي بعدها وقيل هي منسوخة بالزكاة (أأشفقتم) أخفتم تقديم الصدقات لما فيه من الانفاق الذي تكرهونه وأن الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالبخل (فاذ لم تفعلوا) ما أمرتم به وشق عليكم و (تاب الله عليكم) وعفر لكم ورخص لكم في أن لا تفعلوه * فلا تفرطوا في الصلاة والزكاة وسائر الطاعات (عاتمعلون) قرئ بالتاء والياء * كان المنافقون يتولون اليهود وهم الذين غضب الله عليهم في قوله تعالى من لعنه الله وغضب عليه وينقلون اليهم أسرار المؤمنين (ما هم منكم) بأمسلمون (ولا منهم) ولا من اليهود كقوله تعالى مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء (ويحلفون على الكذب) أي يقولون والله انا لمسلمون فيحلفون على الكذب الذي هو ادعاء الاسلام (وهم يعلمون) أن الحلوف عليه كذب بحت (فان قلت) فما فائدة قوله وهم يعلمون (قلت) الكذب أن يكون الخبر لا على وفاق المخبر عنه سواء علم المخبر أو لم يعلم فالمعنى أنهم الذين يخبرون بخبرهم خلاف ما يخبرون عنه وهم عالمون بذلك متعمدون له كمن يحلف بالفموس وقيل كان عبد الله بن نبتل المنافق يجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يرفع حديثه الى اليهود فبينا رسول الله في حجرة من حجره اذ قال لاصحابه يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعين شيطان فدخل ابن نبتل وكان أزرق فقال له النبي صلى الله عليه وسلم علام تشتمني أنت وأصحابك فحلف بالله ما فعل فقال عليه السلام فعلت فانطلق فجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما سبوه فنزلت (عذابا شديدا) نوعا من العذاب متفاقما (انهم ساء ما كانوا يعملون) يعني أنهم كانوا في الزمان الماضي المتطاول على سوء العمل مصرين عليه أو هي حكاية ما يقال لهم في الآخرة * وقرئ إيمانهم بالكسر أي اتخذوا أيمانهم التي حلفوا بها أولياءهم الذي أظهروه (جنة) أي سترة يستترون بها من المؤمنين ومن قتلهم (فصدوا) الناس في خلال أيمانهم وسلامتهم (عن سبيل الله) أو كانوا يثبطون من أقبل عن الدخول في الاسلام ويضعفون أمر المسلمين عندهم * ولما وعد عدم الله العذاب المهين الجزي لكفرهم وصدهم نفى عنهم بقوله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب (من الله) من عذاب الله (شيأ) قليلا من الاغناء روي أن رجلا منهم قال لنتصرن يوم القيامة بأنسابنا وأموالنا وأولادنا (فيحلفون لله تعالى على أنهم مسلمون في الآخرة (كما يحلفون لكم) في الدنيا على ذلك (ويحسبون أنهم على شيء) من النفع بسبب الحلف من خلفهم لكم فانكم بشر تخفى عليكم السرائر وان لهم نفعا في ذلك دفاعا عن أرواحهم واستجرارا لفوائد دنيوية وأنهم يفعلون في دار لا يضطرون فيها الى علم ما يعدون ولكن الحجب من خلفهم للعالم الغيب والشهادة مع عدم النفع والاضطرار الى علم ما أنذرتهم الرسل والمراد وصفهم بالتوغل في نفاقهم ومرونهم عليه وأن ذلك بعدم وتهم وبعمههم بحيث لم يصغ كما قال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقد اختلف العلماء في كذبهم في الآخرة والقرآن ناطق بثباته نطقا مكشوفا كما ترى في هذه الآية وفي قوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ونحو معناه أنهم أهم على شيء من النفع اذا حلفوا استظهارهم المؤمنين ليعتقدوا من نفوذهم حسبان ان الايمان الظاهر مما يعتد به وقيل عند ذلك يختم على أفواههم (الا انهم هم الكاذبون) يعني أنهم الغاية التي لا مطمع وراءها في قول الكذب حيث استوت عالمهم فيه في الدنيا والآخرة (استحوذ عليهم) استولى عليهم من حاذ الحمار العانة اذا جمعها وساقها وحاله الها

أأشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فاقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون ألم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون أعد الله لهم عذابا شديدا انهم ساء ما كانوا يعملون اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله فلهم عذاب مهين لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء الا انهم هم الكاذبون استحوذ عليهم

ومنه كان أحوذيا نسج وحده وهو أحد ما جاء على الاصل نحو استصوب واستنوق أى ملكهم (الشيطان) اطاعتهم له فى كل ما يريد منهم حتى جعلهم رعيته وحزبه (فأنساهم) أن يذكروا الله أصلا لا بقلوبهم ولا بألسنتهم * قال أبو عبيدة حزب الشيطان جنده (فى الاذلين) فى جملة من هو أذل خلق الله لا ترى أحدا أذل منهم (كتب الله) فى اللوح (لاغلبن أنا ورسلى) بالحجة والسيف أو بأحدهما (لاتجد قوما) من باب التخييل كيف لا ان من المستنع المحال أن تجد قوما مؤمنين يوالون المشركين والغرض به أنه لا ينبغى أن يكون ذلك وحقه أن يمتنع ولا يوجد بحال مبالغة فى النهى عنه والزجر عن ملابسته والتوصية بالتصلب فى محادة أعداء الله ومباعدتهم والاحتراس من مخالطتهم ومعاشرتهم وزاد ذلك تأكيدا وتشديدا بقوله (ولو كانوا آباءهم) وبقوله أولئك كتب فى قلوبهم الايمان وبمقابلة قوله أولئك حزب الشيطان بقوله أولئك حزب الله فلا تجد شيأ أدخل فى الاخلاص من موالاة أولياء الله ومعاداة أعداء الله هو الاخلاص بعينه (كتب فى قلوبهم الايمان) أثبته فى صحائفها وشرح له صدورهم (وأيدهم بروح منه) لطف من عنده حيث به قلوبهم ويجوز أن يكون الضمير للايمان أى بروح من الايمان على أنه فى نفسه روح لحياة القلوب به وعن الثورى أنه قال كانوا يرون أنها نزلت فينا يعنى أصحاب السلطان وعن عبد العزيز بن أبى رواد أنه لقيه المنصور فى الطواف فلما عرفه هرب منه وتلاها وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول اللهم لا تجعل لفاجر ولا لفاسق عندى نعمة فانى وجدت فيما أوحيت الى لا تجد قوما وروى أنها نزلت فى أبى بكر رضى الله عنه وذلك أن أباه أفحش يوما برسول الله صلى الله عليه وسلم فصكه صكة سقط منها فقال له رسول الله أوعلته ثم قال لا تعد قال والله لئن كان السيف فى يدى لقتلته وقيل فى أبى عبيدة بن الجراح قتل أباه عبد الله الجراح يوم أحد وفى أبى بكر دعا ابنه يوم بدر الى البراز وقال لرسول الله دعنى أكن فى الرعيلة الاولى قال منعناك بنفسك يا أبا بكر أما علم أنك عندى بمنزلة سمعى وبصرى وفى مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يوم أحد وفى عمر قتل خاله العاص بن هشام يوم بدر وفى على وحمزة وعبيدة بن الحرث قتلوا عتبة وشيبة ابنى ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيامة

﴿سورة الحشر مدنية وهى أربع وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

سبح لله ما فى السموات وما فى الارض وهو العزيز الحكيم هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر

سبح لله ما فى السموات وما فى الارض وهو العزيز الحكيم هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

عصا الحبشى التمير رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا يكتم عليه ولا له فلما ظهر يوم بدر قالوا هو النبى الذى نعته فى التوراة لا ترد له راية فانهزم المسلمون يوم أحد ارتابوا وقالوا خرج كعب بن الاشرف فى أربعين راكبا الى مكة فحالف قريشا عند الكعبة فأمر عليه السلام محمد بن مسلمة الانصارى فقتل كما سيأتى وكان أتاه من الرضاعة ثم صحبهم بالكتائب وهو على حمار مخطوم بليف فقال لهم اخرجوا من المدينة فقالوا الموت أحب الينا من ذلك فتنادوا بالحرب وقيل استعلموا رسول الله عشرة أيام ليتجهزوا والتمر يوج فدس عبد الله بن أبى المنافق وأصحابه اليهم لا تخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم لا نخذلكم ولئن خرجتم لنخرجن معكم فدربوا على الازقة وحصنوها فحاصرهم احدى وعشرين ليلة فلما قذف الله الرعب فى قلوبهم وأيسوا من نصر المنافقين طلبوا الصلح فأبى عليهم الا الجلاء على أن يحمل كل ثلاثة أبيات على بعير ما شاؤا من متاعهم فخلوا الى الشام الى اريحا وأذرعات الا أهل بيتين منهم آل أبى الحقيق وآل حيى بن اخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة بالحيرة اللام فى لاول الحشر تتعلق بأخرج وهى اللام فى قوله تعالى لليتى قدمت لحياتى وقوله لاول حشتهم لوقت كذا والمعنى أخرج الذين كفروا عند أول الحشر ومعنى أول الحشر أن هذا أول حشرهم

﴿سورة الحشر مدنية وهى أربع وعشرون آية﴾

(قال فيه اللام فى قوله لاول الحشر كاللام فى قوله قدمت لحياتى) قال أحمد كانه يريد انها اللام التى تنصب

الى التاريخ كقوله كتبته لعام كذا ولشهر كذا

في الشام وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء قط وهم أول من أخرج من أهل الكتاب من جزيرة العرب الى الشام أو هذا أول حشرهم وآخر حشرهم اجلاء عرايا هم من خيبر الى الشام وقيل آخر حشرهم حشر يوم القيامة الان المحشر يكون الشام وعن عكرمة من شك أن المحشر ههنا يعني الشام فليقرأ هذه الآية وقيل معناه أخرجهم من ديارهم لاول ما حشر لقتالهم لانه أول قتال قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم (ماظننتم أن يخرجوا) لشدة بأسهم ومنعتهم ووثاقة حصونهم وكثرة عددهم وعدتهم *وظنوا أن حصونهم تمنعهم من بأس الله (فأتاهم أمر الله (من حيث لم يحتسبوا) من حيث لم يظنوا ولم يخطر ببالهم وهو قتل رئيسهم كعب ابن الاشرف غيرة على يد أخيه وذلك مما أضعف قوتهم وخل من شوكتهم وسلب قلوبهم الامن والطمأنينة فاقذف فيها من الرعب والهمهم أن يوافقوا المؤمنين في تخريب بيوتهم ويعينوا على أنفسهم وقيل المنافقين الذين كانوا يعينونهم عن مظاهرتهم وهذا كله لم يكن في حسبانهم ومنه أتاهم الخلل (فان قلت) أي فرق بين وقالوا ظنوا ان حصونهم تمنعهم أو مانعتهم بين لنظم الذي جاء عليه (قلت) في تقديم الظن على المبتدا دليل على فرط وثوقهم بحصانتها وامتناعها بأنفسهم وفي تصدير خبرهم اسم الان واستناد الجملة اليه دليل على اعتقادهم في أنفسهم أنهم في عزة ومنعة لا يبالي معها أحد بتعرض لهم أو يطمع في معارتهم وليس ذلك في قولك وظنوا ان حصونهم تمنعهم *وقرئ فاتاهم الله أي فاتاهم امره أو بأسه والرعب الخوف الذي يرعب الصدر أي يملؤه * وقذفه اثباته وروي انه لما قتل كعب بن الاشرف قذف الله في قلوب اليهود الرعب فدخلوا حصونهم وتحصنوا بها فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يخربها ويأخذ ما يقدر عليه من سلاح وحلقة وكان يأمر بالهدم بعد الغارة فيهدمون ما بعد منها ويخربون ما قرب ليتسع لهم مجال الحرب (فان قلت) ما معنى تخريبهم بايدي المؤمنين (قلت) لما عرضهم لذلك وكانوا السبب فيه فكانهم أصلحوهم بدعائهم وقيل (فاعتبروا) يا أولي الابصار من أمر اخراجهم وتسليط المسلمين عليهم من غير قتال وقيل وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين ان يورثهم الله أرضهم وأموالهم بغير قتال فكان كما قال *ومعنى أن الله قذف عزم على تطهير أرض المدينة منهم وازاحة المسلمين من جوارهم وتوريثهم أموالهم ولولا انه كتب عليهم الجلاء واقتضته حكمته ودعاه الى اختياره لعذبهم عذابا آخر أشق عليهم من الموت (لعذبهم في الدنيا) بالقتل كالفعل باخوانهم بني قريظة (وهم) سواء أجلوا أو قتلوا (عذاب النار) يعني ان نجوا من عذاب الدنيا لم ينجوا من عذاب الآخرة (من لينة) بيان لما قطعتم وهل ما نصب بقطعتم كانه قال أي شئ قطعتم وأتى الضمير الراجع الى ما في قوله (أو تركتموها) لانه في معنى اللينة واللينة النخلة من ألوان وهي ضرب النخل ما خلا العجوة والبرنية وهي أجود النخل وبأوها من راوثلت لكسر ما قبلها كاللينة وقيل اللينة النخلة الكريمة كانهم اشتقوها من اللين قال ذو الرمة

كأن قتودي فوقها عش طائر * على لينة سوقاء أو شجر بردا

وجمعها لين وقرئ قوما على أصلها وفيه وجهان أن يجمع أصل كرهن ورهن أو أتى فيه بالضمة عن الواو وقرئ قائما على أصوله ذهابا الى لفظ ما (بإذن الله) فقطعها باذن الله وأمره (وليخزي الفاسقين) وليذل اليهود وبتيقظهم اذن في قطعها وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أمر أن تقطع نخلهم وتحرق قالوا يا محمد كنت تنهى عن الفساد في الارض فما بال قطع النخل وتحريقها فكان في أنفس المؤمنين من ذلك شئ فنزلت يعني أن الله أذن لكم في قطعها لغيظكم وإضافتكم اذا رأيتموهم يتحسرون في أموالكم كيف أحموها وتصرفون فيها ما شئتم وانفق العلماء أن حصون الكفرة وديارهم لا بأس بأن تهدم وتحرق وترمى بالمنجنيق وكذلك أشجارهم لا بأس بقلعها مثمرة كانت أو غير مثمرة وعن ابن

ماظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الابصار ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله فان الله شديد العقاب ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فباذن الله وليخزي الفاسقين

* قوله تعالى ما قطعتم من لينة (ذكر فيه تفسيرين أحدهما أنه النخل ما عدا العجوة والبرني وهو اخير النخل الخ) قال أحمد الظاهر ان الاذن عام في القطع والترك لانه جواب الشرط المضمر لهما جميعا ويكون التعليل باخزاء الفاسقين لهما جميعا وان القطع يحسرهم على ذهابها والترك يحسرهم على بقائها للمسلمين ينتفعون بها فهم في حسرتين من الامرين جميعا

* قوله تعالى للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم (قال فيه هو بدل من قوله لذى القربى وما بعده والذى منع الابدال من الله وللرسول الخ) قال أحمد مذهب أبى حنيفة ان استحقاق ذوى القربى لسهمهم من الفىء موقوف على الفقر احتى لا يستحقه أغنياؤهم وأما غلط الناقلين رضى الله عنه فيما نقله عنه امام الحرمين الزعلى هذا المذهب بأن الله تعالى علق الاستحقاق بالقرابة ولم يشرط الحاجة وعدم اعتبار القرابة مضاد توحيد واعتذر امام الحرمين لابى حنيفة بان الصدقات لما حرمت عليهم كان فائدة ذكرهم فى خمس الفىء والغنيمة ان لا يمنع (٤٤٦) صرف ذلك اليهم امتناع صرف الصدقات ثم أتبع هذا العذر بان قال لا ينفى ان يعبر به

مسعود فطهوا منها ما كان موضعا للاقتال (فان قلت) لم خصت اللينة بالقطع (قلت) ان كانت من ألوان قليلة تبقوا لانفسهم الجيوة والبرنية وان كانت من كرام النخل فليكون غيظ اليهود أشد وأشق وروى أن رجلين كانا يقطعان أحدهما الجيوة والآخر اللون فسألهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا تركتها لرسول الله وقال هذا قطعتها غيظ الكفار وقد استدل به على جواز الاجتهاد وعلى جوازه بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم لانهما بالاجتهاد فعلا ذلك واختير به من يقول كل مجتهد مصيب (أفاء الله على رسوله) جعله له فيأ خاصة * والافاءة من الوجيف وهو السير السريع ومنه قوله عليه السلام فى الافاضة من عرفات ليس البر ايضاف الخيل ولا ايضاع الابل على هينتكم ومعنى فما (أوجفتم عليه) فما أوجفتم على تحصيله وتقمه خيلا ولا ركابا ولا تعبتم فى القتال عليه وانما مشيتم اليه على أرجلكم والمعنى أن ما حصل لله ورسوله من أموال بنى النضير شيئ لم تحصلوه بالقتال والغلبة ولكن سلطه الله عليهم وعلى ما فى أيديهم كما كان يسلط رسله على أعدائهم فالامر فيه مفوض اليه يضعه حيث يشاء يعنى أنه لا يقسم قسمة الغنائم التى فوتل عليها وأخذت عنوة وقهرا وذلك أنهم طلبوا القسمة فنزلت * ولم يدخل العاطف على هذه الجملة لانها بيان للاولى فهى منها غير أجنبية عنها بين رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يتصرع بما أفاء الله عليه وأمره أن يضعه حيث يضع الخمس من الغنائم مقسوما على الاقسام الخمسة * والدولة والدولة بالفتح والضم وقد قرئ بهما ما يدول للانسان أى يصير من الجد يقال دالت له الدولة وأدال الله لفلان ومعنى قوله تعالى كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم) كيلا يكون الفىء الذى حقه أن يعطى الفقراء ليكون لهم بلغة يعيشون بها حتى لا يبقى بين الاغنياء يتكاثرون به أو كيلا يكون دولة بالهلية بينهم ومعنى الدولة الجاهلية أن الرؤساء منهم كانوا يستأثرون بالغنيمة لانهم أهل الرياسة والدولة والغلبة وكانوا يقولون من عزبز ومعنى كيلا يكون أحده غلبة وأثرة جاهلية ومنه قول الحسن تفتنوا عباد الله ولا مال الله ولا يريد من غلب منهم أخذ واستأثر وقيل الدولة ما يتداول كالغرفة اسم ما يغترف بمعنى كيلا يكون الفىء شيأ يتداوله الاغنياء بينهم ويتعاورونه فلا يصيب الفقراء والدولة بالضم يعنى التداول أى كيلا يكون ذا تداول بينهم أو كيلا يكون امساكه تداولا بينهم لا يخرجونه الى الفقراء وقرئ دولة بالرفع على كان التامة كقوله تعالى وان كان ذو عسرة يعنى كيلا يقع دولة هاهنا فسحة ولينقطع أثرها أو كيلا يكون تداول بينهم أو كيلا يكون شيئ متعاورا بينهم غير مخرج الى الفقراء (وما آتاكم الرسول) من قسمة غنيمة أو فىء (فخذوه وما نهاكم) عن أخذه منها (فانتهوا) عنه ولا تتعدوه أنفسكم (واتقوا الله) أن تخالفوه وتتعاونوا بأمره وتواطيه (ان الله شديد العقاب) لمن خالف رسوله والاجود أن يكون عاما فى كل ما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى عنه وأمر الفىء داخل فى عمومه وعن ابن مسعود رضى الله عنه أنه لعن رجلا محرما عليه تبايه فقال له أترى عنك هذا فقال الرجل اقرأ لى فى هذا آية من كتاب الله قال نعم فقرأها عليه (للفقراء) بدل من قوله لذى القربى والمعطوف عليه والذى منع الابدال من الله وللرسول والمعطوف عليهما وان كان

وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن يسلط رسله على من يشاء والله على كل شئ قدير ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله

على علم أمدا رهم فى حمل ذلك على جواز التصرف فيهم مع معارضة هذا الجواز بجواز حرمانهم فتعد على قوى الآية ثم استظهر الامام وقع ذلك عليهم لانهم يذهبون الى اشتراط الايمان فى رقبة الظهار زيادة على النص المعنى فيأتون فى اثبات ذلك بالقياس لانه يستقيم وليس من شأنه الثبوت بالقياس قال فكذلك يلزمهم ان يعتقدوا ان اشتراط الفقر فى القرابة واشتراط الحاجة لقرب ما ذكروه بغرض القرب فأما وان أصلهم المخصوصون من نسب الرسول عليه الصلاة والسلام والتابعون من جهته كالجهة فلا يتفق مع هذا المذهب وجه انتهى كلام الامام وانما أوردته ليعلم ان معارضته لابى حنيفة على ان اشتراط الحاجة عنده أيضا مستند الى قياس أو نحوه من الاسباب الخارجة عن الآية فذلك ألزمه أن يكون زيادة على النص فأما وقد تبع أبو حنيفة اعتبار الحاجة من تقييد هذا البدل المذكور فى الآية فلما يسلك معه فى رد غير هذا فيقول هو بدل من المساكين

لاغير وتقريره انه سبحانه أراد أن يصف المساكين بصفات تؤكد استحقاقهم ويجعل الاغنياء على إيثارهم وأن لا يجدوا في صدورهم حاجة مما أوتوا فالقصد ذلك وقد فصل بين ذكرهم وبين ما يقصد من ذكر صفاتهم بقوله كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم الى قوله شديد العقاب طرى ذكرهم ليكون توطئة للصفات التالية بعده فذكر بصفة أخرى مناسبة للصفة الاولى مبدلة منها وهي الفقر الشديد التطرية على فائدة الجمع لهم بين صفتي المسكنة والفقر ثم تلبت صفاتهم على أثر ذلك وهي اخراجهم من ديارهم وأموالهم الى آخرين وابتغاؤهم الفضل والرضوان من الله ونصرهم الله ورسوله صدقوا في نياتهم الى آخر ذلك فهذا هو الذي يرشد (٤٤٧) اليه السياق ويؤيد بالاصل فاذا ذوى

لمن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله عز وجل أخر رسوله من الفقراء في قوله وينصرون الله ورسوله وانه يترفع برسول الله عن التسمية بالفقير وأن الابدال على ظاهر اللفظ من خلاف الواجب في تعظيم الله عز وجل (أولئك هم الصادقون) في إيمانهم وجهادهم (والذين تبوؤا) معطوف على المهاجرين وهم الانصار (فان قلت) ما معنى عطف الايمان على الدار ولا يقال تبوؤا الايمان (قلت) معناه تبوؤا الدار وأخلصوا الايمان كقوله علفتها تبنا وماء باردا أي وجعلوا الايمان مستقرا ومتوطنا لهم لتمكنهم منه واستقامتهم عليه كجعلهم المدينة كذلك أو أراد دار الهجرة ودار الايمان فأقام لام التعريف في الدار مقام المضاف اليه وحذف المضاف من دار الايمان ووضع المضاف اليه مقامه أو سمى المدينة لانها دار الهجرة ومكان ظهور الايمان بالايمان (من قبلهم) من قبل المهاجرين لانهم سبقوهم في تبوؤ دار الهجرة والايمان وقيل من قبل هجرتهم (ولا يجدون) ولا يعلمون في أنفسهم (حاجة مما أوتوا) أي طلب يحتاج اليه مما أوتي المهاجرون من الفيء ونحوه ويحتاج اليه يسمى حاجة يقال خذ منه حاجتك وأعطاه من ماله حاجته يعني أن نفوسهم لم تتبع ما أعطوا ولم تطمح الى شيء منه يحتاج اليه (ولو كان بهم خصاصة) أي خلة وأصلها خصاص البيت وهي فروجه والجملة في موضع الحال أي مفروضة خصاصتهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم أموال بني النضير على المهاجرين ولم يعط الانصار الا ثلاثة نفر محتاجا أبو دجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحرث بن الصمة قال لهم ان شئتم قسمت للمهاجرين من أموالكم وديارهم شاركتموهم في هذه الغنيمة وان شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم ولم يقسم لكم شيء من الغنيمة فقالت انصاري بل نقسم لهم من أموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها فنزلت * الشح بالضم والكسر وقد قرئ بهما اللازم وان تكون نفس الرجل كزة حريصة على المنع كما قال

عارس مفسدين حنيفيه كزة * اذا هم بالمعروف قالت لهم لا

وقد أضيف الى النفس لانه غريزة فيها وأما البخل فهو المنع نفسه ومنه قوله تعالى وأحضرت الانفس الشح (ومن يوق شح نفسه) ومن عصى ما أمر به منه وخالف هواها بتوبة الله وتيقه (فأولئك هم المفلحون) الفائزون بما أرادوا وفرئ ومن يوق (والذين جاؤا من بعدهم) عطف أصناف على المهاجرين وهم الذين هاجروا من بعد وقيل التابعون باحسان (غلا) وقرئ غمرا وهما الحقد (لاخواننا) للذين ينهم وبينهم أخوة الكفر ولانهم كانوا يوالونهم ويؤاخونهم وكانوا معهم على الاؤمنين في الدين (ولا نطيع فيكم أحدا) من رسول الله والمسلمين ان حملوا عليه أو في خذلانكم وخلافه ما وعدناكم من النصرة (لكاذبون) أي في مواعيدهم للهود وفيه دليل على صحة النبوة لانه اخبار بالغيوب (فان قلت) كيف قيل (ولئن نصروهم) بعد الاخبار بأنهم لا ينصرونهم (قلت) معناه ولئن نصروهم على الفرض والتقدير كقوله تعالى لئن أشركت ليحبطن عملك وكما يعلم ما يكون فيعلم ما لا يكون لو كان كيف يكون والمعنى ولئن نصر المنافقون لليهود ليفرن من

أولئك هم الصادقون والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون

القربى ذكروا بصفة الاطلاق فالاصل بقاؤهم على ذلك حتى يتحقق نهم مرادون بالتقييد وما ذكرناه من صرف ذلك الى الساكين يكفي في القاسة وزن الكلام فبقي ذوو القربى على أصل الاطلاق وثلاث قاعدة لا يسع الحنفية مدافعتها فانهم يرون الاستثناء البدل وكل ما سوى هذا تابع أنه أو جعل بدلا من ذوي القربى مع ما بعده لم يكن بدلا الا من ذوي القربى لا بدل بعض من كل فان ذوي القربى منضمون الى فقراء ولم يكن ابدالا من المساكين الا بدلا الشيء من الشيء وهما لعين واحدة فيلزم أن يكون هذا البدل محسوسا بالنوعين المذكورين في حالة واحدة وذلك متعذر لما بين النوعين من الاختلاف والتباين وكل منهما يتقاضى ما يأباه الآخر فهذا الفصل كاف ان شاء الله تعالى وعليه

أعرب الزجاج الآية فجعله بدلا من الساكين خاصة والله تعالى الموفق للصواب قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد (قال فيه معنى يوم القيامة غدا تقريبا له الخ) قال أحمد وقد قيل في قوله تعالى علمت نفس ما أحضرت كقوله يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا حتى قيل انه من عكس الكلام الذي يقصد به الاشراط فيما يعكس عنه كقوله ربما يود الذين كفروا فمعنى رب ههنا هو معنى كم وأبلغ منه قول القائل (٤٤٨) * فما ترك القرن مصفرا أنامله * الآن الزمخشري فمن هذا المعنى لان الواقع قلة

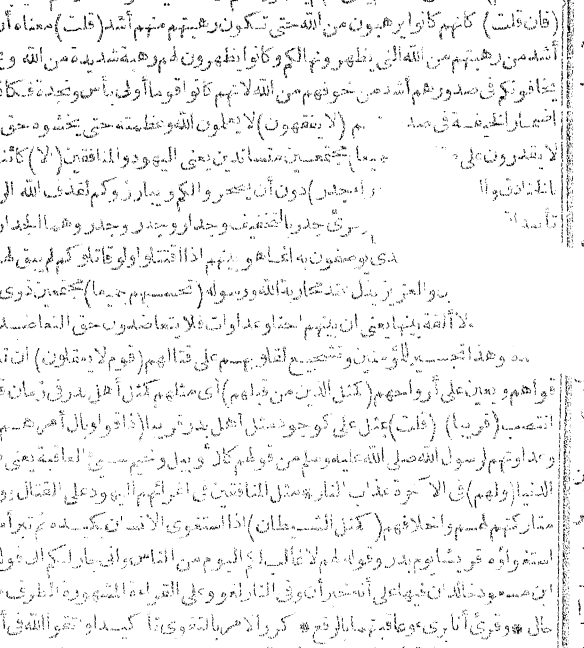

لانتم أشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون لا يقاتلونكم جميعا الا في قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم كمثل الشيطان قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بري

فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله

الناقصون ثم لا ينصرون بعد ذلك أي بهذا كلهم الله تعالى ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم أو لهم من اليهود ثم لا ينفعهم نصرة المنافقين (رهبة) مصدر رهب الذي للسؤل كانه قيل أشد رهبة وقوله (في صدورهم) دلالة على نفاقهم يعني أنهم يظهرون لكم في العلانية خوف الله وأنتم أهيب في صدورهم من الله (فان قلت) كانهم كانوا يرهبون من الله حتى تكون رهبتهم منهم أشد (قلت) معناه أن رهبتهم في السر منكم أشد من رهبتهم من الله التي يظهرونها لكم وكانوا يظهرون لهم رهبة شديدة من الله ويجوز أن يريد أن اليهود يخافونكم في صدورهم أشد مما يخافون من الله لانهم كانوا قوما أولي بأس ونجدة فكانوا يخافون لهم مع اضمار الخيفة في صدورهم (لا يقاتلونكم) (لا يقاتلونكم) (لا يقدرون على قتالكم) جميعا مجتمعين متساندين يعني اليهود والمنافقين (الا) كائنين (في قرى محصنة) بالخنادق والسور (أو من وراء جدر) دون أن يبرحوا حصونهم ويبارزوكم لفذف الله الرعب في قلوبهم وأن يقاتلوا الا تحصنا وتسورا وتخندقا (بأسهم بينهم شديد) حيث جدروا للتخييف وجدار وجدر وهو الجدار (تحسبهم جميعا) مجتمعين ذوي الفة واتحاد (وقلوبهم شتى) لا ألفة بينها يعني ان بينهم احنا وعداوات فلا يتعاضدون حق التعاضد ولا يرسون عن قوس واحدة وهذا تجسير للمؤمنين وتشجيع لقلوبهم على قتالهم (قوم لا يعقلون) ان تشتت القلوب عايرهن من التصلب (قريبا) (قلت) كمثل على كونه مثل أهل بدر قريبا (ذاقوا وبال أمرهم) سوء عاقبة كفرهم وعداوتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم من قولهم كلأ وبيل وغم وبيل والمعاقبة يعني ذاقوا عذاب القتل في الدنيا (ولهم) في الآخرة عذاب النار * مثل المنافقين في اغرائهم اليهود على القتال ووعدهم اياهم النصرة مخالفين لهم في ذلك (كمثل الشيطان) اذا استقوى الانسان يكيده ثم تبرأ منه في العاقبة والزاد استغواه قرينا يوم بدر وقوله لهم لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم (قوله اني بري منكم وقرأ ابن مسعود ذلك ان فيها وان أنه خبر أن وفي النار ومعنى القراءة المشهورة أنظرف مستقر وخالدين فيها حال * وقرئ أنا بري وعامتهم بالرفع * كرروا الامر بالتقوى تأكيدا وتقوى الله في أداء الواجبات كلها قرن عملها وعمل واتقوا الله في ترك المعاصي لانه قرن بما يجري مجرى الوعيد وهو الغد يوم القيامة سماه باليوم الذي يلي يومك تقريبا له وعن الحسن لم يزل يقربه حتى جعله كالغد ونحوه قوله تعالى كان لم تغن بالامس يريد تقريب الزمان الماضي وقيل عبر عن الآخرة بالغد كما كان الدنيا والآخرة نهاران يوم وغد (فان قلت) ما معنى تنكير النفس والغد (قلت) أما تنكير النفس فلاستقلال الانفس النوظر فيما قدمن للآخرة كانه قال فلتنظر نفس واحدة في ذلك وأما تنكير الغد فلفظيعة مظهم ولهيام أمره كانه قيل لغد لا يعرف كنهه لعظمه وعن مالك بن دينار مكتوب على باب الجنة وجدنا ما عملنا ربحنا ما قدمنا خسرنا ما خلفنا (نسوا الله) تركوا حقه فجازاهم بأن حق أنفسهم بأن خذلان حتى لم يسعوها لما ينفعهم عنده أو فأراهم يوم القيامة من الاهوال ما نسوا فيه أنفسهم كقوله تعالى لا يرتد اليهم طرفهم

النفوس الناظرة في أمر المعاد منزله على معنى يطابق الواقع ويمكن أن يلاحظ الامر فيه وسوغ حمله على التكثير هذا

للنفوس الناظرات في المعاد وانه مما من نفس منها أن تعتقل هذا الامر وهو نظر حسن فان الفعل المسند الى النفس ههنا ليس وقوع النظر حتى يستقل وانما هو طلب النظر وهو عام المتعلق بكل نفس والانصاف ان ما ذكره الزمخشري أمكن وأحسن والله الموفق * قوله تعالى نسوا الله فأنساهم أنفسهم (قال فيه جعلهم ناسين للخذلان) قال أحمد بل خلق فيهم النسيان

*هذا تنبيه للناس وايذان لهم بأنهم لفرط غفلتهم وقلة فكرهم في العاقبة وتهالكهم على ايثار العاجلة واتباع الشهوات كأنهم لا يعرفون الفرق بين الجنة والنار والبون العظيم بين أصحابهما وأن الفوز مع أصحاب الجنة فمن حقهم أن يعلموا ذلك وينبهوا عليه كما تقول لمن يعق أباه هو أولاد عنزلة من لا يعرفه فتنبهه بذلك على حق الابوة الذي يقتضي البر والتعطف وقد استدل أصحاب الشافعي رضي الله عنه بهذه الآية على أن المسلم لا يقتل بالكافر وأن الكفار لا يملكون أموال المسلمين بالقهر * هذا تمثيل وتخييل كما مر في قوله تعالى انا عرضنا الامانة وقد دل عليه قوله وتلك الامثال نضربها للناس والغرض توبيخ الانسان على قسوة قلبه وقلة تخشعه عند تلاوة القرآن وتدبر قوارعه وزواجره * وقرئ مصدعا على الادغام (وتلك الامثال) اشارة الى هذا المثل والى أمثاله في مواضع من التنزيل (الغيب) المعدوم (والشهادة) الموجود المدرك كأنه يشاهده وقيل ما غاب عن العباد وما شاهدوه وقيل السر والعلانية وقيل الدنيا والآخرة (القدوس) بالضم والفتح وقد قرئ بهما وقد مر في النزاهة عما يستقبح ونظيره السبوح وفي تسبيح الملائكة تسبيح وتقديس لرب الملائكة والروح و(السلام) بمعنى السلامة ومنه دار السلام وسلام عليكم صفة بمعنى السلامة في وصف كونه سليما من النقائص أو في اعطائه السلامة و(المؤمن) واهب الأمن يوم الخوف للمؤمنين أو المؤمن به على تسمية الخبر بالقول في قوم موسى من قوله تعالى واختار موسى قومه الخ أو الذي يؤمن خلقه من ظلمه و(المهيمن) الرقيب على كل شيء الحافظ له مفيعل من الامن الا أن عين تصاريفها واو و(الجبار) الذي جبر خلقه على ما أراد أي أجبرهم و(المتكبر) البليغ الكبرياء والعظمة وقيل المتكبر عما يليق به أن يحتاج اليه من خلقه و(الخالق) المقدر لما يوجده و(البارئ) المميز بعضه من بعض بالاشكال المختلفة و(المصور) خالق الصور على ما خطر من أبي بلتعة أن فعل البارئ المصور بفتح الواو وانصب الراء أي البرأي غير ما يصور وتفاوت الهيآت وقرأ ابن مسعود وما في الارض عن أبي هريرة رضي الله عنه سألت حبيبي صلى الله عليه وسلم عن اسم الله الاعظم فقال عليك بآخر الحشر فما كررته فأعدت عليه فأعاد علي فاغتنمت عليه فأعاد علي من رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحشر غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر

﴿سورة الممتحنة وهي ثلاث عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

*روي أن مولاة لابي عمرو بن صيفي بن هاشم يقال لها سارة أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو يتجهز للفتح فقال لها أمسلمة جئت قالت لا قال فما جاء بك قالت كنتم الاهل والموالي والعشيرة وقد ذهبت الموالي فمتى قتلوا يوم بدر فاحتجت حاجة شديدة فجئت عليها بني عبد المطلب فكسوها وحملوها وزودوها فما تأها حاطب بن أبي بلتعة وأعطاها عشرة دنانير وكساها برد وامرها أن تكتبا الى أهل مكة نسخة من حاطب بن أبي بلتعة الى أهل مكة اعلموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم فخرجت سارة ونزل جبريل بالخبر فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا وعمر وطلحة والزبير والمقداد وأبا مرثد وكلهم فارسا وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب الى أهل مكة فخذوه منها وخلوها فان أبت فاضربوا عنقها فأدركوها تحت دوحة فجحدت وحلفت فهموا بالرجوع عنها فقال علي رضي الله عنه والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله وسل سيفه وقال أخرجي الكتاب أو لتضعن رأسك فأخرجته من عقاص شعرها وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمن جميع الناس يوم الفتح الا أربعة هي أحدهم فاستحضر رسول الله حاطبا وقال ما حملك على هذا فقال يا رسول الله ما كفرت منذ أسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولا أحببتهم منذ فارقتهم ولكني كنت امرأ ملصقا في قريش وروى عن قريش أي غريبا فيهم أي لم أكن من أنفسها وكل من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون أهاليهم وأموالهم بمكة فأحببت لما فاتني من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يدا وقد علمت أن الله تعالى ينزل عليهم بأسه وأن كتابي لا يغني عنهم شيئا فصدقه

وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق البارئ المصور له الاسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم

﴿سورة الممتحنة وهي﴾

ثلاث عشرة آية﴾

ولا خوف عليه الرحمن الرحيم)

بالاعداء تتخذوا آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء

*عاد كلامه (قال وقوله لا ينتهي أصحاب النار وأصحاب الجنة نبه للناس وايذان بأنهم لفرط غفلتهم وتهالكهم على الشهوات الخ)

*قوله تعالى لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله (قال فيه هذا تمثيل وتخييل كما تقدم الخ) قال أحمد وهذا مما تقدم انكاري عليه فيه أولا كان يتأدب بأدب الآية حيث سمى الله هذا امثالا ولم يقل وتلك الخيالات نضربها للناس لعلهم يتفكرون الادب معه والله الموفق

وقيل عذره ان قال عمر دعني يارسول الله أضرب عنق هذا المنافق فقال وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال لهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فنزلت * عدي اتخاذ الى مفعوليه وهما عدوي أولياء والعدو فعول من عدا كقعود من عفا ولكنه على نية المصدر أو قع على الجمع ايقاعه على الواحد (فان قلت) (تلقون) بم يتعلق (قلت) يجوز أن يتعلق بلا تتخذوا اما لا من ضميره وبأولياء صفته له ويجوز ان يكون استئنافا (فان قلت) اذا جعلته صفة لاولياء وقدجرى على غير من هو له فأين الضمير البارز وهو فولك تلقون اليهم أنتم بالمودة (قلت) ذلك لما اشترطوه في الاسماء دون الافعال أو قيل أولياء ملقين اليهم بالمودة على الوصف لما كان بدّ من الضمير البارز والالقاء عبارة عن ايصال المودة والاعضاء بها اليهم يقال ألقى اليه بخزائي صدره وأفضى اليه بقشوره * والباء في (بالمودة) امازائدة مؤكدة للتعدي مثلها في ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة واما ثابتة على أن مفعول تلقون محذوف معناه تلقون اليهم أخبار رسول الله بسبب المودة التي بينكم وبينهم * وكذلك قوله تسرون اليهم بالمودة أي تفضون اليهم بمودتكم سرا أو تسرون اليهم أسرار رسول الله بسبب المودة (فان قلت) (وقد كفروا) بمال محاذا (قلت) اما من لا تتخذوا واما من تلقون أي لا تتولوهم أو تولادونهم وهذه حالهم (يخرجون) استئناف كالتفسير لكفرهم وعتوهم أو حال من كفروا و (أن تؤمنوا) تعليل لخرجون أي يخرجونكم لايمانكم و (ان كنتم خرجتم) متعلق بلا تتخذوا يعني لا تتولوا أعدائي ان كنتم أوليائي وقول النحويين في مثله هو شرط جوابه محذوف للدلالة ما قبله عليه و (تسرون) استئناف ومعناه أي شأنكم في أسراركم وقد علمتم أن الاخفاء والاعلان مستويان في علمي لا تفاوت بينهما * وأنا مطلع رسولي على ما تسرون (ومن يفعله) ومن يفعل هذا الاسرار فقد أخطأ طريق الحق والصواب وقرأ الحذري لما جاءكم كفر والاجمل ما جاءكم معنى أن ما كان يجب أن يكون سبب ايمانهم جعلوه سببا لكفرهم (ان يثقفوكم) ان يظفروا بكم و يقفوا منكم (يكونوا لكم أعداء) خالصي العداوة ولا يكونوا لكم أولياء كما أنتم (ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء) بالقتل والشتم * وتمنوا لو ترتدون عن دينكم فان ردة أحد منكم وعناحتهم خطأ عظيم منكم ومغالطة لانفسكم ونحوه قوله تعالى لا يألونكم خبالا (فان قلت) كيف أورد جواب الشرط مضارعا مثله ثم قال (وودوا) بلفظ الماضي (قلت) الماضي وان كان يجري في باب الشرط مجرى المضارع في عدم الاعراب فان فيه نكتة كأنه قيل وودوا قبل كل شئ كفركم وارتدادكم يعني انهم يريدون أن يحملوكم بمصارا لدنيا والدين جميعا من قتل الانفس وغيرها الاعراض وردكم كفارا وذلك أكبر أسباب المضار عندهم وأولاها عليهم أن الدين أعز عليكم من أرواحكم لانكم به تفوزون لها دونه والعدو أهم شئ عنده أن يقصد أعز شئ عند صاحبه (لن تنفعكم أرحامكم) أي قرابتكم (ولا أولادكم) الذين تقاتلون الكفار من أجلهم وتتقربون اليهم بمحاماتهم عليهم * ثم قال (يوم القيامة يفصل بينكم) و بين أقاربهم وأولادكم يوم يفر المرء من أخيه الآية فما لكم ترقصون حتى الله عز اعاة لحق من يفر منكم عند خطر أرأيهم في موالاة الكفار عما يرجع الى حال من والى وأولاهم عما يرجع الى حال من اقتضى تلك الموالاة ثانيا لم يهم أن ما أقدموا عليه من أي جهة نظرت فيه وجدته باطلا فرق بفصل و يفصل على البناء للمفعول و يفصل و يفصل على البناء للفاعل وهو الله عز وجل وتفصل وتفصل بالتون فرق أسوة واسوة وهو اسم المؤتسى به أي كان فيهم مذهب حسن حتى يأتسى به ويتبع أثره وهو قولهم لكفارقومهم ما قالوا حيث كفشوهم بالعداوة وقتموا لهم العصا أظهروا البغضاء والمقت وصرحوا بأن سبب عداوتهم وبغضائهم ليس الا كفرهم بالله وما دام هذا السبب قائما كانت العداوة قائمة حتى ان آزروه وآمنوا بالله وحده تقلبت العداوة موالاة والبغضاء محبة والمقت مقة فأفحموا عن محض الاخلاص ومعنى (كفرنا بكم) وعما تعبدون من دون الله أنا لا نعتد بشأنكم ولا بشأن آلهتكم وما أنتم عندنا على شئ (فان قلت) مم استثنى قوله (الا قول ابراهيم) (قلت) من قوله أسوة حسنة لانه أراد بالاسوة الحسنة قولهم الذي حق عليهم أن يأتسوا به ويحذوه سمه يستثنون بها (فان قلت) فان كان قوله (لاستغفرن لك) مستثنى من القول الذي هو أسوة

تلقون اليهم بالمودة وقد
كفروا بما جاءكم من
الحق يخرجون الرسول
وإياكم أن تؤمنوا بالله
ربكم ان كنتم خرجتم
جهادا في سبيلي وابتغاء
مرضاتي تسرون اليهم
بالمودة وأنا أعلم بما
أخفيتم وما أعلنتم ومن
يفعله منكم فقد ضل
سواء السبيل ان يثقفوكم
يكونوا لكم أعداء
ويبسطوا اليكم أيديهم
وألسنتهم بالسوء وودوا
لو تكفرون لن تنفعكم
أرحامكم ولا أولادكم
يوم القيامة يفصل
بينكم والله بما تعملون
بصير قد كانت لكم أسوة
حسنة في ابراهيم والذين
معه اذ قالوا لقومهم
انا برآء منكم وما تعبدون
من دون الله كفرنا بكم
وبدا بيننا وبينكم
العداوة والبغضاء أبدا
حتى تؤمنوا بالله وحده
الا قول ابراهيم لابيه
لاستغفرن لك

القول في سورة الممتحنة

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى ان يثقفوكم
يكونوا لكم أعداء
ويبسطوا اليكم أيديهم
وألسنتهم بالسوء وودوا
لو تكفرون (قال)
فيه ان قلت كيف أورد
جواب الشرط مستقبلا
مثله ثم قال وودوا
بلفظ الماضي الخ

«قوله تعالى فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن (قال معناه لا حل بين المؤمنة والمشرك اه كلامه) قال

حسنة فيها قال قوله (وما أملك لك من الله من شئ) وهو غير حقيق بالاستثناء ألا ترى الى قوله قل فمن يملك لكم من الله شيأ (قلت) أراد استثناء جملة قوله لابيه والقصد الى موعد الاستغفار له وما بعده مبني عليه وتابع له كأنه قال أنا أستغفر لك وما في طاقتي الا الاستغفار (فان قلت) بم اتصل قوله (ربنا عليك توكلنا) (قلت) بما قبل الاستثناء وهو من جملة الاسوة الحسنة ويجوز أن يكون المعنى قولوا ربنا أمرا من الله تعالى للمؤمنين بأن يقولوه وتعليما منه لهم تتميما لما وصاهم به من قطع العلائق بينهم وبين الكفار والائتساء بابراهيم وقومه في البراءة منهم وتنبيها على الانابة الى الله والاستعاذة به من فتنة أهل الكفر والاستغفار مما فرط منهم * وقرئ براء كشركاء وبراء كظراف وبراء على ابدال الضم من الكسر كرخال ورباب وبراء على الوصف بالمصدر والبراء والبراءة كالظماء والظماءة * ثم كرر الحث على الائتساء بابراهيم وقومه تقريرا وتأكيدا عليهم ولذلك جاء به مصدرا بالقسم لانه الغاية في التأكيد وأبدل عن قوله (لكم) قوله (لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر) وعقبه بقوله (ومن يتول فان الله هو الغني الحميد) فلم يترك نوعا من التأكيد الا جاء به * ولما نزلت هذه الآيات تشدد المؤمنون في عداوة آبائهم وأبنائهم وجميع أقربائهم من المشركين ومقاطعتهم فلما رأى الله عز وجل منهم الجد والصبر على الوجه الشديد وطول التمني للسبب الذي يبيح لهم الموالاة والمواصلة رحمهم فوعدهم تيسير ما تمنوه فلما يسر فتح مكة أظفرهم الله بامنيتهم فاسلم قومهم وتم بينهم من التحاب والتصافي ما تم وقيل تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم حبيبة فلانت عند ذلك عريكة أبي سفيان واسترخت شكيمته في العداوة وكانت أم حبيبة قد أسلمت وهاجرت مع زوجها عبيد الله بن جحش الى الحبشة فتنصر وأرادها على النصرانية فأبت وصبرت على دينها ومات زوجها فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النجاشي فخطبها عليه وساق عنه اليها مهرها أربعمائة دينار وبلغ ذلك أباها فقال ذلك الفحل لا يقدع أنفه و(عسى) وعد من الله على عادات الملوك حيث يقولون في بعض الحوائج عسى أو لعل فلا تبقى شبهة للمحتاج في تمام ذلك أو قصد به اطماع المؤمنين (والله قدير) على تقليب القلوب وتغيير الاحوال وتسهيل أسباب المودة (والله غفور رحيم) لمن أسلم من المشركين (أن تبروهم) بدل من الذين لم يقاتلوكم * وكذلك أن تولوهم من الذين قاتلوكم والمعنى لا ينهاكم عن مبرة هؤلاء وانما ينهاكم عن تولي هؤلاء وهذا أيضا رحمة لهم لتشددهم وجدهم في العداوة متقدمة لرحمته بتيسير اسلام قومهم حيث رخص لهم في صلة من لم يجاهر منهم بقتال المؤمنين واخراجهم من ديارهم وقيل أراد بهم خزاعة وكانوا صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه وعن مجاهد هم الذين آمنوا بمكة ولم يهاجروا وقيل هم النساء والصبيان وقيل قدمت على أسماء بنت أبي بكر أمها قتيلة بنت عبد العزى وهي مشركة بهدايا فلم تقبلها ولم تأذن لها في الدخول فنزلت فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تدخلها وتقبل منها وتكرمها وتحسن اليها وعن قتادة نسختها آية القتال (وتقسطوا اليهم) وتقضوا اليهم بالقسط ولا تظلموهم وناهيك بتوصية الله المؤمنين أن يستعملوا القسط مع المشركين به ويتحاموا ظلمهم مترجمة عن حال مسلم يجترئ على ظلم أخيه المسلم (اذا جاءكم المؤمنات) سماهن مؤمنات لتصديقهن بألسنتهن ونطقهن بكلمة الشهادة ولم يظهر منهن ما ينافي ذلك أو لانهن مشارفات لثبات ايمانهن بالامتحان (فامتحنوهن) فابتلوهن بالحلف والنظر في الامارات ليغلب على ظنونكم صدق ايمانهن وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول للممتحنة بالله الذي لا اله الا هو ما خرجت من بغض زوج بالله ما خرجت رغبة عن أرض الى أرض بالله ما خرجت التماس دنيا بالله ما خرجت الا حبا لله ولرسوله (الله أعلم بايمانهن) منكم لانكم لا تكسبون فيه علما تطمئن معه نفوسكم وان استحلفتموهن ورزتم أحوالهن وعنده حقيقة العلم به (فان علمتموهن مؤمنات) العلم الذي تبلغه طاقتكم وهو الظن الغالب بالحلف وظهور الامارات (فلا ترجعوهن الى الكفار) فلا تردوهن الى أزواجهن المشركين لانه لا حل بين المؤمنة والمشرك (وآتوهم ما أنفقوا) وأعطوا أزواجهن مثل ما دفعوا اليهن من المهور وذلك أن صلح الحديبية كان على أن

وما أملك لك من الله من شئ ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك أنت العزيز الحكيم لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ومن يتول فان الله هو الغني الحميد عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بايمانهن فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن وآتوهم ما أنفقوا ولا جناح

أحد هذه الآية مما استدل بها على خطاب الكفار بالفروع لانه تعالى قال لا هن حل لهم والضمير الاول للمؤمنات والثاني للكفار والمراد به يحرمن على الكفار لان قوله متفق على ان المراد به تحريم الكفار على المؤمنات فيكون كل من القبيلين المؤمنات والكفار مخاطبا

بالحرمة ولما كان المذهب المعزى الى أصحاب أبي حنيفة ان الكفار غير المخاطبين بملك الزمخشري بتفسير الآية بما يوافق ذلك فحملها على أن المراد نفي الحل بين المؤمنة والكافر على الاجمال حتى لا يتحمش نسبة الحرمة الى الكافر وهذا الاختلاص فيه فان الحل المنفي بين المؤمنة والكافر الى الحرمة لا يدوان يتعلق بفعل أحدهما أو كليهما اذ هو حكم فان تعلق بفعل كل واحد منهما أعني التمكين من المرأة والفعل من الرجل تحقق خطاب الكافر ٤٥٢ بالحرمة وتعليقه بفعل المرأة دون فعل الرجل يأباه نظم الآية فانتفى الحل من الجهتين

جميعا ولو كان كذلك لكفى قوله ولا هم يحلون لهن والتحقيق المتحتم على قواعد الاصول هو ما ذكرته ان شاء الله تعالى فتقبل كل من

عليكم أن تنكحوهن اذا آتيتموهن أجورهن ولا تمسكوا بعصم الكوافر واسألوا ما أنفقتم وليسألوا ما أنفقوا ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم وان فاتكم شئ من أزواجكم الى الكفار فعاقبتم فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون يا أيها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين

على المؤمنة والكافر ينفي عنه أهل بالتفسير الذي فاما فعل المؤمنة وهو التمكين فلا شك في تعاني الحرمة للشرع باعتبار أنها خاطبة بان لا تحصل في الوجود على وجه لو حصل لكانت مدوعده على حصوله وأما فعل الكافر وهو الوطء مثلا فنفي حله باعتبار ان الشرع قصد الى

مهور

أن لا يحصل الوطء لكن يشتمل عليه من المفسدة والشرع قصد في أن لا يقع المفاسد وليس الكافر مورد الخطاب ولكن الائمة مثلا أمروا بقوم مقامهم مخاطبون بان يمنعوا الكافر كي لا يقع هذا الفعل المنطوي على المفسدة في نظر الشرع وكذا الفعلين اذا من جانب المرأة والرجل غرض في أن لا يقع لكن مورد الخطاب المنطوي على السلامة من المفسدة في حق المرأة هي وفي حق الكافر الائمة مثلا وبنا المختلفون فيه في خطاب الكفار على ان للشرع غرضا في أن لا تحصل المفاسد في الوجود الا ترى ان الكافر اذا جهر بالفساد بين المسلمين

من أتاكم من أهل مكة رد اليهم ومن أتى منكم مكة لم يرد اليكم وكتبوا بذلك كتابا وختموه فجاءت سبيعة بنت الحرث الاسلمية مسلمة والنبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية فأقبل زوجها مسافر المخزومي وقيل صيفي بن الراهب فقال يا محمد رد علي امرأتي فانك قد شرطت لنا أن ترد علينا من أتاك منا وهذه طينة الكتاب لم تجف فنزلت يا أيها الذين آمنوا انما كان الشرط فينا كان في الرجال دون النساء وعن الضحاك كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين عهد أن لا تأتيك منا امرأة ليست على دينك الا رددتها الينا فان دخلت في دينك وهلمت زوج أن ترد على زوجها الذي أنفق عليها وللنبي صلى الله عليه وسلم من الشرط مثل ذلك وعن قتادة تم بمضي هذا الحكم وهذا العهد براءة فاستحلفها رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلفت فأعطى زوجها ما أنفق وتزوجها عمر (فان قلت) كيف معنى الظن علما في قوله فان علمتموهن (قلت) اذا بان الظن الغالب وما يفضي اليه الاجتهاد والقياس جاز مجرى العلم وأن صاحبه غير داخل في قوله ولا نقف ما ليس لك به علم (فان قلت) فما فائدة قوله الله أعلم بايمانهن وذلك معلوم لا شبهة فيه (قلت) فائدته بيان أن لا سبيل لكم الا ما تطمئن به النفس ويثلج به الصدر وهن الا حاطة بحقيقة ايمانهن فان ذلك مما استأثر به علام الغيوب وأن ما يؤدي اليه الامتحان من العلم كاف في ذلك وأن تكليفكم لا يعدوه ثم نفى عنهم الجناح في تزوج هؤلاء المهاجرات اذا آتوهن أجورهن أي مهورهن لان المهر أجر البضع ولا يخلو اما أن يراد بما كان يدفع الزوج ليدفعنه الى أزواجهن فيشترط في اباحة تزوجهن تقديم أدائه واما أن يراد أن ذلك اذا دفع الهن على سبيل القرض ثم تزوجن على ذلك لم يكن به بأس واما أن يبين لهم أن ما أعطى أزواجهن لا يقوم مقام مهورهن لا يتمسن اصداقهن وبه احتج أبو حنيفة على أن أحد الزوجين اذا لحق من دار الحرب مسلما أو مرتدا وبقي الآخر هناك بانقضاء العدة على المهاجرة وبين نكاحها الا أن تكون حاملا (ولا تمسكوا بعصم الكوافر) والعصمة ما يعتصم به من عقد وسبب يعني انها كم وايا هن ولا تكن بينكم وبينهن عصمة ولا علقة زوجية قال ابن عباس من كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يمسكن بها من نسائه لان اختلاف الدارين قطع عصمتها منه وعن الضحاك هي المسلمة تلحق بدار الحرب فتكفر وعن مجاهد أمر هم بطلاق البانيات مع الكفار ومفارقتهن (واسألوا ما أنفقتم) من مهور أزواجكم للحقات بالكفار (وليسألوا ما أنفقوا) من مهور نسائهم المهاجرات * وقرئ ولا تمسكوا بالتخفيف ولا تمسكوا بالتثقيل ولا تمسكوا أي ولا تتمسكوا (ذلكم حكم الله) يعني جميع ما ذكر في هذه الآية (يحكم بينكم) كلام مستأنف أو حال من حكم الله على حذف الضمير أي يحكمه الله أو جعل الحكم حاكما على المبالغة وروي أن المشركين لما نزلت هذه الآية أدى المؤمنون ما أمروا به من أداء مهور المهاجرات الى أزواجهن المشركين وأبى المشركون أن يؤدوا شيأ من مهور الكوافر الى أزواجهن المسلمين فنزل قوله (وان فاتكم) وان سبقكم وانفلت منكم (شئ) من أزواجكم أحد منهن الى الكفار وهو في قراءة ابن مسعود أحد (فان قلت) هل لا يقاع شئ في هذا الموقع فائدة (قلت) نعم الفائدة فيه أن لا يفاد شئ من هذا الجنس وان قل وحقر غير موقوف عنه تغليظا في هذا الحكم وتشديدا فيه (فعاقبتم) من العقبة وهي النوبة شبه ما حكم به على المسلمين والكافرين من أداء هؤلاء

مهور نسائهم أولئك نارة وأولئك مهور نسائهم هؤلاء أخرى بأحرى تتعاقبون فيه كما يتعاقب في الركوب وغيره ومعناه فجاءت عقيبتكم من اداء المهر فآتوا من فاتته امرأته الى الكفار مثل مهر هاجر من مهر المهاجر ولا تؤتوه زوجها الكافر وهكذا عن الزهري يعطى من صداق من لحق بهم وقرئ فأعقبتم فعقبتم بالتشديد فعقبتم بالتخفيف بفتح القاف وكسرها فمعنى أعقبتم دخلتم في العقبة وعقبتم من عقبه اذا قام مكان كل واحد من المتعاقبين يقفى صاحبه وكذلك عقبتم بالتخفيف يقال عقبه يعقبه وعقبتم نحو نعتم وقال الزجاج فعاقبتم فأصبتموهم في القتال يعقوبة حتى غنم والذي ذهبت زوجته كان يعطى من الغنيمة المهر وفسر غيرها من القراآت فكانت العقبى لكم أي فكانت الغلبة لكم حتى غنم وفيل جميع من لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرات احصى عن الاسلام ست نسوة أم الحكم بنت أبي سفيان كانت تحت عياض بن شداد الفهري وفاطمة بنت أبي أمية كانت تحت عمر بن الخطاب وهي أخت أم سلمة وبروع بنت عقبة كانت تحت شماس بن عثمان وعبدة بنت عبد العزى بن نضلة وزوجها عمرو بن عبدود وهند بنت أبي جهل كانت تحت هشام بن العاص كلثوم بنت جرول كانت تحت عمر فأعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مهور نسائهم من الغنيمة (ولا يقتلن أولادهن) وقرئ بتشديد يدوأد البنات (ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن) كانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها هو ولدي منك كني بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها عن الولد الذي تلصقه بزوجها كذا لان بطنها الذي تحبل فيه بين اليدين وفرجها الذي تلد به بين الرجلين (ولا يعصينك في معروف) فيما أمرهن به من المحسنات ونهاهن عنه من المقبحات وقيل كل ما وافق طاعة الله فهو معروف (فان قلت) لو اقتصر على قوله ولا يعصينك فقد علم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأمر الا بمعروف (قلت) به بذلك على أن طاعة المخلوق في معصية الخالق جديرة بغاية التوقي والاجتناب وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ من بيعة الرجال أخذ في بيعة النساء وهو على الصفا وعمر بن الخطاب رضي الله عنه أسفل منه يبايعهن بأمره ويبلغهن عنه وهند بنت عتبة امرأة أبي سفيان متقنعة متنكرة خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعرفها فقال عليه الصلاة والسلام أبايعكن على أن لا تشركن بالله شيأ فرفعت هند رأسها وقالت والله لقد عبدنا الاصنام وانك لتأخذ علينا أمرا ما رأيناك أخذته على الرجال تبايع الرجال على الاسلام والجهاد فقال عليه الصلاة والسلام ولا تسرقن فقالت ان أبا سفيان رجل شحيح وانى أصبت من ماله هنات فما أدرى أتحل لى أم لا فقال أبو سفيان ما أصبت من شئ فيما مضى وفيما غبر فهو لك حلال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفها فقال لها وانك لهند بنت عتبة قالت نعم فاعف عما سلف يا نبى الله عفا الله عنك فقال ولا تزنين فقالت أوتزنى الحرة وفى رواية ما زنت منهن امرأة قط فقال عليه الصلاة والسلام ولا يقتلن أولادهن فقالت ربيناهم صغارا وقتلتهم كبارا فأنتم وهم أعلم وكان ابنها حنظلة بن أبي سفيان قد قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ولا يأتين ببهتان فقالت والله ان البهتان لأمر قبيح وما تأمرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق فقال ولا يعصينك في معروف فقالت والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفى أنفسنا أن نعصيك في شئ وقيل في كيفية لمبايعته دعا قدحا من ماء فغمس فيه يده ثم غمس أيديهن وقيل صافحهن وكان على يده ثوب قطرى وقيل كان عمر يصافحهن عنه وروى أن بعض فقراء المسلمين كانوا يعاملون اليهود فيصيبون من ثمارهم فقيل لهم (لا تتولوا قوما) مغضوبا عليهم (قد يئسوا) من أن يكون لهم حظ في الآخرة لعنادهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يعلمون أنه الرسول المنعوت في التوراة (كما يئس الكفار) من موتاهم أن يبعثوا أو يرجعوا الى الحياة وقيل (من أصحاب القبور) بيان للكفار أي كما يئس الكفار الذين قبروا من خير الآخرة لانهم يتبينون أصحابهم وسوء منقلبهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيامة

يردع الكافر كي لا يجهر بالفساد بهم الاعقر والله الموفق * قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور (قال فيه كان طائفة من ضعفاء المسلمين قد والوا اليهود ليصيبوا من أثمارهم فنزلت هذه الآية

ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن ان الله غفور رحيم يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور

والمراد بالكفار المشركون الخ) قال أحمد قد كان الزمخشري ذكر في قوله وما يستوى البحران الى قوله ومن كل تأكلون لحما طريا ان آخر الآية استطرادوهو فن من فنون البيان معيب عليه عند أهل رأيه المحتنة هذه عكنة أن تكون من هذا القبيل جدا فانه ذم اليهود واستطرد ذمهم بذم

المشركين على نوع حسن من المناسبة وهذا لا يمكن أن يوجد للفحاء في الاستطراد أحسن ولا أمكن منه وما صدر وأهذا الفن به قوله اذا ما اتقى الله الفتى وأطاعه * فليس به بأس وان كان من جرم وقوله ان كانت كاذبة التي حدثتني * فنجوت منجى الحارث بن هشام

وقوله تركه الأصحاب أن يقاتل دونهم * وتجار أس مطيرة وبطام ﴿القول في سورة الصف﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون (قال فيه هذا من أفصح الكلام وأبلغه في معناه فصدر الآية بصيغة التعجب لتعظيم الأمر الخ) قال أحمد وإنما دل على هذه الوجوه الأربعة وجه خاص وهو تكرار لفظه لا تفعلون وهو لفظ واحد في كلام واحد ومع ما في التكرار من التهويل والاعظام والاقتدار الكلام مستقلا لو قيل كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون فكان في هذا التكرار ما يقوم مقام الجملة الثانية والله أعلم * قوله تعالى إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص (قال فيه ذكره هنا استطرد ذكر مقت المخلف دليل الخ) قال أحمد صدق والأول كالمسألة العامة هذه

﴿سورة الصف مكية وهي أربع عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص وإذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني

(لم) هي لام الاضافة داخلة على ما الاستفهامية كما دخل عليها غيرها من حروف الجر في قولك بم وفيم وعم والام وعلام وإنما حذفت الالف لان ما والحرف كشيء واحد ووقع استعمالهما كثيرا في الكلام المستقيم وقد ساء استعمال الاصل قليلا والوقف على زيادة هاء السكت أو الاسكان ومن أسكن في الوصل فلاجراء مجرى الوقف كاسم ثلاثة أحرف ضمها الحاء والتاء وحركة الميم عليها محذوفة وهذا الكلام يتناول الكتب واختلاف الموعود وروى أن المؤمنين قالوا لو نعلم أحب الاعمال إلى الله تعالى لعملناه وليذلن فيه أموالنا وأنفسنا فعلمهم الله تعالى على الجهاد في سبيله فولوا يوم أحد فعيرهم وقيل لما أخبر الله تعالى بثواب الشهداء ببدر قالوا لئن لقينا قتالا لنفرغن فيه وسنفر فيه ويوم أحد ولوا وقيل كان الرجل يقول قتلت ولم يقتل وطعنت ولم يطعن وضربت ولم يضرب وصبرت ولم يصبر وقيل كان قد آذى المسلمون رجل رشكى فيهم فقتله صهيب وانحط قتله آخر فقال عمر لصهيب أخبر النبي عليه السلام أنك قتلته فقال لقاتله لله ولرسوله فقال عمر يا رسول الله قتله صهيب قال كذلك يا أبا يحيى قال فهم فتراسق في المحسن تراسق المنافقين * ونداؤهم بالايمان تهكم بهم يا أيها الذين آمنوا هذا من أفصح الكلام وأبلغه في معناه * قلت في (كبر) التعجب من غير لفظه كقوله غلظ تاكلب بواؤها ومعنى التعجب تعظيم الامر في قلوب السامعين لان التعجب لا يكون الا من شيء خارج عن نظائره وأشكاله وأمثاله في أن تقولوا ونصب (مقتا) على تفسير ما أبهم من فاعل كبر ومعنى المقت أشد البغض وأبلغه ومنه مقت نكاح المنكوحة على زنا ولم يقتصر على أن جعل البغض كبيرا حتى جعل أشده وأفحشه و (عند الله) أبلغ من ذلك لانه ما أتيت كبيرة عند الله تعالم كبر وشدة مما أتيت عند الشكور لا ومن بعض السلف أنه قيل له عند ما أنت فسكت ثم قيل له عند ما أنت فقال ما أصل لما أعمل فأستحق مقت الله * في قوله (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله) تعجيب ذكر مقت الخلف دليل على أن المقت قد يتعلق بقول الذين وجدوا الشرائع قتال الكفار ولم يروا فرائض على ما قالوا من فتح الشام وفرق يقاتلون (صفا) صافين أقدامهم أو مصفوفين (كأنهم) في تراصهم من غير خلل ولا فرجة (بنيان) رص بعضه إلى بعض ووصف وقيل يحبون أن يرابطوا ويجاهدوا في الدنيا حتى يكونوا في اجتماع الكلمة كالبنيان المرصوص وعن بعضهم فيه دليل على فضل القتال راجلا لان الفرسان لا يصطفون على هذه الصفة وقوله صفا كأنهم بنيان حالان متداخلتان (وإذ) منصوب باضمار اذكر أو وحين قال لهم ما قال كذا وكذا (تؤذونني) كانوا يؤذونه بأنواع الاذى من التقاصه وعيبه في نفسه وجحود آياته وعصيانه فيما تعود إليهم منافعه وعبادتهم البقر وطلبهم رؤية الله جهرة والتكذيب الذي هو تضييع حق الله وحقه

مرصوص (قال فيه ذكره هنا استطرد ذكر مقت المخلف دليل الخ) قال أحمد صدق والاول كالمسألة العامة هذه

﴿سورة الصف مكية وهي أربع عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص وإذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني

القصة الخاصة كقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي فالذي العام ورد أولا والمقصود تدارج هذا الخاص فيه ما تقول للشرف جرما صغيرا لا تفعل ما يلحق العار بك ولا تشاتم زيدا (وقد

وقائمة مثل هذا النظم النهي عن شيئين واحد مرتين مندرجا في العموم ومفردا بالخصوص وهو أولى من النهي عنه على الخصوص مرتين فإن ذلك معدود في حيز التكرار وهذا يتكرر مع ما في التعميم من التعظيم والتهويل والله أعلم * عا كانه (قال في قوله تعالى إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص حالان متداخلتان) قال أحمد يريد أن معنى الاولى مشتمل على معنى الثانية لان التراص هيئة للاصطفاف والله أعلم

قوله تعالى واذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون الآية (قال فيه بيان انهم على عكس الصواب حيث قال تؤذونني عالمين الخ) قال أحمد أهل العربية تقول ان قد تنحت الماضي لتقريبه من الحال ومنه قول المؤذن قد قامت الصلاة وتشتمل المساجة الماضي أيضا على معنى التوقع فلذلك قال سيبويه قد تفعل جواب لما تفعل وقال الخليل هذا الخبر لقوم ينتظرونه وأما مع المضارع فانها تفيد التقليل مثل ربما كذبوا فلهم ان الكذوب قد يصدق فاذا كان معناها مع المضارع التقليل وقد دخلت في الآية على مضارع ظاهر الله أعلم أن يكون هذا من الكلام الذي يقصدون به الافراط فجاء بعكس ما هو به وكون قد في هذا المعنى تضيع قرائن قوله ربما ود الذين كفروا لو كانوا مسلمين فانها في هذا الموضع أبلغ من كم في التكثير فلما أوردت ربما في التكثير على عكس معناها الاصلي في التقليل فكذلك أراد قد ههنا التكثير عليهم أي تحقيقا تأكيده على عكس معناها الاصلي في تقليل الاصل وتليه ٤٠٠ * قد أرى لك الذين مسفر أثامه * وانما مدح مسه بكثرة هذا

(وقد تعلمون) في موضع الحال أي تؤذونني عالمين علما يقينيا (أني رسول الله اليكم) وقضية علمكم ذلك وموجبه تعظيمي وتوقيري لا أن تؤذوني وتستهينوا بي لان من عرف الله وعظمته عظم رسوله علما بأن تعظيمه في تعظيم رسوله ولان من آذاه كان كمن عاند الله لاحقاد (فلما زاغوا) عن الحق (أزاغ الله قلوبهم) بأن منع ألطافه عنهم (والله لا يهدي القوم الفاسقين) لا يلطف بهم لانهم ليسوا من أهل اللطف (فان قلت) ما معنى قصد في قوله (وقد تعلمون (قلت) معناه التوكيد كله قال وتعلمون علما شبيها بالشهادة لكم انه * قيل انما قال يا بني اسرائيل ولم يقل يا قوم كما قال موسى لانه لا نسب له فيهم فيكونوا قومه ولانهن أرسلت اليكم في حال تصديق ما تقدمني (من التوراة) وفي حال تبشيري (برسول يأتي من بعدي) يعني أن ديني التصديق بكتب الله وأنبيائه جميعا من تقدم منها وتأخر وفي من بعدي بسكون الياء وفتحها والخليل وسيبويه يختاران الفتح ومن كعب أن الحواريين قالوا للنبي يا روح الله هل بعدنا من أمة قال نعم أمة أحمد محمد علما بارا تقيا كأنهم من الفقه أنبياء يرضون من الله باليسير من الرزق ويرضى الله منهم باليسير من العمل (فان قلت) بم انتصب مصدقا وما متعلق الرسول من معنى الارسال أم باليكم (قلت) بل بمعنى الارسال لان اليكم صلة للرسول فلا يجوز أن تعمل شيأ لان حروف الجر لا تعمل بأنفسها ولكن عناهم لما في معنى الفعل فأوقعت صلات لم تتضمن معنى فعل في أن تعمل * وقرئ هذا ساحر مبين * وأي الناس أسحر فلما جاءهم بينات قالوا هذا سحر مبين ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام والله لا يهدي القوم الظالمين يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون يا أيها الذين

آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم

الفعل منه عكس دينه الاصلي ولا يقال ان معاني الآية على التكثير متعذر لان المراد معلوم التعلق لا يتكثر ولا يتقلل لانا نقول يعبر عن تعكس الفعل وتحققه وتأكيده وبلوغه الغاية في نوعه بما يعبر به عن التكثير وهو كثير صحيح ألا ترى ان قوله ربما ود الذين كفروا وهو من هذا القبيل فان المراد شدة ودهم لذلك وبلوغه أقصى منتهاه لا غير والله الموفق (قال الزمخشري انما قال يا بني اسرائيل ولم يقل يا قوم لانه لم يكن له صلوات الله عليه نسب فيهم) قال أحمد وهذا تأثر قوله تعالى أخاهم شعيبا لان شعيبا لم يكن من قوم من أرسل اليهم * عاد كلامه قوله تعالى يريدون أن يطفؤا نور الله بأفواههم (قال فيه) هذان حالهم بحالة من يخترع نورا ليطفئه * قوله تعالى هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله الى قوله خير لكم (قال فيه قوله) تؤمنون بالله استئناف كلام كأنه لما قال الكلام الاول قيل كيف نعمل فقال تؤمنون الخ) قال أحمد انما وجه اعراب الفراء عادة كراهته توجيه جواب الامر

هل أدلكم فانكم ان أدلكم على كذا وكذا أغفر لكم فتكون المغفرة حينئذ مترتبة على مجرد دلالته اياهم على الخير وليس كذلك انما تترتب المغفرة على فعلهم لما دلهم عليه لا على نفس الدلالة فالدلالة أول هل أدلكم على تجارة بتأويل هل تتجرون بالايمان والجهاد حتى تكون المغفرة مترتبة على فعل الايمان والجهاد لا على الدلالة وهذا التأويل غير محتاج اليه فان حاصل الكلام اذا صار الى هل أدلكم أغفر لكم الشق ذلك بامثال قوله تعالى قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة فانه رتب فعل الصلاة على الامر بها حتى كانه قال فانك ان تقل لهم أقيموها * والقائل أن يقول قد قيل لبعضهم أقم الصلاة فتركها فما الجواب عنه ان الامر الوجه على المؤمن الراسخ في الايمان لما كان مظنة ٤٥٦ لحصول الامتثال جعل كالمحقق وقوعه مرتبا عليه وكذلك ههنا لما كانت دلالة الذين آمنوا على فعل الخير مظنة لامتثالهم وأمتثالهم سببا في المغفرة حققا عوملت معاملة تحقق الامتثال والمغفرة مرتبين على الدلالة

الامر ولهذا أجيب بقوله (يغفر لكم) وتدل عليه قراءة ابن مسعود آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا (فان قلت) لم جيء به على لفظ الخبر (قلت) للايذان بوجوب الامتثال وكانه امتثل فهو يخبر عن ايمان وجهاد موجودين وتظيره قول الداعي غفر الله لك ويغفر الله لك جعلت المغفرة لقوة الرجاء كأنها كانت ووجدت (فان قلت) هل لقول الشراء انه جواب هل أدلكم وجه (قلت) وجهه أن متعلق الدلالة هو التجارة والتجارة مفسرة بالايمان والجهاد فكانه قيل هل تتجرون بالايمان والجهاد يغفر لكم (فان قلت) فما وجه قراءة من قرأ تؤمنون على رضي الله عنهم ما تؤمنوا وتجاهدوا (قلت) وجهها أن تكون على اضمار لام الامر كقوله

محمد تفد نفسك كل نفس * اذا ما خفت من أمر تبالا

وعن ابن عباس أنهم قالوا لو نعلم أحب الاعمال الى الله لعملناه فنزلت هذه الآية فكشوا ما شاء الله يقولون ليتنا نعلم ما هي فدلهم الله عليها بقوله تؤمنون وهذا دليل على أن تؤمنون كلام مستأنف وعلى أن الامر الوارد على النفوس بعد ما تتوقف وتطلع منها اليه أوقع وبها وأقرب من قبولها له مما وجئت به (ذلكم) يعني ما ذكر من الايمان والجهاد (خير لكم) من أموالكم وأنفسكم (فان قلت) ما معنى قوله (ان كنتم تعلمون) (قلت) معناه ان كنتم تعلمون أن خير الكم كان خيرا لكم حينئذ لانكم اذا علمتم ذلك واعتقدتموه أحببتم الايمان والجهاد فوق ما تحبون أنفسكم وأموالكم فتخلصون وتعلمون (وأخرى تحبونها) ولكم الى هذه النعمة المذكورة من المغفرة والثواب في الآجل نعمة أخرى عاجلة محبوبة اليكم ثم فسرها بقوله (نصر من الله وفتح قريب) أي عاجل وهو فتح مكة وقال الحسن فتح فارس والروم وقيل تحبونها لما فيها من القربة على محبة العاجل (فان قلت) علام عطف قوله (وبشر المؤمنين) (قلت) على تؤمنون لانه في معنى الامر كانه قيل آمنوا وجاهدوا يأمركم الله وينصركم وبشر يا رسول الله المؤمنين بذلك (فان قلت) لم نصب من قرأ نصر من الله وفتح قريبا (قلت) يجوز أن ينصب على الاختصاص أو على تنصرون نصرا ويفتح لكم فتحا أو على ينصركم وينجزكم جنات وتؤتكم أخرى نصرا من الله وفتحا قريبا كونوا أنصار الله وأنصار الله وقرأ ابن مسعود كونوا أنتم أنصار الله وقيل زيادة حتى للتنصيص عليهم (فان قلت) ما وجه صحة التشبيه وظاهره تشبيه كونهم أنصارا بقول عيسى صلوات الله عليه (من أنصاري الى الله) (قلت) التشبيه محمول على المعنى وعليه يصح والمراد كونوا أنصار الله كما كان الحواريون أنصار عيسى حين قال لهم من أنصاري الى الله (فان قلت) ما معنى قوله من أنصاري الى الله (قلت) يجب أن يكون معناه مطابقا لجواب الحواريين (نحن أنصار الله) والذي يطابقه أن يكون المعنى من جندي متوجها الى نصرة الله واضافة أنصاري خلاف اضافة أنصار الله فان معنى نحن أنصار الله نحن الذين ينصرون الله ومعنى من أنصاري من الانصار الذين يختصون بي ويكونون معي في نصرة الله ولا يصح أن يكون معناه من ينصرني مع الله لانه لا يطابق الجواب والدليل عليه قراءة من

ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله

والله أعلم * قوله تعالى ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون (قال فيه معناه ان كنتم تعلمون انه خير لكم كان خير الكم الخ) قال أحمد كانه يجري الشرط على حقيقته وليس بالظاهر لان علمهم لذلك محقق اذ الخطاب مع المؤمنين والظاهر انه من وادي قوله يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين والمقصود بهذا الشرط التنبيه على المعنى الذي يقتضي الامتثال والمهاب الجمة للملامة كما تقول لمن تأمره بالانصاف من عدوه ان كنت حرا فانتصر بزيد أن تثير منه حمية الانتصار لا غير والله أعلم * قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين (قال ان قلت ما وجه التشبيه وظاهره تشبيه كونهم أنصارا الخ) قال أحمد كلا ربحس وتمام على الذي أحسن أن يعين بين الاضافتين المذكورتين أن الاولى محضة والثانية غير محضة فتنبه لها والله الموفق

قرأ

فرأمن أنصار الله والحواريون أصفياؤه وهم أول من آمن بعيسى وكانوا اثني عشر رجلا وحواري الرجل صفيه وخلصانه من الطهور وهو البياض الخالص والحواري الورشي ومنه قوله عليه الصلاة والسلام الزبير ابن عمتي وحواري من أمتي وقيل كانوا قصارين يحورون الثياب يبيضونها وتفسير الحواري في رقته الحوالي الكثير الطويل (فآمنت طائفة) منهم بعيسى (وكفرت به (طائفة فأيدنا) المؤمنين منهم على كفارهم فظهروا عليهم وعن زيد بن علي كان ظهورهم بالحجة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الصف كان عيسى مصليا عليه مستغفرا له مادام في الدنيا وهو يوم القيامة رفيقه

﴿سورة الجمعة مدنية وهي احدى عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* قرئت صفات الله عز وعلا بالرفع على المدح كأنه قيل هو الملك القدوس ولو قرئت منصوبة لكان وجها كقول العرب الحمد لله أهل الحمد * الامي منسوب الى أمة العرب لانهم كانوا لا يكتبون ولا يقرؤن من بين الامم وقيل بدأت الكتابة بالطائف أخذوها من أهل الحيرة وأهل الحيرة من أهل الانبار ومعنى (بعث في الاميين رسولا منهم) بعث رجلا أميا في قوم أميين كما جاء في حديث شعيا اني أبعث أعمى في عميان وأميا في اميين وقيل منهم كقوله تعالى من أنفسكم يعلمون نسبه وأحواله وقرئ في الامين بحذف ياء النسب (يتلوا عليهم آياته) يقرؤها عليهم مع كونه أميا مثلهم لم تعهد منه قراءة ولم يعرف بتعلم وقراءة أي يتلو عليهم آية بينة (ويزكيهم) يطهرهم من الشرك وخبائث الجاهلية (ويعلمهم الكتاب والحكمة) القرآن والسنة * وان في (وان كانوا) هي المخففة من الثقيلة واللام دليل عليها أي كانوا في ضلال لا ترى ضلالا أعظم منه (وآخرين) مجرور عطف على الاميين يعني أنه بعثه في الاميين الذين هم العرب وفي آخرين من الاميين لم يلحقوا بهم يعلمونهم الكتاب والحكمة وهم الذين بعد الصحابة رضي الله عنهم وقيل لما نزلت قيل من هم يا رسول الله فوضع يده على سلمان ثم قال لو كان الايمان عند الثريا لتناوله رجال من هؤلاء ويسمى هم الذين يأتون من بعدهم الى يوم القيامة ويجوز أن ينتصب عطفا على المنصوب في يعلمهم أي يعلمهم وآخرين لان التعليم اذا تناسى الى آخرين كان كأنه مسند الى أولئك فكأنه هو الذي تولى كل ما وجد منه (وهو العزيز الحكيم) وعزته وحكمته وجلا أمياتين ذلك الامر العظيم وتأييده عليه واختياره اياه من بين كافة البشر (ذلك) التفضل الذي أعطاه محمدا وهو أن يكون نبي آخر الزمان وأمته خير الامم وقرآنه هو (فضل الله يؤتيه من يشاء) اعطاءه وتقتضيه حكمته * شبه اليهود في أنهم حملة التوراة وقراؤها وحفاظ ما فيها ثم لم يعملوا بها ولا منتفعين بآياتها وذلك أن قريشا سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم والبشارة به ولم ينالوا بالحمار على أسفارا أي كتبا كبارا من كتب العلم فهو يمشي بها ولا يدري منها الا ما يمر جنبيه ونظيره من الكد والتعب وكل من علوه وعمل بعلمه فهذا مثله وبئس المثل (بئس) مثلا (مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله) وهم اليهود الذين كذبوا بآيات الله الدالة على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم * ومعنى حملوا التوراة كلفوا العمل بها * ثم لم يحملوها ثم لم يعملوا بها فكأنهم لم يحملوها وقرئ حملوا التوراة أي حملوها ثم لم يحملوها في الحقيقة لفقد العمل * وقرئ بحمل الاسفار (فان قلت) بحمل ما محله (قلت) النصب على الحال أو الجر على الوصف لان الحمار كالنكرة في قوله * ولقد أمر على اللئيم يسبني * هذا يهود اذا تؤدوا (أولياء لله) كانوا يقولون نحن أبناء الله وأحباؤه أي ان كان قولكم صحيحا وكنتم على ثقة (فتمنوا) على الله أن يميتكم وينقلكم سريعا الى دار كرامته التي أعدها لاوليائه ثم قال (ولا يتمنونه أبدا) بسبب ما قدموا من الكفر وعدد قال فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يقولها أحد منكم الا غص بريقه فمات مكانه ولما نزلت لم يقولوها لانهم كانوا موقنين بصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلموا أنكم علموا انهم لو تمنوا الموت لماتوا من ساعتهم ولعلقهم الوعيد بقولك أحد منهم أن يتمنى وهي احدى المعجزات وقرئ فتمنوا الموت بكسر الواو لتشبيها بواو استطعنا * ولا فرق بين الاولين في أن كل واحد منهما

فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين

﴿سورة الجمعة مدنية وهي احدى عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

يسبح لله ما في السموات وما في الارض الملك القدوس العزيز الحكيم هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم

القول في سورة الجمعة

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* قوله تعالى كمثل الحمار يحمل أسفارا (قال فيه ما أن يكون

٥٨ كشاف ني قوله يحمل حالا كقوله واعدا أمر على اللئيم يسبني * فان يريد ان المراد فيهما الجنس تعريفه وتنكيره سواء

نفي للمستقبل الآن في ان تأكيد وتشديد ليس في لا فأتى مرة بلفظ التأكيد ولن يتمنوه ومرة بغير لفظه ولا يتمنونه ثم قيل لهم (ان الموت الذي تفرون منه) ولا تحسبون أن تتمنوه خيفة أن تؤخذوا بالمال كفركم لا تموتون وهو ملاقيكم لا محالة (ثم تردون) الى الله فيجازيكم بما أنتم أهله من العقاب وقرأ زيد بن علي رضي الله عنه انه ملاقيكم وفي قراءة ابن مسعود تفرون منه ملاقيكم وهي ظاهرة وأما التي بالفاء فلتضمن الذي معنى الشرط وقد جعل ان الموت الذي تفرون منه كالمبرأ منه في قراءة زيد أي ان الموت هو الشيء الذي تفرون منه ثم استؤنف انه ملاقيكم * يوم الجمعة يوم الفتوح المجموع كقولهم ضحكة للمضحوك منه ويوم الجمعة بفتح الميم يوم الوقت الجامع كقولهم ضحكة ولعنة ويوم الجمعة تثقيل للجمعة كما قيل عمرة في عمرة وقرئ بهن جميعا (فان قلت) من في قوله (من يوم الجمعة) ما هي (قلت) هي بيان لاذا وتفسير له * والنداء الاذان وقالوا المراد به الاذان عند قعود الامام على المنبر وقد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذن واحد فكان اذا جلس على المنبر اذن على باب المسجد فاذا نزل أقام للصلاة ثم كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما على ذلك حتى اذا كان عثمان وكثر الناس وتباعدت المنازل زاد مؤذنا آخر فأمر بالتأذين الاول على داره التي تسمى زوراء فاذا جلس على المنبر أذن المؤذن الثاني فاذا نزل أقام للصلاة فلم يعب ذلك أحد وقيل أول من سماها بالجمعة كعب بن لؤي وكان يقال لها العروبة وقيل ان الانصار قالوا لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة أيام وللنصارى مثل ذلك فهلموا نجعل لنا يوما نجتمع فيه فنذكر الله فيه ونصلي فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الاحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا الى سعد بن زرارة فصلى بهم يومئذ ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه فأنزل الله آية الجمعة فهي أول جمعة كانت في الاسلام وأما أول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فهي أنه لما قدم المدينة مهاجرا نزل قباء على بني عمرو بن عوف وأقام بها يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس وأسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة عامدا المدينة فأدركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن وادهم فخطب وصلى الجمعة وعن بعضهم قد أبطل الله قول اليهود في ذلات فخروا بأنهم أولياء الله وأحباؤه فكذبهم في قوله تمنوا الموت ان كنتم صادقين وبأنهم أهل الكتاب والعرب لا كتاب لهم فشبههم بالحمار يحمل أسفارا وبالسبت وأنه ليس للمسلمين مثله فشرع الله لهم الجمعة وعن النبي صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أهبط الى الارض وفيه تقوم الساعة وهو عند الله يوم المزيد وعنه عليه السلام أتاني جبريل وفي كفه مرآة بيضاء وقال هذه الجمعة يعرضها عليك ربك لتكون لك عيدا ولامتك من بعدك وهو سيد الايام عندنا ونحن ندعوه في الآخرة يوم المزيد وعنه صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى في كل جمعة ستمائة ألف عتيق من النار وعن كعب ان الله فضل من البلدان مكة ومن الشهور رمضان ومن الايام الجمعة وقال عليه السلام من مات يوم الجمعة كتب الله له أجر شهيد ووقي فتنة القبر وفي الحديث اذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على أبواب المسجد بأيديهم صحف من فضة وأقلام من ذهب يكتبون الاول فالاول على مراتبهم وكانت الطرقات في أيام السلف وقت العصر وبعدا لفجر منتصبة بالبكورين الى الجمعة يعشون السرج وقيل أول بدعة أحدثت في الاسلام ترك البكور الى الجمعة وعن ابن مسعود أنه بكر فرأى ثلاثة تقوسبقوه فاغتم وأخذ يعاتب نفسه يقول أراك رابع أربعة وما رابع أربعة بسعيد ولا تقام الجمعة عند أبي حنيفة رضي الله عنه الا في مصر جامع لقوله عليه السلام لا جمعة ولا تشريق ولا فطر ولا أضحى الا في مصر جامع والمصر الجامع ما أقيمت فيه الحدود ونفذت فيه الاحكام ومن شروطه الامام أو من يقوم مقامه لقوله عليه السلام فمن تركها وله امام عادل أو جائر الحديث وقوله صلى الله عليه وسلم أربع الى الولاة الفيء والصدقات والحدود والجمعات فان أمر رجل بغير اذن الامام أو من ولاه من قاض أو صاحب شرطة لم يجز فان لم يمكن الاستئذان فاجتمعوا على واحد فصلى بهم جاز وهي تنعقد بثلاثة سوى الامام وعند الشافعي باربعين ولا جمعة على المسافرين والعبيد والنساء والمرضى والزمنى ولا على الاعمى عند ابي حنيفة ولا على الشيخ الذي لا يمشي الا بقائد وقرأ عمر وابن عباس وابن مسعود ونفر منهم فامضوا وعن عمر

يعني بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون يا أيها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة

*قوله تعالى فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع (قال استدل بذلك على مذهب أبي حنيفة رحمه الله الخ) قال أحمد لا دليل فان العرب تسمي الشيء باسم بعض ما يشتمل عليه كما سميت الصلاة مرة قرآنا ومرة سجودا ومرة ركوعا لانها مشتملة على ذلك وكذلك الخطبة لما كانت مشتملة على ذكر الله سميت به ولا يلزم أن يكون كذلك كل ما اشتملت عليه لا سيما والمسمى خطبة عند العرب لا بد وان يزيد على القدر الذي اكتفى به أبو حنيفة قال بعض أصحاب مالك رحمه الله أفلها حمد الله والصلاة على نبيه (٥٠٩) وتحذير وتبشير وقرآن (ثم اتبع

رضي الله عنه أنه سمع رجلا يقرأ فاسعوا فقال من أقرأك هذا قال أبي بن كعب فقال لا يزال يقرأ بالمنسوخ لو كانت فاسعوا لسعيت حتى يستطرد الى وقيل المراد بالسعي القصد دون العدو والسعي التصرف في كل عمل ومنه قوله تعالى فلما بلغ معه السعي وأن ليس للانسان الا ما سعى وعن الحسن ليس السعي على الاقدام ولكنه على النيات والقلوب وذكر محمد بن الحسن رحمه الله في موطئه أن ابن عمر سمع الاقامة وهو بالبقيع فأسرع المشي قال محمد وهذا لا بأس به ما لم يجهد نفسه (الى ذكر الله) الى الخطبة والصلاة وتسميته الله الخطبة ذكر الله قال أبو حنيفة رحمه الله ان اقتصر الخطيب على مقدار ما يسمى ذكر الله كقوله الحمد لله سبحان الله جاز وعن عثمان أنه صعد المنبر فقال الحمد لله وأثنى عليه فقال ان أبا بكر وعمر كانا يعدان لهذا المقام مقالا وانكم الى امام فعال أحوج منكم الى امام قوال وستأتيكم الخطب ثم نزل وكان ذلك بحضرة الصحابة ولم ينكر عليه أحد وعند صاحبيه والشافعي لا بد من كلام يسمى خطبة (فان قلت) كيف يتسرد كر الله الخطبة وفيها ذكر غير الله (قلت) ما كان من ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم والثناء عليه وعلى خلفائه الراشدين وأئمة المؤمنين والموعظة والتذكير فهو من حكم ذكر الله فأما ما عدا ذلك من ذكر الظلمة والثناء عليهم والدعاء لهم والدعاء عليهم أحيانا بعكس ذلك فمن ذكر الشيطان وهو من ذكر الله على مراحل واذا قال المنصت للخطبة لصاحبه صه فقد لغا أفلا يكون الخطيب العالي في ذلك لاغيا ومن الله نسأل عزبة الاسلام ونكد الايام * أراد الامر بترك ما يذهل عن ذكر الله من شواغل الدنيا وغالب ما يخص البيع من بينها لان يوم الجمعة يوم يهبط الناس فيه من قراهم وبواديهم وينصبون الى المصر من كل أوب ووقت هبوطهم واجتماعهم واغتصاص الاسواق بهم اذ الضحى النهار وتعال الضحى وذا وقت الظهيرة وحينئذ تعز التجارة ويتكاثر البيع والشراء فلما كان ذلك الوقت مظنة الذهول بالبيع عن ذكر الله والمضي الى المسجد قيل لهم بادروا تجارة الآخرة واتركوا تجارة الدنيا واسعوا الى ذكر الله الذي لا شيء أنفع منه وأربح (وذروا البيع) الذي نفقه يسير ويوجد بعد قريب (فان قلت) فاذا كان البيع في هذا الوقت مأمورا بتركه شعرا فما هو فاسد (قلت) عامة العلماء على أن ذلك لا يوجب فساد البيع قالوا الان البيع لم يحرم لعينه ولكن لما فيه من الذهول عن الواجب فهو كالصلاة في الارض المغصوبة والثوب المغصوب ولو ضوعفا معقوبا على بعض الناس أنه فاسد * ثم أطلق لهم ما حظر عليهم بعد قضاء الصلاة من الانتشار وابتغاء الربح مع التوصية باكثار الذكر وأن لا يلهيهم شيء من تجارة ولا غيرها عنه وأن تكون همم في جميع أحوالهم وأوقاتهم موكلة لا تنفك عن علام الغيوب فيه وفوزهم منوط به وعن ابن عباس لم يؤمروا بطلب شيء من الدنيا انما هو عيادة المريض وحضور الجنائز وزيارة أخ في الله وعن الحسن وسعيد بن المسيب طلب العلم وقيل صلاة التطوع وعن بعض السلف أنه كان يشغل نفسه بعد الجمعة بشيء من أمور الدنيا نظرا في هذه الآية * روي أن أهل المدينة أصابهم جوع وغلاء شديد فقدم دحية بن خليفة بتجارة من زيت الشام والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة فقاموا اليه حشوا أن يسبقوا اليه فبقي معه الا اسير فقيل ثمانية واحد عشر واثنا عشر وأربعون فقال عليه السلام والذي نفس محمد بيده لو خرجوا جميعا لاضرم الله عليهم الوادي نارا وكانوا اذا أقبلت العير استقبلوها بالطبل

الخطب فان ذلك يحقق أن مقالته هذه ليست بخطبة ولو كان في الجمعة لكان تارك الخطبة بالكلية وهي منقولة في التاريخ انه أرتج عليه فقال سيجعل الله بعد عسر يسرا وبعد مئين يأتاكم الى امام فعال أسوغ منكم الى امام قوال وستأتيكم الخطب بعد كذا فمه (قال ان قلت كيف تسرد كر الله بالخطبة وفيها ذكر غير الله وأجاب بأن ذكر رسول الله والصحابة والخلفاء الراشدين الخ) قال أحمد الدعاء للسلطان الواجب الطاعة مشروع بكل حال وقد نقل عن بعض السلف أنه دعا للسلطان نائما فقيل له أتدعو له وهو نائم فقال اي والله أدعو له ان ما يديع الله به أعظم عما يديعه مع يقظته لا سيما اذا ضمن ذلك الدعاء بصلاحه وسداده وتوفيقه والله الموفق

الاستدلال على مذهب أبي حنيفة بالآية بأثر عن عثمان وهو ان عثمان صعد المنبر فقال ان أبا بكر وعمر كانا يعدان لهذا المقام مقالا وانكم الى امام فعال أحوج منكم الى امام قوال وستأتيكم الخطب ثم نزل وكان ذلك بحضرة الصحابة فلم ينكر عليه أحد أنتهى كلامه) قال أحمد أساء لا

فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون واذا رأوا تجارة أو لهوا

اشتباه فان عثمان لم يصرح بذلك منه في خطبة الجمعة وانما كان ذلك في ابتداء خلافته وصعوده المنبر للبيعة وكانت عادة العرب الخطب في المهمات ألا ترى الى قوله وستأتيكم بعد ذلك

﴿القول فى سورة المنافقين﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ * قوله تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون (قال انما كذبهم لانهم ادعوا أن شهادتهم تواطئ لقلوبهم الخ) قال أحمد ومثل هذا من غلط المليح قوله قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا وقد كان المطابق لقوله ولكن قولوا أسلمنا أن يقال لهم لا تقولوا آمنا ولكنه لما كان مورد النهى عن قول الاعين عدل عنه على ما فيه من الطباق الى ما سلم الكلام فيه من الوهم وذلك أجل وأعظم من فائدة المطابقة لا سيما فى مخاطبة هؤلاء الذين كانوا يتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة الا تراهم كيف عالطوا أنفسهم متعابين وليسوا على ضعفهم متحاهلين (٤٦٠) عند ما أنزل قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم * عاد كلامه (قال استدلال

لابى حنيفة على أن قول القائل أشهد بين أنصف والياء وتركوله قائل ما قال عند الله غير من الله ومن الخيارة والله يغفر الزلين

﴿سورة المنافقين مدنية وهى احدى عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله انهم ساء ما كانوا يعملون ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم

بقوله اتخذوا أيمانهم جنة ولم يسد دونهم

والتحقيق فهو المراد بالله هو وعن قتادة فصلوا ذلك ثلاث مرات فى كل مقدم عشر (فان قلت) فان اتفق تفرق الناس عن الامام فى صلاة الجمعة كيف يصنع (قلت) ان بقى وحده أو مع أقل من ثلاث فعند أبى حنيفة يستأنف الظهر اذا نفر واعته قبل الركوع وعند صاحبيه اذا كبر وهم معه مضى فيها وعند زفر اذا نفروا قبل التشهد بطلت (فان قلت) كيف قال (الها) وقد ذكر شيئين (قلت) تقديره اذا رأوا تجارة انفضوا اليها أو لهوا انفضوا اليه فحذف أحدهما لدلالة المذكور عليه وكذلك قراءة من قرأ انفضوا اليه وقراءة من قرأ انفضوا أو تجارة انفضوا اليها وقرئ انهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الجمعة أعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من أتى الجمعة وبعدد من لم يأتها فى أسعار المسلمين

﴿سورة المنافقين مدنية وهى احدى عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* أراد بقولهم (نشهد انك لرسول الله) شهادة واطأت قلوبهم ألسنتهم فقال الله عز وجل قالوا ذلك (والله يعلم) أن الامر كما يدل عليه قولهم انك لرسول الله والله يشهد انهم لكاذبون فى قولهم نشهد وان عنيهم فيه المواطأة أو انهم لكاذبون فيه لانه اذا خلا عن المواطأة لم يكن شهادة فى الحقيقة فهم كاذبون فى تسميته شهادة أو أراد والله يشهد انهم لكاذبون عند أنفسهم لانهم كانوا يستقبحون أن قولهم انك لرسول الله كذب وتشجع على خلاف ما عليه حال المخبر عنه (فان قلت) أى فائدة فى قوله تعالى والله يعلم انك لرسوله (قلت) لو قال قالوا نشهد انك لرسول الله والله يشهد انهم لكاذبون لكان ربما أن قولهم هذا كذب فوسط بينهما قوله والله يعلم انك لرسوله ليعط هذا الايهام (اتخذوا أيمانهم جنة) يجوز أن يراد أن قولهم نشهد انك لرسول الله يعنون من أيمانهم الكاذبة لان الشهادة تجرى مجرى الحلف فيما يراد به من التوكيد يقول الرجل أشهد وأشهد الله وأعزم وأعزم بالله فى موضع أقسم وأولى وبه استشهد أبو حنيفة رحمه الله على أن أشهد بين وتجوز أن يكون وصفا للافتعال فى استجنانهم بالايمان وقرأ الحسن البصرى ايمانهم أى ما أظهروه من الايمان بالسنتهم وبعضده قوله تعالى ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا (ساءما كانوا يعملون) من نفاقهم وصدهم الناس عن سبيل الله وقرئ ساء مبنى التعجب الذى هو تعظيم أمرهم عند السامعين (ذلك) اشارة الى قوله ساءما كانوا يعملون أى ذلك القول الشاهد عليهم بأنهم أسوأ الناس أعمالا (بسبب (أنهم آمنوا ثم كفروا) أولى ما وصف من حالهم فى النفاق والكذب والاستجنان بالايمان أى ذلك كله بسبب أنهم آمنوا ثم كفروا (فطبع على قلوبهم) فصاروا على كل عظيمة (فان قلت) المنافقون لم يكونوا الا على الكفر الثابت الدائم فما معنى قوله آمنوا ثم كفروا

(قال فيه المنافقون لم يكونوا الا على الكفر الثابت الدائم الخ) قال أحمد يحتمل وجها رابعا وهو أنهم آمنوا به قبل مبعثه على الصفة المذكورة فى التوراة لانهم كانوا يسمعونها من جيرانهم اليهود ثم كفروا به بعد مبعثه وموافقة الصفة ولعل فى المنافقين يهودا وان لم يكن فقد كان الايمان قبل مبعثه من الفريقين اليهود وعبدة الاوثان من العرب الى نزول قوله لم يكن الذين

(قلت) فيه ثلاثة أوجه أحدها آمنوا أي نطقوا بكلمة الشهادة وفعلوا كما يفعل من يدخل في الاسلام ثم كفروا ثم ظهر كفرهم بعد ذلك وتبين بما اطلع عليه من قولهم ان كان ما قوله محمد صحة فنحن حمير وقولهم في غزوة تبوك أيطمع هذا الرجل أن تفتح له قصور كسرى وقيصر هم ان ونحوه قوله تعالى يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم أي ظهر كفرهم بعد ان أسلموا ونحوه قوله تعالى لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم والثاني آمنوا أي نطقوا بالايمان عند المؤمنين ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم استهزاء بالاسلام كقوله تعالى واذا لقوا الذين آمنوا الى قوله تعالى انما نحن مستهزؤن والثالث أن يراد أهل الردة منهم * وقرئ فطبع على قلوبهم وقرأ زيد بن علي فطمع الله * كان عبد الله بن أبي رجلا جسيما صبيحا فصيحا دلق اللسان وقوم من المنافقين في مثل صفته وهم رؤساء المدينة وكانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيستحسنون ما يسمعون منه وهم جهارة المناظر وفصاحة الالسن فكان النبي صلى الله عليه وسلم ومن حضر يعجبون بهما كلام ويصغون الى كلامهم (فان قلت) ما معنى قوله (كأنهم خشب مسندة) (قلت) شبهوا في استنادهم وعدم الانتفاع بهم الأجرام خالية عن الاعيان والثمر بالخشب المسندة الى الحائط ولان الخشب اذا انتفع به كان في سقف أو جدار وغيرهما من مظان الانتفاع وسواء دام مترا وكانا غير منتفع به أسند الى الحائط فشبهوا في عدم الانتفاع ويجوز أن يراد بالخشب المسندة الاصنام المنحوتة من الخشب المسندة الى الحيطان شبهوا بها في حسن صورهم وقلة جدواهم * والخطاب في رأيتهم تجهيل لرسول الله أو لكل من يخاطب * وقرئ يسمع على البناء للمفعول وموضع كلامهم خشب رفع على هم كأنهم خشب أو هو كلام مستأنف لا محل له * وقرئ خشب جمع خشبة كبدنة وبدن وخشب كقرة وقرة مصدر وهي في قراءة ابن عباس وعن اليزيدي أنه قال في خشب جمع خشباء والخشباء الخشبة التي دعموا بها بيوتهم وهلهم وفساد بواطنهم (عليهم) ثاني مفعولي يحسبون أي يحسبون كل صيحة واقعة عليهم وضارة لهم لجبنهم وهلهم ومافي قلوبهم من الرعب اذا نادى منادي العسكر أو اغتلت دابة أو أشدت ضالة ظنوه ايقاعا بهم وقيل كانوا على وجل من أن ينزل الله فيهم ما يهتك أستارهم ويبيح دماءهم وأموالهم ومنه أخذ الاخطل

مازلت تحسب كل شيء بعدهم * خيلا تكر عليهم ورجالا

يوقف على عليهم ويبتدأ (هم العدو) أي الكاملون في العداوة لان أعدى الاعداء العدو المداجي الذي يكاشفك وتخف مصاولته الداء الدوي (فاحذرهم) ولا تغتر بظاهرهم ويجوز أن يكون هم العدو المفعول الثاني كالوظرحت الضمير (فان قلت) بم تتعلق من قوله (من قبل) متأخرا وقد أخر في الذكر فكذا في هذا رب وأن يتقدم مضاف محذوف على يحسبون كل أهل صيحة (قاتلهم الله) دعاء عليهم وطلب من ذاته أن يلعنهم ويخزيهم أو تعليم للمؤمنين أن يدعوا عليهم بذلك (أنى يؤفكون) كيف يعدلون عن نهج تبيانهم حتى يلعنهم وصلاتهم (لووا رؤسهم) عطفوها وأمالوها اعراضا عن ذلك واستكبارا قرئ بالتخفيف والتشديد للتكثير وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين لقي بني المصطلق على المريسيع وهم غارون وهزمهم وقتل منهم ازدحم على الماء جهجاه بن سعيد أجير لعمر فتدافع وسنان الجهني حليف لعبد الله بن أبي واقتتلا فصرخ جهجاه يا للمهاجرين وسنان يا للانصار فأعان جهجاها جعال من فقراء المهاجرين وأطم سنانا فقال عبد الله لجعال وأنت هناك وقال ما حبسنا محمد الا لنطعم والله ما مثلنا ومثلهم الا كما قال من كلبك يأكلك أما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل يعني بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لقومه ماذا فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم أما والله لو أمسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم ولا وشكوا أن يتحولوا عنكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فسمع بذلك زيد بن أرقم وهو حدث فقال أنت والله الذليل المبغض في قومك ومحمد في عز من الرحمن وقوة من

العدو (قال المفعول الثاني عليهم تقدير مواقعة عليهم الخ) قال أحمد وغلا المنفي في المعنى فقال وصافت الارض حتى صارهاربهم * اذا رأى غير شيء ظنه رجلا عاد كلامه (قال) هو يوقف على قوله عليهم ويبتدأ هم العدو أي الاعداء الكاملون الخ

كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون

انما قرئت بضم الشين وسكونها لتراءتين مستثقلتين فتبعه دليل ان أصلها الضم والسكون اتباعه وقد قرئ عليه تخفيفا وهذا يبعد كونها جمع خشباء على وزن فعلاء لان قياس جمعه فعل بسكون العين كحمراء وحمر ولا يطرأ الضم فلو كان كما قال لم تضم شينها والله تعالى أعلم * قوله تعالى يحسبون كل صيحة عليهم هم

والبينة النبي صلى الله عليه وسلم * قوله تعالى كأنهم خشب مسندة (قال فيه كانوا أيجا السون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويستندون في المجالس وهم جهارة المناظرة وفصاحة الالسن الخ) قال أحمد وفيما قال اليزيدي نظر من حيث مقتضى العربية والا فهي ممكن المعنى وذلك

المسلمين فقال عبد الله اسكت فاغا كنت ألعب فأخبر زيد رسول الله فقال عمر دعني أضرب عنق هذا المنافق يارسول الله فقال اذن ترعد أنف كثيرة بيثرب قال فان كرهت أن يقتله مهاجري فأمر به أنصاريا فقال فكيف اذا تحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه وقال عليه الصلاة والسلام لعبد الله أنت صاحب الكلام الذي بلغني قال والله الذي أنزل عليك الكتاب ماقلت شيأ من ذلك وان زيدا لكاذب فيهو قوله تعالى اتخذوا أيمانهم جنة فقال الحاضرون يارسول الله شيخنا وكبيرنا لا تصدق عليه كلام غلام عسى أن يكون قد وهم وروى أن رسول الله قال له لعلك غضبت عليه قال لا قال فلعله أخطأ سمعك قال لا قال فلعله شبه عليك قال لا فلما ارتحل علق رسول الله زيد امن خلفه فعرك أذنه وقال وفت أذنك ياغلام ان الله قد صدقك وكذب المنافق ولما أراد عبد الله أن يدخل المدينة اعترضه ابنه حباب وهو عبد الله بن عبد الله غير رسول الله اسمه وقال أن حبابا اسم شيطان وكان مخلصا وقال وراءك والله لا تدخلها حتى تقول رسول الله الاعز وأنا الاذل فلم يزل حبابه يلح حتى أمر رسول الله بخليته وروى أنه قال له لئن لم تقر لله ورسوله بالعز لاضربن عنقك فقال ويحك أفاعل أنت قال نعم فلما رأى صنعه الجد قال أشهد أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال رسول الله لا جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيرا فلما بان كذب عبد الله قيل له قد نزلت فيك آي شداد فاذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لك فلوى رأسه ثم قال أمرت وني أن أومن فآمنت وأمرت وني أن أزكي مالي فزكيت فما بقي الا أن أسجد لمحمد فنزلت واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله ولم يأت الا أياما قلائل حتى اشتكى ومات (سواء عليهم) الاستغفار وعدمه لانهم لا يتقربون اليه ولا يعتقدون به فكفرهم أولان الله لا يغفر لهم * وقرئ استغفرت على حذف حرف الاستفهام لان أم المعادلة تدل عليه وقرأ أبو جعفر أستغفرت اشباعا لهمزة الاستفهام للاظهار والبيان لا قلبا لهمزة الوصل ألفا كاني ألصحر وألقفر ينفضوا) يتفرقوا وقرئ ينفضوا من أنفض القوم اذا فنيت أزوادهم وحقيقته صار لهم أن ينفضوا امرادهم (وللهخزائن السموات والارض) يبيده الارزاق والقسم فهو يرزقهم منها وان أبى أهل المدينة أن ينفقوا عليهم ولكن عبد الله وأضرابه يباهلون (لا يفقهون) ذلك فيهذون بما يرون لهم الشيطان * وقرئ ليخرجن الاعز منها الاذل بفتح الياء وليخرجن على البناء للمفعول وقرأ الحسن وابن أبي عبلة ليخرجن بالنون ونصب الاعز والاذل ومعناه خروج الاذل اواخراج الاذل أومثل الاذل (ولله العزة) الغلبة والقوة ولمن أعزه الله وأيده من رسوله وعن المؤمنين وهم الاخصاء بذلك كما أن الذلة والهوان للشيطان وذويه من الكافرين والمنافقين وعن بعض الصالحات وكانت في هيئة رثة أليست على الاسلام وهو العز الذي لا ذل معه والغنى الذي لا فقر معه وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما أن رجلا قال له ان الناس يزعمون أن فيك تيها قال ليس بتيه ولكنه عزة وتلا هذه الآية (لا تلهكم لا تشغلكم (أموالكم) والتصرف فيها والسعي في تدبير أمرها والتهالك على طلب النماء بها بالتجارة والاغتلال وابتغاء الربح والتلذذ بها والاستمتاع بمنافعها (ولا أولادكم) وسروركم بهم وشفقتكم عليهم والقيام بمصالحهم وتسويتها بما يصلحهم من معايشهم في حياتكم وبعد مماتكم وقدم تقدير منفعة الاموال والاولاد وأنها أهون شيء وأدونه في جنب ماعند الله (عن ذكر الله) وايثار عليها (ومن يفعل ذلك) يريد التشاغل بالدنيا عن الدين (فأولئك هم الخاسرون) في تجارتهم حيث باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني وقيل ذكر الله الصلوات الخمس وعن الحسن جميع الفرائض كأنه قال عن طاعة الله وقيل القرآن وعن الكلبي الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم * من في (عمارزقناكم) للتبعيض والمراد الانفاق الواجب (من قبل أن يأتي أحدكم الموت) من قبل أن يرى دلائل الموت ويعاين مايأيس معه من الامهال ويضيق به الخناق وتعذر عليه الانفاق ويفوت وقت القبول فيتحسر على المنع وبعض آنامله على فقد ما كان ممكنا منه وعن ابن عباس رضي الله عنه تصدقوا قبل أن ينزل عليكم سلطان الموت فلا تقبل توبة ولا يتفع عمل وعنه مانفع أحدكم اذا كان له مال أن يزكي واذا أطاق الحج أن يحج من قبل أن يأتيه الموت فيسأل ربه الكر فلا يعطاها وعنه أنها نزلت في مانعي الزكاة والله لو رأى خير الماسأل الرجعة فقيل له أما تتقي الله يسأل

سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ان الله لا يهدي القوم الفاسقين هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ولله خزائن السموات والارض ولكن المنافقين لا يفقهون يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون وانفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب

﴿القول فى سورة التغابن﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) * قوله تعالى هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن (قال فيه مقر
فمنكم آت بالكفر وفاعل له ومنكم آت بالايمان الخ) قال أحمد لقد ركب عميا وخبط خبط عشواء نفسه وعن السالك فيه هالك والغابر
فيه عاثر وانما ينصب الى مهاوى الادراك ويحوم حول مراتع الاشراك لا يبحث ولكن (٤٦٣) على حتفه بظلفه ويحفر

المؤمنين لكرة قال نعم أنا أقرأ عليكم به قرآنا يعنى أنها نزلت فى المؤمنين وهم الخاطبون بها وكذا عن الحسن
ما من أحد منكم يولد الا وهو صموم ولم يجئ الاسلام الا جمعة * وعن عكرمة أنها نزلت فى أهل القبلة (لولا أخرتنى)
* وقرئ أخرتن يريد هلا أخرت موتى (الى أجل قريب) الى زمان قليل (فأصدق) وقرأ أبى فأتصدق على
الاصل وقرئ وأكن عطفا على محل فأصدق كأنه قيل ان أخرتنى أصدق وأكن ومن قرأ وأكون على
النصب فعلى اللفظ وقرأ عبيد بن عمير وأكون على وأنا أكون عدة منه بالصلاح (ولن يؤخر الله) نفى للتأخير
على وجه التأكيد الذى مبناه مناقاة النفى الحكمة والمعنى أنكم اذا علمتم أن تأخير الموت عن وقته مما
لا سبيل اليه وأنه هاجم لا محالة وأن الله عليم بأعمالكم فيجازيكم عليها ان خيرا فخير وان شرا فشر
فبادروا الخروج عن عهدة الواجبات والاستعداد للقاء الله * وقرئ تعملون بالتاء واليائه عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة المنافقين برئ من النفاق

﴿سورة التغابن مختلف فيها وهى ثمانى عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* قدم الظرفان ليفيدا تقدمهما على معنى اختصاص الملك والحمد بالله عز وجل وذلك لان الملك على الحقيقة
لله لانه ممتنع كل شئ وهو يمتنع عما يمتنع عليه وكذلك الحمد لان أصول النعم وفروعها منه وأما ملك
غيره وتسليط منه واستيجاب حمده باعتداد بأن نعمة الله جرت على يده (هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم
مؤمن) يعنى فمنكم آت بالكفر وفاعل له ومنكم آت بالايمان وفاعل له كقوله تعالى وجعلنا ذريته هم الباقين
والمكلف فيهم مهتد وكثير منهم فاسقون والدليل عليه قوله تعالى (والله بما تعملون بصير) أى عالم بكسبكم
وايثاركم اللئيم على عامن عندكم والمعنى هو الذى تفضل عليكم بأصل النعم الذى هو الخلق والايجاد عن العدم
فكان حقه أن تنظروا والنظر الصحيح وتكونوا مذعنين عباده شاكرين فما لكم تخلطون مع ذلك كفركم بل تشبعتم شعبا
وتفرقتم أحزابا فمنكم كافر ومنكم مؤمن وقدم الكفر لانه الاغلب عليهم والا فترتيبهم وقيل هو الذى خلقكم
فمنكم كافر بالخلق وهم الدهرية ومنكم مؤمن به (فان قلت) نعم ان الناس هم الفاعلون للكفر والكفر قبيح
فى عالم الحكمة أن اذا خلقهم لم يفعلوا الا الكفر ولم يختاروا وغيره شاد عاء الى خلقهم مع علمه بأن يكون منهم
وهل خلق القبيح وخلق فاعل القبيح الا واحد وهل مثله الا مثل من وهب سيفا لقاتل ثم يرى قطع السبيل
وقتل النفس المحرمة فتقتل به مؤمنا أما يطبق العقلاء على ذم الواهب وتسفيه والدق فى فروته كالذى يعذبون
القاتل بل اضاؤهم باللوائم على الواهب أشد (قلت) قد علمنا أن الله حكيم عالم بقبح القبيح بالبناء عنه فقد
علمنا أن أفعاله كلها حسنة وخلق فاعل القبيح فعله فوجب أن يكون حسنا وان يكون له وجه حسن وخفاء
وجه الحسن علينا لا يقدح فى حسنه كما لا يقدح فى حسن أكثر خلق الله سبحانه لنا دواعى الحكمة الى خلقها
(بالحق) بالغرض الصحيح والحكمة البالغة وهو أن جعلهم مقار المكلفين ليعملوا فيجازيهم (وصوركم فأحسن
صوركم) وقرئ صوركم بالكسر لتشكروا * واليه مصيركم فجازاكم على الشكر والتفريط فيه (فان قلت)
كيف أحسن صورهم (قلت) جعلهم أحسن الحيوان كله وأبهاه بدليل أن الانسان لا يتمنى أن تكون
صورته على خلاف ما يرى من سائر الصور ومن حسن صورته أنه تنطق منتصبا غير منكب كما قال عز وجل
فى أحسن تقويم (فان قلت) فكم من دميم مشوه الصورة سمج تقبحه العيون (قلت) لاسماحة ثم ولكن

وما هو الا يتشدق
ويتحقق وما هو الا
يتمسق وهب الله أعرض
عن الادلة العقلية
والنصوص النقلية
المتظاهرة على ان الله
تعالى خالق كل شئ

ولولا أخرتنى الى أجل
قريب فأصدق وأكن
من الصالحين ولن يؤخر
الله نفسا اذا جاء أجلها
والله خبير بما تعملون

﴿سورة التغابن وهى
ثمانى عشرة آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

يسبح لله ما فى السموات
وما فى الارض له الملك
وله الحمد وهو على كل شئ
قدير هو الذى خلقكم
فمنكم كافر ومنكم مؤمن
والله بما تعملون بصير
خلق السموات والارض
بالحق وصوركم فأحسن
صوركم واليه المصير
يعلم ما فى السموات
والارض ويعلم ما تسرون
وما تعلنون والله عليم

وأطرد له فى الشاهد
ما ادعاه ومن مذهبه
قياس الغائب على
الشاهد فقد انحال
الاعتراف بان الله خالق

عبد الفاعل للقبيح وان خلق العبد الفاعل للقبيح عقابة اعطاء السيف الباتر للرجل الفاجر وانا هذا قبيح شاهدا ولا يلزم أن يكون مثله
بحسب خلق الله تعالى أفلا يجوز أن يكون منطويا على حكمة استأثر الله تعالى بعلمها فانى من دعوى ان أفعال العبد وان استفيضها
العقلاء مخلوقة لله تعالى وفى خلقها حكمة استأثر الله بعلمها وهى الفرق اذا لا عين الحكم ونفس اتباع الهوى هذا دون عكسه من اتباع

هذه القواعد ان يمكن من الفتاد احتراط ومن الجمل ان يلج في سم الخياط * قوله تعالى والله غني (قال فيه أطلق فيتناول كل شيء
ثم قال فان قلت كان التنوين (٤٦٤) فيهم الخ) قال أحمد فاما الحق انه لم يخلق لهم اعيانا ولا قدرة عليه فكان قادرا ان يخلق

يذات الصدور ألم يأتكم
نبأ الذين كفروا من
قبل فذاقوا وبال
أمرهم ولهم عذاب أليم
ذلك بأنه كانت تأتيهم
رسلهم بالبينات فقالوا
أبشر يهدوننا فكفروا
وتولوا واستغنى الله والله
غني حميد زعم الذين
كفروا أن لن يبعثوا قل
بلى وربي لتبعثن ثم
لتنبؤن بما عملتم وذلك
على الله يسير فآمنوا
بالله ورسوله والنور
الذي أنزلنا والله بما
تعملون خبير يوم
يجمعكم ليوم الجمع ذلك
يوم التغابن ومن يؤمن
بالله ويعمل صالحا يكفر
عنه سيئاته ويدخله
جنات تجري من تحتها
الأنهار خالدين فيها أبدا
ذلك الفوز العظيم والذين
كفروا وكذبوا بآياتنا
أولئك أصحاب النار
خالدين فيها وبئس
المصير ما أصاب من
مصيبة إلا بإذن الله ومن
يؤمن بالله يهد قلبه
والله بكل شيء عليم
وأطيعوا الله وأطيعوا
الرسول فان توليتم فانما
على رسولنا البلاغ المبين
الله لا إله إلا هو وعلى
الله فليتوكل المؤمنون

الحسن كثيره من المعاني على طبقات ومراتب فالانحطاط بعض الصور عن مراتب ما فوقها انحطاطا بينا
واضافتها الى الوقوف عليها لا تستطع والافهي داخلة في حيز الحسن غير خارجة عن حده ألا ترى أنك قد تعجب
بصورة وتستحسنها ولا ترى الدنيا بها ثم ترى أجمل وأعلى في مراتب الحسن منها فيهبو عن الاولى طرفك
وتستقل النظر اليها مدافعا نفسك بشهواتها لكمال علمها وقالت الحكماء شيآن لا غاية لهما الجمال والبيان * نبه
بعلمه ما في السموات والارض ثم بعلمه ما يسره العباد وما يعلنونه ثم بعلمه ذوات الصدور أن شيأ من الكليات
والجزئيات غير خاف عليه ولا عازب عنه حقه أن يتقى ويحذر ولا يجترأ على شيء مما يخالف رضاه وتكرير العلم
في معنى تكرير الوعيد وكل ماذكره بعد قوله تعالى فذكم كافر ومنكم مؤمن تأكيد في معنى الوعيد على الكفر
وانكار أن يعصى الخالق ولا تشكر نعمته فما أجهل من نزع الكفر باخلق وجعله من جملته والخلق أعظم
نعمة من الله على عباده والكفر أعظم كفران من العباد لربهم (ألم يأتكم) الخطاب لكفار مكة و (ذلك)
اشارة الى ما ذكر من الوبال الذي ذاقوه في الدنيا وما أعدلهم من العذاب في الآخرة (بانه) بأن الشأن
والحديث (كانت تأتيهم رسلهم * أبشر يهدوننا) أنكروا أن تكون الرسل بشرا ولم ينكروا أن يكون الله
حجرا (واستغنى الله) أطلق ليتناول كل شيء ومن جملته ايمانهم وطاعتهم (فان قلت) قولوا وتولوا واستغنى الله
يوهم وجود التولي والاستغناء ممالله تعالى لم يزل غنيا (قلت) معناه وظهر استغناء الله حيث لم يلجئهم الى
الايمان ولم يضطرهم اليه مع قدرته على ذلك * الزعم ادعاء العلم ومنه قوله عليه السلام زعموا مطية الكذب
وعن شريح لكل شيء كنية فكنية الكذب زعموا ينتدي الى الشموا من تعدى العلم قال ولم أزعمك عن ذلك
معزلا * وان مع ماش حزيزة قائم مقامها * والذين كفروا أهل مكة و (لن) اثبات لما يعتقدون وهو البعث
(وذلك على الله يسير) أي لا يعسر فقه عنه صارف * وعن رسوله والنور محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن
* وقرئ بما تعملون وتكفره بالياء والنون (فان قلت) لم انتصب الظرف في (قلت) بقوله لتنبؤن أو بخبير
المثبت من معنى الوعيد كأنه قيل والله معاقبكم يوم يجمعكم أو باضمار اذكر (ليوم الجمع) ليوم يجمع فيه
الاولين والآخرين * التغابن مستعار من تغابن القوم في التجارة وهو أن يغبن بعضهم بعضا لنزول السعداء
منازل الاشقياء التي كانوا ينزلونها لو كانوا سعداء ونزول الاشقياء منازل السعداء التي كانوا ينزلونها لو كانوا
أشقياء وفيه تهكم بالاشقياء لان ترهم ليس بغبن وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد
يدخل الجنة الا أرى مقعده من النار لو أساء ليزداد شكرا وما من عبد يدخل النار الا أرى مقعده من
الجنة لو أحسن ليزداد حسرة ومعنى (ذلك يوم التغابن) وقد تغابن الناس في غير ذلك اليوم استعظاما له وأن
تغابنهم هو التغابن في الحقيقة لا التغابن في أمور الدنيا وان جلت وعظمت (صالحا) صفة للمصدر أي عملا
صالحا (الا باذن الله) الا بتقديره ومشيئته كأنه أذن للمصيبة أن تصيبه (يهد قلبه) يلطفه ويشرحه
للازدياد من الطاعة والخير وقيل هو الاسترجاع عند المصيبة وعن الضحاك (يهد قلبه) حتى يعلم أن ما أصابه
لم يكن ليخطئه وما أخطأ لم يكن ليصيبه ومن مجاهد ان ابتلي صبر وان أعطي شكر وان ظلم غفر * وقرئ
يهد قلبه على البناء للمفعول والقلب مرفوع أو منصوب ووجه النصب أن يكون مثل سفه نفسه أي يهدي
قلبه وجور أن يكون المعنى أن الكافر ضال عن قلبه بعيد منه والمؤمن واجد له مهتد اليه كقوله تعالى ان
كان له قلب وقرئ نهد قلبه بالنون ويهد قلبه بمعنى يهتد ويهد قلبه يطمئن ويهد ويهدا على التخفيف
(والله بكل شيء عليم) يعلم ما يؤثر فيه اللطف من القلوب مما لا يؤثر فيه فيمنحه وينعه (فان توليتم)
فلا عليه اذ توليتم لانه لم يكتب عليه طاعتكم انما كتب عليه أن يبلغ ويبين فحسب (وعلى الله فليتوكل
المؤمنون) بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على التوكل عليه والتقوى به في أموره حتى ينصره على من
كذبه وتولى عنه * ان من الازواج أزواجا دين وولتهن وبناتهن ويحلين عليهم ومن الاولاد أولادا

﴿القول فى سورة الطلاق﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى يأيها النبى اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن (قال فيه خص النبى صلى الله عليه وسلم بالنداء وعم بالخطاب الخ) قال أحمد وعلى هذا الفرق جرى قوله تعالى حكاية عن فرعون قال فمن ربكما يا موسى فافرد موسى عليه السلام بالنداء لانه كان أجل الاثنين عليهما السلام وعمهما بالخطاب وقد تقدم فيه وجه آخر عند كلامه (قال ومعنى فطلقوهن مستقبلات لعدتهن الخ) قال أحمد حمل القراءتين المستفيضة والشاذة على

يعادون آباءهم ويقوتهم ويجرعونهم الغصص والاذى (فاحذروهم) الضمير للعدو لا للازواج والاولاد جميعا أى للعلم أن هؤلاء لا يخلون من عدو فكونوا منهم على حذر ولا تأمنوا غوائلهم وشرهم (وان تعفوا) عنهم اذا اطلعتم منهم على عداوة ولم تقابلوهم عثلها فان الله يغفر لكم ذنوبكم ويكفر عنكم وقيل ان ناسا أرادوا الهجرة عن مكة فثبطهم أزواجهم وأولادهم وقالوا انتطلقون وتضيعونا فرقوا لهم ووقفوا لما هاجر واسعد ذلك وأوا الذين سبقوهم قد فقهوا فى الدين أرادوا أن يعاقبوا أزواجهم وأولادهم فنزين لهم العفو وقيل قالوا لهم أين تذهبون وتدعون بلادكم وعشيرتكم وأموالكم فغضبوا عليهم وقالوا لئن حملنا الله فى دار الهجرة لنصيبكم كخير فلما هاجر وامنعوهم الخير فحثوا أن يعفوا عنهم ويردوا اليهم البر والصلة وقيل كان عوف بن مالك الاشجعى ذا أهل وولد فاذا أراد أن يغزو تعلقوا به وبكوا اليه ورققوه فكانه هم بأذاهم فنزلت (فتنة) بلاء ومحنة لانهم يرتكبون فى الاثم والعقوبة بلاء أعظم منها الا ترى الى قوله (والله عنده أجر عظيم) وفى الحديث يؤتى برجل يوم القيامة فيقال له أكل عياله حسناتك وعن بعض السلف العيال سوس الطاعات وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يخطب فجاء الحسن والحسين وعليهما قميصان أحمران يعثران ويقومان فنزل لهما فأخذهما وصعد بهما فى المنبر فقال صدق الله انما أموالكم وأولادكم فتنة رأيت هذين الصبيين فلم أصبر عنهما ثم أخذ فى خطبته وقيل اذا أمكنكم الهجرة فلا يفتنكم الميل الى الاموال والاولاد عنها (ما استطعتم) جهدكم وسعكم أى ابذلوا فيها استطاعتكم (واسمعوا) ما تؤعظون به (وأطيعوا) فيما تؤمرون به وتنهون عنه (وأنفقوا) فى الوجوه التى وجبت عليكم النفقة فيها (خيرا لانفسكم) نصب بمحذوف تقديره ائتوا خيرا لانفسكم وافعلوا ما هو خير لها وهو تأنيسه وهذا تأنيس للحث على امتثال هذه الاوامر وبيان لان هذه الامور خير لانفسكم من الاموال والاولاد وما أنتم عما كنون عليه من حب الشهوات وزخارف الدنيا وذكر الفرض تلطف فى الاستدعاء (ضاعفه لكم) يكتب لكم بالواحدة عشرا وسبعمائة الى ما شاء من الزيادة وقرئ يضعفه (شكور) مجاز أى يفعل بكم ما يفعل الشاكر من عظيم الثواب وكذلك (حليم) يفعل بكم ما يفعل من يحلم عن المسئ فلا يعاجلكم بالعقاب مع كثرة ذنوبكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التغابن دفع عنه موت الفجاة

﴿سورة الطلاق مدنية وهى احدى عشرة أو اثنتا عشرة أو ثلاث عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* خص النبى صلى الله عليه وسلم بالنداء وعم بالخطاب لان النبى امام أمته وقدوتهم كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم يا فلان افعلوا كيت وكيت اظهار التقدمه واعتبار الترؤس وأنه مدره قومه ولسانهم والذى يصدرون عن رأيه ولا يستبدون بأمر دونه فكان هو وحده فى حكم كلهم وساد أمته جميعهم ومعنى (اذا طلقتم النساء) اذا أردتم تطليقهن وهمتم به على تنزيل المقبل على الامر المشارف له منزلة الشارع فيه كقوله عليه السلام من قتل قتيلا فله سلبه ومنه كان الماشى الى الصلاة والمنتظر لها فى حكم المصلى (فطلقوهن لعدتهن) فطلقوهن مستقبلات لعدتهن كقولك أتيته لليلة بقيت من المحرم أى مستقبلا لها وفى قراءة رسول الله

يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم انما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيرا لانفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم

(سورة الطلاق مدنية وهى احدى عشرة آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

يا أيها النبى اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن

اللام فيها بالذم فى قولك مؤرخا الليلة للبلة بقيت من المحرم وانما

يعنى ان العدة بالحيض كل ذلك تحامل لمذهب أبى حنيفة فى ان الاقراء الحيض ولا يتم له ذلك فقد استدل أصحابنا بالقراءة المستفيضة وأكدوا الدلالة بالشاذة على ان الاقراء الاطهار ووجه الاستدلال لها على ذلك ان الله تعالى جعل العدة وان كانت فى الاصل مصدرا نظرا فالطلاق المأمور به وكثيرا ما تستعمل العرب المصادر نظرا لمشتقات حقوق النجم ومقدم الحاج واذا كانت العدة ظرفا للطلاق المأمور به وزمانه هو الطهر وفاقا فالطهر عدة اذا ونظير اللام هنا على التحقيق اللام فى قوله يا ليتنى قدمت

لمباني واغاتقي ان لو عمل عملا في حياته وقراءته عليه السلام في قبل عدتهن تحقق ذلك * فان قيل الشيء جزء منه وداخل فيه وفي صفة مسح الرأس فاقبل بهما وأدبر أي مسح قبل الرأس وهو مقدمها فحينئذ قبل العدة جزء منها وهو الطهر * عاد كلامه (قال والمراد أن يطلقها في طهر لم يجامعها فيه (٤٦٦) الى آخره) قال أحمد الامر كما نقله وضابط السنة عندمالك ان يطلقها في طهر لم يجامعها فيه واحدة وهي غير معتدة والآية تدل لذهبه على تأويل المتقدمين جميعا أما على تأويل الزمخشري وتفسيره المفسد بالاستقبال فان الطلاق المأمور به أي المأذون فيه في الآية مفروض بوقت تكون العدة مستقبلة بالنسبة اليه وهذا يأبى وقوع

وأحصوا العدة واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن الا أن يأتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا

الطلاق في أثناء العدة الماضي بعضها وأما على تأويلنا فلانه مفروض بزمان يكون أولا للسنة وقبلا لها وهذا يأبى من وقوعه مرادفا في الطهر الثاني والثالث غير ان البدعة عندمالك تتفاوت فلا جرم قال ان طلقها في الحيض أجبر على الرجعة فان أبى ارتجع عليه الحاكم وان طلقها في طهر مسها فيه أو السكنى

صلى الله عليه وسلم في قبل عدتهن واذا طلقت المرأة في الطهر المتقدم للقرء الاول من أقرائها فقد طلقت مستقبلة لعدتها والمراد أن يطلقن في طهر لم يجامعن فيه ثم يخلين حتى تنقضي عدتهن وهذا أحسن الطلاق وأدخله في السنة وابعده من الندم ويدل عليه ما روى عن ابراهيم النخعي أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يستحبون أن لا يطلقوا الا واحدة ثم لا يطلقوا غير ذلك حتى تنقضي العدة وكان أحسن عندهم من أن يطلق الرجل ثلاثا في ثلاثة أطهار وقال مالك بن أنس رضي الله عنه لا أعرف طلاق السنة الا واحدة وكان يكره الثلاث مجموعة كانت أو متفرقة وأما أبو حنيفة وأصحابه فانما كرهوا ما زاد على الواحدة في طهر واحد فأما مفرقا في الاطهار فلا لما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لابن عمر حين طلق امرأته وهي حائض ما هكذا أمرك الله انما السنة أن تستقبل الطهر استقبالا وتطلقها لكل قرء تطليقة وروي أنه قال لعمر مر ابنك فليراجعها ثم ليمسها حتى تحيض ثم تطهر ثم ليطلقها ان شاء فتلك العدة التي أمر الله أن تطلق لها النساء وعند الشافعي رضي الله عنه لا بأس بارسال الثلاث وقال لا أعرف في عدد الطلاق سنة ولا بدعة وهو مباح فالك يراعي في طلاق السنة الواحدة والوقت وأبو حنيفة يراعي التفريق والوقت والشافعي يراعي الوقت وحده (فان قلت) على يقع الطلاق فخالف السنة (قلت) نعم وهو آثم لما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلا طلق امرأته ثلاثا بين يديه فقال أتلعبون بكتاب الله وأنا بين أظهركم وفي حديث ابن عمر أنه قال يا رسول الله أرأيت لو طلقتها ثلاثا أكان لي أن أراجعها قال لا كانت تبين منك وتكون معصية وبانت امرأتك وعن عمر رضي الله عنه أنه كان لا يؤتى برجل طلق امرأته ثلاثا الا أوجعه ضربا وأجاز ذلك عليه وعن سعيد بن المسيب وجماعة من التابعين أن من خالف السنة في الطلاق فأوقعه في حيض أو طلاق لم يقع وشبهوه بمن وتل غير بطلاق السنة فخالف (فان قلت) كيف تطلق للسنة التي لا تحيض لصغر أو كبر أو حمل وغير المدخول بها (قلت) الصغيرة والآيسة والحامل كلهن عند أبي حنيفة وأبي يوسف يفرق عليهن الثلاث في الاشهر وخالفهما محمد وزفر في الحامل فقالا لا تطلق للسنة الا واحدة وأما غير المدخول بها فلا تطلق للسنة الا واحدة ولا يراعي الوقت (فان قلت) هل يكره أن تطلق المدخول بها واحدة بائنة (قلت) اختلفت الرواية فيه عن أصحابنا والظاهر الكراهة (فان قلت) قوله اذا طلقتم النساء عام يتناول المدخول بهن وغير المدخول بهن من ذوات الاقراء والآيسات والصغائر والحوامل فكيف صح تخصيصه بذوات الاقراء المدخول بهن (قلت) لا عموم ثم ولا تخصيص ولكن النساء اسم جنس للاناث من الانس وهذه الجنسية معنى قائم في كلهن وفي بعضهن بخلاف أن يراد النساء هذا وذاك فلما قيل فطلقوهن لعدتهن علم أنه أطلق على بعضهن وهن المدخول بهن من الممتدات بالحيض (وأحصوا العدة) واضبطوها بالحفظ وأكملوها ثلاثة أقراء مستقبلات كوامل لا نقصان فيهن (ولا تخرجوهن) حتى تنقضي عدتهن (من بيوتهن) من مساكنهن التي يسكنها قبل العدة وهي بيوت الازواج وأضيفت اليهن لاختصاصها بهن من حيث السكنى (فان قلت) ما معنى الجمع بين اخراجهم وأخروجهن (قلت) معنى الاخراج أن لا يخرجن البعولة غصبا عليهن وكراهة لمساكنهن أو لحاجة لهم الى المساكن وأن لا يأذنوا لهن في الخروج اذا طلبن ذلك لما بان لهن أنه لا أثر له في رفع الخطر ولا يخرجن بأنفسهن ان أردن ذلك (الا أن يأتين بفاحشة مبينة) قرئ بفتح الياء وكسرها قيل هي الزنا يعني الا أن يزنين فيخرجن لاقامة الحد عليهن وقيل الا أن يطلقن على النشوز والنشوز يسقط حقها في

أردف الطلاق لم يجبره * قوله تعالى وأحصوا العدة واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن الا أن يأتين بفاحشة مبينة قال فيه معناه أكملوا العدة أقراء ثلاثة مستوفاة) قال أحمد وقوله واتقوا الله ربكم توطئة لقوله لا تخرجوهن من بيوتهن حتى كانه نهى عن الاخراج مرتين مندرجا في العموم ومفردا بالخصوص وقد تقدمت أمثاله

* قوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره (قال فيه قوله بالغ أمره بيان لوجوب التوكل على الله وتفويض الامر اليه الخ) قال أحمد ليس بمسل فلا يرجى براءة القدري وأين التسليم للقدر وليس هذا بينه ولا سيما قد من تقسيم الحوادث ثلاثة أقسام فيها ما يريد الله تعالى وجوده وهو المأمورات ولا يقع أكثر من منها ومنها ما يريد عدمه وهو المنهيات فيوجد أكثرها على خلاف مراده ومنها ما لا يريد عدمه ولا وجوده فان وجد فبغير ارادته عز وجل وان عدم فكذلك فيتحصل من هذا الهذيان الذي لا يتصور ان الكائنات اتفاقية تقع ارادة الخلق لانها لا تقع فاذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف وأشهدوا ذوي عدل منكم وأقيموا الشهادة لله ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شئ قدرا واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن

الايها فان وافقت ارادة الله تعالى فليس وقوعها بايها لانها وقعت بدونها وان خالفت ارادة الله تعالى لم يكن لخالفها الا ارادة الرباية تأثير في منع وقوعها فمن يتوقف في أفعال هذا الضلال كيف له بالتوكل الذي يتوقف على اعتقاد ان الكائنات جميعها انما تقع على ارادة الله عز وجل فيها أراده وقع ومهما لم يرده لم يقع شاء العبد أو أبى شاء الله كان ومالم يشأ لم يكن والعبد مجبور لحدوث الكائنات الواقعة بقدرة الله تعالى وارادته لا غير لا ارادة لامره ولا معقب لحكمه فما القدري من هذا المقام الشريف الا على مراحل لا يقربه اليها الا راحلة

المكتبي وقيل الا أن يبذون فيحل انتزاجهن لبذائهن وتؤكده قراءة أبي الا أن يخشين عليكم وقيل خروجها قبل انقضاء العدة فاحشة في نفسه * الامر الذي يحدثه الله أن يقلب قلبه من بغضها الى محبتها ومن الرغبة عنها الى الرغبة فيها ومن عزيمة الطلاق الى الندم عليه فيراجعها والمعنى فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة لئلا تركبون وتندمون فتراجعون (فاذا بلغن أجلهن) وهو آخر العدة وشارفنه فأنتم بالخيار ان شئتم فالرجعة والامساك بالمعروف والاحسان وان شئتم فترك الرجعة والمفارقة وانقضاء الضرار وهو أن يراجعها في آخر عدتها ثم يطلقها تطويلا للعدة عليها وتعذيبا لها (وأشهدوا) يعني عند الرجعة والفرقة جميعا وهذا الاشهاد مندوب اليه عند أبي حنيفة كقوله وأشهدوا اذا تبايعتم وعند الشافعي هو واجب في الرجعة مندوب اليه في الفرقة وقيل فائدة الاشهاد أن لا يقع بينهما التجاحد وان لا يتهم في امساكها ولئلا يموت أحدهما فيدعي الباقي ثبوت الزوجية ليرث (منكم) قال الحسن من المسلمين وعن قتادة من أحراركم (لله) لوجهه خالصا وذلك أن تقيموها لا للشهود عليه ولا للغرض من الاغراض سوى اقامة الحق ورفع الظلم كقوله تعالى كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم * أي (ذلكم) الحث على اقامة الشهادة لوجه الله ولاجل القيام بالقسط (يوعظ به * ومن يتق الله) يوزان تكون جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق من ايراء أمر الطلاق على السنة وطريقه الاحسن والابعد من الندم ويكون المعنى ومن يتق الله فطلق للسنة ولم يضار للعدة ولم يخرج اهن مسكنها واحتاط فأشهد (يجعل) الله (له مخرجا) مما يشق من الازواج من الغموم والوقوع في المضايق ويفرج عنه وينفس ويعطه الخلاص (ويرزقه) من وجه لا يخطر بباله ولا يحتسبه ان أرفى المهر وأدى الحقوق والنفقات وقل ماله وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عمن طلق ثلاثا وألفاظها له من مخرج فقالها وعن ابن عباس أنه سئل عن ذلك فقال لم يتق الله فلم يجعل لك مخرجا بانت منك بثلاث والزيادة اثم في عنقك ويجوز أن يجاب بها على سبيل الاستطراد عند ذكر قوله ذلكم يوعظ به يعني ومن يتق الله يجعل له مخرجا وخلصا من غموم الدنيا والآخرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأها فقال مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة وقال عليه السلام اني لاعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فانزال يقرؤها ويعيدها وروي أن عوف بن مالك الاشجعي أسر للمشركين ابنا له فقال يا رسول الله ان ابني قد أسر وشكا اليه الفاقة فقال ما أمسى عند آل محمد الا مد فاتق الله واصبر وأكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله ففعل فبينما هو في بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الابل تغفل عنها العدو فاستاقها فنزلت هذه الآية (بالغ أمره) أي بليغ ما يريد لا يفوته مراد ولا يعجزه مطلوب وقرئ بالغ أمره بالاضافة وبالغ أمره بالرفع أي نافذ أمره وقرأ الفضل بالغا أمره على أن قوله (قد جعل الله) خبران والعامل (قدرا) تقديرا وفيه دليل على وجوب التوكل على الله وتفويض الامر اليه لانه اذا علم أن كل شئ من الرزق ونحوه لا يكون الا بتقديره وتوقيته لم يبق الا التسليم للقدر والتوكل * روي أن ناسا قالوا قد عرفنا عدة ذوات الاقراء فما عدة اللائي لا يحضن فنزلت فعلى (ان ارتبتم) ان أشكل عليكم حكمهن وجهلتم كيف يعتددن فهذا حكمهن وقيل ان ارتبتم في دم المائسات ما بلغ اليأس وقد قدروه بستين سنة وبخمس وخمسين أو هو دم حيض أو استحاضة (فعدتهن ثلاثة أشهر) واذا كانت هذه عدة المرتاب بها فغير المرتاب بها أولى بذلك (واللائي لم يحضن) هن الصغائر والمعنى فعدتهن ثلاثة أشهر فحذف لدلالة المذكور عليه * اللفظ مطلق في أولات الاحمال فاشتمل على المطلقات والمتوفى عنهن

الانصاف وزاد التقوى ودليل التوفيق والله حسبنا ونعم الوكيل * قوله تعالى أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم الى قوله وان كن أولات حمل الآية (قال أحمد) لا يخفى على المتأمل لهذه الآية أن البتوتة غير الحامل لا نفقة لها للآن الآتي سيقت لبيان الواجب فاوجب السكنى لكل معتدة تقدم ذكرها ثم لوجب سواها ثم استثنى الحوامل فخصهن بايجاب النفقة لهن حتى يضعن حملهن وليس بعد هذا البيان بيان والقول (٤٦٨) بعدم ذلك بوجوب النفقة لكل معتدة مبتوتة حاملا أو غير حامل لا يخفى مناقرته لنظم الآية

وكان ابن مسعود وأبي وأبو هريرة وغيرهم لا يفرقون وعن علي وابن عباس عدة الحامل المتوفى عنها أبعد الاجلين وعن عبد الله من شاء لاعنته ان سورة النساء القصرى نزلت بعد التي في البقرة يعني أن هذا اللفظ مطلق في الحوامل وروت أم سلمة أن سبيعة الاسلمية ولدت بعد وفاة زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها قد حللت فانكحي (يجعل له من أمره يسرا) ييسره من أمره ويحلل له من عقده بسبب التقوى (ذلك أمر الله) يريد ما علم من حكم هؤلاء المعتدات والمعنى ومن يتق الله في العمل بما أنزل الله من هذه الاحكام وحافظ على الحقوق الواجبة عليه عاد كرمه من الاسكان وترك الضرار والنفقة على الحوامل وايتاء أجور المرضعات وغير ذلك استوجب تكفير السيئات والاجر العظيم (أسكنوهن) وما بعده بيان للشرط من التقوى في قوله ومن يتق الله كانه قيل كيف نعمل بالتقوى في شأن المعتدات فقيل أسكنوهن (فان قلت) من في (من حيث سكنتم) ما هي (قلت) هي من التبعيضية ومبعضها محذوف معناه أسكنوهن مكانا من حيث سكنتم أي بعض مكان سكناكم كقوله تعالى يغضضن من أبصارهم أي بعض أبصارهم قال قتادة ان لم يكن الا بيت واحد فاسكنها في بعض جوانبه (فان قلت) فقوله (من وجدكم) (قلت) هو عطف بيان لقوله من حيث سكنتم وتفسير له كانه قيل اسكنوهن مكانا من مسكنكم مما تطيقونه والوجد الوسع والطاقة وقرئ بالحركات الثلاث والسكنى والنفقة واجبتان لكل مطلقة وعند مالك والشافعي ليس للبتوتة الا السكنى ولا نفقة لها وعن الحسن وحماد لا نفقة لها ولا سكنى لحديث فاطمة بنت قيس ان زوجها أبت فلانا فانها فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم لا سكنى لك ولا نفقة ومن عمر رضي الله عنه لا ندع كتاب ربنا وسنة نبينا لقول امرأة لعلها أنسيت أو شبه لها حفظت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لها السكنى والنفقة (ولا تضارو هن) ولا تستعملوا معهن الضرار (لتضيقوا عليهن) في السكن بعض الايضاء من انزال من لا يوافقهن أو يثقل مكانهن أو غير ذلك حتى تضطروهن الى الخروج وقيل هو أن يراجعها اذا بقي من عدتها يومان فيضيق عليها أمرها وقيل هو أن يحبسها الى أن تفتدي منه (فان قلت) فاذا كانت كل مطلقة عندكم تجب لها النفقة فما فائدة الشرط في قوله (وان كن أولات حمل فانفقوا عليهن) (قلت) فائدته ان مدة الحمل ربما طالت فظن ظان ان النفقة تسقط اذا مضى مقدار عدة الحائل فنفى ذلك الوهم (فان قلت) فما تقول في الحامل المتوفى عنها (قلت) مختلف فيها فان كثيرهم على انه لا نفقة لها لوقوع الاجماع على أن من أجير الرجل على النفقة عليه من أمة أو ولد صغير لا يجب أن ينفق عليه من ماله بعد موته فكذلك الحامل وعن علي وعبد الله وجماعة أنهم أوجبوا النفقة (فان أرضعن لكم) يعني هؤلاء المطلقات ان أرضعن لكم ولدا من غيرهن أو من بعد انقطاع عصمة الزوجية (فآتوهن أجورهن) حكمهن في ذلك حكم الاظآر ولا يجوز عند أبي حنيفة وأصحابه رضي الله عنهم الاستئجار اذا كان الولد منهن مالم يبن ويجوز عند الشافعي * الائتمار يعني التآمر كالاشتوار يعني التشاور يقال ائتمر القوم وتآمروا اذا أمر بعضهم بعضا والمعنى وليأمر بعضكم بعضا والخطاب للآباء والامهات (بمعروف) بجميل وهو المسامحة وأن لا يماكس الاب ولا تعاسر الام لانه ولدهما معا وهما شريكان فيه وفي وجوب الاشفاق عليه (وان تعاسرتم فسترضع له أخرى) فستوجد ولا تعوز من ضنة غير الام ترضعه وفيه طرف من معاتبة الام على المعاسرة كما تقول ان تستفضيه حاجة فيتوانى سيئة فيها

وأجاز مالك والشافعي وأبو حنيفة وأصحابه رضي الله عنهم الاستئجار اذا كان الولد منهن مالم يبن ويجوز عند الشافعي * الائتمار يعني التآمر كالاشتوار يعني التشاور يقال ائتمر القوم وتآمروا اذا أمر بعضهم بعضا والمعنى وليأمر بعضكم بعضا والخطاب للآباء والامهات (بمعروف) بجميل وهو المسامحة وأن لا يماكس الاب ولا تعاسر الام لانه ولدهما معا وهما شريكان فيه وفي وجوب الاشفاق عليه (وان تعاسرتم فسترضع له أخرى) فستوجد ولا تعوز من ضنة غير الام ترضعه وفيه طرف من معاتبة الام على المعاسرة كما تقول ان تستفضيه حاجة فيتوانى سيئة فيها

وأولات الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا ذلك أمر الله أنزله اليكم ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن وان كن أولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فان أرضعن لكم فآتوهن أجورهن وائتمروا بينكم بمعروف وان تعاسرتم فسترضع له أخرى

لا تجب بطوله فخصت بالذكر تنبيها على قطع هذا الوهم وغرض الزمخشري بذلك أن يجعل التخصيص على هذه الفائدة كيلا يكون له مفهوم في أسقاط النفقة لغير الحوامل لان أبا حنيفة يسوي بين الجميع في وجوب النفقة * عاد كلامه

(قال وفي قوله وان تعاسرتم فسترضع له أخرى معاتبة للام على المعاسرة كما تقول لمن تستفضيه حاجة الخ) قال أحمد وخص الام بالمعاتبة لان البذول من جهتها هو لبنها لولدها وهو غير مقول ولا مضنون به في العرف وخصوصا في الام على الولد ولا كذلك المبذول من جهة الاب فانه المال المضنون به عادة فالام اذا أجدى بالوهم وأحق بالعتب والله أعلم

غيرك

* قوله تعالى قد أنزل الله إليكم ذكرا رسولا (ذكر فيه ستة أوجه أبدال الرسول من الذكر لان انزاله في معنى انزال الذكر الخ) قال أحمد وعلى هذين الوجهين الاخيرين يكون منصوبا لا اما بالفعل المحذوف أو بالمصدر وعلى الاربعة المتقدمة بدلا والله سبحانه وتعالى أعلم

* القول في سورة التحريم * (بسم الله الرحمن الرحيم) * قوله تعالى يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات

غيرك تريد أن تفي غيره قضية وأنت ملوم وقوله له أي للاب أي سيجيد الاب غير معاسرة ترضع له ولده ان عاسرته أمه (لينفق) كل واحد من الموسر والمعسر ما بلغه وسعه يريد ما أمر به من الانفاق على المطلقات والمرضعات كما قال ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره وقرئ لينفق بالنصب أي شرعنا ذلك لينفق * وقرأ ابن أبي عبلة فقدر (سيجعل الله) موعد لفقراء ذلك الوقت بفتح أبواب الرزق عليهم أو لفقراء الازواج ان أنفقوا ما قدروا عليه ولم يقصروا (عتت عن أمر ربها) أعرضت عنه على وجه التمرد والعناد (حسابا شديدا) بالاستقصاء والمناقشة (عذابا نكرا) وقرئ نكرا منكرا عظيما والمراد حساب الآخرة وعذابها وما يذوقون فيها من الوبال ويقولون من الحسر ومجيء به على لفظ الماضي كقوله تعالى ونادى أصحاب الجنة ونادى أصحاب النار وتحوه ذلك لان المنتظر من وعد الله ووعيده ما في الحقيقة وما هو كائن فكأن قد وقوله (أعد الله لهم عذابا شديدا) تكرير للوعيد وبيان لكونه مترقبا كأنه قال أعد الله لهم هذا العذاب فليكن لكم ذلك (يا أولي الالباب) من المؤمنين لطفا في تقوى الله وحذر عقابه ويجوز أن يراد احصاء السيئات واستقصاؤها عليهم في الدنيا وإثباتها في صحائف الحفظة وما أصيبوا به من العذاب في العاجل وأن يكون عتت وما عطف عليه صفة للقرية وأعد الله لهم جوابا للكائن (رسولا) هو جبريل صلوات الله عليه أبدل من ذكرا لانه وصف بتلاوة آيات الله فكان انزاله في معنى انزال الذكر فصح ابداله منه أو يريد بالذكر الشرف من قوله وانه لذكر لك ولقومك فأبدل منه كأنه في نفسه شرف اما لانه شرف للمنزل عليه واما لانه هو بحد ذاته شرف عند الله كقوله تعالى عند ذي العرش مكين أو جعل الكتبة ذكرا له وعبادته كأنه ذكر أو أريد اذكرا ذكر أي ملكا مذكورا في السموات وفي الامم كلها أو دل قوله أنزل الله اليكم ذكرا على أرسل فكأنه قيل أرسل رسولا أو أعمل ذكرا فان رسولا اعمال المصدر في المفاعيل أي أنزل الله أن ذكر رسولا أو ذكر رسولا وقرئ رسول على هو رسول * أنزله (ليخرج الذين آمنوا) بعد انزاله أي ليحصل لهم ما هم عليه الساعة من الايمان والعمل الصالح لانهم كانوا وقت انزاله غير مؤمنين وانما آمنوا بعد الانزال والتبليغ أو ليخرج الذين عرفت منهم أنهم يؤمنون فيما يستقبل من الزمان (من الظلمات إلى النور) فيه معنى التعجب والتعظيم لما رزق المؤمن من الثواب (الله الذي خلق) مبتدأ وخبر * وقرئ مثلهن بالنصب عطفا على سبع سموات وبالرفع على الابتداء وخبره من الارض قيل ما في القرآن آية تدل على أن الارضين سبع الا هذه وقيل بين كل سماءين مسيرة خمسمائة عام وغلظ كل سماء كذلك والارضون مثل السموات (يتنزل الامر بينهن) أي يجري أمر الله وحكمه بين ملكه بينهن وعن قتادة في كل سماء وفي كل أرض خلق من خلقه وأمر من أمره وقضاء من قضائه وقيل هو ما يدبر فيهن من عجائب تدبيره وقرئ ينزل الامر وعن ابن عباس أن نافعا الازرق سأله هل تحت الارضين خلق قال نعم قال فما الخلق قال أما ملائكة أو جن (لتعلموا) قرئ بالتاء والياء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطلاق صلى على ستة رسول الله صلى الله عليه وسلم

* سورة التحريم مدنية وتسمى سورة النبي عليه السلام وهي ثنتا عشرة آية *

* بسم الله الرحمن الرحيم *

* روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلا بمارية في يوم عائشة وعلمت بذلك حفصة فقال لها اكتمي علي وقد حرمت مارية على نفسي وأبشرك أن أبا بكر وعمر يملكان بعدي أمر أمتي فأخبرت به عائشة وكانتا

لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا أعد الله لهم عذابا شديدا فاتقوا الله يا أولي الالباب الذين آمنوا قد أنزل الله اليكم ذكرا رسولا يتلو عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا قد أحسن الله له رزقا الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا أن الله على كل شئ قدير وأن الله قد أحاط بكل شئ علما

* سورة التحريم مدنية وهي ثنتا عشرة آية *

(بسم الله الرحمن الرحيم)

أزواجك (نقل في سبب نزولها أنه عليه السلام خلا بمارية في يوم عائشة وعلمت بذلك حفصة فقال لها اكتمي علي وقد حرمت مارية على نفسي الخ) قال أحمد ما ألطف الزمخشري في حق النبي صلى الله عليه وسلم تقول وافتراء النبي صلى الله عليه وسلم منه براء وذلك أن تحريم ما أحله الله على وجهين اعتقاد ثبوت حكم التحريم فيه فهذا عناية اعتقاد حكم التحليل فيما حرمه الله عز وجل وكلاهما محظور

لا يصدر من المسمين بسمة الايمان وان صدر سلب الاولى حكم الايمان واسمه الثانى الامتناع مما أحله عز وجل وحل التحريم بعرده صحيح لقوله وحرمناعليه المراضع من قبل أى منعناه الاغير وقد يكون مؤكدا باليمين مع اعتقاد حله وهذا مباح صرف وحلال محض وان كان على المنع ترك المباح والامتناع منه غير مباح استحالت حقيقة الحال بلا اشكال فاذا علمت بين ما بين القسمين ظهر لك الفرق بين قولى الآية والتفسير الصحيح (٤٧٠) يعتمده فان النبى صلى الله عليه وسلم حلف بالله لا قربن مارية ولما نزلت الآية كفر عن يمينه

وبال عليه قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم وقال مالك فى المدونة عن زيد بن أسلم انما كفر النبى صلى الله عليه وسلم فى تحريمه أم ولده لانه حلف أن لا يقربها ومثله عن الشعبى وهذا المقدار مباح ليس فى ارتكابه جناح وانما قيل له لم تحرم ما أحل

يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك تبتغى مرضات أزواجك والله غفور رحيم قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم واذ أسر النبى الى بعض أزواجه حديثا

الله لك ترضى بها وشفقة عليه وتقربها القدره ولنصبه صلى الله عليه وسلم ان يراعى مرضات أزواجه بما يشق عليه جريا على ما ألف من لطف الله تعالى بنبيه ورفعه عن ان يجرح بسبب أحد من البشر الذين هم أتباعه ومن أجل خلق الله لظهر الله كمال نبوته بظهور

ستة أصابع وقيل سبعة لا بها فى يوم حفصة فأرضاها بذلك واستكتمها فلم تكتم فطلقها واعتزل نساءه ومكث تسعا وعشرين ليلة فى بيت مارية وروى أن عمر قال لها لوكان فى آل الخطاب خير لما طلقك فنزل جبريل عليه السلام وقال راجعها فانها صوامة قوامة وانها من نسائك فى الجنة وروى أنه شرب عسلا فى بيت زينب بنت جحش فتواطأت عائشة وحفصة فقالتا له انا نشم منك ريح المغافير وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره التفل فحرم العسل فسماه (لم تحرم ما أحل الله لك) من ملك اليمين أو العسل و (تبتغى) اما تفسير لتحرم أو حال أو استئناف وكان هذا زلة منه لانه ليس لاحد أن يحرم ما أحل الله لان الله عز وجل انما أحل ما أحل لحكمة وهو مصلحة عرفها فى احلاله فاذا حرم كان ذلك قلب المصلحة مفسدة (والله غفور) قد غفر لك ما زللت فيه (رحيم) تدرجك فلم يؤاخذك به (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) فيه معنيان أحدهما شرع الله لكم الاستثناء فى أيمانكم من قولك حلفت فلان فى عينه اذا استثنى فيها ومنه حلأت الابل عن الماء بمعنى استثنى فى عينك اذا أطلقها وذلك أن يقول ان شاء الله عقيبها حتى لا يحنث والثانى فشرع الله لكم تحلتها بالكفارة ومنه قوله عليه السلام لا يموت لرجل ثلاثة أولاد فتمسه النار الا تحلة القسم وقول ذى الرمة قليلا كتحليل الالى (فان قلت) ما حكم تحريم الحلال (قلت) قد اختلف فيه فأوجبته فيه كفارة يمين وهو قول عمر وابن عباس وابن مسعود وزيد رضى الله عنهم أن الحرام يمين وعن عمر اذا نوى الطلاق فرجعى وعن ابن عباس وابن مسعود وزيد رضى الله عنهم أن الحرام يمين وعن عمر اذا نوى الطلاق فرجعى وعن على رضى الله عنه ثلاث وعن زيد واحدة بائنة وعن عثمان ظهار وكان مسروق لا يراه شيأ وبقول ما أبالى أحرمتها أم فصيلة من تربه وكذلك عن الشعبى قال ليس بشىء محتجا بقوله تعالى ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام وقوله تعالى لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم وعالم بحرمه الله تعالى فليس لاحد أن يحرمه ولا أن يسميه بتحريمه حراما ولم يثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قال لما أحل الله هو حرام على وانما امتنع من مارية أيمين تقدمت منه وهو قوله عليه السلام والله لا أقربها بعد اليوم وقيل له لم تحرم ما أحل الله لك أى لم تمتنع منه بسبب اليمين يعنى اقدم على ما حلفت عليه وكفر عن يمينك ونحوه قوله تعالى وحرمنا عليه المراضع أى منعناه منها وظاهر قوله تعالى قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم أنه ان كانت منه يمين (فان قلت) هل كفر رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك (قلت) عن الحسن أنه لم يكفر لانه كان مغفورا له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وانما أخرها وتعليم للمؤمنين وعن مقاتل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعتق رقبة فى تحريم مارية (والله مولاكم) سيدكم ومتولى أموركم (وهو العليم) بما يصلح فيشرعه لكم (الحكيم) فلا يأمركم ولا ينهاكم الا لاجل وجيه الحكمة وقيل مولاكم أولى بكم من أنفسكم فكانت نصيحته أنفع لكم من نصائحكم لانفسكم (بعض أزواجه) حفصة والحديث الذى أسر اليها حديث

مارية تقسمهم عنه والزمخشرى فطاهم تحمل التحريم على هذا الوجه لانه جعله زلة فيلزمه ان يحمله على المحمل الاول ومعاذ الله وحاشى لله وان أساء المؤمنين يحاشى عن أن يعتقد تحريم ما أحل الله فكيف لا يربأ بمنصب النبى عليه السلام عما يرتفع عنه منصب عامة الامة ومناهذه من الزمخشرى الاجراءة على الله ورسوله واطلاق القول من غير تحرير وابراز الرأى الفاسد بلا تحصير نعوذ بالله من ذلك وهو السؤل أن يجعل وسيلتنا اليه تعظيم النبى صلوات الله عليه وأن يجنبنا خطوات الشيطان ويقيلنا من عثرات اللسان آمين

مارية وإمامة الشيخين (نبأت به) أفشته الى عائشة وقرئ انبأت به (وأظهره) واطلع النبي عليه السلام (عليه) على الحديث أي على افشائه على لسان جبريل وقيل أظهر الله الحديث على النبي صلى الله عليه وسلم من الظهور (عرف بعضه) أعلم بعض الحديث تكرما قال سفيان مازال التغافل من فعل الكرام وقرئ عرف بعضه أي جازى عليه من قولك للمسيء لاعرفن لك ذلك وقد عرفت ماصنعت ومنه أولئك الذين يعلم الله مافي قلوبهم وهو كثير في القرآن وكان جزاؤه تطليقه اياها وقيل المعرف حديث الامامة والمعرض عنه حديث مارية وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال لها ألم أقل لك اكتمي علي فقالت والذي بعثك بالحق ماملكت نفسي فرحا بالكرامة التي خص الله بها اياها (فان قلت) هلا قيل فلما نبأت به بعضهن وعرفها بعضه (قلت) ليس الغرض بيان من المذاع اليه ومن المعرف وانما هو ذكر جناية حفصة في وجود الانباء به وافشائه من قبلها وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بكرمه وحلمه لم يوجد منه الا الاعلام ببعضه وهو حديث الامامة الا ترى أنه لما كان القصد في قوله (فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا) ذكر النبأ كيف أتى بضميره (ان تتوبا) خطاب لحفصة وعائشة على طريقة الالتفات ليكون أبلغ في معاتبتهما ومعنى ان تتوبا الى الله أن تفعلا التوبة (فقد صغت قلوبكما) فقد وجد منكما ماتوجب التوبة وهو ميل قلوبكما عن الواجب في مخالصة رسول الله صلى الله عليه وسلم من حب ماحبه وكراهة ماكرهه وقرأ ابن مسعود فقد زاغت (وان تظاهرا) وان تعاونا عليه بما يسوءه من الاغراء في الغيرة وافشاء السر فان يعصمه ربه من يظاهر عليه وكيف يعدم التظاهر من الله هؤلاء أي وليه وناصره وزيادة هو ايذان بأن نصرته عز يمنة من عز لله وأنه يتولى ذلك بذاته (وجبريل) رأس الكروبيين وقرن ذكره بذكره مفرد له من بين الملائكة تعظيما له واظهارا لمكانته عنده (وصالح المؤمنين) ومن حق من المؤمنين يعني كل من آمن وعمل صالحا وعن سعيد بن جبير من برئ منهم من النفاق وقيل الانبياء وقيل الصحابة وقيل الخلفاء منهم (فان قلت) صالح المؤمنين واحد أم جمع (قلت) هو واحد أريد به الجمع كقولك لايفعل هذا الصالح من الناس تريد الجنس كقولك لا يفعل من صلح منهم وهو مذهب قولك كنت في الناس وأنا ناصر وقد يجوز أن يكون أصله صالحو المؤمنين بالواو فكتب بغير واو على اللفظ لان لفظ الواحد والجمع واحد فيه كما يجيء أشياء في المصحف مخطوع فيها حكم اللفظ دون وضع الخط (والملائكة) على تكاثر عددهم واستلاء الصوات من جموعهم (بعد ذلك) بعد نصرة الله ونصرة رسوله وصالحي المؤمنين (ظهير) فوج مظاهر له كأنهم يد واحدة على من يعاديه فما بلغ تظاهر امرأتين على من هؤلاء مظاهرا وفان قلت) قوله بعد ذلك تعظيم للملائكة ومظاهرتهم وقد تقدمت نصرة الله وجبريل وصالح المؤمنين ونصرة الله تعالى أعظم وأعظم (قلت) مظاهرة الملائكة من جملة نصرة الله فكان فضل نصرته تعالى بهم وعظم ظهرتهم على غيرهم من وجوه نصرته تعالى لافضلهم على جميع خلقه وقرئ تظاهرا وتظاهرا وظهرا * قرئ بمده لتضعيف والتشديد بلكثرة (عسى ربه ان طلقكن) متعلقات (ساحات) صائمات وقرئ سحات وهي أبلغ وقيل الصائم سائح لان السائح لا زاد معه فلا يزال ممسكا الى أن يجد ما يطعمه فشبه به الصائم في امساكه الى أن يجيء وقت افطاره وقيل سائحات مهاجرات وعن زيد بن أسلم لم تكن في هذه الامة سياحة الا الهجرة (فان قلت) كيف تكون البدلات خيرا منهن ولم تكن على وجه الارض نساء خير من أمهات المؤمنين (قلت) داطلاقهن رسول الله عصيانهن له وايذائهن اياه لريبتين على تلك الصفة وكان غيرهن من الموصوفات بهذه الاوصاف مع الطاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والنزول على هواه ورضاه خيرا منهن وقد عرض بذلك في قوله قانتات لان القنوت هو القيام بطاعة الله وطاعة رسوله (فان قلت) لم أخليت الصفات كلها عن العاطف وبعطين الثيبات والابكار (قلت) لانهما صفتان متنافيتان لا يجتمعن فيهما اجتماعهن في

فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض (قال نبأني العليم الخبير تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير) جاء على طريقة الالتفات

فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكارا يا أيها الذين آمنوا

بعضه وأجاب بأنه ليس الغرض بيان من المذاع اليه ومن المعرف الخ * قوله تعالى ان تتوبا الى الله قوله والملائكة بعد ذلك ظهير

ليكون أبلغ في معاتبتهما الخ * قوله تعالى عسى ربه ان طلقكن الآية (قال فيه ان قلت لم أخليت هذه الصفات من العاطف الخ) قال أحمد وقد ذكر لي الشيخ أبو عمرو بن الحاجب رحمه الله الفاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني الكاتب رحمه

الله كان يعتقد أن الواو في الآية هي الواو التي سماها بعض صنعة النحاة واو الثمانية لانها ذكرت مع الصفة الثامنة فكان الفاضل يجيء باسقاط واحدة من الواوات الثلاث المشهورة صلة أحدها التي في الصفة الثامنة من قوله التائبون

العابدون عند قوله والناهون عن المنكر والثانية في قوله وثامنهم كلبهم والثالثة في قوله وقتحت أبوابها قال الشيخ أبو عمرو بن الحاجب ولم يزل الفاضل يستحسن ذلك من نفسه الى أن ذكره يوما بحضرة أبي الجود النحوي المقرئ فبين له أنه واهم في عده اياها من ذلك القبيل وأسال البيان على المعنى الذي ذكره (٤٧٢) الزمخشري من دعاء الضرورة الى الاتيان بها هنا لامتناع اجتماع الصفتين في موصوف واحد وواو الثمانية ان ثبتت فانما ترد حيث لا حاجة اليها الا للاشعار بتمام نهاية العدد الذي هو السبعة فأنصفه الفاضل رحمه الله واستحسن ذلك منه وقال أرشدتنا يا أبا الجود * عاد كلامه * (قال في قوله تعالى قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا

قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا

ولكن المعطوف مقارن في التقدير للواو وأنفسكم واقع بعده فكأنه قيل قوا أنتم وأهلوكم أنفسكم ولكن لما اجتمع ضمير المخاطب والغائبين غلب ضمير المخاطب على ضمير الغيبة (ثم قال فان قلت قوله لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون أليس الجملتان في معنى واحد قلت لا فان معنى الاولى أنهم يقبلون أوامره ويلتزمونها ولا يأبونها ولا يستكبرون عنها ومعنى الثانية أنهم يؤدون ما يؤمرون به لا يتناقلون عنه ولا يتوانون فيه (فان قلت) فبماذا خاطب الله المشركين المكذبين بالوحي بهذا بعينه في قوله تعالى فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة وقال أعدت للكافرين فجعلها معدة للكافرين فما وجه ما علمته به المؤمنين (قلت) الفساق وان كانت دركاتهم فوق دركات الكفار فانهم مساكنون الكفار في دار واحدة فقيل للذين آمنوا أنفسكم باجتناب الفسوق مما تشبه الكفار الذين أعدت لهم هذه النار الموصوفة ويجوز أن يأمرهم بالتوقي من الارتداد والتدم على الدخول في الاسلام وأن يكونوا خطابا للذين آمنوا بألسنتهم وهم المنافقون ويعضد ذلك قوله تعالى على أثره (يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون) أي يقال لهم ذلك عند دخولهم النار لا تعتذروا الآن لا عذر لكم أولا نه لا ينفعكم الاعتذار (توبة نصوحا) وصفت التوبة بالنصح على الاسناد المجازي والنصح صفة التائبين وهو أن ينصحوا بالتوبة أنفسهم فيأتوا بها على طريقها مستوفاة لشرائطها ماحية للسيآت كما تذلك أن يتوبوا عن القبائح لقبحها نادمين عليها معتقدين أشد الاعتزام لا ترتكابها عازمين على أنهم لا يعودون في قبيح من القبائح الى أن يعود اللبن في الضرع موطنين أنفسهم على ذلك وعن علي رضي الله تعالى عنه أنه سمع أعرابيا يقول اللهم اني أستغفرك وأتوب اليك فقال ياهذا ان سرعة اللسان بالتوبة توبة الكذابين قال وما التوبة قال يجمعها ستة أشياء على الماضي من الذنوب الندامة وللفرائض الاعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وأن تعزم على أن لا تعود وأن تذيب نفسك في طاعة الله كما ربيتها في المعصية وأن تذيقها مرارة الطاعات كما أذقتها حلاوة المعاصي وعن حذيفة يحسب الرجل من الشر أن يتوب عن الذنب ثم يعود فيه وعن شهر بن حوشب أن لا يعود ولو حز بالسيف وأحرق بالنار وعن ابن السماك أن تنسى الذنب الذي أقلت فيه الحياء من الله أمام عينك وتستعد لمنظرك وقيل توبة لا يتاب منها وعن السدي لا تصح التوبة الا بفضيحة النفس والمؤمن لان من صحت توبته أحب أن يكون الناس مثله وقيل نصوحا من نصاحة الثوب

ولكن المعطوف مقارن في التقدير للواو وأنفسكم واقع بعده كأنه قال قوا أنتم وأهلوكم أنفسكم ولكن لما اجتمع ضمير المخاطب والغائبين غلب ضمير المخاطب على ضمير الغيبة

ويفعلون ما يؤمرون أليس الجملتان في معنى واحد وأجاب بأن معنى الاولى انهم يلتزمون الاوامر ولا يأبونها الخ) قال أي ثم أجاب جوابه الاول مفرع على قاعدته الفاسدة في اعتقاد خلود الفساق في جهنم ولعله انما أورد السؤال ليتكلف عنه بجواب ينفس في نفسه مما لا يطيق كتمانه من هذا الباطل نعوذ بالله منه والا فالسؤال غير وارد فانه لا يمتنع أن المؤمن يحذر من عذاب الكافر أو بناؤه على الامتنان كقوله في آل عمران خطابا للمؤمنين واتقوا النار التي أعدت للكافرين وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون

أي توبة ترفونوه وتقبلونه في دينكم وترجعون خالصة من قولهم عسل ناصح اذا خلص من الشمع ويجوز أن يراد توبة تنصح الناس أي تدعوهم الى مثلها بظهور أثرها في صاحبها واستعماله لها والمزية في العمل على مقتضياتها وقرأ زيد بن علي توبا بنصوحا وقرئ نصوحا بالضم وهو مصدر نصح والنصوح والنصوح كالشكور والشكور والكفور والكفور أي ذات نصوح أو تنصح نصوحا أو توبوا النصح أو الشكر على أنه مفعول له (عسى ربكم) اطماع من الله لعباده وفيه وجوه أحدها أن يكون على ما جرت به عادة الملوك من الاجابة بعسى ولعل ونحوها ذلك منهم موقع القطع والبت والثاني أن يجيء به تعليما للعباد وجوب الترجح بين الخوف والرجاء والذي يدل على المعنى الاول وأنه في معنى البت قراءة ابن أبي عبلة ويدخلكم بالجزم عطفا على محل عسى أن يكفر كأنه قيل توبوا توجب لكم تكفيرسيآتكم ويدخلكم (يوم لا يخزي الله) نصب بيدخلكم ولا يخزي تعريض عن أخزاهم الله من أهل الكفر والفسوق واستحقاقهم الى المؤمنين على أنه عصمهم من مثل حالهم (يسعى نورهم) على الصراط (أتمم لنا نورنا) قال ابن عباس يقولون ذلك اذا طفئ نور المنافقين اشفاقا على الحسن الله تممه لهم ولكنهم يدعون تقربا الى الله كقوله تعالى واستغفر لذنبك وهو معصوم له وقيل بقوله أدناهم منزلة لانهم يعطون من النور قدر ما يبصرون به مواطئ أقدامهم لان النور على قدر الاعمال فسابقون عامة متفاوتا وقيل السابقون الى الجنة يمرون مثل البرق على الصراط وبعضهم كالريح وبعضهم حبوا وزحفا وأولئك الذين يقولون ربنا أتمم لنا نورنا (فان قلت) كيف يشفقون والمؤمنون آمنون أم من بأي آمنا يوم القيامة لا خوف عليهم لا يحزنهم الفزع الاكبر وكيف يتقربون وليست الدار دار تقرب (قلت) أما الاشفاق فيجوز أن يكون على عادة البشرية وان كانوا معتقدين الامن وأما التقرب فلما كانت حالهم كحال المتقربين حيث يطلبون ما هو حاصل لهم من الرحمة سماه تقربا (جاهد الكفار) السيف (والمنافقين) بالاحتجاج * واستعمل الغلظة والخشونة على الفريقين فجاهد هذا بالسيف من القتال والحاجة وعن قتادة جاهد المنافقين لاقامة الحدود عليهم وعن ابن عيينة وقيل بافشاء أسرارهم * مثل الله عز وجل حال الكفار في أنهم يعاقبون على كفرهم وعداوتهم المؤمنين معاقبة مثلهم من غير انتفاء ولا تخفيف ولا ينفعهم مع عداوتهم لهما كان بينهم وبينهم من لحمة نسب أو وصلة صهر لان عداوتهم لهم كفرهم بالله ورسوله قطع العلائق وبت الوصل وجعلهم أبعد من الاجانب وأبعد وان كان المؤمن الذي يتصل به الكافر ميامن أنبياء الله بحال امرأة نوح وامرأة لوط لما نافقتا نبتا الرسولين فلم يغن الرسولان عنهما بحق ما بينهما وبينهم من وصلة الزواج اغناء ما من عذاب الله (وقيل) لما عند موتهما أو يوم القيامة (ادخلا النار مع) سائر (الداخلين) الذين لا وصلة بينهم وبين الانبياء أوسع داخليهما من احرا كما من قوم نوح وقوم لوط * ومثل حال المؤمنين في أن وصلة الكافر لن تضرهم ولا تنقص شيأ من ثوابهم ورفعة درجاتهم عند الله حال امرأة فرعون ومنزلتها عند الله تعالى مع كونها زوجة أعدى أعداء الله الذابلي الكلمة العظمى ومع هم ابنة عمران وما أوتيت من كرامة الدنيا والآخرة والاصطفاء على نساء العالمين مع أن قومها كانوا كفارا وفي هذين المثلين تعريض بأهل المؤمنين المذكورين في أول السورة وما فرط منهم من التظاهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم بما كرهه وتحذيرهم أن على اغلاظ وجهه وأشده ملاقى التمثيل من ذكر الكفر ونحوه وفي التغليط له تعالى ومن كمر فان الله غني عن العالمين واشارة الى أن من حقهما أن تكونا في الاخلاص والكمال فيه على هاتين المؤمنتين وأن لا تتكلا على أنهما زوجا رسول الله فان ذلك الفضل لا ينفعهما الا مع كونهما داخلتين والتعريض بحفصة أرجح لان امرأة لوط أفشت عليه كما أفشت حفصة على رسول الله وأسرار التنزيل ورموزه في كل باب بالغة من اللطف والخفاء حد يدق عن تفطن العالم وزل عن تبصره (فان قلت) فائدة قوله من عبادنا (قلت) لما كان مبنى التمثيل على وجود الصلاح في الانسان كائنا من كان وأنه وحده هو الذي يبلغ به الفوز وينال ما عند الله قال عبدين من عبادنا صالحين فذكر النبيين المشهورين العلمين وهما عبدان لم يكونا الا كسائر عبادنا من غير تفاوت بينهم وبينهم الا بالصلاح وحده اظهارا وابانة لان

عسى ربكم أن يكفر عنكم سيآتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شئ قدير يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأت نوح وامرأت لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيأ وقيل ادخلا النار مع الداخلين وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأت فرعون اذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني

* عاد كلامه في قوله ضرب الله مثلا للذين كفروا الآية (قال فيه) مثل الله حال الكفار في انهم يعاقبون على كفرهم أغلظ عقاب وأشده من غير ابقاء الخ

* قوله تعالى وصدقت بكلمات ربها وكتبه (قال فيه يجوز أن يراد بالكلمات الصحف التي أنزلها الله تعالى على ادريس وغيره سماها كلمات لقصرها الخ)

قال أحمد هو يعتقد حدوث كلام الله وجحد الكلام القديم فلا جرم ان كلامه

عبد من العباد لا يرجو عنده الا الصلاح لا غير وأن ما سواه مما يرجوه الناس عنده الناس ليس بسبب للرجحان عنده (فان قلت) ما كانت خيانتهما (قلت) نفاقهما وابطانهما الكفر وتظاهرهما على الرسولين فامرأة نوح قالت لقومه انه مجنون وامرأة لوط دلت على ضيفانه ولا يجوز أن يراد بالخيانة الفجور لانه مع في الطباع نقيصة عند كل أحد بخلاف الكفر فان الكفار لا يستهجنونه بل يستحسنونه ويسمونه حقا وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما بغت امرأة نبي قط وامرأة فرعون آسية بنت مزاحم وقيل هي عمة موسى عليه السلام آمنت حين سمعت بتلقف عصا موسى الافك فعذبها فرعون عن أبي هريرة أن فرعون وتد امرأته بأربعة أوتاد واستقبل بها الشمس وأضجعها على ظهرها ووضع رحى على صدرها وقيل أمر بأن تلقى عليها صخرة عظيمة فدعت الله فرفق بروحها فالقيت الصخرة على جسد لا روح فيه وعن الحسن فجاءها الله أكرم نجاة فرفعها الى الجنة فهي تأكل وتشرب وتتنعم فيها وقيل لما قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة أريت بيتها في الجنة بنى وقيل انه من درة وقيل كانت تعذب في الشمس فتظلها الملائكة (فان قلت) ما معنى الجمع بين عندك وفي الجنة (قلت) طلبت القرب من رحمة الله والبعد من عذاب أعدائه ثم بنت مكان القرب بقولها في الجنة أو أرادت ارتفاع الدرجة في الجنة وأن تكون جنتها من الجنان التي هي أقرب الى العرش وهي جنات المأوى فعبرت عن القرب الى العرش بقولها عندك (من فرعون وعمله) من عمل فرعون أو من نفس فرعون الخبيثة وسلطانه الغشيم وخصوصا من عمله وهو الكفر وعبادة الاصنام والظلم والتعذيب بغير جرم (ونجني من القوم الظالمين) من القبط كلهم فيه دليل على أن الاستعاذة بالله والالتجاء اليه ومسئلة الخلاص منه عند المحن والنوازل من سير الصالحين وسنن الانبياء والمرسلين فانقذ بني وبنهم فنجا وتجى ومن معي من المؤمنين وبنا الا خجلنا فتشمت للقوم الظالمين ونجنا برحمتك من القوم الكافرين (فيه) في الفرج وفرأ ابن مسعود فيها كما قرئ في سورة الانبياء والضمير للجملة وقد مر لي في هذا الظرف كلام ومن بدع التفاسير أن الفرج هو جيب الدرع ومعنى أحصنت منعته جبريل وأنه جمع في التمثيل بين التي لها روح والتي لا روح لها تسلية للارامل وتطييبا لانفسهن (وصدقت) قرئ بالتشديد والتخفيف على أنها جعلت الكلمات والكتب صادقة بمعنى وصفتها بالصدق وهو معنى التصديق بعينه (فان قلت) فما كلمات الله وكتبه (قلت) يجوز أن يراد بكلماته صحفه التي أنزلها على ادريس وغيره مما سماها كلمات لقصرها وكتبه الكتب الاربعة وأن يراد جميع ما كلم الله به ملائكته وغيرهم وجميع ما كتبه في اللوح وغيره وقرئ بكلمة الله وكتابه أي عيسى وبالكتاب المنزل عليه وهو الانجيل (فان قلت) لم قيل (من القانتين) على التذكير (قلت) لان القنوت صفة تشمل من قنت من القبيلين فغلب ذكوره على اناثه ومن للتبعيض ويجوز أن يكون للابتداء الغاية على أنها ولدت من القانتين لانها من أعقاب هرون أخي موسى صلوات الله عليهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا أربع آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام وروي أن عائشة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف سمى الله المسلمة تعني نفسها فقال بفضلها قالت وما اسمها قال اسم امرأة نوح واعلة واسم امرأة لوط واهلة حديث كهذا للبغيض لسمة بن ولقد سمى الله تعالى جماعة من الكفار باسمائهم وكناهم ولو كانت التسمية للحرم عليه وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم أحكم وأسلم من ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التحريم آتاه الله توبة نصوحا

لا يعدو الاشعاريان كلمات الله متناهية لانه في الوجه الاول جعلوا جموعة جمع قلة لقصرها وفي الثاني حصرها بقوله جميع وأين وصفها بالقصر والحصر من الاثنين اللتين احداهما قوله قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي والاخرى قوله ولو أن ما في الارض من شجرة أقلام الآية

من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها فنخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين

وما هو في الحقيقة الا تغيير مؤمن بكلمات الله تعالى فالحق ان كلام الله تعالى صفة من صفات كماله أزلية أبدية غير متناهية فهكذا آمنت امرأة فرعون المتلوثة أوها في كتاب الله العزيز نبئنا الله على الايمان ووقانا الخذلان برحمته

(قال) واسم أم فرعون آسية بنت مزاحم وما نقل في الحديث ان عائشة قالت يا رسول الله لم سمي الله المؤمنة ولم يسم الكافرة فقال راعى فيها الخ

(سورة

القدرية ومنها قطع الله ذكرها ان الموت عدم وهو خطأ صراح ومعتقد أهل السنة انه أمر وجودى يضاد الحياة وكيف يكون العدم بهذه المثابة ولو كان العدم مخلوقا فاما ان وعدم الحوادث مقرر أزلا للزم قطع الحوادث

﴿سورة الملك مكية وهى ثلاثون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شئ قدير الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور الذى خلق سبع سموات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير ولقد زينا السماء

﴿سورة الملك مكية وهى ثلاثون آية وتسمى الواقية والمنجية لانها تقى وتنجى قارئها من عذاب القبر﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

تبارك تعالى وتعاظم عن صفات المخلوقين (الذى بيده الملك) على كل موجود (وهو على كل) ما لم يوجد مما يدخل تحت القدرة (قدير) وذكر اليد مجازا عن الاحاطة بالملك والاستيلاء عليه * والحياة ما يصح بوجوده الاحساس وقيل ما يوجب كون الشئ حيا وهو الذى يصح منه أن يعلم ويقدر * والموت عدم ذلك فيه ومعنى خلق الموت والحياة ايجاد ذلك الصحيح واعدامه والمعنى خلق موتكم وحياتكم أيها المكلفون (ليبلوكم) وسمى علم الواقع منهم باختيارهم بلوى وهى الخبرة استعارة من فعل المختبر ونحوه قوله تعالى ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم (فان قلت) من أين تعلق قوله (أيكم أحسن عملا) بفعل البلوى (قلت) من حيث انه تضمن معنى العلم فكأنه قيل ليعلمكم أيكم أحسن عملا واذا قلت علمته أزيد أحسن عملا أم هو وكانت هذه الجملة واقعة موقع الثانى من مفعوليه كما تقول علمته هو أحسن عملا (فان قلت) أتسمى هذا تعليقا (قلت) لا لانا التعليق أن تقع بعده ما يسد مسد المفعولين جميعا كقولك علمت أيهم عاقل ووعلمت أزيد منطلق ألا ترى أنه لا فصل بعد سبق أحد المفعولين بين أن يقع ما بعده مصدرا تعرف الاستفهام وغير مصدر به ولو كان تعليقا لافترقت الحالتان كما افترقتا فى قولك علمت أزيد منطلق وعلمت زيدا منطلقا أحسن عملا قبل أخلصه وأصوبه لانه اذا كان خالصا غير صواب لم يقبل وكذلك اذا كان صوابا غير خالص فانما يقبل أن يكون لوجه الله تعالى والصواب أن يكون على السنة وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه تلا هذا فلما بلغ قوله أيكم أحسن عملا قال ليكم أحسن عقلا وأورع عن محارم الله وأسرع فى طاعة الله يعنى أيكم أتم عقلا عن الله وفهما لاغراضه والمراد أنه اعداكم الحياة التى تقدرون بها على العمل وتمكنون منه وسلط عليكم الموت الذى هو داعيكم الى اختيار العمل الحسن على القبيح لان وراءه البعث والجزاء الذى لا بد منه وقدم الموت على الحياة لان أقوى الناس داعيا الى العمل من نصب موته بين عينيه فقدم لانه فيما يرجع الى الغرض المسوق له الآية أهم (وهو العزيز) القادر الذى لا يعجزه من أساء العمل (الغفور) لمن تاب من أهل الاساءة (طباقا) مطابقة بعضها فوق بعض من طابق النعل اذا خصفها طبقا على طبق وهذا وصف بالمصدر أو على ذات طباق أو على طو بقت طباقا (من تفاوت) وقرئ من تفوت ومعنى التفاوت والتفوت واحد كتعهم وتظاهروا من تظاهم وتظهروا وتماهدته وتهادته أى من اختلاف واضطراب فى الخلقة ولا تناقض اما هى مستوية مستقيمة وحقيقة التفاوت عدم التناسب كان بعض الشئ يفوت بعضا ولا يلائمه ومنه قولهم خلق متفاوت وفى نقيضه متناصف (فان قلت) كيف موقع هذه الجملة مما قبلها (قلت) هى صفة عاشرة لقوله طباقا وأصلها ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فوضع مكان الضمير قوله خلق الرحمن تعظيما لخلقهن وتنبيها على سبب سلامتهن من التفاوت وهو أنه خلق الرحمن وأتقنه بحكمته هو الذى يخلق مثل ذلك الخلق المناسب والخطاب فى ما ترى للرسول أو لكل مخاطب وقوله تعالى (فارجع البصر) متعلق به على معنى التسبب أخبره بأنه لا تفاوت فى خلقهن ثم قال فارجع البصر حتى يصح عندك ما أخبرت به بالمعاينة ولا تبق معك شبهة فيه (هل ترى من فطور) من صدوع وشقوق جمع فطر وهو الشق يقال فطره فانفطر ومنه فطرناب البعير اذا بقل شق وبزل ومعناه شق اللحم فطلع * وأمر بتكرير البصر فين متضاعفا متنبها لتمس عيبا وخذلان (ينقلب اليك) أى ان رجعت البصر وكررت النظر لم يرجع اليك بصرك بحيث التمسته من رؤية الخلل وادراك العيب بل يرجع اليك بالخسء والحسور أى البعد عن اصابة الملتمس كأنه يطرد عن ذلك طردا بالصغار والقماءة وبالاعياء والكلال لطول الاجالة والترديد (فان قلت) كيف ينقلب البصر خاسئا حسيرا

قوله أيكم أحسن عملا بفعل البلوى وأجاب بان معناه ليعلمكم أيكم أحسن عملا لان البلوى تتضمن العلم الخ) قال أحمد التعليق عن أحد المفعولين مختلف فيه بين النحاة والاصح ما أجازه وهو فى هذا الفن عيشى وفيه يدرج ويدرى كيف يدخل فيه ويخرج

* قوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير (قال فيه لم تخص الكرتين فاجاب بان معنى التثنية ههنا التكثير الخ) قال أحمد وفي قوله ينقلب اليك البصر وضع للظاهر موضع المضمر وفيه من الفائدة التنبيه على أن الذي يرجع خاسئا حسيرا غير مدرك للمطلوب وهو الآلة التي (٤٧٦) يلتمس بها الادراك ما هو وكان فاذا لم يدرك شيئ دل على أنه لا شئ ومن هذا القبيل قوله

خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت وأصله ما ترى في خلقهن من تفاوت ولكنه ذكرهن منوبات لخلق الرحمن تنبيها على السبب الذي

الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وأعتدنا لهم عذاب السعير والذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير اذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا وهي تفور تكاد تميز من الغيظ كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شئ ان أنتم الا في ضلال كبير وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير فاعترفوا

ربأيهن على التطور والتفاوت * قوله تعالى وجعلناها رجوما للشياطين وأعتدنا لهم عذاب السعير (حمل الشياطين على ظاهره ونقل عن بعضهم ان معناها وجعلنا لها

برجعه كرتين اثنتين (قلت) معنى التثنية التكرير كثيرة كقولك لبيك وسعديك تريد اجابات كثيرة بعضها في أثر بعض وقولهم في المثل دهدرين سعد القين من ذلك أي بعدا باطل (فان قلت) فما معنى ثم ارجع (قلت) أمره بترجيع البصر ثم أمره بأن لا يقتنع بالرجعة الاولى وبالنظرة الحمقاء وأن يتوقف بعد هاو يتجم ببصره ثم يعاود ويعاود الى أن يحسر بصره من طول المعاودة فانه لا يعثر على شئ من فطور (الدنيا) القربى لانها أقرب السموات الى الناس ومعناه السماء التي تلي سمائكم * والمصابيح السرج سميت بها الكواكب والناس يزينون مساجدهم ودورهم بالقناديل المصابيح فقيل واقد زينا سقف الدار التي اجتمعتم فيها (بمصابيح) أي بأي مصابيح لا توازيها مصابيحكم اضاءة وضمنها الى ذلك منافع أخر أنا (جعلناها رجوما) أعدادا لكم (للشياطين) الذين يخرجونكم من النور الى الظلمات وتهتدون بها في ظلمات البر والبحر قال قتادة خلق الله النجوم لثلاث زينة للسماء ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها فمن تأول فيها غير ذلك فقد تكلف مالا علم له به ومن تحدث كعب والله ما لاحد من أهل الارض في السماء نجم ولكنهم يتعلمون الكهانة من النجوم علة والرجوم جمع رجم وهو مصدر سمي به ما يرجم به ومعنى كونها رجوما للشياطين أن الشهب التي تنقض (رمى المسترقة منهم منفصلة من نار الكواكب لا أنهم يرجمون بالكواكب أنفسها الا نادرا وقد يرى الشئ على حالها وماذا الا كقبس يؤخذ من نار وللنار ثابتة كاملة لا تنقص وقيل من الشياطين المرجومة من يقتله الشهاب ومنهم من يخبله وقيل معناه وجعلناها ظنونا ورجوما بالغيب للشياطين الانس وهم المنجمون (وأعتدنا لهم عذاب السعير) في الآخرة بعد عذاب الاحراق بالشهب في الدنيا (للذين كفروا بربهم أي ولكل من كفر بالله من الشياطين وغيرهم (عذاب جهنم) ليس الشياطين المرجومون مخصوصين بذلك وقرئ عذاب جهنم بالنصب عطفا على عذاب السعير (اذا ألقوا فيها) أي طرحوا فيها طرح الحطب في النار لعظيمة يرمى به ومثله قوله تعالى حصب جهنم (سمعوا لها شهيقا) امالا لها من تقدم طرحهم فيها أو من أنفسهم كقوله فهم فيها زفير وشهيق وأما للنار تشبيها بالحي في تغيظه وتغيظه بالشهيق (وهي تفور) تغلي بهم غليان المرجل بما فيه * وجملت كالناطقة عليهم لشدة غليانها بهم ويقولون فلان يغيظه الشئ ويتمعض غضبا وغضب فطارت منه شقة في الارض وشقة في السماء أداوصفوه بالافراط فيه ويجوز أن يراد تغيظ الزبانية (ألم يأتكم نذير) توبيخ يزدادون به عذابا الى عذابهم وحسرة الى حسرتهم * وخزنتها مالك وأعوانه من الزبانية (قالوا بلى) اعتراف منهم بعدل الله واقرار بأن الله عز وجل لا أزاح عللهم ببعثة الرسل وانذارهم ما وقعوا فيه وأتوهم ثم بقوا من قدره كما تزعم المجبرة وانما أتوا من قبل أنفسهم واختيارهم خلاف ما اختار الله وأمرهم به وأوعد على صده (فان قلت) (ان أنتم الا في ضلال كبير) من الخاطبون به (قلت) هو من جملة قول الكفار وخطابهم للمنذرين على أن النذير بمعنى الانذار والمعنى ألم يأتكم أهل نذير أو وصف منذرو هم لفرط تهالكهم في الانذار كأنهم ليسوا الا انذارا وكذلك فما أنتم الا نذير ونظيره قوله تعالى انا رسول رب العالمين أي حاملا رسالته ويجوز أن يكون من كلام الخزنة للكفار على ارادة القول أرادوا حكاية ما كانوا عليه من ضلالهم في الدنيا أو أرادوا بالضلال الهلاك أو سموا عقاب الضلال باسمه أو من كلام الرسل لهم حكوه للخزنة أي قالوا لنا هذا القول بعينه (لو كنا نسمع) الانذار سماع طالبين للحق * أو نعقله عقل متأملين وقيل انما جمع بين السمع والعقل لان مدار التكليف على أدلة السمع

ظنونا ورجوما بالغيب الخ) قال أحمد وهذا من الاستطراد لما ذكر وعيد الشياطين استطرد ذلك وعيد والعقل

الكافرين عموما والله أعلم * قوله تعالى لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير (قال فيه معناه لو كنا نسمع للانذار سماع طالب للحق الخ) قال أحمد ان عنى ان الاحكام الشرعية تستفاد من العقل كما تستفاد من السمع سناء على قاعدة التحسين والتقبيح فهو غير بديد من أصحاب السعير وان عنى ان العقل يرشد الى العقائد الصحيحة والسمع يختص بالاحكام الشرعية فهو مع أهل السنة

*عاد كلامه (قال ومن بدع التفاسير ان المراد لو كنا على مذهب أصحاب الحديث أو على مذهب أصحاب الرأى الخ) قال أحمد ولو تفطن
نبيه هذه الآية لعدها دليلا على تفضيل السمع على البصر فانه استدل على ذلك بما حكى منها *قوله تعالى ألا يعلم من خلق وهو اللطيف
الخبير (قال فيه أنكر ان لا يحيط علما بالسر والجهر من خلق ذلك الخ) قال أحمد هذه الآية ترد على المعتزلة وتصحح الطريق التى يسلكها
أهل السنة فى الرد عليهم فان أهل السنة يستدلون على ان العبد لا يخلق أفعاله بأنه لا يعلمها وهو استدلال نفى اللازم الذى هو العلم على
نفى الملزوم الذى هو الخلق وبهذه الملازمة دلت الآية فان الله تعالى أرشد الى الاستدلال على ثبوت العلم له عز وجل بثبوت الخلق
وهو استدلال بوجود الملزوم على وجود اللازم فهو نور واحد يقتبس منه ثبوت العلم للبارى عز وجل وابطال خلق العبد لافعاله
واعراب الآية ينزل على هذا المعنى فان الوجه فيها أن يكون من فاعلا مرادا به (٤٧٧) الخالق ومفعول العلم محذوف

العقل ومن بدع التفاسير ان المراد لو كنا على مذهب أصحاب الحديث أو على مذهب أصحاب الرأى كان
هذه الآية نزلت بعد ظهور هذين المذهبين وكان سائر أصحاب المذاهب والمجتهدين قد أنزل الله وعيدهم وكان
من كان من هؤلاء فهو من الناجين لاستحالة وعيد المبشرين من الصحابة بشر ثم بضم اليهم حادى عشر وكان
من يجوز على الصراط أكثرهم ثم سموا بأسم هذين الفريقين (يذنبهم) يكفرهم فى تكذيبهم الرسل
(فصفا) ثرى بالتخفيف والتثقيل أى فبددهم اعترفوا أو جحدوا وان ذلك لا ينفعهم *ظاهره الامر بأحد
الامرين الاسرار والاجهار ومعناه ليستو عندكم اسراركم واجهاركم فى علم الله بهما *ثم انه علل ذلك بأنه عليم
بذات الصدور (أى بضمائرها فكيف أن تترجم الالسنة بها فكيف لا يعلم تكلمه *ثم انكر ان لا يحيط
علما بالضمير والسر والجهر (من خلق) الاشياء وحاله انه اللطيف الخبير والتوصيف بالمحال ماظهر من خلقه
وما بطن ويجوز أن يكون من خلق منصوبا بمعنى ألا يعلم خالق وهو عبده ومالكه وروى ان المشركين كانوا
يتكاتمون عما بينهم بأشياء فيظهر الله رسوله عليها فيقولون أسروا قولكم لئلا يسمعه اله محمد فنبه الله على
جهلهم (فان قلت) قدرت فى الا يعلم مسؤولا على معنى ألا يعلم ذلك المذكور مما أضمر فى القلوب وأظهر باللسان
من خلق فهلا جعلته مثل قولهم هو يعطى ويمنع وهلا كان المعنى ألا يكون عالما من هو خالق لان الخلق
لا يصح الا مع العلم (قلت) أبت ذلك الحال التى هى قوله وهو اللطيف الخبير لانك لو قلت ألا يكون عالما
من هو خالق وهو اللطيف الخبير لم يكن معنى صحيحا لان الا يعلم مختص على الحال والشئ لا يوقت بنفسه فلا
يقال ألا يعلم وهو عالم ولكن ألا يعلم كذا وهو عالم بكل شئ *التى فى منا كبها مثل لشرط التذليل وجاوزته
الغايتان المتكبين وملتقاهما من المغارب أرقى من البعير وأساء عن أن بطأه الراكب بقدمه ويعتقد
عليه فاذا نجعلها اذى الذل بحيث يمشى فى مناكبها ويطأ منا كبها فاشبه قول الزجاج معناه سهل لكم
السلوك فى جبالها فاذا أمكنكم السلوك فى جبالها فهو أبلغ التذليل وقيل جوانبها والعنى والبه نشوركم
فهو مساك عن شكر ما أنعم عليكم (من فى السماء) فيه وجهان أحدهما ما كونه فى السماء لانها
مسكن ملائكته ومحل عرشه وكرسيه واللوح المحفوظ ومنها تنزل قضاياه وكتبه وأوامره ونواهيه والثانى
أنهم كانوا يعتقدون التشبيه وأن فى السماء رأس الرحمة والعذاب ينزلان منه وكانوا يرجونه من جهة انقيل
لهم على حسب اعتقادهم أأمنتم من زعمتم أن فى السماء وهو متعال عن المكان ان يعذبكم بخسف
أو بحاصب كما نزل ببعض المشبهة أما لخلاف من فوق العرش أن يعاقبكم بما تستحل اذا رأيته يركب بعض
المعاصى (فستعلمون) قرئ بالتاء والياء (كيف نذير) أى اذا رأيتم المنذر به علمتم كيف كان انذارى حين لا ينفعكم
العلم (صافات) باسطات أجنحتهن فى الجو منطبقا بعضها الى بعض اذا بسطن لان صفة الطير اذا بسطها صفت قوادمها (ويقبضن)

فى الجميع الا يعلم السر والجهر من خلقه صار مرتبط حذف ناظر هذا الوجه من الاعراب الى قلق المضايق التكلف والتعسف فى المحل
أن يكون من معمولة وافعة على فاعل السر والجهر والتقدير الا يعلم الله السر والجاهر ولبس صلتا للموصول فانه لم يقع على ذوات
الفاعلين ولم يقع على أفعالهم من السر والجهر وعليه وقع الاستدلال ويحتمل غير ذلك أبعد منه والاول هو الارضى لفظا ومعنى والله
الموفق *قوله تعالى أولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن (قال فيه سماه باسطات أجنحتها لانها اذا بسطتها صفت قوادمها الخ)
قال أحمد ويلاحظ هذا المعنى فى قوله والطير محشورة بعد قوله انا سخرنا الجبال معه يسبحن ولم يقل مسبحات مثل محشورة لقربه من
هذا التفسير ولقد أحسن فيه كل الاحسان

يذنبهم فصفا الاحباب
المسميان الذين
يخشون ربهم بالغيب
لهم مغفرة وأجر كبير
وأسروا قولكم أو اجهروا
به انه عليم بذات الصدور
الا يعلم من خلق وهو
اللطيف الخبير هو الذى
جعل لكم الارض
ذلولا فامشوا فى مناكبها
وكلوا من رزقه واليه
النشور أأمنتم من فى
السماء أن يخسف بكم
الارض فاذا هى تمور
أم أمنتم من فى السماء
أن يرسل عليكم حاصبا
فستعلمون كيف نذير
ولقد كذب الذين من
قبلهم فكيف كان
نكير أولم يروا الى الطير
فوقهم صافات ويقبضن

تقديره ذلك اشارة الى
السر والجهر وصمول

خلق محذوف ضميره
عائد الى ذلك والتقدير

ويضمهن اذا ضربن بها جنوبهن (فان قلت) لم قيل ويقبضن ولم يقل وقابضات (قلت) لان الاصل فى الطيران هو صف الاجنحة لان الطيران فى الهواء كالسباحة فى الماء والاصل فى السباحة مد الاطراف وبسطها وأما القبض فطارئ على البسط للاستظهار به على التحرك فجىء به هكذا على لفظ الفعل على معنى أنهن صافات ويكون منهن القبض تارة ومد تارة كما يكون من السابح (ما يمسكهن الا الرحمن) بقدرته وعاد برهن من القوادم والخوافى وبنى الاجسام على شكل وخصائص قد تأتى منها الجرى فى الجو (انه بكل شئ بصير) يعلم كيف يخلق وكيف يدبر الهائب (أمن) يشار اليه من الجموع ويقال (هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون) الله ان أرسل عليكم عذابه (أمن) يشار اليه ويقال (هذا الذى يرزقكم ان أمسك رزقه) وهذا على التقدير ويجوز أن يكون اشارة الى جميع الاوثان لاعتقادهم أنهم يحفظون من النوائب ويرزقون ببركة آلهتهم فكانهم الجند الناصر والرازق ونحوه قوله تعالى أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا (بل لجوا فى عتو ونفور) بل عاندوا فى عناد وشراد عن الحق لتثقله عليهم فلم يتعوه ولم يجعل أكب مطاوع كبه يقال كببته فاكب من الغرائب والشواذ ونحوه قشعت الريح السحاب فانقشع وماهو كذلك ولا شئ من بناء أفعل مطاوعا ولا يتقن نحو هذا الا جعلت كتاب سيبويه وانما أكب من باب انقض وألام ومعناه دخل فى الكب وصار ذا كب وكذلك أقشع السحاب دخل فى القشع ومطاوع كب وقشع انكب وانقشع (فان قلت) ما معنى (يمشى مكبا على وجهه) وكيف قابل يمشى سويا على صراط مستقيم (قلت) معناه يمشى معتسفا فى مكان معتاد غير مستو فيه انخفاض وارتفاع فيعثر كل ساعة فيخر على وجهه منكبا خلاف من يمشى سويا أى قائما سالما من العثور والخرور أو مستوى الجهة قليل الاعوجاج خلاف المعتسف الذى يتعرف هكذا وهكذا فى طريق مستو ويجوز أن يراد الاعمى الذى لا يهتدى الى الطريق فيعتسف فلا يزال يتكب على وجهه وأبو البيس كالرجل السوى الصحيح البصر الماشى فى الطريق المهتدى له وهو مثل للمؤمن والكافر وعن قتادة الكافر أكب على معاصى الله فى الدنيا فيحشره الله يوم القيامة على وجهه وعن الكلبى نزلت فى أبى جهل بن هشام وبالسوى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل حمزة بن عبد المطلب (فلما رأوه) أى العذاب الموعد والزلفة القرب وانتصابها على الحال أو الظرف أى رأوه ذا زلفة أو مكانا ذا زلفة (سيئت وجوه الذين كفروا) أى ساءت رؤية الوعد وجوههم بأن علتها الكآبة وغشيها الكسوف والقترة وكلحوا وتارة يكون وجهه من يقاد الى القتل أو يعرض على بعض العذاب (وقيل) للقائلين الزبانية (تدعون) تفتعلون من الدعاء أى تطلبون وتستعجلون به وقيل هو من الدعوى أى كنتم بسببه تدعون أنكم لا تبعثون وقرئ تدعون وعن بعض الزهاد أنه تلاها فى أول الليل فى صلاته فبقى يكررها وهو يبكى الى أن نودى لصلاة الفجر ولعمرى انها لوقاذة من تصور تلك الحالة وتأملها وكان كفار مكة يدعون على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين بالهلاك فأمر بأن يقول لهم نحن مؤمنون متربصون لاحدى الحسنيين اما أن نهلك كما تقولون فنتقلب الى الجنة أو نرحم بالنصرة والاقالة للاسلام كما رجوه فأنتم ما تصنعون من تبجيركم وأنتم كافرون من عذاب النار لا يدفعكم منه يعنى أنكم تطلبون لنا الهلاك الذى هو استجقال للفوز والسعادة وأنتم فى أمر هو الهلاك الذى لا هلاك بعده وأنتم غافلون لا تطلبون الخلاص منه أو ان أهلكنا الله بالموت فمن يجيركم بعد موت هداتكم والآخذين بتجيركم من النار وان رحمنا بالامهال والغلبة عليكم وقتلكم فمن يجيركم فان المقتول على أيدينا هالك أو ان أهلكنا الله فى الآخرة بذنوبنا ونحن مسلمون فمن يجير الكافرين وهم أولى بالهلاك لكفرهم وان رحمنا بالايمان فمن يجير من لا ايمان له (فان قلت) لم أخر مفعول آمنا وقدم مفعول توكلنا (قلت) لوقوع آمنا معرضا بالكافرين حين ورد عقيب ذكرهم كانه قيل آمنا ولم نكفر كما كفرتم ثم قال وعليه توكلنا خصوصا لم نتكل على ما أنتم متكلون عليه من رجائكم وأموالكم (غورا) غائرا ذاهبا فى الارض وعن الكلبى لا تناله الدلاء وهو وصف بالمصدر كعدل ورضا وعن بعض الشطار أنها تليت عنده فقال تجىء به الفؤس والمعاول فذهب ماء عينيه نعوذ بالله من الجراءة على الله وعلى

ما يمسكهن الا الرحمن
ان يكل شئ بصير أمن
هذا الذى هو جند لكم
ينصركم من دون الرحمن
ان الكافرون الا فى
غرور أمن هذا الذى
يرزقكم ان أمسك
رزقه بل لجوا فى عتو
ونفور أفمن يمشى مكبا
على وجهه أهدى أمن
يمشى سويا على صراط
مستقيم قل هو الذى
أنشأكم وجعل لكم السمع
والابصار والافئدة
قليلا ما تشكرون
قل هو الذى ذرأكم فى
الارض واليه تحشرون
ويقولون متى هذا
الوعد ان كنتم صادقين
قل انما العلم عند الله
وانما أنا نذير مبين فلما
رأوه زلفة سيئت
وجوه الذين كفروا
وقيل هذا الذى كنتم به
تدعون قل أرأيتم ان
أهلكنى الله ومن معى
أو رحمنا فمن يجير
الكافرين من عذاب
أليم قل هو الرحمن
آمنا به وعليه توكلنا
فستعلمون من هو فى
ضلال مبين قل أرأيتم
ان أصبح ماؤكم غورا
فمن يأتيكم بماء معين

آياته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الملك فكأنما أحيا ليلة القدر

﴿سورة ن مكية وهي ثنتان وخمسون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* قرئ ن والقلم بالبيان والادغام وبسكون النون وفتحها وكسرها كما في ص والمراد هذا الحرف من حروف المعجم وأما قولهم هو الدواة فما أدري أهو وضع لغوي أم شرعي ولا جناح إذا كان اسم الدواة من أن تكون جنسا أو علما فان كان جنسا بأن الاعراب والتنوين وان كان علما فأن الاعراب وأيهما كان فلا بد له من موقع في تأليف الكلام فان قلت هو مقسم به وحب ان كان جنسا أن تجره وتنونه وتكون القسم بدواة منكرة مجهولة كأنه قيل ودواة القلم وان كان علما أن تصرفه وتجره ولا تصرفه وتفخمه للعلمية والتأنيث وكذلك التفسير بالحوت اما أن يراد نون من النينان أو يجعل علما للهموت الذي يزعمون وللتفسير باللوح من نور أو ذهب والنهر في الجنة تعظيما لشأن القلم تعظيما له لما في خلقه وتسويته من الدلالة على الحكمة العظيمة ولما فيه من المنافع والفوائد التي لا يحيط بها الوصف (وما يسطرون) وما يكتب من كتب وقيل ما يسترده الحفظة وما هو مسطور أو مصدرية ويجوز أن يراد بالقلم أصحابه فيكون الضمير في يسطرون لهم كأنه قيل وأصحاب القلم ومسطورهم أو وسطورهم وبراءتهم مما من يسطر أو الحفظة * (فان قلت) بم يتعلق الباء في (بنعمة ربك) وما محله (قلت) يتعلق بمجنون منفيا كما يتعلق بعاقل في متتاق قولك أنت بنعمة الله عاقل مستويا في ذلك الاثبات والنفي لاستواء معاني قولك ضربت زيدا عمرا وما ضربت زيدا عمرا في العمل منفيا ومثبتا الا ما لا واحد وهو محمد النصب على الحال كأنه قال ما أنت مجنون منعما عليك بذلك ولم تمنع الباء أن يعمل مجنون فيما قبله لاتساعهم في الظرف والمعنى استبعادهما كان ينسبه اليه كفار مكة عداوة وحسدا وأنه من انعام الله عليه بحصافة العقل والنهامة التي يقتضيها التأهيل للنبوة بمعزل (وان لك) على احتمال ذلك وإضافة الفضة فيه والصبر عليه (لاجرا) لثوابا (غير ممنون) غير مقطوع كقوله عطاء غير مجذوذ أو غير ممنون عليك به لان ثواب تستوجبه على عملك وليس بتفضل ابتداء واعلم ان الفواضل لا اجور على الاعمال هي استعظم خلقه لغرض استمالته المضلين عن قومه وحسن مخالقته ومداراتهم وقيل هو الخلق الذي أمره الله تعالى به في قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وعن عائشة رضي الله عنها أن سعيد بن هشام سألها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن ألست تقرأ القرآن قد أفلح المؤمنون (المفتون) المجنون لانه من أي يحن بالجنون أولان العرب يزعمون أنه من تخييل الجن وهم الشياطين فيهم * والباء من زيادة أو المفتون مصدر كالمعقول والمجلود أي بأيكم المجنون أو بأي الفريقين منكم المجنون أبفريق المؤمنين أم بفريق الكافرين أي في أيهما يوجد من يستحق هذا الاسم وهو تعريض بأبي جهل بن هشام والوليد بن المغيرة واضرابهما وهذا كقوله تعالى سيعلمون غدا من الكذاب الأشر (ان ربك هو أعلم) بالجانين على الحقيقة وهم الذين ضلوا عن سبيله (وهو أعلم) بالعقلاء وهم المهتدون أو يكون وعيدا ووعدا وأنه أعلم بجزاء الفريقين (فلا تطع المكذبين) تهييج والهاب للتصميم على معاصلتهم وكانوا قد أرادوه على أن يعبد الله مدة وآلهتهم مدة وكتواعنه غوائلهم (لو تدهن) لو تلين وتصانع (فيدهنون) (فان قلت) لم رفع فيدهنون ولم ينصب جوابا لتمن أن وهو جواب النفي (قلت) قد عدل به الى طريق آخر وهو ان جعل خبر مبتدا محذوف أي فهم يدهنون كقوله تعالى فمن يؤمن بربه فلا يخاف على معنى وهو الوتدهن فهم يدهنون حينئذ أو وود وا ادهانك فهم الآن يدهنون لطمعهم في ادهانك قال سيبويه يوزعم هرون أنها في بعض المصاحف ودوا لو تدهن فيدهنوا (حلاف) كثير الحلف في الحق والباطل وكني به عن جرءته على الحلف ومثله قوله تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم (مهين) من المهانة وهي القلة والحقارة يريد القلة في الرأي والتمييز أو أراد الكذاب لانه يحقير عند الناس (هماز) عياب طعان وعن الحسن يلوي شدقيه في أقفية الناس (مشاء بنميم) مضارب نقال للحديث من قوم الى قوم على وجه السعاية والافساد بينهم والنميم والنميمة السعاية وأنشد في بعض العرب

﴿سورة ن مكية وهي ثنتان وخمسون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون وان لك لاجرا غير ممنون وانك لعلى خلق عظيم فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون ان ربك هو أعلم من ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين فلا تطع المكذبين ودوا لو تدهن فيدهنون ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم

﴿القول في سورة ن والقلم﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى وان لك لاجرا غير ممنون (قال سماعا غير مقطوع كقوله عطاء غير مجذوذ الخ) قال أحد ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يرضى من الزمخشري بتفسير الآية هكذا وهو صلى الله عليه وسلم يقول لا يدخل أحدكم الجنة عمله قيل ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدني الله بفضل منه ورحمة ولقد بلغ الزمخشري سوء الادب الى حد يوجب الحد وحاصل قوله أن الله لا منة له على أحد ولا فضل في دخول الجنة لا سقام بواجب عليه تعوذ بالله من الجراءة عليه

*قوله تعالى عتل بعد ذلك زنيم (قال العتل الجافي والزنيم الدعي وكذلك كان الوليد بن المغيرة المخزومي استلحقه المغيرة بعد ثمان عشرة من مولده الخ) قال أحمد وانما أخذ كون هذين أشد معايبه من قوله بعد ذلك فانه يعطي تراخي المرتبة فيما بين المذكور أولا والمذكور بعده في الشر والخير ونظيره في الخير قوله تعالى والملائكة بعد ذلك ظهير ومن ثم استعملت ثم لتراخي المراتب وان أعطت عكس الترتيب الوجودي *قوله تعالى (٤٨٠) انا بلوناهم كما بلونا اصحاب الجنة الى آخر الآيات (قال فيه أصحاب الجنة قوم من أهل الصلاة كان لابيهم هذه الجنة دون صنعاء بفرسخين الخ) قال أحمد وفائدة التذكير الاهتمام بتعظيما لما أصابهم او معنى كالصريم أي كهلاك ثمر هارو قيل الصريم الليل لانها احترقت واسودت وقيل النهار أي خالية

تشبيبي تشبيب النمسه * عني بهازهيرا لى تميمه

(مناع للخير) بخيل والخير المال أو مناع أهله الخير وهو الاسلام فذكر الموصوف منه دون الممنوع كأنه قال مناع من الخير قيل هو الوليد بن المغيرة المخزومي كان موسرا وكان له عشرة من البنين فكان يقول لهم والله لمن أسلم منكم صنعته رفدي عن ابن عباس وعنه أنه أبو جهل وعن مجاهد الاسود بن عبد يغوث وعن السدي الاخنس بن شريق أصله في ثقيف وعداد في زهرة ولذلك قيل زنيم (معتد) مجاوز في الظلم حده (أثيم) كثير الآثام (عتل) غليظ جاف من عتله اذا قاده بعنف وغلظة (بعد ذلك) بعد ما عدله من المثالب والنقائص

(زنيم) دعي قال حسان * وأنت زنيم نيط في آل هاشم * كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

وكان الوليد دعيا في قريش ليس من صميمهم ادعاه أبوه بعد ثمان عشرة من مولده وقيل بغت أمه ولم يعرف حتى نزلت هذه الآية فجعل جفاءه ودعوته اشد معايبه لانه اذا جفا وغلظ طبعه قسا قلبه واجترأ على كل معصية ولان الغالب أن النطفة اذا خبثت خبث الناشئ منها ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة ولد الزنا ولا ولده ولا ولد ولده وبعد ذلك ظرف في قوله ثم كان من الذين آمنوا وقرأ الحسن عتل رفعا على الذم وهذه القراءة تقوية لما يدل عليه بعد ذلك والزنيم من الزنة وهي الهنة من جلد الماعز تقطع فتعلق معلقة في حلقها لانه زيادة معلقة بغير أهلها (أن كان ذا مال) متعلق بقوله ولا تطع يعني ولا تطعه مع هذه المثالب لان كان ذا مال أي ليسار وحظ من الدنيا ويجوز أن يتعلق بما بعده على معنى لكونه متمتعا لا مستظهرا بالبنين كتب آياتنا ولا يعمل فيه قال الذي هو جواب اذا لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله ولكن ما دلت عليه الجملة من معنى التكذيب وقرئ أأن كان على الاستفهام على أأن كان ذا مال وبنين كتب أو أطعه لانه كان ذا مال وروى الزبيري عن نافع ان كان بالكسر والشرط للمخاطب أي لا تطع كل حلاف شارطا يسارا لانه اذا أطاع الكافر لغناه فكأنه اشترط في الطاعة الغنى ونحو صرف الشرط الى المخاطب صرف الترجي اليه في قوله تعالى لعله يتذكر الوجه أكرم موضع في الجسد والانف أكرم موضع من الوجه لتقدمه له ولذلك جعلوه مكان العز والحمية واشتقوا اسمه الانفة وقالوا الانف في الانف وحمي أنفه وفلان شامخ العرنين وقالوا في الدليل جدع أنفه ورغم أنفه فعبر بالوسم على الخرطوم عن غاية الاذلال والاهانة لان السمة على الوجه شين واذلال فكيف بها على أكرم موضع منه ولتدوسم العباس للغرة في وجوهها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أكرم والوجوه فوسمها في جواعرها وفي لفظ الخرطوم استخفاف به واستهانة وقيل معناه سنعلمه يوم القيامة بعلامة مشوهة تبين بها عن سائر الكفرة كما عادى رسول الله صلى الله عليه وسلم عداوته بان بها انفهم وقيل نخطمه يوم بدر بالسيف فبقيت سمة على خرطومه وقيل سنشهره بهذه الشنيعة في الدارين جميعا فلا تخفى كالا تخفى السمة على الخرطوم ومن التفسير ثم قيل ان الخرطوم الخمر وأن معناه سنحده على شربها وهو تعسف وقيل الخمر الخرطوم لما قيل لها السلافة وهي ما سلف من عصير العنب أولانها تطرق في الحياشيم * انا بلوناهم أهل مكة بالقحط والجوع بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم (كما بلونا أصحاب الجنة) وهم قوم من أهل الصلاة كانت لابيهم هذه الجنة دون صنعاء بفرسخين فكان يأخذ منها قوت سنته ويتصدق بالباقي وكان يترك

مناع للخير معتد أثيم
عتل بعد ذلك زنيم ان
كان ذا مال وبنين اذا
تتلى عليه آياتنا قال
أساطير الاولين سنسمه
على الخرطوم انا بلوناهم
كما بلونا أصحاب الجنة
اذ أقسموا ليصرمنها
مصبحين ولا يستثنون
فطاف عليها طائف من
ربك وهم نائمون
فاصبحت كالصريم
فتنادوا

فاتفقت قولهم بعض الاناء اذا فرغته (قلت) ومنه اليباس من الارض أي الخالية من النضور وفي الحديث ويستعمله الفقهاء في المساقاة ومعنى

صارمين حاصدين قال وانما عدل عن ان في قوله على حرثكم لان غدوهم كان ليصرموه فهو غدو عليه ومعنى يتخافتون للمساكين يسرون حديثهم خيفة من ظهور المساكين عليهم وقوله لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين مثل لا أريننك ههنا والحرد من حادت السنة اذا منعت خيرها والمعنى وغدوا على تكدد ومنع غير عاجزين عن النفع وقيل الحرد السرعة أي غدوا مسارعين نشطين لما عزموا عليه من الحرد ان وصفي قادرين على هذا التأويل عند أنفسهم وقيل حردا سم الجنة المذكورة وقولهم انا لضالون قالوه في بدية أمرهم ههنا لما رأوا ما لم يعهدوه فاعتقدوا انهم ضلوا عنها وانها ليست هي ثم لما تبينوا وأيقنوا انها هي اضربوا عن الاول الى قولهم بل نحن محرومون

للساكين ما أخطأه المحل وما في أسفل الاكداس وما أخطأه القطاف من العنب وما بقي على البساط الذي يبسط تحت النخلة اذا صرمت فكان يجمع لهم شئ كثير فلما نزلت قال بعضهم ان فعلنا ما كان يفعل آبونا ضاق علينا الامر ونحن أولو عيال فخافوا البصر منها مصبحين في السدف خفية عن المساكين ولم يستثنوا في يمينهم فأحرق الله جنتهم وقيل كانوا من بني اسرائيل (مصبحين) داخلين في الصبح مبكرين (ولا يستثنون) ولا يقولون ان شاء الله (فان قلت) لم سمي استثناء واعلمه وشرط (قلت) لانه يؤدي مؤدى الاستثناء من حيث ان معنى قولك لاخرجن ان شاء الله ولا أخرج الا أن يشاء الله واحد (فطاف عليها) بلاء أو هلاك (طائف) كقوله تعالى وأحيط بثمره وقرئ طيف (فأصبحت كالصريم) كالمصرومة لطلائعها وقيل الصريم الليل أي احترقت فاسودت وقيل النهار أي بيست وذهبت خضرتها أولم يبق شئ فيها من قولهم بيض الاناء اذا فرغه وقيل الصريم الرمال (صارمين) حاصدين (فان قلت) هلا قيل اغدوا الى حرثكم وما معنى على (قلت) لما كان الغدو اليه ليصرموه ويقطعوه كان غدوا عليه كما تقول غدا علينا لهم العدو ويجوز أن يضمن الغدو معنى الاقبال كقولهم بغدي عليه بالجفنة وراح أي فأقبلوا على حرثكم (يتخافتون) يسارون فيما بينهم وتخافت وخفت وخفد للاخفاء في معنى الكتم ومنه الخفيد للعشاء (أن لا يدخلنها) أن مفسرة وقرأ ابن مسعود بطرحها باضمار القول أي يتخافتون يقولون لا يدخلنها والنهي عن الدخول للمسكين نهي لهم عن تمكينه منه أي لا تمكنوه من الدخول حتى يدخل كقولك لا أرينك ههنا * الحرد من حاردت السنة اذا منعت خيرها وحاردت الابل اذا منعت ردها والمعنى وغدوا قادرين على تكدا غير عاجزين عن المنع بعني أنهم عزموا أن يتكدوا على المساكين ويحرموهم وهم قادرون على نعمهم فغدوا يحالفون فقر وذهاب مال لا يقدرون فيها على الاعلى التكد والحرمان وذلك أنهم ظنوا حرمان المساكين فثقل الحرمان والمسكنة أو وغدوا على محاردة جنتهم وذهاب خيرها قادرين بدل كونهم قادرين على اصابة خيرها ومنافعها أي غدوا حاصلين على الحرمان مكان الانتفاع وأما قالوا أغدوا على حرثكم وقد خبثت نيتهم عاقبهم الله بان حاردت جنتهم وحرمت خيرها فلم يغدوا على حرث وانما اغدوا على حردو (قادرين) من عكس الكلام للتهكم أي قادرين على ما عزموا عليه من الصرام وحرمان المساكين وعلى حرد اسم بمنزلة قادرين وقيل الحرد بمعنى الحرد قرئ على حردا أي لم تقدر والاعلى سخط وغضب بعضهم على بعض كقوله تعالى يتلاومون وقيل الحرد القصد والسرعة يقال حردت حردك وقال

أقبل سيل جاء من أمر الله * يحرد حرد الجنة المغله

وقطا حرد سراع يعني وغدوا قاصدين الى جنتهم بسرعة ونشاط قادرين عند أنفسهم يقولون نحن نقصد على صرامها وزي سنفتها عن المساكين وقيل حردوا للجنة أي غدوا الى تلك الجنة قادرين على صرامها عند أنفسهم أو مقدرين أن يتم لهم مرادهم من الصرام والحرمان (قالوا) في بديهة وصولهم (انا لضالون) أي ضللنا جنتنا وما هي بها لما رأوا من هلاكها فلما تأملوا وعرفوا أنها هي قالوا (بل نحن محرومون) حرمنا خيرها لحقنا بتنا على أنفسنا (أوسطهم) أعدلهم وخيرهم من قولهم هو من وسط قومه وأعطى من سطات مالك ومنه قوله تعالى أمة وسطا (لولا تسبحون) لولا تذكرون الله وتتوبون اليه من خبث نيتكم كان أوسطهم قال لهم حين عزموا على ذلك اذكروا الله واستقامه من الجرمين وتوبوا عن هذه العزيمة الخبيثة من فورهم وسارعوا الى حسم شرها قبل حلول النقمة فعصوه فعبرهم والدليل عليه قولهم سبحان ربنا انا كنا ظالمين فتكلموا بما كان يدعوهم الى التكلم به على أثر مفارقة الخطيئة ولكن بعد خراب البصرة وقيل المراد بالتسبيح والاستثناء لا لتقائهما في معنى التعظيم لله لان الاستثناء تفويض اليه والتسبيح تنزيه له وكل واحد من التفويض والتنزيه تعظيم وعن الحسن هو الصلاة كأنهم كانوا يتوانون في الصلاة والا لنهاهم عن الفحشاء والمنكر ولكانت لهم لطفا أن يستثنوا ولا يحرموا (سبحان ربنا) يعجبوا الله وينزهوه عن الظلم وعن كل قبيح ثم اعترفوا بظلمهم في منع المعروف وترك الاستثناء (يتلاومون) يلوم بعضهم بعضا لان منهم

مصحين أن اغدوا على حرثكم ان كنتم صارمين فانطلقوا وهم يتخافتون أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين وغدوا على حرد قادرين فلما رأوها قالوا انا لضالون بل نحن محرومون قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين

*قوله تعالى مالكم كيف تحكمون (٤٨٢) أم لكم كتاب فيه تدرسون ان لكم فيه لما تخيرون (قال هذا خطاب على وجه الالتفات لاهل مكة اذا عقدوا انهم فى الآخرة أكثر نعيما من المؤمنين الخ)

عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها انا الى ربنا راغبون كذلك العذاب ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم أفنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون أم لكم كتاب فيه تدرسون ان لكم فيه لما تخيرون أم لكم أيمان علينا بالغة الى يوم القيامة ان لكم لما تحكمون سلهم أيهم بذلك زعيم أم لهم شركاء فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم

قال أحمد ولما كان الدرس قولا كسرها * قوله أم لكم أيمان علينا بالغة الى يوم القيامة (قال) فيه تعلق الى يوم القيامة بالمقدر فى الظرف أى هى ثابتة لكم علينا الى يوم القيامة لا تخرج عن عهدها وتنتهى اليه وأفرد لم يطل منهيين الى أن يحصل المقسم عليه

من تبين ومنهم من قبل ومنهم من أمر بالكف وعذر ومنهم من عصى الآمر ومنهم من سكت وهو راض (أن يبدلنا) قرئ بالتشديد والتخفيف (انا الى ربنا راغبون) طالبون منه الخير راجون لعفوه (كذلك العذاب) مثل ذلك العذاب الذى بلونا به أهل مكة وأصحاب الجنة عذاب الدنيا (ولعذاب الآخرة) أشد وأعظم منه وسئل قتادة عن أصحاب الجنة أهم من أهل الجنة أم من أهل النار فقال لقد كلفتنى تعبا وعن مجاهد تأولا فأبدلوا خيرا منها وروى عن ابن مسعود رضى الله عنه بلغنى أنهم أخلصوا وعرف الله منهم الصدق فأبدلهم بها جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا (عند ربهم) أى فى الآخرة (جنات النعيم) ليس فيها الا التنعم الخالص لا يشوبه ما ينغصه كما يشوب جنان الدنيا * كان مسند ديلم عن قريش يرون وفور حظهم من الدنيا وقلة حظوظ المسلمين منها فاذا سمعوا بحديث الآخرة وما عد الله للمسلمين قالوا ان صح أنا سبقت كانزعم محمد ومن معه لم تكن ما لهم وحالنا الا مثل ما هى فى الدنيا والا لم يزيوا علينا ولم يفضلونا وأضعى أمرهم أن يساوونا فقيل أفنجعل المسلمين كالكافرين * ثم قيل لهم على طريقة الالتفات (مالكم كيف تحكمون) هذا الحكم الأعوج كأن أمر الجزاء مفوض اليكم حتى تحكموا فيه بما شئتم (أم لكم كتاب) من السماء (تدرسون) فى ذلك الكتاب ان ما تختارونه وتشتهونه لكم كقوله تعالى أم لكم سلطان مبين فأتوا بكتابكم والاصل تدرسون أن لكم ما تخيرون بفتح أن لانه مدروس فلما حذفت اللام كسرت ويجوز أن تكون حكاية للمدروس كما هو كقوله وتركنا عليه فى الآخرين سلام على نوح فى العالمين * وتخير الشئ واختاره أخذ خيره ونحوه تخصل واتخصل اذا أخذ صفوله * (أيمان علينا) كأيمان حلفت منه وحلفت له على الوفاء به يعنى أم ضمنا منكم وأقسمنا لكم بأيمان مغلظة متناهية فى التوكيد (فان قلت) بم يتعلق (الى يوم القيامة) (قلت) بالمقدر فى الظرف أى هى ثابتة لكم علينا الى يوم القيامة لا تخرج عن عهدها الا بموئدا أحكمنا كم وأعطيناكم ما تحكمون ويجوز أن يتعلق ببالغة على أنها تبلغ ذلك اليوم وتنتهى اليه وافرد لم يطل منهيين الى أن يحصل المقسم عليه من التحكيم وقرأ الحسن بالغة بالنصب على الحال من الضمير فى الظرف (ان لكم لما تحكمون) جواب القسم لان معنى أم لكم أيمان علينا أم أقسمنا لكم (أيهم بذلك) بالحكم (زعيم) أى قائم به وبالاحتجاج لصحته كما يقوم الزعيم المتكلم عن القوم المتكفل بأمورهم (أم لهم شركاء) أى ناس يشاركونهم فى هذا القول ويوافقونهم عليه ويذهبون مذهبهم فيه (فليأتوا بهم) ان (كانوا صادقين) فى دعواهم يعنى أن أحدا لا يسلم لهم هذا ولا يساعدهم عليه كما أنه لا كتاب لهم ينطق به ولا عهد لهم به عند الله ولا زعيم لهم يقوم به * الكشف عن الساق والابداء عن الخدام مثل فى شدة الامر وصعوبة الخطب وأصله فى الروع والهزيمة وتشمير المخدرات عن سوقهن فى الهرب وابدا عند اسمعون عند ذلك قال حاتم

أخو الحرب ان عضت به الحرب عضها * وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا

وقال ابن الزبعرى

تذهل الشيخ عن بنيه وتبدى * عن خدام العقيلة العذراء

فمعنى (يوم يكشف عن ساق) فى معنى يوم يشتد الامر ويتفاقم ولا كشف ثم ولا ساق كما تقول للرقطع الشجيع يده صفر لولا يد ثم ولا غل ولا هو مثل فى البخل وأما من شبه فلضيق عطنه وقلة نظره فى علم البيان والذى غره منه حديث ابن مسعود رضى الله عنه يكشف الرحمن عن ساقه فأما المؤمنون فيخرون سجدا وأما المنافقون فتكون ظهورهم طبقا واحدا كلما أرادوا السجود خروا على وجوههم وهذا حديث شديد أمر الرحمن وبتفاقم هوله وهو الفزع الاكبر يوم القيامة ثم كان من حق الساق أن تعرف على ما ذهب اليه المشبه لانها ساق مخصوصة معهودة عنده وهى ساق الرحمن (فان قلت) فلم جاءت منكرة فى التمثيل (قلت) للدلالة على ان أمرهم فى الشدة منكر خارج عن المألوف كقوله يوم يدع الداع الى شئ نكر كأنه قيل يوم يقع أمر فظيع هائل ويحكى هذا التشبيه عن مقاتل وعن أبى عبيدة خرج من خراسان رجلان أحدهما شبه حتى مثل وهو مقاتل بن سليمان

والآخر

والآخر فاق حتى عطل وهو جهم بن صفوان ومن أحس بعظم مضار تقدم هذا العلم علم مقدار عظم منافعه وقرئ يوم تكشف بالتون وتكشف بالتاء على البناء للفاعل والمفعول بيعار الفعل للساعة أو للحال أي يوم تشتد الحال أو الساعة كما تقول كشفت الحرب عن ساقها على المجاز وقرئ تكشف بالتاء المضمومة وكسر الشين من أكشف اذا دخل في الكشف ومنه أكشف الرجل فهو مكشاف اذا انقلبت شفته العليا وانتصب الظرف بفليأتوا أو باضمار اذكر أو يوم يكشف عن ساق كان كيت وكيت فحذف للتهويل البليغ وان ثم من الكوائن بالاوصف لعظمه * عن ابن مسعود رضي الله عنه تعظم أصلابهم أي ترد عظاما بلا أعصاب فصل لا تثنى عند الركوع وانخفض وفي الحديث وتبقى أصلابهم فيظهر احدا أي فقارة واحدة (فان قلت) لم يدعون الى السجود ولا تكليف (قلت) لا يدعون اليه تعبدا وتكليفا ولكن توبيخا وتنديما على تركهم السجود في الدنيا مع اعتدام أصلابهم والحيلولة بينهم وبين الاستطاعة تحسيرا لهم وتنديما على ما فرطوا فيه حين دعوا الى السجود وهم سالمون الاصلاب والمفاصل ممكنون من احوط العمل ثبجا معبدوابه * يقال ذريني واياه يريدون كله الى فاني أكفيكه كأنه يقول حسبك اتقاءه أن تشكل أمره الى وتخلي بيني وبينه قالي عالم ما يجب أن يفعل به مطيق له والمراد حسبي المجال بالذين يكذبون بالقرآن فلا تشغل قلبك بشأنه وتوكل علي في الانتقام منه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديدا للمكذبين * استدرجه الى كذا اذا استنزله اليه درجة فدرجة حتى يورطه فيه واستدراج الله العبد أن يرزقهم الصحة والنعمة فيصلوا رزق الله درجة درجة ويتمادوا الى الازدياد الكفر والمعاصي (من حيث لا يعلمون) أي من الجهة التي لا يشعرون أنه استدراج وهو الانعام عليهم لانهم يحسبونه ايثارا لهم وتفضيلا على المؤمنين وهو سبب هلاكهم (وأملي لهم) وأمهلهم كقوله تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما لكونه في صورة الكيد حيث كان سببا للتورط في الهلاك ووصفه بالمتانة لقوة أثر احسانه في التسبب للهلاك المتوخم العاقبة أي لم تطلب منهم على النهاية والتعليم أجرا فيثقل عليهم حمل الغرامات في أموالهم فيثبطهم ذلك عن الايمان (أم عندهم الغيب) أي اللوح (فهم يكتبون) منه ما يحكمون به (لحكم ربك) وهو امهالهم وتأخير نصرتك عليهم (ولا تكن كصاحب الحوت) يعني يونس عليه السلام (اذ نادى) في بطن الحوت (وهو مكظوم) مملوء غيظا من كظم السقاء اذا ملأه * والذي لا يوحد منك ما وجد منه من الضجر والمعاصبة فيبتلى بلائه * حسن تذكير النعمة لفضل الضمير في تداركه وقرأ ابن عباس وابن مسعود تداركته وقرأ الحسن تداركه أي تداركه على حكايتها الحال الماضية يعني لولا أن كان يقال فيه تداركه كما يقال كان زيد يصوم فنعمه فلان أي كان يقال فيه يصوم والمعنى كان متوقعا منه القيام ونعمة ربه أن أنعم عليه بالتوفيق للتوبة وتاب عليه وقد اعتمد في جواب لولا على الحال أعني قوله (وهو مذموم) يعني أن حاله كانت على خلاف الذم حين نبذ بالعراء ولولا توبته لكانت حاله على الذم دوي أنها نزلت بأسد حين خسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حل به فأراد أن يدعو على الذين أنهزموا وقيل حين أراد أن يدعو على ثقيف وقرئ نعمة من ربه (فاجتباه ربه) فجعله اليه وقربه بالتوبة عليه كما قال ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى (فجعله من الصالحين) أي من الانبياء وعن ابن عباس رد الله اليه الوحي وشفعه في نفسه وقومه * ان مخففة من الثقيلة واللام عليها وقرئ ليزلقونك بضم الياء وفتحها وزلقه وأزلقه نسعه مني ويقال زلق الرأس وأزلقه حلقه وقرئ ليزهقونك من زهقت نفسه وأزهقتها يعني أنهم من شدة تحديقهم ونظرهم اليك شزرا بعيوب العداوة والبغضاء يكادون يزلون قدمك أو يهلكونك من قولهم نظر اليّ نظرا يكاد يصرعني ويكاد يأكلني أي لو أمكنه بنظره الصرع أو الاكل افعله قال

يتقارضون اذا التقوا في موطن * نظرا يزل مواطئ الاقدام

من حيث لا يعلمون وأملي لهم ان كيدي متين أم تسألهم اجرا فهم من مغرم مثقلون أم عندهم الغيب فهم يكتبون فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم فاجتباه ربه فجعله من الصالحين وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم

وقيل كانت العين فى بنى أسد فكان الرجل منهم يجوع ثلاثة أيام فلا يعرب شيئ فيقول فيه لم أر كاليوم مثله الا عانه فأريد بعض العيانين على أن يقول فى رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ذلك فقال لم أر كاليوم رجلا فصمه الله وعن الحسن دواء الاصابة بالعين أن تقرأ هذه الآية (لما سمعوا الذكر) أى القرآن لعلكوا أنفسهم حسدا على ما أوتيت من النبوة (ويقولون انه لمجنون) حيرة فى أمره وتدفيرا عنه والا فقد علموا أنه أعقلهم والمعنى أنهم جننوه لاجل القرآن (وما هو الا ذكر) وموعظة (للعالمين) فكيف يجفن من جاء بمثله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القلم أعطاه الله ثواب الذين حسن الله أخلاقهم

﴿سورة الحاقة احدى وخمسون آية وهى مكية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الحاقة) الساعة الواجبة الوقوع الثابتة المجيء التى هى آتية لا ريب فيها أو التى فيها حواق الامور من الحساب والثواب والعقاب أو التى تحق فيها الامور أى تعرف على الحقيقة من قولك لا أحق هذا أى لا أعرف حقيقته جعل الفعل لها وهو لاهلها وارتفاعها على الابتداء وخبرها (ما الحاقة) والاصل الحاقة ما هى أى أى شئ هى تفخيما لشأنها وتعظيما لهولها فوضع الظاهر موضع الضمير لانه أهول لها (وما أدراك) وأى شئ أعلمك ما الحاقة يعنى أنك لا علم لك بكنهها ومدى عظمها على أنه من العظم والشدة بحيث لا يبلغه دراية أحد ولا وهمه وكيفما قدرت حالها فهى أعظم من ذلك وما فى موضع الرفع على الابتداء وأدراك معلق عنه لتضمنه معنى الاستفهام ﴿القارعة التى تقرع الناس بالافزاع والاهوال والسماء بالانشقاق والانفطار والارض والجبال بالدك والنسف والخسوف والانكدار ووضعت موضع القيامة لتدل على معنى الفزع فى الحاقة زيادة فى وصف شدتها ولذا كررها وفخمها أتبع ذكر ذلك ذكر من كذب بها وحل بهم بسبب التكذيب تذكيرا لاهل مكة وتخويفا لهم من عاقبة تكذيبهم (بالطاغية) بالواقعة المجاوزة للحد فى الشدة واختلف فيها فقيل الرجفة وعن ابن عباس الصاعقة وعن قتادة بعث الله عليهم صيحة فأهلكتهم وقيل الطاغية مصدر كالعافية أى بطغيانهم وليس بذاك لعدم المطابقة بينها وبين قوله (بريح صرصر) والصرصر الشديدة الصوت لها صرصرة وقيل الباردة من الصر كانها التى كرر فيها البرد وكثر فهى تحرق شدة بردها (عاتية) شديدة العصف والعتو استعارة أو عتت على عاد فشاقتهم واعيت رواضها جبابرتهم استكبارا أو ليأد تجعل أو اختفاء فى حفرة فانها كانت تنزعهم من مكامنهم وتهلكهم وقيل عتت على خزانها فخرجت بلا كيل ولا وزن وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرسل الله شيئا من ريح الا بمكيال ولا قطرة من مطر الا بمكيال الا يوم عاد ويوم نوح فان الماء يوم نوح طغى على الخزان فلم يكن لهم عليه سبيل ثم قرأ انا لما طغى الماء حملناكم فى الجارية وان الريح يوم عاد عتت على الخزان فلم يكن لهم عليها سبيل ثم قرأ بريح صرصر عاتية ولعلها عبارة عن الشدة والافراط فيها لا يخلو من أن يكون جمع عاس كشهود وقعود أو مصدرا كالشكور والكفور فان كان جمعا فمعنى قوله حسوما نحسات حسمت كل خير واستأصلت كل بركة أو متتابعة هبوب الرياح ما خفتت ساعة حتى أتت عليهم تشبيلا لتتابعها بتتابع فعل الحاسم فى اعادة الكى على الداء كرة بعد أخرى حتى يحسم وان كان مصدرا فاما أن ينتصب بفعله مضمرا أى تحسم حسوما يعنى تستأصل استئصالا أو يكون صفة كقولك ذات حسوم أو يكون مفعولا له أى سخرها عليهم للاستئصال وقال عبد العزيز بن زرارة الكلابى

فغودر بين بيتهم زمان * تتابع فيه أعوام حسوم

وقرأ السدى حسوما بالفتح حالا من الريح أى سخرها عليهم مستأصلة وقيل هى أيام العجوز وذلك ان عجوزا من عاد توارت فى سرب فانتزعتها الريح فى اليوم الثامن فأهلكتها وقيل هى أيام الهجر وهى آخر الشتاء واسماؤها الصن والصنبر والوبر والامر والمؤتر والمعلل ومطفئ الجمر وقيل مكفئ الظعن ومعنى (سخرها عليهم) سلطها عليهم كاشاء (فيها) فى مهابها أو فى الليالى والايام ﴿وقرئ أعجاز نخيل (من باقية) من بقية أو من

لما سمعوا الذكر ويقولون انه لمجنون وما هو الا ذكر للعالمين

﴿سورة الحاقة مكية وهى احدى وخمسون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة كذبت ثمود وعاد بالقارعة فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية وجاء فرعون

(القول فى سورة الحاقة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿قوله تعالى الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة (قال) معناه الحاقة ما أدراك ما هى تعظيما لها وتفخيما الخ

نفس باقية أو من بقاء كالطاغية بمعنى الطغيان (ومن قبله) بريد ومن عنده من تباعه وقرئ ومن قبله أي ومن تقدمه وقد مضت الاولى قراءة عبد الله وأبي ومن معه وقراءة أبي ومن تلقاء (والمؤتفكات) قرئ قوم لوط (بالخاطئة) بالخطأ أو بالفعلة أو الافعال ذات الخطء العظيم (رابية) شديدة زائدة في الشدة تزايدت قبائحهم في القبح يقال ربا الشيء يربو اذا زاد (لما طغى الماء) تجاوز حده وعلا كل شيء (حملناكم) حملنا آباءكم (في الجارية) في سفينة نوح لانهم اذا كانوا من نسل المحمولين الناجين كان حمل آبائهم منة عليهم وكانهم هم المحمولون لان نجاتهم بسبب ولادتهم (لنجعلها) الضمير للفعلة وهي نجاة المؤمنين واغراق الكفرة (تذكرة) عظة وعبرة (أذن واعية) من شأنها أن تعي وتحفظ ما سمعت به ولا تنسى به بترك العمل وكل ما حفظته في نفسك فقد وعيته وما حفظته في غير نفسك فقد أوعيته كقولك أوعيت المتاع في الطرف وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لعلي رضي الله عنه عند نزول هذه الآية سألت الله أن يجعلها أذنك يا علي قال علي رضي الله عنه فما نسيت شيأ بعد وما كان لي أن أنسى (فان قلت) لم قيل أذن واعية على التوحيد والتنكير (قلت) للذيذان بأن الوعاة قليل ولتوبيخ الناس بقلتهم من حيث هم وللدلالة على أن الاذن الواحدة اذا وعت وعقلت عن الله فهي اذن واعية الاعظم عند الله وأن ما سواها لا يبالى بهم بالة وان ملؤ اما بين الخافقين وقرئ وتعيها بسكون العين للتخفيف شبه تعي بكبد * أسند الفعل الى المصدر وحسن تذكيره للفصل * وقرأ أبو السمال نفخة واحدة بالنصب مسندا الفعل الى الجار والمجرور (فان قلت) هما نفختان فلم قيل واحدة (قلت) معناه أنهما اللتان في قولها (فان قلت) فأي النفختين هي (قلت) الاولى لان عندها فساد العالم وهكذا الرواية عن ابن عباس وقد روي عنه أنها الثانية (فان قلت) أما قال بعد ومئذ تعرضون والعرض انما هو عند النفخة الثانية (قلت) جعل اليوم اسما للحين الواسع الذي تقع فيه النفختان والبعثة والنشور والوقوف والحساب فذلك قيل يومئذ تعرضون كما تقول جئتك عام كذا وانما كان مجيئك في وقت واحد من أوقاته (وحملت) ورفعت من جهاتها بريح بلغت من قوة عصفها أنها اقتلعت الارض والجبال أو خلق من الملائكة أو بقدرة الله من غير سبب * وقرئ وحملت بتشديد الحاء وهو أحد الثلاثة (فدكتا) فدكت الجبلان حملة الارض وحملة الجبال فضرب بعضها ببعض حتى تندق وترجع كثيبا مهيلا وهباء منبثا والدك أبلغ من الدق وقيل فبسطتا بسطة واحدة فصارتا أرضا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا من قولك ناقة دكاء للتي لا سنام لها اذا ركبت الفرش وبعيرا دك وناقة دكاء ومنه الدكان (فيومئذ وقعت الواقعة) جيء بثلاثة ظروف النازلة وهي القيامة (واهية) مسترخية ساقطة القوى جدا بعدما كانت محكمة متماسكة * يريد والخلق الذي يقال له الملك رد اليبس الصغير بمعنى في قوله فوقهم على العلي (فان قلت) ما الفرق بين قوله والملك وبين أن يقال والملائكة (قلت) الملك أعم من الملائكة الا ترى أن قولك ما من ملك الا وهو شاهد أعم من قولك ما من ملائكة (على أرجائها) على نواحيها الواحد رجا مقصورا يعني أنها تنشق وهي ممسكة الملائكة فينضمون الى أطرافها وما حولها من حافاتها (ثمانية) اي ثمانية منهم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم هم اليوم أربعة فاذا كان يوم القيامة أيدهم الله بأربعة آخرين فيكونون ثمانية وروي ثمانية أملاك أرجلهم في تخوم الارض السابعة والعرش فوق رؤسهم وهم مطرقون مسجون وقيل بعضهم على صورة الانسان وبعضهم على صورة الاسد وبعضهم على صورة النور وبعضهم على صورة النسر وروي ثمانية أملاك في خلق الاوعال مابين أظلافها الى ركبها مسيرة سبعين عاما وعن شهر بن حوشب أربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك وأربعة يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك وعن الحسن الله أعلم كم هم ثمانية أم ثمانية آلاف وعن الضحاك ثمانية صفوف لا يعلم عددهم الا الله ويجوز أن تكون الثمانية من الروح أو من خلق آخر فهو أقدر على كل خلق سبحان الذي خلق الاواخ كلها ما تنبت الارض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون * العرض عبارة عن المحاسبة والمسألة شبه ذلك بعرض السلطان العسكر لتعرف أحوالهم وروي أن في يوم القيامة ثلاث عرصات فأما عرصتان فاعتذار واحتجاج وتوبيخ وأما الثالثة فتطاير الكتب فيأخذ الكافر كتابه بشماله من وراء ظهره والمسلم كتابه بيمينه (خافية) سريرة وحال كانت تخفى في الدنيا يستر الله

ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة وانشقت السماء فهي يومئذ واهية والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية

* قوله تعالى فيومئذ وقعت الواقعة (قال فيه يقال وعيته أي حفظته في نفسك الخ) قال أحمد هو مثل قوله والنهار تبصرا فأقدمت لغد وقد مضى ذكر ابن عائذة التذكير والتوحيد فيه الاشعار بقلة الناظرين * قوله وتعيها لي فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة (قال فيه ان قلت لم قال واحدة وهما نفختان الخ) قال أحمد وانما قالت الانصار بعظم هذه النفخة ان المؤثر لذلك الارض والجبال وخراب العالم بي وحدها غير محتاجة الى أخرى * قوله تعالى والملك على أرجائها وقال) أي على حافاتها لانها تنشق فتمتد الملائكة الذين هم سكانها الى أذيالها الخ قال

أحد كلا هما معرف تعريف الجنس قالوا حد واجمع سواء في العموم * عاد كلامه (قال وحق هذه الهاآت يعني في كتابيه وحسابيه وسلطانيه الخ) قال أحمد تعليل القراءة باتباع المصحف عجيب مع ان المعتمد الحق ان القراآت السبع بتفاصيلها منقولة تواترا عن النبي صلى الله عليه وسلم فالذي أثبت (٤٨٦) الهاء في الوصل انما أثبتها من التواتر عن قراءة النبي صلى الله عليه وسلم آيها كذلك قبل أن

عليكم (فأما) تفصيل للعرض * هاء صوت يصوت به فنهم منه معنى خذ كاف وحص وما شبه ذلك و (كتابيه) منصوب بهاؤم عند الكوفيين وعند البصريين باقرؤا لانه أقرب العاملين وأصله هاؤم كتابي اقرؤا كتابي فحذف الاول لدلالة الثاني عليه ونظيره آتوني أفرغ عليه قطرا قالوا ولو كان العامل الاول لقيل اقرؤه وأفرغه والهاء للسكت في كتابيه وكذلك في حسابيه وسلطانيه وحق هذه الهاآت أن تثبت في الوقف وتسقط في الوصل وقد استحب ابتدار الوقف ابتدار الثبات الثبات في المصحف وقيل لا بأس بالوصل والاسقاط وقرأ ابن محيصن باسكان الياء بغير هاء وقرأ حمزة بإثبات الهاء في الوصل والوقف جميعا لاتباع المصحف (ظننت) علمت وانما أجرى الظن مجرى العلم لان الظن الغالب يقام مقام العلم في العادات والاحكام ويقال اظن ظنا كاليقين أن الامر كيت وكيت (راضية) منسوبة الى الرضا كالدارع والنابل والنسبة تستبان نسبة بالحرف ونسبة بالصيغة أو جعل الفعل لها مجازا أو هو لصاحبها (عالية) من نفعة المكان في السماء أو رفعة الدرجات أو رفيعة المباني والقصور والاخبار (دانية) يتناولها القاعد والنائم يقال لهم (كلوا واشربوا هنيئا) أكلا وشربا هنيأ أو هنيتم هنيأ على المصدر (بما أسلفتم) بما قدمتم من الاعمال الصالحة (في الايام الخالية) الماضية من أيام الدنيا وعن مجاهد أيام الصيام أي كلوا واشربوا بدل ما أمسكتم عن الاكل والشرب لوجه الله وروي يقول الله عز وجل يا أوليائي طالما نظرت اليكم في الدنيا وقد طعمت شفاهكم عن الاشربة وغارت أعينكم وخمصت بطونكم فكونوا اليوم في نعيمكم وكلوا واشربوا هنيأ بما أسلفتم في الايام الخالية * الضمير في (ياليتها) للموتة يقول يا ليت الموتة التي متها (كانت القاضية) أي القاطعة لامري فلم أبعث بعدها ولم ألق ما ألقى أو للحالة أي ليت هذه الحالة كانت الموتة التي قضت علي لا انه رأى تلك الحالة أشنع وأفظع مما ذاقه من مرارة الموت وشدته فتمناه عندها (ما أغنى) نفي أو استفهام على وجه الانكار أي أي شيء أغنى عني ما كان لي من اليسار (هلك عني سلطانيه) ملكي وتسلطي على الناس وبقيت فقيرا ذليلا وعن ابن عباس أنها نزلت في الاسود بن عبد الاشد وعن قتادة هو الرجل المقعد أعضاؤه كلها قال

عضد الدولة وابن ركنها * ملك الاملاك غلاب القدر

لم يعلم بعده وجن فكان لا ينطق لسانه الا بهذه الآية وقال ابن عباس ضلت عني حجتي وسعاده بطلت حتى التي كنت أحتج بها في الدنيا (ثم الجحيم صلوه) ثم لاتصلوه الا الجحيم وهي النار العظمى لانه كان سلطانيا يتسلط على الناس بقال صلى النار وصلاه النار سلكه في السلسلة أو تلوى على جسده حتى تلتف عليه التواءها وهو فيها يشوى على مضيق عليه لا يتمكن على حركة * وجعلها سبعين ذراعا ارادة الوصف بالطول كما قال ان تستغفر لهم سبعين مرة يريد مرات كثيرة لانها اذا طالت كان الارهاق أشد والعنى في تقديم السلسلة على السلك مثله في تقديم الجحيم على التصلية أي لا تسلكوه الا في هذه السلسلة كأنها أفظع من سائر مواضع الارهاق في الجحيم ومعنى ثم الدلالة على تفاوت ما بين الفعل والتصلية بالجحيم وما بينها وبين السلك في السلسلة لا على تراخي المدة (انه) تعليل على طريق الاستئناف وهو أبلغ كأنه قيل ما باله يعذب هذا العذاب الشديد فأجيب بذلك وفي قوله (ولا يحض على طعام المسكين) دليلان قويان على عظم الجرم في حرمان المسكين أحدهما عطفه على الكفر وجعله قرينته والثاني ذكر الحض دون الفعل ليعلم أن تارك الحض هذه المنزلة فكيف بتارك الفعل وما أحسن قول القائل

اذا نزل الاضياف كان عذورا * على الحي حتى تستقل مراجله

يريد يحضهم على القرى ويستحثهم وتشاكس عليهم وعن أبي الدرداء أنه كان يحض امرأته على تكثير المرق

فلما حض أوقى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه اني ظننت أني ملاق حسابيه فهو في عيشة راضية في جنة عالية قطوفها دانية كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الايام الخالية وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه يا ليتها كانت القاضية ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه انه كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين فليس له اليوم

لا يبقى فتى بابه غاله * ذريعه لي ساهوا كبر منه
ولقد سرت بين وبين النجم أبي عمرو رحمه الله معترضة في قوله ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه على قراءة حفص انتهت الى ان ألزم الرد على من أثبت الهاء في الوصل في كلمات سورة الحاقة لاني حجته باثبات القراء المرف

الشاهير فلما كذلك عقبت من رد ذلك ما فهمه من كلام الزمخشري هنا ولم أقبله منه رحمه الله فتراجع عنه وكانت هذه المعاوضة بكتابته بيني وبينه وهي آخر ما كتب من العلوم على ما أخبرني به خاصته وذلك صحيح لانها كانت في أوائل عمره رحمه الله والله أعلم

الرفق لاجل المساكين وكان يقول خلقنا نصف السلسلة بالاعيان أى لا نطيق نصفها الآخر وقيل هو مثل الكفار وقومهم أنظمهم من لو شاء الله أطعمه * والمعنى على بذل طعام المساكين (حميم) قريب يدفع عنه ويحزن عليه لانهم يتحاسونه ويفرون منه كقوله ولا يسأل حميم حميما وقيل نسأله أهل النار وما يسيل من أبدانهم من الصديد والدم فعلين من الغسل (الخاطئون) الآثمون أصحاب الخطايا وخطئ الرجل اذا تعمد الذنب وهم المشركون عن ابن عباس وقرئ الخاطيون بابدال الهمزة ياء والخاطون بطرحها وعن ابن عباس ما الخاطون كلنا نخطو وروى عنه أبو الاسود الدؤلى ما الخاطون انما هو الخاطئون ما الصابون انما هو الصابئون ويجوز أن يراد الذين يخطون الحق الى الباطل ويتعدون حدود الله * وهو اقسام بالاشياء كلها على الشمول والاحاطة لانها لا تخرج من قسمين مبصر وغير مبصر وقيل الدنيا والآخرة والاجسام والارواح والانس والجن والخلق والخالق والنعم الظاهرة والباطنة ان هذا القرآن (لقول رسول كريم) أى يتلوه ويتكلم به على وجه الرسالة من عند الله (وما هو بقول شاعر) ولا كاهن كما تدعون والقلة في معنى العدم أى لا تؤمنون ولا تذكرون والتذكر المعنى ما أكثر كم وما أقلكم (تنزيل) هو تنزيل يبانه لانه قول رسول نزل عليه (من رب العالمين) وقرأ أبو السمال نتزيلا أى نزل تنزيلا وقيل الرسول الكريم جبريل عليه السلام وقوله وما هو بقول شاعر دليل على أنه محمد صلى الله عليه وسلم لان المعنى على اثبات أنه رسول لا شاعر ولا كاهن التقول افتعال القول لان فيه تكلفا من المتقول * وسمى الاقوال المتقولة أقاويل تصغيرا لها وتحقيرا كقولك الاعاجيب والاضاحيك كأنها جمع أقوولة من القول والمعنى ولو ادعى علينا شيأ لم نقله لتقدم صبرنا كما يفعل الملوك من يتكذب عليهم معاجلة بالسخط والانتقام فسوء قتل الصبر سوءته ليكون أهول وهو أن يؤخذ بيده وتضرب قيمته * وخص اليمين من اليسار لان القتال اذا أراد ان يوقع الضرب في قتاه أخذ يساره واذا أراد أن يوقعه في جيده مر أن يكفه بالسيف وهو أشد على المضروب لنظره الى السيف أخذ بيمينه ومعنى (لاخذنا منه باليمين) لاخذنا منه باليمين كان قوله (لقطعنا منه الوتين) قطعنا وتينه وهذا بين والوتين نياط القلب وهو حبل الوريد اذا قطع مات صاحبه * وقرئ ولو تقول على البناء للمفعول قيل (لما منكم) في وصف أحد دلالة في سعي الجماعة وهو أبلغ في النفي العام مستويا فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ومنه قوله تعالى لا نفرق بين أحد من رسله لمن كان أحد من النساء والضمير في عنه للقتل أى لا يقدر أحد منكم أن يحجز عن ذلك ويدفعه عنه أو لرسول الله أى لا تقدرون أن تحجزوا عنه القتل وتحولوا بينه وبين الخطاب الناس وكذلك في قوله تعالى (وانا لنعلم أن منكم مكذبين) وهو ايعاد على التكذيب وقيل الخطاب للمسلمين والمعنى ان منهم ناسا سيكفرون بالقرآن (وانه) الضمير للقرآن (لحسرة) على الكافرين به لمكذبين له اذا رأوا ثوابه المصدقين به أو للتكذيب وان القرآن ليقين حق اليقين كقولك هو العالم حق العالم والمعنى لعين اليقين وحق اليقين (فسبح) اللهذكر اسمه العظيم وهو قوله سبحان الله واجعله شكرا على ما أهلك له من ايجابه اليك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا

﴿سورة المعارج مكية وهى أربع وأربعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* ضمن سأل معنى دعا فعدى تعديته كأنه قيل دعا داع (بعذاب واقع) من قولك دعا بكذا اذا استدعاه وطلبه ومنه قوله تعالى يدعون فيها بكل فاكهة وعن ابن عباس رضى الله عنه هو النضر بن الحرث قال ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم فقيل هو بين الله صلى الله عليه وسلم استعجل بعذاب للكافرين وقرئ سأل سائل وهو على وجهين اما أن يكون من السؤال وهى لغة قريش يقولون سلت تسأل وهما تسيلان وأن يكون من السيلان ويؤيده قراءة ابن عباس سال سيل والسيل مصدر في معنى السائل كالغور بمعنى الغائر والمعنى اندفع عليهم وادى عذاب فذهب بهم وأهلكهم وعن قتادة بعذاب واقع (قال) فيه سأل بمعنى دعا لقوله يدعون فيها بكل فاكهة آمنين الخ

ههنا جميعا ولا طعام الا من غسلين لا يأكله الا الخاطئون فلا أقسم بما تبصرون وما لا (٤٨٧) تبصرون انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين وانه لتذكرة للمتقين وانا لنعلم أن منكم مكذبين وانه لحسرة على الكافرين وانه لحق اليقين فسبح باسم ربك العظيم

(سورة المعارج مكية وهى أربع وأربعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

سأل سائل بعذاب واقع

* قوله تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل (قال فيه التقول افتعال القول لان فيه تكلفا الخ) قال أحمد وجه افعوله من القول وهى معتل كالرى ضريب عن القياس النصريح ويحتمل أن تكون الاقاويل جمع الجمع كالاناسيم جمع أقوال وانعام وهو الظاهر والله أعلم

(القول في سورة المعارج)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى سأل سائل

سأل سائل عن عذاب الله على من ينزل وبمن يقع فنزلت وسأل عن هذا الوجه مضمن معنى عنى واهتم (فان قلت) بم يتصل قوله (للكافرين) (قلت) هو على القول الاول متصل بعذاب صفة له أى بعذاب واقع كائن للكافرين أو بالفعل أى دنا للكافرين بعذاب واقع أو بواقع أى بعذاب نازل لاجلهم وعلى الثانى هو كلام مبتدأ جواب للسائل أى هو للكافرين (فان قلت) فقوله (من الله) بم يتصل (قلت) يتصل بواقع أى واقع من عنده أو بدافع يعنى ليس له دافع من جهته اذا جاء وقته وأوجبت الحكمة وقوعه (ذى المعارج) ذى المصاعد جمع معرج ثم وصف المصاعد وبعدد اهافى العلو والارتفاع فقال (تعرج الملائكة والروح اليه) فى عرشه وحيث تهبط منه أوامره (فى يوم كان مقداره) كمقدار مدة (خمسين ألف سنة) مما يعد الناس والروح جبريل عليه السلام أفرده لفضله وقيل الروح خلق هم حفظة على الملائكة كالأن الملائكة حفظة على الناس (فان قلت) بم يتعلق قوله (فاصبر) (قلت) بسأل سائل لان استعجال النضر بالعذاب لما كان على وجه الاستهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم والتكذيب بالوحى وكان ذلك مما يضجر رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بالصبر عليه وكذلك من سأل عن العذاب لمن هو واقع سأل على طريق التعنت وكان من كفار مكة ومن قرأ سأل سائل أو سيل فمعناه جاء العذاب لقرب وقوعه فاصبر فقد شارفت الانتقام وقد يجعل فى يوم من صلة واقع أى يقع فى يوم طويل مقداره خمسون ألف سنة من سنيكم وهو يوم القيامة اما أن يكون استطالة له لشدته على الكفار واما لانه على الحقيقة كذلك قيل فيه خمسون موطنا كل موطن ألف سنة وما قدر ذلك على المؤمن الا كالمين الظهر والعصر الضمير فى (يرونه) للعذاب الواقع أو ليوم القيامة فيمن علق فى يوم بواقع أى يستبعدونه على جهة الاحالة (و) نحن (نراه قريبا) هينا فى قدرتنا غير بعيد علينا ولا متعذر فالمراد بالبعيد البعيد من الامكان وبالقريب القريب منه نصب (يوم تكون) بقريبا أى يمكن ولا يتعذر فى ذلك اليوم أو باضمار يقع اذلا بد لواقع عليه أو يوم تكون السماء كالمهل كان كيت وكيت أو هو بدل عن فى يوم فمن علقه بواقع (كالمهل) كدردى الزيت وعن ابن مسعود كالفضة المذابة فى تلونها (كالعهن) كالصوف المصبوغ ألوانا لان الجبال جدد بيض وحمر ثم تختلف ألوانها وغرابيب سود فاذا بست وطيرت فى الجو أشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح (ولا يسئل حميم حميما) أى لا يسأله بكيف حالك ولا يكلمه لان بكل أحد ما يشغله عن المسائلة (يبصرونهم) أى يبصر الاحماء الاحماء فلا يخفون عليهم فما يمنعهم من المساءلة الا أن يعجزهم لا يبصرونهم فالتعريف يمنعهم التشاغل وقرئ يبصرونهم وقرئ ولا يسئل على البناء للمفعول أى لا يقال لهم أين حميمك ولا يطلب منه لانهم يبصرونهم ولا يحتاجون الى السؤال والطلب (فان قلت) ما موقع يبصرونهم (قلت) هو كلام مستأنف كأنه لما قال ولا يسأل حميم حميما قيل لعله لا يبصره فقيل يبصرونهم ولكنهم لشغلهم لم يتفكروا من تساؤلهم (فان قلت) لم جمع الضمير ان فى يبصرونهم وهما الحميمين (قلت) المعنى على العموم لكل حميم لاحميمين اثنين ويجوز أن يكون يبصرونهم صفة أى حميما مبصرين معرفين اياهم * قرئ يومئذ بالرفع والفتح على البناء للاضافة الى غير متمكن ومن عذاب يومئذ بتنوين عذاب ونصب يومئذ وانتصابه بعذاب لانه فى معنى تعذيب (وفصيلته) عشيرته الادنون الذين فصل عنهم (تؤويه) تضمه اليها انتماء اليها وايواذا بها فى النوائب (يخيه) عطف على يفتدى أى يود لو يفتدى ثم لو ينجيه الافتداء أو من فى الارض وثم لاستبعاد الانجاء يعنى انى لو كان هؤلاء جميعا تحت يده وبذلهم فى فداء نفسه ثم ينجيه ذلك وهيهات أن ينجيه (كلا) ردع للمجرم عن الوداده وتمنيه على انه لا ينفعه الافتداء ولا ينجيه من العذاب ثم قال (انها) والضمير للنار ولم يجر لها ذكر لان ذكر العذاب دل عليها ويجوز أن يكون ضمير امبهما ترجم عنه الخبر أو ضمير القصة و (للظى) علم للنار منقول من اللظى بمعنى اللهب ويجوز أن يراد اللهب و (نزاعة) خبر بعد خبر لان أو خبر اللظى ان كانت الهاء ضمير القصة أو صفة له ان أردت اللهب والتأنيث لانه فى معنى النار أو رفع على التهويل أى هى نزاعة وقرئ نزاعة بالنصب على الحال المؤكدة أو على انها استئنافية نزاعة أو على الاختصاص للتهويل * والشوى الاطراف أو جمع شواة وهى جلدة الرأس تنزعها فتأتى كما ثم تعاد (تدعوا) تحاجز عن احضارهم كانها

للكافرين ليس له دافع من الله ذى المعارج تعرج الملائكة والروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فاصبر صبرا جميلا انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن ولا يسئل حميم حميما يبصرونهم يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته وأخيه وفصيلته التى تؤويه ومن فى الارض جميعا ثم ينجيه كلا انها لظى نزاعة للشوى تدعوا

قوله تعالى ولا يسأل حميم حميما يبصرونهم الآية (قال فيه معناه يبصر الاصدقاء أصدقاءهم فيعرفونهم الخ) قال أحمد وفيه دليل على ان الفاعل والمفعول الواقعين فى سياق النفى هم كالمتلازمين فى المعنى والا لما صح ما ساقه من ادلة أنه عام فى المياه والادوات خلافا لما هم فى الادلة

قوله تعالى ان الانسان خلق هلوعا الآية (قال فيه سمل الانسان لا يثابره الجزع والمنع وربوبيتهما فيه كله الخ) قال أحمد هو يشرك باطنا
تنزه ظاهرا فيفيء كون الهلع الذي هو موجود الآدمي مخلوقا لله تعالى وتنزيهه الله عن ذلك وبثت خالفا مع الله وبقية الى عن اقتضاء نظم الآية
لذلك فانك اذا قلت بريت القلم فقد نسبت اليك الحال وهو ترقيقه كانسبة الدك البري وكذلك ٤٨٩ الآية وأما قوله والله لا ينام

تدعوهم فتحضر بسمعهم نحو قول ذي الرمة تدعو أنفه الريح وقوله ليالي اللهو يطبقني فأتبعه وقول أبي النجم تقول للرائد أعشبت انزل وقيل تقول لهم الى يا كافر يا منافق وقيل تدعو المنافقين والكافرين بلسان فصيح ثم تلتقطهم التقاط الحب فيجوز أن يخلق الله فيها كلاما يخاطبهم به بجلودهم وأيديهم وأرجلهم وكما خلقه في الشجرة ويجوز أن يكون دعاؤها الزبانية وقيل تدعو تم لك من قول العرب دعاك الله أي أهلكك قال دعاك الله من رجل بأفعى (من أدبر) عن الحق (وتولى) عنه (وجمع) المال فجعله في وعاء وكنزه ولم يؤد الزكاة والحقوق الواجبة فيه ونشاغل به عن الدين وزهى باقتنائه وتكبر أيبطر الانسان الناس فلذلك استثنى منه المصلين وهو الهلع سرعة الجزع عند مس المكروه وسرعة المنع عند مس الخير من قولهم ناقة هلواع سريعة السير وعن أحمد بن يحيى قال لي محمد بن عبد الله من ظاهر هذا الهلع فقلت قد فسره الله ولا يكون تفسير أبين من تفسيره وهو الذي اذا نالته شر أطير شدة الجزع واذا نالته خير بخل به ومنعه الناس * والخير المال والفنى والشر الفقر أو الحمة والمرض اذا صح الغنى منع المعروف وضم عياله واذا مرض جزع وأخذ يوصي والمعنى ان الانسان لا يثابره الجزع والمنع وتكلفه ما عنه وربوبيتهما فيه كما تجبول عليهما مطبوع وكأنه أمر خلقي وضروري غير اختياري كقوله تعالى خلق الانسان من عجل والدليل عليه أنه حين كان في البطن والمهد لم يكن يهلع ولا تذمم والله لا يذم فعله والدليل عليه استثناء المؤمنين الذين جاهدوا أنفسهم وحملوها على الصبر والتأبي عن الشهوات حتى لم يكونوا بهذا بعين ولا ماذمين وعن النبي صلى الله عليه وسلم شر ما أعطي ابن آدم شح هالع وجبن خالع (فان قلت) كيف قال (على صلاتهم دائمون) ثم على صلاتهم حافظون (قلت) معنى دوامهم عليها أن يواظبوا على أدائها لا يخلون بها ولا يشتغلون عنها بشيء من الشواغل كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أفضل العمل أدومه وان قل وقول عائشة كان عمله ديمة وتحافظتهم على أن يراعوا السباغ الوضوء لها وسواشتها وركوعها وسجودها واسقبالها وأدابها ويحفظوها من الاحباط بالاعتراض الماحي فالدوام يرجع الى أنفس الصلوات والمحافظة الى أحوالها (حق معلوم) هو الزكاة لانها مقدرة معلومة أو صدقة يوظفها الرجل على نفسه يؤديها في أوقات معلومة * السائل الذي يسأل (والمحروم) الذي يتعفف عن السؤال فيحسب غنيا فيحرم (يصدقون بيوم الدين) تصديقا بأعمالهم لتستعدادهم له ويشفقون من عذاب ربهم واعتراض بقوله (ان عذاب ربهم غير مأمون) أي لا ينبغي لاحد أن يأمن عذاب الله على الطاعة والاجتهاد ان يأمنه وينبغي أن يكون مترجحا بين الخوف والرجاء * قرئ بشهاداتهم وبشهاداتهم والشهادة من حملة الامانات وخصهما من بينها لفضلهما لان في اقامتهما احياء الحقوق وتصحيحها وفي تركهما تضييعها وابطالها * كان المشركون يحتفون حول النبي صلى الله عليه وسلم حلقا حلقا وفرقا فرقا يستهزؤن ويستهزؤن بكلامه ويقولون ان دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلنها قبلهم فنزلت (مهطعين) مسرعين نحوك مادي أعناقهم اليك محدقين بأبصارهم عليك (عزين) فرقا شتى جمع عزة وأصلها عزوة كأن كل فرقة تعتزي الى غير من تعتزي اليه الاخرى فهم مفترقون قال الكميت

ونحن وجندل باع تركنا * كنائب جندل شتى عزينا

وقيل كان المستهزؤن خمسة أرهط (كلا) ردع لهم عن طمعهم في دخول الجنة ثم علل ذلك بقوله (انا خلقناهم مما يعلمون) الى آخر السورة وهو كلام دال على انكارهم البعث فكأنه قال كلا انهم منكرون للبعث والجزاء

من أدبر وتولى وجمع أوعى ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا الا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم والذين يصدقون بيوم الدين والذين هم من عذاب ربهم مشفقون ان عذاب ربهم غير مأمون والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم قائمون والذين هم على صلاتهم يحافظون أولئك في جنات مكرمون فمال الذين كفروا قبلك مهطعين عن اليمين وعن الشمال عزين أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم كلا انا خلقناهم مما يعلمون فلا أقسم برب المشارق

والمغارب انا لقادرون على أن نبدل خيرا منهم وما نحن بمسبوقين فذرهم يخوضوا ويلعبوا

خلقه فالله تعالى له الحمد على كل حال وانما الملوم العبد بحجة انه جعل فيه اختيارا يفرق به بالصبر وربه بين الاختيارات والضروريات لله الحجة البالغة والله أعلم * قوله تعالى الذين هم على صلاتهم دائمون (قال أي لا يتركونها في وقت ولا يحبطونها الخ) قال أحمد حفظها من الاحباط نص عند أهل السنة على حفظها من الكفر خاصة فلا يحبط ما سواه خلافا للقدرية وقد تقدمت أمثالها والله أعلم

فمن أين يطمعون فى دخول الجنة (فان قلت) من أى وجه دل هذا الكلام على انكار البعث (قلت) من حيث انه احتجاج عليهم بالنشأة الاولى كالاحتجاج بها عليهم فى مواضع من التنزيل وذلك قوله خلقناهم مما يعلمون أى من النطف وبالقدرة على أن يهلكهم ويبدل ناسا خيرا منهم وأنه ليس بعسوق على مايريد تكوينه لا يعجزه شئ والغرض أن من قدر على ذلك لم تعجزه الاعادة ويجوز أن يراد انا خلقناهم مما يعلمون أى من النطفة المذرة وهى منتهم الذى لا منتصب أوضع منه ولذلك أبهم وأخفى اشعارا بانه منصب يستحيا من ذكره فمن أين يتشرفون ويدعون التقدم ويقولون لندخلن الجنة قبلهم وقيل معناه أنا خلقناهم من نطفة كما خلقنا بنى آدم كلهم ومن حكمنا أن لا يدخل أحدهم الجنة الا بالايمان والعمل الصالح فلم يطمع أن يدخلها من ليس له ايمان وعمل وقرئ برب المشرق والمغرب ويخرجون ويخرجون ومن الاجداث سراعا بالاظهار والادغام ونصب نصب وهو كل مانصب فعبد من دون الله (يوفضون) يسرعون الى الداعى مستبقين كما كانوا يستبقون الى أنصابهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سأل سائل أعطاه الله ثواب الذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون

﴿سورة نوح مكية وهى تسع وثمانون وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(أن أنذر) أصله بأن أنذر فحذف الجار وأوصل الفعل وهى أن الناصبة للفعل والمعنى أرسلناه بأن قلنا له أنذر أى أرسلناه بالامر بالانذار ويجوز أن تكون مفسرة لان الارسال فيه معنى القول وقرأ ابن مسعود انذر بغير أن على ارادة القول و(ان اعبدوا) نحو أن أنذر فى الوجهين (فان قلت) كيف قال (ويؤخركم) مع الخبر بامتناع تأخير الاجل وهل هذا الا تناقض (قلت) قضى الله تعالى ان قوم نوح ان آمنوا عمرهم ألف سنة وان هم أبوا على كفرهم أهلكهم على رأس تسعمائة فقيل لهم آمنوا يؤخركم الى أجل مسمى أى الى وقت سماه الله وضرب أمدا تنتهون اليه لا تتجاوز ونحوه والوقت الاطول تمام الالف * ثم أخبر انه اذا جاء ذلك الاجل الامد لا يؤخر كما يؤخر هذا الوقت لم تكن لكم حيلة فبادروا فى أوقات الامهال والتأخير (ليلا ونهارا) دائبا من غير فترة وتور مستمرا فيه الاوقات كلها (فلم يزدهم دعائى) جعل الدعاء فاعل زيادة الفرار والمعنى على أنهم ازدادوا عند فرارا لانه سبب الزيادة ونحوه فزادتهم رجسا الى رجسهم فزادتهم ايمانا (لتغفر لهم) ليسبوا عن كفرهم فتغفر لهم فذكر السبب الذى هو حظهم لانه الكون أقبح لاعراضهم عنه * واستغشاء ثيابهم عن استماع الدعوة (واستغشوا ثيابهم) وتغطوا بها كانهم طلبوا ان تغشاهم ثيابهم أو تغشيهم لئلا يبصروه كراهة النظر الى وجهه من يتحجهم فى دين الله وقيل ليئلا يسمعوه وبعضده قوله تعالى ألا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم * الاصرار من أصر الحمار على العانة اذا صر أذنيه وأقبل عليها يكدمها ويطردها استعير الاقبال على المعاصى والاكباب عليها (واستكبروا) وأخذتهم العزة من اتباع نوح وطاعته * وذكر المصدر تأكيد ودلالة على فرط استكبارهم وعتوهم (فان قلت) ذكر أنه دعاهم ليلا ونهارا ثم دعاهم جهارا ثم دعاهم فى السر والعلن فيجب أن تكون ثلاث دعوات مختلفات حتى يصح العطف (قلت) قد فعل عليه الصلاة والسلام كما يفعل الذى يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فى الابتداء بالاهون والترقى فى الاشد فالاشد فافتتح بالمناصحة فى السر فلم يقبلوا ثنى بالمجاهرة فلم تؤثر ثلث بالجمع بين الاسرار والاعلان ومعنى ثم الدلالة على تباعد الاحوال لان الجهار أغلظ من الاسرار والجمع بين الامرين أغلظ من افراد أحدهما و(جهارا) منصوب بدعوتهم نصب المصدر لان الدعاء أحد نوعيه الجهار فنصب به نصب القرفصاء بقعد لكونها أحد أنواع القعود أو لانه أراد بدعوتهم جاهرتهم ويجوز أن يكون صفة لمصدر دعا بمعنى دعاء جهارا أى مجاهرا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(أن أنذر) أصله بأن أنذر فحذف الجار وأوصل الفعل وهى أن الناصبة للفعل والمعنى أرسلناه بأن قلنا له أنذر أى أرسلناه بالامر بالانذار ويجوز أن تكون مفسرة لان الارسال فيه معنى القول وقرأ ابن مسعود انذر بغير أن على ارادة القول و(ان اعبدوا) نحو أن أنذر فى الوجهين (فان قلت) كيف قال (ويؤخركم) مع الخبر بامتناع تأخير الاجل وهل هذا الا تناقض (قلت) قضى الله تعالى ان قوم نوح ان آمنوا عمرهم ألف سنة وان هم أبوا على كفرهم أهلكهم على رأس تسعمائة فقيل لهم آمنوا يؤخركم الى أجل مسمى أى الى وقت سماه الله وضرب أمدا تنتهون اليه لا تتجاوز ونحوه والوقت الاطول تمام الالف * ثم أخبر انه اذا جاء ذلك الاجل الامد لا يؤخر كما يؤخر هذا الوقت لم تكن لكم حيلة فبادروا فى أوقات الامهال والتأخير (ليلا ونهارا) دائبا من غير فترة وتور مستمرا فيه الاوقات كلها (فلم يزدهم دعائى) جعل الدعاء فاعل زيادة الفرار والمعنى على أنهم ازدادوا عند فرارا لانه سبب الزيادة ونحوه فزادتهم رجسا الى رجسهم فزادتهم ايمانا (لتغفر لهم) ليسبوا عن كفرهم فتغفر لهم فذكر السبب الذى هو حظهم لانه الكون أقبح لاعراضهم عنه * واستغشاء ثيابهم عن استماع الدعوة (واستغشوا ثيابهم) وتغطوا بها كانهم طلبوا ان تغشاهم ثيابهم أو تغشيهم لئلا يبصروه كراهة النظر الى وجهه من يتحجهم فى دين الله وقيل ليئلا يسمعوه وبعضده قوله تعالى ألا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم * الاصرار من أصر الحمار على العانة اذا صر أذنيه وأقبل عليها يكدمها ويطردها استعير الاقبال على المعاصى والاكباب عليها (واستكبروا) وأخذتهم العزة من اتباع نوح وطاعته * وذكر المصدر تأكيد ودلالة على فرط استكبارهم وعتوهم (فان قلت) ذكر أنه دعاهم ليلا ونهارا ثم دعاهم جهارا ثم دعاهم فى السر والعلن فيجب أن تكون ثلاث دعوات مختلفات حتى يصح العطف (قلت) قد فعل عليه الصلاة والسلام كما يفعل الذى يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فى الابتداء بالاهون والترقى فى الاشد فالاشد فافتتح بالمناصحة فى السر فلم يقبلوا ثنى بالمجاهرة فلم تؤثر ثلث بالجمع بين الاسرار والاعلان ومعنى ثم الدلالة على تباعد الاحوال لان الجهار أغلظ من الاسرار والجمع بين الامرين أغلظ من افراد أحدهما و(جهارا) منصوب بدعوتهم نصب المصدر لان الدعاء أحد نوعيه الجهار فنصب به نصب القرفصاء بقعد لكونها أحد أنواع القعود أو لانه أراد بدعوتهم جاهرتهم ويجوز أن يكون صفة لمصدر دعا بمعنى دعاء جهارا أى مجاهرا

حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون يوم يخرجون من الاجداث سراعا كأنهم الى نصب يوفضون خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون

﴿سورة نوح مكية وهى تسع وثمانون وعشرون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

انا أرسلنا نوحا الى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم قال يا قوم انى لكم نذير مبين أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى أجل مسمى ان أجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون قال رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائى الا فرارا وانى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا ثم انى دعوتهم جهارا ثم انى أعلنت لهم وأسررت لهم اسرارا فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم

اذا جاء لا يؤخر (قال فيه) ان قلت كيف قال ويؤخركم مع اخباره بامتناع التأخير الخ

أو مصدر اق موضع الحال أي مجاهرا * أمرهم بالاستغفار الذي هو التوبة عن الكفر والمعاصي وقدم لهم الموعد بها وأوقع في نفوسهم وأحب اليهم من المنافع الحاضرة والفوائد العاجلة ترغيبا في الاعمال وبركاته والطاعة وتثاقلهم من خير الدارين كما قال وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وأهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات ولو انهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم وقيل لما كذبوه بعد طول تذكير الدعوة حبس الله عنهم القطر وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة وروي سبعين فوعدهم أنهم ان آمنوا رزقهم الله تعالى الخصب ودفع عنهم ما كانوا فيه وعن عمر رضي الله عنه أنه خرج يستسقي فما زاد على الاستغفار فقيل له ما رأيناك استسقيت فقال لقد استسقيت بمجاديح السماء التي يستنزل بها القطر بشعبة الاستغفار بالانواء الصادقة التي لا تخطئ وعن الحسن أن رجلا شكا اليه الجدب فقال استغفر الله وشكا اليه آخر الفقر وآخر قلة النسل وآخر قلة ريع أرضه فأمرهم كلهم بالاستغفار فقال له الربيع بن صبيح أتاك الرجال يشكون أبوابا ويسألون أنواعا فأمرتهم كلهم بالاستغفار تلا له هذه الآية * والسماء المظلة لان المطر منها ينزل الى السحاب ويجوز أن يراد السحاب أو المطر من قوله اذا نزل السماء بأرض قوم * والمدرار الكثير الدرور ومفعال مما يستوي فيه المذكر والمؤنث كقولهم رجل أو امرأة مطرار ومعطار (جنات) بساتين (لا ترجون لله وقارا) لا تأملون له توقيرا أي تعظيما والمعنى مالكم لا تكونون على بال تأملون فيها تعظيم الله اياكم في دار الثواب والله يثيبكم لو وقر ولو تأخر لكان صلة للوقار وقوله (وقد خلقكم أطوارا) في موضع الحال كأنه قال مالكم لا تؤمنون بالله وبالحال هذه وهي حال موجبة للايمان بدلائل خلقكم أطوارا أي تارات خلقكم أولا ترابا ثم خلقكم نطفا ثم خلقكم علقا ثم خلقكم مضغا ثم خلقكم عظاما ولحما ثم أنشأكم خلقا آخر أو لا تخافون لله حلما وتركه معاجلة العقاب فتؤمنوا فيسهل مالكم لا تخافون لله عظمة وعن ابن عباس لا تخافون لله عاقبة لان العاقبة حال استقرار الامور وثبات الثواب والعقاب من وقر اذا ثبت واستقر * نهوهم على النظر في أنفسهم أولا لانها أقرب منظور فيه منهم ثم على النظر في العالم وما سوى فيه من العجائب الشاهدة على الصانع الباهر قدرته وعلمه من السموات والارض والشمس والقمر (نورا) في السموت وهو في السماء الدنيا لان بين السموات ملابسة من حيث انها اطباق فجاز أن يقال نورن لم يكن في جميعهن (اية) الا في الدنيا كذا وهو في بعض نواحيها وعن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم سراجا أن الشمس والقمر وجوههما عاليا في السماء وظهورهما عاليا على الارض (وجعل الشمس سراجا) يبصر أهل الدنيا في ضوئها كما يبصر أهل البيت في ضوء السراج ما يجاورهم الى البصر والقمر ليس كذلك لانه هو ونور لم يبلغ قوة ضياء الشمس ومثله قوله تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا والضياء أقوى من النور * أسمى الاجناس الثلاثة بأسماء يقال زرعك الله الخير وكانت هذه الاستعارة أدل على الحدوث لانهم اذا كانوا يأتا كانوا محدثين لا محالة حدوث النبات ومنه قيل للشعوبية النابتة والنوابت لحدوث مذهبهم في الاسلام من غير أولية لهم فيه ومنه قولهم نجم فلان لبعض المنارقة والمعنى أنبتكم فنبتم نباتا أو نصب بأنبتكم لتضمنه معنى فتم (ثم يعيدكم فيها) معتبرون ثم (يخرجكم) يوم القيامة * وأكده بالمصدر كأنه قال يخرجكم حقا ولا محالة * جعلها بساطا مسوطة تتقلبون عليها كما يتقلب الرجل على بساطه (فجاجا) واسعة منفجة (واتبعوا) رؤساءهم المقدمين أصحاب الاموال والاولاد وأشياعهم ممن لا نصيب له من الغنى والولد * وجعل أموالهم وأولادهم التي غرتهم الاموجبة ومنفعة في الدنيا زائدة (خسارا) في الآخرة وأجرى ذلك مجرى صنعة لا رشد لهم وسمعة يعرفون بها حتى قالوا وتثبيتا وابطالا لما سواه * وتركن ولده بضم الواو وكسرها (ومكروا) معطوف على لم يزده وجمع الضمير وهو راجع الى من لانه في معنى الجمع والماكرون هم الرؤساء ومكرهم احتيالهم في الدين وكيدهم نوحا وتحريش الناس على أذاه وصدهم عن الميل اليه والاستماع منه وقولهم لهم لا تذرون آلهتكم الى عبادة رب نوح (مكرا كبارا) قرئ بالتخفيف والتثقيل والكبار أكبر من الكبير والكبار أكبر من الكبار ونحوه

جنات ويجعل لكم انهارا مالكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا والله أنبتكم من الارض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا والله جعل لكم الارض بساطا لتسلكوا منها سبلا فجاجا قال نوح رب انهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا ومكروا مكرا كبارا وقالوا لا تذرن آلهتكم

* قوله تعالى مالكم لا ترجون لله وقارا أي مالكم لا تكونون على حال يكون فيها تعظيم الله تعالى الخ أقول هذه هي الترجمة بالتفسير بقي الرجاء على بابه ونقل قولا آخر لهذه على الخوف أي لا تخافون لله عظمة وعن ابن عباس أن الوقار الطاعة لاستقرار الثواب وثبات العقاب من وقر اذا ثبت * قوله تعالى وجعل القمر فيهن نورا أقال فيه وانما هو في السماء الدنيا لان بين السموات وبين السماء الدنيا مناسبة) قال أحمد ويلاحظ يخرج منها اللؤلؤ والمرجان

وضع كذبا موضع تقولا ولم يجعله صفة لان التقول لا يكون الا كذبا * الرهق غشيان المحارم والمعنى أن الانس باستعاذتهم بهم زادوهم كبرا وكفرا وذلك أن الرجل من العرب كان اذا أمسى فى واد فمر فى بعض مسايره خاف على نفسه قال أعوذ بسيد هذا الوادى من سفهاء قومه يريد الجن وكبيرهم فاذا سمعوا بذلك استكبروا وقالوا سدنا الجن والانس فذلك رهقهم أو غرادا الجن الانس رهقا بايقاعهم وضلالهم لاستعاذتهم بهم (وانهم) وأن الانس (ظنوا كما ظننتم) وهو من كلام الجن يقوله بعضهم لبعض وقيل الآيتان من جملة الوحى والضمير فى وانهم ظنوا للجن والخطاب فى ظننتم لكفار قريش * اللمس المس فاستعير للطلب لان الماس طالب متعرف قال * مستاما من الاباء شيأ وكلنا * الى نسب فى قومه غير واضع

يقال لمسه والتمسه ولمسه كطلبه واطلبه وتطلبه ونحوه الجس وقيهم جسوه بأعينهم وتجسسوه والمعنى طلبنا بلوغ السماء واستماع كلام أهلها * والحرس اسم مفرد فى معنى الحراس كالخدم فى معنى الخدام والدليل وصف الشديد ولو ذهب الى معنى الجمع لقيل سددا رقوه أختى رحيلا أو وركبا عاد بالان الرجل والركب مفردان فى معنى الرجال والركاب * والرصد مثل الحرس اسم جمع للراصد على معنى ذوى شهاب راصدين الرجم وهم الملائكة الذين يرجمونهم بالشهب وعنهم من الاستماع ويجوز أن يكون صفة للشهاب بمعنى الراصد أو كقوله ومى حياعا يعنى بجدتها براصد الله ولاجله (فان قلت) كان الرجم لم يكن فى الجاهلية وقد قال الله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فذكر فائدتين فى خلق الكواكب التزيين ورجم الشياطين (قلت) قال بعضهم حدث بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو احدى آياته والصحيح أنه كان قبل المبعث وقد جاء ذكره فى شعر أهل الجاهلية قال بشر بن أبى خازم

والعير يرهقها الغبار وخلفها * ينقض خلفهما انقضاض الكوكب

وقال أوس بن حجر

وانقض كالدرى يتبعه * نقع يثور تخاله طنبا

وقال عوف بن الخرع

يرد علينا العير من دون الفه * أو الثور كالدرى يتبعه الدم

ولكن الشياطين كانت تسترق فى بعض الاحوال فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كثر الرجم وزاد زيادة ظاهرة حتى تنبه لها الانس والجن ومنع الاسترقاق أصلا وعن معمر قلت للزهرى أكان يرمى بالنجوم فى الجاهلية قال نعم قلت أرأيت قوله تعالى وأنا كنا نعقد منها مقاعد للسمع فمن أحدث منها حين بعث النبى صلى الله عليه وسلم وروى الزهرى عن على بن الحسين عن ابن عباس رضى الله عنهما بنار رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فى نفر من الانصار اذ رمى بنجم فاستنار فقال ما كنتم تقولون فى مثل هذا فى الجاهلية قالوا كنا نقول يموت عظيم أو يولد عظيم وفى قوله ملئت دليل على أن الحادث هو المل والكثرة وكذلك قوله نعقد منها مقاعد أى كنا نجد فيها بعض المقاعد خالية من الحرس والشهب والآن ملئت المقاعد كلها وهذا ذكر مالهم على الضرب فى البلاد حتى عثروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم واستمعوا قراءته * يقولون لما حدث هذا الحادث من كثرة الرجم ومنع الاسترقاق فلما شاهدنا الامر أراد الله بأهل الارض ولا يخلو من أن يكون شرا أو رشدا أى خير امن عذاب أو رحمة أو من ضلال أو توفيق (منا الصالحون) منا الابرار المتقون (ومنا دون ذلك) ومناقوم دون ذلك فحذف الموصوف كقوله وما منا الا له مقام معلوم وهم المقتصدون فى الصلاح غير الكاملين فيه أو أراد الطائفين (كنا طرائق قددا) بيان للقسمة المذكورة أى كنا ذوى مذاهب مفترقة مختلفة أو كنا فى اختلاف أحوالنا مثل الطرائق المختلفة أو كنا فى طرائق مختلفة كقوله

* كما عسل الطريق الثعلب * أو كانت طرائقنا طرائق قددا على حذف المضاف الذى هو الطرائق واقامة الضمير المضاف اليه مقامه والقدة من قد كالقطعة من قطع ووصف الطرائق بالقدد لانها فى معنى التقطع والتفرق (فى الارض) و (هربا) حالان أى لن نعجزه كائنين فى الارض أينما كنا فيها ولن نعجزه هاربين منها الى السماء وقيل لن نعجزه فى الارض ان أرادنا بأمر اولن نعجزه هربا ان طلبنا * والظن بمعنى اليقين وهذه صفة أحوال الجن وما هم عليه من أحوالهم وعقائدهم منهم أخيار وأشرار ومقتصدون وانهم

وانهم ظنوا كما ظننتم أن
لن يبعث الله أحدا ولا نا
لمسنا السماء فوجدناها
ملئت حرسا شديدا وشهبا
وانا كنا نقعد منها مقاعد
للسمع فمن يستمع الآن
يجد له شهابا رصدا وانا
لا ندرى أشر أريد بمن فى
الارض أم أراد بهم ربهم
رشدا وانا منا الصالحون
ومنا دون ذلك كنا
طرائق قددا وانا ظننا
أن لن نعجز الله فى الارض
ولن نعجزه هربا

(القول فى سورة الجن)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله تعالى وانا لمسنا السماء
فوجدناها ملئت حرسا
شديدا وشهبا (قال فيه
ان قلت كان الرجم
لم يكن فى الجاهلية وقد
قال تعالى ولقد زينا
السماء الدنيا بمصابيح
وجعلناها رجوما
للشياطين فذكر فائدتين فى
الزينة والرجم (ح) قال
أحدهم وعن عقائدهم ان
رشدوا وضلال جميعا
من ايمان الله تعالى بقدرته
وانا لا ندرى أشر أريد بمن
فى الارض أم أراد بهم
ربهم رشدا ولقد أحسن
الادب فى ذكر ارادة
الشر محذوفة الفاعل
والمراد بالمريد هو الله
عز وجل وابراز هم
لا سيما عند ارادة الخير
والرشد بجميع آيات
العقيدة الصحيحة
والآداب المليحة

يعتقدون أن الله عز وجل عز بغالب لا يفوته مطالب ولا ينجي عنه مهرب (لما سمعنا الهدى) هو سماعهم القرآن
* وإيمانهم به (فلا يخاف) فهو لا يخاف أي فهو غير خائف ولان الكلام في تقدير مبتدأ وخبر دخلت الفاء
ولولا ذلك لقيل لا يخف (فان قلت) أي فائدة في رفع الفعل وتقدير مبتدأ قبله حتى يقع خبر الله ووجوب
ادخال الفاء وكان ذلك كله مستغنى عنه بان يقال لا يخف (قلت) الفائدة فيه أنه اذا فعل ذلك فكأنه قيل فهو
لا يخاف فكان دالا على تحقيق أن المؤمن ناج بحمد الله وأنه هو المختص بذلك دون غيره وقرأ الاعمش فلا يخف
على النهي (بخسا ولا رهقا) أي جزاء بخس ولا رهق لانه لم يخص أحدا حقا ولا رهق ظلما أحدا فلا يخاف
جزاءهما وفيه دلالة على أن من آمن بالله أن يجتنب المظالم ومنه قوله عليه الصلاة والسلام المؤمن
من أمنه الناس على أنفسهم وأموالهم ويجوز أن يراد فلا يخاف أن يخس به ويجزى الجزاء الاوفى
ولا أن ترهقه ذلة من قوله عز وجل وترهقهم ذلة (القاسطون) الكافرون الجائرون عن طريق الحق وعن
سعيد بن جبير رضي الله عنه أن الحجاج قال له حين أراد قتله ما تقول في قال قاسط عادل فقال النوم ما أحسن
ما قال حسبوا أنه يصفه بالقسط والعدل فقال الحجاج باجهله أنه معناه في ذلك اشتركا وتلا لهم قوله وأما
القاسطون وقوله تعالى ثم الذين كفروا برجهم يعدلون وعذرهم من لا يرى الحق قولا بأن الله تعالى أوعد
قاسطهم وماوعد مسلمهم وكفى بوعده أن قال فأولئك تحروا رشدا فذكر سبب الثواب وهو وجوبه والله أعدل
من أن يعاقب القاسط ولا يثيب الراشد (وأن لو استقاموا) أن مخففة من الثقيلة وهو من جملة الموحى
وانني وأوحي الي أن الشأن والحديث لو استقام الجن على الطريقة التي أي لو ثبت أبوهم الجان على
ما كان عليه من عبادة الله والطاعة وفي يستكبر عن السجود لآدم ولم يكفر وبعده لله على الاسلام لانعمنا
عليهم ولوسعنا أرزاقهم ووذكر انساغ الغدق وهو الكثير شيء الدل وكسرها قرئ بهما الاصل الماء
وسعة الرزق (لنفتنهم فيه) لنختبرهم فيه كيف يشكرون بما خولوا منه ويجوز أن يكون معناه وأن لو استقام
الجن الذين استمعوا على طريقتهم أي كانوا عليها قبل اذ سمعوا ولم يرتدوا عنها الى الاسلام لوسعنا عليهم الرزق
مستدرجين لهم لنفتنهم فيه لتكون النعمة سببا لتباعدهم وتوغلهم في الفتنة وازديادهم اثما
أو لنعذبهم في كسرات النعمة (عن ذكر ربه) عن عبادته أو عن موعظته أو عن وحيه (يسلكه) وقرئ
بالنون مضمومة وهو مطاوعة أي يدخله (عذابا) والاصل نسلكه في عذاب كقوله سلككم في سقر فعدي الى
مفعولين أو يحذف الجار ويصال الفعل كقوله واختار موسى قومه وأما بضعيفة مبني لذهب يقال سلكه
وأسلكه قال * حتى اذا أسلكوهم في قتائدة * والصعد مصدر صعد صعدا قال صعد صعدا وصعودا وصفه
العذاب لانه يتصعد المعذب أي يعلوه ويغلبه فلا يطيقه ومنه قول عمر رضي الله عنه ما تصعدني شيء
ما تصعدني خطبة النكاح يريد ما شق علي ولا غلبني (وأن المساجد) من جملة الموحى وقيل معناه ولان
المساجد (لله فلا تدعوا) لي أن اللام متعلقة بلا تدعوا أي فلا تدعوا (مع الله أحدا) في المساجد لانها لله
خاصة ولعبادته وعن الحسن يعني الارض كلها لانها جعلت للنبي صلى الله عليه وسلم مسجدا وطهورا وقيل المراد بها
المساجد الحرام لانه قبل المساجد ومنه قوله تعالى ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وعن قتادة
كان اليهود والنصارى اذا دخلوا بيعهم وكنائسهم أشركوا بالله فأمر نبيه أن تخلص لله الدعوة اذا دخلتها
المساجد وقيل المساجد أعضاء السجود السبعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أسجد على سبعة
آراب وهي الجبهة والانف واليدان والركبتان والقدمان وقيل هي جمع مسجد وهو السجود (عبد الله) النبي
صلى الله عليه وسلم (فان قلت) هلا قيل رسول الله أو النبي (قلت) لان تقديره وأنه لما قام عبد الله
فلما كان وافقا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نفسه حين عبده على ما يقتضيه التواضع والتذلل أولان
المعنى أن عبادة عبد الله ليست بأمر مستبعد عن العقل ولا مستنكر حتى يكونوا عليه لبدا * ومعنى قام
يدعوه قام يعبده يريد قيامه لصلاة الفجر بنخلة حين أتاه الجن فاستمعوا القرآن صلى الله عليه وسلم (كادوا
يكونون عليه لبدا) أي يزدحمون عليه متراكمين تعجبا مما رأوا من عبادته واقتدائه بأصحابه قائما وراكعا

وانا لما سمعنا الهدى
آمنا به فمن يؤمن بربه
فلا يخاف بخسا ولا رهقا
وانا منا المسلمون ومنا
القاسطون فمن أسلم
فأولئك تحروا رشدا
وأما القاسطون فكانوا
لجهنم حطبا وأن لو
استقاموا على الطريقة
لاسقيناهم ماء غدقا
لنفتنهم فيه ومن يعرض
عن ذكر ربه يسلكه
عذابا صعدا وأن المساجد
لله فلا تدعوا مع الله أحدا
وأنه لما قام عبد الله
يدعوه كادوا يكونون
عليه لبدا

(قوله تعالى قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا (قال فيه معناه أي لا أستطيع إن أنفعكم أو أضركم إنما النافع والضار الله عز وجل الخ) قال أحمد في الآية دليل بين على إن الله تعالى هو الذي يملك لعباده الرشد والغي أي يخلقهما لا الغير فإن النبي صلى الله عليه وسلم إنما سلب ذلك عن قدرته ليمحض إضافته إلى قدرة الله وحده وقطن الزمخشري لذلك فاتخذ هذا الحديل فتارة يحمل الرشد على مطلق النفع فيضيف ذلك إلى الله تعالى وتارة يكتم عنه لأن فيه إبطالا لخصوصية الرشد المنصوص عليه في الآية فيثور به من تقليده الزائغ الفاسد ثم تصرفه عن الحق وعن اعتقاد أن الله تعالى ٤٩٦ هو الذي يخلق الرشد لعبيده مقارنا لاختيارهم فيدخل زيادة الشر لأن معنى ما وردت إضافة

الرشد إلى قدرة الله تعالى عند هم أنه يخلق إن تخترعها الرقاب فيخلق العبد لنفسه عند ذلك هو رشاده فإضافة إلى قدرة الله تعالى لأنه

وسلبه وا عجابا لما من القرآن لأنهم رأوا منه ورأسه وسمعوا بالم يسمعوا بنظيره وقيل معناه ما قام رسولا بعبادة الله وحده مخالفا للمشركين في عبادتهم الآلهة من دونه كاد المشركون لتظاهرهم عليه وتعاونهم على عداوته يزدحمون عليه متراكبين لبدا جمع لبدة وهو ما تلبد بعضه على بعض ومنه لبدة الأسد وقرئ لبدا واللبدة في معنى اللبد ولبدا جمع لا بد كسجد وسجود ولبد أضمتين جمع لبود كصبور وصبر وعن قتادة تلبدت الإنس والجن على هذا الأمر ليطفؤه فأبى الله الأن ينصره ويظهره على من ناواه ومن غرأوانه بالكسر جمعه من كلام الجن قالوه لقومهم حين رجعوا إليهم ما كنا مأرأوا من صلاته وارد حام أصحابه عليه في أنفسهم به (قال) للمتظاهرين عليه (إنما أدعو ربي) بريد ما أتيتكم بأمر منكرا إنما أعبد ربي وحده (ولا أشرك به أحدا) وليس ذلك مما يوجب إطباقكم على مقتي وعداوتي أو قال للجن عند ازدحامهم متعجبين ليس ما ترون من عبادتي للهو رفضي الإشراك به أمرا يتعجب منه إنما يتعجب ممن يدعو غير الله ويجعل له شريكا أو قال الجن لقومهم ذلك حكاية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (ولا نفعا ولا رشدا) ولا نفعا أو أراد بالضر الغي ويدل عليه قراءة أبي غيا ولا رشدا والمعنى لا أستطيع أن أضركم وأن أنفعكم إنما الضار والنافع الله أولا أستطيع أن أقسركم على الغي والرشد إنما القادر على ذلك الله عز وجل و (إلا بلاغا) استثناء منه أي لا أملك إلا بلاغا من الله وقيل إني لن يجيرني جملة معترضة اعترض بها للتأكيد في الاستطاعة عن نفسه وبيان عجزه على معنى أن الله إن أراد به سوأ من مرض أو موت أو غيرهما لم يصح أن يجيره منه أحد ولن يجد من دونه ملاذا ألوي إليه * والملتحد المتحيز أصله المتحدد من اللحد فيسل مجيئه ومعدلا * وقرئ قال لا أملك أي قال عبد الله للمشركين أو للجن ويجوز أن يكون من حكاية الجن لقومهم وقيل بلاغا بدل من ملتحدا أي لن أجد من دونه منجى إلا أن أبلغ ببعثه ما أرسلني به وقيل الاستثناء لا يملك أن أبلغ بلاغا كقولك إن لا تعطني ما فتعودا (ورسالاته) عطف على بلاغا كأنه قيل لا أملك لكم إلا التبليغ والرسالات والمعنى إلا أن أبلغ من الله فأقول قال الله كذا نائبا عن القول إليه وأن أبلغ رسالاته التي أرسلني بها من غير زيادة ولا نقصان (فإن قلت) الإقبال بالغ عنه ومنه قوله عليه الصلاة والسلام بلغوا عني بلغوا عني (قلت) من ليست صلة للتبليغ إنما هي بمنزلة من في قوله براءة من الله عجبت بلاغا كائنا من الله * وقرئ فأن له نار جهنم على فتحوا أن له نار جهنم كقوله فأن لله خمسه أي حكمه أن لله خمسه وقال (خالدين) حملا على معنى الجمع في من (فإن قلت) هم تعلق حتى يحمل ما بعده غاية له (قلت) بقوله يكونون عليه لبدا على أنهم يتظاهرون عليه بالعداوة ويستضعفون أنصاره ويستقلون عددهم (حتى إذا رأوا ما يوعدون) من يوم بدر وإظهار الله له عليهم أو من يوم القيامة (فسيعلمون) حينئذ أنهم (أضعف ناصرا وأقل عددا) ويجوز أن يتعلق بمحذوف دلت عليه الحال من استضعاف الكفار له واستقلالهم لعدده كأنه قال لا يزالون على ما هم عليه حتى إذا رأوا ما يوعدون * قال المشركون متى يكون هذا الموعود فكان الله فقيل (قل) إنه كائن لا ريب فيه فلا تنكروه فإن الله قد وعد ذلك وهو لا يخلف الميعاد وأما وقته فما أدري متى يكون لأن الله لم يبينه لما رأى في إخفائه وقته من المصلحة (فإن قلت) ما معنى قوله (أم يجعل له ربي أمدا) والأمد يكون قريبا وبعيدا ألا ترى إلى قوله تود لو أن بينها

وبينه أمدا بعيدا وأجاب به أنه كان صلى الله عليه وسلم يستقرب الموعود كأنه قال ما أدري هل هو حال متوقع في كل ساعة أم له غاية مضروبة

قال إنما أدعو ربي ولا أشرك به أحدا قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا إلا بلاغا من الله ورسالاته ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا حتى إذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من أضعف ناصرا وأقل عددا قل إن أدري أقريب ما توعدون أم يجعل له ربي أمدا

خلق السميع وهو في الحقيقة خلق بقدرة العبد هذه قاعدته القدرية وعقيدتهم وما الجن بعد هذا الا أوفر منهم عقلا وأسدهم نظرا لأنهم قالوا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا فأضافوا الرشد نفسه إلى إرادة

* قوله تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول (قال فيه ابطال الكرامات لانه حصر ذلك فى المرتضى من الرسل والولى وان كان من المرتضين الخ) ادعى عاما واستدل خاصا فان دعواه ابطال الكرامات بجميع أنواعها والدليل عليه بالآية ابطال اطلاع الولى على الغيب خاصة ولا يكون كرامة وخارق المادة الا الاطلاع على الغيب لا غير وما القدرية الا لهم شبهة فى ابطالها وذلك ان الله عز وجل لا يخفى عنهم وليا أبدا وهم لم يعدوا بذلك عن أشياء هم فيها فلا جرم انهم يستمرون على الانكار ولا يعلمون ان شرط الكرامة الولاية وهى مساوية عندهم انتفاء وأما مسلك الايمان فمسئلة خلاف فما أطمع من يكون ايمانه مسئلة خلاف وهو يريد الكرامة فلا نامن يؤمن او الله الموفق * القول فى سورة المزمل * (بسم الله الرحمن الرحيم) (٤٩٧) * قوله تعالى يا أيها المزمل قم الليل الا قليلا (قال فيه هو المتلفف فى ثيابه كالمدثر ونودى بما هو من اليه الخ) قال أحمد أما قوله الاول ان نداءه بذلك تهجين للحالة التى ذكر انه كان عليها واستهداده بالا بيات المذكورة

عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شئ عددا

وبينه أحدا بعيدا (قلت) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستقرب الوحى فكانه قال ما أدرى أهو سائل متوقع فى كل ساعة أم مؤجل ضربت له غاية * أى هو (عالم الغيب فلا يظهر) فلا يطلع و (من رسول) تبين ان ارتضى يعنى أنه لا يطلع على الغيب الا المرتضى الذى هو مصطفى للنبوة خاصة لا كل من ارتضى وفى هذا ابطال للكرامات لان الذين تضاف اليهم وان كانوا أولياء مرتضين فليسوا برسل وقد خص الله الرسل من بين المرتضين بالاطلاع على الغيب وابطال الكهانة والتنجيم لان أصحابهما أبعد شئ من الارتضاء وأدخله فى السخط (فانه يسلك من بين يديه) يدى من ارتضى للرسالة (ومن خلفه رصدا) حفظة من الملائكة يحفظونه من الشياطين بطردونهم عنه ويعصمونه من وساوسهم وتخاليطهم حتى يبلغ ما أوحى به اليه ومن الضحاك ما بعث نبى الا ومعه ملائكة يحرسونه من الشياطين أن يتشيطنوا بصورة الملك (ليعلم) الله (أن قد أبلغوا رسالات ربهم) يعنى الانبياء وحدا ولا على اللفظ فى قوله من بين يديه ومن خلفه ثم جمع على المعنى كقوله فانه لا بد لهم خالدين والمعنى ليبلغوا رسالات ربهم كاملة موفرة من الزيادة والنقصان وذكر العلم كذكره فى قوله تعالى حتى نعلم المجاهدين وقرئ ليعلم على البناء للمفعول (وأحاط بما لديهم) بما عند الرسل من الحكم والشرائع لا يفوته منها شئ ولا ينسى منها حرفا فهو معهم على احاطة لها (وأحصى كل شئ عددا) من القطر والرمل وورق الاشجار وزبد البحار فكيف لا يحيط بما عند الرسل من وحيه وكلامه وعدد احال أى وضبط كل شئ معدود الحصول أو مصدر فى معنى احصاء من رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة اسمى كان له بعدد كل شئ صدق محمدا صلى الله عليه وسلم وكذب به عشر رقاب

* سورة المزمل مكية وهى تسع عشرة أو عشرون آية *

* بسم الله الرحمن الرحيم *

(المزمل) المتزمل وهو الذى تزمل فى ثيابه أى تلفف بها بادغام التاء فى الزاى وهو نحو المدثر والمدثر وقرئ المتزمل على الاصل والمزمل بتخفيف الزاى وفتح الميم وكسرها على أنه اسم فاعل أو مفعول من زمله وهو الذى زمله غيره أو زمل نفسه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم نائما بالليل متزملا فى قطيفة فنبه ونودى بما هو من البسه الحالة التى كان عليها من التزمل فى قطيفته واستعداده للاستقبال فى النوم بما يفعل من لا يهمه أمر ولا يعنيه شأن الا ترى الى قول ذى الرمة

وكأن خطرات ناقتى من معارة * ومن نائم عن ليلها المتزمل

يريد الكسلان المتقاعس الذى لا ينهض فى معاظم الامور وكنايات الخطوب ولا يحمل نفسه المشاق والمتاعب ونحوه فأثبته حوش الفؤاد مبطنا * سهدا اذا ما نام ليل الهوجل

٦٢ كشاف فى فقد قال العلماء انه لم يخاطب باسمه نداء وان ذلك من خصائصه دون سائر الرسل اكراما له وتشريفا فأين نداؤه بصيغة مهنة من ندائه باسمه واستشهاده على ذلك بالبيات قيل ذما فى جفاة جفاة من الرعاة فأنا أرى الله من ذلك وارى رأيه صلى الله عليه وسلم وانما ذكرت بقوله * أوردها سعدا وسعد مشتمل * ما وقعت عليه من كلام ابن خروف النحوى يرد على الزمخشرى ويخطئ رأيه فى تضعيفه المفصل واجحافه فى الاختصار يعنى كلام سيبويه حتى سماه ابن خروف البرنامج وأنشد عليه

أوردها سعدا وسعد مشتمل * ما هكذا تورد يا سعد الابل

وأما ما نقل عنه ان ذلك كان فى صرط عائشة رضى الله عنها فبعيد فان السورة مكية وبنى النبى صلى الله عليه وسلم على عائشة رضى الله عنها بالمدينة والصحيح فى الآية ما ذكره الا ان ذلك كان فى بيت خديجة عند ما لقيه جبريل أول مرة بعد ذلك وردت الاحاديث الصحيحة والله أعلم

وفي أمثالهم أورد مها سعد وسعد مشتمل * ما هكذا تورد يا سعد الابل

نذمه بالاشتمال بكسائه وجعل ذلك خلاف الجلد والكيس وأمرهما بختار على الهجود التهجد وعلى التزمل التشمر والتخفف للعبادة والمجاهدة في الله لا جرم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تشمر لذلك مع أصحابه حق التشمر وأقبلوا على احياء ليلهم ورفضوا له الرقاد والدعة وتجاهدوا فيه حتى انتفخت أقدامهم واصفرت ألوانهم وظهرت السيمى في وجوههم وترامى أمرهم الى حد رحمهم له ربهم فخفف عنهم وقيل كان متزملا في مرط لعائشة يصلي فيه وعلى هذا ليس بتهجين بل هو ثناء عليه وتحسين لحاله التي كان عليها وأمر بأن يدوم على ذلك ويواظب عليه وعن عائشة رضي الله عنها أنها سئلت ما كان تزميله قالت كان مرطا طوله أربع عشرة ذراعا نصفه علي وأنا نائمة ونصفه عليه وهو يصلي فسئلت ما كان قالت والله ما كان خزا ولا قزا ولا صوفا كان سداه شعرا ولحمته وبرا وقيل دخل على خديجة وقد جئث فرقا أول ما أتاه جبريل وبوادره ترعد فقال زملوني زملوني وحسب أنه عرض له فبينما هو على ذلك اذ ناداه جبريل يا أيها المزمل وعن عكرمة أن المعنى يا أيها الذي زمل أمرا عظيما أي حمله والزمل الحمل وازدمله احتمله * وقرئ قم الليل بضم الميم وفتحها قال عثمان بن جني الفرض بهذه الحركة التباغ بها من التقاء الساكنين فبأي الحركات تحرك فقد وقع الغرض (نصفه) بدل من الليل والا قليلا استثناء من النصف كأنه قال قم أقل من نصف الليل * والضمير في منه وعليه للنصف والمعنى التخيير بين أمرين بين أن يقوم أقل من نصف الليل على البت وبين أن يختار أحد الامرين وهما النقصان من النصف والزيادة عليه وان شئت جعلت نصفه بدلا من قليلا وكان تخييرا بين ثلاث بين قيام النصف بعامه وبين قيام الناقص منه وبين قيام الزائد عليه واعلم وصف النصف بالقلة بالنسبة الى الكل وان شئت قلت لما كان معنى قم الليل الا قليلا نصفه اذا أبدلت النصف من الليل قم أقل من نصف الليل ووقع التخيير في منه وعليه الى الاقل من النصف وكأنه قيل قم أقل من نصف الليل أو قم أنقص من ذلك الاقل أو أزيد منه قليلا فيكون التخيير فيما وراء النصف بينه وبين الاثنين ويجوز اذا أبدلت نصفه من قليلا وفسر به أن تجعل قليلا الثاني يعني نصف النصف وهو الربع كأنه قيل أو انقص منه قليلا نصفه وتجعل الزيد على هذا القليل أعني الربع نصف الربع كأنه قيل أو زد عليه قليلا نصفه ويجوز أن تجعل الزيادة لكونها مطلقة تحة الثلث فيكون تخييرا بين النصف والثلث والربع (فان قلت) أكان القيام فرضا أم نفلا (قلت) عن عائشة رضي الله عنها أن الله جعله تطوعا بعد أن كان فريضة وقيل كان فرضا قبل أن تفرض الصلوات الخمس ثم نسخ بهن الا ما تطوع به وعن الحسن كان قيام ثلث الليل فريضة وكانوا على ذلك سنة وقيل كان واجبا وانما وقع التخيير في المقدار ثم نسخ بعد عشر سنين وعن الكلبي كان يقوم الرجل حتى يصبح مخافة أن لا يحفظ ما بين النصف والثلث والثلثين ومنهم من قال كان نفلا بدليل التخيير في المقدار ولقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك * ترتيل القرآن قراءته على ترسل وتؤدة تبين الحروف واشباع الحركات حتى يجيء المتلو منه شبيها بالنغر المرتل وهو الغنج الشبيه بنور الاقحوان وأن لا يهذه هذا ولا يسرده سردا كما قال عمر رضي الله عنه شر السير الحقحقة وشر القراءة الهذرمة حتى يشبه المتلو في تتابعه النغر الاقص وسئلت عائشة رضي الله عنها عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا كسردكم هذا لو أراد السامع أن يعد حروفه لعدها (ترتيلا) تأكيد في ايجاب الامر به وأنه مالا بد منه للقارئ * هذه الآية اعتراض ويعني بالقول الثقيل القرآن وما فيه من الاوامر والنواهي التي هي تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين خاصة على رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه متحملها بنفسه وحملها أمته فهي أثقل عليه وأجهده وأراد بهذا الاعتراض أن ما كلفه من قيام الليل من جملة التكاليف الثقيلة الصعبة التي ورد بها القرآن لان الليل وقت السبات والراحة والهدو فلا بد لمن أحياه من مضادة لطبعه ومجاهدة لنفسه وعن ابن عباس رضي الله عنه كان اذا نزل عليه الوحي ثقل عليه وتربد جلده وعن عائشة رضي الله عنها رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليرفض عرقا

نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا انا سنلقي عليك قولا ثقيلا

(قوله الحقحقة الخ) كتب عليه بالحاشية المهملة من شدة السير والهذرمة بعين المعجمة والاقص متقاربان الاسنان وقوله بعد وتربد معناه وتعبس اه مصححه

وعن الحسن ثقيل في الميزان وقيل ثقيل على المنافقين وقيل كلام له وزن ورجحان ليس بالسفساف (ناشئة الليل) النفس الناشئة بالليل التي تنشأ من مضجعها الى العبادة أي تنهض وترتفع من نشأ السحابة اذا ارتفعت ونشأ من مكانه ونشز اذا نهض قال

نشأنا الى خوص يرى بها السرى * وألصق منها مشرفات القماحد

وقيام الليل على أن الناشئة مصدر من نشأ اذا قام ونهض على فاعلة كالعاقبة ويدل عليه ما روى عن عبيد بن عمير قلت لعائشة رجل قام من أول الليل أتقول له قام ناشئة قالت لا انما الناشئة القيام بعد النوم فقسرت الناشئة بالقيام عن المضجع أو العبادة التي تنشأ بالليل أي تحدث وترتفع وقيل هي ساعات الليل كلها لانها تحدث واحدة بعد أخرى وقيل الساعات الاول منه وعن علي بن الحسين رضي الله عنهما أنه كان يصلي بين المغرب والعشاء ويقول أما سمعتم قول الله تعالى ان ناشئة الليل هذه ناشئة الليل (هي أشد وطئا) هي خاصة دون ناشئة النهار أشد مواطأة يواطئ قلبه لسانها ان أردت النفس أو يواطئ فيها قلب القائم لسانه ان أردت القيام أو العبادة أو الساعات أو أشد موافقة لما يراد من الخشوع والاخلاص وعن الحسن أشد موافقة بين السر والعلانية لانقطاع رؤية الخلائق وقرئ أشد وطئا بالكسر والمعنى أشد ثبات قدم وأبعد من الزلل أو أثقل وأغلظ على المصلي من صلاة النهار من قوله عليه السلام اللهم اشدد وطأتك على مضر (وأقوم قيلا) وأسد مقالا وأثبت قراءة لظهور الاصوات وعن أنس رضي الله عنه أنه قرأ وأصوب قيلا فقيل له يا أبا حمزة انما هي وأقوم فقال ان أقوم وأصوب وأهيأ واحد وروى أبو زيد الانصاري عن أبي سرار الغنوي أنه كان يقرأ هاسوا حاسوا غير معجمة فقيل له انما هو جاسوا بالجيم فقال جاسوا وحاسوا واحد (سبحا) تصرفا وتقلبا في مهماتك وشواغلك ولا تفرغ الا بالليل فعليك بمناجاة الله التي تقتضي فراغ البال وانتفاء الشواغل وأما القراءة بالظاء فاستعارة من سبح الصوف وهو نفشه وتفريق أجزائه لانتشار الهم وتفرق القلب بالشواغل كقوله قيام الليل ثم ذكر الحكمة فيما كلفه منه وهو أن الليل أعون على المواطأة وأسد للقراءة لفراغ الرجل وخفوت الصوت وأنه أجمع للقلب وأضم لشتات الهموم من النهار لانه وقت تتفرق الهموم وتوزع الخواطر والتقلب في حوائج المعاش والمعاد وقيل فراغا وسعة لنوم لك وتصرفك في حوائجك وقيل ان فاتك من الليل شيء فلك في النهار فراغ تقدر على تداركه فيه (واذكر اسم ربك) دم على ذكره في ليلك ونهارك واحرص عليه وذكر الله يتناول كل ما كان من ذكر طيب تسبيح وتهليل وتكبير وتحميد وتحميد وصلاة وتلاوة قرآن ودراسة علم وغير ذلك مما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغرق به ساعات ليله ونهاره (وتبتل اليه) وانقطع اليه (فان قلت) كيف قيل (تبتيلا) ممكان تبتلا (قلت) لان معنى تبتل بتل نفسه فجيء به على معناه مراعاة لحق الفواصل (رب المشرق والمغرب) قرئ مرفوعا على المدح ومجرورا على البدل من ربك وعن ابن عباس على القسم بإضمار حرف القسم كقولك الله لافعلن وجوابه (لا اله الا هو) كما تقول والله لا أحد في الدار الا زيد وقرأ ابن عباس رب المشارق والمغارب (فاتخذه وكيلا) مسبب على الجملة لانه هو وحده هو الذي يجب التوحد بالربوبية أن توكل اليه الامور وقيل وكيلا كفيلا بما وعدك من النصر والاظهار * الصبر الجميل أن يجانبهم بقلبه وهواه ويخالفهم مع حسن المخالقة والمدارا قوالاعضاء وترك المكافأة وعن أبي الدرداء رضي الله عنه انا لنكشر في وجوه قوم ونحن بغضاء اليهم وان قلوبنا لتلعنهم وقيل هو منسوخ بآية السيف * اذا عرف الرجل من صاحبه أنه مسهم يخطب بريد أن يكفاه أو بعد يشهى أن ينتقم له منه وهو مضطلع بذلك صفته عليه قال ذرني وإياه أي لا تحتاج الى التطفير مرادك وشفاءك الا أن تخلي بيني وبينه بأن تكل أمره الي وتستكفيني فان في ما يفرغ بالك ويجلي همك وليس ثم منع حتى يطلب اليه أن يذره وإياه الا ترك الاستكفاء والتفويض كأنه اذا لم يكل أمره اليه فكأنه منعه منه فاذا وكله اليه فقد أزال المنع وتركه وإياه وفيه دليل على الوثوق بأنه يتمكن من الوفاء بما قضي ما تدور حوله أمنية المخاطب ويزيد عليه * النعمة بالفتح التنعم وبالكسر الانعام وبالضم المسرة يقال نعم ونعمة عين وهم صناديد قريش وكانوا أهل تنعم وترفه (ان لدينا)

* قوله تعالى ان ناشئة الليل هي أشد وطأ (قال فيه قيل الناشئة النفس القائمة بالليل التي تنشأ من مضجعها الخ) قال أحمد فان حملت الناشئة على النفس فاضافة المواطأة اليها حقيقة وان حملتها على الساعات أو المصدر فهو من الاستناد المجازي

ان ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا ان لك في النهار سبحا طويلا واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذه وكيلا واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا وذرني والمكذبين أولي النعمة ومهلهم قليلا ان لدينا

ما يضاد تنعمهم * من أنكال وهي القيود الثقال عن الشعبي اذا ارتفعوا استقلت بهم الواحد نكل ونكل * ومن جحيم وهي النار الشديدة الحر والاتقاد * ومن طعام ذي غصة وهو الذي ينشب في الحلوق فلا يساغ يعني الضريع والشجر الزقوم * ومن عذاب أليم من سائر العذاب فلا ترى موكولا اليه أمرهم هو دوراينه وبينهم ينتقم منهم مثل ذلك الانتقام وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية فضحك وعن الحسن أنه أمسى صائما فأتي بطعام فعرضت له هذه الآية فقال ارفعه ووضع عنده الليلة الثانية فعرضت له فقال ارفعه وكذلك الليلة الثالثة فأخبر ثابت البناني ويزيد الضبي ويحيى البكاء فجاؤا فلم يزالوا به حتى شرب شربة من سويق (يوم ترجف) منصوب بما في لدينا والرجفة الزلزلة والزعزعة الشديدة * والكثيب الرمل المجتمع من كثب الشيء اذا جمعه كانه فعيل بمعنى مفعول في أصله ومنه الكثبة من اللبن قالت الضائنة أجرجف الا وأحلب كثبا كثبا الا أي كانت مثل رمل مجتمع هيل هيلا أي تثر وأسيل * الخطاب لاهل مكة (شاهدا عليكم) يشهد عليكم يوم القيامة بكفركم وتكذيبكم (فان قلت) لم نكر الرسول ثم عرف (قلت) لانه أراد أرسلنا الى فرعون بعض الرسل فلما أعاده وهو موصوف بالذكر أدخل لام التعريف اشارة الى المذكور بعينه (وبيلا) ثقيلا غليظا من قولهم كلأ وبيل وخم لا يستمرء لثقله والوبيل العصا الضخمة ومنه الوابل للمطر العظيم (يوما) مفعول به أي فكيف تتقون أنفسكم يوم القيامة وهوله ان بقيتم على الكفر ولم تؤمنوا ونه أو اصله فكيف لكم بالتقوى يوم القيامة ان كفرتم في الدنيا ويجوز أن ينتصب بكفرتم على تأويل جحدتم أي فكيف تتقون الله وتخشونه ان جحدتم يوم القيامة والجزاء لان تقوى الله خوف عقابه و (يجعل الولدان شيبا) مثل في الشدة يقال في اليوم الشديد يوم يشيب نواصي الاطفال والاصل فيه ان الهموم والاحزان اذا تتابعت على الانسان أسرع فيه الشيب قال أبو الطيب

والهم يخترم الجسيم نحافة * ويشيب ناصية الصبي ويهرم

وقد مر في سنن الكتب أن رجلا أمسى فاحم الشعر فكتب الغراب أصبح وهو أبيض الرأس واللحية كالثغامة فقال أريت القيامة والنفخة والنار في المنام ورأيت الناس يقادون في السلاسل الى النار فمن هول ذلك أصبحت كما ترون ويجوز أن يوصف اليوم بالطول وأن الاطفال يلقون فيه أوان الشيخوخة والشيب (السماء منفطر به) وصف اليوم بالشدة ليدل بذلك على أن السماء على عظمها وأحكامها تنفطر فيه فما ظنك بغيرها من الخلائق وقرئ منفطر ومتفطر والمعنى ذات انفطار أو على تأويل السماء بالسقف أو على السماء شيء منفطر والباء في به مثلها في قولك فطرت العود بالقدوم فانفطر به بمعنى أنها تتفطر بشدة ذلك اليوم وهوله كما ينفطر الشيء بما ينفطر به ويجوز أن يراد السماء مثقلة به اثقالا يؤدي الى انفطارها لعظمه على ارتفاعها من وقوعه كقوله ثقلت في السموات والارض (وعده) من اضافة المصدر الى المفعول والضمير لليوم ويجوز أن يكون مضافا الى الفاعل وهو الله عز وعلا ولم يجر له ذكر لكونه معلوما (ان هذه) الآيات الناطقة بالوعيد الشديد (تذكرة) موعظة (فمن شاء) اتعظ بها واتخذ سبيلا الى الله بالتقوى والخشية ومعنى اتخاذ السبيل اليه التقرب والتوصل بالطاعة (أدنى من ثلثي الليل) أقل منهما وانما استعير الادنى وهو الاقرب للاقل لان المسافة بين الشيئين اذا دنت قل ما بينهما من الاحياز واذا بعدت كثر ذلك * وقرئ ونصفه وثلثه بالنصب على أنك تقوم أقل من الثلثين وتقوم النصف والثلث وهو مطابق لما مر في أول السورة من التخيير بين قيام النصف بتمامه وبين قيام الناقص منه وهو الثلث وبين قيام الزائد عليه وهو الادنى من الثلثين وقرئ ونصفه وثلثه بالجر أي تقوم أقل من الثلثين وأقل من النصف والثلث وهو مطابق للتخيير بين النصف وهو أدنى من الثلثين والثلث وهو أدنى من النصف والربع وهو أدنى من الثلث وهو الوجه الاخير (وطائفة من الذين معك) ويقوم ذلك جماعة من أصحابك (والله يقدر الليل والنهار) ولا يقدر على تقدير الليل والنهار وسير فلكهما على الحالة التي هما عليها الا الله وحده وتقديم اسمه عز وجل مبتدأ مبنيا عليه يقدر هو الدال على معنى الاختصاص بالتقدير والمعنى انكم لا تقدرون عليه * والضمير في (أن تحصوه) للمصدر يقدر أي علم أنه لا يصح

أنكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا أليما يوم ترجف الارض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا انا أرسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذا وبيلا فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا السماء منفطر به كان وعده مفعولا ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك والله يقدر الليل والنهار علم أن لن تحصوه

منكم ضبط الاوقات ولا يتأتى حسابها بالتعديل والتسوية الآن تأخذوا بالاوسع للاحتياط وذلك شاق عليكم بالغ عنكم (فتاب عليكم) عبارة عن الترخص في ترك القيام المقدر بقوله فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن والمعنى أنه رفع التبعة عن تركه عنكم كما يرفع التبعة عن التائب * وعبر عن الصلاة بالقرآن لانها بعض أركانها كما عبر عنها بالقيام والركوع والسجود يريد فصلوا ما تيسر عليكم ولم يتعذر من صلاة الليل وهذا ناسخ للاول ثم نسخ جميعا بالصلوات الخمس وقيل هي قراءة القرآن بعينها قيل يقرأ مائة آية ومن قرأ مائة آية في ليلة لم يحاجه القرآن وقيل من قرأ مائة آية كتب من القانتين وقيل خمسين آية * وقد بين الحكمة في النسخ وهي تعذر القيام على المرضى والضاربين في الارض للتجارة والمجاهدين في سبيل الله وقيل سوى الله بين المجاهدين والمسافرين لكسب الحلال وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أيما رجل جلب شيئا الى مدينة من مدائن المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان عند الله من الشهداء وعن عبد الله بن عمر ما خلق الله موتة أموتها بعد القتل في سبيل الله أحب الي من أن أموت بين شعبتي رحل أضرب في الارض أبتغي من فضل الله و (علم) استئناف على تقدير السؤال عن وجه النسخ (وأقيموا الصلوة) يعني المفروضة * والزكاة الواجبة وقيل زكاة الفطر لانه لم يكن بمكة زكاة وانما وجبت بعد ذلك ومن فسرها بالزكاة الواجبة جعل آخر السورة مدنيا (وأقرضوا الله قرضا حسنا) يجوز أن يريد سائر الصدقات وأن يريد أداء الزكاة على أحسن وجه من اخراج أطيب المال وأعوده على الفقراء ومراعاة النية وابتغاء وجه الله والصرف الى المستحق وأن يريد كل شيء يفعل من الطاعات يتعلق بالنفس والمال (خيرا) ثاني مفعولي وجد وهو فصل ويجوز وان لم يقع بين معرفتين لان أفعل من أشبه في امتناعه من حرف التعريف المعرفة وغرابة المثال هو خيرا وأعظم أجرا بالرفع على الابتداء والخبر من رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المزمل دفع الله عنه الفقر في الدنيا والآخرة

﴿سورة المدثر مكية وهي ست وخمسون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(المدثر) لابس الدثار وهو ما فوق الشعار وهو الثوب الذي يلي الجسد ومنه قوله عليه الصلاة والسلام الانصار شعار والناس دثار وقيل هي أول سورة نزلت وروى جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت على جبل حراء فنوديت يا محمد انك رسول الله فنظرت عن يميني وشمالي فلم أر شيئا فنظرت فوقي فرأيت شيئا وفي رواية عائشة فنظرت فوقي فاذا هو قاعد على عرش بين السماء والارض يعني الملك الذي ناداه فرعبت ورجعت الى خديجة فقلت دثروني دثروني فنزل جبريل وقال يا أيها المدثر وعن الزهري أول ما نزل سورة اقرأ باسم ربك الى قوله ما لم يعلم فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يعلو شواهق الجبال فأتاه جبريل فقال انك نبي الله فرجع الى خديجة وقال دثروني وصبوا علي ماء باردا فنزل يا أيها المدثر وقيل سمع من قريش ما كرهه فاغتم فتغطى بثوبه متفكرا كما يفعل المغموم فأمر أن لا يدع انذارهم وان أسمعوه وآذوه وعن عكرمة أنه قرأ على لفظ اسم المفعول من دثره وقال دثرت هذا الامر وعصبت به كما قال في المزمل قم من مضجعك أو قم قيام عزم وتصميم (فأنذر) خذر قومك من عذاب الله ان لم يؤمنوا والصحيح أن المعنى فافعل الانذار من غير تخصيص لبعض دون أحد (وربك فكبر) واختص ربك بالتكبير وهو الوصف بالكبرياء وان يقال الله أكبر وروى أنه لما نزل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر فكبرت خديجة وفرحت وأيقنت أنه الوحي وقد يحمل على تكبير الصلاة ودخلت الفاء لمعنى الشرط كأنه قيل وما كان فلا تدع تكبيره (وثيابك فطهر) أمر بأن تكون ثيابه طاهرة من النجاسات لان طهارة الثياب شرط في الصلاة لا تصح الا بها وهو الاول والاحب في غير الصلاة وقبيح المؤمن الطيب أن يجعل خبثا وقيل هو أمر بتقصيرها وكانت العرب في تطويلهم الثياب وجرهم الذيول وذلك مما لا يؤمن معه اصابة النجاسة وقيل هو أمر بتطهير النفس مما يستقذر من الافعال ويستهجن من العادات يقال فلان طاهر الثياب وطاهر الجيب والذيل والاردان اذا

فتاب عليكم فاقرؤا ما تيسر من القرآن علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله فاقرؤا ما تيسر منه وأقيموا الصلاة وآتوا الزكوة وأقرضوا الله قرضا حسنا وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا واستغفروا الله ان الله غفور رحيم

﴿سورة المدثر مكية وهي ست وخمسون آية﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر

وصفوه بالنقاء من المعايب ومدانس الاخلاق وفلان دنس الثياب للعادر وذلك لان الثوب يلابس الانسان ويشتمل عليه فكني به عنه ألا ترى الى قولهم أعجبني زيد ثوبه كما يقولون أعجبني زيد عقله وخلقه ويقولون الجد في ثوبه والكرم تحت حلته ولان الغالب أن من طهر باطنه ونقاه عني بتطهير الظاهر وتنقيته وأبى الاجتناب الخبث وايثار الطهر في كل شئ (والرجز) قرئ بالكسر والضم وهو العذاب وسمناه الهجر لما يؤدي اليه من عبادة الاوثان وغيرها من المآثم والمعنى الثبات على هجره لانه كان برأسه * قرأ الحسن ولا تمنن وتستكثر مرفوع منصوب المحل على الحال أي ولا تعط مستكثرا تابلما تعطيه كثيرا أو طالبا للكثير نهى عن الاستئثار وهو أن يهب شيأ وهو يطمع أن يتعوض من الموهوب له أكثر من الموهوب وهذا جائز ومنه الحديث المستغزر يثاب من هبته وفيه وجهان أحدهما أن يكون نهيا خاصا برسول الله صلى الله عليه وسلم لان الله تعالى اختار له أشرف الآداب وأحسن الاخلاق والثاني أن يكون نهي تنزيه لا تحريم له ولامته * وقرأ الحسن تستكثر بالسكون وفيه دلالة أوجه الابدال من غير كأنه قيل ولا تمنن لا تستكثر على أنه من المن في قوله عز وجل ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لان من شأن المنان بما يعطي أن يستكثر أي يراه كثيرا ويعتد به وأن يشبه شرا وبعضد فيسكن تخفيفا وأن يعتبر حال الوقف وقرأ الاعمش بالنصب باضمار أن كقوله * ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى * وتؤيده قراءة ابن مسعود ولا تمنن أن تستكثر ويجوز في الرفع أن تحذف أن ويبطل عملها كما روي أحضر الوغى بالرفع (ولربك فاصبر) ولوجه الله فاستعمل الصبر وقيل على أذى المشركين وقيل على أداء الفرائض وعن النخعي على عيلتك كأنه وصله بما قبله وحمله صبرا على العطاء من غير استكثار والوجه أن يكون أمرا بنفس الفعل وأن يتناول على العموم كل مصبور عليه ويصبور عنه ويراد الصبر على أذى الكفار لانه أحد ما يشاوله العام * والفاء في قوله (فاذا نقر) للتسبيب كأنه قال اصبر على أذاهم فبين أيديهم يوم عسير يلقون فيه عاقبة أذاهم وتلقى فيه عاقبة صبرك عليه * والعامل (فذلك) للجزاء (فان قلت) ثم النصب اذا وكيف صح أن يقع اليوم ظرفا ليوم عسير (قلت) انتصب اذا عامل عليه الجزاء لان المعنى اذا نقر في الناقور وعسر الامر على الكافرين والذي أجاز وقوع يومئذ ظرفا ليوم عسير أن المعنى فذلك وقت النقر ووقوع يوم عسير لان يوم القيامة آت ويقع حين ينقر في الناقور واختلف في أنها النفخة الاولى أم الثانية ويجوز أن يكون يومئذ بدلا من يوم عسير خبر كأنه قيل فوم النقر يوم عسير (فان قلت) فائدة قوله (غير يسير) وعسير مغن عنه (قلت) لما قال على الكافرين فقصر العسر عليهم قال غير يسير ليؤذن بأنه لا يكون عليهم كما يكون على المؤمنين يسيرا هينا لجمعهم بين عسر الكافرين وزيادة غيظهم وبشارة المؤمنين وتسليتهم ويجوز أن يراد أنه عسير لا يرجى أن يرجع يسيرا كما يرجى لبعض العسير من أمور الدنيا (وحيدا) حال من الله عز وجل على معنيين أحدهما اذرني وحدي معه فأنا أجزيك في الانتقام منه عن كل منتقم والثاني خلقته وحدي لم يشركني في خلقه أحد أو حال من المخلوق على معنى خلقته وهو وحيد فريد لا مال له ولا ولد كقوله ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي وكان يلقب في قومه بالوحيد ولعله لقب بذلك بعد نزول الآية فان كان ملقبا قبل فهو تهكم به وتغيير له عن الغرض الذي كانوا يؤمونه من مدحه والثناء عليه بأنه وحيد قومه في رياسته ويساره وتقدمه في الدنيا الى وجه الذم والعيب وهو أنه خلق وحيدا لا مال له ولا ولد فآتاه الله ذلك ففكر بمعمة الله وأشرك به واستهزأ بدينه (ممدودا) مبسوطا كثيرا أو ممدا بالنماء من مد النهر ومده نهر آخر قيل كان له الزرع والضرع والتجارة وعن ابن عباس هو ما كان لابيه بين مكة والطائف من صنوف الاموال وقيل كان له بستان بالطائف لا ينقطع ثماره صيفا وشتاء وقيل كان له ألف مثقال وقيل أربعة آلاف وقيل تسعة آلاف وقيل ألف ألف وعن ابن جريج غلة شهر بشهر (وبنين شهودا) حضور امعه بمكة لا يفارقونه للتصرف في عمل أو تجارة لانهم مكفيون لوفور نعمة أبيهم واستغنائهم عن التكسب وطلب المعاش بأنفسهم * وقيل مستأنسين بهم لا يشتغل قلبه بغيبتهم وخوف مصاحبة السفر عليهم ولا يحزن لفراقهم والاشتياق اليهم

والرجز فاهجر ولا تمنن تستكثر ولربك فاصبر فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير ذرني ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا

ويجوز أن تكون معناه أنهم رجال يشهدون معه المجامع والمحافل أو تسمع شهاداتهم فيما يتحاكم فيه وعن مجاهد كان له عشرة بنين وقيل ثلاثة عشر وقيل سبعة كلهم رجال الوليد بن الوليد والوليد والعمارة وهشام والعاص وقيس وعبد شمس أسلم منهم ثلاثة خالد وهشام وعمارة (ومهدت له تمهيدا) وبسطت له الجاه العريض والرياسة في قومه فاغتمت عليه نعمتي المال والجاه واجتماعهما هو الكمال عند أهل الدنيا ومنه قيل للناس أدام الله تأييدك وتمهيدك يريدون زيادة الجاه والحشمة وكان الوليد من وجهاء قريش وصناديدهم ولذلك لقب الوحيد وريحانة قريش (ثم يطمع) استبعاد واستنكار لطمعه وحرصه يعني أنه لا مزيد على ما أوتي سعة وكثرة وقيل انه كان يقول ان كان محمد صادقا فما خلقت الجنة الا لي (كلا) ردع له وقطع لرجائه وطمعه (انه كان لآياتنا عنيدا) تعليل للردع على وجه الاستئناف كأن قائلا قال لم لا يزاد فقيل انه عاند آيات النعم وكفر بذلك نعمه والكافر لا يستحق أن يزيد وروي أنه مازال بعد نزول هذه الآية في نقصان من ماله حتى هلك (سأرهقه صعودا) سأغشيه عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما يلقى من العذاب الشاق الصعب الذي لا يطاق وعن النبي صلى الله عليه وسلم بكلف أن يصعد عقبة في النار كلما وضع عليها يده ذابت فاذا رفعها عادت وإذا وضع رجله ذابت فاذا رفعها عادت وعنه عليه السلام الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوى فيه كذلك أبدا (انه فكر) تعليل للوعيد كأن الله تعالى عاجله بالفقر بعد الغنى والذل بعد العز في الدنيا والعذاب وبعاقبه في الآخرة بأشد العذاب وأفظعه لبلوغه بالعناد غايته واقصاه في تفكيره وتسميته القرآن سحرا وعجزان أن تكون كلمة الرد مع تتوعه بقوله سأرهقه صعودا رد لزعمه أن الجنة لم تخلق الا له واخبارا بأنه من أشد أهل النار عذابا ويدل ذلك بعناده ويكون قوله انه فكر بدلا من قوله انه كان لآياتنا عنيدا بيانا لكنه عناده بمعناه فكر ماذا يقول في القرآن (وقدر) في نفسه ما يقوله وهيأه (فقتل كيف قدر) تعجيب من تقديره واصابته فيه الخبر ورميه الغرض الذي كان تلقيحه قريش أو شاه عليه على طريقة الاستهزاء بهم أو هو حكاية لما ذكروه من قولهم قتل كيف قدرته كلامهم وبالجاههم بتقديره واستقلالهم لقوله ومعنى قول القائل قتله الله ما أجمعه وأجزاه لله بالشر هو الدعاء بأنه قد بلغ المبلغ الذي هو حقيق بأن يحسد ويدعو عليه حاسده بذلك روي أن الوليد قال لبني مخزوم والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وان أسفله لمغدق وانه يعلو وما يعلى فقالت قريش صبأ والله الوليد والله لتصبأن قريش كلهم فقال أبو جهل أنا أكفيكموه فقعد اليه محزونا فقال له يا عماه فقام فأتاهم فقال تزعمون أن محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق وتقولون انه كاهن فهل رأيتموه يتكهن وتزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرا قط وتزعمون أنه كذاب فهل جربتم عليه شيأ من الكذب فقالوا اللهم لا ثم قالوا فما هو ففكر فقال ماهو الا ساحر أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده وعشيرته بسحره فتفرقوا وهم يقولون هو ساحر وما الذي يقوله الا سحر يأثره عن صميلة وعن أهل بابل فارتج النادي فرحا وتفرقوا معجبين بقوله مستحسنين منه (ثم نظر) في وجوه الناس ثم قطب وجهه ثم ترحف مدبرا وتشاوس مستكبرا مما خطرت بباله الكلمة لشنعائها وهم أن يرمي بها ووصف أشكاله التي تشكل بها حتى استنبط ما استنبط استهزاء به وقيل قدر ما يقوله ثم نظر فيه ثم عبس لما ضاقت عليه الحيل ولم يدر ما يقول وقيل قطب في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثم أدبر) عن الحق (واستكبر) عنه فقال ما قال وثم نظر عطف على فكر وقدر والدعاء اعتراض بينهما (فان قلت) ما معنى ثم الداخلة في تكرير الدعاء (قلت) الدلالة على أن الكرة الثانية أبلغ من الاولى ونحوه قوله الا يا اسلمي ثم اسلمي ثمت اسلمي (فان قلت) ما معنى المتوسطة بين الافعال التي بعدها (قلت) الدلالة على أنه فدنا في كل تأمل وتعمل وكان بين الافعال المتناسقة تراخ وتباعد (فان قلت) فلم قيل (فقال ان هذا) بالفاء بعد عطف ما قبله بثم (قلت) لان الكلمة لما خطرت بباله بعد التطلب لم يتمالك أن نطق بها من غير تلبث (فان قلت) فلم لم يتوسط حرف العطف بين الجملتين (قلت) لان الاخرى جرت من الاولى مجرى التوكيد من المؤكد (سأصليه سقر) بدل من سأرهقه صعودا (لا تبقي) شيأ يلقى فيها الا أهلكته واذا هلك لم تذره هالكا

وهمهدت له تمهيدا ثم يطمع أن أزيد كلا انه كان لآياتنا عنيدا سأرهقه صعودا انه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم أدبر واستكبر فقال ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر سأصليه سقر وما أدراك ما سقر لا تبقي ولا تذر

﴿القول في سورة المدثر﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿قوله تعالى ثم يطمع ان أزيد (قال دخلت ثم استبعاد الطمعه وحرصه على الزيادة واستنكارا للذلك فرد الله طمعه خائبا الخ) قال أحمد لان الكلمة الشنعاء لما خطرت بباله بعد امعانه النظر لم يتمالك ان نطق بها من غير تلبث (قال) فان قلت لم لم يتوسط بين الجملتين عاطفا وأجاب بأن الثانية أتبعتها فخرج التوكيد للاولى

* قوله تعالى وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم الآية (قال فيه إن قلت قد جعل افتتان الكافرين بعدة الزبانية سببا
الخ) قال أحمد ما جعل افتتانهم بالعدة سببا لذلك وإنما العدة نفسها هي التي جعلت سببا لأن المراد وما جعلنا عدتهم إلا تسعة عشر فوضع
فتنة للذين كفروا موضع ذلك لأن حال هذه العدة الناقصة واحدا من العشرين أن يفتتن بها من لا يؤمن بالله وبحكمته ولا يذعن وإن
خفي عليه وجه الحكمة كأنه قيل لقد جعلنا (٥٠٤) عدتهم عدة من شأنها أن يفتتن بها لأجل استيقان المؤمنين وحيرة الكافرين

حتى يعاد أو لا تبقى على شيء ولا تدعه من الهلاك بل كل ما يطرح فيها هالك لا محالة (لواحة) من لوح الهجير
قال

تقول ما لاحك يا مسافر * يا ابنة عمي لاحني الهواجر

قيل تلفح الجلد لفحة فتدعه أشد سوادا من الليل * والبشر أعالي الجلود وعن الحسن تلوح للناس كقوله ثم لترونها عين اليقين * وقرئ لواحة نصبا على الاختصاص للتهويل (عليها تسعة عشر) أي يلي أمرها ويتسلط على أهلها تسعة عشر ملكا وقيل صنفا من الملائكة وقيل صفا وقيل نقيبا وقرئ تسعة عشر بسكون العين لتوالي الحركات في ما هو في حكم اسم واحد وقرئ تسعة أعشر جمع عشير مثل يمين وأيمن جعلهم ملائكة لأنهم خلاف جنس المعذبين من الجن والإنس فلا يأخذهم ما يأخذ المجانس من الرأفة والرقة ولا يستروحون إليهم ولأنهم أقوم خلق الله بحق الله وبالغضب له فتؤمن هوادتهم ولأنهم أشد الخلق بأسا وأقواهم بطشا عن عمرو بن دينار واحد منهم يدفع بالدفعة الواحدة في جهنم أكثر من ربيعة ومضر وعن النبي صلى الله عليه وسلم كأن أعينهم البرق وكأن أفواههم الصياصي يجرون أشعارهم لأحدهم مثل قوة الثقلين يسوق أحدهم الأمة وعلى رقبته جبل فيرمي بهم في النار ويرمي بالجبل عليهم وروي أنها لما نزلت عليها تسعة عشر قال أبو جهل لقريش ثكلتكم أمهاتكم أسمع ابن أبي كبشة يخبركم أن خزنة النار تسعة عشر وأنتم الدهم أيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل منهم فقال أبو الأشد بن أسيد بن كلدة الجمحي وكان شديد البطش أنا أكفيكم سبعة عشر فاكفوني أنتم اثنين فأنزل الله (وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة) أي ما جعلناهم رجالا من جنسكم يطاقون (فإن قلت) قد جعل افتتان الكافرين بعدة الزبانية سببا لاستيقان أهل الكتاب وزيادة إيمان المؤمنين واستهزاء الكافرين والمنافقين فما وجه صحة ذلك (قلت) ما جعل افتتانهم بالعدة سببا لذلك وإنما العدة نفسها هي التي جعلت سببا وذلك أن المراد بقوله (وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا) وما جعلنا عدتهم إلا تسعة عشر فوضع فتنة للذين كفروا موضع تسعة عشر لأن حال هذه العدة الناقصة واحدا من عقد العشرين أن يفتتن بها من لا يؤمن بالله وبحكمته ويعترض ويستهزئ ولا يذعن إذعان المؤمن وإن خفي عليه وجه الحكمة كأنه قيل ولقد جعلنا عدتهم عدة من شأنها أن يفتتن بها لأجل استيقان المؤمنين وحيرة الكافرين واستيقان أهل الكتاب لأن عدتهم تسعة عشر في الكتابين فإذا سمعوا بمثلها في القرآن أيقنوا أنه منزل من الله وازدياد المؤمنين إيمانا لتصديقهم بذلك كما صدقوا سائر ما أنزل ولما رأوا من تسليم أهل الكتاب وتصديقهم أنه كذلك (فإن قلت) لم قال (ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون) والاستيقان وازدياد الإيمان دالا على انتفاء الارتياب (قلت) لأنه إذا جمع لهم إثبات اليقين ونفي الشك كان آكد وأبلغ لوصفهم بسكون النفس وثلج الصدر ولأن فيه تعريضا بحال من عداهم كأنه قال ولتخالف حالهم حال الشاكين المرتابين من أهل النفاق والكفر (فإن قلت) كيف ذكر الذين في قلوبهم مرض وهم المنافقون والسورة مكية ولم يكن بمكة نفاق وإنما نجم بالمدينة (قلت) معناه وليقول المنافقون الذين ينجمون في مستقبل الزمان بالمدينة بعد الهجرة (والكافرون) بمكة (ماذا أراد الله بهذا مثلا) وليس في ذلك إلا إخبار بما سيكون كسائر الإخبارات بالغيوب وذلك لا يخالف كون السورة مكية ويجوز أن يراد بالمرض الشك والارتياب لأن أهل مكة كان أكثرهم شاكين وبعضهم قاطعين بالكذب (فإن قلت) قد علل جعلهم تسعة عشر بالاستيقان وانتفاء

واستيقان أهل الكتاب * قال أحمد السائل جعل الفتنة التي هي في تقدير الصفة للعدة الذي في الكلام ذات تنقسيما ثم أبعدها والمجيب جعل العدة التي عرضت لها هذه الصفة سببا لا باعتبار عروض الصفة لها ويجوز أن يكون ليستيقن راجعا الى

لواحة للبشر عليها تسعة عشر وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانا ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا

ما قبل الاستثناء كأنه قيل ما جعلنا عدتهم سببا لفتنة الكافرين وسببا ليقين المؤمنين وهذا الوجه أقرب مما ذكره الزمخشري وإنما ألجأه إليه اعتقاد أن الله تعالى ما فتنهم ولكنهم فتنوا أنفسهم بناء على قاعدة التبعيض في المشيئة وبئست القاعدة فاحذرها * عاد كلامه (قال وقوله الارتياب
تعالى ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب بعد قوله ليستيقن ليحصل لهم فائدة الجمع بين إثبات اليقين الخ) قال أحمد أطلق الغرض على الله عز وجل
مع أنه موهم ولم يرد فيه سماع وأورد السؤال على قاعدته بعد ذلك كله في أن الله لم يرد من المنافقين والكافرين أقوالهم وإنما قالوا على خلاف
ما أراد وقد عرفت فساد القاعدة فاربح فكرك من هذا السؤال فالكل مراد وحسبك تتمة الآية كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء

الارتياب وقول المنافقين والكافرين ماقالوا فهب أن الاستيقان وانتفاء الارتياب يصح أن يكونا غرضين فكيف صح أن يكون قول المنافقين والكافرين غرضا (قلت) أفادت اللام معنى العلة والسبب ولا يجب فى العلة أن تكون غرضا الا ترى الى قولك خرجت من البلد لمخافة الشر فقد جعلت المخافة علة لخروجك وما هى بغرض منك لا غير لهذا أو حال منه كقوله هذه ناقة الله لكم آية (فان قلت) لم سموه مثلا (قلت) هو استعارة من المثل المضروب لانه مما غرب من الكلام ويدع استغرابا منهم لهذا العدد واستبدادا له والمعنى أى شئ أراد الله بهذا العدد العجيب وأى غرض قصد فى أن جعل الملائكة تسعة عشر لا عشرين سواهم ادهم انكاره من أصله وأنه ليس من عند الله وأنه لو كان من عند الله لجاء بهذا العدد الناقص * الكاف فى (كذلك) نصب وذلك اشارة الى ماقبله من معنى الاضلال والهدى أى مثل ذلك المذكور من الاضلال والهدى يضل الكافرين ويهدى المؤمنين يعنى يعمل فعلا حسنا مبنيا على الحكمة والصواب ويراه المؤمنون حكمة ويعتقدون له اعتقادهم أن أفعال الله كلها حسنة وحكمة فيزيدهم ايمانا وينكره الكافرون ويشكون فيه فيزيدهم كفرا وضلالا (وما يعلم جنود ربك) وما عليه كل جند من العدد الخاص من كون بعضها على عشرة كاملة وبعضها على عدد ناقص وما فى اختصاص كل جند بهذه من الحكمة (الا هو) ولا سبيل لاحد الى معرفة ذلك كما لا يعرف الحكمة فى أعداد السموات والارضين وأيام السنة والشهور والبروج والكواكب وأعداد الغلب والجنود والكفارات والصلوات فى الشريعة أو وما يعلم جنود ربك لفرط كثرتها الا هو فلا يحيط علمه بتفاريق عشرين ولكن له فى هذا العدد الخاص حكمة لا تعلمونها وهو ما علمها وقيل هو جواب لقول أبى جهل أما لمحمد أعوان الا تسعة عشر وما جعلنا أصحاب النار الا قوله الا هو اعتراض وقوله (وما هى الا ذكرى) متصل بوصف سقر وهى ضميرها أى وما سقر وصفتها الا تذكرة (للبشر) أو ضمير الآيات التى ذكرت فيها (كلا) انكار بعد أن جعلها ذكرى أن تكون لهم ذكرى لانهم لا يتذكرون أو ردع لمن ينكر أن تكون احدى الكبر نذيرا و (ندير) يعنى أدر كقبل يعنى أقبل ومنه صار واكامس الدابر وقيل هو من دبر الليل النهار اذا خلفه وقرئ اذ أدبر (انها لاحدى الكبر) جواب القسم أو تعليل لكلا والقسم معترض للتوكيد والكبر جمع الكبرى جعلت ألف التأنيث كتائها فجمعت تعليقا على فعل جمعت على فعل كما نظير ذلك السوالف فى جمع السالم والقواصع فى جمع القاصعاء كانها جمع فاعلة أى لاحدى البلايا أو الدواهى الكبر ومعنى كونهم احداهن أنهن بين واحدة فى العظم لا نظير لها تقول هو أحد الرجال وهى احدى النساء (نذيرا) تمييز من احدى على معنى انها احدى الدواهى انذارا تقول هى احدى النساء عفافا وقيل هى حال وقيل هو متصل بأول السورة يعنى قم نذيرا وهو من بدع التفاسير وفى قراءة أبى نذير بالرفع خبر بعد خبر لان أو بحذف المبتدأ (أن يتقدم) فى موضع الرفع بالابتداء وان شاء خبر مقدم عليه كقولك لمن توضأ أن تصلى ومعناه مطلق لمن شاء التقدم أو التأخر أن يتقدم أو يتأخر والمراد بالتقدم والتأخر السبق الى الخير والتخلف عنه وهو كقوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ويجوز أن يكون لمن شاء بدلا من للبشر على أنها انذرة للمكلفين الممكنين الذين ان شاؤا تقدموا فازوا وان شاؤا تأخروا فهلكوا (رهينة) ليست بتأنيث رهين فى قوله كل امرئ بما كسب رهين لتأنيث النفس لانه لو قصدت الصفة لقيل رهين لان فعيلا بمعنى مفعول يستوى فيه المذكر والمؤنث وانما هى اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم كانه قيل كل نفس بما كسبت رهن ومنه بيت الحماسة

أبعد الذى بالنعف نعف كويكب * رهينة رمس ذى تراب وجندل

كانه قال رهن رمس والمعنى كل نفس رهن بكسبها عند الله غير مفكوك (الا أصحاب اليمين) فانهم فكوا عنه رقابهم بما أطابوه من كسبهم كما يخلص الراهن رهنه باداء الحق وعن على رضى الله عنه أنه فسر أصحاب اليمين بالاطفال لانهم لا أعمال لهم يرتهنون بها وعن ابن عباس رضى الله عنه هم الملائكة (فى جنات) أى

كذلك يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء وما يعلم جنود ربك الا هو وما هى الا ذكرى للبشر كلا والقمر والليل اذ أدبر والصبح اذا أسفر انها لاحدى الكبر نذيرا للبشر لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر كل نفس بما كسبت رهينة لا أصحاب اليمين فى جنات

* قوله تعالى كل نفس بما كسبت رهينة (قال ولم يقل بما كسبت تأنيث رهين الخ) قال أحمد لانه فعيل بمعنى مفعول يستوى مذكره ومؤنثه كقتيل وجريح * عاد كلامه قال وانما هى اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم الخ

* قوله تعالى في جنات يتساءلون عن المجرمين ما سلككم في سقر الآية (قال فيه يتساءلون يعني يسأل بعضهم بعضا عنهم الخ) قال أحمد لما أورد السؤال ذريعة وحيلة (٥٠٦) لتحصيل الآية الدالة على أن فساق المسلمين تاركي الصلاة مثلا يسلكون في النار

هم في جنات لا يكتنه وصفها (يتساءلون عن المجرمين) يسأل بعضهم بعضا عنهم أو يتساءلون غيرهم عنهم كقولك دعوته وتداعيناه (فان قلت) كيف طابق قوله (ما سلككم) وهو سؤال للمجرمين قوله يتساءلون عن المجرمين وهو سؤال عنهم وانما كان يتطابق ذلك لو قيل يتساءلون المجرمين ما سلككم (قلت) ما سلككم ليس ببيان للتساؤل عنهم وانما هو حكاية قول السؤلين عنهم لان المسؤلين يلقون الى السائلين ما جرى بينهم وبين المجرمين فيقولون قالوا لهم ما سلككم (في سقر قالوا لم نك من المصلين) الا الآن الكلام جيء به على الحذف والاختصار كما هو نهج التنزيل في عزالة نظمه * الخوض الشروع في الباطل ومالا ينبغي (فان قلت) لم يسألونهم وهم عالمون بذلك (قلت) توبيخا لهم وتحسيرا وليكون حكاية الله ذلك في كتابه تذكرة للساهين وقد عضد بعضهم تفسير أصحاب اليمين بالاطفال أنهم لما سألوهم لانهم ولدان لا يعرفون موجب دخول النار (فان قلت) أيريدون أن كل واحد منهم بمجموع هذه الاربع دخل النار أم دخلها بعضهم بهذه وبعضهم بهذه (قلت) يحتمل الامرين جميعا (فان قلت) لم أخر التكذيب وهو أعظمها (قلت) أرادوا أنهم بعد ذلك كله كانوا مكذبين بيوم الدين تعظيما للتكذيب كقولهم ثم كان من الذين آمنوا (اليقين) الموت ومقدماته * أي لو شفع لهم الشافعون جميعا من الملائكة والنبيين وغيرهم لم تنفعهم شفاعتهم لان الشفاعة لمن ارتضاه الله وهم مسخوط عليهم وفيه دليل على أن الشفاعة تنفع يومئذ لناس آخرين في درجات المرتضين (عن التذكرة) عن التذكير وهو الموعظة يريد القرآن أو غيره من المواعظ و (معرضين) نصب على الحال كقولك مالك قائما * والمستنفرة الشديدة النفار كأنها تطلب النفار من نفورها في جريها وجعلها عليه وقرئ بالفتح وهي المنفرة المحمولة على النفار * والقسورة جماعة الرماة الذين يتصيدونها وقيل الاسد يقال لليوث قسورة وهي فعولة من القسر وهو القهر والغلبة وفي وزنه الحيدرة من أسماء الاسد وعن ابن عباس ذكر الناس وأصواتهم وعن عكرمة ظلمة الليل شبههم في اعراضهم عن القرآن واستماع الذكر والموعظة وشرادهم عنه بحمر حدت في نفارها أقوى نفارا وفي تشبيههم بالحمر مذمة ظاهرة وتهجين لحالهم بين كما في قوله كمثل الحمار يحمل أسفارا وشهادة عليهم بالبلادة وقلة العقل ولا ترى مثل نفار حمير الوحش واطرادها في المذواذا رأيها راكب ولذلك كان أكثر تشبيهات العرب في وصف الابل وشدة سيرها بالحمر وعدوها اذا وردت ماء فأحست عليه بقانص (صحفا منشرة) قراطيس تنشر وتقرأ كالكتب التي يتكاتب بها أو كتبا كتبت في السماء ونزلت بها الملائكة ساعة كتبت معنشرة على أيديها غضة رطبة لم تطو بعد وذلك أنهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان نتبعك حتى تأتي كل واحد منا بكتب من السماء عنوانها من رب العالمين الى فلان بن فلان نؤمن فيها باتباعك ونحوه قوله وقالوا لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وقال ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم الآية وقيل قالوا ان كان محمد صادقا فليصبح عند رأس كل رجل منا صحيفة فيها براءته وأمنه من النار وقيل كانوا يقولون بلغنا أن الرجل من بني اسرائيل كان يصبح مكتوبا على رأسه ذنبه وكفارته فأتانا بمثل ذلك وهذا من الصحف المنشرة بمنزل الآن يراد بالصحف المنشرة الكتابات الظاهرة المكشوفة وقرأ سعيد بن جبير صحفا منشرة بتخفيفهما على أن أنشر الصحف ونشرها واحد كأنزله ونزله * ردعهم بقوله (كلا) عن تلك الارادة وزجرهم عن اقتراح الآيات ثم قال (بل لا يخافون الآخرة) فلذلك أعرضوا عن التذكرة لا لامتناع ايتاء الصحف ثم رد عهم عن اعراضهم عن التذكرة وقال (انه تذكرة) يعني ان تذكرة بليغة كافية منهم أمرها في الكفاية (فمن شاء) أن يذكره ولا ينساه ويجعله نصب عينه فعل فان نفع ذلك راجع اليه والضمير في انه و (ذكره) للتذكرة في قوله فما لهم عن التذكرة معرضين وانما ذكروا لانها في معنى الذكر أو القرآن (وما يذكرون الا أن يشاء الله) يعني الا أن يقسرهم على الذكر ويلجئهم اليه لانهم مطبوع على قلوبهم معلوم أنهم

مخلدين مع الكفار فجعل كل واحد من الخلال الاربع توجب ما توجب الاخرى من الخلود والصحيح في معنى الآية انها خاصة بالكفار ومعنى قولهم لم نك من المصلين لم نك من أهل الصلاة وكذلك

يتساءلون عن المجرمين ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين فما تنفعهم شفاعة الشافعين فما لهم عن التذكرة معرضين كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة كلا بل لا يخافون الآخرة كلا انه تذكرة فمن شاء ذكره وما يذكرون الا أن يشاء الله

الى آخرها لانهم يكذبون بيوم الدين والمكذب لا يصح منه طاعة من هذه الطاعات ولو فعلها لم تنفعه وقدمت كالعدم ولذا يتأسفون على ترك فعل هو نافع

لهم * قال وفي تشبيههم بالحمر تهجين لحالهم وشهادة عليهم بالبلادة وأيضا المقصود تشبيه ادبارهم عن الحق وتسارعهم الى الاعراض عنه بنفار حمر الوحش وعادة العرب انها تشبه في السرعة بعدو الجمر وخصوصا اذا أحست بقانص فجرى على ما عهد وهو والله أعلم

لا يؤمنون اختيارا (هو أهل التقوى وأهل المغفرة) هو حقيق بأن يتقيه عباده ويخافوا عقابه فيؤمنوا ويطيعوا وحقيق بأن يغفر لهم اذا آمنوا وأطاعوا وروى أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أهل أن يتقى وأهل أن يغفر لمن اتقاه * وقرئ يذكرون بالياء والتاء مخففا ومشددا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المدثر أعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وكذب به بمكة

﴿سورة القيامة مكية وهي تسع وثلاثون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* ادخال لا النافية على فعل القسم مستفيض في كلامهم وأشعارهم قال امرؤ القيس

لا وأبيك ابنة العامري ... لا يدعي القوم أني أفر

وقال غويّة بن سلمى ... الا نادت أمامة باحتمال * لتحزنني فلا بك ما أبالي

وفائدتها توكيد القسم وقالوا انها صلة مثلها في لئلا يعلم أهل الكتاب وفي قوله في بئر لاحور سرى وما شعر واعترضوا عليه بأنها انما تزاد في وسط الكلام لا في أوله وأجابوا بأن القرآن في حكم سورة واحدة متصل بعضه ببعض والاعتراض صحيح لانها لم تقع مزيدة الا في وسط الكلام ولكن الجواب غير سديد ألا ترى الى امرئ القيس كيف زادها في مستهل قصيدته والوجه أن يقال هي للنفي والمعنى في ذلك أنه لا يقسم بالشيء الا اعظاما له بذلك عليه قوله تعالى فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم فكأنه بإدخال حرف النفي يقول ان اعظامي له باقسامي به كلا اعظام يعني أنه يستأهل فوق ذلك وقيل ان لا النافي لكلام مورد قبل القسم كأنهم أنكروا البعث فقيل لا أي ليس الامر على ما ذكرتم ثم قيل أقسم بيوم القيامة (فان قلت) قوله تعالى فلا يؤمنون والآيات التي أنشدتها القسم عليه فما معنى قولك لا ذكرت ان لا التي قبل القسم زيدت موطئة للنفي بعده وهو كقوله وقدرت القسم عليه المحذوف ههنا منفيا كقولك لا أقسم بيوم القيامة لا تتركون سدى (قلت) أو قصر الامر على النفي دون الاثبات لكان لهذا القول مساغ ولكنه لم يقصر الا ترى كيف ساق لا أقسم بهذا البلد بقوله لقد خلقنا الانسان وكذلك فلا أقسم بمواقع النجوم بقوله انه لقرآن كريم وقرئ لأقسم على أن اللام للابتداء وأقسم خبر مبتدإ محذوف معناه لأنا أقسم فأولا بعده أنه في الامام بغير ألف (بالنفس اللوامة) بالنفس المتنعة التي تلوم المرء فيه أي في يوم القيامة على تقصيرها في التقوى أو بالتي لا تزال تلوم نفسها وان اجتهدت في الاحسان وعن الحسن أن المؤمن لا تراه الا لائما نفسه وأن الكافر يمضي قدما لا يعاتب نفسه وقيل هي التي تتلوم ومنه على التي ترك الازدياد ان كانت محسنة وعلى التفريط ان كانت مسيئة وقيل هي نفس آدم لم تزل تتلوم على فعلها الذي خرجت به من الجنة وجواب القسم ما دل عليه قوله (أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه) وهو لنبعثن وقراءة أن لن نجمع عظامه على البناء للمفعول والمعنى نجمعها بعد تفرقها وأورجوعها ريحا وترابا مختلطا بالتراب وبعد ما سفتها الرياح وطيرتها في أباعد الارض وقيل ان عدي بن أبي ربيعة خاصم الاخنس من شريق وهما اللذان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيهما اللهم اكفني جاري السوء فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد حدثني عن يوم القيامة متى تكون وكيف أمره فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك ولم أومن به أو يجمع الله العظام فترك (بلى) أوجبت ما بعد النفي وهو الجمع فكأنه قيل بلى نجمعها (قادرين) حال من الضمير في نجمع أي نجمع العظام قادرين على تأليف جمعها وإعادتها الى التركيب الاول الى أن نسوي بنانه أي أصابعه التي هي أطرافه وآخر ما يتم من خلقه أو على أن نسوّي بنانه ونضم سلاميات على صغرها ولطافتها بعضها الى بعض كما كانت ألا ترى من غير نقصان ولا تفاوت فكيف بكبار العظام وقيل معناه بلى نجمعها ونحن قادرون على أن نسوّي أصابع يديه ورجليه أي نجعلها مستوية شيئا واحدا كخف البعير وحافر الحمار لا تفرق بينها فلا يمكنه أن يعمل بها شيئا مما يعمل بأصابعه

هو أهل التقوى وأهل المغفرة

﴿سورة القيامة مكية وهي تسع وثلاثون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه بلى قادرين على أن نسوي بنانه

﴿القول في سورة القيامة﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* قوله تعالى لا أقسم (قال ادخال لا النافية على فعل القسم مستفيض الخ) قال أحمد ان لا التي قبل أقسم زيدت توطئة للنفي بعده وقدرت القسم عليه المحذوف ههنا منفيا تقديره لا أقسم بيوم القيامة لا تتركون سدى وأجاب بانه لو قصر الامر على النفي دون الاثبات لكان له مساغ ولكنه ليس بمقاصر عليه الا ترى كيف ساق لا أقسم بهذا البلد بقوله لقد خلقنا الانسان في كبد وقوله لا أقسم بمواقع النجوم بقوله انه لقرآن كريم

المفرقة ذات المفاصل والانامل من فنون الاعمال والبسط والقبض والتأتي لما يريد من الحوائج وقرئ قادرون أي نحن قادرون (بل يريد) عطف على أيحسب فيجوز أن يكون مثله استفهاما وأن يكون ايجابا على أن يضرب عن مستفهم عنه الى آخر ويضرب عن مستفهم عنه الى موجب (ليفجر أمامه) ليدوم على فجوره فيما بين يديه من الاوقات وفيما يستقبله من الزمان لا ينزع عنه وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه يقدم الذنب ويؤخر التوبة يقول سوف أتوب سوف أتوب حتى يأتيه الموت على شر أحواله وأسوأ أعماله (يسئل) سؤال مستهزئ مستبعد لقيام الساعة في قوله (أيان يوم القيامة) ونحوه ويقولون متى هذا الوعد (برق البصر) تحير فزعا وأصله من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش بصره وقرئ برق من البريق أي لمع من شدة ما عاينه وقرأ أبو السمال برق اذا انفتح وانفرج يقال برق الباب وأبلقته وبلقته ففتحته (وخسف القمر) وذهب ضوءه أو ذهب بنفسه وقرئ وخسف على البناء للمفعول وجمع الشمس والقمر) حيث يطلعهما الله من المغرب وقيل وجمعا في ذهاب الضوء وقيل يجمعان أسودين مكورين كأنهما ثوران يقعران في النار وقيل يجمعان ثم يقذفان في البحر فيكونان نار الله الكبرى (المفر) بالفتح المصدر وبالكسر المكان ويجوز أن يكونا مصدرا كالمرجع وقرئ بهما (كلا) ردع عن طلب الفر (لا وزر) لا ملجأ وكل ما التجأت اليه من جبل أو غيره وتحلقت به فهو وزر يقال (الى ربك) خاصة (يومئذ) مستقر العباد أي استقرارهم يعني أنهم لا يقدرون أن يستقروا الى غيره وينسبوا اليه أو الى حكمه ترجع أمور العباد لا يحكم فيها غيره كقوله لمن الملك اليوم أو الى ربك مستقرهم أي موضع قرارهم من جنة أو نار أي مفوض ذلك الى مشيئته من شاء أدخله الجنة ومن شاء أدخله النار (بما قدم) من عمل عمله (و) بما (أخر) منه لم يعمله أو بما قدم من ماله فتصدق به وبما أخره لخلفه أو بما قدم من عمل الخير والشر وبما أخر من سنة حسنة أو سيئة فعمل بها بعده وعن مجاهد بأول عمله وآخره ونحوه فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه (بصيرة) حجة بينة وصفت بالمصارة على المجاز كما وصفت الآيات بالابصار في قوله فلما جاءتهم آياتنا مبصرة أو عين بصيرة والمعنى أنه ينبأ بأعماله وان لم ينبأ فنفسه ما يجزئ عن الانباء لانه شاهد عليها بما عملت لان جوارحه تنطق يومئذ بذلك يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون (ولو ألقى معاذيره) ولو جاء بكل معذرة يعتذر بها عن نفسه ويجادل عنها ومن الضحاك ولو أرخى ستوره وقال المعاذير الستور واحدها معذار فان صح فلانه يمنع رؤية المحجب كما تمنع المعذرة عقوبة المذنب (فان قلت) أليس قياس المعذرة أن تجمع معاذر لا معاذير (قلت) المعاذير ليس بجمع معذرة انما هو اسم جمع لها ونحوه المناكير في المنكر الضمير في (به) للقرآن وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا القى الوحي نازع جبريل القراءة وليصيرا لأن يتهما مسارعة الى الحفظ ونحو فاما من أن يتلقف منه فأمر بأن يستنصت له مرعيا اليه بقلبه وسمعه حتى يقضي اليه وحيه ثم يتنفه بالدراسة الى أن يرسخ فيه والمعنى لا تحرك لسانك بقراءة الوحي ما دام جبريل صلوات الله عليه يقرأ (لتعجل به) لتأخذه على عجلة وثلاثة تفعل منك ثم عامل النهي عن العجلة بقوله (ان علينا جمعه) في صدرك واثبات قراءته في لسانك (فاذا قرأناه) جعل قراءة جبريل قراءته والقرآن القراءة (فاتبع قرآنه) فكن متقفيا له فيه ولا تراسله وطأ من نفسك أنه لا يليق غير محمود فتحرز في ضمان تخفيظه (ثم ان علينا بيانه) اذا أشكل عليك شئ من معانيه كأنه كان يعجل في الحفظ والسؤال عن المعنى جميعا كما ترى بعض الحراص على العلم ونحوه ولا يعجل بالقرآن من قبل أن يقضي اليك وحيه (كلا) ردع لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن عادة العجلة وانكار فعاليه وحث على الاناة والمؤدة وقد بالغ في ذلك بايراده قوله (بل تحبون العاجلة) كأنه قال بل أنتم يا بني آدم لأنكم خلقتم من عجل وطبعتم عليه تعجلون في كل شئ ومن ثم تحبون العاجلة (وتذرون الآخرة) وقرئ بالياء وهو أبلغ (فان قلت) كيف اتصل قوله لا تحرك به لسانك الى آخره بذكر القيامة (قلت) اتصاله به من جهة هذا التخلص منه الى التوبيخ بحب العاجلة وترك الاهتمام بالآخرة

بل يريد الانسان ليفجر أمامه يسئل أيان يوم القيامة فاذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر يقول الانسان يومئذ أين المفر كلا لا وزر الى ربك يومئذ المستقر ينبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر بل الانسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة

* قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة (قال الوجوه كناية عن الجملة وقدم الى ربها لفيد الحصر الخ) قال أحمد ما أقصر لسانه عند هذه الآية فكم له يدندن و يطيل في تحد الرؤية و يشقق القباء و يكثر و يتعمق فلما قرئت هذه الآية فاه صنع في معناها بالاستدلال على أنه لو كان المراد الرؤية لما انحصرت بتقديم المفعول لانها حينئذ غير منحصرة على تقدير رؤية الله تعالى وما يعلم أن المتتبع

وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ووجوه يومئذ باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة كلا اذا بلغت التراقي وقيل من راق وظن أنه الفراق والتفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى ثم ذهب الى أهله يتمطى أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى أيحسب الانسان أن يترك سدى ألم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى

(سورة الانسان مكية وهي احدى وثلاثون آية)

برؤية جمال وجهه الله تعالى لا يصرف عنه طرفه ولا يؤثر عليه غيره ولا يعدل به عز

* الوجه عبارة عن الجملة * والناضرة من نضرة النعيم (الى ربها ناظرة) تنظر الى ربها ناظرة لا تنظر الى غيره وهذا معنى تقديم المفعول ألا ترى الى قوله الى ربك يومئذ المستقر الى ربك يومئذ المساق الى الله تصير الامور والى الله المصير واليه ترجعون عليه توكلت واليه أنيب كيف دل فيها التقديم على معنى الاختصاص ومعلوم أنهم ينظرون الى أشياء لا يحيط بها الحصر ولا تدخل تحت العدد فكم يحتمر يجتمع فيه الخلائق كلهم فان المؤمنين نظارة ذلك اليوم لانهم الآمنون الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فاختصاصه بنظرهم اليه لو كان منظورا اليه محال فوجب حمله على معنى يصح معه الاختصاص والذي يصح معه أن يكون من قول الناس أنا الى فلان ناظر مما يصنع بي تريد معنى التوقع والرجاء ومنه قول القائل

واذا نظرت اليك من ملك * والبحر دونك زدتني نعما

وسمعت سرية مستجيبة بمكة وقت الظهر حين يفيق الناس أبوابهم ويأوون الى مقائلهم تقول عيبتي نوء نظرة الى الله واليكم والمعنى انهم لا يتوقعون النعمة والكرامة الا من ربهم تا كالوافي الدنيا الا يحشون ولا يرجون الا اياه * والباسر الشديد العبوس والباسل أشد منه ولكنه غلب في التجاع اذا اشتد كلوحه (تظن) تتوقع (أن يفعل بها) فعل هو في شدته وفظاعته (فاقرة) داهية تقصم فقار الظهر كانوقعت الوجوه الناضرة أن يفعل بها كل خير (كلا) ردع عن ايثار الدنيا على الآخرة كانه قيل ارتدعوا عن ذلك وتنبهوا على ما بين أيديكم من الموت الذي عنده تنقطع العاجلة عنكم وتنتقلون الى الآجلة التي تبقون فيها خالدين * والصحيح في (بلغت) للنفس وان لم يجر لها ذكر لان الكلام الذي وقعت فيه يدل عليها كما قال حاتم

أماوي ما يغني الثراء عن الفتى * اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

وتقول العرب أرملت يريدون جاء المطر ولا تكاد تسمعهم يذكرون السماء (التراقي) العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال ذكرهم صعوبة الموت الذي هو أول مراحل الآخرة حين تبلغ الروح التراقي ودنازهوقها وقال حاضروصاحبها وهو المحتضر يدعو بعض (من راق) أيكم يرقيه عليه وقيل هو من كلام ملائكة الموت أيكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب (وظن) المحتضر (أنه الفراق) أن هذا الذي نزل به هو فراق الدنيا المحبوبة (والتفت) ساقه بساقه والتوت عليها عند نزاع الموت وعن قتادة ماتت رجلاه فلا تحملانه وقد كان عليهما جواز الا وقيل شدة فراق الدنيا بشدة اقبال الآخرة عليه وقيل أن الساق مثل في الشدة ومن سعيد بن المسيب هما ساقاه حين نزلتا في أكفانه (المساق) أي مساق الى الله والى حكمه (فلا صدق ولا صلى) يعني الانسان في قوله أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه ألا ترى الى قوله أيحسب الانسان أن يترك سدى وهو معطوف على يسأل أيان يوم القيامة أي لا يؤمن بالبعث فلا صدق بالرسول والقرآن ولا صلى ويجوز أن يراد فلا صدق ماله يعني فلا زكاه وقيل نزلت في أبي جهل (يتمطى) يتبختر وأصله يتمطط أي يتمدد لان المتبختر يمد خطاه وقيل هو من المطاوهو الظهر لانه يليه به وفي الحديث اذا مشت أمتي المطيطاء وخدمتهم فارس والروم فقد جعل بأسهم بينهم يعني كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتولى عنه وأعرض ثم ذهب الى قومه يتبختر افتخارا بذلك (أولى لك) يعني ويل لك وهو دعاء عليه بأن يليه ما يكره (خلق) فقدر (فسوى) فعدل (منه) من الانسان (الزوجين) الصنفين (أليس ذلك) الذي أنشأ هذا الانشاء (بقادر) على الاعادة وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأها قال سبحانك بلى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القيامة شهدت له أنا وجبريل يوم القيامة أنه كان مؤمنا بيوم القيامة

* سورة الانسان مكية وهي احدى وثلاثون آية *

وعملا منظور اليه وحقيق له أن حصر رؤيته الى من ليس كمثله شيء ومن شاهد العالم في الدنيا اذا اضطر به برؤية محبوبه لم يصرف عنه لحظه ولم يؤثر عليه فكيف بالمحب لله عز وجل اذا أحظاه النظر الى وجهه الكريم نسأل الله العظيم ان لا يصرفنا عنا وجهه وان يعيذنا من تزالق البدعة ومزلات الشبهة وهو حسبنا ونعم الوكيل

﴿القول في سورة الانسان﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ *قوله تعالى هل أتى على الانسان (قال) هل بمعنى قد في الاستفهام والاصل أهل الخ *قوله تعالى انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا (قال فيه هما حالان من الهاء في هديناه الخ) قال أحمد هذا من تحريفه المكثر وهو عند أهل السنة على ظاهره *عاد كلامه (قال أو يكون معناه انا دعوناه الى الايمان كان معلوما منه الخ) قال أحمد واسخطه قراءة أبي السمال لخبثه ان في التقسيم اشعارا بغرضه الفاسد وليس كذلك فان التقسيم يحتمل الجزاء أما شاكرا فثاب وأما كفورا فعاقب ويرشد اليه ذكر واجزاء الفريقين بعد *قوله تعالى سلاسلا وأغلالا (قال فيه قرئ بتنوين سلاسل فوجهه أن تكون هذه النون بدلا من ألف الاطلاق الخ) قال أحمد وهذا من الطراز الاول لان معتقده ان القراءة المستفيضة غير موثوقة على النقل المتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم (٥١٠) في تفاصيلها وانما هو موكول الى اجتهاد القراء واختيارهم بمقتضى تظرهم كما مر له وهلم على ذلك ههنا فجعل تنوين سلاسل من قبيل الغلط الذي يسبق اليه اللسان في غير موضعه اقتربه عليه في موضعه والحق ان جميع الوجوه

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

*هل يعني قد في الاستفهام خاصة والاصل أهل بدليل قوله *أهل رأونا بسفح القاع ذي الأكم *فالمعنى أقد أتى على التقرير والتقريب جميعا أي أتى على الانسان قبل زمان قريب (حين من الدهر لم يكن) فيه (شيأ مذكورا) أي كان شيأ منسيا غير مذكور نطفة في الاصلاب والمراد بالانسان جنس بني آدم بدليل قوله انا خلقنا الانسان من نطفة *حين من الدهر طائفة من الزمن الطويل الممتد (فان قلت) ما محل لم يكن شيأ مذكورا (قلت) محله النصب على الحال من الانسان كانه قيل هل أتى عليه حين من الدهر غير مذكور أو الرفع على الوصف لحين كقوله ولا يجزي والد عن ولده وعن بعضهم أنها تامة ليتها تمت أراد ليت تلك الحالة تمت وهي كونه شيأ غير مذكور ولم يخلق ولم يكلف (نطفة أمشاج) كبرمة أعشار وبرد أكياش وهي ألفاظ مفردة غير جموع ولذلك وقعت صفات للافراد ويقال أيضا نطفة مشج قال الشماخ

طوت أحشاء مرتجة لوقت * على مشج سلالته مهين

ولا يصح أمشاج أن يكون تكسيرا له لان مثالا من في الافراد لوصف المفرد بهما وشجه وخرجه بمعنى والمعنى من نطفة قد امتزج فيها الماآن وعن ابن مسعود هي عروق النطفة وعن قتادة أمشاج ألوان وأطوار يريد أنها تكون نطفة ثم علقة ثم مضغة (نبتليه) في موضع الحال أي خلقناه مبتلين له بمعنى مريدين ابتلاءه كقولك مررت برجل معه صقر صائدا به غدا أريد تصيده به أو الصيد غدا ويجوز أن يراد ناقلين له من حال الى حال سمي ذلك ابتلاء على طريق الاستعارة وعن ابن عباس نصرفه في بطن أمه نطفة ثم علقة وقيل هو في تقدير التأخير يعني فجعلناه سميعا بصيرا لنبتليه وهو من العسف *شاكرا وكفورا حالان من الهاء في هديناه أي مكناه وأقدرناه في حالتيه جميعا أو دعوناه الى الاسلام بأدلة العقل والسمع كان معلوما منه أنه يؤمن أو يكفر لازالم الحجة ويجوز أن يكونا حالين من السبيل أي عرفناه السبيل اما سبيلا شاكرا واما سبيلا كفورا كقوله وهديناه النجدين ووصف السبيل بالشكر والكفر مجاز وقرأ أبو السمال بفتح الهمزة في أما وهي قراءة حسنة والمعنى أما شاكرا فنعم وفيقا وأما كفورا فبئس مصيره *ولما ذكر الفريقين أتبعهما الوعيد والوعد *وقرئ سلاسل غير منونة وسلاسلا بالتنوين وفيه وجهان أحدهما أن تكون هذه النون بدلا من حرف الاطلاق يجري الوصل مجرى الوقف والثاني أن يكون صاحب القراءة به ممن جرى في روايته الشعر وجرى لسانه على صرف غير المنصرف (الابرار) جمع بر أو بار كرب وأرباب وشاهد وأشهاد وعن الحسن هم الذين لا يؤذون الذر *والكأس الزجاجة اذا كانت فيها خمر وتسمى الخمر نفسها كأسا (مزاجها) ما تمزج به (كافورا) ماء كافور وهو اسم عين في الجنة ماؤها في بياض الكافور وطيب رائحته ويروى (عينا) بدل

منه

فقرئ بتوليتهما وهو الاصل وتنوين الاول خاصة بدلا من ألف الاطلاق لانها فاصلة وتنوين الثانية كالاولى اتباعا لها ولم يقرأ أحد بتنوين الثانية وترك تنوين الاولى فان عكس ان يعرف تنوين العاصلة مع الحاجة الى الجانسة وتنوين غيرها من غير حاجة *قوله تعالى ان الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا عينا يشرب بها عباد الله (قال فيه كافورا عين في الجنة اسمها كذلك في لون الكافور وطيبه ورائحته وبرده الخ) قال أحمد هذا الجواب على القولين الاولين وأما على القولين الآخرين وهو ان العين بدل من الكأس ومعنى مزاجها الكافور لما الخلط لها على أوصافه وامان يكون الكافور المعهود كما تقدم فلا يتم الجواب المذكور فيجاب عن السؤال بانه لما ذكر الشراب أولا باعتبار الوقوع في الوجود ذكره ثانيا مضمنا للدلالة انه هو كأنه

منه وعن قتادة تمزج لهم بالكافور وتختم لهم بالمسك وقيل تخلق فيها رائحة الكافور وبياضه وبرده فكأنها مزجت بالكافور وعينا على هذين القولين بدل من محل من كأس على تقدير حذف مضاف كأنه قيل يشربون فيها خمرا خمرا عين أو نصب على الاختصاص (فان قلت) لم وصل فعل الشرب بحرف الابتداء أولا وبحرف الالصاق آخرا (قلت) لان الكأس مبدأ شربهم وأول غايته وأما العين فيها يمزجون شرابهم فكان المعنى يشرب عباد الله بها الخمر كما تقول شربت الماء بالعسل (يفجرونها) يجرونها حيث شاؤا من منازلهم (تفجيرا) سهلا لا يمتنع عليهم (يوفون) جواب من عسى يقول ما لهم يرزقون ذلك فأجاب بأنهم بالنذر وبالغة في وصفهم بالتوفر على أداء الواجبات لان من وفى بما أوجبه هو على نفسه لوجه الله كان بما أوجبه الله عليه أوفى (مستطيرا) فاشيا منتشرا بالغا أقصى البالغ من استطار الحريق واستطار الفجر وهو من طار يطير استطارة من نفر (على حبه) الضمير للطعام أي مع اشتهائه والحاجة اليه ونحوه وأتى المال على حبه لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وعن الفضيل بن عياض على حب الله (وأسيرا) عن الحسن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالاسير فيدفعه الى بعض المسلمين فيقول أحسن اليه فيكون عنده اليومين والثلاثة فيؤثره على نفسه وعند عامة العلماء يجوز الاحسان الى الكفار في دار الاسلام ولا تصرف اليهم الواجبات وعن قتادة كان أسيرهم يومئذ للشرك وأحق أن تطعمه وعن سعيد بن جبير وعطاء هو الاسير من أهل القبلة وعن أبي سعيد الخدري هو المملوك والمحبون وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الغريم أسيرا فقال غريمك أسيرك فأحسن الى أسيرك (انما نطعمكم) على ارادة القول ويجوز أن يكون قولا باللسان منهم لهم عن الجزاء عند أو بالشكر لان احسانهم منعوم لوجه الله فلا معنى لشكر أنفسهم وأن يكون قولهم في قلوبهم لطفا وتفقها وتنبيها على ما ينبغي أن يكون عليه من أخلص لله وعن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تبعث بالصدقة الى أهل بيت ثم تسأل الرسول ماقالوا فاذا ذكر دعاءهم عند لتبتغي ثواب الصدقة فانا نصانع عند الله ونحوز أن يكون ذلك بيانا وكشفا عن اعتقادهم وحقيقتهم وان لم يقولوا شيئا وعن مجاهد انما أنهم ماتكلموا به ولكن علمه الله منهم فأثنى عليهم * والشكور والكفور مصدران كالشكر والكفر (لا نخاف) نحمل أن أحسانا لكم للخوف من شدة ذلك اليوم لا لارادة مكافأتكم وانا لا نريد منكم لمكافأة نخوف عقاب الله تعالى على طلب المكافأة بالصدقة * ووصف اليوم بالعبوس مجاز على طريقين أن يوصف بصفة أهله من الاشياء كقولهم نهاره صائم روى أن الكافر يعبس يوما حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران وان بشيه في شدته وضرسا بأحد العبوس أو بالشجاع الباسل * والقمطرير الشديد العبوس الذي يجمع ما بين عينيه قال الزجاج يقال اقمطرت الناقة اذا رفعت ذنبها وجمعت قطربها وزمت بأنفها فاشتقه من القطر وجعل الميم مزيدة قال أسدين ناعصة

واصطليت الحرب في كل يوم * باسل الشر قطرير الصباح

(ولقاهم نضرة وسرورا) أي أعطاهم بدل عبوس القحار وحزنهم نضرة في الوجوه وسرورا في القلوب وهذا يدل على أن اليوم موصوف بعبوس أهله (عاصبروا) بصبرهم على الايثار وعن ابن عباس رضي الله عنه أن الحسن والحسين مرضا فعادهما رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس معه فقالوا يا أبا الحسن لو نذرت على ولدك فنذر علي وفاطمة وفضة جارية لهما أن برأ ولدهما أن يصوموا ثلاثة أيام فشفيا وما معهم شيء فاستقرض علي من شمعون الخيبري اليهودي ثلاث أصوع من شعير فطحنت فاطمة صاعا واختبزت خمسة أقراص على عددهم فوضعوها بين أيديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل فقال السلام عليكم أهل بيت محمد مسكين من مساكين المسلمين أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة فآثروه وباتوا لم يذوقوا الا الماء وأصبحوا صياما فلما أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم فآثروه ووقف عليهم أسير في الثالثة ففعلوا مثل ذلك فلما أصبحوا أخذ علي رضي الله عنه بيد الحسن والحسين وأقبلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أبصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال ما أشد ما يسوءني ما أرى بكم وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة في

يشربها عباد الله يفجرونها تفجيرا يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا وجزاهم

قال فيتشربون منها فيلتذون بها وعليه حلة أو عبيد * عاد كلامه (قال) قوله تسأل يفجرونها تفجيرا الى سهلا لا يمتنع عليهم الخ

محرابها قد التصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها فساءه ذلك فنزل جبريل وقال خذها يا محمد هنالك الله في أهل بيتك فأقرأه السورة (فان قلت) ما معنى ذكر الحر مع الجنة (قلت) المعنى وجزاهم بصبرهم على الايثار وما يؤدي اليه من الجوع والعري بستانا فيه ما يأكل هني وحريرا فيه هليس بحيث يعني أن هواءها معتدل لا حر شمس يحمى ولا شدة برد تؤذي وفي الحديث هواء الجنة مسجح لا حر ولا قر وقيل الزمهرير القمر وعن ثعلب أنه في لغة طيء وأنشد

وليلة ظلامها قد اعتكر * قطعتها والزمهرير ما زهر

والمعنى أن الجنة ضياء فلا يحتاج فيها الى شمس وقمر (فان قلت) (ودانية عليهم ظلالها) علام عطفت (قلت) على الجملة التي قبلها لانها في موضع الحال من المجزيين وهذه حال مثلها عنهم لرجوع الضمير منها اليهم في عليهم الا أنها اسم مفرد وتلك جملة في حكم مفرد تقديره متكئين فيها مسامحا ولا زمهرير ا ودانية عليهم ظلالها ودخلت الواو للدلالة على أن الامرين مجتمعان لهم كأنه قيل وجزاهم جنة جامعين فيها بين البعد عن الحر والقر ودنو الظلال عليهم وقرئ ودانية بالرفع على أن ظلالها مبتدأ ودانية خبره والجملة في موضع الحال والمعنى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا والحال أن ظلالها دانية عليهم ويجوز أن تجعل متكئين ولا يرون ودانية كلها صفات لجنة ويجوز أن يكون ودانية معطوفة على جنة أي وجنة أخرى دانية عليهم ظلالها على أنهم وعدوا جنتين كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان لانهم وصفوا بالخوف الناشئ من ربنا (فان قلت) فلام عطف (وذللت) (قلت) هي اذا رفعت ودانية جملة فعلية معطوفة على جملة اسمية واذا نصبتها على الحال فهي حال من دانية أي تدنو ظلالها عليهم في حال تذليل قطوفها لهم أو معطوفة عليها على ودانية عليهم ظلالها ومذللة قطوفها واذا نصبت ودانية على الوصف فهي صفة مثلها الا ترى أنك لو قلت جنة ذللت قطوفها كان صحيحا وتذليل القطوف أن تجعل ذلا لا تمتنع على قطافها كيف شاؤا أو تجعل ذليلة لهم خاضعة متقاصرة من تولهم حائط ذليل اذا كان قصيرا (قوارير قواريرا) قرئا بغير منون وبتنوين الاول وبتنوينهما وهذا التنوين بدل من ألف الاطلاق لانه فاصلة وفي الثاني لاتباعه الاول ومعنى قوارير من (فضة) أنها مخلوقة من فضة وهي مع بياض الفضة وحسنها في صفاء القوارير وشفيفها (فان قلت) ما معنى كانت (قلت) هو من يكون في قوله كن فيكون أي تكونت قوارير بتكوين الله تخييما لذلك الخلقة العجيبة الشأن الجامعة بين صفتي الجوهرين المتباينين ومنه كان في قوله كان مزاجها كافورا وقرئ قوارير من فضة بالرفع على هي قوارير (قدروها) صفة لقوارير من فضة ومعنى تقديرهم لها أنهم قدروها في أنفسهم أن تكون على مقادير وأشكال على حسب شهواتهم فجاءت كما قدروا وقيل الضمير للطائفين يطاف عليهم قوله ويطاف عليهم على أنهم قدروا شرابها على قدر الري وهو أن الشارب لا يكون على مقدار واحد لا يفضل عنها ولا يعجز عن تجاهد لا تغيض ولا تفيض وقرئ قدروها على البناء للمفعول ووجهه أن يكون من قدر منقولا من قدر تقول قدرت الشيء وقدرته فلان اذا جعلك قادرا له ومعناه جعلوا قادرين لها شاؤا وأطاقوا لهم أن يقدروا على حسب ما اشتهوا * سمت العين زنجبيلا لطعم الزنجبيل فيها والعرب تستلذه وتستطيبه قال الاعشى

كأن القرنفل والزنجبيل باتا بفيها وأريا مشورا

وقال المسيب بن علس

وكأن طعم الزنجبيل به * اذ ذقته وسلافة الخمر

و (سلسبيلا) للسلاسة اخدارها في الحلق وسهولة مساغها يعني أنها في طعم الزنجبيل وليس فيها لذعه ولكن تتميض اللذع وهو السلاسة يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل وقد زيدت الباء في التركيب حتى صارت الكلمة خماسية ودلت على غاية السلاسة قال الزجاج السلسبيل في اللغة صفة لما كان في غاية السلاسة وقرئ سلسبيل على منع الصرف لاجتماع العلمية والتأنيث وقد عزوا الى علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن معناه سل سبيلا الهاوهذا غير مستقيم على ظاهره الآن يراد أن جملة قول القائل سل سبيلا جعلت علما للعين كما قيس تأبط شرا وذري حبا وسميت بذلك لانه لا يشرب هنا الا من سأل الها سبيلا بالعمل الصالح وهو مع استقامته في العربية تكلف وابتداع وعزوه الى مثل علي رضي الله عنه أبدع وفي شعر بعض المحدثين

عاصيرا واجنة وحريرا
متكئين فيها على
الارائك لا يرون فيها
حسبا ولا زمهريرا
ودانية عليهم ظلالها
وذللت قطوفها تذليلا
ويطاف عليهم بآنية
من فضة وأكواب كانت
قواريرا قواريرا من
فضة قدروها تقديرا
ويسقون فيها كأسا
كان مزاجها زنجبيلا
عينا فيها تسمى سلسبيلا

سل سبيلا فيها الى الراحة النفس براح كأنها سلسبيل

* و(عينا) بدل من زنجبيلا وقيل تفجر كأنهم بالزنجبيل بعينه أو يخلق الله طعمه فيها وبنا على هذا القول صفة من كاسا كأنه قيل ويسقون فيها كأسا كان عين أو مضوبة على الاختصاص * شبهوا في حسنهم وصفاء ألوانهم وابتهاجهم في مجالسهم ومنازلهم باللؤلؤ المنثور وعن المأمون أنه لما زفت اليه بوران بنت الحسن بن سهل وهو على بساط منسوج من ذهب وفتشرت عليه نساء دار الخلافة باللؤلؤ فنظر اليه منثورا على ذلك البساط فاستحسن المنظر وقال لله در أبي نواس كأنه أبصر هذا حيث يقول

كأن صغرى وكبرى من فواقعها * حصباء در على أرض من الذهب

وقيل شبهوا باللؤلؤ الرطب اذا انثر من صدفه لانه أحسن وأكثر ماء (رأيت) ليس له مفعول ظاهر ولا مقدر ليشيع ويعم كأنه قيل واذا أوجدت الرؤية ثم ومعناه أن بصرك اذا رأى أينما وقع لم يتعلق ادراكه الا بنعيم كثير وملك كبير و(ثم) في موضع النصب على الظرف يعني في الجنة ومن قال معناه ما ثم فقد أخطأ لان ثم صلة لما ولا يجوز اسقاط الموصول وترك الصلة (كبيرا) واسعا وهنيأ يروى أن أدنى أهل الجنة منزلة ينظر في ملكه مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه وقيل لا زوال له وقيل اذا أراد شيأ كان وقيل يسلم عليهم الملائكة ويستأذنون عليهم * فيرى عالمهم بالسكون على أنه مبتدأ خبره (ثياب سندس) أي ما يعلوهم من لباسهم ثياب سندس وعالمهم بالنصب على أنه حال من الضمير في يطوف عليهم أو في حسبتهم أي يطوف عليهم ولدان عالية للطوف عليهم ثياب أو حسبتهم لؤلؤا عالية لهم ثياب ويجوز أن يراد رأيت أهل نعيم وملك عاليهم ثياب وعاليتهم بالرفع والنصب على ذلك وعاليهم * وخضر واستبرق بالرفع حملا على الثياب وبالجر على السندس وفرئ واستبرق نصبا في موضع الجر على منع الصرف لان أعجمي وهو غلط لانه نكرة يدخله حرف التعريف تقول الاستبرق الآن يزعم ابن جميص أنه قد جعل علما لهذا الضرب من الثياب وفرئ واستبرق وصل الهمزة والفتح على أنه سمي باستفعل من البريق وليس بصحيح أيضا لانه معرب هشوري تعريبه وأت أصله استبره (وحلوا) عطف على يطوف عليهم (فان قلت) ذكر ههنا أن أساورهم من فضة وفي موضع آخر أنها من ذهب (قلت) هب أنه قيل وحلوا أساورهم من ذهب ومن فضة هذا أصح لا اشكال فيه على أنهم يسورون بالجنسين اما على المقابلة واما على الجمع كما تراوح نساء الدنيا بين أنواع الحلي وتجمع بينها ولما أحسن بالمعصم أن يكون فيه سواران من ذهب وسواران من فضة (شرابا طهورا) ليس برجس كخمور الدنيا لان كونها رجسا انما هو لاستتباع العقل وليست الدار دار تكليف أولانه لم يصر فيها سببا لاسباب الوضيعة ودنوسه الاقدام الدنسة ولم يجعل في الدنان والاباريق التي لم يعن بتنظيفها أولانه لا يؤول الى النجاسة لانه يرشح عرقا من أبدانهم كريح المسك * أي يقال لاهل الجنة (ان هذا) وهذا اشارة الى ما تقدم من عطاء الله لهم ما يجوز أن يتهيأ لهم على اعمالكم وشكركم بسعيكم والشكر مجاز * وتكرير الضمير بعد تقاعد اسم ان تأكيد على تأكيد لمعنى اختصاص الله بالتنزيل لتقرر في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم أن هذا كان هو المنزل لم يكن تنزيله على أي وجه نزل الا حكمة وصوابا كأنه قيل ما نزل عليك القرآن تنزيلا مغرقا مضيما الا أنا الاغيري وقد عرفني حكيما فاعلا لكل ما أفعله بدواعي الحكمة ولقد عنى حكمة الغة الى أن أنزل عليك الامر بالمكافة والصابرة وسأنزل عليك الامر بالقتال والانتقام بمدحين (فاصبر لحكم ربك) الصادر عن الحكمة وتعليقه الامور بالمصالح تأخير نصرتك على أعدائك من أهل مكة ولا تطع منهم أحدا قاله صبر منك على أذاهم وضجر امن تأخر الظفر * وكانوا مع افراطهم في العداوة والايذاء لو ان معه يدعونه الى أن يرجع عن أمره ويبذلون له أموالهم ويزوجه أكرم بناتهم ان أجابهم (فان قلت) كانوا كلهم كفرة فما معنى القسمة في قوله (آثما أو كفورا) (قلت) معناه ولا تطع منهم أحدا كأبي الماشم داعي ذلك اليه أو فاعلا لما هو كفر داعيا الى الاثم لانهم اما أن يدعوه الى مساعدتهم على فعل هو اثم أو كفر أو غير اثم ولا كفر فنهي أن يساعدهم على الاثم دون الثالث وقيل الآثم عتبة والكفور الوليد لان عتبة كان ركابا للاثم متعاطيا الانواع

* قوله تعالى عالهم ثياب سندس خضر (قال فيه قرئ بالسكون على انه مبتدأ خبره ثياب الخ) قال أحمد هذا الوجه الاخير تطرقاله يحمله داخلا في مضمون الجملتين وكيف يكون ذلك وهم لا يسون السندس حقيقة لا على وجه التشبيه بالنسبة بخلاف كونهم لؤلؤا فانه على طريق التشبيه المقتضى لقرب شبههم باللؤلؤ الى ان يحسبوا لؤلؤا ويحتمل ان يجمع هذا الوجه لكن بعد تكلف مستغنى عنه بالاول

ويطوف عليهم ولدان مخلدون اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا عالهم ثياب سندس خضر واستبرق وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثما أو كفورا

* قوله تعالى وما تشاؤن الا أن يشاء الله (قال فيه معناه وما تشاؤن الطاعة الا أن يشاء الله الخ) قال أحمد وهذا من نحو بديع نثاله للنصوص وتسويره على خزائن الكتاب العزيز كدأب الشطار واللصوص فانقطع يد حجته التي أعدها وذلك حكم هذه السرقة وحدها فتقول الله تعالى نفى وأثبت على سبيل الحصر الذي لا حصر ولا نصر أوضح منه ألا ترى ان كلمة التوحيد اقتصر بها على النفي والاثبات لان هذا النظم أعلق شيء بالحصر (٥١٤) وأدله عليه فنفى الله تعالى ان يفعل العبد شيأ له فيه اختيار ومشيئة الا ان يكون الله تعالى قد شاء ذلك الفعل فقتضاه ما لم يشأ الله

الفسوق وكان الوليد غاليا في الكفر شديد الشكيمة في المتو (فان قلت) معنى أو ولا تطع أحدهما فهلا جيء بالواو ليكون نهيا عن طاعتهما جميعا (قلت) لو قيل ولا تطعهما جاز أن يطيع أحدهما واذا قيل لا تطع أحدهما علم أن الناهي عن طاعة أحدهما عن طاعتهما جميعا أنهى كما اذا نهى أن يقول لابويه أف علم أنه نهى عن ضربهما على طريق الاولى (واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا) ودم على صلاة الفجر والعصر (ومن الليل فاسجد له) وبعض الليل فصل له أو يعني صلاة المغرب والعشاء وأدخل من على الظرف للتبعيض كما دخلت على المفعول في قوله يغفر لكم من ذنوبكم (وسبحه ليلا طويلا) وتهجد له هزيعا طويلا من الليل ثلثيه أو نصفه أو ثلثه (ان هؤلاء) الكفرة (يحبون العاجلة) يؤثرونها على الآخرة كقوله بل تؤثرون الحياة الدنيا (وراءهم) قدامهم أو خلف ظهورهم لا يعبؤن به (يوما ثقيلا) استعير الثقل لشدته وهوله من الشيء الثقيل (واهجرهم هجرا جميلا) واهجر ما يؤذيك منهم هجرا لا جزع فيه ولا شكوى (ودعني والمكذبين) خلني وايام بالقتل (أولي النعمة) التنعم (ومهلهم قليلا) وامهلهم قليلا ونحوه تملقت في السموات والارض * الاسار الربط والتوثيق ومنه أسار الرجل اذا أوثق بالقد وهو الاسار وفرس مأسور الخلق وترس مأسور بالعقب * والمعنى شددنا توصيل عظامهم بعضها ببعض وتوثيق مفاصلهم بالاعصاب ومثله قوله هم جارية مصنوعة الخلق وجدولته (واذا شئنا) أهلكناهم و (بدلنا أمثالهم) في شدة الاسر يعني النشأة الاخرى وقيل معناه بدلنا بهم من يطيع ٣ وحقه أن يجيء بان لا اذا كقوله وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ان يشأ يذهبكم (هذه) اشارة الى السورة أو الى الآيات القريبة (فمن شاء) فمن اختار الخير لنفسه وحسن العاقبة * واتخاذ السبيل الى الله عبارة عن التقرب اليه والتوسل بالطاعة (وما تشاؤن) الطاعة (الا أن يشاء الله) بقسرهم عليها (ان الله كان عليما) بأحوالهم وما يكون منهم (حكيما) حيث خلقهم مع علمه بهم * وقرئ تشاؤن بالتاء (فان قلت) ما محل أن يشاء الله (قلت) النصب على الظرف وأصله الا وقت مشيئة الله وكذلك قراءة أبي مسعود الا ما يشاء الله لان ما مع الفعل كأن مع أن (يدخل من يشاء) هم المؤمنون * ونصب (الظالمين) بفعل يفسره أعدهم نحو أوعد وكانا وما أشبه ذلك وقرأ ابن مسعود والظالمين علي وأعد للظالمين وقرأ ابن الزبير والظالمون على الابتداء وغيرها أولى لذهاب الطباق بين الجملة المعطوفة والمعطوف عليها مع مخالفتها لمصحف عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هل أتى كان جزاؤه على الله جنة وحريرا

﴿سورة المرسلات مكية وهي خمسون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* أقسم سبحانه بطوائف من الملائكة أرسلهن بأوامره فعصفن في مضيهن كالعاصفة في امتثال أمره وبطوائف منهم نشرن أجنحتهن في الجو عند انحطاطهن بالوحي أو نشرن الشرائع في الارض أو نشرن النفوس الموتى بالكفر والجهل بما أوحين ففرقن بين الحق والباطل فألقين ذكرا الى الانبياء (عذرا) للمحقين (أو نذرا) للمبطلين أو أقسم برياح عذاب أرسلهن فعصفن وبرياح رحمة نشرن السحاب في الجو ففرقن بينه كقوله ويحمله كسفا أو بسحائب نشرن الموات ففرقن بين من يشكر لله تعالى وبين من يكفر كقوله لا سقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه فألقين ذكرا الماعذرا للذين يعتذرون الى الله بتوبتهم واستغفارهم اذا رأوا نعمة

(بسم الله الرحمن الرحيم)

والمرسلات عرفا
فالعاصفات عصفا
والناشرات نشرا
فالفارقات فرقا فالملقيات
ذكرا عذرا أو نذرا

ونوعه من العبد لا يقع من العبد وما شاء منه

وقوعه وقوعه وهو رد بين ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وانظر ادخاله القسر في تعطيل الآية لا تأويلها كيف الله

ناقض به فان معنى الآية عنده ان مشيئة العبد الفعل لا تكون الا اذا قسره الله عليها والقسر منافي للمشيئة فصار الحاصل ان مشيئة العبد لا توجد الا اذا انتفت فاذا لا مشيئة للعبد البتة ولا اختيار وما هو الا فر من اثبات قدرة للعبد غير مؤثرة ومشيئة غير خالقة ليتم له اثبات قدرة ومشيئة مؤثرين فوقع في سلب القدرة والمشيئة أصلا ورأسا وحيث لزم الحيد عن الاعتزال انحرف بالكلية الى الطرف الاقصى متحيزا الى الجبر فيا بعدما بين سوء نظره والله الموفق

الله فى الغيث ويشكرونها واما انذار الذين يغفلون الشكر لله وينسبون ذلك الى الانواء وجعلن ملقيات للذكر لكونهن سببا فى حصوله اذا شكرت النعمة فهن أو كفرت (فان قلت) ما معنى عرفا (قلت) متتابعة كشعر العرف يقال جاؤا عرفا واحدا وهم عليه كعرف الضبع اذا تألبوا عليه ويكون بمعنى المعرف الذى هو نقيض النكر وانتصابه على أنه مفعول له أى أرسلن للاحسان والمعروف والاول على الحال وقرئ عرفا على التثقيل نحو نكر فى نكر (فان قلت) فسرت المرسلات بملائكة العذاب فكيف يكون ارسالهم معروفا (قلت) ان لم يكن معروفا للكفار فانه معروف للانبياء والمؤمنين الذين انتقم الله لهم منهم (فان قلت) ما العذر والنذر وبما انتصبا (قلت) هما مصدران من عذر اذا محا الاساءة ومن أنذر اذا خوف على فعل كالكفر والشكر ويجوز أن يكون جمع عذير بمعنى المعذرة وجمع نذير بمعنى الانذار أو بمعنى العاذر والمنذر وأما انتصابهما فعلى البدل من ذكرا على الوجهين الاولين أو على المفعول له وأما على الوجه الثالث فعلى الحال بمعنى عاذرين أو منذرين وقرئ مخففين ومثقلين * ان الذى توعدونه من مجىء يوم القيامة لكائن نازل لا ريب فيه وهو جواب القسم وعن بعضهم ان الفنى ورب المرسلات (طمست) محيت ومحقت وقيل ذهب بنورها ومحق مواقع النجوم اذا انتثرت وانكدرت ويجوز أن يمحق نورها ثم تنتثر محوقة النور (فرجت) فتحت فكانت أبوابا قال الفارسى باب الامير لهم (نسفت) كالحب اذا نسفها النسف ونحوه ويسفت الجبال بها وكانت الجبال كثيبا مهيلا وقيل أخذت بسرعة من أماكنها من نسفت الشئ اذا اختطفته * وقرئت طمست وفرجت ونسفت مشددة * وقرئ أقتت ووقتت بالتشديد والتخفيف فيهما والاصل الواو ومعنى توقيت الرسل تبيين وقتها الذى يحضرون فيه للشهادة على أممهم * والتأجيل من الاجل كالتوقيت من الوقت (لاى يوم أجلت) تعظيم لليوم وتعجيب من هوله (ليوم الفصل) بيان ليوم التأجيل وهو اليوم الذى يفصل فيه بين الخلائق والوجه أن يكون معنى وقتت بلغت ميقاتها الذى كانت تنتظره وهو يوم القيامة وأجلت أخرت (فان قلت) كيف وقع النكرة مبتدأ فى قوله (ويل يومئذ للمكذبين) (قلت) هو فى أصله مصدر منصوب سادّ مسدّ فعله ولكنه عدل به الى الرفع للدلالة على معنى ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه ونحوه سلام عليكم ويجوز ويلا بالنصب ولكنه لم يقرأ به بقال ويلا له وويلا كيلا * فرأقتاهم لك فتح النون من هلك يعنى أهلكه قال الفراء وهو مما لا يكاد يتكلم به الا من تعرحا (ثم نتبعهم) بالرفع على الاستئناف وهو وعيد لاهل مكة بريد ثم نفعل بأمثالهم من الآخرين مثل ما فعلنا بالاولين ونسلك بهم سبيلهم لانهم كذبوا مثل تكذيبهم وهو يقوى قراءة من قرأ نتبعهم سنتهم وقرئ بالجزم للعطف على لم نهلك أهلك الاولين من قوم نوح وعاد وثمود ثم أتبعهم الآخرين من قوم شعيب ولوط وموسى (كذلك) مثل ذلك الفعل الشنيع (نفعل) بكل من أجرم اذا وقد برا من عاقبة الجرم وسوء أثره (الى قدر معلوم) الى مقدار من الوقت معلوم قد علمه الله وحكم به وهو تسعة الاشهر أو ما دونها أو ما فوقها (فقدرنا) فقدرنا ذلك تقديرا فنعم القادرون) فنعم المقدرون له نحن أو فقدرنا على ذلك فنعم القادرون عليه نحن والاول أولى لقراءة من قرأ فقدرنا بالتشديد ولقوله من نطفة خلقته فقدره * الكفات من كفت الشئ اذا ضمه وجمعه وهو اسم ما يكفت كالجماع الضمام والجماع لما يضم ويجمع يقال هذا الباب جماع الابواب وبه انتصب (أحياء وأمواتا) كانه قيل كافتة أحياء وأمواتا أو بفعل مضمر يدل عليه وهو تكفت والمعنى تكفت أحياء على ظهرها وأمواتا فى بطنها وقد استدل بعض أصحاب الشافعى رحمه الله على قطع النباش بان الله تعالى جعل الارض كفاتا للاموات فكان بطنها حرزا لهم فالنباش سارق من الحرز (فان قلت) لم قيل أحياء وأمواتا على التنكير وهى كفات الاحياء والاموات جميعا (قلت) هو من تنكير التفخيم كانه قيل تكفت أحياء لا يعدون وأمواتا لا يحصرون على أن أحياء الانس وأمواتهم ليسوا بجميع الاحياء والاموات ويجوز أن يكون المعنى تكفتكم أحياء وأمواتا فينتصبا على الحال من الضمير لانه علم أنها كفات الانس (فان قلت) فالتنكير فى (رواسى شامخات) و(ماء فراتا) (قلت) يحتمل افادة التبعيض لان فى السماء جبالا قال الله تعالى وينزل

انما توعدون لواقع
فاذا النجوم طمست
واذا السماء فرجت
واذا الجبال نسفت
واذا الرسل أقتت
لاى يوم أجلت ليوم الفصل
وما أدراك ما يوم الفصل
ويل يومئذ للمكذبين
ألم نهلك الاولين ثم
نتبعهم الآخرين
كذلك نفعل بالمجرمين
ويل يومئذ للمكذبين
ألم نخلقكم من ماء مهين
فجعلناه فى قرار مكين
الى قدر معلوم فقدرنا
فنعم القادرون ويل
يومئذ للمكذبين ألم
نجعل الارض كفاتا
أحياء وأمواتا وجعلنا
فيها رواسى شامخات
وأسقيناكم ماء فراتا
ويل يومئذ للمكذبين

﴿القول فى سورة المرسلات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى ألم نجعل الارض كفاتا أحياء وأمواتا (قال) وهى كفات الاحياء والاموات الخ

من السماء من جبال فيها من برد فيها أي أمثال هي معدنه ومصبه وأن يكون للتفخيم * أي يقال لهم انطلقوا الى ما كنتم به من العذاب وانطلقوا الثاني تكرير وقرئ انطلقوا على لفظ الماضي اخبارا بعد الامر عن عملهم بموجبه لانهم مضطرون اليه لا يستطيعون امتناعا منه (الى ظل) يعني دخان جهنم كقوله وظل من يحموم (ذي ثلاث شعب) يتشعب لعظمه ثلاث شعب وهكذا الدخان العظيم تراه يتفرق ذوائب وقيل يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار كالسرادق ويتشعب من دخانه ثلاث شعب فتظلهم حتى يفرغ من حسابهم والمؤمنون في ظل العرش (لا ظليل) تهكم بهم وتعريض بأن ظلهم غير ظل المؤمنين (ولا يغني) في محل الجر أي وغير مغن عنهم من حر اللهب شيأ (من لهب) وقرئ بشرار (كالقصر) أي كل شررة كالقصر من القصور في عظمه وقيل هو الغليظ من الشجر الواحدة قصرة كتمرة وتمر وقرئ كالقصر بفتحتين وهي أعناق الابل أو أعناق النخل تعوذ بشجرة وتمر وقرأ ابن مسعود كأنه قصر بمعنى القصور كرهن ورهن وقرأ سعيد بن جبير كالقصرف جمع قصرة كحامة وحوح (جمالات) جمع جمال أو جمالة جمع جمل شبهت بالقصر ثم بالجمال لبيان التشبيه الا تراهم يشبهون الابل بالاقدان والجآذل وقرئ جمالات بالضم وهي قلوس الجسور وقيل قلوس سفن البحر الواحدة جمالة وقرئ جمالة بالكسر بمعنى جمال وجمالة بالضم وهي القلس وقيل (صفر) الارادة الجنس وقيل صفر سود تضرب الى الصفرة وفي شعر عمران بن حطان الخارجي

دعتهم بأعلى صوتها أمورهم * مثل الجمال الصفر زانة الشوى

وقال أبو العلاء حمر ساطعة الذوائب في الدجى * ترمي بكل شرارة كطراف

شبهها بالطراف وهو بيت الادم في العظم والحمرة وكأنه قصد تشبيه أن يريد على تشبيه القرآن واتبعه بما سئل له من توهم الزيادة ياء في صدر بيته بقوله حمر اعتوطئة لهاء منادى عليها وتنبيه الساء من على مكانها واقتدى عيسى جمع الله له عيسى الدارين من قوله عز وعلا كأنه جمالات صفر فانه يمثل له كيت أحمر وعلى أن في التشبيه بالقصر وهو الحصن تشبيها من جهتين من جهة العظم ومن جهة الطول في الهواء وفي التشبيه بالجالات وهي القلوس تشبيه من ثلاث جهات من جهة العظم والطول والصفرة فأبعد الله الغراب في طرائقه وما نفع شديد من استطرائقه * قرئ ينصب اليوم وتنصبه الاعرب أي هذا الذي قص عليكم واقع يوم يؤذن يوم القيامة طويل ذو مواطن وهو أوقات ينطقون في وقت ولا ينطقون في وقت ولذلك ورد الاخبار في القرآن أو جعل نطقهم كلا نطق لانه لا ينفع ولا يسمع (فيعتذرون) عطف على يؤذن مضمر في سلك النفي والمعنى ولا يكون لهم اذن واعتذار مترتب له من غير أن يحصل الاعتذار مسببا عن الاذن ولو نصب لكان مسببا عنه لاحالة (جمعناكم والاولين) كلام موضح لقوله هذا يوم الفصل لانه اذا كان يوم الفصل بين السعداء والاشقياء وبين الانبياء وأممهم فلا بد من جمع الاولين والآخرين حتى يقع ذلك الفصل بينهم (فان كان لكم كيد فكيدون) تقريع لهم على كيدهم لدين الله ودعوته وتسجيل عليهم بالعجز والاستكانة (كلوا واشربوا) في موضع الحال من ضمير المتقين في الظرف الذي هو في ظلال أي هم مستقرون في ظلال متقولا لهم ذلك و (كلوا وتمتعوا) حال من المكذبين أي الويل ثابت لهم في حال ما يقال لهم كلوا وتمتعوا (فان قلت) كيف يصح أن يقال لهم ذلك في الآخرة (قلت) يقال لهم ذلك في الآخرة اذا رأوا أنهم كانوا في الدنيا أحقاء بأن يقال لهم وكانوا من أهله بذكر ما يعاقبهم السعيقة وما جنوا على أنفسهم من ايثار التمتع القليل على النعيم والملك الخالد وفي طريقته

قوله

اخوني لا تبعدوا أبدا * وبلى والله قد بعدوا

تريد كلتم أسقما في حياتكم بان يدعى لكم بذلك * وعلى ذلك يكونهم مجرمين دلالة على أن كل مجرم مآله الا الاكل والتمتع أياما قلائل ثم البقاء في الهلاك أبدا ويجوز أن يكون كلوا وتمتعوا كلاما مستأنفا خطابا للمكذبين في الدنيا (اركعوا) اخشعوا لله وتواضعوا له بقبول دينه واطيعوا واتباع دينه واطيعوا هذا الاستكبار والنخوة لا يخشعون ولا يتقون ذلك ويصرون على استكبارهم وقيل ما كان على العرب أشد من الركوع والسجود وقيل نزلت في ثقيف حين أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة فقالوا لا انحني فانها مسبة

انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب لا ظليل ولا يغني من اللهب انها ترمي بشرر كالقصر كأنه جمالات صفر ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين فان كان لكم كيد فكيدون ويل يومئذ للمكذبين ان المتقين في ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون كلوا واشربوا هنيأ بما كنتم تعملون انا كذلك نجزي المحسنين ويل يومئذ للمكذبين كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون ويل يومئذ للمكذبين واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون ويل يومئذ للمكذبين فبأي

عليناقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا خير فى دين ليس فيه ركوع ولا سجود (بعده) بعد القرآن يعنى أن القرآن من بين الكتب المنزلة آية مصرفة ومعجزة باهرة فحين لم يؤمنوا به فبأى كتاب بعده (يؤمنون) وقرئ تؤمنون بالتاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والمرسلات كتب له أنه ليس من المشركين

﴿سورة عم يتساءلون مكية وتسمى سورة النبأ وهى أربعون أو احدى وأربعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(عم) أصله عما على أنه حرف جر دخل على ما الاستفهامية وهو فى قراءة عكرمة وعيسى بن عمر قال حسان رضى الله عنه

على ما قام يشتمنى لئيم * كخنزير تمرغ فى رماد

والاستعمال الكثير على الحذف والاصل قبل ومعنى هذا الاستفهام تفخيم الشأن كأنه قال عن أى شأن يتساءلون ونحو مما فى قولك لزيد مازيد جعلته لاقطع فيه وعدم اظهره كأنه شئ خفى عليك جنسه فأنت تسأل عن جنسه وتفحص عن جوهره كما تقول ما الغول وما العنقاء تريد أى شئ هو من الاشياء هذا أصله ثم جرد للمبالغة عن التفخيم حتى وقع فى كلام من لا تخفى عليه خافية (يتساءلون) يسأل بعضهم بعضا أو يتساءلون غيرهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين نحو بتداوتهم وبتراوتهم والضمير لاهل مكة كانوا يتساءلون فيما بينهم عن البعث ويتساءلون غيرهم عنه على طريق الاستهزاء (عن النبأ العظيم) بيان للشأن المفخم وعن إن كثيرا تقرأ عمهما السكت ولا يجوز اما أن يجرى الوصل مجرى الوقف واما أن يقدر بعدها أن يقف ويبتدئ بتساءلون عن النبأ العظيم على أن يضمر يتساءلون لان ما بعد ما لا يعمل فيما قبلها (هم فيه مختلفون) (فان قلت) قد زعمت أن الضمير فى يتساءلون للكفار فما تصنع بقوله (هم فيه مختلفون) (قلت) كان فيهم من يقطع القول بانكار البعث ومنهم من يشك وقيل الضمير للمسلمين والكافرين جميعا وكانوا جميعا يسألون عنه أما المسلم فليزداد خشية واستعدادا وأما الكافر فليزداد استهزاء وقيل المتساءل عنه القرآن وقيل سؤ محمد صلى الله عليه وسلم * وقرئ * يتساءلون بالادغام ويستعلمون بالتاء (كلا) ردع للكافرين هزؤا (سيعلمون) وعيد لهم بأنهم سوف يعلمون أن ما يتساءلون عنه وينكرون منه حق لا تواقع لا ريب فيه وتكرير الردع مع الوعيد الثانى أبلغ من الاول وأشد (فان قلت) بم تعلق قوله (ألم نجعل الارض مهادا) (قلت) لما أنكروا البعث قيل لهم ألم يخطر ببالكم من يضاء اليه البعث هذه الحالة أن الحجة الدالة على كمال القدرة فيما وجه انكارقدرته على البعث وما هو الا اختراع كهذا الاختراعات أو قيل لهم ألم يفعل هذه الافعال المتكاثرة والحكم لا يفعل فعلا عبثا وما تنكرونه من البعث والجزاء مؤد الى أنه عابث فى كل ما فعل * مهادا فراشا وقرئ مهدا ومعناه أنها لهم كالمهد للصبى وهو ما يهد له ويتوطأ عليه تسمية للمهود بالمصدر كضرب الامير أو وصفت بالمصدر أو بمعنى ذات مهد أى أوسعناها للحيوان كما يسمى البيت بالاوتاد (سباتا) موتا لان المسبوت الميت وهو النائم لانه مقطوع عن الحركة والنوم أحد التوفيتين وهو على بناء الادواء * والاجمل النوم موتا لجمل اليقظة معاشا أى حياتا فى قوله وجعلنا النهار معاشا أى وقت معاش تستيقظون فيه وتتقلبون فى حوائجكم ومكاسبكم وقيل السبات الراحة (لباسا) يستركم عن العيون اذا أردتم هربا من عدو أو بيات له أو اخفاء لما لا تحبون الاطلاع عليه من كثير من الامور

وكم لظلام الليل عندك من يد * تخبر أن المانوية تكذب

(سبعا) سبع سموات (شدادا) جمع شديدة يعنى محكمة قوية لا توقف فيها مر الدهور والازمان (وهاجا) متلألئا وقادا يعنى الشمس وتوهجت النار اذا تلظت فتوهجت بضوئها وحرها * المعصرات السحائب اذا أعصرت أى شارفت أن تعصرها الرياح فتطر كقولك أجز الزرع اذا أمان له أن يجز ومنه أعصرت الجارية

تفخيم الشأن كأنه قيل عن أى شئ يتساءلون ونحو مما فى قولك الخ) قال أحمد وقد اكتوث الزمخشرى عن هذا التفخيم فى قولها وأبو زرع ما أبو زرع الى آخر حديثها * عاد كلامه (قال هذا أصله ثم جرد للمبالغة على التفخيم الخ) قال أحمد لان بعضهم شك فى البعث وبعضهم

بعده يؤمنون

﴿سورة النبأ مكية وهى أربعون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

عم يتساءلون عن النبأ العظيم الذى هم فيه مختلفون كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون ألم نجعل الارض مهادا والجبال أوتادا وخلقناكم أزواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وبنينا فوقكم سبعا شدادا وجعلنا سراجا وهاجا وأنزلنا من المعصرات ماء

يلبث الفى ومن عم يميل الضمير للمسلمين والكافرين فسؤال المسلمين ليزدادوا خشية والعنا سؤال الكفار ليزدادوا استهزاء والكفر (ثم قال فان قلت كيف اتصال قوله ألم نجعل

الارض مهادا بما قبله الخ) قال أحمد جوابه الاول سديد وأما الثانى فغير مستقيم فانه مبنى على المذهب الاعوج فى وجوب مراعاة الصلاح والاصلح واعتقاد ان الجزاء واجب على الله تعالى عقلا ثوابا وعقابا بمقتضى ايجاب الحكمة وقد فرغ من ابطال هذه القاعدة

إذا دنت أن تحيض وقراءة عكرمة للمصرات وفيه وجهان أن تراد الرياح التي من شأنها أن تمصر السحاب وأن تراد السحائب لأنها إذا كان الأنزال منها فهو بها كما تقول أعطى من يده درهما وأعطى بيده وعن مجاهد المصرات الرياح ذوات الأعاصير وعن الحسن وقتادة هي السموات وتأويله أن الماء ينزل من السماء إلى السحاب فكأن السموات تمصرن أي يعصرن على المصر ويمكن منه (فان قلت) فما وجه من قرأ من المصرات وفسرها الرياح ذوات الاعاصير والمطر لا ينزل من الرياح (قلت) الرياح هي التي تنشئ السحاب وتدر اخلافه فصح ان تجعل مبدأ للانزال وقد جاء أن الله تعالى يبعث الرياح فتحمل الماء من السماء إلى السحاب فان صح ذلك فالانزال منها ظاهر (فان قلت) ذكر ابن كيسان أنه جعل المصرات بمعنى المغيثات والماصر هو المغيث لا المعصر يقال عصرته فاعتصر (قلت) وجهه أن يريد اللاتي أعصرن أي حان لهن أن تعصر أي تغيث (ثجاجا) منصبا بكثرة يقال ثجه وثج بنفسه وفي الحديث أفضل الحج العج والثج أي رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدي وكان ابن عباس يمر بالسيل فيقول هذا ثجاج فيأتي بهذا الكلام فيأتي خطبته وقرأ الاعرج ثجاما ومثاج الماء مسايله والماء يثج في الوادي (جبابا) يريد ما يتقوت من نحو الحنطة والشعير وما يتقوت من التمر والحشيش كما قال كلوا وارعوا أنعامكم واطيب ذو العصف والريحان (ألفافا) ملتفة ولا واحد له كالاوزاع والاخياف وقيل الواحد لف وقال صاحب الاقليد أنشدني الحسن بن علي الطوسي

جنة لف وعيش مغدق * ويد أي كلهم بيض زهر

وزعم ابن قتيبة أنه لما ولف ثم ألتف وما ألطفه واحد له نظير ما من نحو خضر وأخضر وحمر وأحمر ولو قيل هو جمع ملتفة بتقدير حذف الزوائد لكان قولا وجيها (كان ميقاتا) كان في تقدير الله وحكمه مدة وقته به الدنيا وتنتهي عنده أو حد الخلائق ينتهون اليه (يوم ينفخ) بدل من يوم الفصل أو عطف بيان (فتأتون أفواجا) من القبور إلى الموقف أمة مع امامهم وقيل جماعات مختلفة وعن معاذ رضي الله عنه انه سأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا معاذ سألت عن أمر عظيم من الامور ثم أرسل عينيه وقال تحشر عشرة أصناف من أمتي بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون أرجلهم فوق وجوههم يسحبون عليها وبعضهم عميا وبعضهم صما بكما وبعضهم يمضغون ألسنتهم فهي مدلاة على صدورهم وسيل القيح من أفواههم يتقذرهم أهل الجمع وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من نار وبعضهم أشد نتنا من الجيف وبعضهم ملبسون جبابا سابغة من قطران لازقة بجلودهم فأما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس وأما الذين على صورة الخنازير فأهل السحت وأما المنكسون على وجوههم فآكلة الربا وأما العمي فالذين يجورون في الحكم وأما الصم البكم المعجبون باعمالهم وأما الذين يمضغون ألسنتهم فالعلماء والقصاص الذين خالف قولهم أفعالهم وأما الذين قطعت أيديهم وأرجلهم فهم الذين يؤذون الجيران وأما المصلبون على جذوع من نار فالسعاة بالناس إلى السلطان وأما الذين هم أشد نتنا من الجيف فالذين يتبعون الشهوات واللذات ومنعوا حق الله تعالى في أموالهم وأما الذين يلبسون الجباب فأهل الكبر والفخر والخيلاء * وقرئ وفتحت بالتشديد والتخفيف والمعنى كثرت أبوابها المفتحة لنزول الملائكة كأنها ليست إلا أبوابا مفتحة كقوله وفجرنا الأرض عيونا كأن كلها عيون تتفجر وقيل الابواب الطرق والمسالك أي تكشط فينفتح مكانها وتصير طرقا لا سد هناك (فكانت سرابا) كقوله فكانت هباء منبثا يعني أنها تصير شيأ كلا شيء لتفرق أجزائها وانبثاث جواهرها * المرصاد الحد الذي يكون فيه الرصد والمعنى ان جهنم هي حد الطاغين الذي يرصدون فيه للعذاب وهي مآبهم أو هي مرصاد لأهل الجنة ترصدهم الملائكة الذين يستقبلونهم عندها الآن مجازهم عليها وهي مآب للطاغين وعن الحسن وقتادة نحوه قالا طريقهم على جهنم لا أهل الجنة وقرأ ابن يعمر أن جهنم بفتح الهمزة على تعليل قيام الساعة بان جهنم كانت مرصادا للطاغين كانه قيل كان ذلك لاقامة الجزاء * قرئ لابثين ولبثين واللبث أقوى لان اللبث من وجد منه اللبث ولا يقال لبث الا لمن شأنه اللبث كالذي يحبس بالمكان لا يكاد ينفك منه (أحقابا) حقبا بعد حقب كلما

مضى حقب تبعه آخر الى غير نهاية ولا يكاد يستعمل الحقب والحقبة الا حيث يراد تتابع الازمنة وتوالها والاشتقاق يشهد لذلك ألا ترى الى حقيبة الراكب والحقب الذي وراء القعيد ويقال الحقب ثمانون سنة ويجوز أن يراد لابثين فيها أحقابا غير ذائقين فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا ثم يبدلون بعد الاحقاب غير الحميم والغساق من جنس آخر من العذاب وفيه وجه آخر وهو أن يكون من حقب عامنا اذا قل مطره وخيره وحقب فلان اذا أخطأه الرزق فهو حقب وجمعه أحقاب فينتصب حالا عنهم يعني لابثين فيها حقبين بحقبين وقوله (لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا) تفسيره * والاستثناء منقطع يعني لا يذوقون فيها بردا ويرحا ينفس عنهم حر النار ولا شرابا يسكن من عطشهم ولكن يذوقون فيها حميما وغساقا وقيل البرد النوم وأنشد

فلو شئت حرمت النساء سواكم * وان شئت لم أطعم نقاخا ولا بردا

وعن بعض العرب مقتم البرد البرد * وقرئ غساقا بالتخفيف والتشديد وهو ما يغسق أي يسيل من صديدهم (وفاقا) وصف بالمصدر أو ذوا وفاق وقرأ أبو حيوة وفاقا فعال من وفقه كذا (كذابا) تكذيبا وفعال في باب فعل كله فاش في كلام فصحاء من العرب لا يقولون غيره ومعنى بعضهم أنسر آية فقال لقد فسرتها فسارا أما سمع بمثله وقرئ بالتخفيف وهو مصدر كذب بدليل قوله

فصدقتها وكذبتها * والمرء ينفعه كذابه

وهو مثل قوله أنبتكم من الارض نباتا يعني وكذبوا بآياتنا فكذبوا كذابا أو تصبه تكذيبا لانه يتضمن معنى كذبوا لان كل مكذب بالحق كاذب وان جعلته بمعنى المكاذبة فمعناه وكذبوا بآياتنا مكاذبة أو كذبوا بها مكاذبين لانهم اذا كانوا عند السلين كاذبين وكان المسلمون عندهم كاذبين فبينهم مكاذبة أو لانهم يتكلمون بما هو افراط في الكذب فعل من يغالب في أمر فيبالغ فيه أقصى حده وقرئ كذابا وهو جمع كاذب أي كذبوا بآياتنا كاذبين وقد يكون الكذاب بمعنى الواحد البليغ في الكذب يقال رجل كذاب كقولك حسان وعطال فيجعل صفة لمصدر كذبوا أي تكذيبا كذابا مفرطا كذبه وقرأ أبو الجمال وكل شئ أحصيناه بالرفع على الابتداء (كتابا) مصدر في موضع احصاء أو أحصيناه في معنى كتبنا لان الاحصاء والكتبة في معنى الضبط والتحصيل أو يكون حالا في معنى مكتوبا في اللوح وفي صحف الحفظة والمعنى احصاء مماثلا لمعلومنا كقوله أحصاء الله ونسوه وهو اعتراض وقوله (فذوقوا) مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم الآيات وهي آية في غاية الشدة وناهيك بمن زيد ولدا انه على أن ترك الزيادة كالجاني الذي لا يخلص تحت العقوبة على طريقة الالتفات شاهدا على أن الغضب قد تناهى وعن النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية أشد ما في القرآن على أهل النار (مفازا) فوزا وظفرا بالبغية أو موضع فوز وقيل نجاة مما فيه أولئك أو موضع نجاة وقصر المفاز بما بعده * والحدائق البساتين فيها أنواع الشجر المثمر * والاعناب الكروم * والكواعب اللاتي تكعبت ثديهن وهن المواهد * والاتراب اللدات * والدهاق المترعة وأدهق الحوض ملأه حتى قال قطني * وقرئ ولا كذابا بالتشديد والتخفيف أي لا يكذب بعضهم بعضا ولا يكذبه أولا يتكاذبونه وعن علي رضي الله عنه انه قرأ بتخفيف الاثنين (جزاء) مصدر مؤكد منصوب بمعنى قوله ان للمتقين مفازا كله قال جازى المتقين بمفاز و (عطاء) نصب بجزاء نصب المفعول به أي جزاهم عطاء و (حسابا) صفة بمعنى كافيا من أحسبه الشئ اذا كفاه حتى قال حسبي وقيل على حسب أعمالهم وقرأ ابن قطيب حسابا بالتشديد على ان الحساب بمعنى المحسب كالدراك بمعنى المدرك * قرئ رب السموات والرحمن بالرفع على هو رب السموات الرحمن أو رب السموات مبتدأ والرحمن صفة ولا يملكون خبرا وهما خبران والجر على البدل من ربك وبحر الاول ورفع الثاني على أنه مبتدأ خبره لا يملكون أو هو الرحمن لا يملكون * والضمير في (لا يملكون) لاهل السموات والارض أي ليس في أيديهم مما يخاطب به الله ويأمر به في أمر الثواب والعقاب خطاب واحد يتصرفون فيه تصرف الملاك فيريدون فيه أو ينقصون منه أو لا يملكون أن يخاطبوه بشئ من نقص العذاب أو زيادة في الثواب الا أن يأذن لهم ذلك ويأذن فيه و (يوم يقوم) متعلق بلا يملكون أو بلا يتكلمون والمعنى ان الذين هم

لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا جزاء وفاقا انهم كانوا لا يرجون حسابا وكذبوا بآياتنا كذابا وكل شئ أحصيناه كتابا فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا ان للمتقين مفازا حدائق وأعنابا وكواعب أترابا وكأسا دهاقا لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا جزاء من ربك عطاء حسابا رب السموات والارض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا يوم يقوم

أفضل الملائق وأشرفهم وأكثرهم طاعة وأقربهم منه وهم الروح والملائكة لا يتكلمون التكلم بين يديه فما ظنك بمن عداهم من أهل السموات والارض * والروح أعظم خلقا من الملائكة وأشرف منهم وأقرب من رب العالمين وقيل هو ملك عظيم ما خلق الله بعد العرش خلقا أعظم منه وقيل ليسوا بالملائكة وهم يأكلون وقيل جبريل * هما شرط بطنان أن يكون المتكلم منهم مأذونا له في الكلام وأن يتكلم بالصواب فلا يشفع لغير من ترضى لقوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى (الكافر) هو الكافر لقوله تعالى انا أنذرناكم عذابا قريبا والكافر ظاهر موضع مو ضع الضمير لزيادة الذم ويعني (ما قدمت يداه) من الشرك كقوله وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم وتذييقه يوم القيامة عذاب الحريق ذلك بما قدمت يداك بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين وما يجوز أن تكون استفهامية منصوبة بقدمت أي ينظر أي شئ قدمت يداه وموصولة منصوبة بينظر يقال نظرته بمعنى نظرت اليه والراجع من الصلة محذوف وقيل المرء عام وخصص منه الكافر وعن قتادة هو المؤمن (يا ليتني كنت ترابا) في الدنيا فلم أخلق ولم أكلف أو ليتني كنت ترابا في هذا اليوم فلم أبعث وقيل يحشر الله الحيوان غير المكلف حتى يقتص للجماء من القرناء ثم يرد ترابا فيود الكافر حاله وقيل الكافر ابليس يرى آدم وولده وثوابهم فيتمنى أن يكون الشئ الذي احتقره حين قال خلقتني من نار وخلقته من طين من رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عم يتساءلون سقاه الله برد الشراب يوم القيامة

* سورة والنازعات مكية وهي خمس أو ست وأربعون آية *

* بسم الله الرحمن الرحيم *

* أقسم سبحانه بطوائف الملائكة التي تنزع الارواح من الاجساد والطوائف التي تنشطها أي تخرجها من نشط الدلو من البئر اذا أخرجها والطوائف التي تسبح في مضيها أي تسرع فتسبق الى ما أمرها به فتدبر أمرا من أمور العباد بما صلحهم في دينهم أو دنياهم يأمر لهم (غرقا) اغراقا في النزع أي تنزعها من أقاصي الاجساد من أناملها وأظفارها وأقسم بخيل الغزاة التي تنزع في أعنتها نزعا فرق فيه لاعنة لطول أعنتها لانها عراب والتي تخرج من دار الاسلام الى دار الحرب من قولك ثور ناشط اذا خرج من بلد الى بلد والتي تسبح في جريها فتسبق الى الغاية فتدبر أمر الغلبة والظفر باسناد التدبير اليها لانها من أسبابه أو أقسم بالنجوم التي تنزع من المشرق الى المغرب اغراقا في النزع أن تطلع الفلك كله حتى تنشط في أقصي المغرب والتي تخرج من برج أو برج والتي تسبح في الفلك من السيارة فتسبق فتدبر أمرا من علم الحساب وقيل النازعات أيدي الغزاة أو أنفسهم تنزع النفس باغراق السهام والتي تنشط الاوهاق والمقسم عليه محذوف وهو ولتبعثن الدلالة ما بعده عليه من ذكر القيامة و(يوم ترجف) منصوب بهذا المضمر و (الراجفة) الواقعة التي ترجف عندها الارض والجبال وهي النفخة الاولى وصفت بما يحدث بعدوثها (تتبعها الرادفة) أي الواقعة التي تردف الاولى وهي النفخة الثانية ويجوز أن تكون الرادفة من قوله تعالى قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون أي القيامة التي يستعجلها الكفرة استبعادا لها وهي رادفة لهم لاقترابها وقيل الراجفة الارض والجبال من قوله يوم ترجف الارض والجبال والرادفة السماء والكواكب لانها تنشق وتنتثر كواكبها على ذلك (فان قلت) ما محل تتبعها (قلت) الحال أي ترجف تابعتها الرادفة (فان قلت) كيف جمعت بين طرفا المضمر الذي هو لتبعثن ولا يبعثون عند النفخة الاولى (قلت) الملقى لتبعثن في الوقت الواسع الذي فيه النفختان وهم يبعثون في بعض ذلك الوقت الواسع وهو وقت النفخة الاخرى ودل على ذلك تتبعها الرادفة فجعل حالا عن الراجفة ويجوز أن ينتصب يوم ترجف بعامل عليه (قلوب يومئذ

الكافر وقد صرح بما تقدمت له ويتلو ذلك من أنها شهوة بالمرتضين وذوو الكبائر ليسوا من المرتضين ومن ثم أحطأ فان الله عز وجل الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صوابا ذلك اليوم الحق فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا انا أنذرناكم عذابا قريبا يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا

* سورة والنازعات مكية وهي خمس أو ست وأربعون آية *

بسم الله الرحمن الرحيم

والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات أمرا يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ

ما خصهم بالايمان والتوحيد ونوفاهم عليه الا وقد ارتضاهم لذلك بدليل قوله تعالى ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم فجعل الشكر عين الايمان المقابل للكفر فمن رضي الله تعالى عنه رضي صاحبه عنه رضي * القول في سورة والنازعات * بسم الله الرحمن الرحيم غرقا قوله تعالى والنازعات غرقا الآيات (قال فيه) اما أن يكون المراد الملائكة فالنازعات بمعنى للارواح ومعنى غرقا اغراقا

يوم ترجف وجفت القلوب (واجفة) شديدة الاضطراب والوجيب والوجيف أخوان (خاشعة) ذليلة فان قلت) كيف جاز الابتداء بالنكرة (قلت) قلوب مرفوعة بالابتداء ووصفت صفتها وأبصارها خاشعة خبرها فهو كقوله ولعبد مؤمن خير من مشرك (فان قلت) كيف صح اضافة الابصار الى القلوب (قلت) معناه أبصار أصحابها لدليل قوله يقولون (فى الحافرة) فى الحالة الاولى يعنون الحياة بعد الموت (فان قلت) ما حقيقة هذه الكلمة (قلت) يقال رجع فلان فى حافرته أى فى طريقه التى جاء فيها لحفرها أى أثرها بمشيه فيها لجعل أثر قدميه حفرا كما قيل حفرت أسنانه حفر الدائر الاكال فى أسنانها والخط المحفور فى الصخر وقيل حافرة كما قيل عيشة راضية أى منسوبة الى الحفر والرضا أو لتقلبهم فيها بأرجلهم صائم ثم قيل لمن كان فى أمر تخرج منه ثم عاد اليه رجع الى حافرته أى الى طريقته وحالته الاولى قال

أحافرة على صلع وشيب * معاذ الله من سفه وعار

يريد أرجوعا الى حافرة وقيل النقد عند الحافرة يريدون عند الحالة الاولى وهى الصفقة وقرأ أبو حيوة فى الحفرة والحفرة بمعنى المحفورة يقال حفرت أسنانه وحفرت حفرا وهى حفرة وهذه القراءة دليل على أن الحافرة فى أصل الكلام بمعنى المحفورة * يقال فلان غير العظم فهو يخور نا خر كثير الطعم فهو طعم وطامع وفعل أبلغ من فاعل وقد قرئ بهما وهو البالى الاجوف الذى عرفيه الريح فيسمع له خوير و (اذا) منصوب بمحذوف تقديره أئذا كنا عظاما نرد ونبعث (كرة خاسرة) منسوبة الى الخسران أو خاسر أصحابها والمعنى أنها ان صحت فنحن اذا لمغبونون لتكذيبنا بها وهذا استهزاء منهم (فان قلت) ثم تعالى قوله (فانما هى زجرة واحدة) (قلت) يحذوف معناه لا تستصعبوها فانما هى زجرة واحدة يعنى لا تحسبوا ان الكرة صعبة على الله عز وجل فانما هى صيحة واحدة كما تريد الثانية (فاذا هم) أحياء على وجه الارض بعد ما كانوا أمواتا تحت بطون الارض (الساهرة) وجه الارض الملساء المستوية سميت بذلك لان السراب يجرى فيها من قولهم عين ساهرة جارية الماء وفى عينها ساهرة قال الاشجع بن رئيس

وساهرة يخشى السراب كأنها * لاقطارها قد جهلت مسالكها

أولان سالكها لا ينام خوف الهلكة وعن قتادة فاذا هم فى جهنم (اذهب) على ارادة القول وفى قراءة عبد الله فان اذهب لان فى النداء معنى القول * هل لك فى كذا وهل لك الى كذا كما تقول هل ترغب فيه وهل ترغب فى كذا (الى أن تزكى) الى أن تتطهر من الشرك وقرأ أهل المدينة تزكى بالادغام (وأهديك الى ربك) وأرشدك الى معرفة الله وأنبهك عليه فتعرفه (فتخشى) لان الخشية لا تكون الا بالمعرفة قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء أى العلماء به وذكر الخشية لانها صلاك الامر من خشى الله أتى منه كل خير وعن أمير المؤمنين على كرم الله وجهه عنه قوله عليه السلام من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل بدأ بتخطيبه بالاستفهام الذى معناه العرض كما يقول الرجل لضيفه هل لك أن تنزل بنا وأردفه الكلام الرفيق ليستدعيه بالتلطف فى القول ويستنزله بالمداراة من عتوه كما أمر بذلك فى قوله فقولا له قولا لينا (الآية الكبرى) الفلقة العصا لانها كانت القدمة والاصل والاخرى كالتبع لها لانه كان يتقيها بيده فقيل له أدخل يدك فى جيبك ثم أدها جميعا الا أنه جعلها واحدة لان الثانية كأنها من جملة الاولى لكونها تابعة لها (فكذب) بموسى كالدرئ كبرى وسماها ساحرا وسحرا (وعصى) الله تعالى بسببها مع علمه بصحة الامر وأن الطاعة فيه وجبت مبتدأ والراء بدر يسعى) أى لما رأى الثعبان أدبر من عو بايسعى يسرع فى مشيته قال الحسن كان رجلا طيالسا أنه مبتدأ ألى من موسى يسعى ويجتهد فى مكايدته أو أريد ثم أقبل يسعى كما تقول أقبل فلان يفعل كذا يعنى ليس فى أنه يجمع أدبر موضع أقبل لئلا يوصف بالاقبال (فحشر) فجمع السحرة كقوله فأرسل فرعون فى المدائن حاشرين (فنادى) فى المقام الذى اجتمعوا فيه معه أو أمر مناديا فنادى فى الناس بذلك وقيل قام فيهم الا أن يبت فى العظيم * وعن ابن عباس كلمته الاولى ما علمت لكم من اله غيرى والاخرة أنا ربكم الاعلى

---

* قوله تعالى فانما هى زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة (قال فيه ان قلت كيف اتصل ما قبله وأجاب انهم أنكروا الاعادة الخ) قال أحمد وما أحسن تسهيل أمر الاعادة بقوله زجرة عوضا من صيحة لان الزجرة أخص من الصيحة وبقوله واحدة أى غير محتاجة الى مثنوية وهو يحقق لك ما أجبت به من السؤال الوارد عند قوله تعالى فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة حيث قيل كيف وحدها وهما نفختان تحدث عهدا * قوله تعالى ثم أدبر يسعى (قال فيه أى لما رأى الثعبان ولى هاربا مذعورا الخ) قال أحمد

 وهذا الوجه الاخير حسن لطيف جدا وهو على هذا من أمثال القارية

(قال وقوله نكال الآخرة والاولى يعني الاغراق في الدنيا والاحراق في الآخرة الخ) قال أحمد فعلى الاول يكون قريبا من اضافة الموصوف الى الصفة لان الآخرة والاولى صفات للكلمتين وعلى الثاني لا يكون كذلك * قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها أخرج (قال فان قلت هلا أدخل العاطف على (٥٢٢) أخرج الخ) قال أحمد والاول أحسن وهو مناسب لقوله السماء بناها لانه لما قال أأنتم أشد خلقا أم السماء ثم الكلام لكن بجملة ام بين التفاوت فقيل كيف خلقها فقال بناها بغير عاطف ثم فسر البنا فقال ورفع سمكها بغير

(نكال) هو مصدر مؤكد كوعد الله وصيغة الله كانه قيل نكل الله به نكال الآخرة والاولى والنكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم يعني الاغراق في الدنيا والاحراق في الآخرة وعن ابن عباس نكال كلمتيه الآخرة وهي قوله أنا ربكم الاعلى والاولى وهي قوله ما علمت لكم من اله غيري وقيل كان بين الكلمتين أربعون سنة وقيل عشرون * الخطاب لمنكري البعث يعني (أأنتم) أصعب (خلقا) وانشاء (أم السماء) ثم بين كيف خلقها فقال (بناها) ثم بين البناء فقال (رفع سمكها) أي جعل مقدار ذهابها في سمت العلو مديدا رفيعا مسيرة خمسمائة عام (فسواها) فعدلها مستوية ملساء ليس فيها تفاوت ولا فطور أو فتمها بما علم أنها تتم به وأصلحها من قولك سوى فلان أمر فلان * غطش الليل وأغطشه الله كقولك ظلم واظلمه ويقال أيضا أغطش الليل كما يقال أظلم (وأخرج ضحاها) وأبرز ضوء شمسها يدل عليه قوله تعالى والشمس وضحاها يريد وضوءها وقولهم وقت الضحى للوقت الذي تشرق فيه الشمس ويقوم سلطانها وأضيف الليل والشمس الى السماء لان الليل ظلها والشمس هي السراج المثقب في جوها (ماءها) عيونها المتفجرة بالماء (ومرعاها) ورعيها وهو في الاصل موضع الرعي ونصب الارض والجبال باضمار دحا وأرسى وهو الاضمار على شريطة التفسير وقرأ أهل الحسن مرفوعين على الابتداء (فان قلت) هلا أدخل حرف العطف على أخرج (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يكون معنى دحاها بسطها ومهدها للسكنى ثم فسر التمهيد بما لا بد منه في تأتي سكناها من تسوية أمر المأكل والمشرب وامكان القرار عليها والسكون باخراج الماء والرعي وارساء الجبال وانباتها أو تاد الها حتى تستقر ويستقر عليها والثاني أن يكون أخرج حالا باضمار قد كقوله أو جاؤكم حصرت صدورهم وأراد بمرعاها ما يأكل الناس والانعام واستعير الرعي للانسان كما استعير الرتع في قوله نرتع ونلعب وقرئ نرتع من الرعي ولهذا قيل دل الله سبحانه بذكر الماء والمرعى على عامة ما يرتفق به ويقتات مما يخرج من الارض حتى الملح لانه من الماء (متاعا لكم) فعل ذلك تمتيعا لكم (ولانعامكم) لان منفعة ذلك التمهيد واصلة اليهم والى أنعامهم (الطامة) الداهية التي تطم على الدواهي أي تعلو وتغلب وفي أمثالهم جرى الوادي فطم على القرى وهي القيامة اطمو مها على كل هائلة وقيل هي النفخة الثانية وقيل الساعة التي تساق فيها أهل الجنة الى الجنة وأهل النار الى النار (يوم يتذكر) بدل من اذا جاءت يعني اذا رأى أعماله مدونة في كتابه تذكرها وكان قد نسيها كقوله أحصاه الله ونسوه * وماني (ماسعى) موصولة أو مصدرية (وبرزت) أظهرت وقرأ أبو نهيك وبرزت (لمن يرى) للرائين جميعا أي لكل أحد يعني أنها تظهر اظهارا بينا مكشوفا يراها أهل الساهرة كلهم كقوله فاذا هم بالساهرة قد بين الصبح لذي عينين يريد لكل من له بصر وهو مثل في الامر المنكشف الذي لا يخفى على أحد وقرأ ابن مسعود ان رأى وقرأ عكرمة لمن ترى والضمير للجحيم كقوله اذا رأتهم من مكان بعيد وقيل لمن ترى ياأحمد (فأما) جواب فاذا أي فاذا جاءت الطامة فان الامر كذلك * والمعنى فان الجحيم مأواه كما تقول للرجل غض الطرف تريد طرفك وليس الالف واللام بدلا من الاضافة ولكن لما علم أن الطاغي هو صاحب المأوى وأنه لا يغض الرجل طرف غيره تركت الاضافة ودخول حرف التعريف في المأوى والطرق للتعريف لانهما معرفان و (هي) فصل أو مبتدأ (ونهى النفس الامارة بالسوء (عن الهوى) المردي وهو اتباع الشهوات وزجرها عنه وضبطها بالصبر والتوطين على ايثار الخير وقيل الآيتان نزلتا في أبي عزير بن عمير ومصعب بن عمير وقد قتل مصعب أخاه أبا عزير يوم أحد وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه حتى نفذت المشاقص في جوفه (أيان مرساها) متى ارساؤها أي اقامتها أراد وامتى يقيمها الله ويثبتها ويكونها وقيل أيان منتهاها ومستقرها كأن مرسى السفينة مستقرها

عاطف أيضا * قوله تعالى وبرزت الجحيم لمن يرى (قال فيه يعني أنها ظهرت اظهارا بينا مكشوفا الخ) قال أحمد وفائدة هذا النظم الاشعار بانه أمر ظاهر لا يتوقف أحد أن الا على البصر خاصة أي لا شئ يحجبه ولا بعد يمنع رؤيته ولا قرب مفرط الى حيث غير ذلك من موانع الرؤية * قوله تعالى يسئلونك عن الساعة أيان مرساها فيم أنت من ذكراها (قال فيه مرساها أي مستقرها الخ) قال أحمد وفيه اشعار بثقل اليوم كقوله ويذرون وراءهم يوما ثقيلا ألا تراهم لا يستعملون الارساء الا فيما له ثقل كرسي

حيث تنتهى اليه (فيم أنت) فى أى شئ أنت من ان تذكر وقتها لهم وتعلمهم به يعنى ما أنت من ذكرها لهم وتبيين وقتها فى شئ وعن عائشة رضى الله عنها لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الساعة ويسأل عنها حتى نزلت فهو على هذا تعجب من كثرة ذكره لها كانه قيل فى أى شغل واهتمام أنت من ذكرها والسؤال عنها والمعنى أنهم يسألونك عنها لحرصك على جوابهم لا ان تذكرها وتسأل عنها أنت قال (الى ربك منتهاها) أى منتهى علمها لم يؤت علمها أحدا من خلقه وقيل فيم انكار لسؤالهم أى فيم هذا السؤال ثم قيل أنت من ذكراها أى ارسالك وأنت خاتم الانبياء وآخر الرسل المبعوث فى نسم الساعة ذكر من ذكرها وعلامة من علاماتها فكفاهم بذلك دليلا على دنوها ومشارفتها ووجوب الاستعداد لها ولا معنى لسؤالهم عنها (انما أنت منذر من يخشاها) أى لم تبعث لتعلمهم بوقت الساعة الذى لا فائدة لهم فى علمه وانما بعثت لتنذر من أهوالها من يكون انذارك لطفا له فى الخشية منها وقرئ منذر بالتنوين وهو الاصل والاضافة تخفيف وكلاهما يصلح للحال والاستقبال فاذا أريد الماضى فليس الا الاضافة كقولك * ومنذر زيد أمس * أى كانهم لم يلبثوا فى الدنيا وقيل فى القبور (الا عشية أو ضحاها) (فان قلت) كيف صحت اضافة الضحى الى العشية (قلت) لما بينهما من الملابسة لاجتماعهما فى نهار واحد (فان قلت) فهلا قيل الا عشية أو ضحى وما فائدة الاضافة (قلت) الدلالة على أن مدة لبثهم كانها لم تبلغ يوما تاما ولكن ساعة منه عشيته أو ضحاه فلما ترك اليوم أضافه الى عشيته فهو كقوله لم يلبثوا الا ساعة من نهار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النازعات كان ممن حبسه الله فى القبر والقيامة حتى يدخل الجنة قدر صلاة المكتوبة

﴿سورة عبس مكية وهى احدى وأربعون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن أم مكتوم وأم مكتوم أم أبيه واسمه عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة الفهرى من بنى عامر بن لؤى وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وأمية بن خلف والوليد بن المغيرة يدعوهم الى الاسلام رجاء أن يسلم باسلامهم غيرهم فقال يا رسول الله أقرئنى وعلمنى مما علمك الله وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس وأعرض عنه فنزلت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمه ويقول اذا رآه مرحبا بمن عاتبنى فيه ربى ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين وقال أنس رأيته يوم القادسية وعليه درع وله راية سوداء وقرئ عبس بالتشديد للمبالغة ونحوه كلح فى كلح (أن جاءه) منصوب بتولى او بعبس على اختلاف المذهبين ومعناه عبس لان جاءه الاعمى أو أعرض لذلك وقرئ آن جاءه بهمزتين وبألف بينهما وقف على عبس وتولى ثم ابتدئ على معنى الأن جاءه الاعمى فعل ذلك انكارا عليه وروى انه ما عبس بعدها فى وجه فقير قط ولا تصدى لغنى وفى الاخبار ما فرط منه ثم الاقبال عليه بالخطاب دليل على زيادة الانكار كمن يشكو الى الناس جانيا جنى عليه ثم يقبل على الجانى ذاهى فى الشكاية مواجها له بالتوبيخ وإلزام الحجة وفى ذكر الاعمى نحو من ذلك كانه يقول قد استحق عنده العبوس والاعراض لانه أعمى وكان يجب أن يزيده لعماه تعطفا وترؤفا وتقريبا وترحيبا ولقد تأدب الناس بأدب الله فى هذا تأدبا حسنا فقد روى عن سفيان الثورى رحمه الله أن الفقراء كانوا فى مجلسه أمراء (وما يدريك) وأى شئ يجعلك دارئا بحال هذا الاعمى (لعله يزكى) أى يتطهر بما يتلقن من الشرائع من بعض أوضار الاثم (أو يذكر) أو يتعظ (فتنفعه) ذكرك أى موعظتك وتكون له لطفا فى بعض الطاعات والمعنى أنك لا تدرى ما هو مترقب منه من تزك أو تذكر ولو دريت لما فرط ذلك منك وقيل الضمير فى لعله للكافر يعنى أنك طمعت

الوجه نظر فان الآية الاخرى ترده وهى قوله يسئلونك كأنك حفى عنها أى انك لا تعتنى بالسؤال عنها ولا تهتم بذلك وهم يسألونك كما يسئل الحفى عن الشئ أى الكثير السؤال عنه فالوجه الاول أصوب * عاد كلامه (قال وقيل فيم انكار لسؤالهم أى فيم هذا السؤال الخ) قال

فيم أنت من ذكراها الى ربك منتهاها انما أنت منذر من يخشاها كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها

(سورة عبس مكية وهى احدى وأربعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

عبس وتولى أن جاءه الاعمى وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى أما من استغنى فانت له

أحد فعلى هذا ينبغى أن يوقف على قوله فيم ليفصل بين الكلامين

(القول فى سورة عبس)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

---

* قوله تعالى عبس وتولى أن جاءه الاعمى الى قوله فانت له تصدى (ذكر سبب الآية وهو

ان ابن أم مكتوم الاعمى الخ) قال أحمد وانما أخذ الاختصاص من تصدير الجملة بضمير الخاطب وجعله مبتدأ مخبرا عنه وهو كثيرا ما يتلقى الاختصاص من ذلك ولقد غلط فى تفسير الآية وما كان له أن يبلغ ذلك

*عاد كلامه (قال) وفى قوله يسعى (٥٢٤) وهو يخشى تقبيه على وجوب حق ابن أم مكتوم الخ * قوله تعالى قتل الانسان ما أكفره الى

قوله ثم شققنا الارض شق إدعاء عليه وهو من أشنع دعائهم الخ) قال أحمد ما رأيت كاليوم قط عبدا ينازع ربه الله تعالى يقول ثم شققنا فيضيف فعله الى ذاته حقيقة كما أضاف بقية

فى أن يتزكى بالاسلام أو يذكر فتنفعه الذكرى الى قبول الحق وما يدريك أن ما طمعت فيه كائن وقرئ فتنفعه بالرفع عطفا على يذكر وبالنصب جوابا للعل كقوله فأطلع الى اله موسى (تصدى) تتعرض بالاقبال عليه والمصاداة المعارضة وقرئ تصدى بالتشديد بادغام التاء فى الصاد وقرأ أبو جعفر تصدى بضم التاء أى تعرض ومعناه يدعوك داع الى التصدى له من الحرص والتهالك على اسلامه وليس عليك بأس فى أن لا يتزكى بالاسلام ان عليك الا البلاغ (يسعى) يسرع فى طلب الخير (وهو يخشى) الله أو يخشى الكفار واذاهم فى اتباعك وقيل جاء وليس معه قائد فهو يخشى الكبوة (تلهى) تتشاغل من لهى عنه والتهى وتلهى وقرأ طلحة بن مصرف تتلهى وقرأ أبو جعفر تلهى أى يلهيك شأن الصناديد (فان قلت) قوله فأنت له تصدى فأنت عنه تلهى كأن فيه اختصاصا (قلت) نعم ومعناه انكار التصدى والتلهى عليه أى مثلك خصوصا لا ينبغى له أن يتصدى للغنى ويتلهى عن الفقير (كلا) ردع عن المعاتب عليه وعن معاودة مثله (انها تذكرة) أى موعظة يجب الانتباط بها والعمل بوجبها (فمن شاء ذكره) أى كان حافظا له غير ناس وذكر الضميران التذكرة فى معنى الذكر والوعظ (فى صحف) صفة لتذكرة يعنى أنها مثبتة فى صحف منتسخة من اللوح (مكرمة) عند الله (مرفوعة) فى السماء أو مرفوعة المقدار (مطهرة) منزهة عن أيدى الشياطين لا يمسها الا أيدى ملائكة مطهرين (سفرة) كتبة ينتسخون الكتب من اللوح (برره) أتقياء وقيل هى صحف الانبياء كقوله ان هذا لفى الصحف الاولى وقيل السفرة القراءة وقيل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (قتل الانسان) دعاء عليه وهى من أشنع دعائهم لان القتل قصارى شدائد الدنيا وفظائعها و (ما أكفره) تعجب من افراطه فى كفران نعمة الله ولا ترى أسلوبا أغلظ منه ولا أخشن مسا ولا أدل على سخط ولا أبعد شوطا فى المذمة مع تقارب طرفيه ولا أجمع للدلالة على قصر همته * ثم أخذ فى وصف حاله من ابتداء حدوثه الى أن انتهى وما هو معمور فيه من أصول النعم وفروعها وما هو غارز فيه رأسه من الكفران والغمط وقلة الالتفات الى ما يتقلب فيه والى ما يجب عليه من القيام بالشكر (من أى شئ خلقه) من أى شئ حقير مهين خلقه ثم بين ذلك الشئ بقوله (من نطفة خلقه فقدره) فهيأه لما يصلح له ويختص به ونحوه وخلق كل شئ فقدره تقديرا * نصب السبيل باضمار يسر وفسره ييسر والمعنى ثم سهل سبيله وهو مخرجه من بطن أمه أو السبيل الذى يختار سلوكه من طريقى الخير والشر باقداره وتمكينه كقوله انا هديناه السبيل وعن ابن عباس رضى الله عنهما بين له سبيل الخير والشر (فأقبره) فجعله ذا قبر يوارى فيه تكرمة له وفيه جعله مطمورا على وجه الارض جزر للسباع والطير كسائر الحيوان يقال قبر الميت اذا دفنه وأقبره الميت اذا أمره أن يقبره ويمكنه منه ومنه قول من قال للغراب أقبر نا صالحا (أنشره) أنشأه النشأة الاخرى وقرئ نشره (كلا) ردع للانسان عما هو عليه (لما يقض) لم يقض بعد مع تطاول الزمان وامتداده من لدن آدم الى هذه الغاية (ما أمره) الله حتى يخرج عن جميع أوامره يعنى أن انسانا لم يخل من تقصير قط * ولما عدد النعم فى نفسه أتبعه ذكر النعم فيما يحتاج اليه فقال (فلينظر الانسان الى طعامه) الى مطعمه الذى يعيش به كيف دبرنا أمره (انا صببنا الماء) يعنى الغيث قرئ بالكسر على الاستئناف وبالفتح على البدل من الطعام وقرأ الحسين ابن على رضى الله عنهما أنى صببنا الا ما له على معنى فلينظر الانسان كيف صببنا الماء * وشققنا من شق الارض بالنبات ويجوز أن يكون من شققها بالكراب على البقر وأسند الشق الى نفسه اسناد الفعل الى السبب * والحب كل ما حصد من نحو الحنطة والشعير وغيرهما * والقضب الرطبة والمقضاب أرضه سمى بمصدر قضبه اذا قطعه لانه يقضب مرة بعد مرة (وحدائق غلبا) يحتمل أن يجعل كل حديقة غلبا فيريد بتكاثفها وكثرة أشجارها وعظمها كما تقول حديقة ضخمة وأن يجعل سجرها غلبا أى عظاما غلاظا والاصل فى الوصف بالغلب الرقاب فاستعير قال عمرو بن معد يكرب

أغفاله من عنده قوله من نطفة خلقه وهلم جرا والزمخشرى يجعل الاضافة مجازية من باب اسناد الفعل الى سببه فيجعل اضافة الفعل الى الله تعالى من باب اضافة الشق الى الحارث لانه السبب قتل القدرى ما أكفره على قول وما أضله على آخر واذا جعل شق الارض مضافا الى الحرث حقيقة والى الله مجازا لفاعليته أن يجعل الحرث هو الذى صبب الماء وأنبت الحب والعنب والقضب حقيقة وهل هما الا واحد

يمشي بها اغلب الرقاب كأنهم * بزل كسين من الكحيل جلالا

* والاب المرعى لانه يؤب أي يؤم ويقصد والاب والام أخوان قال

حذمنا قيس ونجد دارنا * ولنا الاب به والمكرع

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه سئل عن الاب فقال أي سماء تظلني وأي أرض تقلني اذا قلت في كتاب الله مالا اعلم لي به وعن عمر رضي الله عنه أنه قرأ هذه الآية فقال كل هذا قد عرفناه فما الاب ثم رفض عصا كانت بيده وقال هذا لعمر الله التكلف وما عليك يا ابن أم عمر أن لا تدري ما الاب ثم قال اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب وما لا فدعوه (فان قلت) فهذا يشبه النهي عن تتبع معاني القرآن والبحث عن مشكلاته (قلت) لم يذهب الى ذلك ولكن القوم كانت أكبر همهم عاكفة على العمل وكان التشاغل بشئ من العلم لا يعمل به تكلفا عندهم فأراد أن الآية مسوقة في الامتنان على الانسان بعلمه واستدعاء شكره وقد علم من فحوى الآية أن الاب بعض ما أنبته الله للانسان متاعا له أو لانعامه فمليك بما هو أهم من النهوض بالشكر لله على ما تبين لك ولم يشكل مما عدد من نعمه ولا تتشاغل عنه بطلب معنى الاب ومعرفة النبات الخاص الذي هو اسمه واكتف بالمعرفة الجملية التي أن تبين لك في غير هذا الوقت تم وحي الناس بأن يجروا على هذا السنن فيما أشبه ذلك من مشكلات القرآن * يقال صخ فلان اذا مثل أصاخ له فوصفت الصيحة بالصاخة مجازا لان الناس يتخون لها (يفر) منهم لاشتغاله بما هو مدفوع اليه ولعلمه أنهم لا يفتنون عنه شيأ * وبدأ بالاخ ثم بالابوين لانهما أقرب منه ثم بالصاحبة والبنين لانهم أقرب وأحب كأنه قال يفر من أخيه بل من أبويه بل من صاحبته وبنيه وقيل يفر منهم حذرا من مطالبتهم بالتبعات يقول الاخ لم تواسني بمالك والابوان قصرت في بري والصاحبة أطعمتني الحرام وفعلت وصنعت والبنون لم تعلمنا ولم ترشدنا وقيل أول من يفر من أخيه هابيل ومن أبويه ابراهيم ومن صاحبته نوح ولوط ومن ابنه نوح (يغنيه) يكفيه في الاهتمام به وقرئ يغنيه أي يهمه (مسفرة) مضيئة مستبشرة من أسفر الصبح اذا أضاء وعن ابن عباس رضي الله عنهما من قيام الليل لما روى في الحديث من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار وعن الضحاك من آثار الوضوء وقيل من طول ما اغبرت في سبيل الله (غبرة) غبار يعلوها (قترة) سواد كالدخان ولا ترى أوحش من اجتماع الغبرة والسواد في الوجه كما ترى من وجوه الزنوج اذا اغبرت وكأن الله عز وجل يجمع الى سواد وجوههم الغبرة كما جمعوا الفجور الى الكفر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عبس وتولى جاء يوم القيامة ووجهه ضاحك مستبشر

﴿سورة التكوير مكية وهي تسع وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* في التكوير وجهان أن يكون من كورت العمامة اذا لففتها أي يلف ضوءها الذاهب انبساطه وانتشاره في الآفاق وهو عبارة عن ازالة الذهاب بها لانها ما دامت باقية كان ضياؤها منبسطا غير ملفوف أو يكون لفها عبارة عن رفعها واسترها لان الثوب اذا أريد رفعه لف وطوى ونحوه قوله يوم نطوي السماء وأن يكون من طعنه فجوره وكوره اذا ألقاه أي تلقى وتطرح عن فلكها كما رصفت النجوم بالانكدار (فان قلت) ارتفاع الشمس على الابتداء أو الفاعلية (قلت) بل على الفاعلية فرافعها فعل مضمر يفسره كورت لان اذا يطلب الفعل لما فيه من معنى الشرط (انكدرت) انقضت قال أبصر خربان فضاء فانكدر وروى في الشمس والنجوم أنها تطرح في جهنم ليراها من عبدها كما قال انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم (سيرت) أي عن وجه الارض وأبعدت أو سيرت في الجو تسيير السحاب كقوله وهي تمر مر السحاب * والعشار في جمع عشراء كالنفاس في جمع نفساء وهي التي أتى على حملها عشرة أشهر ثم هو اسمها الى أن تضع لتمام السنة وهي أنفس ما تكون عند أهلها وأعزها عليهم (عطلت) تركت مسيبة مهملة قيل عطلها

الصاخة يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة أولئك هم الكفرة الفجرة

﴿سورة التكوير مكية وهي تسع وعشرون آية﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت واذا الجبال سيرت واذا العشار عطلت واذا الوحوش

* عاد كلامه في قوله يوم يفر المرء من أخيه لا يتأتى (نقل) في التفسير ان أول من يفر من أمه هابيل وأول من يفر من أبويه ابراهيم وأول من يفر من صاحبته نوح ولوط وأول من يفر من ابنه نوح

اهلها عن الحلب والصر لاشتغالهم بأنفسهم وقرئ عطلت بالتخفيف (حشرت) جمعت من كل ناحية قال قتادة يحشر كل شئ حتى الذباب للقصاص وقيل اذا قضى بينها ردت ترابا فلا يبقى منها الا ما فيه سرور لبنى آدم والعجاب بصورته كالطاوس ونحوه وعن ابن عباس رضى الله عنهما حشرها موتها يقال اذا أجحفت السنة بالناس وأسوأ لهم حشرتهم السنة وقرئ حشرت بالتشديد (سجرت) قرئ بالتخفيف والتشديد من سجر التنور اذا ملأه بالخطب أى ملئت وفجر بعضها الى بعض حتى تعود بحرا واحدا وقيل ملئت نيرانا تضطرم لتعذيب أهل النار وعن الحسن يذهب ماؤها فلا تبقى فيها قطرة (زوجت) قرنت كل نفس بشكلها وقيل قرنت الارواح بالاجساد وقيل بكتبها وأعمالها وعن الحسن هو كقوله وكنتم أزواجا ثلاثة وقيل نفوس المؤمنين بالحور ونفوس الكافرين بالشياطين * وأديد مقلوب من آدى اذا أثقل قال الله تعالى ولا يؤده حفظهما لانه ثقال بالتراب كان الرجل اذا ولدت له بنت فأراد أن يستحيها ألبسها جبة من صوف أو شعر ترعى له الابل والغنم فى البادية وان أراد قتلها تركها حتى اذا كانت سداسية فيقول لامها طيبيها وزينيها حتى أذهب بها الى أحمائها وقد حفر لها بئرا فى الصحراء فيبلغ بها البئر فيقول لها انظرى فيها فيدفعها من خلفها ويهيل عليها التراب حتى تستوى البئر بالارض وقيل كانت الحامل اذا أقربت حفرت حفرة فمخضت على رأس الحفرة فاذا ولدت بفتارمت بها فى الحفرة وان ولدت ابنا حبسته (فان قلت) ما حملهم على وأد البنات (قلت) الخوف من لحوق العار بهم من أجلهن أو الخوف من الاملاق كما قال الله تعالى ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق ولانهم كانوا يقولون ان الملائكة بنات الله فلما لم يقتلوا البنات به فهو أحق بهن وصعصعة بن ناجية من منع الوائدة فاستحق الفخر الفرزدق فى قوله

ومنا الذى منع الوائدات * فأحيا الوئيد فلم توأد

(فان قلت) فلم سئل الموؤدة عن ذنبها الذى قتلت به وهل يسئل الوائد عن موجب قتله لها (قلت) سؤالها وجوابها تبكيت لقاتلها نحو التبكيت فى قوله تعالى أأنت قلت للناس الى قوله سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق وقرئ سألت أى خاصمت عن نفسها وسألت الله أو قاتلها وانما قيل قتلت بناء على أن الكلام اخبار عنها ولو حكى ما خوطبت به حين سئلت لقيل قتلت أو كلامها حين سئلت لقيل قتلت وقرأ ابن عباس رضى الله عنهما قتلت على الحكاية وقرئ قتلت بالتشديد وفيه دليل بين على ان أطفال المشركين لا يعذبون وعلى أن التعذيب لا يستحق الا بالذنب واذا بكت الله الكافر ببراءة الموؤدة من الذنب فما أشبع به وهو الذى لا يظلم مثقال ذرة أن يكر عليها بسبب هذا التبكيت فيفعل بها ما تنسى عنده فعل المبكت من العذاب الشديد المرمد وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه سئل عن ذلك فاحتج بهذه الآية (نشرت) قرئ بالتخفيف والتشديد يريد صحف الاعمال تطوى صحيفة الانسان عند موته ثم تنشر اذا حوسب عن قتادة صحيفتك يا ابن آدم تطوى على عملك ثم تنشر يوم القيامة فلينظر رجل ما يملى فى صحيفته وعن عمر رضى الله عنه أنه كان اذا قرأها قال اليك يساق الامر يا ابن آدم وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يحشر الناس عراة حفاة فقالت أم سلمة كيف بالنساء فقال شغل الناس يا أم سلمة قالت وما شغلهم قال نشر الصحف فيها مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل ويجوز أن يراد نشرت بين أصحابها أى فرقت بينهم وعن مرند بن وداعة اذا كان يوم القيامة تطايرت الصحف من تحت العرش فتقع صحيفة المؤمن فى يده فى جنة عالية وتقع صحيفة الكافر فى يده فى سموم وحميم أى مكتوب فيها ذلك وهى صحف غير صحف الاعمال (كشطت) كشفت وأزيلت كما يكشط الاهاب عن الذبيحة والغطاء عن الشئ وقرأ ابن مسعود قشطت واعتقاب الكاف والقاف كثير يقال لبكت الثريد ولبقته والكافور والقافور (سعرت) أوقدت ايقادا شديدا وقرئ سعرت بالتشديد للمبالغة قيل سعرها غضب الله تعالى وخطايا بنى آدم (أزلفت) أدنيت من المتقين كقوله تعالى وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد قيل هذه اثنتا عشرة خصلة ست منها فى الدنيا وست فى الآخرة وعلمت هو عامل النصب فى اذا الشمس كورت وفيما عطف عليه (فان قلت) كل نفس تعلم ما أحضرت كقوله يوم تجد كل نفس ما عملت من خير

حشرت واذا الجبال سجرت واذا النفوس زوجت واذا الموؤدة سئلت بأى ذنب قتلت واذا الصحف نشرت واذا السماء كشطت واذا الجحيم سعرت واذا الجنة أزلفت

(بسم الله الرحمن الرحيم) * قوله تعالى فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس (لم يتعرض فى تفسيره للعامل الخ) قال أحمد هذا الجواب لا يستمر لاجل ظهور الفعل والثانى فى قوله فلا أقسم بالخنس ولما أعضل الجواب عن هذا السؤال فى سورة التكوير التزم الشيخ أبو عمرو بن الحاجب اجازة العطف على عاملين واتخذ هذه الآية وزره ومعتمده فى مخالفة سيبويه ورد على الزمخشرى جوابه فى سورة الشمس وضحاها الآتى لم يطرد له ههنا وكان على رده يحسن تبسط فطنته فى استنباطه ونحن والله الموفق نلتزم مذهب سيبويه فى امتناع العطف على عاملين فى جعل الواو الثانية عاطفة ويجرى جواب الزمخشرى ههنا وينفصل عن هذه الآية فنقول قوله والليل اذا عسعس هذه الواو واو ابتداء قسم والواو فى قوله والصبح اذا تنفس عاطفة فيطرد ما قال الزمخشرى * فان قيل فقد خالفتم سيبويه فانه لا يرى الواو المتعقبة للقسم ابتداء قسم بل عاطفة وقد جعلتم الواو الاولى وهى متعقبة للقسم ابتداء قسم * قلنا انما تكلم سيبويه فى الواو المتعقبة للقسم بالواو وأما الآية فالقسم الاول فيها بالباء والفعل فجعلنا الواو بعد ذلك قسما وتبعناه وهو أبلغ كانه أقسم تسمين بشيئين مختلفين * فان قيل أجل انما تكلم سيبويه على الواو المتعقبة للقسم بالواو فما الفرق بين المتعقبة للقسم بالواو والمتعقبة للقسم بالباء وماهما الا سواء فان كل واحد منهما آلة له والتاء بدل على الباء فكلمهما واحد * قلنا ليستا سواء فان القسم متى صدر بالواو ولم يله واو أخرى جعلها قسما لا محالة فيه تكرار مستكره اذ الآلة (٥٢٧) واحدة ولا كذلك اذا اختلفت الآلة فان عامة التكرار مأمونة اذا ألغى أحدهما ولو صدر القسم بالواو ثم تلاه قسم بالباء لتحتم جعلهما قسمين مستقلين

علمت نفس ما أحضرت فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس انه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين

فكذلك لو جواب هذا الترتيب وأيضا فانه ان كان المانع لسيبويه

حضر الانفس واحدة فما معنى قوله (علمت نفس) (قلت) هو من عكس الكلام لهم الذى يقصدون به الافراط فيما يعكس عنه ومنه قوله عز وجل ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ومعناه معنى كم وأبلغ منه وقول القائل قد أترك القرن مصفرا أنامله وتقول لبعض قواد العساكر كم عندك من الفرسان فيقول رب فارس عندى أولا تعدم عندى فارسا وعنده المقانب وقصده بذلك القادى فى تكثير فرسانه ولكنه أراد اظهار براءته من التزيد وأنه ممن يقلل كثيرا معانده فضلا أن يتزيد فجاء بلفظ التقليل فتهكم منه معنى الكثرة على الصحة واليقين وعن ابن مسعود رضى الله عنه ان قارئا قرأها عنده فلما بلغ علمت نفس ما أحضرت قال وانقطاع ظهر رباه (الخنس) الرواجع بنات النعش فى آخر البرج اذا كرت راجعة الى أوله و(الجوارى) السيارة و(الكنس) الغيب من كنس الوحشى اذا دخل كناسه قيل هى الدراري الخمسة بهرام وزحل وعطارد والزهرة والمشترى تجرى مع الشمس والقمر وترجع حتى تختفى تحت ضوء الشمس فخنوسها رجوعها وكنوسها اختفاؤها تحت ضوء الشمس وقيل هى جميع الكواكب تخنس بالنهار فتغيب عن العيون وتكنس بالليل أى تطلع فى أماكنها كالوحش فى كنسها * عسعس الليل وسعسع اذا أدبر قال الهجاج

حتى اذا الصبح لها تنفسا * وانجاب عنها ليلها وعسعسا

وقيل عسعس اذا أقبل ظلامه (فان قلت) ما معنى تنفس الصبح (قلت) اذا أقبل الصبح أقبل بأوائله روح ونسيم فجعل ذلك تنفسا له على المجاز وقيل تنفس الصبح (انه) الضمير للقرآن (لقول رسول كريم) هو جبريل صلوات الله عليه (ذى قوة) كقوله تعالى شديد القوى ذو مرة فما كانت حال المكانة على حسب حال المكن قال (عند ذى العرش) ليدل على عظم منزلته ومكانته (ثم) اشارة الى الظرف المذكور أى عند ذى العرش

من جعل الواو الثانية قسما مستقلا يحتج على الجواب واحدا واحتاج الواو الاولى الى محذوف فالعطف يغنى عن تقدير محذوف فيتعين فلا يلزم اطراد الباء لانها أصل القسم لا سيما مع التصريح بفعل القسم ثم تأكيده بزيادة لا فان فى مجموع ذلك ما يغنى عن افراده بجواب مذكور ولا كذلك الواو فانها ضعيفة المكنة فى باب القسم بالنسبة الى الباء فلا يلزم من حذف جواب عكنت الدلالة عليه حذف جواب دونه فى الوضوح * وأختم الكلام على هذا السؤال بنكتة بديعة فأقول اذا خصصت ايراد السؤال بالواو الثانية فى قوله والليل اذا عسعس دون الثالثة لانه غير متوجه عليها الا اذا لم توجعلها عاطفة لم يلزمك العطف على عاملين لانك تجعلها ثانية عن الباء وتجعل اذا فيها منصوبة بالفعل مباشرة اذا لم يتقدم فى جملة الفعل ظرف تعطف عليه اذا فتصير عبارة قولك مررت بزيد وعمرو اليوم فاليوم منصوب بالفعل مباشرة وافهم من المثال ان مرورك بزيد مطلق غير مقيد بظرف وانما المقيد باليوم مرورك بعمرو خاصة لكن يطابق الآية فان الظرف فيها وان عمل فيه الفعل مباشرة فهو مقيد للقسم بالليل لا للقسم بالخنس * قوله تعالى انه لقول رسول كريم الآية (قال فيه المراد بالرسول الكريم جبريل عليه السلام وقوله عند ذى العرش ليدل على عظم منزلته ومكانته وثم اشارة الى الظرف المذكور يعنى عند ذى العرش الخ) قال أحمد ما كان جبريل صلوات الله عليه يرضى منه هذا التفسير المنطوى على التصغير فى حق المشير المذر عليه أفضل الصلاة والسلام ولقد أتبع الزمخشرى هواه فى تعهيد أصول مذهبه الفاسدة أخطأ على الاصل والفرع جميعا ونحن نبين ذلك بحول الله وقوته فنقول أولا اختلف أهل التفسير فذهب منهم الجم الغفير الى أن المراد بالرسول الكريم ههنا

الى آخر النعوت محمد صلى الله عليه وسلم فان يكن كذلك والله أعلم فذلك فضل الله المعتاد على نبيه وان كان المراد جبريل عليه السلام فقد اختلف الناس في المفاضلة بين الملائكة والرسل والمشهور عن أبي الحسن تفضيل الرسل ومذهب المعتزلة تفضيل الملائكة الا الأنبياء المختلفة أجمعوا على أنه لا نوع تفضيل أحد الفريقين الجليلين عما يتضمن تنقيص معين من الملائكة ومعين من الرسل لان التفضيل وان كان ثابتا الا أن في التعيين ايذاء للمفضول وعليه حمل الحذاق قوله صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني على يونس بن متى أي لا تعينوا مفضولا على التخصيص لان التفضيل على التعميم ثابت باجماع المسلمين أي تفضيل النبي صلى الله عليه وسلم على النبيين أجمعين وكان جدي رحمه الله يوضح ذلك بمثال فيقول لو قلت بحضرة جماعة من الفقهاء فلان أفضل أهل عصره لكان في الجماعة احتمال لهذا التفضيل وان لزم انفراجهم في المفضولين ولو عينت واحدا منهم وقلت فلان أفضل منك وأتقى لله لاسرع به الاذى الى بغضك واذا تقرر لك أنه لا يلزم من اعتقاد التفضيل على التعميم جواز اطلاق التفضيل على التخصيص علمت أن الزمخشري أخطأ على أصله لانه بتقدير أن يكون الملائكة أفضل كما نعتقد لا يجوز أن يقال (٥٢٨) عن أحد من الملائكة على التخصيص أنه أفضل من أحد الانبياء على التخصيص لانسياقي

سيد ولد آدم عليه أفضل الصلاة والسلام ثم يعود الكلام على الآية بعد تسليم ان المراد جبريل وبعد ان تكلمه في تعيينه النبي صلى الله عليه وسلم وعدمه

على أنه عند الله مطاع في ملائكته المقربين يصدرون عن أمره ويرجعون الى رأيه وقرئ ثم تعظيما للامانة وبيانا لانها أفضل صفاته المعدودة (وما صاحبكم) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (بمجنون) كما تهمته الكفرة وناهيك بهذا دليلا على جلالة مكان جبريل عليه السلام وفضله على الملائكة ومباينة منزلته لمنزلة أفضل الانس محمد صلى الله عليه وسلم اذا وازنت بين الذكرين حين قرن بينهما وقايست بين قوله انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين وبين قوله وما صاحبكم بمجنون (ولقد رآه) ولقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل (بالافق المبين) عطلع الشمس الاعلى (وما هو) وما محمد على ما يخبر به من الغيب من رؤية جبريل والوحي اليه وغير ذلك (بظنين) بتهم من الظنة وهي التهمة وقرئ بضنين من الضن وهو البخل أي لا يبخل بالوحي فيزوي بعضه عن تبليغه أو يسأل تعليمه فلا يعلمه وهو وش مصحف عبد الله بالظاء وش مصحف أبي بالضاد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بهما واتقان الفصل بين الضاد والظاء واجب ومعرفة مخرجهما مما لا بد منه للقارئ فان أكثر العجم لا يفرقون بين الحرفين وان فرقوا أفرقا غير صواب وبينهما بون بعيد فان مخرج الضاد من أصل حافة اللسان وما يليها من الاضراس من يسرى اللسان أو يساره كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أضبط بعمل كلتا يديه وكان يخرج الضاد من جانبي لسانه وهي أحد الاحرف الشجرية أخت الجيم والشين وأما الظاء فمخرجها من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا وهي أحد الاحرف اللثوية أخت الذال والثاء ولو استوى الحرفان لالتبست في هذه الكلمة قراءتان اثنتان واختلاف بين جبلين من جبال العلم والقراءة ولما اختلف المعنى والاشتقاق والتركيب (فان قلت) فان وضع المصلي أحد الحرفين مكان صاحبه (قلت) هو كوضع الذال مكان الجيم والتاء مكان الشين لان التفاوت بين الضاد والظاء كالتفاوت بين أخواتهما (وما هو) وما القرآن (بقول شيطان رجيم) أي بقول بعض المسترقة للسمع ويوحيهم الى أوليائهم من الكهنة (فأين تذهبون) استضلال لهم كما يقال لمارك الجادة اعتسافا أو ذهابا

وما صاحبكم بمجنون ولقد رآه بالافق المبين وما هو على الغيب بظنين وما هو بقول شيطان رجيم فأين تذهبون ان هو الا ذكر للعالمين

منصوب لا الى الله فتقول لم يذكر فيها نعت الا وللنبي صلى الله عليه وسلم مثله أو ما رسول كريم فقد قال في حقه صلى الله عليه وسلم في آخر سورة الحاقة انه لقول رسول كريم وقد قيل أيضا ان المراد جبريل الا انه يأباه قوله وما هو بقول شاعر وقد وفى الزمخشري في على ذلك فيما تقدم فهذا أول النعوت وأعظمها وأما قوله ذي قوة فليس محل الخلاف اذ لا نزاع في ان لجبريل عليه السلام فضل القوة والجسمية ومن يقتلع المدائن بريشة من جناحه لا مراء في فضل قوته على قوة البشر وقد قيل هذا في تفسير قوله ذو مرة فاستوى وقوله عند ذي العرش مكين مطاع ثم تقدمت طاعة الملائكة أيضا للنبينا صلى الله عليه وسلم وورد أن جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان الله يقرئك السلام وقد أمر ملك الجبال أن يطيعك عندما أذته قريش فسلم عليه الملك وقال ان أمرتني أن أطبق عليهم الاخشبين فعلت فصبر النبي صلى الله عليه وسلم واحتسب وأعظم من ذلك وأشرف مقامه المحمود في الشفاعة الكبرى يوم لا يتقدمه أحد اذ يقول الله تعالى له ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع وأما أمين فقد قال وهو الصادق المصدوق والله انى لامين في الارض أمين في السماء وحسبك قوله وما هو على الغيب بضنين ان قرأته بالظاء فمعناه أنه صلى الله عليه وسلم أمين على الغيب غير متهم وان قرأته بالضاد رجع الى الكرم فكيف يذهب الى التفضيل بالنعوت المشتركة بين الفاضل والمفضول سواء وما لك مباحثة في أصل المسئلة ولكن الرد عليه في خطئه على كل قول يتعين والا فالمسئلة في غير هذا الكتاب فنسأل الله أن يثبتنا على الايمان به وملائكته وكتبه ورسله وعلى القول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة وان يمن علينا بحبهم وان يجعل توسلنا اليهم وهو حسبنا ونعم الوكيل

فى بليات الطريق أن تذهب مثلث حالهم بحاله فى تركهم الحق وعدولهم عنه الى الباطل (لمن شاء منكم) بدل من للعالمين واغا أبدلوا منهم لان الذين شاؤا الاستقامة بالدخول فى الاسلام هم المنتفعون بالذكر فكانه لم يوعظ به غيرهم وان كانوا موعوظين جميعا (وما تشاؤن) الاستقامة يامن يشاؤها الا بتوفيق الله واطفه أو وما تشاؤن الا أن يامن لا يشاؤها الا بقسر الله واجابته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة اذا الشمس كورت أعاذه الله أن يفضحه حين تنشر صحيفته

﴿سورة الانفطار مكية وهى تسع عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(انفطرت) انشقت (بحرت) فتح بعضها الى بعض فاختلط العذب بالملح وزال البرزخ الذى بينهما وصارت البحار بحرا واحدا وروى أن الارض تنشف الماء بعد امتلاء البحار فتصير مستوية وهو معنى التسجير عند الحسن وقرئ فجرت بالتخفيف وقرأ مجاهد فجرت على البناء للفاعل والتخفيف بمعنى بغت (زوال البرزخ نظرا الى قوله تعالى لا يبغيان لان البغى والفجور أخوان * يبعثر يحثر بمعنى وهما مركبان من البعث والبحث مع زاء مضمومة فيهما والمعنى بحثت وأخرج موتاها وقيل لبراءة المبعثرة لانها تبعثر أسرار المنافقين (فان قلت) ما معنى قوله (ما غرك بربك الكريم) وكيف طابق الوصف بالكرم انكار الاغترار به واغا يغتر بالكريم كما يروى عن على رضى الله عنه أنه صح غلام له كرات فلم يلبسه فنظر فاذا هو بالباب فقال له مالك لم تجبنى قال لثقتى بحلمك وأمنى من عقوبتك فاستحسن جوابه وأعتقه وقالوا من كرم الرجل سوء أدب غلمانه (قلت) معناه أن حق الانسان أن لا يغتر بتكرم الله عليه حيث خلقه حيا لينفعه ويتفضل عليه بذلك حتى يطيع بعد ما مكنه وكلفه فعصى وكفر النعمة المتفضل بها أن يتفضل عليه بالثواب وطرح العقاب اغترارا بالتفضل الاول فانه منكر خارج من حد الحكمة ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تلاها غره جهله وقال عمر رضى الله عنه غره حمقه وجهله وقال الحسن غره والله شيطانه الخبيث أى زين له المعاصى وقال له افعل ما شئت فربك الكريم الذى تفضل عليك بما تفضل به أولا وهو مع تفضل عليك آخرا حتى ورطه وقيل للفضيل بن عياض ان أقامك الله يوم القيامة وقال لك ما غرك بربك الكريم ماذا تقول قال أقول غرتنى ستورك المرخاة وهذا على سبيل الاعتراف بالخطإ فى الاغترار بالستر وليس اعتذارا كما يظنه الطماع ويظن به قصاص الحشوية ويرون عن أنفسهم اغا قال بربك الكريم دون سائر صفاته ليلقن عبده الجواب حتى يقول غرنى كرم الكريم وقرأ سعيد بن جبير ما غرك اما على التعجب واما على الاستفهام من قولك غر الرجل فهو غار اذا غفل من قولك يتهم العدو وهم غارون وأغره غيره جعله غارا (فسواك) فجعلك سويا سالم الاعضاء (فعدلك) فصيرك معتدلا متناسب الخلق من غير تفاوت فيه فلم يجعل احدى اليدين أطول ولا احدى العينين أوسع ولا بعض الاعضاء أبيض وبعضها أسود ولا بعض الشعر فاحما وبعضه أشقر أو جعلك معتدل الخلق تمشى قائما كالبهائم وقرئ فعدلك بالتخفيف وفيه وجهان أحدهما أن يكون بمعنى المشدد أى عدل بعض أعضائك ببعض حتى اعتدلت والثانى فعدلك فصرفك يقال عدله عن الطريق بمعنى فعدلك عن خلقة غيرك وخلقك خلقة حسنة مغايرة لسائر الخلق أو فعدلك الى بعض الاشكال والهيئات * ما فى (ماشاء) مزيدة أى ركبك فى أى صورة اقتضتها مشيئته وحكمته من الصور المختلفة فى الحسن والقبح والطول والقصر والذكورة والانوثة والشبه ببعض الاقارب وخلاف الشبه (فان قلت) هلا عطفت هذه الجملة كما عطف ما قبلها (قلت) لانها بيان لعدلك (فان قلت) بم يتعلق الجار (قلت) يجوز أن يتعلق بركبك على معنى وضعك فى بعض الصور ومكنك فيه ويتعلق بمحذوف أى ركبك حاصلا فى بعض الصور ومحله النصب على الحال ان علق بمحذوف ويجوز أن يتعلق بعدلك ويكون فى أى معنى التعجب أى فعدلك فى صورة عجيبة ثم قال ماشاء ركبك أى ركبك ماشاء من التراكيب يعنى تركيبا حسنا (كلا) ارتدع عن الاغترار بكرم الله

لكان ماذكرناه فى الجواز والاحتمال فان الله عز وجل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد

بربك الكريم ما معناه وكيف يطابق الوصف بالكرم الخ) قال أحمد جعل الزمخشرى ههنا فارغة فان الآية انما وردت فى الكفار بدليل قوله كلا بل تكذبون بالدين وتحن نوائمه على خلودهم وانقطاع

ان شاء منكم أن يستقيم وما تشاؤن الا أن يشاء الله رب العالمين

﴿سورة الانفطار مكية وهى تسع عشرة آية﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا السماء انفطرت واذا الكواكب انتثرت واذا البحار فجرت واذا القبور بعثرت علمت نفس ما قدمت وأخرت

يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك فى أى صورة ما شاء ركبك كلا

معاذ برهم لا على ان تقليدهم واجب على الله تعالى يقتضى الحكمة فان الله لا يجب عليه شئ ويجوز عقلا ان يثيب الكافر ويخلده فى الجنة وبالعكس فى المؤمن ولولا ورود السمع بإثابة المؤمنين وعذاب الكافرين فيتعين المصير اليه

والتسلق به وهو موجب الشكر والطاعة الى عكسهما الذى هو الكفر والمعصية ثم قال (بل تكذبون بالدين) أصلا وهو الجزاء أو دين الاسلام فلا تصدقون ثوابا ولا عقابا وهو شر من الطمع المنكر (وان عليكم لحافظين) تحقيق لما يكذبون به من الجزاء يعنى أنكم تكذبون بالجزاء والكاتبون يكتبون عليكم أعمالكم لتجازوا بها وفى تعظيم الكتبة بالثناء عليهم تعظيم لامر الجزاء وأنه عند الله من جلائل الامور ولولا ذلك لما وكل بضبط ما يحاسب عليه ويجازى به الملائكة الكرام الحفظة الكتبة وفيه انذار وتهويل وتشويل للعصاة وتلطف للمؤمنين وعن الفضيل أنه كان اذا قرأها قال ما أشدها من آية على الغافلين (وما هم عنها بغائبين) كقوله وما هم بخارجين منها ويجوز أن يراد يصلون النار يوم الدين وما يغيبون عنها قبل ذلك يعنى فى قبورهم وقيل أخبر الله فى هذه السورة أن لابن آدم ثلاث حالات حال الحياة التى يحفظ فيها عمله وحال الآخرة التى يجازى فيها وحال البرزخ وهو قوله وما هم عنها بغائبين * يعنى أن أمر يوم الدين بحيث لا تدرك دراية دار كهه فى الهول والشدة وكيف تصور ته فهو فوق ذلك وعلى أضعافه والتكرير لزيادة التهويل ثم أجمل القول فى وصفه فقال (يوم لا تملك نفس لنفس شيئا) أى لا تستطيع دفعا عنها ولا نفعا لها بوجه ولا أمر الا لله وحده من رفع فعلى البدل من يوم الدين أو على هو يوم لا تملك ومن نصب فباضمار يدانون لان الدين يدل عليه او باضمار اذكر ويجوز ان يفتح لاضافته الى غير متمكن وهو فى محل الرفع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ اذا السماء انفطرت كتب الله له بعدد كل قطرة من السماء حسنة وبعدد كل قبر حسنة

﴿سورة المطففين مختلف فيها وهى ست وثلاثون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* التطفيف البخس فى الكيل والوزن لان ما يبخس شيء طفيف حقير وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وكانوا من أخبث الناس كيلا فنزلت فأحسنوا الكيل وقيل قدمها وبها رجل يعرف بأبى جهينة ومعه صاعان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر وقيل كان أهل المدينة تجارا يطففون وكانت بياعاتهم المنابذة والملامسة والمخاطرة فنزلت فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأها عليهم وقال خمس بخمس قيل يا رسول الله وما خمس بخمس قال ما نقض قوم العهد الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما أنزل الله الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات وأخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة الا حبس عنهم القطر وعن على رضى الله عنه أنه مر برجل يزن الزعفران وقد أرجح فقال له أقم الوزن بالقسط ثم أرجح بعد ذلك ما شئت كأنه أمره بالتسوية أولا ليعتاد هو ويفعل الواجب من الفعل وعن ابن عباس أنكم معشر الاعاجم وليتم أمرين بهما هلك من كان قبلكم المكيال والميزان وخص الاعاجم لانهم يجمعون الكيل والوزن جميعا وكانا مقرونين فى الحرمين كان أهل مكة يزنون وأهل المدينة يكيلون وعن ابن عمر أنه كان يمر بالمبايع فيقول له اتق الله وأوف الكيل فان المطففين يوقفون يوم القيامة لعظمة الرحمن حتى ان العرق ليلجمهم وعن عكرمة أشهد أن كل كيال ووزان فى النار قيل له ان ابنك كيال أو وزان فقال أشهد أنه فى النار وعن أبى ترضى الله عنه لا تلقنى الحوائج ممن رزقه فى رؤس المكاييل والسن الموازين * لما كان اكتيالهم من الناس اكتيالا يضرهم ويتحامل فيه عليهم أبدل على مكان من الدلالة على ذلك ويجوز أن يتعلق على يستوفون ويقدم المفعول على الفعل لافادة الخصوصية أى يستوفون على الناس خاصة فاما أنفسهم فيستوفون لها وقال الفراء من وعلى يعتقبان فى هذا الموضع لانه حق عليه فاذا قال اكتلت عليك فكأنه قال أخذت ما عليك واذا قال اكتلت منك فكقوله استوفيت منك * والضمير فى (كالوهم أو وزنوهم) ضمير منصوب راجع الى الناس وفيه وجهان أن يراد كالوا لهم

الوجه اذا كان الكيل من جهة غيرهم استوفوه واذا كان الكيل من جهتهم خاصة اخسروه سواء باشروه أولا وهذا أنظم لكلام وأحسنه والله أعلم والذى يدلك على ان الضمير لا يعطى مباشرة الفعل ان تلك الامراء هم الذين يعتبون الحدود لا السوقة ولست تعنى انهم يباشرون ذلك بأنفسهم وانما معناه ان فعل ذلك من جهتهم خاصة

او

يخسرون ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين كلا ان كتاب الفجار لفي سجين وما أدراك ما سجين كتاب مرقوم ويل يومئذ للمكذبين الذين يكذبون بيوم الدين وما يكذب به الا كل معتد أثيم اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون

يوزنوا لهم فحذف الجار وأوصل الفعل كما قال

ولقد جنيتك أكمؤا وعساقلا * ولقد نهيتك عن بنات الاوبر

الحرص يصيدك لا الجواد بمعنى جنيت لك وبصيدك وأن يكون على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه والمضاف هو المكيل أو الموزون ولا يصح أن يكون ضميرا مرفوعا للمطففين لان الكلام يخرج به الى نظم فاسد وذلك أن المعنى اذا أخذوا من الناس استوفوا واذا أعطوهم أخسروا وان جعلت الضمير للمطففين انقلب الى قولك اذا أخذوا من الناس استوفوا واذا تولوا الكيل أو الوزن هم على الخصوص أخسروا وهو كلام متنافر لان الحديث واقع في الفعل لا في المباشر والتعلق في ابطاله بخط المصحف وان الالف التي تكتب بعد واو الجمع غير ثابتة فيه ركيك لان خط المصحف لم يراع في كثير منه حد المصطلح عليه في علم الخط على أني رأيت في الكتب الخطوطة بأيدي الائمة المتقنين هذه الالف مرفوضة لكونها غير ثابتة في اللفظ والمعنى جميعا لان لو ووحدها معطية معنى الجمع وانما كتبت هذه الالف تفرقة بين واو الجمع وغيرها في نحو قولك هم لم يدعوا وهو يدعو وان لم يثبتها القارئ لان المعنى كاف في التفرقة بينهما وعن عيسى بن عمر وحمزة أنهما كانا يرتبان ذلك أي يجعلان الضمير للمطففين ويقفان عند الواو بين وقفة يتبينان بها ما أرادا (فان قلت) هلا قيل أو اتولوا كما قيل أووزنوهم (قلت) كان المطففين كانوا لا يأخذون ما يكال ويوزن الا بالمكاييل دون الموازين لتمكنهم بالاكتيال من الاستيفاء والسرقة لانهم يدعون ويحتالون في المال واذا أعطوا كالوا أووزنوا لتمكنهم من البخس في النوعين جميعا (يخسرون) يتقصون يقال خسر الميزان وأخسره (ألا يظن) انكار وتعجيب عظيم من حالهم في الاجتراء على التطفيف كأنهم لا يحترزون بالهم ولا يخافون تخمينا (أنهم مبعوثون) ومحاسبون على مقدار الذرة والخردلة وعن قتادة أوف يا ابن آدم كما تحب أن يوفى لك واعمل كما تحب أن يعمل لك وعن الفضيل بخس الميزان سواد الوجه يوم القيامة وعن عبد الملك بن مروان أن اعرابيا قال له قد سمعت ما قال الله في المطففين أراد بذلك أن المطفف قد توعد عليه أو عيد العظيم الذي سمعت به فما ظنك بنفسك وأنت تأخذ أموال المسلمين بلا كيل ولا وزن وفي هذا الانكار والتعجيب وكلة الظن ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس فيه لله خاضعين ووصفه بأنه يوم القيامة يوم الجمع لعظم الذنب وتفاقم الاثم في التطفيف وفيما كان في مثل حاله من المتيف وترك القيام بالقسط والعمل على السوية والعدل في كل أخذوا عطاء بل في كل قول وعمل وقيل الظن بمعنى اليقين والوجه ما ذكر * ونصب (يوم يقوم) بمبعوثون وقرئ بالجر بدلا من يوم عظيم وعن ابن عمر أنه قرأ هذه السورة فلما بلغ قوله يوم يقوم الناس لرب العالمين بكى نحيبا واستمع من قراءته ما عذبه (كلا) ردع لهم عما كانوا عليه من التطفيف والغفلة عن ذكر البعث والحساب ونهي لهم على أنه مما يجب أن يتاب عنه ويندم عليه ثم أتبعه وعيد الفجار على العموم وكتاب الفجار ما يكتب من أعمالهم (فان قلت) قد أخبر الله عن كتاب الفجار بأنه في سجين وفسر سجينا بكتاب مرقوم وكأنه قيل ان كتابهم في كتاب مرقوم فما معناه (قلت) سجين كتاب جامع هو ديوان الشر دون الله فيه أعمال الشياطين وأعمال الكفرة والفسقة من الجن والانس وهو كتاب مرقوم مسطور بين الكتابة أو معلم بعلم من رآه أنه لا خير فيه فالمعنى أن ما كتب من أعمال الفجار مثبت في ذلك الديوان ومعنى سجينا فعيلا من السجن وهو الحبس والتضييق لانه سبب الحبس والتضييق في جهنم أو لانه مطروح كما روي تحت الارض السابعة في مكان وحش مظلم وهو مسكن ابليس وذريته تسكنه أو الة وليشهده الشياطين المدحورون كما يشهد ديوان الخير الملائكة المقربون (فان قلت) فما سجين أصفة هو أم اسم (قلت) بل هو اسم علم منقول من وصف كحاتم وهو منصرف لانه ليس فيه الا سبب واحد وهو التعريف (الذين يكذبون) مما وصف به للذم لا للبيان كقولك فعل ذلك فلان الفاسق الخبيث (كلا) ردع للمعتدي الاثيم عن قوله (ران على قلوبهم) ركبها كالرين يركب الصدأ أو غلب عليها وهو أن يصر على الكبائر ويسوف التوبة حتى يطبع على قلبه فلا يقبل الخير ولا يميل اليه وعن الحسن الذنب بعد الذنب حتى يسود القلب يقال ران عليه الذنب وغان عليه ريما

* عاد كلامه (قال) والتعلق في ابطال هذا بخط المصحف لعدم الالف بعد الواو ركيك الخ

على ظاهره من أدلة الرؤية فان الله تعالى لما خص الفجار بالحجاب

وغينا والغين الغيم ويقال ران فيه النوم رسخ فيه ورانت به الخمر ذهبت به وقرئ بادغام اللام في الـ وبالاظهار والادغام أجود وأميلت الالف وفخمت (كلا) ردع عن الكسب الرائن على قلوبهم * وكونهم محجوبين عنه تمثيل لاستخفافهم بهم واهانتهم لانه لا يؤذن على الملوك الا للوجهاء المكرمين لديهم ولا يحجب عنهم الا الادنياء المهانون عندهم قال

اذا اعتر باب ذي عبية رجبوا * والناس من بين مرحوب ومحجوب

وعن ابن عباس وقتادة وابن أبي مليكة محجوبون عن رحمته وعن ابن كيسان عن كرامته (كلا) ردع عن التكذيب * وكتاب الابرار ما كتب من أعمالهم * وعليون علم لديوان الخير الذي دون فيه كل ما عملته الملائكة وصلحاء الثقلين منقول من جمع على فعيل من العلو كسجين من السجن سمي بذلك اما لانه سبب الارتفاع الى أعالي الدرجات في الجنة واما لانه مرفوع في السماء السابعة حيث يسكن الكروبيون تكريما له وتعظيما وروي ان الملائكة لتصعد بعمل العبد فيستقلونه فاذا انتهوا به الى ما شاء الله من سلطانه أوحى اليهم انكم الحفظة على عبدي وأنا الرقيب على ما في قلبه وانه أخلص عمله فاجعلوه في عليين فقد غفرت له وانهم ليصعدون بعمل العبد فيزكونه فاذا انتهوا به الى ما شاء الله أوحى اليهم أنتم الحفظة على عبدي وأنا الرقيب على ما في قلبه وانه لم يخلص لي عمله فاجعلوه في سجين (الا ان الابرار) الاسرة في الحجال (ينظرون) الى ما شاؤا مما أعينهم اليه من مناظر الجنة والى ما أولاهم الله من النعمة والكرامة والى أعدائهم يعذبون في النار وما تجب الحجال أبصارهم عن الادراك (نضرة النعيم) بهجة النعيم وماءه ورونقه تأتي في وجوه الاغنياء وأهل الترفه وقرئ تعرف على البناء للمفعول ونضرة النعيم بالرفع * (رحيق الشراب الخالص الذي لا غش فيه (مختوم) تختم أوانيه من الاكواب والاباريق بمسك مكان الطينة وقيل (ختامه مسك) مقطعه رائحة مسك اذا شرب وقيل يمزج بالكافور ويختم مزاجه بالمسك وقرئ خاتمه بفتح التاء وكسرها أي ما يختم به ويقطع (فليتنافس المتنافسون) فليرغب المرغبون (تسنيم) علم لعين بعينها سميت بالتسنيم الذي هو مصدر سنمه اذا رفعه لانها أرفع شراب في الجنة ولانها تأتيهم من فوق على ما روي أنها تجري في الهواء متسنمة فتنصب في أوانيهم * (عينا) نصب على المدح وقال الزجاج نصب على الحال وقيل هي للمقربين يشربونها صرفا وتمزج لسائر أهل الجنة * هم مشركو مكة أبو جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وأشياعهم كانوا يضحكون من عمار وصهيب وخباب وبلال وغيرهم من فقراء المؤمنين ويستهزئون بهم وقيل بأعلى بن أبي طالب رضي الله عنه في نفر من المسلمين فسخر منهم المنافقون وضحكوا وتغامزوا وانصرفوا الى أصحابهم فقالوا رأينا اليوم الاصلع فضحكوا منه فنزلت قبل أن يصل علي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم (يتغامزون) يغمز بعضهم بعضا ويشيرون بأعينهم (فكهين) ملتذين بذكرهم والسخرية منهم أي يتعجبون المسلمين الى الضلال (وما أرسلوا) على المسلمين (حافظين) موكلين بهم يحفظون عليهم أحوالهم ويتعنون على أعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم وهذا تهكم بهم أو هو من جملة قول الكفار وأنهم اذا رأوا المسلمين قالوا ان هؤلاء لضالون وانهم لم يرسلوا عليهم حافظين لانكار أعمالهم اياهم عن الشرك ودعائهم الى الاسلام وجدهم في ذلك (على الارائك ينظرون) حال من يضحكون أي يضحكون منهم ناظرين اليهم والى ما هم فيه من الهوان والصغار بعد العزة والكبر ومن ألوان العذاب بعد النعيم والترفه وهم على الارائك آمنون وقيل يفتح للكفار باب الى الجنة فيقال لهم اخرجوا اليها فاذا وصلوا اليها أغلق دونهم يفعل ذلك بهم مرارا فيضحك المؤمنون منهم * ثوب وأثاب بمعنى واحد اذا جازاه قال أوس

سأجزيك أو يجزيك عني مثوب * وحسبك أن يثني عليك وتحمدي

وقرئ بادغام اللام في الثاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المطففين سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيامة

كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وما أدراك ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون ان الابرار لفي نعيم على الارائك ينظرون تعرف في وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون واذا مروا بهم يتغامزون واذا انقلبوا الى أهلهم انقلبوا فكهين واذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون وما أرسلوا عليهم حافظين فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الارائك ينظرون هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون

دل على ان المؤمنين الابرار مرفوع عنهم الحجاب ولا معنى لرفع الحجاب الا الاكرام بالاثابة والاعتداد بالطاعة على الله تعالى بغير هذا التفسير محال هذا هو الحق وما بعد الحق الا الضلال وما أدري من بعد الرؤية المدلول عليها بقواطع الكتاب والسنة يعظمها والله المسؤل في العصمة

﴿سورة الانشقاق مكية وهي خمس وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿سورة انشقت مكية وهي خمس وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

إذا السماء انشقت
وأذنت لربها وحقت
وإذا الأرض مدت
وألقت ما فيها وتخلت
وأذنت لربها وحقت
يا أيها الإنسان إنك
كادح إلى ربك كدحا
فملاقيه فأما من أوتي
كتابه بيمينه فسوف
يحاسب حسابا يسيرا
وينقلب إلى أهله
مسرورا وأما من أوتي
كتابه وراء ظهره فسوف
يدعو ثبورا ويصلى
سعيرا إنه كان في أهله
مسرورا إنه ظن أن لن
يحور بلى إن ربه كان به
بصيرا فلا أقسم بالشفق
والليل وما وسق
والقمر إذا اتسق

﴿القول في سورة الانشقاق﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى وأذنت لربها وحقت (قال ابن عباس) معنى أذنت استمعت الخ) قال أحمد نص تفسير الآية بقوله القادر بالذات وما يليه لا يقول القادر الذي عمت قدرته الكائنات حتى لا يكون الا بقدرته حقيق أن يسمع له ويطاع فيثبت

لا يحذف جواب اذا لمذهب المقدر كل مذهب أو اكتفاء بما علق مثلها من سورتي التكوير والانفطار وقيل جوابها ما دل عليه فملاقيه أي اذا السماء انشقت لاقى الانسان كدحه ومعناه اذا انشقت بالغمام كقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام وعن علي رضي الله عنه تتشق من المجرة * أذن له استمع له ومنه قوله عليه السلام ما أذن الله لشيء كأذنه لنبي يتغنى بالقرآن وقول خداش بن حكيم أذنت لكم لما سمعت هريركم والمعنى أنها فعلت في انقيادها لله حين أراد انشقاقها فعل المطواع الذي اذا ورد عليه الامر من جهة المطاع أنصت له وأذعن وفي أبي لم يمتنع كقوله أتيتا طائعين (وحقت) من قولك هو محقوق بكذا وحقيق به يعني وهي حقيقة بان تنقاد ولا تمتنع ومعناه الايذان بأن القادر الذات يجب أن يتأتى له كل مقدور ويحق ذلك (مدت) من مد الشيء فامتد وهو أن تزال حمائلها وأكامها وكل أمت فيها حتى تمتد وتبسط ويستوي ظاهرها كما قال تعالى فاذا صعقة فاذا هم قيام وأمتا وعن ابن عباس رضي الله عنهما مدت مد الأديم العكاظي لان الأديم اذا مد زال كل التواء فيه وأمت واستوى أو من مده بمعنى أمده أي زيد سعة وبسطة (وألقت ما فيها) ورمت ما في جوفها مما دفن فيها من الموتى والكنوز (وتخلت) وخلت غاية الخلو حتى لم يبق شيء في باطنها كأنها تكلفت أقصى جهدها في الطرح كما يقال تكرم الكريم وترحم الرحيم اذا لفا جهدهما في الكرم والرحمة وتكلفا فوق ما في طبعهما (وأذنت لربها) في القائها ما في بطنها وتخليها * الكدح جهد النفس في العمل والكدح فيه حتى يؤثر فيها من كدح جلده اذا خدشه ومعنى (كادح الى ربك) جاهد الى لقاء ربك وهو الموت وما بعده من الحال المتعلقة باللقاء (فملاقيه) فلاق له لا محالة لا مفر لك منه وقيل الضمير في ملاقيه للكدح (يسيرا) سهلا هينا لا يناقش فيه ولا يعترض عليه يسوءه ويشق عليه كما يناقش أصحاب الشمال وعن عائشة رضي الله عنها هو أن يعرف ذنوبه ثم يتجاوز عنه وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من يحاسب يعذب فقيل يا رسول الله فسوف يحاسب حسابا يسيرا قال ذلك العرض من نوقش في الحساب عذب (الى أهله) الى عشيرته ان كانوا مؤمنين أو الى فريق المؤمنين أو الى أهله في الجنة من الحور العين (وراء ظهره) قيل تغل يمناه الى عنقه وتجعل شماله وراء ظهره فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره وقيل تخلع يده اليسرى من وراء ظهره (يدعو ثبورا) يقول يا ثبوراه وا ثبورا هلاكا * وقرئ ويصلى سعيرا كقوله ونصلية جحيم ويصلى بضم الياء والتخفيف كقوله ونصله جهنم (في أهله) فيما بين ظهرانيهم أو معهم على أنهم كانوا جميعا مسرورين يعني أنه كان في الدنيا مترفا بطرا مستبشرا كأمة العمار الذين لا يهمهم أمر الآخرة ولا ينكرون في المعاصي ولم يكن كئيبا حزينا متفكرا كعادة الصلحاء والمتقين وحكاية الله عنهم أنا كنا قبل في أهلنا مشفقين (ظن أن لن يحورا) أن يرجع الى الله تعالى تكذيبا للمعاد يقال لا يحور ولا يحول أي لا يرجع ولا يتغير قال لبيد * يحور رمادا بعد اذ هو ساطع * وعن ابن عباس ما كنت أدري ما معنى يحور حتى سمعت أعرابية من لبنة تقول لصاحبتها أحوري أي ارجعي (بلى) ايجاب لما بعد النفي في لن يحور أي بلى ليحورن (ان ربه كان به بصيرا) وبأعماله لا ينساها ولا تخفى عليه فلا بد أن يرجعه ويجازيه عليها وقيل نزلت الآيات في أبي سلمة ابن عبد الاشد وأخيه الاسود بن عبد الاشد * الشفق الحمرة التي ترى في المغرب بعد سقوط الشمس وبسقوطه يخرج وقت المغرب ويدخل وقت العتمة عند عامة العلماء الا ما يروى عن أبي حنيفة رضي الله عنه في احدى الروايتين أنه البياض وروى أسد بن عمرو أنه رجع عنه سمي لرقته ومنه الشفقة على الانسان رقة القلب عليه (وما وسق) وما جمع وضم يقال وسقه فاتسق واستوسق قال مستوسقات لو يجدن سائقا ونظيره في وقوع افتعل واستفعل مطاوعين اتسع واستوسع ومعناه وما جمعه وستره وآوى اليه من الدواب وغيرها (اذا اتسق) اذا اجتمع واستوى ليلة أربع عشرة * قرئ لتركبن على خطاب الانسان في يا أيها الانسان ولتركبن بالضم على خطاب الجنس لان النداء للجنس ولتركبن بالكسر على خطاب النفس وليركبن بالياء على

﴿القول فى سورة البروج﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) * قوله تعالى فعال لما يريد (قال فيه انما يقال فعال لان ما يريد يفعل فى الكثرة) قال أحمد ما قدر الله حق قدره هلا قال لانه لا فاعل الا هو وهل المخالف لذلك الا مشرك وكم أراد الله تعالى

ليبطش بهم أن يشكروا نعمة الايجاد أو كذا والاعادة وقرئ يبدأ (الودود) الفاعل بأهل طاعته ما يفعله الودود من اعطائهم ما أرادوا * وقرئ ذى العرش صفة لربك * وقرئ المجيد بالجر صفة للعرش ومجيد عظمته ومجد العرش علوه وعظمه (فعال) خبر مبتدا محذوف وانما قيل فعال لان ما يريد يفعل فى غاية الكثرة (فرعون وثمود) بدل من الجنود وأراد بفرعون اباه وآله كما قال قوله من فرعون وملئهم والمعنى فدعرفت تكذيب تلك الجنود الرسل وما نزل بهم لتكذيبهم (بل الذين كفروا) من قومك (فى تكذيب) أى تكذيب واستيجاب العذاب والله عالم بأحوالهم قادر عليهم وهم لا يعجزونه * والاحاطة بهم من ورائهم مثل لاحاطتهم لا يعجزونه كالا يفوت فائت الشئ المحيط به * ومعنى الاضراب ان أمرهم أعجب من أمر أولئك لانهم سمعوا بقصصهم وعاينوا بعض آثارهم فلم يعتبروا وكذبوا أشد من تكذيبهم (بل هو) أى بل هذا الذى كذبوا به (قرآن مجيد) شريف على الطبقة فى الكتب وفى نظمه وإعجازه وقرئ قرآن مجيد بالاضافة أى قرآن رب مجيد * وقرأ يحيى بن يعمر فى لوح واللوح الهواء يعنى اللوح فوق السماء السابعة الذى فيه اللوح (محفوظ) من وصول الشياطين اليه وقرئ محفوظ بالرفع صفة للقرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة البروج أعطاه الله بعدد كل يوم جمعة وكل يوم عرفة يكون فى الدنيا عشر حسنات

﴿سورة الطارق مكية وهى سبع عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(النجم الثاقب) المضئ كأنه يثقب الظلام بضوئه وحقيقته ذو ثقب فيه كالمئنة للمئنة وقرئ بالهاء أى بما يرمى به فسمه ووصف بالطارق لانه يجئ بالليل كما قال الذى لا طارق أولا تسير طرق الجن أى يسكه والمراد جنس النجوم أو جنس الشهب التى يرجم بها (فان قلت) ما شبهة فى قوله وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب الا رجمة ظاهرة ترى فيرد بأن أى فائدة تحته (قلت) أراد الله عز من قائل أن يقسم بالنجم الثاقب تعظيما لما يعرف فيه من عجيب القدرة ولطيف الحكمة وأن يتبعه على ذلك ما هو صفة مشتركة بينه وبين غيره وهو الطارق ثم قال وما أدراك ما الطارق ثم فسره بقوله النجم الثاقب كل هذا للطارق لفخامة شأنه كما قال الا أقسم بواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم روى أن أبا طالب كان بفم رسول الله صلى الله عليه وسلم فانحط نجم فامتلأ ماؤه نورا فخرج أبو طالب وقال أى شئ هذا فقال عليه السلام هذا نجم رمى به وهو آية من آيات الله فعجب أبو طالب فنزلت (فان قلت) ما جواب القسم (قلت) (ان كل نفس لما عليها حافظ) لان ان لا تخلو من قولك قرأنا مشددة يعنى الا أن تكون نافية وقرئ قرأها مخففة على أن ما صلة أن تكون مخففة من الثقيلة وأيا ما كانت فهى عما يتلقى به القسم حافظ عليهم عليها رقيب وهو الله عز وجل وكان الله على كل شئ رقيبا وكان الله على كل شئ مقيتا وقيل ملك يحفظ عملها ويحصى عليها ما تكسب من خير وشر وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب ولو وكل العبد الى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين (فان قلت) ما وجه اتصال قوله (فلينظر) بما قبله (قلت) وجه اتصاله به أنه لما ذكر أن على كل نفس حافظا أتبعه توصية الانسان بالنظر فى أول أمره ونشأته الاولى حتى يعلم أن من أنشأه قادر على اعادته وجزائه فيعمل ليوم الاعادة والجزاء ولا يغلى على حافظه الا ما يسره فى عاقبته (وم خلق) استفهام حوابه (خلق من ماء دافق) والدفع صب فيه دفع ومعنى دافق ذو دفق النسبة الى الدفق الذى هو مصدر فى كلا الدين والتأسيس أو الاسناد المجازى والدفق فى الحقيقة لصاحبه ولم يقل ماءين لامتزاجهما فى الرحم

﴿القول فى سورة الطارق﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) قوله تعالى والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب (قال) الثاقب المضئ كأنه يثقب الظلام بضوئه فيخرقه الخ

واتجادهما

ولدها حين ابتدئ في خلقه (من بين الصلب والترائب) من بين صلب الرجل وترائب المرأة وهي عظام
الصدر حيث تكون القلادة وقرئ الصلب بفتحتين والصلب بضمتين وفيه أربع لغات صلب وصلب
وصلب وصلب قال الهجاج * في صلب مثل العنان المؤدم * وقيل العظم والعصب من الرجل واللحم والدم من
المرأة (انه) الضمير للخالق لدلالة خلق عليه ومعناه أن ذلك الذي خلق الانسان ابتداء من نطفة (على رجعه)
أي اعادته خصوصا (لقادر) لبين القدرة لا يلتئث عليه ولا يعجز عنه كقوله انني لفقير (يوم تبلى) تصوب
رجعه ومن جعل الضمير في رجعه للماء وفسره برجعه الى مخرجه من الصلب والترائب أو الاحتباس أوالى
الحياة الاولى نصب الظرف بمضمر (السرائر) ما أسر في القلوب من العقائد والنيات وغيرها وما أخفي من
الاعمال ولا وجه لتعريفها وتخصيصها وانما حسن ما طاب منها وحبث وعن انس أنه سمع رجلا ينشد

سبق فما في مضمر القلب والحشا * سريرة يوم تبلى السرائر

فقال ما أغفل عما في السماء والطارق (فماله) فما للانسان (من قوة) من منعة في نفسه يمتنع بها
(ولا ناصر) ولا مانع يمنعه * سمي المطر رجعا كما سمي أوبا قال

رباب شماليا يأوي لقانا * الا الصاب والاوبي والسبل

تسمية مسببي رجع وآب وذلك أن العرب كانوا يزعمون أن السحاب يحمل الماء من البحار الى الارض ثم يرجعه
الى الارض أو أراد والله أعلم رجعه أوبا أي يرجع ويؤب وقيل لان الله رجعه وقتا فوقتا كالحياة للانسان
كما رجع في النجعة السارية وهو الصدع ما يتصدع عنه الارض من النبات (انه) الضمير للقرآن (لقول)
فاصل بين الحق والباطل كما قيل له فرقان (وما هو بالهزل) يعني انه محكمة لا هو اذ فيه وعد ووعيد
الله بذلك أن يكون مهيمنا على الصدور مطلعا على القلوب يفرق به قارئه وسامعه أن يهزل أو يتهكم مزاح
وأن يلقي ذهنه الى أن سبيل السهو ان يخاطبه فيأمر وينهاه وبعظه ويوعده حتى ان لم يستفزه الخوف
ولم تبالغ فيه الخشية فأدنى أمره أن يكون جادا غير هازل فقد نفى الله ذلك عن القرآن في قوله وتضحكون
ولا تبكون وأنتم سامدون والقوانيه (انهم) يعني أهل مكة (يكيدون كيدا) في ابطال أمر الله واطفاء نور
الحق وأنا (اقابلهم كيدي من استدراجي لهم وانتظاري بهم الميقات الذي وقته الانتظار لهم (فمهل
الكافرين) يعني لا تتبع هلاكهم ولا تستعجل به (أمهلهم رويدا) أي امهالا يسيرا وكرر وتأكيد
للتطمين لزيادة التسكين منه والتصبير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطارق أعطاه الله
بعدد كل نجم في السماء عشر حسنات

﴿سورة سبح اسم ربك الاعلى مكية وهي تسع عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

تسبيح اسمه وتنزيهه عما لا يصح فيه من المعاني التي هي الحادث أسماء الله كالحي والقديم ونحو ذلك
مثل أن يقصد الاعلى بمعنى العلو الذي هو القهر والاقتدار لا بمعنى العلو في المكان والاستواء على العرش
حقيقة وأن يصان عن الابتذال والذكر لا على وجه الخشوع والتعظيم * ويجوز أن يكون الاعلى صفة للرب
والاسم وقرأ علي رضي الله عنه سبحان ربي الاعلى وفي الحديث لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوها في ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم وكانوا
يقولون في الركوع اللهم لك ركعت وفي السجود اللهم لك سجدت (خلق فسوى) أي خلق كل شئ فسوى
خلقه تسوية ولم يأت به متفاوتا غير ملتئم ولكن على احكام واتساق ودلالة على أنه صادر عن عالم وأنه صنعة
حكيم (قدر فهدى) قدر لكل حيوان ما يصلحه فهداه اليه وعرفه وجه الانتفاع به يحكى أن الافعى اذا أنت
على الشجرة عميت وقد ألهمها الله أن مسح العين بورق الرازيانج الغض يردّ اليها بصرها فربما كانت في جرية
بينها وبين الرياض مسيرة أيام فتطوي تلك المسافة على طولها وعلى حماتها حتى تجمع في بعض البساتين على

من بين الصلب والترائب انه على رجعه لقادر يوم تبلى السرائر فماله من قوة ولا ناصر والسما ذات الرجع والارض ذات الصدع انه لقول فصل وما هو بالهزل انهم يكيدون كيدا واكيد كيدا فمهل الكافرين أمهلهم رويدا

﴿سورة سبح مكية وهي تسع عشرة آية﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى

﴿القول فى سورة الاعلى﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) ﴿قوله تعالى أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى (قال) فيه وجهان أحدهما ان أحوى صفة لغثاء أى جعله بعد خضرته (٥٣٨) ورقيقه غثاء أحوى الخ ﴿قوله تعالى ويتجنبها الاشقى الذى يصلى النار الكبرى (قال)

شجرة الزيتون لا تحتطب فتصلى بها عينها وترجع باصرة باذن الله وعدا بات الله للانسان الى ما لا يحصى مسائله وما لا يحصر من حوائجه فى أغذيته وأدويته وفى أبواب دنياه ودينه والهامات البهائم والطير وهوام الارض باب واسع وشوط بطين لا يحيط به وصف واصف فسبحان ربى الاعلى ﴿وقرئ قدرنا فهدى بالتخفيف ﴿أحوى صفة لغثاء أى (أخرج المرعى) أنبته (فجعله) بعد خضرته ورفيقه (غثاء أحوى) دريئا أسود ويجوز أن يكون أحوى حالا من المرعى أى أخرجه أحوى أسود من شدة الخضرة والرى فجعله غثاء بعد حين ﴿بشرى الله عباده آية بينة وهى أن يقرأ عليه جبريل ما يقرأ عليه من الوحى وهو أمى لا يكتب ولا يقرأ فيحفظه ولا ينساه (الا ماشاء الله) فذهب به عن حفظه برفع حكمه وتلاوته كقوله أو ننسها وقيل كان يبادر بالقراءة اذا لقنه جبريل فقيل لا تعجل فان جبريل مأمور بأن يقرأه عليك قراءة مكررة الى أن تحفظه لا تنساه الا ماشاء الله ثم تذكره بعد النسيان أو قال الا ماشاء الله يعنى القلة والندرة كما روى أنه أسقط آية فى قراءته فى الصلاة فحسب أبى أنها نسخت فسأله فقال نسيتها أو قال الا ماشاء الله والغرض نفى النسيان رأسا كما يقول الرجل لصاحبه أنت سهمى فيما أملك الا فيما شاء الله ولا يقصد استثناء شئ وهو من استعمال القلة فى معنى النفى وقيل قوله فلا تنسى على النهى والالف مزيدة للفاصلة كقوله السبيلا يعنى فلا تفعل قراءته وتكريره فتنساه الا ماشاء الله أن ينسيكه برفع تلاوته للمصلحة (انه يعلم الجهر) يعنى أنك تجهر بالقراءة مع قراءة جبريل عليه السلام مخافة التفلت والله يعلم جهرك معه وما فى نفسك مما يدعوك الى الجهر فلا تفعل فأنا أكفيك ما تخافه أو يعلم ما أسررتم وما أعلنتم من أقوالكم وأفعالكم وباطنها وظاهرها وبطن من أحوالكم وما هو مصلحة لكم فى دينكم ومفسدة فيه فينسيكه من الوحى ما يشاء ويترك تحفيظك اياه شاء (ونيسرك لليسرى) معطوف على سنقرئك وقوله انه يعلم الجهر وما يخفى اعتراض ومعناه ونوفقك للطريقة التى هى أيسر وأسهل يعنى حفظ الوحى وقيل للشريعة السمحة التى هى أيسر الشرائع وأسهلها أخذا وقيل نوفقك للعمل الصالح (فان قلت) كان الرسول صلى الله عليه وسلم مأمورا بالذكرى نفعت أو لم تنفع فما معنى اشتراط النفع (قلت) هو على وجهين أحدهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استفرغ مجهوده فى تذكيرهم وما كانوا يريدون على زيادة الذكرى الا عتوا وعنادا وكان النبى صلى الله عليه وسلم يتألمى عسرتهم ويتهافت يزداد حبا فى تذكيرهم ومحرصا عليه فقيل له وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد وأعرض عنهم وقل سلام وذكر ان نفعت الذكرى وذا بعد الزام الحجة بتكرير الذكير والثانى أن يكون ظاهره مشروطا ومعناه انما للذكرين واختيارا عن حالهم واستبعادا لتأثير الذكرى فيهم وتعجيلا عليهم بالطبع على قلوبهم كما تقول الواعظ عظ الكاسين ان سمعوا منك فاصدا لهذا الشرط استبعادا لذلك وأنه لن يكون (سيذكر) فيقبل التذكرة وينتفع بها (من يخشى) الله سوء العاقبة فينظر ويفكر حتى يقوده النظر الى اتباع الحق فاما هؤلاء فغير ناظرين ولا ناظرين فلا تأمل أن يقبلوا منك (ويتجنبها) ويتجنب الذكرى ويتعاماها (الاشقى) الكافر لانه أشقى من الفاسق أو الذى هو أشقى الكفرة لتوغله فى عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت فى الوليدين المغيرة وعتبة بن ربيعة (النار الكبرى) السفلى من أطباق النار وقيل الكبرى نار جهنم والصغرى نار الدنيا ﴿وقيل (ثم) لان الترجح بين الحياة والموت أقطع من الصلى فهو متراخ عنه فى مراتب الشدة والمعنى لا يموت فيستريح ولا يحيى حياة تنفعه (زكى) تطهر من الشرك والمعاصى أو تطهر للصلاة أو تكثر من التقوى من الزكاء وهو النماء أو تفعل من الزكاة كتصدق من الصدقة (فصلى) أى الصلوات الخمس نحو توضأ واقام الصلاة وآتى الزكاة وعن ابن مسعود رحم الله امرأ تصدق وصلى وعن على رضى الله عنه

﴿قول فى سورة الاعلى﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) ﴿قوله تعالى أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى (قال) فيه وجهان أحدهما ان أحوى صفة لغثاء أى جعله بعد خضرته ورفيقه غثاء أحوى الخ ﴿قوله تعالى ويتجنبها الاشقى الذى يصلى النار الكبرى (قال)

الكافر لانه أشقى من الفاسق والنار الكبرى السفلى من اطباق النار) قال أحمد بشير الى خلود الفاسق مع الكافر فى أسافل النار والفاسق أعلى منه كما تقدم له التصريح بذلك كثيرا ﴿عاد كلامه قال وقوله لا يموت فيها ولا يحيى لان الترجح بين الحياة

والذى أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى سنقرئك فلا تنسى الا ماشاء الله انه يعلم الجهر وما يخفى ونيسرك لليسرى فذكر ان نفعت الذكرى سيذكر من يخشى ويتجنبها الاشقى الذى يصلى النار الكبرى ثم لا يموت فيها ولا يحيى قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى

والموت أقطع من الصلى الخ ﴿قوله تعالى قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى (نقل عن على أنه قال هو التصدق بصدقة الفطر وقال لا أبالى أن لا أحد فى كتابى غير هذه الآية) قال أحمد فى نافى هذين الحكمين الآخرين

من الآية تكاف أما الاول فلان العطف يقتضى المغايرة فيقال بموجبها فنحن ان قلنا ان تكبيرة الاحرام جزء من الصلاة فالجزء مغاير للكل فلا غرو أن يعطف عليه والمغايرة مع الجزئية ثابتة والحال هذه وأما الثانى فلان الاسم معرف بالاضافة وتعريف الاضافة مهدى عند محققى الفن حتى ان القائل اذا قال جاءنى غلام زيد ولزيد غلامان فانا نفهم من قوله معينا منهم سابق

عن الضحاك ان المراد ذكر الله بالتكبير في طريق المصلى يعني صلاة العيد

﴿القول في سورة الغاشية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿قوله تعالى هل أتاك حديث الغاشية وجوه يومئذ ناعمة عاملة ناصبة﴾ قال فيه معناه بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى ان هذا لفي الصحف الأولى صحف ابراهيم وموسى

﴿سورة الغاشية مكية وهي ست وعشرون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

هل أتاك حديث الغاشية وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى نارا حامية تسقى من عين آنية ليس لهم طعام الا من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع وجوه يومئذ

ذليلة تعمل في النار عملا تنصب عنه وهو جرها السلاسل الخ) قال أحدهما الوجه الأول متعين لان الظرف المذكور وهو قوله يومئذ متعلق بمقطوع من الجملة المضاف اليها

تقديره يوم اذ غشيت وذلك في الآخرة بلا اشكال وهو ظرف لجميع الصفات المخبر بها أعني خاشعة عاملة ناصبة فتكيف تناول أعمال الدنيا ﴿عادكلامه﴾ ﴿قوله تعالى ليس لهم طعام الا من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع (قال فيه الضريع يبيس الشبرق وهو حمض

أصدق بصدقة الفطر وقال لا أبالي أن لا أجفي كتابي غيرها لقوله قد أفلح من تزكى أي أعطى زكاة الفطر فتوجه الى المصلى فصلى صلاة العيد وذكر اسم ربه فكبر تكبيرة الافتتاح وبه يحتج على وجوب تكبيرة الافتتاح وعلى أنها ليست من الصلاة لان الصلاة معطوفة عليها وعلى أن الافتتاح جائز بكل اسم من أسمائه جل وعن ابن عباس رضي الله عنه ذكر معاده وموقفه بين يدي ربه فصلى له وعن الضحاك وذكر اسم ربه في طريق المصلى فصلى صلاة العيد (بل تؤثرون الحياة الدنيا) بالتاء على ما تخاطبون به وقرئ يؤثرون على الغيبة وبمد الاولى قراءة ابن مسعود بل أنتم تؤثرون (خير وأبقى) أفضل في نفسها وأنفع وأدوم وعن ابن عباس رضي الله عنه ما الدنيا في الآخرة الا كنفجة أرنب (هذا) اشارة الى قوله قد أفلح الى أبقى يعني أن معنى هذا الكلام وارد في تلك الصحف وقيل الى ما في السورة كلها وروي عن أبي ذر رضي الله عنه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم كم أنزل الله من كتاب فقال مائة وأربعة كتب منها على آدم عشر صحف وعلى شيث خمسون صحيفة وعلى أخنوخ وهو ادريس ثلاثون صحيفة وعلى ابراهيم عشر صحائف والتوراة والانجيل والزبور والفرقان وقيل ان في صحف ابراهيم ينبغي للعاقل أن يكون حافظا للسانه عارفا بزمانه مقبلا على شانه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاعلى أعطاه الله عشر حسنات بعدد كل حرف أنزله الله تعالى على ابراهيم وموسى ومحمد وكان اذا قرأها قال سبحان ربي الاعلى وكان علي وابن عباس يقولان ذلك وكان بحيا وقال أول من قال سبحان ربي الاعلى ميكائيل

﴿سورة الغاشية مكية وهي ست وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿الغاشية الداهية التي تغشى الناس بشدائدها وتلبسهم أهوالها يعني القيامة من قولهم يوم يغشاهم العذاب وقيل النار من قولهم وتغشى وجوههم النار ومن قرئ يغشاهم فمعناه يعلوهم ويشملهم (ووجوه) يوم اذ غشيت (خاشعة) ذليلة (عاملة ناصبة) تعمل في النار عملا تتعب فيه وهو جرها السلاسل والاغلال وخوضها في النار كما تخوض الابل في الوحل وارتقاؤها هضابا نائية في صعود من نار وهبوطها في حدور منها وقيل عملت ونصبت في الدنيا أعمال السوء والتدنس بها وتعبت فيها في نصب منها في الآخرة وقيل عملت ونصبت في أعمال لا تجدي عليها في الآخرة من قولهم وقدمنا الى ما عملوا من عمل وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا أولئك الذين حبطت أعمالهم وقيل هم أصحاب الصوامع وسعناه أنها خشعت لله وعملت ونصبت في أعمال مخالفة لاعمال الهوى الذائب والتعهد الواصب وقرئ عاملة ناصبة على الشتم ﴿قرئ تصلى بفتح التاء وتصلى بالتشديد وقيل المصلى عند العرب أن يحفر واحفيرا فيجمع حمرا كثيرا ثم يحمى حتى اذا تمرمدت رمى بها وسطه فاما ما يشوى فوق الجمر أو على المغلى أو في التنور فلا يسمى مصليا (آنية) متناهية في الحر كقوله وبين حميم آن ﴿الضريع يبيس الشبرق وهو جنس من الشوك ترعاه الابل ما دام رطبا فاذا يبس تحامته الابل وهو سام قاتل قال أبو ذؤيب

رعى الشبرق الريان حتى اذا ذوى ﴿ وعاد ضريعا بان عنه التحائص

وقال وحبس في هرم الضريع فكلها ﴿ حمضا داجية البدين جرود

(فان قلت) كيف قيل (ليس لهم طعام الا من ضريع) وفي آية أخرى ولا طعام الا من غسلين (قلت) العذاب ألوان والمعذبون طبقات فمنهم أكلة الزقوم ومنهم أكلة الغسلين ومنهم أكلة الضريع لكل باب منهم جزء مقسوم (لا يسمن) مرفوع المحل أو مجروره على وصف طعام أو ضريع يعني أن طعامهم من شيء ليس من مطاعم الانس ولا مما هو شوك والشوك مما ترعاه الابل وتتولع به وهذا نوع منه تنفر عنه ولا تقربه ومنفعة

الغذاء مستفيضان عنه وهما مادة الجوع وافادة القوة والسمن في البدن أو أريد بالأنعام لحم الضريع ليس بطعام للبهائم فضلا عن الانس لان الطعام ما أشبع أو أسمن وهو منها بعيد كما تقول لفلان ظل الا الشمس تريد في الظل على التوكيد وقيل قالت كفار قريش ان الضريع لنسمن علينا فنزلت لا يسمن فلا يحلوا ما أن يتكذبوا أو يعتقدوا ذلك وهو الظاهر فيرد قولهم ينفي السمن والشبع معا وقد قوبل فيكون المعنى أن طعامهم من ضريع ليس من جنس ضريعكم الذي هو من ضريع غير مسمن ولا من جوع (ناعمة) ذات بهجة وحسن كقوله تعرف في وجوههم نضرة النعيم أو متمتعة (لسعيها راضية) رضيت بعملها لما رأت ما أداهم اليه من الكرامة والثواب (عالية) من علو المكان أو المقدار (لا تسمع) بالخطاب أو بالوجوه (لاغية) أي لغوا أو كلمة ذات لغو أو نفسا ذات لغو ولا يسمعون لغوا ولا يتكلم أهل الجنة الا بالحكمة وحسن على ما رزقهم من النعيم الدائم ﴿ وقرئ لا تسمع على البناء للمفعول بالتاء والياء (فيها عين جارية) يريد عين غاية الكثرة كقوله علمت نفس (مرفوعة) من رفعة المقدار أو السمك لترى المؤمن بجلوسه عليه جميع ما تشتهي ربه من الملك والنعيم وقيل مخبوءة لهم من رفع الشيء اذا خبأه (موضوعة) كلما أرادوها وجدوها موضوعة بين أيديهم عتيدة حاضرة لا يحتاجون الى أن يدعوا بها أو موضوعة على حافات العيون معدة للشرب ويحتمل أن يراد موضوعة عن حد الكبار أو ساط بين الصغر والكبر كقوله قدروها تقديرا (مصفوفة) بعضها الى جنب بعض مسانيد ومطارح أيضا أو آذان مجلس جلس على مسورة واستند الى أخرى (وزرابي) وبسط عراض فاخرة وقيل هي الطنافس التي لها خمل رقيق جمع زربية (مبثوثة) مبسوطة أو مفرقة في المجالس (أفلا ينظرون الى الابل) نظر اعتبار (كيف خلقت) خلقا بديعا دالا على تقدير مقدر وتدبير مدبر حيث خلقها للنهوض بالاثقال وجرها الى البلاد الشاطئة فحملها أثبت شيء وأقواه وأبركه حتى تحمل من قريب وبسرعة تهض عامله ومعرفها منقادة لكل من أقادها لازمة الانمار ضعيفا ولا تمانع صغيرا ويراها طوال الاعناق لتتناول بها ما بعد منها وعن بعض الحكماء أحدث عن البعير وبديع خلقه وقد نشأ في بلاد الابل بها فذكر ثم قال ويحتمل أن تكون طوال الاعناق وحين ألزمها أن تكون سفائن البر صبرها على احتمال العطش حتى ان أظمأها الترفع الى الشجر فما عداه وجعلها ترعى كل شيء نابت في البراري والقفار مما لا يرعاه سائر البهائم وعن سعيد بن جبير قال لقيت شريحا القاضي فقلت أين تريد قال أريد البكامة قلت وما تصنع بالابل أنظر الى الابل كيف خلقت (فان قلت) كيف حسن ذكر الابل مع السماء والجبال والارض ولا مناسبة (قلت) قد تقلم هذه الاشياء نظر العرب في أوديتهم وبواديهم فانتظمها الذكر على حسب ما تنتظمها نظرهم وليدع من زعم أن الابل السحاب الى قوله الا لطلب المناسبة ولعلهم يرون الابل من أسماء السحاب كالغمام والمزن والرباب والهيم والعشر وغير ذلك وقد أرى السحاب مشبها بالابل كثيرا في أشعارهم فجوز أن يراد بها السحاب على طريق التشبيه والمجاز (كيف رفعت) رفعا بعيدا لا يدرك قعره بالمساك ونفي عمده (كيف نصبت) نصبا ثابتا راسخة لا تميل ولا تزول و (كيف سطحت) بسطا بعيدا وتوطئة فهي مهاد للمتقلب عليها ﴿ وقرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه خلقت بضم التاء وسطحت على البناء للفاعل وتاء الضمير والتشديد فيهما لتحذف المفعول وعن هرون الرشيد أنه قرأ سطحت بالتشديد ومعنى أفلا ينظرون الى هذه المخلوقات الشاهدة على قدرة الخالق حتى لا ينكروا اقتدار ه على البعث فيسمعوا انذار الرسول صلى الله عليه وسلم ويؤمنوا به ويستعدوا للقائه ﴿ أي لا ينظرون فذكرهم ولا تلح عليهم ولا يهمنك أنهم لا ينظرون ولا يذكرون (انما أنت مذكر) كقوله ان عليك الا البلاغ (لست عليهم بمسيطر) بمتسلط كقوله وما أنت عليهم بجبار وقيل هو في المقتبس مفتوح الطاء على أن مسيطر متعد عندهم وقرئ لست عليهم بمسيطر بل عليه الامر تولى) استثناء منقطع أي لست مستولي عليهم ولكن من تولى (وكفر) منهم فان الله الولاية والقهر فهو يعذبه (العذاب الاكبر) الذي هو عذاب جهنم وقيل هو استثناء من قوله فذكر أي فذكر الا من انقطع طمعك من ايمانه وتولى فاستحق العذاب الاكبر وما بينهما اعتراض وقرئ الا من تولى على التفسير وفي قراءة ابن مسعود فانه يعذبه

ناعمة لسعيها راضية
في جنة عالية لا تسمع
فيها لاغية فيها عين
جارية فيها سرر مرفوعة
وأكواب موضوعة
ونمارق مصفوفة
وزرابي مبثوثة أفلا
ينظرون الى الابل
كيف خلقت والى
السماء كيف رفعت
والى الجبال كيف
نصبت والى الارض
كيف سطحت فذكر
انما أنت مذكر لست
عليهم بمسيطر الا من
تولى وكفر فيعذبه الله
العذاب الاكبر ان
الينا ايابهم ثم ان علينا
حسابهم

من الشواذ ترجاه الابل
مادام رطبا (ح) قال
أحمد في الوجه الاول
يكون سنة خصبة

وقرأ أبو جعفر المدني أيامهم بالتشديد ووجهه أن يكون فيه المصدر أبر فيعل من الأيام أو أن يكون أيوايا فعالا من آب ثم قيل ايوايا كديوان ثم فعل به ما فعل بأعمال سيد وميت (فان قلت) ما معنى الظرف (قلت) معناه التشديد في الوعيد وأن ايامهم ليس الا ايام الجبار المقتدر على الانتقام وأن أيامهم ليس بواجب الاعليه وهو الذي حاسب على النقير والقطمير ومعنى الوجوب الوجوب في الحكمة

وصلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الغاشية حاسبه الله حسابا يسيرا

﴿سورة الفجر مكية وهي ثلاثون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

أقسم بالفجر كما أقسم بالصبح في قوله والصبح اذا أسفر والصبح اذا تنفس وقيل بصلاة الفجر وأراد الليالي العشر عشر ذي الحجة (فان قلت) فما لها منكرة فمن بين ما أقسم به (قلت) لام الليال مخصوصة من بين سائر الليالي المنكر بعضها أو مخصوصة بفضيلة ليست لغيرها (فان قلت) فهلا عرفت بلام العهد لانها قد جاءت معهودة (قلت) لو فعل ذلك لم تستقل بمعنى الفضيلة الذي في التنكير ولان الاحسن أن تكون الليالي مختلفات ليكون الكلام أعم من الالفاظ والتعية * والشفع والوتر اما الاشياء كلها اشفعها وترها كما شفع هذه الليالي ووترها ويجوز أن يخص شفعها يوم النحر ووترها يوم عرفة لانه تاسع أيامها وذلك أشرفها وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه فسرها بذلك وعدا كثيرون الشفع والوتر حتى كادوا يستوعبون أجناس ما يقعان فيه وذلك قليل الطائل جدير بالتلهي عنه وبئسما أقسم بالليالي المخصوصة أقسم بالليل على العموم (اذا يسر) اذا يمضي كقوله والليل اذا أدبر والليل اذا عسعس * وقرئ والوتر بفتح الواو وهما لغتان كالضعف والضعف والوتر والوتر في العدد وفي ثارة الكسر وحده وقرئ الوتر بفتح الواو وكسر التاء وهاويونس عن أبي عمرو * وقرئ والفجر والوتر ويسر بالتنوين وهو التنوين الذي يقع بدلا من حرف الاطلاق وعن ابن عباس وليال عشر الاضافة بغير واو يسر تحذف في الدرج اكتفاء فيها بالكسرة وأما في الوقف فتحذف مع الكسرة وقيل معنى يسري يسري فيه (هل في ذلك) أي فيما اقتصصت بعض هذه الاشياء (قسم) أي مقنع به (لذي حجر) يمنعه من اقتحام القبائح أو هل في اقسامي بها قسم لذي حجر أي هل هو قسم عظيم عند ذوي العقول لانه حجر عن القبائح فعلا أو تركا ومنه سمي عقل الدية حجرا لانه يمنع من التهجم على القبائح وحصاة تمنع من الحصاد وهو الضبط وقال الفراء يقال ان في الحجر اذا كان قاهرا لنفسه ضابطا لها والقسم عليه محذوف وهو ليعذبن يدل عليه قوله ألم تر الى قوله فصب عليهم ربك سوط عذاب * قيل لمعاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عاد كما يقال لبني هاشم هاشم ثم قيل للأولين منهم عاد الاولى وارم تسمية لهم باسم جدهم ولمن بعدهم عاد الاخيرة قال ابن الرقيات

مجد تليد بناه أوله * أدرك عادا وقبلها ارما

وارم في قوله (عاد ارم) عطف بيان لعاد وأيضا فانهم عاد الاولى القديمة وقيل ارم بلدتهم وأرضهم التي كانوا فيها ويدل عليه قراءة ابن الزبير عاد ارم على الاضافة وتفسيره بعاد أهل ارم كقوله واسأل القرية ولم تصرف قبيلة كانت أو أرض للتعريف والتأنيث وقرأ الحسن بعاد ارم على حذف حرف وقرئ بعاد ارم بسكون الراء على التخفيف كما قرئ بكر وفكم وقرئ بعاد ارم ذات العماد باضافة ارم الى ذات العماد والارم العلم يعني بعاد أهل أعلام ذات العماد و (ذات العماد) اسم المدينة وقرئ بعاد أرض ذات العماد أي جعل الله ذات العماد وسمها بدلا من فعل ربك وذات العماد اذا كانت صفة للقبيلة فالمعنى أنهم كانوا يبدون أهل عمد أو طوال الاجسام على تشبيه قدودهم بالاعمدة ومنه قولهم رجل معمد وعمدان اذا كان طويلا وقيل ذات البناء الرفيع وان كانت صفة للبلدة فالمعنى أنها ذات أساطين وروي أنه كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا ماتا شديدا وخلص الامر لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فقال ابنى مثلها فبنى ارم في بعض صحاري عدن في ثلثمائة سنة وكان عمره تسعمائة سنة وهي مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة

﴿سورة الفجر مكية وهي ثلاثون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل اذا يسر هل في ذلك قسم لذي حجر ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد الخ

* قوله تعالى ان ربك لبالمرصاد ايا بهم وسمهم ثم ان علينا حسابهم (قال فيه ان قلت ما معنى تقديم الظرف وأيا ما سبان معناه التشديد في الوعيد قال أحمد وصحيح الدلالة على ان الحساب أشد من الايلاب لانه موجب العذاب وبادئه * عاد كلا * (قال وهو معنى الوجوب وجوب الحكمة قال أحمد خط على عادته ليس على الواجب وقد تقدم معنى على في غير هذا والله أعلم

يوم يتذكر ويأنى له الذكرى تلاف وتلاقس (قدمت لحياتي) هذه وهي حياة الآخرة أو وقت حياتي في الدنيا كقولك جئته لعشر ليال خلون من رجب وهذا أبين دليل على أن الاختيار كان في أيديهم ومعلقا بقصدهم وإرادتهم وانهم لم يكونوا مجبورين من الطاعات مجبرين على المعاصي كمذهب أهل الاهواء والبدع والافما معنى التحسر وقرئ بالفتح بعذب ويوثق وهي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أبي عمرو أنه رجع إليها في آخر عمره * والضمير للانسان الموصوف وقيل هو أبي بن خلف أي لا يعذب أحد مثل عذابه ولا يوثق بالسلاسل والاغلال مثل وثاقه لتناهيه في كفره وعناده أو لا يعذل عذاب الانسان أحدا كقوله ولا تزر وازرة وزر أخرى وقرئ بالكسر والضمير لله تعالى أي لا يتولى عذاب الله أحد لان الامر لله وحده في ذلك اليوم أو للانسان أي لا يعذب أحد من الزبانية مثل ما يعذبونه (يا أيتها النفس) على ارادة القول اي يقول الله للمؤمن يا أيتها النفس لما ان يكلمه أكرم اماله كما تكلم موسى صلوات الله عليه أو على لسان الملك و(المطمئنة) الآمنة التي لا يساورها خوف ولا حزن وهي النفس المؤمنة أو المطمئنة الى الحق التي سكنها نور اليقين فلا يعارضها شك وشبه للتفسير الاول قراءة أبي بن كعب يا أيتها النفس الآمنة المطمئنة (فان قلت) متى يقال لها ذلك (قلت) اما عند الموت واما عند البعث واما عند دخول الجنة على معنى ارجعي الى موعد ربك (راضية) بما أوتيت (مرضية) عند الله (فادخلي في عبادي) في جملة عبادي الصالحين وانتظمي في سلكهم (وادخلي جنتي) معهم وقيل النفس الروح ومعناه فادخلي في أجساد عبادي وقرأ ابن عباس فادخلي في عبدي وقرأ ابن مسعود في جسد عبدي وقرأ أبي ثم ارجعي ربك راضية مرضية ادخلي في عبدي وقيل نزلت في حمزة بن عبد المطلب وقيل في خبيب بن عدي الذي صلبه أهل مكة وحملوا رأسه الى المدينة فقال اللهم ان كان في عندك خير فقل وجهي نحو قبلتك فقوله تعالى وجوه يومئذ ناعمة لا يستطيع أحد أن يحوله والظاهر المعروف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفجر في الليال العشر غفر له ومن قرأها في سائر الايام كانت له نورا يوم القيامة

﴿سورة البلد مكية وهي عشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* أقسم سبحانه بالبلد الحرام وبما بعده على أن الانسان خلق مغمورا في مكابدة الشاق والشدائد فراعترض بين القسم والمقسم عليه بقوله (وأنت حل بهذا البلد) يعني ومن المكابدة أن مثلك على علم حرمتك يستحل بهذا البلد الحرام كما يستحل الصيد في غير الحرم عن شرحبيل بن سعد يعرضون أن يقتلوا بها صيدا وبعضهم أصبح وأمسى حلالا أن أحلوا وقيل وفيه تثبيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث على احتمال ما كان يكابد من أهل مكة وتهييج من عاطفهم في عداوته أو على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقسم ببلده على أن الانسان لا يخلو من مقاساة الشدائد حيث أخرجوه من وطنه فتح مكة تتمة للتنفيس عنه فقال وأنت حل بهذا البلد بعني وأنت حليل في المستقبل تصنع فيه ما تريد من القتل والاسر وذلك أن الله فتح عليه مكة وأحلها له وما فعلت لي أحد قبله ولا أحللت له فأحل ما شاء وحرم ما شاء عقتل ابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة وعقيس بن صبابة وغيرهما وحرم دار أبي سفيان ثم قال ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهي حرام الى أن تقوم الساعة لم تحل لاحد قبلي ولن تحل لاحد بعدي ولم تحل لي الا ساعة من نهار فلا يعضد شوكها ولا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها الا لمنشد فقال العباس يا رسول الله الا الاذخر فانه لقيوتنا وقبورنا وبيوتنا فقال صلى الله عليه وسلم الا الاذخر (فان قلت) أين نظير قوله وأنت حل في معنى الاستقبال (قلت) قوله عز وجل انك ميت وانهم ميتون ومثله واسع في كلام العباد تقول لمن قعد عن الاكرام واطراه أنت مكرم محبوب وهو في كلام الله أوسع لان الاحوال المستقبلة عنده كالحاضرة المشاهدة وكذلك دليلا قاطعا على أن السورة بأسرها مكية وأن الهجرة من وقت

يا ليتني قدمت لحياتي فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي

﴿سورة البلد مكية وهي عشرون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد ووالد وما ولد لقد خلقنا الانسان في كبد

(القول في سورة البلد)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد (قال) أقسم سبحانه بالبلد الحرام وما بعده على ان الانسان خلق معمورا الى

نزولها في أيام الفتح (فان قلت) ما المراد بوالد وما ولد (قلت) رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل ولده أقسم ببلده الذي هو مسقط رأسه وحرم أبيه ابراهيم ومنشأ أبيه اسمعيل وكل ولد وبه (فان قلت) لم نكر (قلت) للدلالة على المبهم المستقل بالمدح والتعجب (فان قلت) هلا قيل ومن ولد (قلت) شبه ما في قوله والله أعلم بما وضعت أي بأي شيء وضعت يعني موضوعا عجيب الشأن وقيل هما آدم وولده وقيل كل والد وولد * والكبد أصله من قولك كبد الرجل كبدا فهو أكبد اذا وجعت كبده وانتفخت فاستعمل فيه حتى استعمل في كل تعب ومشقة ومنه اشتقت المكابدة كما قيل كبته بمعنى أهلكه وأصله كبده اذا أصاب كبده قال لبيد

باعين هلا تبكيان أربد * اذ قام يلقى الهم مع كبد

أي في شدة الأمر وصعوبته والخطب والضمير في (أيحسب) لجنس صناديد قريش الذين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكابدهم ما يكابد والمعنى أيظن هذا الصنديد القوي في قومه المتهدف له من بين أظهرهم قيامة قوي يقدر على الانتقام منه وعلى مكافأته بما هو عليه ثم ذكر ما يقوله في ذلك اليوم وأنه يقول (أهلكت مالا لبدا) يريد كثرة ما أنفقه فيما كان أهل الجاهلية يسمونه اكتسابا ومفاخر (أيحسب أن لم يره أحد) حين كان ينفق ماله رئاء الناس وافتخارا بينهم يعني أن الله كان يراه وكان عليه رقيبا وجوز أن يكون الضمير للانسان على أن يكون المعنى أقسم بهذا البلد الشريف ومن شرفه أنك حل به مما يتعزز به أهله من الملأ ثم مخترع يزعم وحقيق بأن أعذبه بقصي بما قد خلقت الانسان في كبد أي في مرض وهو من المشقة والقلب وفساد الباطن ويريد الذين علم الله منهم حين خلقهم أنهم لا يؤمنون ولا يدعون الصالحات وقيل الذي يحسب أن لن يقدر عليه أحد هو أبو الأشد وكان قويا يبسط له الأديم المكاظي فيقوم عليه ويقول من أزالني عنه فله كذا فلا يزع الا طفل ولا يرى موضع قدميه وقيل الوليد بن المغيرة * لبدا أي كثيرا بالصم والكسر جمع لبدة ولبدة وهو مالبد بعضه على بعض بالكثرة وقرئ لبدا بضمتين جمع لبود ولبدا بالتشديد جمع لابد (ألم نجعل له عينين) يبصر بهما المرئيات (ولسانا) يترجم به عن ضمائره (وشفتين) يطبقهما على فيه ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب وغير ذلك (وهديناه النجدين) أي طريقي الخير والشر وقيل الثديين (فلا اقتحم العقبة) يعني فلم يشكر تلك الآلاء والنعم بالاعمال الصالحة من فك الرقاب والاطعام في المجاعات والمسكين ثم الايمان الذي هو أصل كل طاعة وأساس كل خير بل عمد النعم وكفر بالنعم والمعنى أن الانفاق على هذا الوجه هو الانفاق المرضي النافع عند الله لا أن يهلك مالا لبدا في الرياء والفخار فيكون مثله كمثل من أنفق مالا حرث قوم الآية (فان قلت) لم لم تقع الا الماضية على الماضي الا مكررة وقوله فأي أمر سبي لا عمد لا يكاد يتم الا مكررا في الكلام الأفصح (قلت) هي مكررة في المعنى لان معنى فلا اقتحم العقبة فلا فك رقبة ولا أطعم مسكينا الا ترى أنه مفسر باقتحام العقبة بذلك وقال الزجاج قوله ثم كان من الذين آمنوا يدل على معنى فلا اقتحم العقبة ولا آمن * والاقتحام الدخول والمجاوزة بشدة ومشقة والعقبة الشدة وجعل الصالحة عقبة وعملا اقتحاما لما شاق ذلك من معاناة الشدة ومجاهدة النفس وعن الحسن عقبة والله شديدة يجاهد الانسان نفسه وهواه وعدو الشيطان وفك الرقبة تخليصها من رق أو غيره وفي الحديث ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم دلني على عمل يدنيني من الجنة فقال لئن كنت قصرت الخطبة لقد أعرضت المسألة أعتق النسمة وفك الرقبة قال أوليسا سواء قال لا اعتاقها أن تنفرد بعتقها وفكها أن تعين في ثمنها أو في بعضه بما من تمرد أو غرم والعتق والصدقة من أفاضل الأعمال وعن أبي حنيفة رضي الله عنه ان العتق أفضل من الصدقة وعند صاحبيه الصدقة أفضل والآية أدل على قول أبي حنيفة لتقديم العتق على الصدقة وعن الشعبي في رجل عنده فضل نفقة أيضعه في ذي قرابة أو يعتق رقبة قال الرقبة أفضل لان النبي صلى الله عليه وسلم قال من فك رقبة فك الله بكل عضو منها عضوا منه من النار * قرئ فك رقبة أو اطعام على هي فك رقبة أو اطعام وقرئ فك رقبة أو أطعم على الابدال من اقتحم العقبة وقوله (وما أدراك ما العقبة) اعتراض وسؤال أي لم تدر كنه صعوبتها على النفس وكنه ثوابها عند الله * والمسغبة والمقربة والمتربة مفعلات من سغب اذا جاع وقرب

أي لن يقدر عليه أحد يقول أهلكت مالا لبدا أيحسب أن لم يره أحد ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة فك رقبة أو اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة

﴿القول فى سورة الشمس﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ * قوله تعالى والسماء وما بناها والارض وما طحاها ونفس وما سواها (قال) فيه جعلها بعضهم مصدرية فى الثلاثة وليس بالوجه الخ * قوله تعالى فألهمها فجورها وتقواها (قال فيه معنى الهام الفجور والتقوى انهامهما واعتقالهما وان أحدهما حسن والآخر قبيح والذى يكشف فى هذه الكلمات اعتقاد أن الحسن

فى النسب يقال فلان ذو قرابتى وذو مقربتى وترب اذا افتقر ومعناه التصق بالتراب وأما أترب فاستغنى أى صار ذا مال كالتراب فى الكثرة قاتيل أثرى وعن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله ذا مترية الذى سأواه التراب ووصف اليوم بذى مسغبة نحو يا يقول النحويون فى قولهم ثم ناصب ذو نصب وقرأ الحسن ذا مسغبة نصبه باطعام ومعناه أو اطعام فى يوم من الايام ذا مسغبة (ثم كان من الذين آمنوا) جاء بثم لتراخى الايمان وتباعده فى الرتبة والفضيلة عن العتق والصدقة لان الايمان هو السابق المقدم على غيره ولا يثبت عمل صالح الا به * والمرحمة الرحمة أى أوصى بعضهم بعضا بالصبر على الايمان والثبات عليه أو بالصبر عن المعاصى وعلى الطاعات والحق الذى يتغالى بها القوم وبأن يكونوا متراحمين متعاطفين أو بما يؤدى الى رحمة الله الجنة والمشأمة اليمن والشمال أو اليمن والشؤم أى المياسير على أنفسهم والمشائيم عليهن * قرئ موصدة بالواو والهمزة من أوصدت الباب وآصدته اذا أطبقته وأغلقته وعن أبى بكر بن عياش لنا امام يهمز مؤصدة فاشتهى أن أسد أذنى اذا سمعته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن ثم قرأ هذا الداء أعاذه الله الامام من غضبه يوم القيامة

﴿سورة الشمس مكية وهى خمس عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

ضحاها ضوءها اذا أشرقت وقام سلطانها وذلك قبيل وقت الضحى وكأن وجه الشمس الضحى وقيل الضحوة ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك وانتصابها بالقسم والمعنى استدل النهار وكرب أن ينتصف (اذا تلاها) طالعا عند غروبها آخذا من نورها وذلك فى النصف الاول من الشهر وقيل اذا استدار فتلاها فى الصباء والنور (اذا جلاها) عند انتفاخ النهار وانبساطه لان الشمس تجلى فى ذلك الوقت تمام الانجلاء وقيل الضمير للظلمة أو للدنيا أو للارض وان لم يجر لها ذكر كقوله ما ترك على ظهرها من دابة يريدون الدواب وأرسلت يريدون السماء اذا يغشاها فتغيب وتظلم الآفاق (فان قلت) الامر فى نصب اذا مضطرب لانك لا تخلو اما أن تجعل الواو عاطفة فتنصبها بأوتجرها فتقع فى العطف على عاملين فى نحو وذلك مررت أمس بزيد واليوم عمرو واما أن تجعلها للقسم فتقع فيما التزم الخليل وسيبويه على استكراهه (قلت) الجواب فيه أن الواو اذا قسم ما طرح معها ابراز الفعل اطرادا كليا فكان لها شأن خلاف شأن الباء حيث أبرز معها الفعل وأضمر فكانت الواو قائمة مقام الفعل والباء محيحا كما تقول ضرب زيد عمرا وبكرا خالد انترفع الواو وتنصب لقيامها مقام ضرب الذى هو عامل فيه * جعلت ما مصدرية فى قوله وما بناها وما طحاها وما سواها وليس بالوجه لقوله فألهمها وما يؤدى اليه من فساد النظم والوجه أن تكون موصولة وانما أوثرت على من لارادة معنى الوصفية كأنه قيل والسماء والقادر العظيم الذى بناها ونفس والحكيم الباهر الحكمة الذى سواها وفى كلامهم سبحان ما سخر كن لنا (فان قلت) لم نكرت النفس (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يريد نفسا خاصة من بين النفوس وهى نفس آدم كما قال وخلق منها زوجها من النفوس والثانى أن يريد كل نفس ويتكر للتكثير على الطريقة المذكورة فى قوله علمت نفس * ومعنى الهام الفجور والتقوى افهامهما واعتقالهما وأن أحدهما حسن والآخر قبيح وتكميثه من

فى قوله معنى الهام الفجور والتقوى انهامهما واعتقالهما وان أحدهما حسن والآخر قبيح والذى يكشف فى هذه الكلمات اعتقاد أن الحسن

ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة أولئك أصحاب الميمنة والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة عليهم نار مؤصدة

(سورة الشمس مكية وهى خمس عشرة آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها والنهار اذا جلاها والليل اذا يغشاها والسماء وما بناها والارض وما طحاها ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها

والقبح مدركان بالعقل ألا ترى الى قوله اعتقالهما أى خلق العقل الموصل الى معرفة حسن الحسن وقبح القبيح وانما اقتضى فى هذا الموضع اشعار الالهام بذلك فاعرفه

بقى أن اطلاقه على العلم المستفاد من السمع بعيد والذى يقطع دابر هذه النزغة أنا وان قلنا ان الحسن والقبح لا يدركان بالعقل لا نسلم أن كل حسن وقبح كذلك بل الحسن والقبح بمعنى ملاءمة الغرض ومنافرته وبمعنى صفة الكمال والنقصان يدركان بالعقل لا محالة وانما الذى لا يدرك بالعقل الحسن والقبح بمعنى استحقاق الثواب والعقاب وبمعنى الامر والنهى الشرعيين وهما اللذان وقع الخلاف فى أنهما هل يدركان بالعقل أم لا وهذا لا يقدح فى أن الالهام بمعنى الايجاد الضرورى للعلم بالحسن والقبح بالمعنى الاول ممكن وواقع

الاتيان بالسمع لا مما يحال الى الاحكام الشرعية التى ليست عندنا من صفات الافعال فانا لا ننفى حظ العقل من ادراك الاحكام الشرعية بل لا بد فى كل حكم شرعى من المقدمتين عقلية وهى الموصلة الى العقيدة وسمعية مفرغة عليها وهى الدالة على خصوص الحكم على أن تعلقه بما هو لطف فى واجب فعلى يعزل عن الوجوب * النزغة الثانية وهى التى كشف القناع فى ابرازها ان التزكية

وأسبغها لباسها ولو شاء تعالى لم تركه المعرة وإنما تأثر نفسه في الظاهر من جرى الآية على الغالب كرر وحماق الرد على من قال إن الضمير لله تعالى واقتصر على الدعوى مقرونة بسفاهه على أهل السنة فنقول لا معارف احتمال عود الضمير إلى الله تعالى والى ذي النفس لكن عوده إلى الله تعالى أولى لوجهين أحدهما ان الجمل ستة سيقت واسدة من قوله والسماء وما بناها وهلم جرا والضمائر فيها تقدم هذين الفعلين عائدة إلى الله تعالى بالاتفاق ولم يجر غير الله تعالى ذكر وان قيل (٥٤٧) بعود الضمير إلى نبي فاعا يتحمل لجواز بدلالة الكلام ضمنا واستلزاما لا ذكرا ونطقا وما جرى ذكره أولى ان يعود الضمير عليه الثاني ان الفعل المستعمل في الآية التي استدلوا بها

اختيار ما شاء من هذين الفعلين عائدة إلى الله تعالى بالاتفاق ولم يجر غير الله تعالى ذكر وان قيل (٥٤٧) بعود الضمير إلى نبي فاعا

قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها) بجعله فاعل التزكية والتدسية ومتوليهما والتزكية الاعلاء والاعلاء بالتقوى والتدسية النقص والاخفاء بالفجور وأصل دسى دسس كما قيل في تقضض تقضى وسئل ابن عباس عنه فقال أتراه أفلح من تزكى وخاب من حمل نفسا وأما قول من زعم أن الضمير في زكى ودسى لله تعالى وان تأنيث الراجع إلى من لانه في معنى النفس فمن تخصيص القدرية الذين يزكون على الله تعالى ما يرى منه ومتصال عنه ويحيون لها يلهم في تحمل فاحشة نسبونها إليه (فان قلت) فأين جواب القسم (قلت) هو محذوف تقديره ليدمدمن الله عليهم أي على أهل مكة لتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما دمدم على ثمود لما عقروا صالحا وأما قد أفلح من زكاها فكلام تابع لقوله والشمس وما ذكر معها على سبيل الاستطراد وليس من جواب القسم في شيء * الباعث (بطغواها) مثلها في كتبت بالقلم والطغوى من الطغيان فعلوا بين الاسم والصفة في فعلى من بنات الياء بان قلبوا الياء واوا في الاسم وتركوا القلب في الصفة فقالوا امرأة طغوى وصدياه بمعنى فعلت التكذيب بطغيانها كما تقول ظلمني بجرأته على الله وقيل كذبت بما أوعدت به من عذابها في الطغوى كقولهم هلكوا بالطاغية وقرأ الحسن بطغواها بضم الطاء كالشكوى والرجوى في المصادر (اذا انبعث) منصوب بكذبت أو بالطغوى و(أشقاها) فاعل من سالف ويجوز أن يكون لساعة والتوحيد لتسوية تلك في أفعل التفضيل إذا أضفته بين الواحد والجمع والذكر والمؤنث وكان يجوز أن يقال أشقوها كما تقول أفاضلهم * والضمير في (لهم) يجوز أن يكون للاشقين والتفضيل في الشقاوة لان من قرن المعقر بأشره كانت شقاوته أظهر وأبلغ و(ناقة الله) نصب على التحذير كقولك الاسد الاسد والصبي أي احذروا أن تحذروا عقرها (وسقياها) ولا تزووها عنها ولا تساءروا بينها على (فكذبوه) فيما حذرهم منه من نزول العذاب ان فعلوا (فعقروها) فأطبق عليهم العذاب وهو من تكرير قوله فسقيا لها وسقيا لهم (بذنبهم) بسبب ذنبهم وفيه انذار عظيم بمعاقبة الذنب على كل مذنب أن يعتبر ويحذر (فسواها) الضمير للدمدمة أي فسوى عليهم الدمدمة فلم يفلت منهم أحد أو للارض بعد ما دحاها (ولا يخاف عقباها) أي عاقبة إبقائها كما يخاف كل معاقب من الملوك شيئ بعض الابقاء ويجوز أن يكون الضمير لله تعالى في معنى فسواها بالارض أو في الحال لا يخاف عقبى هلاكهم وفي مصاحف أهل المدينة والشام فلا يخاف وفي قراءة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يخف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الشمس فكأنما تصدق بكل شيء طلعت عليه الشمس والقمر

﴿سورة والليل مكية وهي احدى وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* (والضحى اما الشمس من قوله والليل اذا يغشاها واما النهار من قوله يغشى الليل النهار واما كل شيء يواريه ظلام من قوله اذا وقب (تجلى) ظهر بزوال ظلمة الليل أو تبين وتكشف بطلوع الشمس (وما خلق) والقادر العظيم القدرة الذي قدر على خلق الذكر والانثى من ماء واحد وقيل هما آدم وحواء وفي قراءة النبي صلى

قد أفلح من زكاه الله فتزكى وعنده الفاعل في اثنين واحد أضاف اليه اثنين ويحتاج في تصحيح الكلام الى تعسف اعتبار وجهه ونحن عنه في غنية على انا لا نأبى ان تضاف التزكية والتدسية الى النفس على طريقة اضافة الفاعل كما يضاف اليه الصلاة والصيام وغير ذلك من أفعال الطاعات لان له عندنا اختيارا وقدرة مقارنة وان منعنا الجبر هان العقلي الدال على وحدانية الله تعالى وهو السريك أن يجعل قدرة العبد مؤثرة مع انه قد جاء ما يدل على الآية تنزلا والا فليس في ورودها من الرد فيما منا الجواب عنه وأما جوابنا عن سفاهته على أهل السنة فالسكوت والله الموفق * وما كلامه (قال) وجواب القسم محذوف تقديره ليدمدمن عليهم أي على أهل مكة لتكذيبهم

قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها كذبت ثمود بطغواها اذ انبعث أشقاها فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها ولا يخاف عقباها

﴿سورة والليل مكية وهي احدى وعشرون آية﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وما خلق الذكر والانثى ان سعيكم

في قوله قد أفلح من تزكى تعسف ولا شك ان تعسف مطاوع فعل مهدا بأن يدل لنا أولى من أن يدل له لان الكلام عندنا من

رة الليل ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ *قوله تعالى وما خلق الذكر والانثى (قال فيه) يدل على أن المعنى الشكل
ون عند الله من أحد القسمين ولا يكون عنده نوعا ثالثا الخ *قوله تعالى فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى
سرى (قال فيه) التيسير التسهيل خلق الالطاف الخ) قال أحمد الا بطيل لسانه ههنا على أهل السنة ولكن قصر الخلق
لام بل يعطله لانه يحمله على كلامه في أمثالها روعة السارق الخائف *قوله تعالى فأنذرتكم نارا تتلظى
شقى الذي كذب وتولى ويجنبها الاتقى الذي الخ (قال فان قلت كيف قال لا يصلاها الا الاشقى ويجنبها الاتقى وقد علم
(ها الخ) قال أحمد لا شك ان السائل بنى سؤاله على التمسك بعموم الآية لورودها بصيغة التخصيص فحاصل جواب
تخصيص هذه الفائدة أخرى غير النفي عما عدا المخصص وتلك الفائدة المقابلة وحيث تحض ذلك السؤال والجواب فهو
افي رحمه الله في قوله تعالى قل لا أجد فيما أوحي الى محرما على طاعم يطعمه فانه لم يقل عند وقوع حصرها وحملها على ان
قابلة الدلالة حكام (٥٤٨) الجاهلية لا النفي ما عدا المحصور على ان الزمخشري اعتاض عليه الخناق في هذه الآية

الله عليه وسلم والذكر والانثى وقرأ ابن مسعود والذي خلق الذكر والانثى وعن الكسائي وما خلق الذكر
والانثى بالجر على أنه بدل من شكل ما خلق يعني وما خلقه الله أي ومخلوق الله الذكر والانثى وجاز ضمير اسم
الله لانه معلوم لا تنفرد به الخلق الا الخالق سواه وقيل ان الله لم يخلق خلقا من ذوي الارواح ليس بذكر ولا
انثى والخنثى وان أشكل أمره عندنا فهو عند الله غير مشكل معلوم الذكورة أو الانوثة فلا يحاف بالطلاق
انه لم يلق يوم ذكر ولا أنثى وقد لق خنثى مشكلا كان حائثا لانه في الحقيقة اما ذكر أو أنثى وان كان
مشكلا عندنا (شتى) جمع شتيت أي ان مساعيكم أشتات مختلفة و بيان اختلافها فيما فصل على أثره
(أعطى) يعني حق ربه من ماله (واتقى) الله فلم يعصه (وصدق بالحسنى) بالخصلة الحسنى وهي الايمان أو بالله
الحسنى وهي ملة الاسلام أو بالمثوبة الحسنى وهي الجنة (فسنيسره لليسرى) فسنهيئه للخلة التي هي اليسرى
للمركوب اذا أسرجها وألجمها ومنه قوله عليه السلام كل ميسر لما خلق له والمعنى فسنلطف به ونوفقه حتى
تكون الطاعة أيسر الامور عليه وأهونها من قوله فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام (واستغنى)
وزهد فيما عند الله كأنه مستغن عنه فلم يتقه أو استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الجنة لانه في مقابلة واتقى
(فسنيسره للعسرى) فسنخذله ونفعله الالطاف حتى تكون الطاعة أعسر شئ عليه وأشقه من قوله جعل
صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء أو حمل طريقة الخير باليسرى لان عاقبتها اليسر وطريقة الشر
العسرى لان عاقبتها العسر أو أراد بهما طريق الجنة والنار أي فسنهديهم اما في الآخرة للطريقين وقيل
نزلتا في أبي بكر رضي الله عنه وفي أبي سفيان بن حرب (وما يغني عنه) استفهام في معنى الانكار أو نفي (ترى)
تفعل من الردى وهو الهلاك يريد الموت أو ردى في الحفرة اذا انقبر أو ردى في قعر جهنم (ان علينا للهدى)
ان الارشاد الى الحق واجب علينا بنصب الدلائل وبيان الشرائع (وان لنا للآخرة والاولى) أي ثواب
الدارين للمتقي كتمونه وآتيناه أجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين *وقرأ أبو الزبير تتلظى *(لا
يصلاها) كيف قال (لا يصلاها الا الاشقى *ويجنبها الاتقى) وقد علم أن كل شقي يصلاها وكل تقي يجنبها لا يختص
بالصلي أشق الاشقياء ولا بالنجاة أتقى الاتقياء وان زعمت أنه ذكر النار فأراد نارا بعينها مخصوصة بالاشقى فما

يحضر والصحيح فيما نعلمه جمرا كثيرا ثم يعدو الى شاة فيسوطها وسطه بين أطباقه فاما
أو على أعلى أو على التنور فليس بصلي وهذا التفسير يشهد له ما نقله الزمخشري ونقله عن أهل اللغة في سورة العاشية
عليه في كتبهم فاذا عرفت معنى التصلية لغة وأنها أشد أنواع الاحراق بالنار وفي علمك أن الناس عند أهل السنة ثلاثة
صالح فاجر ومؤمن عاص وكافر وان المؤمن العاصي على النار فيطفئ نورها ولا يؤلمها البتة وانها برد لها تعلة
ان شاء الله تعذيبه وجاز أن يقال ينجو على وجه المرور في الطبقة الاولى بأنه قد يحتمل ان منهم من تبلغ النار الى كعبه
ثم الدار الى موضع سجوده فيحمه ولا يعذب أحد من المؤمنين بين أطباقها البتة وعند الله تعالى والكافر هو المعذب بين
بأن النار لا يسلكها أي يعذب بين أطباقها كما علمت تفسيره في اللغة الا الكافر وهو الاشقى لان المؤمن العاصي

تصغير قوله وسيجنبها الاتقى فقد علم أن أتقى المسلمين يجنب تلك النار المخصوصة لا الاتقى منهم خاصة (قلت) الآيات واردة في الموازنة بين حالتي عظيم من المشركين وعظيم من المؤمنين فأريد أن يبالغ في صفتهما المتباعدتين فقيل الاتقى وجعل مختصا بالصلى كأن النار لم تخلق الا له وقيل الاتقى وجعل مختصا بالنجاة كأن الجنة لم تخلق الا له وقيل هما أبو جهل أو أمية بن خلف وأبو بكر رضي الله عنه (يتزكى) من الزكاة أي يطلب أن يكون عند الله زاكيا لا يريد به رياء ولا سمعة أو يتفعل من الزكاة (فان قلت) ما تحق يتزكى (قلت) هو على وجهين ان جعلته بدلا من يؤتي فلا محل له لانه داخل في حكم الصلة والصلات لا محل لها وان جعلته حالا من الضمير في يؤتي فله النصب (ابتغاء وجه ربه) مستثنى من غير جنسه وهو النعمة أي ما لأحد عنده نعمة الا ابتغاء وجه ربه كقولك ما في الدار أحد الا حمارا وقرأ يحيى بن وثاب الا ابتغاء وجه ربه بالرفع على لغة من يقول ما في الدار أحد الا حمار وأنشد في اللغتين قول بشر بن أبي خازم

أضحت خلاء قفارا الأنيس بها * الا السباع ومر الغيطلان تختلف

وقول القائل

وبلدة ليس بها أنيس * الا اليعافير والا العيس

ويجوز أن يكون ابتغاء وجه ربه مفعولا له على المعنى لان معنى الكلام لا يؤتي ماله الا ابتغاء وجه ربه لانه مكافأة نعمة (ولسوف يرضى) موعد بالثواب الذي يرضيه ويقر عينه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والليل أعطاه الله حتى يرضى وعافاه من العسر ويسره لليسر

﴿سورة والضحى مكية وهي احدى وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

المراد بالضحى وقت الضحى وهو صدر النهار حين ترتفع الشمس وتلقى شعاعها وقيل الغداة ص وقت الضحى بالقسم لانه الساعة التي كلم فيها موسى عليه السلام والتي فيها السحرة سجدا وقوله وأن يحشر الناس ضحى وقيل أريد بالضحى النهار بأسره فيكون قوله أن يأتيهم بأسنا ضحى في معنى قوله بياتا (سجى) سكن وركد ظلامه وقيل ليله سجيا سكنت الريح وقيل معناه سكون الناس والاصوات فيه وسجا البحر سكنت أمواجه وطرف ساج ساكن فاتر (ما ودعك) جواب القسم ومعناه ما قطعك قطع الموادع وقرئ بالتخفيف يعني ما تركك قال

وثم ودعنا آل عمرو وعامر * فرائس أطراف المثقفة السمر

والتوديع مبالغة في الودع لان من ودعك مفارقا فقد بالغ في تركك روي أن الوحي قد تأخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أياما فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه وقيل ان أم جميل امرأة أبي لهب قالت له يا محمد ما أرى شيطانك الا قد تركك فنزلت * حذف الضمير من على كحذفه من الذاكرات في قوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات يريد والذاكراته وخمر وفاري فهدي فأتى وهو اختصار لفظي للمضمر والمحذوف (فان قلت) كيف اتصل قوله (وللآخرة خير لك من الاولى) بما قبله (قلت) لما كان في ضمن نفي التوديع والقلى ان الله واصلك بالوحي اليك وانك حبيب الله ولا ترى كرامة أعظم من ذلك ولا نعمة أجل منه أخبره أن حاله في الآخرة أعظم من ذلك وأجل وهو السبق والتقدم على جميع أنبياء الله ورسله وشهادة أمته على سائر الامم ورفع درجات المؤمنين وأعلاء مراتبهم بشفاعته وغير ذلك من الكرامات السنية (ولسوف يعطيك ربك فترضى) موعد شامل لما أعطاه في الدنيا من الفلج والظهور بأعدائه يوم بدر ويوم فتح مكة ودخول الناس في الدين أفواجا والغنائم التي قريظة والنضير وأجلائهم وبث عساكره وسراياه في بلاد العرب وما فتح على خلفائه الراشدين في أقطار الارض من البلاد وهدم بأيديهم من ممالك الجبابرة وأموالهم من كنوز الاكاسرة وما قذف في قلوب أهل الشرق والغرب من الرعب وتهيب الاسلام وفشو الدعوة واستيلاء المسلمين ولما ادخر له من الثواب الذي لا يبلغ كنهه الا الله قال ابن عباس رضي الله عنهما له في الجنة ألف قصر من لؤلؤ أبيض تربته المسك (فان قلت) ما هذه اللام الداخلة على سوف (قلت) هي لام الابتداء التي تدخل مضمون

يفكر ويقدر والله أعلم

وسيجنبها الاتقى الذي يؤتي ماله يتزكى وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ولسوف يرضى

﴿سورة والضحى مكية وهي احدى وعشرون آية﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى وللآخرة خير لك من الاولى ولسوف يعطيك ربك فترضى

(القول في سورة الضحى)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿قوله تعالى وللآخرة خير لك من الاولى (قال ان قلت كيف اتصل بما قبله وأجاب بأنه لما كان في ضمن التوديع والقلى ان الله سواصلك بالوحي اليك الخ) قال أحمد وانواع أهل الكبائر من النار بشفاعته مضاف الى ذلك ما عاد كلامه (قال) ثم وعده بقوله ولسوف يعطيك ربك فترضى وعده اشمل لجميع ما أعطاه في الدنيا من الفتوحات والنصر وغير ذلك

الجملة والمبتدأ محذوف تقديره ولانت سوف يعطيك كما ذكرنا في لا أقسم أن المعنى لا أنا أقسم وذلك أنها لا تخلو من أن تكون لام قسم أو ابتداء فلام القسم لا تدخل على المضارع الا مع نون التأكيد فبقي أن تكون لام الابتداء ولام الابتداء لا تدخل الا على الجملة من المبتدأ والخبر فلا بد من تقدير مبتدأ وخبر وأن يكون أصله ولأنت سوف يعطيك (فان قلت) ما معنى الجمع بين حرفي التوكيد والتأخير (قلت) معناه أن العطاء كائن لا محالة وان تأخر فلما في التأخير من المصلحة * عدد عليه نعمه وآياديه وأنه لم يخله منها من أول تربيته وابتداء نشئه ترشيحا لما أراد به ليقيس المترقب من فضل الله على ما سلف منه لئلا يقنع الا الحسنى وزيادة الخير والكرامة ولا ينتهي صدره ولا يقل صبره و (ألم يجدك) من الوجود الذي بمعنى العلم والمنصوبان منصوبا وجد والمعنى ألم تكن يتيما وذلك أن أباه مات وهو بنين فدأت عليه ستة أشهر وماتت أمه وهو ابن ثماني سنين وكفله جده أبو طالب وعطفه الله عليه فأحسن تربيته ومن بدع التفاسير أنه من قولهم درة يتيمة وأن المعنى ألم يجدك وحيدا في قريش عديم النظير فآواك * وقرئ فأوى وهو على معنيين اما من أواه بمعنى آواه مع بعض الزعاة يقول أين أوى هذه اللوقسة واما من أوى له اذا رحمه (ضالا) معناه الضلال عن علم الشرائع وما طريقه السمع كقوله ما كنت تدري ما الكتاب وقيل ضل في صباه في بعض شعاب مكة فرده أبو طالب الى عبد المطلب وقيل أضلته حليمة عند باب مكة حين فطمته وجاءت به لترده على عبد المطلب وقيل ضل في طريق الشام حين خرج به أبو طالب * فهداك فعرفك القرآن والشرائع أو فآنس ضلالك عن جدك وعمك ومن قال كان على أمر قومه أربعين سنة فان أراد أنه كان على خلو هم من العلوم السمعية نعم وان أراد أنه كان على دينهم وكفرهم فحاشا لله والأنبياء يجب أن يكونوا معصومين قبل النبوة وبعدها من الكبائر والصغائر الشائنة قبائل الكفرة والجهل بالعالم ما كان لله أن نشر لك للشرح شيئا وكفى بالشيء نقيصة عند الكفار أن يسبق له كفر (عائلا) فقيرا وقرئ عيلا كقوله عيلا طورا بعد طور (فأغنى) فأغناك بمال خديجة أو بما أفاء عليك من الغنائم قال عليه السلام جعل رزقي تحت ظل رمحي وقيل قنعك وأغنى قلبك (فلا تقهر) فلا تغلبه على ماله وحقه لضعفه وفي قراءة ابن مسعود فلا تكهر وهو أن يعبس في وجهه وفلان ذو كهرورة عابس الوجه ومنه الحديث نبأني وأمي هو يا كهر في النهر والنهم الزجر وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا رددت السائل فلا تنهره بالتحدث نعمة الله شكرها واشاعتها ذكرها من نعمة الايواء والهداية والاغناء وما عدد ذلك وعن مجاهد بالقرآن حدث أمره وبلغ ما أرسلت به وعن عبد الله بن غالب الله كان اذا أصبح يقول رضي الله الرحمة حيرا قرأت كذا وصليت كذا فاذا قيل له يا أبا فراس مثلك يقول مثل هذا قال يقول الله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث وأنتم تقولون لا تحدث بنعمة الله واقع يجوز مثل هذا التأديب الالتفات أن يتأدب به غيره وأمن على نفسه الفتنة والمرء أفضل ولم يكن فيه الا التشبه بأهل الرياء والسمعة لكونه * وفي قراءة علي رضي الله عنه شكرا لما أنك كنت يتيما وضالا وعائلا فآواك الله وهداك وأغناك فهما أبكي من شيء وعلى ما حيلت فلا نفس نعمة الله عليك في هذه الثلاث واقتدائه فتعطف على اليتيم وآوه فقد ذاق اليتم وهو وأيت كيف فعل الله بك وترحم على السائل وتعهده بما وقتك ولا تزجره عن بابك فأرجى لك وأغناك بعد الفقر وحدث بنعمة الله كلها ويدخل تحت هذه الجملة الضلال وتعليم الشرائع والقرآن مقتديا بالله في أن هداه من الضلال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والضحى حمله الله ثمن يرضى محمد أن يشفع له وعشر حسنات بكتب الله له بعدد كل يتيم وسائل

﴿سورة ألم نشرح مكية وهي ثماني آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* استفهم عن انتفاء الشرح على وجه الانكار فأفاد اثبات الشرح وايجابه فكأنه قيل شرحنا لك صدرك

ولذلك

ألم يجدك يتيما فآوى
ووجدك ضالا فهدى
ووجدك عائلا فأغنى
فأما اليتيم فلا تقهر
وأما السائل فلا تنهر
وأما بنعمة ربك فحدث

ولذلك عطف عليه وضمنا اعتبار المعنى ومعنى شرحنا صدرك فسحناه حتى وسع هموم النبوة ودعوة الثقلين جميعا أو حتى احتمل المكاره التي يتعرض لك بها كفار قومك وغيرهم أو حططنا عنك أوزارك التي أثقلت ظهرك من أعباء العلوم والحكم وأزلنا عنه الضيق والحرج الذي يكون مع العي والجهل وعن الحسن على حكمة وعلما وعن ابن جبير المعنى ألم نشرح بفتح الهاء وقالوا لغة بني الحارث شعهان شحرحها فتح السامع أنه فتحها * والوزر الذي أنقض ظهره أي حمله على النقيض وهو صوت الانتقاض والانتكاث لثقله مثل لما كان يثقل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويغمه من فرطه قبل النبوة أو من جهله بالاحكام والشرائع أو من تهالكه على اسلام أولي العناد من قومه وتلهفه * ووضعه عنه أن عرفه أو علم الشرائع أو مهد عذره بعد ما بالغ وبالغ وقرأ أنس وحططنا وحططناوزرا بن مسعود وحللنا عنك وقرئ * ورفعنا ذكره أن قرن بذكر الله في كلمة الشهادة والاذان والاقامة والتشهد والخطب وفي غير موضع من القرآن والله ورسوله أحق أن يرضوه ومن يطع الله ورسوله وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وفي تسميته رسول الله ونبي الله ومنه ذكره في كتب الاولين والاخذ على الانبياء وأممهم أن يؤمنوا به (فان قلت) أي فائدة في زيادة لك والمعنى مستقل بدونه (قلت) في زيادة لك معنى لطيف لا يهتدي اليه الا من تدبر وذلك أن المعنى فقهم أن شرحنا لك صدرك قبل صدرك هكذا وضع هما علما وكذلك لك ذكرك وعملك وزرك (فان قلت) كيف تعلق قوله (فان مع العسر يسرا) بما قبله (قلت) كان المشركون يعيرون رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالفقر والشدة حتى سبق الى وهمهم وتصاغر عن الاسلام لاستقلال أهله واستحقارهم فذكر لهم ما أنعم به عليه من جلائل النعم ثم قال فان مع العسر يسرا كأنه قال خولناك ما خولناك فلا تأس من فضل الله فان مع العسر الذي أنتم فيه يسرا (فان قلت) ان مع للصحبة فما معنى اصطحاب اليسر والعسر (قلت) لما أن الله تعالى يسر بعد العسر الذي كانوا فيه بزمان قريب فقرب اليسر المترقب حتى جعله كالمقارن للعسر زيادة في التسلية وتقوية القلوب (فان قلت) ما معنى قول ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما لن يغلب عسر يسرين وقد روي مرفوعا أنه خرج صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو يضحك ويقول لن يغلب عسر يسرين (قلت) هذا داخل على الظاهر وبناء على قوة الرجاء وأن هو عند الله لا يجعل الا على أوفى ما يحتمله اللفظ وأبلغه والقول فيه أنه يجعل أن تكون الجملة الثانية تكرير الاولى كما كرر قوله ويل يومئذ للمكذبين لتقرير معناها في النفوس وتمكينها في القلوب وكما يكرر المفرد في قولك بالرغم بالرغم أن تكون الاولى عدة بأن العسر مردوف بيسر لاحقة والثانية عدة مستأنفة بأن العسر مردوف بيسر فهما يسران على تقدير الاستئناف وانما كان لعسر واحد لا يعلم الا الله أن يكون يسر بعقبه (فان قلت) فما المراد باليسرين (قلت) يجوز أن يراد بهما ما تيسر لهم من الفتوح في أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم وما تيسر لهم في أيام الخلفاء وأن يراد يسر الدنيا ويسر الآخرة كقوله تعالى قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين وهما حسنى الظفر وحسنى الثواب (فان قلت) فما معنى هذا التفكير (قلت) التفخيم كأنه قيل ان مع العسر يسرا عظيما وأي يسر وهو في مصحف ابن مسعود مرة واحدة (فان قلت) فائدة ثنت في قراءته غير مكررة (قلت) والذي نفسي بيده لو كان العسر في جحر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه انه لن يغلب عسر يسرين (قلت) كأنه قصد باليسرين ما في قوله يسرا من معنى التفخيم فتأوله بيسر الدارين وذلك يسران في الحقيقة (فان قلت) فكيف تعلق قوله (فاذا فرغت فانصب) بما قبله (قلت) لما عدد عليه نعمه السالفة وعده الآتية بعثه على الشكر والاجتهاد في العبادة والنصب فيها وأن يواصل بين بعضها وبعض ويتابع ويحرص على أن لا يخلي وقتا من أوقاته منها فاذا فرغ من عبادة ذنبها بأخرى وعن ابن عباس فاذا فرغت من صلاتك فاجتهد في الدعاء وعن الحسن فاذا فرغت من الفرض فاجتهد في العبادة وعن مجاهد فاذا فرغت من دنياك فانصب في صلاتك

ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك فان مع العسر يسرا فاذا فرغت فانصب

قوله القول في سورة ألم نشرح

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله تعالى ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك (قال فيه ان قلت ما فائدة لك مع ان الاضافة تغني عنه الخ) قال أحمد وقد تقدم عند الكلام على نظيرها في قوله قال رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري قبيل من هذا المعنى والله أعلم

وعن الشعبي أنه رأى رجلا يسيل جرافقال ليس بهذا أمر الفارغ وقعود الرجل فارغا من غير شغل أو اشتغاله بما لا يعنيه في دينه أو دنياه من سنه الرأي وسخافة العقل واستيلاء الغفلة وقد قال عمر رضي الله عنه اني لأكره أن أرى أحدكم فارغا ليس في شيء من أمر دنياه ولا في عمل آخرة وقرأ أبو السمال فرغت بكسر الراء وليست بفصيحة ومن البدع ما روى عن بعض الرافضة انه قرأ فانصب بكسر الصاد أي فانصب عليا للامامة ولو صح هذا للرافضي لفهم الناصبي أن يقرأ هكذا ويجعله أمرا بالنصب الذي هو بغض علي وعداوته (والى ربك فارغب) واجعل رغبتك اليه خصوصا ولا تسأل الا فضله متوكلا عليه وقرئ ترغب أي ترغب الناس الى طلب ما عنده عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ ألم نشرح فكأنما جاءني وأنا مهتم فرج عني

﴿سورة والتين مكية وهي ثمان آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* أقسم بهما لانهما عجيبان من بين أصناف الاشجار المثمرة روي أنه أهدي لرسول الله صلى الله عليه وسلم طبق من تين فاكل منه وقال لاصحابه كلوا فلو قلت ان فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه لان فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فانها تقطع البواسير وتنفع من النقرس وهو معلق بين حبل بشجرة الزيتون فأخذ منها قضيبا واستاك به وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب بالحفرة وسمعته يقول هي سواكي وسواك الانبياء قبلي وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو تينكم هذا وزيتونكم وقيل جبلان من الارض المقدسة يقال لهما بالسريانية طور تينا وطور زيتا لانهما منبتا التين والزيتون وقيل التين جبل ما بين حلوان وهمذان والزيتون جبال الشام لانهما منبتاهما كانه قيل ومنابت التين والزيتون * وأضيف الطور وهو الجبل الى سينين وهي البقعة وهو سيناء يجوز في الاعراب بالواو والياء والاقرار على الياء مع تحريك النون بحركات الاعراب * والبلد مكة حماها الله * والامين من أمن الرجل أمانة فهو أمين وقيل أمان كما قيل كرام في كريم وأمانته أن يحفظ من دخله كما يحفظ الامين ما ائتمن عليه ويجوز أن يكون فعيلا بمعنى مفعول من أمنه لانه مأمون الغوائل كما وصف بالامن في قوله تعالى سرحا آمنا بمعنى ذي أمن ومعنى القسم بهذه الاشياء لابانتها في شرف البقاع المباركة ومطارح مهابط الخير والبركة بسكنى الانبياء والصالحين فجنب التين والزيتون مهابط ابراهيم وموسى وعيسى ومنشؤ وا الطور المكان الذي نودي منه موسى ومكة مكان البيت الذي هو هدى للعالمين ومولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعثته (في أحسن تقويم) ان أحسن تعديل لشكله وصورته وتسوية لاعضائه * ثم كان عاقبة أمر من لم يشكر نعمة تلك الخلقة الحسنة التقويمة السوية ان رددناه أسفل من سفل خلقا وتركيبا وهي أقبح صورة وأشوهه خلقة وهم أصحاب النار أو أسفل من سفل من أهل الدركات أو ثم رددناه بعد ذلك التقويم والتحسين أسفل من سفل في حسن الصورة والشكل حيث نكسناه في خلقه فتوسط ظهره بعد اعتداله وابيض شعره بعد سواده وتشنن جلده وكان يضلوكل سمعه وبصره وكان احديدين وتغير كل شيء منه فمشيه كليف وصوته خفات وقوته ضعف وشهامته صرف وقرأ عبد الله أسفل السافلين (فان قلت) فكيف الاستثناء على المذهبين (قلت) هو على الاول متصل ظاهر الاتصال وعلى الثاني منقطع يعني ولكن الذين كانوا صالحين من الهرمى فلهم ثواب دائم غير مقطوع على ما عنهم وصبرهم على ابتلاء الله اياهم بالشيخوخة والهرم وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة على تخاذل نهوضهم (فان قلت) (فما يكذبك) من المخاطب به (قلت) هو خطاب للانسان على طريقة الالتفات أي فما يجعلك كاذبا بسبب الدين وانكاره بعد هذا الدليل يعني أنك تكذب اذا كذبت بالجزاء لان كل مكذب بالحق فهو كاذب فأي شيء يضطرك الى أن تكون كاذبا بسبب تكذيب الجزاء * والمراد بما شاق قوله تعالى الذين يتوفاهم والذين هم به مشركون والمعنى أن خلق الانسان من نطفة وتهويه بتدريجه في مراتب الزيادة الى أن يكمل ويستوي ثم تنكيسه الى أن يبلغ أرذل العمر

والى ربك فارغب

﴿سورة والتين مكية وهي ثمان آيات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون فما يكذبك بعد بالدين

(القول في سورة والتين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين (قال فيه) خلقناه في أحسن تعديل لشكله وصورته وتسويه أعضائه الخ

لا ترى دليلا أوضح منه على قدرة الخالق وأن من قدر من الانسان على هذا كله لم يعجز عن اعادته فما سبب تكذيبك أيها الانسان بالجزاء بعد هذا الدليل القاطع وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم (أليس الله بأحكم الحاكمين) وعيد للكفار وأنه يحكم عليهم عاهم أهله وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان اذا قرأها قال بلى وأنا على ذلك من الشاهدين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والتين أعطاه الله حسنات التامة واليقين ما دام في دار الدنيا واذا مات أعطاه الله من الاجر بعدد من قرأ هذه السورة

أليس الله بأحكم الحاكمين

﴿سورة العلق مكية وهي تسع عشرة آية﴾

سورة العلق مكية وهي تسع عشرة آية

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

عن ابن عباس ومجاهد هي أول سورة نزلت وأكثر المفسرين على أن الفاتحة أول ما نزل ثم سورة القلم ﴿ اقرأ (باسم ربك) النصب على الحال أي اقرأ مفتتحا باسم ربك قل بسم الله ثم اقرأ (فان قلت) كيف قال (خلق) فلم يذكر له مفعولا ثم قال (خلق الانسان) (قلت) هو على وجهين اما أن لا يقدر له مفعول وأن يراد أنه الذي حصل منه الخلق واستأثر به لا خالق سواه واما أن يقدر وأراد خلق كل شيء فيتناول كل مخلوق لانه مطلق فليس بعض المخلوقات أولى بتقديره من بعض وقوله خلق الانسان تخصيص للانسان بالذكر من بين ما يتناوله الخلق لان التنزيل اليه وهو أشرف ما على الارض وصور أن يراد الذي خلق الانسان كما قال الرحمن علم القرآن خلق الانسان فقيل الذي خلق مبهما ثم فسره بقوله خلق الانسان تنبيها لخلق الانسان ودلالة على عجيب فطرته (فان قلت) لم قال (من علق) على الجمع وانما خلق من علقة كقوله من نطفة ثم من علقة (قلت) لان الانسان في معنى الجمع كقوله ان الانسان لفي خسر (الاكرم) الذي له الكمال في زيادة كرمه على كل كريم ثم كرمه على عباده النعم التي لا تحصى وجلائل عطاياهم بالعفو وتمام كرمهم وجودهم انه سمى ورود هم للناس واطراحهم الاوامر وقبول توبتهم وتجاوزهم بعد اقتراف العظائم فما أكرمه من غاية ولا أجوده كأنه ليس وراء الاكرم بما ازاد الفوائد العليمة أكرم حيث قال الاكرم (الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم) دال على كمال كرمه بأنه علم عباده ما لم يعلموا بتقليم من ظلمة الجهل الى نور العلم وبه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة التي لا يحصيها الا هو ومما دونت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت أخبار الاولين وما قالوا لهم ولا كتب الله المنزلة الا بالكتابة ولولاها لما استقامت أمور الدين والدنيا ولو لم يكن على دقيق حكمة الله ولطيف تدبيره دليل الا أمر القلم والخط لكفى به والبعض هي صفة القلم

وروائع خرس كلما سألتها * نطقت بألسنة أبين من الذي

سود القوائم ما يجد مسيرها * الا اذا لعبت بها بيض الذي

وقرأ ابن الزبير علم الخط بالقلم (كلا) ردع عن كفرهم نعمة الله عليه بطغيانهم وان لهم بكرة لا لان الكلام عليه (أن رآه) أن رأى نفسه يقال في أفعال القلوب رأيتني وعلمتني وذلك بعض خصائصها وهو معنى الرؤية العلم ولو كانت بمعنى الابصار لامتنع في فعلها الجمع بين الضميرين و (استغنى) هو المفعول الثاني (ان الى ربك الرجعى) واقع على طريقة الالتفات الى الانسان تهديدا له وتحذيرا من عاقبة الطغيان والرجعى مصدر كالبشرى بمعنى الرجوع وقيل نزلت في أبي جهل وكذلك (أرأيت الذي ينهى) وروى أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ألم أنهك أن تصلي فأجعل لك ما بين الجبال مكة فضة وذهبا فقال ان شئت فعلت ذلك ثم ان لم تؤمنوا لتنابهم ما فعلنا بأصحاب المائدة فكذب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاداء ابقاء عليهم وروى عنه لعنه الله أنه قال هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم قالوا نعم قال فو الذي يحلف به لئن رأيته لوطأن عنقه فجاء ثم نكص على عقبيه فقالوا له مالك يا أبا الحكم فقال ان بيني وبينه لخندقا من نار وهولا وأجنحة فقال رأيت الذي ينهى ومعناه أخبرني عن ينهى بعض عباد الله عن صلاته ان كان ذلك الناهي على طريقة سديدة فيما ينهى عنه من عبادة الله أو كان آمرا بالمعروف والتقوى فيما

﴿القول في سورة اقرأ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله تعالى ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى (قال) الرؤية ههنا من رؤية القلب وذلك على ثلاثة أنحاء لو كانت بمعنى الابصار لامتنع الخ

يأمره من عبادة الأوثان كما يستفاد وكذلك ان كان على التكذيب للحق والتولى عن الدين السمح كما يقول تحس (ألم يعلم بأن الله يرى) ويطلع على أحواله من هداه وضلاله فيجازيه على حسب ذلك وهذا وعيد (فان قلت) ما متعلق أرأيت (قلت) الذى ينبئ مع الجملة الشرطية وهما فى موضع المفعولين (فان قلت) فأين جواب الشرط (قلت) هو محذوف تقديره ان كان على الهدى أو أمر بالتقوى ألم يعلم بأن الله يرى وانما حذف للدلالة ذكره فى جواب الشرط الثانى (فان قلت) فكيف صح أن يكون ألم يعلم جوابا للشرط (قلت) كما صح فى قولك ان أكرمتنى أكرمتك أن يكون زيد هل تحسن اليه (فان قلت) فما أوأيت الثانية وتوسطها بين مفعولى أرأيت (قلت) هى زائدة مكررة للتوكيد وعن الحسن انه أتى بن خلف كان ينهى سلمان عن الصلاة (كلا) ردع لأبى جهل وخصوصا عن نهيه عن عبادة الله تعالى وأمره بعبادة الالات ثم قال (لئن لم ينته) عما هو فيه (لنسفعا بالناصية) لنأخذن بناصيته ولنسحبنه بها الى النار والسفع القبض على الشئ وجذبه بشدة قال عمرو بن معدى كرب

فوم اذا لاقيت صرخى رأيتهم * من بين ملجم مهره أو سافع

وقرئ لنسفعن بالنون المشددة وقرأ ابن مسعود ليسفعا وكتبوا بالالف على حكم الوقف واعلم أنها ناصية الكذوب الخاطئ بدل النكرة المهدد عن الاضافة (ناصية) بدل من الناصية وجاز بدلها عن المعرفة وهى نكرة لأنها وصفت فاستقلت بفائدة وقرئ ناصية على هى ناصية وناصيته الكذب وكذا هما على التشتم * ووصفها بالكذب والخطإ على الاسناد المجازى وهما فى الحقيقة لصاحبها وفيه من الحسن والجزالة ما ليس فى قولك ناصية كاذبة خاطئة * والنادى المجلس الذى ينتدى فيه القوم أى يجتمعون والمراد أهل النادى كما قال جرير * هم مجلس صهب السبال أذلة * وقال زهير * وفيهم مقامات حسان وجوههم * والقائمة لمجلس روى أن أبا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى فقال ألم أنهك فانتهره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أتهددنى وأنا أكثر أهل الوادى ناديا فنزلت * وقرأ ابن أبى عبلة سندعى الزبانية على البناء للمفعول والزبانية فى كلام العرب الشرط الواحد زبنية كعفرية من الزبن وهو الدفع وقيل زبنى وكانه نسب الى الزبن بتغيير للنسب كقولهم امسى وأصله زبانى فقيل زبانية على التعويض والمراد ملائكة العذاب وعن النبى صلى الله عليه وسلم لو دعا ناديه لاخذته زبانية عيانا (كلا) ردع لأبى جهل (لا تطعه) أى ثبت على ما أنت عليه من عصيانك كقوله فلا تطع المكذبين (واسجد) دم على سجودك يريد الصلاة (واقترب) وتقرب الى ربك وفى الحديث أقرب ما يكون العبد الى ربه اذا سجد من رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العلق أعطى من الاجر كمن قرأ القرآن كله

﴿سورة القدر مختلف فيها وهى خمس آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* علم القرآن من ثلاثة أوجه أحدها أن أسند الله اليه وجعله مختصا به دون غيره والثانى أنه جاء ضميره دون اسمه الظاهر شهادة له بالنباهة والاستغناء عن التنبيه عليه والثالث الرفع من مقدار الوقت الذى أنزل فيه روى أنه أنزل جملة واحدة فى ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا وأملاه جبريل على السفرة ثم كان ينزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوما فى ثلاث وعشرين سنة وعن الشعبى المعنى أنا ابتدأنا انزاله فى ليلة القدر واشتقاق ليلة القدر من قولهم قدر الأمير الجند اذا رزقهم وسماها أكثرهم على أنها فى شهر رمضان فى العشر الأواخر وأوتارها وأكثر القول أنها السابعة منها والعمل الدائم الى انقضائها أن يحيى من يريدها الليالى الكثيرة طلبا لما وافقها فكثر عبادته ويتضاعف ثوابه وأن لا يتكل الناس عند اظهارها على اصابة الفضل فيواقعوا فيما فرط فى غيرها * ومعنى ليلة القدر ليلة تقدير الأمور وقضائها من قوله تعالى فيها يفرق كل أمر حكيم وقيل سميت بذلك لخطرها وشرفها على سائر الليالى (وما أدراك ما ليلة القدر) يعنى ولم تبلغ درايتك غاية فضلها ومنتهى علو قدرها * ثم بين له

عما هم فيه من الضلالة حتى تأتيهم البينة وهي الحجة الواضحة التي هي محمد صلى الله عليه وسلم يتلو عليهم صحفا مطهرة من الباطل فيها كتب قيمة أي مستقيمة ناطقة بالحق والعدل والمراد بالصحف ما فيها من المعاني وهي القرآن وما تفرق الذين أوتوا الكتاب في أمر محمد صلى الله عليه وسلم وجحدوا نبوته إلا من بعد ما جاءتهم البينة وهي معجزاته الظاهرة وما أمروا في التوراة والإنجيل إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء أي مائلين عن الأديان الباطلة إلى دين القيمة أي دين الملة القيمة وهي ملة إبراهيم عليه السلام ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكوة وذلك دين القيمة أن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه

﴿سورة الزلزلة تسع آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(إذا زلزلت الأرض زلزالها) قرئ بكسر الزاي وفتحها فالكسر مصدر والفتح اسم لما يتزلزل به الإنسان كالزلزال بالفتح للأمر الشديد الفاعل (فإن قلت) ما معنى زلزالها بالإضافة (قلت) معناه زلزالها الذي هو حق شدتها وهو شدة الله

والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام هي حتى مطلع الفجر

﴿سورة القدر مكية وهي ثلاث آيات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة رسول من الله يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكوة وذلك دين القيمة إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه

﴿سورة الزلزلة تسع آيات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

إذا زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أثقالها

الآيات (قال قيم)

﴿القول فى سورة الزلزلة﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) * قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره (قال فيه ان قلت حسنات الكافر محبطة بالكفر الخ) قال أحمد السؤال مبنى على قاعدتين احداهما ان حسنات الكافر محبطة بالكفر وهذه فيها نظر فان حسنات الكافر محبطة أى لا ثواب عليها ولا يلزم من ذلك تخفيف العذاب تشبيها بغير منكر فقد وردت به الاحاديث الصحيحة وقد ورد ان حاتما يخفف (٥٥٦) الله عنه لكرمه ومعروفه وورد ذلك فى حق غيره كان طالب أيضا فحينئذ حسنات الكافر

وهو الزلزال الشديد الذى ليس بعده ونحوه قولك أكرمه لتقى أكرمه وأهن الفاسق اهانته تريد ما يستوجبانه من الاكرام والاهانة أو زلزالها كله وجميع ما هو ممكن منه * الاثقال جمع ثقل وهو متاع البيت وثقل أثقالا كرجل ما فى جوفها من الدفائن أثقالها (وقال الانسان مالها) زلزلت هذه الزلزلة الشديدة ولفظت ما فى بطنها وذلك عند النفخة الثانية حين تزلزل وتلفظ أمواتها أحياء فيقولون ذلك لما يبرهم من الامر العظيم لا يقولون من عند انفسهم عرفنا وقيل هذا قول الكافر لانه كان لا يؤمن بالبعث فأما المؤمن فيقول هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون (فان قلت) ما معنى تحديث الارض والايحاء لها (قلت) هو مجاز عن احداث الله تعالى فيها من الاحوال ما يقوم مقام التحديث باللسان حتى ينظر من يقول مالها الى تلك الاحوال فيعلم زلزلتها ولفظت الاموات وأن هذا ما كانت الانبياء ينذرونه ويحذرون منه وقيل ينطقها الله على الحقيقة وتخبر بما عمل عليها من خير وشر وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تشهد على كل أحد بما عمل على ظهرها (فان قلت) اذا يومئذ ما استعمال (قلت) يومئذ بدل من اذا وناصبهما تحدث ويجوز أن ينتصب اذا بمضمر ويومئذ تحدث (فان قلت) أين مفعولا تحدث (قلت) أحدهما أوهما والثانى أخبارها وأسند تحدث الحاق أخبارها الآن المقصود ذكر تعديها الاخبار لا ذكر الحاق تعظيما لليوم (فان قلت) بم تعلقت الباء فى قوله (بأن ربك) (قلت) تحدث معناه تحدث أخبارها بسبب ايحاء ربك لها وأمرها اياها الحديث ويجوز أن يكون المعنى يومئذ تحدث الحديث أن ربك أوحى لها أخبارها على أن تحديثها بأن ربك أوحى لها حديث بأخبارها لما تقول تحدثنى كل نصيحة بأن أخشى فى الدين ويجوز أن يكون بأن ربك بدلا من أخبارها كأنه قيل يومئذ تحدث بأخبارها أن ربك أوحى لها لانك تقول حدثته كذا وحدثته بكذا و(أوحى لها) معنى أوحى اليها وهو مجاز كقوله أن تقول له كن فيكون قال * أوحى لها القرار فاستقرت * وقرأ ابن مسعود وتنبئ أخبارها بسيد بن حبيب بنى بالتخفيف * يصدرون من أصدره اذا رده وانما بنى للمفعول لان الغرض بيان الموقف الذى يصدرون فيه وهو أشتات متفرقين بحسب مقار هم من الجنة والنار * ليروا جزاء أعمالهم وقرئ ليروا بالفتح * وقرأ ابن عباس وزيد بن على رءاهم الصم وحكى أن اعرابيا أقرئ خيرا يره فقال له قصمت وأنت فقال

خذا بطن هرشى أو قفاها فانك * كلا جانبى هرشى لهن طريق

* والذرة النملة الصغيرة وقيل الدرة ما يرى فى شعاع الشمس من الهباء (فان قلت) حسنات الكافر محبطة بالكفر وسيأتى ان المؤمن معذور بما جتنب الكبائر فما معنى الجزاء بمثاقيل الذر من الخير والشر (قلت) المعنى فمن يعمل مثقال ذرة خير امن فريق السعداء من يعمل مثقال ذرة شرا من فريق الاشقياء لانه جاء بعد قوله يصدر الناس أشتاتا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة اذا زلزلت أربع مرات كان قد قرأ القرآن كله

﴿سورة والعاديات ختلف فيها وهى احدى عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* أقسم بخيل الغزاة تعدو وتضبح * والضبح صوت أنفاسها اذا عدون وعن ابن عباس انه حكاه فقال أح أح

أو مالق تخفيف الذنب فيمكن أن يكون المرئى هو ذلك الا ثر والله أعلم وأما القاعدة الثانية وهى القول بأن اجتناب الكبائر يوجب تكفير الصغائر ويكفرها عن المؤمن فمردود عند أهل السنة فان الصغائر عندهم

وقال الانسان مالها يومئذ تحدث أخبارها بأن ربك أوحى لها يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره

﴿سورة والعاديات وهى احدى عشرة آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

والعاديات ضبحا

حكمها فى التكفير حكم الكثير تكفر باحد أمرين اما بالتوبة النصوح المقبولة واما بالمشيئة لا غير ذلك واما اجتناب الكبيرة فمذهبهم فلا يوجب التكفير للصغيرة

قال السؤال الذى ذكره اذا استطاع أهل السنة ولكن الزمخشرى التزم الجواب عنه للزومه على قاعدته الفاسدة والله الموفق قال

(القول فى سورة والعاديات) (بسم الله الرحمن الرحيم) قوله تعالى والعاديات ضبحا الآية (قال) أقسم بخيل الغزاة تعدو وتضبح والضبح صوت أنفاسها (الخ) قال أحمد وهذه الآية من حكمة الايتان بالمعرف معطوفا على الاسم فتقول انما عطف أثر على الاسم الذى هو العاديات وما بعده لانها أسماء فاعلين دالين على معنى الفعل وحقائقهم هذا المعطوف فعلا عن اسم فاعل تصور هذه الافعال فى النفس فان التصور

قال عنترة والخيل تكدح حين تضبح في حياض الموت ضبحا

وانتصاب ضبحا على يضبحن ضبحا أو بالعاديات كانه قيل والضابحات لان الضبح يكون مع العدو أو على الحال أي ضابحات (فالموريات) توري نارا المباحث وهي ما تقدح من حوافرها (قدحا) قادحات صاكات حوافرها الحجارة والقدح الصك والايراء اخراج النار تقول قدح فأورى وقدح فاصلد واقتصت قدحا بالنصب به ضبحا (فالمغيرات) تغير على العدو (صبحا) في وقت الصبح (فأثرن به نقعا) فهيجن بذلك الوقت غبارا (فوسطن به) بذلك الوقت أو بالنقع أي وسطن النقع الجمع أو فوسطن ملتبسات به (جمعا) من جموع الاعداء ووسطه بمعنى توسطه وقيل الضمير لمكان الدارة وقيل للعدو الذي دل عليه والعاديات ويجوز أن يراد بالنقع الصياح من قوله عليه السلام ما لم يكن نقع ولا لقلقة وقول لبيد فثنى بقيع صراخ صادق أي فهيجن في الغار عليهم صياحا وجلبة وقرأ أبو حيوة فأثرن بالتشديد بمعنى فأظهرن به غبارا لان التأثير فيه بمعنى الاظهار أو قلب ثرن الى وثرن وقلب الواو همزة وقرئ فوسطن بالتشديد للتعدية والباء مزيدة للتوكيد كقوله وأتوا به وهي مالقة في رسلها وعن ابن عباس كنت جالسا في الحجر فجاءني رجل فسألني عن العاديات ضبحا فسرتها بالخيل فذهب الى علي وهو تحت سقاية زمزم فسأله وذكر له ما قلت فقال ادعه لي فلما وقفت على رأسه قال لعلك تفتي الناس بما لا علم لك به والله كانت لاول غزوة في الاسلام بدرا وما كان معنا الا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد فالعاديات ضبحا الابل من عرفة الى المزدلفة ومن المزدلفة الى منى كذا صحت الرواية فقد استعير الضبح للابل كما استعير انشاء الحافر للانسان والشفتان للفرس والنقر للشعير وما أشبه ذلك وقيل الضبح لا يكون الا للفرس والكلب والثعلب وقيل الضبح يقال صحت الابل وضبعت اذا عدت أصابها داء في الجوف وليس بثبت وجمع هو الزدلفة (فان ثلث) علام عطف فأثرن (ثلث) على الفعل الذي وضع اسم الفاعل موضعه لان المعنى والذي عدون فأورين فأثرن به الكنود الكفور وكنده النعمة كنود اوضعه معنى كندة لانه كندا بأبيه فعاقه وعن الكلبي الكنود بلسان كندة العاصي وبلسان بني مالك البخيل وبلسان مضر وربيعة الكفور بمعنى انه لنعمة ربه لكنود وانه لشديد الكفران لان تفريطه في شكر نعمة غير الله تفريط قريب لقارنة النعمة لان أجل ما أمر به على الانسان من سائر نعمة أبويه وان نظماها في جنب أدنى نعمة الله قليل ضئيلة (وانه) وان الانسان (على ذلك) على كنوده (لشهيد) شاهد على نفسه ولا يقدر أن يجحده لظهور أمره وقيل وان الله على كنوده لشاهد على سبيل الوعيد (لحب) المال من قولهم تعالى ان تركخيرا الخير المال يقال فلان شديد وشديد قال علقمة

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفي * عقيلة مال الفاحش المتشدد

يعني وانه لاجل حب المال وأن انفاقه يثقل عليه لبخيل ممسك أو ان ابا الشديد القوي وانه لحب المال والبخل الذي ينبو طبعه قوي عظيم وهو حري عباد الله وشكر نعمته ضعيف نحيز تقول هو شديد هذا الامر وقوي له اذا كان مطيقا له ضابطا أو أراد انه لحب الخيرات غير هين متيسر وانه لشديد بخيل (بعثر) بحث وقرئ بحثر وبحث وبعثر وحصل على بناء الفاعل وحصل بالتخفيف * ومعنى حصل جمع في الصحف أي أظهر حصلا مجموعا وقيل ميز بين خيره وشره ومنه قيل للمخ الحصل * ومعنى عليهم يوم القيامة مجازاته لهم على معتقداتهم لان ذلك أثر خبرهم وشرهم وقرأ أبو السمال ان ربهم بهم يومئذ خبير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العاديات أعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعا

﴿سورة القارعة مكية وهي عشر آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* الظرف نصب بمعرد لت عليه القارعة أي تقرع (يوم يكون الناس كالفراش المبثوث) شبههم بالفراش في الكثرة والانتشار والضعف والذلة والتطاير الى الداعي من كل جانب كما تتطاير الفراش الى النار قال حرير

فالموريات قدحا
فالمغيرات صبحا فأثرن
به نقعا فوسطن به جمعا
ان الانسان لربه لكنود
وانه على ذلك لشهيد
وانه لحب الخير لشديد
أفلا يعلم اذا بعثر ما في
القبور وحصل ما في
الصدور ان ربهم بهم
يومئذ لخبير

﴿سورة القارعة مكية
وهي عشر آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

القارعة ما القارعة وما
أدراك ما القارعة يوم
يكون الناس كالفراش
المبثوث

يحصل بأبراز الفعل
بعد الاسم لما بينهما
من التخالف وهو أبلغ
من التصوير بالاسماء
المناسبة وكذلك
التصوير بالمضارع بعد
الماضي وقد تضمنت
ايماءات وعدت تضمنت
أمر بها أقول
ابن معد يكرب
باني تفاقمت الغول
تهوي
بسهب كالصحيفة
صحصحان
فأضربها بلا دهش
فخرت
صريعا للذين والجران

﴿القول في سورة
القارعة﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* قوله تعالى يوم يكون
الناس كالفراش المبثوث (قال ره) شبهوا حينئذ بالفراش لكثرتهم وانتشارهم الخ

ان الفرزدق ما علمت وقومه * مثل الفراش غشين نار المصطلي

وفي أمثالهم أضعف من فراشة وأذل وأجهل ومي فراشا لتفرشه وانتشاره * وشبه الجبال بالعهن وهو الصوف المصبغ ألوانا لانها ألوان وبالمنفوش منه لتفرق أجزائها وقرأ ابن مسعود كالصوف * الموازين جمع موزون وهو العمل الذي له وزن وخطر عند الله أو جمع ميزان * وثقلها رجحانها ومنه حديث أبي بكر لعمر رضي الله عنهما ما في وصيته له وانما ثقلت موازينهم يوم القيامة باتباعهم الحق وثقلها في الدنيا وحق الميزان لا توضع فيه الا الحسنات أن يثقل وانما خفت موازين من خفت موازينه لاتباعهم الباطل وخفتها في الدنيا وحق الميزان لا توضع فيه الا السيآت أن يخف (فأمه هاوية) من قولهم اذا دعوا على الرجل بالهلكة هوت أمه لانه اذا هوى أي سقط وهلك فقد هوت أمه ثكلا ورزءا قال

هوت أمه ما يبعث الصبح غاديا * وماذا يرد الليل حين يؤوب

وكأنه قيل وأما من خفت موازينه فقد هلك وقيل هاوية من أسماء النار وكأنها النار العميقة فهوى أهل النار فيها مهوى بعيدا كما روي عن بعضهم ثم بالغ فأراد النار وقيل للأوى أم على التشبيه لان الام مأوى الولد ومفزعه وعن قتادة فأمه هاوية أي فأمر رأسه هاوية في قعر جهنم لانه يطرح فيها منكوسا (هيه) ضمير الداهية التي دل عليها قوله فأمه هاوية في التفسير الاول أو ضمير هاوية والهاء للسكت واذا وصل القارئ حذفها وقيل حقه أن لا يدرج لئلا يسقطها الادراج لانها ثابتة في المصحف وقد أجيز اثباتها مع الوصل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القارعة ثقل الله ميزانه يوم القيامة

﴿سورة التكاثر مكية وهي ثمان آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* ألهاكم عن كذا وأقبل اذا شغله و (التكاثر) التباري في الكثرة والتباهي بها وأن يقول هؤلاء نحن أكثر وهؤلاء نحن أكثر روي أن بني عبد مناف وبني سهم تفاخروا أيهم أكثر عددا فكثرهم بنو عبد مناف فقالت بنو سهم ان البغي أهلكنا في الجاهلية فعادونا بالاحياء والاموات فكثرنا بهم بنو سهم والمعنى ألهاكم تكاثركم بالاحياء حتى اذا استوعبتم عدد هم صرتم الى المقابر تتكاثرون بالاموات * حتى زرتم المقابر حتى متم فصرتم في المقابر كأنهم كانوا زوروا المقابر فعدوا فيها وقيل كانوا يزورون القابر فيقولون هذا قبر فلان وهذا قبر فلان عند تفاخرهم والمعنى ألهاكم ذلك وهو مما لا ينبغي ولا يحسن عليكم دنياكم وآخرتكم تهالينكم من أمر الدين الذي هو أهم وأعنى من كل مهم أو أراد ألهاكم التكاثر بالاموال والاولاد الى أن متم وقبرتم منافسين أعمالكم في طلب الدنيا والاستباق اليها والتهالك عليها الى أن أتاكم الموت لا هم لكم غيرها هذا هو أولى بكم من السعي لعاقبتكم والعمل لآخرتكم وزيارة القبور عبارة عن الموت قال

لن يخلص العام خليلي عشرا * ذاق الصماد أو يزور القبرا

وقال

زار القبور أبو مالك * فأصح الأمر وزارها

وقرأ ابن عباس ألهاكم على الاستفهام الذي معناه التقرير (كلا) ردع وتنبيه على أنه لا ينبغي للناظر لنفسه أن تكون الدنيا جميع همه ولا مبلغ علمه (سوف تعلمون) انذار اثر انذار وتهديد اثر تهديد * والتكرير لتأكيد الردع والانذار عليهم و (ثم) دلالة على أن الانذار الثاني أبلغ من الاول وأشد كما تقول للنصوح أقول لك ثم أقول لك لا تغفل والمعنى سوف تعلمون غب ما أنتم عليه اذا عاينتم ما قدامكم من هول لقاء الله وأن هذا التنبيه نصيحة لكم ورحمة عليكم * ثم كرر التنبيه أيضا وقال (لو تعلمون) محذوف الجواب يعني لو تعلمون ما بين أيديكم علم الامر اليقين أي كعلمكم ما تستيقنونه من الامور التي وكلتم بعلمها علما كعلمكم ما تعاينونه ولا تكونون كذلك ضلالا جهلة ثم قال (لترون الجحيم) فيسبق لهم ما أنذرهم منه وأوعدهم به ويتبين في الضياح الشيء بعد ما يلتبس من تفخيمه وتعظيمه وهو جواب قسم محذوف والقسم لتوكيد الوعيد وأن ما أوعدوا

ويكون أطيب الجبال كلها عهن المنفوش فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية وأما من خفت موازينه فأمه هاوية وما أدراك ما هيه نار حامية

﴿سورة التكاثر مكية وهي ثمان آيات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون كلا لو تعلمون

* قوله تعالى فأمه هاوية (قال فيه) اذا دعوا على الرجل بالهلكة قالوا هوت أمه (الخ) قال أحمد والاول أظهر لانه مثل معروف كثر في كلامهم لامه الهبل

(القول في سورة التكاثر)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون كلا لو تعلمون (ذكر) فيه مبالغة من وجوه شتى ولسنا أوجه الاول انه كرر الانذار ثم

به مالا محل له للريب وكرره مبطوفا تغليظا في التهديد وزيادة في التهويل وقرئ لترؤن بالهمز وهي مستكرهة (فان قلت) لم استكرهت والواو المضمومة قبلها همزة قياس مطرد (قلت) ذلك في الواوات التي ضمها لازمة وهذه عارضة لالتقاء الساكنين وقرئ لترون ولترونها على البناء للمفعول (عين اليقين) اي الرؤية التي هي نفس اليقين وخالصته ويجوز أن يراد بالرؤية العلم والابصار (عن النعيم) عن اللهو والتنعم الذي شغلكم الالتذاذ به عن الدين وتكالبتم (فان قلت) ما النعيم الذي يسئل عنه الانسان ويحاسب عليه فما من أحد الا وله نعيم (قلت) هو نعيم من عكست همته على استيفاء اللذات ولم يعش الا لتأكل الطيب وليس الدين ويقطع أوقاته باللهو والطرب لا يعبأ بالعلم والعمل ولا يحمل نفسه مشاقهما فأما من عرف نعمة الله وأدى زكاته التي لم يخلقها الا ليساعد وتقوى بها على دواعة الطهر بالعمل وكان ناهضا بالشكر فهو من دأبه بمعزل وإليه أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روي أنه أكل هو وأصحابه تمرا وشربوا عليه ماء فقال الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من عرف الله حكم الشكر لما حباه الله بالنعيم الذي أنعم به عليه في دار الدنيا وأعطى من الاجر كأعظم ألف آية

﴿سورة العصر مكية وهي ثلاث آيات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* أقسم بصلاة العصر لفضلها بدليل قوله تعالى والصلاة الوسطى صلاة العصر في مصحف حفصة وقوله عليه الصلاة والسلام من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله ولان التكليف في أدائها أشق لاشتغال الناس في تجاراتهم ومكاسبهم آخر النهار واشتغالهم بعبادتهم أو أقسم بالضحى كما أقسم بالضحى لتنبيها على دلائل القدرة أو أقسم بالزمان لما فيه من عجائب الصنعة * والانسان للجنس * والخسران كالكيل والكفران والمعنى ان الناس في خسران من تجاراتهم الا الصالحين وحدهم لانهم اشتروا الآخرة بالدنيا فربحوا وسعدوا وامن عداهم خسروا وخابوا فخسارتهم وهوى الخسارة والشقاوة (وتواصوا بالحق) بالامر الثابت الذي لا يسوغ انكاره وهو الطهر كله من توحيد الله وطاعته واتباع كتبه ورسله والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة (وتواصوا بالصبر) عن المعاصي وعلى الطاعات وعلى ما يبتلي الله به عباده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والعصر غفر الله له وكان ممن تواصى بالحق وتواصى بالصبر

﴿سورة الهمزة مكية وهي تسع آيات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* الهمز الكسر كالهزم والغمز الطعن يقال لمزه وطعنه والمراد الكسر من أعراض الناس والغض منهم واغتيابهم والطعن فيهم وسابه فهذا يدل على أن ذلك عادة منه قد ضري بها وتمرن عليها للمضحكة قال ابن أعيب ماأنت أهلها لحي اللمزة * وقرئ ويل لكل همزة لمزة وقرئ ويل للهمزة اللمزة وقرئ ويل لكل همزة لمزة بسكون الميم وهو المحترة الذي يأتي بالاوابد والاضاحيك فيضحك منه ويشتم وقيل نزلت في الاخنس بن شريق وكانت عادته الغيبة والوقيعة وقيل في أمية بن خلف وقيل في الوليد بن المغيرة واغتيابه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وغمزه منه ويجوز أن يكون السبب خاصا والوعيد عاما ليتناول كل من باشر ذلك القبيح وليكون جاريا مجرى النص بالوارد فيه فان ذلك أزجر له وأنكى فيه (الذي) بدل من كل أو نصب على الذم * وقرئ جمع المال وعدده بالتشديد وهو مطاوع لعدده وقيل عدده جعله عدة لحوادث الدهر * وقرئ وعدده أي جمع المال وضبط عدده وأحصاه أو جمع ماله وقومه الذين ينصرونه من قولك فلان ذو عدد وعدد اذا كان له عدد وافر من الانصار وما يعلهم وقيل وعدده معناه وعده على ذف الادغام نحو ضنوا (أخلده) وخلده بمعنى أي طول المال أمله ومناه الاماني البعيدة حتى أبسط غفلته وطول أمله يحسب أن المال تركه خالدا في الدنيا لا يموت أو يعمل من

عظم المقسم لقوته الجم ثم لترونها عين اليقين ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم

﴿سورة العصر مكية وهي ثلاث آيات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

والعصر ان الانسان في خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر

﴿سورة الهمزة مكية وهي تسع آيات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

ويل لكل همزة لمزة الذي جمع مالا وعدده يحسب أن ماله أخلده

(القول في سورة الهمزة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله تعالى ويل لكل همزة لمزة (قال المراد بالهمزة المكثر من الطعن على الناس والقدح فيهم الخ) قال أحمد وما أحسن مقابلة الهمزة اللمزة بالحطمة فانها واسمه بهذه السمة بسمعة وشدت الى أنها راسخة فيه وهمكنة منه اتم المبالغة وعيده بالنار التي سماها بالحطمة لما يلقى فيها ويحاش تمييزها صيغة مبالغة على وزن الصيغة التي تسم اللئيم حتى يعمل

تشييد البنيان الموثق بالحجر والآجر وغرس الاشجار وعمارة الارض بكل من يطمن أن ماله أن قام حيا أو هو تعريض للسهل الصالح وأنه هو الذي أخذ صاحبه في الغير فأما المال فما أخذ أحد أسدافيه وروي أنه كان للرجل أربعة آلاف دينار وقيل عشرة آلاف وعن الحسن أنه عاد موسرا فقال ما تقول في ألوف لم افتقدها من أنيم ولا اغتصبت على كريم قال ولكن ماذا قال لنوبة الزمان وجفوة السلطان ونوائب الدهر وخفاقة الفقر قال اذن تدعه فمن لا يحمدك وترد على من لا يعذرك (كلا) ردع له عن حسبانه * وقرئ لينبذن أي هو وماله ولينبذن بضم الذال أي هو وأنصاره ولينبذنه (في الحطمة) في النار التي من شأنها أن تحطم كل ما يلقى فيها يقال للرجل الاكول انه لحطمة وقرئ الحاطمة بمعنى أنها تدخل في أجوافهم حتى تصل الى صدورهم وتطلع على أفئدتهم وهي أوساط القلوب ولا شيء في بدن الانسان ألطف من لفؤاده ولا أشد تألما منه أدنى أذى يمسه فكيف اذا طافت عليه نار جهنم واستولت عليه ويجوز أن يخص الافئدة لانها مواطن الكفر والعقائد الفاسدة والنيات الخبيثة ومعنى اطلاع النار عليها أنها تعلوها وتظهر عليها أو تطلع على سبيل المجاز مماثل موجبها (مؤصدة) مطبقة قال

تحن الى أجبال مكة ناقتي * ومن دونها أبواب صنعاء مؤصده

* وقرئ في عمد بضمتين وعمد بسكون الميم وعمد بفتحتين والمعنى انهم يؤكدون بأسهم من الخروج وتيئيسهم بحبس الابد مؤصدة عليهم الابواب وتمد على الابواب العمد استيثاقا فان استيثاق يجوز أن يكون المعنى انها عليهم مؤصدة موثقة في عمد ممدة مثل المطر التي تقطر فيها الاصوص اللهم أجرنا من النار يا مجير مستجار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الهمزة أعطاه الله عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد وأصحابه

كل لينبذن في الحطمة وما أدراك ما الحطمة نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة انها عليهم مؤصدة في عمد ممدده

التماثل بين الذنب والجزاء فهذه التي هي عذابه الحطمة التي هي نار تحطم كل ما يلقى اليها * عادكلا منه (قال) وخص الافئدة لانها ألطف مما في الانسان والالم عليها أشد منه في غيرها

﴿سورة الفيل مكية وهي خمس آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* روي أن أبرهة بن الصباح الاشرم ملك اليمن من قبل أصحمة النجاشي بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس وأراد أن يصرف اليها الحج فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فأغضبه ذلك وقيل أججت رفقة من العرب نارا فحملتها الريح فأحرقتها فلحق أبرهة من الكعبة خرج بالحبشة وسمه قيل له اسمه كرود وكان قويا عظيما وألفا عشر فيلا بين وقيل ثمانية وقيل كان معه ألف فيل وكان وحده فلما بلغ المغمس خرج اليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث أموال تهامة على أن يرجع فأبى وعبأ جيشه وقدم الفيل وكانوا كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن أو الى غيره من الجهات هرول فأرسل الله طيرا سودا وقيل خضرا وقيل بيضا مع كل طائر حجر في منقاره وحجران في رجليه أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه رأى منها عند أم هانئ نحو قفيز مخططة بحمرة كالجزع الظفاري فكان الحجر يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه يقول اللهم اقتل فلانا لكوافق كل طريق ومنهل ودوى أبرهة فتساقطت أنامله وآرابه وماتت حتى انصدع صدره عن قلبه وانفلت وزيره أبو يكسوم وطائر يحلق فوقه حتى بلغ النجاشي فقص عليه القصة فلما أتم اوقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه وقيل كان أبرهة جد النجاشي الذي كان في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربعين سنة وقيل بثلاث وثلاثين سنة وعن عائشة رضي الله عنها رأيت قائد الفيل وسائسه أسودين مقعدين يستطعمان وقيل ان أبرهة أخذ لعبد المطلب مائتي بعير فخرج اليه فلما أبصره وكان رجلا جسيما وسيما وقيل هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤس الجبال فلما ذكر حاجته قال سقطت من عيني حيث لا هدم البيت الذي هو دينك ودين آبائك وعصمتكم وشرفكم في قديم الدهر فطلب منه ذود أخذ لك فقال أنا رب الابل وللبيت رب سيمنعه ثم رجع وأتى باب البيت فأخذ بحلقته وهو يقول

لاهم ان المرء * يمنع رحله فامنع رحالك

لا يغلبن صليبهم * ومحالهم أبدا محالك

﴿سورة الفيل مكية وهي خمس آيات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ألم يجعل كيدهم في تضليل وأرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول

﴿سورة قريش مكية وهي أربع آيات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

لإيلاف قريش

(القول في سورة الفيل)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ألم يجعل كيدهم في تضليل وأرسل عليهم طيرا أبابيل (قال مقاتل في ضياع وسعي الحبر في القيس الماثل الفاضل الخ

(القول في سورة قريش)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى لإيلاف قريش (قال) ليست اللام متعلقة بقوله فليعبدوا أمر هم ان يعبدوه لأجل ايلافهم الرحلتين فان قلت ما دخلت الفاء الخ

ان كنت تاركهم وكفنا * فمن فأمر ما بدا لك * يارب لا أرجو لهم سواكا * يارب فامنع منهم حماكا

بالنصب وهو بيد عوفا ذا هو يطعمني نحو اليمن فقال والله انها الطير غريبة بالحرم ماهي بحجازية وفيه أن أهل مكة قد احمروا على أموالهم وجمع عبد المطلب من جواهرهم ونفيسهم الجوهر وكان سبب ذهابه وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سئل عن الطير فقال جاءت مكة سراعا وقيل جاءت عشية ثم صبحتهم وعن عكرمة من أصابته جدرية وهو أول جدري ظهر * قرئ ألم تر بسكون الراء لجعدي في اظهار أثر الجازم والمعنى ألم تر أيت آثار فعل الله بالحبشة وسمعت الأخبار به متواترة فتعاضت لك مقام المشاهدة و (كيف) في موضع نصب بفعل ربك لا بألم تر لما في كيف من معنى الاستفهام (في تضليل) في تضييع وابطال يقال ضلل كيده اذا جعله ضالا ضائعا ومنه قوله تعالى وما كيد الكافرين الا في ضلال وقيل لامرئ القيس الملك الضليل لانه ضل ملك أبيه أي ضيعه يعني أنهم كانوا البيت أولا ببناء القليس وأرادوا أن ينسخوا أمره بصرف وجوه الحاج اليه فضل كيدهم بايقاع الحريق فيه وكادوه ثانيا بما هدم فضلل بارسال الطير عليهم (أبابيل) جماعات في الواحدة ابالة وفي أمثالهم ضغث على ابالة وهي الحزمة الكبيرة شبهت الحزمة من الطير في تضامها بالابالة وقيل أبابيل مثل عباديد وشماطيط لا واحد لها * وقرأ أبو حنيفة رحمه الله برمهم أي برمي الله تعالى أو الفيل لانه اسم جمع مذكر وانما يؤنث على المعنى * وسجيل كلمة عربية من السجل الذي كتب فيه عذاب الكفار كما أن حجيناعلم للديوان أعلمهم كأنه قيل حجارة من جملة العذاب المكتوب المدون واشتقاقه من الاسجال وهو الارسال لان العذاب موصوف بذلك وأرسل عليهم طيرا فأرسلنا عليهم الطوفان وعن ابن عباس رضي الله عنهما من طين مطبوخ كالطوب الآجر وقيل هو معرب من سنككل وقيل من شديد عذابه ومرماه وروايت من مثل ضربا تواصت به الابطال حجيلا * وانما هو حجينا والقصيدة عوينة مشهورة في ديوانه وشهرا ورف الزرع اذا أكل أي وقع فيه الاكال وهو أن يأكله الدود ولم تعد أكلته الدواب ورائته ولكنه جاء على ما عليه آداب القرآن كقوله كانا يأكلان الطعام أو ترى ما أكل فيه فبرق صغر امه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفيل أعطاه الله أتم حياته من الخسف والمسخ

﴿سورة قريش مكية وهي أربع آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(لإيلاف قريش) متعلق بقوله (فليعبدوا) أمرهم أن يعبدوه لاجل ايلافهم الرحلتين (فان قلت) فما دخلت الفاء (قلت) لما في الكلام من معنى الشرط لان المعنى اما لافليعبدوه لايلافهم على معنى أن نعم الله عليهم لا تحصى فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه الواحدة التي هي نعمة ظاهرة وقيل المعنى عجبا لايلاف قريش وقيل هو متعلق بما قبله أي جعلهم كعصف مأكول لايلاف قريش وهذا بمنزلة التضمين في الشعر وهو أن يتعلق معنى البيت بالذي قبله تعلقا لا يصح الا به وهاتي مصحف أبي بسورة واحدة بلا فصل وعن عمر أنه قرأهما في الثانية من صلاة المغرب وقرأ في الاولى والتين والمعنى أنه أهلك الحبشة الذين قصدوهم ليتسامع الناس بذلك فيتهيبوهم زيادة تهيب ويحترموهم فصل استمرار حتى يستقيم لهم الامن في رحلتيهم فلا يجترئ أحد عليهم وكانت لقريش رحلتان يرحلون في الشتاء الى اليمن وفي الصيف الى الشام فيمتارون ويتجرون وكانوا في رحلتيهم آمنين لانهم أهل حرم الله ولا يتعرض لهم والناس غيرهم يتخطفون ويغار عليهم والايلاف من قولك ألفت المكان ألفا اذا ألفته فان مؤلف قال من المؤلفات الرهو غير الاوارك وقرئ الايلاف قريش أي لمؤالفة قريش وقيل يقال ألفته الفا والافا وقرأ أبو جعفر لألف قريش وجمعهما من قال

زعم أن اخوتك قريش * لهم الف وليس لك الاف

وقرأ عكرمة لايلاف قريش الفهم رحلة الشتاء والصيف * وقريش ولد النضر بن كنانة سموا بتصغير القرش

وهو دابة عظيمة في البحر تبعث بالسمن ولا تطاق الا بالنار وعن معاوية أنه سأل ابن عباس رضي الله عنهما لم سميت قريش قال بدابة في البحر تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى وأنشد

وقريش هي التي تسكن البحـ ـر بها سميت قريش قريشا

والتصغير للتعظيم وقيل من القرش وهو الكسب لانهم كانوا كسابين بتجاراتهم وضربهم في البلاد * أطلق الايلاف ثم أبدل عنه المقيد بالرحلتين تفخيما لامر الايلاف وتذكيرا بعظيم النعمة فيه ونصب الرحلة بايلافهم مفعولا به كأنه قيل يتيابطعام * وأراد رحلتي الشتاء والصيف فأفرد لأمن الالباس كقوله كلوا في بعض بطنكم وقرئ رحلة بالضم وهي الجهة التي يرحل اليها * والتنكير في جوع وخوف لشدتهما وأطعمهم بالرحلتين من جوع شديد كانوا فيه قبل ما آمنهم من خوف عظيم وهو خوف أصحاب الفيل أو خوف التخطف في بلادهم ومسايرهم وقيل كانوا قد أصابتهم شدة حتى أكلوا الجيف والعظام المحرقة وآمنهم من خوف الجذام فلا يصيبهم ببلدهم وقيل ذلك كله بدعاء ابراهيم صلوات الله عليه ومن بدع التفاسير وآمنهم من خوف من أن تكون الخلافة في غيرهم وقرئ من خوف بإخفاء النون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الايلاف قريش أعطاه الله عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها

الايلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف

﴿سورة أرأيت مكية وهي سبع آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

أرأيت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون

* قرئ أريت بحذف الهمزة وليس بالاختيار لان حذفها اختص بالمضارع ولم يسمع عن العرب ريت ولكن الذي سهل من أمرها وقوع حرف الاستفهام في أول الكلام وغيره

صاح هل ريت أو سمعت براع * ردي الضريع ما قري في العلاب

وقرأ ابن مسعود أرأيتك بزيادة حرف الخطاب كقوله أرأيتك هذا الذي كرمت علي والمعنى هل عرفت الذي يكذب بالجزاء من هو ان لم تعرفه (فذلك الذي) يكذب بالجزاء هو الذي (يدع اليتيم) أي يدفه دفعا عنيفا بجفوة وأذى يرده رد الغير بحاجر ره وخشونة وقرئ يدع أي يترك ويجفو (ولا يحض) ولا يبعث أهله على بذل طعام المسكين جعل عدم التكذيب بالجزاء منع المعروف والاقدام على إيذاء الضعيف يعني أنك لو آمن بالجزاء وأيقن بالوعيد لخشي الله تعالى وعقابه ولم يقدم على ذلك فمن أقدم عليه علم أنه مكذب قلبا أشد من كلام وما أسوقه من مقام وما أبلغه في التحذير من المعصية وانها جديرة بأن يستدل بها على ضعف الايمان وركاكة عقد اليقين ثم وصل به قوله (فويل للمصلين) كأنه قال فاذا كان الامر كذلك فويل للمصلين الذين يسهون عن الصلاة تلهيا عنها حتى تفوتهم أو يخرج وقتها أو لا يصلونها كما صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلف ولكن يتفرغون لها عن غير خشوع واخبات ولا اجتناب لما يكره فيها من العبث بالجسد والثياب وكثرة التلفات لا يدري الواحد منهم عن كم انصرف ولا ما قرأ من السور وكاترى صلاة أكثر من ترى الذين عادتهم الرياء بأعمالهم ومنع حقوق أموالهم والمعنى أن هؤلاء أحق بأن يكون سهوهم عن الصلاة التي هي عماد الدين والفارق بين الايمان والكفر والرياء الذي هو شعبة من الشرك ومنع الزكاة التي هي شقيقة الصلاة وقنطرة الاسلام عملا على أنهم مكذبون بالدين وكم ترى من المسمين بالاسلام بلى من العلماء بهم من هو على هذه الصفة فيا مصيبتاه وطريقة أخرى أن يكون فذلك عطفا على الذي يكذب اما عطف ذات على ذات أو صفة على صفة ويكون جواب أرأيت محذوفا والدلالة ما بعده عليه كأنه قيل أخبرني وما تقول فيمن يكذب بالجزاء وفيمن يؤذي اليتيم ولا يطعم المسكين أنعم ما يصنع ثم قال فويل للمصلين أي اذا علم أنه مسيء فويل للمصلين على معنى فويل لهم الا أنه وضع صفتهم موضع ضميرهم لانهم كانوا مع التكذيب وما أضيف اليهم ساهين عن الصلاة مراءين غير مزكين أموالهم (فان قلت) كيف جعلت المصلين قائما مقام ضمير الذي يكذب وهو واحد (قلت) معناه الجمع لان المراد به الجنس (فان قلت) أي فرق بين قوله عن صلاتهم وبين قولك في صلاتهم

أرأيت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون

﴿سورة أرأيت مكية وهي سبع آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(القول في سورة الماعون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله تعالى أرأيت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم (قال) فيه ألمني هل عرفت الذي يكذب بالجزاء الخ

صلاتهم

صلاتهم (قلت) معنى عن أنهم ساهون عنها سهو ترك لها وقلة التفات اليها وذلك فعل المنافقين أو الفسقة الفجار من المسلمين ومعنى في أن السهو يعتريهم فيها بوسوسة شيطان أو حديث نفس وذلك لا يكاد يخلو منه مصل وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقع له السهو في صلاته فضلا عن غيره ومن ثم ثبتت الفقهاء بباب سجود السهو في كتبهم وعن أنس رضي الله عنه الحمد لله على ان لم يقل في صلاتهم وقرأ ابن مسعود لاهون (فان قلت) ما معنى الرآآء (قلت) هي مفاعلة من الاراءة لان المرائي يري الناس عمله وهم يرونه الثناء عليه والاعجاب به ولا يكون الرجل مرائيا باظهار العمل الصالح ان كان فريضة فمن حق الفرائض الاعلان بها وتشهير هاقوله عليه الصلاة والسلام ولا غمة في فرائض الله لانها أعلام الاسلام وشعائر الدين ولان تاركها يستحق الذم والمقت فوجب اماطة التهمة بالاظهار وان كان نفلا وخاف أن يخفي لانه عمل لا يلام بتركه ولا مسمة فيه فان أظهره قاصدا للاقتداء به كان جميلا وانما الرياء أن يتسبب لاظهاره أن تراه الاعين فيثنى عليه بالصلاح وعن بعضهم أنه رأى رجلا في المسجد قد سجد سجدة الشكر وأطالها فقال ما أحسن هذا لو كان في بيتك وانما قال هذا لانه توسم فيه الرياء والسمعة على أن اجتناب الرياء ضعيف الا على المرتاضين بالاخلاص ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرياء أخفى من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على المسح الاسود

(الماعون) الزكاة قال الزاجي قوم على الاسلام لما عنوا * ماعونهم وبنيهم والهيلا

وعن ابن مسعود ما يتعاورق العادة من الفأس والقدر والدلو والمقدحة ونحوها وعن عائشة الماء والنار والملح وقد يكون مع هذه الاشياء محظورا في الشريعة اذا استعيرت عن اضطرار وقيل ما في المروءة في غير حال الضرورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة أرأيت غفر الله له ان كان للزكاة مؤديا

﴿سورة الكوثر مكية وهي ثلاث آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

*في قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم انا أعطيناك بالنون وفي حديثه صلى الله عليه وسلم وأعطوا اللثغة *والكوثر فوعل من الكثرة وهو المفرط الكثرة قيل لاعرابي مترجم أيهما أمس السفر أم ابنك قال ابني أمس بكوثر وقال

وأنت كثير يا ابن مروان طيب * وكان أبوك ابن العقائل كوثرا

وقيل الكوثر نهر في الجنة وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأها حين أنزلت عليه فقال أتدرون ما الكوثر انه نهر في الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير وروي في صفته أحلى من العسل وأشد بياضا من اللبن وأبرد من الثلج وألين من الزبد حافتاه الزبرجد وأوانيه من فضة عدد نجوم السماء وروي لا يظمأ من شرب منه أبدا أول وارديه فقراء المهاجرين الدنسو الثياب الشعث الرؤس الذين لا ينزوجون المنعمات ولا يفتح لهم أبواب السدد تعوج أحدهم وحاجته تطلح في صدره ولو أقسم على الله لأبره وعن ابن عباس أنه فسر الكوثر بالخير الكثير فقال له سعيد بن جبير ان ناسا يقولون هو نهر في الجنة فقال هو من الخير الكثير والخير الكثير والنحر ينحر البدن وعن عطية هي صلاة الفجر بجمع والنحر منى وقيل صلاة العيد والتضحية وقيل هي من خمس الصلاة والنحر وضع اليمين على الشمال والمعنى أعطيت ما لا غاية لكثرته من خير الدارين الذي لم يعطه أحدا غيرك ومعطى ذلك كله أنا الله العالمين فاجتمعت لك الخطتان السنيتان اصابة أشرف عطاء وأوفره من أكرم معط وأعظم منعم فاعبد ربك الذي أعزك باعطائه وشرفك وصانك من منة الخلق من احتمال قومك الذين يعبدون غير الله والخر لوجهه وباسمه اذا نحرت تحقيقا لمخالفتك لهم (ان) من يبغضك من قومك لخلتك لهم (هو الأبتر) لا أنت لان كل من يولد الى يوم القيامة من المؤمنين فهم أولادك وأعقابك وذكرك مرفوع على المنابر والمنار وعلى لسان كل عالم وذاكر الى آخر الدهر يبدأ بذكر الله ويثني بذكرك ولك في الآخرة ما لا يدخل تحت الوصف فذلك لا يقال له أبتر وانما الابتر هو شانئك المنسي في الدنيا والآخرة وان ذكر ذكر باللعن وكانوا يقولون ان محمدا صنبور اذا مات مات ذكره وقيل نزلت في العاص بن وائل وقد سماه الابتر

الذين هم يراؤن ويمنعون الماعون

﴿سورة الكوثر مكية وهي ثلاث آيات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

انا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر

(القول في سورة الكوثر)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله تعالى انا أعطيناك الكوثر) قال أي جمعنا لك العطيتين السنيتين أشرفها اصابة أشرف عطاء وهو الكوثر الخ) قال أحمد جمعل الزمخشري توسط الضمير بين الجزأين مقتضيا للاختصاص لان افادته ههنا الدلالة بينة مكشوفة * عاد كلامه (قال) لان النبي صلى الله عليه وسلم ذكره مرفوع على المنابر وعلى لسان عالي أمته الذين هم في الحقيقة أعقابه الخ)

﴿القول فى سورة الكافرون﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون (قال محاهد فى المستقبل لان لا يعبد المستقبل ولا أنتم عابدون ما أعبد كذلك ولا أنا عابد ما عبدتم أى فيما سلف الخ) قال أحمد هذا الذى قاله مجاهد على الاصل والشرع جميعا أما على أصله القدرى فلانه وان كان مقتضاه ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن قبل البعث على دين بنى قوله لاعتقاد الغير به ان ذلك غير مرة فى منصبه ومفروض اتباعه (٥٦٤) فيستحيل وقوعه للعصمة الا أنهم يعتقدون ان الناس كلهم مستمدون عقتضى العقل وجوب

النظر فى آيات الله تعالى وأدلة توحيده ومعرفته وان وجوب النظر بالعقل لا بالسمع فلذلك عبادة قبل البعث يلزمهم ان لا يظنوا به صلى الله عليه وسلم الاخلال بها فيفتقد

والابتر الذى لا عقب له ومنه الحمار الابتر الذى لا ذنب له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكوثر سقاه الله من كل نهر فى الجنة وكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد فى يوم النحر أو يقربونه

سورة الكافرين مكية وهى ست آيات وتقال لها ولسورة الاخلاص المقشقشتان أى المبرئتان من النفاق

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* المخاطبون كمرة مخصوصون قد علم الله منهم أنهم لا يؤمنون روى أن رهطا من قريش قالوا يا محمد هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك نعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة فقال معاذ الله أن أشرك بالله غيره فقالوا فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد الهك فنزلت فغدا الى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقام على رؤسهم فقرأها عليهم فيئسوا (لا أعبد) أريت به العبادة فيما يستقبل لان لا لا تدخل الا على مضارع فى معنى الاستقبال كما أن ما لا تدخل الا على مضارع فى معنى الحال ألا ترى أن لن تأكيد فيما تنفيه لا وقال الخليل فى لن ان أصله لا أن والمعنى لا أفعل فى المستقبل ما تطلبونه منى من عبادة آلهتكم ولا أنتم فاعلون فيه ما أطلب منكم من عبادة الهى (ولا أنا عابد ما عبدتم) أى وما كنت قط عابدا فيما سلف ما عبدتم فيه يعنى لم تعهد منى عبادة صنم فى الجاهلية فكيف ترجى منى فى الاسلام (ولا أنتم عابدون ما أعبد) أى وما عبدته فى وقت ما أنا على عبادته (فان قلت) فهلا قيل ما عبدت كما قيل ما عبدتم (قلت) لانهم كانوا يعبدون الاصنام على البت وهو لم يكن يعبد الله تعالى فى ذلك الوقت (فان قلت) فلم جاء على ما دون من (قلت) لان المراد الصفة كأنه قال لا أعبد الباطل ولا تعبدون الحق وقيل ان ما مصدرية أى لا أعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتى (لكم دينكم ولى دين) لكم شركم ولى توحيدى والمعنى أنى نهيت ومنعت اليكم لا دعوكم الى الحق والصحة فلم تقبلوا منى ولم تتبعونى فدعونى كفافا فلا تدعونى الى الشرك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكافرون فكأنما قرأ ربع القرآن وتباعدت منه مردة الشياطين وبرئ من الشرك ويعافى من الفقر والابتر

﴿سورة النصر مدنية وهى ثلاث آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(اذا) منصوب بسبح وهو لما يستقبل والاعلام بذلك قبل كونه من أعلام النبوة روى أنها نزلت فى أيام التشريق بمنى فى حجة الوداع (فان قلت) ما الفرق بين النصر والفتح حتى عطف عليه (قلت) النصر الاعانة والاظهار على العدو ومنه نصر الله الارض غاثها والفتح فتح البلاد والمعنى نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم على العرب أو على قريش وفتح مكة وقيل جنس نصر الله للمؤمنين وفتح بلاد الشرك عليهم وكان فتح مكة لعشر مضين من شهر رمضان سنة ثمان ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف من المهاجرين والانصار وبطون العرب وأقام بها خمس عشرة ليلة ثم خرج الى هوازن وحنين دخلها وقف على باب الكعبة ثم قال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا أهل مكة ما ترون أنى فاعل بكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم قال اذهبوا أنتم الطلقاء فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه

وسلم

ويحتمل فى غير هذه ﴿٣﴾ فان كانت هى فقوله لان الماضى لم يحصل فيه هذه العبادة المرادة فى الآية فيحصل الامر فيها ان الله أعلم على مجموع العبادات الخاصة التى لم تعلم الا بالوحى لا على مجرد توحيد الله تعالى ومعرفته فان ذلك لم يزل ثابتا له صلى الله عليه وسلم قبل البعث والله أعلم أو يكون مجيئه مستأنفا لقصد تقرير عبادته فى نفس السامع وتمكينها من فهمه كقوله ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة والاصل فأصبحت وانما عدل عنه للمعنى المذكور وهو وجه حسن فتأمله والله أعلم

وسلم وقد كان الله تعالى أمكنه من رقابهم عنوة وكانوا قد أسلفوا قبل ذلك سبي أهل مكة الطلقاء ثم بايعوه على الاسلام (في دين الله) في ملة الاسلام التي لا دين له يضاف اليه غيرها ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه (أفواجا) جماعات كثيرة كانت تدخل فيه القبيلة بأسرها بعدما كانوا يدخلون فيه واحدا واحدا واثنين اثنين وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه بكى ذات يوم فقيل له فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول دخل الناس في دين الله أفواجا وسيخرجون منه أفواجا وقيل أراد بالناس أهل اليمن قال أبو هريرة لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر جاء نصر الله والفتح وجاء أهل اليمن نوى رقيقة قلوبهم الايمان يمان والفقه يمان والحكمة يمانية وقال أبو نعيم بكم من قبل اليمن وعن ابن مسعود لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة أقبلت العرب بعضها على بعض فقالوا أما اذا ظفر بأهل الحرم فليس به بأس وقد كان الله أجارهم من أصحاب الفيل وعن كل من أرادهم فكانوا يدخلون في الاسلام أفواجا من غير قتال وقرأ ابن عباس فتح الله والنصر وقرئ يدخلون على البناء للمفعول (فان قلت) ما محل يدخلون (قلت) النصب على الحال على أن رأيت بمعنى أبصرت أو عرفت أو هو مفعول ثان على أنه بمعنى علمت (فسبح بحمد ربك) فقل سبحان الله حامدا لله أي فتعجب لتيسير الله ما يحظر بالك وبال أحد من ان يغلب أحد على أهل الحرم واحدة على صنعة أو اذكره مسبحا حامدا زيادة في عبادته والتاء للمبالغة لزيادة انه أمسه عليك أو فصل له وروت أم هانئ أنه لما فتح باب الكعبة يصلي صلاة الضحى ثماني ركعات وعن عائشة كان عليه الصلاة والسلام يكثر قبل موته أن يقول سبحانك اللهم وبحمدك أستغفرك وأتوب اليك والامر بالاستغفار مع التسبيح تكميل للامر بما هو فرائم أمر الدين من الجمع بين الطاعة والاستغفار من المعصية وليكون أمره بذلك أمرا بصيغة لطيفة لا تسنه ولان الاستغفار من التواضع لله وهضم النفس فهو عبادة في نفسه وعن النبي صلى الله عليه وسلم اني لاستغفر في اليوم والليلة مائة مرة وروي أنه لما قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه استبشروا وبكى العباس فقال صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عم قال نعيت الي نفسك قال انها لكما تقول تعالى بعد هذا ستين فما صاحكا مستبشرا وقيل ان ابن عباس هو الذي قال ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقد أوتي هذا الغلام علما كثيرا وروي أنها نزلت خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان عبدا خيره الله بين الدنيا وبين لقائه فاختار لقاء الله فعلم أبو بكر رضي الله عنه فقال فديناك بأنفسنا وأموالنا وأبنائنا وأولادنا وعن ابن عباس أن عمر رضي الله عنهما كان يدنيه ويأذن له مع أهل بدر فقال عبد الرحمن أتأذن لهذا الفتى معنا وفي أبنائنا من هو مثله فقال انه ممن قد علمتم قال ابن عباس فأذن لهم ذات يوم وأذن لي معهم فما رأيت منهم وجد علي قولي الله تعالى اذا جاء نصر الله ولا أراه أمرهم الا أن أجلي فقال بعضهم أمر الله نبيه اذا فتح عليه أن يستغفره ويتوب اليه فقال لي كذلك ولكن نعيت اليه نفسه فقال عمر ما أعلم منها الا مثل ما تعلم ثم قال كيف تلومونني عليه بعد ما ترون وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه دعا فاطمة رضي الله عنها فقال يا فتاة انه نعيت الي نفسي فبكت فقال لا تبكي فانك أول أهلي لحوقا بي وعن ابن مسعود أن هذه السورة تسمى سورة التوديع (كان توابا) أي كثير التوبة والانابة الى الله من الذنوب وعن ابن عباس ما علمنا أحدا اتقى لربه ولا أشد استغفارا لذنبه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عائشة رضي الله عنها ما صلى صلاة بعد أن نزلت عليه اذا جاء نصر الله الا يقول فيها سبحانك ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي يتأول القرآن يعني قوله فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا

﴿سورة تبت خمس آيات وهي مكية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿تبت يدا أبي لهب وتب﴾

﴿القول في سورة النصر﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله تعالى فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا﴾ معناه فتعجب من تيسير الله ذلك مما لم يخطر ببالك الخ

﴿القول في سورة تبت﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿تبت يدا أبي لهب وتب﴾ قال هذا دعاء عليه بالتباب وهو الخسران والهلاك

﴿في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا﴾

التباب الهلاك ومنه قولهم أشابه أم تابه أي هلاك من الهرم والتعجيز والمعنى هلكت يداه ولا يقبل ما روى أنه عيّر بعمه رسول الله صلى الله عليه وسلم (وتب) وهلك كله أو جعلت يداه هالكتين والمراد هلاك جملته كقوله تعالى عاقدت يداه وعني وتب وكان ذلك وحصل كقوله

جزاه الله شر جزائه * جزاء الكلاب العاويات وقد فعل

ويدل عليه قراءة ابن مسعود وقد تب وروى أنه لما نزل وأنذر عشيرتك الأقربين رقي الصفا وقال ياصباحاه فاجتمع اليه الناس من كل أوب فقال يابني عبد المطلب يابني فهر ان أخبرتكم أن بسفح هذا الجبل خيلا أكنتم مصدقي قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي الساعة فقال أبو لهب تبا لك ألهذا دعوتنا فنزلت (فان قلت) لم كناه والتكنية تكرمة (قلت) فيه ثلاثة أوجه أحدها أن يكون مشتهرا بالكنية دون الاسم فقد يكون الرجل مشهورا باسمه دون ذلك تجري الكنية على الاسم أو الاسم على الكنية عطف بيان فلما أريد تشهيره بدعوة السوء وأن تبقى سمة لذكر الاشهر من عليه ويؤيد ذلك قراءة من قرأ أبو لهب كما قيل على ان أبا طالب ومعاوية بن أبي سفيان لئلا يشهر منه شيء فيشكل على السامع ولطيفة من قاسم أشهر منه لبنان أحدهما عبد الله بالجر والآخر عبد الله بالنصب وكان بقية رجل يقال له عبد الله بحيث الدال لا يعرف الا هكذا والثاني أنه كان اسمه عبد العزى فعدل عنه الى كنيته والثالث أنه لما كان من أهل النار وما له الى النار ذات لهب واقعت حاله كنيته لتكون جديرا بان يكررها ويقال أبو لهب كما يقال أبو الشر للشرير وأبو الخير للخير وكما كنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا الوليد أبا صفرة بصفرة في وجهه وقيل كني بذلك لتلهب وجنتيه واشراقهما فيجوز أن يذكر بذلك تهكما وبافتدائه بذلك وقرئ أبي لهب بالسكون وهو من تغيير الاعلام كقولهم سبع بن ملكان الضبي (ما أغنى) استفهام في معنى الانكار وحله النصب أو نفي (وما كسب) مرفوع ما موصولة أو مصدرية يعني وكسبه أو كسبه والمعنى لم ينفعه ماله وما كسب ماله يعني رأس المال والارباح أو ماشيته وما كسب من نسله أو ما نماها وكان ذا مواش وروي عن أبيه والذي كسبه نفسه أو ماله التالد والطارف وعن ابن عباس ما كسب ولده وسمي أن بني أبي لهب استكبروا اليه فاقتتلوا فدماهم بحجر فدماه بحجر فوقع فغضب فقال اخرجوا عني الكسب الخبيث ومنه قوله عليه السلام ان أطيب ما أكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه ومن الضحاك ما نفعه ماله وعمله الخبيث يعني كيده في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن قتادة عمله الذي ظن أنه منه على شيء كقوله وقدمنا الى ما عملوا من عمل وروي أنه كان يقول ان كان ما يقول ابن أخي حقا فانا أفتدي منه نفسي بمالي وولدي (سيصلى) قرئ بفتح الياء بفعلها خصها شدة اتصالها بالاب وعداي هو وكان لا يحالفه وان تراخى وقته (واصرأته) هي أم جميل بنت حرب أخت أبي سفيان وكانت تحمل حزمة من الشوك والحسك والسعدان فتنثرها بالليل في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كانت تغري بالنميمة ويقال للنمام انه ليحاطب الناس بحمالة الحطب بنميمتها فهي الناثرة وورث الشر قال

من البيض لم تسعد على ظهر لأمة * ولم تمش بين الحي بالحطب الرطب

جعله رطب اليدل على التمسين الذي هو زيادة في الشر ومن عطفها على الضمير في سيصلى أي سيصلى هو واصرأته وقرئ (في جيدها) في موضع الحال أو على الابتداء وفي جيدها الخبر وقرئ حمالة الحطب بالنصب على الشتم وأنا أستحب هذه القراءة وقد توسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بجميل من أحب شتم أم جميل وقرئ حمالة الحطب وحمالة الحطب بالتنوين والرفع والنصب وقرئ ومريته بالتصغير المسد الذي فتل من الحبال فتلا شديدا من ليف كان أو جلد أو غيرهما قال وسدا أعس من أبانى ورجل ممسود الخلق جعدوله والمعنى في جيدها حبل مما مسد من الحبال وأنها تحمل ذلك الحزمة من الشوك وتربطها في جيدها كما تفعل الحطابون تحتسبا لحطبها وتختبرا لها وتصويرا لها بصورة بعض الحطابات من المواهن المتعرض من ذلك ويتعرض بها وهاتان بيت العز والشرف وفي منصب النروة والجدة ولقد عير بعض الناس الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب بحمالة الحطب فقال

ماذا أردت الى شتمي ومنقصتي * أم ما تعيرني من حالة الحطب
غرامشاد خة في الحد مغرقها * كانت سليلة شيخ ثاقب الحسب

ويحتمل أن يكون المعنى أن حالها كحال زوجها في النار وجزاؤهم على العبرة التي كانت عليها حين كانت تحمل حزمة

ما أغنى عنه ماله وما كسب سيصلى نارا ذات لهب وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد

(قال وقرئ بذلك قراءة من قرأ أبو لهب) قال أحمد وفي هذا دليل لان الرفع أقيس وجوه الاعراب وأولها الا ترى هم الغاط فراء على حسبته التي بها الشهر الاسم وكانت أول أحواله هذا كلامه (قال) ولا مبرر مكة ولدان أحدهما عبد الله بالنصب والآخر عبد الله بالجر فلا يعرف كل واحد منهما الا بذلك الخ

﴿سورة الاخلاص مكية وهي أربع آيات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد

﴿القول في سورة الاخلاص﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الصولة فلا تزال على ظهرها حزمة من حطب النار ومن شجرة الزقوم أو من الضريع وفي جسدها حبل من نار فتبث رجوت أن لا يجمع الله بيني وبين أبي لهب في دار واحدة

﴿سورة الاخلاص مكية وقيل مدنية وهي أربع آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(هو) ضمير الشأن و (الله أحد) هو الشأن كقولك هو زيد منطلق كأنه قيل الشأن هذا وهو أن الله واحد لا ثاني له (فان قلت) ما محل هو (قلت) الرفع على الابتداء والخبر الجملة (فان قلت) فالجملة الواقعة خبرا لا بد فيها من راجع الى المبتدأ فأين الراجع (قلت) حكم هذه الجملة حكم المفرد في قولك زيد علامك في أنه هو المبتدأ في المعنى وذلك أن قوله الله أحد هو الشأن الذي هو عبارة عنه وليس كذلك زيد أبوه منطلق فان زيدا والجملة يدلان على معنيين مختلفين فلا بد مما يصل بينهما وعن ابن عباس قالت قريش يا محمد صف لنا ربك الذي تدعونا اليه فنزلت يعني الذي سألتموني وصفه هو الله أحد بدل من قوله الله أو على هو أحد وهو يعني واحد وأصله وحد وقرأ عبد الله وأبي هو الله أحد بغير فاء وفي قراءة النبي صلى الله عليه وسلم الله أحد بغير فاء هو وقال من قرأ الله أحد كان بعدل القرآن وقرأ الأعمش قل هو الله الواحد وقرئ أحد الله بغير تنوين أسقط للالتقاء لام التعريف كحذوه ولا ذاكر الله الا قليلا والباقون بالتنوين وكسره لالتقاء الساكنين و (الصمد) فعل بمعنى مفعول من صمده اذا قصده وهو السيد المصمود اليه في الحوائج والنبي هو الله الذي نعرفه ونعرف بأنه خالق السموات والارض وخالقكم وهو واحد موحد بالالهية لا شريك له فهو الذي يصمد اليه كل مخلوق لا يستغنون عنه وهو الغني عنهم (لم يلد) لانه لا يجانس حتى تكون له من جنسه صاحبة فيتوالدا وقد دل على هذا المعنى بقوله أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة (ولم يولد) لان كل مولود محدث وجسم وهو سبحانه أول لوجوده وليس بجسم ولم يكافئه أحد أي لم يماثله ولم يشاكله ويجوز أن يكون من الكفاءة في النكاح فان الكفاءة مراعاة أن يصفهم فأوحى الصمد اليه معنوي على صفاته فقوله هو الله اشارة الى من هو خالق الأشياء وفاطرها وفي طي ذلك وصفه بأنه قادر عالم لان الخلق يستدعي القدرة والعلم لكونه واقعا على غاية الاحكام والاتساق والانتظام وفي ذلك وصفه بأنه حي مميز مدبر وقوله أحد وصف بالوحدانية ونفي الشركاء وقوله الصمد وصف بأنه ليس الا محتاجا اليه وما لم يكن الا محتاجا اليه فهو نفي كونه تعالى علة لأنه عدل عن غير على اللباس لعلة بقبح الضمير وعلة غناه عنه وقوله لم يلد وصف بالقدم والأولية وقوله لم يلد نفي للشبه والمجانسة وقوله ولم يكن له كفوا أحد تقرير لذلك وبيان لحكمه (فان قلت) الكلام العربي الفصيح أن يؤخر الظرف الذي هو لغو غير مستقر ولا يقدم وقد نص سيبويه على ذلك في كتابه فما باله مقدما في أفصح كلام وأعربه (قلت) هذا الكلام فاسد لبنائه على الكفاءة من ذات الباري سبحانه وهذا النفي مصبه ومركزه هو هذا الظرف فكان لذلك أهم شيء وأعناه وأحقه بالتقدم وأحراه وقرئ كفؤا بضم الكاف والفاء بضم الكاف وكسرها مع سكون الفاء (فان قلت) لم كانت هذه السورة تعدل القرآن كله على قصرها وتقارب طرفيها (قلت) لأمر ما سودوما ذلك الا لاشتمالها على صفات الله تعالى وعدله وتوحيده وفي دليل لمن اعترف بفضلها وهدى لقبول رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى أن علم التوحيد من الله تعالى بمكان وكيف لا يكون كذلك والعلم تابع للمعلوم يشرف بشرفه ويتضع بضعته وعلوم هذا العلم هو الله تعالى وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز فما أطلق بشرف منزلته وجلالة محله وانافته على كل علم واستيلائه على قصب السبق دونه ومن ازدراه فقد ضع علمه بعلوه ومرتبة تعظيمه لعظيم وخلوه من حقيقته وبعده من النظر لعاقبته اللهم احشرنا في زمرة العالمين بك العاملين لذلك الفائزين بسعادتك وتوسيدك الخائفين من وعيدك وتحمي سورة الاساس لاشتمالها على أصول الدين وروى أبي وأنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أن السموات السبع والارضين السبع على قل هو الله أحد بعني ما خلقت

﴿سورة الاخلاص مكية وهي أربع آيات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد

﴿القول في سورة الاخلاص﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

هو الله تعالى ولم يكن له كفوا أحد (فان قلت الكلام العربي الفصيح ان يؤخر الظرف وقد نص سيبويه على ذلك) قال أحد نقل سيبويه انه جمهور البصاة من العرب يقرأ ولم يكن له كفوا أحد وجرى هذا الخلاف على عادته شفاطبه عن لطف المعنى الذي لاجله اقتضى تقديم الظرف مع الخبر على الاسم وذلك ان الغرض الذي سيقت له الآية نفي المكافأة والمساواة عن ذات الله تعالى فكان تقديم المكافأة المقصود بأن يسلب عنه أولى ثم لما قدمت لتسلب ذكر معها الظرف ليبين الذات التي وقعت مسلوبة سبب المكافأة والله أعلم

(القول في سورة الفلق) (بسم الله الرحمن الرحيم) *قوله تعالى قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق (قال معناه من شر مخلوقاته أي من شر ما يفعله المكلفون الخ) قال أحمد لا يسعه على قاعدته الفاسدة التي هي من جملة ما يدخل تحت هذه الاستعاذة الاصرف الشر الذي ما يخلقه خالق الا فعاله والبلايا وغير ذلك لانه يعتقد ان الله لا يخلق أفعال الحيوانات وانما هم يخلقونها لانها شر والله تعالى لا يخلق الشر فعلى هذا كل ما يخلقه الله تعالى لعباده من أنواع المحن الا تكون دلائل على توحيد الله ومعرفة صفاته التي نطقت بها هذه السورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سمع رجلا يقرأ قل هو الله أحد فقال وجبت قيل يا رسول الله وما وجبت قال وجبت له الجنة

﴿سورة الفلق مختلف فيها وهي خمس آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* الفلق والفرق الصبح لان الليل يفلق عنه ويفرق فعل بمعنى مفعول يقال في المثل هو أبين من فلق الصبح ومن فرق الصبح ومنه قولهم سطع الفرقان اذا طلع الفجر وقيل هو كل ما فلقه الله تعالى من النبات والحب عن العيون والسحاب عن المطر والارحام عن الاولاد والحب والنوى وغير ذلك وقيل هو واد في جهنم أوجب قيامهم قولهم الطم من الارض الفلق والجمع فلقان وعن النخعية أنه قدم الشام فرأى دور أهل الذمة وما هم فيه من خفض العيش وما وسع عليهم من دنياهم فقال لا أبالي البس من ورائهم الفلق فقيل وما الفلق قال بيت في جهنم اذا فتح صاح جميع أهل النار من شدة حره (من شر ما خلق) من شر خلقه وشرهم ما يفعله المكلفون من الحيوان من المعاصي والمآثم ومضارة بعضهم بعضا من ظلم وهي وقتل وضرب وشتم وغير ذلك وما يفعله غير المكلفين منه من الاكل والنهس واللدغ والعض كالسباع والحشرات وما وضعه الله في الموات من أنواع الضرر كالاحراق في النار والقتل في السم *(والليل اذا عسعس) اذا عتكر ظلامه من قولهم تعالى الى غسق الليل ومنه عسعست العين اذا لانت دمعا وعسعست أبلغ لما فيه من الدلالات *(وقوبه) دخول ظلامه في كل شيء يقال وقبت الشمس اذا غابت وفي الحديث فلما رأى الشمس قد وقبت قال هذا حين حلها (يعني صلاة المغرب) وقيل هو القمر اذا امتلأ وعن عائشة رضي الله عنها أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فأشار الى القمر فقال تعوذي بالله من شر هذا فانه الغاسق اذا وقب ووقوبه دخوله في الكسوف واسوداده ويجوز أن يراد الغاسق الاسود من الليالي ووقبه ضربه بنقبه والوقب النقب ومنه وقبة الترس والتعوذ من شر الليل لان انتشاء فيه أكثر والضرر منه أعم ومنه قولهم الليل أخفى للويل وقولهم أغدر الليل لانه اذا أظلم كثر فيه الغدر وأسند الشر اليه لا لانه من حدوثه فيه (النفاثات) النساء والنفوس أو الجماعات السواحر اللاتي يعقدن عقدا في خيوط وينفثن عليها ويرقين والنفث النفخ مع ريق ولا أثر لذلك اللهم الا اذا كان ثم لعاب شيء مضار أو سقيم أو اتمامه أو مباشرة المحبوب به على بعض الوجوه ولكن الله تعالى وجل قد يفعل عند ذلك فعلا على سبيل الامتحان الذي يغمز به الثقات على المغوين من الحشوية والله له من لعوام فيشبهه الحشو والرعاع اليهن والى نفثهن والناشئون للفول الثابت لا ينفثون الى ذلك ولا يعبؤن به (فان قلت) فما معنى الاستعاذة من شرهن (قلت) فيه ثلاثة أوجه أحدها أن يستعاذ من عملهن الذي هو صنعة السحر ومن اثمهن في ذلك والثاني أن يستعاذ من فتنتهن الناس بسحرهن ومراقبتهم به من باطلهن والثالث أن يستعاذ مما يصيب الله به من الشر عند نفثهن ويجوز أن يراد بهن النساء الكاتات اللاتي من عوله ان كيدكن عظيم تشبيها لكيدهن بالسحر والنفث في العقد أو اللاتي يفتن الرجال بسحرهن فهم وعرضهن محاسنهن كأنهن يسحرنهم بذلك (اذا حسد) اذا ظهر حسده وعمل بمقتضاه من بغي الغوائل للمحسود لانه اذا لم يظهر أثرا أضر به ولا ضرر يعود منه على من حسده بل هو الضار لنفسه لاغتمامه بسرور غيره وعن عمر بن عبد العزيز لم أر ظالما أشبه بالمظلوم من حاسد ويجوز أن يراد بشر حاسد من الحساد ولسن ساحرات حتى يتم ان كان وجود السحر لبعد من بدع المنافقين

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر غاسق اذا وقب ومن شر النفاثات في العقد ومن شر حاسد اذا حسد

(سورة الفلق وهي خمس آيات)

بشرون شر وجعل ما نافية قوله تعالى ومن شر النفاثات في العقد (قال هن السواحر اللاتي يعقدن الخيوط وينفثن عليها الخ) قال أحمد وقد تقدم ان قاعدة المعتزلة انكار حقيقة السحر على ان المكتسب والممتنع فيورد بنوعيه والامر بالتعوذ منه وقد سحر صلى الله عليه وسلم في مشط ومشاطة في جف طلعة ذكر والحديث مشهور

وأما الزمخشري استعظم الهوى حتى أنكر ما عرف ومابه الآن يتبع اعتزاله ويعطي كفه وجه الغزالة *(عاد كلامه) (قال فان قلت) ما معنى الاستعاذة من شرهن وأجاب الخ) قال أحمد وهذا من الطراز الاول قد عنه جانبا ولو فسر غير النفاثات في العقد بالمخيلات من النساء ولسن ساحرات حتى يتم ان كان وجود السحر لبعد من بدع المنافقين

شر الحاسد ذاته وسائر حاله في وقت حسده واظهاره أثره (فان قلت) قوله من شر ما خلق نعم كل ما خلقه الله فما معنى الاستعاذة بعده من الغاسق والنفاثات والحاسد (قلت) قد حص شرهؤلاء بالشر لغلبة أمره وانه يلحق الانسان من حيث لا يعلم كما قال تعالى به وقالوا شر العذاب الذي بلغ من عظمه لا تشعر (فان قلت) لم عرف بعض المستعاذ منه ونكر بعضه (قلت) عرف الغاسق كل غاسق تشريفا ونكر غاسق لان كل غاسق لا يكون فيه الشر فانما يكون في بعض دون بعض وكذلك كل حاسد لا يضر وربما حسد شرود وهو المستدعى لتخيرات ومنه قوله عليه الصلاة والسلام لا حسد الا في اثنين وقال أبو تمام وما حاسد في الكرمات حامد وقال ان الملاحسن في مثلها الحسد عن رسول صلى الله عليه وسلم من قرأ المعوذتين فكأنما قرأ الكتب التي أنزل الله تعالى كلها

﴿سورة الناس مختلف فيها وهي ست آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

يقال أعوذ بحذف الهمزة وتقل حركتها الى اللام ونحوه تخفيفا بسملة (فان قلت) لم قيل (برب الناس) دون سائر أسمائه تعالى (قلت) لان الاستعاذة وقعت من شر الموسوس في صدور الناس فكأنه قيل أعوذ من شر الموسوس الى الناس برب الناس الذي يملك عليهم أمورهم وهو الههم ومعبودهم كما يستغيث بعض الموالي اذا اعترضهم خطب بسيده ومخدومه ووالي أمرهم ﴿(فان قلت)﴾ (ملك الناس اله الناس) ما هما من رب الناس (قلت) هما عطف بيان كقولك سيرة أبي حفص عمر الفاروق بين ملك الناس تمهيدا بانه الله الناس لانه قد يقال لغير رب الناس كقوله اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله وقد يقال ملك الناس وأما اله الناس فخاص لا شركة فيه فحمل غاية البيان (فان قلت) فهلا كفى باظهار المضاف اليه الذي هو الناس مرة واحدة (قلت) لان عطف البيان لبيان فكان مظنة للاظهار دون الاضمار (الوسواس) اسم بمعنى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة وأما المصدر فوسواس بالكسر كزلزال والمراد به الشيطان سمي بالمصدر كأنه وسوسة في نفسه لانها صفته وشغله الذي هو عاكف عليه أو أريد ذو الوسواس والوسوسة الصوت الخفي ومنه وسواس الحلي و (الخناس) الذي عادته أن يخنس منسوب الى الخنوس وهو التأخر كالعواج والبتات لما روي عن سعيد بن جبير اذا ذكر الانسان ربه خنس الشيطان وولى واذا غفل وسوس اليه (الذي يوسوس) يجوز في محل الموصول الثلاث فالجر على الصفة والرفع والنصب على الشتم ويحسن أن يقتصر على الناس ويبتدئ الذي يوسوس على أحد هذين الوجهين (من الجنة والناس) بيان للذي يوسوس على أن الشيطان ضربان جني وانسي كما قال شياطين الانس والجن وعن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال لرجل هل تعوذت بالله من شيطان الانس ويجوز أن يكون من متعلقا بيوسوس ومعناه ابتداء الغاية أي يوسوس في صدورهم من جهة الجن ومن جهة الناس وقيل من الجنة والناس بيان للناس وأن اسم الناس يطلق على الجنسة واستدلوا بالجن ورجال في سورة الجن وما أحقه لان الجن هم الجنة حتما سموا بذلك لاجتنانهم والناس ناسا لظهورهم من الانياس وهو الابصار كما سموا بشرا لو كان بمعنى الناس على التبيين وصح ذلك وثبت لم يكن مناسب الفصاحة القرآن وبعده من التصنع وأجود منه أن يراد بالناس الناسي كقوله يوم يدع الداع وكما قرئ من حيث أناض الناس ثم يبين بالجنة والناس لان الثقلين هما النوعان الموصوفان بنسيان حق الله عز وجل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أنزلت علي سورتان ما أنزل مثلهما وانك لمن تقرأ سورتين أحب ولا أرضى عند الله منهما يعني المعوذتين ويقال للمعوذتين المقشقشتان ﴿قال عبد الله الفقير اليه وأنا أعوذ بهما وبجميع كلمات الله الكاملة التامة ﴿وألوذ بكنف رحمته الشاملة العامة ﴿من كل ما يكلم الدين ﴿ويثلم اليقين ﴿أو يعوق العاقة بالندم ﴿أو يقدح في الايمان المسوط بالعدم والدم ﴿وأسأله بخضوع العنق وخشوع البصر ﴿ووضع الجد لجلالة الاعظم الاكبر ﴿مستشفعا اليه بنور الذي هو الشفيع في

﴿سورة الناس وهي ست آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قل أعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس

﴿القول في سورة الناس﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله تعالى قل أعوذ برب الناس (قال ابن الحاجب) ان قلت لم أضاف اسمه تعالى الههم خاصة وهو رب كل شيء (قلت) قال أحمد وفي التخصيص سر عجيب على عادة الاستطراف فانه سبحانه وتعالى لما علم أن الناس عاذ كلا منهم (قال) والله الناس عطف بيان لملك الناس أو كلاهما عطف بيان للاول والثاني أبين لان ملك الناس قد يطلق لغير الله تعالى وأما اله الناس فلا يطلق الا له عز وجل فحصل غاية البيان وزيد البيان بتكرار الظاهر غير مضمر والله سبحانه وتعالى أعلم هذا ما يسر الله من القول وافى أرجو الى الله تعالى من القبول والحلول والحفظة رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الاسلام * موسد الابوة المحصنة الاتم * وساعيت به من مهاجرتي اليه ومجاورتي * ومصابرتي * على نوائل من القوى * وتحاذل من الخطا * ثم أسأله بحق صراطه المستقيم * وقرآنه الكريم * وبالقسم من كرسي العين * وعرق الجبين * في عمل الكشاف عن حقائقه * الخامس عن معضلات الطبع على غوامضه * المثبت في مداحضه * الملخص لنكته ولطائف نظمه * المقرن غرره وجوه علمه * المكثر بالفوائد الغفة التي لا توجد الا فيه * المحيط بالاحاديث من بدع الفاظه ومعانيه * الايمان الحاذف للفضول * وتجنب المستكره المهول * ولم يكن في مصنوعه * الا ايراد كل شيء على ما لكفي به ضالة الناشد هاجعة الاحبار * وجوهر يغني الغور عليها غاصة البحار * وما شرفني به من واختصني بكرامته * ووجدي من ارتفاعه على يدي في مربط بشاراته ونذره * ومتنزل آياته وسوره من البلد الامين بين ظهراني الحرم * وبين يدي البيت المحرم * حتى وقع التأويل * حيث وجد التنزيل أن يهب في غاشية الليل * ويقيني مصارع السوء * ويتجاوز عن فرطاتي يوم التناد * ولا يفضحني بها على الاشهاد * ويحلني دار المقامة من فضله * بواسع طوله وسابغ نوله * انه الجواد الكريم * الرؤف الرحيم *

* في نسخة ما نصه *

في أصل المصنف عفا الله عنه ورحمه الله تعالى وهذه النسخة هي نسخة الاصل الاولى التي نقلت من الاصل وهي أم الكشاف المرحومة المباركة المسمح بها المحقوقة أن تستنزل بها بركات السماء ويستمطر بها السنة الشهباء فرغت منها يد المصنف تجاه الكعبة في جناح داره الملتصقة التي على باب أجياد الموسومة بمدرسة العلامة تحمو يوم الاثنين الثالث والعشرين من ربيع الآخر في عام ثمانية وعشرين وخمسمائة

وهو حامد لله على باهر كرمه ومصل على عبده ورسوله وعلى آله وأصحابه أجمعين

﴿ ترجمة المؤلف رحمه الله تعالى ﴾

ستاذ الفاضل الشيخ ابراهيم الدسوقي مصحح دار الطباعة المصرية الميرية سابقا رحمه الله جملة من
ب الكشاف ذيل هذه النسخة التي جرى على طبعها فاستحسن تقلها نصها لتكون مرآة للاطلاع
المؤلف من رفيع المزايا وجيد السجايا ولسان صدق في الآخرين وانموذجا لفضله المتين
وامام الائمة وهادي هداة هذه الامة أبو القاسم محمود بن عمرو بن محمد بن عمر الخوارزمي
ي من هو بالمأثور النعوت حري صاحب التآليف الزاهرة والتصانيف الفائقة الباهرة
كبر في الحديث والتفسير والنحو واللغة والمعاني والبيان وغيرها بالاجماع كان امام عصره
قاع تشد اليه الرحال من كل مكان شايع أخذ الادب عن شيخه بمصر أبي مضر وصنف
السيدة الغرر منها هذا الكتاب في تفسير القرآن ولم يسبق شأوه فيه انسان والمحاجة
العربية والمفرد والمركب في العربية والفائق في تفسير الحديث ولم يرسم له مثل في القديم ولا في
وأساس البلاغة في اللغة ولم يبلغ كتاب قبله في التمييز مبلغه وربيع الابرار ونصوص الاخبار
أساس الرواة والنصائح الكبار والفصائح الصغار وعمالة الناشيء والرائض في علم الفرائض
في النحو وهو كتاب كبير وقد اعتنى بشرحه خلق كثير والانموذج في علم العربية والمفرد
في المسائل النحوية وروضة المسائل الفقهية والمستقصى في الامثال العربية والمدور
الفاخرة في الامثال السائرة والكتاب الجليل المسمى بديوان الفصيل وشقائق النعمان في حقائق
عمان وشقائق الخ من كلام الشافعي والقسطاس في العروض ومفهم المدود والمنهاج في الاصول
مقدمة الادب في اللغة وديوان الرسائل وديوان الشعر والرسائل الناجحة والامالي الراسخة في كل
من غير ذلك وكان شروعه في تأليف المفصل في غرة شهر رمضان سنة ٥١٢ ثلاث عشرة وخمسمائة
فرغ منه في غرة المحرم سنة ٥١٥ خمس عشرة وخمسمائة وكان قد سافر الى مكة حرسها الله تعالى
جاور بها زمانا فصار يقال له بسبب ذلك وكان هذا الاسم علما عليه وقد اشتهر أن احدى رجليه كانت
اطعة وانه كان يعتمد في جاوزه من خشب واعتقد في سبب سقوطها فضل الله كان في بعض أسفاره ببلاد
حوارزم أصابه ثلج كثير وبرد شديد في الطريق فسقطت منه رجله وانه كان رآه بعض غرباء خلق
كثير من اطلاعه على حقيقة ذلك شرط في أن يكتم ما سمع صورة الحال أما طالت له مدة الثلج والبرد
كثيرا ما يقرف الاطراف في تلك البلاد فتسقط به خصوصا خوارزم فانها في غاية البرودة ومنها خلق كثير
سقطت أطرافهم بهذا السبب فلا يبعد من لا يعرفه وقيل ان الزمخشري لما دخل بغداد ازدحم
الفقيه الحنفي الدامغاني سائلا عن سبب قطع رجله فقال حماه الله وذلك أني كنت في صباي أمسك
عصفورا وربطته بخيط في رجله فأفلت من يدي فاذا ركضه وقد دخل في خرق بقربه فانقطعت رجله في
الخيط فتأملت والدي لذلك وقالت قطع الله رجل الذي قطع رجلك فلما وصلت الى الطاق رحلت
الى بخارى أطلب العلم وسقطت عن الدابة فانكسرت رجلي وعلمت علما أوجب قطعها والله أعلم بالصحة
وكان الحافظ أبو الطاهر أحمد بن محمد السلفي قد كتب اليه من الاسكندرية وهو يومئذ بحاوره بمكة حرسها الله
يستجيزه في مسموعاته ومصنفاته فرد جوابه بما لا يشفي الغليل فلما كان في العام الثاني كتب اليه أيضا مع
الحاج استجازة أخرى اقترح فيها مصنوده ثم قال في آخرها ولا يجوح أدام الله توفيقك الى الراحة فالسافة
بعيدة وقد ناقته في السنة الماضية فاتعب عايشي الفليل وانا في ذلك الاوان بالجزيرة فكتب اليه
الزمخشري ما لم يكن له في حساب ولولا خوف التطويل لذكرت الاستدعاء والجواب لكن لا بأس
بذكر بعض الجواب وهو ما مثل مع اعلام الفضلاء الاكمل السابع صنايع السماء والجهام الصفر
من الرهام مع الغوادي المغاني للضمان والاكام والسكيت الخلف مع خيل السباق والبغلات مع
الطير العتاق وما التقيب بالعلامة الاشبه ارقم بالعلامة والسلم سنة أحد بالسرية والثاني

الرواية وأنافى كلا الباين دو بضاعة مزجاة طالما نبه أنفس من ظل حصاة أما الرواية فغير قريبة الاسناد لم تستند الى علماء كبار ولا الى أعلام مشاهير وأما الدراية فقد لا يبلغ أقوالها مايل شفاها ولا يفرنكم قول فلان ق وفلان وعدد جماعة من الشعراء والفضلاء عدوه منها الشعر وأوردها كلها ولو سردناها الطال الطال ثم قال فان ذلك اغترار منهم بالظاهر المموه وجهل المشوه ولعل الذى غرهم منى مارأوا من حسن القصح للسمعين وايصال الشفقة الى المستفيد المطامع منهم واضافة المبار والصنائع عليهم وعزة النفس والزهد بما عن السعاسف الدنيات و على خوبه بى والاعراض عما لا يعنينى فظنوا فى عجزهم وعاطوان ونسبوني الى ما لبست منه ولا دبر وما أنا فيما أقول بهاشم لنفسى كما قال الحسن البصرى رحمه الله تعالى فى قول أبى بكر رضوان الله عليه ولستكم ولست بخيركم ان المؤمن لم يضم نفسه والما صدقت الفاحص عنى فى روايتى ودرايتى ومن لقيت وأخذت عنه وما بلغ علمى وقصارى فصلى واطلعته على أمرى و اليه بخبيئة سرى والقيت اليه بخبرى وأعلمته بجهلى وشعرى وأما الولد فغريزة تجهو قرى خوار زم تسمى رخشتر وسمعت أبى رحمه الله تعالى يقول احتاز بها أعرابى فسأل عن اسم كبيرها فقيل له رخشتر فقال لا خير فى شرور ولم يلبثوا وقت النيسلا شهر الله الاصم فى عام سبع و أربعمائة والله المحمود والمصلى على سيدنا محمد وآله وأصحابه هذا آخر الاجازة وقد اطال الكلام ولم يصرح له بمقصوده فيها ولا يبعد أن يكون قد صرح له بعد ذلك أولا ومن شعره السائر قوله وقد ذكره الصعانى فى قال أنشدنى أحمد بن محمود الخوارزمى املاء بسمرقند قال أنشدنا محمود بن عمر الزمخشرى لنفسه بغدا

ألا قل لسعدى مالغانيك من وطر * ومالطلابن السهل من آبن البقر
فانا قصرنا بالذين تضايقت * عيونهم والله يجزى من اقتصر
مليح ولكن عنده كل حفوة * وقل أن ترى الدنيا صفاء بلا كدر
ولم أنس اذ غازلته قرب روضة * الى قرب حوض فيه للماء منحدر
فقلت له بعثنى بورد ولغا * أريد به ورد الخدود وما شعر
فقال انتظرنى رجع طرفى أجئ به * فقلت له هيهات ماك منتظر
فقال ولا ردسوى الخد حاضر * فقلت له أنى قنعت بما حضر

ومن شعره يرثى شيخه أبا مضر المذكور أولا

وقائلة ماهذه الدرر التى * تساقط من عينيك سمطين سمطين
فقلت هو الدر الذى كان تدحشا * أبو مضر أذنى تساقط من عينى

(وما أنشده لغيره) فى كتابه الكشاف عند تفسير قوله تعالى فى سورة البقرة ان الله لا يستحيى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها

يامن يرى مد البعوض جناحها * فى ظلمة الليل البهيم الاليل
ويرى عروق نياطها فى نحرها * والمخ فى تلك العظام النحل
اغفر لعبد تاب عن فرطاته * ما كان منه فى الزمان الاول

وقيل ان الزمخشرى أوصى أن تكتب على لوح قبره هذه الابيات

(ومن كلامه رضى الله عنه)

زمان كل حبيب فيه خب * وطعم العقل خل لو يناق
لهم سوق بضاعته نفاق * فنافق فالنفاق له نفاق

(ومن كلامه)

سهرى لتنقيح العلوم ألذ لى * من وصل غانية وطيب عناق

وتمالى طربا عن عروضه * أنغمى وأحلى من مدامة ساق
وصرير أقلامى على أوراقها * أحلى من الدوكاء العشاق
وألذ من نقر الفتاة لدفها * نقرى لألق الرمل عن أوراقى
آليت سهران الدجى وتبيته * نوما وتبغى بعد ذاك لحاقى

﴿ومن كلامه﴾

اذا سألوا عن مذهبى لم أجبهم * وأكتمه كتمانه لى أسلم
فان صحصا قلت قالوا بأننى * أبيح المطلا وهو الشراب المحرم
وان مالكيا قلت قالوا بأننى * أبيح طعم أكل الكلاب وهم هم
وان شافعيا قلت قالوا بأننى * أبيح نكاح البنت والبنت تحرم
وان حنبليا قلت قالوا بأننى * أحل لهم حلولى بجسم مجسم
وان قلت من أهل الحديث وحزبه * يقولون تبا ليس يدرى ويلهم
تعجبت من هذا الزمان وأهله * فما أحد من ألسن الناس يسلم
وأعرق دهرى وقدم معشرا * على أنهم لا يعلمون وأعلم
وحسبك فى الجهال أننى أنا اللبيب والايام أفرغ أعلم

ولد الزمخشرى يوم الاربعاء السابع والعشرين من شهر رجب سنة سبع وستين وأربعمائة بزمخشر رحمه الله تعالى ليلة عرفة سنة ٥٣٨ ثمان وثلاثين وخمسمائة بجرجانيه خوارزم بعد رجوعه من حج الله تعالى وزيارة نبيه ومن جاليا

فأرض مكة تشرى الدمع مقلتها * عزا لفرقة جار الله محمود

زمخشر بفتح الزاى والميم وسكون الخاء وفتح الشين المعجمتين وبعدها راء مهملة كبيرة من قرى خوارزم جرجانيه بضم الجيم الاولى وفتح الثانية وسكون الراء بينهما وبعد الالف نون مكسورة وبعدها ياء مثناة من تحت ساكنة وجيم مشددة ثم هاء ساكنة وهى قصبة خوارزم قال ياقوت الحموى فى معجم البلدان يقال لها بلغتهم كركانج معربة وقيل لها جرجانيه وهى على شاطئ جيحون انتهى ماذكره الامام السمعانى رحمه الله تعالى

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

حمدا لمن أنزل الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه بأساليب رائقة يعجز كل
أسلوب وصفه المتصدي بأقصر سورة عنه جميع البشر الموقع من بديع الأسرار ما لا يحيط
القوى والقدر والصلاة والسلام على من أيده الله بالقرآن وأعطاه أعلى الفصاحة والبيان من
الهادين إلى الصراط المستقيم وأصحابه الموعودين بالمغفرة والأجر العظيم ﴿وبعد﴾ فقد تم طبع
الكشاف المسفر عن حقائق التنزيل وعلى الأقاويل شاف الملوعا نكات البديعة والاستنباطات
والافهام العجيبة والاستخراجات الغريبة كيف لا وهو تأليف مفخر خوارزم العلامة أفضل هم
فهامة من هو بالذكر الجميل حري الامام محمود بن عمر الزمخشري فلقد أبدع في ذلك التصنيف
في هذا التأليف وأودعه من بحور المعاني والبيان وكنوز الكشف والتبيان درر لم يستخرجها
سواه ولم تطمع عين الخوض مرماه الا انه قصب بانهيه فوقعت منه فرطات وربما عثر زلل الطبع
بذهن السيئات فقلع بإصبع الخاشية السماء الانسان من ساحب الكشاف العلامة الفهامة
والفهامة الفريد على الفضل الأشهر سيدي أحمد بن المنير تلقد نصب أعلام السنة على شواهق
وصوب الاسنة نحو بحور الشبهات حتى هزم جيش الاعتزال جزاه الله الجزيل وشكر له
السعي الجميل هذا ولعموم الفائدة والانتفاع وتشوف الطلاب الى مواد الكشاف لاجل الاطلاع
استحسن صهره الطبع واقتنيته الجليلة ذات النفائس الجزيلة العلامة الوقاده الأخذ من كل فن بأوفر
الزاهي المعالي بكل مهم صعب الحازلاعلى شرف الأمل والنسب مفخر الجهبذ العرب صاحب الباع
في النحو واللغة والبيان والمعاني العلامة الفاضل السيد الشريف الجرجاني نور الله ثلاثة كما
أعز من يشاء الانفاق وأبعد تناولا من الثريا والعيوق فانتاح الله لها من أسبابها الطبع بمصر
تم طبعها المقصود الذي لها وقع حصولها من المطبعة العامرة التي بجوار القلعة
الكائنة بمصر المحروسة تعلق المسمى بحولاه في بندر بولاق حضرة
محمد مصطفى أفندي أحسن الله أحواله وختم بالصالحات أعماله
وقد فاح مسك الختام وتم سلك النظام في أواخر شهر
شعبان المعظم سنة ١٣٠٨ من هجرة السيد
الأعظم عليه وعلى آله أزكى صلوات
وأنمى تحيات ما هبت
نسمات وهدأت
حركات

فهرست الجزء الثامن من

صحيفة		صحيفة	
٣	سورة مريم	٤٠٧	سورة والذاريات
١٦	سورة طه	٤١٣	سورة الطور
٣٩	سورة الانبياء	٤١٥	سورة والنجم
٥٥	سورة الحج	٤١٩	سورة القمر
٦٨	سورة المؤمنين	٤٢٣	سورة الرحمن
٨١	سورة النور	٤٢٨	سورة الواقعة
١٠٢	سورة الفرقان	٤٣٣	سورة الحديد
١١٧	سورة الشعراء	٤٣٨	سورة المجادلة
١٣٦	سورة النمل	٤٤٢	سورة الحشر
١٥٤	سورة القصص	٤٤٩	سورة الممتحنة
١٧٣	سورة العنكبوت	٤٥٤	سورة الصف
١٨٢	سورة الروم	٤٥٧	سورة الجمعة
١٩٣	سورة لقمان	٤٦٠	سورة المنافقين
١٩٩	سورة السجدة	٤٦٣	سورة التغابن
٢٠٨	سورة الاحزاب	٤٦٥	سورة الطلاق
٢٢٤	سورة سبا	٤٦٩	سورة التحريم
٢٣٦	سورة الملائكة	٤٧٥	سورة الملك
٢٤٦	سورة يس	٤٧٩	سورة ن
٢٥٨	سورة والصافات	٤٨٤	سورة الحاقة
٢٧٤	سورة ص	٤٨٧	سورة المعارج
٢٩١	سورة الزمر	٤٩٠	[illegible]
٣٠٧	سورة المؤمن	٤٩٣	سورة الجن
٣٢٤	سورة السجدة	٤٩٧	سورة المزمل
٣٣٤	سورة حمعسق	٥٠١	سورة المدثر
٣٤٥	سورة الزخرف	٥٠٧	سورة القيامة
٣٥٨	سورة الدخان	٥٠٩	سورة الانسان
٣٦٤	سورة الجاثية	٥١٤	سورة والمرسلات
٣٦٧	سورة الاحقاف	٥١٧	سورة عم يتساءلون
٣٧٥	سورة محمد صلى الله عليه وسلم	٥٢٠	سورة والنازعات
٣٨٣	سورة الفتح	٥٢٣	سورة عبس
٣٨٨	سورة الحجرات	٥٢٥	سورة التكوير
٤٠١	سورة ق	٥٢٩	سورة الانفطار